النسخة المسندة من

نوادر الأصول

في معرفة أحاديث الرسول

لأبي عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن بشر
المعروف بالحكيم الترمذي

اعتنى به
إسماعيل إبراهيم متولي عوض

الجزء الأول

مكتبة الإمام البخاري

الطبعة الأولى

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٢٥٠٨٠/٢٠٠٨م

ISBN
٩٧٧ ٥٢٩١ ٨٨ ٧

دار الكتب المصرية
فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

الترمذي ، محمد بن علي بن الحسن ، .. كان حيًّا ٩٣٠هـ

النسخة المسندة من نوادر الأصول في معرفة أحاديث الرسول / لأبي عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن بشر [الحكيم الترمذي . مستعار] ؛ اعتنى به إسماعيل إبراهيم متولي عوض . — القاهرة : مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٨ .

مج ١-٢ في ١٣٦٤ص ؛ ٢٤سم .

تدمك ٧ ٨٨ ٥٢٩١ ٩٧٧

١ - الحديث - نوادر الأصول

أ - عوض ، إسماعيل إبراهيم متولي (معتني به)

ب - العنوان ٢٣٥.٣

مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع

القاهرة : ٣ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر - ت ٢٥١٤٤٠٧٣

جوال ٠١٢/٣٦٧٦٧٩٧ - ٠١٠/٦١٨٦١١٤

النسخة المسندة من

نوادر الأصول

في معرفة أحاديث الرسول

الجزء الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إنَّ الحمد للّه ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مُضِلَّ له ، ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۞ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ .

أما بعد : فإن أصدق الحديث كتاب اللّه ، وأحسن الهَدْي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

وبعد . . فإذا كان القرآن هو المصدر الأول للدين فإن السُّنة النبوية هي المصدر الثاني بلا خلاف ؛ لأنها هي المبينة للقرآن والشارحة له ، تفصل مجمله وتوضح مشكله ، وتقيد مطلقه وتخصص عامه ، وتبسط ما فيه من إيجاز . قال تعالى : ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل : ٤٤] .

واتفق العلماء جميعا على حجية السنة ، وقد تكفل الله بحفظها كما تكفل بحفظ القرآن فقال : ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] .

وممن عني بالحديث النبوي الحكيم الترمذي ، فقد أخذ الحكيم عن كثير من شيوخ المحدثين في عصره ، وأغلبهم من المحدثين المقبولين لدى علماء الحديث ، فأبويه كان محدثا ، وروى عنه أحاديث كثيرة في كتبه ، ومن كتبه في علم الحديث « نوادر الأصول في معرفة أحاديث الرسول ﷺ » وهو كتاب جليل يحتوي على معان حسنة عزيزة وفوائد جمة غزيرة ، ويشتمل على ضروب من العلم ، وقد اشتمل على (١٥٧٨) حديثا ضمن ثلاث وتسعين و مائتين أصلا من الأصول التي بوب بها الحكيم الترمذي .

وقد جمع فيه أحاديث منوعة في الطب والحكمة والأدعية وغيرها ، ثم قام بشرحها شرحا وافيًا مستفيضًا يستخلص منه ما يراه من معان وأسرار ، وفي شرحه يغوص في

كل المعارف الدينية الظاهرة والباطنة ويكشف عن أسرار النفس والقلب وجوهر العبادة والسلوك . أما لفظة الأصول فإنها تشير إلى أن موضوع هذا السفر من أطناب الدِّين ودعائمه التي تمثل ركائز أساسية للفهم الصادق والعمل الجاد ، ولا يجب الالتفات عنها بحال ، إنما يجب أن تكون ماثلة في ضمير المسلم ووجدانه .

فهذا الكتاب نضعه بتمامه بين يدي القراء لأول مرة كنسخة مُسندة بعد أن قمنا بالاعتناء به حسب الوسع والطاقة بتحقيقه وضبط نصه على نحو ييسر الفائدة منه ، ويحقق رغبة أهل العلم في نشر هذا الكتاب .

ويمكن إجمال مميزات هذا الكتاب فيما يلي:

١- اهتمامه ببيان مقاصد الشريعة مما يكسب هذا الكتاب أهمية خاصة في هذا المجال وإن كانت توجد له بعض الاجتهادات التي لا يوافق عليها .

٢- بيانه لكثير من المعاني اللغوية وشرح الكلمات الغريبة في الحديث شرحا وافيا .

٣- يعد مصدرا أصليا من مصادر الحديث الشريف .

٤- انفرد بكثير من الأحاديث التي لا توجد في مصادر السنة الأساسية ، وإن كان الغالب عليها الضعف .

٥- اشتمل على كثير من الطرق والأسانيد لأحاديث معروفة من طرق أخرى .

٦- حكمه على بعض الأحاديث وإن كان ذلك على سبيل الندرة .

ولكن هذا العمل الجليل ككل عمل بشري لا يخلو من مآخذ ، ومنها :

١- ما نبه عليه الحافظ السيوطي رحمه الله تعالي من اشتماله على كثير من الأحاديث الضعيفة ، بل صرح بأن العزو إليه معلم بضعف الحديث : « وللعقيلي في الضعفاء (عق) ولابن عدي في الكامل (عد) وللخطيب (خط) فان كان في تاريخه أطلقت وإلا بينته ولابن عساكر (كر) ، وكل ما عزي لهؤلاء الأربعة وللحكيم الترمذي في نوادر الأصول ، أو للحاكم في تاريخه ، أو لابن الجارود في تاريخه ، أو للديلمي في مسند الفردوس فهو ضعيف فيستغنى بالعزو إليها أو إلى بعضها عن بيان ضعفه » .

٢- ما اشتمل عليه من بعض الأمور التي ولدها اجتهاده ، وهي تخالف ما عليه أهل السنة والجماعة كتفضيله بعض الاولياء على الصحابة .

٣- ما ذكره في قصة سيدنا يوسف وسيدنا داود عليهما السلام من الإسرائيليات ،

وقصة نبينا محمد ﷺ مع السيدة زينب رضي الله عنها مما لا يتفق مع ما هو معلوم من الدين بالضرورة من القول بعصمة الأنبياء عليهمْ السلام ، وهذا الكلام بخلاف المعقول والمنقول وإجماع الأمة وإليك بعض أقوال أهل العلم في رد هذه الأباطيل :

*** فأما قصة يوسف الواردة ص (٥٧٣) :**

فهناك أقوال كثيرة للمفسرين فى معنى الآية الكريمة ، لا يوجد عليها دليل لا من العقل ولا من النقل ولا من اللغة ، وإنما هى من الأوهام الإسرائيلية التى تتنافى كل التنافى مع أخلاق عباد الله المخلصين .

والصواب ما ذهب إليه أبو حيان في تفسيره : ﴿ ولقد همَّت به وهمَّ بها لولا أن رأى برهان ربه ﴾ طوَّل المفسرون في تفسير هذين الهمَّين ، ونسب بعضهم ليوسف ما لا يجوز نسبته لآحاد الفساق . والذي أختاره أن يوسف عليه السلام لم يقع منه همّ بها البتة ، بل هو منفي لوجود رؤية البرهان .

*** وأما قصة داود عليه السلام ص (٥٧١) :**

فقد نقل القرطبي في تفسيره « الجامع لأحكام القرآن » (١٥/١٧٦) عن ابن العربي المالكي قوله : وأما قولهم إنها لما أعجبته أمر بتقديم زوجها للقتل في سبيل الله فهذا باطل قطعا .

قال الخازن في تفسيره «لباب التأويل في معاني التنزيل » (٦/٤٩) : « فصل في تنزيه داود عليه السلام عما لا يليق به وما ينسب إليه: اعلم أن من خصَّه الله تعالى بنبوته وأكرمه برسالته وشرفه على كثير من خلقه وائتمنه على وحيه لا يليق أن ينسب إليه ما لو نسب إلى آحاد الناس لاستنكف أن يحدَّث به عنه . فكيف يجوز أن ينسب إلى بعض أعلام الأنبياء والصفوة الأمناء » .

وقال الحافظ ابن ابن كثير رحمه الله في تفسيره : « رواه ابن أبي حاتم ، ولا يصح سنده؛ لأنه من رواية يزيد الرقاشي عن أنس ، وابن جرير ، قلت : هو يزيد بن أبان الرقاشي ، قال شعبة : لأن أزني أحب إليَّ من أن أُحدث عن يزيد الرقاشي ، وقال ابن حبان : كان من خيار عباد الله ، من البكائين بالليل ، لكنه غفل عن حفظ الحديث شغلا بالعبادة ، حتى كان يقلب كلام الحسن فيجعله عن أنس عن النبى ﷺ ; فلا تحل الرواية

عنه إلا على جهة التعجب ، وقال الحافظ في التقريب : ضعيف زاهد .

والخلاصة : أن كل ما قيل عند تفسير هذه الآيات ، مما يتصل بزواج نبي الله داود بتلك المرأة أو بزوجها لا أساس له من الصحة ؛ لأنه لم يقم عليه دليل أو ما يشبه الدليل . بل قام الدليل على عدم صحته إطلاقا . لأنه يتنافى مع عصمة الأنبياء الذين صانهم الله تعالى من ارتكاب ما يخدش الشرف والمروءة قبل النبوة وبعدها .

*** وأما قصة زواج زينب ص (٥٧٧)**

فقد قال أبو العباس القرطبي في المفهم (١/ ٤٠٦) : وقد اجترأ بعض المفسرين في تفسير هذه الآية ، ونسب إلى رسول الله ﷺ ما لا يليق به ويستحيل عليه ، إذ قد عصمه الله منه ونزهه عن مثله ، وهذا القول إنما يصدر عن جاهلٍ بعصمته عليه الصلاة والسلام ، عن مثل هذا ، أو مُسْتَخِفٌ بحرمته ، والذي عليه أهل التحقيق من المفسرين والعلماء الراسخين : أن ذلك القول الشنيع ليس بصحيح ، ولا يليق بذوي المروءات ، فأحرى بخير البريات ، وأن تلك الآية إنما تفسيرها ما حُكي عن علي بن حسين : أن الله تعالى كان أعلم نبيه أن زينب ستكون من أزواجه ، فلما شكاها إليه زيد قال له : أمسك عليك زوجك واتق الله . وأخفى في نفسه ما أعلمه الله به من أنه سيتزوجها مما الله مبديه و مظهره بتمام التزويج وتطليق زيد لها .» .

طبعات الكتاب :

لم يطبع هذا الكتاب مسندًا من قبل ولكن طبع مختصره في :

١- الأستانة ط (١٢٩٣هـ) .

٢- دار الريان للتراث بمصر تحقيق السيد الجميلي وأحمد السايح (١٩٨٨م) .

٣- دار الجيل بيروت تحقيق عبد الرحمن عميرة (١٩٩٢م) .

وصف مخطوطات الكتاب :

اعتمدنا في تحقيق الكتاب على نسختين مخطوطتين والمختصر المطبوع :

النسخة الأولى :

وهي التي اعتمدت عليها كأصل ورمزت لها بالرمز (ص) ، وهي جزءان ؛ الجزء الأول ٢٨١ لوحة ، ويوجد بآخرها لوحة واحدة ناقصة تقريبا ، وهي من معهد

المخطوطات تحت رقم (٥٤٢) ، وهي نسخة جيدة ، وعدد الأسطر بها ٢٣ سطرا ، وعدد الكلمات في كل سطر ١٣ كلمة تقريبا .

ويوجد بها سقط يذكره في الهامش ، واللوحة (٢٥) مكررة مع اللوحة (٢٤) ، واللوحة (١٣٥ ب) ليست من الكتاب .

الجزء الثاني : من المكتبة الأزهرية تحت رقم (٦١٥٧١) ، عدد اللوحات (٢١٩) لوحة ، وهي نسخة جيدة ، ويوجد بها علامات علي أنها قوبلت على إحدى النسخ ، وعدد الأسطر (٢٣) ، وعدد الكلمات (١٢) .

النسخة الثانية :

نسخة الجامعة الإسلامية ، تحت رقم (٣٤٨٧) وحصلت عليها من طريق " الشبكة الإلكترونية " ، وعدد اللوحات (٢٨٧) ، وهي نسخة جيدة ولكن التصوير غير جيد ، ويوجد بها بعض السواد والكلمات المطموسة .

وعدد الأسطر ٢٣ سطرا تقريبا ، وعدد الكلمات في السطر ١٢ سطرا تقريبا ، والجزء الأول منها ينتهي عند اللوحة (١٣٧) .

ويوجد بين الجزء الأول والثاني عند اللوحة (١٣٧ ب) و(١٣٨) ، و (١٣٩) ذكرت خطأ من كتاب آخر .

وبها تبديل وتقديم وتأخير ، حيث إن بعض اللوحات يكون الجزء اليمين من مكان والجزء اليسار من مكان آخر .

ـ النسخة المطبوعة للمختصر قديمًا :

وقد اعتمدت عليها في حل بعض الإشكالات ، وهي نسخة تصوير دار صادر صورت من طبعة الأستانة سنة ١٢٩٣هـ .

عملي في الكتاب :

قمت بحمد الله بالاعتناء بالكتاب في هذه النقاط المختصرة :

١ - نسخ المخطوطة على قواعد الإملاء الحديثة .

٢ - قابلنا المخطوطة بالمنسوخ .

٣ - رقمنا الأحاديث ، والتي بلغ عددها (١٥٧٨) حديثا .

٤ - التنبيه في مقدمة الاعتناء إلى بعض ما أورده المُصَنِّف من أشياء تُخَالف منهج أهل السنة والجماعة وعقيدتهم في عصمة الأنبياء .

٥. تخريج الآيات القرآنية ووضع التخريج بجوار الآية . كما وضعنا من مصحف المدينة النبوية .

٥ - صنع بعض الفهارس التي تيسر الاستفادة من الكتاب من فهرس لأطراف الأحاديث وفهرس لأطراف الآثار ، كما صنعت أيضا فهرسًا لشيوخ المصنف وما لكل منهم من مرويات .

وفي الختام : أسأل الله تعالى أن يغفر لي زللي وتقصيري في عملي في الكتاب فقد اجتهدت أن أقدم نسخة مسندة للكتاب في وقت أحوج ما يكون فيه من يشتغل بعلم الحديث لذلك ، سائلا الله عز وجل أن يجعل عملي خالصا إنه سميع مجيب ، والحمد لله رب العالمين .

إسماعيل إبراهيم متولي عوض

القاهرة في وقفة عرفات ١٤٢٩هـ .

ترجمة الحكيم الترمذي

من سير اعلام النبلاء للذهبي[(١)]

الحكيم الإمام ، الحافظ ، العارف ، الزاهد ، أبو عبد الله ، محمد بن علي ابن الحسن بن بشر ، الحكيم الترمذي .

حدث عن : أبيه ، وقتيبة بن سعيد ، وعلي بن حجر ، وصالح بن عبد الله الترمذي ، وعتبة بن عبد الله المروزي ، ويحيى خت ، وسفيان بن وكيع ، وعباد بن يعقوب الرواجني ، وطبقتهم.

وكان ذا رحلة ومعرفة ، وله مصنفات وفضائل.

حدث عنه: يحيى بن منصور القاضي ، والحسن بن علي ، وغيرهما من مشايخ نيسابور ، فإنه قدمها وحدث بها في سنة خمس وثمانين ومائتين .

وقد لقي أبا تراب النخشبي ، وصحب أحمد بن خضرويه ، ويحيى بن الجلاء .

وله حكم ومواعظ وجلالة ، لولا هفوة بدت منه.

ومن كلامه : ليس في الدنيا حمل أثقل من البر ، فمن برك فقد أوثقك ، ومن جفاك فقد أطلقك.

وقال : كفى بالمرء عيبا أن يسره ما يضره.

وقال : من جهل أوصاف العبودية ، فهو بنعوت أوصاف الربانية أجهل . وقال : صلاح خمسة في خمسة : صلاح الصبي في المكتب ، وصلاح الفتى في العلم ، وصلاح الكهل في المسجد ، وصلاح المرأة في البيت ، وصلاح المؤذي في السجن .

وسئل عن الخلق: فقال : ضعف ظاهر ، ودعوى عريضة.

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٤٣٩) .
وراجع أيضًا : تذكرة الحفاظ (٢/ ٦٤٥) ، تاريخ الإسلام (٦/ ٨١٤) ، طبقات الشافعية للسبكي (٢/ ٢٤٥) ، لسان الميزان (٧/ ٣٨٦) طبعة الشيخ أبو غدة . وحلية الأولياء (١٠/ ٢٣٣) معجم المؤلفين (١٠/ ٣١٥) ، طبقات الأولياء (٣٦٢) ، طبقات الحفاظ (٢٨٢) ، طبقات الصوفية للسلمي (٢١٧) ، الرسالة القشيرية (٢٤) ، صفة الصفوة (٤/ ١٦٧) ، والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد (١٠٩) ، الأعلام للزركلي (٦/ ٢٧٢) .

قال أبو عبد الرحمن السلمي: أخرجوا الحكيم من ترمذ ، وشهدوا عليه بالكفر ، وذلك بسبب تصنيفه كتاب : " ختم الولاية " ، وكتاب " علل الشريعة " ، وقالوا: إنه يقول : إن للأولياء خاتما كالأنبياء لهم خاتم .

وإنه يفضل الولاية على النبوة ، واحتج بحديث : " يغبطهم النبيون والشهداء " . فقدم بلخ ، فقبلوه لموافقته لهم في المذهب .

وذكره ابن النجار ، فوهم في قوله: روى عنه علي بن محمد بن ينال العكبري . فإن ابن ينال إنما سمع من محمد الترمذي ، شيخ حدثهم في سنة ثمان عشرة وثلاثمائة .

قال السلمي : حدثنا علي بن بندار الصيرفي ، سمعت أحمد بن عيسى الجوزجاني ، سمعت محمد بن علي الترمذي يقول : ما صنفت شيئا عن تدبير ، ولا لأن ينسب إلي شيء منه ، ولكن كان إذا اشتد علي وقتي كنت أتسلى بمصنفاتي .

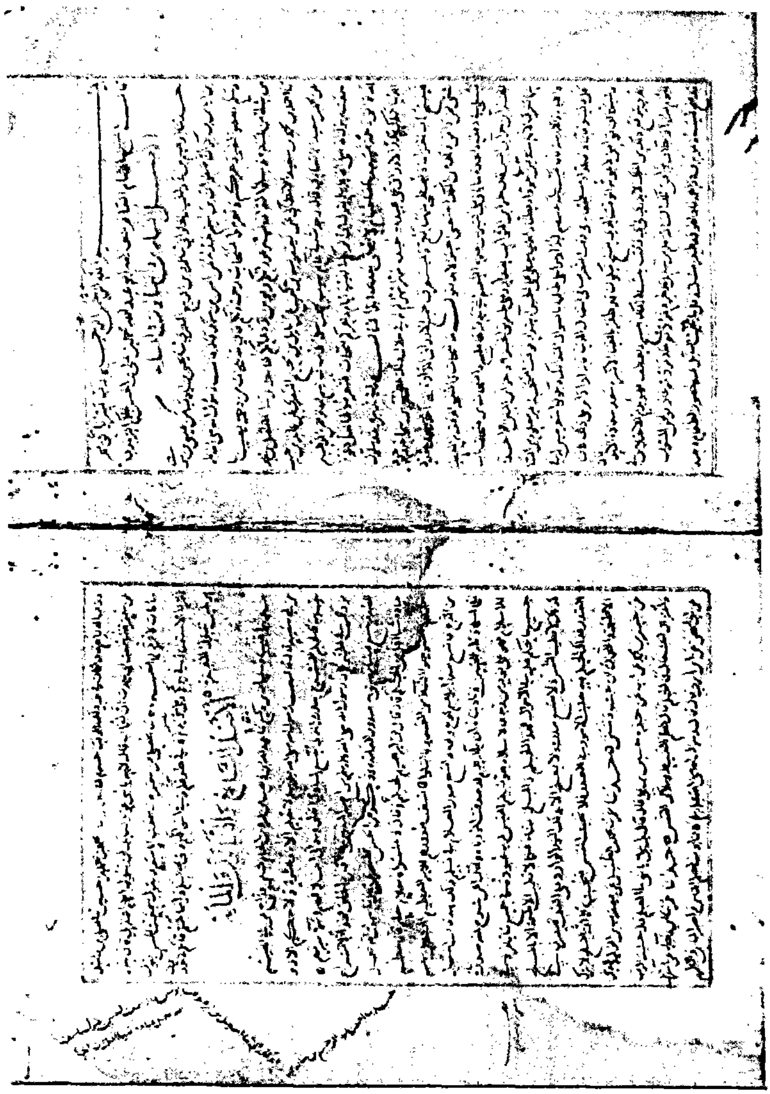
وقال السلمي : هجر لتصنيفه كتاب: " ختم الولاية "(١) ، و " علل الشريعة " ، وليس فيه ما يوجب ذلك ، ولكن لبعد فهمهم عنه .

قلت : كذا تكلم في السلمي من أجل تأليفه كتاب: " حقائق التفسير " ، فيا ليته لم يؤلفه ، فنعوذ بالله من الإشارات الحلاجية ، والشطحات البسطامية ، وتصوف الاتحادية ، فواحزناه على غربة الإسلام والسنة ، قال الله تعالى : ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام : ١٥٣] .

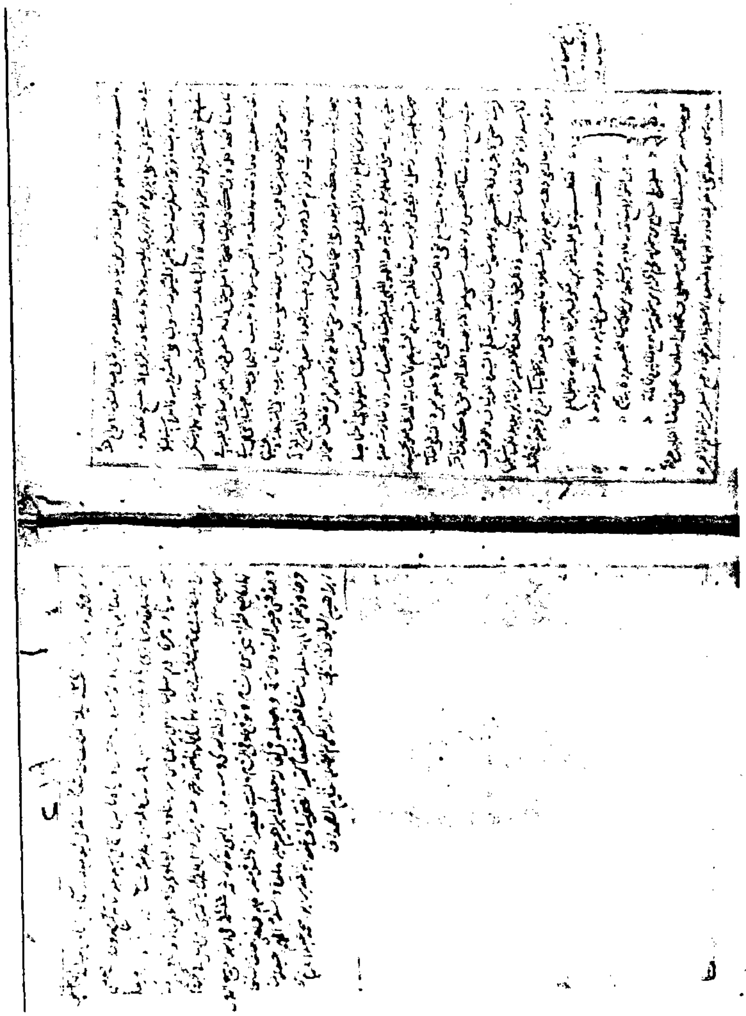
---

(١) قال شيخ الإسلام رحمة الله : لما تكلم الحكيم الترمذي في كتاب « ختم الأولياء - بكلام ذكر أنه يكون في آخر الأولياء من هو أفضل من الصحابة ، وربما لوح بشيء من ذكر الأنبياء قام عليه المسلمون وأنكروا ذلك عليه ونفوه من البلد بسبب ذلك ، ولا ريب أنه تكلم في ذلك بكلام فاسد باطل لا ريب فيه ، ومن هناك ضل اتبعه في ذلك حتى صار جماعات يدعى كل واحد أنه خاتم الأولياء كابن عربى صاحب القصوص وسعد الدين بن حمويه وغيرهما ، وصار بعض الناس يدعى أن في المتأخرين من يكون أفضل في العلم بالله من أبي بكر وعمر والمهاجرين والأنصار إلى أمثال هذه المقالات التي يطول وصفها مما هو باطل بالكتاب والسنة والإجماع بل طوائف كثيرون آل الأمر بهم إلى مشاهدة الحقيقة الكونية القدرية وظنوا أن من شهدها سقط عنه الأمر والنهي والوعد والوعيد وهذا هو دين المشركين الذين قالوا « لو شاء الله ما . . . إلى آخر الآية . وهؤلاء شر من القدرية المعتزلة الذين يقرون بالأمر والنهي والوعد والوعيد ويكذبون بالقدر فإن أولئك يشبهون المجوس وهؤلاء يشبهون المشركين المكذبين بالانبياء والشرائع فهم من شر الناس « مجموع الفتاوى » [١٣/ ٢٦٧ - ٢٦٨]

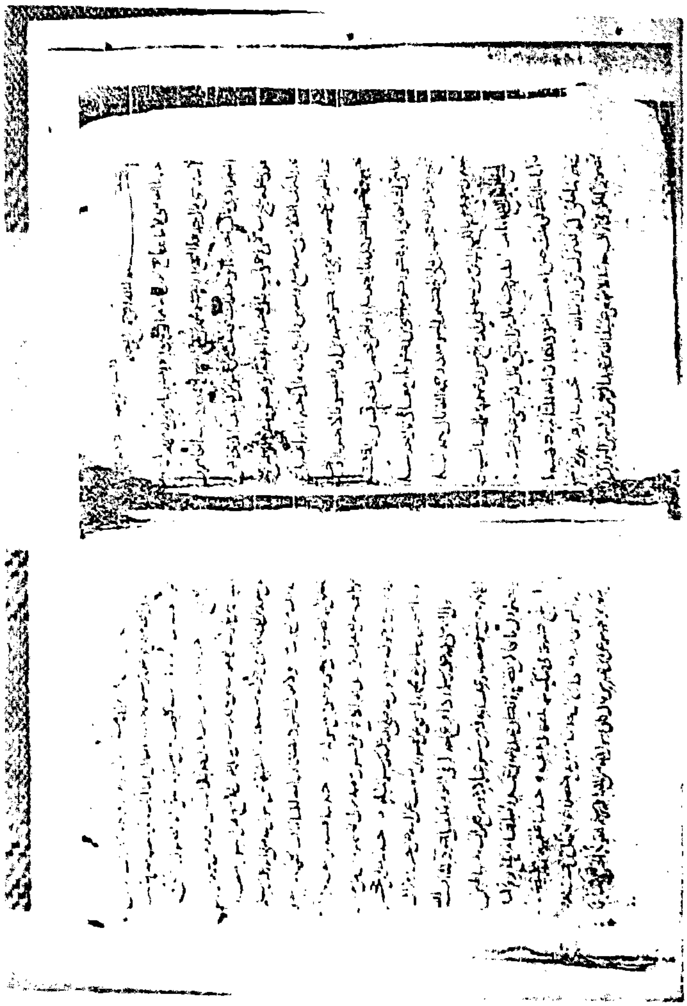
نماذج من النسخ الخطية



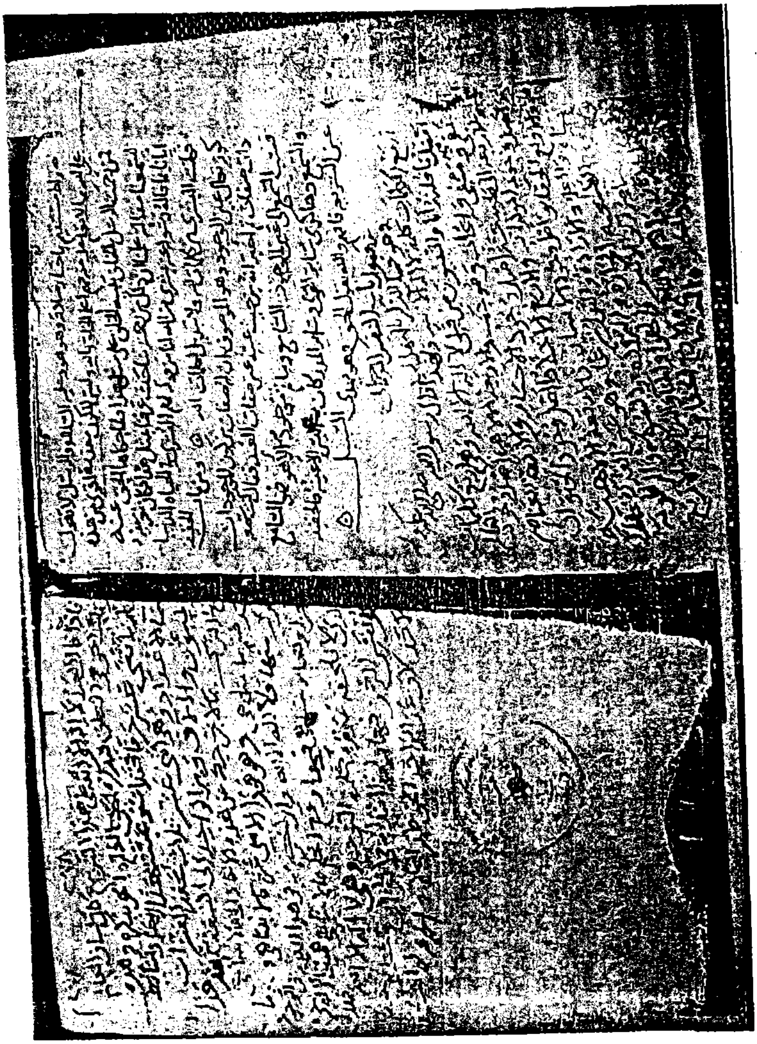
الصفحة الأولى من الأزهرية (ص)



الصفحة الأخيرة من النسخة الأزهرية (ص)



الصفحة الأولى من نسخة د (الجامعة الإسلامية)



الصفحة الأخيرة من نسخة (ص) معهد المخطوطات

النسخة المسندة من

نوادر الأصول

في معرفة أحاديث الرسول

لأبي عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن بشر
المعروف بالحكيم الترمذي

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه الإعانة والتوفيق

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله أجمعين .

الأصل الأول

١- **حدثنا** الفقيه أبو هريرة عبد الرحمن بن عبد الملك القلانسي في شهور سنة سبعين وأربعمائة قال : أنبانا أبو الفضل عبد الصمد محمد بن القاصم قال : أنبانا محمد ابن محمد بن الحسن الكردي ، عن محمد بن يعقوب بن أبي بكر . . . [1] ويحيى ابن زكريا[2] عن محمد بن علي بن عبد الله الحكيم الترمذي .

وحدثنا الفقيه عبد الرحمن[3] هذا قال : أنبانا الشيخ أبو بكر بن القصر ، عن أبي الحسن العامري ، عن محمد بن محمد بن يعقوب قال : أنبانا محمد بن علي الحكيم الترمذي قال : حدثنا قتيبة بن سعيد ، عن مالك بن أنس ، عن سهيل بن أبي صالح ، عن أبيه[4] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رجل : يا رسول الله ، ما نمت البارحة . قال : من أي شيء ؟ قال : لدغتني عقرب ، فقال : **أما إنك لو قلت حين أمسيت " أعوذ بكلمات الله التامة كلها من شر ما خلق لم يضرك شيء إن شاء الله تعالى "** .

٢- **حدثنا** إبراهيم بن يوسف الحضرمي الكوفي قال : ثنا الأشجعي عبد الله بن عبد الرحمن ، عن سفيان الثوري ، عن سهيل بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : لدغت عقرب رجلا[5] فأتى النبي ﷺ فأخبره فقال : أما إنك لو قلت حين أمسيت " أعوذ بكلمات الله التامات كلها من شر ما خلق لم يضرك شيء حتى تصبح " .

---

(١) غير ظاهر بالأصلين .

(٢) في (د) يحيى بن زكريا بن معاذ .

(٣) في الأصل : أبو عبد الرحمن .

(٤) سقط من (د) .

(٥) في (د) " رجلا عقرب " .

٣- حدثنا قتيبة بن سعيد ثنا ليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب عن . . . [١] بن يعقوب عن يعقوب بن عبد الله بن الأشج عن بسر بن سعيد عن سعد بن أبي وقاص عن خولة بنت حكيم السلمية عن رسول الله ﷺ أنه قال : " **من نزل منزلا فقال : أعوذ بكلمات الله التامات[٢] من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك** " .

٤- حدثنا قتيبة بن سعيد عن مالك بن أنس عن[٣] يعقوب بن عبد الله بن الأشج عن بسر بن سعيد مولى المخزوميين عن سعد بن أبي وقاص عن خولة رضى الله عنها بمثله .

٥- حدثنا على بن حجر ثنا إسماعيل بن عياش عن محمد بن إسحاق عن عمرو بن [١/ ٢/ ب] شعيب عن أبيه عن جده رضوان الله عليهم أجمعين قال : قال رسول الله ﷺ : " إذا فزع أحدكم في النوم فليقل : أعوذ بكلمات الله التامة من[٤] غضبه وعقابه ومن شر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون[٥] فإنها لن تضره " . فكان عبد الله بن عمرو يعلمها من بلغ من ولده ، ومن لم يبلغ كتبها في صك ثم علقها في عنقه

٦- حدثنا عقبة بن قبيصة عن عقبة . . . . [٦] قال : حدثني أبي قال : ثنا سفيان عن منصور عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله ﷺ يعوذ الحسن والحسين يقول : " **أعيذكما بكلمات الله التامة من شر كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة ، ويقول كان أبي إبراهيم يعوذ بهن إسماعيل وإسحاق عليهما السلام** " .

قال أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسين بن بشير الحكيم الترمذي المؤذن : فقوله " كلمة الله التامة " و " كلمات الله التامات " يؤديان إلى معنى واحد ، فمن قال : كلمة الله التامة ، فإنما أراد به الجملة ، ومن قال : كلمات الله التامات فإنما أراد الكلمة

---

(١) غير واضح بالأصلين .

(٢) في (د) " التامات كلها " .

(٣) في (د) " بلغة عن يعقوب " .

(٤) في (د) " من شر " .

(٥) في (د) " يستهزئن " .

(٦) غير ظاهرة بالأصلين .

الواحدة التي تفرقت في الأمور وفي الأوقات فصارت كلمات ومرجعهن إلى كلمة واحدة فكلمته التامة هي قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس : ٨٢]

وقال الله تعالى ﴿ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران : ٤٧] وإنما قيل : تامة ؛ لأن أقل الكلام عند أهل اللغة على ثلاثة أحرف : حرف يبتدأ به ، وحرف يحشى به الكلمة ، وحرف يسكت عليه ، فإذا كان على حرفين فهو عندهم منقوص ، فإنما نقصت لعلة مثل قوله " يد ، ودم ، وغد ، وفم " هذه كلمات منقوصات لأنها على حرفين وكذلك " كن " هي من الآدميين من المنقوصات لأنها على حرفين ولأنها كلمة ملفوظة بالأدوات ، ومن ربنا تعالى اسمه كلمة تامة لأنها بغير الأدوات ومنفي عنه شبه المخلوقين . وقال الله تعالى[1] : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ﴾ [الأنعام : ١١٥] ثم وصفها فقال ﴿ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ أي : قدسا واستواء ، وأصل الصدق هو القدس والطهارة وما لا يشبه شيء من غير جنسه يقال فالكلمة[2] تامة ظاهرة من الريب والشبه سنويه من العدول هكذا وهكذا فهو قوله ﴿ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ فالكلمة قوله ﴿ كُن ﴾ [١/٣/أ] .

ثم قال : ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ أي : ليس لأحد أن يبدل كلمته إذا قال لشيء ﴿ كُن ﴾ حتى يعجزه ويرده ، وإنما قال : ﴿ بِكَلِمَٰتِهِۦ ﴾ لتفرق هذه الكلمة في الأمور ، وإذا قال لكل أمر ولكل شيء ﴿ كُن ﴾ فهن كلمات ، فلكل قضية وإرادة من ربنا في كل أمر كلام في قوله ﴿ كُن ﴾ ، وهو ما روي عن أبي ذر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ فيما يحكى عن الله عز وجل : " إنما عطائي كلام وعذابي كلام " .

٧ـ حدثنا بذلك صالح بن محمد أنبانا عبد الحميد بن بهرام الفزاري عن شهر بن حوشب قال : حدثنى ابن غنم عن أبى ذر .

فأما قوله ﴿ كُن ﴾ فالكاف من كينونته والنون من نوره ، وهي كلمة تامة بها أحدث الأشياء وخلق الخلق ، فإذا استعاذ العبد بتلك الكلمة صارت له معاذا ووقي شر ما

---

(١) في (د) " وقوله " .

(٢) في (د) " كلمة " .

استعاذ بها منه لأن العبد المؤمن لما عرف أن لا يكون شيء إلا ما جرى به القضاء والقدر وإنما يمضي القضاء بقوله : كن عظمت هذه الكلمة عنده فصارت متعلق قلبه ، فإنما يأخذه الرغبة في الأشياء والرهبة من الأشياء ، وقلبه نازع إلى مشيئته ، وفؤاده مراقب لإرادته ، وأذنه مصيغة إلى كلمة كن وعينه شاخصة إلى تدبيره ، فإذا قال : أعوذ بكلمات الله التامة من شر ما خلق وقي شر ما خلق ، وصار في حصنه وارتتع في عياذه آمنا مطمئنا ، هذا لمن قالها بيقظة وعَقَل ما يقول ، وهذا القول منه تحقيق الإيمان لأنه آمن برب لا يملك أحد سواه شيئا ولا شريك له في شيء ، وهذا لأهل اليقين الذين إذا قال أحدهم هذا القول استقر قلبه بعد القول على مقالته واطمأنت نفسه ، فأما أهل الغفلة فإنهم يعاذون على أقدارهم لحرمة الكلمة ، وهو مثل ما جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال : إذا قال العبد حسبي الله ، سبع مرات قال الله تعالى : وعزتي لأكفينه صادقا أو كاذبا . فإنما قال صادقا أو كاذبا لأن السابق المقرب وهو الموقن إذا قال : حسبي الله ، صدقه بفعله فهو صادق ؛ لأنه لا يتعلق بعد ذلك قلبه بالأسباب ، وذلك مثل قول إبراهيم عليه السلام حين وضع في المنجنيق من الجبل ليرمى به في النار وعري من الكسوة وكتف بالوثاق فقال : حسبي الله ، فعارضه جبريل عليه السلام [١/ ٣/ ب] في الهواء امتحانا وابتلاء فقال : هل من حاجة يا إبراهيم وهو يهوى في الجو ، فقال إبراهيم عليه السلام : أما إليك فلا ، وقد بكت السماوات والملائكة وخزان القطر[١] لما حل به وجأرت إلى الله تعالى فأمر الله تعالى بنصرته من حين استغاث به عبده فلم يلتفت إلى أحد من خلقه ولا إلى جبريل عليه السلام مستغيثا ، حتى تفرد الله تعالى ، بنصرته فقال تعالى : ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [الأنبياء : ٦٩] وإنما عارضه جبريل عليه السلام في الهواء بما عارضه ليبرز صدق مقالة إبراهيم عليه السلام في قوله : حسبي الله[٢] عن مكنون قلبه وليعلم الصادقون من بعده غاية الصدق في المقالات فاتخذه خليلا ، فأشاد[٣] ونوه باسمه في العالمين ، وهو أول من يكسى يوم

(١) في (د) « الفكر » .

(٢) سقط من (د) لفظ الجلالة .

(٣) سقط من ط (فاشاد) .

القيامة لأنه عري في دار الدينا في ذات الله تعالى فبدئ به من بين الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم ، فهكذا يكون قول أهل اليقين في " حسبي الله " ، والمخلط كذبه بفعله حيث تعلق بالأسباب وبالمخلوقين حتى صاروا فتنة عليه .

فقولة : حسبي الله ، قول الموحدين وقول أهل الإيمان لا قول المحققين قول أهل النزاهة واليقين ، فكذلك قوله : " أعوذ بكلمة الله التامة " فالمقرب عينه وأذنه إلى تدبيره وقضائه ، وقوله ﴿ كُن ﴾ ، والمخلط عينه وأذنه إلى الأسباب والحيل والحرز والحصون والوقايات فيعاذ على قدره لحرمة قوله واعترافه بأنها كلمة إيمان ، فالاستعاذة بالله تعلق به محضا ، والاستعاذة بكلمته تعلق بتدبيره لأنه كذا دبر أن تكون الأشياء بالكلمة وقال في تنزيله : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ﴾ [الأعراف : ٢٠٠] وقال : ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾[المؤمنون : ٩٧] فهما يدلان على أن ما كان من أمر الباطن فالاستعاذة به ، وما كان من أمر الظاهر فالاستعاذة بكلمته ؛ لأن ما هو في الظاهر هو بقوله ﴿ كُن ﴾ وما في الباطن صنعه ، وقال : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾ ثم قال : ﴿ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴾

ثم قال : ﴿ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴾ أمره[1] أن يستعيذ بثلاثة من أسمائه من شر الوسواس وهو باطن ، فقوله : ﴿ رَبِّ ﴾ أي مالك ، يقال في اللغة : ربني فلان يربني فهو رابّ أي : ملكني يملكني فهو مالك ثم قالوا " رب " فحذفوا الألف كما قالوا " بار " ثم قالوا : " بر " قوله : رب ، يؤدي إلى الملك وملك يؤدي إلى الملك ، وإله يؤدي إلى وَلَه القلوب ، فالوسواس آفته على القلب [١/ ٤/أ] فأمره أن يستعيذ بمالك وملك وإله لأن المالك الذي أحاط بهم فملكهم ، والملك الذي نفذ أمره فيهم ، والإله الذي أَوْلَه القلوب إلى نفسه . ﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴾ وسوس عند الغفلة ، وخنس عند الذكر فاشتق له اسمان من فِعْلَيْه ، ثم بين أين موضعه من الجسد فقال الذي ﴿ يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴾ والصدر ساحة القلب وفيه الفكر ومنه تصدر الأمور؛ ثم بين أن الوسوسة جنسان فقال : ﴿ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾ وسوسة جنية وهي الشيطان ، ووسوسة إنسية وهي النفس .

---

(١) في (د) " فأمره " .

وكذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : " هما وسواسان " .

٨ـ حدثنا بذلك محمد بن على الشقيقى ، ثنا محمد بن أعين – خادم عبد الله– ثنا عبد الله ابن المبارك ثنا عثمان بن عطاء عن أبيه عن ابن عباس رضى الله عنهما .

وإنما قيل : وسوس ؛ لأنه يزعج ، وقوله " أز ، يؤز " أي : أزعج يزعج .

وقال في تنزيله : ﴿ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾ [مريم : ٨٣] والهاء والهمزة والواو أخوات تجزئ الواحدة عن صاحبتيها . فقوله " أز ، وهز ، ووز " بمعنى واحد إلا أن كل واحدة تستعمل في نوع " والزاء ، والسين " أختان تجزئ إحداهما عن الأخرى كما قالوا " وسقر ، صقر ، وزقر "(١) فقوله : " وز " وقوله : وس يوس بمعنى وسوس .

وقوله " وسوس " في قالب العربية " فع فع " لأنه في الأصل " وس " ثم كرر فقيل : وس وس ؛ لأن فعله على القلب مردد مكرر ، فأمره أن يستعيذ بالأسماء الثلاثة الذي ملك القلوب ونفذ أمره فيها(٢) وولهت إليه من ثريا بعمل .

ثم قال : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ [الفلق : ١] فكل ما انفلق شيء من شيء فهو فلق . قال أهل التفسير : " الفلق " واد في جهنم إذا فتح وانفلق هر أهل النار من شدة حره .

وقال بعضهم : " الفلق " الصبح ؛ لأنه انفلق عن الليل وهو قوله : ﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ ﴾ [الأنعام : ٩٦] وقال : ﴿ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ﴾ [الأنعام : ٩٥] فالحبة تنفلق فتنبت والنوى كذلك أيضا . وليس هذا منهم اختلاف ؛ لأن(٣) الكلمة تؤدي إلى كل شيء انفلق ، وأعظم فلق في الدنيا فلق قلب المؤمن بنور الله تعالى ، فقال : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ وهو فلق القلب إذا انفلق بنوره .

وروي عن النبي ﷺ أنه قال : للقلب أذنان وعينان ، فإذا أراد الله تعالى بعبد [١/ ٤/ ب] خيرا فتح عينيه اللتين في قلبه .

﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾ وهو ظلمة الكفر ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾ والغسق الظلمة وهي ظلمة المعاصي ، وقوله : ﴿ وَقَبَ ﴾ أي : دخل ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ

---

(١) في (د) " صفر ، وزقر ، وسقر "

(٢) في (د) " فيه " .

(٣) في (ص) " ليس " .

﴿ فِي ٱلۡعُقَدِ ﴾ وهو السحر يعقد الساحر الذي قد باع آخرته واشترى بها دنياه ، فأعطى ما تمنى واختار ، وربنا واسع كريم ، طلب آدم التوبة والطاعة فأعطي ، وطلب إبليس تضليل ولد[1] آدم وغوايتهم وأن يعطى سلطان ذلك له فأعطي ، وطلب الساحر مني الدنيا وأن يعطى كل شيء يتمناه من الدنيا برفض الآخرة وأن لا خلاق له فيها فأعطي ، وهو يعقد خيطا أو وترا على منيته وينفث فيه من نفسه الخبيثة ونفسه الرجس فيصل ضرره إلى من يتمنى ذلك عليه ﴿ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ﴾ [البقرة : ١٠٢] فأمره أن يستعيذ ﴿ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ﴾ الذي فلق قلبه بنوره ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ﴾ ليأخذ بقلبه عن الذي فلق قلبه عن طاعته إلى هواه ، ولما سحر رسول الله ﷺ حتى عجز عن نسائه وأخذ لمة لبث في ذلك ستة أشهر فيما روي في الخبر ثم نزلت المعوذتان إحدى عشرة آية فاستخرج الوتر فيه العقد من ذلك البئر ، فكان كلما قرأ آية من المعوذتين انحلت عقدة حتى حل العقد كلها وبرئ ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ وهو : العين " والحاسد والحاصد " بمعنى ، فهو يحصده بعينه أي يقلعه من الأصل هلاكا ودمارا وهو أن يعجب بالشيء فلا يذكر خالقه ، فإذا هو قد حصده ودمره ، والحسد إرادتك التي تريد بها إبطال ذلك الشيء ، فنوره فلق الظلمات وهو في دعوة إدريس صلوات الله عليه : أنت الذي فلق الظلمات بنوره ، فإذا أورد على القلب نوره فلق الظلمات ، فجميع ما ذكر في التنزيل من الاستعاذة به وجدناه يؤول الى الباطن من الأمور .

وما جاء عنه ﷺ أنه قال : أمرني جبريل عليه السلام أن أكررهن في السجود وأعوذ بعفوك من عقابك ، فاستعاذ بالعفو من العقاب لأنه ضده وأعوذ برضاك من سخطك ، فالرضى ضد السخط .

ثم قال : وأعوذ بك منك ، فاستعاذ به منه ؛ لأنه لا ضد له وهو كقوله : لا مفر منك إلا إليك، وهو قوله تعالى ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ ﴾ [١/٥/أ] أي فروا منه إليه .

(١) في (د) " بني " .

الأصل الثاني

٩- حدثنا إبراهيم بن يوسف الحضرمى ، عن عمران بن عبد العزيز بن أبي رواد عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : " لا يجلس الرجل إلى الرجلين إلا على إذن منهما إذا كانا يتناجيان " .

١٠- حدثنا محمد بن يزيد الواسطى ، ثنا أبو بكر الحنفى ثنا عبد الله العمرى عن نافع وسعيد المقبرى عن ابن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ مثله .

قال أبو عبد الله رضى الله عنه :

فالنجوى هو الحديث الخاص فيما بينهم وإن كثر عددهم .

روي عن النضر فيما يحكى عن أهل اللغة : أن النجوى إذا كانت جماعة ولم يكن فيهم غريب فحديثهم نجوى وإن جهروا فيما بينهم ، وإذا كانوا ثلاثة وفيهم غريب فليس حديثهم بنجوى وإن أسروه فنظرت أين أجد في[١] التأويل ما يصدق ما حكاه النضر عن أهل اللغة فإذا هو قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيًّا ﴾ [يوسف : ٨٠] فذكر أن الأخوة خلصوا من الناس حتى لا يكون فيهم غريب ثم سمى حديثهم فيما بينهم نجوى فأهل النجوى إذا اجتمعوا نجيا فكأنهم في ستر أو وطن ، فكما يجب الاستئذان في الدخول عليهم في أوطانهم فكذلك يجب الاستئذان في الجلوس إليهم ؛ فإن ذلك أذى لهم وقطع عليهم وهتك لسترهم ، وهذا كله لعظم حرمة المؤمن وتجنب أذاه ، وإذا كان وحده ففيه سعة لأنه ليس هناك سر يطلع عليه لكن في حد الورع حق على الورع أن يتحين الوقت والحال وأن يتجنب التثقيل ، فإنه روي عن إبراهيم النخعي أنه قال : من أمن الثقل ثقل[٢] .

١١- حدثنا بذلك جارود ثنا سليمان بن عمرو النخعى عن مغيرة عن إبراهيم النخعي قال : " من أمن الثقل ثقل " .

١٢- حدثنا قتيبة بن سعيد ثنا يونس بن بكير ثنا أبو حنيفة عن حماد " من خاف أن يكون ثقيلا فليس بثقيل " .

---

(١) غير ظاهرة في (ص) .

(٢) غير ظاهرة في (ص) .

١٣- حدثنا عمر بن أبى عمر ثنا الحسن بن ثابت عن جرير عن مغيرة قال : " لقد نهانا(١) الله عن التثقيل على لسان نبيه ﷺ وتلا قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّۚ ﴾ [الأحزاب : ٥٣] فقد بترار في التثقيل الذي يحق على أهل الورع أن يتفقدوا هذا من أنفسهم " . وكانت قصة هذه الآية نزلت في بعض أزواج النبي ﷺ [١/ ٥/ ب] - أحسبها زينب رضي الله عنها - تزوج رسول الله ﷺ بها وأولم عليها فلما أطعمهم أراد رسول الله ﷺ أن يخلوبأهله فقعدوا بعد الطعام يتحدثون في بيته ورسول الله ﷺ مرة يخرج ومرة يدخل وهم في البيت قعود لا يبرحون فنزلت هذه الآية .

١٤- حدثنا عمر ثنا إبراهيم بن موسى - بماء بكر- [عن أبى بشر بن المفضل ثنا محمد أبو سهل عن محمد بن شهاب - صاحب الساج - عن إبراهيم بن أبى بكر](٢) قال : كان أبو هريرة رضي الله عنه إذا استثقل رجلا قال(٣) : " اللهم اغفر لنا وله وأرحنا منه " .

١٥- محمد بن حرب المروزى قال : حدثنى حفص بن حميد عن عبد الله بن المبارك قال : أخبرنى حاتم بن عبد الله الأشجعي قال : انتهيت مع سفيان الثوري إلى أبي حنيفة اليمامي فإذا هوجالس في تراب قال : فدنونا منه فسلم عليه فقال له سفيان : رحمك الله تأذن فنجلس إليك ؟ قال : لا . فرجعنا فقال سفيان : إن الرجل ليس في كل حالاته يحب أن يجلس إليه . قال حفص : ثم رأيت حاتما الأشجعي عنده محفوظ(٤) فسألته حدثنى به . قال حفص ثم رأيت عبد الله في جنازة أبي عصمة والدموع على خديه فقال : يا عبد الملك(٥) الخلوه وأن يخلوا الرجل بنفسه فيذكر إخوانه فيقول ابن فلان بن فلان ابن أبو عصمة .

---

(١) في (د) و (ط) " نهي " .

(٢) هكذا استظهرت قراءتها .

(٣) ما بين المعكوفين سقط من (د) .

(٤) في (د) " فقال " .

(٥) هكذا استظهرت قراءتها .

(٦) كذا بالأصلين .

الأصل الثالث

١٦ـ حدثنا عمر بن أبي عمر حدثنا عتبة بن سعيد بن حفص الحمصي عن إسماعيل بن عياش ثنا أبو بكر الهذلي عن بهز بن حكيم بن معاوية بن حيدة القشيري عن أبيه عن جده قال : قلت : يا رسول الله ، أخبرني بوصية قصيرة فألزمها ، قال : " لا تغضب يا معاوية ابن حيدة ، إن الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل " .

قال أبو عبد الله :

فالإيمان . . .[1] وروي عن رسول الله ﷺ " أن الغضب ميسم من نار جهنم على نياط قلب ابن آدم "[2] .

١٧ـ حدثنا بذلك صالح بن محمد ، قال حدثنا يحيى بن واضح عن الحسن بن عمارة عن المنهال بن عمرو عن أبي عبيدة عن ابن مسعود رضي الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ : " إن الغضب ميسم من نار جهنم يضعه الله تعالى على نياط أحدهم ، ألا ترى أنه إذا غضب احمرت عينه واربد وجهه وانتفخت أوداجه " .

وقال في حديث آخر : إن الغضب جمرة توقد [١/٦/أ] في قلب ابن آدم ، ألا ترى إلى انتفاخ أوداجه وحمرة عينيه ، وذلك أن الشيطان ينفخ في تلك الجمرة .

فشبه رسول الله ﷺ ذلك[3] بالعسل والصبر ، فكما يفسد الصبر العسل فكذلك هذا الغضب يدنس الإيمان ومرارته تفسد حلاوته ونزاهته .

وروي عن عيسى صلوات الله عليه أنه سأله يحيى بن زكريا صلوات الله عليه عن الغضب ما بدؤه ، قال : الكبر ، ألا ترى أنك تغضب على من هو دونك ولا تغضب على من هو فوقك ، بمثله .

فالكبرياء لله ، من نازعه فيه فقد نازعه رداءه

وقال رسول الله ﷺ : لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ، فقيل : ما الكبر يا رسول الله ؟ قال : أن تسفه الحق وتغمص الناس ، أي : تحقرهم .

---

(١) لم أستطع قراءتها بالمخطوطتين .

(٢) " نياط قلب ابن آدم " غير واضح في (ص) .

(٣) سقط من (د) .

١٨ـ حدثنا إبراهيم بن هارون البلخي ثنا زكريا بن حازم الشيباني عن قتادة عن أنس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : يقول الله عز وجل : " لي العظمة والكبرياء والفخر ، والقدرة[١] سري ، فمن نازعني في واحدة منهن كببته في النار " .

والإيمان هو : خضوع العبد لربه وإلقاؤه بين يديه له سلما ، والكبر ضده ، والغضب منه يبدو وينزغ الشيطان بنفثه ونفخه حتى يتوقد ويهتاج ، فلذلك قال : يفسد الإيمان فيكدره ويمرره .

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . وذلك عندما رأى رجلا يتمرغ من الغضب ، وهو قوله تعالى ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأعراف : ٢٠٠] وإنما وضع هذا الميسم من النار في هذا الموضع من الآدمي لكي يغضب لله تعالى في المواضع التي ينبغي ، فإن في الغضب قوة للآدمي على أمر الله تعالى وهو يحتاج[٢] إلى أن يعادي أعداءه ويحاربهم ، فبالغضب يتقوى حتى يحاربهم وبالغضب يقدر يغير المنكر ويقيم حقوق الله عز وجل وحدوده[٣] فللحق نفخة في تلك الجمرة التى هي ميسم ، وللشيطان نفخة في وقته فنفخة الشيطان لها زهوية رجاسة يفسد الإيمان ونزاهته وطهارته وطيبه وإذا كانت نفخة الحق فإنه يتقوى ويحمر وجهه ويمتلئ من نور الحق ولا يفسد الإيمان ولا يذهب بطهارته وطيبه فالنفس طيبة والقلب قوي ذو سلطان ، والأركان [١/ ٦/ ب] عاملة والأمر مستمر .

وكان رسول الله ﷺ إذا غضب غضب لله ولا يغضب لنفسه ولا لدنياه ، وكان إذا غضب رؤي ذلك العرق بين عينيه فيندر من الغضب ويظهر نتوؤه وانتفاخه وتحمر وجنتاه .

وكان موسى صلوات الله وسلامه عليه إذا غضب اشتعلت قلنسوته نارا

---

(١) في (ص) " القدر " .

(٢) في (د) " محتاج " .

(٣) في (د) " حدود الله وحقوقه " .

الأصل الرابع

١٩- حدثنا محمد بن موسى الحرشي ثنا فضيل بن سليمان ثنا موسى بن عقبة عن أبي حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " إذا انتعل أحدكم فليبدأ باليمين ، وإذا نزع فليبدأ بالشمال ، وليكن باليمين أولهما يلبس وآخرهما ينزع " .

٢٠- حدثنا قتيبة عن مالك بن أنس عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي بمثله سواء .

قال أبو عبد الله رحمه الله :

فاليمين محبوب الله ومختاره من الأشياء ، فأهل الجنة عن يمين العرش يوم القيامة ، وأهل السعادة يعطون كتبهم بأيمانهم وكفة الحسنات من الميزان عن اليمين ، والكرام الكاتبون وكاتب[1] الحسنات منهم عن اليمين ، وكان رسول الله ﷺ يتوخى في كل فعل من مثل هذا اليمين توخيا لمختار الله ، وكان إذا شرب أعطى الأيمن فالأيمن جرعته حتى أنه شرب يوما وأبو بكر رضي الله عنه عن يساره وغلام أعرابي عن يمينه فقال للغلام : أتأذن لي فأعطي الأشياخ ؟ فقال : ما كنت لأوثر بفضلك على نفسي أحدا ، فأعطاه الغلام ، وكان يبدأ باليمنى إذا دخل المسجد ، ثم إذا خرج أو نزع نعله بدأ باليسرى كي يكون اليمين آخر العهد بمسجد رسول الله ﷺ لها فإذا انتعل أو دخل المسجد فالحق لليمين فأقام له حقه لأن[2] الله تعالى اختاره وفضله ثم إذا خرج أو نزع نعله بقي ذلك الحق له فجعله في آخر الأمور كي يبقى له ذلك الخير أكثر مما كان لليسار ليكون فضله على اليسار في كل وقت قائما في وقت ابتداء الخير والانصراف عن الخير وقطعه لأنه إذا دخل المسجد فهو في رحمة الله تعالى وخيره ، فقدم اليمين إلى تلك الرحمة ، وإذا أخرها ليكون بقاؤها في الرحمة [١/ ٧/أ] أكثر[3] ، إذا انتعل فهو رفق[4] للقدم فقدم اليمنى في الرفق ، وإذا نزع قدم اليسرى ليكون ذلك الرفق باقٍ

---

(١) في (د) " فكاتب " .

(٢) في (د) " بأن " .

(٣) في (د) " قدم اليسرى " .

(٤) في (د) " مرفق " .

على اليمنى وإن قلّت المدة ، فكان رسول الله ﷺ يستعمل تدبير الله تعالى ويتفقده .

فروي عنه " أنه كان يحب التيمن في كل شيء حتى في ترجله وتنعله وطهوره " .

٢١ـ **حدثنا** بذلك محمد بن بشار الهجرى ثنا يحيى بن سعيد ومحمد بن جعفر قالا : ثنا شعبة عن أشعث بن سليم عن أبيه عن مسروق عن عائشة رضى الله عنها عن النبى ﷺ .

٢٢ـ **حدثنا** صالح بن عبد الله ثنا الأحوص عن أشعث بن أبى الشعثاء عن أبيه عن مسروق عن عائشة رضى الله عنها عن رسول ﷺ " أنه كان يتيمن ما استطاع فى طهوره إذا تطهر وفي لباسه إذا لبس ، وفي ترجله إذا ترجّل ، وفي تنعله إذا تنعل .

٢٣ـ **حدثنا** سفيان بن وكيع ثنا سفيان بن عيينة عن هشام بن حسان عن ابن سرين عن أنس رضي الله عنه قال : لما رمى رسول الله ﷺ الجمرة ونحر نسكه ناول رأسه الحلاق فقال : " ابدأ بالشق الأيمن ، فحلقه فأعطاه أبا طلحة ، ثم ناوله الأيسر فحلقه فقال : أعطه الناس "(١) .

٢٤ـ **حدثنا** قتيبة بن سعيد عن مالك بن أنس عن ابن شهاب عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول ﷺ أتي بلبن قد طيب بماء وعن يمينه أعرابي وعن يساره أبو بكر ، فشرب ثم أعطى الأعرابي فقال : " الأيمن فالأيمن " .

٢٥ـ **حدثنا** قتيبة عن مالك عن أبى حازم عن سهل بن سعد عن رسول الله ﷺ ، بنحوه .

٢٦ـ **حدثنا** قتيبة عن مالك عن ابن شهاب عن أبى بكر بن عبد الله عن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال : " إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه وإذا شرب فليشرب بيمنه " .

قال أبو عبد الله رحمه الله تعالى :

وإنما ذكر الله عز وجل من شأن اليمين ما أعلم العباد مختاره وفضيلته .

٢٧ـ **حدثنا** عبد الجبار ثنا سفيان(٢) ثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : " يمين الله ملأى سحاء لا يغيضها شيء بالليل وبالنهار " .

---

(١) في (د) " أقسمه بين الناس " .

(٢) في (ص) " أبو سفيان " .

٢٨ـ حدثنا قتيبة [١/ ٧/ ب] بن سعيد عن مالك بن أنس عن زيد بن أبي أنيسة أن عبد الحميد ابن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب أخبره عن مسلم بن يسار الجهني عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : عن رسول الله ﷺ(١) أنه يقول : " إن الله تعالى خلق آدم فمسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية ، فقال : خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ، ثم مسح ظهره بيساره فاستخرج منه ذرية فقال : خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون " .

٢٩ـ حدثنا صالح بن عبد الله حدثنا درست بن زياد ثنا جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " خلق الله الخلق وقضى القضية وعرشه على الماء ، فأخذ أهل اليمين باليمين ، وأخذ أهل الشمال بالشمال "(٢) .

٣٠ـ حدثنا الحسن بن مطيع ثنا عبد الله بن بكر السهمي ثنا بشر بن نمير عن القاسم عن أبي أمامة عن رسول الله صلي الله عليه وسلم أنه قال : " خلق الله الخلق وقضى القضية وأخذ ميثاق النبيين وعرشه على الماء ، فأخذ أهل اليمين بيمينه ، وأخذ أهل الشمال بشماله(٣) - وكلتا يدي الرحمن يمين - ثم قال : يا أصحاب اليمين ، قالوا : لبيك ربنا وسعديك ، قال : ألست بربكم ؟ قالوا : بلى . ثم قال : يا أصحاب الشمال ، قالوا : لبيك وسعديك ، قال : ألست بربكم؟ قالوا : بلى ، فخلط بعضهم ببعض فقال قائل منهم : رب لم خلطت بيننا ؟ فقال لهم : أعمال من دون ذلك هم لها عاملون ، فقال قائل : فما الأعمال؟ فقال : يعمل كل قوم لمنزلتهم . فقال عمر رضي الله عنه : إذًا نجتهد " .

وسئل رسول الله ﷺ عن الأعمال أهي مؤتنف أم قد فرغ منها فقال : بل فرغ منها .

٣١ـ حدثنا عبد الرحيم بن حبيب ثنا بقية بن الوليد ثنا مبشر بن عبيد عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " لما خلق الله تعالى آدم عليه السلام ضرب بيده على شق آدم الأيمن فأخرج ذرية كالذر ، ثم قال : يا آدم هؤلاء ذريتك من أهل الجنة ، ثم ضرب بيده على شق آدم الأيسر فأخرج ذرية كالحمم

(١) في (د) " سمعت رسول الله " .
(٢) في (د) " الأخري " .
(٣) في (د) " الأخري " .

ثم قال : هؤلاء ذريتك من أهل النار " .

وقال في تنزيله : [١/٨/أ] ﴿ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾[الزمر : ٦٧]

وجاء في الخبر أن الجنة يؤتى بها فتوضع عن يمين العرش يوم القيامة والنار عن يسار العرش ، ويؤتى بالميزان فينصب بين يدي الله عز وجل وكفة الحسنات عن يمين العرش مقابل الجنة ، وكفة السيئات عن يسار العرش مقابل النار .

فقال تعالى ﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ * فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ * وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ ﴾ [الواقعة : ٢٧-٢٩] فوصفهم أين هم ، ثم قال : ﴿ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ * فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴾ [الواقعة : ٤١-٤٢] فوصفهم أين هم ، فوجدنا باليمين ذكر بالفضيلة عنده ، وعنده في خلقه ذكر . . .[١] ما من أجل ذلك أيضا فيما تياسر عنها ، وإذا أراد التنقل تياسر عنها ، وإذا صلى خشية تياسر عنها فهذا داخل في الباب .

٣٢. حدثنا بذلك عبد الوارث[٢] بن عبد الصمد بن عبد الوارث العنبرى ثنا أبى ثنا بكر بن كليب حدثنى جعفر بن كثير من آل أبي طالب وهو يومئذ ابن ثمانين سنة ، قال : حدثني أبي " أن رسول الله ﷺ كان إذا صلى الفريضة تياسر فصلى ما بدا له ويأمر أصحابه أن يتياسروا ولا يتيامنوا " .

٣٣. حدثنا عمر بن أبى عمر ثنا الربيع بن روح الحمصى عن بقية بن الوليد[٣] بن كامل عن حجر أو ابن حجر المهلب قال : حدثتنى ضبيعة بنت المقداد بن معدي كرب عن أبيها " أن رسول الله ﷺ كان إذا صلى إلى عمود أو خشبة أو شبه ذلك لم يجعله نصب عينيه ولكن يجعله على حاجبه الأيسر " .

قال : كأنه يدل بهذين الفعلين من هذين الحديثين على أنه يتوخى اليمين ؛ فإن العبد إذا أقام فإنما هو قبالة الله عز وجل ، بذلك جاءت الأخبار عن رسول الله ﷺ . واليمين دل اسمه على معناه " فالأمن ، والإيمان ، واليمين " كله موجود في هذا

(١) لم أستطع قراءتها .

(٢) سقط من (د) " عبد الوارث " .

(٣) في (ص) " الربيع " .

الاسم ، ووجه آخر أنه كان يتياسر بصلاة التطوع عن موضعه الذي أدى فيه الفريضة كأنه يحب أن لا يقدم على الفريضة شيئا في شأن المقام[1] لأن الانصراف إلى اليمين موضع أفضل من اليسار ، ومما يحقق ذلك .

٣٤. ما حدثنا به سهل بن أبى العباس ثنا أبو معاوية عن إسماعيل بن سميع عن أبي صالح الحنفي قال : " كان [١/٨/ب] علي رضي الله عنه يسلم تسليمتي الصلاة إحداهما أخفض من الأخرى " ، قال أبو معاوية : حدثني على بن مسهر عن إسماعيل بن سميع قال : قلت لأبي صالح : أيهما أخفض ؟ قال : اليسرى .

وإنما يوجيه بهذا عندنا أن يكون فرقا بين التسليمتين بالخفض ورفع الصوت ليؤدي حق كاتب الحسنات بتلك التسليمة برفع الصوت ، وكذلك حق من عن يمينه ليؤديه برفع ذلك الصوت ويخفض اليسرى ليتبين فضل اليمنى على اليسرى والله سبحانه وتعالى أعلم .

(١) في (د) " القيام " .

الأصل الخامس

٣٥ـ حدثنا محمد بن موسى الحرشى ، ثنا عثمان بن عثمان الغطفانى قال : حدثنى عمر بن نافع عن أبيه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : " نهى رسول الله ﷺ عن القزع "(١) .

قال أبو عبد الله رحمة الله :

فالقزع أن يحلق وسط رأس الصبي ويترك ما حوله وكان هذا فعل القسيسين وهم ضرب من النصارى وهم الذين ذكروا في التنزيل ، فقال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [المائدة : ٨٢] فالتقسيس فعل نسب إليه ، والرهبنة كذلك أيضا فعل نسب إليه ، والقس واحد ، وهو على قالب " فعل " والقسيس واحد وهو على قالب " فعيل " ، والجمع قسيسون ، وإنما هو " قاس وقاص " أي : " يقتس ويقتص " أثر الرسول الذي دعى على لسانه وهم الصديقون وإنما هو " قاص " كقولك " صادق " " وقسيس " كقولك " صديق " والجميع قسيسون ، كقولك : صديقون ، ومما يحقق ذلك :

٣٦ـ ما حدثنا أبى رحمه الله ثنا الحماني ثنا نصير بن زياد الطائى عن صلت الدهان عن حاملة ابن زياد قال : " سمعت سلمان رضي الله عنه وسئل عن قوله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا ﴾ قال : هم الرهبان الذين في الصوامع ، قال سلمان : قرأت على رسول الله ﷺ ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا ﴾ فأقرأني [١ / ٩ / أ] " ذلك بأن منهم صديقين ورهبانا " . يدل على أن هذه قراءة كانت يقرأ بها ليعلم أن القسيس والصديق بمعنى واحد ، وأن القسيس هو الذي يقتص أثر الرسول بما جاء به على الصدق والونا(٢) في جميع أموره دينا ودنيا ، فلذلك جاءت القراءتان جميعا تجزئ إحداهما عن الآخرى ، وكان ذلك لغة في بني إسرائيل ، وفي لغة العرب من إسماعيل صديق .

وأما حلق أوساط الرؤوس فذلك علامة لهم ، وهو فعل مذموم أحدثوه فيما بينهم وهو ضرب منهم .

٣٧ـ حدثنا بذلك عبد الكريم بن عبد الله ثنا على بن الحسن ثنا عبد الله ثنا يونس عن يزيد

---

(١) جاء في (د) بعد هذا الحديث " حدثنا شقيق قال : حدثنا عبده عن عبد الله عن نافع عن ابن عمر قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القزع " .

(٢) كذا بالأصلين .

عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه لما بعث الجنود نحو الشام يريد يزيد بن أبي سفيان وعمرو بن العاصي وشرحبيل بن حسنة فقال : " أوصيكم بتقوى الله - وأمرهم بأمور - فكان فيما قال : إنكم ستجدون أقواما حبسوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما حبسوا أنفسهم لله ، وستجدون آخرين اتخذ الشيطان في أوساط رؤوسهم أفحاصا ، فإذا وجدتم أولئك فاضربوا أعناقهم " .

قال : فالذين تركوا الدنيا وحبسوا أنفسهم في الصوامع واعتزلوا أمر بترك التعرض لهم ، فلم يطالبوا بجزية لأنهم تَرَكُوا فتُرِكوا ، فالذين خرجوا من الصوامع فلم يصبروا على العزلة وفحصوا عن أواسط رؤوسهم فقد أخبر أبو بكر رضي الله عنه أن الشيطان دلهم على ذلك ، وأنها ضلالة وأنهم صيروا ذلك الحلق علامة لأنفسهم وإظهارا لما هم عليه كأنه يدل على أن ذلك الصنف منهم بمنزلة من تزهد في هذا العصر وهو غير صادق في ذلك يريد يأكل الدنيا فأول ما قصد في زهده لبس الصوف والخلقان وحف الشارب وتشمير الثياب والعمة المطوقة تحت الحنك والاستقصاء في الكحل إلى اللحاظ ، فهذه كلها علائم هذه الطبقة الكاذبة المتزهدة المتأكلة حطام الدنيا بما أظهروا من زيهم وشكلهم وتماوتهم وخشوع نفاقهم ، فكذلك أولئك كانوا غير صادقين في عزلتهم في الصوامع فلم يصبروا عليها ، فخرجوا وقد حلقوا أوساط رؤوسهم ترائيا وتشهيرا لأمرهم فأمر أبو بكر رضي الله عنه بضرب أعناقهم لأنهم مع كفرهم لغير الله عملوا في دينهم وهو نصارى والذين تركوا وحبسوا [١/٩/ب] أنفسهم تُرِكُوا وما حبسوا له أنفسهم لأنهم صادقون في سبيلهم وإن كانوا في ضلال ، قال الله تعالى : ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ ﴾ [الحديد : ٢٧] ثم ذمهم فقال ﴿ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾ [الحديد : ٢٧] فإنما نهى رسول الله ﷺ في شأن الصبي أن يحلق وسط رأسه للتشبه بهؤلاء الذين وصفناهم عندنا ، والله سبحانه أعلم .

وأما . . . .[١] الرهبانية الذين ذم الله سبحانه شأنهم

---

(١) مقدار كلمتين لم أستطع قراءتهما بالمخطوط .

٣٨ـ فحدثنا عمر بن أبي عمر قال : ثنا إبراهيم بن أبي الليث ببغداد قال : حدثنا الأشجعي عن سفيان الثوري عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : " ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ ﴾ فكانت ملوك بعد عيسى بن مريم صلوات الله عليه بدلوا التوراة والإنجيل ، فقال ناس لملوكهم : ما نجد شتما أشد مما يشتموننا به إنهم يقرأون ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [المائدة : ٤٤] ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾(١) ، [المائدة : ٤٥] ﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [المائدة : ٤٧] مع ما يعيبوننا به من أعمالنا في قراءتهم ، فادعهم فليقرأوا بما نقرأ به وليؤمنوا بما آمنا به ، قال : فدعاهم فجمعهم فعرض عليهم القتل وأن يتركوا قراءة التوراة والإنجيل إلا ما بدلوا منها فقالوا : وما تصنعون بقتلنا دعونا وابنوا لنا أساطينا ادفعونا(٢) فيها واتركوا لنا شيئا يدلى فيه طعامنا ولا نؤذيكم ، وقالت طائفة أخرى : دعونا نهيم في الأرض ونسيح ونأكل مما تأكل منه الوحوش ونشرب مما يشرب منه الوحش ، فإن قدرتم علينا في أرضكم فاقتلونا .

وقالت طائفة أخرى منهم : ابنوا لنا ديورا في الفيافي فنحتفر الآبار ونحرث البقول فلا نؤذيكم ولا نمر بكم ، وليس أحد في القبائل إلا له حميم فيهم ، ففعلوا ذلك .

قال : فقوله : ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾ [الحديد : ٢٧] قال آخرون ممن تعبد من أهل الشرك ، وبقي من بقي منهم ، قالوا : نتعبد كما تعبد فلان ، ونتخذ ديرا كما اتخذ فلان ، ونسيح كما ساح فلان ، وهم في شركهم لا علم لهم بإيمان الذين اقتدوا بهم وقد فني من فني منهم ، فلما بعث رسول الله ﷺ ولم يبق منهم إلا قليل انحط صاحب الصومعة [١/ ١٠/ أ] من صومعته وصاحب الدير من ديره، وصاحب السياحة من سياحته فآمنوا به وصدقوه .

قال الله تعالى : ﴿ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [الحديد : ٢٧] وقال عز وجل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ ﴾ أي : أجرين ، أجر بإيمانهم بعيسى عليه السلام وبالتوراة والإنجيل ، وأجر بإيمانهم بمحمد

(١) سقط هذه الآية من (د) .

(٢) في (د) " ارفعونا " .

ﷺ وتصديقهم ويجعل لكم نورا تمشون به ، قال القرآن . ﴿ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [الحديد : ٢٩] الذين يتشبهون بكم ﴿ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾ [الحديد : ٢٩] ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ﴾ .

قال أبو عبد الله رحمه الله تعالى :

فعلى هذا المثال عاملت متزهدة زماننا ، سمعت أنه مضى في السلف الصالح من الصحابة والتابعين قوم اكتفوا بالدون من الحال فلبسوا الصوف والخلقان وأكلوا النخالة وامتنعوا من الشهوات ، وشمروا الثياب وامتنعوا من المخالطة صدقا وتورعا واحتياطا لدينهم ، كل ذلك خوفا من الله سبحانه وتعالى أن يقدموا عليه متدنسين بحطام الدنيا مفتونين فيها ، وإنما فعل القوم ذلك لضعف يقينهم بمنزلة من امتنع من دخول البحر مخافة الغرق لعجزه عن السباحة ، ولم يكتب الله هذا عليهم ، بل أحل لهم الطيبات والزينة ووسع عليهم ، فابتدعوا تركها رهبة من الله عز وجل وكانوا فيها صادقين ، فلم يعابوا ولم يذموا لأنهم رعوا ما ابتدعوا حتى خرجوا من الدنيا مع صدق ما ابتدعوا ابتغاء رضوان الله فَخَلفهم من بعدهم خلف اتبعوهم فيما ابتدعوه وهم غير صادقين فيها فأقبلوا على لبس الصوف والخلقان وأكل النخالة والخبز المتكرج يريدون بذلك إظهار الزهد وقلوبهم مشحونة بشهوات الدنيا تأكلا دنياهم بدينهم فما رعوها حق رعايتها كما فعل أصحاب الصوامع والديور ، واتبعوا القوم في فعلهم ، وأُسّ أمرهم على ضلالة .

٣٩- حدثنا يعقوب بن شيبة قال : ثنا عبد الرحمن [بن المبارك قال : حدثنا الصعق بن حزن قال : حدثنا عقيل الجعدي عن أبي إسحاق الهمذاني](١) عن سويد بن غفلة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله ﷺ : " يا عبد الله بن مسعود قلت : لبيك يا رسول الله ، ثلاث مرات ، قال : هل تدري أي عرى الإيمان أوثق؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : فإن أوثق عرى الإيمان الولاية في الله ، والحب فيه ، والبغض فيه .

يا عبد الله بن مسعود [١/ ١٠/ ب] قلت : لبيك يا رسول الله ، ثلاث مرات ، قال : هل تدري أي الناس أفضل؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : فإن أفضل الناس

(١) ما بين المعكوفين سقط من (ص) .

أفضلهم عملا إذا تفقهوا في دينهم . يا عبد الله بن مسعود ، قلت : لبيك يا رسول الله ، ثلاث مرات ، قال : هل تدري أي الناس أعلم؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : فإن أعلم الناس أبصرهم بالحق إذا اختلف الناس وإن كان مقصرا في العمل ، وإن كان يزحف على استه ، واختلف من كان قبلنا على ثنتين وسبعة فرقة نجا منها ثلاث وهلك سائرها ، فرقة آذت الملوك وقاتلتهم على دين الله ودين عيسى ابن مريم حتى قتلوا ، وفرقة لم يكن لهم بموازاة الملوك طاقة فأقاموا بين ظهراني قومهم يدعوهم إلى دين الله ودين عيسى ابن مريم ، فأخذتهم الملوك فقتلتهم وقطعتهم بالمناشير ، وفرقة لم يكن لهم طاقة بموازاة الملوك ولا أن يقيموا بين ظهراني قومهم يدعونهم إلى دين الله ودين عيسى ابن مريم عليه السلام ، فساحوا في الجبال وترهبوا فيها فهم الذين قال الله تبارك تعالى : ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴾ [الحديد : ٢٧] فالمؤمنون الذين آمنوا بي وصدقوني ، والفاسقون الذين كذبوني وجحدوني " .

٤٠ـ حدثنا أبو عبيدة بن أبي السفر الثوري[١] قال : حدثنا عارم بن الفضل عن الصعق ، بمثله ، فكأنه ﷺ يخبر في هذا الحديث أن الذين ساحوا وترهبوا هم الفرقة الثالثة التي قد نجت ، وأن الذين أخبر أنهم ما رعوها حق رعايتها قوم جاءوا من بعدهم يقتدون بهم في ذلك وليسوا على صدق من أمرهم أخذوا بظاهر فعلهم فساحوا ولزموا الديور والصوامع وتركوا أمر أصحابهم الذين مضوا على ذلك .

---

(١) كذا في المخطوطتين ولم أقف عليها في نسبه .

الأصل السادس

٤١ـ حدثنا روح بن قرة اليشكرى قال : حدثنا يزيد بن زريع قال : حدثنا يونس بن عبيد عن حميد بن هلال عن هصان بن كاهل عن عبد الرحمن بن سمرة قال : سمعت معاذ بن جبل رضى الله عنه يقول : قال رسول الله ﷺ : " ما من نفس تموت تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله يرجع ذلك إلى قلب موقن [١/ ١١/ أ] إلا غفر الله له " .

٤٢ـ حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد الكلابى قال : حدثنا أبى عن أبيه عن حميد بن هلال عن هصان بن كاهل عن عبد الرحمن بن سمرة عن معاذ بن جبل ، بمثله .

٤٣ـ حدثنا محمد بن المهدى بن بشر قال : حدثنا سهيل بن أسلم عن حميد بن هلال عن هصان بن كاهل عن عبد الرحمن بن سمرة عن معاذ عن النبى ، بمثله .

قال أبو عبد الله :

فهذه شهادة شهد بها عند الموت وقد ماتت منه الشهوات وذهلت نفسه لما حل به من هول الموت وذهب حرصه ورغبته وسكت أخلاق السوء منه وذل وانقاد وألقى بيديه سلما لرب العالمين إلقاء العبيد فاستوى الظاهر منه بالباطن فلقى الله عبدا مخلصا ، فغفر له بتلك الشهادة الصادقة التى وافق ظاهرها باطنها ، وأما الذي يقوله أيام صحته فقوله مع التخليط لأنه يشهد بهذه الشهادة وقلبه مشحون بالشهوات والمنى ، ونفسه شرهة تطيرة ميتة على الدنيا عشقا وحرصا ولوعا ، وما على الأركان من الأفعال علامة ما في باطنه فلا يستوجب بذلك القول المغفرة ، ولهذا ما ورد في حديث آخر عنه ﷺ أنه قال : لا يقولها عبد عند الموت إلا هدمت ذنوبه ، قيل : وكيف يا رسول الله لمن قالها في الصحة ؟ قال : هي أهدم وأهدم . فإنها هدمت ذنوبه لأنه قالها وقد ماتت منه شهواته وندم على ما فرط منه ندما صحيحا ، فهو تائب صادق ، والتائب على موعود الله في تنزيله أن يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويكفر عنه ويدخله الجنة " قيل : فكيف من قالها في الصحة " فإنما يقولها في الصحة على تلك الصفة التى هي عند قوته يقولها بعد رياضة لنفسه وموت شهواته وحرصه ورغبته وبعد زهادته فيها وصفائه عن التخليط " فهي أهدم وأهدم " فأما يخلط[١] عند

(١) كذا بالأصل .

نهماته وشهواته عبد دنياه وعبد درهمه وديناره فلا نعلم أن قوله : " هذا هدم ذنوبه " حتي يصير مغفورا له بهذه الكلمة لأنه لا ترجع هذه الكلمة منه إلى قلب موقن كما اشترط [١/ ١١/ ب] الرسول في حديثه ، بل ترجع هذه الكلمة منه إلى قلب مفتون بدنياه مأسور بشهوات نفسه سكران عن الآخرة حيران عن الله تعالى قالبه ميال إلى الهوى ، والقلب الموقن الذي وصفه رسول الله ﷺ هو: القلب الذي استقر لربه واطمأن لحكمه وقنع بقسمه وانقاد بأمره وشخصت عيناه إلى رحمته قد أيس من كل شيء إلا من رحمة فهو الذي إذا قالها هدمت ذنوبه ؛ لأنه صادق في قوله ، وإنما سمي اليقين يقينا لاستقراره في القلب ، وهو النور ، يقال في اللغة : يقن الماء في الحفيرة أي : استقر ، فإذا استقر النور دام ، وإذا دام صارت النفس ذات بصيرة فاطمأنت فتخلص القلب من أشغاله ودوائره ، فإنما استقر اليقين في القلب لأن العبد جاهد نفسه في الله حق جهاده على الصدق واليقظة من خدعها والتحرز من آفاتها حتى بلغ بها غاية الرياضة وانقطع عاجزا فاستغاث بالله تعالى صارخا مضطرا فأجابه فإنه يجيب دعوة المضطر ويكشف السوء ويجعله من خلفاء الأرض ، كذلك وعد في تنزيله فقذف النور في قلبه ففلق تلك الظلمات التي ركدت في صدره على قلبه فانكشف الغطاء وصار أمر الملكوت له معاينة بقلبه .

وهو قول حارثة لرسول الله ﷺ حيث قال : كأني أنظر إلى عرش ربي بارزا ، فقال : رسول الله ﷺ : عبد نوّر الله عز وجل الإيمان في قلبه .

وهذه كلمة جارية فيما جاء في الخبر من دعوة إدريس عليه السلام وأن موسى عليه السلام علم ذلك في زمانه ، وأن نبينا صلوات الله عليه أعطى ذلك في زمانه فكان يدعو بهن ، وهي قوله : يا نور كل شيء وهداه أنت الذي فلق الظلمات نوره .

ومما حقق ما قلنا ما جاءنا عن رسول الله ﷺ :

٤٤- **حدثنا** بذلك عبد الله بن إسحاق الجوهرى مستملى أبي عاصم قال : حدثنا أبو عاصم النبيل عن وبر بن أبى دليلة قال : حدثنى محمد بن عبد الله بن ميمون قال : حدثنى يعقوب بن عاصم قال : حدثنى رجلان من أصحاب رسول الله ﷺ أنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول : " من قال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء [١/ ١٢/ أ] قدير مخلصا بها روحه مصدقا بها لسانه وقلبه

إلا فتقت له السماء فتقا حتى ينظر الرب تبارك وتعالى إلى قائلها من أهل الدنيا ، وحق لعبد إذا نظر الله اليه أن يعطيه سؤاله " .

فالروح إنما تخلص من شهوات النفس وأسرها وكذلك القلب ، فإذا نطق اللسان بالكلمة لم تنازعه النفس ولا القلب ولا الروح فكان ذلك صدقا فقبل منه .

٤٥- حدثنا عمر قال : حدثنا مسلم بن إبراهيم قال : حدثنا الهيثم بن حماد عن أبى داود الدارمى عن زيد بن الأرقم قال : قال رسول الله ﷺ : " من قال : لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة ، قيل : يا رسول الله وما إخلاصها؟ قال : أن يحجزه عن المحارم " .
ولهذا قال رسول الله ﷺ لمعاذ : يا معاذ أخلص دينك يكفيك القليل من العمل فالإخلاص أن تخلص إيمانك حتى لا تفسده شهوات نفسك ، فالفرائض التى عليك قليلة في العدد لشأن في المحارم][1] .

٤٦- حدثنا عمر حدثنا عمر بن عمرو الربعى عن عبد الله الوصافى عن أبى بكر الحنظى عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " إن الله عهد إلي أن لا يأتيني أحد من أمتي بلا إله إلا الله لا يخلط بها شيئا إلا وجبت له الجنة ، قال : يا رسول الله ، وما الذي يخلط بها؟ قال : حرصا على الدنيا وجمعا لها ومتعا لها ، يقول بقول الأنبياء ، ويعمل عمل الجبابرة " .

قال : فموقن قد راض نفسه حتى ماتت شهواته فنطق بهذه الكلمة ، فرجعت الكلمة إلى قلب موقن قد ثبت الوفاء بما نطق به فاستوجب المغفرة ، وموقن قد ماتت شهواته عند وفاته وذهلت نفسه وذهب تخلطه فألقى بيديه لربه سلما وجاد بنفسه وعظم أمله ورجاءه فيه فنطق بهذه الكلمة فرجعت إلى قلب موقن قد ذهب تخليطه واستغفر ربه وعزم قلبه على الثبات له على ذلك ما عاش ولو ساعة واحدة فاستوجب المغفرة لأنه نطق بها وقد زال عنه التخليط .

٤٧- حدثني أبي رحمه الله قال : حدثنا أحمد بن يونس عن أبى بكر بن عياش رفعه إلى ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ فيما يذكر عن ربه أنه قال : " المؤمن مني يعرض على خيرٍ أني أنزع نفسه من بين جنبيه وهو يحمدني " .

---

(١) سقط ما بين المعقوفين من (د) .

٤٨ـ قال : حدثنا سفيان بن وكيع قال : حدثنا جرير عن عطاء بن السائب عن عكرمة عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ [١/ ١٢/ ب] عن الله ، بمثله .

٤٩ـ [حدثني أبي رحمه الله قال : حدثنا محمد بن عاصم المصري عن عبد العزيز بن محمد عن عمرو بن أبي عمرو عن سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ بمثله](١) .

قال : فالعبد إنما وصل إلى حمده وهو يقبض منه وأعز شيء عليه يموت شهواته فإنما يحب الشهوة التى ركبت فيه فيتلذذ بها ألا ترى إنه إذا رد إلى أرذل العمر كيف يتبرم بالحياة ويشتهي الفراق فقد انقطعت شهواته في ذلك الوقت وانقطعت علائقه وأسبابه وتخلص القلب من آفات النفس ، فنطق بالكلمة العظيمة فاستنار بها قلبه واطمأنت بها نفسه وأخلص بها روحه ، فاستوجب المغفرة ، ولهذا كان السلف يستحبون أن يلقنوا المحتضر هذه الكلمة ويتعاهدونه بها لما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : لقنوها موتاكم .

فهذا عبد ركبته أهوال الآخرة فرضيت نفسه بها عند الموت فنطق بها فغفر له ، والأول عبد قد راض نفسه أيام حياته ففتح له في الغيب فركبته أهوال سلطان الله وعظيم جلاله فنطق بها عن مثل ذلك القلب فهو للمغفرة أقمن وأخلق .

---

(١) سقط ما بين المعقوفين من (ص) .

الأصل السابع

٥٠- حدثنا روح بن قرة اليشكرى قال : حدثنا عبد الله بن يحيى الثقفى عن سلام بن سليم عن زيد العمى عن مرة الهمدانى عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الفاجر الراجي لرحمة الله تعالى أقرب منها من العابد المقنط » .

قال أبو عبد الله :

وذلك أن الفاجر الراجي لعلمه بالله قرب من الرحمة فقربه الله ، والعابد المقنط جاهل بالله ولجهله بالله بعد[1] من رحمة الله ، وإنما رجاء العبد بالله على قدر معرفته بالله وعلمه بجوده وكرمه ، والقنوط من الجهل ، ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾ [الحجر : ٥٦] فالمقنط إنما يقنط غيره لقنوطه فهو ضال عن ربه ، فما تغني العبادة مع الضلالة ، وقال : ﴿ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[يوسف : ٨٧] فاليأس من رَوْحه في الدنيا عند النوائب والكربات وذلك من سوء الظن بالله تعالى فهو أبدا خاسر مفتون يتعلق بالأسباب ولا يلجأ إلى ربه ولا يستغيث به ، وإنما ملجؤه خلقه وبهم يستغيث وبالحيل التى وضعت ، وقلبه منقطع عن الله متعلق بخلقه ، وكذلك القانط من رحمته قلبه متعلق بالجهد من الأعمال طالبا للنجاة بها فإذا فكر في ذنوبه ألقى بيديه إلى التهلكة ورفض العمل . وروي عن الحسن أنه سئل عن القنوط فقال : ترك فرائض الله في السر . معناه [١/ ١٣/أ] أنه إذا تراكمت عليه الذنوب أيس من نفسه فرفض الكل وقال : قد استوجبت النار .

وقد كان وقع عندي بعض من رزقه الله الإنابة فجعل يصوم ، فقلت له : ما هذا؟ قال : صوم شهر رمضان ، قلت له : أولم تكن تصومه؟ قال : لا ، قلت : لم؟ قال : كان أصحابي لا يصومونه ، قلت : وهم في الكورة معنا؟ قال : نعم ، قلت : وما حملهم على ذلك؟ قال : كانوا يقولون : عملنا هذه الأعمال من سفك الدماء وأخذ الأموال وسائر المعاصي فما يغني عنا الصوم والصلاة ، وكانوا لا يصومون رمضان

---

(١) في (ص) « جاهل بالله فبعد » .

ولا يصلون المكتوبات إلا على أعين الناس ، يقولون : قد استوجبنا النار ، فقلت : هؤلاء قوم قد ضرب الله على قلوبهم بالسخط فقنطوا من رحمته .

٥١ـ حدثنا الفضل بن محمد قال : حدثنى هشام بن خالد الدمشقى قال : حدثنا عبد الله بن صالح – كاتب الليث – قال : حدثنى سليمان بن هرمز عن محمد بن المنكدر عن جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما قال : خرج إلينا رسول الله ﷺ فقال : " خرج من عندي خليلي جبريل عليه السلام آنفا فقال لي : يا محمد والذي بعثك بالحق إن لله لعبدا من عباده عبد الله خمسمائة سنة على رأس جبل في البحر عرضه وطوله ثلاثون ذراعا في ثلاثين ذراعا والبحر محيط به أربعة آلاف فرسخ من كل ناحية وأخرج له عينا بعرض الإصبع تنبض بماء عذب فيستنقع في أسفل ذلك الجبل وشجرة رمانة تخرج كل ليلة رمانة فتغذيه يوما ، فإذا أمسى نزل فأصاب من الوضوء وأخذ تلك الرمانة فأكلها ثم قام لصلاته فسأل ربه عز وجل عند وقت الأجل أن يقبضه ساجدا وأن لا يجعل للأرض ولا لشيء عليه يفسده عليه سبيلا حتى يبعثه ساجدا ، ففعل ذلك ، فنحن نمر به إذا هبطنا وإذا عرجنا ونجد في العلم أنه يبعث يوم القيامة فيوقف بين يدي الله تبارك اسمه فيقول الرب : أدخلوا عبدي الجنة برحمتي ، فيقول : بل بعملي يا رب ، فيقول : أدخلوا عبدي الجنة برحمتي ، فيقول : بل بعملي يا رب ، فيقول للملائكة : قايسوا بنعمي عليه وبعمله فتوجد نعمة البصر قد أحاطت بعبادة خمسمائة سنة وبقيت نعم الجسد فضلا عليه فيقول : أدخلوا عبدي النار ، فينادي : يا رب برحمتك أدخلني الجنة ، فيقول : ردوه ، فيوقف بين يديه فيقول : يا عبدي ، من خلقك ولم تك شيئا؟ فيقول : [١/ ١٣/ ب] أنت يا رب ، فيقول : أفكان ذلك من قِبَلك أم برحمتي؟ فيقول : بل برحمتك فيقول : من قواك لعبادة خمسمائة سنة؟ فيقول : أنت يا رب ، فيقول : من أنزلك في جبل وسط اللجة وأخرج الماء العذب من الماء المالح ، وأخرج لك كل ليلة رمانة وإنما تخرج الشجرة ، في السنة مرة ، وسألتني أن أقبضك ساجدا ففعلت ذلك بك ، فيقول : أنت يا رب فيقول : فذلك رحمتي وبرحمتي أدخلك الجنة ، أدخلوا عبدي الجنة برحمتي فنعم العبد كنت يا عبدي ، إنما الأشياء برحمة الله " .

٥٢ـ حدثنا أحمد بن مرة قال : حدثنا عبد الله بن صالح قال : حدثنى سليمان بن هرمز – فى مجلس الليث بن سعد – عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه عن

رسول الله ﷺ بمثله .

قال : فالجميل[١] بالله وتدبيره في خلقه أدى هذه الطبقة إلى مثل هذه الأشياء .

٥٣- حدثنا صالح بن محمد قال : حدثنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : " أنه ليس أحد منكم ينجيه عمله ، قالوا : ولا أنت يا رسول الله؟ قال : ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه برحمة " .

قال : فهذا الذي سأل رسول الله ﷺ فقال : ولا أنت كان في عمى من هذا الأمر أفلا يعلم أن الله منّ عليه بالنبوة ومنّ عليه بشرح الصدر ، أفلا يعلم أن المنة من الرحمة ، فإنما ينجيه يوم القيامة بتلك الرحمة ، وهل خرجت الأعمال من الأركان إلا بتوفيقه ، وهل كان له التوفيق إلا بالرحمة ، وذلك قوله عز وجل : ﴿ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ .

---

(١) كذا بالأصل .

الأصل الثامن

٥٤ـ الحسن بن محمد الزعفراني قال : حدثنا سعيد بن زكريا المدائني عن سالم أبي الفيض قال : حدثني نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما " أن رسول الله ﷺ كان إذا أشفق من الحاجة أن ينساها جعل في يده خيطا يذكره أو ليذكرها " .

٥٥ـ حدثني أبي رحمه الله قال : حدثنا الفضيل بن الفضل الكوفي قال : حدثنا سالم بن عبد الأعلى الأودي قال : حدثني نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول [١/ ١٤/ أ] الله ﷺ بمثله . ولم يرفعه الأودي .

٥٦ـ علي بن خشرم قال : حدثنا سعيد بن محمد الرزاق[1] . عن سالم بن عبد الأعلى الأودي قال : حدثني نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ بمثله .

٥٧ـ [حدثنا أبو الخطاب . . .[2] قال : حدثنا سهل بن حماد قال : حدثنا سالم بن عبد الأعلى عن نافع عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ بمثله][3] .

قال أبو عبد الله :

الذكر والنسيان من الله ، إذا شاء ذكّره وإذا شاء أنساه ، وربط الخيط سبب من الأسباب لأنه نصب العين فإذا رآه ذكر ما نسي فهذا سبب موضوع دبّره رب العالمين لعباده كسائر الأسباب ؛ تحرز الأشياء بالأبواب والأقفال والحراس ، ويستشفى من الأسقام بالأدوية ، وتقبض الأرزاق والأقوات بالطلب ، وكل أمر بحيلة وسبب ، والأرض تخرج نباتها بالماء وهذا تدبيره في عباده ، والخيط والذكر والشفاء وإيصال الأرزاق كل ذلك بيده يجريها على الأسباب فأهل اليقين لا يضرهم الأسباب وهم الأنبياء والأولياء يمضون عليها فيحترزون ويحترفون ويحتالون ويتداوون لأنه تدبير الله كذا دبر لعباده أن يجري أمورهم على الأسباب امتحانا منه لهم لينظر من يتعلق قلبه بالأسباب فتصير فتنة عليه ، ومن يتخلى منه[4] فيكون مع ولي الأسباب وخالقها

---

(١) كذا بالمخطوطتين ، ولم أقف له على ترجمة .

(٢) كلمة لم أستطع قراءتها .

(٣) ما بين المعقوفين سقط من (ص) .

(٤) في (ص) " منها " .

فيسلم من فتنها الأسباب لأن الأسباب لا تملكه ، فإنهم في الجملة كلهم قد آمنوا واعترفوا بأن الأشياء كلها من الله تعالى ثم صاروا على ضربين فضرب منهم توالت على قلوبهم الغفلات وركدت أشغال الشهوات وظلمتها على قلوبهم فحجبتهم عن الانتباه فصاروا كالنيام والسكارى عن رؤية هذا وذكره ، فإذا ذكروا ذكروا فإذا انبهوا انتبهوا ثم عادوا إلى رقدتهم وغفلتهم فصار ذلك لهم كالخبر .

والآخرون هم أهل اليقين قد خرجوا بيقينهم من الغفلة ، والذكر على قلوبهم دائم والأمور لهم معاينة كيف يجريها وكيف يدبرها فليس الخبر كالمعاينة ، فإن استعملوا الأسباب لم تضرهم فكذلك هذا الخيط لما ربطه صار نصب عينه علامة إذا وقع بصره عليه ذكر ما نسي ثم لا يحجبه ذلك الخيط عن صنع الله تعالى ، إنه هو الذي ذكّره بهذا الخيط ، وحين ربطه [١/ ١٤/ ب] لم يطمئن إلى الخيط ولم يركن ركون أهل الغفلة بل ربطه ابتغاء موافقة تدبير الله الذي وضعه الله لعباده وكذلك تداويه من أسقامه وطلبه لمعاشه وأخذه الجُنّة في الحرب وحفره الخندق من أجل العدو وظاهر يوم أحد بين درعين فلا تظن به ﷺ أنه مال إلى شيء من الأسباب غفلة مقدار طرفة عين فتصيير الله الأسباب محنة للعباد ليميز الخبيث من الطيب . قال الله تبارك اسمه ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾ [آل عمران : ١٧٩] .

الأصل التاسع

٥٨ـ حدثنا الحسن بن علي العجلي قال : حدثنا عمرو بن محمد العنقزي قال : حدثنا عبد الله بن إدريس عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : " اهتز العرش لموت سعد بن معاذ رضي الله عنه " .

٥٩ـ حدثنا سفيان بن وكيع قال : حدثنا يزيد بن هارون عن محمد بن عمرو عن أبيه عن جده عن عائشة عن أسيد بن حضير قال : قال رسول رسول الله ﷺ : " اهتز العرش لوفاة سعد بن معاذ رضى الله عنه " .

قال أبو عبد الله :

فتأول ناس في هذا فقالوا : العرش سريره الذي حملوه عليه واحتجوا بحديث رووه عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه تأوله هكذا .

٦٠ـ حدثنا الجارود قال : حدثنا جرير عن عطاء بن السائب عن مجاهد عن ابن عمر رضى عنهما قال : ذكر يوما عنده حديث سعد أن العرش اهتز لحب الله لقاء سعد ، فقال ابن عمر : " إن العرش ليس يهتز لموت أحد ولكنه سريره الذي حمل عليه " .

قال : فهذا مبلغ ابن عمر رضى الله عنهما من علم ما ألقى إليه من ذلك وفوق كل ذي علم عليم ، وأحسب ابن عمر قصد بما دفع من ذلك تعظيما للعرش فهاب هذه الكلمة إذ كان العرش أعلا صفوته وخلقه ومنظره الأعلى وموضع تسبيحه ومظهر ملكه ومبدأ وحيه ومحل قربه ولم ينسب شيئا من خلقه كنسبته فقال : ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ﴾ كما قال وذو العزة ذو الجلال وذو الكبرياء وذو القدرة وذو العظمة [١/ ١٥/أ] وذو البهاء وذو الرحمة وذو الملك ولم يجز أن يقال ذو السموات وذو الأرض وذو الكرسي وذو اللوح فلم تعط كلمة " ذو " من جميع خلقه إلا للعرش فقط للقرب و " ذو " كلمة لحق واتصال وظهور ومبدأ ، فكأن ابن عمر رضي الله عنه لحظ إلى هذه الناحية فدفع أن يكون يهتز لموت أحد ، وأما سائر العلماء فلا نعلمهم دفعوا هذا القول فإن للمؤمن عند الله تعالى مراتب ، قد أتت بها الأنبياء من عند الله تعالى تنزيلا ، منها قوله تعالى : ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وقوله : ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [محمد : ١١] وقوله ﴿هُوَ مَوْلَىٰكُمْ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الحج : ٧٨] وقوله ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا﴾ [الحج : ٧٨]

وقوله ﴿ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ ﴾ [الحج : ٧٨] وقوله ﴿ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا * تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٞۚ وَأَعَدَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَرِيمٗا ﴾ [الأحزاب : ٤٣-٤٤] وقوله ﴿ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ﴾ [الأحزاب : ٤٧] وقوله ﴿ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ﴾ ﴿ وبشر عبادي ﴾ وقوله ﴿ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الحجر : ٤٩] وقوله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ * جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ﴾ [البينة : ٧] وقوله ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ [يونس : ٦٢] وقوله ﴿ يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِم بُشۡرَىٰكُمُ ٱلۡيَوۡمَ جَنَّٰتٞ ﴾ [الحديد : ١٢] وقوله ﴿ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ ﴾ [الحديد : ٢١] وقوله ﴿ قُلۡ إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤۡتَىٰٓ أَحَدٞ مِّثۡلَ مَآ أُوتِيتُمۡ ﴾ [آل عمران : ٧٣] ثم قال ﴿ قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ * يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ ﴾ [آل عمران : ٧٣-٧٤] وقوله ﴿ لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ ﴾ [آل عمران : ١٦٤] وقال ﴿ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ ﴾ [النور : ٣٥] وقوله ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا ﴾ [الفرقان : ٦٣] ثم قال ﴿ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ ﴾ [الأنسان : ٥] فذكر قصتهم إلى آخرها وقوله ﴿ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ ﴾ [الفتح : ٢٩] وقوله ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ﴾ [التوبة : ٧٢] ومنها قوله ﴿ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ ﴾ [يونس : ٢٦]

وقوله ﴿ وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ ﴾ فمن تخص كرامة الله لهذا المؤمن [١/ ١٥/ ب] وحبه له وعظم محله عنده وجعلهم جيرانه وزواره ورفع الحجاب فيما بينه وبينهم للتجلي وفيما جاءت به الأخبار ما لو تفكر في هذا وفي الأخبار ذو لب علم أن غير مستنكر ولا مدفوع منها " أن المؤمن أكرم على الله من الملائكة المقربين " ، ومنها " المؤمن أعظم حرمة عند الله من الكعبة " ومنها قول معاذ بن جبل رضى الله عنه " إن المتقين في الجنة لا يستتر الرب منهم ولا يحتجب "

ومنها ما جاء في شأن الزيارة في الأخبار ووضع المنابر والأسرة والكراسي لهم على مراتبهم في مجلس الجبار جل جلاله .

فروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : " لا يبقى أحد يوم القيامة في ذلك المجلس إلا

حاضره الله تعالى محاضرة حتى أنه ليقول : يا فلان أتذكر غدرتك يوم كذا وكذا؟ فيقول : أولم تغفرها لي ؟ فيقول بلى " .

٦١ـ حدثنا بذلك الفضل بن محمد قال : حدثنا محمد بن المصفى الحمصى قال : حدثنا سويد بن عبد العزيز قال : حدثنا الأوزاعى عن حسان بن عطية عن سعيد بن المسيب قال : لقيني أبو هريرة رضي الله عنه فحدثني بذلك ، قال : وأخبرني بذلك رسول الله ﷺ .

٦٢ـ حدثنا محمد بن محمد بن حسين قال : حدثنا إسحاق بن المنذر قال : أخبرنا الفرات ابن السائب قال : حدثنا مكحول عن أبي هريرة وأبي الدرداء رضي الله عنهما قالا : قال رسول الله ﷺ : " إن في بيوت[1] المؤمنين لمصابيح إلى العرش يعرفها مقربو الملائكة من السموات السبع يقولون : هذا النور من بيوتات المؤمنين التي يتلى فيها القرآن " .

فإذا كان نور المؤمن هناك في نور العرش مستبينا حتى يعرفه مقربو الملائكة فليس هذا إلا لأمر عظيم واعتبر بهذا في الدنيا ، أي نور يكون هذا حتى يستبين في نور الشمس في الدنيا فإذا كان هذا هكذا فكيف النور الذي يستبين في نور العرش هناك .

٦٣ـ حدثنا سفيان بن وكيع قال : حدثنا ابن نمير عن موسى الطحان عن عون بن عبد الله عن أبيه أو أخيه عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " إن ما تذكرون من جلال الله من تسبيحه وتحميده وتكبيره وتهليله يتعاطفن حول العرش لهن دوي كدوي النحل به يذكرن لصاحبهن ، أفلا يحب أحدكم أن لا يزال له عند الرحمن شيء يذكر به " . [١/ ١٦/ أ] وقد جاءت أحاديث في شأن سعد ما يكف عن التأويل فيه .

٦٤ـ حدثنا هارون بن حاتم الكوفى قال : حدثنا أبو بكر بن عياش عن الأعمش عن أبى سفيان عن جابر قال :

" اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ ، لما مات سعد نزل جبريل فقال : يا محمد رجل من أمتك اهتز له العرش ، فخرج رسول الله ﷺ إلى المسجد فإذا امرأة في المسجد فقالت : يا رسول الله إن سعد بن معاذ قد مات فشهد رسول الله ﷺ جنازته فجلس على القبر فقال : لا إله إلا الله سبحان الله ، ثم قال : هذا العبد الصالح لقد ضيق عليه قبره حتى خشيت أن لا يوسع عليه ثم وسع عليه " .

---

(١) في (ص) " لبيوتات " .

٦٥- حدثنا عيسى بن أحمد العسقلاني قال : حدثنا عبد الوهاب بن عطاء قال : حدثنا سعيد عن قتادة عن أنس رضي الله عنه قال : " افتخر الحيان من الأنصار ؛ الأوس والخزرج. فقالت الأوس : منا غسيل الملائكة حنظلة ابن الراهب ، ومنا من اهتز لموته عرش الرحمن سعد بن معاذ ، ومنا من حمته الدبر عاصم بن ثابت بن الأفلح[1] ، ومنا من أجيزت شهادته بشهادة رجلين خزيمة بن ثابت . فقالت الخزرج : منا أربعة جمعوا القرآن لم يجمعه أحد غيرهم زيد بن ثابت وأبو زيد وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل رضوان الله عليهم أجمعين " .

٦٦- حدثنا نصر بن يحيى قال : حدثنا محمد بن يعلى السلمي عن محمد بن عمرو بن علقمة عن يحيى بن مرار بن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن الحسن البصري قال : قال رسول الله ﷺ : " لقد اهتز عرش الرحمن لوفاة سعد بن معاذ فرحا به فرحا به فرحا به " .

فقد كشف عن معنى اهتزازه أنه الفرح للقائه ، وإذا كان العبد يفرح خالق العرش بلقائه ففرح العرش يدق في جنب فرح خالقه .

(١) كذا في الأصل وفي كتب التراجم [عاصم بن ثابت بن أبي الاقلح]

الأصل العاشر

٦٧- حدثنا حميد بن ربيع اللخمي قال : حدثنا محمد بن حميد عن معمر عن أيوب وكثير بن كثير بن المطلب - يزيد أحدهما على الآخر - عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم ، أو قال : لو لم تغرف الماء لكانت زمزم عينا معينا " .

قال أبو عبد الله :

ينبئك أن الحرص داخل بالفساد على الأشياء لأن الحرص من النهمة ، وخلق الله هذا الآدمي في غيب منه فقيرا محتاجًا مضطرًا ، فهو [١/ ١٦/ ب] ينتظر الأسباب ويطلبها ويحرص عليها وهو معترف على حد الإيمان به أنه هو الذي يجريها ويُوصِلُها إليه على أيدي الأسباب ثم تأخذ الحيرة والعجلة التي ركبت فيه ، هذا لأهل اليقين كائن ، وأهل الغفلة مفتونون فيها يعصونه ويضيعون حدود الله خالق الأسباب فأدرك أم إسماعيل ما يدرك الآدميين من هول الغربة والوحشة في تلك المفازة والعطش الذي حل بابنها وكربها شأن ذلك حتى أخذت تعدو هكذا وهكذا في طلب الماء تستغيث ، فلما جاءها الغياث لم تنفك من العجلة التي ركبت في الآدمي ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ فاغترفت فأحرزته في وعائها فانقطع المدد فأخبر رسول الله ﷺ أنها لو اطمأنت في ذلك الوقت إلى من أجرى لها ذلك لكفيت عن الاغتراف والإحراز في الوعاء ، فجرت وبقيت جارية إلى يومنا هذا ولكنها لما عاينت الماء اهتشت النفس إليه للحاجة والضرورة التي قد كانت حلت بها فشغلت بالموجود عن الذي أوجده حتى حملتها النفس على الاحتراز لتطمئن به ، وهو قول سلمان رضي الله عنه حيث رؤي يحمل جرابا ، فقيل له : ما هذا يا أبا عبد الله؟ قال : إن النفس إذا أحرزت رزقها اطمأنت ، فهذا عمل النفس ليس عمل القلب ، فإن القلب موقن أن الرزق هو الذي يوصله الله تعالى إليه في وقته ، والنفس في عماها وظلمتها تزعم أن الرزق هو الذي توعيه في جرابها فصاحبها في بلاء من وسوستها وتقاضيها ، فإذا أراد صاحبه أن يتخلص منها حتى لا توسوسه ويفرغ قلبه من وسوستها أسعفها بذلك ، كما فعل سلمان رضي الله عنه فتطمئن إلى ذلك وتَكِنَ ، ويتفرغ القلب ويستريح من تقاضيها ، ومما تورد عليه في هذا الباب

فيهيئ الله له المكتوب في اللوح من غير ذلك الذي هيأه في جرابه حتى يتبين له كذبه وجهله وإذا الذي وعاه سلط عليه غيره حتى أخذه فصار الذي وعاه رزق غيره فمن أحرز ذلك فإنما فعله لطمأنينة نفسه وقرارها ليفرغ قلبه لله من وسواسها ، وهذا فعل يدخل فيه نقص على أهل التوكل ، والأنبياء والأولياء العارفون في خلو من هذا لأن الشهوات منهم قد ماتت فالنفس قد اطمأنت بخالقها ، والقلوب منهم قد حييت [١/ ١٧/ أ] بالله تعالى ، والصدور منهم قد أشرقت بنور الله ، والأركان منهم قد خشعت لله ، فسواء عليهم أحرزوا أو لم يحرزوا ، فإن أحرزوا فليس ذلك منهم إحرازا إنما هو شيء قد ائتمنوا عليه فأخذوه من الله بأمانة وقفوها على نوائب الحق فما دمار بأيديهم من الدنيا فهي موقوفة ينتظرون نوائب الحق قد ملئت قلوبهم من عظمة الله وجلاله فلم يبق للدنيا بما فيها موضع رأس إبرة يحل حلاوتها وشهوتها ولذتها هنالك ، فقد ارتفعت فكر شأن الأرزاق والمعاش عن قلوبهم وتعلقت نفوسهم بقلوبهم وتعلقت قلوبهم بخالق الأرزاق وعالم التدبير ، وقالوا : حسبنا الله ، فخرجت هذه الكلمة منهم من قلب حي بالله على بصيرة من النفس فلم يبق في صدورهم اختلاج ولا تنازع ولا ريب واستقرت الأركان ، فمتى ما[(١)] وقع بأيديهم شيء من الدنيا لم يحبسوها لأنفسهم ، وعدوها أمانة قد ائتمنهم الله عليها كما قال رسول الله ﷺ : إنما أنا خازن أقسم والله يعطي فأنا أبو القاسم أقسم والله يعطي .

٦٨ـ حدثنا قتيبة بن سعيد قال : حدثنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس رضي الله عنه قال : " كان رسول الله ﷺ لا يدخر شيئا لغد " .

٦٩ـ حدثنا أحمد بن رشيد بن خثيم الهلالي قال : حدثني عمي أبو معمر سعيد بن خثيم قال : حدثني محمد بن النضر الملائي قال : كنت عند الحجاج وعنده أنس رضي الله عنه فقال : " كنت خادم رسول الله ﷺ عشر سنين فأهدي له طيران فتعشى بأحدهما وخبأت له أم أيمن الآخر ، فلما أصبح قال : يا أم أيمن هل عندك من غداء؟ قالت : أحد الطيرين ، قال : يا أم أيمن أما علمت أن أخي عيسى عليه السلام كان لا يخبأ عشاء لغداء ولا غداء لعشاء ، يأكل من ورق الشجر ويشرب من ماء المطر ، يلبس المسوح

(١) كذا بالأصل ولعلها زائدة .

ويبيت حيث يمسي ، ويقول : يأتي كل يوم برزقه ، قالت : يا رسول الله لا أخبأ لك شيئا بعدها أبدًا " .

٧٠- حدثنا محمد بن عمر بن الوليد الكندى قال : حدثنا مفضل بن صالح عن الأعمش عن طلحة اليامى عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : " أطعمنا يا بلال ، قال : ما عندي إلا صبر من تمر خبأته لك ، فقال : أما تخشى أن يخسف الله به في نار جهنم ، أنفق يا بلال ولا تخش من ذي العرش [١/ ١٧/ ب] إقلالا " .

٧١- حدثنا أبو غسان عن قيس بن أبى حصين عن[1] مسروق عن ابن مسعود بمثله .

وخبأت أم سلمة فدرة ، أي قطعة من لحم لرسول الله ﷺ فوضعته في كوة ، فلما دخل رسول الله ﷺ قربته إليه فإذا هي قطعة كدانة أو حجر فلما رآه رسول الله ﷺ قال : هل سأل بالباب سائل؟ قالت : نعم ، قال : فمن أجل ذلك ، أو كما قال .

٧٢- حدثنا على بن سعيد المسروقى وعلى بن حجر قالا[2] : حدثنا ابن المبارك عن حيوة ابن شريح عن بكر بن عمرو عن عبد الله بن هبيرة عن أبى تميمة الجيشانى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا " . وقال تعالى في تنزيله ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا ﴾ [العنكبوت : ٦٠] ثم قال ﴿ وَإِيَّاكُمْ ﴾ فأخبر أن الدواب لا تحمل رزقها وأن المتوكل يُرزق كما يرزق الطير .

قال له قائل فإن رسول الله ﷺ أدخل قوت سنة لعياله وقد تواترت الأخبار بذلك من فعله .

قال له : ليس الإدخال من الادخار في شيء إنما قسم رسول الله ﷺ خيبر مما أفاء الله عليه فأدخل لعياله من الخمس قوتهم ، وكذلك من فيء قريظة والنضير ، وتلك أمانة ائتمنه الله عليها وسلطه على ذلك وقسمها وصرفها في نوائب الحق ، والقلب منه خال ، ملك من الملوك غني بالله ، حر من الأحرار ، فماذا ضره وهل كان سبيل ذلك المال الذي أوتي إلا هكذا أن يصرفه في نوائب الحق فصرفه في

---

(١) في (ص) " بن " والمثبت الصواب .

(٢) في (ص) " قال " وما أثبتناه الجادة .

الكراع والسلاح وفي ذوي الحاجات من الأباعد فما باله يحرم عياله ، فلم[1] يجئك في الخبر أنه أدخل قوت سنة لنفسه إنما ذلك لعياله وعياله كسائر الناس ولا يحمل عياله ما لا يطيقونه فإنما يطيق هذا الأنبياء والأولياء وأهل اليقين الذين تقوم بهم الأرض ، قد طهرت قلوبهم وتنزهت نفوسهم من تهمة الله ألا ترى إلى قول رسول الله ﷺ حيث قال له ذلك الرجل : قد أكثرت علي فأوصني بوصية قصيرة ، قال : اذهب لا تتهم الله على نفسك .

فأهل اليقين فوضوا أمرهم إلى الله عز وجل وخلت قلوبهم [١/١٨/أ] من فكر التدبير لأنفسهم من جميع أمورهم وأحوالهم فزالت التهمة عنهم .

وقد كان رسول الله ﷺ إذا وقعت الأموال بيده يصرفها في الكراع والسلاح لحاجتهم في ذلك الوقت إلى ذلك ، فكان يرفع مقدار قوت نسائه ليعلم ما يبقى هنالك فيصرفه في هذه الوجوه فكان الذي يدخره رسول الله ﷺ إنما يخزنه على نوائب الحق فلا يضره خزنه وإنما يضر الذي خزنه لنفسه ، فكذلك الذي ادخره .

وقد أمر الله تعالى بحرز الأموال وحفظها فقال تعالى ﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰمًا ﴾ فإذا أحرزه فإنما يحرزه لما ينوب من حقوق الله تعالى حتى يصرفه فيه فهو مأجور فيه وخازن من خزانه ، وإذا أحرزه ليتخذه عدة لنوائب نفسه ودنياه فهو في نقص وإدبار وخذلان من الله تعالى ومسئول غدا عن كل درهم من أين ولم وفي أين . فليس في إدخال رسول الله ﷺ قوت سنة لعياله علينا دخل فيما قلناه ، فإنه كان خازنا ، فلما وقع بيده قسم لعياله مثل ما كان يقسم لغيرهم فإنه إحدى نوائب الحق . . . .[2] أنه كائن أن نفوس أزواجه كانت لا تطمئن إلا على الإحراز فلم يكلفهن ما ليس ذلك لهن مقام ، وإنما زجر بلالا في حديثه لأنه قال : خبأته لك يا رسول الله ، فقال : أما خفت أن يخسف الله به في نار جهنم ، كما صنعت أم سلمة فصارت بضعة اللحم فلذة حجر لأنه خبأت له ، والحديث الذي جاء أنه قال لأم أيمن ما قال ، كذلك أيضا فإنها قالت : خبأته لك ، وكذلك قول أنس كان رسول الله ﷺ لا يدخر شيئا لغد ، فهذا يدل على أنه كان لا

---

(١) كذا بالأصل .

(٢) مقدار كلمتين مطموسة بالأصل .

يدخر لنفسه ، فأما عياله فقد كان يبعث إليهم مما يبقى عندهم أياما .

فأما فعل أم إسماعيل فإنها كانت في حال ضرورة فلما زالت الضرورة أخذتها عجلة النفس التي ركبت في الآدمي فجعلته في الوعاء فاستقر وامتنع ما ظهر لانقطاع المدد ، وإنما كان ذلك بدؤه من الكرام فلو تلقاه كرم الآدمية لكان شكرا ، والشاكر يستحق مزيدًا وكان يجري فلا ينقطع المدد ، ولكنه تلقاه لؤم النفس فإن النفس لئيمة فتراجع الكرم وأعرض [١/ ١٨/ب] موليا لما لم يجد له قابلا يحسن قبوله ، وكانت تلك عين سوغ الله لها مخرجها من الجنة كرما إلى تلك البقعة من دار الدنيا وبعث جبريل عليه السلام فكانت منه هزمة بعقبه فانتبع الماء فكان ذلك من كرم ربنا ، عاملها على بُغْيتها وسالمتها فكان اللائق بهذا الفعل أن تأخذ منها حاجتها على تؤدة وأناءة وسعة صدر وحياء وتكرم وتعفف ، وتذر ما بقي بين يدي من أجراه حتى تنظر ما يدبر فيه فلما عجلت وأخذت تدبر لنفسها فعلت فعلا غير لائق بكرم ربنا علينا ، ومثال ذلك في الآدميين فيما بينهم موجود ، فلو أن ملكا من ملوك الدنيا نظر إليك في وقت حاجتك إلى شيء فرحمك كأنه رآك جائعا فهيأ لك مائدة عليها ألوان الطعام لتأخذ منها حاجتك فجعلت تأكل لقمة وتضع لقمة تحت المائدة تخزنها لنفسك ألم يكن[١] ولو نظر إليك في وقت حاجتك إلى كسوتك ففتح عليك باب خزانته لتكتسي منها فرفعت منها كسوتك ثم مددت يدك بالعجلة والحرص إلى أثواب لتخزنها في بيتك وخزانتك أليس ذلك مما يضعك عنده ، وأريته نفسك من عندك أنك اتهمته على نفسك ، وأنت إذا نطقت قلت : أنت خير لي من نفسي ، ألم يكن يضع ذلك القول منك على الهذيان ويقول في نفسه : فإن كنت أنا خيرا لك من نفسك فما الذي حملك على أن مددت يدك إلى ما لا تحتاج إليه من الفضول تريد أن تخزنه لنفسك دوني فإذا كان هذا سمجا قبيحا عند ملوك الدنيا مثل هذه المعاملة فكيف بمن يعامل رب العالمين بمثل هذا ، فكلما أعطاك شيئا من الدنيا فتناولته على غير حد الأمانة فأنت في هذا اللؤم إلى القرن القادم حتى تأخذه على سبيل أنه ماله ائتمنك عليه لتصرفه في نوائب حقوقه .

فأول حقوقه نفسك وعيالك ثم أرحامك وجيرانك ثم نوائب الحق التي تنوبك واحد

---

(١) كذا بالأصل .

على أثر واحد ، وهو قول رسول الله ﷺ حيث سئل فقيل : " يا رسول الله إني أصبت دينارا؟ قال : أنفقه على نفسك ، قال : أصبت آخر؟ فلم يزل يقول : أصبت آخر ، وهو يأمره بصرفه في وجه حتى كان في السابعة قال : أصبت آخر؟ [١/ ١٩/ أ] قال : أنفقه في سبيل الله ، وذلك أخسهن وأدناهن أجرا " . رواه سعيد المقبري عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ .

٧٣ـ حدثنا بذلك صالح بن محمد قال : حدثنا القاسم العمرى عن محمد بن حميد موالى آل مخرمه عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة رضى الله عن رسول ﷺ ، بمثله .

فإذا تناولته على طمع أو حرص أو شره ، صارت عليك فتنة وكنت تناولته لغير الله وأنت بطال في عمرك فإحرازك وادخارك لؤم وعيب ودناءة وظلمة تعود على القلب ودنس على الفؤاد وسقم في الإيمان وسم في الطاعات .

[ولذلك قال رسول الله ﷺ : يا سلمان قل : اللهم إني أسألك صحة في إيمان](١) .

فهل يأمره بسؤال الصحة في الإيمان إلا من سقم ؟ لأنه رأى في سلمان ما قال إن النفس إذا أحرزت رزقها اطمأنت ، فمن كانت نفسه مطمئنة بالأحوال فهكذا سبيله وشأنه ، ومن كانت نفسه مطمئنة بربه فلو أعطى الدنيا كلها لم يلتفت إليها وكانت عيناه إلى ربه وسكونه إليه ، وكان فعل أبي بكر رضي الله عنه يدل على أنه ممن هو بهذا موصوف .

وروي لنا أن أبا بكر رضي الله عنه تلا هذه الآية بين يدي رسول الله ﷺ ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۞ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴾ [الفجر : ٢٧-٢٨] فقال : ما أحسن هذا يا رسول الله فقال : " يا أبا بكر أما أن الملك سيقولها لك عند الموت " .

٧٤ـ حدثنا بذلك عمر بن أبى عمر قال : حدثنا على بن بحر عن سويد بن عبد العزيز عن ثابت بن عجلان عن سليم بن أبى عامر قال : سمعت أبا بكر الصديق رضى الله عنه يقول : قرئت عند رسول الله ﷺ هذه الآية فذكر الحديث إلى آخره مثله .

فهذه نفس رضيت عن الله بجميع ما دبر لها من المحبوب والمكروه لأنها لذت

(١) ما بين المعقوفين سقط من (د) .

بجوار الله تعالى وقربه ، فلهت[١] عن لذاتها الدنيوية فرضي الله عنها وبشرت عند الموت بذلك .

وأما قوله : " لكانت زمزم عينا معينا " أي : مرئيا ظاهرا تجري ، فالمعين الذي تعاين بالعيون ، معناه : أنه لا تركد ، ولكن يجري حتى يعاينوه فبقي عينا وليس بمعين لفعل أم إسماعيل رحمة الله عليها . [١/١٩/ب] .

(١) هذا ما استظهرته من (ص) و(د) .

الأصل الحادي عشر

٧٥- حدثنا نصر بن علي الحذامي قال : أخبرني عكرمة بن خالد بن سلمة المخزومي قال : سمعت أبي يقول : سمعت ابن عمر(١) رضي الله عنه يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول " لا تضربوا الرقيق فإنكم لا تدرون ما توافقون " .

قال أبو عبد الله رحمة الله عليه :

فالضرب أصله تأديب ، وقد ندب الله العباد إلى تأديب أهليهم فقال : ﴿ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾ [التحريم : ٦] فوقايتك نفسك وأهلك أن تعظها وتنصحها وتزجرها عن عمل يوردها النار وتقيم أودهم بأنواع الأدب ، فمن الأدب الموعظة ومن الأدب الوعيد ومن الأدب الضرب وحبس المنافع ومن الأدب الرفق والعطية والنوال والبر فإن ذلك ربما كان أدعى لهم من الوعيد والضرب ، وبين النفوس تفاوت ، فنفس تضرع وتخضع لك بالبر والعطية والرفق فهي(٢) نفس كريمة . ونفس تضرع وتخضع بالغلظة والشدة والعنف عليها فهي لئيمة ، فلو حملت هذا على تلك النفس لأفسدتها ولو حملت هذا على النفس الأخرى لأفسدتها وقد جعل الله تعالى الحدود أدبا لعباده ومزجرة للآخرين وموعظة للمتقين ومن دون الحدود تعزيرا على قدر ما يأتون من المنكر فأدب الأحرار إلى السلطان وأدب المماليك والعبيد والأولاد إلى السادات والآباء وهذا كله داخل في قوله : ﴿ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا ﴾ فإذا أدبه قوّمه ، وإذا قوّمه فقد وقاه النار ؛ لأن في الأدب قمع النفس الأمارة بالسوء والنار دار الأعداء والجنة دار الأولياء وهم الموحدون وجعل ممر الموحدين إلى الجنة على النار فقال : ﴿ وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا * ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا ﴾ [مريم : ٧١-٧٢] فوعد النجاة للمتقين ، وحذر الموحدين وجعل خير ممرهم عليها وعيدا هائلا عظيما شأنه يذهل النفوس وتجمد الشهوات ، والآدب(٣) غذا النفوس وتربيتها للآخرة .

---

(١) في (ص) " عمر " والمثبت من (د ، ط) .

(٢) في (ص) " فهو" .

(٣) في (ص) " فالأداب " .

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : " لأن يؤدب أحدكم ولده خير له من أن يتصدق كل يوم بنصف صاع " .

٧٦ـ حدثنا بذلك صالح بن عبد الله قال : حدثنا [١/ ٢٠/أ] يحيى بن يعلى الأسلمي عن ناصح المحملي عن سماك عن جابر بن سمرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ .

٧٧ـ وحدثنا نصر بن علي الحذامي ومحمد بن موسى القرشي[١] قالا : حدثنا عامر بن أبي عامر الغراز قال : حدثنا أيوب بن موسى الحرشي عن أبيه عن جده قال : قال ﷺ : " ما نحل والد ولدا أفضل من أدب حسن " .

وقد أشار رسول الله ﷺ إلى ضرب الرقيق إذا زنوا فقال : " إذا زنت أمة أحدكم فليجلدها ثم إذا زنت فليجلدها " .

٧٨ـ حدثنا بذلك قتيبة بن سعيد عن مالك بن أنس عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله عتبة عن أبي هريرة رضي الله عنه وزيد بن خالد الجهني رضي الله عنه عن رسول ﷺ بمثله .

فالحدود والتعزير لمكانهما على الأحرار والرقيق .

وأما قول رسول الله ﷺ : " لاتضربوا الرقيق " فخليق أن يكون إنما نهى عن ضربهم على غضب المولى لنفسه على نفع أو ضر لا لله ، فأما إذا ضربه تأديبا ليقومه لئلا يعصي الله في أموره ولئلا يعصى المولى في أموره اللازمة له فإن عصيانه وتضييع أموره معصية لله فذاك مما يجب عليه وهو داخل في قوله تعالى : ﴿ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا ﴾ فالعبيد والإماء من الأهلين ، وإنما حذرهم رسول الله ﷺ فيما نرى أن يضرب في نفع أو ضر فإن قليلا من الناس من يتمالك هناك حتى يكون ضربه لله لا لنفسه إلا أهل اليقين الذين قد عروا عن خيانة النفوس فهم في قبضة الله به ينطقون وبه يبطشون فادعهم[٢] شفاء للصدور بما فيها ومن دونهم من الناس قلّ ما يسلمون على ضرب المماليك في ضر أو نفع إلا وغضبهم لأنفسهم لا لله فإذا ضربوا فالقصاص قائم فيما بينهم يوم لا يجاوزه ظلم ظالم ولا ظالمة وهو بالمرصاد .

---

(١) بالمخطوط « الحرشى » والمثبت من الأنساب .

(٢) هكذا استظهرت قراءتها بالمخطوط .

٧٩ـ حدثنا محمد بن مقاتل قال : حدثنا عيسى بن إبراهيم القرشى عن داود بن قيس المدينى عن زيد بن أسلم قال : قال رجل : يا رسول الله ما تقول في ضرب المماليك؟ قال : " إن كان ذلك في كنهه وإلا أقيد منكم يوم القيامة ، قيل : يا رسول الله ما تقول في سبهم؟ قال : مثل ذلك ، قالوا : يا رسول الله فإنا نعاقب أولادنا ونسبهم؟ قال : إنهم ليسوا مثل أولادكم إنكم لا تتهمون على أولادكم " .

٨٠ـ حدثنا عمر بن أبى عمر قال : حدثنا أصبغ بن الفرج قال : أخبرنى ابن وهب عن مخرمة أخبره عن أبيه عن عبد الله بن رفاعة [١/ ٢٠/ ب] بن رافع الزرقي عن أبيه قال : قال رجل : يا رسول الله كيف ترى ، في رقيقنا أقوام مسلمون يصلون صلاتنا ويصومون صيامنا نضربهم؟ فقال رسول الله ﷺ : " يوزن ذنبهم وعقوبتكم إياهم فإن كانت عقوبتكم أكثر من ذنوبهم أخذوا منكم ، قال : أفرأيت سبنا إياهم؟ قال : يوزن ذنبهم وأذاكم إياهم فإن كان أذاكم أكثر أخذوا منكم ، قال الرجل : ما أسمع عدوا أقرب إليّ منهم .

فتلا رسول الله ﷺ : ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾ [الفرقان : ٢٠] فقال الرجل : أرأيت يا رسول الله ولدي ، أضربهم؟ قال : إنك لا تتهم في ولدك لا تطيب نفسا تشبع وتجوع وتكتسى وتعرى " .

٨١ـ حدثنا صالح بن محمد قال : حدثنا زافر بن سليمان عن إسماعيل بن عياش عن عمر مولى غفرة عن زياد بن أبي زياد قال : جاء رجل فقال : يا رسول الله إن لي مالا وإن لي خدما وإني أغضب فأعزم وأشتم وأضرب؟ فقال رسول الله ﷺ : " توزن ذنوبه بعقوبتك فإن كانت سواء فلا لك ولا عليك وإن كانت العقوبة أكثر فإنما هو شيء يؤخذ من حسناتك يوم القيامة ، فقال الرجل : أوه أوه يؤخذ من حسناتي؟ أشهدك يا رسول الله أن مماليكي أحرار أنا لا أمسك شيئا يأخذ من حسناتي ، قال : فحسبت ماذا ألم تسمع إلى قول الله تعالى : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ " [الأنبياء : ٤٧] .

قال أبو عبد الله :

فقد كشفت هذه الأحاديث عن الوجهين جميعا ، فكل ضرب للمماليك مما هو لله حدًا ، وتعزير أو تقويم للمماليك يؤدبه لله فهو مأجور ، وقد قال ﷺ " كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته " وكل ضرب إنما ضربه تشهيًا لشيء غاظه فالقصاص قائم

فإن كان في ذلك تعد أخذ بالعدوان من حسناته على ما جاء في التنزيل فذكره رسول الله ﷺ ، فحديث ابن عمر رضي الله عنهما " لا تضربوا الرقيق " محمول على أن لا يضربه للتشفي لغيظه فإنه لا يدرى ما يوافق الضربة من أعضائه فربما وقعت على عين ففقأها ، وربما وقعت على عضو فكسره ، وربما وقعت على صدر أو خاصرة فقتل فحذرهم أن يضربوا مماليكهم فيحدث منهم حدث يُشرك في دمه ومن أدب لله فمات في ذلك الأدب لم يؤخذ به إذا كان ذلك حدًّا معلومًا فضربه فلم يجاوز ولم يتعد فيه .

وروي [١/ ٢١/ أ] عن رسول الله ﷺ أنه قال : " من لاءمكم من رقيقكم فأطعموهم مما تطعمون واكسوهم مما تكتسون وَمَنْ لا فبيعوهم ، ولا تعذبوا خلق الله . فالضرب المحمود ما كان لله والضرب المهجور ما كان للنفس ، والناس في هذا على طبقات فمن كان قلبه لله تعالى أمكنه أن يؤدبه في أمر الدنيا والآخرة لله ومن لم يكن قلبه لله تعالى فكان الغالب عليه هواه ونفسه لم يمكنه أن يضربه إلا في أمر الدين فقط حتى يكون لله ، فأما في أمر الدنيا من ضر أو نفع فلا قِوام له في تأديبه لأنه إنما يغضب لنفسه ، ألا ترى أنه لما ارتفعت التهمة في شأن الولد ذهب القصاص لأن ذلك لله وذهب نصيب النفس وكذلك اليتيم .

٨٢ـ حدثنا أبي رحمه الله قال : حدثنا الحِمَّاني قال : حدثنا أبو معاوية عن الحجاج عن عبد الملك بن رزين عن بلال رضي الله عنه قال : قال رجل : " يا رسول الله إن في حجري يتيما أفأضربه؟ قال : نعم مما تضرب منه ولدك " .

الأصل الثاني عشر

٨٣ـ **حدثنا** أبو عبد الله محمد بن على بن الحسن المؤذن قال : حدثنا موسى بن عبد الله بن سعيد الأزدى قال : حدثنا محمد بن زياد الكلبى عن بشر بن الحسين الهلالى عن الزبير ابن عدى عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " أعط الأجير أجره من قبل أن يَجف عرقه "

قال أبو عبد الله رحمة الله عليه :

وذلك أن أجرته عمالة جسده ، وجاء عن رسول الله ﷺ فما يحكي عن الله عز وجل أنه قال : " ثلاثة أنا خصمهم ومن كنت خصمه خصمته : من باع حرًّا وأكل ثمنه ، أو ظلم أجيرًا أجره ، أو ظلم امرأة مهرها "

فهؤلاء كلهم أحرار وهي أثمان نفوسهم فخصمهم مالكهم ، فلذلك أمر بتعجيل أجره ؛ لأنه قد عجل منفعته ومن شأن الباعة إذا سلموا المبيع[1] قبضوا الثمن عند التسليم فهذا أحق وأولى إذ كان ثمن مهجته لا ثمن سلعته .

(١) سقط من (د) .

الأصل الثالث عشر

٨٤ـ حدثنا عمر بن أبى عمر قال : حدثنا عبد الله بن أبى حسان القيسى عن حسن[١] بن على ابن حسين عن أبيه عن الحسين بن علي رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : " لا ينبغي لعين مؤمنة ترى أن[٢] يعصى الله تعالى فلا تنكر عليه "

قال أبو عبد الله رحمه الله :

فالإيمان قد اشتمل على الجوارح السبع اللاتي أخذ عليهن العهد والميثاق وائتمن العبد عليهن ووكل برعايتهن ومستقره في القلب ، والشهوة في النفس وسلطانها في [١/ ٢١/ ب] الصدر ثم ينادى إلى هذه الجوارح السبع فمن صِدق الإيمان أن يكون سلطان كل جارحة منطفئا بما اشتمل عليه من سلطان الإيمان ، فإذا كان كذلك فقد ملك نفسه فلا يستعمل شهوة بجارحة من الجوارح السبع إلا فيما أذن الله له فيه فإذا رأى غيره قد استعملها فيما لم يأذن به الله أنكره .

والإنكار على ثلاثة منازل : فمنكر بقلبه ولسانه ويده ، ومنكر بقلبه ولسانه ، ومنكر بقلبه .

وروي ذلك عن رسول الله ﷺ أنه قال : " الجهاد ثلاثة : جهاد باليد واللسان والقلب ، وجهاد باللسان واللقب ، وجهاد بالقلب ، وذلك أضعف الإيمان " فأول ما ذكر[٣] جهاد اليد ، ثم جهاد اللسان ، ثم جهاد القلب حتى لا ينكر منكر .

٨٥ـ حدثنا عمر بن أبى عمر قال : حدثنا سعيد بن أبى مريم قال : أخبرنا عبد العزيز بن محمد قال : حدثنى الحارث بن فضيل عن جعفر بن عبد الله بن الحكم[٤] عن عبد الرحمن بن مسور بن مخرمة عن أبى رافع رضى الله عنه [مولى رسول الله صلي الله عليه وسلم عن ابن مسعود رضى الله عنه][٥] عن رسول الله ﷺ قال : " ما كان لله نبي

---

(١) في (د) " حسين " .

(٢) كذا بالأصل ولعل الصواب [من] .

(٣) في (ص) " يكل " .

(٤) في (د) " بن عبد الحكم " .

(٥) ما بين المعقوفتين سقط من (ص) .

إلا وله حواريون يهدون بهديه ويستنون بسنته ، ثم يكون من بعده خلوف يقولون ، ما لا يفعلون ، ويعملون ما ينكرون ، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك مثقال حبة من الإيمان " .

وهو كما وصف رسول الله ﷺ عن شأن بني إسرائيل : إن الملوك لما أحدثت في دينهم الأحداث صار أهل الهدى على ثلاثة فرق : فرقة قاتلت الملوك على دين الله ، وفرقة لم يكن لهم طاقة بقتالهم ولكنهم قاموا في قومهم فذبوا عن دينهم فأُخِذوا وقُتِلوا ، وفرقة خرجت من بين أظهرهم فساحت في البراري فنجت هذه الثلاث وهلك سائرهم .

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : ليس لمؤمن أن يذل نفسه ، قالوا : وكيف يذل نفسه ؟ قال : يتكلف من البلاء ما لا يطيق .

معناه أنه إذا علم أنه إذا غيّر المنكر على القوي ابتلي به فكف عنه وأنكر بقلبه لأن ما يفسد أكثر مما يصلح .

وروي أن هذه الآية إنما نزلت في شأن هؤلاء قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ﴾ [المائدة : ١٠٥] أنها في وقت الفساد وأنه لا يقبل منكر فعندها لا يضرك ضلالتهم .

٨٦ـ حدثنا محمد بن [١/ ٢٢/أ] أبان الهلالى قال : حدثنا أيوب بن سويد الرملى قال : حدثنا هبة بن حكيم قال : حدثنى عمرو اللخمى عن أبي أمية الشعباني قال : سألت أبا ثعلبة الخشني رضى الله عنه عن هذه الآية : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ﴾ فقال لي : لقد سألت عنها خبيرًا سألت عنها رسول الله ﷺ فقال : " يا أبا ثعلبة ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر ، وإذا رأيت دنيا مؤثرة وشحًا مطاعًا وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك نفسك فإن من بعدكم أيام الصبر ، المتمسك يومئذ بمثل الذي أنتم عليه له كأجر خمسين عاملاً ، قالوا : يا رسول الله كأجر خمسين عاملاً منهم؟ قال : لا ، بل منكم " .

٨٧ـ حدثنا حميد بن على مولى رسول الله ﷺ قال : حدثنا جعفر بن محمد الهمدانى قال : حدثنا أبو إسحاق الفزارى عن المغيرة عن إبراهيم عن الأسود عن عبد الله رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " المتمسك بسنتي عند اختلاف أمتي كالقابض على الجمر " .

الأصل الرابع عشر

٨٨- حدثنا عمر بن أبى عمر قال : حدثنا محمد بن وهب الواسطى عن الوليد بن سليم عن أبى بكر بن أبى مريم قال : حدثنى حكيم بن عمير أبو الأحوص عن أبى ثعلبة الخشنى عن أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " يا أبا عبيدة لا تأمنن على أحد بعدي "

قال أبو عبد الله رحمه الله :

فالرسول الله ﷺ مأمن الخلق ومفزعهم له عطف الآباء وشفقة الأمهات ورحمة الوالهات ، وشهد الله له في تنزيله أعظم شهادة فقال تعالى : ﴿ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة : ١٢٨] فقد حشى بالرأفة والرحمة والنصيحة لله تعالى في خلقه واستنار قلبه بنور الله فدقت الدنيا بما فيها في عينه وصغر عنده بذل نفسه لله في جنب الله فكان مفزعًا وكان مأمنًا وكان غياثًا وكان رحمة وكان أمانًا فأما المفزع فقال تعالى في تنزيله : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء : ٦٤] وكان مفزعا لهم عند الذنوب يصيرون إليه حتى يستغفر لهم .

وفي المأمن قوله تعالى : ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ * وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ [النجم : ٢-٣] أي : يأمنون بقوله لا ينطق عن الهوي . وفي الغياث قوله تعالى : [١/ ٢٢/ ب] ﴿ وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾ [آل عمران : ١٠٣] .

وفي الرحمة قوله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] وفي الأمان قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾ [الأنفال : ٣٣] فليس لأحد بعد الرسول ﷺ هذا المقام صديقًا كان أو فاروقًا أوأمينًا فلذلك قال : " لا تأمنن على أحد بعدي " أي : كأمنك ، كأنه دلّه على أن يكون على حذرٍ ويحترمن[1] ولا يتكل ولا يأمن على من بعده كاتكاله عليه فإن الشيطان يجري من بني آدم مجرى الدم وليس لمن بعده عصمة الرسل عليهم السلام ، فالمعصوم مأمون

---

(١) هكذا استظهرت قراءتها .

ومن خلا من عصمتهم فغير مأمون أن يستغل العدو منهم هفوة أو زلة ، ألا ترى أن أبا بكر رضي الله عنه خطب الناس فقال : إن لي شيطانًا يعتريني فاجتنبوني إذا غضبت لا أوثر في أشعاركم وأبشاركم ، وإذا زغت فقوموني .
وقيل لرسول الله ﷺ حيث قال : ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الشيطان قالوا : ومعك يا رسول الله؟ قال : ومعي ولكن الله أعانني عليه فأسلم .
فكأن الله قد عصمه واكتنفه وتولاه وطهره وطيبه وحسن أخلاقه وأقامه على أدب القرآن وأثنى عليه فقال : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم : ٤] وكان قد بلغ من أمانته ما يعجز الواصفُ عنه .

وروي عنه ﷺ أنه قال : أراد قتل بعض المشركين العتاة وكان أمرهم أن يقتلوه وإن وجدوه متعلقا بأستار الكعبة ، فجاء به عثمان رضي الله عنه يسأل له الأمان فسكت رسول الله ﷺ ثم سأله فسكت ثم سأله ثالثة فأعطاه الأمان ، فقال : انتظرت أن يقوم أحدكم فيضرب عنقه ، قالوا : فهلا أومأت ، قال : إنه لا ينبغي لنبي أن يكون له خائنة الأعين .

وروي عنه أيضا أنه كان إذا مشى لا يلتفت فكان أصحابه قد أمنوا التفاته ، ويضحكون ويمزحون فربما تعلق رداؤه بشجرة أو بشيء فيقوم ولا يلتفت حتي يضعوه عليه .

٨٩ـ حدثنا بذلك الفضل بن محمد قال : حدثنا عبد الرحمن بن عبد الحكم المصرى قال : حدثنا شعيب بن يحيى قال : حدثنا عبد الجبار بن عمر عن محمد بن المنكدر عن جابر ابن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه قال : " كان رسول الله ﷺ لا يلتفت [١/ ٢٣/ أ] وراءه إذا مشى وربما تعلق رداؤه بالشيء أو بالشجرة فلا يلتفت حتى يضعوه عليه لأنهم كانوا يمزحون ويضحكون فكانوا قد أمنوا التفاته " .

٩٠ـ حدثنا سفيان بن وكيع قال : حدثنا جميع بن عمر العجلى قال : حدثنا رجل من بنى تميم من ولد أبى هالة عن ابن لأبى هالة عن الحسن بن على عن هند بن أبي هالة قال : " كان رسول الله ﷺ إذا التفت التفت جميعًا " .

الأصل الخامس عشر

٩١- حدثنا قتيبة بن سعيد قال : حدثنا المفضل[١] بن فضالة عن ربيعة بن سيف[٢] المعافرى عن أبى عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قبرنا مع رسول الله ﷺ يومًا فلما انصرف رسول الله ﷺ انصرفنا معه ، فلما حاذى بابه وقف وتوسط الطريق فإذا هو بامرأة مقبلة لا نظنه عرفها فلما دنت إذا هي فاطمة فقال لها رسول الله ﷺ : ما أخرجك يا فاطمة من بيتك؟ قالت : أتيت أهل هذا الميت فرحمت إليهم ميتهم. أو عزيتهم ، لا يحفظ ربيعة أي ذلك. قال : فقال لها رسول الله ﷺ : فلعلك بلغت معهم الكدا ؟ قالت : معاذ الله ، وقد سمعتك تذكر فيهم ما تذكر ، قال : لو بلغت معهم الكدا ما رأيت الجنة حتى يراها جدك أبو أبيك . قال قتيبة : الكدا المقبرة .

قال أبو عبد الله رحمه الله :

فبعث الله محمدًا ﷺ لمحق آثار الجاهلية وطمسها ، فكان من شأنهم إذا مات لهم ميت أن يخمشوا الوجوه وينتفوا الشعور ويشقوا الجيوب ويخرقوا البيوت ، فقال رسول الله ﷺ : ليس منا من حلق أو خرق أو سلق .

ولعن في حديث آخر ناشرات الشعور واللاتى ينعون بأصوات الحمير وزجرهم عن ذلك زجرًا شديدًا ونهاهم عن زيارة القبور لحداثةِ عهدهم بالكفر ، ولما كان لهم في زيارة القبور من الفتنة ، حتى إذا رآهم قد استحكموا الإسلام وصاروا أهل يقين وبر وتقوى وصارت القبور لهم معتبرًا بعد أن كان مفتتنًا خلى عنهم فقال ﷺ : إني كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإن لكم فيها معتبرًا .

وسكت عن ذكر النساء لضعفهن ورقتهن وسرعة افتتانهن وأنهن لسن بموضع [١/ ٢٣/ ب] ثقةٍ من ذلك وأن عقولهن على النصف من عقول الرجال وقال عليه الصلاة والسلام فيما روي عنه : ما رأيت من نواقص عقول ودين أغلب للرجال منهن فقيل : ما نقصان عقولهن ودينهن يا رسول الله؟ قال : أما نقصان عقولهن فشهادة امرأتين بشهادة رجلٍ ، وأما نقصان دينهن فترك الصلاة والصوم في الحيض .

---

(١) في (ص) " الفضل " .

(٢) في (ص) " يوسف " .

وبايعهن رسول الله ﷺ يوم فتح مكة على ما نطق به التنزيل من قوله : ﴿ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ ﴾ [الممتحنة : ١٢] فبايعهن وأخذ(١) رسول الله ﷺ في البيعة أن لا ينحن .

٩٢- فحدثنا الجارود قال : حدثنا يزيد بن هارون(٢) عن هشام بن حسان عن حفصة بنت سيرين عن أم عطية رضي الله عنها قالت : " أخذ علينا رسول الله ﷺ في البيعة أن لا ننوح ، فما وفت منا امرأة إلا سبع نسوة منهن أم سليم " .

وكان رسول الله ﷺ يمنعهن عن حضور الجنائز .

٩٣- حدثنا أبو الحجاج الضرير بن طاهر البصرى قال : حدثنا بكار بن عبد العزيز بن أبى بكرة عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ رأى نسوة في جنازة فقال لهن : " ارجعن مأزورات غير مأجورات " .

٩٤- حدثنا أبو الأشعث العجلى وأبو الحجاج ، قالا : حدثنا محمد بن حمران عن الحارث ابن زياد عن أنس رضي الله عنه قال : " خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة فرأى نسوة فقال : أتحملنه؟ قلن : لا ، قال : أتدفنه ؟ قلن : لا ، قال : فارجعن مأزورات غير مأجورات " .

٩٥- حدثنا سفيان قال : حدثنى أبي عن شعبة عن محمد بن حجادة قال : سمعت أبا صالح يحدث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : " لعن رسول الله ﷺ زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسُرُجَ " .

قال أبو عبد الله رحمه الله :

فبقي الخطر عليهن إلى آخر الدهر ، فإذا كانت امرأة قد . . .(٣) عن هذه الأمور فأتت قبرًا لترمه أو تُسلم أو تدعو أو تعتبر وقد أمنت ناحية نفسها ذلك وماتت شهوتها وانقطعت فتنتها فذلك مطلق لها عندنا وهو خارج من النهي .

ألا ترى أن رسول الله ﷺ لما أمن الرجال أطلق لهم في ذلك لزوال علة النهي ، فكذلك في النساء إذا زالت [١/ ٢٤/ أ] تلك العلة فهن والرجال سواء ، وكذلك كل

---

(١) في (د) " فأخذ " .

(٢) في (ص) " زيد بن هارون " .

(٣) مقدار كلمتين ، غير واضحة بالمخطوطتين .

شيء نهي عنه من أجل شيء ، فإذا فقد ذلك الشيء عاد إلى الأصل فصار مطلقًا .

وروي عن فاطمة رضي الله عنها أنها كانت تأتي قبر حمزة رضي الله عنه في كل عام فترمه .

وروي عن غير واحدة من النساء أنها كانت تأتي قبور الشهداء فتسلم عليهم .

٩٦ـ حدثنا قتيبة بن سعيد قال : حدثنا ابن نمير عن زياد بن المنذر الهمداني عن أبى جعفر قال : " كانت فاطمة رضى الله عنها تأتي قبر حمزة فترمه وتصلحه " .

فأما مرمة القبر فلئلا يدرس أثره فينبش عنه ، لأنه إذا ذهب أثره حفر عنه لميت آخر ، وأيضًا علة أخرى : أن المُسَلِّم على الأموات وزائرهم تخفى عليه إذا ذهب رسمه فتبطل الزيارة وهي حق من الحقوق ليس كالذي يسلم من بعيد .

٩٧ـ حدثنا محمد بن النعمان بن شبل بن النعمان الباهلى قال : حدثنا محمد بن النعمان عن أبى يحيى بن العلاء عن عبد الكريم عن مجاهد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " من زار قبر أبو يه أو أحدهما في كل جمعة مرة غفر له وكتب برا " .

٩٨ـ حدثنا صالح بن محمد قال : حدثنا أبو مقاتل عن عبد العزيز بن أبى رواد عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنه قال : " من زار قبر أبو يه أو أحدهما احتسابا كان كعدل حجة مبرورة ، ومن كان زوارا لهما زارت الملائكة قبره " .

فالتشديد الذي جاء في حديث الفضل بن فضالة ومقالة رسول الله ﷺ لفاطمة رضى الله عنها نراه في بدء الأمر حيث شدد على الرجال والنساء لكي يرتدعوا عن سنن الجاهلية وتطمس آثارها ، فأما قوله : " لو كنت معهم لم تري الجنة حتى يراها جَدكِ " فهذا من تغليظ النهي والزجر ، ولا نعلم ذلك من الذي يحرم على صاحبه الجنة حتى يخلد في النار أبدًا لأنه قال : " حتى يراها جدك " ولكن معناه على أن من فعل ذلك كان يخاف الله عليه أن يسلبه الإسلام فيخرج مسلوبًا ، فإذا سلبه لم ير الجنة أبدًا وأعظم نعمة لله على عبده الإسلام ، وللإسلام سنن ومنار كمنار الطريق ، فإذا عمل عملا يكون فيه إحياء سنن الجاهلية التي أطفأها الله بسيف رسول الله ﷺ وسيف المهاجرين والأنصار فقد كفر منة الإسلام ، والكفور ممقوت غير مأمون عليه السلب ، فكان إتيان المقابر من سنن الجاهلية ، فغلظ الزجر لتموت تلك السنن .

الأصل السادس عشر [١/٢٤/ب]

٩٩ـ حدثنا عمر بن أبى عمر العبدى قال : حدثنا سليمان بن حرب قال : حدثنا أبو صالح الحدّاني غالب بن سليمان عن كثير بن زياد عن أبى سمية قال : سألت جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن الورود فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " الورود الدخول ، لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمنين بردًا وسلامًا كما كانت على إبراهيم صلوات الله عليه ، حتى إن للنار ضجيجا من بردهم ، ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثيا " .

قال أبو عبد الله رحمه الله :

كأن الله عز وجل أحب أن يجعل ممر المؤمنين فيها كي إذا نجوا منها علموا من أين نجوا ، فليس الخبر كالمعاينة ، وإذا وردوا دار السلام علموا أين دخلوا ، فالشيء إنما يعرف بضده ويعظم قدره عند الآدمي فلذلك قالوا عند دخول الجنة ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ اذهب عنا الحزن : قطع النيران حيث خلصنا منها وجعلها بردًا وسلامًا علينا ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ وذلك أنهم ركبوا أهوالاً كأمثال الجبال لما عاينوا النيران وعلموا أن ممرهم فيها فأخذتهم الأحزان من وجوه لا من وجه واحد ، فلما نجوا حمدوا ربهم على ما أذهب عنهم الحزن وعلموا أنهم لم يحلوا دار المقامة إلا من فضله وكرمه ، وأنهم لم يستوجبوا ذلك منه وكأنه تبارك وتعالى أحب أن يبرز(١) فضل الصادقين وبذلهم أنفسهم له وليأخذ الحق بحقه من أولئك الطبقة التي آثرت شهوات نفوسها بتضييع الحق وهم أهل لا إله إلا الله حتى تنتقم النار منهم(٢) مدة ثم تدركهم رحمة الله وقد محصوا ونقوا وهذبوا وصلحوا لدار السلام [فيبدلهم الله](٣) أجسادًا ويجعلهم في جواره ملوكًا وليجوز الأولياء والصديقون وهم لا يشعرون بالنار قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ۞ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴾ [الأنبياء : ١٠١-١٠٢] .

---

(١) في (د) " يكون " .

(٢) في (د ، ص) " النار في طول مدة " .

(٣) ما بين المعقوفين غير واضح في (ص) .

وإنما[١] بعدوا عنها لأن النور احتملهم واحتواهم فهم يمضون في النار[٢] حتى إذا خرجوا منها قال بعضهم لبعض : أليس قد وعدنا ربنا أن نرد النار؟ قالوا : بلى ولكن مررتم بها وهي خامدة ، وأما ضجة النار فمن بردهم وهو برد المؤمنين وذلك أن الرحمة باردة تطفئ غضب الرب ، فبالرحمة قالوا النور حتى أشرق في قلوبهم وصدورهم [١/ ٢٦/ أ][٣] فعرفوه وآمنوا به وعبدوه وكان نوره في قلوبهم والرحمة مظلة عليهم فخمدت النار من بردهم عندما لقوها .

ألا ترى أنه قال في حديث رسول الله ﷺ " حتى إن للنار ضجيجا من بردهم " ونسب[٤] البرد إلى المؤمنين ، وأما ضجة النار فمن أجل أنها خلقت منتقمة من [أهل الغفلة][٥] وحشيت بغضب الله ، فإذا جاءت الرحمة ببردها والمؤمن بنوره وبرده ضجت النار مخافة أن تبرد فتضعف عن الانتقام .

وقد روي عن رسول الله ﷺ ما يحقق ما قلنا .

١٠٠ـ **حدثنا** عبد الكريم بن عبد الله عن منصور بن عمار عن بشير بن طلحة الجذامى عن خالد بن دريك عن يعلى بن منبه رضي الله عنه قال[٦] : قال رسول الله ﷺ : " تقول النار للمؤمن : جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي "[٧] .

١٠١ـ **حدثنا** أبو عبد الله بن إسحاق المؤدب ثنا يوسف بن سعيد ثنا سليمان بن[٨] منصور

---

(١) في (د) " فإنما " .

(٢) في (د) " النور " .

(٣) اللوحة (٢٥) ، في المخطوطة " ص " مكررة مع رقم (٢٤) .

(٤) في (د) " فنسب " .

(٥) سقط من (د) .

(٦) سقط من (ص) .

(٧) قال السخاوي في المقاصد الحسنة : رواه الطبراني في الكبير والحكيم في النوادر ، وفي سنده منصور بن عمار الواعظ الشهير ، قال أبو حاتم : إنه ليس بالقوى ، وقال ابن عدي : منكر الحديث ، وأورد له هذا الحديث في كامله وهو مع ذلك منقطع بين خالد ويعلى ، وأرجو أن يكون صحيحًا .

(٨) كذا في (ص) ، (د) ولعل الصواب " عن " .

بن عمار عن بشير بن طلحة الخشنى عن خالد بن دريك عن يعلى بن منبه عن النبى ﷺ قال : " تقول النار : جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي " .

١٠٢ـ وبهذا الإسناد قال : " ينشئ الله لأهل النار سحابة فإذا رأوها ذكروا سحائب الدنيا فتناديهم يا أهل النار ما تشتهون ؟ فيقولون : نشتهي الماء البارد ، قال : فتمطرهم أغلالاً تزداد في أغلالهم وسلاسل تزداد في سلاسلهم " .

والنجاة من الله للعبد في هذا الموطن على قدر محله عنده ، ومحله على قدر ما منّ عليه من المعرفة به وهو اليقين الذي جعل له من ذلك حظًا .

١٠٣ـ حدثنا عمر بن أبى عمر قال : حدثنا عبد الله بن أبى رجاء عن إسرائيل عن السدى(١) قال : سألت مرة عن ذلك ، فحدثنى عن عبد الله أنه حدثهم عن رسول الله ﷺ قال : " يرد الناس النار ثم يصدرون عنها بأعمالهم فأولهم كلمح البرق ثم كالريح ثم كحضر الفرس ثم كالراكب في رحلة ثم كشد الرجل ثم كمشيه ثم كحبوه " .

فإنما ذكر الأعمال لأنها ظاهرة ، والظاهر محنة الباطن وما في القلوب غيب إلا عن خالق الغيب فالظاهر خاصة معرفته إدراك معرفة الباطن فالظاهر شاهد ينبئ عما في الباطن فلذلك ذكر الأعمال .

---

(١) في (ص) " إسرائيل بن السدي " .

الأصل السابع عشر

١٠٤ـ حدثنا حدثنا عمر بن أبي عمر قال : حدثنا محمد بن وهب الواسطى قال : حدثنا بقية قال : حدثني عتبة بن أبي حكيم قال : حدثنا أبو الدرداء الرهاوي عن عبد الله بن بشر المازني [١/ ٢٦/ ب] رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " اتقوا الدنيا فو الذي نفسي بيده إنها لأسحر من هاروت وماروت " .

قال أبو عبد الله رحمه الله :

فهاروت وماروت ليسا من جنس الآدميين وكلٌ إنما يألف جنسه وينخدع له والآدمي خلق من الدنيا فهو يألفها ولها ينخدع ، وشهوات الدنيا في تركيبه مطبوع عليه ، فلذلك صارت أسحر من هاروت وماروت ، وهاروت وماروت لا يعلمان أحدًا السحر ﴿حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ [البقرة : ١٠٢] فهذا يعلمك سحره وينبئك فتنته ، والدنيا تعلمك سحرها وتكتمك فتنتها وتدعوك إلى التحارص عليها والتنافس فيها والجمع لها والمنع منها ، فتتعلم منها ما يفرق بينه وبين طاعة الله ويفرق بينه وبين رؤية الحق ورعايته ومحبتها ، والسحر يأخذ بالقلب عما أنت مقبل عليه من زوجة أوغيرها ، فالدنيا سحرها منها تأخذ بقلبك عن الله وعن القيام بحقوقه وعن وعده ووعيده ، وسحر الدنيا محبتها وتلذذك بشهواتها وتمنيك بأمانيها الكاذبة حتى تأخذ بقلبك ولهذا قال رسول الله ﷺ : حبك الشيء يعمي ويصم .

١٠٥ـ حدثنا بذلك أبي رحمه الله قال : حدثنا يحيى بن عبد الحميد الحماني قال : حدثنا ابن المبارك عن أبي بكر بن أبي مريم الغساني عن خالد بن مخلد الثقفي عن بلال بن أبي الدرداء عن أبيه قال : قال رسول ﷺ : " حبك الشيء يعمي ويصم " .

فمن أحب الدنيا أعمته وأصمته عن آخرته ، ومن أحب الآخرة أعمته وأصمته عن دنياه ، ومن أحب نفسه أعمته وأصمته عن الله تبارك وتعالى ، ومن أحب الله عز وجل أعماه وأصمه عن نفسه .

فإن الدنيا تحجب عن الآخرة والنفس تحجب عن الله تعالى ، ودنياه إنما هي نفسه وشهواتها فسحرها أقرب إليه من سحر هاروت وماروت ، فسحر نفسه ودنياه أصلي وسحر هاروت وماروت دخيل محدث وليس الدخيل كالأصلي .

الأصل الثامن عشر

١٠٦ـ **حدثنا** حميد بن الربيع اللخمي قال : حدثنا سعيد بن شرحبيل قال : حدثنا ابن لهيعة عن الحارث بن ثوبان عن موسى بن وردان عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : " إن المؤمن يُنْضى شيطانه كما يُنْضى أحدكم بعيره في السفر " . [١/ ٢٧/ أ]

قال أبو عبد الله :

فالمؤمن قد وكل به قرينه من الشيطان فإنما يحترز منه بالله فإذا اعترض لقلبه احترز بمعرفته وإذا اعترض لنفسه وهيأ شهواته احترز بذكر الله وإذا اعترض لاموره وأحواله احترز باسم الله فهو أبدًا تضؤو وقد زجره ، فالبعير يتجشم في سفره أثقال حمولته ومع ذلك النصب يجوع ويظمأ ومع ذلك مراعي مختلفة ومياه رنقة غير عذبة فإنما صار نضوًا لهذه الأحوال فكذلك شيطان المؤمن يتجشم أثقال غيظه من المؤمن لما يرى من الطاعة والوفاء لله وإذا أراد أن يشركه في طعامه وشرابه ولباسه ومنامه ومجلسه ومتصرف أحواله زجره وطرده عنه بالتسمية فوقف منه بمزجر الكلب ناحية فإذا أراد أن ينفره حتى يشغله عنه بنفسه نطق بالوحدانية وهي الكلمة العليا التي يهتز العرش لها فقال : لا إله إلا الله ، فإذا سمعها انتكس فصار أعلاه أسفله وولى على وجهه هاربا إلى رسه[(١)] وذلك قوله تبارك وتعالى : ﴿ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْاْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴾ [الإسراء : ٤٦] .

فروي عن أبي الجوزاء أنه قال : " ليس شيء أطرد له من القلب من قول لا إله إلا الله ، ثم تلا : ﴿ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْاْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴾ " .

١٠٧ـ **حدثنا** بذلك ابن زياد قال : حدثنا بشار عن جعفر عن عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء .

١٠٨ـ **قال حدثنا** [(٢)] عبد الله بن أبي زياد قال : حدثنا بشار عن جعفر عن عمرو بن مالك قال : " قرأت في التوراة : إن سرك أن تحيى وتبلغ علم اليقين فاحتل في كل حين أن تغلب شهوات الدنيا ، فإنه من يغلب شهوات الدنيا يَفْرَق الشيطان من ظله " .

١٠٩ـ **حدثنا** عبد الرحمن بن الفضل بن موفق الكوفى قال : حدثنا أبى عن الأوزاعى عن

---

(١) والرس البئر المطوية بالحجارة من هامش (ص) .

(٢) كذا في (ص) و(د) .

سالم عن سُدَيْسَة مولاة حفصة رضي عنهما قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " ما لقي الشيطان عمر قط إلا خر لوجهه " .

١١٠ـ حدثنا سفيان عن[1] وكيع قال : حدثنا عتبة عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : " ما لقي الشيطان عمر رضى الله عنه في فج فسمع صوته إلا أخذ في غيره " .

ومثل عمر رضي الله عنه في هذا الباب مثل أمير ذي سلطان وهيبة استقبله مريب قد [١/٢٧/ب] رفع إليه من ريبته أمورا شنيعة وعرفه بالعداوة له فانظر ماذا يحل بهذا المريب إذا لقيه فإن ذهبت رجلاه فخر لوجهه فغير مستنكر .

(١) كذا في (ص) و(د) ولعل الصواب " بن " .

الأصل التاسع عشر

١١١ـ حدثنا صالح بن محمد[١] قال : حدثنا معلى بن هلال عن ابن أبى ليلى[٢] عن الشعبى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : " أفضل العبادة الفقه وأفضل الدين الورع " .

١١٢ـ حدثنا عمر بن أبى عمر قال : حدثنا الحسن بن على عن يوسف بن خالد السمتى قال : أخبرنا مسلمة بن قعنب عن[٣] نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال : " ما عُبد الله بشيء أفضل من فقه في دين " .

١١٣ـ حدثنا عيسى بن أحمد العسقلانى قال : حدثنا يزيد بن هارون قال : أخبرنا يزيد بن عياض عن صفوان بن سليم عن سليمان بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : " ما عُبد الله بشيء أفضل من فقه في دين ، ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد ، ولكل شيء عماد وعماد هذا الدين الفقه " .

قال أبو عبد الله :

والفقه هو : الفهم وانكشاف الغطاء عن الأمور ، فإذا عبد الله بما أمر ونهى بعد أن فهمه وعقله وانكشف له الغطاء عن تدبيره فيما أمر ونهى فهي العبادة الخالصة المحضة ، وذلك أن الذي يؤمر بالشيء فلا يرى زين ذلك الأمر ، وينهى عن الشيء فلا يرى شينه فهو في عمى من أمره ، فإذا رأى زين ما أمر به وشين ما نهى عنه عمل على بصيره وكان قلبه بها أقوى ونفسه لها أسخى وحَمد على ذلك وشكر ، والذي يعمى عن ذلك فهو حامد القلب كسلان الجوارح ثقيل النفس بطيء التصرف ، والفقه مشتق من تفقؤ الشيء .

يقال في اللغة : فقيء الشيء إذا انفتح وفقيء الجرح إذا انفرج فما اندمل ، فالاسم منه فقيء والهاء والهمزة تبدلان تجزي إحداهما عن الأخرى فقيل : فقيء وفقيه ، والفهم هو العارض الذي يعرض في القلب من النور ، فإذا عرض انفتح بصر القلب فرأى صورة ذلك الشيء في صدره حسنًا كان أوسيئًا ، فالانفتاح هو الفقه ، والعارض هو الفهم وقد

---

(١) في (ص) " محمد بن صالح " .

(٢) في (د) " عن أبي ليلي " .

(٣) في (ص) " بن " .

ذكر الله تعالى في قوله الفقه فقال : ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾[الأعراف : ١٧٩] فاعلم أن الفقه من عمل القلب ، وقال رسول الله ﷺ للإعرابي حين قرأ عليه ﴿فَمَن يَعْمَلْ [١/٢٨/أ] مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ [الزلزلة : ٧-٨] فولى وقال : حسبي حسبي فقال ﷺ : فقه الرجل .

أي : فهم .

وقال أبو الدرداء[١] رضي الله عنه : " إنك لن تفقه حتى ترى للقرآن وجوها كثيرة ، وأن الله تبارك وتعالى كلف العباد لما [أعطاهم][٢] من العلم أن يعرفوه ثم اقتضاهم بعد المعرفة أن يخضعوا له فيدينوا ، فشرع لهم شريعة الحلال والحرام ليدنوا له بمباشرتهم الحلال واجتنابهم الحرام ويؤدوا له فرائضه ، فذلك الدين وهو : الخضوع له والدونُ مشتق من ذلك وكل شيء اتضع فهو دون ، فأمرت بأمور لتضع نفسك لمن اعترفت به ربًا فسمي ذلك الفعل وتلك الأمور منك دينًا فشرع الله لهم الدين فقبلوه طائعين أي : مطيعين أنفسهم له بذلاً وعبودة ، فمن فقه أسباب هذه الأمور التي أمر ونهى لماذا أمر ورأى زينة ما أمر وبهاءه تعاظم ذلك عنده وكبر في صدره شأنه ، ومن فقه أسباب نهيه لماذا نهي ورأى شينه تعاظم ذلك عنده وكبر في صدره شأنه فكان أشد تسارعا فيما أمر وأشد هربًا وامتناعًا مما نهى ، فالفقه في الدين جند عظيم يؤيد الله تعالى به أهل اليقين الذين عاينوا محاسن الأمور ومشاينها وأقدار الأشياء وحسن تدبير الله في ذلك لهم بنور يقينهم ليعبدوه على يسر ، ومن حرم ذلك عبده على مكاره وعسر لأن القلب وإن أطاع وانقاد لأمر الله تعالى فالنفس إنما تخف وتنقاد إذا رأت نفع شيء أو ضرر شيء ، والنفس جندها الشهوات ومحتاج صاحبها إلى أضدادها من الجنود حتى يقهرها وتنقاد له وهو الفقه .

قال له قائل : صف لنا واحدة من هذه الأمور نفهم بها غيرها؟ قال : نعم ، أحل الله عز وجل النكاح وحرم الزنا وإنما هو إتيان واحد لامرأة واحدة إلا أن هذا بنكاح وذاك بزنا فإذا كان من بنكاح فمن شأنه العفة والتحصين للفرج ، فإذا جاءت بولد

---

(١) في (د) " وقول أبي الدرداء " .

(٢) ما بين المعقوفين غير واضح في (ص) .

ثبت النسب وجاء العطف من الوالد بالنفقة والتربية والميراث ، وإذا كان من زنا ضاع الولد لأنه لا يدري أحد من الواطئين لمن هذا الولد فهذا يحيله على ذلك ، وذلك يحيله على هذا ، وحرم الله عز وجل الدماء وأمر بالقصاص ليتحاجزوا وليحيوا ولذلك قال تعالى في تنزيله : ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة : ١٧٩] [١/ ٢٨/ ب] واحراز الأموال وأمر بقطع اليد السارقة ليتماتعوا بما ملكت أيديهم وكذلك قال في تنزيله : ﴿ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [المائدة : ٣٨] قال : والنكل الامتناع ، فأمر بقطع يده ليمتنع من ذلك ، فإن عاد فرجله فعلل بما أمر ونهي تنبيها لأولي البصائر والعقول ولمن رزق لُبًّا .

١١٤ـ حدثنا المهدى بن على السمنانى قال : حدثنا أحمد بن صالح المصرى قال : حدثنا ابن وهب قال : أخبرنى عمرو بن الحارث عن عباد بن سالم عن(١) سالم بن عبد الله عن أبيه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " إذا أراد الله بعبد خيرا يفقهه " .

١١٥ـ حدثنا محمد(٢) بن زنبور المكى قال : حدثنا إسماعيل بن جعفر المدنى قال : حدثنا عبد الله بن سعيد بن أبي هند(٣) عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال : " من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين " .

١١٦ـ حدثنا نصر بن على الحرانى قال : أخبرنا هارون بن مسلم قال : أخبرنا عبد الله بن الأخنس عن الوليد بن عبد الله بن أبى مغيث مولى عبد الدار عن يوسف بن ماهك قال : كان معاوية رضي الله عنه قليل الحديث عن رسول الله ﷺ وقلّ ما قام خطيبًا إلا قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين ، يا أيها الناس تفقهوا " .

---

(١) في (ص) " بن " .
(٢) في (ص) " أحمد " .
(٣) في (ص) " عبد الله بن سعيد عن ابن هند " .

الأصل العشرون

١١٧- حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري قال : أخبرنا محمد بن ربيعة عن كامل بن العلاء عن أبى صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " عمر أمتي من ستين سنة إلى سبعين سنة " .

١١٨- حدثنا يحيى بن المغيرة المخزومى المدنى قال : أخبرنا بن أبى فديك عن إبراهيم بن الفضل عن المقبري عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول ﷺ : " معترك المنايا ما بين الستين إلى السبعين " .

١١٩- حدثنا هارون بن حاتم الكوفى قال : حدثنا[(١)] ابن أبى فديك عن إبراهيم بن الفضل عن المقبرى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول ﷺ : " أقل أمتي أبناء السبعين " .

قال أبو عبد الله رحمه الله :

فهذا من رحمة الله على هذه الأمة وعطفه عليهم . [١/٢٩/أ] أخر منهم في الأصلاب حتى أخرجهم إلى الأرحام بعد أن نفدت الدنيا ثم قصر أعمارهم لئلا يتلبسوا بالدنيا إلا قليلاً ولا يتدنسوا ؛ فإن القرون الماضية كانت أعمارهم وأجسادهم وأرزاقهم على الضعف كان أحدهم يعمر ألف سنة وجسمه ثمانون باعًا[(٢)] بالباع الأول ، والحبة من القمح مثل كلوة البقر ، والرمانة الواحدة يجتمع عليها عشرة نفر ، والعنقود مثلها[(٣)] فكانوا يتناولونه من هذه الدنيا على[(٤)] هذه الصفة على مثل تلك الأجساد في مثل تلك الأعمار ، فمنها أشروا وبطروا واستكبروا وأعرضوا عن الله فصب الله عليهم سوط عذاب فقال الله تعالى في تنزيله : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ * وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ * وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ * الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴾ [الفجر : ٦-١٣] ثم قال ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾ [الفجر : ١٤] أي لهم ولجميع خلقه .

---

(١) تكرر في (ص) " قال : حدثنا قال : حدثنا " .
(٢) في (د) " ذراعاً " .
(٣) في (ص) " مثله " .
(٤) سقط من (ص) " على " .

١٢٠. حدثنا الجارود قال : حدثنا أبو ضمرة عن زيد بن أسلم قال : " لقد رأيت ضبعًا وأولادها رابضة في حجاج عين من العمالقة " .

١٢١. حدثنا أبي رحمه الله قال : حدثنا حوشب بن عبد الرحمن قال : حدثنا ابن المبارك عن[(١)] مجاهد عن زيد بن أسلم عن عطاء عن كعب الأحبار قال : " بلغني أن نوحًا كان قاعدًا فجاءه شاب صبيح فنظر إليه نوح فقال : يا هذا كم أتى لك ؟ قال : مائة سنة قال : احتلمت؟ قال : لا ، ثم جاءه آخر أجمل من الأول ، فقال له : كم أتى لك؟ قال : خمسمائة سنة ، قال : احتلمت؟ قال : لا ، فلم يزل الناس ينقصون في الخلق والخُلق والرزق والأجل " .

روي ذلك عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما إلى أن صارت هذه الأمة أخر الأمم وصارت أرزاقهم في هذه الهيئة والأجسام بهذه المقادير والأعمار بهذا القصر حتى أخذوا من الدنيا أرزاقًا قليلة بأجسام ضعيفة في مدة قصيرة حتى لا يأشروا ولا ينظروا ، فهذا تدبير من الله رحمة لهذه الأمة وخِيَرة لهم ، ثم ضوعف لهم الحسنات فجعلت الحسنة الواحدة بعشرة إلى سبعمائة إلى ما لا يعلمه من التضعيف إلا الله وأيدوا باليقين وأعطوا ليلة القدر ، وذلك لما رأى رسول الله صلي الله عليه وسلم [١/ ٢٩/ب] من قصر أعمارهم وجد من ذلك وجدًا شديدًا لحال العبودية والأخذ بحظهم منها فأعطوا ليلة القدر .

١٢٢. لذلك حدثني به أبي عن مطرف عن مالك بن أنس رضى الله عنه

فجعلت حسناتهم على ثلاث منازل لأنهم ثلاثة أصناف : ظالمون ، ومقتصدون ، وسابقون ، فالصنف الأول : هم أهل تخليط قوم موحدون لا يرعوون عن الحرام ولا يحفظون حدود الله خلطوا عملاً صالحًا وآخر سيئًا فهم الظالمون والحسنة منهم بعشر أمثالها .

والصنف الثاني : قوم هم متقون متورعون قائمون على الحدود على سبيل الاستقامة وهم المقتصدون والحسنة منهم بسبعمائة ؛ لأن جوارحهم قد صارت مسبلة لله قد

---

(١) في (ص) " بن " ولم أستطع قراءتها في (د) والمثبت الصواب كما في كتب التراجم .

استقامت على سبيل الله فإذا أنفقوا من جوارحهم عملاً كان بسبعمائة كالذي ينفق ماله في سبيل الله فهو بسبعمائة .

ومما يحقق ذلك قوله ﷺ : إذا حسن إسلام العبد تمم الله له عمله بسبعمائة ضعف . فقوله : حسن إسلامه ، هو أن يكون مستقيم الطريق إلى ربه لا يعرج يمينًا وشمالاً أي : لا يعصي . فهذا ترفع أعماله من جوارح طاهرة والأول من جوارح دنسة .

والصنف الثالث : قوم أهل يقين انتبهوا وحييت قلوبهم بالله وماتت منها الشهوات وهم السابقون المقربون فأعمالهم مضاعفة لا يعلم تضعيفها إلا الله عز وجل وهو قول رسول الله ﷺ : " إن الرجل من أمتي ليبلغ بوزن الحرف الواحد من تسبيحه زنة أُحدٍ " .

وما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال : إن الرجل من هذه الأمة يعدل عمل يومه سبع سموات وسبع أرضين .

وبما روي عن كعب : أن الرجل من هذه الأمة ليخر ساجدًا فيغفر لمن خلفه ، فكان كعب يتوخى الصف المؤخر من المسجد رجاء ذلك ويذكر أنه وجده كذلك في التوراة وقد ذكر الله عز وجل في تنزيله هذه الأصناف فقال : ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [فاطر : ٣٢] ثم قال ﴿ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴾ وقال في شأن التضعيف : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ [الأنعام : ١٦٠] فقد دخل فيه الكل ثم قال : ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ﴾ [البقرة : ٢٦١] [١/ ٣٠/ أ] فهذا لمن أنفق ماله في سبيل الله فكيف من انفق جوارحه في سبيله ، فإذا لم تكن الجوارح [سليمة](1) لم يمكنه أن ينفق منها في سبيله إنما ينفق منها كما ينفق أحدهم دراهمه في سبيل الخيرات ههنا في وطنه ثم قال : ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾ [البقرة : ٢٤٥] فالقرض الحسن هو الذي يعطى من غير التفات إلى ما أعطي فهذا له بأضعاف ما لا يحصي عدده وقد حملنا هذه الكلمة في تفسير القرض الحسن ، وقد شرحته في بابه في قصة أبي الدحداح رضى الله عنه .

---

(١) غير واضحة في (ص) .

الأصل الحادي والعشرون

١٢٣. **حدثنا** أبو سنان قال : حدثنا عبد الله بن صالح قال : حدثنا معاوية بن صالح عن جليسه يزيد بن ميسرة قال : سمعت أم الدرداء تقول : سمعت أبا الدرداء يقول : سمعت أبا القاسم ﷺ. وما سمعته يكنيه قبلها ولا بعدها. يقول : " إن الله قال : يا عيسى إني باعث من بعدك أمة إن أصابهم ما يحبون حمدوا وشكروا ، وإن أصابهم ما يكرهون صبروا واحتسبوا ولا حلم ولا علم ، قال : يا رب وكيف يكون هذا لهم ولا حلم ولا علم؟ قال : أعطيتهم من حلمي وعلمي " .

قال أبو عبد الله :

فهذه أمة مختصة بالوسائل من بين الأمم محبوة بالكرامات مقربة بالهدايات محظوظة من الولايات وَلِيَ الله هدايتهم وتأديبهم وقرب منازلهم ورفع منقلبهم في عليا الدرجات مسمون في التوراة صفوة الرحمن ، وفي الإنجيل حكماء علماء أبرار أتقياء كأنهم من الفقه أنبياء ، وفي القرآن : ﴿ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة : ١٤٣] أي : عدلاً وشهداء الله في الموقف للأنبياء عليهم السلام على الأمم ، وخير أمة أخرجت للناس ، والمنادون بجانب طور سيناء يا أمة أحمد سبقت لكم رحمتي غضبي أعطيتكم قبل أن تسألوني وغفرت لكم قبل أن تستغفروني وأجبتكم قبل أن تدعوني ، وهو قوله : ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا ﴾ [القصص : ٤٦] ويعجب بهم الزراع ليغيظ بهم الكفار ﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح : ٢٩] غر محجلون ، غر من السجود محجلون من الوضوء وهو قوله جل جلاله : ﴿ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾ [الفتح : ٢٩] .

١٢٤. **حدثنا** حفص بن عمرو قال : قال أخبرنا الحكم بن نافع الحمصي قال : حدثنا صفوان بن عمرو السكسكي عن يزيد بن حمير الرحبي عن عبد الله بن بشر المازني رضي الله عنه قال : قيل يا رسول الله كيف تعرف أمتك يومئذ؟ قال : " أرأيت لو كان [١/ ٣٠/ ب] لأحدكم خيل دهم وفيها أغر محجل أما كان يعرفه؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : فإن أمتي يومئذ غر من السجود محجلون من أثر الوضوء " .

جعلهم الله أهل حمية ونصرة فسماهم مهاجرين وأنصارًا هاجروا في ذاته الوطن والأهل والمال والولد ونصروا الله ، ثم من سار على منهاجهم بعدهم سماهم تابعين بإحسان ثم

جمعهم في استحقاق الفيء الذي خصهم به من بين الأمم وقال : ﴿ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾ [الأنفال : ٦٩] ولم تحل لأمة قبلهم فقال في ذكر الفيء : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ﴾ [الحشر : ٨] ثم قال : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ﴾ [الحشر : ٩] وهم : الأنصار ثم قال : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ ﴾ [الحشر : ١٠] وهم التابعون ، فجعلهم في هذه اللقمة الهنية الطيبة المباركة التي صيرت طعمة لهذه الأمة خصوصًا شركاء ، فلم يخرج التابعين من ذلك ، ثم جمعهم في الرضا عنهم فقال : ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ [التوبة : ١٠٠] وقد شرحت هذه القصة في نوادر المسائل ، فنشر الله كرامة هذه الأمة وسعادة جدِّهم عنده وما منحهم من الأخلاق وما من به عليهم من بين الأمم في الكتب من التوراة والإنجيل والفرقان لعظم أقدارهم عنده فإنما صارت هذه الأمة حكماء علماء وأبرارًا وأتقياء وفقهاء ، وعلى الكفار أشداء وفيما بينهم رحماء وغيظًا للكفار وممن يعجب الزراع بهم بخطة واحدة بها قالوا هذه الأشياء وهو أن هداهم لسبيله وهو الذي تولى هدايتهم ، فبالهداية قالوا ذلك والأولون لم ينالوا ذلك إلا الواحد بعد الواحد وهو قول رسول ﷺ : " أعطيت أمتي من اليقين ما لم يعط أمة " . وهوقوله : ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ۞ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴾ ثم قال : ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر : ١٧-١٨]

ومما يحقق ما قلنا ما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : ما من نبي إلا وقد أعطي من الآيات ما على مثله آمن البشر وإني لم أبعث بآية وإنما أوحى إلي وحيا ، ثم أنا أكثر الأمم تبعا .

١٢٥ـ حدثنا بذلك أبى رحمه الله قال : حدثنا الحمانى قال : حدثنى ابن أبى الزناد [١/ ٣١/أ] عن أبيه عن موسى بن أبى عثمان عن أبيه(١) عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : سمعت رسول ﷺ يقول : " إني(٢) أطمع أن أكون أعظم الأنبياء أجر عند الله

---

(١) سقط من (د) " أبيه " .

(٢) سقط من (د) " إني " .

يوم القيامة ، كلهم أوتي من الآيات ما الذي أوتيته ما[١] بمثله اعتبر البشر ، وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أوحاه الله إلى ثم أنا أكثرهم تابعة » .

قال له قائل : وما تلك الهداية؟ قال : إن الله تبارك اسمه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم فمن هداه هدى التوحيد فإنما أعطاه نورًا هداه لمعرفته بأنه واحد ثم تركه مع مجاهدة نفسه في أمره ونهيه حتي يقطع عمره بذلك فيلقاه مجاهدًا لنفسه على سبيل الاستقامة ، فيثيبه الجنة على ذلك ، وإنما صار هكذا لأنه أعطاه من النور ما عرفه ربًا واحدًا لا شريك له ، ثم جاءت الشهوات فأحاطت بقلبه فلم تتركه على سبيل أهل الوفاء حتى يكون له عبدًا بجميع جوارحه في جميع منقلبه كما عرفه ربًا فيكون واقفا عند أمره ونهيه مراقبًا لحدوده فهذه هداية العامة فلن تنال بهذا تلك الصفة التي ذكرت في التوراة والإنجيل والفرقان لأن النفس بما فيها من الهوى غلبت[٢] على القلب فلا تتركه على الاستقامة حتى تميل به يمينًا وشمالاً .

فأما هداية العصمة والولاية بأن يقذف الله في قلب العبد نورًا وهو اليقين حتى يهتك حجب الشهوات التي تراكمت في صدره على قلبه فيمتلئ قلبه نورًا ويشرق صدره فتصير الآخرة له كالمعاينة .

كما قال حارثة رضي الله عنه لرسول الله ﷺ : كأني أنظر إلى عرش ربي بارزًا ، وإلى أهل الجنة كيف يتزاورون ، وإلى أهل النار كيف يتعاوون فيها ، فعزفت نفسي عن الدنيا ، فقال رسول الله ﷺ : عرفت فالزم ، عبد نوّر الله الإيمان في قلبه . فهذا نور على نور ، وذهبت ظلمات الشهوات من الصدور وهي التى كانت تحجبه عن الله وعن وعده ووعيده وتحلى في صدره شأن الدنيا ، فعامة هذه الأمة من السلف برزوا وصارت أئمة باليقين النافذ قد نفدوا الأسباب إلى وليها فلم يبقوا مع الأسباب ولا بقيت لهم علاقة وهو قوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [العنكبوت : ٦٩] .

فالهدي على ثلاث منازل :

---

(١) « ما » زيدت من (د) .

(٢) في (د) « الهوى قد غلبت » .

هدي على سنة الرسل وهو البيان يدعوهم ويبين لهم [١/ ٣١/ ب] فتلك هداية الظاهر وهو قوله ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ ﴾ [فصلت : ١٧] فإنما هداهم بالرسول . وهدي على القلب يجعل فيه نورًا فيعرفه ربًا واحدًا وهو قوله : ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ ﴾ [الأنعام : ١٢٢] فتلك هداية الباطن وهو الإيمان . وهدى على القلب هدي الولاية وهو أن يقذف بالنور في قلبه بعد هذا ويستقر فيه وهو اليقين ، وإنما سمي يقينًا لأنه استقر فيمتلئ قلبه نورًا ويشرق صدره به ويتصور له الدنيا والآخرة وشأن الملكوت في صدره ، وتصور له أمور الإسلام حتى تذل النفس وتنقاد ويلقي بيديه سلمًا من الخشية والهيئة والسلطان الذي حل بقلبه وصدره[١] وهو قوله ﴿ أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ﴾ [الزمر : ٢٢] فشرح الصدر إنما يكون من النور الذي يستقر فيقال له يقين ، وأما نور التوحيد في القلب والصدر بتراكم دخان الشهوات مظلم كالليل وكالغيم وكالغبرة وكالدخان وكالقتار .

وهدى رابع على القلوب هدى النبوة ويكون نور وجهه الكريم يوصل قلوبهم إلى وحدانيته ويشرق صدورهم بنوره ويجعلهم في قبضته ويرعاهم بعينه ويؤيدهم بروح قدسه ، قال الله تبارك اسمه في تنزيله : ﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ﴾ [الأنعام : ٧١] أي : أن ذلك الهدى الذي على ألسنة الرسل غير نافع ولا مغيث ، فإنما الهدى هداي الذي أهدي على القلوب وإن كان ذاك أيضًا يسمى هدى فهذا أحق الهدى وهو كما روي عن رسول الله ﷺ : " ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس "

فقال إن هدى الله هو الهدى وهدى الرسل حجة الله على خلقه بأن يبين لهم على ألسنتهم ضلالة سبيلهم وأعطاءهم إخلاصًا ومعرفة بالأمور ونصرًا لا يغني شيئًا[٢] وأن هدى الله هو الهدى ثم ذكر هذه الأمة فقال في مبتدأ ﴿ وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [آل عمران : ٧٢] وكانت هذه حيلة من اليهود كي يشبهوا على المسلمين فيستزلهم فأمروا طائفة منهم أن يأتوا

---

(١) في (د) " وفي صدره " .

(٢) " شيئاً " غير واضحة في (ص) .

رسول الله ﷺ فيومنوا به ثم يرجعوا إليه من آخر النهار مرتدين يخاصموه ويحاجوه حتي يشككوا [١/ ٣٢/ أ] أصحابه ، فقال الله تبارك اسمه قل يا محمد : ﴿ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران : ٧٣] أي : إن الهدى الذي آتيناكم يا أمة محمد هدى الله وقوله : ﴿ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ ﴾ معرفة وليست نكرة ، كأنه يشير إلى شيء مخصوص يعني : الهدى الذي أتى هذه الأمة هو هدى الله أي : هو الذي تولاكم بالهداية .

ثم قال : ﴿ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ ﴾ [آل عمران : ٧٣] أي : لن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أي : من الهدى وهو اليقين ، وهو قول رسول الله ﷺ : " ما أعطيت أمة من اليقين ما أعطيت هذه الأمة " .

ثم قال : ﴿ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ﴾ [آل عمران : ٧٣] وهي المحاجة التي ذكر رسول الله ﷺ في الحديث يوم القيامة .

ثم قال : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ * يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [آل عمران : ٧٣] .

١٢٦ـ فأما الحديث فحدثنا سفيان بن وكيع قال : حدثنا عبد الوهاب الثقفى عن أيوب عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال : " مثلكم ومثل اليهود والنصارى كمثل رجل استعمل عمالاً فقال : من يعمل لي من صلاة الصبح إلى نصف النهار على قيراط قيراط ألا فعملت اليهود ، ثم قال : من يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط ، ألا فعملت النصارى ، ثم قال : من يعمل لي من صلاة العصر إلى صلاة المغرب على قيراطين قيراطين ألا فأنتم فغضبت اليهود والنصارى وقالوا : نحن أكثر عملاً وأقل عطاء . فقال : أظلمتكم من حقكم شيئا قالوا : لا ، قال : إنما هو فضل الله " .

فقوله " نحن أكثر عملاً وأقل عطاء " هو المحاجة عند ربهم قوله : ﴿ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ ﴾ ، فذكر في الآية أن هذه الأمة مختصة بالرحمة مفضلة بالكرامة ، فالفضل الذي آتاهم على الأمم أن أعطاهم اليقين فيه برزوا وفيه انكشف الغطاء عن قلوبهم حتى صارت الأمور لهم معاينة .

١٢٧ـ حدثنا المؤمل بن هشام اليشكرى قال : أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم عن غالب القطان عن بكر بن عبد الله المزني رضى الله عنه قال : " لم يفضل أبو بكر رضي الله عنه

الناس بكثرة صوم ولا صلاة إنما فضلهم بشيء كان في قلبه " .

١٢٨ـ حدثنا أبي [١/ ٣٢/ ب] رحمه الله قال : أخبرنا الحسن بن سوار عن المبارك[(١)] عن الحسن رضي الله عنه قال : " إنما غلب عمر الناس بالزهد واليقين " .

١٢٩ـ حدثنا أبو السائب بن جنادة قال : حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن عمارة بن عمر عن عبد الرحمن بن يزيد قال : قال عبد الله رضي الله عنه : " أنتم اليوم أكثر صيامًا وجهادًا وصلاة من أصحاب رسول الله ﷺ وهم كانوا خيرًا منكم قالوا : فبم ذاك يا أبا عبد الرحمن؟ قال : كانوا أزهد في الدنيا وأرغب في الآخرة " .

١٣٠ـ حدثنا أحمد بن عبد الله المهلبي قال : حدثنا سفيان عن ابن أبي خالد[(٢)] عن قيس بن أبي حازم قال : قال طلحة بن عبد الله رضي الله عنه : " ما كان عمر رضي الله عنه أولنا إسلامًا ولا أقدمنا هجرة ، ولكن أزهدنا في الدنيا وأرغبنا في الآخرة "[(٣)] .

فأما قوله فى حديث عيسى عليه السلام : فإن أصابهم ما يحبون حمدوا وشكروا ، والحمد هو التكلم بكلمة الحمد ، وأما الشكر فهو رؤية النعمة من الله ، ومن رأى النعم من الله ذللته أثقال النعم وانقاد لله فإن الآدمي مطبوع هكذا أن من أحسن إليه فقد سبى قلبه وصار له كالآخذ باليد يذهب به حيث يشاء ، والنفس يهيمها البر واللطف والرفق والإحسان ، فإذا رأى العبد من الله إحسانه وبره تذلل له فاستحيى منه أن يخالف أمره .

ولهذا ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال : جبلت القلوب على حب من أكرمها وبغض من أهانها .

رواه الأعمش عن خيثمة عن أبيه .

١٣١ـ حدثنا أحمد بن عبد الله الأزدى قال : حدثنا يحيى بن معين عن هشام بن يوسف

---

(١) في (د) " ابن المبارك " .

(٢) في (ص) " أبي خالد " .

(٣) تكرر في (ص) " حدثنا أحمد بن عبد الله المهلبى قال : حدثنا شقيق بن أبى خالد عن قيس بن أبى حازم " .

الصنعانى عن عبد الله بن سليمان النوفلى عن محمد بن على بن[1] عبد الله بن عباس عن أبيه عن جده عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : " أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه ، وأحبوني بحب الله ، وأحبوا أهل بيتي لحبي " .

١٣٢- حدثنا عبد الله بن الوضاح اللؤلؤى قال : أخبرنا يحيى بن يمان عن يوسف الصباغ عن الحسين رضي الله عنه قال : قال موسى رسول الله ﷺ [١/٣٣/أ] : " يا رب كيف شكرك آدم عليه السلام؟ قال : إذ علم أن ذلك مني فكان ذلك شكره " .

وأما قوله : " احتسبوا وصبروا " ، فالاحتساب أن يرى ذلك الشيء الذي أخذه لله وإن كان قد صيره باسمه فالأصل هو لله فيحتسبه لله كما هو في الأصل .

وصبر أي : ثبت فلم يزل عن مقامه لله بزوال ذلك الشيء عنه ، فإن العبد المؤمن يقول : إنا لله وها أنا ذا بين يديه مقيم في طاعته ونعم الله عليه سابغة فإذا امتحنه وأزال عنه نعمه زال عن مقامه ذلك طالبًا لتلك النعمة التي زالت فليس ذلك ثباتا والصبر هو: الثبات على المقام بين يديه فلا يعصيه .

وأما قوله : " ولا حلم ولا علم " فكأنه يخبر أن الله تعالى قدر حلمًا وعلمًا لخلقه يتحالمون فيما بينهم ويتعالمون فبذلك الحلم يتخلقون بأخلاقهم كما قدر فيهم رحمة واحدة فقسمها بينهم فبها يتراحمون فيما بينهم وبها يتلاطفون ومنه قول رسول الله ﷺ : " إن الله عز وجل قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم " فكانت هذه الأمة آخر الأمم فرق ذلك ودق فلو تركهم على رقة تلك الأخلاق ورقة تلك الأحلام وقلة العلم لم ينالوا من الخير إلا يسيرًا وهو قول عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : " ولم يزل الناس ينقصون في الخَلق والخُلق والرزق والأجل من زمن نوح عليه السلام وقد كان أحدهم يعمر ألف سنة " .

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما : " أن البرة فيهم كانت ككلوة البقر ، والرمانة الواحدة يقعد في قشرها عشر نفر .

١٣٣- حدثنا بذلك الفضل بن محمد قال : حدثنا هشام بن خالد الدمشقى عن خالد الفسوى

---

(١) في (ص) " عن " .

عن الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما : " والرجل في خلقه ثمانون باعًا فصارت الأعمار ما بين الستين إلى السبعين ، والبرة هكذا والحلقة هكذا " .

فانظر كم التفاوت بين العمرين وبين الخلقتين وبين الرزقين ، فكذلك بين الخَلقين فكأنه على نحو ما ذكر لم يبق لنا من الحلم والعلم من الحظ إلا يسير كأن ما يفسد أكثر مما يصلح وكنا في المثال كيأجوج ومأجوج إذ كان لا حلم ولا علم فصرنا بمنة الله علينا بهذه الصفة التي وصف .

" إن أصابهم ما يحبون حمدوا وشكروا ، وإن أصابهم ما يكرهون احتسبوا وصبروا حتى برزوا على الأمم وصاروا صفوة [١/ ٣٣/ ب] ، والمقدمين يوم القيامة والمبدوء بهم وحرام على الأمم دخول الجنة حتى تدخلها هذه الأمة " فسأل عيسى عليه السلام ربه فقال : كيف يكون هذا الفضل لهم ولا حلم ولا علم؟ قال : أعطيهم من حلمي وعلمي وهو اليقين الذي أعطيت هذه الأمة ، فقال رسول الله ﷺ : " أعطيت أمتي ما لم يعط أحد " وهو قوله تعالى : ﴿ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ ﴾ [آل عمران : ٧٣] ثم قال : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ ﴾ [آل عمران : ٧٣] أي : بفضله ﴿ عَلِيمٌ ﴾ أي : بمن له أهل ، يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ، وقوله تعالى : ﴿ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الفتح : ٢٦] فقوله : " أعطيهم من حلمي وعلمي " أي : أعطيهم النور في قلوبهم فينشرح له صدورهم وتتسع فهو حلمه ، والحلم : اتساع القلب والصدر بالأمور ، فكلما دخل الصدر فكرة أمرٍ ذاب فيه وانهضم كما ينهضم الطعام في المعدة فاتسع الصدر للأمور وصلحت الأمور فيه فطابت ، فكل طعام لا ملح فيه فلا طعم له وكل أمر لا حلم له في القلب فلا يتسع له ، ولا تجد النفس طعم ذلك الأمر فتلفظه ، فإذا لفظته ضاق الصدر فإذا ورد النور على القلب اتسع الصدر لذلك الأمر فمنه تخرج محاسن الأخلاق والأفعال وهو قوله : ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ ﴾ [الزمر : ٢٢] والحلم والملح يرجعان إلى معنى واحد ، وكل واحد منهما ثلاثة أحرف تستعمل كل واحد منهما في نوعه ، وأما قوله : " ومن علمي " فإنه لما ورد النور على قلوبهم صاروا في العلم بالله والعلم بأسمائه الحسنى إلى ما سبى قلوبهم وصارت قلوبهم متعلقة بذكره فاحتشت صدورهم من الحكمة وفهموا عن الله تعالى وصاروا أبرارًا أتقياء

فقهاء ولو تركهم على قسمهم وحظهم في آخر الأمم من الذي كان قدر لجميع الخلق من الحلم والعلم والرحمة لكانت هذه الأمة أدنى الأمم وأخسها ولما مَنَّ عليهم بعطائه الواسع الكريم برزوا على الأمم .

فلذلك قال رسول الله ﷺ : " أنتم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله تعالى " ، فإنما قووا على أن صاروًا مهاجرين وأنصارا هجروا أوطانهم وأموالهم [١/ ٣٤/ أ] وأولادهم ونصروا الله تعالى ورسوله ﷺ وصاروا من بعدهم تابعين لهم بإحسان بمثل هذا العطاء الواسع واليقين النافذ. أي : النافذ من الأسباب إلى ولي الأسباب ؛ لأن النفس من شأنها أنها لا تترك شيئا قبضت عليه حتى تطمع في شيء خير منه وإلا فمخاليبها أحدّ من أن يقدر على الانتزاع منها ، فإذا كان في كفها درهم فأطمعت في دينار فرأت الدينار رمت بالدرهم وأعرضت عنه ثم هي مقبلة على الدينار ، فإذا أطمعت في جوهر فنظرت إلى الجوهر الذي يعدل ملء بيت دينارا لهت عن الدينار وصارت خدرة ذبلة وضعفت قوة مخاليبها فبقيت سَلِسَةً فأقبلت على الجوهر مُعرضةً عن الدينار والدرهم مشتغلةً بالجوهر وتعناها به فلولا أن من الله تعالى على هذه الأمة بهذا اليقين حتى طالعوا الملكوت وعظم جلال الله في صدورهم متى كانوا ممن يؤبه لهم ويعبأ بهم وهم آخر الأمم وأقلهم حظًا من الحلم والعلم الذي قدر لهذه الأمة .

وروي عن كعب رضي الله عنه أنه قال : " لما نظر موسى عليه السلام في الألواح قال : يا رب إني أجد في الألواح صفة قوم على قلوبهم من النور أمثال الجبال تكاد البهائم تخر لهم سجدًا إذا رأوهم من النور الذي في صدورهم قال : تلك أمة أحمد يذمون أنفسهم ولا يعجبون بها ، فمن سعة أخلاقهم ونور قلوبهم أمكنهم أن يهاجروا وينصروا الله ورسوله . وقالت بنو إسرائيل لموسى عليه السلام : ﴿ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴾ [المائدة : ٢٤] ولهذه الأمة من العلم بالله وبوحدانيته ما لم يسبقهم إليه أحد إلا النبيون .

ومما يدل على ذلك أنه جعل في هذه الأمة صديقين خلفًا من النبيين .

١٣٤ـ حدثنا محمد بن محمد بن حسين ثنا الحجاج بن منهال عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أبى ظبية عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : " أجد في الكتب أن هذه

الأمة تُحِب ذكر الله كما تحب الحمامة وَكْرَهَا وهم أسرع إلى ذكر الله من الإبل إلى وردها يوم ظمئها " .

وفيما روي في حديث شعيب أن الله تعالى قال لبني اسرائيل : سميتكم أحبائي ، فهان عليكم ذلك[(١)] ، وسأوثر بذلك الاسم من يطيعني ويعقل أمري ، قومًا إذا زكت أعمالهم علموا أن ذلك مني وإذا أقسموا لم يقسموا بغيري ولا يسبون ولا يلعنون زَرْع بَرَكَةٍ وهم وأبناؤهم [١/ ٣٤/ ب] وأجيبهم من قبل أن يدعوني ، وأعطيهم من قبل أن يسألوني ، وأوفهم من قبل أن يتكلموا أبعث لهم نبيًا أميًا عبدًا المتوكل المصطفي المرفوع المختار يعفو ويصفح ولا يجزى بالسيئة السيئة ، أفتح به أعينًا كمها وآذانًا صمًا وقلوبًا غلفًا أسدده لكل جميل ، وأهب له كل خلق كريم ، اجعل السكينة لباسه ، والبر شعاره ، والتقوى ضميره ، والحكمة معقودة ضميره[(٢)] والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمغفرة والمعروف خلقه ، والعدل سيرته ، والحق شريعته والهدى إمامه ، والإسلام ملته ، وأحمد اسمه ، أهدي به بعد الضلالة ، وأرفع به بعد الجهالة ، وأسمي به بعد النكرة ، وأكثر به بعد الضلالة ، وأغني به بعد العيلة ، وأجمع به بعد الفرقة وأؤلف به بين قلوب مختلفة ، وأجعل أمته خير أمة زعاة الشمس طوبى لتلك القلوب والوجوه والأرواح التى أخلصت إليّ ، ألهمهم التسبيح والتكبير والتمجيد والتحميد والتوحيد في مساجدهم ومجالسهم ومضاجعهم ومنقلبهم ومثواهم يصفّون في مساجدهم كما تصف الملائكة حول عرشي ، أوليائي وأنصاري ، أنتقم بهم من أعدائي عبدة الأوثان يصلون لي قيامًا وقعودًا وركوعًا وسجودًا يخرجون من ديارهم وأموالهم ابتغاء مرضاتي ، ويقاتلون في سبيلي صفوفًا وزحوفًا[(٣)] يطهرون الوجوه والأطراف ، ويأتزرون على الأنصاف ويكبرون ويهللون على الأشراف قربانهم دماؤهم وأناجيلهم في صدورهم رهبان بالليل ليوث بالنهار ينادي مناديهم في جو السماء لهم دوي كدوي النحل إذا غضبوا هللوني وإذا فزعوا كبروني وإذا تنازعوا

---

(١) في (د) " فهان ذلك عليكم " .

(٢) " ضميرة " سقطت من (د) .

(٣) هكذا استظهرت قراءتها بالمخطوطة .

سبحوني ، أجعل في أهل بيته وذريته السابقين والصديقين والشهداء والصالحين وأمته من بعده يهدون بالحق وبه يعدلون ، أختم بكتابهم الكتب وبشريعتهم الشرائع وبدينهم الأديان ، وأختم بهم الخير الذي بدأته ، ذلك من فضلي(١) أوتيه من أشاء .

---

(١) في (ص) « ذلك من فضلي » .

الأصل الثاني والعشرون

١٣٥ـ حدثنا محمد بن المثنى أبو موسى الزمن ثنا معاذ بن هشام حدثنى أبي عن يونس عن قتادة عن أنس رضي الله عنه قال : [١/ ٣٥/ أ] " ما أكل رسول الله ﷺ على خوان قط ولا في سكرَّجة ولا خبز له مرقق ، قلت لأنس : فعلى ما كانوا يأكلون؟ قال : على السفر " .

قال أبو موسي : يونس هذا هو ابن الفرات الأسكاف .

قال أبو عبد الله رحمه الله :

الخوان هو شيء محدث فعلته الأعاجم ولم تكن العرب لتمتهنها ، " وكانوا يأكلون على السفر " واحدتها سفرة وهي التي تتخذ من الجلود لها معاليق تنضم وتنفرج وبالانفراج سميت سفرة لأنها إذا حلت معاليقها انفرجت فأسفرت عما فيها فقيل سفرة وإنما سمي السفر سفرًا لإسفار الرجل بنفسه عن البيوت والعمران .

وقوله : " ولا في سكرجة " لأنها أوعية الأصباغ [وإنما الأصباغ](١) الألوان ولم يكن من شأنهم الألوان ، إنما كان طعامهم الثريد عليها مقطعات اللحم وكان يقول : انهشُوا اللحم نهشًا فإنه أشهى وأمرأ .

١٣٦ـ حدثنا بذلك عبد الجبار حدثنا سفيان عن عبد الكريم بن أبى أمية عن عبد الله بن الحارث عن صفوان بن أمية رضى الله عنه عن رسول ﷺ قال : " انهشوا اللحم نهشًا فإنه اشهي وأمرأ " .

قوله : " ولا خبز له مرقق " ، فكان عامة خبزهم الشعير ، وإنما يتخذ الرقاق من دقيق البر وقلّ ما يمكن اتخاذه من الشعير ، وإنما يتخذ من الرقاق لمن اتخذ الميسر ، وليس ذلك من شأن العرب إنما هو من فعل العجم ، والعرب تنهش اللحم .

١٣٧ـ وسمعت الجارود يذكر عن وكيع قال : " ما درينا ما البر ما ورد حتى جاءنا ابن المبارك " .

" والميسر " هي : عربية مولدة وليست بأصيلة فيما أحسبه كأنه أخذ من تيسير اللحم ؛ لأنه إذا اتخذ تيسير اللحم اليسير على النفر الكثير وإذا كان لحمًا أخذ كل إنسان بضعة

---

(١) ما بين المعقوفين زيادة من (د) .

لم يتسعوا فيه ولا تيسروا ، فاتخاذ الميسر هو وقسمته وتوزيعه بين الأكلة وذلك الانتهاش والتعرق هو فعل العرب في عامة هذه الأشياء أيسر من فعل العجم ، طبعوا على الضيق والعسر والنكد إلا من انتخبه الله وامتحن قلبه للتقوى واصطفاه للعبودة فشرح صدره وطهر خلقه ولست أعني بقولي العرب من نرى في زماننا بهذه الناحية فإن عامة الناحية نزعت بهم عروق أمهاتهم المولدات إلى أخلاقهم وطبائعهم وكثر خلط السوء فيهم [١/ ٣٥/ ب] من عروق العجم وأخلاقهم فغشابتهم هجين ، إنما أعني أولئك الصفوة الذين جرت نطفهم من الأصلاب الكرام إلى الأمهات الحرائر ذوي الأحساب والعناصر السنية ، وإنما ذكرت هذا لئلا يشتبه عليك الأمر فيما ذكرت من شأن العرب ، وكذلك الخوان أحسبها عربية مولدة لأنه لم يكن عند القوم .

فإن قال قائل : فقد جرت الأخبار عن رسول الله ﷺ بذكر المائدة .

١٣٨- **حدثنا** بذلك أبى رحمه الله والجارود قالا : حدثنا الحمانى عن مندل عن عبد الله بن يسار مولى عائشة عن عائشة بنت طلحة عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : " تصلي الملائكة على الرجل ما دامت مائدته موضوعة " .

١٣٩- **حدثنا** زياد بن أيوب أخبرنا هشام حدثنا أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : " لو كان الضب حرامًا ما أُكِل على مائدة رسول الله ﷺ " .

١٤٠- **حدثنا** عمر بن أبى عمر حدثنا محمد بن سلام العطار حدثنى الحسن بن مهران الكرمانى قال : سمعت فرقدًا صاحب رسول الله ﷺ يقول : " رأيت محمدًا ﷺ وطعمت على مائدته الطعام " .

قال : فالمائدة كل شيء يمد ويبسط مثل المنديل والثوب والسفرة نسب إلى فعله وكان حقه أن يكون مادة " الدال " مضاعفة ، فجعلوا إحدى الدالين " ياء " فقالوا مايدة والفعل واقع به ، فكان ينبغي أن يكون ممدودًا ولكن خرجت في اللغة مخرج فاعل كما قالوا : سِر كاتم وهو : مكتوم ، وعيشة راضية وهي : مرضية ، وكذلك خرجت في اللغة ما هو فاعل مخرج مفعول ، فقالوا : رجل مشؤوم وإنه هو: شائم ، وحجاب مستور وإنما هو ساتر .

فالخوان هو: المرتفع عن الأرض بقوائمه ، والمائدة : ما مد وبسط ، والسفرة : ما أسفر عما في جوفه ، وذلك أنها مضمومة بمعاليقها .

١٤١- حدثنا عمر بن أبي عمر حدثنا سهل بن تمام حدثنا يحيى بن دينار البكري والد همام عن الحسن رضي الله عنه قال : " الأكل على الخوان فعل الملوك ، وعلى المنديل فعل العجم ، وعلى السفرة فعل [١/ ٣٦/ أ] العرب وهو السنة " .

فكان هذا بدوء هذه الأشياء فلما غلب العجم على هذا الفعل من الأخونة نسب الأخونة إلى المائدة فقيل للخوان مائدة . ومما يحقق أن المائدة هي التي تبسط وتمد ما جاء في التنزيل من ذكر المائدة وإنما نزلت سفرة حمراء مدورة وإنما سألوا فقالوا : ﴿ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ [المائدة : ١١٤] قال الله تعالى : ﴿ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ﴾ [المائدة : ١١٥] فجاء في الخبر أن سفرة نزلت من السماء عليها الطعام .

١٤٢- حدثنا بذلك عمر بن أبي عمر حدثنا عمار بن هارون الثقفي عن زكريا بن حكيم الحنظلي عن علي بن زيد بن جدعان عن أبي عثمان النهدي عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال : " لما سألت الحواريون عيسى ابن مريم صلوات الله عليه المائدة قام فوضع لباس الصوف ولبس ثياب المسوح وسربالاً من مسوح أسود ولحاف أسود ، فقام فألزق القدم بالقدم وألزق العقب بالعقب والإبهام بالإبهام ، ووضع يده اليمني على اليسرى ثم طأطأ رأسه خاشعًا لله ثم أرسل عينيه يبكي حتى جرى على لحيته وجعل يقطر على صدره ثم قال : ﴿ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ [المائدة : ١١٤] قال الله : ﴿ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [المائدة : ١١٥] فنزلت سفرة حمراء مدورة بين غمامتين غمامة من فوقها والأخرى من تحتها ، والناس ينظرون إليها ، فقال عيسى عليه السلام : اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها فتنة ، إلهي أسالك من العرائب فتعطيني ، وبسطت بين يدي عيسى عليه السلام منديلاً مغطى فخر عيسى ساجدًا والحواريون معه وهم يجدون لها رائحة طيبة لم يكونوا يجدون قبل ذلك فقال عيسى عليه السلام : أَعْبَدَ الله عز وجل وأجرًا على الله وأوثق بالله فليكشف عن هذه السفرة حتى نأكل منها ونذكر اسم الله عليها ونحمد الله عليها فقال الحواريون : يا روح الله أنت أحق بذلك ، فقام عيسى عليه السلام فكشف عنها فإذا عليها سمكة مشوية ليس [١/ ٣٦/ ب] فيها شوك ، يسيل سيلان الدسم وقد نضد حولها من كل البقول ما خلا الكرات وعند رأسها ملح وخل وعند ذنبها خمسة أرغفة على واحدة منها خمس رمانات

وعلى الآخر تمرات وعلى الآخر زيتون، فبلغ ذلك اليهود فجاءوا غمًّا وكمدًا ينظرون إليه فرأوا أعجبًا فقال شمعون، وهو رأس الحواريين: يا روح الله أمن طعام الدنيا أم من طعام الجنة؟ فقال عيسى: أما افترقتم بعد عن هذه المسائل ما أخوفني أن تعذبوا، قال شمعون: وإله إسرائيل ما أردت بذلك سوءًا فقالوا: يا روح، لو كان مع هذه الآية آية آخرى، فقال عيسى عليه السلام: يا سمكة احيي بإذن الله، فاضطربت السمكة طربًا تبصبص عيناها، ففزع الحواريون، فقال عيسى: ما لي أراكم تسألون عن الشيء، فإذا أعطيتموه كرهتموه، ما أخوفني أن تعذبوا، وقال: لقد نزلت من السماء وما عليها طعام من الدنيا ولا من طعام من الجنة، ولكنه شيء ابتدعه الله عز وجل بالقدرة البالغة، فقال لها: كوني، فكانت، فقال عيسى: يا سمكة عودي كما كنت، فعادت مشوية كما كانت، فقال الحواريون: يا روح الله، كن أول من يأكل منها، فقال عيسى عليه السلام: معاذ الله، إنما يأكل منها من طلبها وسألها فأبت الحواريون أن يأكلوا منها خشية أن تكون مُثْلَة وفتنة، فلما رأى عيسى ذلك دعى عليها الفقراء والمساكين والمرضى والزمنى والمجدوبين والمقعدين والعميان وأهل الماء الأصفر، فقال: كلوا من رزق ربكم ودعوة نبيكم واحمدوا الله عليه، وقال: يكون المهنى لكم والعذاب على غيركم، فأكلوا حتى صدروا عن شبع ألف وثلاثمائة يتحشاون فبرأ كل سقيم أكل منه، واستغنى كل فقير حتى الممات، فلما رأى ذلك الناس ازدحموا عليه فلم يبق صغير ولا كبير ولا شيخ ولا شاب ولا غني ولا فقير إلا جاءوا يأكلون منه، فضغط بعضهم بعضا، فلما رأى ذلك عيسى عليه السلام جعلها نوائب بينهم، فكانت تنزل عليهم يومًا ولا تنزل يومًا كناقة ثمود ترعى يومًا وتشرب يومًا فنزلت أربعين يومًا تنزل ضحى فلا تزال هكذا حتى يفيء الفيء موضعه فيأكل الناس منها [١/ ٣٧/ أ] حتى ترجع إلى السماء والناس ينظرون إليها حتى توارى عنهم، فلما تم أربعون يومًا أوحى الله إلى عيسى عليه السلام يا عيسى، اجعل مائدتي هذه للفقراء دون الأغنياء، فتمارى الأغنياء في ذلك وعادوا الفقراء وشكوا وشككوا الناس، فقال الله: يا عيسى، إني أخذ بشرطي، فأصبح منهم ثلاثة وثلاثون خنزيرًا يأكلون العذرة يطلبونها في الأكناف بعد ما كانوا يا كلون الطعام الطيب، وينامون على الفرش اللينة فلما رأى الناس ذلك اجتمعوا حول عيسى عليه السلام وجاءت الخنزير فجثوا على ركبهم قدام عيسى فجعلوا يبكون والدموع تقطر منهم فعرفهم عيسى فيقول:

ألست بفلان ؟ فيومئ برأسه ولا يستطيع الكلام ، فلبثوا بذلك سبعة أيام ، ومنهم من يقول : أربعة أيام ، ثم دعا الله أن يقبض أرواحهم فأصبحوا لا يُدْرَى كيف ذهبوا ؛ الأرض ابتلعتهم أو ما صنعوا " .

١٤٣. حدثنا الفضل بن محمد حدثنا العباس[١] بن الوليد الدمشقى حدثنا . . . بن صالح[٢] حدثنا سعيد بن بشير[٣] حدثنا قتادة عن الحسن : دخلنا على عاصم بن حدرة رضى الله عنه فقال : " ما كان لرسول الله ﷺ بواب قط ولا مشي معه بوسادة قط ولا أكل على خوان قط " .

قال العباس : عاصم بن حدرة رجل من الأنصار .

(١) في (ص) " العباس العباس " .

(٢) في (ص) " صالح " والذي استظهرته من (د) " عمر بن صالح " .

(٣) في (ص) " سعيد بن بشر " .

الأصل الثالث والعشرون

١٤٤. حدثنا يعقوب بن إبراهيم الدورقي حدثنا صفوان بن عيسى أخبرنا زياد أبو عمرو عن صالح أبي الخليل عن عائشة رضي الله عنها " أن رسول الله ﷺ أمر بقطع المراجيح " .

قال أبو عبد الله رحمه الله :

المِراجَحْ هو : شيء من فعل العجم تادت إلى العرب سنتها وسنة العجم مرجورة عنها . . .[1] وهو لهو ولعب ، وهما لغتان ، فمن قال : مِرجَح فجمعه مراجح ، ومن قال : مرجاح فجمعه مراجيح ، لقوله مفتح وجمعه مفاتح ، ومفتاح جمعه مفاتيح وهذا شيء إنما كان يفعله العجم في أيام النيروز تفرحا وتلهيًا عن الغموم التي تراكمت على قلوبهم من رين الذنوب وأكثر ما يستعمله ملوك العجم ، والمؤمن قد اعتورته الأحزان والغموم لا محالة ، فمحال أن ينفك عنه غموم الذنوب [١/ ٣٧/ ب] وأحزان مشيئة الله تعالى فيه هذا حال المقتصد مع الله تعالى ، فأما أهل المعرفة وهم المقربون فغمومهم من البقاء في الدنيا فإن الدنيا مطبق المقربين ينتظرون متى الراحة منها .

وهو قول رسول الله ﷺ : " الدنيا سجن المؤمن " .

وأما أحزانهم فمن ظماء الشوق إلى الله تعالى ، فهذان الصنفان لم ينفكوا من الغموم والأحزان ، وسائرهم مخلطون بطّالون لعمرهم غافلون عن الآخرة سكارى حيارى ، سكارى من وعده ووعيده حيارى في سيرهم إليه ، وركض الليل والنهار بهم إلى الله فهم الذين يفزعون من غموم الدنيا ورين الذنوب المعذبة لقلوبهم في ظلمات سجون المعاصي إلى المراجح تلهيا وتلعبا يتفرجون ويتنشطون ويتلبسون ويلتمسون النزهة ونسيمها ولا يعلمون أن النزهة في نزاهة القلوب وتطهيرها من آفات النفس وخدعها ، ورين الذنوب حتى يجدوا نسيم الملكوت وروح قرب الله على قلوبهم في عاجل دنياهم .

روي[2] عن رسول الله ﷺ أنه قال : " الإيمان حلو نزه فنزهوا " .

فإذا التمس العبد هذه النزهة فهو نور على نور والقلب مشحون بالنور والصدر مشرق بالنور يعلم من ربه ويعلم ما منَّ به عليه ربه وهو عنه غني ، ولكنه رحمه فمنّ عليه

---

(١) غير واضح في المخطوط .

(٢) في (د) " روي لنا " .

بما يرى عنده ، فأي فرح يتسع مع هذا الفرح في قلب وكيف يبقى في قلب فيه هذا الفرح بالله متسع للفرح بالدنيا وأحوالها والقلوب التي يعتورها غموم الآخرة هي نورانية تنفرج بتلك الأنوار التي يطالع بها الآخرة وعظيم الرجاء من عند الماجد الكريم ، وأما القلوب التي تعتورها ظلمات المعاصي فهي قلوب معذبة ونفوس دنسة وجوارح كسلة يريدون أن يستروحوا إلى مثل هذه الأشياء من الملاهي ويتنفسوا في فسيح الراهات ، وقد أخذت غموم النفس أنفاسهم وجرعتهم الغيظ في أنهم لا يصلون إلى مناهم على الصفاء ، والملوك على خوف الغدر والبيات معهم ، والأمراء خوف العزل معهم ، والأغنياء خوف السلب معهم ، والأصحاء خوف السقم معهم ، فهذه مخاوف مظلمة تورد على [١/٣٨/أ] القلب مغمات كسحائب متراكمات تفور في جوفها من الحر ومع تلك السحائب حر مؤذي ، وذباب كلما ذب آب ، وبراغيث يمنعن بعضهن عن الرقاد ، فهذه صفة قلب المتنزهة بنزهة الدنيا ، والسحائب معاصيه ، والذي يفور في جوفها إصراره على المعاصي ، والحر المؤذي شهواته التي تغلي في صدره ، والذباب مناه كلما قضى نهمته من شيء عادت الأخرى ، والبراغيث تنافسه في دنياه وفي أحوال دنياه وناب إليها ، فإذا لم يصل إليها رجعت عليه بحرارة فعضته وهو : الحسد والبغضة والغيرة والبخل والشح فأي قلب هذه صفته يتهنّى بنعمة من نعم الدنيا ؟ فلا يغرن عاقلاً ظاهر فرحهم .

فهو كما روي عن الفضيل بن عياض أنه قال : " ذل المعصية والله في قلوبهم وإن دقت بهم الهمالج ، أبى الله إلا أن يذل أهل معصيته " .

فأمر رسول الله ﷺ : " بقطع تلك المراجيح " وكره لهم أن يتزيوا بزي من اشترى الحياة الدنيا بالآخرة فلا خلاق له هناك ، مع أن في ذلك من الخطر غير قليل فربما انقطع الحبل فاندق العنق فصار معينًا على نفسه ، فأما الذي يرخص فيه للتداوي به ، أو لمريض ضاق بعلّته قلبه ذرعًا أو للصبيان يعللونهم به ، فذاك لهم كالمهد يرج فيه حتى يذهب به النوم لأن الطفل لا يعقل ما يصلح له ولا يصبر على الضجعة حتى يأخذه النوم كما يصبر الكبير فيعلل بتلك الأرجوحة فيهوي بجسده تلقفًا ودفعًا حتى ينام فليس هذا بداخل عندنا في النهي لأن هذا يأخذه على الانتفاع به لا على الأشر والبطر وعلى سبيل الملاهي في يوم أهل البطالات .

١٤٥ـ حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا عبد المؤمن عن داود بن أبي هند قال : " رأيت الشعبي يترجح فنظرت إليه فقال : إنه نُعت لي من وجع ظهري ، ومحتاجة هذه النفس إلى تعليل في كل مكان وأن تداري ويرفق بها [فالله رفيق يحب الرفق في الأمور كلها][١] .

١٤٦ـ حدثنا حميد بن الربيع اللخمى قال : حدثني أبو ضمرة قال : حدثني الأوزاعى عن الزهرى عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : " إن الله يحب الرفق في الأمر كله " .

١٤٧ـ حدثنا هارون [١/ ٣٨/ ب] بن حاتم ثنا محمد بن عبد الرحمن عن[٢] عبد الله بن أبى مليكة عن القاسم بن محمد قال : سمعت عائشة رضي الله عنها تقول : قال رسول الله ﷺ : " من حرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من خير الدنيا والآخرة ، ومن أعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من خير الدنيا والآخرة " .

ومن الرفق والتعليل ما روي لنا عن رسول الله ﷺ أنه قال : " لما انتهيت إلى سدرة المنتهى فتدلى النور الأكبر فغشى السدرة ، فحار بصري فحال دونه فراش من ذهب " يعلله بذلك حتى يقوى بصره على رؤية النور لأن الفراش إذا طار هكذا وهكذا حجبه مرة وانكشف له مرة .

وما روي عنه ﷺ في قصة المعراج أنه قال : " لما انتهيت إلى قرب العرش فدلّى لى رفرف وأخذني من جبريل عليه السلام تناولا إلى سند العرش فجعل يهوي بي يخفضني مرة ويرفعني مرة أخري .

فذاك تعليل النفس وذلك أنها لا تقوى على مباشرة الأمور في دفعة واحدة إلا قليلاً قليلاً فقربه للرفرف رفعه في مرفعه إلى العرش ثم خفضه ثم رفعه لكي يتمالك النفس ولو كانت دفعة واحدة لكان قَمِنًا أن لا يتمالك فكان الرفرف سببا لتدانيه ورفقًا به ، ويقال : أن الرفرف خلق من خلق الله ممن اختصه للخدمة بين يديه فمن شأنيه[٣] هذه الأمور ، وإنما قيل : رفرف ؛ لأنه يرفرف حول المشاهدة والقربة بين يديه ،

---

(١) ما بين المعقوفتين زيادة من (د) .

(٢) في (ص) " بن " .

(٣) هذا ما استظهرت قراءته من المخطوط .

ويقال : هو أخضر من الدر والياقوت فيما جاء به الخبر .

فإنما أردنا بما ذكرناه من هذه الأشياء إقامة شأن المراجيح للصبيان أنه يحتاج الصبي لصباه وطفوليته على الأشياء المحبوبة أن يعلل كي يقوى على مقاساة ما يفطمه عنه فمن شأن الصبي التردد والتقلب في لهوه فلا يستقر لينام وهو محتاج إلى ذلك فيوضع في المرجاح فيرجح نفسه هكذا وهكذا حتى يجد الصبر على الاستقرار في موطن واحد ، وإنما قيل : رجحان الميزان من هذا ؛ لأنه يميل إحدى الكفتين ، فإذا كان هذا للحاجة إليه لمريض أو صبي لا يجد قرارًا فهو خارج من النهي ، وإنما وقع النهي عندنا على من تشبه بأهل البطالة في ذلك اليوم وبالملوك الفراعنة الذين تلذذوا فتلذ هذا بمثل ذلك ، فإن ذلك فعل ملهى مطرب مع الغنى والجواري والسماع [١/ ٣٩/ أ] على شاطئ الأنهار في تلك الخضر ونور الربيع وأخذت الأرض زينتها وزخرفها في أيام النيروز مع طيب الهواء وتنفس البرد وتأخر الحر وسجسجة الجو تنزهوا في نزه الدنيا وتنعموا بالألوان وقضوا المنى والشهوات وحف بهم المعازف وركبوا المراجيح فتعجلوا طيباتهم في حياتهم الدينا .

قال الله تعالى : ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴾ [الأحقاف : ٢٠] فبلغنا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كُلِّم في امتناعه من التوسع في النعيم فتلا هذه الآية ، فقيل له : يا أمير المؤمنين أليس هذا للكفار؟ فقال : ثكلتك أمك الكفار أهون على الله تعالى من أن يعاتبهم .

فنظرت في هذه الآية فوجدت مبتدأها ذكر الكفار وهو قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾ [الأحقاف : ٢٠] ثم قال في آخرها : ﴿ فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ فأخبر أنه إنما جزاؤهم عذاب(١) الهون بالاستكبار بغير الحق وبالفسق ليحذر المؤمن أن يستكبر في أرضه بغير الحق أو أن يفسق ، فإن دخول النار بالكفر وتضاعف العذاب وقسمة الدركات بالأعمال السيئة والأخلاق السيئة ، ودخول الجنة بالإيمان ، وتضاعف النعيم وقسمة الدرجات

(١) في (ص) و(د) " العذاب " .

بالأعمال والأخلاق الحسنة ، فإنما عير الكفار بالكبر والفسق ، ففزع عمر رضي الله عنه من ذلك وحق له أن يفزع من تعجيل بعض الطيبات في الحياة الدنيا والاستمتاع بها ومن ههنا[١] ما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : " أتي بعسل قد خيض بماء فرده وقال : أما إني لا أحرمه ولكني أتركه تواضعا لله " .

كأنه رأى أن النفس إذا أعطيت شهواتها فذاك من الاستكبار وإذا منعت فذاك من التواضع لله تعالى ، هذا فيما حل وأطلق له ، فكيف بما حرم عليه وأن الله تبارك وتعالى خلق الجنة فحشاها بالنعيم ثوابًا لأهلها ، وخلق النار وحشاها بالعذاب عقابًا لأهلها ، وخلق الدنيا فحشاها بالآفات والنعيم محنة وابتلاء ، ثم خلق الخلق والجنة والنار في غيب منهم لم يعاينوه .

فالنعيم والآفات التي في الدنيا من أنموذج الآخرة ومذاقة ما فيهما ، وخلق في الأرض [١/ ٣٩/ ب] من عبيده ملوكا أعطاهم سلطانًا أرعب به القلوب وملك به النفوس قهرًا أنموذجًا ومثالاً لتدبيره ومُلكه ونفاذ أمره ومعاملته فجعل خبر ذلك كله تنزيلاً فوصف الدارين ووصف ملكه وقدرته وتدبيره ومنته وصنائعه وضرب الأمثال على ذلك ثم قال : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت : ٤٣] فالعلماء بالله فهموا عن الله أمثاله ، لأن المثل إنما هو : صفة شيء قد شاهدته يُريك صفة ما غاب عنك ويبصرك ما لا تبصره بعينك لينفذ بصر قلبك إلى ما لا تبصره عينك فيعقل قلبك ما خوطبت به من خبر الملكوت وخبر الدارين في معاملة ملك الملوك فليس في الدنيا نعمة ولا شهوة إلا وهي أنموذج الجنة وذوقها ثم من وراء ذلك فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فلو سمي للعباد منها لم ينتفعوا بتلك الأسماء لأنهم لم يعقلوه ههنا ولا رأوه وليس لها أنموذج في الدنيا ، والجنة مائة درجة ، وإنما وصف منها ثلاث درجات : الذهب والفضة والنور ، ثم ما وراء ذلك غير معقول ولا تحتمله العقول ، وكذلك ما في الدنيا من الشدة والعذاب فهو أنموذج دار العقاب ثم من وراء ذلك ما لا تحتمله العقول من ألوان

---

(١) بياض في (ص) .

العذاب كل ذلك يخرج لهم من غضبه ، ولأهل الجنة من رحمته وكل من تناول من عبيده من دنياه مما أبيح له وشكره عليها أبدل له من الجنة ما يدق هذا في جنبه ، ومن تناول مما لم يبح له فقد حرم نفسه حظه من الدرجات ومن كذب بها حرم الجنة بما فيها أجمع ، فلأهل الجنة . . . (١) فالعرائس للدعوة وذلك أن رب العزة دعاهم إلى دار السلام ليجدد لهم أبدانا طرية وأعماراً أبدية فأجابوه والولائم للأرواح والضيافات الزيارة ولأهل الجنة تلاق وزيارات فيهم ومتحدث في مواطن الألفة ومجتمع في ظل طوبى يلقون الرسل هناك ويزورونهم ، ومجالس الملكية فيما بينهم وأسواق بانونها يتخيرون فيها الصور وهدايا من الرحمن في أوقات الصلوات ويُغْدى ويراح عليهم من ألوان الأطعمة والأشربة والفواكه بكرة وعشيا أرزاقهم دارة لا مقطوعة ولا ممنوعة جزيلة(٢) من الله [١/ ٤٠/ أ] يومًا بيوم ، فإذا أتاهم . . . (٣) أما قبله ، ثم لهم متنزه يخرجون إليها في رياض على شاطئ غير الكوثر عليه خيام الدر مضروبة الخيمة ستون ميلاً في عرض مثله من لؤلؤة واحدة ليس لها باب فيها جواري عبقات أبكار لم ينظر إليهن ، اليمين ملك(٤) ولا أحد من أهل الجنة من الخدم والحور وهو قوله تعالى : ﴿ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴾ [الرحمن : ٧٠] وإذا قال الله تعالى لهن حسان فمن يقدر أن يصف حسنهن ، ثم قال : ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴾ [الرحمن : ٧٢] فتلك خيرة الرحمن اختار صورهن الحسان من الصور يدعي من سحائب الرحمة فأمطرت جواري حسان على مشيئة الكريم نور وجوههن من نور العرش فضربت عليهن خيام الدر فلم يرهن أحد منهن ﴿ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴾ قد قصرن أي : حبسن على أزواجهن من جميع الخلق فأهل الجنة يتنعمون في القصور مع الأزواج ويلبثون في النعمة ما شاء الله حتي إذا كان اليوم الذي يريد الله عز وجل أن يجدد لهم نعمة ونزهة نودى في درجات الجنان .

يا أهل الجنان إن هذا يوم نزهة وسرور وتفسح وحبور اخرجوا إلي منتزهكم

---

(١) لم أستظهر قراءتها بالمخطوط .

(٢) هكذا استظهرت قراءتها بالمخطوطة .

(٣) لم أستطع قراءتها بالمخطوطة .

(٤) كذا بالمخطوطة

فيخرجون على خيول الدر والياقوت من أبو اب ميادينهم إلى تلك الميادين ثم يسيرون من تلك الميادين[١] إلى تلك الرياض على شاطئ نهر الكوثر ، فيهديهم الله تعالى إلى منازلهم فينزل كل رجل منهم على جهته ولا باب لها فتنصدع الخيمة عن باب ، وذلك يعين ولي الله ليعلم أن التى فيها لم يطلع عليه أحد قدمه[٢] قدم الله عز وجل من الوعد في دار الدنيا حيث قال : ﴿ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴾ ثم قال : ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴾ ثم قال : ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴾ ويستوي معها على سرير النزهة في تلك الحجال فيما عليهم من وليها فإذا طعموا الولائم سقاهم الله شرابًا طهورًا وتفكهوا بطرف الفواكه التى جدد الله لهم من تلك الهدايا في ذلك اليوم والحلى والحلل تخلع عليهم كسوة الرحمن واشتغلوا بالخيرات الحسان يقضون منهن الأوطار والنهمات ثم يتحولون إلى مجالس العبقريات المنشئات بألوان النفوس على شاطئ الأنهار في تلك الرياض يركبون الرفارف الخضر ويتكئون عليها وهو قوله[١/ ٤٠/ ب] تعالى : ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ﴾ [الرحمن : ٧٦] وإذا قال الله عز وجل لشيء : وحسان فماذا بقي ، فالرفرف هو شيء إذا استوى عليه رفرف به وأهوى به كالمرجاح يمينًا وشمالاً ورفعًا وخفضًا يتلذذ مع أنيسه فإذا ركبوا الرفارف أخذ إسرافيل في السماع .

وروي في الخبر أنه ليس أحد من خلق الله أحسن صوتًا من إسرافيل فإذا أخذ في السماع قطع على أهل سبع سماوات صلاتهم وتسبيحهم فإذا ركبوا الرفارف وأخذ إسرافيل في السماع بألوان الأغاني تسبيحًا وتقديسًا للملك القدوس فلم يبق في الجنة شجرة إلا أوردت ولا يبق ستر ولا باب إلا ارتج وانفتح ولم يبق حلقة على باب إلا رنت وطنت بألوان طنينها ولم يبق أجمة من أجام الذهب إلا وقع هبوب الصوت في مقاصبها فزمرت تلك المقاصب بفنون الزمر ولم يبق جارية من الحور[٣] العين إلا غنت غانيها والطير بألحانها ويوحي الله تعالى إلى الملائكة أن جاوبوهم .

---

(١) في (ص) " المياد " .

(٢) غير ظاهرة في (ص) .

(٣) في (ص) " حوار " .

وأسمعوا عبادي الذين نزهوا أسماعهم عن مزامير الشيطان ، فيجاوبوهم بألحان وأصوات روحانيين فتختلط هذه الأصوات فتصير زجة واحدة ، ثم يقول الله عز وجل " يا داود قم عند ساق عرشي فمجدني فيندفع داود في تمجيد ربه بصوت يعمر الأصوات ويجليها وتتضاعف اللذة وأهل الخيام على تلك الرفارف تهوي بهم ، وقد حفت منهم أفانين اللذات والأغاني ، فذلك قوله عز وجل : ﴿ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴾ [الروم : ١٥] .

١٤٨- حدثنا محمد بن موسى الحرشي حدثنا عامر بن يسار العنزي قال : سألت يحيى بن أبي كثير عن قوله تعالى : ﴿ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴾ قال الروضة : اللذة والسماع ، فبينما هم على لذاتهم وسرورهم إذ تفتح لهم باب الملك القدوس من جنة عدن فارتجت أصوات صفوف الملائكة الروحانيين من جنة عدن بتماجيد الماجد الكريم إلى درجات الجنان وثارت ريح عدنية بألوان الطيب والروح والنسيم ، نسيم القربة وسطع على أثر ذلك نور فأشرقت منه رياضهم وخيامهم وشواطئ أنهارهم وامتلأ كل شيء منه نورًا ناداهم الجليل جل جلاله من فوق رءوسهم [١/ ٤١/أ] السلام عليكم أحبائي أوليائي وأصفيائي يا أهل الجنة ، كيف وجدتم منتزهكم هذا يومكم بدل نيروز أعدائي ، طلبوا(١) يومًا من الدنيا(٢) ليجددوا على أنفسهم النعمة التى قد كَدروها على أنفسهم لخبثهم وشقائهم فلم ينالوا ما طلبوا من اللذة وخسروا من حيث ما طلبوا في العاجل فلم يصبروا حتى نالوا هذا الذي أعددت في الآخرة لأهل طاعتي فأعرضتم عما إليه أقبلوا وامتنعتم مما فيه تنافس الملوك فاليوم يذوقوا وبال ما تنافسوا فيه . . . (٣) ما انقطع ما طلبوا من اللذة والتهمة في دار الفناء وصاروا إلى الذل والهوان وجُزِيتُم بما صبرتم جنة وحريرًا ومنتزهًا وسلامًا فهذا يوم نيروزكم ومنتزهكم وغدًا يوم زيارتكم في داري في جنة عدن فطال ما رأيتكم في دار الدنيا في مثل ذلك مشتغلين في طاعتى والمترفون في هواهم ولعبهم سكارى حيارى عصاة متمردين يتمتعون بحطام الدنيا

---

(١) في (ص) " فطلبوا " .

(٢) " من الدنيا " زيادة من (د) .

(٣) كلمة لم أستطع قراءتها بالمخطوط .

ويفرحون بتداولها بينهم وأنتم تراقبون جلالي وتحفظون حدودي وترعون عهودي وتنفقون على حقوقي ويفتح لهم باب من أبو اب النيران فيفور إليهم دخانها وصراخ أهلها وعويلهم لينظر أهل الجنان من هذه المجالس إلى ما من الله عز وجل فيزدادون غبطةً وسرورًا ، وينظرون أهل النار من تلك السجون والمجالس في تلك الأغلال والقيود متحسرين على ما فاتهم فيستعينون بوجوه أهل الجنان إلى الله تعالى ويناديهم(١) بأسمائهم فيقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ * هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ * لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ * سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ * وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ * أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * وَأَنِ ٱعْبُدُونِى هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ [يس : ٥٥-٦١] فتجيش بهم النار فتفرق جمعهم وينقطع نداؤهم فترمي بهم في جزائر النار فإذا خرجوا إليها دبت إليهم عقارب لها أنياب كأمثال النخل ثم يقبل عليهم سيل من نار من تحت العرش حشوها غضب الله فتقذفهم في بحار النيران وينادي منادي هذا يومكم الذي كنتم تبارزوني فيه بالعظائم [١/ ٤١/ ب] وتتمردون على نعمتي وتفرحون في دار الأحزان والعبودة فما تضاهون به ما أعددت لأهل طاعتي فقد انقطعت عنكم تلك اللذات فذوقوا وبال ما آثرتموه ، فإن أهل الجنة قد اشتغلوا عنكم بالتآكل والنعم بالولائم والألوان والفواكه وطرف الهدايا وافتضاض العذارى وركوب الرفارف والتلذذ بالأغاني وألوان السماع فسلامي عليهم ، وإقبالي بالبر واللطف والمزيد ما يستفرغ نعيمهم ليتهنوا بنعيمهم ، ويزدادوا لذة على لذة ، فيا أهل الجنة هذا لكم بيوم أعدائي الذين تباشروا وأهدوا إلى ملوكهم وقبلوا هداياهم وأنتم الفائزون فإنما أمر رسول الله ﷺ بقطع المراجيح ليظفروا بما وعد الله من بدل المراجيح من الرفارف الخضر كما نهاهم عن المعازف ومزامير الشيطان ليظفروا بما وعد الله من سماع الجنة .

١٤٩ـ **حدثنا** عبد الله بن أبى زياد حدثنا بشار حدثنى موسى بن سعيد الراسبى وعبد الله ابن جرادة الشيبانى قال : حدثنا القاسم العجلى عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : " قال رجل : يا رسول الله إنى رجل حُبب إلى الصوت

---

(١) في (د) " وينادونهم " .

الحسن فهل في الجنة صوت حسن ؟ قال : إي والذي نفسي بيده إن الله تعالى ليوحي إلى شجرة في الجنة أن أسمعي عبادي الذين اشتغلوا بعبادتي وذكري عن عزف البَرَابِطِ والمزامير فترفع بصوت حسن لم يسمع الخلائق بمثله من تسبيح الرب وتقديسه " .

١٥٠- حدثنا عبد الله حدثنا سيار حدثنا موسى حدثنا أبان عن الحسن وأبى قلابة قالا : قال رجل : يا رسول الله هل فى الجنة من ليل؟ قال : وما هَيجك على هذا قال سمعت الله عز وجل يذكر في الكتاب : ﴿ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ [مريم : ٦٢] فقلت : الليل من البكرة والعشي ، فقال رسول الله ﷺ ليس هناك ليل إنما هو ضوء ونور الغدو على الأرواح ، والرواح على الغدو ويأتيهم طرف الهدايا من الله لمواقيت الصلاة التي كانوا يصلون فيها من الدنيا وتسلم عليهم الملائكة " .

١٥١- حدثنا أبو الخطاب حدثنا سهل بن حماد وهو أبو عتاب حدثنا جرير بن أيوب البجلى حدثنا الشعبى عن نافع [١/ ٤٢/أ] بن بردة عن مسعدة الغفارى سمع رسول الله ﷺ يقول : " ما من عبد يصوم يومًا من رمضان إلا زوج زوجة من الحور العين في خيمة من در مجوفة بما نعت الله من ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾ [الرحمن : ٧٢] على كل امرأة منهن سبعون حلة ليست على لون الأخرى ، ويعطى سبعين لونًا من الطيب ليس منهن ريحُ لون على ريح الأخر ، لكل امرأةٍ منهن سبعون سريرًا من ياقوتةٍ حمراء موشحة بالدر على كل سرير سبعون فراشًا على كل فراش أريكة لكل امراةٍ منهن سبعون ألف وصيفةٍ لحاجتها وسبعون ألف وصيف مع كل وصيف صحفة من ذهب فيها لون من طعام يجد لآخر لقمةٍ منها لذة لم يجد لأولِهِ ويعطى زوجها مثل ذلك على سرير من ياقوت أحمر عليه سوار من ذهب موشح ياقوت أحمر هذا لكل يوم صامه من رمضان سوى ما عمل من الحسنات " .

قال أبو عبد الله رحمه الله(١) :

فصَبر المشركون هذا اليوم - يوم نزهتهم - وعيدًا من أعيادهم وسموه يومًا جديدًا وبلسانهم نوروزًا واضطربوا فيه طلبًا لتجدد النعمة وإحداث لهو ولعب وتفرج وتَفَسحِ فهاب المسلمون أن يلتفتوا إلى هذا اليوم ويعبثون به .

(١) غير موجودة في (د) .

قال طلحة بن مطرف : " يعجبني أن يمر بي ذلك اليوم وأنا أشعر به " .
وروي عن على بن أبي طالب رضى الله عنه " أنه أوتي بفالوذجٍ فقال : ما هذا ؟ قالوا[١] إنه يوم نوروزٍ – وذلك بأرض العراق– فقال : نورز وأكلِ يوم " كأنه أراد أن لا يعبئوا به .

ومن ذهب يصوم ذلك اليوم ويزيد في أعمال البر يتوخى بذلك خلافًا لهم فهذا مذهب أيضًا ، ولكن الطهارة من ذلك أسلم له فإن هؤلاء اتخذوه عيدًا لنزههم وسرورهم ولذاتهم وهذا قد اتخذه عيدًا لعبادته ألا ترى أن رسول الله ﷺ " نهى عن صوم يوم الجمعة وقال : لا تتخذوه[٢] عيدا " فإذا أحدث الرجل في يوم قد اتخذه أهل الشرك لأنفسهم عبادة وصومًا فالاتخاذ قد يشبه الاتخاذ وإن كان العملان متباينين .

١٥٢ـ حدثنا محمد بن يحيى حدثنا على بن الحسن أخبرنا عبد الله أخبرنا ابن لهيعة [١/ ٤٢/ ب] قال : أخبرنى أبو يونس مولى أبى هريرة سمع أبا هريرة رضى الله عنه يقول : قال رسول الله ﷺ : " لا تصوموا يوم الجمعة تتخذوه عيدًا " .

١٥٣ـ وحدثنا عبد الله بن حسين بن عبد الله عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ بنحوه .

١٥٤ـ حدثنا عمرو بن محمد العثمانى حدثنا ابن أبي[٣] أويس قال : حدثنى جعفر بن إبراهيم بن محمد بن على بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب عن على بن حسين قال : أخبرنى أبى عن جدى رضى الله عنه قال : قال رسول ﷺ : " لا تجعلوا قبرى عيدًا ، ولا تجعلوا بيوتكم قبورًا ، وصلوا عليّ وسلموا حيث ما كنتم فستبلغني صلاتكم وسلامكم " .

فإذا كان في إتيان القبر للدعاء يصير ذاك كهيئة العيد وفي صوم يوم الجمعة مداومًا عليه كذلك أيضًا ، كان صوم يوم النيروز كذلك أيضا إذا أحدثوا فيه شيئًا من أعمال

---

(١) في (ص) " قال " .
(٢) كذا بالأصل .
(٣) في (ص) " أبو" .

البر فكأنهم اتخذوه عيدًا فالسلم مما قال طلحة بن مصرف رضى الله عنه : " يعجبني أن يمر بي ولا أشعر به " .

وما قال على بن أبي طالب رضى الله عنه : " نورز وأكل يوم " .

١٥٥ـ حدثنا بذلك محمد بن محمد بن حسين حدثنا يونس بن محمد عن حماد بن سلمة عن على بن زيد عن مسعر التيمى عن على رضى الله عنه أنه أتى بفالوذج فقال : " ما هذا؟ قالوا : هذا يوم النيروز ، قال : نورز وأكل يوم " .

ولم يجيئنا عن أحد من السلف فيما نعلمه في صوم ذلك اليوم إلا عن مقاتل بن حيان رضى الله عنه ولا أراه قاله من تلقاء نفسه كأنه رأى أن أهل الشرك يعصونه في ذلك اليوم بمحدث من المعاصي فأحب أن يحدث لله طاعة فندب إلى ذلك غيره وما ذكرناه بدئيا أعجب[1] إلينا .

١٥٦ـ حدثنا الجارود حدثنا النضر عن عوف عن أبي المغيرة القواس[2] عن عبد الله بن عمرو بن العاصى رضى الله عنهما قال : " من أتى بلاد العجم وصنع نيروزهم ومهرجانهم وتشبه بهم حتى يموت وهو كذلك حشر معهم يوم القيامة " .

١٥٧ـ حدثنا الجارود حدثنا يزيد بن هارون عن هشام بن حسان عن الحسن أنه كان إذا سئل عن صوم يوم النيروز قال : " ما لكم وللنيروز لم تعظمونه دعوه ولا تلتفتوا إليه فإنما هو يوم الأعاجم .

---

(١) كذا بالأصل ، ولعل الصواب " أحب " .

(٢) سقط من (ص) " أبي المغيرة القواس " .

الأصل الرابع والعشرون

١٥٨- حدثنا أبو عبد الله محمد بن على بن الحسن المؤذن حدثنا صالح بن عبد الله [١/٤٣/أ] حدثنا أبو بكر بن عياش عن أبى البخترى عن عبد الله عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : " أحشر أنا وأبو بكر وعمر يوم القيامة هكذا وأخرج السبابة والوسطى والبنصر وأراه قال ونحن مشرفون على الناس " .
قال صالح : قال أبو بكر : لم يكذب أبو البختري في هذا الحديث .

قال أبو عبد الله رحمه الله :

فالسبابة من الأصابع هي التي تلي الإبهام ، وكانت في الجاهلية تدعى السبابة لأنهم كانوا يسبون بها فلما جاء الله بالاسلام كرهوا هذا الاسم فسموها المشيرة وذلك لأنهم كانوا يشيرون بها إلى الله بالتوحيد ، وفي حديث وائل بن حجر سماها السباحة ولكن اللغة سارت بما كانت تعرف في الجاهلية فغلبت .

١٥٩- حدثنا الفضل بن محمد حدثنا هشام بن خالد الدمشقى حدثنا بقية عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : " لا تأكلوا بهاتين وأشار بالإبهام والمشيرة وقال : كلوا بثلاث لأنها سنة ولا تأكلوا بخمس لأنها أكلة الأعراب " .

قال أبو عبد الله رحمه الله(١) :

فالأكل بخمس علامة الحرص والاقتحام في الطعام وذلك مما يمحق البركة ويفسد على أصحابه حتى يعافوه والأكل بإصبعين مما لا يستوفي وهي أكلة الملوك ذوي الكبر وزي أهل النخوة الذين يستكبرون ويمتنعون عن الأكل عتوًا وتجبرًا وصلفًا فإذا نظروا فبلحاظ أعينهم ، وإذا تكلموا فبأشداق أفواههم ، وإذا استمعوا فبأصعار خدودهم ، وإذا تناولوا فبأطراف أناملهم ، وإذا مشوا فبأجنحة صدورهم وتمطي خواصرهم متبخترين مشية المطأطئ تكبرًا وعلوًا ، والأكل بثلاثة أصابع تواضع عن النخوة وعن صورة المتجبرين والمتكبرين وعفة عن صورة الحرص المتقحمين في الطعام جعامة واستيفاء بما أوجبه الحق عليك من إطعامك نفسك فالأول علو والآخر

---

(١) سقطت من (د) .

إفراط وتقصير وما بينهما وسط وهو القصد وقال في تنزيله : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ ﴾ [الفرقان : ٦٧] فحمد الوسط من ذلك والإقتار هو فعل المتكبرين مقتر على نفسه نعمة قد أعطيها فيأكل بإصبعين ذهابًا [١/ ٤٣/ ب] بنفسه تيهًا وتكبرًا والإسراف فعل المتقمحين يأكل بأصابعه كلها وبكفه حتى تأخذه التخمة ويدءا ولهذا قال الحسن البصري رضى الله عنه : " إن دين الله وضع على القصد فدخل الشيطان فيه بالإفراط والتقصير فهما سبيلان إلى نار جهنم " ، وروي عنه من وجه ما يشبه هذا أيضًا .

١٦٠ـ حدثنا عتبة بن عبد الله اليحمدي ، أخبرنا ابن المبارك عن عوف عن الحسن رضى الله عنه قال : " إن دين الله وضع دون الغلو وفوق التقصير " .

١٦١ـ حدثنا صالح بن عبد الله ، حدثنا ابن أبى زائدة عن هشام بن عروة قال : حدثنى عبد الرحمن بن سعيد عن ابن كعب بن مالك عن أبيه رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يأكل بأصابعه الثلاث فإذا فرغ لعقها .

١٦٢ـ حدثنا الجارود ، حدثنا عبدة عن هشام بن عروة(١) عن ابن(٢) كعب بن مالك عن أبيه رضى الله عنه عن رسول ﷺ بمثله .

١٦٣ـ حدثنا شقيق(٣) أخبرنا أبى عن هشام بن عروة(٤) عن عبد الله بن سعيد عن ابن كعب عن أبيه رضى الله عنه قال : رأيت رسول ﷺ أكل الطعام فلعق أصابعه .

١٦٤ـ حدثنا محمد بن على الشقيقى أخبرنا أبى أخبرنا عبد الله قراءة على ابن جريج أخبرنا هشام بن عروة أن ابن كعب بن عجرة أخبره عن كعب بن عجرة رضى الله عنه قال : رأيت رسول ﷺ يأكل بثلاثة أصابع . قال هشام : بالإبهام والتي تليها والوسطى. ثم رأيته لعق أصابعه الثلاث حين أراد أن يمسحها فلعق الوسطى ثم التي تليها ثم الإبهام .

فأما قوله ﷺ : " أحشر أنا وأبو بكر وعمر يوم القيامة هكذا " فهذا على درجاتهم

---

(١) في (ص) " عبدة عن هشام بن عروة عن عبد الله بن سعيد " .

(٢) (ابن) سقطت من (ص) .

(٣) كذا بالمخطوط ، ويحتمل أن يكون " الشقيقي " كما في الحديث التالي .

(٤) في (ص) " هشام بن عروة عن أبيه " .

فكانت إشارة رسول الله ﷺ بأصابعه الثلاث على ما روي لنا عن أصابع رسول الله ﷺ " أن المشيرة منها كانت أطول من الوسطى ثم الوسطي ، أقصر منها ، ثم البنصر أقصر من الوسطى " فإنما ذكر المنازل والإشْرَاف على الخلق فقال : " نحشر هكذا ونحن مشرفون " فكأنه أعلم أن إشرافهم على الخلق في الموقف على ما مثل لهم من الأصابع ، وإن رسول الله ﷺ أعلاهم إشرافًا ، ثم من بعده أبو بكر رضى الله عنه دون رسول الله [١/ ٤٤/أ] ﷺ فوق عمر ، ثم من بعده عمر دون أبي بكر رضي الله عنهما في رفعة الإشراف وعلوه ، فمن لم يعرف شأن أصابع رسول الله ﷺ حمل تأويل هذا الحديث على الانضمام والاقتراب بعضهم من بعض في محل القربة ، وهذا معنى بعيد لا أعلمه يوافق إلا في حالة واحدة لأنا لا نشك أن حشر رسول الله ﷺ من قبره إلى الوقف غير حشر أبي بكر وعمر رضى الله عنهما أو حشره حشر الرسل عليهم السلام وحشر سادات الرسل أيضًا ، وحشر أبي بكر وعمر رضى الله عنهما حشر الصديقين رضوان الله عليهم أجمعين ، وكذلك مقامه من العرصة هو في صف الرسل أمامهم في مقام أمين ومقامهما من العرصة في مقام الصديقين وفي صفهم فهذا معنى لا يحتمل عندنا والصحيح عندنا ما ذكرناه بدءًا .

١٦٥- حدثنا الفضل بن محمد الواسطى أخبرنا عبد الرحمن بن خالد القطان الرقى حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا عبد الله بن مقسم الطائفى حدثتنى عمتى سارة بنت مقسم أنها سمعت عن ميمونة بنت كردم رضي الله عنها قالت : خرجت في حجة حجها رسول الله ﷺ فرأيت رسول الله ﷺ على راحلته . [و](1) سأله أبي عن أشياء . فلقد رأيتني أتعجب وأنا جارية من طول إصبعه التي تلي الإبهام على سائر أصابعه .

قال : فحدثني أبي قال : ذكرت ذلك لعبد الله بن الحسن فقال : نعم كذلك كان أصابع رسول الله ﷺ ، وهو : عبد الله بن يزيد بن مقسم الذي يقال له ضبة وعمته سارة .

١٦٦- كذلك أخبرنا به أبي عن الحسن الحلوانى عن يزيد بن هارون بهذا الإسناد . والله أعلم .

---

(١) زيادة من (د) .

الأصل الخامس والعشرون

١٦٧ـ حدثنا سليمان بن أبى هلال الذهبى أخبرنا عبد الحميد بن سليمان المدنى حدثنا أبو عمرو عن عبد الله بن المثنى الأنصارى عن عمه ثمامة بن عبد الله بن أنس سمع أنس ابن مالك رضي الله عنه يقول : قال رسول الله ﷺ " قيدوا العلم بالكتابة " .

قال أبو عبد الله رحمه الله :

فالحفظ قرين العقل والقلب مستودعها والنسيان كائن في ابن آدم وأول من نسي آدم عليه السلام فسمي إنسانًا ، فنسيت [١/ ٤٤/ ب] ذريته قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾ [طه : ١١٥] .

وبلغنا في المأثور من الحديث عن رسول الله ﷺ " أن الله تعالى لما خلق آدم عليه السلام خلق لقلبه غاشيةً تنطبق مرةً وترتفع أخرى فما سمع والغاشية مرتفعة حفظه وما سمع والغاشية منطبقة نسيه "

وروي عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه لفظة أخري يرجع معناها إلى هذا .

١٦٨ـ حدثنا صالح بن محمد أخبرنا ابن واضح عن إسماعيل بن عياش عن ثعلبه بن مسلم الخثعمي عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه : يا أمير المؤمنين مِم يذكر الرجل ومِم ينسى ؟ فقال : إن على القلب طخاءة كطخاءة القمر فإذا تغشت القلب نسي ابن آدم ما كان يذكر وإذا انجلت ذكر ما كان نسي .

فالعلم يعقل ثم يحفظ فإذا كان القلب معلولاً بهذه العلة وكان النسيان كائناً(١) فخيف ذهابه قيد بالكتابة لئلا يفوت ويدرس فنعم المستودع .

وروي عن رسول الله ﷺ " أن أول من خط بالقلم بعد آدم إدريس عليهما السلام وسمي بذلك لأنه كان يدرس الكتب "

١٦٩ـ حدثنا بذلك عمر بن أبى عمر أخبرنا إبراهيم بن هشام بن يحيى الغسانى حدثنا أبى عن جدى عن أبى إدريس الخولاني عن أبي ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : "

---

(١) (كائنا) غير واضحة (ص) .

" أول الرسل آدم عليه السلام وآخرهم محمد ﷺ ، وأول الأنبياء أنبياء بني إسرائيل وآخرهم عيسي عليه الصلاة والسلام ، وأول من خط بالقلم إدريس عليه السلام ، وأعطي آدم الخط فصارت وراثة في ولده ، ثم علم نوحًا عليه السلام حتى كتب نوح عليه السلام ديوان السفينة ، وكتب الله عز وجل التوراة لعبده موسى عليه السلام قال الله تعالى : ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ ﴾ [الأعراف : ١٤٥] فتلك كتابة وليها الله تعالى لعبده بيده كرامةً له وقربه نجيًا حتي سمع صريف القلم وكانت من زبرجد فلما صارت في يده صارت حجارة ليكون مستورًا عن بني إسرائيل لأنها كانت من الجنة ثم نسخت منها وكتبت الزبور في اللغة السائرة يقال زبر الرجل أي : كتب ، وقال في تنزيله ﴿ وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ [١/٤٥/أ] فِى ٱلزُّبُرِ ﴾ [القمر : ٥٢] أي : في اللوح " .

فأول ما بدأ شأن الكتابة بدأ بالقلم واللوح وكتب ما هو كائن حق بالكتاب وتدبير من الله عز وجل لعباده وهو حروف مصورة مختلفة التخطيط علائم تدل على المعاني وإنما سمي كتابًا لأنها حروف منظومة والكتب النظام ومنها سميت الكتيبة لأنها نظمت وجمعت بعضها إلى بعض فإذا قيدت المعاني بهذه الحروف المخطوطة التي هي علائم ودلائل على المراد والمعاني فإن كانت محفوظة فالكتاب مستغنى عنه وإن نسيت صار الكتاب نعم المستودع وإن دخل القلب ريب في ذلك نفى الريب واطمأنت النفس وقد أدب الله العباد وحثهم على مصالحهم فقال في شأن المداينة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ﴾ [البقرة : ٢٨٢] فوعظهم في ذلك ثم قال : ﴿ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓا۟ ﴾ [البقرة : ٢٨٢] فأعلمك أن الكتابة قسط عند الله وهو : العدل يؤدي ما ائتمن واستودع ، وأقوم للشهادة أي : أحرى أن يقوم بها وأبعد من الشك والريبة فإنه ينفي الشك والوسوسة فإن الريب منها فقد نسب الكتابة إلى العدالة ومن ههنا أخذ طاوس حتى قال : " يسعه أن يشهد على خطه وهو لا يذكر " .

١٧٠- حدثنا بذلك عمر بن أبى عمر حدثنا محمد بن الحسن الليثى حدثنا ابن المبارك عن معمر عن ابن[1] طاوس عن أبيه فى رجل يشهد على شهادة فينساها؟ قال : لا بأس أن

(١) سقط من (ص) " بن " .

يشهد إن وجد علامته في الصك أو خط يده ، قال محمد : قال ابن المبارك : استحسنت هذا جدًا .

ومما جاءت الأحاديث عن رسول الله ﷺ أنه حكم في أشياء غير واحدة بالدلائل والشواهد وعن الرسل من قبله ما يدل على صحة هذا المذهب لأن الحاجة في ذلك أن يعرف أنه الحق فإذا علمه وشهد به فقد يجوز أن يكون شيء حدّث به نفسه فصار الحديث له علمًا فيجوز أن يشهد بعلمه ولا يلتفت إلى هذه الحالة التي قد يجوز أن يكون كائن مثلها فكذلك يجوز أن يشهد على خطه وعلامته إن دله ذلك على أن هذا حق وقد شرحنا ذلك في باب الشهادات في الأحكام .

فإذا كان تجار الدنيا [١/ ٤٥/ ب] في المداينة فيما بينهم يقيدون الأمانات المؤجلة لئلا تدرس ليؤدوها في مواقيت حلها كما ندبهم الله إليه ودلهم عليه ، وكان تجار الآخرة في تقييد الأمانات التي أخذ الله الميثاق فيها أن يؤدوها ولا يكتموها أحرى وأخلق أن يحافظوا عليها ويداوموا على إثباتها وتقييد رسومها لئلا تدرس ليؤدوها في مواقيتها عند حاجة الخلق إليها في نوازلهم فإن أمانة الدين أعظم شأنا من أمانة الدنيا .

وقد ائتمن الله عز وجل أهل الأموال على الأموال ليحرزوها ويحفظوها ويراقبوا أمر الله عز وجل فيها من صرفها في وجوهها وإخراج حقوقها وإنفاقها في السبل التي أذن الله تعالى فيها ، وائتمن الله تعالى أهل العلم على ما أودعهم من نوره وبراهينه وكتبه وحججه ليحرزوها ويحفظوها ويراقبوا أمر الله فيها من صرفها في وجوهها ووضع كل شيء منها مواضعها وإخراج حقوقها لأهل الحاجة إليها وإنفاقها في السبل التي سبلها الله لهم ولهذا ما جاء في الخبر " إن الله يختص للحساب هذين الصنفين من جميع الخلق ، فيقول للعلماء كنتم رعاة غنمي ، ولأهل الأموال : كنتم خزان أرضي فقِبَلكم اليوم طلبتي ، فالمراعي بيد الخزان والرعى بيد الرعاة إذا أرعى الخازن الغنم رعاية الراعي ، وذلك أن مراعى الغنم دنياهم والدنيا بأيدي الخزان والرعاية بأيدي الرعاة تشوقهم إليها وترعاهم وتوردهم الماء حتى يعيشوا وهو العلم الذي بيّن لهم منه ، وإن تردى أحد منهم مترد جبر كسيرته وإن عدى الذئب طرده عنهم بالكلاب وإن مال إلى المنابت السوء من السموم القاتلة صرف وجوههم عنها فهؤلاء الرعاة فهذا شأن عظيم قد قلدوا من أمور الخلق فوقع شدة الحساب عليهم ، فإذا منع

الخازن هلكت الغنم وإذا ضيع الراعي هلكت .

ولذلك قال فيما جاء في الخبر " ينادى يوم القيامة يا راعي السوء أكلت اللحم وشربت اللبن ولبست الصوف ولم تأو الضالة ولم تجبر الكسيرة ولم ترعها في مرعاها اليوم أنتقم منك " .

وأما قول رسول الله ﷺ : " إن من أشراط الساعة أن توضع الأخيار وترفع الأشرار ، وأن تقرأ المشناة على رؤوس الناس لا تغيروه " .

وما شددت الصحابة رضي الله عنهم في ذلك فقالوا : كتاب مع كتاب الله فإن ذلك مما كانت اليهود فعلته وقد وصف الله عز وجل في تنزيله فقال : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [البقرة : ٧٩] [١/٤٦/أ] وذلك أنه لما درس الأمر بينهم وساءت رغبة علمائهم أقبلوا على الدنيا حرصًا وجمعًا فطلبوا أشيئا تصرف بوجوه الناس فأحدثوا في شريعتهم وبدلوا وألحقوا ذلك بالتوراة وقالوا لسفهائهم : هذا من عند الله ليقبلوها عنهم فتتأكد رياستهم وينالوا بها حطام الدنيا وأوساخها وكان مما أحدثوا فيه أن قالوا : ﴿ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ ﴾ [آل عمران : ٧٥] وهم : العرب، أي : ما أخذنا من أموالهم فهو حل لنا وكان مما أحدثوا فيه أن قالوا : لا يضرنا ذنب فنحن أحباؤه وأبناؤه . تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا . وإنما كان في التوراة يا أحبائي ويا أبناء رسلي فغيروه وكتبوا يا أحبائي وأبنائي فأنزل الله عز وجل تكذيبهم : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ﴾ [المائدة : ١٨] فقالت : لن يعذبنا وإن عذبنا فأربعين يومًا مقدار أيام العجل فأنزل الله عز وجل : ﴿ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٨٠] ثم أكذبهم[١] بقوله تعالى : ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة : ٨١] .

فحذر الرسول ﷺ هذه الأمة لما قد علم ما يكون في آخر الزمان وقد قال : " تفترق

---

(١) كذا بالمخطوط .

هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا فرقة واحدة " فحذرهم أن يحدثوا به من تلقاء أنفسهم في الدين معارضًا لكتاب الله تعالى فتضلوا به الناس والمثناة ما قد استثني من الكتاب ليصرف وجوه الناس عن كتاب الله ويشغلهم به فأما إثبات الكتاب وما سمعوا من الرسول ﷺ من تفسيره وبيانه وشرحه فمحمود ، وقد قال ﷺ : " ألا وإني أوتيت الكتاب ومثله فلا يتكئن أحدكم [على أريكته][١] فيقول : ما وجدناه في كتاب الله أخذنا به وما لم نجده تركناه "

في كلام نحو هذا فالذين يأخذون عن رسول الله ﷺ أهل بصائر ويقين وتجلية قلوب ويحفظون عنه فلما صاروا إلى القرن الذي يليه وظهرت الفتن احتيج إلى إثباته في الكتب فمنهم من هاب ذلك لأنه رآه حدثًا [١/٤٦/ب] وأمرًا لم يكن على عهد رسول الله ﷺ فهاب أن يكون بدعة ومنهم من تجاسر عليه لما رأى فيه من النفع ، كما تجاسر أبو بكر رضي الله عنه على جمع القرآن وهابه عمر رضي الله عنه وقال أنفعل ما لم يفعل رسول الله ﷺ[٢] قال عمر رضي الله عنه : فلم يزل يراداني في ذلك حتى شرح الله صدري لذلك كما شرح صدره فجمعوا على تأليفه أبي بن كعب وقراء القرآن رضي الله عنهم ، فكذلك هذه الكتب لم يزل الناس كلما مضى قرن أحوج إلى تقييده وبيانه وشرحه لأن العلم في إدبار والجهل في إقبال حتى غلب الجهل وأحاط بالخلق البلاء ونجمت قرون البدع فأحوج ما كانوا إلى شرحه وبيانه وإثباته في هذا الوقت ولا حول ولا قوة إلا بالله فإن كِيَاد الدين أكثر ودروس العلم أعم وقد أذن رسول الله ﷺ لغير واحد من أصحابه في ذلك رضي الله عنهم .

١٧١ـ حدثنا عمر بن أبي عمر حدثنا يحيى بن جهم أخبرنا الحارث بن نبهان[٣] وأخبرنا موسى بن إسماعيل عن أبان بن يزيد كلاهما عن عبد الله بن الأخنس عن ابن أبي ملكية

---

(١) ما بين المعقوفين من (د) .

(٢) كذا في (ص) و(د) والمشهور أن أبا بكر هو الذي كان معترضاً في أول الأمر وليس عمر رضي الله عنهما .

(٣) في (ص) " الحارث بن شهاب " .

عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن رجلا شكى إلى رسول الله ﷺ سوء الحفظ فقال : " استعن بيمينك " .

١٧٢- حدثنا أبي رحمه الله حدثنا الحماني عن ابن إدريس عن ليث عن مجاهد عن عبد الله ابن عمرو[1] رضي الله عنهما أنه استأذن رسول الله ﷺ في صحيفة يكتب فيها ما سمع منه فأذن له .

١٧٣- حدثنا عمر حدثنا يزيد بن عبد ربه عن بقية حدثني عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان حدثني أبو مدرك حدثني عباية بن رفاعة بن رافع عن رافع بن خديج رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله إنا نسمع منك أشياء أفنكتبها؟ قال : " اكتبوا ولا حرج " .

١٧٤- حدثنا عمر بن أبي عمر حدثنا على بن المديني عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد حدثني أبي عن أبي إسحاق حدثني عمرو بن شعيب أخبرنا سعيد بن المسيب حدثه أن مجاهد أبا الحجاج حدثه أن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما حدثهم أنه قال : يا رسول الله أكتب ما أسمع منك؟ قال : نعم قلت : عند الغضب والرضا؟ قال : نعم فإنه لا ينبغي أن أقول إلا حقًا .

١٧٥- حدثنا الجارود حدثنا الوليد بن مسلم حدثني الأوزاعى حدثني الزهري قال : حدثني أبو سلمة[2] قال : [١/ ٤٧/ أ] حدثني أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ خطب حيث أفتتح مكة ، فقام رجل من أهل اليمن يقال له : أبو شاةٍ فقال : اكتب هذا لي يا رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : اكتبوا لأبي شاة ، يعني : تلك الخطبة .

١٧٦- حدثنا عمر بن أبي عمر أخبرنا نعيم بن حماد عن الحسن بن حبيب البكري عن عمران ابن مالك الأنصارى حدثنا عبد الله بن راشد مولى عثمان عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : قيدوا العلم قلنا : وما تقييده؟ قال : علّموه وتعلّموه ، واستنسخوه فإنه يوشك أن يذهب العلماء ويبقى القراء لا يجاوز قراءة أحدهم تراقيه .

١٧٧- على بن حجر السعدى حدثنا أبو الخطاب قال : رأيت واثلة بن الأسقع رضى الله عنه

---

(١) في (د) " ابن عمر " والمثبت من " ص " و " ط " .

(٢) في (ص) " أبومسلمة " .

يملى على قوم في الألواح وهم يكتبون .

١٧٨ـ حدثنا عتبة بن عبد الله بن عتبة الأزدي حدثنا عبد الله بن المبارك أخبرنا سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : رأيت عتبان بن مالك فحدثنى بحديثه فى مالك بن الدخشم فأعجبني فقلت لأبي :[١] اكتبه فكتبه .

١٧٩ـ حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا حماد بن زيد قال : أتيت سالم العلوى فسألته عن شيء فقال لى : عليك با أبان بن عياش[٢] فإنى رأيته عند أنس بن مالك رضى الله عنه يكتب السراج بسبورجة . قال قتيبة : السبورجة الألواح .

١٨٠ـ حدثنا الفضل بن محمد حدثنا محمد بن المصفى حدثنا بقية عن عتبة بن أبى الحكم قال : حدثنى هبيرة بن عبد الرحمن قال : كنا إذا أكثرنا على أنس بن مالك ألقى إلينا سجلًا ثم قال : هذه أحاديث كتبتها عن رسول الله ﷺ وعرضتها عليه .

(١) كذا بالأصل ولم أتبينه .

(٢) في (د) " أبان بن أبي عياش " .

الأصل السادس والعشرون

١٨١ـ **حدثنا** عمر بن أبى عمر حدثنا يحيى بن سليمان الجعفى المصرى حدثنا ابن وهب حدثني حيي عن أبى عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ ذكر يومًا فتاني القبر ، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أتُرد إلينا عقولنا يا رسول الله؟ فقال : نعم كهيئتكم اليوم فقال عمر رضي الله عنه : ففي فيه الحجر .

قال أبو عبد الله رحمه الله :

فالمؤمن كريم على ربه يدل بزلفاه على خلقه فمن عرض له بسوء عارضه بإذن الله معتزًا بالله وكيف لا يكون هكذا وقد [١/٤٧/ب] أوحى إليه في تنزيله : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [المنافقون : ٨] ، فاعلم أن المنافقين لا يعلمون هذا ، أما المؤمنون فقد بان لهم أن الله تعالى قد أعزهم وبان لهم عند أنفسهم أنهم إنما يعتزون بالله تعالى ، فعمر رضي الله عنه حين ذكر له فتاني القبر فغاظه ذلك من فعل الفتانين ففزع إلى الله وسأل الرسول ﷺ فإنما كان يجد الخبر من الغيب على لسانه " أترد إلينا عقولنا " فلما قال : " نعم كهيئتكم اليوم " . أنطقته الجرأة الدالة لا جرأة الحماقة ، وجرأة الدالة من اليقظة والمعرفة ، وجرأة الحماقة من الجهل والغفلة ، فقال : " ففي فيه الحجر " أي : أنه إذا كان عقلي الذي معي اليوم يرد علي كهيئته اليوم معي أسكته من حسن الجواب ووفاقه وتمامه فكأني ألقمته الحجر أي : بجوابي وبما أعطي من سلطان الحق ونفاذ بصيرة العقل لأنه نظر فوجده كأنه أعطي سلطان الامتحان ونظر إلى نفسه فوجده قد أعطي سلطان الحق ونفاذ بصيرة العقل لأنه نظر فوجده كأنه أعطي سلطان الامتحان ونظر نفسه فوجده قد أعطي سلطان الحق ونوره فلم يبال به فإنما سلط على سؤاله الجواب ، وخلق خلقة منكرة وسمي منكرا لذلك وسمى صاحبه نكيرا مثل ذلك أيضًا ، ألا ترى كيف وصفهما رسول الله ﷺ فقال : " أعينهما كالبرق الخاطف وأصواتهما كالرعد القاصف ، وشعورهما تحت أقدامهما يحفران الأرض بأنيابهما " فسمى منكرًا ونكيرًا فمنظرهما هائل فإذا كان في القلب من سلطان المعرفة ما لا يهاب في الدنيا ملوك الدنيا

وفراعينها ولا يبالى بكل شيء ينفر منه القلوب ولا يهابه كان الذي في قلبه يدله على أنه لا يبالي به ولا يهابه وقال في رواية أخرى " إذًا أكفيهما يا رسول الله " فقد عرف عمر رضى الله عنه [قوة][1] عقله وما أعطاه من سلطان الحق فلما علم أنه مردود عليه يومئذ تشجع وكيف لا يتشجع وهو يجد في قلبه أنه لا يخاف إلا الله ولا يهاب الحروب ولا معاداة ملوك الدنيا شرقًا وغربًا ، وهذا ابنه عبد الله بن عمر رضى الله عنهما يفعل هذا الفعل سبع من السباع ويروي عن رسول ﷺ ما يروي .

١٨٢- **حدثنا** بذلك أبى رحمه الله حدثنا الحكم بن [١/ ٤٨/ أ] المبارك أخبرنا بقية بن الوليد عن بكر بن خدلم الأسدى حدثني وهب بن أبان عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : أنه خرج في سفر له فإذا بجماعة على طريق فقال : ما هذه الجماعة؟ فقالوا : أسد قطع الطريق ، قال : فنزل فمشى إليه حتى فقده[2] بيده ونحاه عن الطريق ثم قال : ما كذب عليك رسول الله ﷺ ، قال : إنما يسلط على ابن آدم من خافه ابن آدم ولو أن ابن آدم لم يخف غير الله لم يسلط الله عليه أحدًا ، وإنما وكل ابن آدم إلى من رجاه ابن آدم ، ولو أن ابن آدم لم يرج إلا الله لم يكله الله إلى غيره .

قال أبو عبد الله رحمه الله[3] :

فمن لا يهاب ملوك الدنيا ومنابذتهم ومباراتهم في الله ولا يهاب السباع المؤذيه فحقيق أن لا يهاب منكرًا ونكيرًا .

وفي الحديث الذي روي من شأن عمر رضى الله عنه يدل أن كلا إنما يرد إليه عقله الذي خرج به من الدنيا على تلك الهيئة وبين العقول تفاوت فإذا كان عقل الرجل وافرا فاستقبله هول من أهوال الدنيا من ذي سلطان أوغيره فاستقام ولم يدهش ولم تصبه الحيرة في أمره كان يومئذ مردودا عليه ذلك العقل ، فإذا استقبله هول فتاني القبر لم يدهش ولم يتحير ، ومن كان عقله اليوم إذا حل به شيء من ذلك دهش وتحير ولم يثبت على الاستقامة حتى مال كان إذا استقبله هناك مثل ذلك ، وإن الله

---

(١) زيادة من (د) .

(٢) كذا بالأصل .

(٣) سقط من (د) .

تبارك وتعالى إنما يلطف بعبده المؤمن وينصره ويثبته في الأحايين كلها وقال الله تعالى : ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [إبراهيم : ٢٧] فعلى قدر ثباته في القبر وسرعة الإجابة ، وكلما كان أسرع إجابة كان أسرع تخلصًا من الهول .

وروي لنا في الخبر عن وهب بن منبه عن أبي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ [١/٤٨/ب] أنه ذكر حديث الصور . وعن إسماعيل بن رافع(١) .

١٨٣ـ حدثنا بذلك داود بن حماد القيسى حدثنا عبدة بن سليمان عن إسماعيل بن رافع عن محمد بن زياد الأنصارى عن محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه ذكر حديث الصور وقال في آخر ذلك يقول الله عز وجل لملك الموت عليه السلام : من بقي؟ فيقول : بقيت أنت الحي القيوم الذي لا يموت وبقي عبدك ملك الموت ، فيقول : يا ملك الموت أنت خلق من خلقي خلقتك لما ترى فقد مات الخلق كلهم فمت ثم لا تحيى أبدًا .

[فكأنه امتنع كثير من رواة هذا الحديث من رواية هذا الحرف فيه " ثم لا تحيى أبدًا "](٢) وهاب هذه الكلمة وذلك مبلغ علمه ، ورواه عمر بن هارون فلم يجد فيه هذا الحرف .

فنظرنا في هذا الحرف فوجدنا أن الله عز وجل يحب المؤمنين جدًّا من حبه إياهم رزقهم المعرفة والإيمان به ، ورزقهم النبوة والولاية والطاعة وقد عظم شأنهم وكرموا عليه فإذا كان يوم القيامة وبعث أحباؤه من الرسل والأنبياء وسائر المؤمنين فنظروا إلى ملك الموت وقد لقوا منه ما لقوا من الأذى والتعب فكان يُدخل عليهم النظر إليه الهم والثقل فقمن أن ينزل أحباؤه كرامة لهم ، وكذلك نجد في طبع الآدميين ههنا أن كل من لقي من أحد شدة ثقل عليه النظر إليه فكيف من قتله وقطع روحه من كل مفصل حتى نزعه ، إنه كان يأتيهم عيانًا فشتموه وأذوه فشكى إلى الله

(١) كذا بالأصل .

(٢) ما بين المعقوفين غير موجود في (ص) .

حتى صير أمره في خفاء وهيأ لهم الأسباب من الأمراض والعلل لكي يدرس ذكر ملك الموت عن قلوبهم وألسنتهم ويقولون مات فلان بعلة كذا .

ألا ترى أنه لطمه موسى عليه السلام ففقأ عينه فرجع يشكو إلى الله عز وجل ، فإنما فقأ عين الصورة التي كان أتاه فيها وهذا عند من يجهل معناه منكر مدفوع متهم روايته وكيف يتهم رواته وقد روته الأئمة من غير وجه . فما وجه واحد

١٨٤ـ **فحدثنا** به أبي رحمه الله حدثنا علي بن محمد المنجوري حدثنا حماد بن سلمة عن عمار عن ابن أبي عمار عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : " كان ملك الموت يأتي الناس عيانًا حتى أتى موسى عليه السلام فلطمه ففقأ عينه فرجع ملك الموت إلى ربه فقال : يا رب إن عبدك[1] موسى فعل بي ما ترى ، ولولا كرامته عليك لشققت عليه قال : ارجع إلى عبدي موسى فقل له[2] فليضع يده على متن ثور فخيره بكل شعرة توازي كفه أن يعيش سنة ، فرجع [١/٤٩/أ] إلى موسى فأخبره بذلك ، فقال موسى عليه السلام : يا ملك الموت فما بعد ذلك ؟ قال : الموت قال : فمن الآن قال فشمه شمة فقبض روحه فرد عليه بصره فكان يأتي الناس بعد ذلك في خفية " .

١٨٥ـ **حدثنا** أبي حدثنا علي بن محمد حدثنا جعفر بن حيان عن الحسن رضي الله عنه قال : لما أتى ملك الموت موسى عليه السلام فلطمه ففقأ عينه .

١٨٦ـ **حدثنا** علي عن[3] حماد بن سلمة عن غير واحد عن الحسن بمثله .

قيل للحسن : هذا عن رسول ﷺ؟ قال : نعم عن رسول الله ﷺ .

قال أبو عبد الله رحمه الله :

فإنما استجاز ذلك موسى صلوات الله عليه ذلك لأنه كليم الله ، كأنه رأى أن من اجترأ عليه ، أو مد إليه يدًا بأذى فقد عظم الخطب فيه ألا ترى أنه احتج عليه فقال : " من أين تنزع روحي أمن فمي فقد ناجيت ربي ، أم من سمعي وقد سمعت به كلام ربي ، أم من يدي وقد قبضت بها الألواح ، أمن قدمي وقد قمت بين يديه أكلمه

---

(١) في (ص) " عبد " ومطموسة في (د) والمثبت من " ط " .

(٢) سقط من (ص) ومطموسة في (د) وأثبتناها من " ط " .

(٣) في (ص) " بن " .

بالطور ، أم من عيني وقد أشرق وجهي لنوره " فرجع إلى ربه مفحمًا والمطيع لله يقحم بالله ألا ترى إلى قول مريم لجبريل عليه السلام إني أعوذ بالرحمن إن كنت تقيا ، فكأن موسى عليه السلام بحظه(١) من الله عز وجل مدلا وحق لمن يسمع أن يدل .

روى لنا عن رسول الله ﷺ " أنه كان إذا كلم موسى عليه السلام ربه أتاه جبريل بحليتين من الجنة ، وكرسي من جوهر الجنة فيقعد عليه ويقول : قدوس قدوس فيقول ربه : لبيك لبيك يا موسى " . فمن يقدر أن يتفكر في هذه الكرامة ، وفي كنه هذه المكرمة ، فإذا رجع منها ونزل من الكرسي كان يرفع وجهه وكان لا يراه أحد أربعين يومًا إلا مات من نور وجهه فلما رأى ذلك اتخذ برقعًا .

وروي في الخبر أنه قال : " يا رب أهكذا كلامك؟ قال : يا موسى إنما كلمتك بقوة عشرة آلاف لسان ولى قوة الألسنة كلها ولو كلمتك بكل كلامي لم تكن شيئًا .

١٨٧. حدثني أبى رحمه الله عن ابن الأصفهانى عن أبى أمامة عن ابن المبارك عن معمر ويونس عن الزهرى عن أبى بكر بن عبد الله بن الحارث قال : أخبرنى جرير بن جابر الجعفى قال : سمعت كعبًا رضى الله عنه يقول [١/ ٤٩/ ب] ذلك .

وروي في الخبر " أنه قبض عليه جبريل بجناحه فمر به في العلى حتي أدناه حتى سمع صرير القلم حيث كتب الله له في الألواح " . كالعبد الذي يحظي من الله كل هذا الحظ أن مد أحد إليه يده بمكروه فامتنع منه فإنما اعتز وامتنع لمن أكرمه وليس هذا لمن أمتنع واعتز بنفسه الدنية وسح على الحياة حرصًا على الدنيا وتلذذا بها هذا عبد دني وفعله دني ، هو مقهور في الحياة وعبد للموت ، وذاك عبد اعتز بالله وشح علي الحياة حرصًا على ما كان يتلذذ به من كلام وقرب الله .

وبلغنا أنه لما جاء ملك الموت بعد ذلك قال موسي عليه السلام : الآن فقد قرت عيني أي : بمنتك ونعمتك ، فقال : يا موسى أما تري أن ألبس وجهك نورًا مثل الشمس ثنتي عشرة مرة واصفافه فمن عرف ما أعطي موسى عليه السلام لم يستنكر فعله بملك الموت لأن ملك الموت إنما جاءه في أن يقطع عنه ما هو فيه فقد علم الله

(١) كذا بالأصل .

ما الذي هيجه على ذلك فتجافى عن فعله ، ألا ترى إلى قول رسول الله ﷺ : " مررت بموسى صلوات الله عليه ليلة أسري بي فوجدته قائمًا يصلي في قبره " فهذه مرتبة موسى عليه السلام حيث جاءه بالكلام والمناجاة ولم يقطع عنه بعد الموت لذة تلك النجوى فإنما قصد بهذا الفعل الذي فعل بملك الموت لأنه حسب بالموت تنقطع نجواه مع ربه ولم يفعل ذلك حرصًا على حياة الدنيا .

وجاءنا في الخبر أن موسى عليه السلام لما كثر عليه الناس وتزاحموا حتى كاد يعجز عنهم بعث الله ألف نبي يكونون له أعوانًا على ما هو فيه من قراءة التوراة[1] وتعليم بني سرائيل فمال الناس عنه إلى أبو اب الأنبياء فأدركته الغيرة فروي عن وهب بن منبه رضى الله عنه أنه قال : فأماتهم الله في ليلة واحدة كرامة لموسى عليه السلام ، فليس هذا غيرة الآدميين طبعًا ولا غيرة أهل الرغبة والتنافس ، إنما غار لله ولم يطق أن ينظر إلى هؤلاء الأنبياء يعلمون عنه لحب الله ، كأنه أحب أن يقوي على ذلك حتي يكون هو المتولي لذلك كله دون أحد من خلقه وهذا موجود في طبع الآدميين من أحب ملكًا وشغف به فأمره بأمر ثقل عليه أن يشركه في ذلك أحد ويكون في توليته [١/ ٥٠/ أ] ذلك بنفسه شفاء لغليان حبه وهذا لا يعقله إلا أهله ومن قد أخذ من هذا الأمر شعبة .

فإنما فقأ موسى عليه السلام الصورة التى أتاه فيها لا عين ملك الموت الذي هو عينه وهذا في تحرز الكلام كذا يقال والله سبحانه وتعالى أعلم .

---

(١) في (ص) " القرآن " .

الأصل السابع والعشرون

١٨٨ـ حدثنا . . . مندل بن علي . . . (١) عن ابن جريج عن عمرو بن دينار عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : " إذا أتى أحدكم بهدية فجلساؤه شركاؤه فيها " . قال يحيى : ولم يروي غير مندل .

١٨٩ـ حدثنا أبي رحمه الله حدثنا أبو نعيم الحمانى عن مندل عن ابن جريج عن عمرو بن دينار عن ابن عباس عن النبى بمثله .

قال أبو عبد الله رحمه الله :

فالجلساء هم الذين قد داموا على مجالستك وفاوضوك في أمورك حتي صاروا معك كشيء واحدٍ وليس كل من جلس إليك فهو جليسك ، إنما الجليس الذي تفضي إليه أسرارك ومخالطك في أمرك فله حق وحرمة كما تقول أكيلك وشريبك وحريفك ووزيرك وليس كل من أكل معك أكلة أو شرب معك شربة أو وازك على أمر مرة بواكيل ولا بحريف ولا بوزير فكذلك الجليس فإذا أهدي إليك وهو حاضر فله من الحق والحرمة أن تجدي له منها لأن كرامتك كرامته وهو من أهل وصية الله عز وجل في تنزيله بالإحسان إليه فقال : ﴿ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ ﴾ [النساء : ٣٦] .

١٩٠ـ فحدثنا يوسف بن سليمان الباهلى البصرى حدثنا حاتم بن إسماعيل عن ابن عجلان عن زيد بن أسلم في قوله تعالى : ﴿ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ ﴾ قال : جليسك في الحضر ورفيقك في السفر وامرأتك التى تضاجعك فإنما نطق التنزيل بجملة الاسم فقال : ﴿ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ ﴾ فذكر الصحبة بالقرب ثم عم بهذه الصفة هذه الأصناف الثلاث فأما جليسك في الحضر فهو صاحب سرك ومستراحك تقضي إليه غمومك وهمومك ، وأما رفيقك في السفر فهو الذي يرافق أمورك يحفظ عليك متاعك ويؤنسك ويعين على نوائبك في السفر وإن حدث بك حدث الموت قبل وصيتك ونعاك لمخلفيك وردما معك إليهم إلى ذريتك ، وأما امرأتك [١/ ٥٠/ب] التى تضاجعك فمرافقتها أكثر من

---

(١) في (ص) " الجارود بن معاذ حدثنا الحماني حدثنا الغبري " والمثبت ما استظهرته من (د) ويدل عليه تعليق علي الحديث .

أن تحصى من الغذاء والتربية ومهاد العيش وعفتك بها عمن سواها فهؤلاء كلهم قد صحبوك بالجنب فاستوجبوا منك الشكر وإنما وجب لهم عليك الحق لأن الله تعالى أقام لك من ناحيتهم مرفقًا ونفعًا فإن لم توجب لهم حقًا لم تشكرهم والله لا يحب الكفور .

١٩١ـ حدثنا عبد الله بن أبي زياد حدثنا سيار(١) عن جعفر عن مالك بن دينار رضي الله عنه قال : يقول الله تعالى : إني لأهم بعذاب أهل الأرض فإذا نظرت إلى جلساء القرآن وعمار المساجد وولدان الإسلام سكن غضبي .

فليس كل من قرأ القرآن فهو جليس القرآن ، إنما الجليس من جالسه القرآن وفاوضه وأبدى له عن أسراره وعجائبه وبواطنه فإنما يكون هذا لمن انتفى عنه جور قلبه وذهبت خيانة نفسه فأمنه القرآن فارتبع في صدره ويكشف له عن زينته(٢) وبهائه ، وكذلك عمار المساجد ليس كل من أنفق في مسجد فبناه أو رمّه فهو من العمار إنما عمار المساجد من عمره بذكره ، وقال : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ [التوبة : ١٨] الآية ، فجليس القرآن إذا وجد القلب طاهرًا جالسه وكشف له عن وجهه فإن وجهه باطنه وهذا ظهره الذي يعقله الناس .

ومنه ما قيل لرسول الله ﷺ " إنا لنجد لقراءتك لذة يا رسول الله ما لا نجد لقراءة أحد؟ قال : لأنكم تقرأونه لظهر وأنا أقرأه لبطن " فلا يكشف عن وجهه إلا الأمين الذي لا يخونه ، ومثله كمثل عروس مزين مد يده إليها دنس متلوث في المزابل متلطخ بالأقذار فالزوج يمد يده إليها وهي تعرض عنه أنفة وتعافه وتقذره فإذا تطهر ثم تزين فقد أدى حقها أقبلت إليه بوجهها ففاوضته وصارت له جليسة ، فكذلك القرآن له ظهر وبطن فوجهه مما يلي بطنه والزينة والبهاء والحسن في الوجه فلا يكون جليسًا إلا من تطهر من الذنوب ظاهرًا وباطنًا وتزين بالطاعة ظاهرًا وباطنًا فعندها يأمنه القرآن فيتجلى له بزينته وبهائه ومواعظه وحكمه وما حشى الله فيه من البر واللطف لعباده وحرام على من ليس هذه صفته أن ينال ذلك ، وكيف ينال البر

---

(١) في (ص) " يسار " .

(٢) في (ص) " رعايته " .

واللطف عبد آبق من مولاه هارب [١/ ٥١/أ] على وجهه لا يزداد على تجدد الأيام إلا هربا بنفسه إنما ينال البر إذا أقبل إليه من إباقه تائبًا نادمًا فيمكث في التوبة مدة يظهر له نصحه فهناك فليتوقع بره ولطفه فكذلك هذا كيف ينال البر واللطف من الله تعالى من قلبه مكب على أحوال نفسه ودنياه وقد ضيع العبودة وأقيل تربية نفسه وجمع حطام الدنيا مغرورًا على التكاثر والتفاخر والعلق وقضاء المنى والشهوات ، وإنما البر واللطف في تنزيله للمتقين وللشاكرين وللصابرين وللخاشعين وللمنيبين وللمخبتين والمحسنين وقال عز وجل : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ [الأعراف : ١٤٦] .

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : " من تواضع لله درجة رفعه الله درجة ومن تواضع لله درجات رفعه الله درجات حتى يجعله في أعلى عليين ، ومن تكبر على الله درجة وضعه الله درجة ومن تكبر على الله درجات وضعه الله درجات حتى يجعله في أسفل سافلين "

فالمتكبر بغير الحق هو الذي يقضي نهمته وشهوته ولا يبالي أذن الله له فيها أم[1] لم يأذن فهو من الله على عقوبة أن يضيعه فكيف يُنيله البر واللطف الذي يريه أحباءه في تنزيله إذا تلاه صرف قلبه عنه فلا يعيه ولا يفهمه كما صرف هذا بقلبه عن الله إلى نفسه ودنياه .

فروي في التفسير في قوله : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ قال : أنزع عنهم فهم القرآن فلا يفهمونه ولا يجدون له حلاوة ولا لذاذة وذلك أن الفهم نور فإذا ورد على القلب دنس المعاصي ارتحل النور فتحير عن فهمه .

وروي في الحديث أنه قال : " يأتي على الناس زمان يخلق القرآن في صدورهم حتى يتهافت مثل الثوب الخلق البالي " .

---

(١) في (ص) " أو" .

الأصل الثامن والعشرون

١٩٢- حدثنا محمد بن زنبور المكى حدثنا إسماعيل بن جعفر المدنى حدثنا العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : " بينما رجل يمشي في الطريق أذ أبصر بغصن شوك فقال : والله لأرفعن هذا لا يصيب أحدًا من المسلمين فرفعه فغفر له " .

قال أبو عبد الله رحمه الله :

فليس برفع الغصن [١/ ٥١/ب] ينال المغفرة فيما فعله ولكن بتلك الرحمة التي عم بها المسلمين ألا تري قوله : " لأرفعن هذا لا يصيب أحدًا " فشكر الله له عطفه ورأفته .

ومما يحقق ذلك ما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : " بينما عبد لم يعمل لله خيرًا قط مر على بئر فشرب فإذا هو بكلب يلهث عطشًا فغرف له بخفه فسقاه فشكر الله له ذلك فغفر له " .

١٩٣- حدثنا قتيبة عن مالك عن سمى عن أبى صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ بذلك .

" وبينما عبد لم يعمل لله خيرًا قط فمر على غصن شوك فأماطه عن الطريق فغفر الله له ، وبينما عبد لم يعمل خيرًا قط ففرَق فخرج هاربًا فجعل ينادي : يا أرض اشفعي لي ويا سماء اشفعي لي ويا كذا اشفعي لي حتى أصابه العطش فوقع فلما أفاق قيل له قم فقد شفع لك من قبل فرقك من الله عز وجل " .

١٩٤- حدثنا بذلك أبى رحمه الله عن صالح[١] بن محمد عن أبى مقاتل عن أبى الحجاج وهو خارجة عن ابن عجلان عن رجل عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ .

فإنما غفر له من أجل الرحمة التي رحم بها الكلب ، وإنما غفر له من أجل الفرق الذي حل بقلبه ، والفرق يصحح التوبة ويكملها فقد وعد الله التائب مغفرته ومحبته في تنزيله ، وإنما سمي فرقًا لأنه حل به من الخشية ومن خوف الله عز وجل ما ماتت

---

(١) في (ص) " أبي صالح " .

منه كل شهوة وكل معصية فطهر الظاهر والباطن بتركه بالجوارح فعلاً وبتركه قلبًا ونفسًا فالفرق من الله صيره هكذا فغفر له والذي يترك المعاصي بالجوارح فعلاً وشهوتها في نفسه وقلبه ونفسه تنازعه إلى ذلك فإنه إن طهر ظاهره لم يطهر باطنه فلم يستكمل التوبة بحقيقتها وهذا الفرق قد عمل فيه حتى فارق المعاصي أصلاً ، وأصل الفرق عندنا ما ينفتح له من قرب الله فينكشف له الغطاء عن جلال الله وعظمته ثم عن سلطانه فيفرق من هيبة ذلك السلطان قلبه حتى يكاد ينخلع القلب من مستقره وتموت شهوته من الخوف وهذا الذي وصف من هذا العبد الذي لم يكن عمل خيرًا قط ففرق فإنما أصاب الفرق وانكشف له الغطاء . . .(١) وسعادة سبقت له من [١/ ٥٢/أ] الله عز وجل فختم له بذلك وإلا فإن الفرق لا يناله إلا النبلاء الأولياء .

١٩٥ـ حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا محمد بن خنيس المكى قال : سمعت عبد العزيز بن أبى رواد رضى الله عنه يقول : " ولما أنزل الله تعالى على نبيه ﷺ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ [التحريم : ٦] الآية قال : فلما تلاها رسول الله ﷺ على أصحابه خر فتى مغشيًا عليه فوضع رسول الله ﷺ يده على فؤاده فإذا هويتحرك فقال : يا فتى قل : لا إله إلا الله ، فأفاق الفتى وهو يقولها فبشره رسول الله ﷺ بالجنة فقال أصحابه : يا رسول الله أمن بيننا؟ فقال ﷺ : أما سمعتم الله يقول : ﴿ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴾ " [إبراهيم : ١٤] .

ومثله ما روى بهز بن حكيم عن أبيه عن جده عن رسول الله ﷺ " في عبد لم يعمل خيرًا قط فقال : لأهله إذا أنا مت فاحرقوني ثم ذروني . قد كنت شرحته في بابه . فقال له ربه : إني أسمعك راهبًا فغفر له " فكذلك هذا أيضًا .

قد كانت سبقت له من الله سعادة فتداركه بها عند الموت فرزقه الله تعالى الرهبة ، هو هرب القلب من شدة الخوف ، والخوف خفته وانزعاجه فالرهبة أكبر من الخوف ألا ترى أن الله لما ذكر أنبياءه فقال : ﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾ [الأنبياء : ٩٠] ولما ذكر من دونهم فقال : ﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ [السجدة : ١٦] فالرغب هو التهاب القلب حرصًا على الشيء الذي يطلبه فهو أعلى من الطمع ، والرهب هرب

---

(١) لم أستظهر قراءتها بالمخطوط .

القلب من هول سلطان الله فوصف هذا العبد الذي لم يعمل خيرًا قط في يوم مقدمه عليه بالرهبة ، يخبرك أن الرهبة صنعت به ما صنعت حتى أداه ذلك إلى أن أمر أولاده أن يحرقوه وقد بينت تفسير الخوف في بابه والله أعلم .

الأصل التاسع والعشرون

١٩٦ـ حدثنا عمر بن أبي عمر حدثنا إبراهيم بن العلاء الزبيدى عن عمر بن بلال الفزارى قال : سمعت عبد الله بن بشر المازني رضي الله عنه يقول : قال رسول الله ﷺ : " قصوا أظافيركم ، وادفنوا قلاماتكم ، ونقوا براجمكم ، ونظفوا لثاتكم من الطعام ، وتسننوا ولا تدخلوا علي قخرًا بخرًا "(١) .

قال أبو عبد الله رحمه الله :

فأما قوله : " قصوا الأظافير " [١/ ٥٢/ ب] فمن أجل أنه يخدش ويخمش ويضر ومجمع الوسخ ، فربما أجنب ولا يصل الماء إلى البشرة من أجل الوسخ فلا يزال جنبًا فبقي موضع إبرة من جسده بعد الغسل غير مغسول فهو جنب على حاله حتي يعم الغسل جسده كله فلذلك ندبهم إلى قص الأظافير ، والأظافير جمع الأظفور ، والأظفار(٢) جمع الظفر ، فمن قال : ظفر فجمعه أظفار ، ومن قال : أظفور فجمعه أظافير .

١٩٧ـ سمعت أبا داود المصاحفي يذكر عن النضر بن شميل عن الخليل بن أحمد قال : ينبغي أن يكون واحد الأظافير أظفورًا ، قال النضر : سمعت أبا سهلة العتكي يقول واحد الأظافير أظفور .

وفي حديث رسول الله ﷺ حيث سها في صلاته فقال : " وما لي لا أوهم ورفع أحدكم بين ظفره وأنملته ويسألني أحدكم عن خبر السماء وفي أظافيره الجنابة والتفث " .

وأما قوله : " ادفنوا قلاماتكم " فإن جسد المؤمن ذا حرمة فما سقط منه وزال عنه فحظه من الحرمة له قائم فيحق عليه أن يدفنه كما أنه لومات دفن فإذا مات بعضه فكذلك أيضًا مقام حرمته بدفنه كيلا يتفرق ولا يقع في النار أو في مزابل قذرة .

وقد أمر رسول الله ﷺ بدفن دمه حيث احتجم كيلا تبحث عنه الكلاب .

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور عند تفسير قوله تعالي : ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ : سنده فيه مجهول .

(٢) في (ص) " الأظافير " .

١٩٨ـ حدثنا بذلك أبى رحمه الله أخبرنا موسى بن إسماعيل حدثنا الهنيد بن قاسم بن عبد الرحمن بن ماعز قال : سمعت عامر بن عبد الله بن الزبير أن أباه رضى الله عنه حدثه : أنه أتى رسول الله ﷺ وهو يحتجم فلما فرغ قال : " يا عبد الله بن الزبير اذهب بهذا الدم فاهرقه حيث لا يراك أحد ، فلما برز عمد إلى الدم فشربه ، فلما رجع قال : يا عبد الله ما صنعت به؟ قال : جعلته في مكان ظننت أنه خافٍ على الناس، قال : لعلك شربته قال : نعم قال : لم شربت الدم؟ ويل للناس منك وويل لك من الناس " .

١٩٩ـ حدثنا بذلك[1] أبى رحمه الله حدثنى مالك بن سليمان الهروى قال داود بن عبد الرحمن عن[2] هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : " كان رسول الله ﷺ يأمر بدفن سبعة أشياء من الإنسان : الشعر والظفر والدم والحيض والسن والقلفة والمشيمة " .

وأما قوله : " نقوا براجمكم " والبراجم تلك الفصول من المفاصل [١/ ٥٣/ أ] وهو مجمع الدرن ، وأحدها برجمة وهو ظهر عقد كل مفصل وظهر العقد يسمى برجمة وما بين العقد راجبة وجمعها رواجب وذلك مما يلي ظهرها وهي قصبة الأصبع فلكل إصبع برجمتان وثلاث رواجب إلا الإبهام فإن لها برجمة وراجبتين فأمر بتنقيته لئلا يدرن فتبقي فيه الجنابة ويحول الدرن بين الماء والبشرة .

وأما قوله : " نظفوا لثاتكم " فاللثة واحدة واللثات جماعة ، وهي فوق الأسنان ودون الأسنان[3] وهي منابتها والعمور اللحمة القليلة بين السنيين واحدها عمر ، فأمر بتنظيفها لئلا يبقى فيه وَضَر الطعام فيتغير عليه النكهة وتتنكر الرائحة ويتأذي الملكان لأنه طريق القرآن ومقعد الملكين عند نابيه .

وروي في قوله تعالى : ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق : ١٨] قال : عند نابيه .

٢٠٠ـ حدثنا بذلك محمد بن على الشقيقى قال : سمعت أبى يذكر ذلك عن سفيان بن عيينة .

وجاد ما قال وذلك أن اللفظ عمل الشفتين بلفظ الكلام عن لسانه إلى البراز .

---

(١) كذا بالأصل .

(٢) في (ص) " بن " .

(٣) كذا في (ص) .

وقوله : ﴿ لَدَيْهِ ﴾ أي : عنده واللد والعند في لغتهم السائرة بمعنى واحد ، وكذلك قوله " لدن " والنون زائدة فكأن الآية تبين أن الرقيب عتيد عند تلفظ الكلام وهو الناب .

وأما قوله : " تسننوا " وهو السواك مأخوذ من السن أي : نظفوا السن .

وقوله : " لا تدخلوا علي قخرًا بخرًا " فالمحفوظ عندي قحلا وقلحا .

٢٠١ـ وسمعت الجارود يذكر عن النضر قال : الأقلح الذي : اصفرت أسنانه حتى بخرت من باطنها ، ولا نعرف القخر والبخر إلا الذي نجد له رائحة منكرة لبشرته ، يقال : رجل أبخر ورجال بخر .

٢٠٢ـ حدثنا الجارود أخبرنا جرير عن منصور عن أبى على عن جعفر بن تمام بن العباس عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : " استاكوا ولا تدخلوا على قلحًا " . والله أعلم .

الأصل الثلاثون

٢٠٣- حدثنا إسماعيل بن صالح حدثنا ابن وهب عن مالك بن حسين الزيادى عن أبى قبيل المعافرى عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : " ليس من أمتي من لم يجل كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه " .

قال [١/ ٥٣/ب] أبو عبد الله رحمه الله :

فالإجلال للكبير هو حق سنّه الله تعالى تقلب في العبودة[1] لله تعالى في مدة ، والرحمة للصغير هو موافقته لله تعالى بأنه رحمه ورفع عنه العبودة فلم يؤاخذه بحفظ حد ولا حكم ، والمعرفة للعالم حق العلم أن يعرف قدره بما رفع الله من قدره فآتاه العلم فإن الله تعالى قال في تنزيله : ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ﴾ [المجادلة : ١١] ثم قال : ﴿ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾ [المجادلة : ١١] فيعرف له درجاته الذي رفع الله له بما آتاه من العلم .

(١) في (ص) " العبوة " .

الأصل الحادي والثلاثون[1]

٢٠٤. حدثنا حميد بن الربيع اللخمي أخبرنا سعيد بن شرجيل أخبرنا ابن لهيعة عن الحارث بن ثوبان عن موسى بن وردان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " إذا أردت سفرًا أو تخرج مكانًا، فقل لأهلك: أستودعكم الله الذي لا يُخيب ودائعه ".

٢٠٥. حدثنا عمر بن محمد العثماني حدثنا ابن أبي السري حدثنا رشدين أخبرنا الحسن بن ثوبان عن موسي بن وردان عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ بمثله.

٢٠٦. حدثنا شقيق[2] أخبرنا أبي عن سفيان عن بهشل الضبي عن قزعة عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لعمر رضي الله عنه: " إن الله إذا استودع شيئا حفظه ".

قال أبو عبد الله رحمه الله:

فأما الوديعة هو الترك والتخلي عن الشيء وهو قوله تعالى: ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾ [الضحى: ٣] أي: ما تركك، وإن الله تعالى جعل الأمور إنما[3] تقوم بالأسباب محنة وبلوى لأهلها لينظر من ينفذ قلبه من الأسباب إلى ولي الأسباب، ومن يتعلق بها فيكون قلبه سبيًا من سبي الأسباب فيكون مثله كما ذكر الله في تنزيله فقال: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ﴾ [الزمر: ٢٩] ثم قال: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[الزمر: ٢٩] فهذا في الظاهر تجد رجلًا يعبد أصنامًا شتى، ورجلًا سلمًا للواحد القهار هل يستويان، وفي الباطن رجلًا في قلبه شركاء متشاكسون وهو شهواته التي تغلي في صدره فقد سبى قلبه أسباب تلك الشهوات، ورجلًا قد انفرد قلبه للواحد وخلا من جميع الأسباب وماتت [١/ ٥٤/ أ] نفسه من الشهوات هل يستويان مثلًا ثم قال: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

---

(١) في (د) " الأصل الثلاثون ".

(٢) في (ص) " سفيان " ولعله " الشقيقي " وهو محمد بن علي الشقيقي.

(٣) " إنما " زيادة من (د).

ثم قال : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴾[العنكبوت : ٤٣] فباطن هذه الأمثال إنما طالعها أهل اليقين ببصائر نفوسهم فوضع الله هذه الأمور في الأسباب وربوبيته في الأسباب قائمة فلا تطرف عين ولا ينبض عرق ولا تحس حاسة من الحواس بشيء إلا بإذنه وقوام الأشياء ودوامها به ما تصرفوا في الأمور وتقلبوا في الأحوال فإنما ينصرفون في ربوبيته ، فالموحدون وحدوه وأخلصوا إليه التوحيد ثم بقيت قلوبهم مع الأسباب التى منها يرون بدو الأسباب حين تبدو ولم يعيوا إلى وليّ الأسباب ومدبرها لهم فتشبثت نفوسهم بالأشياء وتعلقت قلوبهم بها حتى افتتنوا بها وعصوا الله من أجلها فضيعوا حقوقه وركبوا مساخطه ، وأهل اليقين احتدب أبصار قلوبهم بنور اليقين فنفذت إلى تدبير ولي الأسباب فصارت لهم معاينة ووصلت إلى ولي الأسباب فاستوطنت على القربة هنا عاكفة على ربها وولت الأسباب ظهرًا فهو يمضي في الأسباب كسائر الخلق والأسباب لا تأخذه ولا تغير قلبه لأن قلبه هناك بين يدي الخالق مبهوت في جلاله وعظمته والأسباب من وراء ظهره فهو يمضي فيها ولا يلتفت إليها فلا تجد الأسباب سبيلاً إلى أن تفتنه وإنما تأخذ الأسباب كل أحمق قد أسرته نفسه فقلبه في غطاء عن الله فلا يري الأشياء تبدو له إلا من الأسباب والنفس في خدعها وغرورها من ورائه فلا تزال هكذا حتى يصير قلبه سبيًا من سبي النفس وأسيرًا من أسراها لا يعمل إلا ما تهوي به نفسه فإذا خلف شيئا في مكان أراد أن يغيب عنه استودع الله ذلك الشيء فهذا منه في ذلك الوقت تحل وتبرؤ من حفظه ومراقبته لأنه ما دام معه فهو في نفسه يحسب أنه هو الذي يحفظه ويكلؤه ويرعاه وهو يقول مع هذا الله : خير حافظًا ، ولكن هذا القول منه قول الموحدين لا قول الموقنين المنتبهين لما يقول .

فما معه فهو يحفظه ثم إذا خلفه في حرز أو في حراسة أو أخفاه في موضع فقد وكله إلى ذلك الحرز والحراسة وإذا جعله هكذا ثم مع هذا أودعه ربه سبحانه وتعالى فقد وكله إلى الله وتبرأ من حفظه وحفظ حرزه وحارسه وتخلى منه مضى في تدبير الآدميين أن يحرزوا أو يحرسوا ثم [١/ ٥٤/ ب] وكله إلى الله فوجده مليًا وفيًا كريمًا .

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : " من توكل على الله كفاه " وقال في حديث آخر : " من سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله " لأنه إذا توكل قوي قلبه ولم يبال

بأحد وذهبت مخاوفه وقد قال في تنزيله : ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق : ٣] فإذا كان الله عز وجل حسبه فكفي به حسيبًا .

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : " من انقطع إلى الله عز وجل كفاه " .

وإن الله أعطى الخلق علم الأمور وعلم أسبابها وعلم حيلها وأعطاها القوة ومعرفة التصرف في ذلك ولم يغنهم عن نفسه بما أعطاهم فكلهم مع جميع ما أعطاهم الله فقراء مضطرون[١] لأنه لا يكون شيء إلا به فالغافل الأحمق يرى ما أعطي من هذه الأشياء فيقتدر بها في الأمور ويتملك فيريه الله عجزه وفقره وضعفه[٢] ويعرفه أنه لا يقوم إلا به فإن الأسباب التى[٣] أعطاهم كلهم ضعفاء فقراء مثله فإذا قال العبد : لا حول ولا قوة إلا بالله تبرأ من الأسباب وتخلى من وبالها فجاءته القوة والعصمة وجاءه الغياث والتأييد والرحمة تكتنفه فالوديعة التى يودع العبد ربه إنما هو تخلٍّ وتبرٌّ من الحول والقوة .

٢٠٧ـ حدثنا أبي رحمه الله حدثنا عبيد بن إسحاق العطار الكوفي أنبأ عاصم بن محمد بن زيد بن عبد الله[٤] بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال : حدثني زيد بن أسلم عن أبيه قال : " بينما عمر رضي الله عنه يعرض الناس إذا هو برجل معه ابنه ، فقال له عمر ويحك حدثني ما رأيت غرابًا بغراب أشبه من هذا منك ، قال : أما والله يا أمير المؤمنين ما ولدته أمه إلا ميتةً فاستوى له عمر رضي الله عنه فقال له : ويحك حدثني ، قال : خرجت في غزاة وأمه حامل به فقالت : تخرج وتدعني على هذا الحال حاملاً مثقلاً؟ قلت : أستودع الله ما في بطنك قال : فغبت ثم قدمت فإذا بابي مُغلق قلت ما فعلت فلانة؟ قالوا : ماتت ، فذهبت إلى قبرها فبكيت عنده ، فلما كان من الليل قعدت مع بني عمي أتحدث وليس يسترنا من البقيع شيء فرفعت لي نار بين القبور فقلت لبني عمي : ما هذه النار فتفرقوا عني ، فأتيت أقربهم مني فسألته فقال : نرى على قبر فلانة

---

(١) في (د) " مضطرون بالحاجة " .

(٢) في (ص) " صنعه " .

(٣) في (ص) " الذي " .

(٤) في (د) " عبد الرحمن " .

كل [١/ ٥٥/ أ] ليلة نارًا ، فقلت إنا لله وإنا إليه راجعون أما والله إن كانت لصوامة قوامة عفيفة مسلمة انطلق بنا ، وأخذت فأسًا فإذا القبر منفرج وهي جالسة وهذا يدب حولها وناداني مناد من السماء أيها المستودع ربه خذ وديعتك أما لو استودعته وأمه لوجدتها ، فأخذته وعاد القبر كما كان فهو والله هذا يا أمير المؤمنين " .

قال عبيد : فحدثت بهذا الحديث محمد بن إبراهيم العمري فقال : والله هذا حق وقد سمعت عم أبي عاصم(١) يذكره فقال : رأيت هذا الرجل بالكوفة وقال لي موالينا هو هذا . والله أعلم .

---

(١) في (د) " عمر بن عاصم " .

الأصل الثاني والثلاثون[1]

٢٠٨ـ حدثنا عمر بن أبي عمر قال : حدثنا نعيم بن حماد قال : أخبرنا ابن المبارك عن ابن[2] عجلان عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : " يجاء بالعبد يوم القيامة فتوضع حسناته في كفة وسيئاته في كفة فترجح السيئات فتجيء بطاقة فتقع في كفة الحسنات فترجح بها فيقول : يا رب ما هذه البطاقة؟ فما من عمل عملته في ليلي ونهاري إلا وقد استقبلت به ، قال : هذا ما قيل فيك وأنت منه بريء قال : فينجو بذلك " .

قال أبو عبد الله :

فإنما ثقلت البطاقة لأن البهتان عظيم شأنه .

وروي في الخبر أن داود سأل سليمان عليهما السلام ما أثقل شيء؟ فقال : البهتان على البريء .

٢٠٩ـ حدثنا عمر بن أبي عمر قال : حدثنا الربيع بن يحيى عن المسعودي قال : أنبأني المنهال بن عمران عن سويد بن غفلة عن علي رضى الله عنه قال : " البهتان على البريء أثقل من السموات " .

وإنما صار هكذا لأن الآدمي ائتمن على جوارحه السبع وهي ظواهر ووكل برعايتهن أيام الحياة لئلا تدنس حتى يقدم على الله وهو مقدس مصلح لدار القدس وأن يكون مجاورًا للقدوس[3] ومجاورًا له ومحدثًا فإذا رعاهن هذا المؤمن ثم ضيع منه ما ضيع من غفلةٍ أو زلةٍ أو. . .[4] أو فتنة حلت به فمن ورائه الندم والاستغفار والإقلاع وباب التوبة مبسوط فإذا رعى العبد هذه الجوارح فقال هذا في عرضه ما هو بريء منه فقد خونه في أمانة الله عنده ولم يخن ، وزعم أنه سرق من الله جارحة [١/ ٥٥/ ب]

---

(١) في (د) " الأصل الحادي والثلاثون " .

(٢) سقط من (ص) " ابن " .

(٣) بالأصل " القدس " .

(٤) غير واضحة بالمخطوط .

ولم يسرق ودنس عرضه وليس بدنس وألزم جوارحه من الشين والعار ما لم يلزق به وتهافت عنه وبقيت الكلمة في عنق صاحبها راجعة بوبالها وعارها وشنارها وهتك له سترًا لم ينهتك ورماه بداهية هو منها بريء ساعي به إلى الله وغير مقبول سعايته لأن علام الغيوب مطلع على كذبه وكُتِبَ في شهداء الزور وقد نهى الله عنه وقرنه بالشرك فقال : ﴿ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴾ [الحج : ٣٠] ، فقال ﷺ : " البهتان عُدِلَ بالشرك بالله " .

وسمي بهتانًا لأنه يبهت القلب ويُحَيره من ظلمته فإن الظلم ظلمات ، فإذا بهت القلب وتحير في الظلمة ذهبت الهداية والبصيرة فخرب القلب ، وهو بمنزلة الشمس إذا انكسفت فتهافت نورها فيصير الذي نيل من عرضه بهذا البهتان عند الله تعالى بحال رحمة حيث أصيب من عرضه وخلص الألم إلى قلبه فعرض أتعبه وأنصبه فلم يرض الله له عوضًا إلا الجنة فكيف إذا تعب قلبه لأن البهتان يصل وجعه إلى القلب وإذا كان بريئًا فهو أوجع لقلبه . والله أعلم .

الأصل الثالث والثلاثون

٢١٠. حدثنا إبراهيم بن عبد الله الخلال قال : أخبرنا عبد الله بن المبارك قال : أخبرنا يونس بن يزيد عن ابن شهاب عن نبهان مولى أم سلمة أنه حدثه أن أم سلمة زوج النبي ﷺ حدثته : أنها كانت عند رسول الله ﷺ وميمونة قالت : " بينا نحن عنده إذا أقبل ابن أم مكتوم فدخل عليه . وذلك بعد أن أمر بالحجاب . فقال رسول الله ﷺ : احتجبا منه فقلنا : يا رسول الله أليس هو أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا؟ فقال رسول الله ﷺ : أفعمياوان أنتما ألستما تبصرانه " .

قال أبو عبد الله :

فإنما ضرب الحجاب عليهن كرامة لرسول الله ﷺ وإجلالاً له وصير الله أزواجه أمهات المؤمنين ليحرمن على من بعده ، وقد تكلم بعضهم في حياته بشيء من تزويجهن فنزلت : ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن [١/٥٦/أ] تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٥٣] ونزلت آية : ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾ [الأحزاب : ٦] فانقطع الخطاب الذي كان فيما بينهم والطمع في شأنهن فصرن أمهات المؤمنين .

وليس المؤمنون بمحرم لهن؛ وذلك ليعلم أنه إنما صرن أمهات المؤمنين ليحرمن على الرجال من بعده ، وليس الرجال بمحرم لهن فقال : ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾ [الأحزاب : ٥٣] فكما حظر على الرجال النظر إليهن ، فكذلك حظر عليهن النظر إلى الرجال فبين علة الحجاب أنه إنما أريد بذلك طهارة قلوب الصنفين جميعًا قلوب الرجال منهن وقلوبهن من الرجال .

وروي في الخبر أن الحسن والحسين رضي الله عنهما كانا لا يريان أمهات المؤمنين وإنما كان يدخل عليهن محارمهن من النسب والرضاع ومماليكهن .

الأصل الرابع والثلاثون

٢١١ـ **حدثنا** إبراهيم بن عبد الله الخلال قال : أخبرنا عبد الله بن المبارك قال : أخبرنا يحيى ابن أيوب عن عبد الله بن زجر عن على بن يزيد عن القاسم عن أبي امامة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : " ما من مسلم ينظر إلى محاسن امرأة أول مرة ثم يغض بصره إلا أحدث الله له عبادة يجد حلاوتها " .

قال أبو عبد الله :

فالنظرة الأولى نظرة الروح ، والنظرة الثانية نظرة النفس لأن الإنسان خلق مفتوح العين عمول ناظراه لحاظ هكذا وهكذا فهو مأذون له في ذلك ، لأن من شأن العين أن تطرف وتفتح ، فإذا وقع بصره على شيء فليس عليه شيء لأن قلبه لم يعمل شيئًا ، فإذا عمل بصره بعد ذلك فإنما يعلمه ، والابتداء من القلب حتى تعمل العين فذاك نظر تكلف فهو مسئول عنه والأول مرفوع عنه فلذلك قال : " ينظر إلى محاسن امرأة أول مرة ثم يغض بصره " لأنه لما وقع بصره على المحاسن وجب عليه أن يغض فالغض فعل العين فعليه يثاب والفتح والنظر بعد ذلك فعل العين فعليه يعاقب ويقال إن بصر العين متصل ببصر الروح من داخل فلذلك قيل : الحياء في العينين ، لأن الحياء من فعل الروح ، [١/٥٦/ب] ولذلك قيل : لا تطلبن إلى أعمى حاجة . روي ذلك عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٢١٢ـ **حدثنا** به محمد بن محمد بن حسين قال : حدثنا المعلى بن أسد قال : حدثنا عمر بن مسافر العتكى قال : حدثنى أبو حمزة الضبعى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : " لا تطلبن إلى أعمى حاجة ، وإذا طلبت الحاجة فاستقبل الرجل بوجهك فإن الحياء في العينين " .

فلا تطلبنها ليلاً وباكر في حاجتك فإن رسول الله ﷺ قال : " اللهم بارك لأمتي في بكورها " .

فلما غض بصره عما لا يحل فإنما صان روحه أن يتدنس وقمع نفسه عن أن تلذذ بشهوة فأعطي نورًا ثوابًا عاجلاً فوجد حلاوة العبادة .

٢١٣ـ **حدثنا** عمرو بن زياد الحنظلى قال : حدثنا عبد الله بن المبارك . فى مجلس حماد بن

زيد سنة ثلاثة وسبعين ومائة. قال : أخبرنا يحيى بن أيوب عن عبد الله بن زاخر عن على ابن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " النظر إلى محاسن المرأة سهم من سهام إبليس مسموم فمن صرف بصره عنها أبدله الله عبادة يجد حلاوتها " .

الأصل الخامس والثلاثون[1]

٢١٤ـ حدثنا محمد بن زنبور المكي قال : حدثنا إسماعيل بن جعفر المدني قال : حدثنا سعيد بن سعيد بن قيس الأنصاري عن عمر بن ثابت بن الحارث عن أبي أيوب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : " من صام رمضان ثم أتبعه ستًا من شوال فكأنما صام الدهر " .

٢١٥ـ حدثنا عباد بن بكر بن عباد بن كثير الثقفي قال : حدثنا عبد الله بن يزيد قال : حدثنا سعيد بن أيوب قال : حدثني أبو زرعة عمرو بن جابر الحضرمي قال : سمعت جابر بن عبد الله رضى الله عنه يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " من صام رمضان وستًا من شوال فكأنما صام السنة كلها " .

٢١٦ـ حدثنا محمد بن عمرو السويقى قال : حدثنا عبد العزيز بن محمد عن صفوان بن سليم عن عمر بن ثابت عن أبى أيوب رضى الله عنه عن رسول ﷺ مثله .

٢١٧ـ حدثنا محمد بن محمد بن حسين قال : حدثنا حسان بن أبى حسان البصري عن همام ابن يحيى قال : حدثنا المثنى بن الصباح عن رجل من رهط أبى هريرة [١/ ٥٧/ أ] عن أبى هريرة رضي الله عنه عن رسول ﷺ بمثله .

قال أبو عبد الله رحمه الله :

فهذا من أجل أن الله تبارك اسمه جعل الحسنة لهم بعشر أمثالها فصوم رمضان بثلاثمائة يوم كل يوم بعشرة وبقي من السنة ستون يومًا فبعدل كل يوم بعشرة فتحسب له على تضعيف الحسنات كأنه صام الدهر كله .

وكذلك الحديث الآخر الذي جاء على غير هذا السبيل هكذا تأويله .

٢١٨ـ حدثنا أبو عبيدة بن أبي السفر الثوري قال : حدثنا روح بن عبادة قال : حدثنا شعبة عن معاوية بن قرة عن أبيه رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " من صام ثلاثة أيام من كل شهر فقد صام الشهر كله لأن كل يوم يحتسب له في التضعيف بعشرة أيام " .

---

(١) في (د) الأصل " الرابع والثلاثون " .

الأصل السادس والثلاثون(1)

٢١٩ـ **حدثنا** يحيى بن المغيرة أبو سلمة المخزومي قال : حدثنا ابن أبى فديك عن يزيد عياض سمع معن بن محمد الغفاري يحدث عن حنظلة بن على الأسلمي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : " الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر " .

قال أبو عبد الله رحمه الله :

فالطعام فعل والصوم كف عن فعل فالطاعم بطُعمه يأتي ربه بالشكر ، والصائم بكفه عن الطعام يأتي ربه بالصبر .

وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : " الإيمان نصفان : نصف للشكر ونصف للصبر " .

وقال في حديث آخر عن ابن مسعود رضي الله عنه " الصبر نصف الإيمان " فإنما قيل نصف الإيمان ؛لأن نصفه للشكر .

ثم قال : " واليقين الإيمان كله " ثم تلا : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ [إبراهيم : ٥] ثم قال : (إن في ذلك لآيات للموقنين)

فجمع اليقين الصبر والشكر ، وإنما هو صنفان : معطي له فعليه الشكر ، وممنوع منه فعليه الصبر ، فإذا شكر هذا فقد أتى من حقيقة الإيمان بنصفه ، وإذا صبر هذا فقد أتى من حقيقة الإيمان بنصفه ، وإنما قيل إيمانًا ؛ لأن حقيقة الإيمان كان عندهم من الإيمان .

ولنا مسألة في التفرقة [١/ ٥٧/ ب] بين درجة الشكر والصبر وهو في كتاب النوادر من المسائل .

---

(١) في (د) " الخامس والثلاثون " .

الأصل السابع والثلاثون

٢٢٠ـ **حدثنا** يزيد بن عمرو بن يزيد بن البراء بن عبد الله بن البراء العثري قال : حدثنا أحمد ابن الحارث الغساني قال : حدثتني ساكنة بنت الجعد عن سري بنت نبهان العثرية رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " اقتلوا الحيات كبيرها وصغيرها وأسودها وأبيضها فإن من قتلها كانت له فداء من النار ومن قتلته كان شهيدًا " .

قال أبو عبد الله :

فالحية عدوة وقد أظهرت العداوة وقد كانت وكلت بخدمة آدم صلوات الله عليه في الجنة فخانته ، وأمكنت عدو الله من نفسها حتى صيرته سببًا لدخوله الجنة في إغوائه فلما ألقاهم إلى الأرض تأكدت العداوة من عدو الله ومن الحية لآدم عليه السلام وولده .

٢٢١ـ **حدثنا** سليمان بن العباس الهاشمي قال : حدثنا عبد الرزاق عن عمر بن عبد الرحمن قال : سمعت وهب بن منبه رضي الله عنه يقول : " لما أسكن الله آدم عليه السلام الجنة وزوجته كانت الشجرة غصونها متشعبة بعضها في بعض وكان لها ثمر تأكله الملائكة يخلدهم وهي الثمرة التي نهى الله تعالى آدم عليه السلام وزوجته عنها فلما أراد إبليس أن يستنزلهما دخل في جوف الحية وكانت الحية لها أربع قوائم تحتية من أحسن دابة خلقها الله فلما دخلت الجنة خرج من جوفها إبليس وأخذ من الشجرة التي نهى الله آدم عليه السلام وزوجته عنها فجاء بها إلى حواء فقال لها : انظري إلى هذه الشجرة ما أطيب ريحها وأطيب طعمها وأحسن لونها فأخذتها حواء فأكلتها ثم ذهبت بها إلى آدم عليه السلام فقالت : انظر إلى هذه الشجرة ما أطيب ريحها وأطيب طعمها وأحسن لونها فأكل منها آدم عليه السلام فبدت لهما سوآتهما فدخل آدم عليه السلام في جوف الشجرة فناداه ربه أين أنت؟ قال : أنا هنا يا رب ، قال : ألا تخرج ؟ قال : أستحيي منك يا رب قال : اهبط إلى الأرض التي خلقتك منها قال : ملعونة الأرض التي منها خلقت لعنة تتحول ثمارها شوكا ، ولم يكن في الأرض شجرتان أفضل من الطلح والسدر ، ثم قال : يا حواء غررت[1] عبدي فإنك لا تحملين حملاً إلا حملت

---

(١) في (ص) " غدرت " .

كرهًا وإذا أردت أن تضعي ما في بطنك أشرفت على الموت مرارًا ، [١/٥٨/أ] وقال للحية : أنت التي دخل الملعون في جوفك حتى غر عبدي ملعونة أنت لعنة تتحول قوائمك في بطنك ولا يكن لك رزق إلا التراب أنت عدوة بني آدم وهم أعداؤك أين لقيت أحدًا منهم أخذت بعقبه وحيث ما لقيك أحد منهم شدخ رأسك " .

قال عمرو بن عبد الرحمن : قيل لوهب : وهل كانت الملائكة تأكل ، قال : يفعل الله ما يشاء .

وفي رواية أخري كانت الشجرة تحبك الملائكة بثمرها تخلدهم . فعداوة الحية أصلية متأكدة لا يبقي في ضرر بني آدم غاية إلا من عصم الله وإنما أعطيت السم في نابها لتمتنع بها عن ولد آدم ولتحذر فلتقتل وقد شاركت إبليس في ضرر ولد آدم وعداوتهم وتظاهرت معه فلذلك من قتل حية فكأنما قتل كافرًا ﴿ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴾ [الفرقان : ٥٥] أي : للشيطان ، فكذلك الحية .

٢٢٢ـ **حدثنا** محمد بن موسى الحرشى قال : حدثنى عبد الرحيم بن زيد العَمّى عن أبيه عن محمد بن كعب القرظي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : " اقتلوا الحية والعقرب وإن كنتم في الصلاة " .

٢٢٣ـ **حدثنا** عبد الوهاب بن فليح المكي قال : حدثنا عبد العزيز بن عبد الصمد قال : حدثنا هشام أبو المقدم عن محمد بن كعب عن ابن عباس رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ بمثله .

٢٢٤ـ **حدثنا** قتيبة قال : حدثنا الليث بن سعد عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال : " خمس يقتلهن المحرم ، فذكر الحية فيهن " .

قال أبو عبد الله رحمه الله :

فليس لها حرمة ولا ذمة ، وقاتلها في أجر إذا احتسب بها ، ومن قتل كافرًا كان فداؤه من النار لأنه عادي الله وأغاثه الله بموالاته ربه ، فكذلك المؤمن إذا قتل الحية فكأنما قتل عدو الله ؛ لأنه سالم عدو الله وعدو أبيه فبقي ذلك الشر في ولده إلى يوم القيامة .

٢٢٥ـ **حدثنا** عمر بن أبى عمر العبدي قال : حدثنا نعيم بن حماد قال : حدثنا ابن إدريس عن ابن جريج عن عمرو بن دينار عن أبى عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن أبيه رضي الله عنه

قال : كنا مع رسول الله ﷺ [١/٥٨/ب] بمنى فمرت حية ، فقال رسول الله ﷺ : " اقتلوها فسبقتنا إلى جحر فدخلته ، فقال رسول الله ﷺ : هاتوا بسعفة ونار فاضرموها عليها نارًا " .

قال نعيم : حدثت به ابن أبي شيبة وابن إدريس حي فجعل يتعجب ولم يصبر أن قام حتى صار إليه وسمعه منه .

فكان رسول الله ﷺ ينهى عن المثلة وعن أن يعذب بعذاب الله فلم يبق لهذا العدو حرمة حيث فاتته حتى أوصل إليه الهلاك من حيث قدر .

وروي عن إبراهيم النخعي رضى الله عنه أنه كره أن تحرق العقرب بالنار وقال هو مثلة ، فيشبه أن يكون إبراهيم لم يبلغه هذا الأثر عن رسول الله ﷺ ويحمل[١] على الأثر الذي جاء " أن لا تعذبوا بعذاب الله " فكان على هذا السبيل العمل عنده ، ولكن لما أعجزتهم الحية فوتًا أحب أن يقيم عداوته في الله ويخفر ذمة إبليس .

فإنه روي في الخبر أن عدو الله إبليس قال لها : " أدخليني وأنت في ذمتي " . فكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول : " اخفروا ذمة إبليس عدو الله " وجاء عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال : كنا مع رسول الله ﷺ في غار فنزلت عليه (والمرسلات عرفًا) فأخذتها رطبة من في رسول الله ﷺ فخرجت حية من جُحر فابتدرناها لنقتلها فانسابت في جحر فقال رسول الله ﷺ : وقيت شركم كما وقيتم شرها .

قال : فسببه أن يكون هناك في الغار لم يجد نارًا فتركها أو لم يكن بالجحر هيئة ينتفع بالنار هناك ولم يكن إضرامها بالنار .

فأما ما روي عن رسول الله ﷺ " أنه نهي عن قتل الجان فإن تلك في صورة الحيات هن من الجن ، وهن سكان البيوت فإذا قتلتها ضرت بك " .

٢٢٦ـ حدثنا ابن أبى ميسرة قال : حدثنا يعقوب بن محمد الزهرى قال : حدثنا حاتم بن إسماعيل قال : حدثنا إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع عن الزهرى عن سالم عن أبيه رضى الله عنه قال : حدثنى زيد بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ نهى عن

---

(١) في (ص) " عمل " .

قتل دواب البيوت يعني : الحيات .

٢٢٧ـ حدثنا محمد بن أيوب السمناني قال : حدثنا عبد الله بن صالح قال : حدثني معاوية ابن صالح عن أبي الزاهرية عن جبير بن نفير عن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " الجن علي ثلاثة أصناف : [١/ ٥٩/ أ] صنف له أجنحة يطيرون بها في الهوي ، وصنف حيات وكلاب ، وصنف يرحلون ويظعنون " .

وزاد في غيره .

٢٢٨ـ عن أبي أسامة عن أبي منيب عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : " خلق الله الجن ثلاثة أثلاث فثلث كلاب وحيات وخشاش الأرض ، وثلث ريح هفافة ، وثلث كبني آدم لهم الثواب وعليهم العقاب " .

وخلق الله تعالى الإنس ثلاثة أثلاث فثلث له قلوب لا يفقهون بها وأعين لا يبصرون بها وأذان لا يسمعون بها إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلًا ، وثلث أجسادهم أجساد بني آدم وقلوبهم قلوب الشياطين ، وثلث في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله .

٢٢٩ـ حدثنا سفيان قال : حدثنا يحيى بن سعيد عن ابن عجلان قال : حدثني صيفي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " إن بالمدينة نفرًا من الجن أسلموا فمن رأى شيئًا من هذه العوامر فليؤذنه ثلاثًا فإن بدا له بعد ذلك فليقتله فإنه شيطان " .

٢٣٠ـ حدثنا الزبير بن بكار بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير قال : حدثنا سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أخيه عن جده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : " خرج رسول الله ﷺ إلى أحد فخرج معه فتى منا من بني خدرة – وهو حديث عهد بعرس – فاستأذن رسول الله ﷺ أن يطلع على أهله فأذن له وخرج الفتى وفي يده الرمح حتى دخل الدار فوجد زوجته بباب حجرته جالسة فأفزعه ذلك فقال : ما أخرجك من بيتك؟ قالت : حية منطوية علي فراشك هي التي ذعرتني ودخل الفتى فوكزها برمحه وخرج بها الى صحن الدار تضطرب فيه فماتت ومات الفتى من ساعته فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال : لا تقتلوا شيئًا تجدوه في البيوت منهن حتى تقدموا " .

٢٣١ـ حدثنا عبد الله بن سعيد الأشج قال : حدثنا أبو خالد الأحمر عن حاتم بن أبي صغيرة عن ابن أبي مليكة قال : قتلت عائشة رضي الله عنها جانا فأتيت في المنام فقيل أما والله

لقد قتلتيه مسلمًا فقالت : لو كان مسلمًا ما دخل على أمهات المسلمين(١) فقيل ما دخل عليك إلا وأنت مستترة فتصدقت وأعتقت رقابًا . [١/ ٥٩/ ب]

٢٣٢- حدثنا أبي رحمه الله قال : حدثنا أبو نعيم قال : حدثنا سفيان عن أبي إسحاق عن ثابت بن قطبة الثقفي قال : جاء رجل الى عبد الله رضي الله عنه فقال : إنا كنا في سفر فمررنا بحية مقتولة مشعرة في دمها فواريناها فلما نزلوا أتتهم نسوة أو أناس(٢) فقالوا : أيكم صاحب عمرو؟ قالوا : من عمرو؟ فقالوا الحية التي دفنتموها أمس أما إنه من النفر الذين استمعوا من رسول الله ﷺ ، قلنا : ما شأنه؟ قال : كان جان من الجن مسلمون ومشركون بينهم قتال فقتل .

٢٣٣- حدثنا صالح بن محمد قال : حدثني يحيى بن واضح قال : حدثني الربيع بن بدر رضى الله عنه قال : الجان من الحيات التي نهى رسول الله ﷺ عن قتلها ، هي التي تمشي ولا تلتوي .

٢٣٤- حدثنا نصر بن فضالة عن محمد بن سلام الكندى عن ابن المبارك رضى الله عنه بمثله .

٢٣٥- حدثنا أبي رحمه الله قال : حدثنا أبو نعيم عن سفيان عن أبي قيس الأزدى عن علقمة رضى الله عنه قال : اقتلوا الحيات كلها إلا الجان الذي كأنه ميل فإنه جنها ، ولا يضر أحدكم كافرًا قتل أو مسلمًا هو. والله أعلم .

---

(١) في (د) " المؤمنين " .

(٢) في (ص) " وناس " .

الأصل الثامن والثلاثون(1)

٢٣٦- حدثنا محمد بن الحسن الليثي قال : حدثنا إبراهيم بن سعد الزهري عن أبيه عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه قال : " رأيت رسول الله ﷺ يأكل القثاء بالرطب " .

قال أبو عبد الله رحمه الله :

فهذا جمع بين لونين فيجوز أن يكون قد اشتهاه فقضى شهوته لله لتسكين النفس فإن النفس نازعته إلى ما فيه اللذة لها ، ولها حق إذا استقامت لمولاها فأدى حقها وحمد الله وشكره عليها فلا يكون على صاحبها وبال في مثل هذا وإنما الوبال على من قضى شهوته بنهمة وهو غافل عن ربه منهوم بلذته لا يلتمس فيها حق النفس ولا يبتغي بها وجه الله فالحساب أمامه وهو مسئول عن شكرها وقد يجوز أن يكون على غير هذا السبيل الذي ذكرناه ، ويحتمل أن يكون لمكان عياله أو ضيفه فعل ذلك فتوسع في ذلك من أجلهم ولم يحمل قوته على ضعفهم فربما ينغص على الضيف أو العيال إمساكك عنه واستوحشوا من فعلك وتكدرت تلك النعمة عليهم ففيه تضييع حق الضيف وحق العيال فيخالطهم في ذلك ويشركهم [١/ ٦٠/أ] فيه .

ووجه آخر محتمل لذلك أيضًا أن القثاء بارد ، والرطب حار فأحب أن يصيره مزاجا فيجمع بين الحار والبارد كي لا يضر به واحد منهما على الانفراد ، فكل هذه الوجوه محتملة لفعل رسول الله ﷺ بذلك .

٢٣٧- حدثنا عبدة بن عبد الله الخزاعي قال : حدثنا معاوية بن هشام قال : حدثنا سفيان الثوري عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها : " أن رسول الله ﷺ كان يجمع بين البطيخ والرطب " .

٢٣٨- حدثنا عبدة قال : حدثنا مسلم بن إبراهيم قال : حدثنا جرير بن حازم عن حميد الطويل عن أنس رضي الله عنه : " أن رسول الله ﷺ كان يأكل البطيخ بالرطب " .

---

(١) في (د) " السادس والثلاثون " .

الأصل التاسع والثلاثون(١)

٢٣٩ـ حدثنا عمر بن أبى عمر قال : حدثنا على بن عبد الحميد المعني قال : حدثنا أبو النضر جرير بن حازم الأزدي عن أبي رجاء العطاردى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : " كنت رديف رسول الله ﷺ فقال : ألا أعلمك خصلات ينفعك الله بهن؟ قلت : بلى يا نبي الله ، قال : عليك بالعلم فإن العلم خليل المؤمن والحلم وزيره والعقل دليله والعمل قيمه والرفق أبو ه واللين أخوه والصبر أمير جنوده " .

قال أبو عبد الله رحمه الله :

فالعلم ما يتصور في الصدر وذلك أن الإيمان مستقره في القلب ، فإذا أشرق نوره في الصدر ثم اعترضت فكر في الأمور من الخير والشر صار لكل فكرة ظل في الصدر على هيئته فالخير يتصور في بهائه وحسنه ، والشر وزينته في قبحه وشينه فإنما قيل علم لأنه علائم الإيمان وقد أظهر في الصدر باطن ما في القلب فهو خليله لأنه قد خله إلى الإيمان أي : ضمه لما ظهر العلم اهتدى فمال إلى من آمن به ليأتمر بأمره وينتهي عن نهيه ، والخلة الضمة في اللغة يقال : هذا ثوب خليل وهو الذي شكه بالخلال فضمه إلى نفسه فكذلك العلم لما ظهر في صدر المؤمن شكه وجمعه حتى لا تنتشر جوارحه في شهواته وهو اه ، " والحلم وزيره " فالحلم هو: سعة الصدر وطيب النفس فإذا وسع الصدر وانشرح بالنور أبصرت النفس رشدها من غيها وعواقب الخير والشر فطابت النفس ، وإنما تطيب [١/ ٦٠/ ب] النفس بسعة الصدر ، وإنما يتسع الصدر بولوج النور الوارد من عند الله وهو قوله تعالى : ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ [الزمر : ٢٢] فإنما دخل النور واتسع الصدر لما ابصر العناية ويسر عليه تسليم النفس لله عبودة في أمره ونهيه وانقادت له وذهبت عسرته وكزازتها والملح يطيب الطعام والحلم يطيب النفس فإنما طابت النفس لما عاينت بنور اليقين من حسن العواقب طأطأ بنور اليقين وتلك بصيرة اليقين .

٢٤٠ـ حدثنا عمر بن أبى عمر قال : حدثنا محمد بن خالد التيسى الزغيثى أبو مسلم قال :

---

(١) في (د) " السابع والثلاثون " .

حدثنا يعلى بن الأشدق العقيلى قال : حدثنى عمى عبد الله بن حماد(١) رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " ليس الأعمى من تعمى بصره إنما الأعمى من تعمى بصيرته " ، قال الله تعالى في تنزيله : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴾ [الحج : ٤٦] فطيب النفس من روح اليقين وهو من أعظم النعم .

٢٤١- حدثنا رزق بن موسى الناجى قال : حدثنا معن القزاز قال : حدثنا عبد الله بن سليمان ابن أبى سلمة مولى الأسلمين عن معاذ بن عبد الله بن حبيب عن أبيه عن عمه عن عمر(٢) رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " لا بأس بالغِنى لمن اتقى ، والصحة لمن اتقى خير من الغنى وطيب النفس من النعيم " .

قال رزق الله : قال معن :

يعني غنى المال والغني بغير التقوى هلكة يجمعه من غير حق ويضعه في غير حقه ، فإذا كان هناك مع صاحبه تقوى فقد ذهب البأس وجاء بالخير .

٢٤٢- حدثنا عمر بن أبى عمر قال : حدثنا أبو الخير المدينى عبد المنعم بن بشر(٣) قال : حدثنا أبو مودود عن محمد بن كعب رضى الله عنه قال : " إن الغني إذا كان تقيًا بالله آتاه أجره مرتين ثم تلا : ﴿ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴾ [سبأ : ٣٧] " .

وهذا عبد قد امتحنه الله فوجده صادقًا وليس من امتحن كمن لم يمتحن ألا ترى أن مؤمني أهل الكتاب امتحنوا بالفترة فلما بعث رسول الله ﷺ آمنوا به وكانوا على دين ، فقال الله في تنزيله : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ ﴾ [القصص : ٥٤] فصبر الغني أشد [١/ ٦١/ أ] من صبر الفقير ، كما أن محاربتك أسدًا قد خلي عنه أشد من محاربتك أسدًا قد ربط بالوثاق فقهره هين الشأن من المخلى عنه ، وما القول إلا ما قال مالك بن دينار رحمة الله عليه قال : يقول الناس : مالك زاهد وكيف لا يزهد وهو فقير مقتر عليه أو قال : إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه نال الخلافة فلبس المسوح .

---

(١) في (ص) " جراد " .

(٢) سقط من (د) " عمر " .

(٣) في (د) " بشير " .

وأما قوله : " وَالصحة لمن اتقى خير من الغنى " فإن صحة الجسد عون على العبادة ، فالصحة مال ممدود والسقيم عاجز ، والعمر الذي أعطي به تقوم العبادة ، والصحة مع العمر خير من الغنى مع العجز ، والعاجز كالميت .

وأما قوله : " وطيب النفس من النعيم " فقد ذكرنا بدءًا أنه من روح اليقين على القلب وهو النور الوارد الذي قد أشرق في الصدر فأراح القلب ، والنفس من الظلمة والضيق والضنك لأن النفس بشهواتها في ظلمة ، والقلب في تلك الظلمات قد أحاطت به فالسائر إلى مرعاه في ظلمة يشتد عليه السير ويضيق صدره لما يتخوف في الطريق من المهاوي والمخاوف ومن الآبار ووعورة الطريق وغير ذلك من الهوام والسباع واللصوص فهو يسير في ثقل وصعوبة فيحل به من عسرته النكد والتعب والنصب وإذا أضاء له الصبح انفقأت الظلمة ووضح الطريق وزالت المخاوف وذهبت العسرة واستراح القلب واطمانت النفس ، فكذلك السائر بقلبه بشريعة الإسلام إلى الله إذا كان قلبه في ظلمة شهواته وهو اه بهذه الصفة فإذا أشرق نور اليقين في صدره أبصر فذهبت الحيرة وزالت المخاوف ونفي الجبن والشك واستراح القلب فهذه صفة الحلم ، فهو وزير المؤمن يوازره على أمر الله وعلى ما يقتضيه العلم فإذا لم يكن حلم ضاقت النفس وانفرد القلب بلا وزير ، والعقل دليله يدله على مراشد الأمور فيبصره عيبها ويهديه لمحاسنها ويزجره عن مساوئها ، وخلق الله العقل فقال : وعزتي ما خلقت خلقًا أحب إلي منك فلا أكتمك فيمن أحب فبك آخذ وبك أعطي وإياك أعاتب ولك الثواب وعليك العقاب .

وروي في الخبر أن الله تبارك اسمه قال : " يا موسى إنما أجزي الناس على قدر عقولهم " .

فقسم العقل بين خلقه على ما شاء من المقادير [١/ ٦١/ ب] فتتفاوت المقادير في التفضيل فأوفرهم حظًا من العقل أبصرهم بالأمور وهو نور مسكنه في الدماغ وتدبيره على القلب كما أن الروح مسكنه في جوف القلب معلق بالوتين ، ثم هو متفرق في جميع الجسد قد اشتمل عليه والعمل قيمة يكسب له المساكن والقصور والخدم في جنان الله ويهيىء له في معاشه طيب الحياة فإن الله تبارك وتعالى اسمه قال : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ

مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ فالحياة الطيبة في الدنيا والجزاء في الآخرة فالقيم من شأنه أن يتوكل لك حتى يكفيك مهماتك ، والرفق أبو ه فالأب له تربية ومع التربية عطف ورحمة وشفقة وتلطف له في أموره للولد فكذلك الرفق له عمل الأبوة يحوطه ويلطف له في أموره ويشفق على أحواله ويلطف عليه بالرأفة ويغذوه .

والرفق كفشير(١) به تتأتي الأمور وبه يتصل بعضها ببعض وبه يجتمع ما تشتت منه ويألف ما تنافر وتبدد ويرجع إلى المأوى ما شذ فكما أن الولد شامل لأحوال ولده جامعًا له من وجوه المكاسب .

كذلك الرفق شاملاً لأحوال المؤمن جامعًا له الخيرات والطاعات من وجوه البر ، واللين أخوه فأخ المرء معتمده من المخلوقين فهو مستراحه إذا أعيي أو نصب استند إليه فاستراح فكذلك اللين هو مستراح المؤمن تهدأ نفسه ويطمئن قلبه وإنما يلين قلبه بهدوء نفسه وإنما تهدأ نفسه بموت شهواتها وإنما تموت شهواتها بما أبصر قلبه بنور اليقين من جلال الله وعظمته فصار كالدهن باللبن ومن غلظ قلبه وفظ واشتد في القسوة وإنما يقسو قلبه من الغفلة عن الله فإنما يلين القلب لما ترطب بذكر الله وقد قال جل جلاله : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الزمر : ٢٢] وفي اللغة السائرة : : قسي ، وعتي ، وعسي ، يقسو ، ويعسو ، ويعتو " كلها قريبة المعني يرجع المعني إلى أنه ييأس ذكره وضد ذلك رَطُبَ فلان قال الله تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] فالفظاظة وغلظ القلب يفرق المجموع ويبدد المؤتلف [١/ ٦٢/أ] ، واللطافة ورقة القلب تجمع المتفرق ، وتؤلف(٢) المتبدد وإن القلب يلطف ويرق من النور وسببه الرحمة ويفظ ويغلظ من حرارة الشهوات وقوة الغذاء والدم وكان رسول الله ﷺ من شأنه المداومة على الحجامة إلى أن قبض .

وقال : " ما مررت بملأ من الملائكة إلا أمروني بالحجامة وقالوا لي : مر أمتك بالحجامة " .

---

(١) هذا ما استظهرت قراءته من المخطوط .

(٢) في (ص) " تألف " .

معناه عندنا لأنهم من بين الأمم أهل يقين وإذا اشتعل نور اليقين في القلب ومعه حرارة الدم أضر بالقلب وبالطبع أيضًا .

وكان مما يستعمل الحناء في رأسه حتى روي في الأخبار عن من رآه من الوفود والأعراب ففشا عنهم في الأخبار أنه كان يخضب ، فدفع ذلك أنس رضى الله عنه وقال : لم يشنه الشيب وما خضب وإنما كان سبب الحناء أنه كان يأتيه الوحي فتصدع فمن أجل الصداع كان يعالج بالحناء في رأسه ، كيف تخف حرارة رأسه فإن ذلك النور إذا هاج بورود الوحي قوي .

وجدنا عن أنس فيما قلنا هذا الحرف الواحد أنه كان يأتيه الوحي فيصدع فيستعمل الحناء للصداع " والصبر أمير جنده " فالصبر هو ثبات القلب على عزمه فإذا ثبت الأمير ثبت الجند لمحاربة العدو وإذا جاءت النفس بشهواتها فغلبت القلب حتى استعملت الجوارح بما نهى عنه فقد ذهب الصبر وهو ذهاب العزم فبقي القلب أسيرًا للنفس واستولت عليه فانهزم العقل والحلم والعلم والرفق واللين وجميع جنوده الذي أعطي .

الأصل الأربعون

٢٤٣ـ حدثنا عمر بن أبى عمر قال : حدثنا على بن عبد الحميد المعنى . من ولد معن بن زائدة عن نوح بن ذكوان العنوى(١) عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها عن حبيب بن الحارث رضي الله عنه قال : " أتيت رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله إني رجل مقراف الذنوب؟ قال : يا حبيب فكلما أذنبت فتب إلى الله تعالى قلت : ثم أعود يا رسول الله؟ قال : ثم تب إلى الله قلت : إذًا يكثر يا رسول الله؟ قال : عفو الله أكثر من ذنوبك يا حبيب " .

قال أبو عبد الله رحمه الله :

فالتوبة للعبد مبسوطة حتى يعاين [١/ ٦٢/ ب] قابض الأرواح وهو عند غرغرته بالروح ، وإنما يغرغر به إذا قطع الوتين فشخص من الصدر إلى الحلق فعندها المعاينه ، وعندها حضور الموت لأن الموت إنما يجيء به ملك الموت الذي وكل به ، فهو الذي يذيقه ومن قبل ذلك كان أعوانه يستوفون الروح وينزعونه من الجوارح والعروق ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ ﴾ [النساء : ١٨] فحضور الموت إذا حضر ملك الموت وإنما يحضر عند قطع الوتين وغرغرة الصدر والحلق بخروج الروح فهناك يذيقه الموت حتى تطير الروح من رائحته وتذهب معه الحياة فليس ذلك وقت توبة فأما قبل حضور ملك(٢) الموت فالتوبة مبسوطة وإن كان في السَّوْق ، وباب التوبة مفتوح إلى طلوع الشمس من مغربها فكل ما أذنب العبد ثم تاب فقد رجع إلى الله ، ودواء الذنب التوبة وشفاء العبد منه إذا ماتت شهوة ذلك الذنب منه .

قوله : " إذا يكثر يا رسول الله؟ فقال ﷺ : عفو الله أكثر من ذنوبك " أي : فضل الله على العبد أكثر من نقصان العبد فأنه كلما أذنب أبق من ربه وكلما أبق ازداد عيبًا وكلما ازداد عيبًا ازداد نقصًا في القَدْرِ والجاه .

قال : " ففضل الله على العبد أكثر من نقصانه " لأنه يتفضل من كرمه ومجده فالعبد

---

(١) كذا في (ص) ولم أقف عليها في ترجمته .

(٢) تكرر في (ص) " ملك ملك " .

ينقص من لؤمه وفقره ، فكلما أظهر نقصًا تفضل عليه بستر يستره حتى لا يبدو نقصه وعيبه فإن كثرت ذنوبه فَستره أكثر من ذنوب العبد وإن كثر نقصه وعيبه ففضله أكثر وفضله على عبيده من جماله والعبد مع نقصه وعيبه يرجع إلى ربه فربه بفضله وكرمه وجماله أولي بالرجوع[1] على عبده بأمله ورجوع العبد إلى ربه من فضله فكم من مذنب قد منعه من فضله وحل به سخطه وحرم التوفيق والتوبة .

---

(١) تكرر في (ص) " بالرجوع بالرجوع " .

الأصل الحادي والأربعون

٢٤٤ـ حدثنا محمد بن الوزير الواسطي قال : حدثنا إسحاق الأزرق عن الأعمش عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه قال : قال رسول الله [١/ ٦٣/ أ] ﷺ : " الخوارج كلاب أهل النار " .

قال : " الخوارج " قوم ضل سعيهم في الحياة الدين وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا فهم الأخسرون أعمالاً حبطت أعمالهم في الدنيا فلا يُقيم لهم يوم القيامة وزنًا وذلك أنهم قد اجتهدوا وَدَأبوا ونصبوا في العبادة وفي قلوبهم زيغ فمرقوا من الدين بما أغواهم شيطانهم .

وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه وصفهم فقال : " يقرأون القرآن ويقيمونه إقامة القدح لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية " .

ما زال بهم التعمق والتنطع حتى كفروا الموحدين بذنب واحد حتى صاروا بذلك إلى الأنبياء عليهم السلام للزيغ الذي في قلوبهم ودخلوا فيما لم يأذن به الله ، فقاسوا برأيهم ، وتأولوا التنزيل على غير وجهه وفحصوا عن متشابه القرآن ولجوا فيه ليعلموا ما ستر الله علمه عن العباد وهم الذين وصفهم الله في تنزيله فقال : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ ﴾ [آل عمران : ٧] الآية .

ثم[١] ذكر فزع الراسخين إلى ربهم عندما رأوى خِذلان الزائغين فقالوا : ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران : ٨] .

و" لدن " كلمة عند العرب معناها عند ، وإن الرحمة التى خلقها مائة رحمة فقسم واحدة منها بين عباده وادخر عنده تسعًا وتسعين ، ورحمته أوسع وأفضل من هذه المائة التى خلقها فسأله الراسخون في العلم رحمة من لدنه أي : من عنده تكون تلك الرحمة عصمة لهم من الزيغ الذي حل بالآخرين . . .[٢] بعدما كانوا أبصروا

---

(١) سقط من (ص) " ثم " .

(٢) لم أستطع قراءتها بالمخطوط .

وخذلوا بعدما كانوا أيدوا حتى صاروا كلاب النار .

قال أبو عبد الله رحمه الله(١) :

فهم كما وصفهم الله يتبعون ما تشابه من القرآن يبتغون بها الفتنة ، حملوا الخاص على العام ، والعام على الخاص وتمسكوا بآخر الآية ولهو عن أولها ، حتى قال قائلهم يومًا لجابر بن عبد الله رضى الله عنه : أنت الذي تقول : يخرج الله من النار قومًا بعدما أدخلهم فيها؟ قال : نعم سمعته [١/ ٦٣/ ب] من رسول الله ﷺ ، قال : فأين قول الله تعالى : ﴿ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ [المائدة : ٣٧] قال جابر رضى الله عنه : انظر لمن هذا في مبتدأ الآية ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [المائدة : ٣٦] .

فالمؤمن يستر والمؤمن يرحم ويعطف والمؤمن يحوط ويستغفر ويتوقى أن يلوم ويعير ويرجو له من الله الرحمة ويرجيه ، وهذا المفتون يهتك ويعير ويؤنب يؤيس ويقنط ويكفر فهذه أخلاق الكلاب وبفعلهم وبقولهم كلبوا على عباد الله ونظروا إليهم بعين البغضة [والعداوة](٢) والملامة فلما دخلوا النار صاروا في هيئة أعمالهم كلابًا كما كانوا على الموحدين في الدنيا كلابًا .

٢٤٥ـ **حدثنا** قتيبة بن سعيد قال : حدثنا مطر أبو عبد الرحمن قال : سمعت أبا العالية رضى الله عنه يقول : ما أدري أي النعمتين أفضل : أن هداني للإسلام أو لم يجعلني حروريًا .

٢٤٦ـ وعن صالح بن عبد الله قال : حدثنا يوسف بن عطية عن أبي غالب رضي الله عنه قال : كنت بدمشق فجيء برؤوس خوارج من العراق فنصبت على درج المسجد فبينا أنا قائم إذ أنا بشيخ على حمار قصير ينظر إليهم ويبكي ويقول كلاب النار كلاب النار فسألت عنه فقالوا : أبو أمامة الباهلي رضى الله عنه صاحب رسول الله ﷺ فدنوت منه فقلت : يا أبا أمامة أراك تبكي وتقول كلاب النار؟ قال : رحمة لهم لأنهم قد صلوا وصاموا وحجوا واعتمروا ثم صاروا كلاب النار ، قلت : هذا شيء تقوله أم سمعته من

---

(١) سقط من (د) .

(٢) زيادة من (د) .

رسول الله ﷺ؟ قال : لو لم أسمعه إلا مرة أو مرتين أو ثلاثًا أو أربعا حتى بلغ عشر مرات ما قلته ، ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول : إنه سيكون من أمتي قوم يقرأون القرآن لا تجاوز قراءتهم تراقيهم يعبدون الله عبادة يحتقرون عبادة الناس في عبادتهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية لا يعود فيه حتى يعود أعلاه فوقه ، هم شر الخلق والخليقة هم شر قتلى تحت أديم السماء طوبى لمن قتلهم أو قتلوه .

٢٤٧ـ **حدثنا** أبي رحمه الله قال : حدثنا أبو نعيم قال : حدثنا حشرج بن نباتة قال [١/ ٦٤/ أ] : حدثني سعيد بن جهمان قال : أتيت عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه فسلمت عليه فقال[(١)] : ما فعل والدك؟ قلت قتلته الأزارقة ، قال : لعن الله الأزارقة ثلاثًا . حدثني رسول الله ﷺ أنهم كلاب النار ، قلت : الأزارقة وحدهم أم الخوارج كلهم؟ قال : بل الخوارج كلهم ، قلت : فإن السلطان يظلم ويفعل بهم ويفعل ، قال : فتناول يدي فغمزها غمزًا شديدًا ، وقال : ويحك يا ابن جهمان عليك بالسواد الأعظم فإن كان السلطان يسمع منك فأته فأخبره بما تعلم فإن قَبِل قَبِل وإلا فدعه ، فلست بأعلم منه .

قال : والأزارقة صنف من الخوارج كان رئيسهم نافع بن الأزرق ، وكان من شأنه أن يخاصم يتأول القرآن في زمن ابن عباس رضي الله عنهما فنسب تبعه إليه فقيل الأزارقة ، وفي زمن علي رضي الله عنه كان[(٢)] رئيسهم ابن الكواء ، وفي زمن التابعين رضوان الله عليهم أجمعين نجدة الحروري وهو من بقية أهل حروراء الذين خرجوا على علي رضي الله عنه ، وحروراء قرية من قرى السواد .

٢٤٨ـ **حدثنا** صالح بن عبد الله قال : أخبرنا جعفر بن سليمان عن أبي عمران الجوني عن عبد الله بن رباح الأنصاري عن كعب رضي الله عنه قال : للشهيد نوران ، ولمن قتله الخوارج عشرة أنوار ولجهنم سبعة أبو اب باب منها للحرورية .

ولقد خرجوا على داود عليه السلام في زمانه قال : فإنما خرجوا على داود لما رأوا من وهن الأمر وضعفه واشتغاله بما ابتلى به فخدعوا ابنه وملكوه علي أنفسهم وخرجوا عليه .

---

(١) في (ص) " قال " .

(٢) سقط من (ص) " كان " .

٢٤٩ـ حدثنا ابن أبى زائدة الهمدانى قال : حدثنا عثمان بن عمرو البصرى قال : حدثنا مالك ابن مغول عن جنيد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : " لجنهم سبعة أبو اب باب منها لمن سل سيفه على أمتي ، أوقال : أمة محمد ﷺ " .

٢٥٠ـ حدثنا صالح بن محمد قال : حدثنى يحيى بن واضح قال : حدثنا موسى بن عبيدة عن هود بن عطاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كان في عهد رسول الله ﷺ رجل يعجبنا تعبده واجتهاده ، فذكرناه لرسول الله ﷺ باسمه فلم يعرفه ، ووصفناه بصفته فلم يعرفه ، فبينما نحن نذكره إذ طلع الرجل فقلنا : هو هذا يا رسول الله ، قال : " إنكم تخبروني عن رجل وعلى وجهه لسفعة من الشيطان ، قال : فأقبل حتى وقف على المجلس فقال له رسول [١/ ٦٤/ ب] الله ﷺ : أنشدك الله هل قلت حين وقفت على المجلس ما في المجلس أحد أفضل مني أو خير مني؟ قال : اللهم نعم ثم دخل يصلي ، فقال رسول الله ﷺ : من يقتل الرجل ؟ قال أبو بكر رضي الله عنه : أنا فدخل فوجده يصلي فقال : سبحان الله أقتل رجلًا يصلي وقد نهانا رسول الله ﷺ عن ضرب المصلين ، فخرج فقال له رسول الله ﷺ : مه ؟ ، قال : وجدته بأبي أنت وأمي يا رسول الله يصلي وقد نهيتنا عن ضرب المصلي ، قال : من يقتل الرجل ؟ قال عمر : أنا فوجده ساجدًا قال أأقتل رجلًا واضعًا وجهه لله وقد رجع أبو بكر وهو أفضل مني فخرج إليه ، فقال له رسول صلي الله عليه وسلم مه ؟ ، قال : بأبي أنت وأمي يا رسول الله وجدته ساجدًا فكرهت أن أقتله واضعًا وجهه لله ، قال من يقتل الرجل ؟ قال علي : أنا ، قال : أنت إن أدركته قتلته فوجده علي قد خرج فجاءه فقال : وجدته بأبي أنت وأمي قد خرج قال : لوقتلته ما اختلف من أمتي رجلان كان أولهم وآخرهم واحدا . قال موسي : وأخبرني محمد بن كعب القرظي رضى الله عنه أنه هو الذي قتله علي رضى الله عنه بعد يوم النهروان حرقوص ذو الثدية .

٢٥١ـ حدثنا صالح بن محمد قال : حدثنا يحيى بن واضح عن موسى بن عبيدة عن عمران ابن أبى أنيس(١) عن أبي سلمة رضي الله عنه قال : " وقف رجل على رسول الله ﷺ

(١) في (ص) " عمران بن أبي أنس " .

وهو يقسم تبرًا فقال : يا محمد اعدل[١] فرفع بصره إليه فقال : ويلك إذا لم أعدل فمن يعدل ، يوشك مثل هذا يظهرون يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، فإذا ظهروا فاضربوا أعناقهم " .

٢٥٢ـ حدثنا علقمة بن عمر التيمى[٢] قال : حدثنا أبو بكر بن عياش عن عاصم عن زر عن عبد الله رضى الله عنه قال : قال رسول ﷺ : " يجيء أقوام آخر الزمان سفهاء الأحلام يقولون من قول خير البرية يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم فمن لقيهم فليقتلهم ، فإن فيه أجرًا لمن قتلهم " .

قال : فالظاهر من قولهم وفعلهم يسبي النفوس نفوس الجهال والحمقى والباطن ظلمات بعضها فوق بعض زيغ وكفر وزندقة وتشبيه من كل لون قد لون الشيطان في قلوبهم فجعل أعمالهم يوم القيامة هباءً منثورًا .

---

(١) في (د) " أعل " .

(٢) في (د) " عمر بن علقمة " .

الأصل الثاني والأربعون [١/٦٥/أ]

٢٥٣ـ حدثنا عمر بن أبى عمر بن عبد العزيز بن حنش الأودى[١] قال : حدثنى عن سفيان عن طلحة بن يحيى عن عيسى بن طلحة عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " المؤذنون أطول الناس أعناقا يوم القيامة " .

قال أبو عبد الله :

المؤذنون هم دعاة إلى أمر الله فزيدوا على الناس مرتبة بطول أعناقهم ليشرفوا على الناس بأعناقهم ، وهذا الطول عندنا في شخصهم وخيالهم فأما نفس الخلقة بحيث خلقها الله تعالى من جنس خلق أهل الجنة وإنما يراه من هذا الإشراف إشرافهم ، وإنما ذكر العنق للمقدار لأن هناك طبقة أعلى منهم فزيدوا في القامة كلها لا في العنق فقط ، فذكر المؤذنين بمقدار على حسب مرتبتهم فقيل العنق ولم يقل أطول الناس قامة وهذا في الخيال والشخص ، وكان رسول الله ﷺ يوصف في هذه الحياة بصفة تدل على صحة ما قلنا وأنه كان إذا مشى فربما إذا اكتنفه رجلان طويلان فيمشي هو بينهما فيطولهما فإذا مشى وحده نسب إلى الربعة .

وروي عن علي رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ لم يكن بقصير ولا طويل ، وإذا جاء مع الناس غمرهم .

٢٥٤ـ قال : حدثنا بذلك يحيى بن علي بن فضالة[٢] الخزاعى المدنى قال : حدثنا حزام بن هاشم[٣] الخزاعى عن أبيه عن جده عن أم معبد في صفته ﷺ قالت : " كان أنظر الثلاثة منظرًا " .

قال : كأن معناها فيما وصفت أنه إذا كان بين اثنين فهو أنظرهم وهو الثالث ، فهذا حال الرسول في الدنيا في الخيال والشخص على أعين الناظرين خيالهم وشخصهم أطول الناس ، فقدر لهم من البدن مقدارا فقيل أعناقهم وهم الدعاة إلى أمر الله لأنهم

---

(١) في (د) " الأزدي " .

(٢) في (ص) " يحيى بن سليمان بن أبي فضالة " .

(٣) في (ص) " هشام " .

يدعون إلى الصلاة وإن كانوا يسمون دعاة إلى الله في بعض الأحوال فالدعاة إلى الله لهم مرتبة أعلى من هذا ، فهذا وجه .

ووجه آخر : أنهم أطول الناس أعناقًا بمد أعينهم إلى عظيم ما يأملون من الثواب فإنهم كانوا يدعون إلى أمر الله في كل يوم وليلة خمس مرات ومد الشيء تأميلاً يشرف بالعنق ، فهذا للدعاة إلى أمر الله ، فكيف الدعاة إلى الله فهم أطول الناس قامة الأنبياء والأولياء هم الدعاة إلى الله ألا تري إلى ما ذكرنا [١/ ٦٥/ ب] من حال رسول الله ﷺ وقامته في الدنيا وما كان يري الناظرون إليه من طوله وهو من الرجال ربعة فرسول الله ﷺ رأس الدعاة إلى الله عز وجل فكانت هذه صفته في شأن القامة فإذا كان يوم القيامة ووصلت الأنبياء والأولياء إلى كرامة الله كانت قامتهم على حسب درجاتهم في الموقف إذا أثرها حتى يصدروا عن الموقف إلى الجنة فيعطون قامة أهل الجنة .

ومما يحقق ما قلناه في طول القامة للأولياء بعد الأنبياء على درجاتهم .

٢٥٥ـ ما حدثنا به صالح بن عبد الله قال : حدثنا أبو بكر بن عياش عن أبى البخترى عن عبيد الله عن[1] نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « أحشر أنا وأبو بكر وعمر هكذا - وأخرج السبابة والوسطى والبنصر - ونحن مشرفون على الناس » .

وأرانا أبو بكر السبابة والوسطي والبنصر فإشراف أبي بكر وعمر على الناس لطول[2] قامتهم فكانوا رءوس الدعاة إلى الله عز وجل أحدهما صديق والآخر فاروق ، أفلا تري أنه جعل في هذا الحديث لإشرافهم على الناس درجات .

فقال : « أحشر أنا وأبوبكر وعمر هكذا » فأشار بالسبابة والوسطي والبنصر ، وكانت[3] سبابة رسول الله ﷺ أطول من الوسطى والوسطى أطول من البنصر ، وليس كما يعرف من القامة أن سبابتهم أقصر من الوسطى فإنما أشار بأصابعه الثلاث

(١) في (د) « ابن » .
(٢) في (ص) « طول » .
(٣) في (ص) « فكانت » .

وذكر إشرافهم على الناس كأنه يدل على قامته كسبابته من وسطاه ثم يدل على قامة أبي بكر كوسطاه على بنصره ثم يدل على قامة عمر كبنصره من وسطاه من سبابته ثم الخلق من بعده في شأن القامة كالخنصر في قصره من الأصابع وسكت عن ذكرهم فأما شأن سبابة رسول الله ﷺ وطولها على الأصابع .

٢٥٦ـ **فحدثنا** الفضل بن محمد قال : حدثنا عبد الرحمن بن خالد الرقى قال : حدثنا يزيد ابن هارون قال : حدثنا عبد الله بن مقسم الطائفى قال : حدثتنى عمتى سارة بنت مقسم أنها سمعت ميمونة بنت كردم رضى الله عنها تقول : " خرجت فى حجة حجها رسول الله ﷺ فرأيت رسول الله ﷺ على راحلته ودنا إليه أبي فسأله ، ولقد رأيتني أتعجب من طول أصبعه التى تلى الإبهام على سائر أصابعه . [١/ ٦٦/ أ] قال : فحدثني أبي أنه قال : ذلك لعبد الله بن الحسن فقال : كذلك كانت أصابع رسول الله ﷺ " .

قال أبو عبد الله :

هو يزيد بن مقسم وعمته سارة بنت مقسم فنسب إلى جده .

٢٥٧ـ قال : كذلك أخبرنا به أبى عن الحسن الحلوانى عن يزيد بن هارون عن عبد الله بن يزيد بن مقسم عن عمته عن ميمونة رضى الله عنها .

مما يحقق ما قلنا ما جاءنا عن رسول الله ﷺ أنه قال : " يحشر المتكبرون يوم القيامة في صورة الذر يطؤهم الناس تحت أقدامهم " .

قال : فالمتكبرون الذين تكبروا على الله فلم يوحدوه ، وقال في تنزيله : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [الصافات : ٣٥] فقامتهم قامة الذر يوم القيامة فكل من كان أشد تكبرًا كان أقصر قامة على هذا السبيل ، وكل من كان أشد تواضعًا لله فهو أشرف قامة على الخلق .

الأصل الثالث والأربعون

٢٥٨. **حدثنا** عمر بن عبد الله بن حنش الأودي قال : حدثنا إسماعيل بن داود الطلحى عن داود بن عطاء المدنى عن صالح بن كيسان عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " أول من يصافحه الحق عمر ، وأول من يسلم عليه ، وأول من يأخذ كتابه بيده فيدخله الجنة " .

قال أبو عبد الله :

فالرحمة والحق لهما شأن في الموقف يومئذ الحق : يقتضي الخلق عبودته ، والرحمة تشتمل على من وفى بالعبودة له فتصير وتأتيه من جميع هول ذلك اليوم ووباله فمن طالبه الحق بالعبودة ولم تدركه الرحمة فقد هلك ومن طالبه الحق بالعبودة فوجده لم يفي بشيء منها فقد هلك وهو كافر ، ومن طالبه الحق بالعبودة فوجده وفى ببعضها وضيع بعضها ثم تاب أنقذته الرحمة بالتوبة ، ومن وجده لم يتب فهو موقوف على هولٍ عظيم وعذاب شديد إلى حلول الرحمة فتأخذه من الحق بعد أن ينتقم الحق منه مليًا وهو الظالم ، فكان من شأن عمر رضي الله عنه القيام بالحق فكان الغالب على قلبه عظمة الله وجلاله وهيبته فكان الحق مُعْتَمَله حتى يقوم بأمر الله ويحاسب نفسه وسائر الخلق على الذرة والخردلة في السر والعلانية وهو الوفاء بما قلد الله الخلق من رعاية هذا الدين الذي ارتضاه لهم وهو الإسلام فكأنه خَلَقَ عِزًّا للإسلام . [١/٦٦/ب]

وبذلك دعا رسول الله ﷺ فقال : " اللهم أعز الدين بعمر بن الخطاب أو بعمرو بن هشام " .

٢٥٩. **حدثنا** عبد الله بن عبيد الله بن إسحاق بن محمد بن عمران الطلحى المدنى قال : حدثنى أبي عبيد الله بن إسحاق قال : سمع أبى من عبد الله بن عمران بن إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبد الله قال : حدثنى أبي محمد بن عمران عن القاسم بن محمد عن عائشة رضي الله عنها قالت : " دعا رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب وأبي جهل بن هشام فأصبح عمر وكانت الدعوة يوم الأربعاء وهم تسعة وثلاثون رجلاً فأسلم عمر رضي الله عنه يوم الخميس فكبر رسول الله ﷺ وأهل البيت تكبيرة سمعت بأعلى مكة

وخرج رسول الله ﷺ وكان مختفيًا في دار الأرقم بن أبي الأرقم فأظهر الإسلام وطاف بالبيت وعمر متقلد السيف حتى صلى الظهر معلنًا " .

قال أبو عبد الله :

فهذا بدو أمره ﷺ ، وكان كما قالت عائشة رضي الله عنها : وكان أجودنا يسبح وحده قد أعد للأمور أقرانها ، ومما يحقق ما قلنا من شأنه :

٢٦٠- **ما حدثنا** به حسين بن حسن المروزى بمكة قال : حدثنا إبراهيم بن رستم عن يعقوب القمى عن جعفر بن أبى المغيرة عن سعيد بن جبير عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن جبريل عليه السلام جاء إلى محمد ﷺ وقال : " يا محمد أقرئ عمر السلام وأخبره أن غضبه عز ورضاه عدل " .

٢٦١- **حدثنا** أبى رحمه الله قال : حدثنا يوسف بن واقد الرازى قال : حدثنا يعقوب القمى عن[1] جعفر بن أبى المغيرة عن سعيد بن جبير قال : قال رسول الله ﷺ : " يا عمر إن غضبك عز ورضاك حكم " .

[قال أبو عبد الله][2] :

فاللفظان يرجعان إلى معني واحد ، وذلك أن كل من كان سلطان قلبه الحق فغضبه للحق عز للدين .

ورضاه عدل لأن الحق هو عدل الله فرضاه بالحق عدل منه على أهل ملته .

قوله : " رضاه حكم " إذا رضي عمر فكأن الحق قد رضي ، فإن الخصومة والطلب يوم القيامة للحق فمن أخذه فأخذه حكم ليس لأحد من الملائكة ولا الرسل معارضة ، فمن كان الحق مستوليًا على قلبه فهو على هذه الصفة ؛ إذا غضب غضب للحق ، وإذا رضي رضي من أجل الحق ، فلذلك غضبه للحق عزٌ ورضاه حكم وعدل لأن الغالب على قلب عمر رضي الله عنه [١/ ٦٧/ أ] الحق ونوره وسلطانه .

ومما يحقق ذلك من شأنه أن رسول الله ﷺ قال : " أرحم أمتي بأمتي أبو بكر ، وأقواهم في دين الله عمر " .

---

(١) في (ص) " بن " .

(٢) زيادة من (د) .

فإنما القوة من أجل أن الحق على القلب سلطانه فكان أبو بكر رضي الله عنه من شأنه القيام برعاية تدبير الله ومراقبة صنعه في الأمور والأشياء حتى يدور مع الله في تدبيره وكان مستعملا بالتدبير ، وعمر مستعملا بالحق ، فمن شأن أبي بكر رضي الله عنه العطف والرحمة والرأفة واللين ، ومن شأن عمر رضي الله عنه الشدة والقوة والصلابة والصرامة ، فلذلك شبه رسول الله ﷺ في حديثه أبا بكر رضى الله عنه بإبراهيم عليه السلام من الرسل وبميكائيل من الملائكة ، وشبه عمر بنوح عليه السلام من الرسل وبجبريل من الملائكة ، فابتدأ الله المؤمنين بالرحمة ورزقهم الإيمان ثم اقتضاهم حقه فشرع لهم الشريعة واستهداهم القيام بذلك فمن وفى له بالقيام بذلك فقد أرضى الحق .

فأبو بكر مع المبتدأ وهو الإيمان ، وعمر مع الذي يتلوه وهو الحق وهو الشريعة ، لأن من حق الله على عباده أن يوحدوه وإذا وحدوه فمن حقه عليهم أن يعبدوه بما أمرهم به ونهاهم عنه .

ولذلك ما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : " أمرت أن أؤول الرؤيا على أبي بكر ، وأمرت أن أقرأ القرآن على عمر " .

٢٦٢ـ **فحدثنا** بذلك محمد بن إسماعيل قال : حدثنا بذلك محمد بن عثمان التنوخي الدمشقي قال : حدثنا سعيد بن بشير(١) عن قتادة عن رسول الله ﷺ .

لأن الرؤيا جزء من أجزاء النبوة والقرآن بيان حقوقه ، ولذلك قيل : أبو بكر صديق لأنه صدق بالإيمان بكمال الصدق ، وقيل لعمر فاروق لأنه يفرق بين الحق والباطل وأسماؤهما دليلان على مراتبهما من الله بالقلوب وشأن درجتيهما في الأخبار المتواترة يكشف لك عن درجتهما إن مجرى هذا مجرى صدق الإيمان ، ومجرى عمر رضى الله عنه مجرى وفاء الحق ، فكيف ما دار الحق مع العباد يوم الموقف باقتضاء أمر الله وخاصمهم وحَبَسَهم على النار فانتقم منهم بالنار منهم ، والعاقبة للرحمة لأن الرحمة لا تترك أحدًا قال : لا إله إلا الله مرة واحدة في دار الدنيا في جميع عمره صدقًا من قلبه ثم لم يوجد له مثقال خردلة من خير إلا وتأخذه من النار

---

(١) في (ص) " بشر " .

ولوبعد مقدار عمر الدنيا ، وكذلك جاء عن رسول الله صلى الله [١/ ٦٧/ ب] عليه وسلم في قصة الشفاعة إذا انقضت شفاعة الرسل والملائكة والأنبياء والمؤمنين جاء محمد ﷺ شافعًا في المرة الرابعة فسأل من قال : لا إله إلا الله ، فيقول الله تعالى : إنها ليست لك ولا لأحد من خلقي ، فتجيء الرحمة من وراء الحجاب فتقول : يا رب منك بدأت وإليك أعود فشفعني فيمن قال : لا إله إلا الله ، مرة واحدة فتجاب إلى ذلك . فإنما أعطاهم قول : لا إله إلا الله ، بالرحمة ثم لا تتركهم تلك الرحمة حتى تأخذهم من الحق ، وانتقامه منهم بالنار .

فأما ما ذكرنا من شأن درجتي أبي بكر وعمر رضى الله عنهما وكشف ذلك من الأخبار المتواترة عن درجتهما .

٢٦٣ـ **فحدثنا** أبي قال : حدثنا على بن محمد عن منصور بن الأسود عن كثير بن إسماعيل عن صفوان عن قبيصة الأحمسى عن أبى سريحية(١) حذيفة بن أسيد الغفارى قال : سمعت عليا رضى الله عنه على المنبر يقول : إن أبا بكر أواه منيب القلب ، وإن عمر ناصح الله فنصحه الله .

٢٦٤ـ وعن مؤمل بن هشام قال : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم عن سلمة بن علقمة عن ابن سيرين رضي الله عنه : إن أبا بكر رضي الله عنه كان إذا صلى فقرأ خفض صوته ، وكان عمر رضي الله عنه إذا قرأ جهر ، فقيل لأبي بكر : لم تصنع هذا؟ قال : أناجي ربي وقد علم حاجتي ، قيل : أحسنت، وقيل لعمر رضي الله عنه : لم تصنع هذا؟ قال : أطرد الشيطان وأوقظ الوسنان قيل : أحسنت ، فلما نزل ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء : ١١٠] فقيل لأبي بكر : ارفع شيئًا ، وقيل لعمر : اخفض شيئًا .

٢٦٥ـ **حدثنا** محمد بن على الشقيقى قال : أخبرنا أبى قال : أخبرنا الحسن بن واقد عن عبد الله بن بريدة قال : سمعت أبي رضى الله عنه يقول : " خرج رسول الله ﷺ في بعض مغازيه فلما انصرف رسول الله ﷺ جاءت جارية سوداء ، فقالت : يا نبي الله كنت نذرت إن ردك الله سالمًا أن أضرب بين يديك بالدف فقال : إن كنت نذرت أن تضربي وإلا فلا ، فدخل أبو بكر رضى الله عنه وهي تضرب ، [١/ ٦٨/ أ] ثم دخل

---

(١) في (د) " أبي شريحة " .

على رضى الله عنه وهي تضرب ، ثم دخل عثمان ﷺ وهي تضرب ، ثم دخل عمر فألقت الدف تحتها ثم قعدت عليه ، فقال رسول الله ﷺ : إن الشيطان ليخاف منك يا عمر رضى الله عنه ، إني كنت جالسًا وهي تضرب فدخل أبو بكر رضى الله عنه وهي تضرب ، ثم دخل علي رضى الله عنه وهي تضرب ، ثم دخل عثمان رضى الله عنه وهي تضرب فلما دخلت أنت ألقت الدف " .

قال أبو عبد الله رحمه الله :

فلا يظن ذو عقل أن عمر رضى الله عنه في هذا أفضل من أبي بكر رضى الله عنه وأبو بكر شبيه لرسول الله ﷺ في ذلك ، ولكن رسول الله ﷺ ممن جمع الأمرين والدرجتين فله درجة النبوة لا يلحقه أحد ، وأبو بكر رضى الله عنه له درجة الرحمة ، وعمر رضى الله عنه له درجة الحق .

٢٦٦ـ **حدثنا** عبد الله بن سعيد الأشج قال ابن إدريس عن أبى إسحاق الشيبانى عن أبى بكر ابن أبى موسى عن الأسود بن هلال رضي الله عنه قال : قال أبو بكر رضي الله عنه لأصحابه ذات يوم : ما ترون في هاتين الآيتين : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ ﴾ وقوله : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ [الأنعام : ٨٢] قالوا : استقاموا فلم يذنبوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أي : بذنب ، قال : لقد حملتموها على غير المحمل : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ ﴾ فلم يلتفتوا إلى غيره ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أي : بشرك .

٢٦٧ـ **حدثنا** أبى قال : حدثنا محمد بن الحسين عن ابن المبارك عن يونس عن الزهري أن عمر رضي الله عنه تلا هذه الآية : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ ﴾ [فصلت : ٣٠] قال : استقاموا والله لله بطاعته ثم لم يروغوا روغان الثعالب .

٢٦٨ـ **حدثنا** على بن حجر قال : حدثنا أيوب بن مدرك قال : سمعت مكحولاً رفع الحديث إلى رسول الله ﷺ قال : " كان بين رجل من المنافقين ورجل من المسلمين منازعة في شيء ادعاه المنافق فأتيا رسول الله ﷺ فقصا عليه قصتهما فلما توجه القضاء على المنافق قال المنافق : يا رسول الله ارفعني وإياه إلى أبي بكر قال : انطلق معه إلى أبي بكر رضى الله عنه فانطلق معه فقصا[1] قصتهما على أبي بكر رضي الله عنه فقال : ما

(١) في (ص) " فقصا عليه " .

كنت لأقضي بين من رغب عن قضاء الله وقضاء رسوله ، فرجعا إلى رسول الله ﷺ فقال : يا نبي الله ارفعني وإياه الى عمر رضى الله عنه ، فقال : انطلق معه إلى عمر رضى الله عنه قال : يا نبي الله أنطلق مع رجل إلى عمر ، قد رغب عن قضاء الله وقضاء رسول الله فقال : انطلق معه فخرجا حتى أتيا عمر رضي الله عنه فقصا عليه قصتيهما فقال عمر رضي الله عنه : لا تعجلا حتى أخرج إليكما ، فدخل فاشتمل على السيف فخرج عليهما فقال : [١/ ٦٨/ ب] أعيدا علي قصتكما فأعادا ، فلما تبين لعمر رضي الله عنه أن المنافق قد رغب عن قضاء الله وقضاء رسوله حمل سيفه على ذؤابة المنافق حتى خالط كبده ثم قال : هكذا أقضي بين من لم يرض بقضاء الله وقضاء رسوله ، فأتى جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ فقال : يا محمد ﷺ إن عمر رضى الله عنه قد قتل الرجل وفرق الله بين الحق والباطل على لسان عمر رضي الله عنه ، فسمي الفاروق " .

وإنما يلزم اسم الصديق من أقام الصدق في أموره كلها ، وإنما يلزم اسم الفاروق من أقام الحق في أموره كلها ، ولو كان في بعضها لكان هذا صادقًا وذلك فارقًا من العربية في قالب فاعل فصار هذا في قالب فعيل فذاك في قالب فاعول ، وعند أهل اللغة معروف أن فعيل وفاعول هو الذي تمكن ذلك الأمر فيه فصار له عادة فعند ذلك يقال له : فعيل ، وعند ذلك يقال له : فاعول ، وفي المرة والمرتين لا يقال له ذلك إنما يقال له : فاعل حتى يصير له ذلك الأمر عادة وطبعًا فعند ذلك يقال له : فعيل وفاعول .

الأصل الرابع والأربعون

٢٦٩ـ حدثنا الحسين بن علي العجلي الكوفي قال : حدثنا يحيى بن آدم قال : حدثنا ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : [قال][١] رسول الله ﷺ : " إذا حدثتم عني بحديث تعرفونه ولا تنكرونه قلته أو لم أقله فصدقوا به فإني أقول ما يعرف ولا ينكر ، وإذا حدثتم عني بحديث تنكرونه ولا تعرفونه فكذبوا به فإني لا أقول ما ينكر ولا يعرف "[٢] .

قال أبو عبد الله رحمه الله :

فالرسل بعثت إلى الخلق بحمل الأمور ومعرفة التدبير في الأمور وكيف ولِمَ وكُنْهُ الأمور عندهم مكنون قد أفشى الله من ذلك إلى الرسل من غيبه ما لا يحتمله عقول من دونهم وبفضل النبوة قدروا على احتماله فالعلم إنما بدأ من عند الله تعالى إلى الرسل ثم من الرسل إلى الخلق فالعلم بمنزلة البحر فأجري منه واد ثم أجري من الوادي نهر ثم أجري منه جدول ثم من الجدول إلى ساقية فلو أجري إلى الجدول ذلك الوادي لغرقه وأفسده ولومال البحر علي الوادي لأفسده وهو قوله تعالى في تنزيله : ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا﴾ [الرعد : ١٧] . [١/٦٩/أ] فبحور العلم عند الله فأعطى الرسل منها أودية ثم أعطت الرسل من أوديتهم أنهارًا إلى العلماء ثم أعطت العلماء إلى العامة جداول صغارًا على قدر طاقتهم ثم أجرت العامة إلى سواقيهم من أهاليهم وأولادهم ومماليكهم بقدر طاقتهم تلك السواقي .

ومن ههنا ما روي في الخبر " أن لله سرًا لو أفشاه لفسد التدبير ، وللأنبياء عليهم السلام سرًا لو أفشوه لفسدت نبوتهم ، وللملوك سرًا لو أفشوه لفسد ملكهم ، وللعلماء سرًا لو أفشوه لفسد علمهم " وإنما يفسد ذلك لأن العقول لا تحتمله فلما زيدت الأنبياء عليهم السلام في عقولهم قدروا على احتمال النبوة ، وزيدت العلماء

---

(١) زيادة من (د) .

(٢) ذكر الحافظ ابن حجر في القول المسدد (١/ ٨٧) وقال : رجاله ثقات وشيخه العجلي ذكره ابن حبان في الثقات وقال أبوحاتم صدوق .

في عقولهم وبذلك نالوا العلم فقدروا على احتمال ما عجزت العامة عنه ، وكذلك علماء الباطن وهم الحكماء زيدت في عقولهم فقدروا على احتمال ما عجزت عنه علماء الظاهر ، ألا ترى أن كثيرًا من علماء الظاهر دفعوا أن تنقطع الوسوسة من الآدمي في صلاته ، ودفعوا أن يكون له مشي على الماء أو تطوي له الأرض أو يهيأ له رزق من غير وجوه الآدميين حتى أنكروا عامة هذه الروايات التي جاءت في مثل هذه الأشياء ، فلو عقلوا لقالوا مثل ما قال مطرف بن عبد الله رضى الله عنه : حين سار ليلة مع صاحب له فأضاء له طرف عصاه كالسراج معه فقال له صاحبه : لو حدثنا بهذا كذبنا ، فقال مطرف : المكذب بنعم الله يكذب بهذا .

فلو نظر علماء الظاهر إلى ما أعطاهم الله فأبصروه لاستحيوا من مقالتهم ودفعهم هذه الأشياء ولكن لم ينظروا إلى ما أعطاهم الله من نعمه من عبد يرزقه الله معرفته وهو أعظم شيء في السماوات والأرض فلا تستعظمه وقال من أين هذا لا يرجع على نفسه فيقول هذا الذي أعطاني مما هو أثقل من سبع سموات وسبع أرضين فجعل له قرارا على قلبه وأنطق بتعبيرها لساني من أين هذا ، هذا لأنك أعطيت هذا العطاء الجليل فلم ترعه حق رعايته ولم يشكر المعطي وسهوت ولهوت وتبطلت وبقيت في صورة الكفور للنعمة مقبلاً على الدنيا ، والذي انتبه بما أعطي فانكشف غطاء قلبه رعى ما أعطي وعز عليه أن يدنس خلعة الله التي خلع [١/ ٦٩/ ب] على قلبه كما عز عليك أن تدنس ملك الملوك في دار الدنيا فلو أن ملكًا خلع على أحدهم من هذه الثياب المرتفعة من الخزوز وما أشبهها لوقاه أن يتخذه بذلة أو مهنة لكن يصونه ويستره ويلبسه في الأعياد فكيف بالخلعة التي خلعها رب العالمين على قلوب الموحدين فاشتعل في قلوبهم نور التوحيد حتى عرفوه وآمنوا به وأشرقت صدورهم ونزع عنها ظلمة الكفر وخلعها عنهم وخلع عليهم لباس التقوى ثم قال في تنزيله ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ [الأعراف : ٢٦] فيصير ذلك وقاية لهم يوم ممرهم على النار حتى لا تصيبهم النار فسمي لباس التقوي وهو مشتق من الوقاية ، وقال : ﴿ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾ [الحجرات : ٧] فهو ذلك النور ثم قال : ﴿ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۞ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ ﴾ [الحجرات : ٧-٨] ثم قال : ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [الحجرات : ٨]

عليم بما أعطى من هو عبادة ، حكيم ومن أي طينة خلقه ، حكيم في أمره بالحكمة

فعل هذا لا بالجزاف .

﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ ﴾ [النجم : ٣٢] حيث كنتم ترابًا ﴿ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ﴾ فمن انتبه لهذه النعمة ولهذا الفضل الذي أعطاه رب العالمين لا يستعظم أن تطوى له الأرض أو يعطى رغيفًا في برية ، وهو الذي يقول في تنزيله : ﴿ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ ﴾ [الشورى : ٢٦] قال : الشفاعة يوم القيامة فرجل شفع يوم القيامة في أهل النار يوم القيامة ، وصار ممن يجوز قوله بين يدي رب العزة في ذلك الموقف إن أعطاه في الدنيا رغيفًا في مفازة من حيث لا يقدر عليه ماذا يكون فيه حتى ينكر هذا وما يخرج إنكار هذا إلا من قوم جهلوا صنائع الله وتدبيره في خلقه ولم يتبين لهم كرامة الله إياهم .

وما جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال : " لو عرفتم الله حق معرفته لزالت بدعائكم الجبال " .

فعلماء الظاهر عرفوا الله ولكن لم ينالوا أحق المعرفة فلذلك عجزوا عن هذه المرتبة ودفعوا أن يكون هذا لأحد كائنا ولو عرفوه حق المعرفة لماتت عنهم(١) الشهوات الدنيا وحب الرئاسة والشح على الدنيا والتنافس في [١/ ٧٠/ أ] أحوالها فطلبوا العز وحب الثناء والمحمدة ترى أحدهم قد نقي سمعه مصغيًا إلى ما يقول الناس له وفيه وعينه شاخصة إلى ما ينظر الناس إليه منه وقد عميت عيناه عن النظر إلى صنع الله وتدبيره فإن الله كل يوم هو في شأن ، وقد صم سمعه عن مواعظ الله يقرأ القرآن ولا يتلذذ به ولا يجد له حلاوة كأنه إنما عنى بذلك غيره فكيف يتلذذ بما كلم به غيره فإنما صار كذلك لأن الله تعالى إنما خاطب أولي العقول والبصائر والألباب ، فمن ذهب عقله وبصيرته ولبه في شأن نفسه ودنياه كيف يفهم كلام رب العالمين ويتلذذ به ويجلو بصره وهو يري صفة غيره وإنما وقع البر واللطف على أهل تلك الصفة ، وإياهم خاطب وقد تبدلت صفة هذا وقعنا في وادٍ عريض مما كنا فيه فلا نقدر أن نستقضي صفة ذلك ولا يفرغ ما في صدورنا إلى يوم القيامة بين يدي رب العالمين ،

---

(١) في (د) " عنهم " .

وإنما خاطب الله بما خاطب من هذه اللطائف في تنزيله لذوي العقول منهم لا الأبدان فإذا ذهبت العقول ضاعت المخاطبة فإذا ردوا العقول إلى الله منيبين إليه أدركتهم مخاطبته فلذوا للطائفه .

عدنا إلى حديث رسول الله ﷺ من قوله : " إذا حدثتم عني بحديث تعرفونه ولا تنكرونه قلته أو لم أقله فصدقوا به فإني أقول ما يعرف ولا ينكر ، وإذا حدثتم عني بحديث تنكرونه ولا تعرفونه فكذبوا به فإني لا أقول ما ينكر ولا يعرف " فمن تكلم بعد الرسول ﷺ بشيء من الحق وعلى سبيل الهدى فالرسول ﷺ سابق إلى ذلك القول وإن لم يكن تكلم بذلك اللفظ الذي أتى به من بعده فقد أتى الرسول ﷺ بأصله مجملاً فلذلك قال : " فصدقوا به قلته أو لم أقله " وإن لم أقله بذلك اللفظ الذي تحدث به عني فقد قلته إذا جئت بالأصل والأصل يؤدي إلى الفرع ، فجاء الرسول ﷺ بالأصل ثم تكلم أصحابه والتابعون من بعده بالفروع ، فإذا كان الكلام معروفًا عند أهل التحقيق غير منكر فهو قول الرسول ﷺ قاله أو لم يقله يجب علينا تصديقه لأن الأصل قد قاله الرسول ﷺ وأعطاناه ، وإنما قال ذلك لأصحابه الذين قد عرفهم بالحق فإنما [١/ ٧٠/ب] يعرف الحق المحق وهو أولو الألباب والبصائر فأما المخلط المكب على شهوات الدنيا المحجوب عقله عن الله فليس هو المعني بهذا لأن صدره مظلم فكيف يعرف الحق وإنما شرط رسول الله ﷺ فقال : " إذا جاءكم عني حديث تعرفونه ولا تنكرونه " .

فإنما تعرف وتنكر العقول التي لها إلى الله سبيل يصل إلى الله فنور الله سراجه والعقل بصيرته والحق خبيئته والسكينة طابعه فيرجع إلى خلقه فالحق عنده أبلج يضيء في قلبه كضوء السراج يقينًا وعلمًا به كما قال ربيع بن خثيم رضى الله عنه :

٢٧٠ـ حدثنا به أبي رحمه الله قال : حدثنا أبو نعيم عن سفيان عن أبيه عن ربيع بن خثيم رضى الله عنه قال : إن على الحق نورًا وضوءًا كضوء النهار تعرفه ، وعلى الباطل ظلمة كظلمة الليل تنكره .

فالمحققون هكذا صفتهم يعرفون الحق والباطل هكذا كما وصفه الربيع بن خيثم ، وكذلك وعد الله المتقين فقال : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾[الأنفال : ٢٩]

قال أهل التفسير[١] : مخرجًا ، أي : من الشهوات والظلمات .

وأما محض التفسير فالمخرج أن يجعل له نورًا في قلبه يفرق بين الحق والباطل حتى يكون له مخرجًا من ظلمة الجهل وشبهات الدنيا فإن الجهل مظلم والدنيا تزين على الآدمي بشهوتها التي في جوفه فتشبه عليه حتى تخدعه فبتقواه من هذه الأشياء يجعل له فرقانًا وهو النور يفرق بين الحق والباطل ، هذا ثواب التقوى في عاجل دنياه ، وثوابه في الآخرة قربه وكرامته ورفعة درجته .

قال له قائل : فإن كان النظر في معرفة الحق من الباطل إلى القلب فما الحاجة بنا إلى هذه الآثار قال : بنا إليها من الحاجة ما لا يستغنى عنها ، وقد سألت عن مسألة لها فتفهم فإني أريد أن استقصي في جوابها على الاختصار والإيجاز ، إن الله تبارك اسمه أكرم هذا المؤمن بمعرفته فأمن به واطمان إليه فوفر عقله وأنار قلبه وأشرق صدره فالحق نور وعلى قلب المؤمن نور يتقد من قلبه على قلبه في صدره فإذا عرض أمره ولله هو حق ووقع ذكره في الصدر على القلب فالتقى نوره ونور القلب امتزجا وائتلفا فاطمأن القلب بما فيه وسكن وقد علمت أنه الحق [١/ ٧١/ أ] وإذا عرض باطل فوقع ذكره في الصدر على القلب ، وللباطل ظلمة التقت الظلمة ونور الحق فيفر النور ولم يمزج معه فاضطرب القلب لولوج الباطل ، فهذا أمر واضح قد اتخذه الله حجة على عبادة ، إن جعل على الحق نورًا وفي القلب نورًا فلا يحتاج إلى استشهاد أهل الظاهر فهذا علم وأمر لا يغيب عنه طرفة عين يكون معه حيث ما كان فهو قول رسول الله ﷺ .

٢٧١ـ حدثنا بذلك عبد الأعلى بن واصل الأسدى قال : حدثنا يوسف بن يعقوب عن حماد عن محمد بن عبد الله الأسدى عن وابصة بن معبد رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله ﷺ : " جئت تسأل عن البر والإثم استفت قلبك البر ما اطمأنت إليه النفوس والقلب ، والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس " .

قال : فإنما ذكر طمأنينة النفس مع القلب ليعلم أن هذه نفوس قد ماتت منها الشهوات وقاربت القلب في الصدر في العبودة ولوكانت نفس شهوانية بطالة لم

---

(١) " قال أهل التفسير " سقطت من (د) .

يستحق أن ينظر إلى ما يجبك فيها وإلى ما تطمئن ، فالنفوس البطاله تطمئن إلى الجهل ويجبك فيها الحق والخير ويستقر فيها الشر والباطل ولكن لما ذكر النفس فقال : البر ما اطمأن القلب والنفس إليه علمنا أنه إنما عني هذه النفوس التى راضها أهلها وأدبوها حتى قاربت القلب في سعيها وصدقها .

٢٧٢- **حدثنا** صالح بن محمد قال : حدثنا زافر بن سليمان عن عثمان بن عطاء عن أبيه رضي الله عنه قال : " أتي رجل رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله أفتنا بأشياء إن ابتلينا بالبقاء بعدك؟ فقال له : تفتيك نفسك ، قال : وكيف تفتيني نفسي؟ قال : ضع يدك على صدرك فإنه يسكن للحلال ويضطرب من الحرام دع ما يريبك إلى ما لا يريبك وإن أفتاك المفتون ، إن المؤمن يذر الصغير مخافة أن يقع في الكبير " .

٢٧٣- **حدثنا** سفيان بن وكيع قال : حدثنا إدريس عن شعبة عن يزيد بن أبى مريم الكوفى عن أبى الجوزاء عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال : سمعت جدي ﷺ يقول : " دع ما يريبك إلى ما لا يريبك ، فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة " .

فالحلال [١/ ٧١/ ب] بين والحرام بين قد بين الله في تنزيله فما أحل وحرم هو الحق وعليه النور وبين الحلال والحرام شبهات فذلك الذي يسكن إليه القلب ويضطرب فما سكن عليه القلب فهو لاحق بالحلال ، وما نفر عنه القلب فهو لاحق بالحرام وهذا عند المحققين الذين وصفناهم بطهارة القلب ونور اليقين في صدورهم فكل ذكر في صدرهم مما أحله التنزيل سكن إليه القلب والنفس وما حرمه التنزيل نفر عنه القلب واضطربت النفس وما اشتبه على العامة وعلماء الظاهر أمره فعلى قلوبهم بيان ذلك أهو مما يلحق بالحلال أم يلحق بالحرام فإن سكن القلب إليه ألحقه بالحلال وإن اضطرب قلبه ونفر منه ألحقه بالحرام هذا لأهل اليقين وطهارة القلوب لا شبهة لا تخلو من أن يكون حرامًا أو حلالاً وإنما اشتبه عند علماء الظاهر لأنهم لم يجدوا فيه تنزيلاً ولا أثرًا منصوصًا عن الرسول ﷺ فتشبه عندهم مرة بالحلال ومرة بالحرام ، وأفسدوا الشاهد الذي في قلوبهم والحجة التي اتخذ الله عندهم كما أفسدوا عقولهم فدنسوها وأفسدوا إيمانهم فأسقموه وأفسدوا جوارحهم الطاهرة فلطخوها به وأفسدوا طريقهم إلى الله فسدوها وإنما صير خلت من وسواسها الصدور لا القلوب التي قد ملكتها نفوسها واسحنت بوسواسها صدورها وقال الله

في تنزيله : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا * وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا * وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ [النساء : ٦٦-٦٨] فوعد الهداية على فعل ما يوعظ به والأجر العظيم في الأخرة والثبات في الدنيا .

قال أبو عبد الله :

فهذه الآية وقوله : ﴿ إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾ [الأنفال : ٢٩] بمعنى واحد لأن التقوى هو الفعل بما يوعظ به فقال ههنا : ﴿ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾ وقال هنا : ﴿ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ والهداية في القلب والفرقان في القلب وهو نور يجعله الله في القلب فيشرق به الصدر وينجلي عن صدره ظلمة الهوى والشهوات ورين الذنوب [٧٢/ أ / ١] فإذا ورد عليه أمر هو حق عرفه لأنهما قد التقيا فأتلفا ، إذا ورد عليه باطل عرفه لأن القلب قد نفر منه عند التقائه فقد أعلم في الآيتين أن هذا لأهل التقوى والفاعلين بوعظه وإنما احتاجت العامة بعد ذلك إلى الشرح والبيان وإلى تنصيص الأمور وتلخيصها على ألسنة علماء الظاهر لما دخل عليهم من آفة النفس وتخليطها فقد تراكمت على نفوسهم(١) سحائب تترى من حب الدنيا وحب الغلو[وحب الثناء وحب الرئاسة وحب الشهوات وفتن الدنيا ورين القلوب](٢) فإذا عرض في الصدر ذكر شيء هو حق وعلى نور حالت الظلمة بين نور القلب ونور الحق الذي ورد على القلب فلم يمتزجا ولم يعرف القلب ذلك الحق فصاحبه في حيرة منه ، وإذا عرض أمر هو باطل وعلى الباطل ظلمة امتزج الباطل بظلمة الشهوات ورين الذنوب فلم يعلم القلب بشيء من ذلك لأن نور القلب قد انكمن في القلب ولم يشرق في الصدر فهو نافر مما في الصدر من العجائب فما يحسن بدخول الباطل حتى ينفر منه فليس لأهل التخليط من هذه العلامة شيء .

فإنه قال : " دع ما يريبك إلى ما لا يريبك " وصدره ممتلئ ريبا فكيف يتبين فيه الريب الزائد وأي ريب أكثر من الإصرار على الذنوب وادق ذلك الذنب فإن الإصرار على دقيق الذنوب من الكبائر وقلبه فيه الغل والغش والحقد والحرص على الدنيا

(١) في (د) " صدورهم " .

(٢) ما بين المعقوفين سقط من (د) .

والدخول في شبهة الأمور مع جوارح منتشرة من غير لحاظه ولسان هذا وسمع صفوا فكيف يتبين له ما لا يريبه إلى ما لا يريبه .

وقد قال الرسول ﷺ : " فإن الصدق طمانينة والكذب ريبة " .

فكل هذا الكذب مجتمع في قلب فيكون له هذه العلامة .

قال له قائل : أرأيت أن تنصص لنا حديثين مما أتت به الروايات حديثًا يعرفه المحققون[1] ببصائرهم ولا ينكرونه ، وحديثًا ينكرونه لنعرف به الوجهين جميعًا ، ومن قبل ذلك فأخبرنا ما معنى قولك : يعرفه المحققون[1] ، ومن هؤلاء فإنك تردده في الكلام كثيرًا .

قال : إن الحق الأعظم الذين اتشعب منه الحقوق لا يسكن إلا في قلب طاهر [٧٢/ ب / ١] وكذلك الحكمة لا تستوطن إلا في قلب طاهر ، وكذلك اليقين لا يسكن إلا في قلب طاهر ، فمن لم يطهر قلبه فهذه الأشياء نافرة عنه لا تجد مأمنها فإذا وجدت قلبًا وقد تطهر من أدناس الذنوب ودرن العيوب فقد وجدت مأمنًا فارتفعت فيه فوجدت صاحبه حكيمًا ووجدته موقنًا ووجدته محقًّا فالحكمة ينبوع قلبه ومثال بين عينيه واليقين مطالعة في القلوب ، والحق مستعمله ، ومن لم يطهر قلبه فالحق نافر عنه فهو يتبع الحق ليعمل به والحق هارب منه ، فلذلك يشتد عليه القيام بالحق ويثقل عليه حتى يعجز عنه والحق يجري فيه كالسهم وكالماء وكالدهن باللبن وكالرمح سرعة ومضيًا ، ومن لم يطهر قلبه فالحكمة معرضة عنه فتستر عنه جهدها وتخفي زينتها كعروس في أجمل صورة وأحسن زينة فهي لا تأمن من أهل الريبة فتستر عنهم زينتها ، وإذا طلع عليها المتقي أمنته فلم تستر عنه ومن لم يطهر قلبه فعقله محجوب عن الله ، وقلبه بعيد عن الله فكيف ينال اليقين .

فأما حديث يعرفه المحققون[1] وتقبله قلوبهم

٢٧٤ـ **حدثنا** إبراهيم بن هارون البلخى قال : حدثنا أبو عمرو زكريا بن حازم الشيبانى السورحانى قال : سمعت قتادة عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : خرج رسول الله ﷺ على ناقته الجدعاء فقال : " أيها الناس ، كأن الموت فيها على غيرنا كتب ، وكأن

---

(١) في ص " المحقونان " .

الحق على غيرنا وجب ، وكأن الذي نشيع من الموتى عن قليل إلينا راجعون نبوءهم أجداثهم ، ونأكل تراثهم كأنا مخلدون بعدهم ، فطوبى لمن شغله عيبه عن عيب غيره ، طوبى لمن ولت نفسه من غير منقصة ، وتواضع لله من غير مسكنة ، وأنفق مالاً جمعه من غير معصية ورحم أهل الذل والمسكنة ، وخالط أهل الفقه والحكمة ، طوبى لمن ذُلت[(١)] نفسه وطاب كسبه وصلحت سريرته وحسنت خليقته وكرمت علانيته وعَزل عن الناس شره ، طوبى لمن عمل بعلمه وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفصل من قوله " .

٢٧٥ـ **حدثنا** على بن حجر السعدى قال : حدثنا [٧٣/ أ/ ١] إسماعيل بن عياش وعيسى بن يونس قالا[(٢)] : حدثنا عمر بن عبد الله مولى غفرة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كنت رديف رسول الله ﷺ فقال : " يا غلام ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن؟ قلت : بلى يا رسول الله ، قال : احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده أمامك ، تعرّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة ، وإذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، فقد جف القلم بما هو كائن فلو جهد الخلق على أن ينفعوك بكلمة لم يكتبه الله لك لم يقدروا عليه ، ولو[(٣)] جهد الخلق على أن يضروك بكلمة لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه ، وإن استطعت أن تعمل لله بالرضى واليقين ، فافعل وإن لم تستطع فإن في الصبر على ما تكره خيرًا كثيرًا واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرًا " .

٢٧٦ـ [**حدثنا** عبد الوهاب بن فليح المكى حدثنا عبد الله بن ميمون القداح حدثنى شهاب ابن خراش عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنه عن رسول ﷺ بمثله .

٢٧٧ـ **وحدثنا** محمد بن أسلم حدثنا مطرف بن عبد الله الأسلمى عن محمد بن عبد الرحمن المليكى عن المثنى بن الصباح عن عطاء عن ابن عباس رضى الله عنه عن رسول ﷺ بنحوه][(٤)] .

وأما حديث ينكره المحققون فمثل حديث رواه الحسن البصري عن أبي أمامة الباهلي

---

(١) في (د) " ذل " .

(٢) في (ص) " قال " .

(٣) في (ص) " فلو " .

(٤) ما بين المعقوفين سقط من (د) .

رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أن سليمان عليه السلام مر في موكبه برجل يقال له : مر عبدي وهو قائم يصلي فوقف عليه حتى فرغ فلم يرفع رأسه فلما رأى ذلك منه نزل إليه فكلمه فقال له مر عبدي : ألست بابن داود الخاطىء حملت الدنيا فوق رأسك وجعلت الآخرة تحت قدميك فصرت محجوبًا عن الدارين حقًّا أقول والله لو أن الله تعالى اسمه كشف الغطاء عنك حتى تنظر إلى الله بمعرفته وترغب إلى الله بالرغبة وتشتاق إليه بالحب لكتبت زاهدًا فيما معك ولكن استروحت إلى الدنيا وحرفت حلوها من حامضها ولينها من خشنها وحارها من باردها فلها تغضب ولها ترضي وإليها تستروح وإليها تشتم ، قال سليمان : يا مر عبدي [١/ ٧٣/ ب] كيف لي إن أنا سألت الله(١) حتي يقبض عني جميع ما سخر لى ، قال مر عبدي : هيهات هيهات الدنيا أعظم في صدرك وأنت إليها أشد ركوبا من أن تسأل ربك ذلك ، يا ابن داود لا يغرنك هذا البيت الذي مثل لك والزين الذي عليه وما سخر لك من الشياطين وأنت تقرأ فيما أنزل الله عز وجل على داود أنه ليس أحد أعطي نهمة من شهوات الدنيا إلا نقص في ميزانه ، يا ابن داود ما لك وللدنيا قد غرت من كان قبلك ، ما لك والجمال والشهوات ونظر الناس إليك وقد عرفت أنه ليس أحد أحب إلى الله من مؤمن خفي ألا إن أولياء الله يخفون على أهل الأرض ويعرفون في السماء ولا يفقدون إذا غابوا ولا يعرفون إذا شهدوا ، افهم يا ابن داود إنك نبي تعظ الناس وأنت مسموع منك ، لا يغرنك ما أنت فيه فيوشك أن تموت وتذوق مرارة الموت ، قال : مر عبدي ، ما بال الناس ينظرون إلى وأنت لا تنظر إلى ويتمنون ما سخر الله لى وأنت لا تتمني؟ قال : يا ابن داود أنت صبي تتكلم على قدر صباك ما أري في يدك من الفضل والرغبة في الدين فأرغب فيه ، يا ابن داود دع عنك الكبر والفخر ، يا ابن داود منذ كم أنت في هذا الملك؟ قال : مذ ثمانية عشر سنة ، قال : يا ابن داود هل تجد فيما مضي من ملك إلا ما أنت فيه اليوم ، قال سليمان : اللهم لا ، قال مر عبدي : كذلك ، وأنا أضرب بهذه المسحاة منذ ثلاثين سنة لا أجد عناء تسعة

---

(١) كذا بالأصل .

وعشرين سنة وأحد عشر شهرًا وتسعة وعشرين يومًا إلا عناء يومي هذا ، فما فضلك علي أين ما تنعمت به ؟

هذا في كلام له طويل التقت منه هذه الأحرف فذكرتها ههنا ، فهذا الحديث عامته كذب لا تقبله قلوب المحققين ، وقد جعل الله الرسل عليهم السلام أحباءه وأصفياءه وأنجياءه وحجته على خلقه ورفع مراتبهم ، فمن قال لرسول من الرسل مثل الذي روي في هذا الحديث فقد عابه ، ومن عابه فقد كفر بالله ، وقد جعل الله إيماننا به منظومًا بإيماننا بالرسل لا يقبل منا حتى نؤمن بالرسل كما آمنا به ، وكيف يجوز أن يقال لرسول الله : " جعلت الآخرة تحت قدمك [١/ ٧٤/ أ] والدنيا فوق رأسك " فقائل هذا لرسول من رسل الله راد على الله ، والله يقول في تنزيله : ﴿ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأنعام : ٨٤] .

فسليمان من أهل هداية الله وسماه محسنا وهذا يحكى أنه قال : " جعلت الآخرة تحت قدميك فصرت محجوبًا عن الدارين " وقال في آية أخري : ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَـٰنَ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ [ص : ٣٠] فهكذا يكون صفة من أثنى الله تعالى في تنزيله بما أثنى كما وصفه في هذا الحديث ، ثم قال لنبيه محمد ﷺ : ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ [الأنعام : ٩٠] فهذا الذي زور مثل هذا الحديث كان غبيًا أحسبه من هؤلاء الحمقى الذين يتزهدون في الدنيا رياء وسمعة يريدون أن يتأكلوا هذا الحطام بسمة الزهد ولم يعرفوا ما الزهادة ولا معناها ولا تفسيرها ، حسبوا أن الزهادة شتم للدنيا وأكل النخالة ولبس الصوف وذم الأغنياء ومدح الفقراء ، ومن جهله وأشاروا إلى الخلق بالترك وقلوبهم مشحونة بالشهوات يموتون على حب الدنيا عشقًا وحب الرئاسة موتًا ، وأن يقال هذا أبو فلان نعم الرجل هذا زهد في الدنيا لا يأكل إلا مضطرًا ولا يقبل من أحد شيئًا فهو يستروح إلى هذا القول منهم ، وبقوة هذا الروح يقاسي عمره شدة ففتح الله فعل من هذا فعله في تلك من مرأي ما أوحشه دعاه فعله ذلك إلى أن خرج على أنبياء الله ورسله فكل من وجده منهم قد قلده الله من خزائن الدنيا حفظًا ورعاية جرحه وطعن فيه ، وظن أن ذلك منه رغبة حتى مرق من الدين

ومن جهل يزعم أنه قال مر عبدي لسليمان عليه السلام : ليس تقضي نهمة من الدنيا إلا ينقص من منزلتك والله يقول : ﴿ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [ص : ٣٩] ثم قال : ﴿ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴾ [ص : ٤٠] فمن يستروح إلى الدنيا ولها يغضب ولها يرضي ، يكون هذا ثناء رب العالمين عليه وزلفا وحسن(١) مآب ونعم العبد ، فواضع هذا الحديث أحسبه كان زنديقًا معاندًا معاديًا للرسل [١/ ٧٤/ب] أو جاهلاً من جهلة الصوفيين المستأكلة .

ومن صفة سليمان عليه السلام عندنا أن الله امتحن قلبه للمرتبة العالية وملكه الدنيا وسخر له الشياطين والرياح وعلمه منطق الطير وكان من جلال الله وعظمته على قلبه ما لو جمعت خشية العالمين في ذلك الوقت لدقت في جنب خشيته ، وتواضعهم كلهم لله يدق في جنب تواضعه ، وكانت الدنيا لا تزن عنده جناح بعوضة فقد أثنى الله عليه في تنزيله تعالى : ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۞ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ ﴾ [النمل : ١٥-١٦] فأعطاه الله علمًا كما أعطى داود ثم ورثه علم داود فضمه إلى علمه وهو قوله : ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ ﴾ ثم زاده على ذلك زيادة وهو قوله : ﴿ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ ﴾ [النمل : ١٦] فمن ذا يقدر على وصف ما أوتي وشرح الفضائل الذي أعطاه الله ، ولهذا قال تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [النمل : ١٦] وقال : ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ [ص : ٣٠] وقال : ﴿ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ ﴾ [الأنعام : ٨٤] ثم قال : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأنعام : ٨٤] وقال : ﴿ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴾ [ص : ٢٥] وقال : ﴿ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ ﴾ [الأنبياء : ٧٩] فمن كان له في التنزيل مثل هذا فآمن به ثم روي مثل هذا الحديث أليس تدل روايته على أنه من أحد هذين الصنفين أو شيطان تمثل على صورة آدمي يغوي به الناس . ومن الحديث الذي تنكره قلوب المحققين ما جاء به ابن مروان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن قوم موسى عليه الصلاة والسلام سألوا موسى عليه السلام أن يسأل ربه عز وجل أن يسمعهم كلامه الكريم فسمعوا صوتًا كصوت الشَبور : إني

---

(١) في (ص) " حسب " .

أنا الله لا إله إلا أنا الحي القيوم ، أخرجتكم من مصر بيد رفعة وذراع شديدة .

فهذا حديث من غرب فهمهمن هذا ما هو حتى رواه ، وإنما الكلام شيء خص به موسى عليه السلام من بين جميع ولد آدم عليه السلام فإن كان كلم قومه أيضًا حتى أسمعهم ، فما فضل موسى عليه السلام عليهم ولقد قصر عندهم خطر كلام الله حتى سخت نفوسهم بمثل هذا الحديث .

ومن الحديث [١/ ٧٥/أ] الذي تنكره القلوب ، حديث رووه عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا * وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان : ٧-٨] .

قال : مرض الحسن والحسين رضى الله عنهما فعادهما رسول الله ﷺ وعادهما عمومة العرب فقالوا : يا أبا الحسن ﷺ لو نذرت على ولديك نذرًا وكل نذر ليس له وفاء فليس بشيء فقال علي رضي الله عنه : إن برأ ولدي صمت لله ثلاثة أيام شكرًا ، وقالت جارية لهم نوبية : إن برأ سيداي صمت لله ثلاثة أيام شكرًا ، وقالت فاطمة رضي الله عنها مثل ذلك ، فألبس الغلامان العافية وليس عند آل محمد قليل ولا كثير فانطلق علي رضي الله عنه إلى شمعون بن حسار الخيبري وكان يهوديًا فاقترض منه ثلاثة أصوع من شعير ، فجاء به فوضعه ناحية البيت فقامت فاطمة رضي الله عنها إلى صاع فطحنته فاختبزته ، وصلى علي رضى الله عنه مع النبي ﷺ ثم أتى المنزل فوضع الطعام بين يديه إذ أتاهم مسكين ، فوقف بالباب فقال : السلام عليكم أهل بيت محمد أطعموني أطعمكم الله على موائد الجنة فسمعه علي رضي الله عنه فأنشدا يقول شعرًا :

أفاطم ذات الشداد اليقين ... يا بنت خير الناس أجمعين
أما ترين البائس المسكين ... قد قام بالباب له حنين
يشكو إلى الله ويستكين ... شكوا إلينا جائع مسكين
كل امرئ بكسبه رهين ... من يفعل الخير يقم سمين
ويدخل الجنة آمين[1]

---

(١) في (ص) « أي حين » .

فأنشأت فاطمة رضى الله عنها تقول :

أمرك سمع يا بن عم وطاعه ما بي من لوم ولا وضاعه
عنيت في الخير له صناعه سأطعمه لا أنهنهم ساعه
أرجو أن أنبعث من مجاعه أن ألحق الأخيار والجماعه
فأدخل الجنة لي شفاعه[١]

فأعطوه الطعام ومكثوا يومهم وليلتهم [١/ ٧٥/ ب] ولم يذوقوا شيئًا إلا الماء القراح .

فلما كان في اليوم الثاني قامت إلى صاع وطحنته واختبزته وصلي على[٢] رضى الله عنه مع النبي ﷺ ثم أتي المنزل فوضع الطعام بين أيديهم فوقف بالباب يتيم ، فقال السلام عليكم أهل بيت محمد ﷺ يتيم من أولاد المهاجرين استشهد والدي يوم العقبة ، أطعموني أطعمكم الله على موائد الجنة فسمعه على رضى الله عنه فأنشأ يقول :

أفاطم بنت السيد الكريم بنت نبي ليس بالزنيم
قد أتي الله بذا اليتيم من يرحم اليوم يكون رحيم
ويدخل الجنة أي سليم قد حُرم الجنة اللئيم
ألا لا يجوز الصراط المستقيم يزل في النار إلى الجحيم
شرابه الصديد والحميم

فأنشأت فاطمة رضي الله عنها تقول :

سأطعمه الآن ولا أبالي وأوثر الله على عيالي
أمسوا جياعًا وهم أشتالي أصغرهما يقتل في القتالي
بكر بلا يقتل باغتبالي يا ويل للقاتل مع وبالي
يهوي في النار إلى سفالي وفي يده الغل والأغلالي
كبوله زادت على الأكيالي

فأطعموه الطعام ومكثوا يومين وليلتين لم يذوقوا شيئًا إلا الماء القراح .

فلما كان اليوم الثالث قامت إلى الصاع الباقي فطحنته واختبزته وصلى علي رضى الله

(١) في (د) " في شفاعة " .
(٢) سقط " علي " من (د) .

عنه مع رسول الله ﷺ ثم أتى المنزل فوضع الطعام بين يديه إذا أتاهم أسير فوقف بالباب فقال السلام عليكم أهل محمد ﷺ يأسروننا ويشدوننا ولا يطعموننا أطعموني فإني أسير محمد ﷺ ، فسمع علي رضي الله عنه فأنشأ يقول :

أفاطم بنت النبي أحمد بنت سيد مسود
سماه الله فهو محمد قد زانه ربي محسن أغيد
هذا أسير النبي المهتدي مثقل في غله مقيد
[١/٧٦/أ] يشكو إلينا قد تمدد من يطعم اليوم يجده من غد
عند العلى الواحد الموحد ما يزرع المزارع يحصد
أعطيه لا تجعليه أنكد

فأنشأت فاطمة رضي الله عنها تقول :

لم يبق مما جبت غير صاع قد ذهبت كفي مع الدراع
ابني والله هما جياع يا رب لا تتركهما ضياع
أبوهما للخير هو صناع يصطنع المعروف بابتداع
عبل الذراعين شديد الباع وما على رأسي من قناع
إلا قناعًا نسجه نساع

فأعطوه الطعام ومكثوا ثلاثة أيام ولياليها لم يذوقوا شيئًا إلا الماء القراح **فلما أن كان اليوم الرابع** وقد قضى الله النذر أخذ علي رضى الله عنه بيده اليمنى الحسن رضى الله عنه وبيده اليسرى الحسين رضى الله عنه ، وأقبل نحو رسول الله ﷺ وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع ، فلما أبصرهم رسول الله ﷺ قال : يا أبا الحسن ما أشد يسؤني(١) ما أرى بكم ، انطلق بنا إلى ابنتي فاطمة فانطلقوا إليها وهي في محرابها قد لصق بطنها بظهرها وغارت عيناها من شدة الجوع ، فلما أن رآها رسول الله ﷺ وعرف المجاعة في وجهها بكى ، وقال : واغوثاه بالله أهل بيت محمد يموتون جوعًا فهبط جبريل عليه السلام فقال : السلام يقرئك السلام يا محمد خذ هنيئًا في أهل بيتك قال وما أخذ يا جبريل؟ فأقرأه : ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾ [الإنسان : ١] إلى

(١) غير واضحة (ص) وهوما استظهرته من (د) .

قوله : ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾ [الإنسان : ٨-٩] .

هذا حديث مزوق وقد تطرق فيه صاحبه حتى شبه على المستضعفين فالجاهل أبدا بهذا الحديث يعض شفتيه تلهفا أن لا يكون بهذه الصفة ولا يعلم أن صاحب هذا الفعل مذموم وقد قال الله تعالى في تنزيله : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ﴾ [البقرة : ٢١٩] وهو الفضل الذي يفضل عن نفسك [١/ ٧٦/ ب] وعيالك ، وجرت الأخبار عن رسول الله عليه وسلم متواترة بأن خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى ، وابدأ بنفسك ثم بمن تعول . وافترض الله على الأزواج نفقة أهاليهم وأولادهم ، وقال ﷺ : " كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يقوت "

أفيحسب عاقل أن عليًا رضي الله عنه جهل هذا الأمر حتى أجهد صبيانًا صغارًا من أبناء خمس أو ست على جوع ثلاثة أيام ولياليها حتى تضرروا من الجوع وغارت العيون فيهم لخلاء أجوافهم حتى أبكى رسول الله ﷺ ما بهم من الجهد ، هب أنه آثر على نفسه هذا السائل فهل كان يجوز له أن يحمل مثل ذلك على أطفاله جوع ثلاثة أيام ولياليهن ما يُروج [مثل][(١)] هذا إلا على حمقى جهال أبى الله لقلوب منبيه أن تظن بعلي رضي الله عنه مثل هذا . وليت شعري من حفظ هذه الأبيات كل ليلة عن علي وفاطمة رضي الله عنهما وإجابة كل منهما صاحبه حتى أداه إلى هؤلاء الرواة فهذا وأشباهه من حديث أهل السجون فيما أري .

بلغني أن قومًا يخلدون في السجون فيبقون بلا حيلة فيكتبون أحاديثًا في السمر وأشباهه ، ومثل هذا الحديث عامتها مفتعلة فإذا صارت إلى الجهابذة رموا بها وزيفوها وما من شيء إلا وله آفة ومكيدة وآفة الدين وكيده أكثر .

ومن الحديث الذي تنكره القلوب حديث رووه عن قتادة عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ : أن في سنة مائتين يكون كذا ، وفي العشرين والمائتين كذا ، وفي الثلاثين كذا ، وفي الأربعين كذا ، وفي الخمسين كذا وفي الستين[(٢)] والمائتين

---

(١) زيادة من (د) .

تعكف الشمس ساعة فيموت نصف الجن والإنس .

فهل كان هكذا وقد مضت هذه المدة وهذا شيء يعم وسائر الأمور الذي ذكرنا قد يكون في بلدة وتخلوا منه أخري فهذا عكوف الشمس لا يخلومنه بلد في شرق أو غرب ، فإن كان المائتان من الهجرة قد مضت ، وإن كان من موت الرسول ﷺ قد مضت .

وأيضًا دلالة أخرى على أنه مفتعل ، [أن][(١)] التاريخ لم يكن على عهد رسول الله ﷺ ، وإنما وضعوه على عهد [١/ ٧٧/ أ] عمر رضي الله عنه فكيف يجوز هذا على عهد رسول الله ﷺ أن يقال : في سنة مائتين وفي سنة عشر ومائتين ، ولم يكن وضع شيء من التاريخ .

٢٧٨- حدثنا قتيبة بن سعيد قال : حدثنا خالد بن حيان أبو زيد عن فرات بن سليمان عن ميمون بن مهران رضى الله عنه قال : رفع إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه صك محله شعبان فقال عمر رضي الله عنه : أي شعبان هذا ؟ الذي هو آت أوهذا الذي نحن فيه ؟ ثم قال لأصحاب محمد ﷺ : ضعوا للناس شيئًا يعرفونه ، فقال بعضهم : على تاريخ الروم فقيل : إنهم يكتبون من عهد ذي القرنين فهذا يطول ، وقال بعضهم : اكتبوا على تاريخ الفرس فقال : إن الفرس كلما كان ملك أرخ من قبله ، فاجتمع رأيهم أن ينظروا كم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة فوجدوه عشر سنين فكتب التاريخ من هجرة رسول الله ﷺ .

٢٧٩- حدثنا محمد بن عثمان الطائفى قال : حدثنا أمية بن خالد قال : حدثنا قرة بن خالد عن ابن سيرين رضى الله عنه قال : جاء رجل من أهل اليمن إلى عمر رضى الله عنه فقال : أرخوا فقال : وما أرخوا ؟ قال : اكتب شهر كذا وسنة كذا قالوا فبم نبدأ قال : من موت النبي ﷺ قال : بل من مهاجره ، فاتفق رأيهم على أن يبدأ ، من مهاجره ، قيل : من أي شهر نبدأ قالوا : من رمضان ، قال : لا بل من المحرم فبدأوا بالمحرم .

ومن الحديث الذي تنكره القلوب حديث رووه عن عوف عن أبي القموص قال :

---

(١) سقط (ص) " الستين " .

(٢) زيادة من (د) .

شرب أبو بكر رضي الله عنه الخمر - يعني : من قبل نزول تحريمها - فقعد ينوح قتلى بدر وينشد يقول :

تحيا بالسلامة أم بكر … وهل بعد رهطك من سلام
ذريني اصطبح بأم بكر … إني رأيت الموت عن هشام
فنقب عن أبيك وكان قومًا … من الأشراف شراب المدام
وود بنو المغيرة لو فدوه … بألف من رجال أو سوام
كأني بالطوي طوي بدر … من الشيزي تكلل بالسنام[١/ ٧٧/ب]
تحامي بالطوي طوي بدر … من القينات والخيل الكرام .

فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ذلك فخرج يجر ثوبه من الفزع حتى أتاه فرفع عليه شيئا في يده ، فقال أبو بكر رضى الله عنه : أعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله فنزلت : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ ﴾ [المائدة : ٩٠] الآية ، وزاد في غيرها في الأبيات :

يخبرنا الرسول بأن بسخيا فكيف حياة أصداء وهام

قال : فهذا منكر من القول والفعل ، وقد أعاذ الله الصديقين من فعل الخنا وأقوال أهله وإن كان قبل التحريم ، وقد كان أبو بكر رضى الله عنه بمكة مع رسول الله ﷺ قبل أن يهاجر وقد وسم بالصديقية وسمي صديقًا ، وكان مع رسول الله ﷺ على حراء فرجف بهم الجبل فقال رسول الله ﷺ : اسكن حراء فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان وكان معه أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ، وعائشة رضى الله عنها أعلم بأبيها من أبي القموص فهي تنكر هذا وتكذب أهله .

٢٨٠- حدثنا سليمان بن العباس الهاشمى قال : أخبرنا يعقوب أبو يوسف الزهرى قال : حدثنا عبد الله بن وهب عن يونس عن الزهرى عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما قال أبو بكر ولا عثمان رضى الله عنهما بيت شعر في جاهلية ولا في إسلام ولا شربا خمرًا في جاهلية ولا إسلام .

٢٨١- قال يعقوب : وحدثنا عبد العزيز بن محمد عن ابن أخى ابن شهاب عن عمه عن عروة عن عائشة رضى الله عنها [بمثله .

٢٨٢ـ حدثنا الفضل بن محمد قال : حدثنا عمران بن بكار الحمصى قال : حدثنا عبد الحميد بن إبراهيم الحضرمى قال : حدثنا عبد الله بن سالم الكلاعى عن محمد بن الوليد الزبيدى قال : أخبرني الزهرى عن عروة عن عائشة رضى الله عنها][1] أنها كانت تدعوعلى من يقول إن أبا بكر قال هذه القصيدة وأولها :

تحيا بالسلامة أم بكر وهل لي بعد قومي بالسلام[2]
يخبرنا الرسول بأن سنحيا وكيف حياة أصداء وهام

ثم قالت عائشة رضى الله عنها : والله ما قال أبو بكر رضى الله عنه بيت شعر في الجاهلية ولا في الإسلام ، ولقد ترك أبو بكر وعثمان رضى الله عنهما شرب الخمر في الجاهلية ، وما ارتاب أبو بكر رضى الله عنه في الله منذ أسلم ولكنه [١/ ٧٨/ أ] كان تزوج امرأة من بني كنانة ثم من بني عوف فلما هاجر أبو بكر رضى الله عنه طلقها فتزوج بها ابن عمتها هذا الشاعر فقال هذه القصيدة يرثي بها كفار قريش الذين قتلوا ببدر ، فحملها الناس أبا بكر رضى الله عنه من أجل امرأته أم بكر التي طلقها ، وإنما هو أبو بكر ابن شعوب الكناني .

---

(١) ما بين المعقوفين سقط من (د) .
(٢) في (د) " من سليم " .

الأصل الخامس والأربعون

٢٨٣ـ **حدثنا** أحمد بن عثمان بن حكيم الأودى قال : حدثنا بكر بن يونس بن بكير قال : حدثنا موسى بن على بن رباح عن أبيه عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " لا تكرهوا مرضاكم على الطعام ، فإن الله يطعمهم ويسقيهم " .

قال أبو عبد الله :

فإطعام الله وسقياه في الدنيا الآدمي هذا الذي سخر له وهيأ له من أرضه وسمائه وبره وبحره وإطعامه وسقياه في الآخرة التي هيأه له في جنانه وجواره وهو ثوابه لعماله فغير واصل إلى هذا الآدمي مما هيأ له في جواره حتي يخرج من الدنيا ويقدم عليه ، ثم فيما بين ذلك للعباد من الله لطائف من خزائنه يلطف لهم في أحوالهم ، وذلك مثل مائدة عيسى عليه السلام ، ومثل ما أوتيت مريم حيث قيل وجد عندها رزقًا ﴿ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ ﴾ [آل عمران : ٣٧] ، وسقياه مثل عسكر رسول الله ﷺ حين أصابهم العطش فانفجرت من أصابع رسول الله ﷺ منابع الماء حتى ارتوى العسكر ، فهذا من الله لعبيده من خزائن الرحمة على أيدي القدرة فهذا للأنبياء والصديقين وهم الذين يستحقون هذه الألطاف من الله عز وجل لأنه لطف بهم كرامة وأما شأن المرضي فذلك لهم لطف رحمة لما حل بهم من الشدة من سلب ما أعطي من نعمة الصحة فالمرض الذي حل بهم مُمحص لذنوبهم كلما محص إزداد القلب طهارة من رين الذنوب وتحلى القلب من سقم الإيمان فإذا ذهب سقم الإيمان شبع القلب وروي .

ألا تري أن أقل الناس طعامًا الأنبياء ثم الأولياء وكل ما كان العبد أكثر حظًا من اليقين كان أقل طعامًا وتناولاً من الدنيا وهذا موجود في صالحي هذه الأمة .

روي عن عامر بن عبد قيس [١/ ٧٨/ ب] أنه داوم شهرًا لا يأكل شيئاً

٢٨٤ـ **حدثنا** عبد الله بن عبد الله بن أسد الكيلانى قال : حدثنا أبو بكر بن عياش قال : سمعت الأعمش قال : سمعت إبراهيم التيمي رضى الله عنه يقول : لقد أتى علي شهر وما أكلت طعامًا ولا شرابًا إلا حبة من عنب أكرهوني عليها ، وما أنا بصائم وإني أقضي حوائجي .

وعن رسول الله ﷺ أنه قال : " الكافر يأكل في سبعة أمعاء والمؤمن يأكل في معاء واحد " .

فالمؤمن إيمانه أشبعه فإنما الشبع للقلب والنفس ثم للأركان ، وقد فسرناه في بابه ما هذه إلا معاء السبعة .

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : " الرغب شوم والرغب الحرص على الأكل والتهام الشيء الماكول من الحرص كأنه يريد أن يبلغه من ولوعه به ، فإنما صار شومًا حرصه وولوعه لا فعله ذلك وإنما نسب إلى الفعل وذم الفعل لأنه هوالذي يظهر منه والحرص باطن فالمريض إذا وقع في التمحيص خف قلبه من الذنوب وثقل من الإيمان فشبع وروي .

ومعني قوله : " فإن الله يطعمهم ويسقيهم " على هذا عندنا أنه يطهر قلوبهم من رين الذنوب وإذا طهرهم من عليهم باليقين فأشبعهم فأرواهم فذلك طعامه وسقياه لهم ألا تري أنه يمكث الأيام الكثيرة لا يذوق شيئًا ومعه قوته ، [ولوكان ذلك في أيام الصحة لضعف بين ذلك وعجز عن مؤانساته][(١)] ، والصبر عليه وأن للقلوب [مع الله أشياء عجية لا يعرفها إلا أهل اليقين][(٢)] ، وأما أهل النفوس فهم في غفلة من هذا كله ولووصفت ذلك لهم لتخيروا وبهتوا لأنه لم يحل ذلك بقلوبهم طرفة عين فكيف يعرفه وقد جاءت الغفلة من شهوة النفس فرانت على القلوب فصارت غطاءً وحجابًا كثيفًا على القلب وعاين أحواله وما يحل به .

(١) ما بين المعقوفين سقط من (ص) .

(٢) ما بين المعقوفين سقط من (ص) وهوما استظهرنا قراءته من المخطوط .

الأصل السادس والأربعون

٢٨٥ـ **حدثنا** عبيد الله[١] بن يوسف بن المغيرة بن جبير بن حية الثقفي قال : حدثنا عثمان بن عبد الرحمن الحراني قال : حدثنا عبد الحميد بن يزيد عن أمنة بنت عمر عن ميمونة رضي الله عنها أنها قالت : " يا رسول الله من أي شيء عذاب القبر أفتنا عن عذاب القبر؟ قال : من أثر البول فمن أصاب منه شيء [١/ ٧٩/ أ] فليغسله بماء ، فإن لم يصبه أو يجده فليمسحه بتراب طيب " .

قال أبو عبد الله :

فهذا إذا أصاب الجسد فإذا عرف موضعه من الجسد فالغسل لا محالة ، فإذا لم يجد موضعه فليس على يقين من ذلك لأنه لو علم أنه قد أصابه لعلم موضعه فهذا شك قد دخله فهو لا يدري أصابه أم لا ففي الحكم غير لازم له غسله ولكن جاء في عذاب القبر من أثر البول وشأنه ما جاء ما يلقي أهل القبور من شدة وباله .

وروي عنه أنه قال : " عامة عذاب القبر من البول " فدله رسول الله ﷺ على التيمم جعل التيمم ليتوقى به عذاب القبر إن كان هناك بول قد أصابه وهو لا يدري ، وهو على غير يقين من أمره وفي الباطن وفي الغيب قد أصابه ذلك وعذاب الترحال به ، من أجل ذلك كان هذا التيمم دافعًا كما كان الغسل بالماء في الحال الذي يدري أين أصابه دافعًا عنه .

لأنه قد جاء في الخبر " أن أول ما يوضع الميت يبتدره أربع نيران فتدفع عنه الصلاة واحدة والزكاة واحدة والصوم واحدة فيجيء الصبر فيطفئ الرابعة ثم يقول أما أني لوأحد كتمن كلمهن لأطفيتهن ولكن أنا لك أمامك " .

٢٨٦ـ **حدثنا** بذلك عبد الله بن أبى زياد حدثنا سيار عن جعفر بن سليمان عن حجاج حدثنا معاوية بن قرة عن أشياخ ادركوا رسول ﷺ عن رسول ﷺ بنحوه][٢] .

فالصلاة إنما تدفع إذا كان صلاة بطهور فهذا الذي لا يدري أصابه أم لا وله على

---

(١) في (د) " عبد الله " .

(٢) ما بين المعقوفتين سقط من (د) .

التيمم وهو بجهله معذور فالمتيمم صار هناك وإن كان هناك في الأصل شيء كالجنب الذي لا يجد الماء فصار عند الله معذورًا ، فالمتيمم صار هناك بجهله إذ لا يعلم أصابه شيء أم لا مضطرًا كالذي يجد الماء ومن التشديد في البول من حيث لا يعلم ما جاء عن أمر سعد بن معاذ ما يحثنا ويحذرنا على الاحتياط في ذلك .

فروي يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق حدثني معاذ بن رفاعة بن رافع قال حدثني محمود بن عبد الرحمن بن عمروبن الجموح عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : لما توفي سعد رضى الله عنه ووضع في قبره سبح رسول الله ﷺ وسبح القوم وكبر وكبر[١/ ٧٩/ ب] القوم معه فقالوا : يا رسول الله ﷺ مم سبحت؟ قال : هذا العبد الصالح تضايق عليه قبره حتى فرج الله عنه فسئل رسول الله ﷺ عن ذلك فقال : كان يقصر في بعض الطهور من البول . فإنما سألت ميمونة رضى الله عنها عن الفتيا في عذاب القبر ما الحيلة في الخلاص منه؟ فإن أصابه البول من حيث لا يعلم كائن وقد جاء فيه من التشديد ما جاء فرأي أن الجهل به ضرورة وفقد الماء ضرورة وقد تفضل الله على عبيده عند فقد الماء بالتيمم فصيره كافيًا وطهورًا ومزيلاً للجنابة عنه فرأي أن التيمم هاهنا في حال الشك والتخوف أن يكون أصابه من حيث لا يعلم بول كافيًا مزيلاً للنجاسة عنه لينجوا من وباله غدا في القبر .

الأصل السابع والأربعون(١)

٢٨٧. حدثنا محمد بن الضحاك حدثنا عبدة بن سليمان الكلابى عن أبى رجاء الجزرى عن الفرات بن سليمان عن ميمون بن مهران عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : " ما صبر أهل بيت على جهد ثلاثًا إلا آتاهم الله برزق "(٢) .

قال أبو عبد الله :

فالجهد هو الجوع المجهد وهو من الله ابتلاء لعباده فإذا صبر ثلاثًا أتاه الله برزق لأن أيام المحنة قد انقضت وإنما صارت مدة المحنة ثلاثة أيام ؛ لأن العبد على أجزاء ثلاثة جزء منه للإيمان ، وجزء للروح ، وجزء منه للنفس فالطمأنينة للإيمان ، والطاعة للروح ، والشهوة للنفس ، فالقلب للإيمان ، والأركان للروح ، والجثة للنفس لأن الشهوات في النفس والشهوات تغذو الجثة فإذا منع أول يوم فجاع فصبر فذاك صبر الإيمان لأنه أقوى الثلاثة ، فإذا منع اليوم الثاني فجاع فصبر فذاك صبر الروح يطيع ربه ولا يتناول ما لا يحل ، فإذا منع اليوم الثالث فجاع فصبر فذاك صبر النفس فقد تمت المحنة وبرزت منقبة النفس إذا ابتليت فوجدت صبورة فرزقت وأكرمت وإنما تقع المحنة أبدًا في كل وقت على أهل التهمة فالإيمان غير متهم وكذلك الروح غير متهم ، وإنما التهمة للنفس فإذا امتحنت النفس في أول يوم لم يتبين صبرها لأن الإيمان والروح معين لها ، وفي اليوم الثاني الروح معين لها [١/ ٨٠/ أ] فإذا صبرت في اليوم الثالث فقد أبرزت صبرها واخلصت بإيمانها وانقادت مستسلمة . وأني العباد إنما وقعت عليهم المحنة لشأن النفوس الكاذبة فلهذا امتحن إيمانهم . فهو قوله(٣) : ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ [العنكبوت : ٢] وقد بينا توقيت الثلاث أشياء في مسألة الحيض .

---

(١) في (د) " الخامس والأربعون " .

(٢) ذكر هذا الحديث ابن حبان في المجروحين في ترجمة أبي رجاء الجزري فقال : شيخ يروي عن فرات بن السائب وأهل الجزيرة المناكير الكثير التي لا يتابع عليها لا يجوز الاحتجاج بخبره إذا انفرد ، لغلبة المناكير على أخباره روى عنه حفص بن عتاب والكوفيون .

(٣) في (ص) " وقوله " .

الأصل الثامن والأربعون

٢٨٨ـ **حدثنا** محمد بن على قال : حدثنا حاتم بن بكر الضبي قال : حدثنا عبد الله بن عبد الحميد الحنفى قال : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر عن عبد الملك عن عمرو ابن حريث عن سعيد بن حريث رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " من باع دارًا أو عقارًا فليعلم أنه مال قِمن ، أن لا يبارك فيه إلا أن يجعله في مثله " .

٢٨٩ـ **حدثنا** أبى رحمه الله قال : حدثنا أبو نعيم قال : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر عن عبد الملك بن عمير عن عمرو بن حريث عن سعيد بن حريث رضى الله عنه عن رسول ﷺ بمثله .

٢٩٠ـ **حدثنا** موسى بن محمد المسروقى قال : حدثنا زيد بن الحباب قال : أخبرني فضالة ابن الحصين [قال أخبرني عبد الرزاق بن أبي محمد عن يعلي بن عبد الملك قاضي البصرة عن عمران بن الحصين][١] الخزاعي البدري رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول[٢] : " من باع عقدة وهو يجد بدًّا من بيعها ، إلا وكل بذلك المال من يتلفه " .

قال أبو عبد الله :

فإنما نزعت البركة منها لأنها ثمن الدنيا المذمومة وخلق الله الأرض فجعلها مسكنًا ومستقرًا لعباده ، وخلق الجن والإنس ليعبدوه وجعل ما على الأرض زينة لها ليبلوهم أيهم أحسن عملاً فصارت فتنة لهم إلا من رحمه الله فعصمه وصارت سببًا لمعاصي العباد فنزعت البركة منها فإذا بيعت لم يبارك له في ثمنها .

ومما يحقق ذلك ما جاءنا عن رسول الله ﷺ قال : " الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله ومعلم أومتعلم " .

٢٩١ـ **حدثنا** سليمان بن العباس الهاشمى قال : حدثنا عبد الرزاق قال : حدثنا ثور بن زيد عن خالد بن معدان عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : " ملعونة الدنيا وملعون أهلها

---

(١) ما بين المعقوفين سقط من (ص) .

(٢) " يقول " زيادة من (د) .

إلا ذكر الله ، وما آوى ذكر الله " .

قال : فكل شيء أريد به وجه الله تعالى من الأمور والأعمال فهو مستثنى من اللعنة لأنه قد آوى ذكر الله وكذلك [١/ ٨٠/ب] المؤمن قد آوي ذكر الله والكفار والشياطين وكل شيء من الأمور والأعمال مما لم يرد به وجه الله فهو ملعون فهذه الأرض صارت سببًا لمعاصي العباد بما عليها فبعدت عن ربها بذلك لأنها ملهية للعباد عنه ، وكل شيء بعد عن ربه فمنزوع منه البركة وأنه تبارك اسمه جعل الأرض مهادًا والجبال أوتادًا وبارك فيها وقدر فيها أقواتها هكذا تدبير الله في خلقه وجعل أثمان الأشياء في الذهب والفضة وجعل نبات الذهب والفضة في جبالها وقدر التجارات فيها ليبتغي العباد من فضله معاشهم فإذا اتجروا ابتغاء الفضل فيها دبر الله تعالى له وهو الذهب والفضة وما يباع بهما نال من البركة التي بارك فيها جعله منها داء ولم يجعله للتجارة فقد خالف تدبيره فغير مستنكرٍ أن يتخلى عنه وتذهب البركة لأن الله إذا تخلى عن شيء بخس ذلك الشيء وهلك لأنه لم يبق له قائمة وإذا رعاه أدام ذلك الشيء وحلت به البركة .

فالذهب والفضة هو قوام للخلق ولذلك وصف الله تبارك وتعالى في تنزيله فقال : ﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا ﴾ [النساء : ٥] والجبال قوام الأرض فخلق ابن آدم من الأرض فهو من نبات الأرض وجعل نبات الجبال له قوامًا والأرض مهادًا فإذا اتجر فيها جعل الله له مهدًا خالف تدبيره الذي هيأه له ففاتته البركة لأن البركة مقرونة بتدبيره وقد قال الله عز وجل : ﴿ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا ﴾ [فصلت :٩-١٠] فالبركة مع ذلك الخلق وذلك التقدير على ما دبره يومئذ .

وفي حديث عمران بن حصين رضى الله عنه دليل على تحقيق ما قلنا لأنه قال : " من باع عقدة " فإنما سميت عقدة لأنها مهاد قد عقدت لك مسكنًا ولم تجعل متجرًا .

ثم قال : " وهو يجد بدًا من بيعها إلا وكل بذلك المال من يتلفه " لأنك صيرت المهاد متجرًا تبتغي فيه الفضل فكان سبيلك أن تبتغي الفضل فيما وُجه لك فيه الفضل وهو الذي صيره أثمان كل شيء وجعلهما [١/ ٨١/ أ] سبب التجارات .

وروي عن حميد بن هلال العدوي رضى الله عنه أنه قال : " ثمن التراب ملعون " فهذا يدل على ما قلنا وعلى الوجه الآخر الذي ذكرناه بدءًا .

وروي في الخبر " أنه لما قتل ابن آدم أخاه انتشفت الأرض دمه فقال الله تبارك اسمه للقاتل : أين أخوك؟ قال : لا أدري ، قال : لعلك قتلته؟ قال : فأين دمه . فلعنت الأرض لما شربت دمه فمنذ يومئذ لا تنشف دمًا " فهذا أيضًا يقوي ما ذكرناه بدءًا .

الأصل التاسع والأربعون

٢٩٢- حدثنا على بن حجر قال : حدثنا شريك عن أبى إسحاق عن حارثة بن مضرب قال : أتينا خباب بن الأرت رضي الله عنه فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " يؤجر العبد في نفقته كلها إلا ما كان في التراب أو قال : في البناء " .

٢٩٣- حدثنا حميد بن الربيع اللخمى قال : حدثنا عمرو بن الربيع قال : حدثنا يحيى بن أيوب عن عبيد الله بن زحر عن على بن يزيد عن القاسم عن أبى أمامة عن خباب بن الأرت رضى الله عنه قال : قال رسول ﷺ : " كل نفقة ينفقها العبد يؤجر فيها ، إلا ما كان من نفقة في التراب " .

قال أبو عبد الله :

وإنما هذا عندنا في البناء الذي يجعله مرفقًا لنفسه ، فأما المساجد التي هي لله ولا يملكها أحد فهي خارجة من ذلك فقد جاءت الآثار عن رسول الله ﷺ أنه قال : " من بنى مسجدًا بنى الله له بيتًا في الجنة " .

فإنما صار غير مأجور في النفقة في التراب لأنه ينفق في دنياه وقد أذن الله في خرابها ، ويزيد في زينتها التي جعلت فتنة ومأوى[1] للعباد ويصير عاقبتها إلى ما قال الله جلّ ذكره : ﴿ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴾ [الكهف : ٨] .

٢٩٤- حدثنا محمد بن على الشقيقى قال : أخبرنا أبى قال : أخبرنا عبد الله قال : أخبرنا ابن عيينة قال : حدثنا الأحوص بن حكيم عن راشد بن حارث أو غيره قال : بنى أبو الدرداء رضى الله عنه كنيفًا في منزله بحمص فكتب إليه عمر رضي الله عنه : لقد كان لك يا عويمر فيما بنت فارس والروم كفاية عن تزيين الدنيا وقد أذن الله بخرابها [١/ ٨١/ ب] فإذا أتاك كتابي هذا فارتحل من حمص إلى دمشق ، قال : يعني أنه عاقبه بما بنى . والبناء مسكن وهو من الغدا وحاجة النفس إلى المسكن كحاجتها إلى المطعم والمشرب والملبس والمركب فإن كان في نفقته في هذه الأشياء محتسبًا فهو مأجور ، فكذلك المسكن إذا كان هذا البناء مما لا يستغني عنه .

---

(١) في (ص) " بلوى " .

وإنما تأويل هذا الحديث عندنا إذا بنى لنفسه بناء مرقفا لا يحتسب بها .

وجاء عن رسول الله ﷺ أنه قال : " كل نفقة ينفقها العبد على نفسه فهي صدقة " .

٢٩٥ـ حدثنا عيسى بن أحمد قال : حدثنا بقية قال : حدثني يحيى بن سعيد عن خالد بن معدان[١] عن المقدام بن معدي كرب رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " ما أنفقت على نفسك فهو صدقة ، وما أنفقت على زوجك فهو صدقة " .

(١) في (ص) " مقدام " .

الأصل الخمسون

٢٩٦ـ حدثنا نصر بن عبد الرحمن الوشاء قال : حدثنا زيد بن الحسن الأنماطي عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : رأيت رسول الله ﷺ في حجته يوم عرفة وهو على ناقته القصواء يخطب فسمعته يقول : " أيها الناس قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا ، كتاب الله وعترتي أهل بيتي " .

٢٩٧ـ حدثنا نصر قال : حدثنا زيد بن الحسن قال : حدثنا معروف بن خَرَّبُوذَ المكي عن أبي الطفيل عامر بن واثلة عن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه قال : لما صدر رسول الله ﷺ من حجة الوداع خطب فقال : " أيها الناس إنه قد نبأني اللطيف الخبير أنه لن يُعَمَّر نبي إلا مثل نصف عمره الذي يليه من قبل ، فإني أظن يوشك أن أُدعى فأجيب ، وإني فَرَطُكم على الحوض ، وإني سائلكم حين تَرِدُونَ علي عن الثقلين فانظروا كيف تخلفوني فيهما الثقل الأكبر كتاب الله تعالى سبب طرفه بيد الله تعالى وطرف بأيديكم فاستمسكوا به ولا تضلوا ولا تبدلوا ، والثقل الأصغر عترتي أهل بيتي فإنه قد نبأني اللطيف الخبير أنهما لن يتفرقا حتى يردا على الحوض " .

قال أبو عبد الله :

فأهل البيت قوم اصطفاهم الله وهم كما روي عن رسول الله ﷺ [١/ ٨٢/أ] أنه دعاهم ثم تلا هذه الآية : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٣٣] فذريتهم منهم فهم صفوة وليسوا بأهل عصمة إنما العصمة للنبيين عليهم السلام ، والمحنة لمن دونهم ، وإنما يمتحن من كانت الأمور محجوبة عنه فأما من صارت الأمور له معاينة ومشاهدة فقد ارتفع عن المحنة .

فقوله ﷺ : " لن يتفرقا حتى يردا على الحوض " وقوله ﷺ : " ما إن أخذتم به لن تضلوا " واقع على الأئمة منهم السادة لا على غيرهم ، وليس بالمسيء المخلط قدوة وكائن فيهم المخلطون والمسيئون لأنهم آدميون لم يعروا من شهوات الآدميين ولا عُصِموا عصمة النبيين ، وكذلك كتاب الله من قبل ما منه ناسخ ومنسوخ وكذلك ما ارتفع الحكم بالمنسوخ منه كذلك ارتفعت القدوة بالمخذولين منهم ، وإنما يلزمنا الاقتداء بالفقهاء العلماء منهم بالفقه والعلم الذي ضمن لهم بين أحشائهم لا بالأصل

والعنصر وإذا كان هذا العلم والفقه موجودًا في غير عنصرهم لزمنا الاقتداء بهم كالاقتداء بهؤلاء ، وقد قال تعالى في تنزيله : ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [النساء : ٥٩] فإنما يلي الأمر منا من فهم عن الله وعن رسوله ﷺ ما بهم الحاجة إليه من العلم في أمر شريعته .

وكذلك روي عن جابر بن عبد الله و[١] ابن عباس رضى الله عنهما وعدة من أصحاب رسول الله ﷺ في تفسير هذه الآية وهي قوله : ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ قال[٢] هم العلماء والفقهاء .

٢٩٨ـ **حدثنا** أبى رحمه الله قال : حدثنا أبو نعيم عن الحسن بن صالح عن عبد الله بن محمد بن[٣] عقيل عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال[٤] : ﴿ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ الفقهاء .

فإنما أشار رسول الله ﷺ فيما نرى إليهم لأن العنصر إذا طاب كان معينًا لهم على فهم ما تحتاج إليه ، وطيب العنصر يؤدي إلى محاسن الأخلاق ، ومحاسن الأخلاق تؤدي إلى صفاء القلب ونزاهته فإذا نزه القلب وصفا كان النور أعظم وأشرق الصدر بنوره فكان ذلك عونا له على درك ما به [١/ ٨٢/ ب] الحاجة إليه في شريعته .

---

(١) سقط « الواو » من (ص) .

(٢) كذا بالأصل ، وجادة « قالوا » .

(٣) في (ص) « عن » .

(٤) سقط من الأصل « قال » .

الأصل الحادي والخمسون[1]

٢٩٩. حدثنا حميد بن الربيع اللخمي قال : حدثنا زيد بن الحباب[2] قال : حدثني عمر البراء بن حلس حماد بن سلمة قال : حدثنا الحسن بن ذكوان عن عبد الرحمن بن قيس عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " الأبدال ثلاثون رجلاً قلوبهم على قلب إبراهيم عليه السلام إذا مات الرجل منهم أبدل الله مكانه آخر " .

٣٠٠. حدثنا عمر بن يحيى بن نافع الأبُلي قال : حدثنا العلاء بن زيدل عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : " البدلاء أربعون رجلاً اثنان وعشرون بالشام وثمانية عشر بالعراق وكلما مات واحد بدل آخر ، فإذا كان عند القيامة ماتوا كلهم " .

قال أبو عبد الله :

فليس في الحديثين اختلاف وإنما هم أربعون رجلاً ثلاثون منهم قلوبهم على قلب إبراهيم عليه السلام .

كذلك روي لنا عن أبي الدرداء رضي الله عنه :

٣٠١. حدثنا بذلك عبد الرحيم بن حبيب قال : حدثنا داود بن محبز عن ميسرة عن أبى عبد الله الشامى عن مكحول عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : الأنبياء عليهم السلام كانوا أوتاد الأرض فلما انقطعت النبوة أبدل الله مكانهم قومًا من أمة محمد ﷺ يقال لهم : الأبدال لم يفضلوا الناس بكثرة صوم ولا صلاة ولا تسبيح ، ولكن بحسن الخلق وبصدق الورع وبحسن النية وسلامة قلوبهم لجميع المسلمين والنصيحة لله ابتغاء مرضات الله بصبر وحلم ولب وتواضع في غير مذلة فهم خلفاء عن الأنبياء ، قوم اصطفاهم الله لنفسه واستخلصهم بعلمه لنفسه ، وهم أربعون صديقًا منهم ثلاثون رجلاً على مثل يقين إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام ، بهم تدفع المكاره عن أهل الأرض ، والبلايا عن الناس ، وبهم يمطرون ، وبهم يرزقون لا يموت الرجل منهم أبدًا حتى يكون الله قد أنشأ من يخلفه ، لا يلعنون شيئًا ، ولا يؤذون من تحتهم ، ولا

---

(١) في (د) " التاسع والأربعون " .

(٢) في (ص) " زيد بن حيان " .

يتطاولون عليهم ولا يحقرونهم ، ولا يحسدون من فوقهم ، ولا يحرصون على الدنيا ، ليسوا بمتماوتين ولا متكبرين ولا متخشعين [١/ ٨٣/ أ] أطيب الناس خبرًا وأورعهم أنفسًا وأسخاهم أنفسًا طبيعتهم السخاء وصفتهم السلامة من دعوى الناس قبلهم ليسوا بمتخشعين ولا بمتماوتين لا تتفرق صفتهم ليسوا اليوم في حال خشية وغدا في حال غفلة ، ولكن مداومين على حالهم وهم فيما بينهم وبين ربهم لا يدركهم الريح العاصف ولا الخيل المجراة قلوبهم تصعد في السماء ارتياحًا إلى الله واشتياقًا إليه قدما في اشتياقهم الخيرات أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون .

قلت : يا أبا الدرداء رضى الله عنه ما شيء أثقل علي من هذه الصفة التي وصفتها فكيف لي أن أدركها؟ قال : ليس بينك وبين أن تكون في أوسط ذلك إلا أن تبغض الدنيا فإنك إذا أبغضت الدنيا أقبل عليك حب الآخرة فبقدر ما تزهد في الدنيا تحب الآخرة ، وبقدر ما تحب الآخرة تبصر ما ينفعك وما يضرك فإذا علم الله صدق الطلب من عبده أفرغ عليه السداد واكتنفه بعصمته ، وتصديق ذلك في كتاب الله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾ [النحل : ١٢٨] .

فنظرنا في ذلك فما تلذذ المتلذذون بشيء أفضل من حب الله تعالى وطلب مرضاته .

٣٠٢- حدثنا أبى رحمه الله قال : حدثنا عبد العزيز بن المغيرة البصري قال : حدثنا صالح المري عن الحسن رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " إن بدلاء أمتي لم يدخلوا الجنة بكثرة صوم ولا صلاة ولكن دخلوها برحمة الله وسلامة الصدور وسخاوة الأنفس والرحمة لجميع المسلمين " .

٣٠٣- حدثنا أبى رحمه الله قال : حدثنا سليمان قال : حدثنا إسحاق بن عبد الله بن أبى فروة عن محمود بن لبيد[١] عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال : الأبدال بالشام وهم أربعون[٢] رجلًا على منهاج إبراهيم عليه السلام كلما مات رجل أبدل الله مكانه آخر ، [والعصب بالعراق أربعون رجلًا كلما مات رجل أبدل الله مكانه آخر][٣]

---

(١) في (ص) " أسد " .

(٢) كذا بالأصل ، ولعل الصواب " ثلاثون " .

(٣) ما بين المعقوفين سقط من (د) .

عشرون منهم على اجتهاد عيسى ابن مريم عليه السلام ، وعشرون منهم قد أوتوا مزامير آل داود ، العصب رجال تشبه الأبدال . [١/ ٨٣/ ب]

وروي عن وهب بن منبه رضى الله عنه فيما يحكي في مناجاة موسي عليه الصلاة والسلام عن الله تبارك اسمه أنه قال : " هم أربعون صديقًا كلهم بي ولي وإلي " .

وروي في الخبر أن الأرض شكت إلى الله ذهاب الأنبياء عليهم السلام وانقطاع النبوة فقال لها : " سوف أجعل على ظهرك صديقين أربعين فسكنت " .

فالصديقون إنما بانوا من الخلق بصدق القلوب مع الله لا بصدق الأعمال مع الملائكة . وهذا مقام القلوب عند الله قد باينوا الخلق والنفس ، والعمال ليس لقلوبهم طريق إلى الله إنما طريق قلوبهم إلى الثواب والأنبياء والصديقون قد انكشف الغطاء عنهم وصار لهم إلى الله طريق يعبدونه كأنهم يرونه .

كما قال رسول الله ﷺ : " اعبد الله كأنك تراه " ، وهو ما وعد الله من هداية السبيل للذين جاهدوا فيه وقال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ ﴾ [العنكبوت : ٦٩] ومن جاهد نفسه في ذات الله صدقًا هداه لسبيله فقوي على التفويض والتوكل ألا تري إلى قول الرسل : ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصۡبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيۡتُمُونَاۚ ﴾ [إبراهيم : ١٢] فالتوكل والصبر الصافي إنما هو للمُهْدَي سبيله وهو الذي أعطي اليقين فأشرق صدره بنور مليكه فصار من الأمور على معاينة ومن القلب على المشاهدة للنجوي في محل القربة فأما العمال فليسوا من هذا الأمور في شيء وإنما أعينهم إلى ثوابه وعقابه وإلى أعمالهم لهما والصديقون أعينهم إلى الله في كل أمر دنيا وآخرة فسموا أبدالا لوجهين : وجه أنه كلما مات رجل[١] منهم أبدل مكانه أخر لتمام الأربعين .

ووجه آخر أنهم بدلوا أخلاقهم السيئة وراضوا أنفسهم حتى صارت محاسن أخلاقهم حلية أعمالهم ونحلتهم .

وأما قوله تعالى في مناجاة موسى ﷺ : " كلهم بي ولي وإلى " أي : بي يقومون

---

(١) تكرر في (ص) " رجل رجل " .

ويقعدون وينطقون وبي يأخذون ويعطون .

وهو قول رسول الله ﷺ فيما يحكى عن الله تبارك اسمه : " فإذا أحببت عبدي كنت سمعه وبصره ولسانه ويده ورجله وفؤاده فبي يسمع وبي يبصر وبي ينطق وبي يأخذ وبي يعطي وبي [١/ ٨٤/أ] يبطش(١) وبي يعقل " .

وقوله : " ولي " أي : هم صفوتي قد بذلوا لي قلوبهم ونفوسهم فهم لي لا يشركني فيهم نفوسُهم .

وقوله : " إلي " أي : تأوي قلوبهم إليّ في كل أمر وسعي وحال ، فأما صفة الثلاثين الذين قال لهم : " إن قلوبهم على قلب إبراهيم عليه السلام " فأولئك هم الذين لا تسكن قلوبهم إلى من دونه في شيء من أمر الدين والدنيا قد ولهت قلوبهم ووقفت في قبضته ، وأما العصب فهم المحققون(٢) فمنهم مستعملون على طريق الجهد ، ومنهم روحانيون قد أوتوا مزامير آل داود عليه الصلاة والسلام .

---

(١) " يبطش " سقطت من (ص) .

(٢) في (ص) " المحقون" .

الأصل الثاني والخمسون[1]

٣٠٤. حدثنا محمد بن يحيى المقدمي ابن أبي حزم القطعي قال : حدثنا عمر بن علي المقدمي عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : " إذا كان أجل العبد بأرض أتيت له الحاجة إليها حتى إذا بلغ أقصى أثره فيقبض فتقول الأرض يوم القيامة رب هذا عبدك ما استودعتني " .

قال أبو عبد الله :

فإنما صار أجله هناك لأنه خلق من تلك البقعة ، وقد قال في تنزيله : ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ ﴾ [طه : ٥٥] فإنما يعاد المرء من حيث بدأ منه .

٣٠٥. حدثنا عمر بن أبي عمر قال : حدثنا سعيد بن أبي مريم الجمحي عن عبد العزيز بن محمد الدراوردي قال : حدثني أنيس بن أبي يحيى عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : خرج علينا رسول الله ﷺ يطوف ببعض نواحي المدينة فإذا بقبر يحفر فأقبل حتى وقف عليه ، فقال : لمن هذا؟ قيل : لرجل من الحبشة ، فقال : " لا إله إلا الله ، سيق من أرضه وسمائه حتى دفن في التربة التي منها خلق " .

وروي " أن الأرض عجت إلى ربها لما أخذت تربة آدم عليه السلام منها فقال لها : إني سأرده إليك فإذا مات دفن في البقعة التي منها تربته " .

وإنما صارت وديعة عندها حتى تقول يومئذ : رب هذا عبدك ما استودعتني لأنها عبدت ربها فالعبودة وديعة في الأرض حتى تبعث للثواب فيكون الحق أحق به من الأرض لأنه كان وَالَى الحق ونصره فصار الحق أملك به فأعاده [١/ ٨٤/ ب] سويًا وسلمه إلى الحق ليفد به إلى دار السلام ، أو عبد جحد العبودة وذهب بالرقبة فهو مسجون في بطن الأرض للحق عنده تبعة وطلبة حتى يبعث للعقاب فيكون الحق أحق به من الأرض وهو خصمه وله فيما لديه طلبة وتبعة فإن الله لم يخلق جسده لعبًا إنما خلقه للحق وبالحق .

وروي في الخبر " أن الموكل بالأرحام يأخذ النطفة من الرحم فيضعها على كفه

---

(١) في (د) " الخمسون " .

فيقول : يا رب ، مخلقة أو غير مخلقة؟ فإن قال مخلقة قال : يا رب ما الرزق ما الأجل ما الأثر؟ فيقول : انظر في أم الكتاب فينظر في اللوح فيجد فيه رزقه وأجله وأثره وعمله ثم يأخذ التراب الذي يدفن في بقعته فيعجن به نطفته فذلك قوله : ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ ﴾ [طه : ٥٥] " .

٣٠٦. حدثنا بنحومن ذلك أبى رحمه الله قال : حدثنا عمرو القناد عن أسباط عن السدى عن أبى مالك وأبى صالح عن ابن عباس رضى الله عنه . وعن مرة الهمدانى عن ابن مسعود رضى الله عنه .

٣٠٧. حدثنا سفيان بن وكيع قال : حدثنا ابن فضيل عن داود بن أبى هند عن الشعبى عن علقمة عن عبد الله رضي الله عنه قال : " إن النطفة إذا استقرت في الرحم يأخذها الملك بكفيه فقال : أي رب أمخلقة أم غير مخلقة؟ فإن قال : غير مخلقة ، لم تكن نسمة وقذفتها الأرحام دما ، وإن قال : مخلقة قال : أي رب أذكر أم الأنثى أشقي أم سعيد ، ما الأجل ، وما الأثر ، وما الرزق ، بأي أرض تموت؟ فيقال له : اذهب إلى أم الكتاب فإنك ستجد هذه النطفة ، فيقال للنطفة : من ربك ؟ فتقول : الله ، فيقال : من رازقك فتقول : الله ، فتخلق وتعيش في أجلها وتأكل رزقها وتطأ أثرها فإذا جاء أجلها ماتت فدفنت في ذلك المكان .

والأثر هو التراب الذي يؤخذ فيعجن به ماؤه " .

وسمعت الزبير بن بكار الزبيري المدني رضي الله عنه وهو يذكر كتابًا صنفه بعض أهل المدينة في فضل المدينة ، وكتابًا صنفه بعض أهل مكة في فضل مكة فلم يزل كل واحد منهما يذكر بقعته بفضيلة حتى برز المدني على المكي في خلة واحدة عجز عنها المكي فقال : إن كل نفس إنما خلقت من تربته التي دفنت فيه بعد الموت فكأن(١) نفس الرسول ﷺ إنما خلقت من تربة مدفنه فبان أن تلك التربة لها فضيلة بارزة [١/ ٨٥/أ] على سائر الأرضين .

وروي عن ابن سيرين رضي الله عنه ما يحقق ذلك

---

(١) تكرر في (ص) " فكأن فكأن " .

٣٠٨ـ حدثنا الفضل بن محمد قال : حدثنا بركة بن محمد الحلبي قال : حدثنا أبو عبد الرحمن المقبرى عن إبراهيم بن يزيد الجوزى[١] قال : سمعت ابن سيرين رضى الله عنه يقول : لو حلفت - حلفت صادقًا بارًا غير شاك ولا مستثني - أن الله ما خلق نبيه ﷺ ولا أبا بكر ولا عمر رضي الله عنهما إلا من طينة واحدة ثم ردهم إلى تلك الطينة .

(١) في (د) " الجزري " .

الأصل الثالث والخمسون

٣٠٩- حدثنا أبو رجاء قتيبة بن سعيد قال : حدثنا عبد الله بن لهيعة عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن " .

٣١٠- حدثنا سفيان بن وكيع وحفص بن عمرو قالا : حدثنا يزيد بن هارون قال : حدثنا محمد بن إسحاق عن يحيى بن عباد بن[1] عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عائشة رضي الله عنهما قالت : سمعت رسول ﷺ يقول فذكر مثله .

٣١١- حدثنا قتيبة بن سعيد قال : حدثنا جنيد بن الحجاج عن يزيد بن أبى أسامة عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ بمثله .

٣١٢- حدثنا أبى رحمه الله قال : حدثنا أبو نعيم قال : حدثنا يزيد بن أبى أسامة عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ بمثله .

٣١٣- حدثنا محمد بن بشار قال : حدثنا أبو داود عن شعبة عن فراس قال : سمعت مدرك ابن عمارة يحدث عن ابن أبي أوفى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ فذكر مثله .

قال أبو عبد الله :

فالإيمان هو الطمأنينة واستقرار القلب وإنما هما اثنتان :

فالأول طمأنيته : إن استقر قلبه وسكن إن وحد ربه ولم يلتفت إلى شيء سواه فيتخذه ربًا .

وأخري طمأنيته : أن يكون مقبلاً عليه فيجمع قلبه فلا يلتفت إلى شيء من شهوات نفسه ولا إلى أحوالها ، فالذي يزني ويسرق فهو في حالته تلك غير مطمئن إلى ربه طمأنينة الإقبال ، ولو كان كذلك لم يزن ولم يسرق ، وقد ذهب الإقبال بل هو مقبل على شهوات النفس [١/ ٨٥/ ب] بالإقبال عليها وهو طمانينة التوحيد ، والإيمان اسم يلزم العبد بفعله وبدؤه من النور الذي جعل الله في قلبه فأحياه به وشرح صدره ونطق بتوحيده لسانه ، ومن لم يجعل الله له نورًا فما له من نور ، وكل شيء له مبتدأ

---

(١) في (ص) " عن " .

ونهاية فأوله لازم ذلك الاسم له ومنتهاه هو البالغ فالذي وحد ربه بقلبه ولسانه وقبل الشريعة هو مؤمن قد حرم ماله ودمه وعرضه ثم هو أسير نفسه والمؤمن البالغ الذي ماتت شهوة نفسه وقطع قبله عن كل شيء سواه فهذه قلوب الأنبياء والأولياء وللمؤمنين فيما بين هذين الحدين درجات ، كل يعمل على درجته فكلهم عبيد قد أقروا له بالعبودة ولا يفي له بالعبودة الكاملة إلا الأنبياء والأولياء وذلك أنهم تركوا مشيئتهم في جميع أمورهم لمشيئته وهكذا صفة العبيد رفضوا المشيئة في جميع الأشياء وتركوا الاختيار للأحوال ولا يقدر على هذا إلا من نور الله الإيمان في قلبه . كما قال رسول الله ﷺ في صفة حارثة رضي الله عنه حيث قال له : " كيف أصبحت؟ قال : أصبحت مؤمنًا حقًّا . قال : وما حقيقة إيمانك؟ قال : كأني أنظر إلى عرش ربي بارزًا ، وإلى أهل الجنة كيف يتزاورون ، وإلى أهل النار كيف يتعاوون قال : عرفت فالزم ثم قال : من سره أن ينظر إلى عبد نور الله الإيمان في قلبه فلينظر إلى هذا " .

قال أبو عبد الله(١) :

فإذا امتلأ القلب أو الصدر من النور كان كما وصفه الله : ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾[الزمر : ٢٢]

فكان المؤمن عندهم في زمن رسول الله ﷺ من كان بهذه الصفة ، ولذلك قال أبو بكر رضي الله عنه : " وددت أني شعرةٌ في صدر مؤمن " ، لما عرفوا غور هذه الكلمة وأثنى الله تبارك اسمه على إبراهيم خليله عليه السلام بعد أن شهد له بالتسليم حين أراد ذبح ابنه ، هو الإسلام ، وشهد له بالإحسان فقال : ﴿ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الصافات : ٨١] .

وقال ضمرة بن ربيعة عن ابن شوذب أن الله إذا أثني على عبد فأبلغ في الثناء قال : ﴿ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ووصف المؤمنين في تنزيله فقال : [١/٨٦/أ] ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾ [الأنفال : ٢] الآية إلى قوله : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ [الأنفال : ٤] ومن

---

(١) غير موجودة في (د) .

ههنا استجاز من قال : الإيمان يزيد وكما يزيد فإنه ينقص ، سمي الزائد من النور في صدره إيمانًا وما ينقص فمنه ينقص ، والأصل الذي منه بدأ التوحيد قائم فبأقل النور يصير موحدًا فاطمأن به وعَبَدَه ربا وهو إيمانه حتى إذا نما النور وامتلأ القلب وأشرق الصدر منه اطمأن إلى جميع مشيئاته وأحكامه وأموره كما اطمأن به ومن قبل هذا لم يقدر أن يطمئن إلى مشيئاته وأحكامه للشهوات المستولية على قلبه فلما امتلأ القلب من نوره خشية ومهابة ودخلت عظمته في قلبه ماتت شهواته وذهلت نفسه فاطمأنت النفس وسكن قلبه وعليه الخشية والرهبة والهيبة والحياء وسكن قلبه على تدبيره وأحكامه وأقضيته كما سكن على توحيده في بدء الأمر ، فكأن أصحاب رسول الله ﷺ بهذه الصفة وكانوا إذا قالوا : مؤمن ، إنما يسمون ما يعرفون من أنفسهم وكان بعضهم في تخليط من هذا ، ألا ترى أنه لما هاجت الفتن وقع التخليط ؟

قال حذيفة رضي الله عنه : " لو رميت بصخرة من أعلى مسجد ما أصابت مؤمنًا " .

فلم يكن عندهم كفارًا بما أحدثوا ولكن زلوا عن تلك الدرجة التي كانوا يسمون أهلها بذلك الاسم ، ومما يحقق ذلك ما قلنا

٣١٤- **ما حدثنا** به قتيبة بن سعيد عن مالك بن أنس عن ابن شهاب عن عبد الرحمن بن كعب ابن مالك أن أباه كعب بن مالك رضي الله عنه كان يحدث عن رسول الله ﷺ أنه قال : " إنما نسمة المؤمن طائر تُعلق في شجر الجنة ، حتى يرجعه الله يوم القيامة إلى جسده ثم يبعثه " .

فليس هذا لأهل التخليط فيما نعلمه إنما هذا للصديقين فكان اسم المؤمن عندهم هكذا .

فقول رسول الله ﷺ : " لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن " إنما يعني : بذلك الإيمان البالغ لا أنه يذهب توحيده ويكفر وإنما يتأول مثل هذا جُهال الناس وحمقاهم ولو كفروا بذلك وزال عنهم الإيمان لكان [١/٨٦/ب] حدهم القتل وحدودهم جلد مائه في الزنا ، وقطع اليد في السرقة .

ولكن تأويل ذلك الحديث أنه إذا زنى المؤمن فهو في ذلك فقد نور إيمانه وحجبته شهوته التي حلت به عن ذلك النور حتى وقع فيه فسلب ذلك النور وصار محجوبًا عن الله تعالى فلما تاب راجعه النور وذلك النور هو الذي يسمى إيمانًا لأنه اطمأن

بذلك إلى ربه فذهبت طمأنينته في وقت استعمال الشهوة فاطمأن الى شهوته ، فالعبد عندما أدركته الهداية من ربه قد كان من قبل ذلك قلبه في تردد وجولان طالبا لمن يتخذه ربًا ويعبده فلما جاءت الهداية واستنار القلب وسكن واطمأنت النفس عن الجولان والتردد في طلب معبوده ، فقيل في قالب العربية : " آمن يؤمن إيمانًا " وهو في قالب العربية " أفعل " ، ومن الخوف قيل : " أَمِنَ " لأنه كان يضطرب ، فلما ذهب الخوف سكن فقيل : " أَمِنَ " على قالب " فعل " فكلما ازداد العبد نورًا ازداد سكونًا وطمأنينة عند أموره وأحكامه ومن قبل ذلك كان الغالب على قلبه شهوات نفسه ، فكان القوم إذا ذكروا المؤمن يعلمون أنه ذلك المؤمن الذي قد اطمأن قلبه عند أموره وأحكامه إليه .

ومن ههنا قال أبو الدرداء رضي الله عنه : " مثل الإيمان مثل قميصك بينا أنت لبسته إذ أنت نزعته " .

٣١٥. **حدثنا** عيسى بن أحمد قال : حدثنا بشر بن بكر قال : حدثنا سهيل[١] بن عبد العزيز عن بلال بن سعيد[٢] عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه قال : كان عبد الله بن رواحة رضى الله عنه إذا لقيني قال : اجلس يا عويمر فلنؤمن ساعة ، فنجلس فنذكر الله بما شاء ثم يقول : يا عويمر هذه مجالس الإيمان ، إن مثل الإيمان ومثلك مثل قميصك بينا أنت نزعته إذ لبسته ، وبينا أنت لبسته إذ نزعته ، يا عويمر القلب أسرع تقلبًا من غلي القدر إذا اجتمعت غليا .

٣١٦. **حدثنا** الفضل بن محمد قال : حدثنا سليمان بن سلمة الحمصي قال : حدثنا [بقية ابن الوليد قال : حدثنا][٣] عتبة بن عبد الله بن خالد بن معدان عن أبيه عن جده رضوان الله عليهم قال : قال رسول الله ﷺ : " إنما الإيمان بمنزلة القميص مرة تقمصه ومرة تنزعه " .

٣١٧. **حدثنا** قتيبة بن سعيد قال : حدثنا [١/ ٨٧/ أ] أبو عوانة عن إبراهيم بن مهاجر عن

---

(١) في (ص) " سعيد " .

(٢) في (ص) " سعد " .

(٣) ما بين المعقوفين سقط من (ص) ، .

مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لم يزن عبد قط إلا نزع نور الإيمان منه ، ثم إن شاء رده وإن شاء منعه .

٣١٨. حدثنا قتيبة بن سعيد قال : حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن حبيب عن أسلم قال : سمعت أبا أيوب الأنصاري رضي الله عنه يقول : ليأتين على الرجل أحايين وما في قلبه موضع إبرة من النفاق ، وليأتين عليه أحايين وما في قلبه(1) موضع إبرة من الإيمان .

قال : فإنما يخلو منه ذلك النور المشرق في صدره ، وأما إيمان التوحيد فهو بمكانه ، وقول ابن عباس رضي الله عنهما حيث قال : " لم يزن عبد قط إلا نزع منه نور الإيمان " يدل على تفسير حديثه الذي رواه " لا يزني العبد حين يزني وهو مؤمن " .

وفي قوله : " حين يزني " فإنما ذكر الحين وهو وقت الفعل ففيه دليل على أنه في ذلك الوقت صار محجوبًا عن النور وزائله .

٣١٩. حدثنا أبي رحمه الله قال : حدثنا أحمد بن يونس قال : حدثنا أبو شهاب عن أبي حمزة عن الحسن عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن قيل : يا رسول الله وكيف يصنع إذا وقع شيء من ذلك؟ قال : إن راجع راجعه الإيمان وإن ثبت لم يكن مؤمنًا " .

٣٢٠. حدثنا أبي رحمه الله قال : حدثنا أحمد بن يونس عن طلحة بن يزيد عن عبد الله بن محرز عن عطاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن ، ولا يقتل وهو مؤمن ، فإذا فعل ذلك نزع منه نور الإيمان كما ينزع منه قميصه ، فإذا تاب تاب الله عليه " .

فإنما خفي شأن هذا وذهاب هذا النور من القلوب ورده عليه لأن فتن القلوب قد عمت ، والصدور قد شحنت بظلمة الإصرار على الذنوب من المآكل الرديئة ، والمكاسب الدنسة والأخلاق البذلة الفاسدة والحقد [١/ ٨٧/ ب] والغلو والغل

---

(١) في (ص) جلده وصواب الثاني في الهامش ولم تصوب الأول ، وفي (د) " جلده " والمثبت الصواب .

والغش والحرص على الدنيا فقد غمر هذا الخلق فكيف يتبين عندهم ذهاب النور ومجيئه .

٣٢١. **حدثنا** عمر بن أبي عمر قال : حدثنا سعيد بن عفير المصري قال : حدثنا عبد الله بن عقبة عن[١] ابن لهيعة عن دراج عن أبي الهيثم سليمان بن عمرو العتواري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : " المؤمنون في الدنيا على ثلاثة أجزاء ، الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا ، والذين يأمنهم الناس على أنفسهم وأموالهم ، والذين إذا أشرفوا على طمع تركوه لله " .

فالجزء الأول : هم الظالمون لأنفسهم آمنوا ثم لم يرتابوا في إيمانهم ولكنهم ضيعوا العبودة واستوفوا الرزق واكتالوا النعم بالمكيال الأوفى وكالوا الطاعات بكيل البخس فهم من المطففين فهم الظالمون .

والجزء الثاني : قد أمنه الناس على أنفسهم وأموالهم لأنه مُتَّقٍ مستقيم وهو المقتصد .

والجزء الثالث : تركوا الهوى وشهوة النفس ورضوا بتدبيره في جميع أحوالهم[٢] . فهم المقربون وذلك مثل ما جاءنا عن رسول الله ﷺ : " أنه أتي بشراب قد خيض بعسل فتركه ثم قال : أما إني لا أحرمه ولكني أتركه تواضعا لله تعالى " .

٣٢٢. **حدثنا** الفضل بن محمد قال : حدثنا أحمد بن محمد بن شريك الحمصي قال : حدثنا بقية عن بجير بن سعد عن خالد بن معدان عن كثير بن مرة أن رسول الله ﷺ قال لعائشة رضي الله عنها : " أطعمينا يا عائشة ، قالت : ليس عندنا طعام قال : أطعمينا يا عائشة قالت : والله ما عندنا من طعام فقال أبو بكر رضي الله عنه : يا رسول الله : إن المرأة المؤمنة لا تحلف أنه ليس عندنا طعام وهو عندها؟ فقال رسول الله ﷺ : وما يدريك أنها مؤمنة ؟ إن المرأة المؤمنة في النساء كالغراب الأعصم في الغربان ، وإن النار خلقت للسفهاء وإن النساء من السفهاء إلا صاحبة القسط والسراج " .

---

(١) سقط من الأصل ، صيغة التحديث بين " ابن لهيعة وعبد الله بن عقبة " وأثبتناها كما في كتب التراجم .

(٢) في (ص) " أحواله " .

قال أبو عبد الله[(١)] :

يعرفك هذا الحديث أن المؤمن في ذلك الوقت بأي صفة كان عندهم فأما [١/ ٨٨/ أ] قوله : " صاحبة القسط والسراج " والقسط : العدل وهو الذي على سبيل استقامة وهو المقتصد ، " والقسط ، والقصد " بمعنى واحد إلا أن هذا مستعمل في نوع وذاك في نوع كما قيل : " توكيل ، وتفويض " وكلاهما بمعنى واحد ، إلا أن التوكيل في أسباب الرزق يستعمل ، والتفويض في سائر الأمور ، فالقسط : العدل في أموره والقصد : أن يأخذ من كل أمر وسطه وهو الذي أمر به .

وأما قوله : " السراج " هو اليقين إذا رزق اليقين فقد أشرق في قلبه اليقين فقلبه يزهر ، ومنه قول حذيفة رضي الله عنه : " قلب أغلف وهو قلب الكافر ، وقلب مصفح وهو قلب المنافق ، وقلب أجرد وأزهر وهو قلب المؤمن " فإنما يزهر بالسراج الذي فيه .

٣٢٣ـ حدثنا عمر بن أبى عمر قال : حدثنا محمد بن مخلد الرعينى أبو أسلم[(٢)] التيسى عن غنيم بن سالم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " ما شبهت خروج المؤمن من الدنيا إلا مثل خروج الصبي من بطن أمه من ذلك الغم والظلمة إلى روح الدنيا " .

فالمؤمن الذي هوبالغ في إيمانه الدنيا سجنه وهي مظلمة عليه ضيقة حتى يخرج منها إلى روح الآخرة وهذا غير موجود في العامة إنما ذكر المؤمن ووصفه بذلك ليعلم أن المؤمن عندهم البالغ في إيمانه وهو كما قال أبو الدرداء رضي الله عنه : " ما كفرتم فنتبرأ منكم ولا عندكم إيمان بالغ فنحبكم عليه وما فرق بين أهوائكم إلا خبث سرائركم ولا أرى الله إلا قد تخلى عنكم " .

٣٢٤ـ حدثنا بذلك عمر بن أبى عمر قال : حدثنا بشر بن عبيد الدارسي عن بكر بن حنيش عن يزيد بن أبى هلال عن مسلم كاتب أبى الدرداء رضى الله عنه عن [أبي الدرداء][(٣)] رضي الله عنه قال : ما لكم لا تحابون وأنتم[(٤)] إخوان على الدين ما فرق بين أهوائكم

---

(١) سقط من (د) .

(٢) في المخطوط " أبو مسلم " والمثبت من كتب التراجم .

(٣) ما بين المعقوفين سقط من (ص) .

(٤) في (ص) " أنكم " .

إلا خبث سرائركم ، ولو اجتمعتم على أمر تحاببتم ما هذا إلا من قلة الإيمان في صدوركم ، ولو كنتم توقنون بخير الآخرة وشرها كما توقنون بأمر الدنيا لكنتم للآخرة أطلب لأنها أملك بأموركم فبئس القوم أنتم إلا قليلاً منكم ما حققتم إيمانكم بما يعرف به الإيمان البالغ فيكم وما [١/ ٨٨/ ب] كفرتم فنتبرأ منكم وعامتكم تركوا كثيرا من أمر دينهم ثم لا يستبين ذلك في وجوهكم ولا يعتبر حالاتكم ما هذا إلا شر حل بكم ، وإني لأرى الله قد تخلى عنكم فأنتم تخطئون وتمنون الأماني ، والله إني أستعين على نفسي وعليكم .

فإنما قول رسول الله ﷺ : " لا يزني الزاني وهو مؤمن " أي : بذلك الإيمان البالغ ، فأما إيمان التوحيد فهو معه ، وإنما زال عنه النور ألا ترى إلى قول أبي الدرداء رضي الله عنه : " وإن زنا وإن سرق " فلو كان زناه وسرقته يخرجه من إيمانه لم يدخل الجنة .

٣٢٥. **حدثنا** إبراهيم بن يوسف قال : حدثنا إبراهيم بن جعفر المدنى عن محمد بن أبي حرملة عن عطاء بن يسار عن أبي الدرداء رضي الله عنه : سمع رسول الله ﷺ يقول : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمن : ٤٦] قلت : يا رسول الله وإن زنى وإن سرق؟ فقال : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾ قلت : وإن زنى وإن سرق؟ قال : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾ قلت : يا رسول الله وإن زنى وإن سرق؟ قال : وإن زنى وإن سرق وإن رغم أنف أبي الدرداء .

٣٢٦. **حدثنا** صالح بن محمد قال : حدثنا القاسم العمرى عن سهل بن أبى صالح عن القعقاع بن حكيم عن أبى الدرداء رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ بمثله .

قال أبو عبد الله(١) :

ومما يحقق ما قلنا ما جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال : " لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين " .

٣٢٧. [**حدثنا** بذلك قتيبة بن سعيد قال : حدثنا ليث بن سعد عن عقيل عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " لا يلدغ

---

(١) سقط من (د) .

المؤمن من جحر مرتين "][(١)] .

٣٢٨ـ **حدثنا** أبى رحمه الله قال : حدثنا الفضل بن دكين قال : حدثنا ربيعة بن صالح عن الزهرى عن سالم عن أبيه رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين " .

٣٢٩ـ **حدثنا** الخصيب بن سالم قال : حدثنا شيخ من أهل المدينة قال : حدثنا الزهرى عن سالم عن أبيه رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ بمثله .

٣٣٠ـ [**حدثنا** سفيان بن وكيع قال : حدثنا أبى عن صالح بن أبى الأخضر عن الزهرى عن سالم عن أبيه رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ بمثله . [١/ ٨٩/ أ]

قال أبو عبد الله][(٢)] :

فالمؤمن المخلط قد يلدغ مرات وهو لسكره لا يجد لوعة اللدغة وقد عمل فيه حمة السم فلو قد أفاق لا حتاج إلى من يمسكه من الاضطراب والتلوي ، وإنما عنى بالمؤمن ذلك البالغ الذي وقف به حذره على أمر عظيم كما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

٣٣١ـ **حدثنا** أبى رحمه الله قال : حدثنا عثمان بن زفر قال : حدثنا حصين بن عمر الأحمسى عن مخارق عن طارق بن شهاب قال : سئل ابن عباس رضى الله عنهما عن أبي بكر رضي الله عنه فقال : كان كالخير كله من رجل كان فيه حدة ، وسئل عن عمر رضي الله عنه فقال : كان كالطير الحذر الذي يرى أن له في كل طريق شبكة تأخذه .

فالمؤمن البالغ إذا وقع في الخطيئة أخذ بكظمه ووجع قلبه وتمرر عيشه وقلقت نفسه فهو يلتوى كاللديغ يتململ ندمًا وتحسرًا ولهفًا وأسفًا يبيت ساهرًا ويظل نائحا قد أنكت فيه هذه الخطيئة بسمها فكأنها أيقظته من الغفلة ولا يواقع تلك الخطيئة ولا يعود إلى أسبابها حذرًا فقوله " لا يلدغ المؤمن من حجر مرتين " تمثيل أي : لا يعود إلى أسباب تلك الخطيئة مخافة أن يقع فيها وهذا لمن لدغته الخطيئة وعمل فيه سمها كما فعل يوسف صلوات الله عليه بعد الهم كان لا يكلم امرأة حتى يرسل على وجهه ثوبًا .

---

(١) ما بين المعقوفتين سقط من (د) .

(٢) ما بين المعقوفتين سقط من (د) .

٣٣٢ـ حدثنا محمد بن عبيد الله الربعى عن مجاشع بن عمر عن زهير بن معاوية عن أبى إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله رضى الله عنه قال : كان يوسف عليه السلام إذا جاءته امرأة تستفتيه ألقى على وجهه ثوبًا مخافة أن تفتتن .

٣٣٣ـ حدثنا عبد الجبار بن العلاء قال : حدثنا سفيان عن مجالد عن الشعبي عن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها ، أن رسول الله ﷺ قال لها حين جاءته بعد ما طلقها زوجها فمال[1] بيده على وجهه فاستتر به ، وذلك بعد ما لقي من شأن زينب ما لقي .

فأما مؤمن عمل بالخطيئة فلم تلدغه ولم يتبين فيه عمل سمها لأنه سكران قد أسكرته شهوات الدنيا ومات قلبه عن الشعور بذلك فمتى يحذر حتى لا يلدغ .

وسم الخطيئة هو الظلمة التي تتراكم في صدره على قلبه فتحجبه عن ربه فيصير قلبه محجوبًا عن الملكوت [١/ ٨٩/ ب] وهو قول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما " لنفس المؤمن أشد ارتكاضًا في الخطيئة من العصفور حين يغدف به " والإغداف : الإرسال ، يعني : إرسال الشبكة عليه .

وقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه " إن المؤمن إذا أذنب فكأنه تحت صخرة يخاف أن تقع عليه فتقتله ، والمنافق ذنبه كذباب مر على أنفه " .

وقوله : " لا تجد المؤمن بخيلاً ولا تجد المؤمن جبانًا ولا تجد المؤمن كذابًا " .

٣٣٤ـ حدثنا العباس بن أيوب الزبيري قال : حدثنا مسلم بن إبراهيم قال : حدثنا صدقة بن أبى المغيرة الدمشقى[2] قال : حدثنا مالك بن دينار عن عبد الله بن غالب عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " خصلتان لا تجتمعان في قلب مؤمن البخل وسوء الخلق " .

فهذه الخصال كلها موجودة في الموحدين فإذا ذكروا المؤمن فإنما يعنون به الذين ذكرهم الله بأنهم مؤمنون حقًا وصير لهم الدرجات في الجنة بما ترقوه من درجات الإيمان .

٣٣٥ـ حدثنا عمر بن أبى عمر قال : حدثنا أبو مسلمة موسى بن إسماعيل وعارض بن أبى

---

(١) في (ص) " فقال " .

(٢) في (د) " الدقيقي " .

هلال الراسبى قال : حدثنا بكر بن عبد الله المزني رضي الله عنه : أن الحواريين طلبوا عيسى عليه السلام فقيل لهم : توجه إلى البحر فجاءوه وهو يمشي على الماء يرفعه الموج ويضعه فقال أفضلهم : ألا أجيئك يا رسول الله ؟ فأدخل رجله الماء ورفع الأخرى ، فقال : أدركني فقد غرقت قال : فقال : تعالي يا قصير الإيمان أو قال : هات يدك يا قصير الإيمان ، لو أن لابن آدم مثقال حبة من خردل من اليقين مشى على الماء .

٣٣٦ـ حدثنا عمر قال : حدثنا الحسين بن الربيع عن ابن المبارك عن عبد الله بن شوذب عن محمد بن حجادة عن سلمة بن كهيل عن هزيل بن شرحبيل عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : لو وزن إيمان أبي بكر رضي الله عنه بإيمان أهل الأرض لرجح إيمان أبي بكر رضى الله عنه بإيمان أهل الأرض .

٣٣٧ـ حدثنا عمر قال : حدثنا إبراهيم بن موسى عن بقية بن الوليد عن صفوان بن عمرو عن مريح بن مسروق عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : تزعمون أنكم مؤمنون وفيكم مؤمن جائع ؟

٣٣٨ـ حدثنا عمر قال : حدثنا يحيى بن جعفر الرازى [١/ ٩٠/أ] عن الحكم بن نافع عن عبد الرحمن المكي عن أبي إسحق السبيعي قال : سمعت وهب بن منبه رضي الله عنه يقول : اسمع أي أخي إلى ما أصف لك من صفة المؤمن وجدت في التورة ، المؤمن الذي إلى الإسلام هدي وبالإقرار بدا ظاهر الإيمان بدنه على الإيمان بني وذلك لأنه عالم بالعلم ناطق بالحكم صادق بالفهم ورع عن الحرام بين الإعلام كثير السلام لين الجانب قريب المعروف سريع الرضاء بعيد السخط يعلم إذا أفهم فإذا علّم عَلِم ويكف إذا شتم إن صحبته تسلم وإن شاركته تغنم وإن فارقته تندم ، وإن سمعت منه تتعلم ، كثير الوقار مكرم للجار مطيع للجبار قلبه بمعرفة الله زاهر ولسانه بذكر الله غازر وبدنه في طاعة الله ساهر فهو من نفسه في تعب والناس منه في أرب فمثله كمثل الماء لأن الماء حياة الأشياء كلها فكمال المؤمن الرضى وعمله التقوى مبغض للدنيا قليل المنى فاني البناء صادق اللسان صابر البدن ، قانع القلب إن اؤتمن أمانة أداها ، وإن ائتمن هو غيره لم يتهم أب لليتيم وللأرملة رحيم وإلى الجنة مشتاق وبالوالدين غير عاق له حلم[١]

---

(١) في (ص) " علم " .

يرضى ، وعقل ينمى كلامه منفعة ومجاورته رفعة ، إن استكتمته كتم وإن استطعمته أطعم جواد[1] لله بالعطاء وللناس بحسن الخلق والرضا إن استقرض أدى وإن سئل أعطى إن كان فوقك اتضع وإن كان دونك اعتدل فمثله كمثل شجرة ثبت أصلها وجاد فرعها وكثر ثمرها فمن رآها رغب فيها لا يأخذ شيئًا إن أخذ رياء ولا يتركه إن تركه حياء بل أخذه لله تعالى سالمًا وتركه لله غانمًا محاسب نفسه ناظر في عيوبه مستقص لعمله إن كان محسنًا يخاف على نفسه أن لا يقبل منه ، وإن كان مقصرا يخشى أن لا يغفر له ، وإن كان فاضلاً كان شاكرًا لا يظلم ولا يأثم ولا يتكلف لين تدبيره كثير عمله قليل زلله سهل أمره .

٣٣٩ـ حدثنا محمد بن محمد بن حسين قال : حدثتنا حكامة بنت عثمان قالت : حدثنا أبي عن مالك بن دينار عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " الورع سيد العمل ، من لم يكن له ورع يرده عن معصية الله تعالى إذا [١/ ٩٠/ ب] خلا بها لم يعبأ الله بسائر عمله شيئا " .

فذلك مخافة الله في السر والعلانية والاقتصاد في الفقر والغنى والصدق عند الرضا والسخط ، ألا وإن المؤمن حاكم على نفسه يرضى للناس ما يرضى لنفسه ، والمؤمن حسن الخلق وأحب الخلق إلى الله أحسنهم خلقًا ينال بحسن الخلق درجة الصائم القائم وهو راقد على فراشه لأنه قد رفع لقلبه علم فمن شهد مشاهد القيامة يعد نفسه ضيفًا في بيته وروحه عارية في بدنه هو المؤمن حقًا ، ليس بالمؤمن حيا حملانه على نفسه الناس منه في عفا وهو من نفسه في عناء ، رحيم في طاعة الله بخيل على دينه حي مطواع وأول ما فات ابن آدم من دينه الحياء خاشع القلب لله متواضع قد برئ من الكبر قائم على قدمه ينظر إلى الليل والنهار يعلم أنهما في هدم عمره لا يركن إلى الدنيا ركون الجاهل .

قال رسول الله ﷺ : " لا جرم أنه إذا خلف الدنيا خلف ظهره خلف الهموم والأحزان " ولا حزن على المؤمن بعد الموت بل فرحه وسروره مقيم بعد الموت فمن كانت هذه صفته فلدغ من جحر المعاصي مرة كان ذلك الجحر حينئذ نصب

(١) في (ص) " جاوراً " .

عينيه أبدًا فمتى يمر بها حتى تلدغه ثانية .

فإنما ذكر رسول الله ﷺ من أوحشته المعصية حتى أسهر ليله مما حل بقلبه من وجه الذنب ووقع في العويل كما تري الذي يفارق محبوبه من المخلوقين بموت أو غيبة إلي بلد فيفجع لفراقه فيقع في النحيب والعويل مصيبته بفراقه .

فالمؤمن لما أصاب الذنب حل به أكثر من المصاب بفراق المخلوقين فألم القلب الذي حل به هو لدغة المعصية .

فقال رسول الله ﷺ : " المؤمن لا يلدغ مرتين من جحر واحد " أي : إن هذا الأمر قد لدغه مرة فأوجعه فوجع ذلك تذكرة له من الغفلة في ذلك حتى لا يقع فيه ثانية أي : أن هذا صفة المؤمن وشرطه حتى يستحق اسم الإيمان .

٣٤٠ـ **حدثنا** أبي رحمه الله قال : حدثنا سعد بن حفص الطلحى عن شيبان عن يحيى بن أبي كثير رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ كان في سفر ومعه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فأرسلوا [١/ ٩١/ أ] إلى رسول الله ﷺ يسألونه لحمًا فقال : " أو ليس قد ظللتم من اللحم شباعاً؟ قالوا : ما لنا باللحم عهد منذ أيام ، قال : من لحم صاحبكم الذي ذكرتم فقالوا(١) : يا نبي الله إنما قلنا والله إنه لضعيف ما يعيننا على شيء قال : وذاك فلا تقولوا فرجع إليهم الرجل فأخبرهم بالذي قال ، فجاء أبو بكر رضي الله عنه فقال : يا نبي الله طأ على صماخي واستغفر لي ففعل ، وجاء عمر رضي الله عنه فقال : يا نبي طأ علي صماخي واستغفر لي ففعل " .

فهكذا تكون اللدغة ألجأته الخطيئة إلى أن فزع إلى رسول الله ﷺ وألقى نفسه في التراب تذللاً وأن يطأ بقدمه عل صماخه فهذا شأن المؤمن البالغ ، وأما الذي يلزمه اسم المؤمن فيحرم ماله ودمه وعرضه فهم الموحدون .

٣٤١ـ **حدثنا** سعد بن يحيى الأموى قال : حدثنا أبو بكر ابن عياش عن عاصم عن زر بن حبيش عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ قال : " من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن " .

---

(١) في (ص) ، (د) " فقال " والمثبت من (ط) .

الأصل الرابع والخمسون

٣٤٢. حدثنا سعيد[(١)] بن مسرور العبدى قال : حدثنا الحكم بن سنان أبو عون المقبرى قال : حدثنى زياد النميرى عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أول تحفة المؤمن أن يغفر لمن صلى عليه »[(٢)] .

قال أبو عبد الله[(٣)] :

فالمؤمن كريم على ربه ومقدمه على رب كريم فمن شأن الملوك أن أحدهم إذا قدم عليه بعض خدمه من سفرة طالت غيبته فيها أن يتلقاه ببشرى وكرامة وأن يخلع عليه ويبسط معه ويجيزه بالجائزة السنية ويأمر بأن يهيأ له نزل كذلك أرانا ربنا من تدبير لملوك الدنيا فإذا قدم عليه المؤمن لقاه روحًا وريحانًا وبشرى على ألسنة الرسل عليهم السلام وهو قوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [فصلت : ٣٠] ثم يأمر له في قبره بكسوة من فراش ودثار ورياحين وهو قوله : ﴿ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴾ [الروم : ٤٤] وينور له في مضجعه ويونسه بملائكة الكرام فهذه كلها تحفة إلى أن يلقاه في عرصة القيامة فيبعث به إلى [١/ ٩١/ ب] الموطن الذي هيأ له نزلاً .

فأول تحفة أن يغفر لحملته إلى بابه والمصلين عليه لأنهم قد حملوه على أعناقهم تعظيمًا له وإكرامًا وتقربوا بالصلاة عليه فاستوجبوا من الله المغفرة وجعل تلك المغفرة تحفة لهذا المؤمن الذي قدم عليه ، وأن الرجل من عرض الناس ليحمل إليه الهدية فيستحيي أن ينصرف عنه الحامل لتلك الهدية خائبًا حتى يناوله شيئًا وإذا أراده

---

(١) كذا بالأصل ، وفي فيض القدير « معبد » .

(٢) قال المناوي في فيض القدير (٣/ ٨٣) : رواه الحكيم الترمذي عن أنس من حديث معبد بن مسرور العبدي عن الحكم بن سنان بن عون عن النميري والحكم بن سنان قال الذهبي : ضعفوه ، وزياد النميري أورده في الضعفاء وقال : صالح الحديث ابتلي برواة ضعفاء ، ورواه الخطيب عن جابر والديلمي عن أبي هريرة ، وفيه عنده عبد الرحمن بن قيس رمي بالكذب ولأجله حكم الحاكم على الحديث بالوضع وعده ابن الجوزي من الموضوعات .

(٣) سقط من (د) .

كذلك كان في ذلك هجنة له عند الخلق فكيف الملك من ملوك الدنيا إذا أهدي له هدية فانصرف الرسول عنه صفر اليدين فإذا يقال له : أوليس من شأن الملوك أنهم يأنفون من أن يردوا إلى المهدي خائبًا أوليس في ترك ذلك ترك كرامة المُهدي وفي إعطائه بر ولطف وكرامة للمُهدي فكذلك هؤلاء الحملة لهذا المؤمن إلى الله فإن هذا المؤمن أخرجه الله إلى الدنيا فمنّ عليه وهداه فما زال يقطع عمره في إرضاء الحق وإن زلت قدمه رجع إلى الله تائبًا نادمًا فاستوي على أطراف قدميه من اليقظة والانتباه والأخذ بالحزم ، والمنة كانت لله عليه في ذلك ولكن الرب تبارك اسمه نسب سعيه إليه ومدحه على ذلك وأثني عليه ووعده عليه حسن المثوبة فلما مات غسلوه وطيبوه وكفنوه وحملوه هدية إلى الحق فقبله الحق فأداه إلى الرحمة وصار الحق والرحمة ولياه . . .[(١)] له من الله المغفرة لمن حمله ولم يخيب الحملة ولم يستجيز أن يترك الحملة فيصرفون على حمل مثل هذه الهدية خائبين .

٣٤٣ـ حدثنا الجارود بن معاذ قال : حدثنا سعيد القداحى عن مروان بن سالم عن العرزمى عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : أول ما يجازى به العبد أن يغفر لمن يصلي عليه .

معني الجائزة والتحفة عندنا هي : الطرفة ، والهدية هي : العطية ومعناهما قريب إلا أن بينهما فرقًا في ثلاثة :

فالهدية : ما تعطيه لتستميل به ، والهدي : الميل ، ومنه قوله : مشى يتهادى أي : يتمايل ، ومنه سمي الهدي لأنه يميل بقلبه إليه .

والطرفة هي : الشيء تعطيه بعد الاستمالة وبعد أن صار له وليًا وثقة ، فهو يطرفه بشيء يريد أن يحليه بذلك كالسكر على رأس الأرز ونحوه فالأرز طعام [١/ ٩٢/ أ] والسكر حليته وطرفته يريد بذلك بره فذلك البر أعظم من الأرز ومن جميع تلك الأطعمة بين يديه ، فكذلك المؤمن قد أعد الله له دار السلام مستقرًا ومسكنًا دائمًا ملكه فيها ثم هو تبارك وتعالى في جلاله وعظمته ومجده وبهائه يريد أن عبده المؤمن

---

(١) كلمة لم أستطع قراءتها في (ص) ، وتحتمل أن تكون " لنبيه " في (د) .

لبره إياه بشيء يطرفه ليتجدد عليه جميع النعم بها فيبره بشيء ليس عنده في مدائنه وقصوره وجنانه فكذلك البر عنده أعظم موقع وسرور حتى يمتليء فرحًا وببره ههنا بطرف ، فمن طرفه ما جاء في الخبر : " إذا أراد الله أن يتحف عبده المؤمن سلط عليه من يظلمه " .

لأن بلوى الدنيا كثيرة من الأمراض والمصائب وللنفس فيها فجعة ثم يرجع إلى ربه في أن هذا صنعه وتدبيره فإذا ظلم اشتدت فجعته ووجد القلب من الألم عليه لما يتضاعف اللوعة فيه فتلك الأمراض والمصائب هدايا من رب العالمين ، والظلم تحفة قد طرفه الله بها ، والطرفة هي شيء يكون في الأحايين مرة شيئًا لم يكن عنده مثله فالظلم هو شيء لم يكن يجري عليه في أحواله من المصائب فإذا أراد أن يطرفه بأن يجدد له شيئًا لم يكن عنده سلط عليه من يظلمه فذاك تحفته له .

وقد سلط على يحيى بن زكريا صلوات الله عليهما من ذبحه ذبحًا ، فليس هذا مما يجري في بلوى أهل الدنيا ومصائبهم هذا شيء نادر شاذ محدث لعبده ، حشو تلك الطرفة بره وحشو ذلك البر حبه لعبده فالجنة مسكن المؤمنين ثوابًا لأعمالهم ، فإذا أراد أن يتحفهم بعث إليهم بطرائف ليس عندهم فتلك تحفتهم وكذلك في دار الدنيا قد هيأ للمؤمنين أمورًا من طاعة يوفقهم لها فإذا أراد أن يتحف أحدًا منهم سلط عليه ظالمًا ثم يرزقه الرضا بذلك فيكتبه في ديوان أهل الرضا حتي يوجب له غدًا رضوانه الأكبر هذا لمن جعلت الجنة له ثوابًا ، ومن جعلت الجنة له هدية فتحفته من مجالسه ومن لطفه في تلك المجالس والله أعلم .

الأصل الخامس والخمسون

٣٤٤ـ حدثنا قتيبة بن سعيد[١] قال : [١/٩٢/ب] حدثنا أبو عوانة عن قتادة عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " يهرم ابن آدم ويشب منه اثنتان ، الحرص على المال والحرص على العمر " .

قال أبو عبد الله :

فالحرص لهبان الشهوة وهو : الذي يستقر الآدمي ويعجله ويجير عقله ويخمد نوره ويغلي في صدره .

والشهوة : نار ذات دخان فكلما زدت النار وقودا ازدادت نورًا وتلهبًا واستجرت تلظيًا فإنما ذكر المال لأنه رأس الشهوات وبه تنل جميع الشهوات ، وإنما سُمي مالاً لأنه يميل بالقلب عن الله ، وإنما ذكر العمر لأنه بدوام العمر تدوم له الشهوات ، وبالعمر يملك المال فإذا ذهب العمر زال المال وتعطلت الشهوات فوجدت نفس ابن آدم لذة الشهوات ولذة دوام العمر فتشبثت به واستأثرت القلب فذهبت بالرقبة فإذا هو عبد آبق هارب من مولاه تنكب على وجهه فجسده في إدبار ونقصان وفي نقصان من القوة ووجود اللذة وقضاء الشهوة هرم والهرم الخالي من الأشياء قد خلت طبائعه من الحرارة والقوى وقحل جلده من الحرارة لانتشاف الحياة ماء جلدته فأصفرت جلدته ورق عظمه وانتشف النقص ماء شبابه وهو في ازدياد من الحرص على هذين لا يزالان يشبان منه حتى ينفد عقله ولا يطفئ لهبان الحرص إلا الإيمان بالله فكلما ازداد العبد إيمانا بربه وهو : النور الذي ينشرح به صدره فهو على نور من ربه ازداد ثقة بربه وطمأنينة إليه وكلما ازداد من الثقة بربه ازداد به غنى ومن استغني بالله فهو الغني .

وهو قول رسول الله ﷺ : " ليس الغنى عن كثرة العرض ، إنما الغنى غنى النفس " .

٣٤٥ـ حدثنا بذلك عبد الجبار قال : حدثنا سفيان عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول ﷺ .

فإذا استغنت النفس بالله لما ولج في الصدر من نور اليقين المنشرح به صدره صار

---

(١) في (ص) " سعد " .

عرض الدنيا فضلاً .

٣٤٦ـ حدثنا الجارود قال : حدثنا يزيد بن هارون قال : حدثنا المسعودى عن أبى عمر عن مكحول رضي الله عنه قال : قال رسول [١/ ٩٣/ أ] الله ﷺ : " نفس ابن آدم شابة ، ولو التقت ترقوتاه من الكبر إلا من امتحن الله قلبه للتقوى وقليل ما هم " .

فهذا قد كشف عن معنى ما ذكرنا ، وذلك أن النفس معدن الشهوات فهي شابة ، لأن تلك الشهوات بمنزلة النار لا تزال توقد ما زالت واجدة للحطب فإذا أمسك عنها الحطب طفيت فخمدت فكذلك شأن النفس لا تزال رطبة متوقدة بشهواتها متلظية بحرها ما دامت واجدة للنعم فإذا أمسك عنها ذبلت ويبست ، فإذا امتحن الله قلبًا للتقوى قوى صاحبه على الامتناع من قضاء الشهوات واللذات فولج النور قلبه وانشرح الصدر ودخلت الخشية وجاءت الأحزان ودامت الفكر فيما أمامه من الخطر الصعب العظيم وعظائم الأهوال .

فهم الذين استثناهم رسول الله ﷺ من أن تشتت نفوسهم وهي شهواتهم وقليل ما هم .

والامتحان هو : أن يستخرج سره ، والسر هو النور الذي قذفه في قلبه ، فإذا استقر ذلك في قلبه وأشرق به صدره صار ذلك وقاية له من جميع مكاره الآخرة ، فقيل : تقوى ، وإنما هو وقوى حُوِّلَتْ الواو تاء ، ومأخذه من الوقاية فإذا فعل ذلك فقد امتحنه أي : استخرج سره للوقاية التي في صدره وقلبه ؛ لأنه يظهر على الأركان بالأفعال المحمودة المرضية .

فالنفوس شابة وإن هرمت الجوارح وانهدت الأركان لدوام التنعم بالمال والعمر الا هذه الطبقة الممتحنة التي استثناهم فنفوسهم هرمت في وقت شبابهم وحداثة أسنانهم لأن شهواتهم قد ذبلت وضعفت بما ولجت تلك القلوب من الخشية والأحزان لما اطلعوا عليه بقلوبهم من علم الملكوت ولعلمهم بالله صاروا سبيًا من سَبْيه .

والمشغوف بشيء من به شغف ، فإذا شغفت بدنيا فأنت سبيها ، وإذا شغفت بالآخرة فأنت سبيها ، وإن شغفت بالخالق فأنت سبيه ومن استولي على قلبك شأنه فأنت له ، هذا جملة الكلام .

وابن آدم ركب في طبعه أن لا تزال نفسه تجمح في طلب شيء حتى إذا اطلع على

أفضل منه رفضت [١/ ٩٣/ ب] هذه وأقبلت على الأفضل فلا يزال طالبًا حتى إذا اطلع على الآخرة رفض هذه وأقبل عليها فلا يزال لها طالبًا حتى إذا طالع الملكوت أقبل على مولاه ولها عن ذكر الدارين واشتغل بالماجد الكريم فراه سلس القياد منكسر القلب قد أخذت الأحزان بمجامع قلبه فقطعته عن فكر الدنيا وأهلها وما هم فيه فهو حبيس الله في سجنه ، وهو قول رسول الله ﷺ : " الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر " والمسجون عينه إلى الباب يُرَاقب دعوةً متى يدعى فيجيب .

الأصل السادس والخمسون

٣٤٧ـ حدثنا موسى بن محمد المسروقي قال : حدثنا أبو أسامة عن الإفريقي عن عبد الله بن نافع أن أبا سعيد الخدري رضي الله عنه حدثه أنه سمع نبي الله ﷺ يقول : " إن لله تبارك اسمه ثلاثمائة وخمس عشر شريعة ، يقول الرحمن : وعزتي لا يأتين عبد من عبادي لا يشرك بي شيئًا بواحدة منهن إلا أدخلته الجنة " .

قال أبو عبد الله :

فالرسل ثلاثمائة وخمسة عشر لكل رسول شريعة فقال في تنزيله : ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة : ٤٨] وقال : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا ﴾ [الجاثية : ١٨] وإن الله تبارك وتعالى دعا العباد الى دار السلام بعد أن دعاهم إلى الإقرار بتوحيده فأجابوه ، فإنما أجابه من هداه ثم شرع لكل رسول طريقًا إليها وهو الحلال والحرام ، فالحلال مرضاته ، والحرام مساخطه فإذا استقام العبد في سيره وشريعته[1] أدخله الجنة ، فقوله : " لا يأتيني عبد لا يشرك بي شيئا بواحدة من هذه الشرائع " أي : شريعة زمانه ورسوله فلو أتى رجل بشريعة هود عليه السلام في زمن موسى عليهما السلام لم ينتفع به ، ولوأتى بشريعة موسى في زمن عيسى عليهما السلام لم ينتفع به ، ولو أتي بشريعة عيسى في زمن محمد عليهما الصلاة والسلام لم ينتفع به ولم يقبل منه ، إنما يقبل من كل عبد أتي بشريعته التي شرعت له على لسان رسوله ﷺ وأن الله تعالى شرع الطريق لعباده ليحلوا حلاله ويحرموا حرامه كي يصلحوا لدار السلام يوم مقدمهم عليه فإن الحلال زين والحرام شين فلم يستخر لهم أن يقدموا عليه مع الشين فيسكنهم داره .

❁ ❁ ❁ ❁

(١) في (ص) " في شريعته " .

الأصل السابع والخمسون

٣٤٨. [١/٩٤/أ] حدثنا عبد الجبار بن العلاء قال : حدثنا الوليد بن مسلم قال : حدثنا عبد الرحمن يزيد بن جابر قال : سمعت سليم[١] بن عامر رضي الله عنه يقول سمعت أوسط البجلي على منبر حمص يقول : سمعت أبا بكر الصديق على المنبر وهو يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر عام أول والعهد قريب : " سلوا الله اليقين والعافية فإن الناس لم يعطوا شيئًا خيرًا من اليقين والعافية " .

قال أبو عبد الله :

فاليقين هو استقرار النور في القلب والصدر وذلك أن نور الإيمان في القلب والشهوات بظلمتها وفوران دخانها متراكمة على القلب قد أظلمت من الصدر وحالت بين عيني القلب وبين رؤية أمور الغيب فهو مقر بأمور الغيب من الجنة والنار والحساب وأهوال الموقف وأمور تدبير الله في دنياه إلا أن نفسه تشبه عليه بخداعها وأمانيها لأنها لم تصر له كالمعاينة

وليس الخبر كالمعاينة فإنما أخبره إيمانه بذلك فإذا امتلأ القلب من النور كان كما قال رسول الله ﷺ لحارثة حين قال : " يا رسول الله كأني انظر إلى عرش ربي بارزًا ، وكأني أنظر إلى أهل الجنة كيف يتزاورون فيها وإلى أهل النار كيف يتعاوون فيها " فأضاء الصدر بذلك .

فصارت عينا القلب ذات بصيرة ، فاليقين استقرار القلب بذلك النور .

ويقال في اللغة : يقن الماء في الحفيرة يعني : استقر .

وأما العافية فإنما هو : عفو وعافية وكل واحد منهما مشتق من صاحبه فالعفو في الآخرة ، والعافية في الدنيا ، وهو أن يعفى عنك من الخذلان فلا تخذل حتى لا تقع في الذنب ، وأن يعفى عنك حتى لا تصيبك الشدائد والبلاء والمكاره فإنما قيل : عافية ، وأصله من العفو فقد عفا عنك [من][٢] أن يصيبك هذا ، والعفي قد عفا عنك [من][٣] أن تصيبك

---

(١) في (ص) " سليمان " .

(٢) زيادة من (د) .

(٣) زيادة من (د) .

شدائد الآخرة فكلاهما في المعنى واحد إلا أن العفو يستعمل في أمور الآخرة ، والعافية في أمور الدنيا ، وقد يدخل أحدهما على الأخر في مواضع .

الأصل الثامن والخمسون

٣٤٩ـ حدثنا بشر بن هلال الصواف قال : حدثنا جعفر بن سليمان عن هارون الأعور عن بديل بن ميسرة عن عبد الله بن شقيق عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله صلى [١/ ٩٤/ب] الله عليه وسلم يقرأ : ﴿ فَرُوحٌ وَرَيْحَانٌ ﴾ الراء مضمومة .

قال أبو عبد الله[١] :

وقد قرئت ﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ ﴾ [الواقعة : ٨٩] الراء مفتوحة ، فمن قرأ ﴿ فَرُوحٌ ﴾ مضمومة الراء ذهب إلى أن الروح أمر جليل من أمره يحل بالقلب فبه تطمئن القلوب الى الله ، وينال الذكر الصافي وبه يصير محقا وبه يقدس القلب وبه يشتاق عند حضور أجله إلى اللقاء فيهون عليه الموت ويبشر وتطيب النفس للشخوص إلى الله وبه تأتلف قلوب المتحابين في الله وبه عصمة قلوب الأنبياء عليهم السلام وهو من طريق القربة أن يناله[٢] قربة .

ومن قرأها ﴿ فَرَوْحٌ ﴾ مفتوحة الراء فإنه ذهب الى أنه يسلم عليه ملك الموت عليه السلام في ذلك الوقت ويقرئه السلام من رب العزة فيجد لذلك راحة على القلب وهو قوله تعالى : ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٤٤] .

---

(١) سقط من (د) .

(٢) غير واضحة في (ص) .

الأصل التاسع والخمسون

٣٥٠- حدثنا قتيبة بن سعيد عن مالك بن أنس عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : " المؤمن يأكل في معاء واحد ، والكافر يأكل في سبعة أمعاء " .

٣٥١- حدثنا الحسن بن على العجلى قال : حدثنا أبو أسامة قال : حدثنا يزيد بن عبد الله بن أبى بردة عن أبى بردة عن أبي موسى رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ بمثله .

قال أبو عبد الله :

وذلك أن الإنسان مبني على سبعة أخلاق : على الشرك والشك والغفلة والرغبة والرهبة والشهوة والغضب ، فهذه أخلاقه فأي خلق من هذه الأخلاق استولى على قلبه نسب إليه دون الآخرين .

ومما يحقق ذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ * لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴾ [الحجر : ٤٣-٤٤] فأهل النار مجزءون مقسمون على هذه الأبواب السبعة فكل جزء منهم إنما صاروا جزءا بخلق من هذه الأخلاق المستولية عليه .

وكذلك روي لنا عن وهب بن منبه ، ومما يحقق ذلك

٣٥٢- ما حدثنا به أبى رحمه الله قال : حدثنا عبد الله بن نافع الزبيرى قال : حدثنا أبو شيبة عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : " للنار باب لا يدخلها منه إلا من شفا غيظه بسخط الله " .

٣٥٣- حدثنا ابن أبى زائدة [١/ ٩٥/ أ] الهمداني قال : حدثنا عثمان بن عمر البصرى قال : حدثنا مالك بن مغول عن جنيد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : " لجهنم سبعة أبواب ، منها باب لمن سل سيفه على أمتي " .

فهذا للرغبة والأول للغضب فابن آدم مبني على هذه الأخلاق السبعة فإذا ولج الإيمان القلب نفى هذه السبعة من القلب فبقدر قوة الإيمان تذوب هذه الأخلاق من النفس وعلى قدر ضعفه يبقى ضررهن فإذا كمل النور وامتلأ القلب منه لم يبق لهذه الأخلاق فيه موضع ولا ولوجًا ، فنفى الشك والشرك والغفلة أصلاً وصار بدل الشرك إخلاص ، وبدل الشك يقين ، وبدل الغفلة انتباه وكشف غطاء معاينه وصار

الغضب له وفي ذاته وصارت الرغبة إليه والرهبة منه وصارت الشهوة منية وكانت قبل ذلك نهمة فتحولت منية وبقدر ضعف الإيمان وسقمه يبقى من هذه الأخلاق في المؤمن ، فبقي منه شرك الأسباب وشك الأرزاق وغفلة التدبير في كنه الأمور والرغبة والطمع في الخلق والرهبة منهم في المضار والمنافع واستعمال الشهوات على النهمة فإيمانه يقتضيه ما عقد في توحيده لربه أن هذه الأشياء كلها منه وله فأخلاقه تمنعه الوفاء بذلك عند نوائبه فلذلك يبقى في عرصة القيامة محاسبًا في مدة طويلة .

والآخر كمل إيمانه وامتلأ قلبه من نور الإيمان فصار كما وصفنا بدءا فسقط عنه الحساب غدا فابن أدم يأكل في معاء واحد أعني الخلقه[1] إلا أن هذه الأخلاق السبعة سوى الغضب قد عملت على قلبه فصار كأنه يأكل في سبعة أمعاء وإذا آمن فامتلأ قلبه من نور الإيمان سكنت هذه الأخلاق فشبع وروي ، لأنه قد ثقل عليه بما ولج فيه فإذا آمن فإنما يأكل بمعاه الذي خلق فيه وكلما كان أوفر حظًا من إيمانه كان أقل لطعمه بهذا المعاء الواحد أيضًا ، وإذا كان كافرا فهذه الأخلاق الستة تعمل على قلبه حتى يصير كأنه يأكل في سبعة أمعاء لأن الشرك والشك والغفلة والشهوة والرغبة والرهبة هم أعوان لحرصه فإذا حرص لم يشبع فاحتاج إلى الكثير والذي سكنت عنه هذه [١/ ٩٥/ب] الستة الأخلاق بولوج الإيمان قلبه ذاب الحرص في جوفه وثقل الإيمان في قلبه فأكل بمعاه الذي خلق للآدميين فاكتفى بذلك .

ومما يحقق ما قلنا :

٣٥٤- ما حدثنا به عيسى بن أحمد العسقلاني قال : حدثنا على بن عاصم عن حصين[2] بن عبد الرحمن قال : حدثني أبو صالح السمان قال : قدم ثلاثون راكبًا على رسول الله ﷺ من غفار فيهم رجل يقال له أبو بصيرة[3] رضى الله عنه مثل البعير فقال رسول الله ﷺ لأصحابه : " بددوا القوم فجعل الرجل يقيم الرجل والرجل يقيم الرجلين على

---

(١) في (د) " أعني الكلمة " .

(٢) في (ص) " حسين " .

(٣) في (ص) " أبوبصرة " .

قدر ما عنده من الطعام حتى تفرق القوم غير أبي بصيرة[1] رضى الله عنه قال : وكل القوم يرى أن ليس عنده ما يشبعه ، فلما رأى رسول الله ﷺ ذاك قام فاستتبعه فتبعه فلما دخل دعى له بطعام فوضعه بين يديه فكأنما لحسه ثم دعا بقدح فحلب له فيه فشربه حتى حلب له في سبعة قداح فشربها فبات عند رسول الله ﷺ فعرض عليه الإسلام فتكلم منه بشيء ، فلما خرج رسول الله ﷺ إلى صلاة الغداة واستتبعه فتبعه فصلى معه الغداة فلما سلم رسول الله ﷺ أقبل على القوم بوجهه فقال : علموا أخاكم وبشروه فأقبل القوم بنصح يعلمونه وألقى عليه رسول الله ﷺ ثوبًا حين أسلم ثم قام فاستتبعه فتبعه فلما دخل دعى له بطعام فوضع بين يديه فلم يأكل إلا يسيرًا حتى قال شبعت ثم دعى له بقدح فحلب فيه فلم يشرب إلا يسيرًا حتى قال : رويت ، فضرب رسول الله ﷺ على منكبه فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إنك كنت أمس كافرا وإنك اليوم مؤمن وإن الكافر يأكل في سبعة أمعاء وإن المؤمن يأكل في معاء واحد " .

---

(١) في (ص) " أبو بصرة " .

الأصل الستون

٣٥٥. حدثنا نصر بن على الحدانى وقتيبة بن سعيد وصالح بن عبد الله وابن أبى ميسرة قالوا : حدثنا محمد بن يزيد بن حنيش عن ابن أبى رواد عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال : " لكل عبد صائم دعوة مستجابة عند إفطاره أعطيها في الدنيا أو ادخر له في الآخرة " ، فكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول : عند إفطاره [١/٩٦/أ] يا واسع المغفرة ، اغفر لي . [نصر بن على رفعه والآخرون وقفوا به على ابن عمر رضي الله عنهما][١] .

قال أبو عبد الله :

فأمة محمد ﷺ قد خصت من بين الأمم في شأن الدعاء فقيل : ﴿ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر : ٦٠]

فإنما كانت تكون للأنبياء عليهم السلام فأعطيت هذه الأمة ما أعطيت الأنبياء عليهم السلام فلما دخل التخليط في أمورهم من أجل الشهوات التي استولت على قلوبهم حجبت قلوبهم ، فالصوم منع النفس عن الشهوات فإذا ترك شهوته من أجله صفا قلبه وصارت دعوته بقلب فارغ قد زايلته ظلمة الشهوات وتولته الأنوار فاستجيب له ، فإن كان ما يسأل في المقدور عجل له ، وإن لم يكن كان مدخورا له في الآخرة . وبلغنا " أن العبد إذا دخل الجنة أعطي من الجنة بقدر ما يستقر في ملكه ويجاز له ثوابه فإذا زيد قيل له : هذا دعواتك التي[٢] كنت لا ترى لها في دار الدنيا إجابة كان ذلك مدخرا لك عندنا " .

٣٥٦. حدثنا الفضل بن محمد قال : حدثنا هشام بن خالد الدمشقي[٣] قال : حدثنا الوليد ابن مسلم قال : حدثنا إسحاق بن عبد الله المدنى قال : سمعت ابن أبي مليكة قال : سمعت عبد الله بن عمرو بن العاصي رضي الله عنهما يقول : سمعت رسول الله ﷺ

---

(١) ما بين المعقوفين ، سقط من (د) .

(٢) في (ص) " الذي " .

(٣) في (ص) " هشام بن خلف " .

يقول : " للصائم عند فطره دعوة لا ترد ، قال ابن أبي مليكة : سمعت عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما يقول عند فطره : اللهم إني أسألك برحمتك التى وسعت كل شيء أن تغفر لي " .

الأصل الحادي والستون

٣٥٧ـ حدثنا محمد بن على الحكيم رحمة الله عليه قال : حدثنا أبو الحجاج النصر بن طاهر البصرى قال : حدثنا بكار بن عبد العزيز بن أبى بكرة عن أبيه عن أبي بكرة رضي الله عنه قال : " كان رسول الله ﷺ إذا جاءه الأمر يُسر به خر لله ساجدًا شكرًا " .

قال أبو عبد الله(١) :

فالسجود أقصى حالة العبد في التواضع لله ، وهو أن يضع مكارم وجهه بالأرض ويسكن جوارحه ملقيًا للأرض وهكذا يليق ، فالمؤمن كلما زاده محبوبه كرمًا ازداد له تذللاً وتمسكًا وإليه افتقارًا فَبِهِ ترتبط النعمة وبه يُجْتلب المزيد ويقتضي وليها الشكر عليها وينجز ما وعد عليه من مزيدها وهو قوله : ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم : ٧] فالشكر رؤية النعمة ، ولا ينفك من رأى [١/ ٩٦/ ب] النعمة من الحيا إذا استحيى خجل وتذلل وتواضع فكان رسول الله ﷺ أعلاهم درجة في الرؤية من(٢) الله تبارك وتعالى والمعرفة وانقدهم(٣) بصرا في صنعه لعظيم اليقين فكان يفزع إلى السجود من أثقال النعمة والمنة " وكان شأنه إذا فرح غض بصره " .

٣٥٨ـ حدثنا بذلك سفيان بن وكيع قال : حدثنا جميع بن عمر العجلى عن رجل من ولد هند ابن أبى هالة يكنى أبا عبد الله عن الحسن بن على عن هند بن أبى هالة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ .

قال أبو عبد الله(٤) :

فغض البصر من الحياء عندنا وهكذا عادة الآدمي إذا استحي غض بصره ، لأن الحياء في العينين من أجل أن الحياء من شأن الروح وبصره متصل ببصر الروح . وأيضًا خلة أخري وذلك أن الفرح في القلب يؤدي إلى العين فإذا انتهى الفرح إلى العين ولم تغضها انتشر الفرح وقوي ، فلم يكن ﷺ يحب أن ينتشر فرحه في دار

---

(١) سقط من (د) .
(٢) في (د) " عن " .
(٣) هكذا استظهرت قراءتها .
(٤) سقط من (د) .

الأحزان حتى يكون ذلك كله في دار الله ، فسجود الشكر معلوم رسمه في أفعال الرسول ﷺ متواترة عنه[١] قد فعله غير مرة ومن بعده أصحابه .

٣٥٩ـ حدثنا يعقوب بن شيبة قال : حدثنا إسحاق بن سليمان الرازي قال : حدثنا موسي بن عبيدة عن أخيه عبد الله بن عبيدة عن موسي بن وردان عن عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما قال : جئت أزور عائشة رضي الله عنها فكان رسول الله ﷺ يوحي إليه ثم سرى عنه فقال : " يا عائشة ناوليني ردائي ، فناولته ثم أتى المسجد فإذا مُذكر يَذكر فجلس حتى قضى المذكر تذكرته افتتح : ﴿ حمٓ * تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [فصلت : ٢] فسجد فطالت سجدته ثم تسامع به . أظنه قال : من كان على ميلين . وملئ عليه المسجد وأرسلت عائشة رضي الله عنها في حاجتها أن احضروا رسول الله ﷺ ، ولقد رأيت منه أمرًا ما رأيته منه منذ كنت معه فرفع رأسه فقال : سجدت هذه السجدة شكرًا لربي ، فيما أبلاني في أمتي فقال له - أحسبه أبو بكر رضي الله عنه - وماذا أبلاك في أمتك؟ قال : أعطاني سبعين ألفًا من أمتي يدخلون الجنة ، قال : يا رسول الله إن أمتك كثير طيب فازدد يا رسول الله ، قال : قد فعلت فأعطاني [١/ ٩٧/ أ] مع كل واحد من السبعين ألف سبعين ألفًا ، قال : يا رسول الله ازدد لأمتك ، فقال بيده ثم مال[٢] بهما إلى صدره أو إلى بعض جسده ، فقال عمر رضى الله عنه أو غيره أوعيت يا رسول الله أو كلمة نحوها " .

٣٦٠ـ حدثنا بشر بن آدم ابن ابنت أزهر السمان قال : حدثنا عبد الله بن بكر بن وهب السهمي قال : حدثنا هشام بن حسان عن القاسم بن مهران عن موسى بن وردان عن عبد الرحمن بن أبي بكر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : " إن الله أعطاني سبعين ألفًا من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب ، فقال عمر رضى الله عنه : يا رسول الله فهل استزدته ، قال : قد استزدته فأعطاني مع كل واحد من السبعين ألف سبعين ألفًا فقال عمر رضي الله عنه : فهل استزدته يا رسول الله ، قال : استزدته فأعطاني هكذا

---

(١) في (ص) " منه " .

(٢) في (ص) " قال " .

وفتح أبو وهب يديه ، قال أبو وهب : قال هشام : هذا من الله لا يدري ما عدده " .
وهذا الحديث أتم وأشبع ، والأول لم يذكر فيه أنهم يدخلون الجنة بغير حساب ، وحديث عبد الرحمن بن أبي بكر أشبه بما ذكرنا ، لأنه قد جاء في الروايات أنه يدخل الجنة من هذه الأمة سبعون ألفًا بغير حساب .

٣٦١- حدثنا بذلك عمر بن أبي عمر قال : حدثنا الربيع بن يحيى عن المسعودى(1) عن بكير بن الأخنس عن قيس بن أبى حازم عن أبى بكر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : " أعطيت سبعين ألفًا من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب ، قلوبهم على قلب رجل واحد ، واستزدت فزادني مع كل واحد سبعين ألفًا " .

٣٦٢- حدثنا محمد بن موسى الحرشي قال : حدثنا سعد بن عاصم قال : حدثنا نافع أن أم قيس حدثته أن رسول الله ﷺ خرج آخذًا بيدها في سكة من سكك المدينة حتى انتهى إلى بقيع الغرقد ، فقال : " منها يبعث سبعون ألفًا يوم القيامة في صورة القمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب ، فقام رجل فقال : يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم ، قال : أنت منهم ، فقام آخر فقال : يا رسول الله ، ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال : سبقك بها عكاشة " .

فهذا العدد من مقبرة واحدة فكيف سائر مقابر أمته ، وإنما قال رسول الله [١/ ٩٧/ ب] ﷺ : أنت منهم كأنه رأى فيه أنه منهم ، والآخر لم يره بموضع ذلك فقال سبقك بها عكاشة ، فقال للأول وهو عكاشة : أنت منهم إيجابا وقسمًا .
وأم قيس هي : بنت محصن ، وهي أخت عكاشة بن محصن الأسدي ، فهذا عطاء ربنا وكرامته لهذه الأمة أن أيدهم باليقين حتى عاملوا الله على الصدق والوفاء بفضل يقينهم فصاروا سادات الأمم ، وكذلك قال : " أنتم توفون سبعين [أمة](2) أنتم خيرها وأكرمها على الله " فباليقين وُفُّوا ، وصدقوه فيما قبلوا منه فسقط الحساب عنهم ثم مع كل واحد منهم سبعون ألفًا يدخلون الجنة بشفاعته ، ثم مع كل واحد من الذين شفعوا فيهم يدخل بشفاعته سبعون ألفًا فاعتبر . لأن كيف أولئك السبعون

---

(١) في (ص) " المسعود " ، وفي (د) " الربيع بن يحيى المسعودي " والمثبت الصواب .
(٢) سقط " أمة " من (ص) .

الألف الأولون أولئك أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، وهم السابقون المقربون يشفع كل واحد منهم في سبعين ألفًا ممن احتبِس للحساب في الموقف ممن وجبت له الجنة ، ثم يشفع كل واحد منهم في سبعين ألفًا ممن وجب عليه الوقوف وطول الموقف . فسجدة الشكر مما فعلها الصحابة والتابعون .

٣٦٣. **حدثنا** محمد بن موسى الحرشي قال : حدثنا سليمان[١] بن رجاء قال : حدثتنا شعثا قالت : رأيت عبد الله بن أبي أوفى رضى الله عنه فقال : " إن رسول الله ﷺ لما أُتى برأس أبي جهل صلى ركعتين ، وصلى بهم يوم الفتح ركعتين " .

وسجد عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ثلاث سجدات تباعًا حيث روى له أبو بردة بن أبي موسى عن أبيه رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ الحديث الذي قال : يجاء باليهودي والنصراني يوم القيامة فيقال[٢] هذا فداؤك يا مسلم من النار .

---

(١) في (د) " سلمة " .

(٢) في (ص) " فقال " .

الأصل الثاني والستون

٣٦٤- حدثنا زريق بن السخت العدوى قال : حدثنا جعفر بن عون قال : أخبرنا عمر بن راشد اليمامى عن يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة[1] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " إذا بعثتم إلي رسولاً فاجعلوه حسن الوجه حسن الاسم " .

قال أبو عبدالله[2] :

فهذا من طريق التفاؤل وذلك أن أهل اليقظة والانتباه يرون الأشياء كلها من الله ، فإذا ورد وارد حسن الوجه حسن الاسم [١/ ٩٨/أ] تفاءل به ، وهو حسن الظن بالله وكان رسول الله ﷺ يتفاءل ولا يتطير ، لأن التفاؤل هو حسن الظن بالله ، والفأل هو شيء يخص به قوم ، وليس يكون لكل أحد كالفراسة والإلهام إنما يكون لقوم خاص ، وكالحكمة إنما تكون لطائفة من الناس فكذلك الفأل .

كما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : " الفأل مرسل فمن أعطي حظًا من الفأل انتفع بالفأل " .

كمن أعطي الفراسة فله منها حظ ، ومن لم يعط لم يكن له منها حظ ، والفأل قريب من الأذكار ، والخط نحوه .

وقد كان نبي من الأنبياء يخط ، فهذا الخط أذكاره وهو قريب من الفأل. وقد شرحته في بابه. والخط علم عظيم خص به أهله من قد لاحظ ذلك يوم المقادير .

٣٦٥- حدثنا أبو عمار الخزاعى قال : حدثنا أوس بن عبد الله بن بريدة قال : حدثنى أخى سهل بن عبد الله أن أباه حدثه عن أبيه بريدة[3] رضى الله عنه : أن نبى الله ﷺ كان لا يتطير ولكن يتفاءل فكانت قريش جعلت مائة من الإبل فيمن يأخذ نبي الله ﷺ فيرده عليهم حيث توجه إلى المدينة فركب بريدة في سبعين راكبًا من أهل بيته من بني سهم فتلقاه نبي الله ﷺ فقال له نبي الله ﷺ : من أنت؟ قال : أنا بريدة فالتفت إلى أبي بكر

---

(١) في (ص) " أبي مسلمة " .

(٢) سقط من (د) .

(٣) في (ص) " أبي بردة " .

رضي الله عنه وقال : يا أبا بكر رضى الله عنه برد أمرنا وصلح فقال : وممن؟ قال : من أسلم ، فقال لأبي بكر رضى الله عنه سلمنا ، قال : ثم ممن؟ قال : من بني سهم ، قال : خرج سهمك فأسلم بريدة وأسلم الناس معه جميعًا ، فلما أن أصبح قال بريدة لنبي الله ﷺ : لا تدخل المدينة إلا ومعك لواء فحل عمامته ثم شدها في رمح ، ثم مشى بين يديه ، فقال يا نبي الله تنزل عليّ ، فقال : إن ناقتي هذه مأمورة فسارت حتى وقفت على باب أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه فبركت ، فقال بريدة : الحمد لله الذي أسلمت بنو سهم طائعين غير مكرهين " .

وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : " قال الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء "

فإذا أحسن ظنه به [١/٩٨/ب] وفاءً له بما أمل وظن ، والتطير سوء الظن بالله وهروب من قضائه والعقوبة إليه سريعة ، والمقت له كائن ، ألا ترى إلى العصابة التي فرت من الطاعون كيف أماتهم .

فروي في الحديث أنه قال : " مقتهم فأماتهم " وذكر في تنزيله فقال : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا﴾ [البقرة : ٢٤٣] فالهرب من الطاعون تطير وهرب من قضاء الله وسوء ظن به .

٣٦٦- حدثنا نصر بن على قال : حدثنا فضيل بن سليمان عن فائد مولى عبيد الله بن على عن[1] عبيد الله بن على عن أبي رافع رضى الله عنه قال : أتيت رسول الله ﷺ ومعي مكتل فيه شاة مشوية ، فقال لي : يا أبا رافع ضع ما معك ، ثم قال : ناولني الذراع فناولته فأكلها ، ثم قال : ناولني الذراع فناولته فأكلها ، ثم قال : ناولني الذراع فقلت : وهل للشاة أكثر من ذراعين؟ فقال رسول الله ﷺ : لو سكت لوجدتها " .

---

(١) في (ص) " بن " .

الأصل الثالث والستون

٣٦٧- حدثنا على بن حجر وأبو بشر محمود بن المهدى وصالح بن عبد الله قالوا : حدثنا بشر بن ميمون البروقانى أبو صيفى قال : سمعت مجاهدًا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ما من صدقة بأفضل من صدقة يصدقها على مملوك عند مليك سوء .

قال صالح بن عبد الله : أبو صيفي الواسطي أظنه كان أصله بُرقانيا .

قال أبو عبد الله[1] :

فالمملوك عند مليك السوء مضطر ، والصدقة على المضطر أضعاف مضاعفة لأنهم ثلاثة أصناف : فقير مستغني عن الصدقة في ذلك الوقت ، وفقير محتاج ، [وفقير][2] مضطر فالصدقة على المستغنى عنه وهو في حد الفقر صدقة ، والصدقة على المحتاج مضاعفة ، والصدقة على المضطر أضعاف مضاعفة ، فالمملوك عند مليك السوء انتظمت حالته هذه الثلاث : هو فقير ، وهو محتاج ، وهو مضطر ، فلذلك صارت أفضل الصدقات .

---

(١) سقط من (د) .

(٢) ما بين المعقوفين سقط من (ص) .

الأصل الرابع والستون

٣٦٨. حدثنا قتيبة بن سعيد قال : حدثنا ابن لهيعة عن الأعرج عن أبى هريرة رضى الله عنه . ومالك بن أنس عن أبى الزناد عن الأعرج [١/ ٩٩/ أ] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه كما تناتج الإبل من بهيمة جمعاء هل يحس من جدعاء ، قالوا : يا رسول الله أفرأيت من يموت صغيرا؟ قال الله أعلم بما كانوا عاملين .

٣٦٩. حدثنا عبد الجبار قال : حدثنا سفيان عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ بمثله .

قال أبو عبد الله(١) :

قوله : " كل مولود يولد على الفطرة " أي : على الإسلام ، وذلك أن الله تبارك اسمه أخذ من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم فأسلموا له طوعًا وكرهًا وألقوا بأيديهم اعترافًا بربوبيته فمنهم مسلم ومنهم مستسلم وفي الجملة كلهم أقروا له بالربوبية وحده ، وبالسمع والطاعة فأخذ عليهم الميثاق ثم ردهم إلى الأصلاب فلما خرجوا من الأرحام إلى الدنيا مولودين إنما خرجوا على تلك الفطرة فمن ولده يهودي أو نصراني أو مجوسي فالولد في الحكم لأبيه لأنه من مائه ، وإنما صير الحكم لأبيه لا لأمه لأن العظام والعصب والعروق من الأب ، واللحم والدم والجلد والشعر من الأم ، فأصل الجسد هو الأب ألا تري أن اللحم والدم والجلد والشعر يذهب ويجيء في الجسد باق والعظام والعصب والعروق إذا ذهب ذهب الجسد فالأصل للأب والأم كسوة ، قال الله تبارك اسمه وتعالى : ﴿ فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ﴾ [المؤمنون : ١٤] فالعظام من الأب ، والكسوة من الأم فلذلك نسب إلى أبيه وصير حكمه حكم الأب والعصوبة له في الميراث الولاية وسائر الأحكام ، فإذا ولد المولود وأبوه يهودي أو نصراني فهو لاحق بأبيه لأن أصل جسده الذي بني سائر جسده من مائه فيحكم له في الظاهر من الأحكام بحكم أبيه فهذا قول رسول الله ﷺ :

---

(١) سقط من (د) .

" فأبواه يهودانه وينصرانه " أي : صار يهوديًا ونصرانيًا في الظاهر من الحكم بيهودية أبيه ونصرانيته حتى يدرك ، فإذا أدرك فثبت على دين أبيه فهو معه وإن أسلم فقد فارقه ثم صار إلى شأن الآخرة .

" فقيل : يا رسول الله ، فكيف من يموت صغيراً؟ " أي : لم يدرك الحلم حتي يكون إسلامه [١/ ٩٩/ ب] إسلامًا .

" قال : الله أعلم بما كانوا عاملين " علمًا فجري القلم ، معناه أن الله تبارك اسمه أبرز من غيبه علمًا فجري القلم [في اللوح][1] بذلك العلم من الشقاء والسعادة فردهم إلى علم الله الذي خلقهم شقيًا وسعيدًا ، فقد علم الله أن لو عاشوا حتي يدركوا ما كان ظهر على ألستهم من كلمة الشقاء والسعادة اعترافًا بلا إله إلا الله أو جحودا به وانقيادًا له قابلين لأمره أو عنادًا عنه معرضين عن أمره فإذا مات أحدهم صغيرًا قبل أن يظهر هذا فالله أعلم ما كان يكون ، ومن أي الصنفين هو.

أما قوله : " كما تناتج الإبل هل تحس من جدعاء " فإنه يقول : إن الأنعام إذا تناتجت فمولودهن صحيح سويّ فعمد المشركون فجدعوا آذانها ، " وذلك أن العرب في الجاهلية ابتدعوا بدعًا وزين لهم الشيطان ذلك فكانوا إذا ولدت بهيمة أحدهم شقوا أذانها فيقولون هذه بحيرة ، ويجدع أذنها صرمًا ، فأنزل الله : ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ﴾ [المائدة : ١٠٣] .

٣٧٠. حدثنا علقمة بن عمرو التميمى قال : حدثنا أبو بكر بن عياش عن أبى اسحاق عن أبى الأحوص عن أبيه عوف بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ .

٣٧١. وحدثنا عبد الجبار قال : حدثنا سفيان قال : حدثنى أبو الزعراء عمرو بن عمرو سمعه من عمه أبى الأحوص عن أبيه وهو عوف بن مالك الجشمى قال : " أتيت رسول الله ﷺ فصعد في البصر وصوبه ، وقال : أرب إبل أنت أم رب غنم؟ قلت : من كل المال قد آتاني الله فأكثر وأطيب ، قال : أفلست تنتجها وافية أعينها وآذانها؟ قلت : بلى قال :

(١) ما بين المعقوفين زيادة من (د) .

فتجدع آذانها فتقول : صرماء ، وتشق من هذه فتقول : بحيرة فساعد الله أشد ، وموساه أحد لو شاء الله أن يأتيك بها صرماء فعل " .

فقول رسول الله ﷺ حيث قال : " فأبواه يهودانه وينصرانه كما تناتج الإبل فهل تحس من جدعاء " أي : أن الله خلقه سويًا وافراً وافياً فأنتم جدعتموه ، وكذلك خلق الله هذا المولود على الفطرة التي فطرهم حيث استخرجهم من صلب آدم عليه السلام معترفين له بالربوبية فأنتم هودتموه ونصرتموه ومنه قول الله تعالى : ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ﴾ [البقرة : ١٣٨] [١/ ١٠٠/أ] فكانت النصارى إذا ولد لهم مولود صبغته في ماء لهم يقولون نطهره بذلك ، فقال الله : ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ ﴾ أي : فطرة الله التي فطرهم عليها أحسن من صبغتهم ، فإنما صار المولود للأب في الحكم حتى يدرك ، فإذا أدرك [فإن أسلم](١) صار حكمه حكم المسلمين وإن تهود أو تنصر حكم له بذلك .

٣٧٢ـ **حدثنا** أبو طالب الهروى قال : حدثنا يوسف بن عطية عن قتادة قال : حدثنا أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " كل مولود يولد من ولد - كافر أو مسلم - فإنما يولدون على الفطرة . على الاسلام كلهم ، ولكن الشياطين أتتهم فاجتالتهم عن دينهم فهوّدتهم ونصّرتهم ومجّستهم ، وأمرتهم أن يشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانًا .

وقال الله وقوله الحق : " خلقت عبادي حنفاء وأمرتهم أن لا يشركوا بي شيئا " .

٣٧٣ـ **حدثنا** الجارود قال : حدثنا عبدة عن سعيد عن قتادة عن مطرف بن عبد الله أو غيره عن عياض بن حمار رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال في خطبته : " إن الله أمرني أن أعلمكم ، وقال : إني خلقت عبادي حنفاء فأتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ، وأمرتهم أن يشركوا بي ، وحرمت عليهم ما أحللت لهم " .

قال أبو عبد الله(٢) :

فهذا بعد الإدراك حين عقلوا أمر الدنيا وتأكدت حجة الله عليهم وعملت أهواؤهم

---

(١) ما بين المعقوفتين سقط من (ص) .

(٢) سقط من (د) .

فيهم ، أتتهم الشياطين ودعتهم إلى اليهودية والنصرانية ، لأن الشياطين وجدت قلوبًا خالية إنما هي بضعة من لحم والنفس والروح يعقلان أمر الحياة والمضار والمنافع والآيات ظاهرة من خلق السموات والأرض والشمس والقمر والبحر واختلاف الليل والنهار فهذه حجج الله على عبيده فذهبت بأهوائهم يمينًا وشمالاً ، وأما المؤمنون فهم أهل منة الله من الله عليهم فجعل لهم نورًا فقال : ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ [الأنعام : ١٢٢] ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾ [النور : ٤٠] وأهل منته كانت قلوبهم بضعة لحم فأحياها الله بنوره وأهل عداوته حرموا ذلك فخابوا والحجة عليهم قائمة بما أعطوا من المعرفة بأمور الدنيا ، قال الله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ [الشمس : ٩-١٠] فإنما زكاها بنور المعرفة [١/ ١٠٠/ ب] وإنما دساها قلب الكافر .

وقوله : « دسي ، ودس ، ودسس » كله بمعنى واحد وهو أن يدس باب قلبه كما تدس باب الكوة حتى لا يقع في البيت ضوء فهو بيت مظلم قد مال به هوى نفسه .

وأما أطفال المسلمين فقد جاءت فيه أخبار عن رسول الله ﷺ

٣٧٤- حدثنا قتيبة بن سعيد عن مالك بن أنس عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار إلا تحلة القسم » .

٣٧٥- حدثنا أبي رحمه الله قال : حدثنا الحماني قال : حدثنا خالد بن عبد الله عن يحيى الجائر عن عبيد الله بن مسلم عن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ما من مسلمين يتوفى لهما ثلاثة أولاد لم يبلغوا الحنث إلا أدخل الله والديهم الجنة بفضل رحمته إياهم ، والذي نفسي بيده إن السقط ليجر أمه إلى الجنة بسرره إذا احتسب .

٣٧٦- حدثنا أبي رحمه الله قال : حدثنا الحماني قال : حدثنا عبد الواحد بن زياد عن عثمان ابن خثيم عن عمر[1] بن عامر قال : سمعت أم سليم رضى الله عنها تقول : قال لى رسول الله ﷺ فذكر مثله ولم يذكر السقط .

---

(١) في (ص) « عمرو » .

٣٧٧. حدثنا نصر بن على الحدانى وابن الخطاب الحرشى قال[١] : حدثنا عبد ربه بن بارق الحنفى سمع جده سماك[٢] بن الوليد الحنفى يحدث أنه سمع ابن عباس رضي الله عنهما يقول : أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : " يا عائشة من مات له فرطان من أمتي أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم ، قالت : يا رسول الله فمن كان له فرط واحد؟ قال : ومن كان له فرط واحد يا موفقة ، قالت : فمن لم يكن له فرط؟ قال : فأنا فرط أمتي لم يصابوا بمثلي " .

فإذا كان الوالدن إنما يدخلهما الله الجنة بفضل رحمته للولد فكيف يكون رحمته للولد[٣] .

٣٧٨. حدثنا أبى رحمه الله قال : حدثنا أبو نعيم عن أبى عقيل الحذاء قال : حدثتنى بهية مولاة أبى بكر رضى الله عنه قالت : سمعت عائشة رضي الله عنها تقول : سألت رسول الله ﷺ عن [١/ ١٠١/ أ] أولاد المسلمين أين هم يوم القيامة ؟ قال : في الجنة يا عائشة ، وسألته عن أولاد المشركين ؟ فقال : في النار يا عائشة ، قلت : لم يدركوا الأعمال يا رسول الله ولم تجر عليهم الأقلام؟ فقال رسول الله ﷺ : ربك أعلم بما كانوا عاملين .

٣٧٩. حدثنا أبى رحمه الله قال : حدثنا الحمانى قال : حدثنا مندل بن على عن الحسن بن الحكم عن أسماء بنت عابس عن أبيها عن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " إن السقط ليراغم ربه إذا أدخل أبو يه النار فيقال له : أيها السقط المراغم ربه قد أدخل أبويك الجنة فيقول : لا ، حتى يجرهما بسرره " .

٣٨٠. حدثنا أبى رحمه الله قال : حدثنا الحكم بن المبارك قال : حدثنا محمد بن حرب قال : حدثنا محمد بن زياد قال : حدثنا عبد الله بن قيس اللخمى قال : سألت عائشة[٤] رضى الله عنها عن أطفال المسلمين وأطفال المشركين ، فقالت : سألت رسول الله ﷺ عن أطفال المؤمنين فقال : مع أبائهم قلت : بلا عمل ، قال : الله أعلم بما كانوا

---

(١) كذا بالأصل ، والجادة " قالا " .

(٢) في (ص) " ابن سماك " .

(٣) في (ص) " يولد " .

(٤) في (د) " فاطمة " والمثبت من (ص) ، (ط) .

عاملين ، قلت : فأطفال المشركين؟ قال : مع أبائهم قلت : بلا عمل قال : الله أعلم بما كانوا عاملين " .

فالأخبار عن رسول الله ﷺ في أطفال المسلمين متواترة أنهم في الجنة وقد قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ [الطور : ٢١] فهم لاحق بهم . وقال : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ * إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴾ [المدثر : ٣٨-٣٩] فروي عن على رضى الله عنه قال : هم أطفال المسلمين لم يكتسبوا فيرتهنوا بكسبهم ، ثم قال : ﴿ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ * عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [المدثر : ٤٠-٤١] .

ثم روي عن رسول الله ﷺ أنه يؤتي بثلاثة أصناف فيبتلون هناك[(١)]

٣٨١ـ حدثنا بذلك إبراهيم بن عبد الحميد التمار الحلوانى قال : حدثنا محمد بن المبارك الصورى قال : حدثنا عمرو بن واقد عن يونس بن حلبس عن أبى إدريس الخولانى عن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : " يؤتى يوم القيامة بالممسوخ عقلاً ، وبالهالك في الفترة ، وبالهالك صغيرًا ، فيقول الممسوخ عقلاً : يا رب لو آتيتني عقلاً ما كان من آتيته بأسعد بعهدك مني ، ويقول الهالك في الفترة : يا رب لو أتاني منك عهد ما كان من أتاه منك عهد بأسعد بعهدك مني ، ويقول الهالك صغيرًا [١/ ١٠١/ ب] يا رب لو آتيتني عمرًا ما كان من آتيته عمرًا بأسعد بعمره مني ، فيقول الرب تبارك وتعالى : فإني آمركم بأمر أفتطيعونني فيقولون نعم وعزتك فيقول لهم : اذهبوا فادخلوا جهنم ولودخلوها ما ضرتهم شيئًا فيخرج عليهم قوابض من نار يظنون أنها قد أهلكت ما خلق الله من شيء فيرجعون سراعًا ويقولون : يا ربنا خرجنا وعزتك نريد دخولها فخرجت علينا قوابض من نار فظننا أنها[(٢)] قد أهلكت ما خلق الله من شيء ، ثم يأمرهم ثانية فيرجعون فيقولون كذلك ، فيقول الرب تبارك وتعالى : خلقتكم من علمي وإلى علمي تصيرون ضميهم ، فتأخذهم النار " .

٣٨٢ـ حدثنا محمد بن الحسن قال : أخبرنا على بن إسحاق قال : حدثنا عبد الله قال : أخبرنا ابن لهيعة قال : حدثني زيد بن عبد الله بن الهادى عن محمد بن كعب القرظى

---

(١) في (ص) " هنا " .

(٢) بالأصل " أن " والمثبت الصواب .

عن عبد الله بن شداد رضي الله عنه : " أن رسول الله ﷺ أتاه رجل فسأله عن ذراري المشركين الذين هلكوا صغارًا فوضع رأسه ثم قال : أين السائل فقال : ها أنا ذا يا رسول الله فقال : إن الله تبارك وتعالى إذا قضى بين أهل الجنة والنار لم يبق غيرهم عجوا فقالوا : اللهم ربنا لم يأتنا رسولك ولم نعمل شيئا فأرسل إليهم ملكًا والله أعلم بما كانوا عاملين فقال : إني رسول ربكم إليكم فانطلقوا فاتبعوه حتى أتوا النار فقال لهم : إن الله يأمركم أن تقتحموا فيها فاقتحمت طائفة منهم ثم اخرجوا من حيث لا يشعر أصحابهم فجعلوا من السابقين المقربين ، ثم جاءهم الرسول فقال : إن الله تعالى يأمركم أن تقتحموا في النار فاقتحمت طائفة أخرى ثم أخرجوا من حيث لا يشعرون فجعلوا من أصحاب اليمين ، ثم جاء الرسول فقال : إن الله يأمركم أن تقتحموا في النار فقالوا : لا طاقة لنا بعذابك فأمر بهم فجمعت نواصيهم وأقدمهم ثم القوا في النار " .

قال أبو عبد الله(١) :

فالولد عضومن الرجل فإذا قدمه من قبل أن يبلغ الحنث فيؤخذ بذنبه فيشتغل عن أبو يه فهو غير مسئول عن ذنب كان بمحل راحة وعتق من إسار الذنوب وقد جعل من تدبيره في حكم الحكام ها هنا أن إذا أعتق السيد من مملوكه بعض أجزائه عتق كله ، كقوله لعبده : بعض جسدك حر أو قال : جزء من [١/ ١٠٢/ أ] أجزائك حر فقد شاعت هذه الحرية في جميعه ، فهذا الطفل قدم على ربه وهو على غير مطلوب به بذنب فصار حرًا من رق الذنوب وهو جزء من أجزاء الوالدين .

وقوله : " لم يبلغوا الحنث " فإن الحنث هو العهد الذي كان أخذه عليهم يوم الميثاق حيث استخرجهم من صلب آدم فبايعوه على العبودة وقررهم بأنه ربهم وبالسمع والطاعة ، فلما خرجوا من الأصلاب والأرحام تجاوز عنهم أيام طفولتهم حتى إذا أدركوا مدرك الرجال تركوا الطاعة له وحنثوا في ذلك العهد والميثاق كما يحنث الرجل في يمين يحلف به ، فالحنث ترك الوفاء فسمي عصيانه حنثًا .

واشترط رسول الله ﷺ في شأن الأولاد فقال : " لم يبلغوا الحنث " أي : لم يبلغوا أن حنثوا في الميثاق والعهد فكان من رحمة الله عليهم أن أنقذوا أبو يهم من النار

---

(١) سقط من (د) .

بفضل رحمته إياهم .

وقوله : " إلا تحلة القسم " فإنه أقسم فقال : لا تمسه النار إلا بقدر ما يبر قسمه بوروده النار ويجعلها عليهم بردًا وسلامًا فلا تضره ويحل قسم ربنا .

وأما أطفال المشركين فإنه يخبر في هذه الروايات أنه ردهم إلى علمه فيهم كيف كانوا يكذبون أن لو أدركوا فهذا وجه الأمر ثم كانت من الله مشيئته أبرزها من علمه أن قيض لهم رسوله شفيعًا فيما جاءت به الروايات فكان هذا بعد ما سبق من رسول الله ﷺ القول فيهم بما قال ، [ثم جاء رسول الله ﷺ وشفاعته .

٣٨٣. **حدثنا** الفضل بن محمد][1] قال : حدثنا المسيب بن واضح قال : حدثنا مروان بن معاوية الفزاري عن برد بن سنان عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ : " إني سألت ربي أولاد المشركين فأعطانيهم خدمًا لأهل الجنة " .

لأنهم لم يدركهم ما أدرك آباؤهم من الشرك ولأنهم في الميثاق الأول .

٣٨٤. **حدثنا** أبي رحمه الله قال : حدثنا قبيصة عن سفيان عن الربيع بن صبيح عن يزيد[2] ابن أبان عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : " سألنا رسول الله ﷺ عن ذرارى المشركين ؟ فقال : هم خدام أهل الجنة " .

فهؤلاء لم يستوجبوا الجنة بقول ولا عمل فصاروا إلى الآخرة [١/ ١٠٢/ ب] وليس بأيديهم مفتاح الجنة . وهو قول لا إله الا الله . ولم يدركوا العمل فيستوجبوا الجنة لأنها ثواب الأعمال ، وقد كانوا في الميثاق فجاز أن يدخلوا الجنة لأنهم لم يشركوا فأعطوا خدمة الجنة بشفاعة الرسول ﷺ ، وإنما الجنة مفتاحها الكلمة العليا ، ونعيمها ثواب الأعمال فليس بيد أولاد المشركين مفتاحها ولا قدموا على الله بعمل الموحدين فيشفع الرسول ﷺ فيهم حتي يدخلوها ، وإنما استحال دخول الجنة لمن أشرك بعد خروجهم من الأرحام إلى الدنيا وأدرك مدرك الرجال .

(١) ما بين المعقوفين سقط من (د) .

(٢) في (ص) " زيد " .

الأصل الخامس والستون

٣٨٥- **حدثنا** رزق الله بن موسى البلخي البصري قال : حدثنا معن بن عيسى[(١)] القزاز قال : حدثنا مالك بن أنس عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إن هذا المال خضرة حلوة فمن أخذه[(٢)] بحقه فلنعم المعونة هو[(٣)] .

قال أبو عبد الله :

فالأخذ على ثلاثة أوجه عندنا : فالظالم يأخذه تمتعًا ، والمقتصد يأخذه تزودًا ، والمقرب يأخذه تبلغًا ، فالظالم لم يأخذه بحقه لأن الدنيا خلقت متعة للأعداء وهم الكفار يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم فهذا قد ظلم نفسه حيث أخذها أخذ الأعداء قال الله تبارك اسمه : ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [الحجر : ٣] لأن المؤمن قد علم أنه عابر سبيل ولم يخلق للبقاء في هذه الدنيا فهو مسافر يقطع الدنيا بعمره إلى الله ، والليل والنهار يركضان به إليه فكان قد آمن بالله واليوم الأخر فمن صدق إيمانه أن يرفع باله عن الدنيا وييأس من الخلود فيها ، ويأخذ منها ما يأخذ المتزود لما بين يديه من السفر الطويل يوم مبعثه من ملحده إلى عرصة الحساب ، وأخذ التزود أن يكون له إرادة فيما يأخذ منها أن يأخذها لقوام دينه ويقدم فضله ما في يديه ليكون ذلك زادًا له في المحشر فهذا الظالم غفل عن هذا فتمتع وطرب بها ولها عن الآخرة حتي أشر وبطر فخسر الدنيا والآخرة ، والمقتصد انتبه أنه لم يعط من الدنيا شيئًا إلا حوسب [١/ ١٠٣/أ] [غدًا وتقضيي][(٤)] شكره وطولب به من أين جئت به وأين وضعته فتنغصت عليه اللذة وتكدرت[(٥)] عليه النعمة وضاق بتناوله ذرعًا وتناوله على خوف ووجل وحملته الضرورة على أخذه فما أخذ

---

(١) في (ص) " يوسف " .

(٢) في (ص) " أخذ " .

(٣) تكرر هذا الحديث في الأصل ، الرابع والسبعون .

(٤) ما بين المعقوفين غير واضح في (ص) .

(٥) " تلذذت " غير واضحة في (ص) ، .

منه أخذه على حاجة لقوام دينه وما فضل في يده قدم منه ليوم فقره ، فهذا أخذ تزود فقد أخذ بحقه فلنعمت المعونة وهو كما قاله رسول الله ﷺ ، والأول : أخذه أخذ الأعداء ظالمًا لنفسه أخذًا وبيلا وخيما فلبئست المؤنة فيه عليه فالأول معونة وهذه مؤنة ، والثالث أخذه تبلغًا لأنه خلق محتاجًا مضطرًا لا ينفك في دنياه أيام حياته من حاجة به إليه أما في نفسه ، وأما في المتصلين به من عيال وقرابة وجيرة وإخوان من أجل حر أو برد أو جوع أو عرى أو نوائب من سقم أو غيره ، وتدبير رب العالمين في هذا المال أنه وضعه في هذا الدار وأنه يصلح به هذه المصالح فما تناول منه تناوله على التبلغ إلى الله لينفذ عمره ويبلغ إلى ربه دافعًا هذه النوائب التي تنوبه في هذه الدنيا عن نفسه ، وعن هؤلاء بهذا المال الذي هكذا دبره رب العالمين .

وكان أبو بكر رضي الله عنه بعد رسول الله ﷺ يعطي المال بغير عدد ولا تقدير يحثي حثوا ، ويعطي قبضات ، فراوده عمر رضي الله عنه على أن يقدر ويفضل المهاجرين لفضلهم ومن له قدمة في الإسلام فيرد له ذلك بالمال فأبى عليه وقال : إن هذا المال بلاغ وخير البلاغ أوسعه وأجورهم على الله عز وجل .

٣٨٦. حدثنا بذلك محمد على الشقيقى قال : أخبرنا أبى قال : حدثنا عبد الله بن جعفر عن إسماعيل بن محمد عن أبى بكر رضى بذلك .

قال : فلما ولي عمر رضي الله عنه عمل بالذي كان يري ففضل أصحاب بدر وجعل بين الناس فضائل .

ففعل أبي بكر رضي الله عنه فعل الصديقين ، المال عنده بلاغ فكل ما تناول شيئًا منه فقدمه في نوع من أنواع البر لم يجعله عدة ليوم فقره ، كما فعل هذا المقتصد لأن عدة الصديقين والمقربين خالقهم وأعينهم مادة إلى رحمته ، والمقتصدون ومن دونهم عدتهم خالقهم عدة الايمان ، فإذا صاروا إلى الحقائق صيروا أعمالهم [١/ ١٠٣/ ب] عدة .

الأصل السادس والستون

٣٨٧. حدثنا أبو الحجاج النصر بن طاهر البصرى قال : حدثنا زنفل أبو عبد الله العرفى كان ينزل عرفات قال : أخبرنا ابن أبى مليكة عن عائشة رضى الله عنها عن أبي بكر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا أراد أمرًا قال : " اللهم خِر لي واختر لي " .

قال أبو عبد الله[(١)] :

فالخيرات كلها من خيرته والصفوة من الخيرات مختارة خار لعباده الأعمال والأفعال واختار لنفسه من الذي خار لهم ، فذلك محبوبه ومصطفاه وإنما هو خير وشر منقسم في الأعمال كلها فسأله أن يخير له أي : يرزقه الخير ، وإذا رزقه الخير وقاه الشر ، ثم سأله أن يختار له من الخير محبوبه ، وله دعوة أخرى في حديث آخر كان يقول : " اللهم إني أسألك التوفيق لمحابك من الأعمال " وهذا باب غامض يخفي على الصادقين ، وإنما ينكشف للصدقين لأن الصادق إنما يفتش عن الأعمال كي لا يدخل العدو والنفس والهوي في ذلك شيئًا ينجسه فيه فيروجه عليه بخدعه فهو يبقي الصدق والإخلاص وإليه يلحظ في جميع أموره ، والصديق يلحظ في أعماله إلى الله لأنه قد ركب الصعاب وذللها فاستقام نفسه وقلبه على الصدق وانطرد عنه الهوي وانخسا العدو فهو يفرق من ظله وتمكن الصدق فيه ومرنه وتفرغ قلبه من الإشتغال بالنفس فهو مشغول بالله ولحاظ في أعماله إلى الله فهو الذي يكشف له التوفيق من الله لمحابه ، فرب عمل هو في الظاهر أعلى وأشرف ألسنة الكتب والرسل عليهم السلام والمحبوب عند الله في ذلك الوقت ما هو دونه في الظاهر[(٢)] ، فالذي يحبه في ذلك الوقت قد خفي على الأنبياء عليهم السلام حتى سأله التوفيق لذلك .

٣٨٨. حدثنا عمر بن أبى عمر قال : حدثنا عثمان بن الهيثم عن عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : كان من دعاء رسول الله ﷺ : " اللهم أنى

---

(١) سقط من (د) .

(٢) في (د) " الباطن " .

أسألك التوفيق لمحابك من الأعمال ، وصدق التوكل عليك وحسن الظن بك " .
فانظر إلى هذه الخصال الثلاث التي سأل كيف يشبه بعضها بعضًا وكأنها نظام واحد سأله التوفيق لمحابه [١/ ١٠٤/ أ] ومحابه في الغيب لا تدري فربما كان محابه في شيء هو في الظاهر دون غيره فإذا استقبل النفس ذلك واحتاج إلى أن يؤثره على الذي هو في الظاهر أعلى تلك النفس وترددت فسأله صدق التوكل ، والتوكل هو التفويض إليه في جميع الأمور وأن يتخذه وكيلاً في جميع ذلك فسأله صدق ذلك التوكل ، وصدقه أنه إذا استقبلك أمر هو عندك هو في ظاهر دون غيره وبين يديك أمر أعلى من ذلك فوفقك الله في ذلك الوقت إلى هذا الأدْوَن وهو محابه في ذلك الوقت ومختاره أن لا تتردد نفسك ولا يتلكأ فيه وتسارع فيه كما تسارع في الذي كان عنده أعلى فهذا أصدق التوكل قد اتخذ الله وكيلاً في أمره وفوضه إليه فوفقه للادون فلم يتحرك ولم يتبرم ومر فيه مسرعًا .
قال : " وأسألك حسن الظن بك " فإن النفس إذا مرت في الادون دخلها سوء الظن من قبلها يقول لعلي فيها مخذول فأقبل على الادون وأعرض عما هوأعلى منه ، فسأله توفيقًا لمحابه من الأعمال ، ثم سأله صدق التوكل ليجعله إذا وفقه لذلك لا تتكأ نفسه ولا تتردد ، ثم سأله أن يرزقه حسن الظن به فلا تأخذه الحيرة من ربه ولا يخاف أن يكون قد خُذِلَ وينحط بهذا الأمر ، فهذه الخصال الثلاث كلها منظومة محتاجة[١] إليها في طلق واحد لا يستغني ببعضها عن بعض لمن سأل أن يختار له محبوبه ويوفقه لمحابه من الأمور .
فجاءت الرواية عن رسول الله ﷺ بهاتين اللفظتين وكلاهما يؤديان إلى معنى واحد ، قوله : " اختر لي " وقوله : " وفقني لمحابك " فالاختيار من الخير وهو محابه في ذلك الوقت .
قال قائل : صف لنا واحدة من هذه الأمور نعتبر بها ما سواها ؟ قال : نعم ، خرج رسول الله ﷺ معتمرًا يزور بيت الله الحرام لبعد عهده به فصد عن البيت فكان

(١) كذا بالأصلين ولعل الصواب " محتاج " .

محاب الله تعالى في ذلك أن يصالحهم ويعطيهم ما يحبون ويريدون من ذلك فإنهم كانوا يريدون أن لا يدخل مكة في تلك الهيئة فحلق دون قضاء العمرة ، ونحر الهدي ولما يصل إلى البيت ولم يبلغ محلها ، وكان في الظاهر تعظيم البيت والاعتمار والوفاء بالنذر وهو [١/ ١٠٤/ب] الإحرام وهدي البدن وهي سبعون بدنة أعلى عندهم وأشرف والصلح والرجوع عنهم محاب الله في ذلك الوقت ، فاتسع في هذا الأمر رسول الله ﷺ ولم يضق به ذرعًا ، واتسع أبو بكر رضي الله عنه ، وضاق عمر رضي الله عنه حتى صار إلى أبي بكر رضي الله عنه فقال : يا أبا بكر أليس هذا رسول الله ﷺ ، أوليس نحن المسلمون؟ فقال : بلى فقال : فعلام نعطي الدنية في ديننا وهم الكفار؟ قال أبو بكر رضي الله عنه : يا عمر الزم غَرزَ رسول الله ﷺ . أي : بركابه . واسمع وأطع فإني أشهد أنه رسول الله ﷺ قال : وأنا أشهد ، فلم يصبر على ذلك فأتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ألست رسول الله ، أولسنا بالمسلمين ، أوليسوا بالمشركين؟ قال : بلى قال : فعلام نعطي الدنية في ديننا وهم الكفار ، قال : أنا عبد الله ورسوله ، ولن أخالف أمره ولن يضيعني ، قال عمر رضي الله عنه : فما زلت أصوم وأصلي وأتصدق وأعتق من الذي صنعت مخافة الكلام الذي تكلمت به يومئذ ، فصالح رسول الله ﷺ المشركين وكتب الكتاب فيما بينهم على وضع الحرب عشر سنين يأمن فيهن الناس ، ويكف بعضهم عن بعض فأمنوا ولقي بعضهم بعضًا وخالطوهم واستمعوا إلى القرآن وإلى ما جاء به عن الله عز وجل ، والرجل يكلم أخاه وصديقه ورحمه بذلك ، فدخل الناس أفواجًا في دين الله مثل ما دخلوا في سنين كثيرة .

فانظر إلى رسول الله ﷺ كيف فوض أمره إلى الله تعالى وأبرز صدق توكله ، وكيف حسن ظنه بالله ، فقال : " إني لن أخالف أمره ولن يضيعني " وكيف تابعه على ذلك أبو بكر رضي الله عنه واتسع فيه ، وكيف ضاق عمر رضي الله عنه به ، ومن بعد عمر رضي الله عنه عامة أصحاب رسول الله ﷺ حتى بلغ من أمرهم أنه أمر مناديه فنادى بأن يحلقوا رؤوسهم فلم يحلقوا حتى دخل رسول الله ﷺ الخيمة فقال : يا أم سلمة ألا ترين أن الناس لا يحلقون فقالت : يا نبي الله بأبي وأمي أنت احلق أنت فلو رأوك قد حلقت لقد فعلوه ، فحلق رسول الله ﷺ فأخذ الناس يحلقون ،

ومنهم من قصر فقال : " اللهم اغفر للمحلقين ، قالوا : والمقصرين يا رسول الله قال : اللهم اغفر للمحلقين ، قالوا : [١/ ١٠٥/أ] والمقصرين يا رسول الله قال : اللهم اغفر للمحلقين[١] ، قالوا : والمقصرين يا رسول الله قال : والمقصرين قالوا : ظاهرت بالترحم والمغفرة للمحلقين؟ قال : لأنهم لم يشكوا .

فليس هذا شكا في أصل الفعل إنما الشك هنا[٢] ضيق الصدر بذلك الفعل احتاجوا إلى أن يحلقوا وهم في إحرام ولم يحلوا بعد لأن السبيل كان عندهم في الجاهلية وراثة أن لا يحل أحد من إحرامه دون الطواف بالبيت ، فلما أمرهم بالحلق استعظموا ذلك وضاقت صدورهم ثم اتبعوه وقصروا كأنهم على كراهة شديدة ، وهذا من خلق النفس وكزازتها فحرموا الدعوة للكزازة التي فيهم وركوب الهوى .

قال رسول الله ﷺ : " إني لن أخالف أمره [ولا يضيعني " فلا تعلم أنه أمرنا بالرجوع أمرًا ولكن عني بقوله " لن أخالف أمره "][٣] أي : لن أخالف لما استقبلني من وجه الأمر ومن توفيقه لما هو أحب إليه ، وذلك أن أهل مكة لما تلقوه ليردوه في جمعهم أخذ رسول الله ﷺ في أسفل مكة فلما بلغ الحديبية بركت ناقته فقال : الناس خلأت أي : حَرَنَتْ ، فقال : ما خلأت وما لها ذلك بخلق .

كأن معناه ، أي : هذه ناقة مسخرة لصاحبها وصاحبها ليس بمحرونٍ فإذا لم يحرن الذي سخرت له على ربه لم تحرن المسخرة فقال : ما خلأت ، ولكن حبسها حابس الفيل .

فعلم أن بروك الناقة ههنا ليس من الحرانة لأنه لم يحرن على ربه في أمره ، ولكن هذا شيء بديع قد اختار له ربه ما هوأحب إليه فنزل وعسكر هناك وانتظر ما يكون ثم وجه الرسل إلى أهل مكة واحدًا بعد آخر[٤] أني لم أجئكم لحرب وإنما جئت معظمًا للبيت ومعي هذا ، فعاهدوا الله أن لا يدخلها أبدًا أو نحاربك ما قدرنا ، ثم كان من

---

(١) لم يذكر في (ص) " اللهم اغفر للمحلقين " إلا مرة واحدة .

(٢) في (د) " ها هنا " .

(٣) ما بين المعقوفتين زيادة من (د) .

(٤) في (ص) " أخري " .

تلك الرسل عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وأتاه الخبر أن عثمان رضى الله عنه قد قتل فانتدب رسول الله ﷺ لحربهم ، وقال : لا برح حتى نناجزهم فدعا إلى البيعة تحت الشجرة فبايعوه فقال أصحابه بعد ذلك : نحن بايعنا رسول الله ﷺ على الموت ، وقال آخرون : ممن فهم الأمر : لم[1] نبايعه على الموت لكن بايعناه على أن لا نفر فأنزل الله تبارك اسمه : ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ [الفتح : ١٨] الآية [١/ ١٠٥/ب] فأوجب لهم رضاه وبشرهم بذلك ووعدهم النصرة والفتح .

وكان رسول الله ﷺ رأى في الطريق رؤيا أن يدخل المسجد الحرام مع أصحابه محلقين ومقصرين لا يخافون فأخبر بها أصحابه فلم يشكوا إلا أنها تفتح لهم ، فلما استقبلهم هذا الصلح شكوا في الرؤيا وساءت ظنون كثير منهم فقال الله تعالى : ﴿ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح : ٢٧] فصالحوا وانصرفوا فخرجوا إلى خيبر ففتحها الله عليهم فاستأصلوا اليهود وهم أحد الأعداء وغنموا الغنائم الكثيرة وتقووا بما غنموا وأخذوا العدة من الكراع والسلاح ، وبلغ المشركين ذلك فذلوا وانقصموا ، وعاد رسول الله ﷺ من العام المقبل فقضى عمرته وأخلوا له مكة من نسائهم وأولادهم حتى انصرف ثم عاد من العام المقبل لفتح مكة في عشرة آلاف رجل ، وكان ذلك العام الذي صدر عنه في تسعمائة[2] وكثر أصحابه لدخول الناس عليهم في دين الله وذلك للصلح الذي كان بينهم ، وما التقوا فوعظ بعضهم بعضًا وقرأ عليهم ما نزل .

فانظر إلى محاب الله ومختاره ، وإلى محاب الخلق ومختارهم ، فقد كان مختار الخلق أن يدخلوها عنوة فيقتلون ويُقتلون ، وقد كان لله فيها أولياء فاجتباهم واختارهم وسبقت لهم منه الحسنى ولم يجئ وقت إسلامهم بعد ، وفيهم أيضًا من قد أسلم من المستضعفين نساء وشيوخ وعجزة فلو دخلوها بقتال لأصابهم معرة الجيش فقال الله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ

(١) في (ص) " لن " .
(٢) في (د) " سبعمائة " .

أَن أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ﴾ [الفتح : ٢٤] وكانت طائفة من أهل مكة خرجوا عليه من وراء عسكره فهزمهم أصحاب رسول الله ﷺ وأخذوهم أسرى وأعتقهم رسول الله ﷺ فذلك قوله : ﴿ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ﴾ ثم قال : ﴿ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [الفتح : ٢٥]

فهؤلاء رجال مؤمنون ونساء مؤمنات [قد كانوا هناك مستضعفين في أيديهم فلو دخلتم للحرب [١/١٠٦/أ] لوطأتهم الخيل فهلكوا ، ولو تزيلوا أي : فارقوهم وزايلوهم ، لعذبنا الذين كفروا أي : نسلطكم عليهم بالحرب حتى تقتلهم ، ولكن هيأ الصلح وحبس الناقة فبركت فلما بركت قال رسول الله ﷺ : حبسها حابس الفيل لا تدعوني[1] قريش اليوم إلى خطة فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها ، وكان رجال مؤمنون ونساء مؤمنات][2] في أصلاب الآباء وأرحام الأمهات لم يخرجهم الله إلى دار الدنيا وكان في سابق علمه أنه سيخرجهم إلى مدة وأسماؤهم مكتوبة في اللوح المحفوظ بالسعادة من الله فلو دخلوها عنوة لهلك آباؤهم وأمهاتهم في الحرب ومعرة الجيش ، ﴿ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ ﴾ أي : لو زايلوا الأصلاب والأرحام ﴿ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ أي : الآباء والأمهات الكفرة وأنجينا هؤلاء الأطفال الذين هم في علمي أوليائي فهيأ الله الصلح بينهم حتى توالدوا وخرج من أصلابهم من يعبد الله وحده وتهيأ للمستضعفين حال نجاة وفتح الله مكة من العام الثالث عليهم وأظفره بهم ، ومن قبل فتح مكة سهل الله سبيله حتى جاء قاضيًا لعمرته في ذلك الشهر الذي كان جاء أول عام الحديبية فاعتمر وعاض المشركين في ذلك ، واقتص الله لنبيه ﷺ منهم كما ردوه وصدوه عن العمرة فأنزل الله : ﴿ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ﴾ [البقرة : ١٩٤]

ثم فتح الله عليه مكة من العام الثالث من الحديبية . وهو سنة ثمان من الهجرة . وكانت

---

(١) في (ص) " لا يدعوني " والمثبت الصواب .

(٢) سقط من (د) .

الحديبية سنة ست ، وقضاء العمرة في سنة سبع ، وافتتح مكة سنة ثمان من الهجرة ، فغص المسجد الحرام بأصحاب رسول الله ﷺ وكان في عشرة آلاف حتى لم تجد ناقته موضعًا تبرك فيه في المسجد الحرام حتى دنا من البيت فاحتملوه على أيدي الرجال فدعا بالمفتاح ففتح له فدخل البيت فصلى فيه ثم خرج فوقف على الباب فقال : الله أكبر الله أكبر الله أكبر[1] صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده .

فانظر إلى هذه الكلمات عظّم ربه وصغّر ما دونه بتعظيمه ، ثم قال : صدق الله وعده نشر عن ربه الجميل بأنه وفي له ، ثم قال : ونصر عبده رأى النصرة [١/١٠٦/ب] من عنده ورأى دوران الأمور به كيف ما دارت ، ونظر إلى تدبيره من لدن مبعثه وما لقي منهم من الأذى والضرب والشتم والمصائب ، وما حرم أقاربه وأرحامه من بركة ما جاء به ، وإلى ناس من وفاء[2] الناس غرباء كيف رزقوا ذلك واحدًا من الروم ، وواحدًا من الحبشة ، وآخر من فارس ، وواحدًا من الخيام ، وآخر من حضرموت وبلاد الشام ، وأبو طالب وأبو لهب وولد عمومته حاربوه وعادوه وأخرجوه من بلده الله ووطنه وبيت الله الحرام وغربوه وتواطئوا على قتله وطلبوه فلم يظفروا به .

وانظر إلى تدبير الله في الأنصار وبذلهم أنفسهم قال الله تعالى : ﴿ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴾ [الأنعام : ٨٩] ثم حروبهم ببدر وأحد وتلك العجائب التي كانت هناك مرة لهم ومرة عليهم إلى يوم الحديبية وصلحه ، وأنهم قد وضعوا الحرب فيما بينهم عشر سنين فضاق عمر رضي الله عنه بذلك يوم الحديبية ، ولا يعلم أن الله سيفتح لهم[3] مكة في العام الثالث من عامهم في أعز نصرٍ وأوفر جمع ، فحسن الظن وسوء الظن يتبين فرأى رسول الله ﷺ يومئذ جميل صنع الله فيه وفي أمرهم ، وقال الله أكبر صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده .

فلو شاء الله لبعث مع محمد ﷺ ملائكة معهم الشهب فيحرقوا ويدمروا على من

---

(١) تكرر في (د) لفظ " الله أكبر " مرتين .

(٢) هكذا استظهرت قراءتها بالمخطوط .

(٣) في (د) " عليهم " .

جحده ، ولكن تدبير الله في عباده على التؤدة والرفق بهم ليتسعوا مع تدبيره فإن الاتساع في أمره عبودة ، والضيق من الاستبداد وخلق النفس والعبودة الصادقة أن يدور مع تدبير الله في الأحوال كيف ما دارت الأحوال ، فهناك تكون عند الله راضيًا في أحوالك فيرضى[1] الله عنك وهو قوله : ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۞ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴾ [الفجر : ٢٧-٢٨] اطمأنت إلى الله وماتت شهواتها وذهب استبدادها فرضيت عن الله في أحوالها على اختلاف محبوبها ومكروهها فرضي الله عنها ، فلما تكلم على باب الكعبة بما تكلم ، قال لأهل مكة وهم حوله : ماذا تقولون [١/ ١٠٧/ أ] وماذا ترون من صاحبكم؟[2] قالوا : أخ كريم وابن أخ كريم قال : فإني أقول كما قال أخي يوسف : ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [يوسف : ٩٢] قال عمر رضي الله عنه : فانتضحت عرقًا من الحياء من قول رسول الله ﷺ ، وذلك أني كنت قلت لهم حين دخلنا مكة : اليوم ننتقم منكم ونفعل ونفعل ، فلما قال رسول الله ﷺ ما قال استحييت من قولي .

فهكذا يكون فعل الناظر إلى تدبير الله المعاين له رفق بهم وألان لهم القول وطيب نفوسهم لما رأي تدبير الله فيهم من قبل في تلك الأمور الماضية .

وأيضا قصة أخرى في شأن أبي جندل بن سهيل بن عمرو وكان مسلمًا في أيدي المشركين مقيدًا بمكة فلما جاء سهيل بن عمرو أبو ه يراجع رسول الله ﷺ في الصلح وهو بعض رؤسائهم أبرم الصلح وكتب الكتاب فجاء ابنه أبو جندل يرسف في قيوده قد انفلت من محبسه فقال : يا محمد[3] يا رسول الله إني مسلم في أيدي المشركين واستغاث برسول الله ﷺ وبالمسلمين فقام إليه أبو ه فضرب وجهه ورده ، وقال : يا محمد لقد نجزت القضية فيما بيننا فتركه رسول الله ﷺ في يده حتى رده فكاد المسلمون أن يفتتنوا في ذلك الأمر وأخذهم الغيظ الشديد ولم يقدروا على شيء للصلح ، وكان وقع الصلح بينهم على أنه من صار من المشركين إلى رسول الله ﷺ

---

(١) ٣في (د) " ليرضي " .

(٢) في (د) " وماذا ترون أني صانع بكم " .

(٣) تكرر في (د) " يا محمد يا محمد " .

مسلمًا أن يرد عليهم ، ومن صار من المسلمين إليهم مرتدًا لم يُطلب فأجابهم رسول الله ﷺ إلى ذلك ، فتحرك أصحابه في ذلك فقال رسول الله ﷺ : من جاءنا منهم مسلمًا فرددناه عليهم فإن الله جاعل له فرجًا ومخرجًا ، ومن صار إليهم مرتدًا فإلى النار فما نصنع بمن ارتد عن دين الله . فأنظر إلى حسن ظنه حيث قال : فإن الله جاعل له فرجًا ومخرجًا ، وكيف لا يحسن ظنه وقد أوحى الله إليه : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق : ٢-٣]

فالوحي قد نجع فيه [١/١٠٧/ب] وانكشف الغطاء عن قلبه حتى عاين حسن تدبير الله وصنائع ربه وعرفه بالمجد والكرم فذهب سهيل بن عمرو بابنه إلى مكة في قيوده ، فرجع رسول الله ﷺ إلى المدينة ففتح خيبر .

حتي قال عمر رضي الله عنه : كنت أماشي أبا جندل وهو في قيوده وهو إلى جنب أبيه وأهوى بمقبض سيفي نحوه أدنيه منه ، وأقول يا أبا جندل ليهن عليك فإنما دم أحدهم دم كلب وأدنى قائمة السيف منه رجاء أن يأخذ السيف فيضرب به أباه ، قال فضن(١) الرجل بأبيه ، وسهيل آخذ بتلابيبه يجره إلى المنزل ، وأبو جندل يصرخ يا معشر المسلمين أُرَدّ إلى المشركين فيفتنوني عن ديني فقال رسول الله ﷺ : اصبر واحتسب أبا جندل فإن الله جاعل لك وللمستضعفين فرجًا ، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحًا وإنا لن نغدر ، فلما رجع رسول الله ﷺ لم يلبث إلا يسيرًا حتى انفلت أبو جندل من قيوده ومر إلى ناحية البحر على طريق الشام فقعد هناك لأنه قد علم أنه إن صار إلى رسول الله ﷺ لم يجد بدًا من رده عليهم لما جرى بينهم في الصلح من ذلك فأقام هناك أيامًا فكان كل من سمع به من الشداد المنفلتين ممن هم في محابس المشركين لحق به حتى توافوا نحوا من سبعين رجلاً فقطعوا الطريق على المشركين عيرهم ، وأخذوا أموالهم وقتلوا وأضروا حتى بلغ من أمرهم وما تأذى بهم المشركون أن وجهوا إلى رسول الله ﷺ يسألونه أن يضمهم إلى نفسه كي يرتفع عنهم ضررهم ، ثم أسلم سهيل بن عمرو رضى الله عنه وقتل شهيدًا في خلافه عمر رضي الله عنه .

---

(١) في (ص) " فظن " وغير واضحة في (د) والمثبت من (ط) .

فأهل سعة الصدر عاشوا مع الله في دار الحبس والضيق عيش أهل الجنان ، وإنما نالوا ذلك كله بذلك النور الذي انشرحت به صدورهم فاتسعت لتدبير الله ، وإن الله تبارك اسمه دبر للعباد أمورًا ، فقد مرنت النفوس سلوك طريق ذلك التدبير وعرفوه ووطنوه ، ثم له تبارك اسمه في ذلك التدبير تدبير آخر مختصر فأهل الضيق يتحيرون ويضيقون ومن عاين الصنفين والتدبيرين لم يضق ، فإن لله في كل تدبير مشيئة [١/ ١٠٨/أ] إن شاء أمضاه وإن شاء أخره .

فالتدبير الذي قد وطنه الناس أن يكون بالولد من ذكر أو أنثى فاختص الله لعيسى عليه السلام تدبيرًا فحملت به مريم من غير ذكر فتحير فيه علماء ذلك الزمان وأحبارهم وهلك فيه العوام والسفهاء وأدركت مريم بعض تلك الحيرة فقالت : ﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ﴾ [آل عمران : ٤٧] فأبصرت وأذعنت لحكم ربها فاستوجبت بذلك أن أثنى عليها رب العالمين فقال : ﴿ وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا ﴾ [التحريم : ١٢] وقال : ﴿ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ﴾ [المائدة : ٧٥] فمن سماها الله في تنزيله صديقة هو البالغ في الصدق بشهادة الله له بذلك .

وكذلك فعل زكريا عليه السلام فيما بشر به من الولد بعد الكبر ، وكذلك رزق مريم عليهما السلام ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [آل عمران : ٧] أي بغير محسبة فقد علم الناس أرزاقهم من مظانها من السوق ومن الكدح ومن الكرم ومن الكيس ومن أيدي الخلق فرزقها على وجه التدبير المختص مما لم تمسه أيدي العالمين ، فأبصر رسول الله ﷺ التدبيرين ودخول أحدهما في الآخر وخفاء شأنهما فسأل التوفيق وسأل مع التوفيق أن لا يكون من نفسه إذا وفقه تلك ، وسأله إذا وفقه فلم يوافق شهوة نفسه أن لا تتلكأ نفسه ويحسن الظن به ، فقد يكون الرجل من أهل الغفلة يقول : اللهم اختر لي ووفقني فإذا وفقه هرب من مختار الله ودفع عن نفسه ذلك حلول ذاك به وعصي الله في الدفع عن نفسه فانظر أي جهل في هذا الآدمي .

وبلغنا أن موسى عليه السلام قال : يا رب أي عبادك أكثر ذنبًا قال : الذي يتهمني قال : ومن يتهمك يا رب قال : الذي يستخيرني في الأمور فإذا اخترت له لم يرض بقضائي وخيرتي .

وأيضًا قصة أخرى في شأن بدر وعدهم الله تعالى إحدى الطائفتين أنها لهم الظفر بالعير أو الظفر بالعدو الذي انتدب من مكة وهم رؤساء الكفر وصناديد قريش ، وكان محاب الله في ذلك أن يظفروا بالعدو فيقتلهم على أيديهم ويقطع دابرهم ، ومحابهم الظفر بالعير [١/١٠٨/ب]ليقووا به وينكثوا فيهم فقال في تنزيله : ﴿ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [الأنفال : ٧]

ومثل ما جاء عن رسول الله ﷺ أنه كان يخطب على المنبر فدخل رجل فقال : يا رسول الله جئت امرءاً لا أعقل شيئًا من أمر الإسلام فنزل رسول الله ﷺ عن منبره وترك خطبته ووضع كرسي فجلس عليه فعلّمه .

فمثل هذا كثير كثير من أن نحصيه فكان يدعو " اللهم خر لي واختر لي من الأمور الخير ومن الخير مختارك فاختر لي " .

ومثل ما جاء أنه أمر بقتال أهل سبأ فنزلت قصتهم : ﴿ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾ [سبإ : ١٥] فبعث على أثر ذلك الرجل الذي أمره بقتالهم فرده وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام ويكف لما رأي من جميل نظر الله لهم ورفقه بهم فعلم محاب الله فيهم ، فكان في الظاهر أنه يقاتلهم كما يقاتل سائر الخلق على إقامة الكلمة العليا فلما ظهر محاب الله فيهم كف عنهم ، وكان(١) سبأ أبو الأنصار وعمران(٢) بن عامر أبو الأنصار من ولد سبأ تحول إلى المدينة حين أتاهم العذاب قبل ذلك .

---

(١) في (د) " كانت " .

(٢) في (د) " عمرو" .

الأصل السابع والستون

٣٨٩. **حدثنا** حميد بن الربيع اللخمى قال : حدثنا محمد بن بشر العبدى قال : حدثنا عبد الله بن الأسود الحارثى عن حصين بن عمرو الأحمسي عن مخارق بن عبد الله عن طارق بن شهاب عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " من غش العرب لم يدخل في شفاعتي ولم تنله مودتي " .

٣٩٠. **حدثنا** إسماعيل بن نصر قال : حدثنا محمد بن بشر قال : حدثنا عبد الله بن الأسود الحارثى عن حصين بن عمرو عن مخارق بن عبد الله عن جابر رجل من الأحمس عن طارق بن شهاب عن عثمان بن عفان رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ بمثله .

٣٩١. **حدثنا** أبى رحمه الله قال : حدثنا الحمانى قال : حدثنا حصين بن عمرو الأحمسى عن مخارق بن عبد الله عن طارق بن شهاب عن عثمان بن عفان رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ بمثله .

فغش العرب [١/١٠٩/أ] أن يصدهم عن سبيل الهدى ويحملهم على أمور يبعدوا بها عن الرسول الله ﷺ ومن فعل ذلك فقد قطع الرحم فيما بينهم وبينه ، فمن كان سببًا لذلك حرم شفاعته ومودته .

ومن غِشهم أيضًا أن يحسدهم على ما آتاهم الله من فضله ويضع رفعتهم ويُحقر شأنهم ومتبوعهم بسائر الناس ، ومن فعل ذلك فقد سفه الحق وغمط الناس ، وذلك عين الكبر ووضع ما رفعه الله وغمز فضل الله يجهله ويأبي الله أن يكون معمورًا فضله عليهم .

قال أبو عبد الله(١) :

فالأخبار قد أتت بفضلهم .

٣٩٢. **حدثنا** أبى رحمه الله قال : حدثنا الحمانى [عن حصين الأحمسي](٢) عن عباية بن ربعى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : " إن الله عز وجل

---

(١) سقط من (د) .

(٢) ما بين المعقوفين سقط من (ص) ، .

قسم الخلق نصفين فجعلني في خيرهما قسمًا ، فذلك قوله : ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴾ [الواقعة : ٢٧] ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴾ [الواقعة : ٤١][(١)] فأنا من أصحاب اليمين ، وأنا خير أصحاب اليمين ، ثم جعل القسمين أثلاثًا فجعلني في خيرهم ثلثًا فذلك قوله : ﴿ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۞ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۞ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴾ [الواقعة : ٨-١٠] فأنا من السابقين وأنا خير السابقين ، ثم جعل الأثلاث قبائل فجعلني في خير قبيلة فذلك قوله : ﴿ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ ﴾ [الحجرات : ١٣] فأنا أتقى ولد آدم وأكرمهم على الله ولا فخر ، ثم جعل القبائل بيوتًا فجعلني في خيرها بيتًا فذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٣٣] " .

٣٩٣ـ **حدثنا** محمد بن حسن الزعفراني قال : حدثنا عبد الله بن بكر السهمي أبو وهب قال : حدثنا يزيد بن عوانه عن محمد بن محمد بن عقبة بن ذكوان . قال أبو وهب السهمي : لا أحسب محمدًا إلا وقد حدثني به . عن عمرو بن دينار عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : " بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ مرت بنا امرأة من بنات رسول الله ﷺ فقال بعض القوم : هذه ابنة رسول الله ﷺ ، فقال أبو سفيان : إنما مثل محمد ﷺ في بني هاشم كالريحانة بين النتن فسمعت المرأة فدخلت على رسول الله ﷺ فذكرته له ، فخرج ولا أراه إلا مغضبًا فصعد المنبر فقال : ما بال أقوال تبلغني عن أقوام ، إن الله خلق سبع سموات فاختار العليا فسكنها [١/ ١٠٩/ ب] وأسكن سمواته من شاء من خلقه ، وخلق سبع أرضين فاختار العليا فأسكنها خلقه ، ثم اختار خلقه فاختار بني آدم ، ثم اختار بني آدم فاختار العرب ، ثم اختار العرب فاختار مضر ، ثم اختار مضر فاختار قريشًا ، ثم اختار قريشًا فاختار بني هاشم ، ثم اختار بني هاشم فاختارني ، فلم أزل خيارًا من خيار ألا فمن أحب العرب فبحبي أحبهم ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم .

٣٩٤ـ **حدثنا** الفضل بن محمد قال : حدثنا يزيد بن سعيد الإسكندراني عن محمد بن عياض ابن منذر الأنصاري عن جعفر بن محمد عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : " أتاني جبريل عليه السلام فقال : يا محمد إن الله بعثني فطفت شرق الأرض وغربها وسهلها

---

(١) في الأصلين " وأصحاب اليمن وأصحاب الشمال " .

وجبلها فلم أجد حيًّا خيرًا من العرب ، ثم أمرني فطفت في العرب فلم أجد حيًّا خيرًا من مضر ، ثم أمرني فطفت في مضر فلم أجد حيًّا خيرًا من كنانة ، ثم أمرني فطفت في كنانة فلم أجد حيًّا خيرًا من قريش ، ثم أمرني فطفت في قريش فلم أجد حيًّا خيرًا من بني هاشم ، ثم أمرني أن أختار من أنفسهم فلم أجد فيهم نفسًا خيرًا من نفسك " .

قال أبو عبد الله[1] :

فإنما ذكر النفس لأن الأخلاق هي في النفس حسنها وسيئها فهذا يدل على ما قلنا أنه إنما طاف في هذا الخلق يطلب النفوس الطاهرة الصافية الزاكية بمحاسن الأخلاق فمن أجل ذلك اختارهم فلم ينظر إلى أعمالهم فإنهم كانوا أهل جاهلية ، إنما ينظر إلى أخلاقهم فوجد الخير في هؤلاء وجواهر النفوس متفاوتة بعيدة التفاوت وذلك أن الله تعالى خلق آدم عليه السلام من قبضة .

٣٩٥ـ حدثنا بذلك يحيى بن أبي حبيب عن عربي قال : حدثنا بشر بن الفضل عن عوف عن قسامة بن زهير قال : حدثنا الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " إن الله عز وجل خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض جاء منهم الأحمر والأسود والأبيض وبين ذلك والسهل والحزن والخبيث والطيب " .

قال أبو عبد الله[2] :

فالتربة الطيبة نفوسها سهلة كريمة وليس فيها كزازة ولا يبوسة ولا شعوثة فهم أحرار كرام ولدتهم أمهاتهم أحرارًا كرامًا من رق [١/ ١١٠/ أ] النفوس وشهواتها [وآخرون كانت الحزونة في تربتهم فجاءت الكزازة والشعوثة والصعوبة ولدتهم أمهاتهم عبيدًا قد ملكهم رق نفوسهم بشهواتها][3] .

وهو قول عيسى عليه السلام فيما يعظ به بني إسرائيل فقال : " لا عبيد أتقياء ولا أحرار كرماء " .

معناه أي : ليس أنت من العبيد الذي تجاهد نفسك وتتقي الله ، ولا من الأحرار

---

(١) سقط من (د) .

(٢) سقط من (د) .

(٣) ما بين المعقوفين سقط من (د) .

الذين نجوا من رق النفوس فساروا إلى الله سير الكرام بلا تعريج ولا تردد ، فالبخل والضيق والحدة والعجلة والحقد والحرص وما أشبهه من كزازة النفس ، والجود والسماحة والسعة واللين والتؤدة والتأني والرفق من سهولة النفس وطيبها فنفوس العرب بارزة أخلاقها لا ينكرها إلا معاند ولا يجحدها إلا مارد إنها أخلاق الكرام فبهذا فضلوا لا باللسان العربي والله تعالى يحب معالي الأخلاق(١) ويبغض مدانيها .

ومما يحقق ذلك ما روي عن رسول الله ﷺ في يوم بدر أنه سمع رجلاً يقول بعد ما انصرفوا من بدر : " إنما قتلنا عجائز صلعًا " فأنكر ذلك رسول الله ﷺ وقال : مه أولئك الملأ من قريش لو نظرت إلى فعالهم لاحتقرت فعالك عند فعالهم لولا أن تطغى قريش لأخبرتها بما لها عند الله اللهم إنك أذقت أولهم نكالاً فأذق آخرها نوالاً .

فالعرب بالأخلاق شرفوا وإلا فالشجرة واحدة وهو خليل الرحمن .

ومما يدلك على ذلك دعوة إبراهيم خليل الرحمن حيث رفع القواعد من البيت وأتم بناءه فقال : ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ ﴾ [البقرة : ١٢٨] ثم قال : ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾ [البقرة : ١٢٨] فإنما سأل من ذرية إسماعيل عليه السلام خاصة ألا ترى أنه قال على أثر ذلك : ﴿ وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ [البقرة : ١٢٩] يعني محمدًا ﷺ فالإسلام هو تسليم النفس وبذلها والجود بها ، ومن جاد بنفسه على الله فلا أحد أحسن خلقًا منه ولا أكرم منه فليس الشأن في الجود بالمال [إنما](٢) الشأن في الجود بالنفس حتى تسلمه إلى خالقه فجرت هذه الدعوة في ولد إسماعيل عليه السلام خاصة أن صيرهم أمة مسلمة له فوهب لهم أخلاق الكرام حتى تكرمت نفوسهم على الله نزلًا(٣) حين جاءهم الرسول ﷺ ، ومن قبل [١/ ١١٠/ ب] مجيء الرسول ﷺ كانت تلك الأخلاق ظاهرة فيهم فلما جاءهم الرسول ﷺ وجدهم

---

(١) في (د) " الأمور " .

(٢) ما بين المعقوفين سقط من (ص) ، .

(٣) في (ص) " بدلا " .

مهذبين كرامًا فصاروا صدِّيقين وأبرارا وأتقياء وحكماء وعلماء بالله باذلين مهجهم(١) لله وأموالهم والسيوف على عواتقهم والحجر على بطونهم من الجوع وينصرون الله ورسوله ، وبنو إسرائيل قالوا لموسى عليه السلام : ﴿ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴾ [المائدة : ٢٤] وقيل لأمة محمد ﷺ : ﴿ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران : ١٧٣] .

فكانت تلك منهم كلمة صدق من قلوبهم فحكي الله عنهم في تنزيله وأثني عليهم بذلك فصار قولهم ههنا كقول أبيهم حيث ألقي في النار فقال : " حسبي الله ونعم الوكيل " فهل يمكن ظهور هذا إلا ممن حسن خلقه فجاد بنفسه على الله ، وإنما قال هذا أصحاب محمد ﷺ يوم أحد بعد ما انهزموا وأصابتهم جراحات وقتل من قتل منهم وانصرف عسكر المشركين فنزلوا مكانًا وتآمروا فيما بينهم أن يجمعوا جمعًا فيكروا عليهم ودسوا(٢) إلى أصحاب رسول الله ﷺ هذا الخبر ليفزعوهم فانتدب رسول الله ﷺ في أصحابه(٣) وفيهم من الجراحة(٤) غير قليلة يمضون إلى جمعهم وفيهم مشاة حتى أن الرجل ليغشى عليه في الطريق من كثرة ما يسيل من الدم من جراحاته فيحمله صاحبه يسيرون بمثل هذا الحالة إلى العدو ﴿ وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ فوجدوا العدو قد تفرقوا وذهبوا قال الله تبارك اسمه : ﴿ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران : ١٧٤] ولم يقل رضاء الله ، يعلمك أنهم الرضوان فإنه أكثر من الرضا وهو غاية الرضاء .

قال أبو عبدالله(٥) :

فنهاية العرب إلى إسماعيل صلوات الله عليه والشجرة واحدة وهو إبراهيم ﷺ وهو خليل الرحمن ولسانه عبراني وإنما هما غصنان لهذه الشجرة إسماعيل وإسحاق

---

(١) هكذا استظهرت قراءتها في الأصلين .

(٢) في (ص) " ووتبوا " .

(٣) في (ص) " أصحابهم " وسقطت من (د) ، والمثبت الصواب لمناسبة السياق .

(٤) في (ص) " الجراعة " .

(٥) سقط من (د) .

عليهما السلام وإسماعيل عربي اللسان ، وإسحاق عبراني اللسان ، وإسماعيل أبو العرب ، وإسحاق أبو العبرانيين وهم بنو إسرائيل نسبوا إلى يعقوب عليه السلام إسرائيل الله ابن إسحاق بن إبراهيم خليل الله ، ولكل واحد من الغصنين حظ من الله وفضيلة وكرامة وموهبة فذهب [١/ ١١١/أ] الغصنان بحظهما من الله وبموهبته ، فصارت وراثة في أولادهما إلى الأبد ، وذهب إسماعيل بفضيلته وموهبته وذهب إسحاق بفضيلته وموهبته فظهر في ولد إسحاق من تلك الموهبة والكرامة الجهد والعبادة ، وظهر في ولد إسماعيل الأخلاق والسماحة والشجاعة ، والموهبة إنما تكون على قدر الحظ والجاه له عنده على قدر ذلك فنظرنا إلى موهبه كل واحد منهما ومن أية خزانة أعطي ليستدل به على حظيهما منه .

٣٩٦. **حدثنا** محمد بن على الحكيم[١] قال :

فوجدنا الجهد والعبادة من خزائن الحكمة ، والأخلاق من خزائن المنة فنظرنا إلى الحكمة والمنة من أين بدت كل واحدة منهما ، فوجدنا الحكمة من العدل بدت والعدل من الربوبية والربوبية من الملك والقدرة ، ووجدنا المنة إنما بدت من العطف والعطف من الفضل والفضل من الجمال ، فمن الملك بدا الغضب [فأسعرت][٢] فاستجرت النار فاسودت من غضبه فهي سوداء مظلمة مشحونة بغضبه ، ومن جماله بدت الرحمة وظهر الفضل والعطف حتى اهتزت الجنان وتوردت واستنارت بنوره فهي بيضاء نورانية مشحونة[٣] برحمته وروحه وإنما هي نظرة وجفوة ، فأهل الثواب سعدوا منه بنظرة واحدة ، وأهل العقاب شقوا منه بجفوة واحدة ففهمنا بمبلغ ما علمنا من ظاهر ما عليهما وعلى أولادهما من بعدهما ما بطن من حظيهما وموهبتيهما ، وإنما كثر ولد إسحاق وظهروا في وقت موسى عليه السلام حيث أنقذهم من بلية فرعون وسُخرته وجاء بالكتب من الله وظهرت العبودة لله إلى وقت عيسى صلوات الله عليه ثم صارت فترة فظهرت منازلهم ودرجاتهم

---

(١) كذا في (ص) وسقط من (د) .

(٢) ما بين المعقوفين سقط من (د) .

(٣) في (ص) " مشحونته " .

وجواهر نفوسهم بما عاملهم الله وبما عاملوه ، وكثر ولد إسماعيل وظهر شأنهم بمبعث محمد ﷺ ، وظهرت سيرتهم في دينهم وما عاملهم الله به وما عاملوه ، فتبين لنا بفعليهما شأن نفوسهم ومحلهم من الله تبارك اسمه وحظوظهم منه .

٣٩٧ـ حدثنا المعتمر بن سليمان عن نهاس بن قهم عن مكحول رضي الله عنه قال : لما كثر بنو معد أغار منهم أربعون فارسًا عليهم أدراع [١/ ١١١/ ب] الصوف خاطمي عليهم بالليف معلني رماحهم ومعقبيها فاغاروا على عسكر بني إسرائيل فيهم موسى وهارون عليهما السلام قال : فملئوا أيديهم من الغنيمة ورجعوا بغنيمتهم لم يستنقذ مما في أيديهم شيء ، فقالوا لموسى عليه السلام : أغار علينا بنو معد وهم قليل فكيف لو كانوا كثيرا وأنتم بيننا فكيف لو لم تكونوا فينا فادع الله عليهم وكانت الأنبياء صلوات الله عليهم تقرعوا(١) إلى الصلاة فصلى فقال : اللهم إن بني معد أغاروا على قومي ففعلوا وفعلوا وإن قومي أمروني أن أدعو عليهم فقيل له : لا تدع عليهم فإنهم عبادي ، وإنهم ينتهون إلى أداء أمري وإني أغفر لهم أول ما يستغفروني قال : يا رب فاجعلهم من أمتي قال : نبيهم منهم قال : يا رب فاجعلني منهم قال : استقدمت واستأخروا .

ولذلك ما جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال في حديث المعراج : فلما جاوزت موسى عليه السلام في السماء السادسة بكى موسى وقال : يزعم بنو إسرائيل أني أكرم ولد آدم على الله وهذا عبد أكرم على الله مني فلو كان إليه وحده هان ولكن الله قضى أن مع كل نبي تبعه من أمته ثم انطلق بي إلى السماء السابعة فإذا إبراهيم عليه السلام ملزق ظهره بالبيت المعمور ومعه تبعه من أمته فقال لي جبرئيل : هذه منزلتك ومنزلة أمتك وهذا أبو ك إبراهيم عليه السلام ، فقال : ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا ۗ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران : ٦٨]

فألحق هذه الأمة بإبراهيم عليه السلام وضمهم في الولاية جميعًا ولم يدخل فيه بنو إسرائيل وهم ولد إبراهيم أيضا ، فقد بين في هذا الحديث منزلتيهما ودرجتيهما وإنما أرى في السماء الأنبياء عليهم السلام وأتباعهم على درجاتهم وإبراهيم عليه السلام

(١) في (د) " تفزع " .

المقدم عليهم ووصفهم الله في تنزيله شأن الأمتين فوجدنا شأن بني إسرائيل يجري على سبيل العدل وأساس الربوبية ، وشأن في هذه الأمة يجري على سبيل الفضل والألوهية فظهرت في بني إسرائيل السياحة والرهبانية وعليهم في شريعتهم إلى الأغلال والآصار ، وظهرت في هذه الأمة السماحة والصديقية والشجاعة والولاية وسيوف الله في أيديهم يقتلون أباق عبيده ويردونهم إلى لله للرق والعبودة وفك عنهم الأغلال [١/ ١١٢/أ] ووضع عنهم الإصار وصاروا في حد الأمناء وجعلت شريعتهم أسمح الشرائع وأوسعها فهم في عبودتهم في صورة الخدم وبنوإسرائيل في عبودتهم في صورة عبيد الغلة ألا ترى أنه لما خاطبهم قال : ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴾ [البقرة : ٤٠] كما يقول الرجل لعبده أوف لي بهذه الغلة عند هلال كل شهر أوف لك بالعتق في سنة كذا ، ثم قال لهذه الأمة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ فدعاهم بالكنية كنية باطنها منة وظاهرها مدحة منّ عليهم في الباطن بالإيمان ثم نسب ذلك إلى فعلهم فقال : ﴿ ءَامَنُواْ ﴾ فمدحهم بذلك فبهذه[١] الكنية دعاهم ودعا أولئك فنسبهم إلى أبيهم فقال ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [البقرة : ٤٧] أي : عالمي زمانكم ولكل زمان عالم .

وقال لهذه الأمة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [الحج : ٧٧] الآية ثم قال : ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ ﴾ [الحج : ٧٨] ثم قال : ﴿ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ ﴾ أي : اختاركم ثم قال : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ ﴾ أي : ضيق ﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ ﴾ ، ثم قال : ﴿ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ ﴾ ﴿ وَفِي هَٰذَا ﴾ أي : من قبل أن يخلقكم في اللوح المحفوظ ، ثم سماكم هكذا لتكونوا شهداء على الناس فهم شهداء الله للأنبياء على الأمم يوم القيامة ويكون الرسول عليكم شهيدًا واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير .

فانظر إلى مخاطبة بني إسرائيل في أي صورة ذلك الأمر ، وانظر إلى مخاطبة هذه الأمة في أي صورة ذلك يتبين لك أنهم في صورة عبيد الغلة ، وهذه الأمة في صورة

(١) في (د) " فبذلك " .

عبيد الخدمة ، وعبيد الخدمة أولى بالسيد من عبيد الغلة ، فساحت بنو إسرائيل بأبدانهم إلى الجبال في مفاوز الدنيا عزلة بالأبدان من الخلق كي يصدقوا الله في طلب ما عهد لهم ويوفوا بعهد الله عليهم .

وساحت أمة محمد ﷺ بقلوبهم في مفاوز الملكوت إلى خالق العرش [عزلة بالقلوب عن همم النفوس كي يصدقوا الله في طلبه والوصول إليه][1] .

فإن الله تبارك وتعالى دعا الخلق إليه فلما علم تلكؤ نفوسهم وتباطئهم في إجابته دعاهم إلى دار السلام لتستريح نفوسهم ويخف في الإجابة فقد وصفها لهم وعلموا [١/ ١١٢/ ب] أنها دار الشهوات وقضي الأماني فقال فيما مضي من قوله إلي إلي يا أهل الموت والقتال لا إلى غيري فإني قضيت بالرحمة على نفسي وأوجبت المغفرة لمن استغفرني فأنا العفو أو عفوا عن صغير الذنوب وكبيرها ولا أبالي ، وقال في تنزيله علينا : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال : ٢٤] وقال ﴿ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ [الشورى : ٤٧] فلما أبطأت النفوس في الإجابة قال : ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ [يونس : ٢٥] كي تستحيوا مني إذا لقيتموني وانكشف الغطاء عن هذه المعاملة فأهل الالتفات إلى الثواب والعقاب في هذا الحياة من القرن إلى القدم بين يديه غدًا لأن نفوسهم لم تفتح بالعبودة لربها إلا بالاسترواح إلى الثواب والرهب من العقاب فهذه عبودة برشوة وعديون وليس هذا عبودة الأنبياء ولا الصديقين ولا أولياء الرحمن ، هذه عبودة عبيد النفوس وعبيد الشهوات المخلطين سيئاتهم بحسناتهم وفي حشو أعمالهم الظاهرة من العجائب ما لوبليت السرائر وحصل ما في الصدور يوم انكشاف الغطاء لهم ربوا من أعمالهم وتركوها بمكانها حياء من الله فجعل حظوظ بني إسرائيل على قلوبهم في الدنيا حقوقه وعهده وفي الآخرة جنانه ثوابًا لرعاية حقوقه والوفاء بعهده وحظوظ هذه الأمة على قلوبهم في دار الدنيا جلاله وعظمته وسلطانه ومنصرفه الآيه وفضله ورحمته وفي الآخرة رفع الحجاب فيما بينه وبينهم وقدمهم في الدنيا خروجا وأخرنا وقدمنا في الجنة دخولاً وأخرهم .

---

(١) ما بين المعقوفين سقط من (د) .

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : " الجنة محرمة على الأنبياء حتي أدخلها ، وعلى الأمم حتي تدخلها أمتي " .

فبهذه الأمة فتح العبودة يوم الميثاق وبهذه الأمة يفتح باب الرحمة فيدخلون داره ، ثم ظهرت من معاملة بني إسرائيل ربهم ومن معاملة هذه الأمة ربها ما دلت على نفوسهم وأخلاقهم ومحلهم من المكارم [١/ ١١٣/أ] التي أعطي والمواهب .

وكانت مكرمة إسماعيل بيت الله الذي خلقه قبل خلق السموات والأرض فكانت زبدة بيضاء ، إذ عرشه على الماء فبوأ(١) لذكره هناك وخلق ملكين يسبحانه ويقدسانه على الزبدة فابيضت فهناك مظهره ومعلمه ومبوأ(٢) ذكره وموضع تقديسه ولا سماء ولا أرض ولا خلق فولاه الله رفع قواعده مع أبيه دون إسحاق وجعل حجابته بيد ولده فهم محجبون ومؤذنون وأنبط له زمزم سقيا له ولولده من بعده ولجميع من أم البيت معظمًا وساق إليه عينا من عيون الجنة ففتح فيه ينبوعًا وجعله مهبط رحمة في كل يوم ، ومنه تنشر على أهل الدنيا فيخص منها أهلها بمائة رحمة وعشرين لأهل الدنيا .

ومكرمة إسحاق الصخرة التي يجمع الخلق ويحاسبهم وهي صخرة من الجنة عليها الأرضون السبعة وهي رأس تلك الصخرة ، وأما المعاملة فإنه لما جاءت المحنات من الله لهما في وقتيهما برز ما في نفوسهم وبرز ما لهم من الحظ في الغيب عنده بالمحبة(٣) فإن السيد إذا كان له عبيد فإنما يبين حظوظ العبيد منه بمعاملته إياهم ويتبين جواهر نفوسهم بمعاملتهم إياه فإنما كثر ولده في زمن يوسف عليه السلام بمصر بعد ما حاز الله ليوسف عليه السلام مدائن مصر وأسكنه إياها وجعل بيده خزائنها ودخلها إسرائيل وهو يعقوب عليه السلام في ستة وتسعين نفسًا من ولده وولد ولده ونسلهم فأنمى الله عددهم وبارك في ذريته حتي خرجوا إلى البحر يوم غرق فرعون وهم ستمائة ألف من المقاتلة سوي الشيوخ والذرية والنساء وجاوز عددهم ألف ألف فقال الله تبارك وتعالى يحكي عنهم : ﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن

---

(١) هكذا استظهرت قراءتها بالأصلين .

(٢) هكذا استظهرت قراءتها بالأصلين .

(٣) في (د) " المحنة " .

قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًاۚ ﴾ [غافر : ٣٤] فهذا فعلهم بعد أن صيرهم ملوك مصر وأربابها فغير الله بهم فصاروا [١/ ١١٣/ب] سخرة لآل فرعون يخدمونهم خدمة العبيد والإماء رجالهم ونسائهم ومن عجز عن الخدمة لسنة وضع عليه الغلة فاستودي مساء كل يوم فإن أعطي وإلا غلت يمينه فكانوا في عذاب وبلاء وقتل أبناءهم وكل مولود يولد فيهم خوفًا من روياه أنه يولد منهم مولود يكون هلاك ملكه على يديه فبعث الله موسي ورحمهم به فقال في تنزيله ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴾ [القصص : ٥-٦] فجعلهم كذلك ووفى لهم بما وعدهم وأنزل فيهم الكتب وبعث فيهم الرسل والأنبياء وجعلهم أهل ديانة وعبادة وجهد وعهود ومواثيق .

وأما ولد إسماعيل فجعل فيهم السخاء وأولي الأخلاق والمكارم ومنحهم من خزائنه تلك الأخلاق الطاهرة التي عيش أهلها عيش أهل الجنة فإن صاحب الأخلاق قلبه في راحة لأن نفسه طيبة غنية كريمة وصاحب الضيق قلبه معذب لأن نفسه شكسة كزة يابسة فقيرة فتفاوت وبان بونا بعيدًا قلب مستريح وقلب معذب هذا من قبل أن تأتيهم الهداية فلما جاءت الهداية والغياث من الله ورد على قلوب بني إسرائيل نور التوحيد وروحه وتركوا مع مجاهدة نفس كزة يابسة فقيرة ، وورد على قلوب هذه الأمة مؤيدة بالتوحيد مستريحة بروح اليقين وهو قوله تعالى ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ ﴾ [آل عمران : ٧٣] أي : لن يوتي أحد مثل ما أوتيتم ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [آل عمران : ٧٣] قد علم من هو أهل لذلك كما قال : ﴿ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَاۚ ﴾ أي : أهلًا لكلمة لا إله إلا الله وهي أعلى كلمة فيما بين العرش والثري ، ثم قال : ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ ﴾ [آل عمران : ٧٤] أي : قد اختصكم يا أمة محمد بالرحمة فبذلك قلتم ، وقال رسول الله [١/ ١١٤/ أ] ﷺ " ما أعطيت أمة من اليقين ما أعطيت أمتي ومثل من أعطي اليقين وفضل به ومن حرم ذلك كمثل شجرة لها غصنان والسقيا واحد فلما جرى الماء إلى أحد الغصنين تحولت طيبًا بمشيئة الله ، وجري في الغصن الأخر فتحولت ثمارًا " فمن الثمار حلو وحامض ومدخول وعفن ومر فمنه ما ينتفع به ومنه ما ينقي فيرمى به والطيب يطيب

به كل شيء من المأكول والمشروب والمنكوح وإذا ذهب الطيب نتن فذهبت لذته وتنغص طعمه على طاعمه لرائحته فوجدنا هذه الأمة نفوسها طيبة كما ذكرناه بدءًا وأيدت بروح اليقين فخرجت الأعمال زاكية طيبة فيها الهناة والمرآة بها يهنأ الحق ويستمر بها ولم يوجد فيمن سواهم ، هذا فضل الله يؤتيه من يشاء .

قال له قائل : ما روح اليقين ؟ : قال : برد القربة من الرحمة والعطف فراحت بها من ثورة النفس وحرارتها وليس فيما قلت شفاء لأنك لم تصل إليه ، والشفاء لمن وصل فاحتظى منه وذلك أن النفس خرجت من هوي المخلوقين إلى هوي القربة فكل الطيب هناك فأنقذ الله بني إسرائيل من ملكة فرعون وعذابه وسخرته بمبعث موسي صلوات الله عليه وغرق فرعون وجعل لهم طريقًا في البحر يبسًا فلما جاوزوه قالوا : يا موسي إن قلوبنا لا تطمئن أن فرعون قد غرق ؟ حتي أمر الله البحر فلفظه فنظروا إليه فلما اطمأنوا وبعثوا من طريق البر إلى مدائن فرعون حتى نقلوا كنوزه وغرقوا في النعمة رأوا أقوامًا يعكفون على أصنام فقالوا : يا موسي اجعل لنا إلهًا كما لهم ألهة ؟ حتي زجرهم موسي وقال : ﴿ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف : ١٤٠] أي : عالمي زمانهم ، ثم أمرهم أن يسيروا في الأرض المقدسة التى كانت مساكن أبائهم ويتطهروا من أرض فرعون وكانت الأرض المقدسة في أيدي الجبابرة قد غلبوا عليها فاحتاجوا إلى دفعهم عنها بالقتال فقالوا له : أتريد أن تجعلنا لحمة للجبارين فلو أنك تركتنا في أيدي فرعون كان خيرًا لنا قال : يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم قالوا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب [١/ ١١٤/ ب] أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون حتى دعا عليهم وسماهم فاسقين فبقوا في التيه أربعين سنة عقوبة ثم رحمهم فمن عليهم بالسلوي وبالغمام تظلهم والحجر تتفجر منه اثنتا عشرة عينًا إذا ضربه بعصاه فقالوا : لو أن عصاة موسي انكسر لمتنا عطشًا قال : فأوحي إلى موسي إذا كان وقت الماء فكلم الحجر ولا تضربه بالعصا حتي تتفجر العيون بكلمتك ، ثم صار موسي إلى طور سيناء ليجيئهم بالتوراة فاتخذوا العجل وقال لهم السامري : ﴿ هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ ﴾ فاطمأنوا إلى قوله ونهاهم هارون فقال : ﴿ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَٰنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ۞ قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴾ [طه : ٩٠-٩١] فلم يتبع هارون ولم

يطعه في ترك العجل إلا اثني عشر ألفًا فيما روي في الخبر وتهافت في عبادته سائرهم وهم أكثر من ألفي ألف ، فلما رجع موسي عليه السلام ألقي الألواح فرفع من التوراة ستة أجزاء وبقي جزء واحد وهو الحلال والحرام وما يحتاجون إليه ، وأحرق العجل وذراه في البحر فشربوا من مائه حبًّا للعجل فظهرت على شفاههم صفرة وورمت بطونهم فتابوا فلم يقبل توبتهم دون أن يقتلوا أنفسهم فذلك قوله تعالى : ﴿ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ﴾ [البقرة : ٥٤] فقاموا بالخناجر والسيوف [بعضهم علي بعض][(١)] من لدن طلوع الشمس إلى ارتفاع الضحي وقتل بعضهم بعضًا يسأل والد عن ولده [ولا والد عن ولده][(٢)] ، ولا أخ عن أخيه ولا أحد عن أحد كل من استقبله أحد ضربه بالسيف وضربه الأخر بمثله حتي عج موسي عليه السلام إلى الله صارخًا يا رباه قد أفنيت بني إسرائيل فرحمهم وجاد عليهم بفضله فقبل توبة من بقي وجعل من قتل في الشهداء ثم قالوا : ﴿ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ﴾ [النساء : ١٥٣] فجاءت صاعقة وأحرقت من جمعهم أربعين ألفًا فيما جاءنا في الخبر ثم عرض عليهم ما في التوراة ليقبلوها فأبوا ، ثم قالوا لا نطيق هذا فشق الله عليهم الجبل ونودوا منها ﴿ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ ﴾ [البقرة : ٦٣] وإلا نشناكم بالجبل فسجدوا على حروف وجوههم[(٣)] ينظرون إلى الجبل ويقولون قبلنا قبلنا ثم قيل لهم قد وصلتم إلى بيت المقدس ﴿ وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ ﴾ [البقرة : ٥٨] أي : حُط عنا بمنزلة . قوله : استغفروا الله فقالوا حنطة سخرية واستخفافًا [١/ ١١٥/ أ] بما أعطوا قال الله تبارك وتعالى : ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ ﴾ [البقرة : ٥٩] فجاء في الخبر " أنهم أمروا أن يدخلوا الباب سجدًا على ركبهم هكذا حتي يدخلوا فعلم الله منهم ضيق أخلاقهم وأنهم لن يدخلوها سجدًا فلما صاروا إلى الباب طوي لهم الباب حتي لا يمكنهم أن يدخلوها قيامًا نكرت نفوسهم والتوت وانكشف سوء أخلاقهم واستلقوا على ظهورهم على الأستاه ، وهم يقولون حنطة حنطة عطي سمعنا[(٤)] قال الله

---

(١) ما بين المعقوفتين من (د) .

(٢) ما بين المعقوفين من (د) .

(٣) في (ص) " جباههم " .

(٤) هكذا استظهرت قراءتها .

تعالى : ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ [البقرة : ٥٩] فحرموا المغفرة .

وكان[١] موسى عليه السلام شديد الحياء ستيرًا فقالوا : إنه آدر فلما اغتسل وضع على الحجر ثوبه فعدا الحجر بثوبه إلى مجالس بني اسرائيل وموسى على أثره عريان وهو يقول : ثوبي يا حجر ثوبي يا حجر يا أيها الحجر ثوبي فذلك قوله تعالى : ﴿ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ﴾ [الأحزاب : ٦٩] ثم لما مات هارون قالوا له : أنت قتلت هارون وحسدته حتى نزلت الملائكة بسرير هارون ميتا عليه .

ثم سألوه أن يكون ما نقدم من أموالنا نعلم بقبولها هل تعلم يقبلها فجعلت نار تجيء من السماء فيتقبل قربانهم . ثم سألوه أن يبين لنا كفارات ذنوبنا في الدنيا فكان من أذنب ذنبًا أصبح وعلى بابه مكتوب عملت كذا وكفارته قطع عضو من أعضائك يسميه له ، ومن أصابه بول لم يطهر حتى يقرضه فيزيل جلدته من بدنه .

ثم بدلوا التوراة من بعده وافتروا على الله وكتبوا بأيديهم ليشتروا به من الدنيا عرضًا ثم صار أمرهم إلى أن قتلوا أنبياءهم ورسلهم عليهم السلام ، فهذه معاملتهم مع الله وسيرتهم في دينهم قد انكشف لنا عن جواهرهم وأخلاقهم وحظوظهم من ربهم بما أنزل الله علينا من أخبارهم ولمن كان له فهم .

وأما ولد إسماعيل عليه السلام فلم يزالوا مذكورين بالسماحة والأخلاق السنية والأفعال العلية يطعمون الطعام ويكفلون الأيتام ويراعون الذمام وهم في شركهم [ويفكون العاني][٢] ولم تزل[٣] تلك عادتهم وسيرتهم وطبيعتم [١/ ١١٥/ ب] ولم يسلط عليهم أحدًا فيسبيهم ولا يستحرهم ولا صاروا مِلكًا لأحد من الفراعنة حتى أكرمهم الله بمبعث محمد ﷺ فصاغ محمد ﷺ صياغة برز على الأنبياء والرسل فصار سيدًا لجميع ولد آدم وأنزل عليه كتابًا مهيمنًا أجمل من التوارة والإنجيل واختصر له الكلم وزاده المفصل والفاتحة وآية الكرسي وخاتمة سورة البقرة من كنزه

---

(١) في (ص) " فكان " .

(٢) ما بين المعقوفين سقط من (د) .

(٣) في (ص) " يزل " .

الذي ادخره لهذه الأمة ووصفهم في التوراة بمحاسنهم لبني إسرائيل من قبل أن يخلقهم بالآف من السنين .

ولعيسي عليه السلام ولقومه في الإنجيل

حتي روي في الحديث أن أمة محمد ﷺ مسمون في التوراة صفوة الرحمن ، وفي الإنجيل : حكماء علماء أبرارًا أتقياء كأنهم من الفقه أنبياء .

وقال في القرآن ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ [فاطر : ٣٢] تصديقًا لما في التوراة أنهم يسمون صفوة الرحمن وقال : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران : ١١٠] وقال : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة : ١٤٣] أي : عدلاً ﴿ لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ أي : شهداء الرسل بالبلاغ عندما تجحد الأمم بتبليغ الرسل رسالات الله فتشهد هذه الأمة لنوح عليه السلام فمن دونه رسولاً رسولاً أنهم قد أدوا الرسالة فيحكم الله بشهادتهم على سائر الأمم ويتخلص الرسل عليهم السلام من أمانات الرسالة وذلك بعد ما يُعَدِّلهم محمد ﷺ فذلك قوله تعالى : ﴿ لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ ثم قال : ﴿ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

فتكون شهادة أمة محمد ﷺ يومئذ مقبولة على جميع الأمم لجميع الأنبياء عليهم السلام ثم أعطاهم سيفه ليقتلوا به أعداءه ولا يقتل أعداءه إلا أولياؤه ثم قال : ﴿ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

فهم أولياء الله والله وليهم وهم أهل حميته وأنصاره فدعوا إلى الحرب فوضعوا السيوف على عواتقهم وربطوا الحجر على بطونهم من الجوع والخِرَقَ على ظهورهم من العري وقد هجروا أوطانهم ومقرهم وحرم الله عداوة في الله لأهل الشرك وخرجوا من ديارهم وأموالهم ونابذوا أرحامهم في الله حتى كان الرجل يقتل أباه وأخاه .

فكان أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه ممن قتل أباه فأنزل الله تعالى : ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ [١/ ١١٦/ أ] حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ [المجادلة : ٢٢] ثم أثنى عليهم فقال : ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾ [المجادلة : ٢٢] فمن يعلم كنه هذه الكلمة إلا أهل اليقين وأولو الألباب أولئك كتب في قلوبهم الإيمان

وأيدهم ثم قال : ﴿ بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾ فهم المكتوب في قلوبهم الإيمان المويدون بروحه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنه ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون .

وقالوا عندما استشارهم رسول الله ﷺ في شيء من أمر الحرب : مرنا بما شئت وسر بنا حيث شئت فلو سرت بنا إلى برك الغماد لسرنا ، موضع بعيد ذكروه[1] فوالله لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل ﴿ فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾ [المائدة : ٢٤] وعرض لرسول الله ﷺ أمر فخرج من الحجرة مغضبًا فرقي المنبر وقد احمرت عيناه ووجنتاه فقال : ما بال أقوام يقولون كذا وكذا فرأوا الغضب في وجهه فنادت الأنصار وقالوا : السلاح السلاح فأحدقوا حول المنبر في الحديد لا يري منهم إلا الحدق .

وافتتح خيبر وغنم الغنائم فقسم في المهاجرين ولم يقسم في الأنصار لأنهم في أموالهم والمهاجرون خلفوا أموالهم بمكة فسمحت الأنصار بذلك ، وكانوا حين قدموا المدينة ناصفوهم الأموال وواسوهم بالكثير حتى كان الرجل يطلق إحدى امرأتيه ليتزوجها أخوه المهاجر[2] .

هذا كله لحب الله وحب طاعته وحب رسول الله ﷺ .

فانظر أي قلوب هذه ، وأي شيء في هذه القلوب من منن الله ، وانظر أي جواهر هذه النفوس ، وانظر أي أخلاق لهذه النفوس .

اللهم إنا نتقرب إليك بحبهم فإنهم أحبوك ولم يحبوك حتى أحببتهم فبحبك إياهم وصلوا إلى حبك ونحن لم نصل إلى حبهم فيك إلا بحظنا منك فَتَمِّم لنا ذلك حتى نلقاك وأنت أرحم الراحمين .

وأثنى الله تعالى على الأنصار ومدح سرائرهم فقال : ﴿ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا ﴾ أي : لا يجدون ضيقًا ولا نفاسة مما أوتي المهاجرون من غنيمة خيبر ولم يؤت الأنصار ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [الحشر : ٩] .

---

(١) في (ص) " ذكره " .

(٢) في (ص) " المهاجري " .

يخبر أنه كان بالأنصار فقر وحاجة إلى تلك [١/ ١١٦/ ب] الغنائم فآثروا المهاجرين على أنفسهم ثم أخبر أن هذا من منة الله على الأنصار أنه من عليهم أن أمات منهم الحرص وهو الشح ، فقال : ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر : ٩] وإنما أمات منهم الحرص على الدنيا بما أعطاهم من اليقين الفاضل على الأمم فباليقين مات الحرص ، وما يصنع من احتشى قلبه بنور الله ويرى قربة الله منه بظلمات الدنيا وحطامها ولهوها وسار بهم رسول الله ﷺ إلى فتح مكة وهو وطنهم وأرضهم المقدسة ، كما سار بهم موسى صلوات الله عليه فما تلكأ منهم شيخ ولا شاب حتى فتح الله عليهم من غير أن يمسهم سوء ثم قبض رسول الله ﷺ فابتعث الله تعالى لهذا الدين أئمة صديقين خلفاء الأنبياء عليهم السلام وأوتاد الحق يقومون بالحق وبه يعدلون فتفاوت الأمران والشأنان شأن بني إسرائيل وشأن هذه الأمة .

٣٩٨. حدثنا أبى رحمه الله قال : حدثنا المكى بن إبراهيم قال : حدثنا حنظلة بن أبى سفيان عن سالم بن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال : بينما رجلان جالسان إذ قال أحدهما : لقد رأيت البارحة كل نبي في الأرض ، وقال الآخر : هات ، قال : رأيت كل نبي معه أربعة مصابيح مصباح من بين يديه ومصباح من خلفه ومصباح عن يمينه ومصباح عن يساره ومع كل صاحب له مصباح ، ثم رأيت رجلاً قام أضاءت له الأرض وكل شعرة في رأسه مصباح ومع كل صاحب له أربعة مصابيح ، مصباح من بين يديه ومصباح من خلفه ومصباح عن يمينه ومصباح عن يساره فقلت : من هذا؟ قالوا : محمد بن عبد الله ﷺ قال كعب رضي الله عنه : ما هذا الحديث الذي تحدث به؟ قال : رؤيا رأيتها البارحة ، وقال : والذي بعث محمدًا بالحق نبيًا إنها في كتاب الله كما رأيت .

فبرز ولد إسماعيل عليه السلام وهم العرب على سائر الناس بما منحهم الله من أخلاقه .

وجاءنا عن رسول الله ﷺ أنه قال : " إن لله مائة وسبعة عشر خلقًا من أتاه بواحدة منها دخل الجنة " .

٣٩٩. حدثنا بذلك أبى رحمه الله قال : حدثنا مكى بن إبراهيم قال : حدثنا عبد الواحد بن زيد قال : حدثنا عبد الله بن راشد قال : حدثنى مولاى عثمان بن عفان رضى الله عنه عن رسول ﷺ بذلك .

٤٠٠ـ حدثنا [١/ ١١٧/ أ] أبو قلابة محمد بن عبد الله الرقاشي[١] قال . حدثنا عبد الصمد ابن عبد الوارث عن عبد الواحد بن ريد عن عبد الله بن راشد عن عثمان بن عفان رضي الله عنه عن رسول ﷺ بمثله

٤٠١ـ حدثنا محمد بن مرزوق البصري قال . حدثنا شداد بن علي الهراني . وكان قد صام ثمانين سنة متتابعة . عن عبد الواحد بن زيد عن عبد الله بن راشد عن عثمان بن عفان رضي الله عنه عن رسول ﷺ بمثله .

فكأنه يدل على أن من أتاه بخلق واحد منها وُهِبَ له جميع سيئاته وغفر له ذنوبه .

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : " الأخلاق في الخزائن فإذا أراد الله بعبد خيرًا منحه خلقًا منها " ألا ترى أن الرجل المفرط في دينه المضيع لحقوقه يموت وقد كان صاحب خلق من هذه الأخلاق فتنطلق[٢] ألسنة العامة بالثناء عليه والمؤمنون شهود الله في الأرض كذلك روي عن رسول الله ﷺ ، وإنما قيل شهود الله في الأرض يشهدون للرسل يوم القيامة فهم شهود الله .

وروى عن رسول الله صلي الله عليه وسلم أنه مر عليه بجنازة .

٤٠٢ـ وروى بذلك[٣] بشر بن هلال الصواف قال : حدثنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس رضي الله عنه أنه قال : مات رجل على عهد رسول الله ﷺ فأثنى عليه خيرًا ، فقال رسول الله ﷺ : وجبت ، ثم مات آخر فأثني عليه شرًا فقال رسول الله ﷺ : وجبت ، فقيل له : يا رسول الله قلت لذلك وجبت وقلت لهذا وجبت ؟ ، قال : إنكم شهداء الله في الأرض .

٤٠٣ـ حدثنا عمر بن أبي عمر بإسناد له بمثله وزاد فيه ثم تلا رسول الله ﷺ ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

فصاحب الخلق مع تخليط كثير وتضييع وتفريط فإذا مات انطلقت ألسنة المؤمنين بالثناء عليه فيقال : كان سخي النفس فيقبل الله شهادتهم عليهم ويدخله الجنة بسخاوته ، ويموت أحدهم فيقال : كان لينًا ويموت أحدهم فيقال : كان رحيمًا ،

---

(١) في (ص) " أبوقلابة بن محمد بن عبد الله الرقاشي "

(٢) في (ص) " ينطلق "

(٣) كذا بالأصل . ولعل الصواب " ذلك

ويموت أحدهم فيقال : كان حسن الخلق ، ويموت أحدهم فيقال : كان حليمًا ، ويموت أحدهم فيقال : كان رزينًا ، ويموت أحدهم فيقال : كان عطوفًا ، ويموت أحدهم فيقال : برًا متوددًا أو يموت [١/١١٧/ب] أحدهم فيقال : كان كريمًا ، ويموت أحدهم فيقال : كان سهلاً ، ويموت أحدهم فيقال : وكان مواتيًا منبسطًا ، ويموت أحدهم فيقال : كان عفوًا حمولاً ، ويموت أحدهم فيقال : كان لينًا رفيقًا ، ويموت أحدهم فيقال : كان عفيفًا تعاف نفسه مداني الأخلاق والأمور ، ويموت أحدهم فيقال : كان شكورًا لما يؤتى إليه[١] ، ويموت أحدهم فيقال : كان شجاعًا جلدًا صارمًا .

فهذه أخلاق الله تبارك وتعالى أكثرها مما تسمى به والذي لم يتسم به ، لأنها لفظة تنسب المخلوقين إليها وإنما تسمي بالأرفع والأعذب وتلك داخلة فيما تسمي به لأن اللين والرزانة من الحلم والرحمة والعفة من النزاهة والطهارة

فمنيحة الله إياه واحدة من هذه الأخلاق أن يعطيه نور ذلك الاسم الذي تسمى به ربنا فيشرق نوره على قلبه وفي صدره فيصير لنفسه بذلك الخلق بصيرة فيعتادها ويتخلق بها فحقيق عليه إذا أكرمه بذلك أن يهب لها مساوئه ويستره بمغفرته ويدخله الجنة فإنه ما أعطاه ذلك حتى أوجب له ذلك في غيبه .

وقد جاء في الأخبار عن رسول الله ﷺ ما يحقق ما قلنا من ذلك ما روري عنه أنه [قال][٢] : « بينما رجل لم يعمل خيرًا قط فرفع غصن شوك من الطريق وقال : لعل مارًا يمر به فيؤذيه فغفر الله له » .

فإنما غفر له بالرحمة التي في قلبه وبالعطف الذي عطف على خلقه .

وجاء عنه ﷺ أنه قال : « بينما رجل حوسب فلم يوجد له حسنة فقال الله سبحانه وتعالى اذكر شيئًا كنت تعمله في الدنيا فاذكر العبد فقال : لا أذكر شيئًا يارب إلا أني كنت أسامح الناس وآمر غلماني أن يسامحوهم في اقتضاء مالي منهم فيقول الله له :

---

(١) في (د) « إياه » .

(٢) ما بين المعقوفين سقط من (ص) .

فأنا أحق أن أسامحك اليوم " . ومثل هذا كثير في الأخبار .

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : " إن الله تعالى يحب كل عبد طلق سهل لين هين وحرمه على النار " .

وقال رسول الله ﷺ : " الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء " .

وقال : " الجنة دار الأسخياء وما جبل الله وليًا له إلا على السخاء ولجاهل سخي أحب إلى الله من عابد بخيل " .

وقال ﷺ : " حسن الخلق ذهب بخير الدنيا والآخرة [١/١١٨/أ] لا يدرك[١] به درجة الصائم القائم " . وقال عز وجل عن الناس : ﴿ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٤] وقال : " التأني والتؤدة من الله " فكانت هذه الأخلاق للعرب ومنائح الله لهم ثم طهرهم بالتوحيد ثم طيبهم باليقين فعبدوا الله على مطلع عظيم وكأنهم يعبدونه عن رؤية فشق لهم أسماء من اسمه وشرع لهم أوسع الشرائع وأسمحها وستر عليهم ذنوبهم وجعل خروجهم منها بالندم والاستغفار وأعطاهم جواهر الكلم فقال لبني إسرائيل عاقبوا أبدانكم بذنوبكم واقطعوا منها كذا وتجدونه مكتوبًا على أبو ابكم ، وقال لنا في ستر ذنوبنا : ﴿ تُوبُوٓاْ ﴾ أي : ارجعوا بقلوبكم فيما بيني وبينكم ، وقال لهم : ﴿ وَقُولُواْ حِطَّةٌ ﴾ أي : حط عنا ، وقال : لنا قولوا ﴿ ٱغْفِرْ لَنَا ﴾ فهذا جوهر غير ذلك وإنما صار هذا هكذا لأن كلام كل قوم عند ربهم على ما هم عليه فبنو إسرائيل لم يكن عندهم من اليقين ما عند هذه الأمة فلما اذنبوا قيل لهم قولوا حطة أي : حط عنا ، وهذه الأمة بفضل يقينها استحيت من الله للذنب الذي تعمله وكأنه رأي نفسه خارجًا من ستر الله عريانا فأعطي الكلمة التى تكون دواء لما حل به ورأي نفسه بتلك الحالة فقيل له قل اغفر لي واستر وغطي فإن أصل المغفرة الستر والتغطية ومنه سمي المغفر لأنه يغطي الرأس وقول رسول الله ﷺ في البزاق في المسجد قال : " فإنه أغفر للنخامة " أي : أستر ، فمن استحيى من

---

(١) في (د) " ويدرك " .

ذنبه ورأي نفسه عاريًا بين يدي الله قيل له قل اغفر لي ومن عجز عن رؤية هذا قيل له قل حطة وصارت صدقاتهم عودا بها على فقرائهم فطابت نفوسهم بما راوي على فقرائهم من فضلهم وسكنت قلوبهم على الصدقات أنها تصير إلى الله ولم يتنطعوا ولا تعمقوا فأنزل الله عليهم ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ فكان بعضهم يمشي بصدقته إلى السائل لا يكلها إلى غيره ويقبلها من قبل أن يضعها في يده ليقينهم بمن أخذها منهم على ما أخبرهم ربهم أنه هوالذي يقبل ويأخذ ، وقال إن الصدقة لتقع في يد الله من قبل أن يأخذها السائل فرزقهم الله من اليقين ما إذا قيل لهم الشيء سكنت قلوبهم وقيل إن قلوب [١/١١٨/ب] هذه الأمة تأوي إلى ذكر الله كما تحن الحمامة إلى وكرها ولهي أسرع إلى الذكر من ظمأ الإبل يوم ورودها إلى الماء وأمرت بنو إسرائيل أن يضعوا في أرديتهم خيوطًا خضرًا كي إذا نظروا إليها ذكروا السماء فإذا ذكروا السماء ذكروا العرش فيذكرون الله ، ويوم الوفادة حيث اختار موسى عليه السلام سبعين رجلًا لميقات الله فلما صاروا إلى الجبل أعطاهم الله تعالى ثلاث خصال . فيما روي في الخبر فقال : أعطيكم الحفظ لتقرءوها عن قلوبكم فقالوا : إنا نحب أن نقرأ التوراة نظرًا ، قال : فذلك لأمة أحمد ﷺ قال : وأعطيكم السكينة في قلوبكم فقالوا : نحن لا نقدر على حملها فاجعلها لنا في تابوت فكلمنا منها إذا احتجنا قال : فذلك لأمة أحمد ، قال : وأعطيكم أن تصلوا من الأرض حيث أدركتم ، قالوا : لا نحب إلا أن يكون ذلك إلا في كنائسنا قال : فذلك لأمة أحمد .

فكان نوف البكالى إذا حدث بهذا الحديث قال : احمدوا ربكم الذي شهد غيبتكم وأخذ بحظكم وجعل وفادة بني إسرائيل لكم فجعل الله السكينة في قلوب المؤمنين وجعل لهم الأرض مسجدًا وطهورًا وقرن الحفظ بالعقول منهم ليقرءوا عن قلوبهم .

وقال رسول ﷺ : « أعطيت أمتي ثلاثًا لم يعط أحد صفوف الصلاة ، وتحية أهل الجنة[١] ، وآمين إلا ما أعطي موسى وهارون من قوله آمين » .

وكان من قبلهم يتفرقون في الصلاة وجوه بعضهم إلى بعض وقبلتهم إلى الصخرة

---

(١) في (ص) « أهل المسجد » .

وإذا لقي أحدهم أخاه انحنى له بدل السلام وخضع له وفيه مؤنة يريد بذلك أمانه فأعطينا تحية أهل الجنة أن يقول أحدهم بلسانه فيؤمنه فمن يقدر أن يحصي ما أعطيت هذه الأمة من اليسر والعلوم والجواهر والبر واللطف والكرامة والفضل البارز وجعل سيماء عبودتنا يوم القيامة على وجوههم غرّ محجلون غر من السجود ومحجلون من الوضوء وقد سجدت قبلهم الأمم فلم يظهر على جباههم يومئذ شيء من هذا النور ولا على أطرافهم وتلك بشارة أمة محمد ﷺ في الموقف وبها يعرفون وهم أهل الله وخاصته قيل : يا رسول الله من أهل الله ؟ قال : أهل القرآن .

وما زال موسى صلوات الله عليه يقول ، يا رب إني أجد في [١/ ١١٩/ أ] الألواح أمة لهم كذا ويعملون كذا فاجعلهم أمتي ، يقول الله هم أمة أحمد حتى قال : فيما روي يا ليتني كنت معهم غبطة بهم .

وفي الخبر عن ابن عباس رضي الله عنهما " إن موسى عليه السلام اشتاق إلى رؤيتهم فقال الله تعالى له بطور سيناء أتحب أن أسمعك أصواتهم ؟ فقال : بلي يا رب فنادى : يا أمة أحمد فأجابوه من الأصلاب لبيك اللهم لبيك فقال : أعطيتكم قبل أن تسألوني وأجبتكم قبل أن تدعوني ورحمتكم قبل أن تعصوني وغفرت لكم قبل أن تستغفروني من لقيني منكم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبدي ورسولي أدخلته جنتي فذلك قوله : ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ [القصص : ٤٦] يمن على نبيه محمد ﷺ أي : لم تكن يا محمد بجانب الطور إذ نادينا أمتك ولكن رحمة عليهم قبل أن أخلقهم .

٤٠٤ـ **حدثنا** أبى رحمه الله قال : حدثنا أبو نعيم قال : حدثنا حرملة بن قيس النخعى عن أبى زرعة بن عمرو بن جرير عن أبى هريرة رضى الله عنه بنحو من ذلك .

قال أبو عبد الله(١) :

فالعرب رأس الأمة وسابقها إلى هذه المكرمة العظيمة الجليلة منهم ابتعث الله نبيه المجتبي المصطفي على الرسل وفيهم انبعث وإليهم بعث وعليهم أنزل كتابه وإياهم خاطب وبلسانهم أوحي فقال : ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ

---

(١) سقط من (د) .

يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران : ١٦٤] وقال : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ﴾ [الشورى : ٧] وقال : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ ﴾ وقال : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴾ [الزخرف : ٤٤] أي : شرف لك ولقومك حيث خاطبتهم بالوحي وسوف تسألون عن شكر هذا الشرف .

وهم الذين أقاموا الدين وآزروا رسول الله ﷺ ونصروا الله ورسوله .

قال أبو عبد الله(١) :

فإن الذي ذكرت من مناقب هذه الأمة لم ينفرد بها العرب دون العجم وهم شركاء في جميع هذه المواهب الذي أعطيت هذه الأمة قال : نعم هو كما ذكرت ولكن السبق لهم في ذلك [١/ ١١٩/ ب] والمعني بالعطية إياهم والأخلاق الكرام لهم(٢) وتلك الأخلاق غير موجودة في العجم [وفي غيرهم](٣) إلا في الواحد بعد الواحد تخلقًا لا طبعًا ، وأما الحكمة فهي لهم ألا تري أن رسول الله ﷺ قال لذلك الرجل يوم بدر حين قال : إنما قتلنا عجائز صلعًا فقال رسول الله ﷺ : مه أولئك الملاء من قريش لو نظرت إلى أفعالهم لاحتقرت فعالك عند فعالهم .

فإنما فضلوا الناس بهذه المكارم وذلك منهم طبع من لدن إسماعيل بن إبراهيم صلوات الله عليهما وراثة فيهم قربية الله بالإسلام وهذا قول رسول الله ﷺ : " إن الله تعالى اختار من بني آدم العرب ، واختار من العرب مضر ، واختار من مضر كنانة " .

فلم يكن هناك دين قيم اختارهم من بين الخلق إلا بمحاسن الأخلاق ومكارم الفعال .

وبلغنا أن كنانة كان إذا لم يجد أحدًا يأكل معه وضع بين يديه حجرًا يأكل لقمة وألقى إليه لقمة أنفة منه أن يأكل وحده .

وإنما أخرج الله صفيه محمدًا ﷺ من خيار من خيار فبان لك بخروجه منهم أن عنصرهم خير العناصر .

---

(١) في (د) " قال له قائل " .

(٢) في (ص) " ولهم " بزيادة " واو" العطف .

(٣) ما بين المعقوفين غير موجودة في (د) .

وكانت مائدة عبد المطلب [موضوعة][١] ، وكان يرفع فيها للطير والسباع ورؤوس الجبال ، وكان سوط أدبه معلقًا حيث يراه السفيه يؤدبهم بذلك .

٤٠٥ـ **حدثنا** عمر بن أبي عمر قال : حدثنا سليمان بن عبد الرحمن عن مروان الفزارى عن ثابت بن عمارة عن غنيم بن قيس عن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " إني دعوت للعرب فقلت : اللهم من لقيك منهم مؤمنًا موقنًا بك فاغفر له أيام حياته ، وهي دعوة أبينا إبراهيم عليه السلام ولواء الحمد بيدي يوم القيامة ومن أقرب الناس إلى لوائي يومئذ العرب " .

ومما يحقق ما قلنا قول الله تبارك وتعالى : ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران : ١٦٤] ثم قال : ﴿ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [الجمعة : ٣] وهم العجم فصيرنا منهم [١/ ١٢٠/ أ] ولم يكن ظهورا في ذلك الزمان ثم قال : ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الجمعة : ٤] فهم الرأس ونحن منهم لا هم منا والمبدوء بالفضل والمنة هم ، وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ [آل عمران : ١٦٤] فهم المهنون عليهم والممنون بالعطية والفضيلة ومن ههنا قيل : " حب العرب إيمان وبغضهم نفاق " فإنما يجب حبهم لإقبال الله عليهم وأفضاله عليهم برحمته ولحب رسول الله ﷺ إذ كانوا عشيرته ومنهم انتخبه الله فنسبوا إلى لسانهم فقيل عرب ومن سواهم عجم إلا الروم وما والاها فليس في اللسان ما يبرزوا به على العالم كل هذا إنما البروز والفضل لهم بما ذكرنا بما منحهم الله مكارم الأخلاق فمن لم يجد فيه هذه الأخلاق فهو هجين والهجنة ضائرة جدًّا حتى في الخيل فكيف في الآدميين .

٤٠٦ـ **حدثنا** عيسى بن أحمد العسقلاني قال : حدثنا عبد الله بن وهب المصرى قال : أخبرنى عبد الله بن كليب قال : بلغنى أن سليمان بن داود صلوات الله عليهما أرسل الخيل من صنعاء إلى يُدمَرَ فتقدم فرسان من الخيل فقال : المسبوق للسابق لو لا هجنة فيّ أدركتني من ثمانية عشرة جدة ما سبقتني .

---

(١) ما بين المعقوفين سقط من (ص) .

الأصل الثامن والستون

٤٠٧- **حدثنا** الحسن بن داود بن محمد بن المنكدر المديني ونصر بن علي قالا : حدثنا عبد الله بن داود الخريبي عن هانئ بن عثمان عن حُمَيْصة بنت ياسر عن جدتها يسيرة[١] رضي الله عنها أخبرتها أن رسول الله ﷺ أمرهن أن يراعين الشمس بالتسبيح والتقديس والتهليل وأن يعقدن بالأنامل فإنهن مسئولات ومستنطقات .

٤٠٨- **حدثنا** عبد القدوس بن محمد بن عبد الرحمن عن[٢] عبد الكبير بن شعيب بن الحجاب الأزدي قال : حدثنا عبد الله بن داود عن هانئ بن عثمان عن حميصة بنت ياسر عن جدتها يسيرة[٣] رضي الله عنهما قالت : دخل علينا رسول الله ﷺ ونحن نسبح بالسُبَح فقال : ألقين أو دعن عنكن ، وعليكن بالأنامل فسبحن بها فإنهن مسئولات مستنطقات .

٤٠٩- **حدثنا** قتيبة بن سعيد قال : حدثنا محمد بن بشر العبدي . جار لوكيع . قال : حدثنا هانئ بن عثمان عن أمه خميصة بنت ياسر عن جدتها يسيرة[٤] رضى الله عنهما قالت : قال رسول ﷺ عليكن بالتسبيح والتقديس [١/ ١٢٠/ ب] والتهليل ولا تغلفن فتنسين الرحمة واعقدن بالأنامل فإنهن مسئولات ومستنطقات .

٤١٠- **حدثنا** الفضل بن محمد قال فليح بن سلومة عن محمد بن ربيعة الكلابي عن هانئ بن عثمان بإسناده بمثله .

قال أبو عبد الله[٥] :

فمراعاة الشمس لطلوعها وغروبها وقوله : " تراعيها " أي : تراقبها وقت الطلوع ووقت الغروب وهو قوله : ﴿ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الأحزاب : ٤٢] يقال : أصلت

---

(١) في (د) " بسرة " .

(٢) في (ص) " ابن " .

(٣) في (د) " بسرة " .

(٤) في (د) " بسرة " .

(٥) سقط من (د) .

الشمس إذا أمسيت فهو الأصيل وجمعها الآصال ، والتسبيح تسبيح ، والتقديس هو التنزيه والتكبير . والتهليل هو التوحيد ، والفرق بين التسبيح والتقديس أن التسبيح للأسماء والتقديس للآلاء وكلاهما يؤديان إلى الطهر .

وأما العقد بالأنامل فمن أجل أنها تنطق وتشهد لصاحبها

وأما المؤمن فتنطق(١) عنه بخير ، وتصمت(٢) عن السوء سترا من الله عليه ، وأما الكافر فتنطق(٣) عنه بالسوء كله ، وتصمت(٤) عنه وعن محاسنه لأنه لغير الله فهو هباء منثور ، وهو قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [فصلت : ١٩-٢٠] .

قال عبد الله بن أبي جعفر رضي الله عنه : الجلود ههنا الفروج ولكن الله كني عنها .

٤١١. حدثنا بذلك عمر بن أبى عمر قال : حدثنا يحيى بن سليمان الجعفى المصرى عن ابن وهب قال : أخبرنى حرملة عن عبد الله بن أبى جعفر رضى الله عنه ﴿ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ﴾ [فصلت : ٢١] أي : لفروجهم .

فهذا يحقق تأويل قوله لأنهم اشتد عليهم شأن الفروج فالعارفون أكثر فرجعوا باللوم على الفروج ولم يقل : قالوا لسمعهم وأبصارهم فإنما لاموا من اشتد عليهم بأن قالوا : ﴿ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ * وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ ﴾ [فصلت : ٢١-٢٣] أي : أهلككم ﴿ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ قال الله تبارك : ﴿ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴾ [فصلت : ٢٤] فأخبر أن الجوارح تشهد ثم بيّن على من تشهد وهم الذين لم يعرفوا الله حتى ظنوا أنه لا يعلم أعمالهم ثم أخبر أن الذين أهلكهم هو ظنهم بالله ما هو منزه عن ذلك فالمؤمن مستيقن أنه لا يخفي على ربه

---

(١) في (ص) " فيفتح " .

(٢) في (ص) " ويصمت " .

(٣) في (ص) " ينطق " ، .

(٤) في (ص) " يصمت " .

[١/ ١٢١/ أ] وزن خردلة ولا مثقال ذرة في برها وبحرها وفي ظلمات الأرض من لحظةٍ أو طرفةٍ أو فكرةٍ أو حركةٍ عرق فهو معتذر إلى ربه من ذلك مستغفر وتائب نادم وإن مات على غير توبة فهو منكر بقلبه وإيمانه لا يدعه حتي ينكره وإن دق وخفي فإنما أنكره من أجل أن ربه عالم به ، وإذا أنكره ساءته سيئته وسرته حسنته فالإيمان يعمل فيه حتي يسوءه ويسره والمؤمن حبيب الله ووليه والكافر بغيض الله وعدوه ، فالمطيع من المؤمنين هو بمكانه ومحله منه والمخلط الذي قد أحسن وأساء في سيره إلى ربه لم يخرج عن محبته وولايته ولكنه بذنوبه واجد عليه وكالمعرض عنه ثم يرحمه في آخر أمره في وقت الإعراض عنه ولم يشك طرفة عين فإن الله سبحانه وتعالى مطلع على سريرته وعلانيته ففي وقت الإعراض عنه لا يهتك ستره ولا تنطق جوارحه بفضيحة ، وإنما تنطق جوارح من أنكر أن الله لا يعلم ذلك وجحده يومئذ فتنطق جوارحه حتي تفضحه ويعلمه أنه قد علم ذلك وأنه هو الذي أنطقهن وقد علم بذلك ، وإنما يعامله بمثل هذه الأشياء لأن الكافر يومئذ لا يعرف ربه فهو يقول رب ويا رب ولا يعرفه ولو عرفه لم يجحده ألا تري أنه يقول يومئذ ﴿ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام : ٢٣] فإنما يعرفه معرفة المشركين لا معرفة الموحدين . وفرق أبو عبد الله عليه رحمة الله بين المعرفتين وقال : إن معرفة المشركين معرفة الفطرة التي فطر الناس عليها فليس لأحد أن ينكره . ومعرفة المؤمنين معرفة الآلاء وهو التوحيد والتنزيه .

قال الله تعالى : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف : ١٠٦] وقال : ﴿ لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [المؤمنون : ٨٤] ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [المؤمنون : ٨٦] ﴿ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾ [المؤمنون : ٨٨-٨٩] فسحرتهم أهواؤهم وانقلبت بهم عن الله منكوسين لم يتفضل الله عليهم ولا منّ بنور التوحيد ، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ، فأحيا الله قلوب المؤمنين وهي ميتة بأن جعل له نورًا يمشي في الناس إلى الله كما وصف في تنزيله فقال : ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا ﴾ الآية .

الأصل التاسع [١/١٢١/ب] والستون

٤١٢. حدثنا عبد الجبار بن العلاء قال : حدثنا سفيان عن سمي عن أبى صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " من صلى على جنازة فله قيراط ومن تبعها حتى يفرغ من أمرها فله قيراطان أحدهما. أو أصغرهما كأحد " .

٤١٣. حدثنا الحسن بن قزعة قال : حدثنا سلمة بن علقمة[١] عن داود بن أبى هند عن عامر عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " من تبع جنازة وصلى عليها ثم انصرف فله قيراط من الأجر ، ومن تبعها فصلى عليها ثم قعد حتي يفرغ من دفنها فله قيراطان كل قيراط أعظم من أحد " .

٤١٤. حدثنا عبد القدوس قال : حدثنا عمى صالح بن عبد الكبير قال : حدثنى عمى أبو بكر ابن شعيب بن الحجاب عن أبيه عن كثير[٢] مولى أبى الصلت عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " من صلي على جنازة فله قيراط ، ومن تبعها إلى الحفرة فله قيراطان القيراط مثل أحد " .

٤١٥. حدثنا عبد القدوس قال : حدثنا موسى بن إسماعيل قال : حدثنا أبان بن زيد[٣] العطار قال : حدثنا قتادة عن سالم بن أبى الجعد الغطفان[٤] عن معدان بن أبى طلحة اليعمرى عن ثوبان رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " من مشى مع جنازة فله قيراط ، ومن انتظر حتي يقضي دفنها فله قيراطان القيراط مثل أحد " .

٤١٦. حدثنا محمد بن معمر البصرى قال : حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث قال : حدثنا شعبة عن عاصم عن زر عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : " من صلي على جنازة فله قيراط ومن شهدها فله قيراطان أصغرهما مثل أحد " .

٤١٧. حدثنا نصر بن على الحذائى قال : حدثنا ابن أبى عدى عن أشعث عن الحسن عن

---

(١) جاء في (ص) " الحسن بن قزعة قال : حدثنا سلمة بن قزعة " .
(٢) في (ص) " كبير مولي أبي الصلت " .
(٣) في (ص) " أبان بن يزيد " .
(٤) في (د) " الغطفاني " .

عبد الله بن مغفل رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " من تبع جنازة حتى تدفن فله قيراطان ومن رجع قبل أن تدفن فله قيراط " .

قال أبو عبد الله[١] :

فالقيراط سدس المثقال فيما نرى أنه كان عند القوم [ست قراريط في ذلك الزمان][٢] وقد تغير بناحيتنا في عصرنا .

وقد جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال : " إن للمسلم على [١/ ١٢٢/ أ] المسلم من الحق ست خصال : يجيبه إذا دعاه ، ويسلم عليه إذا لقيه ، ويعوده إذا مرض ، ويصلي عليه إذا مات ، وينصحه إذا استنصحه ، ويشمته إذا عطس " .

٤١٨ـ **حدثنا** محمد بن زنبور[٣] المكى قال : حدثنا إسماعيل بن جعفر عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ بذلك .

٤١٩ـ **حدثنا** أبى رحمه الله قال : حدثنا الحمانى عن ابن مبارك عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم أن زياد بن أنعم أخبره أنه سمع أبا أيوب رضى الله عنه يقول : قال رسول الله ﷺ : حق المسلم على المسلم ست فذكر مثله .

فالقيراط من المثقال كالدانق من الدرهم هذا سدس الدرهم وذاك سدس المثقال ، وفي بعض البلدان يقولون : شعيرة فهذا تمثيل حيث ذكر القيراط يعلمك أنه إذا صلي عليه فقد قضى سدس حقه فكتب له من الأجزاء بمقدار سدس حقه كمال الحق ، وأما القيراط الآخر بدفنه وانتظاره حتى يدفن فذاك من النصيحة له وهي إحدى الخصال التي عدها رسول الله ﷺ ، والنصيحة ضد الغش فمن النصيحة له أن يكون في المغيب والمشهد على حال واحدة على سبيل الاستواء فإذا انتظر دفنه فهو ولي منه في المغيب ما ولي منه في المشهد فقد أدي حق نصيحته ، ومن لم يدفن[٤] ولكن انتظر دفنه لينظر هل يحتاج إلى معونته فهو شريك الذي يدفن فهم كلهم شركاء

(١) غير موجودة في (د) .

(٢) ما بين المعقوفين سقط من (د) .

(٣) تكرر في (ص) " محمد بن زنبور " وحذفناها .

(٤) في (د) " ومن دفن " .

في النصيحة ، فالقيراط الأول بالصلاة عليه ، والثاني بالنصيحة له ، حيث نصحوه في المغيب بعد الممات فواروا جسده الذي وجبت له حرمة وحق ، فمثله رسول الله ﷺ بأن الحق بهيئته كالمثقال بكماله فكل خصلة منه فهو سدس الحق الذي له عليه .

الأصل السبعون

٤٢٠. حدثنا يحيى بن حبيب بن عربى الحارثى البصرى قال : حدثنا موسى بن إبراهيم بن كثير بن بشير قال : سمعت طلحة بن حراش يقول : سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنه يقول : " لقيني رسول الله ﷺ فقال : يا جابر مالي أراك منكسرا؟ قلت : يا رسول الله استشهد أبي وعليه دين وترك عيالاً ودينًا قال : أفلا أبشرك [١/ ١٢٢/ ب] بما لقي أبوك[١] قلت : بلى يا رسول الله قال : ما كلم الله أحدًا قط إلا من وراء حجاب ، وإنه أحيا أباك فكلمه كفاحًا فقال : يا عبدي تمن علي أعطيك قال : يا رب تحييني فأقتل فيك ، قال تبارك وتعالى : سبق مني أنهم إليها لا يرجعون " . ونزلت : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران : ١٦٩] الآية .

قال أبو عبد الله[٢] :

فهذا حال الشهداء بذلوا له أنفسهم صدقًا فلقوا الله لقاء أهل السعادة يوم الجزاء ، عجل لهم اللقاء من قبل انقراض الدنيا وأحياهم المولى من قبل نفخة الصور .

وقوله : " كلمه كفاحًا " أي : وجاها وهو كقوله : شفاهًا إلا أن الشفاه للمخلوقين والكفاح له ، إذ هوغير موصوف الكلام منه بالأدوات ، وفي قوله : " كفاحًا " ما يدل على أن قوله : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾ [الشورى : ٥١] إن هذا في دار الدنيا فأما في الآخرة فلأهل الجنان منه من الحظ من الكلام كفاحًا ، وللشهداء على سائر الأموات ممن[٣] دونهم من الدرجات هذه الدرجة الفاضلة إنه أحياهم ثم كلمهم كفاحًا وليس لمن دونهم من الأموات هذه الدرجة فإذا كان هذا للشهداء منهم كل هذا الحظ وإنما بذلوا له نفوسهم ساعة واحدة مرة واحدة فما ظنك بالصديقين وقد بذلوا نفوسهم عمرًا من الأعمار كيف يكون حظهم منه يوم مماتهم من الكلام والبر والأثرة .

وقوله : " تمن على أعطيك " فإنه لما ذقت نفسه في جنب الله فبذلها له عظم ذلك

---

(١) في الأصل " أباك " .

(٢) غير موجودة في (د) .

(٣) في (ص) " من " .

عند الله وشرفت نفسه عنده فقبلها فإذا قبل الله شيئًا عظم خطره فلذلك أطلق له التمني عليه ، وأما تمنيه بأن يحيى فيقتل ثانية فإنه وجد لذة بذله لنفسه حين قتل وإنما بذل نفسًا خاطئة قد تدنست بالمعاصي فلما قتلت ذهب الدنس فأحب أن يبذلها ثانية فيكون قد بذل نفسًا طاهرة مقبولة .

الأصل الحادي السبعون

٤٢١. حدثنا أبو قلابة عبد الله بن محمد بن عبد الله الرقاشي قال : حدثنا بشر بن عمر الزهراني قال : حدثنا هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أم الدرداء عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " لا يكون اللعانون شهداء ولا شفعاء " .

قال [١/١٢٣/أ] أبو عبد الله[1] :

فاللعّان مفرط متعسف لأن اللعنة مستأصلة مجحفة مستبيحة للأحوال ، فإن أجيب إلى ذلك فقد أهلك وإن لم يجب فقد عمل عمله من الإفراط والتعسف وهو جائر والجائر لا شهادة له ، وهذا فظ غليظ قليل الرأفة والرحمة وشهادة صاحب الغمر والعداوة والحقد غير مقبولة لأن قلبه لا يخلو من الجور فإذا أنكرت الأمم تبليغ الرسالة وجحدت مما حل بها من الشدة جاءت هذه الأمة فشهدت للرسل بتبليغ الرسالة إلى الأمم وهو قوله : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [البقرة : ١٤٣] أي : للرسل على الأمم .

٤٢٢. حدثنا أبي رحمه الله عن محمد بن الحسن عن ابن المبارك عن عبد الرحمن بن زياد ابن أنعم عن حبان بن أبي جبلة[2] قال : بلغني أنه ترفع أمة محمد ﷺ على كوم بين يدي الله لتشهد للرسل على أممها بالبلاغ .

فإنما يشهد منهم يومئذ من لم يكن في قلبه أحنة على أخيه المسلم فهذا من ذاك أيضًا ، فإن الأحنة[3] والحقد داعيان إلى الجور .

فقول رسول الله ﷺ : " لا يكون اللعانون شهداء ولا شفعاء " لما عندهم من الأحنة والعداوة والجور ولا يكونون شفعاء لأن قلوبهم خالية من الرحمة .

ولهذا ما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : " لا يدخل أحدكم الجنة حتى يرحم العامة كما يرحم أحدكم خويصته " .

---

(١) غير موجودة في (د) .

(٢) في (ص) " حبان بن حبلة " .

(٣) كذا بالمخطوطين و (ط) .

٤٢٣. حدثنا أبو الأشعث العجلى قال : حدثنا حزم القطعى قال : سمعت الحسن رضى الله عنه يقول : قال رسول الله ﷺ : " والذى نفسى بيده لا يدخل الجنة إلا رحيم ، قلنا : كلنا رحيم يا رسول الله قال : لا حتي يرحم[1] العامة " .

٤٢٤. حدثنا الجارود قال : حدثنا عبيد الله بن موسي قال : حدثنا موسي بن عبيدة عن عبد الله بن عبيدة عن أبي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ بمثله .

٤٢٥. حدثنا محمد بن وزير الواسطي قال : حدثنا معتمر بن سليمان عن إسماعيل بن أبى خالد عن قيس بن أبى حازم عن جرير بن عبد الله رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " من لا يرحم الناس لا يرحمه الله " .

٤٢٦. حدثنا الحسن بن داود بن محمد بن المنكدر المدينى قال : حدثنا سفيان عن عمرو عن أبى قابوس مولى عبد الله بن عمرو[١/ ١٢٣/ ب] عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحم من في الأرض يرحمك من في السماء " .

فإذا رحمك الرحمن صلحت للشهادة وتفرغت للشفاعة[2] ، وإذا لم ترحم لم تصلح للشهادة ولم تتفرغ للشفاعة .

٤٢٧. حدثنا أبى رحمه الله حدثنا يحيى الحمانى حدثنا يزيد بن المقدام بن شريح الحارثي عن أبيه عن جده عن عائشة رضي الله عنهما قالت : " سمع رسول الله ﷺ أبا بكر رضي الله عنه وهو يلعن بعض رقيقه فالتفت إليه رسول الله ﷺ فقال : يا أبا بكر لعانين وصديقين كلا ورب الكعبة ، فأعتق أبو بكر رضى الله عنه يومئذ بعض رقيقه وجاء إليه فقال : لا أعود إليه يا رسول الله ﷺ " .

---

(١) في (ص) " نرحم " .

(٢) في (د) " الشهادة " .

الأصل الثاني والسبعون

٤٢٨ـ حدثنا الحسن بن عمر بن شقيق وبشر بن هلال البصريان قالا[١] : حدثنا جعفر بن سليمان الضُبَعى عن سعيد الجريرى عن أبى عثمان النهدى عن حنظلة الأسدي رضى الله عنه وكان من كتاب رسول الله ﷺ قال : " لقيني أبو بكر رضي الله عنه فقال[٢] : كيف أنت يا حنظلة؟ قلت : نافق حنظلة يا أبا بكر قال : سبحان الله ما تقول ، قال : قلت نافق حنظلة يا أبا بكر قال : سبحان الله ما تقول ، قال : قلت نافق حنظلة قال : مم ذاك قلت : نكون عند رسول الله ﷺ فيُذَكرنا بالجنة والنار حتى كأننا رأي العين أو كأنا نراهما ، فإذا خرجنا من عنده عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات ففزع أبو بكر رضى الله عنه فقال : والله إنا لنلقى مثل هذا فانطلقت أنا وأبو بكر رضى الله عنه حتى دخلنا على رسول الله ﷺ فلما رآني رسول الله ﷺ قال : كيف أنت يا حنظلة؟ قلت : نافق حنظلة يا رسول الله ﷺ قال : سبحان الله ما تقول ، قلت : نافق حنظلة يا رسول الله ﷺ ، قال : سبحان الله ما تقول قلت : نافق حنظلة يا رسول الله ﷺ قال : مم ذاك؟ قلت : نكون عندك يا رسول الله فتذكرنا بالجنة والنار حتى كأننا رأي العين حتى إذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات ، فقال رسول الله ﷺ : والذي نفسي بيده أن لو تدومون على ما تكونون عندي في الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم ، ولكن يا حنظلة ساعة [١/ ١٢٤/ أ] وساعة ساعة وساعة " .

قال أبو عبد الله[٣] :

فالذكر المذهل للنفوس إنما يدوم ساعة ثم ينقطع ولولا ذاك ما انتفع بالعيش ، والناس في الذكر على طبقات فمنهم من يدوم له ذكره في وقت الذكر ثم تعلوه غفلة حتى يقع في التخليط وهو الظالم .

ومنهم من يدوم له ذكره في وقت الذكر ثم تعلوه معرفته بسعة رحمة الله وحسن

---

(١) في (ص) " قال " .

(٢) في (ص) " قال " .

(٣) غير موجودة في (د) .

معاملته مع عباده فتطيب نفسه بذلك فيصل إلى معاشه وهو المقتصد على سبيل الاستقامة والتقوي .

وأما أهل اليقين وهم السابقون المقربون حازوا هذه الخطة ولهم درجات فأول درجاتهم الخشية فيمتنع بها من جميع ما كره الله دق أو جل ، والخشية هي من القربة والعلم بالله فإذا علم لزمه الخوف أعني من المعرفة ومن تعظيم الله فإذا غلبه خوفه لا خوف العقاب إنما هو خوف العظمة ، فإذا كان الخوف لازمًا للقلب غشاه بالمحبة فيكون بالخوف معتصمًا مما كره دق أو جل وبالمحبة منبسطًا في أموره بتلك الخشية فلو تركه مع الخوف لانقبض وعجز عن كثير من أموره ولو تركه مع المحبة لاستبد وقعد ولكنه تبارك اسمه لطف له فجعل الخوف بطانته والمحبة ظهارته حتى يستقيم به قلبه ثم يرقيه إلى مرتبة أخرى وهي الهيبة والأنس ، فالهيبة من جلاله ، والأنس من جماله فإذا نظر إلى جلاله هاب فانقبض فلو تركه هكذا لصار عاجزًا عن جميع أموره كثوب ملقاة أو كجنة بلا روح ، وإذا نظر إلى جماله امتلأ كل عرق منه فرحًا وسرورًا ولذة ونعيمًا لامتلاء قلبه فلو تركه هكذا لاحتمله ذاك فأداه إلى التعدي والإفراط لكنه لطف له فجعل الهيبة شعاره والأنس دثاره حتى يستقيم به قلبه فهذا عبد ظاهره الأنس بالله وباطنه الهيبة من الله ثم يرقيه إلى مرتبة أخرى وهي مرتبة الانفراد بالله قربه القربة العظمى ، وأدناه ومكن له بين يديه وبقاه بنوره وفتح له الطريق إلى وحدانيته فهذا ناظر إلى فردانيته فأحياه الله به واستعمله فبه ينطق وبه يعقل وبه يعلم وبه يعمل ، قد جاوز مقام الهيبة والأنس فهذا سيد الأولياء العارفين وإمامهم فهو أمان أهل الأرض ومنظر أهل السماء [١/ ١٢٤/ب] وريحان الجنان وخاصة الله وموضع نظره ومعدن سره ، وهو سوط الله في خلقه به يؤدب عباده ، وبه يحيي القلوب الميتة ، وبه يرد الخلق إلى طريقه ، وبه يجعل الطريق إلى الله للمريدين ، وبه يرحم أهل الأرض ، وبه يمطر ، وبه يرزق ، وبه يدفع عنهم البلاء ، وبه ينعش حقوقه ، وبه يستقر القرآن في الأرض ، مفتاح الهدى وسراج الأرض وسرو المصطفي وقائد الأولياء وصاحب اللواء والها بالثناء على ربه ، ويمجده تجاه صفوف الأولياء بين يدي المصطفي ﷺ يباهي به الرسول في ذلك الموقف وينوه الله باسمه في ذلك المقام وتقر عين المصطفي به قد أخذ بقلبه أيام الدنيا ومحله حكمته

العليا وأهدي إليه توحيده ونزه طريقه عن رؤية النفس وظل الهوي وائتمنه على صحيفة الأولياء وعرفه مقامهم وأطلعه على منازلهم وأراه طريقهم وسيرهم إليه ومواضع محتسهم فهو سيد التخا وصلح الحكماء وشفاء الأدواء وإمام الأتقياء الأطباء كلامه قيد القلوب ونظره شفاء للنفوس وإقباله قهر الأهواء وقربه طهر الأدناس فهو ربيع يزهر بنوره وخريف يجتنى ثماره وكهف يلجأ إليه ، ومعدن يؤمل ما لديه وفصل بين الحق والباطل وهو الفاروق والصديق والولي العارف المقرب والحبيب والمجتبي ، واحد الله في أرضه فمن . . .[(١)] .

فقد روي في الخبر في قصة إبراهيم صلوات الله عليه أنه قال : " اللهم أنت الواحد في السماء وأنا الواحد في الأرض ، فرأي نفسه واحد الله في أرضه " .

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : " يكون في هذه الأمة رجال قلوبهم على قلب إبراهيم عليه السلام " .

معناه أن يفتح لهم طريقًا إليه على طريق إبراهيم ومحمد صلوات الله عليهما فإن إبراهيم خليل الله ومحمد حبيبه .

وأما قول رسول الله ﷺ " ساعة وساعة " أي : ساعة للذكر وساعة للنفس لأن ساعة للصحة وساعة للتخليط وهذا مهجور من القول وهو قول الجهلة الأغبياء ولكن كأن الجنة والنار رأي العين ساعة وساعة مقبل على المعاش ومر منه [١/ ١٢٥/أ] على سبيل الصحة وفي درجات المقربين أيضًا ساعة وساعة ربما عجز عن احتمال ما يحل به محتاج إلى مراح ، ألا يرى أن رسول الله ﷺ : لما صار إلى سدرة المنتهي فغشيها من أمر الله ما غشيها وأشرق النور حال دونه فراش من ذهب وتحولت الشجرة زبرجدًا وياقوتًا فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعت حسنها .

رواه أبو خالد[(٢)] الأحمر عن حميد عن أنس رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ .

٤٢٩. حدثنا سفيان بن وكيع قال : حدثنا أبو خالد الأحمر عن حميد عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " لما انتهيت إلى السدرة إذا ورقها مثل آذان الفيلة ، وإذا

---

(١) لم أستطع قراءتها بالأصلين .

(٢) في (د) " ابن خالد " .

نبقها أمثال القلال فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تحولت زبرجدا وياقوتا "[(١)] .

٤٣٠ـ حدثنا سفيان بن وكيع قال : حدثنا أبو خالد[(٢)] الأحمر عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله تعالى : ﴿ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴾ [النجم : ١٦] قال : قال رسول الله ﷺ : " رأيتها حتي إذا أنستها حال دونها فراش من ذهب " .

٤٣١ـ حدثنا عمر بن أبى عمر قال : حدثنا سعيد بن منصور قال : حدثنا الحارث بن عبيد الإيادى عن أبى عمران الجونى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " رأيت النور الأعظم ولط دوني الحجاب رفرفه الدر والياقوت فأوحى الله إلي ما شاء أن يوحي " .

فهذا كله يرجع إلى معني واحد معناه أنه لم يقم بصره للنور فعورض بالزبرجد والياقوت وفراش الذهب مراحا حتى يقوى ويستقر كأنه شغل قلبه بهذا المراح عما رأى حتى لا ينفر ويجد قرارًا ويقدر احتماله ، كالذي يشرب فيتنفس حتي يقوي على شرب ما بقي فقوله " ساعة وساعة " من تدبير الله للعبد وكان أصحاب رسول الله ﷺ يطلبون تلك الساعة .

وجاءنا عن معاذ رضي الله عنه أنه قال لرجل من أصحابه : تعال نؤمن ساعة فذهب ذلك الرجل إلي رسول الله ﷺ [١/ ١٢٥/ ب] فقال : يا رسول الله أوما نحن بمؤمنين وذكر له قول معاذ رضى الله عنه ، فقال رسول الله ﷺ : " دع عنك معاذًا فإن الله يباهي به الملائكة " .

٤٣٢ـ حدثنا عبد الجبار بن العلاء قال : حدثنا عبد الكبير بن عبد المجيد الثقفى عن أسامة بن زيد عن أبى حازم عن معاذ بن جبل رضى الله عنه بذلك .

ومثله قول أبي الدرداء رضى الله عنه : لمجلس من مجالس الإيمان أفضل من عتق مائة رقبة .

٤٣٣ـ حدثنا به أبى رحمه الله قال : حدثنا أحمد بن يونس عن أبى بكر بن عياش رفعه .

ومثل قول عبد الله بن رواحة رضى الله عنه لأبى الدرداء يا عويمر تعال نؤمن ساعة

---

(١) في (ص) " فذكر ياقوتا " .

(٢) في (ص) " ابن خالد " .

فالقلب أسرع انقلابًا من القِدر حين تغلي ، وإنما الإيمان بمنزلة القميص بينما أنت إذ لبسته إذ أنت نزعته .

فهذا تأويل قول رسول الله ﷺ : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن » أي أنه إذا فعل ذلك فقد خلع القميص ووضعه ناحية فإذا تاب ورجع إليه بالصدق كساه وألبسه ذلك القميص فكان هذا الإيمان عندهم استقرار ذلك النور وإشراقه في صدورهم حتى تصير أمور الآخرة وأمر الملكوت معاينة فكانوا أصنافًا فمنهم مَن هذا النور له دائم فتدوم له معاينة أمور الآخرة ، وأمر الملكوت وهو مع ذلك يعافس الأزواج والأولاد ومعاشر وبرم المعاش وعددهم في كل زمان قليل ألا ترى كيف وصفهم الله فقال : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴾ [الواقعة : ١٠] أي : السابقون بقلوبهم أيام الدنيا إلى الله هم السابقون إليّ دخولاً إلى الجنة ثم قال : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۞ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [الواقعة : ١١-١٢] ثم قال : ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۞ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴾ والثلة الجماعة وهم الأنبياء عليهم السلام الذين مضوا عد آلاف وهم السابقون المقربون فهم ثلة .

وختمت النبوة برسولنا ﷺ ثم من بعده أولياء عددهم قليل في كل زمان ، ذكر أنه يبلغ عددهم أربعين صديقًا هم خلفاء الأنبياء فهم قليل في كل زمان والآخرين أمة محمد ﷺ ، والأولين الثلة التي قبلنا قد كانت ثلة من المقربين في الأولين(١) [١٢٦/١/أ] ، وقليل في هذه الأمة لأن النبوة قد انقطعت وبقيت الولاية فكان في أصحاب رسول الله ﷺ من المقربين قليل ومن بعدهم في كل قرن قليل .

وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « في كل قرن من أمتي سابقون وهم البدلاء والصديقون بهم يسقون وبهم يرزقون وبهم يرفع البلاء عن أهل الأرض » .

---

(١) في (ص) « وقليل في الأولين » حذفناها وأثبتنا كما في (د) .

الأصل الثالث والسبعون

٤٣٤ـ حدثنا محمد بن علي بن الحسن الحكيم الترمذى رحمه الله قال : حدثنا عبد الجبار ابن العلاء قال : حدثنا أيوب بن سويد الرملى قال : حدثنا أبو زرعة يحيى بن أبى عمرو السيبانى[1] عن أبى بشر عبد الله بن الديلمى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " لما فرغ سليمان من بناء بيت المقدس سأل ربه حكمًا يصادف حكمه ، وملكًا لا ينبغي لأحد من بعده وأن لا يأتي أحد هذا البيت لا يريد إلا الصلاة فيه إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ، فقال رسول الله ﷺ : أما اثنتان فقد أعطيهما وأما الثالثة فأرجو أن يكون قد أعطى " .

٤٣٥ـ حدثنا الفضل بن محمد قال : حدثنا المسيب بن واضح قال : حدثنا أبو اسحاق الفزارى عن الأوزاعى يحيى بن أبى عمرو[2] وربيعة بن يزيد عن عبد الله الديلمى عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنه قال : سمعت رسول صلي الله عليه وسلم يقول : لما فرغ سليمان من بناء مسجد بيت المقدس سأل الله ثلاث خصال سأله حكمًا يصادف حكمه فأعطاه إياه ، وسأله ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده فأعطاه ، وسأله أيما عبد مسلم خرج من بيته لا ينهره[3] إلا الصلاة في هذا المسجد إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه فنرجو أن يكون قد أعطاه إياها .

فأما قوله : " حكمًا يصادف حكمه " فإن أمور العباد في الغيب ، وإنما أمروا أن يعملوا بالظاهر عندهم فأمر الحكام أن يفصلوا الخطاب بين الخلق بشاهدين ويمين المنكر وربما كان شاهد زورا وربما كان في يمينه كاذبًا فليس على الحاكم إلا الحكم بما[4] يظهر عنده ويكلهم فيما غاب عنهم [١/١٢٦/ب] إلى الله تعالى ، فأعطي سليمان من الفهم ما يحكم بين عباد الله بما يصادف حكم الله وقد ذكر الله في تنزيله في ذلك الحكم الواحد إذ نفشت غنم القوم في حرثهم ففهمنا سليمان .

---

(١) بالأصلين " الشيباني " والمثبت من التهذيب .

(٢) بالأصلين " الأوزاعي عن يحيى بن أبي عمرو" والمثبت من التهذيب .

(٣) هكذا استظهرت قراءتها .

(٤) في (ص) " ما " .

وروي عن كعب أنه قال : " ما فهم داود عند فهم سليمان صلوات الله عليهما إلا كضوء السراج في ضوء الشمس " .

وروي في الخبر " أن امرأة اشترت دقيقًا فجعلته في مكتل فهو على رأسها إذ جاءت ريح فأذرته فجاءت إلى سليمان وشكت إليه فقال : انظروا أول سفينة قادمة من البحر فغرموه " .

فهذا كأنه علم أنها ريح مسخرة لسفينة قادمة وسخرة للرجل فالعبد له والعبد إذا جاء جناية فهي في رقبته فإما أن يفديه سيده ، وإما أن يبيعه في غرمه فهو راجع على مولاه كيف ما كان ، وكان(١) قد ملك الأرض شرقها وغربها ، فكان يحكم في أهل مملكته حتى الوحوش والطيور والبهائم وبين الجن والإنس والشياطين فهو حاكم الأرض فسأل ربه عندما أعطي المملكة أن يصادف حكمه حكمه لأنه محتاج إلى أن يحكم بين الخليقة أيضًا كما يحكم بين الخلق .

فأما سؤاله " ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده " فإن أحباب الله وخاصته يتنافسون في المنزلة عنده ويغار أحدهم أن يتقدمه غيره من نظرائه ، ألا ترى أنه ذكر في حديث أبي سعيد الخدري رضى الله عنه عن رسول الله صلي الله عليه وسلم في قصة المعراج أنه قال : " لقيني(٢) موسى عليه السلام في السماء السادسة فلما جاوزته بكى وقال : يزعم بنو إسرائيل أني أكرم ولد آدم على الله وهذا قد جاوزني " فالأنبياء والأولياء عليهم السلام تتنافس في محل القربة وحُق لهم ذلك .

فإن كان سليمان صلوات الله عليه سأل شيئًا لا يكون لأحد من بعده ليكون ظاهر المنزلة والخصوصية فغير مدفوع ولا مستنكر أن سخر الله له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب أي : لينة مع قوتها وشدتها حتى لا تضر بأحد وتحمله بعسكره وجنوده وموكبه وكان موكبه فيما روي فرسخ في فرسخ مائة درجة بعضها فوق بعض في كل درجة صنف من الناس وهو في أعلى درجة منه مع جواريه وحشمه وخدمه فكانت الريح تحمله بهذا الموكب فتهوي به في الجو[١/ ١٢٧/ أ] مسيرة شهر في غداة واحدة ومسيرة شهر

---

(١) في (د) " كيف " .

(٢) في (د) " لقيت " .

في رواح واحد قال الله عز وجل ﴿ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ﴾ [سبإ : ١٢] فالريح من أمر الملكوت فكانت لا تدع كلمة يتكلم بها إلا ألقتها[1] في أذنه وعلم منطق الطير ، فمر بوادي فقالت نملة : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ ﴾ [النمل : ١٨] الآية . فمرت به الريح فألقته في مسامعه وقال الله عز وجل : ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا ﴾ [النمل : ١٩] الآية .

فالضحك من الأنبياء تبسم والبسام من انطلاق الوجه ، وإنما ينطلق الوجه من الفرح والسرور وينقبض من ضدها فكأنه دخله السرور بما قالت النملة ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ معناها أن النبي صلي الله عليه وسلم ليس ممن يوذي أحدًا ولا يتعسف عليه ولا جنوده فإن كان يفعل من غير شعور بذلك ففرح بذلك من قولها أن الهوام ودواب الأرض قد أمنته وعرفته بالعدل ، وتأويل آخر وهم لا يشعرون أن سليمان سمع[2] ذلك من كلام النملة وجنوده لا يشعرون بذلك .

وروي عن رسول صلي الله عليه وسلم أنه قال : " أخذت ليلة شيطانًا فخنقته حتي وجدت برد لسانه ولهاته [3] على يدي فأردت أن أربطه على سارية المسجد لتنظروا إليه إذا أصبحتم ، ثم ذكرت دعوة أخي سليمان فتركته " .

معناه أي : لم أحب أن أشركه في هذه الدعوة فأسأل ربي أن يسخره لي حتي أربطه ، وكان لكل نبي دعوة فجعلها سليمان في ذلك وادخرها رسول الله ﷺ لأمته فأحب أن يترك دعوته هيئته التي تركها .

٤٣٦ـ **حدثنا** عمر بن أبى عمر قال : حدثنا أحمد بن يونس قال : حدثنا زهير بن معاوية قال : حدثنا يزيد أبو خالد الأسدى[4] قال : حدثنى عون بن أبى جحيفة السوائى عن عبد الرحمن بن أبى علقمة الثقفى عن عبد الرحمن بن عقيل رضي الله عنه قال : انطلقت في وفد إلى رسول الله ﷺ فأتيناه فقال قائل منا : يا رسول الله ألا سألت ربك

---

(١) في (ص) و (د) " ألقته " والمثبت من (ط) .

(٢) في (ص) " أسمع " .

(٣) في (د) " لهواته " .

(٤) في (ص) " يزيد بن أبي خالد الأسدي " .

ملكًا كملك سليمان ؟ فضحك رسول صلي الله عليه وسلم قال : فلعل لصاحبكم عند الله أفضل من ملك سليمان عليه السلام ، إن الله لم يبعث نبيًا إلا أعطاه دعوة فمنهم من اتخذ بها دنيا ، ومنهم من دعا بها على قومه إذ[١] عصوه [١/١٢٧/ب] فأهلكوا بها وإن الله أعطاني دعوة اختبأتها عند ربي شفاعة لأمتي يوم القيامة .

فالأنبياء كانت دعوتهم مجابة ، ومعني هذا القول لكل نبي دعوة أي : حاجة يقال له سل ما شئت فإن لك عندى حاجة مقضية .

فأما قوله : " فمنهم من اتخذها دنيا " فليس معناه على أنه سأل الدنيا لنفسه وعياذ بالله أن يظن ذاك بسليمان عليه السلام أو يظن بمحمد ﷺ أن ذلك عنى وإنما سأل الدنيا لله فقد سأل رسولنا ﷺ أيضًا شيئًا من الدنيا أي : لم يسأل الدنيا كلها فسأل بعضها فقال : " اللهم اجعل أوسع رزقي عند كبر سني " وقال في بعض ما أعوزته الحاجة : " اللهم إني أسألك من فضلك ورحمتك " فمن سأل شيئًا من الدنيا وإن دق فكانت مسألته لنفسه لا لله فهو مذموم وقد دخل في طلب الدنيا المذموم ومن سأل الدنيا وإن جلّ فكانت مسألته لله فهو محمود وليس ذلك لسؤال دنياه ولا لطلب[٢] له فقد سأل الأنبياء الدنيا وطلبوها فكان سؤالهم وطلبهم لله فلم يذموا في ذلك جاز لسليمان عليه السلام أن جعل المسألة التى أوجبت له في شأن المملكة ، ألا تري أنه ذكر العبد الآخر صلي الله عليه وسلم أنه سأل إهلاك الدنيا فقال : ﴿ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾ [نوح : ٢٦] فغرقت الدنيا كلها بدعوته وفسدت فلو كانت الدعوة لغير الله لكان مذمومًا ، ولو كان بغضب لنفسه وللدنيا ويسأل إهلاك الدنيا لكان مذمومًا ، فإنما سأل عبد مملیکها لله ، وسأل عبد دمارها وهلاكها لله فكانا محمودين مجابين إلى ذلك فأجيب نوح فأهلك من عليها وأعطي سليمان المملكة ثم قال : ﴿ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [ص : ٣٩] فرفعت التبعة لأنه قد جعل له من قبل السؤال حاجة مقضية فلذلك لم يكن عليه تبعة ، وأما رسولنا صلي الله عليه وسلم فأخرها لتكون تلك الحاجة له مقضية في اليوم الذي يعز فيه

(١) في (ص) " إن " .
(٢) في (ص) " طلب " .

العفو ويظهر الجود والكرم من ربنا ، والحاجة في وقت الجود والكرم أعظم إنجاحا وأوفر حظًّا منه في وقت يعطي من الخزائن وأبواب الخزائن غير [١/١٢٨/أ] مفتحة وما يعطي لمحمد صلي الله عليه وسلم هناك فالخلق إليه أحوج منهم في هذه الدنيا مما سأل سليمان عليه السلام فإنما سأل سليمان عليه السلام مملكة الدنيا وقد كان أبو اه داود عليه السلام ممن عرضت عليه الخلافة فقبلها فقيل : ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ ﴾ [ص : ٢٦] فكان حاكم الله في أرضه .

وعرضت على لقمان فأبى فأعطي الحكمة وكان حكيم الله في أرضه ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِلَّهِۚ ﴾ [لقمان : ١٢] .

٤٣٧. حدثنا عبد الكريم عن نوفل بن سليمان عن مالك بن أنس رفعه إلى أبى مسلم الخولانى قال : قال رسول صلي الله عليه وسلم : " إن لقمان كان عبدًا كثير التفكير حسن الظن بالله كثير الصمت أحب الله فأحبه الله فمنّ الله عليه بالحكمة فنودي بالخلافة قبل داود عليه السلام فقيل له : يا لقمان هل لك أن يجعلك الله خليفة في الأرض تحكم بين الناس بالحق ؟ قال لقمان عليه السلام : إن جبرني ربي قبلت فإني أعلم إن فعل ذلك بي أعانني وعلمني وعصمني ، وإن خيرني ربي قبلت العافية ولم أسأل البلاء ، فقالت الملائكة بصوت لا يراهم : يا لقمان لم[1] ؟ قال : لأن الحاكم بأشد المنازل وأكدرها يغشاه الظلم من كل مكان فيخذل أو يعان وإن أصاب فبالحري أن ينجو ولئن أخطأ أخطأ طريق الجنة ومن يكن في الدنيا ذليلا خير من أن يكون شريفا ضائعا ومن يختار الدنيا على الآخرة فاتته الدنيا ولا يصير إلى ملك الآخرة فعجبت الملائكة لحسن منطقه فنام نومة فغط بالحكمة غطًّا فانتبه فتكلم بها ثم نودي داود عليه السلام بعده بالخلافة فقبلها ولم يشترط شرط لقمان فأهوى في الخطيئة فصفح الله عنه وتجاوز ، وكان لقمان يوازره بعلمه وحكمته فقال داود عليه السلام : طوبى لك يا لقمان أوتيت الحكمة فصرفت عنك البلية وأوتي داود الخلافة فابتلي بالذنب والفتنة فأوتي داود الخلافة ليحكم بين الناس بالحق ، والحكم هو أمر الله وفعله الذي يجمع عباده فيحكم بينهم بعدله ثم يتفضل على من يشاء وعجل هذا

---

(١) سقط من (ص) " يا لقمان لم " .

الفعل في أيام الدنيا فجعله في أيدي من شاء من خلقه فأوتي داود الخلافة ليحكم وأوتي لقمان الحكمة ليشكر وإذا [١/١٢٨/ب] حكم الحاكم فعدل بينهم عمر الأرض وأزاح الفساد وإذا نطق الحكيم نشر عن الله منّته وإحسانه وبصر الخلق فردهم إلى الله فقال : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ ﴾ [ص : ٢٦] وقال : ﴿ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ ﴾ ففي إقامة الحكم إبراز العدل وفي القول بالحكمة إبراز المنة والنصح لله ثم أوتي داود أيضًا الحكمة وقال تبارك اسمه : ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ﴾ وسخرت الجبال يسبحن معه بالعشي والإشراق والطير كي يزداد قوة على إسعاد الجبال والطير له بذلك فلا يفتر فترة الآدميين فإن في الإسعاد قوة قال الله تعالى : ﴿ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ ﴾ [سبأ : ١٠] ثم قال تعالى : ﴿ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ * أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ ﴾ [سبإ : ١٠-١١] وهي الدروع فجعل الحديد في يده كالعجين يعمل الدروع فجعل قوته ومطعمه منها ليكون من كَدّ يده " .

وكذلك روي لنا في الخبر " وجعل في يد محمد ﷺ السيف والرعب جنده يُرعب منه العدو مسيرة شهر وجعل قوته ومطعمه من الغنائم فكأنه قيل لداود خذ هذه الحديدة فقد النتها لك من عطفي عليك لتعمل منها دروعا فيكون منها رزقك ، وقيل لمحمد ﷺ خذ هذه الحديده التى قد حددتها لك من سلطاني فاضرب بها رقاب أعدائي وأباق عبيدي وصيرت أموالهم نحلة وطعمة خصصتك بها من بين الخلق ولم يكن لأحد قبلك ثم قال : حلالاً طيبًا فشهد له بالطيب وفي السيف عز وسلطان وملك وليس في التجارة ذلك المعني فأنت تجاهد أعدائي وتملك ما خولتهم فتأخذ منهم ذلك على سبيل القهر والسلطان وإنا معك في النصرة وكان أخذ داود عليه السلام على سبيل التراضي وتدبير الله فيما بينهم أن يأخذ شيئًا على عوض يعطيهم كسائر الناس ولمحمد ﷺ في هذا مكرمة العز والسلطان ولداود عليه السلام مكرمة العطف بأن ألان له الحديد .

٤٣٨ـ حدثنا الفضل بن محمد قال : حدثنا محمود بن خالد الدمشقى قال : حدثنا الفريابى عن ثوبان [١/ ١٢٩/ أ] قال حدثنى حسان بن عطية عن أبى منيب الحرشى عن عبد الله ابن عمرو قال : قال رسول صلي الله عليه وسلم : " إن الله تعالى بعثنى بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل

الذلة على من خالف أمري ومن تشبه بقوم فهو منهم " .

٤٣٩. **وحدثنا** الفضل بن محمد عن إبراهيم بن محمد بن يوسف الفريابى عن ضمرة بن ربيعة عن عثمان بن عطاء عن أبيه قال : كان داود عليه السلام يرتفع له كل درع فيبيعه بستة آلاف فينفق على بني إسرائيل أربعة آلاف وعلى عياله ألفين فأوتي داود عليه السلام ما أوتي ثم قيل له ﴿ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ ﴾ [سبأ : ١٣] .

وأعطي سليمان منطق الطير والريح وعين القطر أسيلت له ثلاثة أيام فاتخذ منها تماثيل على صور الرجال من النحاس ونفخ فيهم الروح ليلاً يحيك فيهم السلاح وكان سفنذيار من بقاياهم .

٤٤٠. **حدثنا** به أحمد بن مروان عن يعقوب بن معبد عن الحكم بن ظهير(١) عن السدي عن أبى مالك عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : ﴿ وَتَمَٰثِيلَ ﴾ قال : اتخذ سليمان عليه السلام تماثيل من نحاس فقال : يا رب انفخ فيها الروح فإنها أقوى على الخدمة فنفخ الله فيها الروح فكانت تخدمه وكان اسفنديار من بقاياهم فقيل لداود وسليمان عليهما السلام ﴿ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾ [سبأ : ١٣] فإنما ذكر الشكر ههنا لأنه أعطاهما من فضله ما منّه عليهما فلما انتهت خلافة داود عليه السلام ورث سليمان ذلك .

٤٤١. **حدثنا** عمر بن أبى عمر قال : حدثنا الربيع بن روح الحمصى عن بقية قال : حدثنى أيوب بن عثمان الأزدى قال : لما أراد داود عليه السلام أنا يستخلف ابنه سليمان عليه السلام قال له سليمان : أبحب(٢) الولد تفعل هذا أم من شيء أمرك الله به ؟ فقال داود عليه السلام : بل بحب الولد فأبى سليمان عليه السلام أن يقبلها حتى أمره الله بذلك .

ومما يحقق(٣) ذلك قول الله تعالى : ﴿ وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ ﴾ [النمل : ١٦] وقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ [النمل : ١٦]

---

(١) في (ص) " الحكم بن ظهر " .

(٢) في (ص) " الحب " .

(٣) في (ص) " حدثنا " .

[١/ ١٢٩/ ب] فأخبر أنه ورثه عن أبيه بما ورثه الله وقد كان لداود ولد سوي سليمان فإنما ورثه سليمان بما ورثه الله فلما رأي عظيم ما آتاه الله داود من ذلك فيه صلاح العباد وإقامة ما أمره الله التذ بالعبودة لله والنصيحة ولكل شيء دعوة فجعل دعوته في ذلك فسأل مملكة الدنيا كلها ليسوي الدنيا وأهلها وحكم فيها حكمًا يصادف حكمه وينفي الظلم عن أهل الأرض وينصف بعضهم من بعض حتى الجن والإنس والطير والبهائم والوحوش والسباع وبقاع الأرضيين والجبال والبحار وكان له حكم في كل ذلك ومملكة وسلطان وأعين بالريح والشياطين والجن فسخر ذلك له وأعطي الفهم وهو أعلى الأشياء قال الله تبارك وتعالى: ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ [الأنبياء: ٧٩] ففضل بالفهم لما زيد في المؤنة.

٤٤٢. حدثنا بذلك عمر بن أبي عمر قال: حدثنا محمد بن وهب القرشي(١) قال: حدثنا بقية بن الوليد قال: حدثنا معاوية بن يحيى عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: " إن المعونة تنزل من السماء على قدر المؤنة ". فكان يقول خلقا من خلق الله ويعطف على عبيده وإمائه وكل ذلك لله فكانت تلك عبودة صير حاجته التي جعلت له شفقة على خلق(٢) الله ونوح عليه السلام سأل إهلاكهم ليُطهر الأرض من أقذارهم ونجاسة شركهم شفقة على خلق(٣) الله ليخلص الحق من أنجاسهم، ومحمد ﷺ أخرها إلى يوم الثواب والعقاب ليفتح الله تعالى على لسانه خزائن الرحمة على عبيده(٤) في يوم يرون الجود والكرم وشدة فاقة الخلق في ذلك المقام المحمود، وإنما سمي المقام المحمود لأن الرحمة خرجت إلى أهل الموقف حين نطق بذلك الثناء عليه فعمت الرحمة الملائكة والأنبياء والرسل وجميع الموحدين وسكن الهول واطمأنت القلوب فكان(٥) أهل الموقف كلهم محتاجين إلى ما ادخره صلي الله

(١) في (د) " الدمشقي ".
(٢) في (ص) " حق ".
(٣) بالأصلين " حق ".
(٤) في (ص) " عبده ".
(٥) في (ص) " فكانت ".

عليه وسلم ليوم الموقف من دعوة وصاروا عيالا عليه من الملائكة والرسل فمن دونهم وذلك [١/ ١٣٠/ أ] ما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : " إن إبراهيم ليرغب إلي يوم القيامة في تلك الدعوة ويحتاج إليها " .

٤٤٣. حدثنا بذلك عبد الرحيم بن يوسف ، قال : حدثنا يعلى ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن عبد الله بن عيسى ، عن جده عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن أبي بن كعب رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ .

٤٤٤. حدثنا الجارود ، عن النضر ، عن هشام(١) الدستوائي ، عن حماد بن أبي سليمان . رووه بمثله .

٤٤٥. حدثنا محمد بن محمد بن حسين ، قال : حدثنا كثير بن هشام ، عن جعفر بن برقان ، قال : حدثني صالح بن مسمار ، قال : بلغني أن الله تعالى أرسل إلى سليمان بعد موت أبيه داود عليه السلام ملكا من الملائكة ، فقال له الملك : إن ربي أرسلني إليك لتسأله حاجة . قال : أرسلك ربي لأسأله حاجتي؟ قال الملك : نعم . قال سليمان صلوات الله عليه : فإني أسأل أن يجعل قلبي يحبه كما كان قلب أبي داود يحبه ، وأسأل الله أن يجعل قلبي يخشاه كما كان قلب أبي يخشاه . قال الرب تبارك وتعالى : أرسلت إلى عبدي ليسألني حاجة ، فكان حاجته إلي أن أجعل قلبه يحبني ويخشاني ، وعزتي لأكرمنه . فوهب له ملكا لا ينبغي لأحد من بعده . ثم قال : ﴿ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ۝ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴾ [ص : ٣٩ - ٤٠] .

فكانت الكرامة في قوله : ﴿ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾ ؛ لأن المهناة(٢) فيه إذ لا تبعة عليه . وكذلك روي عن الحسن البصري رحمة الله عليه ، قال : ما من أحد إلا وله عليه تبعة في نعمة ، غير سليمان بن داود عليهما السلام ؛ فإنه قال تعالى جده : ﴿ هَٰذَا عَطَآؤُنَا ﴾ . الآية .

٤٤٦. حدثنا محمد بن المثنى أبو موسى الزمن ، قال : حدثنا معاذ بن هشام ، قال : حدثني أبي ، عن قتادة قال : حدثنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، أن نبي الله ﷺ قال : " لكل

(١) في (ص) " هاشم " .
(٢) كذا بالأصلين .

نبي دعوة دعا بها في أمته ، [وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة " فقوله " دعا بها "][١] دليل على أن سليمان عليه السلام سألها في أمته لا لنفسه ، وذلك لله .
وقوله : " اختبأت " أي تركت إظهارها وإبرازها في أيام الدنيا ، فجعلها في اليوم الأعظم يوم القيامة ، [كأنه يدل قوله " اختبأتها " أي : من نفسي ولم أسألها حتي إذا كان يوم القيامة][٢] ، وزالت العبودة عن النفس ، أبرزتها ، والآخرون تعجلوها في الدنيا فسعدت [١/ ١٣٠/ب] نفوسهم بها ، فإن لم يتداركهم الله خيف أن تأخذ النفس نصيبها .

---

(١) ما بين المعقوفين سقط من (ص) ،
(٢) ما بين المعقوفين سقط مں (ص)

الأصل الرابع والسبعون[1]

٤٤٧ـ حدثنا رزق الله بن موسى الناجي ، قال : حدثنا معن القزاز ، قال : حدثنا مالك بن أنس عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " إن هذا المال خضرة حلوة ، فمن أخذه بحتمه فلنعم المعونة هو " .

قال أبو عبد الله :

فالخضرة معناها الدوام ، وذلك أن الخضرة من الشجر تدوم خضرتها في الصيف والشتاء مثل الآس ونحوه ، فكذلك المال منفعته دائمة على اختلاف الأحوال في السفر والحضر ، والليل والنهار ، والعسر واليسر؛ لأنه ثمن الأشياء ، فإذا جاء المال قضيت الحوائج والمنى ، فهي خضرة أبدًا .

وأما قوله : " حلوة " فإنما حليت في النفوس لأن المنى والشهوات بها تنال وتقضى .

وقوله : " فمن أخذه بحقه فلنعم المعونة هو " . فالأخذ له بحقه أخذ التزود ، والأخذ بغير حق أخذ تمتع ، فمن أخذه على التزود أخذه مضطرا؛ لأنه لم يعط من الدنيا شيئًا إلا وعليه فيها تبعة ، إلا ما كان من شأن سليمان صلوات الله عليه ، وإنما سقطت عنه التبعة - فيما نعلم - أنه جعل لكل نبي دعوة مجابة مقضية من فضل ربنا وكرمه ، فجعل سليمان صلوات الله عليه دعوته وحاجته في هذا الملك ، فأعطي بلا تبعة فقال : ﴿ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [ص : ٣٩] . ولو كان هناك تبعة عليه ما كانت له حاجة مقضية كسائر الأنبياء ، فإن كل[2] نبي سأل حاجة ، فلم يكن عليه تبعة .

وروي في الحديث أن نوحا عليه السلام جعلها دعوة على قومه ، وجعل سليمان ملكا يملك الدنيا ليعمل فيها بأمر الله تعالى ، وجعلها إسحاق دعوة عامة فقال : اللهم اغفر لمن لا يشرك بك شيئا . وجعلها محمد ﷺ عليهم شفاعة يوم الجود والكرم ، فمن أعطي من الدنيا شيئا فتناوله على يقظة علم أنه ذو تبعة وأنه يستقضي بشكره ، وإنما أعطي ليبتلى ، فقال : ﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ ﴾ [الفجر : ١٥] .

---

(١) ذكر في (د) " هذا الأصل لوحة (٨٢) ، وجاء في الهامش " الأصل الرابع والسبعون " ووضع عليه علامة (صح) .

(٢) في الأصل " لكل " .

فالآخذ من الدنيا على يقظة ، إن أخذ أخذ بحق ، فلنعم المعونة له على دينه ، والآخذ على غفلة إنما يأخذه تمتعا وحرصا وشرها وبطرا وأشرا أخذ الكفار ، فذلك منزوع منه [١/ ١٣١/أ] البركة .

٤٤٨ـ حدثنا سفيان بن وكيع ، قال : حدثنا يزيد[١] بن هارون ، عن زكريا بن أبي زائدة عن عطية ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " قد أعطي كل نبي عطية فتعجلها ، وإني أخرت عطيتي شفاعة لأمتي " .

فالعطاء لا تبعة فيه؛ لأنه من طريق المنة .

وأما قوله : ﴿ فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [ص : ٣٩] . وروي في الخبر أنه سخر له الشياطين فمن شاء منّ عليه بالعتق ومن شاء أمسكه .

٤٤٩ـ حدثنا هارون بن أبي زائدة[٢] ، قال : حدثنا يونس بن بكير ، عن أبي إسحاق[٣] قال : حدثنا بعض بني وهب بن منبه ، [عن وهب بن منبه][٤] في قوله تعالى : ﴿ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ ﴾ [ص : ٣٨] قال : عنقه إلى عضده وإلى فخذه ، فإنما يعمل بشق واحد ، وأمر الله الريح أن لا يتكلم أحد من الخلائق إلا حملته فوضعته في أذن سليمان عليه السلام ، فلذلك سمع كلام النملة .

٤٥٠ـ حدثنا عمر بن أبي عمر ، قال : حدثنا عبيد بن إسحاق العطار ، عن يوسف بن عمر ، عن سعيد بن طريف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان لسليمان سبعمائة سرية وثلاثمائة امرأة ، وكان في ظهره ماء مائة رجل . فذلك قوله : ﴿ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [ص : ٣٩] .

قوله : امنن[٥] . ذهب به إلى التمني ، وهو قوله : أمنى يمني . فإذا خرجت مخرج الأمر قلت : مُن[٦] . ومَن قال : منى يمني . ففي الأمر هو : امن . فإذا جئت بنون

---

(١) في (ص) " زيد بن هارون " .

(٢) في (د) " هارون بن أبي بردة " .

(٣) في (ص) " ابن إسحاق " .

(٤) ما بين المعقوفين ، سقط من (د) .

(٥) في (ص) " امن " .

(٦) في (ص) " امن " .

الفعل نون الحقيقة قلت : امنن . ومن ذهب إلى المنة فقال : منّ عليه ، فإذا أخرجه مخرج الأمر أبرز النونين؛ لأنه كان مضاعفا فأبرزهما فقال : امنن أي منّ عليه بالتخلية للمعتق؛ فإنه مسخر لك مصفد مقرن ، ثم خيره فقال : إن شئت فامنن وإن شئت فأمسك ، ثم أخبره في آخر الكلام أنه بغير حساب وعطاء سألك .

وأما قوله : ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِيٓ ﴾ [ص : ٣٥] . فإن فيه تأويلات ؛ فإحدى التأويلات أن الأنبياء لهم تنافس في المحل عنده ، وكل يحب أن يكون له عنده خصوصية يستدل بها على محله عنده ، ألا ترى إلى قول رسول الله ﷺ : " سألت ربي مسألة وددت أني لم أسألها [١/ ١٣١/ ب] فقلت : رب اتخذت إبراهيم خليلا ، وكلمت موسى تكليما ، وألنت لداود الحديد ، وسخرت له الطير يسبحن معه ، وسخرت لسليمان الريح . فقال : ألم أجدك يتيما فآويتك؟ قلت : بلى . قال : ألم أجدك ضالا فهديتك؟ قلت : بلى . قال : ألم أجدك عائلا فأغنيتك؟ قلت : بلى . قال : ألم أشرح لك صدرك؟ قلت : بلى . قال : ألم أوتك ما لم أوت نبيا قبلك؛ خواتيم سورة البقرة؟ قلت : بلى . قال : ألم أتخذك خليلا كما اتخذت إبراهيم خليلا؟ " . فسأله سليمان ملكا لا ينبغي لأحد من بعده من هذا الطريق؛ ليكون محله وكرامته من الله ظاهرة .

٤٥١. حدثنا محمد بن بشار العبدي ، قال : حدثنا محمد بن جعفر ، قال : حدثنا شعبة ، عن محمد بن زياد ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ : " إن عفريتا من الجن تفلت البارحة ليقطع [علي][1] صلاتي ، فأمكنني الله منه فأخذته فأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تنظروا إليه كلكم ، حتى ذكرت دعوة أخي سليمان : ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِيٓ ﴾ [ص : ٣٥] فرددته خاسئا " .

فتأويل هذا المذهب أنه سأله ملكا يخصه به كي يكون ظاهر المنزلة في خلق السماء والأرض ، فلو أعطى أحدا بعده مثله ذهبت الخصوصية ، وكأنه كره ﷺ أن يزاحمه في تلك الخصوصية بعد أن علم أنه شيء هو الذي خص به من سحرة الشياطين وأنه أجيب إلى أنه لا يكون لأحد من بعده .

---

(١) ما بين المعقوفين سقط من (ص) .

وتأويل آخر : أي رب هب لي ملكا لا تنزعه مني ، وإنما قال هذا بعدما سلب ، فلما تيب عليه ورجع إلى كرسيه ، وقد كان الشيطان قد هرب حين احتبس بالأخذ ، فمر هاربا على وجهه ، فقال : رب هب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي . أي ملكا لا ينبغي لأحد أن يقعد مقامي كما قعد الشيطان ، كأنه سأل العصمة لئلا يسلب عنه ، قال الله عز وجل : ﴿ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ﴾ وهو الشيطان ﴿ ثُمَّ أَنَابَ * قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ [ص : ٣٤ - ٣٥] .

[وروى إسماعيل بن نصر عن موسى بن إسماعيل ، عن حماد بن سلمة قال : حدثنا علي بن زيد ، عن سعيد بن المسيب قال : لما رجع إليه ملكه جاء وأخذ بناصية الشيطان][(١)] [١/١٣٢/أ] .

ثم قال عند ذلك : ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ .

وتأويل آخر أنه سأل ملكا لا ينبغي لأحد من بعده يتقوى على المملكة فيقيم أمر الله فيهم ، فإنه إذا كان له ملك لا ينبغي لأحد لم يقاومه أحد في شرق الأرض ولا غربها إلا وانقادوا له ذلة وطوعا ، ومما يحقق ذلك قوله : ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ * وَٱلشَّيَـٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴾ [ص : ٣٦ - ٣٧] . وإنما ذكر قوله : ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ ﴾ لا تدع كلمة إلا حملتها فوضعتها في أذنه ، فلم يكن يمكن أحد أن يغتاله ، كلما ضعف الإنس عن أمر فالشياطين مسخرة له ، كل ذلك له للقيام بأمر الله ، فكان إذا ركب الموكب قال للجنود وأشار إليهم إلى عَلَم من الأرض سبحوا الله إلى ذلك العلم ، فإذا بلغه أشار إليهم إلى علم آخر وقال : كبروا الله إلى ذلك العلم . فلا يزال هكذا ويلجّ الجنود بالتسبيح والتهليل حتى ينزل[(٢)] .

---

(١) ما بين المعقوفين سقط من (د) .

(٢) جاء في (د) لوحة (٨٣) عبارة " وجاء شرح هذا الأصل في نسخة أخرى ما صورته وذكره " وهو شرح الأصل " الخامس الستون " .

الأصل الخامس والسبعون

٤٥٢ـ **حدثنا** مهدي بن علي السمناني ، قال : حدثنا عبد الله بن صالح ، عن الليث بن سعد ، عن عامر بن يحيى المعافري ، عن أبي عبد الرحمن[1] الحُبلي ، عن عبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ يقول : " سيصاح برجل من أمتي يوم القيامة على رءوس الخلائق فينشر عليه تسعة وتسعون سجلا ، كل سجل منها مد البصر ، فيقول الله : يا عبدي ، هل تنكر من هذا شيئا؟ فيقول : لا يا رب فيقول : هل لك من حجة؟ فيقول : لا يا رب . فيقول : بلى لا ظلم عليك اليوم . فيخرج الله له بطاقة فيقول : هذه حجتك . فيقول : أي رب ، وما تغني هذه البطاقة من هذه السجلات؟ فيقول : يا عبدي ، لا ظلم عليك اليوم . فيؤتى بالميزان فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة ، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة وإذا فيها شهادة أن لا إله إلا الله .

٤٥٣ـ **حدثنا** أبي رحمه الله ، قال : حدثنا محمد بن الحسن ، قال : أخبرنا عبد الله بن المبارك ، قال : أخبرنا الليث بن سعد ، عن عامر بن يحيى المعافري ، عن أبي عبد الرحمن ، عن عبد الله بن عمرو ، عن رسول الله ﷺ بمثله .

٤٥٤ـ **حدثنا** قتيبة بن سعيد ، قال : [١/ ١٣٢/ ب] حدثنا ابن لهيعة ، عن عامر بن يحيى ، عن أبي عبد الرحمن ، عن عبد الله بن عمرو ، عن رسول الله ﷺ بنحوه ، إلا أن حديث الليث أتم وأسبغ .

قال أبو عبد الله :

فهذا عبد عندنا قد كان من أهل التوحيد كثرت سيئاته حتى غمرته ، فأدركه غوث تلك الكلمة ، وليست تلك الكلمة بأول ما قالها ، ولكنها كانت مقالة طاهرة خرجت من زكوة في ساعة من عمره فأنجته فحبطت ذنوبه وهدمتها وطاشت بالسجلات يوم الوزن لوزن تلك الكلمة ، وإنما ثقلت تلك الكلمة بوزنها لعظم نورها؛ وإنما عظم نورها لأنها خرجت يوم خرجت من نور استنار قلبه بالنطق بها ، وإذا أراد الله بعبد

---

(١) في (د) " عبد الرحمن " .

خيرا نبهه في ساعة من عمره ، وإذا انتبه انفتح قلبه واستنار صدره من تلك الفتحة؛ لأن النور في القلب ، فإذا انفتح القلب خرج النور إلى الصدر فأشرق قلبه ، فأية كلمة نطق بها في ذلك الوقت فإنما ينطق على شرح الصدر والمعاينة لصورة تلك الكلمة ، فتلك الكلمة تسمى كلمة الإخلاص وكلمة يقين ، وما من كلمة إلا ولها صورة في القلب ، وإنما يتصور معناه ، وهذا لأهل اليقين الذين استنارت صدورهم بنوره ، فهذا لهم دائم في الأمور كلها ، فإذا أراد الله بعبد من غير هذه الطبقة خيرا منّ عليه فأدرك مقدار لحظة من هذا النور ، فأشرق صدره به ، خرجت الكلمة منه على المعاينة لتلك الصورة ، ثم انقطع النور فأظلم الصدر كما كان ، فكانت تلك الكلمة تثقل في الوزن يوم الوزن وتكون سببا لنجاة صاحبها ، فعلى هذا المذهب ترى تأويل هذا الحديث ، ولوكانت هذه شهادة التوحيد لاستوى الناس فيها ، وشهادة التوحيد لا توضع في الميزان فيما روي أنها لا تتسع في الميزان .

٤٥٥ـ حدثنا الجارود ، قال : حدثنا بكار بن عبد الله الزبيري ، قال : حدثنا موسى بن عبيدة ، قال : أخبرنا يحيى بن شبل بن محمد بن جبير أو أيوب بن خالد ، وسمعت من غير واحد من أصحابنا : إن العبد ليوقف على الميزان يوم القيامة فينظر في الميزان وينظر إلى [١/ ١٣٣/ أ] صاحب الميزان ، فيقول صاحب الميزان : يا عبد الله ، أتفقد من عملك شيئا؟ فيقول : نعم . فيقول : ماذا؟ فيقول : لا إله إلا الله وحده لا شريك له . فيقول صاحب الميزان : هي أعظم من أن توضع في الميزان . قال بكار : قال موسى : سمعت أنها تأتي يوم القيامة تجادل عمن كان يقولها في الدنيا جدال الخصم ، وإنما استحال أن توضع شهادة التوحيد في الميزان؛ لأن من شأن الميزان أن يوضع في كفة شيئا وفي الأخرى ضده ، فتوضع الحسنات في كفة والسيئات في كفة ، فهذا غير مستحيل؛ لأن العبد قد يأتي بهما جميعا ، ويستحيل أن يأتي بالكفر والإيمان جميعا عبد واحد ، حتى يوضع الإيمان في كفة والكفر في كفة ، وكذلك استحال أن توضع شهادة التوحيد في كفة الميزان ، وأما بعدما آمن العبد فإن النطق منه بلا إله إلا الله حسنة توضع في الميزان مع سائر الحسنات .

وفي حديث الليث بن سعد قد أخبر أن في البطاقة شهادة ، وليست الشهادة كالقول؛ لأن القول خبر .

ومما يحقق ما قلنا من شهادة المخلص :

٤٥٦. ما حدثنا به عبد الله بن إسحاق الجوهري ، قال : حدثنا أبو عاصم النبيل عن وبر بن أبي دليلة[1] ، عن محمد بن عبد الله بن ميمون ، عن يعقوب بن عاصم ، قال : حدثني رجلان من أصحاب رسول الله ﷺ أنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول : " من قال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير ، مخلصا بها روحه ، مصدقا بها لسانه وقلبه ، إلا فتقت له السماء فتقا حتى ينظر الرب إلى قائلها من أهل الدنيا ، وحق لعبد إذا نظر الله إليه أن يعطيه سؤله " .

أفلا يرى أنه شرط للمقالة إخلاص الروح فقال : " مخلصا بها " أي بالكلمة حين قالها روحه أي أخلص روحه بالكلمة معناه أن الروح قد كانت الروح تشبثت به فإن الروح سماوي خلقها الطاعة والنفس أرضية خلقها الشهوة معصية كانت أو طاعة وهو قول الله عز وجل ﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ [يوسف : ٥٣] فهذا خلقها ودأبها إلا ما رحم ربي ، فقهرها بالنور الوارد على القلب ، فإذا قال العبد هذه الكلمات التي جاءت في الأحاديث فتكلم في وقت فتحة القلب وانشراح الصدر انقمعت [١/ ١٣٣/ ب] النفس وذلت وانخضعت ، وتخلص الروح من أسرها وتعلقها به ، فصار روحه كالعازم على هذه الكلمات بحقائقها ، فصار خالصا لله تعالى ، وقد باين النفس وهو اها وعزمها وأخلاقها ، وصدق به لسانه وقلبه ؛ لأن القلب قد استنار بالكلمات فاستوى اللسان بالقلب والقلب باللسان ، فقد صدق بالكلمة لسانه وقلبه ، أي قدس ، وصدق وقدس بمعنى واحد ، معناه أي طهر بالكلمة لسانه وقلبه وأخلص روحه ، فاستوجب النظر إليه ؛ لأنه صار بمحل الجوبة فجوب له هناك وأجيبت دعوته .

٤٥٧. حدثنا عمر بن أبي عمر ، قال : حدثنا هانئ بن يحيى ، عن النضر بن معبد – وهو أبو قحذم – عن أبي قلابة ، أنه كان له ابن أخ ماجن ، فاشتد مرضه ، فلم يعده في

---

(١) في (ص) " أبو عاصم الوبيل بن أبي دليلة " .

(٢) كذا بالمخطوطتين والمثبت الصواب .

مرضه ، وقد أخذ ، فلما أن كان في السوق قال أبو قلابة[(١)] : هو ابن أخي وأمره إلى الله وليس له مَترك ، فسهر عنده تلك الليلة والمصباح يزهر ، فلما ذهب هزيع من الليل نعس أبو قلابة ، فبينما هو كذلك إذ هو بأسودين معهما عتلة ، فهبطا من سقف البيت ، قال أبو قلابة : فأسمع أحدهما يقول لصاحبه : اذهب إلى هذا الرجل هل تجد عنده شيئا من الخير؟ فأقبل ، فلما دنا من ابن أخي شم رأسه ، ثم شم بطنه ، ثم شم قدميه ، ثم ذهب إلى صاحبه ، ثم أسمعه يقول : شممت رأسه فلم أجد في رأسه شيئا من القرآن ، فشممت بطنه فلم أجده صام يومًا ، ثم شممت قدميه فلم أجده قام لله ليلة . ثم جاء صاحبه فشم رأسه وشم كفيه ، ثم شم بطنه ، ثم شم قدميه ، فأسمعه يقول : إن هذا للعجب أن هذا من أمة محمد ﷺ ليس فيه من هذه الخصال خصلة . ثم أبصره فتح فمه ثم أخذ بطرف لسانه فعصره ، ثم أسمعه يقول : الله أكبر ، أجد له تكبيرة كبرها بأنطاكية مرة مخلصا فنفح منه ريح المسك ، فقبض روحه ثم ذهب ، فأسمعه يقول للأسودين وهما على باب البيت : ارجعا فليس لكما إليه سبيل . فلما أصبح أبو قلابة وصلى الغداة وقام قائما فذكر ما رأى من أمر ابن أخيه ، فقيل له : يا أبلا قلابة ، إنها بأنتاكية ، فقال : لا والله الذي لا إله إلا هو ما سمعتها من فم الملكين إلا بأنطاكية . فأسرع الناس إلى جنازة ابن أخيه . والعتلة[(٢)] : الفأس . إذا كان نصا به منه فليس هذا الرجل [١/ ١٣٤/ أ] ممن يتكلم بهذه الكلمة عمره كله ، ولكن لم يخلص بها إخلاصا يوجب له الرحمة العظمى ، وإذا أراد الله بعبد خيرا رزقه فتحة قلبه ، وخرجت منه هذه الكلمة في ذلك الوقت ، فعظم وزنها وقدرها عند ربها ، ألا ترى أن الرجل الذي ذكر الله في تنزيله فقال : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [النفال : ٢] ثم قال : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [النفال : ٤] فوصفهم بحقيقة الإيمان وجعل لهم الدرجات في الجنة .

فقالت عائشة وأم الدرداء رضي الله عنهما : إنما الوجل في القلب كاحتراق السعفة ، لا تكاد تلبث طويلا؛ لأنه يقين ، وكذلك قال ابن الحنفية : الإيمان ثابت واليقين خطوات .

---

(١) في (ص) " العتيلة " .

وهذا لأهل القصد والاستقامة ، فأما العارفون المقربون فهذا لهم دائم ، وهم الذين يذكرون الله على كل حال ، لا ينقطع ذكرهم ، فقلوبهم وجلة . والمقتصد والمستقيم في غفلة عن الله ، وفي يقظة عن أموره ، ذكرهم في الأحايين وأكثر عمرهم في غفلة . والمقربون في يقظة عن الله عز وجل وعن أموره؛ لأنهم بنور يقينهم قد صارت قلوبهم بين يديه ، يعبدونه كأنهم يرونه ، وهو الذي دل عليه رسول الله ﷺ فقال : " اعبد الله كأنك تراه " . ولو لم يكن يطاق هذا ما دل عليه .

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : " أشد الأعمال ثلاثة : ذكر الله على كل حال ، ومواساة الأخ في المال ، والإنصاف من نفسك " .

٤٥٨. حدثنا عبد الله بن أبي زياد[١] ، قال : حدثنا سيار[٢] ، عن جعفر ، عن مالك بن دينار قال : قرأت في التوراة : يا ابن آدم ، لا تعجز أن تقوم بين يدي في صلاتك باكيا؛ فإني أنا الله اقتربت لقلبك ، وبالغيب رأيت نوري . قال جعفر : يعني تلك الرقة التي تفتح له من قرب الله عز وجل .

٤٥٩. حدثنا صالح بن محمد ، قال : حدثنا داود بن عبد الرحمن المكي ، قال : حدثني عبد الله بن عثمان بن خثيم ، قال : قالت عائشة رضي الله عنها : ما الوجل في قلب المؤمن إلا كصرمة السعفة ، فإذا وجد أحدكم فليدع عند ذلك .

٤٦٠. حدثنا أبي رحمه الله ، قال : حدثنا قبيصة ، قال : حدثنا سفيان ، عن أبي خثيم ، عن شهر بن حوشب ، عن أم الدرداء قالت : إنما الوجل في قلب المؤمن كاحتراق السعفة ، أما تجد قشعريرة؟[٣] [١/ ١٣٤/ ب] قلت : بلى . قالت : فادع الله فإن الدعاء عند ذلك يستجاب .

٤٦١. حدثنا عبد الله بن أبي زياد ، قال حدثنا سيار ، عن جعفر ، عن ثابت البناني[٤] قال : قال فلان : إني لأعلم متى يستجاب لي . فقالوا : من أين تعلم ذاك؟ قال : إذا اقشعر

---

(١) بالأصلين " عبد الله بن زياد " والمثبت من التهذيب .

(٢) في (د) " سنان " .

(٣) في (ص) " أما تجد إلا قشعريرة " .

(٤) في (د) " عبد الله بن أبي زياد عن سيار عن سنان عن جعفر عن ثابت . . . " .

جلدي ووجل قلبي وفاضت عيناي ، فذلك حين يستجاب لي .

فإنما وصف الإقشعريرة لأن هذه نفوس لا تحتمل ما يرد القلب ، فتقشعر منه الجلود ، ينبئك أن هذا لأهل الاستقامة والمقتصدة .

فأما العارفون الذين قد عرفوا الله تبارك اسمه فلا يعرف أنهم[1] يعتريهم هذا؛ لأن نفوسهم قد اطمأنت إلى رؤية الملكوت وما يرد على القلوب ، ومرنت على ذلك واعتادت .

ومثل ذلك في الدنيا مثل جرة لم يصبها الماء ، فإذا وضعتها في الماء انتشقت وسمعت لها قشيشا ، فإذا كرر عليها ذلك لم تسمع لها ذلك؛ لأنها قد تشربت من الماء وارتوت ، فكذلك قلب العارف قد ارتوى من سقيا الله عز وجل .

٤٦٢- حدثنا عبد الله بن أبي زياد ، قال : حدثنا سيار ، قال : حدثنا أبو عاصم العباداني ، قال : حدثنا الفضل الرقاشي ، قال : حدثنا محمد بن المنكدر ، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " قال لي جبريل : يا محمد ، إن الله يخاطبني يوم القيامة فيقول : يا جبريل ، ما لي أرى فلان بن فلان في صفوف أهل النار؟ فأقول : يا رب ، إني لم أجد له حسنة يعود عليه خيرها اليوم . قال : يقول الله تعالى : إني سمعته في دار الدنيا يقول : يا حنان يا منان . فأته فاسأله ماذا عنى بقوله : يا حنان يا منان؟ فآتيه فأسأله ، فيقول : وهل من حنان ومنان غير الله تعالى؟ فآخذ بيده من صفوف أهل النار فأدخله في صفوف أهل الجنة " .

---

(١) في (د) " أنه " .

الأصل السادس والسبعون

٤٦٣- حدثنا عمر بن أبي عمر ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن يحيى بن إسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر ، عن الجراح بن مليح الحمصي البهراني ، قال : حدثنا بكر بن زرعة الخولاني ، عن أبي عتبة الخولاني ، وكان ممن صلى القبلتين مع رسول الله ﷺ ، قال : قال رسول الله ﷺ : " لا يزال الله يغرس في الدين غرسا ليستعملهم بطاعته " .

قال [١/ ١٣٦/ أ](١) أبو عبد الله :

فغرس الله محروس في الأحوال ، محفوظ في الأصلاب والأرحام ، ومرعي في قطع الأسفار ، إلى الله يكلؤه ويرعاه ، وهم رجاله في أرضه وأولياؤه والدعاة إليه ، وغرس الله راسخ عروقه في الأرض ، باسق فروعه في الملكوت فعروقه في الثرى وفروعه عند ذي العرش بين يديه ، هو غرسهم وهو أنبتهم ، وهو يجني ثمرتهم . فأما قولي : هو غرسهم . فهو أنه اجتباهم بمشيئته ، فاك غرسه إياهم . وأما قولي : هو أنبتهم . أي : أرضى نفوسهم وأدبهم وقوم أخلاقهم بتدبيره ، فولي ذلك منهم دون الخلق ، وكّل الحق عليهم حارسا ، وسار بهم إليه جاذبا . وأما قولي : هو يجني ثمرتهم . أي : لما وصلوا إليه وقبلهم ورتب لهم عنده في تلك الخلوات والمجالس صاروا في قبضته ، فهو الذي يستعملهم بطاعته ، فهو الذي قال رسول الله ﷺ في حديثه : " يستعملهم بطاعته " . وقوله في الحديث الآخر فيما يحكي عن الله تعالى أنه قال : " إذا أحببت عبدي كنت سمعه وبصره ويده ورجله ولسانه وفؤاده ، فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي وبي يعقل وبي ينطق " . ومنه قول لقمان : إلا أن يد الله على أفواه الحكماء . فلا ينطق أحدهم إلا بما هيأ الله .

فمن علامة أولئك أنه يخرجهم من بطون الأمهات أحرارا من رق النفوس قد طبع نفوسهم على أخلاق الكرام مثل السخاوة والشجاعة والسماحة والحلم والتأني والنزاهة والصيانة من مدانئ الأخلاق ، فهذا حر من رق النفس ، ومن كان ضد هذه الأشياء فيه مثل البخل والضيق والنكد والعجلة وحدة الشهوة والحرص والجبن ،

---

(١) تكرر في (ص) لوحة (١٣٥) يمين مع (١٣٤) ، أو يسارها جزء من كتاب آخر .

فهو عبد نفسه ، وإن رزق تقوى احتاج إلى أن يجاهد نفسه حتى لا يستعمل أركانه بما يصير به عاصيا ، فهو وإن جاهد فهذه الأخلاق باطنه ، وفي الظاهر متق ، وهو قول عيسى صلوات الله عليه لبني إسرائيل : فلا عبيد أتقياء ولا أحرار كرماء . فالعبيد الأتقياء هم الذين هذه الأخلاق فيهم ، فهم أتقياء يتقون الله أن يعصوه بجارحة وتتردد فيهم هذه الأخلاق ، فإن عملوا بطاعة عملوها بكزازة نفس وجهد ، والأحرار الكرماء فقد عروا عن هذه الأخلاق طبعا ، فنفوسهم أحرار من رق هذه الأخلاق ، فهم الكرماء ، فإن انتهوا عما نهى الله عنه لم يحتاجوا إلى أن [١/ ١٣٦/ب] يحاربوا ويجاهدوا نفوسهم ، وإن عملوا بطاعته عملوها[1] تكرما وسماحة ، فقلبه لين منقاد ليس فيه كزازة ، حيثما قاده مولاه في أموره انقاد من غير تلجلج .

ومنه قول رسول الله ﷺ : " لا تقولوا للعنب : كرم ، إنما الكرم قلب المؤمن ، فإنما سمي العنب كرما لأنه لين ينقاد حيثما استقيد .

فكذلك المؤمن قلبه لين رطب بذكر الله ، ينقاد لله في أموره وأحكامه .

فإذا كانت لنفسه حرارة شهوة ويبس وكزازة أصاب القلب من ذلك يبسا ، فإذا قدته إلى أمر الله احتجت إلى قوة؛ لأنه يستصعب عليك ، وهو قوله : ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ [الزمر : ٢٢] . فإذا دخل النور انفسح الصدر وتوسع للإسلام ، وذلك أن النفس تسكن حدتها وشرتها إذا جاوزها النور .

---

(١) في (ص) " عملوه " .

الأصل السابع والسبعون

٤٦٤. حدثنا نصر بن علي الحداني، قال: حدثنا المعلى بن راشد أبو اليمان الهذلي، قال: حدثتني جدتي أم عاصم، وكانت أم ولد لسنان بن سلمة، قالت: دخل علينا نبيشة الخير ونحن نأكل في قصعة، فحدثنا أن رسول الله ﷺ قال: "من أكل من قصعة ثم لحسها استغفرت له القصعة".

٤٦٥. حدثنا عمر بن أبي عمر، قال: حدثتني حكامة بنت عثمان بن دينار، قالت: حدثني عمي مالك بن دينار، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: "من أكل في قصعة ثم لحسها استغفرت له القصعة وصلت عليه".

قال أبو عبد الله:

فالشيطان ممنوع من مشاركة المؤمن في طعامه وشرابه ولباسه وجميع أموره ما دام يسمي الله تعالى على كل أمر، فإذا ترك التسمية وجد فرصة فشاركه في ذلك حتى في إتيانه أهله.

٤٦٦. حدثنا محمد بن عمارة بن صبيح الأسدي، قال: حدثنا سهل بن عامر البجلي، قال: حدثنا يحيى بن يعلى الأسلمي(١)، عن عثمان بن الأسود، عن مجاهد قال: إذا جامع الرجل أهله ولم يسم انطوى الجان على إحليله فجامع معه، فذلك قوله تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرحمن: ٧٤].

وذلك أن الله تبارك اسمه وصف الحور بأنهن لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان، يعلمك أن نساء الآدميات قد يطمثهن الجان وأن الحوريات قد برئن من هذا العيب ونزهن، فالطمث الجماع. [١/ ١٣٧/ أ]

٤٦٧. حدثنا الحسن بن عمر بن شقيق البصري، قال: حدثنا سليمان بن طريف عن مكحول(٢)، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ يخطب فقال: "إن الله أمرني أن أعلمكم ما علمني، وأن أؤدبكم، إذا قمتم على أبو اب حجركم فسلموا

---

(١) في (ص) "يعلي بن يحيى بن يعلي الأسلمي".

(٢) في (ص) "سليمان بن طريف بن مكحول".

يرجع الخبيث عن منازلكم ، وإذا وضع بين يدي أحدكم طعام فليسم لا يشارككم الخبيث في أرزاقكم ، ومن اغتسل بالليل فليحاذر على عورته ، فإن لم يفعل فأصابه لمم فلا يلومن إلا نفسه ، فإذا رفعتم المائدة فاكنسوا ما تحتها ، فإن الشياطين يلتقطون ما تحتها ، فلا تجعلوا لهم نصيبا في طعامكم » .

٤٦٨- **حدثنا** محمد بن علي الشقيقي ، قال : أخبرنا أبي ، قال : أخبرنا عبد الله ، قال : أخبرنا موسى الجهني ، عن القاسم بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : إذا وضعت يدك في الطعام فنسيت أن تقول : باسم الله فقل حين تذكر : باسم الله في أوله وآخره ؛ فإنك تمنع الخبيث ما أصاب من طعامك قبل ذلك ، وتستقبل طعامك جديدا ؛ فإن الخبيث يتقيأ ما أصاب قبل ذلك فينتثره .

٤٦٩- **حدثنا** بشر بن خالد العسكري ، قال : حدثنا سعيد بن مسلمة بن هشام ، عن عبد الملك قال : حدثنا الأعمش ، عن زيد العمي ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ستر ما بين أعين الجن وبين عورات بني آدم إذا وضع أحدكم ثوبه أن يقول : باسم الله » .

٤٧٠- **حدثنا** روح بن قرة اليشكري(١) ، قال : حدثنا عبد الله بن يحيى الثقفي ، قال : حدثنا عثمان بن مطر ، عن سلام بن سليم ، عن جعفر العبدي ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ بمثله .

قال أبو عبد الله(٢) :

فإنما يمتنع المؤمن من هذا العدو باسم الله ، فإذا سمى الله على طعامه فالشيطان منه بمزجر الكلب جائعا عاريا ، فإذا فرغ من الطعام ولم يلحس القصعة جاء الشيطان فلحسها لينال ما بقي هناك ، فصارت القصعة لحسة للشيطان ، فإذا لحسها كان قد خلصها من الشيطان ولحسته ، فاستغفرت له شكرا له بما فعل حيث لم يتركها في يد الشيطان يلحسها ، وصار فعله ذلك سترا للقصعة من الشيطان ؛ حيث لم يترك [١/١٣٧/ب] هناك شيئا يجد الشيطان سبيلا إليه ؛ لأنه إنما سمى على ما يأكل ، فإذا

---

(١) في (ص) « اليشكر » .
(٢) غير موجودة في (د)

رفض ما بقي فقد ذهب سلطان التسمية وحراسته ، فإذا استقصى فيه فلم يترك شيئا شكرت له فسألت ربها المغفرة ، وهو الستر لذنوبه حيث سترها .

الأصل الثامن والسبعون

٤٧١. **حدثنا** موسى بن محمد المسروقي ، قال : حدثنا أبو أسامة ، عن مسعر ، عن زياد بن علاقة ، عن عمه قال : كان رسول الله ﷺ يقول : " اللهم جنبني منكرات الأعمال والأخلاق والأهواء والأدواء " .

قال أبو عبد الله[١] :

فمن الأعمال والأخلاق والأهواء والأدواء ما لا ينفك منه ابن آدم في متقلبه ليلا ولا نهارا ، ومنها ما يعظم الخطب فيه حتى يصير منكرا غير متعارف فيما بينهم ، فذاك الذي يشار إليه بالأصابع في ذلك الأمر ، ومنه يعظم الوبال . وبلغنا أن غضيف بن الحارث قال لعبد الله بن عائذ الثمالي حين حضرته الوفاة : إن استطعت أن تلقانا فتخبرنا بما لقيت . فتوفي فرؤي في المنام ، فقال : وجدنا ربنا خير رب؛ يقبل الحسنات ويغفر السيئات ، إلا ما كان من الأحراض . قيل : وما الأحراض؟ قال : الذي يشار إليه بالأصابع بالسوء في الشر .

٤٧٢. **حدثنا** بذلك حفص بن عمر ، قال : حدثنا الحكم بن نافع ، قال : حدثنا صفوان بن عمرو ، عن محمد بن زياد أبي سفيان الألهاني ، عن غضيف ، عن ابن الحارث . فهذا منكر ، فلذلك يشار إليه بالأصابع .

٤٧٣. **حدثنا** أبو الأشعث العجلي ، قال : حدثنا حزم[٢] القطعي ، قال : سمعت الحسن يقول : قال رسول الله ﷺ : " بحسب امرئ من الشر أن يشار إليه بالأصابع في دين أو دنيا ، إلا من عصم الله " .

قال أبو عبد الله[٣] :

فإنما يشار إليه في دين فإنه أحدث بدعة ومنكرا ، فأشير إليه فيه ، وفي دنيا أحدث منكرا من الكبائر فأشير إليه .

---

(١) غير موجودة (د) .

(٢) في (د) " حرة " .

(٣) غير موجودة في (د) .

فأما ما يتفاوت الناس فيه فقد ينظر إليهم وليسوا بأهل إشارة ، فإنه إن كثرت صلاة رجل أو صيامه فاشتهر بذلك أو بنوع من أنواع البر ، فإنما اشتهر بزيادة كانت منه ، وإلا فقد شركه الجميع ، فليس في هذا ما يشار إليه بالأصابع ، أما هذا في الذي يحدث في دينه بدعة فيفرق(١) الناس ويبعد شأنه من شئونهم ، وكذلك في [١/ ١٣٨/أ] .

الدنيا يحدث منكرا يفوت الناس ويبعد أمره ، مثل الإصرار على بعض الكبائر من الزنا والسرقة ونحوها ، وإنما ذكر رسول الله ﷺ الإشارة بالأصابع فقال : " بحسبه من الشر " كأنه رأى أن ذلك عبد قد هتك الله ستره ، فالمهتوك ستره في أيام الدنيا في عار ، وغدا في النار ، ومن ستر الله عليه في الدنيا رجي له كل خير .

كذلك روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : " إذا ستر الله على عبد في الدنيا لم يفضحه [في الآخرة](٢) غدا " .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه أقسم على ذلك من غير أن يستثني : " لا يستر الله على عبد فيفضحه غدا " .

٤٧٤ـ **حدثنا** بذلك أبي رحمه الله ، قال : حدثنا القعنبي ، عن سلمة ، عن وردان ، عن أبي سعيد بن أبي المعلى ، عن علي رضي الله عنه .

قال : فالكبائر منكرات الأعمال ، وسوء الخلق من منكرات الأخلاق . وهو الحقد والبخل والشح والحسد وما أشبهه ، والزيغ منكرات الأهواء والسل وذات الجنب والجذام والبرص وما أشبهه من منكرات الأدواء . وهذه كلها بوائق الدهر ، فربما كان يحمله فيقول : أعوذ بك من بوائق الدهر وفجآت النقم ، أي نقم الله تفجؤه بذنوبه في عاجل الدنيا .

---

(١) هكذا ما استظهرت قراءته من الأصلين

(٢) زيادة من (د)

الأصل التاسع والسبعون

٤٧٥ـ محمد بن موسى الحرشي ، قال : حدثنا حماد بن زيد ، قال : حدثنا هشام ، عن محمد ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " من رآني في المنام فقد رآني ؛ فإن الشيطان لا يستطيع أن يتمثل بي " . فكان الرجل إذا قص عليه الرؤيا يقول : كيف رأيته؟ فإن جاء بالرؤيا على وجهها وإلا قال : لم تره .

قال أبو عبد الله :

قوله : " من رآني في المنام " أي رآني على نعتي الذي أنا عليه ، فلو رآه على غير نعته لم يكن رآه ؛ لأنه قال : " من رآني " ، فإنما يقع على نعته . والرؤيا على ثلاث منازل ؛ منها ما يريه الملك الموكل بالرؤيا ، فذاك حق ، ومنها ما يمثل له الشيطان ، ومنها ما يحدث به المرء نفسه .

٤٧٦ـ **حدثنا** بذلك أحمد بن أبي عبد الله السلمي البصري ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " الرؤيا ثلاث ؛ فرؤيا يحدث به المرء نفسه ، ورؤيا حق ، ورؤيا تحزين من الشيطان ، فمن رأى ما يكره فليقم [١٣٨/١/ ب] فليصل " .

وكان يقول : " من رآني فإني أنا ، وليس للشيطان أن يتمثل بي " . وكان يقول : " لا تقص الرؤيا إلا على عالم أو ناصح " .

٤٧٧ـ **حدثنا** أبي ، قال : حدثنا يوسف بن بهلول ، قال : حدثنا عبدة بن سليمان ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن إبراهيم التيمي ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبي قتادة الأنصاري قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " الرؤيا على ثلاث منازل ؛ فمنها ما يحدث به المرء نفسه ، ليست بشيء ، ومنها ما يكون من الشيطان ، فإذا رأى أحدكم ما يكره فليبصق عن يساره وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم ، فلن يضره بعد ذلك ، ومنها بشرى من الله ، ورؤيا الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة ، فإذا رأى أحدكم رؤيا فليعرضها على ذي رأي ناصح فليقل خيرا أو ليتأول خيرا " . فقال عوف بن مالك الأشجعي : والله يا رسول الله صلى الله عليك وسلم ، لو كانت حصاة من عدد الحصى لكان كثيرا .

٤٧٨. حدثنا صالح بن عبد الله ، قال : حدثنا هشام ، عن يعلى بن عطاء ، عن وكيع بن عدس العقيلي ، عن عمه أبي رزين ، وهو لقيط بن عامر المنتفق ، قال : قال رسول الله ﷺ : " الرؤيا على رجل طائر ما لم تعبر ، فإذا عبرت وقعت " . وأحسبه قال : " فلا تقصها إلا على واذ أو ذي رأي ناصح " . وقال رسول الله ﷺ : " رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة " .

٤٧٩. [حدثنا قتيبة بن سعيد ، قال : حدثنا ابن لهيعة ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " الرؤيا للرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة "][1] .

٤٨٠. حدثنا سفيان بن وكيع ، قال : حدثنا يونس بن بكير ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن عبد الرحمن الأعرج ، عن سليمان بن غريب قال : سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول : قال رسول الله ﷺ : " رؤيا الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة " . فقال ابن عباس رضي الله عنهما : جزء من خمسين جزءا من النبوة . فقال سليمان : سمعته من أبي هريرة . قال ابن عباس : يقول أبو هريرة وأقول : قال العباس ابن عبد المطلب : [١/ ١٣٩/أ] قال رسول الله ﷺ .

٤٨١. حدثنا قتيبة بن سعيد ، عن مالك بن أنس ، عن إسحاق بن عبد الله ، عن أبي طلحة ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : " الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة " .

٤٨٢. حدثنا المخزومي ، قال : حدثنا سفيان ، عن الزهري ، عن أبي سلمة ، عن أبي قتادة قال : قال رسول الله ﷺ : " الرؤيا من الله ، والحلم من الشيطان ، فإذا حلم أحدكم حلما يكرهه فلينفث عن يساره ثلاثا ، وليتعوذ بالله من شرها ، فإنها لا تضره " .

٤٨٣. حدثنا عبد الجبار ، قال : حدثنا سفيان ، عن سليمان بن سحيم ، عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن معبد ، عن أبيه ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كشف رسول الله ﷺ الستارة والناس صفوف خلف أبي بكر ، فقال : " أيها الناس ، إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له " .

---

(١) ما بين المعقوفين سقط من (د)

فالرؤيا حق جاء من عند الحق المبين يخبر عن أنباء الغيب ، وهو من الله تعالى تأييد لعبده ، بشرى ونذارة ومعاتبة؛ ليكون له فيما ندب له ودعي إليه عونا ، وقد كانت عامة أمور الأولين بالرؤيا إلا أنها ضعفت في هذه الأمة وقلت؛ لعظيم ما جاء به محمد ﷺ من الوحي ، ولما في هذه الأمة من الصديقين والمحدثين وأهل اليقين والإلهام ، فاستغنوا عن الرؤيا .

وقد وكل بالرؤيا ملك يضرب من الحكمة الأمثال ، وقد اطلع على قصص ولد آدم من اللوح ، فهو ينسخ منها ويضرب لكل على قصته مثله ، فإذا نام وخرجت نفسه مثل له تلك الأشياء على طريق الحكمة؛ ليكون له بشرى أو نذارة أو معاتبة .

والآدمي المؤمن محسود ، وقد ولع به هذا الشيطان لشدة عداوته ، فهو يكيده ويحسده من كل وجه ، يريد فساد أموره وتلبيسها عليه ، فإذا رأى الرؤيا الصادقة أراه من كيده شيئا كي يشبه عليه رؤياه ويخلطها حتى يفسد عليه بشراه ونذارته ومعاتبته ، ونفسه الأمارة بالسوء عون للشيطان على جميع أموره في المنام واليقظة ، فربما كان رؤيا مما حدث به في اليقظة نفسه ، فخرجت نفسه في المنام مثل له ما كان يحدث به في اليقظة ، فذاك من حديث النفس والمنى ، ليس من أنباء الغيب ، فهذان [١/١٣٩/ب] صنفان من الرؤيا كلاهما يئولان إلى الهدر والتهاتر .

والصنف الثالث : هي الرؤيا الصادقة التي يبشر الله بها عباده أو ينذرهم أو يعاتبهم أو خبر يلقى إليهم ليكونوا على بصيرة من أمورهم .

فأما البشرى فمثل ما جاءنا به من رؤيا أبي بكر حيث جاءه صهيب فقال : إني رأيت كأن يدك مغلولة إلى عنقك إلى سرير إلى الحشر . فقال أبو بكر رضي الله عنه : الله أكبر جمع لي ديني إلى يوم الحشر .

وأما النذارة فما يروى لنا عن معاذ بن جبل رضي الله عنه ، أنه رجع من اليمن بعد وفاة رسول الله ﷺ قدم معه برقيق قد أصابه هناك ، فقال له عمر رضي الله عنه : اذهب بها إلى أبي بكر حتى يطيب لك . فأبى وقال : إنما بعثني رسول الله ﷺ ليجيزني فيما أصابني من الدين فطيبت لي الهدية . فلما رجع إلى أهله وبات رأى تلك الليلة كأنه قد وقع في ماء غمر ، فأتاه عمر رضي الله عنه فأخذ بيده حتى أخرجه منه ، فلما أصبح غدا بالسبي إلى أبي بكر رضي الله عنه فقص عليه قصته ، فقال

أبو بكر رضي الله عنه : قد علمت أن رسول الله ﷺ إنما بعثك ليجيزك ، هم لك حل .

٤٨٤ـ حدثنا بذلك علي بن حجر ، قال : حدثنا سويد بن عبد العزيز السلمي ، قال حدثني عروة بن رويم .

ومثل ما جاءني في فتح نهاوند ، حيث حمل إلى عمر رضي الله عنه السفطين فيهما حلي ، وقد كان للنجيرحان كنزا ، فدله ذلك الرجل على الكنز على أن له الأمان ولأهل بيته ، فحمله السائب بن الأقرع إلى عمر رضي الله عنه ، فجمع أصحاب رسول الله ﷺ فختمه ووضعه في خزانته ، فرأى تلك الليلة كأن ملائكة جاءت بسفطين فأوقدوا ما فيهما جمرا يتوقد ، فجعلت أنثني عنهما وأنكص وأقدم إليهما ، فكاد ابن الخطاب يحترق ، فأتبعه بريدا إلى الكوفة حتى جاء فقال : ما لي ولك يا سائب؟ إني رأيت كذا فاذهب بهما إلى الكوفة وبعهما بأعطيات المقاتلة والذرية .

٤٨٥ـ حدثنا بذلك داود بن حماد القيسي ، قال : حدثنا حماد بن داود الثعلبي الكوفي ، قال : حدثنا مضرس بن عبد الله [الوالبي عن يونس عن الحسن .

وأما . . . [(١)] فمثل

٤٨٦ـ ما حدثنا به عبد الله][(٢)] بن أبي زياد ، قال حدثنا سيار ، قال : حدثنا حماد بن زيد ، عن يزيد بن حازم ، عن سليمان بن يسار[(٣)] قال : استيقظ أبو أسيد الأنصاري ليلة وهو يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، فاتني وردي الليلة ، وكان وردي البقرة ، فقد رأيت في المنام كأن بقرة تنطحني . [١/ ١٤٠/أ]

٤٨٧ـ حدثنا سهيل بن العباس ، قال : حدثنا مروان الفزاري ، عن سمير بن أبي واصل ، قال : [كان][(٤)] يقال : إذا أراد الله بعبد خيرا عاتبه في نومه .

وأما الخبر الذي يلقى إليه من أمر الدنيا والآخرة فمثل

---

(١) مقدار كلمة لم أستطع قراءتها .

(٢) ما بين المعقوفين سقط من (ص) .

(٣) في (د) " سليم بن سنان " .

(٤) زيادة من (د) .

٤٨٨- ما حدثنا به أبي رحمه الله ، قال : حدثنا به أحمد بن يونس ، عن سعيد[(١)] بن سالم القداح ، عن [عبد الله بن عمر عن نافع عن][(٢)] عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : جاء رجل إلى عمر وهو عند أبي بكر رضي الله عنهما فقال : إني رأيت لك رؤيا . فقال عمر رضي الله عنه : لا حاجة لنا برؤياك . قال أبو بكر رضي الله عنه : هات . فقال : رأيت كأن الناس قد حشروا ، وكأنك فزعت الناس بثلاث نشطات . قلت : بأي شيء فزع الناس عمر بثلاث نشطات أو نحوه . قال : بأنه يكون خليفة ، وأنه لا يأخذه في الله لومة لائم ، وأنه يقتل شهيدا . فقال عمر رضي الله عنه : أضغاث أحلام ، لا حاجة لنا برؤياك . قال أبو بكر رضي الله عنه : رأيت خيرا وخيرا يكون . فلما أتى عمر الشام بصر الرجل ، فقال : علي بالرجل أو دعا به ، فقال : أنت صاحب الرؤيا؟ قال : وما تصنع برؤياي ، ما زلت تنتهرني حتى إني قد جئت بأمر . قال : قصها . قال : رأيت كأن الناس يحشرون ، فرأيتك فزعت الناس بثلاث نشطات ، فقلت : بأي شيء فزع الناس عمر بثلاث نشطات؟ قال : بأنه يكون خليفة . قال : فقد كانت ، نسأل الله خيرها ونعوذ بالله من شرها . قال : وبأنه لا تأخذه في الله لومة لائم . قال : إني أرجو أن يكون كذلك ، أو يعلم الله ذلك مني . قال : وبأن يقتل شهيدا . قال عمر رضي الله عنه : أما الشهادة فأنى لعمر بالشهادة؟ ثم قال : بل يأتي الله بكافر فينقرني نقر الديك فيكرمني الله بهوانه ويهينه بكرامتي . قال : ويحك ، أردت أن تقص رؤياك عند خير الناس بعد رسول الله ﷺ .

وكان شأن الرؤيا عظيما عند رسول الله ﷺ وأصحابه ، وكان إذا صلى سأل الصحابة عن ذلك .

٤٨٩- حدثنا رزق الله بن موسى الناجي ، قال : حدثنا مؤمل بن إسماعيل ، عن حماد بن سلمة قال : حدثني سعيد بن جمهان ، عن سفينة رضي الله عنه قال : كان[(٣)] رسول الله ﷺ إذا صلى الصبح أقبل على أصحابه فقال : « أيكم رأى الليلة رؤيا؟ » . فقال ذات

---

(١) في (ص) « سعد » .

(٢) ما بين المعقوفين سقط من (ص) .

(٣) « كان » سقط من (ص) .

يوم ذلك ، فقال رجل : أنا يا رسول الله ، رأيت كأن ميزانا دلي من السماء فوضعت في [١/ ١٤٠/ ب] كفة الميزان ، ووضع أبو بكر في كفة فرجحت بأبي بكر ، ثم رفعت وترك أبو بكر ، ثم جيء بعمر فوضع في الكفة الأخرى ، فرجح أبو بكر بعمر ، ثم رفع أبو بكر وترك عمر ، ثم جيء بعثمان فوضع في الكفة الأخرى ، فرجح عمر بعثمان ، ثم رفع الميزان . فتغير وجه رسول الله ﷺ ، ثم قال : " خلافة النبوة ثلاثين عاما ، ثم تكون ملكا " . قال لي سفينة : أمسك سنتين أبو بكر ، وعشرا عمر ، وثنتي عشرة عثمان ، وستا علي .

٤٩٠- **حدثنا** أبي رحمه الله ، قال : حدثنا أبو نعيم ، قال : حدثنا حشرج بن نباتة ، عن سعيد بن جمهان ، عن سفينة رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ قال : " الخلافة في أمتي ثلاثون عاما " . فذكره إلى آخره ، ولم يذكر الرؤيا .

٤٩١- **حدثنا** الجارود بن معاذ ، قال : حدثنا النضر بن عوف ، عن أبي رجاء ، عن سمرة بن جندب قال : كان رسول الله ﷺ كثيرا ما يقول لأصحابه : " هل رأى أحد منكم رؤيا؟ " . فيقص عليه ما شاء الله أن يقص .

٤٩٢- **حدثنا** عمر بن أبي عمر ، قال : حدثنا يحيى بن سليمان الجعفي ، عن ابن وهب قال : أخبرني عمرو بن الحارث ، عن بكر بن سوادة ، حدثه أن زياد بن نعيم ، حدثه عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه كان يقول إذا أصبح : " من رأى رؤيا صالحة فليحدثنا بها ، لأن يرى لي رجل مسلم أسبغ وضوءه رؤيا صالحة أحب إلي من كذا وكذا " .

قال أبو عبد الله(١) :

فإنما طلبوا ذلك وتفقدوه لأنه من أخبار الملكوت من الغيب ، ولهم في ذلك نفع في أمر دينهم بشري كان أو نذاره أو معاتبة وهو جزء من أجزاء النبوة ، وقد قال رسول الله ﷺ يوم وفاته : " إنه لم يبق بعدي من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة " . وقد ذكر الله في تنزيله شأن الأولياء فقال : ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [يونس : ٦٢] ثم وصف من الأولياء فقال : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ ﴾ [يونس : ٦٣ - ٦٤] . ثم قال :

---

(١) غير موجودة في (د) .

﴿ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ يعلمك أن هذا البشرى هو الحق ، وهو كلام الله ، فسُئل رسول الله ﷺ عن البشرى .

٤٩٣ـ حدثنا بذلك الجارود ، قال : حدثنا وكيع ، قال : حدثنا علي بن [١/١٤١/أ] المبارك ، عن يحيى بن أبي بكير ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن عبادة بن الصامت قال : سألت رسول الله ﷺ عن قوله : ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [يونس : ٦٤] قال : " هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له " .

٤٩٤ـ حدثنا قتيبة بن سعيد ، عن مالك بن أنس ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه قال : نزلت هذه الآية في ذلك .

٤٩٥ـ حدثنا عبد الجبار ، قال : حدثنا سفيان ، عن محمد بن المنكدر ، عن عطاء بن يسار ، عن رجل من أهل مصر قال : سألت عنها أبا الدرداء فقال : سألت رسول الله ﷺ عن ذلك فقال : " ما سألني عنها أحد قبلك ، هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له ، وفي الآخرة الجنة "(١) .

٤٩٦ـ حدثنا الجارود ، قال : حدثنا وكيع عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن عطاء بن يسار ، عن رجل كان يقضي بمصر ، عن أبي الدرداء ، عن رسول الله ﷺ بمثله . فقوله : ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ أي أن هذه البشرى كلام الله ، فلا تبديل له ولا خلف .

وروي عن رسول الله ﷺ ما يحقق ما قلنا ،

٤٩٧ـ حدثنا به عمر بن أبي عمر ، قال : حدثنا نعيم بن حماد ، قال : حدثنا عثمان بن كثير ابن دينار الحمصي ، قال : حدثنا محمد بن مهاجر أخو عمرو، عن جنيد بن ميمون أبي عبد الحميد ، عن حمزة بن الزبير ، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : " رؤيا المؤمن كلام يكلم به العبد ربه في المنام "(٢) .

وروي لنا عن بعض أهل التفسير في قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا ﴾ [الشورى : ٥١] قال : ﴿ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ﴾ في منامه .

---

(١) ذكره الشوكاني في فتح القدير وقال : في إسناده هذا الرجل المجهول .

(٢) ذكره الحافظ في فتح الباري وعزاه للحكيم وقال : من روايته عن شيخه عمر بن أبي عمر ، وهو واه .

وكانت رؤيا الأنبياء وحيا ، وإنما أري إبراهيم في المنام ذبح ابنه فوفى الله بذلك ، فرؤيا الأنبياء لا شك فيه ، ورؤيا من بعدهم لا يحتج به؛ لأن الشيطان يلقي فيه من عنده ، فلا يؤمن عليه ، والوحي محروس ، فمن دون الأنبياء لهم بشرى وموعظة ، ألا ترى أن عمر رضي الله عنه حين قص عليه رؤيا فقال : إنها تسرني ولا تحزنني . فلو لم يكن بشرى كانت لا تسره ، ولو كانت كالوحي لم تكن غرورا ، وقد قص الله شأن الرؤيا في تنزيله فسماه حديثا فقال : ﴿ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ ﴾ [يوسف : ٢١] .

فهذا [١/ ١٤١/ ب] يحقق ما جاء عن رسول الله ﷺ أنه كلام الرب عبده ، فعلم يوسف عليه السلام تأويل الرؤيا ، فلما رأى سجود الإخوة له حيث لقوه بمصر فخروا له سجدا ، قال : ﴿ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗا ﴾ [يوسف : ١٠٠] . حيث رأى الشمس والقمر وأحد عشر كوكبا له ساجدين ، وما كان من رؤيا الملك حيث رأى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف ، فعبره يوسف وأخرجه من السجن وولاه ملكه ، وجعله على خزائن الأرض .

فالمحدثون على القلوب هم صفوة السابقين المقربين ، والمخبتون من الأولياء المجذوبون .

والمحدثون في المنام أمرهم(١) على الأرواح من الأجساد كلموا ، ومنه قول(٢) رقبة ابن مسقلة .

٤٩٨ـ حدثنا جارود بن معاذ ، عن جرير ، عن رقبة بن مسقلة قال : رأيت رب العزة في المنام فقال : وعزتي لأكرمن مثوى سليمان التيمي .

ومنه ما روي عن إبراهيم بن أدهم أنه قال ذات يوم : اللهم إنه قد وقع الشوق إليك في قلبي والنظر إليك ، وقد علمت أنك لا ترى في الدنيا ، فهب لي من عندك ما يسكن إليه قلبي . فغفى إبراهيم في مجلسه ذلك ثم أفاق ، ثم قال : سبحان الله . فقيل له : مم سبحت؟ قال : من لطف ربي تبارك وتعالى ، إني بينما أنا غاف إذ أتاني آت من ربي فقال : يا رجل ، أجب ربك . فأتيت ربي فكاد بصري يذهب لنور

---

(١) في (د) « أمره » .

(٢) في (ص) « قوله » .

ربي ، فناداني ربي فقال : يا إبراهيم ، تسألني بدلا من النظر إلي والشوق إلى لقائي ، فهل لذلك من بدل؟ فقلت : يا رب ، دهشت في حبك فطار قلبي إليك ، فلم أتمالك أن قلت ما قلت ، فكيف تأمرني أن أقول؟ فقال : يا إبراهيم ، من وجدت قلبه خاليا من الدنيا والآخرة ملأته من حبي ، حتى إذا ملأته قبضت عليه فكان في قبضتي ، فإذا كان في قبضتي كنت سمعه الذي به يسمع ، وبصره(١) الذي به يبصر ، ويده الذي بها يبطش . وعزتي وجلالي لو سألني جميع الدنيا كلها في كفة لفعلت ، وكيف يتفرغ إلى المسألة من سهلت له السبيل إلى نفسي وأريته كرامتي ، فإن كنت لا بد سائلا ، فاسألني أن أجمعك إلي وأونسك بكلامي ، وآذن لأرواح أنبيائي في الالتقاء معك ، فإن ذلك يهون علي لأوليائي .

قال أبو عبد الله(٢) :

فالوحي يتحقق حديثه على القلب بالروح ، والمحدث يتحقق حديثه على القلب بالسكينة ، ولما كان للمحدثين في اليقظة [١/ ١٤٢/ أ] على القلوب كلام يعقلوه ويعلموه كانت الرؤيا حديثا وكلامًا أيضًا على الأرواح في المنام؛ لأن العامة في تخليط من قبل الشهوات وميل النفوس ، فلم يكلموا إلا من بعد مزايلة الأرواح من النفوس والشهوات . والحفظ قرين العقل ، ومؤيد العقل به ، فإذا رجع الروح إلى الجسد وقد كلم بشيء أو مثل له بشيء فوجد له مهلة حتى يعرضه على العقل ، فإذا استيقظ حفظه ، فإذا رجع ولم يجد مهلة حتى يعرضه على العقل ، فإذا استيقظ حفظه ، فإذا رجع ولم يجد مهلة حتى يعرضه على العقل ، واستيقظ قبل ذلك نسيه ، ولما صفت عقول المحدثين وطهرت قلوبهم وتنزهت من الآفات والشهوات والعلائق كلموا على القلوب ، فإذا كان الكلام على الأرواح في المنام جزءا من ستة وأربعين جزءا من النبوة على ما جاء عن رسول الله ﷺ ، فإذا كان على القلوب في اليقظة كان كثيرا ، فربما كان ثلث النبوة وربما كان نصفها ، وربما كان أكثر على قدر قربها من ربها في تلك المجالس .

---

(١) في (ص) ، (د) " عينه " والمثبت من (ط) .

(٢) غير موجودة في (د) .

٤٩٩ـ حدثنا محمد بن الحسن الليثي ، قال : حدثنا إبراهيم بن سعد ، عن أبيه ، عن أبي سلمة قال : قال رسول الله ﷺ : " بينا أنا نائم إذ أتيت بقدح لبن فشربت منه ، حتى إني لأرى اللبن يجري من أطرافي ، ثم أعطيت فضلي عمر بن الخطاب " . فقال من حوله : ماذا أولت يا رسول الله؟ قال : " العلم " . قال : ورأيت الناس يعرضون علي وعليهم قمص منها ما يبلغ الثدي ، ومنها ما يبلغ الركب ، ومر عمر رضي الله عنه وعليه قميص يجره " . قالوا : فما أولته يا رسول الله؟ قال : " الدين " .

٥٠٠ـ حدثنا أبي رحمه الله ، قال : حدثنا الحماني ، قال : حدثنا ابن المبارك ، عن يونس ، عن الزهري ، قال : حدثني حمزة بن عبد الله ، عن ابن عمر[١] رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " رأيتني في المنام عرضت علي أمتي ، فمنهم من كان قميصه إلى ركبتيه ، ومنهم من كان قميصه إلى أنصاف ساقيه ، فمر بي عمر بن الخطاب رضي الله عنه يجر قميصه " . فقال له أبو بكر رضي الله عنه : على ما أولت هذا يا رسول الله؟ قال : " على الإيمان " .

---

(١) في (ص) " عمر " .

الأصل الثمانون

٥٠١. حدثنا أبي رحمه الله ، قال : حدثني مكي بن إبراهيم ، قال : حدثنا بهز بن حكيم ، عن أبيه ، عن جده ، قال : قال رسول الله ﷺ : " إنه كان [١/ ١٤٢/ ب] عبد من عباد الله آتاه الله مالا وولدا ، فكان لا يدين لله دينا ، فلبث حتى إذا ما ذهب عمر وبقي عمر ذكر فعلم أنه لم يبتر عند الله خيرا ، دعا بنيه فقال : أي أب تعلموني؟ قالوا : خيرا يا أبانا . قال : فإني والله لا أدع عند رجل منكم مالا هومني إلا أنا آخذه منه أولتفعلن بي ما آمركم . فأخذ منهم ميثاقا وربي قال : أما إني إذا مت فخذوني وألقوني في النار ، حتى إذا كنت حمما فدقوني ثم اذروني في الريح لعلي أضل الله . ففعلوا به ورب محمد حين مات ، وجيء به أحسن ما كان قط ، فعرض على ربه فقال : ما حملك على هذا؟ قال : خشيتك يا رباه . قال : إني أسمعك راهبا . فتيب عليه " .

٥٠٢. حدثنا عبد الله بن أبي زياد القطواني ، قال : حدثنا معاوية بن هشام ، قال : حدثنا شيبان النحوي ، قال : حدثنا فراس بن عطية ، عن أبي سعيد رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : " لقد دخل رجل الجنة ما عمل خيرا قط ، قال لأهله حين حضره الموت : إذا أنا مت فأحرقوني ثم اسحقوني ، ثم اذروا نصفي في البر ونصفي في البحر . فأمر الله البر والبحر فجمعاه . قال : ما حملك على ما صنعت؟ قال : مخافتك . فغفر له بذلك " .

٥٠٣. حدثنا سفيان ، قال : حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن الأجلح ، عن نعيم بن أبي هند ، عن ربعي بن حراش ، عن حذيفة ، عن ابن مسعود رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ بمثله .

٥٠٤. حدثنا أبو داود المصاحفي ، قال : حدثنا النضر بن شميل ، قال : حدثنا أبو نعامة العدوي ، قال : حدثنا أبو هنيدة البر بن نوفل ، عن دالان العدوي ، عن حذيفة ، عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ بنحوه . وزاد فيه : قال رسول الله ﷺ : " فيقول الله تعالى : انظر إلى ملك أعظم ملك في الدنيا ؛ فإن لك مثله وعشرة أمثاله . فيقول : لم تسخر بي وأنت الملك؟ " . قال رسول الله ﷺ : " فذاك الذي أضحكني " .

قال أبو عبد الله :

فهذا عبد استقرت المعرفة في قلبه بالتوحيد لله ، وبالبعث بعد الموت والثواب

والعقاب ، والغالب عليه الجهل بالله والجهل بأمره فأمرج نفسه وأهمل الحدود وعطل العمر ، فلما حضره الموت هاج منه خوف التوحيد ، فأعمل قلبه ، فطلبت نفسه [١/ ١٤٣/ أ] الجاهلة بالله ملجأ إلي غير الله وخلاصا من الله ، فدلته نفسه على ما أوصى به أهله من الحرق والسحق والتذرية ، فهذا به وكل ما دل عن العقل صار هذيانا فعلته من المخافة ما ذهل عقله وانقطعت حيلته ، فلولا أن ذلك الذي هاج منه خوف التوحيد والعقيدة صحيحة ما صدقه في قوله : ما حملك على ذلك؟ فقال : مخافتك . ولم يكن يغفر له . وفي حديث بهز قال : قال : إني أسمعك راهبا . فصدقه في قوله : خشيتك يا رب . وقوله : تيب عليه وغفر له . وفي الحديث الآخر كلاهما بمعنى واحد ، فهذا من كرم ربنا ينبئ رسولنا[١] ﷺ . ومن مجده يخبر ، ومن عطفه على عبيده . ومما يخبر في الحديث أنه قال : ما عمل خيرا قط ، فهو عبد ممنون عليه بالتوحيد ، ونفسه شرهة أشرة بطرة شهوانية قاهرة له ، فلم يلتفت إلى العبودة ، فبالمعرفة نجا ، فهو قوله : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام : ٨٢] .

٥٠٥- حدثنا عبد الله بن سعيد الكندي ، قال : حدثنا ابن إدريس ، قال : حدثنا أبو إسحاق الشيباني ، عن أبي بكر بن أبي موسى ، عن الأسود بن هلال ، عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال لأصحابه : ما تقولون في هاتين الآيتين : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ ﴾ [فصلت : ٣٠] و﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ . فقالوا : استقاموا فلم يذنبوا ولم يلبسوا إيمانهم بخطيئة . فقال أبو بكر رضي الله عنه : لقد حملتموها على غير المحمل؛ قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلم يلتفتوا إلى إله غيره ولم يلبسوا إيمانهم بشرك ، أولئك لهم الأمن وهم مهتدون .

قال أبو عبد الله[٢] :

فهذا عبد قد كان حاله ما ذكر في الحديث لم يعمل خيرا قط ، فأدركته دولة السعادة ، فأصاب الخشية ، والخشية إنما تنال عند كشف الغطاء وانشراح الصدر بالنور ، فقد

---

(١) في (ص) " رسولنا الله " .

(٢) غير موجودة في (د) .

كان سبق لهذا العبد من الله تعالى أثرة وحظ وهو يقطع عمره في رفض العبودة وتضييعها وأعمال أموره ، فلما حضر أوان شخوصه إلى الله جاءت الأثرة والسعادة بذلك الحظ الذي كان سبق له ، فاستنار الصدر بالنور فانكشف الغطاء فأخذته الخشية حتى صار بحال لا يعقل ما يقول من الذهول والرهب من الله ، فقدم عليه [١/١٤٣/ب] معها ، فغفر له بخشيته تلك ، وغطت الخشية مساوئه كلها .

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : " بينما عبد لم يعمل لله خيرا قط ففرق فخرج هاربا ، فجعل ينادي : يا أرض اشفعي لي ، ويا سماء اشفعي لي ، ويا كذا اشفعي لي ، فأصابه العطش فوقع ، فلما أفاق قيل له : قم فقد شفع لك من قبل فرقك من الله عز وجل .

٥٠٦- حدثنا بذلك أبي رحمه الله ، قال : حدثنا صالح بن محمد ، عن أبي مقاتل ، عن أبي الحجاج وهو خارجة عن ابن عجلان ، رفعه إلى أبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ .

قال أبو عبد الله :

فالخشية هي ولوج القلب ذلك النور الذي يوصله إلى الحجب بين يدي الله ، فيحل به من الهول ما تموت منه كل شهوة ، فذلك التوبة النصوح تاب إلى الله توبة ظاهرة باطنة طهرت الأركان وطهر القلب ، أما الأركان فبتركه والتخلي عنه ، وأما القلب فبموت الشهوات من الخشية ، والفرق هو مفارقة القلب جميع معاني النفس من الهوى والشهوات .

وكذلك ما ذكر في حديث بهز بن حكيم : إني أسمعك راهبا . والرهب هو من هرب القلب من الخوف الذي حل به ، فالهرب من الله إلى الله ، فما زال قلبه يهرب حتى بهر ، أي علاه البهر .

وروي عن رسول الله ﷺ أن رجلا مات عند رسول الله ﷺ في آية قرئت عنده ، فقال رسول الله ﷺ : " إن الفرق فَلَذَ كبده " . فقد أخبر بتفسير الفرق أن الفرق مما يكشف الغطاء ويتزايا(١) له ، وينفر من مستقره نفارا يقطع الكبد من شدة نفاره

---

(١) هكذا صورتها في الأصلين .

وإزعاجه عن موضعه ، والخوف دون ذلك ، وهو أن يخف من مكانه ولا يكون له هذه الصفة .

٥٠٧ـ حدثنا أبي رحمه الله ، قال : حدثنا الحماني ، قال : حدثنا عبد العزيز بن محمد ، عن يزيد بن الهاد ، عن محمد بن إبراهيم التيمي ، عن أم كلثوم بنت العباس ، عن أبيها العباس بن عبد المطلب قال : قال رسول الله ﷺ : " إذا اقشعر جلد العبد من خشية الله تحاتت عنه خطاياه كما تحات عن الشجرة البالية ورقها " .

وأما قوله : " كان لا يدين الله بدين " أي لم يكن يسير في شريعته إلى الله سير المطيعين ، فأما [١/ ١٤٤/ أ] القبول فلم يكن يخلو منه ، ولو جحد الدين لكفر ، وهو مثل قوله في حديثه الآخر : " لم يعمل خيرا له قط " .

أما قوله : " أسمعك راهبا " أي رهبت مني ، وهو كقوله : " هربت مني " . والهرب بالنفس ، والرهب بالقلب . فكأنه قال له : هربت مني ، يريد أن تضل مني وأنا علام الغيوب ، ولا يحجبني شيء عن النظر إليك ، فهذا عبد عالم بأنه واحد جاهل بصفاته وأسمائه ، فالجاهل بأسمائه غير الملحد فيها ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ﴾ [الأعراف : ١٨٠] . فالموحد وإن جهل لم ينتقص توحيده ، والملحد قد زاغ عنها ووصفه بغير ذلك فمال عنه ، فالذي وصفناهم موحدون لا يلحدون ، فقوله : " لعلي أضل الله " فإنما نسب الضلالة إلى نفسه ، فهو بعد موحد ، ولم يقل : أضل الله فيكون ملحدا؛ رجاء أن تكون هذه حيلة تنجيه منه وتستجلب له رحمته أن يقول : هذا فرق مني وهرب واستخفى مني خشية وحياء مني ، فاتركوه فنفسه منّته هذه الأمنية .

وقوله : " تيب عليه " أي رجع عليه بالرحمة والمغفرة ، والتوبة : الرجوع ، وليس في الآخرة توبة .

وقوله : " لعلي أضل الله " ولم يقل : أضله ، إنما قال : أضل بنفسي في ذلك الجمع العظيم . وهذا من عظيم الغرور ، وابن آدم عظيم الغرة بالله لغلبة(١) الجهل عليه ، ومثل هذا كثير .

---

(١) في (ص) " لغفلة " .

وروي لنا أن رجلا من الأغنياء يندّ في عصابة الفقراء حين يؤمر بهم إلى الجنة قبل الأغنياء ، فيؤخذ من بينهم فيخرج ويوقف .

٥٠٨. حدثنا بذلك ابن أبي زياد ، عن سيار ، عن الحارث بن نبهان ، عن موسى بن العلاء القبني ، عن سعيد بن عامر بن حذلم[1] ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة سنة ، حتى إن الرجل من الأغنياء ليدخل في غمارهم فيؤخذ بيده فيستخرج " . قال سعيد : فأراد عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يجعلني ذلك الرجل ، فما يسرني أني كنت ذلك الرجل وأن لي الدنيا وما فيها ؛ وذلك أنه بعث إليه بألف دينار ففرقها في قوم غزاة .

٥٠٩. حدثنا محمد بن محمد بن حسين ، قال : حدثنا أبو النضر ، قال : حدثنا أبو عقيل الثقفي ، عن يزيد بن سنان ، قال : سمعت أبا يحيى الكلاعي يقول : سمعت [١/ ١٤٤/ ب] أبا أمامة يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " إني لأعلم آخر رجل من أمتي يجوز الصراط يتلوى على الصراط كالغلام حين يضربه أبو ه ، تزل رجله مرة فتصيبها النار ، وتزل يده مرة فتصيبها النار ، فتقرره الملائكة : أرأيت إن بعثك الله من مقامك هذا فمشيت سويا ، أتخبرنا بكل عمل عملته؟ قال : أي وعزته لا أكتمكم من عملي شيئا . قال : يقولون : قم فامش سويا . فيمشي حتى يجاوز الصراط ، فيقولون : أخبرنا بكل عمل عملته . فيقول في نفسه : إن أخبرتهم ردوني إلى مكاني ، فيقول : لا وعزته ما أذنبت ذنبا قط . فيقولون : إن لنا عليك بينة . فيلتفت يمينا وشمالا هل يرى من آدمي يشهده في الدنيا ، فلا يرى أحدا ، فيقول : هاتوا بينتكم . فيختم الله على فمه وينطق الله يديه ورجليه وجلده بعمله ، فيقول : أي وعزتك لقد عملتها وإن عندي العظائم المضمرات ، فيقول الله : أنا أعلم بها منك ، اذهب فقد غفرتها لك " .

قال : فالغرة بالله من ظلمة الجهل هكذا يعامل صاحبها ربه في الدنيا وفي القيامة ، فذاك العبد الذي وصفه في حديث بهز كان غرة وجهل ، فلما جاءته السعادة التي كانت سبقت له من الله بمنته عليه قذف النور فيه وانكشف الغطاء حتى صار من

---

(١) في (د) " خديم " .

الفرق والخشية في ساعة حضور أجله ما كاد ينال خشية الأولياء والصديقين فيحت سيئاته .

وروي عن الله تبارك اسمه أنه قال : " وعزتي لا أجمع على عبدي خوفين " .

٥١٠. حدثنا بذلك يحيى بن حبيب بن عربي ، قال : حدثنا بشر بن المفضل ، عن عوف ، عن الحسن ، عن رسول الله ﷺ قال : " قال الله تبارك اسمه : وعزتي لا أجمع على عبدي خوفين ولا أجمع له أمنين ، فمن خافني في الدنيا أمنته في الآخرة .

الأصل الحادي والثمانون

٥١١. حدثنا أحمد بن عبد الله المهلبي ، قال : حدثنا أنس بن عبد الحميد أخو جرير ، وجرير بن عبد الحميد يسمع ، قال : حدثنا هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : " ما أقفر بيت فيه خل " .

٥١٢. حدثنا علقمة بن عمرو التميمي ، قال : حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن ثابت الثمالي ، عن الشعبي ، عن أم هانئ قالت : قال رسول الله ﷺ : " ما أقفر بيت [١/ ١٤٥/ أ] فيه خل من أدم " . فقوله : " أقفر " أي : خلا ، ومنه قيل : أرض قفر ، وهو الموضع الخالي من المارة؛ برية كانت أو مفازة . فالخل من الأدم التي يعم منافعها .

وتأول علماؤنا قوله : ﴿ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ﴾ [النحل : ٦٧] . فقالوا : الرزق الحسن : الخل ، فالذي سمي رزقا حسنا منافعه كثيرة ، وفيه منافع الدين والدنيا ، وذلك أنه بارد يقطع حرارة الشهوة ويطفيها .

٥١٣. حدثنا عمر بن أبي عمر ، قال : حدثنا الحسن بن حماد الضبي ، عن يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكرة ، عن عمرة بنت عبد الرحمن قالت : كانت عامة أدم أزواج رسول الله ﷺ بعده الخل؛ ليقطع عنهن ذكر الرجال .

وفي الخل منافع الدين والدنيا ، [ولذلك قال : " ما أقفر بيت فيه خل " أي : ما خلا من أمر الدين والدنيا][(١)] وابن آدم مبلو بالشهوات؛ الرجال منهم والنساء ، فكلما وجدوا عونا على طفي ذلك منهم كان عونا لهم ، وكل شيء كان للدين عونا ، فالبركة حالة به ، وإذا بورك في شيء سعد به أهله .

٥١٤. حدثنا إبراهيم بن سليم الهجيمي ، قال : حدثنا يزيد بن عطية السعدي ، قال : حدثنا أبان ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ " نعم الإدام الخل ، نعم الإدام الخل " .

وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله وسلم تسليما .

---

(١) مابين المعقوفين سقط من (ص) .

الأصل الثاني والثمانون

٥١٥ـ **حدثنا** قتيبة بن سعيد[١] ، قال : حدثنا ابن لهيعة ، عن أبي الزبير ، عن جابر بن عبد الله قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " إذا دعي أحدكم إلى طعام فليجب ؛ فإن شاء طعم وإن شاء ترك " .

قال أبو عبد الله[٢] :

فالدعوة حق من الحقوق؛ لأن أصل الدعوة ابتغاء الألفة والمودة والولاية . وقد وصف الله المؤمنين في تنزيله فقال : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات : ١٠] . وقال : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ [التوبة : ٧١] . ففي النفس هنات وفي الصدر سخائم من تلك الهنات ، فإن الآدمي ركب على طبائع شتى وأخلاق مختلفة ، والشهوات فيهم مركبة والعدو موسوس ومحرش ، ومزين لصاحبه سوء عمله ، والنفوس جبلت على حب من أكرمها؛ لأنها تحب الشهوات ، ومن روس الشهوات العز والتعظيم ، وقد أحبت أن تنال [١/ ١٤٥/ ب] بذلك من الدنيا وقضاء المنى ، ففي ترك النفوس تقويمها ، وذلك لها عون على دينها ، فإنما حثهم رسول الله ﷺ على الإجابة ليقبل ذلك البر الذي بره به أخوه حتى يتأكد الألفة وتصفو المودة وتنفى حرارات الصدر ، فإن صاحب الغل والحقد لا يسلم له دينه من سوء ما يظهر لأخيه ، فالإطعام بر للنفس يطفئ حرارة الحقد وينفي مكامن الغل .

قال أبو عبد الله[٣] :

فالألفة من ثلاثة وجوه حتى تتأكد وتستتم ، فالقلب يألف الإيمان الذي في قلب صاحبه ، والروح تألف بطاعته ، والنفس تألف ببرها ، كأنها تقول : إني من شأني الشهوة واللذات ، فهل يمر بي أحد حتى آلفه وأحبه ، ليس من همتي الإيمان والطاعات ، إنما من همتي اللذات ، فألزمت الإيمان والطاعة ، فانقدت لما قادني

---

(١) في (ص) " سعد " .

(٢) غير موجودة في (د) .

(٣) غير موجودة في (د) .

القلب والروح ، فإذا برها صفت وصارت طوعا ، وإلا فهو كالمكره ، فوجدنا الألفة إنما تتم بين النفوس ، فإنما دعاه أخوه إلى قبول بره فندبه رسول الله ﷺ إلى أن يقبل ذلك من أخيه كيلا تضيع كرامته ولا يجد العدو سبيلا إلى وسوسته بالشر ، ثم له الخيار ، فإن شاء طعم وإن شاء ترك . وترك الإجابة مما يدل على الجفاء والبعد والاستهانة به ، فهناك يجد العدو سبيلا إلا أن يعتذر إليه المدعو، فيقبل عذره هذا الداعي ، فهذا باب آخر ، أو يكون قد أحس من هذه الدعوة شيئًا في التخلف عنه عذر ، وذلك أن الزمان قد تغير والنيات قد فقدت ، والأعمال قد فسدت ، فإن كان ذلك الطعام لمباهاة أو رياء فله عذر في ترك الإجابة ، وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه نهي عن ذلك .

٥١٦ـ **حدثنا** صالح بن محمد ، قال : حدثنا جرير بن حازم ، قال : حدثنا الزبير بن حريث ، عن عكرمة رضي الله عنه قال : نهى رسول الله ﷺ عن طعام المتباريين أن يؤكل .

٥١٧ـ **حدثنا** قتيبة بن سعيد ، قال : حدثنا حماد بن زيد ، عن الزبير بن حريث ، عن عكرمة رضي الله عنه قال : نهى رسول الله ﷺ عن طعام المتباريين . ولم يذكر فيه الأكل ، أو يكون في تلك الدعوة أمور محدثة من تستر الجدر المنهي عنه [١/١٤٦/أ] أو اللهوواللعب المحظور عليهم ، فهذا عذر .

٥١٨ـ **حدثنا** أبي رحمه الله ، قال : حدثنا الحسن بن عطية ، قال : حدثنا موسى بن حبيب ، عن الحكم بن عمر رضى الله عنه ، وكان بدريا ، قال : أرسل رجل من الأنصار إلى رسول الله ﷺ يدعوه إلى الطعام ، وكان رسول الله ﷺ يحفر الخندق وأصحابه ، فجاء فقال : ادخل يا نبي الله البيت . فدخل البيت فرأى البيت منجدا مستترا ، فخرج فقال : يا رسول الله ، ما أخرجك؟ قال : " أطعمنا بالفناء " . قال : فأطعمهم ، حتى إذا شبع القوم ، فلما تفرقوا قال : يا رسول الله ، لوكنت دخلت فإن البيت كان أبرد وأطيب . قال : " إنك نجدت بيتك وسترته ، وهذا لا يحل شبهته ببيت الله ، ولو شئت بسطت فيه فطرحت فيه وسائد " .

وقد كانت للقوم أحقاد في الجاهلية ، فألف الله بين قلوبهم بالإيمان ، فحثهم رسول الله ﷺ على إجابة الدعوة لألفة النفوس ، ولذلك ما قال رسول الله ﷺ : من لم يجب

الدعوة فقد عصى الله ورسوله؛ لأنهم كانوا يتخذون طعاما يدعون عليها لإسقاط الجثيمة ونفي السخيمة ، فمن امتنع منه ليثبت على الغل والحقد فقد عصى الله ورسوله وامتنع من حق عظيم .

هذا تأويل قوله ﷺ فيما نرى .

الأصل الثالث والثمانون

٥١٩ـ حدثنا الجارود بن معاذ ، قال : حدثنا جرير ، عن عطاء بن السائب ، عن أبي عبد الرحمن السلمي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " إن الله تعالى لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء ، علمه من علمه وجهله من جهله " .

٥٢٠ـ حدثنا سعيد بن عبد الله التمار ، قال : حدثنا محمد بن يوسف الفاريابي ، عن سفيان ، عن قيس بن مسلم ، عن طارق بن شهاب ، عن ابن مسعود رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ بمثله .

٥٢١ـ حدثنا عبد الجبار بن العلاء ، قال : حدثنا سفيان ، قال : سمعت زياد بن علاقة يقول سمعت أسامة بن شريك يقول : شهدت الأعراب يسألون رسول الله ﷺ : هل علينا حرج في كذا؟ هل علينا جناح في كذا؟ هل علينا جناح في أن نتداوى؟ فقال : " تداووا عباد الله؛ فإن الله لم ينزل داء إلا وضع له شفاء ، إلا الهرم " .

قال أبو عبد الله(١) :

فالدواء هو شيء أنبته الله في الأرض بالحكمة [١/ ١٤٦/ ب] البالغة لمنافع الآدميين . وقد ذكر الله في تنزيله فقال : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ [البقرة : ٢٩] . فالطبائع تتغير بحدوث الأزمنة من الحر والبرد وفساد الهواء فيصير داء في الأجساد وتحدث في الجسد أحداث من الطعام وما يتعاطاه ابن آدم من قضاء الشهوات واللذات والنصب والسهر والتعب والهموم ، وما يجتمع في الجسد من الدم والمرة والبلغم ، فكل ذلك يحدث منه ما يتغير حاله ، فيحتاج إلى دواء يسكن ما هاج منه ، فهذا تدبير الجسد ، فإذا ترك تدبيره ضيعه ، كما لو ترك تدبير المعاش(٢) ضاع ، فالتداوي حق ، وهو فعل الأنبياء ، وقدم رسول الله ﷺ المدينة وهم يُلقحون النخل فقال : " ما أرى هذا يغني شيئا " . فذهبت عامة ثمارهم هزلا وصارت دقلا ، فعرف أن التدبير من الله في ذلك غير ما رأى ، فأمرهم أن يعودوا إلى ما كانوا عليه ، وكذلك عامة ما وضع من هذه الأشياء لم يتم ذلك إلا به ،

---

(١) غير موجودة في (د) .

(٢) في (د) " المعاصي " .

وكذلك علل الأجساد كذا وضعت أن يعالج أحداثها حتى ترد إلى الهيئات التي كانت عليها ، ولولا ذلك لكانت الأدوية بشأنها مهملة ، ولم يخلقها الله عبثا ، وكان سليمان صلوات الله عليه ينبت كل يوم في محرابه شجرة ، ثم تنادي به الشجرة : أنا دواء لكذا . فتقطع وتوضع في الخزائن ، ويكتب اسمها في ديوان الطب ، إنما ورثوه من ذلك الكتب .

والناس في التداوي على ثلاثة أصناف ، وعلى ثلاث طبقات :

فالطبقة الأولى هم الأنبياء والأولياء أهل يقين ومشاهدة ، تداووا وقلوبهم خالية من فتنة الدواء على معاتبة ، يتداوون وقلوبهم مع خالق الدواء الذي جعل الشفاء مع ذلك الدواء ، فهم يتداوون على ما هيأ لهم من التدبير ، وينتظرون الشفاء من الله .

والطبقة الثانية قوم من أهل اليقين ، لم يأمنوا خيانة نفوسهم أن تطمئن إلى الدواء وتركن إليه ، فنفروا من ذلك ، فكلما عرض لهم داء فوضوا الأمر في ذلك إلى الله تعالى وتوكلوا عليه ، ولم يتكلفوا تداويا ، وإنما تركوا التكلف من ضعف يقينهم خوفا على قلوبهم أن تطمئن نفوسهم إلى الدنيا فيصير سببا تتعلق به قلوبهم ، والأول أعلى وأقوى .

فوضوا الأمر إلى الله وتوكلوا عليه مع التكلف ، فلم يصر التكلف [١/ ١٤٧/ أ] لهم علاقة ولا سببا ، والآخرون خافوا أن يصير ذلك سببا وعلاقة فيما بينهم وبين ربهم فتركوه .

والطبقة الثالثة أهل تخليط ، وقلوبهم مع الأسباب لا ينفكون منها ، فهم محتاجون إلى التداوي ، ولا يصبرون على تركها ، فهم العامة .

٥٢٢ـ **حدثنا** عبد الجبار بن العلاء ، قال : حدثنا سفيان ، عن ابن عجلان ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير ، احرص على ما ينفعك ولا تعجز ، فإن غلبك أمر فقل : قدر الله وما شاء فعل ، وإياك واللو ؛ فإن اللو يفتح عمل الشيطان " .

فالأقوياء تداووا ومروا في الحيل والأسباب وقلوبهم مع رب الأدوية ، لا مع الأسباب ، وهم الأنبياء والأولياء ، فإنما قوي باليقين النافذ حجب الغيب ، والمؤمن الضعيف الذي خاف أن يحجبه تداويه وحيله وأسبابه عن الله فيتعلق قلبه به ،

وذلك لضعف يقينه[١] ، ففي كلٍّ خير ، والقوي أحب إلى الله .

وقوله : " احرص على ما ينفعك " أي : استعمل تدبير الله تعالى في هذه الأمور ، ولا تعجز فتتركه ، فإن استعملت وإن لم يكن الذي طلبت وأردت فقل : قدر الله وما شاء الله ، أي هكذا كان قدر وشاء ، فألق بيديك له سلما وارض بحكمه ، وإياك أن تقول : لو كان كذا كان هذا الأمر كذا ، ولو لم يكن كذا لكان كذا ، فهذا قول من يتعلق قلبه بالأسباب فيفتتن بها ، وهو قول من عمي عن تدبير الله تعالى وصنعه وقلبه غافل عن هذه الأشياء .

فإن قال له قائل : فقد جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال : " يدخلون سبعون ألفا من أمتي الجنة بغير حساب " . قيل : يا رسول الله ، من هم؟ قال : " الذين لا يكتوون ، ولا يسترقون ، ولا يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون " . قال : نعم .

٥٢٣ـ حدثنا بذلك عبد الرحمن بن أحمد بن يونس[٢] ، قال : حدثنا عبثر ، عن حصين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، عن رسول الله ﷺ بمثله .

٥٢٤ـ حدثنا علي بن عيسى بن يزيد البغدادي ، قال : حدثنا عبد الوهاب بن عطاء ، قال : حدثنا هشام ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن عمران بن حصين ، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ بمثله .

ولكن هذا غير داخل فيما نحن فيه [١/ ١٤٧/ ب] من هذا النوع ، إنما كَره رسول الله ﷺ لهم الكي واستعمال النار في الأدوية ، وكذلك الرقى؛ لأن أكثر الرقى يشوبه الشرك؛ لأنها بلغة الهند .

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : " أقرب الرقى إلى الشرك رقية الحية والجنون " . فهذا الرقى بلغات شتى من لغات أهل الكفر ، وإنما كُرِه من أجل ذلك ، وكذلك الطيرة من فعل أهل الجاهلية ، فهل ذكر أنهم لا يتداوون فيكون لهم في ذلك فقال فلم يصفهم بترك ذلك من أجل أنهم تركوا التكلف بذلك وأن التوكل إنما يقوم بترك

---

(١) في (د) " نفسه " .

(٢) في (د) " عبد الله بن أحمد بن يونس " .

التكلف ، وإنما ذكر الخصال المكروهة أنهم تركوها تورعا وتوكلوا على ربهم ، وكيف يجوز ترك التكلف وأعظم التكلف طلب المعاش والزراعة والحراثة والتجارة ، وكل ذلك دأب الأنبياء ، قال الله تبارك اسمه : ﴿ وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ۞ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ﴾ [الفرقان : ٧-٨] . قال الله تبارك اسمه : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي ٱلْأَسْوَاقِ ﴾ [الفرقان : ٢٠] أي طالبين المعاش ، فالرسل هم طلاب المعاش وأهل الحِرف والتجارات .

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : " إن الله يحب أن يرى العبد محترفا " .

٥٢٥- **حدثنا** زياد بن أيوب ، قال : حدثنا عاصم بن علي ، قال : حدثنا أبو الربيع السمان ، عن عاصم بن عبد الله ، عن أبيه ، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : " إن الله يحب العبد المؤمن المحترف " .

٥٢٦- [**حدثنا** هارون بن حاتم ، قال : حدثنا يحيى بن ميمون بن عطاء التمار ، قال حدثنا عكرمة بن عمار عن يحيى بن أبي كثير عن ابن عمر عن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : إن الله يحب العبد المؤمن المحترف](١) .

٥٢٧- **حدثنا** قتيبة بن سعيد ، قال : حدثنا عوف بن موسى الليثي ، قال : سمعت معاوية بن قرة يقول : مر عمر رضي الله عنه بقوم فقال : من أنتم؟ قالوا : المتوكلون . قال : أنتم المتأكلون ، إنما المتوكل رجل ألقى حبة في بطن الأرض وتوكل على ربه .

فليس في طلب المعاش والتداوي والمضي في [١٤٨/١/أ] الأسباب على تدبير الله ترك التفويض والتوكل ، إنما ترك التوكل بالقلب إذا غفل عن الله وكان محجوبا ، فإذا تداوى تعلق قلبه بالتداوي فصار فتنة له .

وكذلك المعاش إذا طلبه بقلب غافل عن الله صار فتنة عليه وتعلق قلبه به ، فجاء الحرص والشره والأشر والبطر فأهلكه .

وإنما نهى رسول الله ﷺ عن الرقى ثم رخص فيما يؤمن فيه الشرك .

٥٢٨- **حدثنا** قتيبة ، قال : حدثنا ابن لهيعة ، عن أبي الزبير ، عن جابر بن عبد الله ، أن

---

(١) ما بين المعقوفين سقط من (د) .

عمرو بن حزم دُعي لامرأة بالمدينة لدغتها حية ليرقيها فأبى ، فأخبر بذلك رسول الله ﷺ ، فدعاه فقال : " يا عمرو ، إنك لتزجر عن الرقى " . فقال : " اقرأها " . فقرأها عليه ، فقال : " لا بأس بها ، إنما هي مواثيق ، فارق بها " .

٥٢٩ـ **حدثنا** عبد الأعلى بن واصل الأسدي ، قال : حدثنا أبو نعيم النخعي ، عن قطن بن خليفة العزرمي ، عن أبي الزبير ، عن جابر بن عبد الله قال : كان بالمدينة رجل يكنى أبا مذكر يرقي من العقرب ، ينفع الله بها ، فقال رسول الله ﷺ : " يا أبا مذكر ، ما رقيتك هذه؟ اعرضها علي " . فقال أبو مذكر(١) : شجة قرنية ملحة قفطا أو لفطا ، نطفا أونقطا ، ثفقا لا محقا . فقال رسول الله ﷺ : " لا بأس بها ، إنما هذه مواثيق أخذها سليمان بن داود – صلى الله عليهما – على الهوام " فهذه رقية ذكر لنا أنها بلغة حمير لم ير بها رسول الله ﷺ بأسا إذا كانت مواثيق .

٥٣٠ـ **حدثنا** أبي رحمه الله ، قال : حدثنا أحمد بن يونس ، حدثنا أبو بكرة بن عياش ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، عن الأسود قال : ذكرت عائشة رضي الله عنها الرقى ، فقلت : يا أم المؤمنين ، لقد كنا في سفر ، فقامت امرأة فقالت : أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه ، فقام ابن المرأة فوتد وتدا فرأى حية فقتلها . قال : فأتي فلدغ ، فقالت : إني أنشد بسيد هذا الوادي ثأري . قال : فرفعت الحية على وتد فقتلها . وقال : وعلموها رقية شجة قرنية ملحة بحر قفطا . قال : فلم تعبها عائشة رضي الله عنها .

٥٣١ـ **حدثنا** إبراهيم بن يوسف الصيرفي ، قال : حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن مغيرة ، عن سفيان ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عائشة رضي الله عنها بنحوه ، وقال كلمات بالحميرية . [١/١٤٨/ ب]

٥٣٢ـ **حدثنا** الجارود ، عن معاذ قال : حدثنا يحيى بن ضريس ، قال : حدثنا عبد العزيز بن أبي رواد ، قال : سمعت الضحاك يقول : إن سليمان بن داود صلوات الله عليهما أخذ على الحيات المواثيق لا يظهرن ، فإن ظهرن حل قتلها .

٥٣٣ـ **حدثنا** يحيى بن أبي عيسى الرملي ، عن عمه ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن

---

(١) في (ص) " مذكر " .

جابر ، أن آل عمرو[١] بن حزم قالوا : يا رسول الله ، إنك نهيت عن الرقى ، وإنا نرقي من الحية ، فقال : " اعرضوها علي " . فقال : " هذه مواثيق لا بأس بها " .

(١) في (ص) " عمر " .

الأصل الرابع والثمانون

٥٣٤- حدثنا عبد الله بن عبد الله بن أبي أسيد الكلابي قال : حدثنا يوسف بن عطية الصفار ، قال : سمعت ابن سيرين وسأله رجل فقال : يا أبا بكر ، ما تقول في هذا الذي يقع في طعامنا وشرابنا فنقتله؟ فقال : حدثنا أبو هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ ، أن نبيا من الأنبياء كان في غزاة له ، فنزل تحت شجرة فلذغته نملة ، فأمر بتلك الشجرة فأحرقت ، فأوحى الله إليه : ألا نملة مكان نملة؟

قال أبو عبد الله[(١)] :

فتأويل هذا الحديث عندنا أن هذا النبي كانت منه مجاوزة في شأن الخلق ، وبلغنا أن ذلك كان موسى بن عمران صلوات الله عليه ، فقال : يا رب ، تعذب أهل قرية بمعاصيهم وفيهم المطيع؟ فكأنه أحب أن يريه ذلك من عنده ، فسلط عليه الحر حتى التجأ إلى شجرة مستروحا إلى ظلها ، وعندها قرية النمل ، فغلبه النوم ، فلما وجد لذة النوم لذعته النملة فأضجرته ، فدلكهن[(٢)] بقدمه وأحرق تلك الشجرة التي عندها مساكنهم ، فأراه الله العبرة في ذلك أنه إنما لذعتك نملة فكيف أصبت الباقين بالعقوبة ، يريد أن ينبهه أن العقوبة من الله تعم فتصير نعمة على المطيع وشهادة ، وشرا ونقمة على العاصي .

قال أبو عبد الله[(٣)] :

والأصل في هذا أن الله تبارك وتعالى خلق ما في الأرض جميعا لهذا الآدمي ، ولذلك[(٤)] قال في تنزيله : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ [البقرة : ٢٩] . فمنها غذاء ومنها مرفق ومنها عبرة ، وكلها حجة وكلها ابتلاء ، وقال : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ [الجاثية : ١٣] . فالنمل سُخرَة ، وفيها عبرة ، فالمسخر لك أنت عليه

---

(١) غير موجودة في (د) .

(٢) في (د) " فأهلكهن " .

(٣) غير موجودة في (د) .

(٤) في (ص) " وكذلك " .

مسلط ، فإذا أذاك أبيح لك قتله ، ألا ترى أن الفأر والغراب [١/ ١٤٩/ أ] والكلب والحية والعقرب قد أبيح للمحرم قتله ، فكذلك سائر الهوام المؤذية ، فالمقتضى من المؤمن أن لا يقتل هذه الأشياء عبثا ، ولكنه يقتلها بحق ، فكل ما كان له في ذلك مرفق فقتله لارتفاق فقد قتله بحق ، وكل ما كان له منه أذى أو خوف أذى فقتله لما يتخوف ، فقد قتله بحق ، وما سوى ذلك عبث ، وهو مسئول عن ذلك يوم القيامة أن يكون قد أزهق نفسا بغير حق ، فليس فيما ذكر في الحديث كراهة قتل النمل ، فإن من أذاك حل لك دفعه عن نفسك ، ولا أحد من خلقه أعظم حرمة من المؤمن ، فكيف بالهوام والدواب ، فالآدمي إنما يباح لك دفعه عنك بقتل وضرب على المقدار والحدود؛ لعظم حرمته ، وأنه لم يسخر لك ، والدواب والطير والهوام قد سخرت لك ، فليس هناك مقدار ولا حد ، ألا ترى أنك تقتل الهوام من الحية والعقرب والسباع حين تراها ولم ينلك أذاها بعد؛ لأنه معروف بالأذى ، ألا ترى أنه قال : " ألا نملة مكان نملة؟ " . فقد أطلق له في نملة ولم يخص تلك النملة التي لذغته بالإطلاق ، فلو كان إنما كلم على سبيل العدل والقصاص لقيل : ألا نملتك التي لذعتك ، ولكن قال : " ألا نملة مكان نملة؟ " . فعم البريء والجاني ، ذلك ليلعم أنه أراد أن ينبهه بمسألته ربه أنك تحيرت في عذاب أهل قرية وفيهم المطيع والعاصي ، وإنما أجرمت إليك نملة فكيف قتلتهم ، وليس في هذا حظر من قتل النمل وما يؤذي ، إنما هو تنبيه لما سأل ربه عز وجل .

الأصل الخامس والثمانون

٥٣٥ـ **حدثنا** إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن شهيد الأزدي ، قال : حدثنا يحيى بن يمان ، عن سفيان ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن ميمون بن أبي شبيب ، عن عائشة رضي الله عنها ، قال : مر عليها سائل فأمرت له بكسرة ، ومر عليها رجل ذو هيئة فأقعدته ، فقيل لها فقالت : إن رسول الله ﷺ أمرنا أن ننزل الناس منازلهم .

قال أبو عبد الله :

فالإكرام عند الآدمي ، فإذا غدي الطفل بالخبز اليابس فهو مقبول ، والتارك لتدبير الله في خلقه غير مستقيم سبيله ، فقد دبر الله الأحوال لعبيده غنى وفقرا وعزا [١/ ١٤٩/ ب] وذلا ورفعة وضعة في هذه الدنيا بالابتلاء ليبلوهم أيهم يشكر على العطاء وأيهم يصبر على المنع ، وأيهم يقنع بما أوتي ، وأيهم يسخط ، ثم ينقلهم إلى الآخرة ، فذلك يوم الجزاء ، قد انقطعت الأحوال التي دبرها لهم للابتلاء ، وجاءت أحوال الجزاء ، فالعاقل عن الله يعاشر أهل دنياه على ما دبر الله لهم ، فهذا الموافق لله ، فالغني قد عوده الله النعمة ، وهي منه كرامة ، لا كرامة ثواب ، ولكن كرامة ابتلاء ، وكذلك سماه في تنزيله فقال : ﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ * وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ * كَلَّا ﴾ [الفجر : ١٥ – ١٧] . فرد عليه وأكذبه ، كأنه يقول بقوله : كذبت ، إني لست أكرم بدنيا ولا أهين أحدا بمنعها ، ذلك ليعلم أن الذي ذكر في مبتدأ الآية من قوله : ﴿ فَأَكْرَمَهُۥ ﴾ إنما هي كرامة ابتلاء أعطاء منية ، فإذا لم تنزله المنزلة التي أنزله الله فاستهنت به وجفوته من غير جرم استحق بذلك الجفاء ، فقد تركت موافقة الله في تدبيره ، وأفسدت عليه دينه وأثمته ، فقولها : أمرنا رسول الله ﷺ أن ننزل الناس منازلهم ، أي المنازل التي أنزلهم الله من دنياهم ، والآخرة قد غيب شأنها عن العباد ، فإذا سويت بين الغني والفقير في مجلس أو مأدبة أو معاطاة من هدية أو نحوها كان ما أفسدت أكثر مما أصلحت ، فالغني يجد عليك إذا أقصيت مجلسه أودعوته إلى طعام دون ، أو أهديت له شيئا طفيفا ؛ لأن الله تعالى لم يعوده ذاك ، والفقير يعظم ذلك القليل في عينه ، ويقنع بذلك ، وتلك عادته ، وكذلك معاملة الملوك والولاة على هذا السبيل ، فإذا

عاملت الملوك والسلطان بمعاملة الرعية ، فقد استخففت بحق السلطان وأشليته على نفسك ، وكيف يجوز أن يستخف بحقه والسلطان ظل الله في الأرض ، به تسكن النفوس ، ويجمع أمورهم ، والناظر إلى ظل الله عليهم في الشغل عن الالتفات إلى أعمالهم ، وإنما نفر قوم من السلف عنهم وجاء بنوهم لاشتغالهم بالنظر إلى سيرهم وأعمالهم ، ولو كان لهم طريق النظر إلى ظله لشغلهم ذلك النظر إلى أعمالهم وهانوهم وأجلوهم وعظموا حرمتهم ، أولئك قوم لم تمت شهوات نفوسهم ، ولم يكن لقلوبهم [١/ ١٥٠/ أ] مطالعة ما ذكرت ، فخافوا أن يخالطوهم أن يجدوا حلاوة برهم ، فتخلط قلوبهم بقلوبهم ، فاحترزوا لأنفسهم أن جانبوهم وأعرضوا عنهم ، والآخرون نظروا إليهم فشغلوا بما لبسوا من ظله عن جميع ما هم فيه ، فلم يضرهم اختلاطهم بهم ، وبهذه القوة كان أصحاب رسول الله ﷺ يلقون الأمراء الذين قد ظهر جورهم ويقبلون جوائزهم ، وكان مالك بن دينار ومحمد بن واسع ومن قبلهم الحسن البصري يلقون الأمراء أو يقبلون منهم ، فكانوا يلقونهم بما ذكرت من رؤية ظل الله عليهم ، ويظهرون العطف عليهم والنصيحة لهم ، وقد غلط في هذا الباب كثير من الناس ممن يتقدس أو يتورع ، وإنما أوتي ذلك من قلة معرفته بتقدير الله الذي عليه أمر العبودة ، واحتجوا بحديث ابن عباس رضي الله عنهما ، " ملعون من أكرم بالغنى وأهان بالفقر " . من قلة معرفتهم بتأويله ، فأما ما حدّث ابن عباس فتأويله عندنا أن الذي يعظم في عينه هذا الحطام قد باع آخرته بدنياه ، من المنافسة في الدنيا والرغبة فيها . والأغنياء قد عظم شأنهم في عينهم؛ لما يرى عليهم من قشر الدنيا والرغبة فيها ، وفي أيديهم من حطامها ، فيعظمهم ويتملقهم ويكرمهم؛ تعظيما لما في أيديهم ، وكائن أن يكون غدا هلاك ذلك الغني مما أوتي ، فإذا رأى من قد منع هذا وزويت عنه الدنيا ازدراه وحقره ، وكائن أن يكون غدا نجاته من هذا الذي زوي عنه ، فهذا لغلبة الشهوات التي تغلي في صدره ، قد عشق الدنيا عشقا أسكره عن الآخرة ، فيعظم أبناء الدنيا ويحقر أبناء الآخرة ، فهذا مستوجب للعنة الله؛ لأن قلبه ميت ، وهو مفتون يكرم مفتونا ، فأما عبد دقت الدنيا في عينه بحذافيرها ورحم أهل البلاء ، فهو يرى الغني مبتلى بغناه قد تراكمت عليه أثقال النعمة وغرق في حسابها ، يرى عظيم وبالها عليه غدا فيرحمه في ذلك ، كالغريق

الذي يذهب به السيل ، فقلبه يتعصر عليه ، فإذا لقيه أكرمه وبره على ما عوده الله ؛ إبقاء على دينه لئلا يفسد ، فإنه قد تعزز بدنياه وتكبر وتاه وتعظم في نفسه [١/ ١٥٠/ ب] فإذا حقرته فقد أهلكته ؛ لأن عزه دنياه ، فإذا أسقطت عزه فقد سلبته دنياه ، فهذه محاربة لا عشرة ، فإنما تبره وتكرمه مداويا له على دينه ورفقا به وترحمه بقلبه ، وقد صغر في عينه ما خوله الله من الدنيا ، فهذا فعل الأنبياء والأولياء ، وبذلك أوصى رسول الله ﷺ فقال : " إذا جاءكم كريم قوم فأكرموه " . فكريم قوم رئيسهم ، ومن عوده قومه الإكرام ، ألا ترى أنه لم ينسبه إلى دين ولم يذكر منه صلاحا ولا دينا ، فإذا كان من عوده قومه الإكرام والعز أنت المأمور بإكرامه ، فكيف بمن عوده الله فأكرمه ونعمه كرامة الابتلاء؟!

٥٣٦. **حدثنا** جابر بن سالم البجلي ، قال : حدثني أبي سالم بن حميد ، قال : حدثني أبي حميد بن يزيد ، قال : حدثني أبي يزيد بن عبد الله بن ضمرة ، قال : حدثتني أختي أم القصاب بنت عبد الله بن ضمرة ، قالت(١) : حدثني أبي عبد الله بن ضمرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : " إذا جاءكم كريم قوم فأكرموه " .

٥٣٧. **حدثنا** الفضل بن محمد ، قال : حدثنا سليمان بن سلمة الخبائري ، قال : حدثنا سعيد بن مسلمة بن هشام بن عبد الملك بن مروان ، قال : حدثنا محمد بن عجلان ، قال : حدثنا نافع ، قال : سمعت ابن عمر رضي الله عنه يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه " . فالمفتون الذي هو في خلو من هذا ، أو قد عظمت الدنيا في عينه صفوة إلى الأغنياء تعظيما ومعاطاة ومعاشرة ، فاهتش لرؤيتهم ، وإذا رأى الفقير أعرض عنه وانقبض وخمد ، فهذا كما قال ابن عباس رضي الله عنهما : موسوم باللعنة ؛ إذ يكرم بالغنى ويهين بالفقر . والأول إنما يكرم لله ويهين لله ، فإذا رأى ذا نعمة عظمه في الظاهر تعظيم بر ولطف ليبقي من دينه ودين نفسه ليكون أمر الله وتدبيره الذي وضعه له من العز والتعظيم بمكانة غير مشوش على خلقه ، وهو في الباطن قلبه منه بعيد ، وكذلك أهل الفساد من الموحدين يرحمهم في الباطن ويلطف بهم ويرفق عليهم في الظاهر ؛ إبقاء على أحوالهم في أمر دينهم ، والرفق محبوب مبارك .

---

(١) في (ص) " قال " .

٥٣٨- حدثنا حميد بن الربيع اللخمي ، قال : حدثنا أبو ضمرة ، قال : حدثني الأوزاعي ، قال : حدثني الزهري ، عن عروة [١/ ١٥١/ أ] عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : " إن الله يحب الرفق كله " .

٥٣٩- حدثنا هارون بن حاتم الكوفي ، قال : حدثنا محمد بن عبد الرحمن ، عن ابن أبي مليكة ، عن القاسم بن محمد ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : " من أعطي حظه من الرفق أعطي حظه من الدنيا والآخرة ، ومن حرم حظه من الرفق حرم حظه من الدنيا والآخرة " .

٥٤٠- حدثنا هارون ، قال : حدثنا محمد بن عبد الرحمن ، عن ابن أبي مليكة ، عن القاسم ابن محمد(١) ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : " إذا أراد الله بأهل بيت خيرا أدخل عليهم باب الرفق " .

٥٤١- حدثنا محمد بن حميد الرازي ، قال : حدثنا يعقوب القمي ، عن هارون بن عنترة ، عن وهب بن منبه قال : لما رفع عيسى ابن مريم صلوات الله عليه فاجتمع أصحابه ليخرجوا دعاة في الأرض ، فكان ممن خرج منهم إلى الروم سنطور وصاحبان له ، فأما صاحباه فخرجا ، وأما سنطور فحبسته حاجة ، فأوصاهما فقال لهما : ارفقا ولا تخرقا ، ولا تستبطئاني في شيء ، ولما قدما الكورة التي أرادها قدما في عيد لهم وقد برز ملكهم ووضع له سريره ، وبرز أهل مملكته له ، وجاءه الرجلان صاحبا سنطور حتى قاما بين يديه فقالا له : اتق الله فإنكم تعملون بمعاصي الله وتنتهكون حرم الله . مع ما شاء الله أن يقولا ، فأسف الملك وهم بقتلهما ، فقام إليه نفر من أهل مملكته فقالوا : هذا يوم لا يهريق فيه دما ، ولقد ظفرت بصاحبيك ، فإن أحببت أن تحبسهما حتى يذهب عيدنا ثم ترى فيهما رأيك . فحبسهما وضرب على أذنه بالنسيان عنهما ، حتى قدم سنطور فسأل عنهما فأخبروه بشأنهما وأنهما محبوسان في السجن ، فدخل عليهما فقال لهما : ألم أقل لكما : ارفقا ولا تخرقا ولا تستبطئاني في شيء؟ وهل تدرون ما مثلكما؟ مثلكما مثل امرأة لم تصب ولدا حتى دخلت في السن فأصابت بعدما دخلت في السن ولدا ، فأحبت أن تعجل شبابه لتنتفع به ، فحملت على معدته ما لا يطيق فقتلته . ثم قال

---

(١) سقط من (د) " القاسم بن محمد " .

سنطور : لا تستبطئاني في شيء . فانطلق حتى أتى باب الملك ، وكان الملك إذا جلس للناس وضع سريره وجلس الناس بين يديه سماطين ، وكانوا إذا ابتلوا بشيء من [١/ ١٥١/ ب] حلال أو حرام رفعوه إلى الملك لينظر فيه ويسأل عنه من يليه في مجلسه ، ويسأل القوم بعضهم بعضا حتى تنتهي المسألة إلى أفضلهم ، وجاء سنطور حتى جلس في أقصاهم ، فلما انتقلت المسألة إليه وقد ردوا على الملك جواب من أجابه وردوا عليه جواب سنطور ، فسمع شيئا عليه النور وحلا في مسامعه فقال : من صاحب هذا القول؟ فقال : الرجل الذي في أقصاهم . فقال : علي به . فأتي به فقال : أنت القائل كذا وكذا؟ قال : نعم . قال : فما كذا وكذا؟ قال : هو كذا وكذا . فجعل لا يسأله عن شيء إلا فسره له ، فقال : عندك هذا العلم وتجلس في آخر القوم؟ ضعوا له إلى جنب سريري مجلسا . ثم قال له : إن أتاك ابني(١) فلا تقم له . ثم أقبل على سنطور وترك الناس ، وجعل لا يرد عليه شيء إلا سأله عنه وأخذ به ، فلما عرف سنطور أن منزلته قد ثبتت عنده قال : لأختبرنه . قال : أيها الملك ، رجل بعيد الدار ، ضائع الضيعة ، فإن أحببت أن تقضي حاجتك مني وتأذن لي فأنصرف إلى أهلي . فقال الملك : يا سنطور ، ما إلى ذلك سبيل ، وإن أحببت أن تحمل أهلك إلينا فلك المواساة ، وإن أحببت أن تأخذ من بيت المال حاجتك فتبعث به إلى أهلك فعلت . فسكت سنطور ، ثم تخير يوما مات لهم فيه ميت فقال : أيها الملك ، بلغني أن رجلين أتياك يسبان دينك . قال : فذكرهما فقال : نعم ، علي بالرجلين . فأتي بهما ، فقال : يا سنطور ، أنت حكم فيما بيني وبينهما ، ما قلت من شيء رضيت به . فقال : أيها الملك ، هذا ميت قد مات في بني إسرائيل فمرهما أن يدعوا ربهما أن يجيبه لهما ، ففي هذا آية بينة . فبعث إلى الميت فوضع عنده ، فقاما وصليا ودعوا ربهما ، فاستجاب لهما فرد الله روحه حتى تكلم ، فقال سنطور(٢) : أيها الملك ، إن هذا لآية ، ولكن تأمرهما بغير هذا ، تبعث إلى أهل مملكتك فتجمعهم وتكلم آلهتك في هذين ، فإن كانت آلهتنا تقدر أن تضرهما فليس أمرهما بشيء ، وإن كانت الآلهة لا تقدر أن تضرهما ، وقدرا هما على أن يضرا الآلهة

---

(١) في (ص) « نبي » .

(٢) في (ص) « فقال : يا سنطور » .

فأمرهما قوي . فجمع أهل مملكته ، ثم دخل القبة التي[1] فيه آلهته فخر ساجدا ومن معه لآلهته ، وخر سنطور ساجدا لله ، وقال : اللهم إني أسجد لك وأكيد هذه الآلهة [١/ ١٥٢/ أ] أن لا تعبد من دونك . فقام الملك فقال لآلهته : إن هذين يريدان أن يبدلا دينكم ويدعوا إلى إله غيركم ، فافقئوا أعينهما أو جذموهما أو شلوهما . فلم ترد الآلهة عليهم شيئا ، وقد كان سنطور أمر صاحبيه أن يحملا معهما فأسا ، فقال سنطور للملك : أيها الملك ، قل لهذين : أتقدران[2] أن تضرا هذه الآلهة؟ فقال لهما الملك : أتقدران[3] أن تضرا هذه الآلهة؟ قالا : خلوا بيننا وبينهم . فأقبلا عليها فكسراها ، فقال سنطور : أما أنا فآمنت برب هذين . وقال الملك : وأنا آمنت برب هذين . وقال جميع الناس : آمنا برب هذين . قال وهب بن منبه لصاحبه : هذا الرفق الحسن .

---

(١) في الأصلين " الذي " .
(٢) في (ص) " أتقدرا " .
(٣) في (ص) " أتقدرا " .

الأصل السادس والثمانون

٥٤٢ـ حدثنا أبي رحمه الله ، قال : حدثنا الحميدي ، قال : حدثنا شريك ، عن المثنى بن سعيد الضبعي ، عن قتادة ، عن ابن بريدة ، عن أبيه ، وكان بخراسان ، فدخل على ابن أخ له يعوده فوجده في الموت فإذا هو يعرق جبينه ، فقال بريدة : الله أكبر ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : " المؤمن يموت بعرق جبينه " .

قال أبو عبد الله(١) :

فعرق الجبين علامة الباطن ظهر على الجبين ، والعرق من المؤمن لما يرى من ذنوبه في وقت مقدمه على ربه ، فيتراءى له قبح ما جاء به ، فيستحيي منه فيعرق لذلك وجهه؛ لأن ما سفل منه قد مات ، وإنما بقيت قوى الحياة وحركاتها فيما علا والحياء في العين ، فذلك وقت الحياء ووقت الرجاء ووقت الأمل من الحبيب الودود الغفور الذي تودد إلى أحبابه أيام الحياة ، فذاك علامة الإيمان فيه ، والكافر في عمى عن هذا كله .

والموحد المعذب في شغل عن هذا بالعذاب الذي قد حل به ، وإنما العرق الذي يظهر لمن حلت به الرحمة ، فإنه ليس من ولي ولا صديق ولا بر إلا وهو مستحيي منه مع البشرى والتحف والكرامات .

٥٤٣ـ حدثنا علي بن حجر ، قال : حدثنا حماد بن عمرو النصيبي ، عن محمد بن سوقة ، عن سعيد بن سوقة قال : دخلنا على سلمان الفارسي نعوده وهو مبطون ، فظننا أنا قد شققنا عليه فقمنا ، فأخذ بثوبي فجلست ، فقال : إني محدثك حديثا لم أحدثه أحدا قبلك ولا أحدث أحدا بعدك؛ سمعت رسول [١/ ١٥٢/ ب] الله ﷺ يقول : " ارقبوا الميت عند موته ثلاثا؛ إن رشحت جبينه وذرفت عيناه وانتشر منخراه ، فهي رحمة من الله قد نزلت به ، وإن غط غطيط البكر المخنوق وخمد لونه وأزبد شدقاه فهو عذاب من الله قد حل به " . ثم قال لامرأته : ما فعل المسك الذي جئنا به من بلنجر؟ قالت : هو ذا . قال : فألقيه في الماء ثم اضربي بعضه ببعض ، ثم انضحي حول فراشي؛ فإنه

---

(١) غير موجودة في (د) .

ليأتيني الآن قوم ليسوا بجن ولا إنس . ففعلت ، وقمنا من عنده ثم رجعنا فوجدناه قد قبض رحمه الله[١] .

٥٤٤. **حدثنا** محمد بن عبد الله بن بزيع ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، قال : حدثنا يونس ، عن أبي معشر ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله[٢] رضي الله عنه قال : موت المؤمن بعرق الجبين ، إن المؤمن يبقى عليه خطايا من خطاياه فيجازف بها عند الموت - أي : يجازى - فيعرق لذلك جبينه .

---

(١) ذكره العراقي في تخريج الإحياء وقال : لا يصح .

(٢) في (ص) " عبيد الله " .

الأصل السابع والثمانون

٥٤٥. حدثنا صالح بن محمد[١] ، قال : حدثنا إبراهيم بن يحيى الأسلمي ، قال : حدثنا أبو سهل بن أبي أنس ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عمر رضي الله عنهما ، أن رجلا قال : يا نبي الله ، أي المؤمنين أكيس؟ قال : " أكثرهم ذكرا للموت ، وأحسنهم له استعدادا ، فإذا دخل النور في القلب انفسح واستوسع " . قالوا : فما آية ذلك يا نبي الله؟ قال : " الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت " .

٥٤٦. حدثنا عبد الجبار ، قال : حدثنا سفيان ، عن خالد بن أبي كريمة ، عن أبي جعفر عبد الله بن أبي المسور ، عن رسول الله ﷺ بنحوه ، وزاد فيه : ثم قرأ ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ [الزمر : ٢٢] .

قال أبو عبد الله[٢] :

فالموت عاقبة أمور الدنيا ، فالكيس من أبصر العاقبة ، والأحمق من عمي عنها بحجب الشهوات التي قامت بين يدي قلبه ، فافترصته فاقتضته إنجازها ، وجاءت الأماني بمواعيدها الكاذبة المخلفة فحرته[٣] ، تقول[٤] الشهوة خذني إليك ، وتقول الأمنية الكاذبة : خذها ثم تتوب والله عفو للمذنبين وحبيب التائبين ، فهذه حجب كثيفة دون العاقبة ، فكيف يراها ، فالكيس من سعد بجميل نظر الله فأعطي النور الزائد على نور الموحدين [١/١٥٣/أ] وهو نور اليقين ، وذلك أن نور التوحيد في القلوب وفي الصدر دخان وظلمة من الشهوات ، فإذا جاء هذا النور هتك الحجب فسكن الدخان وانقشعت الظلمة واستنار الصدر فاستقر النور ، فقيل : يقين ، فبذلك أبصر الموت ، وهو عاقبة الأمر ، فرآها قاطعة لكل لذة وشهوة وحائلة بينه

---

(١) سقط من (د) " صالح بن محمد " .
(٢) غير موجودة في (د) .
(٣) كذا في (ص) وفي (د) " فجدمة " .
(٤) في (ص) " يقول " .

وبين كل أمنية ، ورآها أنفاسا معدودة لا يدري متى ينفد العدد ، فصار على خطر عظيم من أمره حتى لا يدري متى يبعث بالأمر فركبه أهوال الخطر ، فأذهله عن ذلك فانكسر قلبه وذبلت نفسه وخمدت نار شهوته واكفهر بالحق في وجه أمنيته وقال : تريدين أن تغويني؟ ولعل في وقت قضاء شهوتي في مساخط الله أغافص بأمر الله وأعبث بدعوته(١) ، ولا بد من الإجابة في أسرع من اللمحة ، فإذا أنا بين يديه قائم في أيدي ملائكة قد رحلتُ إليه من دار الغرور مغترا به مخدوعا عنه مع دنس المعاصي وقبح الآثام ، فلا وصول إلى توبة ولا أجد مهلة لأتوب فيكون مقدمي عليه مقدم العبيد الأباق الذين ردوا إلى مولاهم ، فيحكم فيهم بحكم الإباق ، وقد قال الله جل وعز في تنزيله : ﴿ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴾ [الأنعام : ٦٢] أي : قد كانوا يحكمون لأنفسهم في دنياهم بما يشتهون ، وبات يمهلهم في ذلك ويحلم عنهم وهم مستدرجون في مكره ، فاليوم قد ردوا إليه من هذا الإباق ، ألا فاليوم له الحكم يحكم فيهم بما يستوجبون من إباقهم ، وهو أسرع الحاسبين ، فالكيس من نظر بنوره الذي من الله عليه به ، فأبصر أن الموت قاطع لهذه الأشياء ، حائل بينه وبين التوبة ، كما قال جل ثناؤه ، وحيل بينهم وبين ما يشتهون حين رأوا العذاب اشتهوا الرجعة ليتوبوا ، فمنعوا ذلك ، فامتنع من جميع ما خاف أن يلحقه غدا تبعته ووباله ، فاستعد لكل ذنب توبة واعتذارا واستغفارا وحسنة مكان كل سيئة لتكون الحسنة غطاء للسيئة كما قد كان يعلم في ظاهر الحياة الدنيا [إن الدنس من الثوب إنما يغسل بالحار من الماء والغلي حتي ينتفض ولزامله الدنس وكما في ظاهر الحياة الدنيا](٢) أن كل شيئين في الدنيا على جسد أو ثياب إنما يستره بشيء ، ألم تر إلى الماشطة إذا هيأت امرأة لزوجها كيف تهيؤها ، فإن كان شعرها قصيرا تزملها ، وإن كان [١/ ١٥٣/ ب] بجبهتها شعر نظفتها وحفت شعرها ، وإن كانت يدها بيضاء خضبتها بألوان النقوش ، وإن كانت مرها(٣) كحلتها

---

(١) في (ص) " وأنا ذي بدعوته " .

(٢) ما بين المعقوفين سقط من (ص) .

(٣) كذا في (ص) .

وزينت وجهها بالبياض والحمرة ، وطرت صدغيها وحلتها بالقلائد والشنوف والقرطة والأسورة والخلاخل وألوان الثياب ، وإن كان في قامتها قصر أحملتها على عرف النعال ، تريد بذلك كله ستر ما شان منها ، فكذلك المؤمنون يوم القيامة يوم المقدم على الله ، روي لنا عن رسول الله ﷺ أن الناس يعرضون ثلاث عرضات يوم القيامة ، فأما عرضتان فجدال ومعاذير ، وفي العرضة الثالثة تطاير الصحف ، فالجدال للأعداء ، يجادلون لأنهم لا يعرفون ربهم ، فيظنون أنهم إذا جادلوا نجوا وقامت حجتهم ، والمعاذير لله يعتذر الكريم إلى آدم وإلى أنبيائه ويقيم حجته عندهم على الأعداء ، ثم يبعث بهم إلى النار ، فإنه يجب أن يكون عذره عند أحبابه وأوليائه ظاهرا كيلا تأخذهم الحيرة ، ولذلك قيل عن رسول الله ﷺ : " لا أحد أحب إليه المدح من الله ، ولا أحد أحب إليه العذر من الله " .

والعرضة الثالثة للمؤمنين وهو العرض الأكبر ، يخلو بهم فيعاتبهم في تلك الخلوات من يريد أن يعاتبه حتى يذوق وبال الحياء منه ، يَرْفَضّ عرقا بين يديه ، ويفيض العرق منهم على أقدامهم من شدة الحياء ، ثم يغفر لهم ويرضى عنهم ، ومنهم من انتبه في الحياء فكاد يموت حياء ، ومرة فرقا فأعطي الأمان عند أمن ذلك ، فإنه لن يجمع ذلك على العبد في موطنين .

٥٤٧ـ حدثنا يحيى بن حبيب بن عربي(١) ، حدثنا بشر بن المفضل(٢) ، عن عوف بن الحسن ، قال : بلغني عن رسول الله ﷺ أنه قال : " قال ربكم : وعزتي وجلالي لا أجمع بين عبدي خوفين ولا أجمع له أمنين ، فمن خافني في الدنيا أمنته في الآخرة ، ومن أمنني في الدنيا أخفته في الآخرة " .

٥٤٨ـ حدثنا أبو بكر بن سابق الأموي ، قال : حدثنا أبو مالك الجنبي ، عن جويبر ، عن الضحاك ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، عن رسول الله ﷺ فيما يذكر من مناجاة موسى عليه السلام أنه قال [١/ ١٥٤/ أ] : يا موسى ، إنه لن يلقاني عبد في حاضر(٣)

---

(١) في (ص) " حربي " وفي (د) " عدي " والمثبت من التهذيب .

(٢) في (د) " الفضل " .

(٣) في (ص) " حاضري " .

القيامة إلا فتشته عما في يديه ، إلا ما كان من الورعين ، فإني أستحييهم وأجلهم وأكرمهم وأدخلهم الجنة بغير حساب ، فمن استحيى من الله في الدنيا مما صنع استحيى الله عن تفتيشه وسؤاله ، ولم يجمع عليه حياءين كما لا يجمع عليه خوفين ، فإذا صار العبد إلى العرض الأكبر وقد ستر مساوئه بمحاسنه قبله ربه في ستره عليه وستر عليه علمه فيه عنه حتى يذهب حياؤه ، فهو في ستر محاسنه عن الملائكة والأنبياء وجميع الخلق حتى لا يستحيي من الخلق ، فهو في ستره عن نفسه حتى لا يستحيي منه ، فهذا تفسير قول رسول الله ﷺ : " أكيسهم أكثرهم ذكرا للموت وأحسنهم له استعدادا؛ لأنه كلما ذكر الموت علم أنه قاطع حائل هيجه للأسمار والهَرَب من كل محبيه ، وأما الاستعداد بأن يكون قد جانب التخليط مجانبة لا يحتاج إلى استمهال إذا فاجأه أمر الله وجاءته دعوته فيقول : أمهلني حتى أتوب وأصلح أمر كذا .

وأما حسن الاستعداد فبأن يكون قد استعد للقائه والعرض عليه ، فقد[1] علم أن الموت قد يؤديه إلى فطام روحه وقلبه ونفسه ، فأما روحه فبالطاعة ، وأما قلبه فبالله ، وأما نفسه فبتجنب الشهوات والمنى ورفض التدبر لنفسه ، وتفويض ذلك كله إلى خالقه ، وهذا صفة أهل اليقين الذين ذكرهم الله في تنزيله فقال : ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ﴾ [النحل : ٣٢] فتسلم عليهم الملائكة من الله وتبشرهم بدخول الجنة ساعة تقبض أرواحهم ، أي لا أحبس عليكم في موطن من المواطن ، إنما هو أن تقبض روحك فتدخل الجنة ، أي أنك من الذين لا حساب عليك في الموقف؛ لأن رسلي قد جاءتك في قبضك إلي من الدنيا فوجدتك طيبا ، فجزاؤك عندي الجنة ، لا حساب عليك عند الميزان ، ولا عذاب عليك عند ممرك على النار ، ولا خوف عليك عند العرض الأكبر ، ولا أنت تحزن لطول الحبس في تلك الخلوات في الحجر ، فإنما سموا طيبين لأنه لم يبق فيهم تخليط طابوا روحا وطابوا نفسا وطابوا قلبا ، والآخرون [١/ ١٥٤/ ب] أهل تخليط ، لا يقال لهم هذه الكلمة : طبتم فادخلوها خالدين إلا عند باب الجنة بعدما محصوا

---

(١) غير واضحة في (ص) .

بعذاب القبر وأهوال القيامة وتناول النيران منهم بلفحاتها على الصراط والحبس في العرض الأكبر ، فإذا خلي بينهم وبلغوا باب الجنة نودوا : سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ، والذين وجدتهم الملائكة عند القبض طيبين يقال لهم في وقت فراق الحياة ولقاء الرب : سلام عيكم ، ولا يقال لهم : طبتم ، فقد كانوا طابوا من قبل مجيء الرسل .

وأما قوله : " إذا دخل النور في القلب انفسح وانشرح واستوسع " . فدخول النور في القلب ، والانفساح في الصدر ، فإن الصدر بيت القلب ، ومنه تصدر الأمور ، والنور في القلب ، ومنه ينفسح الصدر وينشرح ويتسع ، وإنما صار هكذا لأن الصدر كان مظلما بالشهوات المتراكمة فيه ، والأماني والفكر والعجائب عجائب النفس ودواهمها ، فكان يضيق بأمر الله؛ لأن أمر الله كان خلاف منيته وهو اه ، فلما قذف النور فيه نفى الظلمة وأشرق الصدر بالنور الواسع ، واتسع فيه أمر الله ونصائحه وآدابه ومواعظه ، فسئل الرسول ﷺ عن علامته في الظاهر ، فإن الذي ذكر إنما ذكر من الباطن ، فقيل : ما علامته في الظاهر حتى يعرف أنه من هذه الطبقة ، فذكر ثلاث خصال ، فقال : " الإنابة إلى دار الخلود ، والتجافي عن دار الغرور ، والاستعداد للموت قبل نزول الموت " ، فأما الإنابة إلى دار الخلود فهي أعمال البر؛ لأن الخلود إنما وضعت جزاء لأعمال البر ، ألا ترى كيف ذكر الله في مواضع تنزيله ، ثم قال : " يعقب ذلك جزاء بما كانوا يعملون " . فالجنة جزاء الأعمال ، فإذا انكمش في أعمال البر فهو إنابته إلى دار الخلود ، وإذا خمد حرصه على الدنيا ولها عن طلبها وأقبل على ما يعينه منها ، فاكتفى به وقنع فقد تجافى عن دار الغرور ، وإذا حكم أموره بالتقوى فكان ناظرا في كل أمر واقفا متأنيا متثبتا حذرا يتورع عما يريبه إلى ما لا يريبه ، فقد استعد للموت ، فهذه علامتهم في الظاهر ، وإنما صار هكذا لرؤية الموت ورؤية صرف الآخرة على الدنيا ، ورؤية الدنيا أنها دار الغرور ، وإنما صارت له هذه الرؤية بالنور الذي ولج القلب .

الأصل الثامن والثمانون

٥٤٩. حدثنا عمر بن أبي عمر ، حدثنا إسحاق بن محمد [١/ ١٥٥/أ] الفروي ، قال : حدثنا أبو يعلى سلمة بن وردان المدني ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " من الناس ناس مفاتيح للخير مغاليق للشر ، ومن الناس ناس مفاتيح للشر مغاليق للخير ، فطوبى لمن جعل مفتاح الخير على يديه ، وويل لمن جعل مفتاح الشر على يديه " .

فالخير مرضاة الله والشر مسخطة ، فإذا رضي الله عن عبد كانت علامة رضاه عنه أن يجعله مفتاحا للخير ، فإن رؤي ذكر الخير برؤيته ، وإن حضر حضر الذكر معه ، وإن ذكر ذكر الخير معه ، وإن نطق نطق بخير وعليه من الله سمات ظاهرة ، يذكره بالخير من لقيه لأنه يتقلب في الخير بعمل الخير ، وينطق بالخير ويفكر في خير ويضمر على خير ، فهو مفتاح الخير حيثما حضر ، وسبب الخير لكل من خالطه أو عاشره أو صحبه ، والآخر يتقلب في الشر بعمل الشر وينطق به ، ويفكر في الشر ويضمر على شر ، فهو مفتاح الشر حيثما حضر وسبب الشر لكل من خالطه أو صحبه ، فصحبة الأول دواء ، وصحبة هذا داء ، لا يرجع منه إلا بنقصان ، والأول لا يرجع منه إلا بزيادة ، فمن كان بين يدي قلبه دنياه فإنما يفتتح بدنياه إذا لقيك ، ومن كان بين يدي قلبه آخرته فإنما يفتتح بآخرته إذا لقيك ، ومن كان بين يدي خالقه فإنما يفتتح بذكره إذا لقيك ، كل إنما ينشر عليك بره ويحدثك عما يطالعك قلبه ، فالناطق عن دنياه يرغبك فيها ويزين لك أحوالها ، فالاستماع منه سقم يورطك في ورطته ويوقعك في وهدته ، والناطق عن آخرته يرغبك فيها ويزين لك أحوالها ويقلل الدنيا في عينك ، ويزهدك فيها ، ويقف بك منها على سبيل خطر لما يخبرك عن فتنتها وغرورها وخدعها وأمانيها الكاذبة ، وما يلقى أهلها غدا من شدة الحساب في أهوال القيامة ، والناطق عن الله يقف بك على تدبير الله وعلى سبيل الاستقامة في العبودة ، ويلهيك عن نفسك وعن الدارين لما يفتح عليك من منن الله وإحسانه ، ولما يكشف عن آلاء الله من سترات الغيوب التي حرم هذا الخلق بمعرفة تلك الأشياء والانتباه لها حتى يؤديك إلى سنن التوحيد ، فيرقى بك إلى فردانيته فتنفرد

للفرد الواحد ، وهم الكبراء ، الذي روي عن رسول الله صلى [١/ ١٥٥/ ب] الله عليه وسلم أنه قال : " يا أبا جحيفة ، جالس الكبراء ، وخالل الحكماء ، وسائل العلماء " .

فالعلماء بعلم أموره ينطقون ، والحكماء بعلم تدبيره ينطقون ، والكبراء بعلم الآية ينطقون ، فالكبراء تكبروا في كبرياء الله وعظمته ، وانفردوا في فردانيته واعتزوا به ، فرؤيتهم دواء ، وكلامهم شفاء ، فالمجالسة لهؤلاء ، والمخاللة للحكماء تخالله وتصير له مأمنا ، فتفضي إليك حكمته والمساءلة للعلماء تسائلهم عن حلال الله وحرامه وأحكامه .

وقد جعل الله في الخير من البركة ما يغلب الشر حيثما كان ؛ لأن مع الخير من الله تأييدًا ، فصاحب الخير بحسن منطقه يسكت الناطقين وبحسن فعله يقطع فعل الفاعلين ، وبحسن خلقه يقهر أحوال السوء من المسيئين ، ويميت الشر حيثما حضر ، أما ترى كيف وصفهم الله فقال : ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾ [الفرقان : ٦٣] أي صوابا وسدادا ، فإنما قمعوا الجاهلين وردوا جهلم بصوابهم ، فسلم على يده الجاهل بأنه قد نطق عند مخاطبة الجاهل بما سلم الجاهل ، والجاهل إذا خاطب الجاهل وقعا في ورطة ؛ لأن النار لا تطفأ بالنار ، بل تزداد وتسعر ، وإنما تطفأ بالماء ، فكذلك جهل الجاهل إنما يرد بصواب القول ، حتى سلم القائل والسامع ؛ لأن الجهل ظلمة والصواب نور ، والنور غالب للظلمة ، وهذا حديث تفرد به إسحاق بن محمد الفروي عن سلمة بن وردان ، كما انفرد أبو نعيم وجعفر بن عون بحديثهما عن سلمة بن وردان : " من ترك الكذب - وهو باطل - بنى له بيتا في ربض الجنة " . والقعنبي تفرد أيضا بحديث آخر عن سلمة ، وكما تفرد مكي بن إبراهيم بحديث بهز عن أبيه عن جده : كان رسول الله ﷺ إذا أتي بشيء فإن قيل : هدية ؛ مد يده ، وإن قيل : صدقة ؛ كف .

ومثل الجارود بن يزيد عن بهز عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ : " انزعوا عن ذكر الفاجر " .

وكمثل ما تفرد به أبو بكر الهذلي عن بهز عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ : " الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل " . وكل من كان سببا

للخير فله حرمة .

٥٥٠. حدثنا النضر بن طاهر ، قال : حدثنا سويد بن [١/ ١٥٦/ أ] أبي حاتم ، عن قتادة ، عن أنس ، أن رجلا لعن برغوثا ، فقال له رسول الله ﷺ : " مه ، لا تلعنه فإنه نبه نبيا من الأنبياء " .

٥٥١. حدثنا محمد بن المثنى أبو موسى ، قال : حدثنا صفوان بن عيسى ، قال : حدثنا سويد بمثله ، وزاد فيه : " لصلاة الغداة " .

الأصل التاسع والثمانون

٥٥٢ـ حدثنا حيان بن البراء المازني ، قال : حدثنا المعتمر بن سليمان ، قال : سمعت سليمان أبا سفيان المدني يحدث عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال نبي الله ﷺ : " لا يجمع الله أمتي - أو هذه الأمة - على ضلالة أبدا ، ويد الله على الجماعة ، هكذا ، فاتبعوا السواد الأعظم ؛ فإنه من شذ شذ في النار " .

فقد وعد الله[1] محمدا ﷺ في تنزيله عز وجل فقال : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾ [التوبة : ٣٣] .

ولا يزال دينه ظاهرا على الأديان غالبا ، لأهلها النصر معه حيثما كان ، فشرع لنا في هذا الدين الصلوات الخمس في جماعة ، بارزا ظاهرا بوضوئها ومواقيتها ، والغسل من الجنابة ، ومن قبل ذلك دعاة إليها على الشرف والآكام والمنارات يشهدون بشهادة الحق ، ويدعون إلى دين الحق لإقامة هذه الصلوات المكتوبات ، ويخرجون صدقات أموالهم إلى أئمتهم ليوزعوها في فقرائهم ويصومون شهرا من السنة ، ويخرجون إلى أعيادهم معتذرين طالبين لمعروفه ، ويحجون بيت ربهم ظاهرين بالتلبية ، ظاهرين بالطواف ، ظاهرين بالوقوف في المشاهد ، فهذا الذي عليه السواد الأعظم لا يختلفون فيه ، فمن شذ عن شيء منه فجحده فقد خرج من الشريعة وخاب من الإسلام ، فقد جمع الله هذه الأمة على هذه الشريعة ، وهم متمسكون بها محرمون لما حرمه التنزيل ، محلون لما أحله ، مثل الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة ، فهذا ظاهر الدين الذي لم يجز لأحد أن يختلف فيه .

ثم فيه حوادث للعلماء فيها مقال عن ما يفسد ولا يفسد ، كل يتكلم بمبلغ علمه وجهد رأيه ، فمن شذ عن السواد الأعظم في هذه الأشياء التي لم تختلف فيها الأمة فقد زاغ عن سبيل الهدى وشذ إلى النار .

فالإيمان بالله وحده لا شريك له وبالرسول وبالكتب كلها وبالملائكة وبالرسل

---

(١) سقط لفظ الجلالة من (ص) .

وباليوم الآخر وبالبعث والجزاء والقدر خيره وشره من الله ، فهذا جملة الإيمان والصلوات الخمس بوضوئها ومواقيتها والغسل من الجنابة [١/١٥٦/ب] والزكاة والصوم والحج وتحريم ما حرم الله ، وتحليل ما أحل الله .

هذا جملة الإسلام ، فالسواد الأعظم على هذا إلى يومنا هذا ، لا يختلف فيه أحد .

ثم للعلماء مداخل ومقال في الحوادث التي تحدث في هذه الأشياء من طريق الأحكام ، واختلافهم فيها رحمة وسعة لأمة محمد ﷺ من الله عليهم بذلك وسهل لهم سبيل النظر والاجتهاد في الرأي فيما لم يجدوا في تلك الحادثة تنزيلا ولا سنة عن الرسول ﷺ .

الأصل التسعون

٥٥٣- حدثنا نصر بن علي الجهضمي ، قال : حدثنا عبد العزيز بن عبد الصمد ، قال : حدثنا أبو [1] عمران الجوني ، عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس [2] ، عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : " جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن " .

٥٥٤- قال نصر : وأخبرني مسلم [3] بن إبراهيم ، قال : حدثنا الحارث بن عبيد ، قال : حدثنا أبو عمران الجوني ، عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس ، عن أبيه ، عن رسول الله ﷺ بنحوه . وزاد فيه : " وهذه الأنهار تشخب من جنة عدن في جوبة ثم تصدع بعد أنهارا " .

٥٥٥- حدثنا الجارود ، قال : حدثنا أبو غسان ، عن الحارث بن عبيد ، عن أبي بكر بن أبي موسى ، عن أبيه ، عن رسول الله ﷺ قال : " جنان الفردوس أربع : جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما " . فذكر بمثله .

فهذا تأويل قوله جل ذكره : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمن : ٤٦] . فوصفهما ثم قال : ﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾ . فوصفهما ، فوصف الجنتين الأولتين بأنهما ذواتا أفنان ، أي ذواتا ألوان ، أي فيهما فنون الأشياء .

ثم ذكر العيون فقال : ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴾ [الرحمن : ٥٠] . فوصف العينين بالجري ، ثم ذكر فرشهما فقال : ﴿ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ﴾ [الرحمن : ٥٤] . فذكر البطائن .

قال ابن مسعود رضي الله عنه : فما ظنكم بالظهائر؟

فقالوا : هو من نور . فذكر أنهم متكئين [4] على تلك الفرش ، وجنى تلك الثمار دان ، أي قريب مجتنى من حيث هو ، أي يدنو منه الغصن حتى يتناوله من قرب ؛ إن شاء

---

(١) في الأصلين " ابن " والمثبت من التهذيب .

(٢) في (ص) " أبي بكر بن عبد الله بن عيسى " .

(٣) في (ص) " علي " .

(٤) كذا بالأصلين والجادة " متكئون " .

قائما أو إن شاء قاعدا أو إن شاء مضطجعا ، كما قال في آية أخرى : ﴿ وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴾ [١/١٥٧/أ] . سخر الله لهم كل شيء حتى يتمكنوا منه كيف شاءوا ، ثم ذكر الأزواج فقال : ﴿ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ ﴾ أي قصر طرفهن عن جميع الخلق إلا عن أزواجهم ، فلم يعاينّ ذكرا ، وإن عاينّ لم يهوين إلا أزواجهن . ﴿ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴾ أي عواتق ، والعرابة : التجمس[1] في كلام العرب ، أترابا : أي لدات ، وأزواجهن في سن واحد .

ثم قال : ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴾ . أي : لم يقربهن ولم يأتهن واحد من الصنفين .

ثم وصف أجسادهن فقال : ﴿ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾ . أي في صفاء الياقوت وبياض المرجان ، وهو الكبار من اللؤلؤ .

ثم قال : ﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾ . أي دونهن إلى العرش ، أي أقرب وأدنى إلى العرش ، فوصفهما فقال : ﴿ مُدْهَآمَّتَانِ ﴾ . أي : خضراوان يضربان إلى السواد والدهمة من زي الخضرة ، ثم وصف العينين فقال : ﴿ عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴾ . النضح أكثر من الجري ، أي ترميان بألوان الفاكهة والنعيم والجواري المزينات والدواب المسرجات والثياب الملونات .

ثم وصف الثمار فقال : ﴿ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ ﴾ وإنما سميت فاكهة لأنها تعجب الناظرين ويتفكه بها ، فهذا أكثر؛ لأن الأوليين لم يصفهما إلا بقرب الجنى فقط ، وهنا ذكر الفاكهة والنخل والرمان .

ثم ذكر الأزواج فقال : ﴿ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴾ . فالخيرة ما اختارهن الله فأبدع خلقهن باختياره ، فاختيار الله لا يشبه اختيار الآدميين . ثم قال : ﴿ حِسَانٌ ﴾ . فوصفهن بالحسن ، فإذا وصف خالق الحسن شيئا بالحسن فانظر ما هناك . وفي الأوليين ذكرهن بأنهن قاصرات الطرف ، وكأنهن الياقوت والمرجان ، فانظر كم بين الخيرة وهي مختارة الله وبين قاصرات الطرف !

ثم قال : ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴾ فوصفهن بأنهن قاصرات أجسادهن

---

(١) كذا بالأصلين .

وأشخاصهن عن الأبصار ، فبلغنا في الرواية أن سحابة مطرت من العرش فخلقهن من قطرات الرحمة ، ثم ضرب على كل واحدة منهن خيمة على شاطئ الأنهار سعتها أربعون ميلا ، ليس لها باب إذا حل[١] ولي الله بالخيمة انصدعت الخيمة عن باب ليعلم ولي الله أن أبصار المخلوقين من الملائكة والخدم لم يأخذها ، فهي مقصورة قد قصرت عن أبصار الخلق . وفي الأوليين هن قاصرات قصر طرفهن عن الأزواج ، ولم يذكر[٢] أنهن مقصورات . [١/١٥٧/ب]

ثم ذكر اتكاءهن فقال[٣] : ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴾ [الرحمٰن : ٧٦] . فالرفرف أعظم خطرا من الفرش ، فذكر في الأوليين ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ﴾ [الرحمٰن : ٥٤] ﴿ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴾ [الرحمٰن : ٧٦]. فالرفرف هو مستقر الولي على شيء إذا استوى عليه الولي رفرف به ، أي طار به هكذا وهكذا حيثما يريد كالمرجاح ، وأصله من رفرف بين يدي الله تعالى .

وروي لنا في حديث المعراج أن رسول الله ﷺ لما بلغ السدرة المنتهى جاءه الرفرف فتناوله من جبريل فطار به إلى مسند العرش ، فذكر أنه طار بي يخفضني ويرفعني حتى وقف بي على ربي ، ثم لما حان الانصراف تناوله فطار به خفضا ورفعا يهوي به حتى أداه إلى جبريل صلى الله عليهما يبكي ويرفع صوته بالتمجيد .

فالرفرف خادم من الخدم بين يدي الله له خواص الأمور في محل الدنووالقربة ، كما أن البراق دابة يركبها الأنبياء مخصوصة بذلك في أرضه ، فهذا الرفرف الذي سخره لأهل الجنتين الدانيين هومتكؤهما وفرشهما يرفرف بالولي على حافات تلك الأنهار وشطوطها حيث شاء إلى خيام أزواجه الخيرات الحسان .

ثم قال : ﴿ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴾ . فالعبقري ثياب منقوشة تبسط ، فإذا قال خالق النقوش : إنها حسان[٤] فما ظنك بتلك العباقرة؟ والعبقر قرية بناحية اليمن - فيما

---

(١) في (ص) « دخل » .

(٢) في (ص) « يذكرن » .

(٣) في (ص) « وقال » .

(٤) سقط من (ص) « حسان » .

بلغنا - تنسج بها بسط منقوشة ، فذكر الله ما خلق في تلك الجنتين من البسط المنقوشة الحسان والرفرف الخضر ، وإنما ذكر لهم من الجنان ما يعرفون أسماءها ههنا ، فبان تفاوت هاتين الجنتين .

وقد روي عن بعض المفسرين فإذا هو يشير إلى هاتين الجنتين : ﴿ مِن دُونِهِمَا ﴾ : أي أسفل منهما وأدون . فكيف تكون مع هذه الصفة أدون؟ فحسنيته لم تفهم القصة .

ثم قال : ﴿ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمٰن : ٧٨] . كأنه يريد الاسم الذي افتتح به السورة فقال : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ ، فافتتح بهذا الاسم فوصف خلق الإنسان والجن والشياطين وخلق السماوات والأرض وصنعه ، وأنه كل يوم هو في شأن ، ووصف تدبيره فيهم ، ثم وصف يوم القيامة وأهوالها وصفة النار ، ثم ختمها بصفة الجنة ، قال في آخر الصفة : تبارك اسم ربك [١/١٥٨/أ] أي هذا الاسم الذي افتتح به السورة كأنه يعلمهم أن هذا كله خرج لكم من رحمتي ، فمن رحمتي خلقتكم وخلقت لكم السماء والأرض والخليقة والجنة والنار ، فهذا كله لكم من اسم الرحمن ، فمدح اسمه ثم قال : ﴿ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ جليل في ذاته كريم في أفعاله .

وأما قوله : " وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء في جنة عدن " .

فإنما وصف هذه الجنان الأربع فقال في الحديث : " جنان الفردوس " . فالفروس جنان الأنبياء والأولياء بقرب جنات عدن ، والفردوس سرة الجنة ووسطها ، كذلك روي عن رسول الله ﷺ .

وجنة عدن دار الرحمن ومقصورته ، والفردوس جنات عدن ، فعدن كالمدينة والفردوس كالقرى حول المدينة ، فإذا تجلى لأهل الفردوس رفع الحجاب ، وهو الذي ذكره في الحديث : " رداء الكبرياء " . فينظرون إلى جلاله وجماله ، فكأنه أخبر في هذا الحديث أن حجابه في جنة عدن رداء الكبرياء .

وأخبر في حديث آخر رواه أبو موسى الأشعري عن رسول الله ﷺ أنه قال : " حجابه النار ، لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره " .

٥٥٦ـ حدثنا بذلك أبي رحمه الله ، قال : حدثنا أبو نعيم ، عن المسعودي ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي عبيدة ، عن أبي موسى ، عن رسول الله ﷺ .

فهذا يدل على أنه إنما أخبر بهذا في أيام الدنيا ، وذلك في أيام الآخرة في جنة عدن ، فأيام الدنيا أيام الملك والسلطان والربوبية ، وأيام الآخرة أيام المجد والكرم والبر والمعاوضة ، فقال ههنا : " حجاب " وقال هناك : " رداء " . وقال هنا : " النار " وقال هناك : " الكبرياء " .

والحجاب لا فرجة فيه ، والرداء فرج وسطه .

ولهذا ما روي عن صاحب معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : " صنف من أهل الجنة لا يستتر الرب منهم ولا يحتجب " .

٥٥٧- حدثنا بذلك عبد الله بن أبي زياد القطواني ، قال : حدثنا سيار ، قال : حدثنا جعفر ابن سليمان ، قال : حدثنا أبو حمزة ، عن أبي الغطيف ، وكان من أصحاب معاذ بن جبل رضي الله عنه . وروى عن ابن عمر(١) رضي الله عنهما ، عن رسول الله ﷺ أن من أهل الجنة من ينظر إلى الله غدوة [١/ ١٥٨/ ب] وعشية .

وروي في الحديث الآخر أن أهل الجنة يزورون في كل يوم جمعة فينظرون إلى الله ليعلم أن للنظر إليه درجات ، وللقوم في ذلك منازل متفاوتة .

وقوله : " لأحرقت سبحات وجهه " . أي : ترهات وجهه كل شيء أدركه بصره؛ لأن المنزه عن شبه الأشياء لا تقوم له الأشياء ، فمتى أدركه بصره أهلكه ، وإنما حجب بالنار ، والنار مخلوقة ، لكي يلاقي المخلوق المخلوق فيقوم له ، فالقدرة حجبت عن النار حتى تقوم له النار على ما يشاء ، وهو دنو الحجاب إليهم دنوا وقربا كما شاء لا كما تعقله العقول .

وأما الأنهار فهو ما ذكره الله في التنزيل أنها من ماء غير آسن وأنها من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر وأنهار من عسل مصفى ، فهذه أربعة أصناف تجري في أنهارها لعامة أهل الجنة في غير أخذ ورد .

وأما العيون فهي أربعة : تسنيم وزنجبيل وكافور وسلسبيل .

فأما الأبرار فلهم الكافور خاصة ، والأبرار : الصادقون .

---

(١) في (د) " عمر " .

وأما المقربون فلهم التسنيم خاصة[١] ، وهم الصديقون ، فذكرهم الله في تنزيله فقال : ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴾ [الإنسان : ٥] . والكأس : الخمر ، فيمزج الخمر لهم بالكافور .

ثم وصف الكافور فقال : ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾ [الإنسان : ٦] . فهذا لهم خاصة . ويمزج من الكافور لسائر أهل الجنة أشربتهم .

فأما الشرب فهو للأبرار ، وهم عباد الله .

ثم قال في قصتهم : ﴿ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا * عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴾ [الإنسان : ١٧ - ١٨] . فأخبر أن للأبرار منها مزاجا تمزج أشربتهم من الزنجبيل ، ولم يذكر أنها لهم شرب كما ذكر الكافور ، ثم قال في سورة أخرى : ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ * تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ * يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ * خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ﴾ [المطففين : ٢٢ - ٢٦] .

ثم قال : ﴿ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴾ . فأخبر أن للأبرار منها مزاج بمزج أشربتهم من التسنيم .

ثم أخبر عن التسنيم لمن هي لهم مشرب ، فقال : ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ [المطففين : ٢٨] . فأخبر أن هذه العين التي اسمها التسنيم هي للمقربين خاصة شربا كما أخبر هناك أن الكافور عين للأبرار شربا ، وإنما سمي تسنيما لأنه أشرف شراب في الجنة [١/ ١٥٩/ أ] وأعلى ، مأخوذ من السنام ، فقد تسنم العيون والمياه وأشرف عليهم تجري من أعلى العرش ، تحقق ذلك مما رواه أبو مقاتل عن صالح بن سعيد ، عن أبي سهل ، عن الحسن رحمة الله عليه ، قال رسول الله ﷺ : " أربع عيون في الجنة : عينان تجريان تحت العرش إحداهما التي ذكر الله ﴿ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾ ، وعينان نضاحتان من فوق العرش ، إحداهما التي ذكر الله عز وجل : ﴿ سَلْسَبِيلًا ﴾ . والأخرى التسنيم للمقربين ، فالتسنيم خاصة شربا لهم ، والكافور للأبرار خاصة شربا لهم ، ويمزج للأبرار من التسنيم لشرابهم .

وأما الزنجبيل والسلسبيل فللأبرار منها مزاج ، هكذا ذكره في التنزيل ، وسكت عن ذكر ذلك لمن هي شرب ، ولا نعلم أهل عليين إلا هذين الصنفين : المقربون

---

(١) " خاصة " زيادة من (د) .

والأبرار ، فالمقربون الصديقون ، والأبرار الصادقون ، فما كان للأبرار مزاج فهو للمقربين صرفا ، وما كان للأبرار صرف فهو لسائر أهل الجنة ، والكافور الشيء المغطى ، والكفر : التغطية ، ومنه سمي الكفر؛ لأنه غطاء على القلوب ، فهذا على تقدير فاعول ، والزنجبيل إنما هو زنجب وإيل بالعبرانية ، كقولك : الله ، وكذلك جبريل وميكائيل ، فإيل هو الله ، وإنما سمي عبرانية عربت فقيل : إيل ، وأما الزنجب في اللغة فهو الثوب الذي يلي الحائض ، إذا حاضت لبست تحت ثوبها ثوبا ، فذلك الزنجب ، وهو ما بطن من ثيابها ويلي جسدها ، والسلسبيل هو الذي يشتد جريه ، فإنما هوسلسلب[١] وإيل هو الله ، كقولك : يا الله سلسلب[٢] من معنى القربة . وفي حديث أبي مقاتل ما يحقق هذه الآية ، قال : عينان نضاختان من فوق العرش ، إحداهما سلسبيل والأخرى التسنيم ، فوصف السلسبيل بالنضخ ، وهو من شدة الجري .

---

(١) في (د) " سلس " .
(٢) في (د) " سلس " .

الأصل الحادي والتسعون

٥٥٨. حدثنا سفيان بن وكيع ، قال : حدثنا ابن نمير ، عن محمد بن إسحاق ، عن يحيى بن عباد ، عن أبيه ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : أهدى النجاشي إلى رسول الله ﷺ حلية فيها خاتم من ذهب فيه فص حبشي ، فأخذه رسول الله ﷺ بعود [١/ ١٥٩/ ب] أو ببعض أصابعه ، وإنه لمعرض عنه ، ثم دعا ابنة ابنته أمامة بنت أبي العاص فقال : " تحلي بهذا يا بنية " .

٥٥٩. حدثنا يعقوب بن شيبة ، قال : حدثنا إسحاق بن عيسى الطباع(١) ، عن شريك عن ابن عقيل ، عن الربيع بنت معوذ قالت : أهديت إلى رسول الله ﷺ قناعا من رطب وأجر زغب ، فناولني كفا من ذهب فقال : " تحلي هذا يا بنية " .

٥٦٠. [حدثنا علي بن حجر ، قال : حدثنا شريك ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن الربيع بنت معوذ قالت : أهديت إلى رسول الله ﷺ قناعا من رطب وأجرٍ من زغب ، فأعطاني ملء كفه ذهبا ، أو قال : حليا .

قال أبو عبد الله :](٢)

فخلق هذا الآدمي خلقا سويا بارزا فضله قدمه على سائر خلقه في أرضه ، وكل خلق ربي حسن ، وقد قال في تنزيله : ﴿ أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ ﴾ [السجدة : ٧] . وإنما ظهر حسن الأشياء عند أولي الألباب ، فهم يرون حسنه ، وإنما الحسن عند السفهاء ما يحلو في نفوسهم عند موافقة شهواتهم ، وأولو البصائر والعقول ينظرون إلى صنعه في الأمور وإحكامه ولطفه في الأشياء .

٥٦١. حدثنا داود بن حماد القيسي ، قال : حدثنا إشكاب البغدادي ، عن شريك ، عن خصيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله : ﴿ أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ ﴾ [السجدة : ٧] . قال : أما إن است القرد ليست بحسنة ، ولكنه أحكم خلقه .

قول ابن عباس رضي الله عنهما : ليست بحسنة ، أي عند السفهاء والعامة ؛ لأنهم

---

(١) في (ص) " الطباخ " .

(٢) ما بين المعقوفين سقط من (د) .

ينظرون بعين الشهوة ، وهي سقيمة ، والحكماء ينظرون بعين الحكمة وهي صحيحة ، والعارفون المقربون ينظرون بعين المعرفة إلى صنعه ولطفه ، فتبارك الله أحسن الخالقين .

وقد ذكر الله في تنزيله وصف خلقه ، فلا يعلم أنه قال : ﴿ تَبَارَكَ ٱللَّهُ ﴾ إلا في وصفه خلق الإنسان ، كأنه يؤدي إلى معنى القربة ، فجعل هذه الحلية زينة لجوارحه ، فإذا لبسها زانه ذلك .

ومعنى قوله : زانه . أي ليق به ، وكل شيء استوى بشيء فهو له زينة وقدرا به ، وكذلك الوزن إذا استويا في الميزان فقد وزنه ، وإذا زانه حلاه ، فصار ذلك العضو أحلى في عين الناظرين .

[ومن ههنا سميت حلة لأنها تحلي تلك الجوارح [١/١٦٠/أ] في أعين الناظرين][(١)] وفي قلوبهم . وقد عدد الله الحلية[(٢)] علينا في تنزيله في النعم فقال : ﴿تستخرجون منه﴾[(٣)] أي من البحر ﴿ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ﴾ [فاطر : ١٢] وهو اللؤلؤ . فالمعدود في النعم مأذون لنا فيها ما كان من ذهب فللإناث ، ومحرم على لسان الرسول عليه السلام للذكور ، وما كان من فضة أو جوهر فمطلق للرجال والنساء ، وقد لبس رسول الله ﷺ خاتما اتخذه وفصه منه . وروي أنه لبس خاتما من فضة وفصه حبشي .

٥٦٢- **حدثنا** بذلك إسماعيل بن صالح ، قال : حدثنا ابن وهب ، عن يونس ، عن الزهري ، عن أنس رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ .

وروي عن موسى صلوات الله عليه في ذلك :

٥٦٣- ما **حدثنا** به أحمد بن مدرك الهروي صاحب مظالم العباس بن هاشم ، قال : حدثنا عون بن جعفر الكوفي ، عن صالح بن مرداس ، عن مشرف أبي معاذ ، عن شهر بن حوشب ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : لما ارتقى موسى عليه السلام طور سيناء

---

(١) ما بين المعقوفين سقط من (د) .

(٢) في (د) « الجاهلة »

(٣) في (ص) « يستخرجون » .

رأى الجبار في أصبعه خاتما فقال : يا موسى ، ما هذا؟ وهو أعلم به ، قال : شيء من حلي الرجال يا رب . فقال : هل عليه شيء من أسمائي أو كلامي؟ قال : لا . قال : فاكتب عليه : لكل أجل كتاب .

فالحلية حق وهي تحلة[1] الله لآدم وولده ، وخلق آدم فتوج وكلل بآكاليل الجنة ، وختم بالخاتم التي ورثه سليمان صلوات الله عليه ، وكان يقال له : خاتم العز فيما روي لنا ، ووضع على سرير وحمل من الأرض إلى الجنة ، ثم لم يزل يتوارثه ولده .

٥٦٤. حدثنا سفيان ، قال : حدثنا يحيى بن آدم ، عن شريك ، عن العباس بن ذريح ، عن عبد الله ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : عثر أسامة بعتبة الباب فشج في وجهه ، فقال لي رسول الله ﷺ : " أميطي عنه الأذى " . فكأنما قذرته ، فجعل رسول الله ﷺ يمصه ويمجه ويقول : " لو كان أسامة جارية لحليناه وكسوناه حتى ننفقه " .

فأصل الزينة والحلية حق دائما يفسدها الإرادة والقصد ، فإذا كانت الإرادة لله فقد أقام حقا من حقوق الله بإقامته ، وإذا كانت لغير الله صار وبالاً كسائر الأشياء .

٥٦٥. حدثنا عبد الله بن أبي زياد القطواني ، قال : حدثنا سيار ، قال [١/ ١٦٠/ ب] حدثنا محمد بن مروان - وهو العقيلي - قال : حدثنا يونس بن عبيد ، قال : بلغنا أنه كان رجل يجور على أهل مملكته ويتعدى عليهم ، فائتمروا لقتاله ، فقالوا : نبي الله زكريا بين أظهرنا ، فلو أتيناه . فأتوا منزله فإذا فتاة جميلة رائعة قد أشرق لها[2] البيت حسنا ، قالوا : من أنت؟ قالت : أنا امرأة زكريا . قالوا فيما بينهم : كنا نرى نبي الله لا يريد الدنيا فإذا هو قد اتخذ امرأة جميلة رائعة . قالوا : فأين هو؟ قالت : في حائط لفلان يعمل لهم . فأتوه فإذا هو يعمل لهم حتى حضر الغداء قرب رغيفين فأكل ولم يدعهم ، ثم قام فعمل بقية عمله ، ثم علق خفيه على عنقه والمسحاة والكساء ، قال : حاجتكم؟ قالوا : جئنا لأمر ، ولقد كاد يغلبنا ما رأينا على ما جئنا له . قال : فهاتوا . قالوا : أتينا منزلك فإذا امرأة جميلة رائعة وكنا نرى نبي الله لا يريد الدنيا . فقال : إني إنما تزوجت امرأة جميلة رائعة لأكف بها بصري وأحفظ بها فرجي . قال : فخرج نبي الله مما قالوا

---

(١) في (ص) " تحلية " .

(٢) سقط من (ص) " لها " .

ﷺ . قالوا : ورأيناك قدمت رغيفين فأكلت ولم تدعنا . قال : إن القوم استأجروني على عمل فخشيت أضعف عن عملهم ، ولو أكلتم معي لم يكفكم ولم يكفني . فخرج نبي الله ﷺ مما قالوا . قالوا : ورأيناك وضعت خفيك على عنقك والمسحاة والكساء . قال : إن هذه الأرض جديدة ، فكرهت أن أنقل تراب هذه في هذه . فخرج نبي الله مما قالوا .

قالوا : إن هذا الملك يجور علينا ويظلمنا ، وقد ائتمرنا لقتاله . فقال : أي قوم لا تفعلوا فإن إزالة جبل من أصله أهون من إزالة ملك مؤجل .

٥٦٦ـ حدثنا الفضل بن محمد ، قال : حدثنا هشام بن خالد الدمشقي ، عن الوليد بن مسلم ، قال : حدثني زهير بن محمد ، عن إسماعيل بن أمية ، عن نافع ، أن حفصة زوج النبي ﷺ صاغت حليا بثلاثين ألف درهم وجعلته حَبسًا على آل عمر ، فلم تكن تؤدي زكاته . فهذا عندنا إنما لم تؤد زكاته لأنها كلها صدقة موقوفة .

الأصل الثاني والتسعون

٥٦٧ـ حدثنا عمر بن أبي عمر ، قال : حدثنا سعيد بن أبي مريم ، قال : حدثنا عبد الله بن المنيب بن عبد الله بن أبي أمامة بن ثعلبة ، قال : [١/ ١٦١/ ب] حدثني أبي وجدي جميعا عن عطاء بن يسار ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ وهو على المنبر يخطب الناس وتلا هذه الآية : ﴿ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾ [سبأ : ١٣] . ثم قال : " ثلاث من أوتيهن فقد أوتي مثل ما أوتي آل داود " . فقيل : ما هي يا رسول الله؟ قال : " العدل في الغضب والرضا ، والقصد في الفقر والغنى ، وخشية الله في السر والعلانية " .

قال أبو عبد الله[1] :

معناه أن هذه الخصال منتظمة للشكر ، من أتى بهن فهو شاكر ، وقد أمر الله آل داود أن يعملوا شكرا ، أي يعملوا عملا يكون ذلك العمل شكرا لما آتاهم من النعم وفضلهم بها ، فأجمل رسول الله ﷺ لهذه الأمة في ثلاث خصال فقال : من أوتيهن فقد أوتي الشكر فهو شاكر كشكر آل داود .

٥٦٨ـ حدثنا الزبير بن بكار الزبيري ، قال : حدثنا سعد بن سعيد المقبري ، عن أبيه ، عن جده ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " ثلاث منجيات وثلاث مهلكات ، فأما المنجيات فخشية الله في السر والعلانية ، والحكم بالحق عند الغضب والرضا ، والاقتصاد عند الفقر والغنى ، وأما المهلكات فشح مطاع ، وهو ى متبع ، وإعجاب المرء بنفسه " .

فهذا وجه واحد مما ذكرنا ، ووجه آخر أن الله تبارك اسمه ذكر في تنزيله فقال : ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ ﴾ [سبأ : ١٠] ، فهذان خصلتان ، كان يسبح الله ويقدسه ويمجده بألوان الأغاني بذلك الصوت الذي أعطي ، فأيد بمساعدة الجبال والطير لئلا يجد فترة ، وإذا دخلت الفترة اهتاج وقوي لمساعدة الجبال والطير ، وكان قد أعطي من الصوت ما يتزاحم الوحوش من الجبال على صوته .

---

(١) غير موجودة في (د) .

وبلغنا أن الماء الجاري كان ينقطع عن الجري وقوفا لصوته ، وبلغنا أنه حرك يوما من صوته فأعجب به لا إعجاب غفلة ولكن تعجبا لما أعطي ، فقال : يا رب ، ما هذا؟ قال : حسني يا داود .

وخصلة ثالثة أنه تمنى أن تطيب طعمته وأن لا يكون ذلك من بيت المال ، فجعل الله له طعمة من عنده كي يتهنى بها ، فألان له الحديد [ليتخذ الدروع فكان يبيع الدرع الواحد فيما روي بستة الآف درهم ، وكان الحديد][1] في يده مثل العجين .

وروي عن رسول الله صلى الله [١/ ١٦١/ب] عليه وسلم أنه قال : " لكل نبي طعمة " . وجعل طعمة نبينا ﷺ أن سلطه على قريظة والنضير ، وجعل غنيمته منهم له خاصة ، وسائر الغنائم للأمة حلالا طيبا ، ولذلك ذكره في التنزيل فقال تعالى : ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًاۚ ﴾ [الأنفال : ٦٩] . وهي خصلة ثالثة[2] ، قال : ﴿ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ [المؤمنون : ٥١] ، أي بالسر والعلانية .

ولسليمان صلوات الله عليه ثلاث خصال ، فقال : ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌۖ ﴾ [سبأ : ١٢] يركب مركبه فتمضي[3] به الريح ، غدوها مسيرة شهر ورواحها مسيرة شهر .

والخصلة الثانية ﴿ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِۖ ﴾ فاتخذ رجالا من نحاس ، وسأل ربه أن ينفخ فيهم الروح ليقاتلوا في سبيل الله ولا يحيك فيهم السلاح ، ﴿ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦۖ ﴾ [سبأ : ١٢] ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ ﴾ [سبأ : ١٣] فالتماثيل هم هؤلاء الرجال من النحاس ، والمحاريب ذكر لنا في الخبر أنه أمر بأن يعمل حول كرسيه ألف محراب فيها رجال[4] عليهم المسوح ، يصرخون إلى الله دأبا ، وهو على الكرسي في مركبه ، والمحاريب حوله ، ويقول لجنوده إذا ركب[5] : سبحوا الله إلى ذلك العلم . فإذا بلغوه قال : هللوه إلى ذلك العلم . فإذا

---

(١) ما بين المعقوفين سقط من (ص) .

(٢) كذا بالأصلين ، ولعلها الرابعة .

(٣) في الأصلين " يمضي " .

(٤) في الأصلين " رجل " والمثبت الصواب .

(٥) في (د) " راكبوا " .

بلغوه قال : كبروه إلى ذلك العلم الآخر ، فيلح الجنود بالتسبيح وبالتهليل وبالتكبير لحة واحدة .

ثم قال : ﴿ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ ﴾ أي كالحياض ، يقعد على الجفنة الواحدة ألف رجل ، ﴿ وَقُدُورٍ رَّاسِيَـٰتٍ ﴾ قد نحتت من الجبال الصم مما عملت له الشياطين . . . [١] منها منحوته هكذا من الجبل .

ثم قال : ﴿ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ﴾ أي : اعملوا لهذا الفضل الذي فضلكم عملا يكون شكرا ، فوجه منها أن يقول : من أوتي هذه الخصال الثلاث التي ذكرها فقد عمل بالشكر ، والوجه الآخر أي أن هذه الأشياء التي أعطيت داود وسليمان فاستعمالها هو عمل بالشكر ؛ لأن هذه الأشياء كانت من فضلي عليهم ، فاستعملوها من أجلي شكرا لي ، ولم ينظروا هذه النعمة ولم يغفلوا عني ، فقبلوها مني وصيروا استعمالها لي ، فصار شكرا ، فإذا كان عدلا في الغضب والرضا فقد صار القلب ميزانا للحق ، لا يستفزه الغضب ولا يميل به الرضا ، كلامه وعمله للحق ، لا للنفس ، قد ملكه الحق ، ومن لم يكن هكذا فقد [١/ ١٦٢/ أ] ملكته نفسه .

وأما القصد في الغنى والفقر ؛ لا يسره الغنى حتى ينفق في غير حق ، ولا يعوزه الفقر حتى يمنع من فقره حقا ، فقد ركب سبيل القصد ، والقصد والقسط بمعنى واحد ، إلا أن القصد في النفقة في طريق الآخرة ، والقسط والعدل في الأمور ، وذاك العدل في الطريق ، وأما خشية الله في السر والعلانية ، فالخشية ولوج القلب باب الملكوت ، فحينئذ يستوي معه سره وعلانيته ، يخشى ربا قد عرفه معرفة من يستحيي منه كأنه يراه ، فإذا أوتي العبد هذه الخصال الثلاث قوي على ما قوي عليه آل داود مما أوتوا من الخصال الثلاث .

وصلى الله على محمد النبي وآله وسلم ، وهو حسبي .

---

(١) مقدار كلمة غير واضحة بالأصلين .

الأصل الثالث والتسعون

٥٦٩ـ حدثنا عمر بن أبي عمر ، قال حدثنا محمد بن وهب الواسطي ، عن محمد بن شعيب ابن شابور ، قال : حدثنا الأوزاعي ، عن قرة بن عبد الرحمن ، عن الزهري ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه " .

قال أبو عبد الله[1] :

فحسن الشيء غير الشيء ، كما أن برد الماء غير الماء ، وطيب المسك غير المسك ، وحلاوة العسل غير العسل ، وقبح الشيء غير الشيء ، ألا ترى أنه كان فيما تقدم من الشرائع أفعال قد أطلق الله فيها ، فكان غير قبيح ، فلما حرمه حل به القبح ، من ذلك نكاح الأخوات من لدن آدم إلى زمن نوح عليهما السلام ، ومن بعد ذلك الجمع بين الأختين ، كان مطلقا ، وكان يعقوب قد جمع بين الأختين ، فاستثنى الله في كتابه فقال : ﴿ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ [النساء : ٢٣] . وقال : ﴿ وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ [النساء : ٢٢] فاستثنى فعل سالف الأمم التي أطلق لهم ذلك ، وفي زمانهم لم يكن فاحشة ولا مقتا ولا ساء سبيلا ، فلما حرمها صارت فاحشة ومقتا وساء سبيلا ، فالإيمان والإسلام معتقد المؤمنين ، اعتقدوا بقلوبهم وحدانية الرب لا شريك له ، فذاك إيمانهم بقلوبهم ، واعتقدوا بأن عرفوا ربا أسلموا نفوسهم إليه عبيدا بكل ما يأمر وينهى ويحكم ويشاء ، فذاك إسلامهم ، فأمرهم بالحق وزجرهم عن الباطل ، وبين الحق في تنزيله وبين الباطل ، فكل شيء يعترض للمؤمن فلم يعنه تركه ؛ لأنه إنما عناه الحق ، فأقبل إليه لقوله : الإيمان والإسلام . وإشراق ذلك النور [١/ ١٦٢/ ب] في صدره ، وتولى عنه الباطل وأدبر ، ثم من بعد ذلك هذه الشهوة في نفسه تتردد[2] ، والعدو قد قعد بمرصد ليرد الباطل الذي تولى

---

(١) غير موجودة في (د) .

(٢) في (ص) " تتعدد " .

عنه إليه ، ويصد عنه وجه الحق الذي أقبل إليه ، والمؤمن محارب مجاهد يستغيث بالله في أحواله ، فقوله : " إن من حسن إسلامه تركه ما لا يعنيه " أي أن إسلامه أولا بقلبه أنه لما عرف ربه وحلته خشية ويخشع له قلبا ، فألقى بيديه سلما بين يديه ، فمن حسن إسلامه بالقلب أن يترك ما لا يعنيه ، وهو الباطل في كل أمر ، يقول : هذا علامة حسن إسلامه في الباطن أن يكون تاركا ما ليس بحق ؛ لأنه ليس من بال المؤمن إلا الحق وإقامته ، والجملة في ذلك ترك فضول الأشياء كلها ؛ فضول الطعام وفضول الكلام وفضول المال وفضول الأعمال وفضول الأمور التي له منها بُدُوّ غنى ، فترك هذه الفضول دليل على أنه قد حسن إسلامه إلى ربه نفسه ، وبذله له عبودة ، وقد يكون قد أسلم إلى ربه نفسا ، ثم ليس هو تبارك لما لا يعنيه لشر نفسه وغلبة شهواته ، فهو إسلام وليس بحسن إسلام ، فإنما ذكر حسن الإسلام أن حسنه في تركه ما لا يعنيه .

٥٧٠. حدثنا عتبة بن عبد الله ، قال : حدثنا مالك بن أنس ، قال : حدثني ابن شهاب ، عن علي بن الحسين رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه " .

الأصل الرابع والتسعون

٥٧١ـ حدثنا الفضل بن محمد ، قال : حدثنا الحسن بن الصباح البزار ، قال : حدثنا خالد ابن عبد الرحمن بن خالد بن سلمة المخزومي ، قال : حدثنا سفيان الثوري ، عن عاصم ، عن أبي عبد الرحمن السلمي ، عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : دخل علي رسول الله ﷺ يعودني فقال : " أعيذك بالأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد من شر ما تجد " فرددها سبعا ، فلما أراد القيام قال : " تعوذ بها ، ما تعوذ بخير منها يا عثمان ، فمن تعوذ بها فإنما يتعوذ بما يعدل ثلث القرآن " . ومن تعوذ فقد تعوذ بنسبة الله التي رضيها لنفسه ، فلها حرمة يسعد بها أهل التخليط والغفلة ، فأما أهل اليقين فإنهم يتعوذون بمن ولهت [١/ ١٦٣/ أ] إليه قلوبهم وتعلقت بأحديته ، وفي جميع نوائبهم يعتمدون ، فكان رسول الله ﷺ يتعوذ بالمعوذتين و (قل هو الله أحد) ، ، وخليق أن يكون هذا قبل نزول المعوذتين ؛ لأن المعوذتين إنما نزلتا في شأن علته حيث سحره اليهودي ، فكان يقول لعقبة بن عامر : " ما تقرأ بمثلهن " . فكان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة قرأ بالمعوذتين و (قل هو الله أحد) ، ثم يمسح بهما وجهه وما أقبل من جسده وما أدبر .

٥٧٢ـ حدثنا بذلك قتيبة بن سعيد ، قال : حدثنا المفضل بن فضالة ، عن عُقيل ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة رضي الله عنها ، عن رسول الله ﷺ .

٥٧٣ـ حدثنا يحيى بن الأحمر الطائي ، قال : حدثنا مالك بن أنس بالرقة ، عن ابن شهاب ، عن عروة ، عن عائشة رضي الله عنها ، عن رسول الله ﷺ بمثله .

الأصل الخامس والتسعون

٥٧٤. **حدثنا** محمد بن يحيى بن عبد العزيز ، قال : حدثنا علي بن الحسن ، قال : أخبرنا عبد الله[١] ، قال : أخبرنا ابن جريج ، عن ابن شهاب ، عن عبد الله بن عبد الله عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : نهى رسول الله ﷺ عن قتل النملة والنحلة والهدهد والصرد .

والسبب في ذلك أن الله خلق في الأرض أمما ، وخلقهم من الأرض ، ثم خلق آدم آخر الأمم ، ثم أبرز فضله على سائر البرية بأن سخر له ما في السماوات والأرض ، وقال : ﴿ خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ [البقرة : ٢٩] منه ، فأعلمنا أن جميع ما في الأرض إنما خلقه لنا ، فبان فضل الآدمي على سائر الأمم .

وقال : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء : ٧٠] .

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : " إن الله خلق ألف أمة؛ أربعمائة في البر وستمائة في البحر " .

٥٧٥. **حدثنا** بذلك داود بن حماد القيسي ، قال : حدثنا يحيى بن حماد البصري ، قال : حدثنا عبيد بن واقد ، عن محمد بن شبيب ، قال : حدثني محمد بن المنكدر ، عن جابر بن عبد الله ، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " إن الله تعالى خلق ألف أمة؛ ستمائة في البحر وأربعمائة منها في البر ، وإن أول [١/ ١٦٣/ ب] هالك في هذه الأمم الجراد ، فإذا هلك الجراد تتابعت الأمم مثل نظام السلك إذا انقطع "[٢] .

وإنما صار الجراد أول الأمم هلاكا؛ لأنه خلق من الطينة التي فضلت من طينة آدم ، وإنما تهلك الأمم لهلاك الآدميين؛ لأنها سخرت لهم ، فكان مما أبرز من فضل

---

(١) سقط " عبد الله " من (د) .

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور عند تفسير قوله تعالى : ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ الفاتحة ، وقال : إسناده ضعيف .

الآدميين أن جميع هذه الأمم يعودون ترابا في عرصة القيامة ، والآدميون يوقفون للثواب والعقاب ، وذلك أن الله تبارك وتعالى خلق الآدمي لعبودته ، وخلق ما في السماوات والأرض سخرة للآدميين؛ لانقطاع الحجة ولإتمام العذر ، فهذه الأمم جواهرها على اختلاف تربتها التي منها خلقت ، وكذلك الآدميون .

٥٧٦- **حدثنا** يحيى بن حبيب بن عربي الحارثي ، قال : حدثنا بشر بن المفضل ، عن عوف ، عن قسامة بن زهير قال : حدثنا الأشعري عن رسول الله ﷺ أنه قال : " إن الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض ، فجاء بنو آدم على قدر الأرض ، منهم الأحمر والأسود والأبيض ، والسهل والحزن ، والخبيث والطيب " . فكما أنت تراءى في ولد آدم جواهرهم حتى تظهر منهم معالي الأخلاق ومدانيها ، ويظهر من معالي أخلاقهم الخير ومداني أخلاق الآخرين الشر ، فكذلك في سائر هذه الأشياء من الدواب والوحوش والطير ، فالحية أبدت جوهرها حيث خانت آدم حتى لعنت وأخرجت من الجنة ، وكانت قد وكلت بخدمة آدم عليه السلام في الجنة ، وأدخلت الجنة على الخدمة ، فتركت الخدمة وأقبلت على الخيانة ، فمكنت لعدو الله في فمها فسترته حتى أدخلته الجنة ، ولو كانت تبرز ما تركها رضوان أن تدخل ، وقال لها إبليس : أنت في ذمتي . فأمر رسول الله ﷺ بقتلها وقال : " اقتلوها ولو كنتم في الصلاة " . يعني به[١] الحية والعقرب . والوزغة أبدت جوهرها[٢] فنفخت على نار إبراهيم عليه السلام ، فلعنت .

وروي عن رسول الله صلى الله عليه سلم أنه قال : " من قتل وزغة فكأنما قتل كافرا " . والفأرة أبدت جوهرها[٣] فعمدت إلى حبال سفينة نوح عليه السلام فقطعتها .

٥٧٧- **حدثنا** بذلك الجارود ، قال : حدثنا الأسود بن عامر ، عن سفيان . وحدثنا[٤] إسماعيل بن نصر ، قال : حدثنا [١/ ١٦٤/أ] الأسود بن عامر ومعاوية بن هشام

---

(١) في (ص) " حتي " .

(٢) في (د) " جواهرها " .

(٣) في (د) " جواهرها " .

(٤) سقط من (ص) " واو" العطف .

وقبيصة ، عن سفيان ، عن علي بن زيد بن جدعان ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : آذى الفأر في السفينة . قال الجارود : قال الأسود : قال سفيان[1] : كن يقرضن الحبال . وقال إسماعيل في حديثه : حتى خافوا على حبال السفينة ، فشكى نوح إلى الله تعالى ، فأوحى الله تعالى أن امسح على جبهة الأسد ، فعطس عطسة ، فخرج منه سنوران فأكلا الفأر ، ثم كثرت العذرة في السفينة ، فشكا نوح إلى الله تعالى ذلك ، فأوحى الله تعالى إليه أن امسح ذنب الفيل ، فنثر خنزيران فأكلا العذرة .

ومما يحقق ذلك : أن الله تبارك اسمه حرم الأشياء فلم ينسب إلى الرجاسة كما ذكر الخنزير خاصة فإنه قال : ﴿ أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ ﴾ [الأنعام : ١٤٥] ، يدل ذلك أنه إنما سماه من بين الأشياء رجسا ؛ لأن غذاءه العذرة ، والعذرة إنما صارت رجسا ؛ لأنه من مجلس إبليس خرجت ، ألا ترى أنه قال في الخمر : ﴿ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾ [المائدة : ٩٠] ؛ لأن الشيطان خاض بيده في الخمر حتى غلا وأزبد ، فتحولت رجاسة يده في ذلك الشراب ، وسمى الأوثان رجسا بدخول الشيطان في جوفها ، فلا يعلم ذكر الرجاسة في التنزيل إلا في الوثن والخمر والميسر والخنزير ؛ لأن كل ذلك مما لمسته أيدي العدو وخالطته .

والغراب أبدى جوهره حيث بعثه نبي الله نوح عليه السلام من السفينة ليأتيه بخبر الأرض ، فترك أمره وأقبل على جيفة .

٥٧٨ـ **حدثنا** بذلك عمر بن أبي عمر ، قال : حدثنا داود بن شبيب القرشي ، عن داود بن أبي الفرات ، عن علباء بن أحمر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس رضي الله عنهما .

والحمار أبدى جوهره حيث أنزى على حمار ذكر وتلوط ، فسمي رجسا .

٥٧٩ـ **حدثنا** بذلك الحسين بن أبي كبشة اليحمدي ، قال : حدثنا سلم بن قتيبة ، قال : حدثنا عرفطة العبدي ، قال : سمعت محمد بن سيرين يقول : ليس شيء من الدواب يعمل عمل قوم لوط إلا الخنزير والحمار .

---

(١) سقط من (ص) " سفيان " .

والضفدع أبدى جوهره حيث جاء بالماء ليطفئ عن إبراهيم عليه السلام ناره ، فأثيب أن جعل مكانه الماء ، ولما سلط على قوم فرعون جاءت فأخذت الأمكنة كلها ، فلما صارت إلى التنور وثبت [١/ ١٦٤/ ب] . فيها وهي نار تسعر؛ طاعة لله عز وجل ، فجعل نقيقها تسبيحا . ويقال : إنها أكثر الدواب تسبيحا .

والنملة ذكر الله شأنها في تنزيله و﴿ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ . فأثنت على سليمان وأخبرت عنه بأحسن ما تقدر عليه بأنهم لا يشعرون إن حطموكم ، ولا يفعلون ذلك على عمد عنهم ، فنفت عنه الجور ، ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ ﴾ . أي : ألهمتني شكر هذه النعمة .

والنحلة مذكورة في التنزيل بأنه[١] ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ۞ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ﴾ .

فهي مأمورة باتخاذ البيوت ، ذللا : مطيعة لربها .

والهدهد كان رسول سليمان صلوات الله عليه إلى بلقيس ، وحامل كتابه إليها بريدا والمؤدي عنها خبرها إلى سليمان عليه السلام .

٥٨٠. حدثنا سليمان بن حميد أبو الربيع الإيادي ، قال : حدثنا عون بن عمارة ، عن الحسن الجعفي ، عن الزبير بن خريت ، عن عكرمة قال : إنما صرف الله شر سليمان عليه السلام عن الهدهد؛ لأنه كان بارًا بأبويه .

والصرد يقال له : الصرد الصوام .

روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : أول من صام الصرد .

٥٨١. حدثنا سفيان بن وكيع ، قال : حدثنا ابن مهدي ، عن قرة بن خالد ، عن موسى بن أبي غليظ ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : الصرد أول طير صام . ولما خرج إبراهيم صلوات الله عليه من الشام إلى الحرم في بناء البيت كانت السكينة معه والصرد ، فكان

---

(١) في (ص) " أنه " .

الصرد دليله إلى الموضع والسكينة مقداره ، فلما صار إلى البقعة وقفت السكينة على موضع البيت ونادت : ابن يا إبراهيم على مقدار ظلي .

٥٨٢. حدثنا عمر بن أبي عمر ، قال : حدثنا سليمان بن عبد الرحمن ، عن البختري ، عن عبيد بن سليمان الأغر قال : حدثنا أبي ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : " الذباب كلها في النار " . فجعلها عذابا لأهل النار إلا النحل فنهى عن قتل النحل؛ لأن فيه شفاء ، وعن العنكبوت لأنه نسج على غار رسول الله ﷺ ، وعن الهدهد؛ لأنه كان دليل سليمان [١/ ١٦٥/ أ] عليه السلام على الماء ، وعن الضفدعة لأنها كانت تصب الماء على نار إبراهيم صلوات الله عليه ، وعن الصرد لأنه دل إبراهيم عليه السلام على البيت ، فقد علم الله من جواهر هذا الخلق ، فاختار لمحبوبه من الأمور من قد علم الله طيب جوهره ، وأظهر الآخرون بأفعالهم خبث جواهرهم ، مثل الفأرة والغراب والوزغة والحية ، وهذا إذا قتله من غير أذى ، فأما إذا أذته نملة أونحلة فله أن يقتلها ويدفع عن نفسه شرها .

وروي عن إبراهيم أنه قال : من أذاك من النمل فاقتله .

وفيما جاء عن رسول الله ﷺ من قصة موسى عليه السلام حيث أوحى الله إليه : ألا نملة مكان نملة . دليل على أن الذي يُؤذِي يُؤذَى ويقتل ، فكلما كان القتل لنفع أو دفع ضر فلا بأس عندنا .

٥٨٣. حدثنا عبد الرحمن بن يونس الرقي ، قال : حدثنا عبد العزيز بن محمد ، عن صالح ابن كيسان ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن زيد بن خالد الجهني قال : قال رسول الله ﷺ : " لا تسبوا الديك فإنه يدعو إلى الصلاة " .

الأصل السادس والتسعون

٥٨٤ـ حدثنا إبراهيم بن المستمر الهذلي ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن سليمان بن حيان أبو زيد ، قال : سمعت أبي يذكر عن أبيه ، قال : صحبت ابن عمر رضي الله عنهما من مكة إلى المدينة فقال لنافع : لا تمر بي على المصلوب . يعني ابن الزبير . قال : فما فجأه في جوف الليل أن صك محمله جذعه ، فجلس فمسح عينيه ثم قال : يرحمك الله أبا خبيب إن كنت وإن كنت ، ولقد سمعت أباك الزبير يقول : قال رسول الله ﷺ : " من يعمل سوء[(١)] يجز به في الدنيا أو في الآخرة " ، فإن يك هذا بذاك فهه فهه[(٢)] ، فأما في التنزيل فقد أجمله فقال : ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء : ١٢٣] . فدخل فيه البر والفاجر والولي والعدو والمؤمن والكافر ، ثم ميز رسول الله ﷺ في هذا الحديث بين الموطنين فقال : " يجز به في الدنيا أو في الآخرة " . وليس يجمع عليك الجزاء في الموطنين ، ألا ترى أن ابن عمر رضي الله عنهما قال : فإن يك هذا بذاك فهه فهه[(٢)] معناه أنه قاتل في حرم الله وأحدث فيها حدثا عظيما حتى أُحْرِق البيت ورُمِيَ الحجر الأسود [١/ ١٦٥/ ب] بالمنجنيق ، فانصدع حتى ضبب بالفضة ، فهو إلى يومنا كذلك ، وسمع للبيت أنينا : آه آه ، وقد قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة : " إنها لم تحل لأحد قبلي ولا تحل لأحد بعدي ، وإنما أحلت لي ساعة من نهار ، وإنها حرمت يوم خلقت السماوات والأرض " . فلما رأى ابن عمر رضي الله عنهما فعله ثم رآه مقتولا مصلوبا ذكر قول رسول الله ﷺ : " من يعمل سوءا يجز به " . ثم قال : إن يك القتل بذاك الفعل الذي فعله فهه فهه . أي كأنه جوزي بذلك السوء من هذا القتل والصلب ، رحمة الله عليه . ثم ميز رسول الله ﷺ في حديث آخر بين الفريقين .

٥٨٥ـ حدثنا بذلك أبي رحمه الله ، قال : أخبرنا أبو نعيم ، قال : حدثنا محمد بن مسلم ، عن يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد الليثي ، قال : لما نزل[(٣)] قوله تعالى : ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ ﴾ قال أبو بكر رضي الله عنه : يا رسول الله ، ما هذه بمبقية منا .

---

(١) سقط " سوء " من (ص) و (د) وأثبتناها من (ط) .

(٢) كذا في (ص) و (د) وفي (ط) " فهمه همه " .

(٣) في الأصلين " نزلت " .

قال : " يا أبا بكر ، إنما يجزى بها المؤمن في الدنيا ويجزى بها الكافر يوم القيامة " .

٥٨٦ـ **حدثنا** الجارود ، قال : حدثنا وكيع وأبومعاوية وغيره ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي بكر بن أبي زهير الثقفي قال : لما نزلت ﴿ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ ﴾ قال أبو بكر رضي الله عنه : كيف الفلاح يا رسول الله مع هذا؟ كل شيء عملنا جزينا به . فقال : " غفر الله لك يا أبا بكر ، ألست تنصب؟ ألست تحزن؟ أليس يصيبك البلاء؟ " . قال : بلى . قال : فذلك ما تجزى به .

ففسر رسول الله ﷺ ما أجمله في التنزيل من قوله : ﴿ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ ﴾ أن المؤمن يجزى بالسوء في الدنيا بما ذكر من النصب والتعب والحزن والغم ونوائب الدنيا ، والكافر يصيبه ما أصاب المؤمن أيضا من هذا النصب والتعب والحزن والغم ، وليس ذلك له جزاء بالسوء الذي قد عمل ، قد أخر جزاؤه إلى يوم القيامة إلى العذاب الأكبر ، هناك يجزى بالسوء ؛ لأن جميع ما يصيب الكافر ههنا من هذه المصائب لا يصبر وإن صبر فصبر وتجلد وصبر عاد لا صبر حسبة وتسليم ، والمؤمن يصيبه المصائب والنوائب ، فهو في كل ذلك صابر محتسب بنفسه على الله ، والله قد أذعن له برهم ومقتصدهم وظالمهم ورضوا بها عنه ، والكافر [١/ ١٦٦/ أ] ساخط على ربه في نوائبه ، مستمر له على عدوانه ، فبجميع ما يصيبه في الدنيا يزداد نارا على نار ؛ لأنه لا يعرف ربه معرفة الموحدين ، وقد عرفه جبرا ، وبالملك له قهرا ، وكلما أصابته نائبة من أحكامه هزت نفسه في وجه أحكامه واكفهر قلبه في وجه تدبيره ، وامتلأ غيظا وسخطا على من قهره ، ألا ترى أنه بلغ بواحد من جنسه أنه احتال للارتقاء إلى العلا ليحاربه ويسلبه ، ثم رجع راجعا سخطا برايته وتابوته إلى الأرض يزعم أنه قد قتل إله السماء فلم يبق له منازع .

فقلب الكافر بهذه الصفة ، منهم من شرهت نفسه وطمحت به إلى مثل هذا الفعل ، ومنهم من كان أسكن نفسا لم يتعاط أشباه هذا ، إلا أنه لما جاءته أحوال المكابرة تلوى وتسخط وجوره في حكمه ، وضمر على كل سوء ، وجاش قلبه بالغيظ ، ولكن لا يقدر على شيء ، فلولا[١] قدرة الله لأتى بالعجائب ، وقد فعل بواحد فتهيأ لمحاربته ، وهو نمرود

---

(١) في (ص) " فلوا " ، وفي (د) " فلوأن " .

الذي ذكرناه ، وقحط المطر في زمانه ، فقال واحد من الجبابرة في ذلك الزمان : لأغيظه . قيل : وكيف تفعل؟ قال : لأقتلن أولياءه .

٥٨٧- حدثنا محمد بن حميد الرازي ، قال : حدثنا يعقوب القمي ، عن جعفر ، عن سعيد ابن جبير قال : قحط الناس في زمان ملك من ملوك بني إسرائيل ثلاث سنين ، فقال الملك : ليرسل علينا السماء أو لنؤذينه . قال له جلساؤه : وكيف تقدر على أن تؤذيه أو تغيظه وهو في السماء وأنت في الأرض؟ قال : أقتل أولياءه في الأرض ، فيكون ذلك أذى له . فأرسل الله عليهم السماء .

٥٨٨- حدثنا عمر[1] بن أبي عمر ، قال : حدثنا أبو عمير[2] بن النحاس الرملي ، عن أيوب ابن سويد الرملي ، عن عمر بن الحارث ، عن زيد بن حبيب المصري ، عن أبي الخير ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : غار النيل على عهد فرعون ، فأتاه أهل مملكته ، فقالوا : أيها الملك ، أجْرِ لنا النيل . قال : إني لم أرض عنكم . فذهبوا ثم أتوه فقالوا : أيها الملك ، أجر لنا النيل . قال : إني لم أرض عنكم . فذهبوا فأتوه فقالوا : أيها الملك ، ماتت البهائم وهلكت الأبكار ، لئن لم تجر لنا النيل لنتخذن إلها غيرك . قال : اخرجوا غدا إلى الصعيد . فخرجوا ، فنحي عنهم حيث لا يرونه ولا يسمعون كلامه ، ثم ألصق خده بالأرض وأشار بالسبابة ، فقال : اللهم إني خرجت إليك مخرج العبد الذليل إلى سيده ، وإني أعلم أنك تعلم أني أعلم أنه لا يقدر على إجرائه غيرك [١/١٦٦/ ب] فأجره . فجرى النيل جريا لم يجر قبله مثله ، فأتاهم فقال : إني قد أجريت لكم النيل . فخروا له ساجدين . وعرض له جبريل عليه السلام فقال : أيها الملك ، أعرض علي عبد لي . فقال : وما قصته؟ فقال : عبد لي خولته على عبيدي في ملكه مفاتيحي فعاداني ، فأحب من عاديته وعادى من أحببت . فقال : بئس العبد عبدك هذا ، لو كان لي عليه سبيل لغرقته في بحر القلزم . قال : أيها الملك ، اكتبه . فدعا بدواة وكتاب : ما جزاء العبد الذي يخالف سيده ، فأحب من عاداه وعادى من أحبه إلا أن يغرق في بحر القلزم؟ فقال : أيها الملك ، اختمه . فختمه ودفعه إليه ، فلما

---

(١) في (ص) " عون " .

(٢) في (ص) " أبوعمر " .

كان يوم البحر أتاه جبريل صلوات الله عليه بالكتاب فقال[١] : خذ هذا ما استكتبت على نفسك أو قال : حكمت به .

٥٨٩ـ حدثنا عمر بن أبي عمر ، قال : حدثنا محمد بن[٢] عمران بن محمد بن عبد الرحمن ابن أبي ليلى ، عن بشر بن عمارة ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس رضي الله عنهما بنحوه .

٥٩٠ـ حدثنا أبو بكر بن سابق الأموي ، قال : حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن ليث ، عن مجاهد قال : جاء يهودي إلى رسول الله ﷺ فقال : صف لي ربك من أي شيء هو أمن[٣] لؤلؤ . فأرسل الله صاعقة فأحرقته وأنزل الله هو الذي ﴿ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴾ [الرعد : ١٣] فمعرفة الكفار معرفة جهل وجبر قد جبلهم جبلة لا يقدرون أن يجحدوه ، وقد روي عنه تبارك اسمه أنه قال في كلامه يوم السبت يوم إقباله على خلقه وإلهامه ربوبيته فقال : ليس ينبغي لأحد أن ينكرني ولا يكابرني ولا يعاديني[٤] [وكيف ينكرني من جلبته يوم خلقه على معرفتي ، وكيف ينكرني ويعاديني][٥] من ناصيته بيدي فهو فطرة الله التي فطر الناس عليها ، وليس فيهم من نور التوحيد فينفون عنه ما ليس هو بأهل لذلك وينزهونه ، فإليه يجأرون ويضرعون ذلة وفاقة لما قد قهرتهم ملكته ، فإذا أخذتم أحوال المكاره تغيظوا وأضمروا على السوء ، وتكلموا بما في ضمائرهم فقالوا : إن الله فقير ونحن أغنياء ، وقالوا : يد الله مغلولة . وذلك أنه قتر عليهم الرزق ، والمؤمن من حبب إليه الإيمان وزينه في قلبه ، وهو من أوصل النور إلى حبة قلبه ، فالتذت نفسه وطابت بما وجدت من الطيب والراحة [١/١٦٧/أ] والروح والنزاهة والحلاوة ، فلان القلب ورطب بالرحمة التي غشيته ، ورق الفؤاد وراحت النفس وطابت بلذتها ، فانقاد له

---

(١) " فقال " زيادة من (د) .

(٢) سقط " محمد بن " من (ص) .

(٣) في (ص) " أم " .

(٤) في (ص) " ولا يكابدني أو يعادني " .

(٥) ما بين المعقوفين سقط من (ص) .

واستسلم وألقى بيديه إليه سلما في كل ما استرعاه وقلده ، فإن جاءته أحوال المكاره تحملها وهو في ذلك راض عنه ، طيب النفس بحمده بلسانه ، ويرجوه ويأمل معروفه ، ولا يتسخط ، ولا يراه شيئًا محتسبا به ، وهو مع ذلك قد سرته حسنته وساءته سيئته ، فإذا أصابته المكاره طابت نفسه لما يرى من رحمة الله عليه بأنه قد محصه وطهره ، وإذا كان عند أوان خروجه من الدنيا انقطع رجاؤه من الجميع من خلقه وتعلق به ، فكان رجاؤه وأمله خالقه ، فإذا أعطي صحيفته يوم القيامة فأتى على سيئاته قيل له : تجاوز عن قراءتها فقد تجاوزنا عنك بما أصابك في الدنيا ، وإنما أصابك ذلك في الدنيا من جميل نظري لك ومحبتي إياك وولايتي لك وعطفي عليك ، هكذا دبرت لك أن تصيبك تلك المصائب لأجزيك سيئاتك قبل أن تصير إلي فأستحيي منك أن أعذبك وأنت وليي ومختاري ومن أهل رحمتي ، والكافر لم يوالني وذهب برقبته مني وعاداني ونظر إلى صنائعي بعين السقم ، فجميع ما أصابه من النوائب كان من سخطي عليه في دار الدنيا ، فلم يزدد بها إلا سخطا وعداوة ، فاليوم قد أحاط به غضبي وناري الحامية ، فأنتقم منه .

ومما يحقق ما قلنا أنه يقال للمؤمن : تجاوز فقد أصابتك النوائب في دار الدنيا ، قال الله تعالى في تنزيله : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴾ [الأحقاف : ١٦] .

٥٩١ـ حدثنا صالح بن عبد الله ، قال : حدثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة ، عن أشعث بن سوار ، قال : قلت للحسن : ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ ﴾ قال : لا يجزى والله يوم القيامة مؤمن بسوء عمله . ثم قرأ : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴾ .

٥٩٢ـ حدثنا الجارود ، قال : حدثنا أبو معاوية ، عن عاصم ، عن الحسن في قوله تعالى : ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ ﴾ [النساء : ١٢٣] قال : إنما ذاك لمن أراد الله هوانه ، فأما من أراد كرامته فإنه يتجاوز عن سيئاته ﴿ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ [١ / ١٦٧ / ب] ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴾ .

٥٩٣ـ حدثنا سفيان ، قال : حدثني أبي ، عن أسامة بن زيد ، عن محمد بن عمرو بن عطاء ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : [ما

من شيء يصيب المؤمن من حزن ولا نصب ولا وصب حتي الهم تهمه إلا أن الله يكفر عنه سيئاته .

٥٩٤- حدثنا الجارود قال : حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم][1] : " لا يصيب المؤمن شوكة فما فوقها إلا رفعه الله بها درجة أو حط عنه بها خطيئة " . معناه أن المغفور له ترفع له درجة ، والذي لم يغفر له تحط عنه بها خطيئة ، ومن ههنا قيل : إن المرض إذا كان عقوبة لم يقبل الدواء ؛ لأنه قد جوزي به في الدنيا ، وإنما الدواء للداء الذي يحدث من الطبع من غير عقوبة ؛ لأنه إنما أنزل الدواء للداء الحادث .

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : " ما أنزل الله من داء إلا أنزل الله له دواء " . فإذا كانت عقوبة فلا دواء له حتى تنقضي مدة العقوبة وينزل العفو.

٥٩٥- حدثنا قتيبة بن سعيد ، عن مالك بن أنس ، عن يزيد بن خصيفة ، عن عروة بن الزبير قال : سمعت عائشة رضي الله عنها تقول : قال رسول الله ﷺ : " ما يصيب المؤمن من مصيبة[2] حتى الشوكة إلا قص عنه أو كفر بها عنه من خطاياه " .

---

(١) ما بين المعقوفين سقط من (ص) .

(٢) في (د) " نفسه " .

الأصل السابع والتسعون

٥٩٦. حدثنا إبراهيم بن المستمر الهذلي ، قال : حدثنا سفيان بن محمد بن سفيان المصيصي ، قال : حدثنا عبد الله بن وهب ، قال : حدثنا يونس بن يزيد ، عن الزهري ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا أتي بالباكورة من كل شيء قبّلها ووضعها على عينه اليمنى ثلاثا ثم على عينه اليسرى ثلاثا ، ثم يقول : " اللهم كما بلغتنا أولها فبلغنا آخرها " . ثم يعطيها أصغر الولدان .

٥٩٧. حدثنا أبي رحمه الله ، قال معاوية بن عمرو : عن جرير بن حازم ، عن يونس ، عن الزهري ، عن رسول الله ﷺ بمثله ، ولم يذكر أنسا .

٥٩٨. حدثنا إبراهيم بن المستمر ، قال : حدثنا أبو عاصم النبيل ، عن جرير بن حازم ، عن يونس ، عن الزهري ، عن رسول الله ﷺ بمثله .

قال أبو عبد الله(١) :

فالقبلة على وجوه؛ قبلة شهوة وهي للزوجة ، وقبلة رحمة وهي للولد ومن أشبههم ، وقبلة حنين وهي للحجر الأسود ، وقبلة اشتياق ، وهي للباكورة وما أشبهها ، وكلها عبادة إذا أريد [١/ ١٦٨/ أ] بها وجه الله تعالى ، وأصلها كلها من القلب ، وذلك أن الرحمة والرأفة في القلب معدنهما ، ثم تصير الرحمة منه إلى الكبد ، ففيه معتمله وهو بيته ، والرأفة في الطحال ففيه معتمله وهو بيته ، ولذلك قال علي رضي الله عنه : الرحمة في الكبد ، والرأفة في الطحال . أخبر بالمستقر والمعتمد ، فأما الأصل فهو في القلب ، فإذا انقلب القلب بما فيه من الرأفة فارت الرأفة ، وإنما قيل : رأفة لأنه يروف ويفور بحرارته ، والروف والفور بمعنى ، فإذا فار خرجت حرارته من فم القلب إلى الصدر ، وفار إلى الحلق فاستعمل الشفتين بذلك ، فاستعماله الشفتين هو تقليبها لتقليب القلب بالرأفة ، فقيل : قبل وقلب بمعنى واحد ، إلا أنه في الشفتين قيل : قبل ، وفي القلب : قلب قلبه للرأفة التي تحركت منه ، وإنما يفور ذلك من نور الإيمان .

---

(١) غير موجودة في (د) .

والرأفة من الإيمان ، وكذلك الرحمة ، فكانت الأنبياء عليهم السلام أعظم نورا وأوفر حظا من الرأفة ، وكذلك كل مؤمن وفر حظه من النور فهو أوفر حظا من الرأفة والرحمة ، فكان إذا قبل الحجر قبلة حنينا إلى الجنة لأنه من الجنة ، والجنة دار الله ، وإنما يحن الأنبياء عليهم السلام إلى دار الله من أجل الله ، لا من أجل التنعم ، ألا ترى إلى قوله لعمر حين قبل الحجر وبكى وقال : ههنا تسكب العبرات . فإذا قبل الولد فمن رحمته له وأنه من روحان الله ، وكان يستروح إلى تقبيل الولد ، ألا ترى كيف قال في حديث خولة عن رسول الله ﷺ أنه قبل الحسن ، ثم قال : " إنكم لتبخلون وتجبنون وتجهلون ، وإنكم لمن ريحان الله " .

٥٩٩- حدثنا الجارود وعبد الجبار ، قالا : حدثنا سفيان ، عن إبراهيم بن ميسرة ، عن ابن أبي سويد(١) ، عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، عن خولة بنت حكيم ، عن رسول الله ﷺ . قال الجارود : من ريحان الله ، وقال عبد الجبار : من ريحان الجنة .

وإذا قبل الزوجة فمن الرحمة والمودة التي جعلت بين الزوجين وقد قال في تنزيله : ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [الروم : ٢١] والرأفة والرحمة يهيجان الشهوة؛ لأنها حارة .

٦٠٠- حدثنا قتيبة بن سعيد ، قال : حدثنا محمد بن دينار الطاحي ، قال : حدثنا سعيد بن أوس ، عن [١/١٦٨/ب] مصدع الأنصاري ، عن عائشة رضي الله عنها ، أن رسول الله ﷺ كان يقبلها وهو صائم ويمص لسانها . وإذا قبل الباكورة ، فكذلك أيضا لأنه يرى أثر صنعه لعباده ، وأول ما تخرج الثمرة تكون طريا لم تتدنس بظلمة الدنيا ، هو فلقها كما قال : ﴿ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ﴾ [الأنعام : ٩٥] . فإذا رأى فلقه للحب والنوى والأشجار والثمار فهو باكورة قد ابتكر بخروجها ، ولذلك تسمى باكورة ، وهي بكر الشجر لم تفتض ، فإذا رآها تحرك نور الإيمان بما أبصر من صنعه ولطفه ، فانقلب بالرأفة التي فيه ، فانفلق القلب ، فانفلاقه فتح بابه ، فلولا ذاك لانشق القلب ولم يتماسك ، فذلك فلق القلب ، فخرجت تلك الحرارة من القلب إلى الفم ، فاستعمل الشفتين بالحركة ، ولو وضع الشفتين هكذا وضعا لم يقنع به حتى

---

(١) في (ص) " أبي سويد " .

استعملها بالحركة ، فهذا التقبيل ، ثم يضعها على عينيه وأشفاره إكراما وتعظيما له ، ثم يدعو بذلك الدعاء ، ثم يعطيها من لم يتدنس بالذنوب ورحمة الله عليه ظاهرة ، إن القلم قد رفع عنه ولا يؤاخذ بذنب .

الأصل الثامن والتسعون

٦٠١ـ حدثنا محمد بن يحيى بن عبد العزيز ، قال : أخبرنا علي ، قال : أخبرنا عبد الله ، قال : أخبرنا سفيان الثوري ، عن زيد العمي[1] ، عن أبي إياس ، وهو معاوية بن قرة ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " لكل أمة رهبانية ، ورهبان أمتي الجهاد في سبيل الله " .

قال أبو عبد الله[2] :

فالرهبانية السياحة ، قد كانت في الأمم الماضية ، كان أحدهم إذا علاه الخوف والرهبة من الله ساح في البراري أو[3] اتخذ صومعة في برية فترهب فيها ، يريد أن تدوم رهبته في تلك العزلة سياحة كانت أو صومعة بعد أن يكون دائم الرهبة ، فذاك الترهب ليستعين بتلك الرهبة التي تدوم له على بذل النفس لله عبودة ، فأعطى الله هذه الأمة السيف يضربون به وجوه أعدائه ويضربون كما قال[4] الله في تنزيله : ﴿ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ ﴾ [التوبة : ١١١] . فهذه محنة عظيمة ينكشف بها الغطاء وتذهب الريبة والشك في بذل النفس ، فمن تلقى سيوف العدو في وجهه فقد صدق الله في بذل النفس له عبودة ، فهي رهبانية هذه الأمة ، ولم يكن للأمم الخالية هذا [١/١٦٩/أ] السيف ، إنما أعطي رسول الله ﷺ ، وكانت رهبانيتهم السياحة والعزلة لتدوم لهم الرهبة في تلك الخلوات ولتنقاد النفس لله عبودة ، فمن صبر على العزلة والسياحة حينئذ فقد صدق الله في بذل النفس ، ورسولنا ﷺ مبعوث بالجهاد والحرب من الله حمية له ونصرة لحقه وكلمته العليا ، وقد قال ﷺ فيما روي عنه : " أنا نبي الملحمة ، وإن الله عز وجل بعثني بالسيف بين يدي الساعة ، وجعل رزقي تحت ظل رمحي " .

---

(١) في (ص) " العجمي " .

(٢) غير موجودة في (د) .

(٣) في (ص) " و" .

(٤) تكرر في (ص) " كما قال " .

٦٠٢ـ حدثنا الفضل بن محمد ، قال : حدثنا محمود بن خالد الدمشقي ، قال : حدثنا الفاريابي ، عن ابن ثوبان قال : حدثنا حسان بن عطية ، عن أبي منيب الجرشي ، عن عبد الله بن عمر[1] رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : " إن الله بعثني بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له ، وجعل رزقي تحت ظل رمحي ، وجعل الذلة على من خالف أمري . ومن تشبه بقوم فهو منهم " .

(١) في (د) " عبد الله بن عمرو " .

الأصل التاسع والتسعون

٦٠٣ـ **حدثنا** محمد بن علي الشقيقي ، قال : حدثنا برزي أبو يزيد واسمه محمد بن الفضل ، قال : أخبرنا عبد الله بن المبارك ، قال : أخبرنا يونس بن أبي إسحاق[(١)] ، عن إبراهيم بن محمد بن سعد[(٢)] بن أبي وقاص ، عن أبيه ، عن جده رضي الله عنه قال : ذكر رسول الله ﷺ دعوة ، فشغله أعرابي ، فلما قام تبعته ، فلما خفت أن يسبقني إلى بيته ضربت بقدمي على الأرض ، فالتفت - فقال أبو إسحاق : " مه " - قلت : يا رسول الله ، دعوة ذكرتها فشغلك الأعرابي . قال : " نعم ، دعوة ذي النون في بطن الحوت : لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ، ما دعا بها مسلم في شيء إلا استجيب له " .

قال أبو عبد الله[(٣)] :

فالعبد إذا وحده ونفى عنه الشرك ، ثم نزهه عما رأى عليه من السوء ، واعترف بأنه من الظالمين ، تكرم عليه ربه وتفضل ولم يخيبه فيما أمل ورجا ، فلذلك وعد الله في تنزيله فقال : ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ ﴾ [الأنبياء : ٨٧] إلى قوله : ﴿ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٨] . فوعد بالنجاة للمؤمنين من أمة محمد ﷺ ، فهذا لمن منهم أصابه غم الذنب ، فناداه من الغم كما ناداه العبد الصالح فنجيناه[(٤)] من الغم ، فمن لم يكن له غم الذنوب فنادى بهذا لم يدخل عندنا في [١/١٦٩/ب] الوعد الذي قال الله : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ إلا أن يتفضل الله عليه ، والله أعلم .

❁ ❁ ❁ ❁

---

(١) في (د) " يونس بن إسحاق " .

(٢) في (ص) " سعيد " .

(٣) غير موجودة في (د) .

(٤) " فنجيناه " زيادة من (د) .

الأصل المائة

٦٠٤ـ حدثنا أبي رحمه الله ، قال : حدثنا يحيى الحماني ، قال : حدثنا[١] قيس عن يزيد أبي خالد[٢] عن عبد الرحمن بن عبد الله مولى علي ، عن أبي رافع قال : قال رسول الله ﷺ :
" لأن يهدي الله على يديك رجلا خير لك مما طلعت عليه الشمس " .

قال أبو عبد الله[٣] :

فالهدى على يديه شعبة من الرسالة؛ لأن الرسل إنما بعثت لتؤدي عن الله وتهدي عباده ، فالرسول هاد بما جاء من البيان ، والله هادي القلوب ، فإنما يهدي الله القلوب مما يهدي رسوله بالنطق بيانا وأداء عن الله ، فإذا وردوا القيامة فلهم من ثواب الرسل؛ لأنه إنما هداهم هداية القلب بما جاءت رسل الله به عن الله عز وجل ، فمن يحصي ثواب الرسل ومن يقدر أن يفكر فيه ، والرسل أقرب الخلق إلى الله في دار السلام في الدرجات ، فمن دون الرسل إذا كان داعيا إلى الله ، فهدى الله به عبدا من عبيده ، فقد أخذ شعبة من الرسالة واحتظى من ثواب الرسل[٤] حظا من الكرامة ، فلذلك صار خيرا له مما طلعت عليه الشمس ، يعني فأنفقها في سبيل الله عز وجل ، ولهذا ما روي عن الله تبارك اسمه أنه قال : يا داود ، لأن تأتيني بعبد آبق أحب إلي من عبادة الثقلين " . فأي شيء يعدل عبادة الثقلين في جنب إيمان عبد بالله ، فما الأعمال كلها في جنب التوحيد إلا كذرة في برية أو تفلة في بحر ، فإن التوحيد تزكية الجسد ، قال الله تعالى : ﴿ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۞ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [فصلت : ٦ - ٧] أي لا يوحدون الله بقول : لا إله إلا الله ، فزكاة الجسد هذه الكلمة ، فمن أباها فهو رجس نجس ، كل شيء منه خبيث ، واللسان أخبث؛ لأن خبث القلب منكتم ، واللسان ظاهر ، ولذلك قال أبو الدرداء رضي الله عنه : ما من بضعة

---

(١) " حدثنا " سقطت من (ص) .
(٢) في (ص) " قيس بن يزيد بن أبي خالد " .
(٣) غير موجودة في (د) .
(٤) في (د) " الله " .

أحب إلى الله من اللسان ، وما من بضعة أبغض إلى الله من اللسان ، فأما التي يحبها الله فلسان المؤمن ، وأما التي يبغضها الله فلسان الكافر .

٦٠٥- **حدثنا** بذلك الجارود ، قال : حدثنا الفضل بن موسى ، عن الفرج بن فضالة ، عن أسد بن وداعة ، عن أبي الدرداء رضي الله عنه .

والأعمال محنة يظهر الله بها سرائر [١/ ١٧٠/ أ] القولين[1] لهذه الكلمة أعن صدق قلب نطقوا به أم كذب ، فالصادق ينطق في العبودة رافضا بلسانه ، والكاذب يتقلب في شهواته رافضا للعبودة .

٦٠٦- **حدثنا** عبد الله بن أبي زياد ، قال : حدثنا سيار ، عن شميط بن عجلان قال : قال الله تعالى : يا داود ، إن استنقذت هالكا من هلكته سميتك عندي جهبذا . يقول الله في تنزيله : ﴿ وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًاۚ ﴾ [المائدة : ٣٢] . هذا في حياة الدنيا ، فكيف بمن أحيى قلبه حتى ظفر بحياة الآخرة .

وهذه الآية تحقق ما روي عن قوله لداود : لأن تأتيني بعد آبق أحب إلي من عبادة الثقلين .

٦٠٧- **حدثنا** أبي رحمه الله ، قال : حدثنا صالح بن محمد ، عن أبي مقاتل ، عن عباد بن كثير ، عن زيد بن أبي حبيب ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " من أفضل ما أعطي العبد في الدنيا العافية ، ومن أفضل ما أعطي العبد في الآخرة المغفرة ، ومن أفضل ما أعطي العبد من نفسه موعظة حسنة صدر بها قوم عن خير " .

وإذا هدى الله قلبا على لسان ناطق بالهدى فقد أكرم الناطق بجزيل الكرامة ، فمن إحدى الكرامات أن جعل لكلامه حكم الصدق والعدالة في القلوب .

والثانية : أن جعل لكلامه من النور كسوة تلج آذان السامعين مع تلك الكسوة فتخرق حجب الشهوات حتى تصل إلى مستقر الإيمان من قلوبهم ، فتحيي ما مات منه وتشفي ما سقم منه .

والثالثة : أن جعل لكلامه من السلطان ما يذهل نفوس المخلطين عن شهواتهم .

والرابعة : أن تأخذ نعمته النورانية بنواصي قلوب العبيد الأباق ، فيردهم إلى الله جذبا وتسييرا ، ومنه أن جعله الله من العملة الخزنة للقلوب ببذر يبذره فيزرعه وينميه .

---

(١) كذا بالأصل ولعل الصواب : ط القائلين " .

الأصل الحادي والمائة

٦٠٨ـ **حدثنا** حسين بن حسين المروزي ، قال : حدثنا ابن المبارك ، قال : أخبرنا يحيى بن أيوب ، عن عبد الله بن زحر ، عن علي بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبي أمامة رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ قال : " قال الله تعالى : أحب ما تعبدني به عبدي النصح لي " .

قال أبو عبد الله(١) :

فخلق الله الآدميين ليعبدوه فيصيرهم إذا انقضت مدة العبودة ملوكا في داره ، فمن وفى له [١/ ١٧٠/ ب] بالعبودة صار غدا ملكا في داره ، فالنصح له الإقبال عليه بالعبودة ، فإن من شأن العبد أن يرفض جميع مشيئاته لمشيئة مولاه ، ومن شأن الملك أن ينفذ جميع مشيئاته في جميع أحواله ، فإذا رفض العبد مشيئاته كلها واتبع ما اختاره له أنفذ له مشيئاته غدا فقال : ﴿ وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٢] .

فالنصح لله أن لا يخلط بالعبودة شأن الأحرار وأفعالهم ، فيكون في سره وعلانيته قد آثر أمر الله على هواه ، وآثر حق الله على شهوات نفسه ، فهذا النصح لله ، وإذا خلط فيه ما ليس منه كانت العبودة لله مغشوشة ، والغش ضد النصح .

٦٠٩ـ **حدثنا** الجارود ، قال : حدثنا جرير ، عن عبد العزيز بن رفيع ، عن أبي ثمامة قال : قال الحواريون لعيسى ابن مريم صلوات الله عليه : ما الإخلاص لله؟ قال : أن يعمل الرجل العمل لا يحب أن يحمده عليه أحد من الناس . قالوا : فمن الناصح لله؟ قال : الذي يبدأ بحق الله قبل حق الناس ويؤثر حق الله على حق الناس ، وإذا عرض أمران أحدهما للدنيا والآخر للآخرة يبدأ بأمر الآخرة(٢) قبل أمر الدنيا .

قال أبو عبد الله(٣) :

فهذا عندنا للمقتصدين ، ألا ترى أنه يقول : إذا عرض له أمران أحدهما للدنيا والآخر للآخرة . فالمقربون قد جاوزوا هذه الخطة بجميع أمورهم كلها للآخرة؛

---

(١) غير موجودة في (د) .

(٢) في (ص) " الدنيا " .

(٣) غير موجودة في (د) .

لأنها صارت لله ، وقد ماتت نفوسهم عن أن تأخذ بحظها من الأعمال وحييت قلوبهم بالله ، فاستوى عندهم عمل الدنيا والآخرة ، فصارت كلها عبودة لله ، واستوت عندهم الحقوق ؛ حق الله وحق الناس ، فصارت كلها حقوق الله عندهم ، ألا ترى أن رسول الله ﷺ كان يصلي وهو حامل أمامة بنت زينب ، فإذا سجد وضعها .

٦١٠ـ **حدثنا** قتيبة بن سعيد ، قال : حدثنا مالك بن أنس ، عن عامر بن عبد الله بن الزبير ، عن عمرو بن سليم الزرقي ، عن أبي قتادة السلمي ، أن رسول الله ﷺ كان يصلي وهو حامل أمامة ، فإذا سجد وضعها وإذا قام رفعها .

٦١١ـ **حدثنا** أبي رحمه الله ، قال : حدثنا موسى بن إسماعيل ، قال : حدثنا جرير بن حازم ، عن محمد بن عبد الله بن أبي يعقوب ، عن عبد الله بن شداد بن الهاد ، عن أبيه قال : خرج علينا رسول الله ﷺ في إحدى صلاتي العشاء [١/ ١٧١/ أ] وهو حامل إحدى ابني ابنته الحسن أو الحسين ، فتقدم فوضعه عند قدمه اليمنى ، ثم صلى فسجد بين ظهراني صلاته سجدة أطالها ، قال أبي : فرفعت رأسي من بين الناس ، فإذا رسول الله ﷺ ساجد ، وإذا الغلام على ظهره ، فعدت فسجدت ، فلما قضى صلاته قيل : يا رسول الله ، لقد سجدت سجدة ما كنت تسجدها ، فشيء أمرت به أم كان يوحى إليك؟ قال : " كل لم يكن ، ولكن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته " .

٦١٢ـ **حدثنا** الخصيب بن سلم ، قال : حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن يحيى بن هانئ قال : أخبرني أبو حذيفة ، عن عبد الملك بن محمد بن بشير ، عن عبد الرحمن بن علقمة(١) قال : قدم وفد ثقيف على رسول الله ﷺ ومعهم هدية فقبضها ، ثم جلسوا وشغلوه بالمسألة ، فما صلى الظهر إلا عند العصر .

قال أبو عبد الله(٢) :

فالأنبياء والأولياء المقربون قد تخلصوا من نفوسهم ، فأعمالهم خالصة لله دنيا

---

(١) في (ص) " عبد الملك بن محمد بن سيرين عن علقمة " وفي (د) " عبد الملك بن محمد بن بشر بن علقمة " ، والمثبت من التهذيب ، فقد أخرج هذا الحديث في ترجمة " عبد الملك بن محمد بن بشير " .

(٢) غير موجودة في (د) .

كانت أو آخرة ، حق الله كان أو حق الناس؛ لأن الأمور قد صارت لهم معاينة بنور يقينهم ، أن الدنيا والآخرة لله وأن حق الناس هو حق الله ، فهو يستعملهم في أمور دنياهم وآخرتهم ، وهم في قبضته ، وحقوق الناس هوما قد أوجبه الله وجعله حقا ، وإنما فارقهم المقتصدون في ذلك فاحتاجوا إلى تمييز ذلك وتقديمه؛ لأنهم لم يفارقوا أنفسهم ، فأي عمل عملوه من دنيا وآخرة فحظوظ نفوسهم فيها قائمة؛ لأن شهواتهم عاملة في أمر دنياهم ، وأمور الآخرة منزوع منها الشهوة ، فمن نصيحتهم لله أن يؤثروا الأمر الذي لا شهوة لنفوسهم فيه ويؤخروا ما للنفس فيه أوفر الحظ ، وأن يبدءوا بحق الله قبل حقوق أوجبها ولنفوسهم فيها حظ من الشهوة ، مثل النفقة التي ذكرت أم سلمة .

٦١٣- حدثنا يحيى بن موسى الحداني ، قال : حدثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن زينب بنت أبي سلمة ، عن أم سلمة ، أنها قالت : يا رسول الله ، إن ابني[(١)] أبي سلمة في حجري ، وليس لهم شيء إلا ما أنفقت عليهم ، ولست بتاركتهم هكذا ولا هكذا ، أفلي أجر إن أنفقت عليهم؟ فقال النبي ﷺ : " أنفقي عليهم؛ فإن لك أجر ما أنفقت عليهم " .

فالمقتصد إذا صلى أو تلا قرآنا أو عمل شيئا من مثل هذه الأعمال عدها آخرة ، وإذا أكل أو شرب [١/ ١٧١/ ب] أو نام عدها دنيا؛ لأنه لا يقدر أن يخلصها حتى يصفو من الشهوة النفسية ، والمقرب قد صارت شهوته منية ، والفرق بين الشهوة والمنية أن النفس لما كانت حييت بشهوتها فعرض[(٢)] لها ما تلتذ به اهتشت النفس بالعجلة إليه حرصا وشرها ، فتلك شهوة ، والمنية لما ماتت شهوة النفس وحيي القلب بالله ، فإذا عرض لها ما تلتذ به لحظت إلى الله وراقبت تدبيره ، فإن أعطيت أخذت وإن منعت منعت ، فتلك منية والأولى شهوة .

والمقتصد افترق أمره دنيا وآخرة ، فما كان من أمر الآخرة أمكنه تصفيته على حسب طاقته ، وما كان من أمر دنياه فالشهوة غالبة عليه قاهرة له ، فمن النصح له أن يبدأ بأمر الآخرة ، والمدبر منيته فيما دبر الله له يراقب ما يبدو له من غيب الملكوت ،

---

(١) في الأصل " ابنى " والمثبت من مصادر التخريج .

(٢) في (د) " فعرضت " .

فيتلقاه بالرضى والذلة والانقياد والقبول له عبودة ومسكنة ، فصارت كلها آخرة ، والحقوق كلها حقوقه ، فالمقرب الغالب على أموره ذكر الله ، والمقتصد الغالب على أموره ذكر النفس .

وذكر علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن الشيخين من قبله رضوان الله عليهما فقال : إن أبا بكر أواه القلب منيب وإن عمر ناصح لله فنصحه . فالأواه لا يميز بين الأمرين؛ لأنها كلها لله ، وليس فيها ذكر النفس ، والناصح عبد تفرد لله بقيام حقوقه فلم يدع للنفس روعا ، فكلما اجتمع أمران للنفس ، في أحدهما نصيب آثر الذي لا نصيب لها فيه ، وبدأ بالذي لا نصيب لها فيه ، فكان في الظاهر فعل عمر فعل المقتصدين ، وفي الباطن من المقربين ، وإنما صار هكذا لأن المقربين صنفان؛ صنف منهم قد انفردوا في فردانيته ، فخلت قلوبهم من ذكر نفوسهم ، فهي صفة أبي بكر رضي الله عنه ، وصنف منهم لم يصلوا إلى هذه الخطة قد انكشف على قلوبهم من جلال الله وعظمته ما ملأت قلوبهم من هيبته ، فهم القائمون على نفوسهم فلا يدعونها تلحظ إلا إلى حق ، فالحق يستعملهم ، والهيبته تملك قلوبهم ، والمتفرد به في فردانيته فالله يستعمله ، ووحدانيته تملك قلوبهم ، فإذا اجتمعا في فعل تباينا .

٦١٤ـ حدثنا الجارود ، قال : حدثنا الوليد بن مسلم الدمشقي ، قال : حدثنا الأوزاعي ، قال : حدثني الزهري ، عن ابن كعب بن مالك ، أن أبا بكر أتي بسيوف ثلاثة ، أحدها محلى [١/ ١٧٢/أ] من اليمن ، فقال ابنه عبد الله بن أبي بكر : مر لي بهذا السيف المحلى . فقال أبو بكر : هو لك . فقال عمر : بل إياي فأعطني . فقال أبو بكر : فأنت أحق به .

فأخذه عمر فانقلب بالسيف إلى منزله فراح وقد جعل حلية السيف في ظبية والنصل معه ، فقال عمر : يا أبا بكر ، استعن بهذه الحلية على بعض ما يعوزك ، ورمى بالنصل إلى عبد الله بن أبي بكر ، قال : والله ما صنعت هذا نفاسة عليك يا أبا بكر ولكن للنظر لك . فبكى أبو بكر فقال : يرحمك الله ، يرحمك الله . فهذه معاملة أبي بكر الصديق رضي الله عنه مع ولده ومع سائر الناس ، فلا تتوهم على أبي بكر أنه حملته فتنة الولد حتى أمر له بالسيف المحلى ، ولكن دق عنده شأن تلك الحلية

ولم يظهر[١] على قلبه قدره ذلك ، فاستوى عنده سؤال ولده وسؤال الأجنبي ، فأنعم به ، ثم لما سأله الأولى آثره ، وعمر نظر إلى الحق وإلى تدبير الحق ، فإن من تدبير الحق أن ينزع الحلية فيستعين به في النوائب ، وفي النصل بلا حلية كفاية .

٦١٥ـ حدثنا محمد بن عثمان بن عمرو الطائفي ، قال : حدثنا روح بن عبادة ، قال : حدثنا مالك بن أنس ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه قال : كانت لعمر صحاف تسع ، فكان إذا كان[٢] طريفة أو فاكهة بعث فيها إلى أزواج رسول الله ﷺ ، فإن كان نقصان جعله في حظ حفصة .

٦١٦ـ حدثنا محمد بن عثمان ، قال : حدثنا روح ، قال : حدثنا مالك ، عن زيد بن أسلم قال : قدم عبد الله وعبيد الله ابنا عمر على أبي[٣] موسى الأشعري من مغزى لهما ، فقال أبو موسى : وددت أني قدرت على أنفعكما . قالا[٤] : ثم قال : ههنا من مال الله فخذاه فاشتريا به تجارة من تجارة المدينة واضمناه ، فإذا قدمتما فأديا المال إلى أمير المؤمنين . وكتب إلى عمر رضي الله عنه أن اقبض منهما كذا وكذا .

فلما قدما على عمر قال لهما : أديا المال وربحه . فأما عبد الله فسكت وأما عبيد الله فقال : يا أمير المؤمنين ، أرأيت لو تلف هذا المال أما كنت تأخذه منا؟ قال : بلى . قال : فلم تأخذ الربح؟ فقال رجل في مجلسه : يا أمير المؤمنين ، لو جعلته قراضا . قال : فقاسمهما الربح وأخذ المال . فهذه معاملة عمر رضي الله عنه مع ولده وسائر الخلق ، يقتضي من نفسه ومن الخلق إقامة الحق ونصرته في الأمور كلها . وذكر عمر رضي الله عنه في الأخبار الواردة [١/ ١٧٢/ ب] بمثل هذا .

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : " إن الله ضرب الحق على لسان عمر وقلبه " ، وقال : " الحق بعدي مع عمر حيث كان " .

---

(١) في (ص) " يظهره " .
(٢) في (د) " كانت " .
(٣) سقط من (ص) " أبي " .
(٤) في (ص) " قال " .

ووصف ابن عباس شأنه فقال : كان عمر كالطير الحذر الذي يرى أن له في كل طريق شركاً[١] .

فهذا شأن النصحاء لله . والأواه المقرب قد ذهل من تفقد هذا ، فهو يستعمله وهو يكلؤه ، فتختلف أحواله ومشيئته على المحق أمره ، فالمحق في الظاهر عند أهله أعلى فعلا ، والأواه في الباطن أعلى ، فانظر في أمر السيف الذي أخذه عمر من أبي بكر رضي الله عنهما ونزع الحلية ، هل يقدر أحد من المحقين فمن دونهم أن ينظر إلى ذلك الفعل بغير السقم ويقول : إن فضل أبي بكر[٢] أعلى في ذلك من فعله ، فإنما تابعه أبو بكر لأنه أشار إلى الحق ، وبكى فرحا بما وجد من التأييد والعون فيما قلده الله عند أخيه وصاحبه ، ودعا له بالرحمة لما وجده ناصحا لله وناصحا لإمامه ومشفقا عليه ، ولكن فعل أبي بكر رضي الله عنه فعل الرسل ، فالرسول ومن في درجته قريب منه في سعة عظيمة من ملكه ، والمحقون في أمر عظيم من القيام بحقه جزما واحتياطا وصحة وتقويما .

وروي لنا عن ابن جريج عن أبي الزبير ، عن جابر رضي الله عنه قال : دخل أبو بكر على رسول الله ﷺ وعائشة رضي الله عنها وامرأة تضرب بالدف فقعد ولم يزجرها لما رأى من رسول الله ﷺ ، فجاء عمر فلما سمع رسول الله ﷺ صوته كفها عن ذلك ، فلما خرجا قالت عائشة : يا رسول الله ، كان حلالا فلما دخل عمر صار حراما؟ فقال رسول الله ﷺ : " يا عائشة ، ليس كل الناس مرخى عليه " .

فهذا كله يكشف لك عن جميع ما قلنا ، وقال : إن المقربين صنفان؛ فصنف منهم قلوبهم في جلاله وعظمته هائمة ، فقد ملكتهم هيبته ، فالحق يستعملهم في كل أمر فهم مشرفون على الأمور مشمرون لها ، وصنف آخر قد أرخي من عنانه ، فالأمر عليه أسهل؛ لأنه قد جاوز قلبه هذه الخطة ، فقلبه في محل الشفقة في تلك الوحدانية ، وكلما كان القلب محله أعلى ومن القربة أوفر حظا ، كان الأمر عليه

---

(١) هكذا استظهرت قراءتها .

(٢) في (ص) " أبا بكر " .

أوسع؛ لأن نفسه موقنة بأن الله تبارك اسمه يلطف بعبده المؤمن ، فإذا علم من عبده أن نفسه صعبة وأنه محتاج [١/ ١٧٣/ أ] إلى لجام ألجمها بلجام الهيبة ، وأبدى على قلبه من سلطانه وعظمته ، وإذا كانت نفسه لينة رخوة كريمة أرخى عنانه ، فأبدى على قلبه من الوحدانية والفردية ما انفرد له قلبه ونفسه وماتت شهوته وذهل عن ذكر نفسه ، فإذا أرخى عليه لم يفسد .

الأصل الثاني والمائة

٦١٧ـ حدثنا علي بن عيسى بن يزيد البغدادي ، قال : حدثنا حجاج بن محمد الأعور ، قال : حدثنا يونس بن إسحاق ، عن أبيه ، عن أبي جحيفة ، عن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " من أصاب في الدنيا ذنبا فعوقب به فالله أعدل من أن يثني عليه عقوبته ، ومن أذنب في الدنيا ذنبا فستر الله عليه وعفا عنه فالله أكرم من أن يعود في شيء قد عفا عنه " .

قال أبو عبد الله[١] :

فأما المعاقب فقد ذكره الله في تنزيله فقال : ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ [الشورى : ٣٠] . فقوله : ﴿ فَبِمَا ﴾ هو اقتصاص كقوله : هذا بذاك . ثم قال : ﴿ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ . أي أن الذي لم تصبك منه مصيبة فهو عفو ، فلم يقل : ويعفو عما بقي أو يعفو عن الذي لم يصبك به في الدنيا ، إنما قال : ﴿ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ . وقد يجوز أن يبقى بعد عفوه الكثير أيضا هناك شيء ، إلا أن الكثير من الله لا يحصى عددا ، فرسم الرسول ﷺ ههنا في حديثه رسما ينبئ عن الذي يعفى عنه من الذي لا يعفى عنه ، فقال : " ومن أذنب ذنبا فستر الله عليه وعفا عنه فالله أكرم من أن يعود فيه " . فذكر الستر فأعلم أن الذي قال : ﴿ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ هم الذين قد سترهم الله وستر عليهم ، فالثناء على الألسنة قائمة[٢] بالخير وباطنهم مدخول ، فإذا دام هذا الستر عليهم فالله أكرم من أن يهتك عبدا قد ستره أيام الدنيا ولم يعاجله ، وأما الذي هتك ستره ولم يؤاخذه بعقوبة فذاك غير مأمون عقوبته .

٦١٨ـ حدثنا الفضل بن محمد ، قال : حدثنا سالم بن يحيى الطائي ، قال : حدثنا سويد بن عبد العزيز ، قال : حدثنا نوح بن ذكوان ، عن أخيه أيوب ، عن الحسن رحمة الله عليه قال : قال رسول الله ﷺ : " قال الله تعالى : لأنا أكرم وأعظم عفوا من أن أستر على

---

(١) غير موجودة في (د) .

(٢) كذا بالأصلين .

عبد لي مسلم في الدنيا ثم أفضحه بعد أن سترته ، فلا أزال أغفر لعبدي ما استغفرني " .
قال : وقال رسول الله ﷺ : " يقول الله تبارك وتعالى : إني [١/ ١٧٣/ ب] لأجدني أستحيي من عبدي يرفع يديه إلي ثم أردهما . قالت الملائكة : إلهنا ، ليس لذلك بأهل . قال الله تعالى : لكني أهل التقوى وأهل المغفرة ، أشهدكم أني قد غفرت له " . قال : " ويقول الله جل ثناؤه : إني لأستحيي من عبدي وأَمَتِي يشيبان في الإسلام ثم أعذبهما بعد ذلك في النار " .

۞ ۞ ۞ ۞

الأصل الثالث والمائة

٦١٩ـ **حدثنا** نصر بن علي الحداني ، قال : حدثنا أبي وبشر بن الفضل ، قالا : حدثنا يزيد أبو حبيب[١] ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : " يدخل قوم النار حتى إذا صاروا فحما أخرجوا فأدخلوا الجنة ، فيقول أهل الجنة : من هؤلاء؟ فيقال : الجهنميون " .

٦٢٠ـ **حدثنا** أبي رحمه الله ، قال : حدثنا مكي بن إبراهيم وأبو نعيم ، قالا : حدثنا يزيد بن أبي صالح أبو حبيب الدباغ ، قال : سمعت أنس بن مالك رضي الله عنه يقول عن رسول الله ﷺ بمثله .

قال أبو عبد الله[٢] :

فهؤلاء قوم موحدون وحدوا الله بألسنتهم وقلوبهم وضيعوا العبودة ؛ فإن من حق الله على العباد أن يعبدوه ، فإنه قال عز وجل : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات : ٥٦] . فالعبودية الظاهرة تحقيق لما في الباطن ، [أو . . .[٣] علي خلقه فكان هؤلاء صنف من الناس في الظاهر مكذبين ، وفي الباطن مصدقين فقدموا عليه مع كذب الظاهر وصدق الباطن][٤] وإنما وكل الحق[٥] بفعل الظاهر فهو يقتضي الخلق القيام بذلك ، وهي العبودة ، فإذا كان يوم الجزاء جاء الحق يقتضي حقه ، فلم يجد عندهم شيئا فحبسهم في النار ، ثم تُدركهم[٦] رحمته فيترك ما وجب له من العبودة ويهبها[٧] منهم ويعتقهم فيكتب على جباههم : الجهنميون عتقاء الله . وفي بعض الرواية : محرري الرحمن ، يرحمهم بصدق الباطن أنهم كانوا لا يلتفتون إلى

---

(١) في (ص) " يزيد ابن أبي حبيب " .

(٢) غير موجودة في (د) .

(٣) كلمة لم أستطع قراءتها في (د) .

(٤) ما بين المعقوفين سقط من (ص) .

(٥) في (د) " الخلق " .

(٦) في (ص) " تداركهم " .

(٧) كذا بالأصلين .

إله غيره فيشركون به .

٦٢١ـ حدثنا صالح بن محمد ، قال : حدثنا معلى بن هلال ، عن ليث ، عن مجاهد ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " إنما الشفاعة يوم القيامة لمن عمل الكبائر من أمتي ثم ماتوا عليها فهم في الباب الأول من جهنم ، لا تسود وجوههم ، ولا تزرق أعينهم ، ولا يُغلون بالأغلال ، ولا يُقرنون مع الشياطين ، ولا يضربون بالمقامع ، ولا يطرحون في الأدراك ، منهم من يمكث فيها ساعة ثم يخرج ، ومنهم من يمكث فيها يوما ثم يخرج ، ومنهم من يمكث فيها شهرا ثم يخرج ، ومنهم من يمكث فيها سنة ثم يخرج ، وأطولهم سكنا فيها يمكث فيها مثل [١/ ١٧٤/أ] الدنيا يوم خلقت إلى يوم أفنيت ، وذلك سبعة آلاف سنة . ثم إن الله إذا أراد أن يخرج الموحدين منها قذف في قلوب أهل الأديان فقالوا لهم : كنا نحن وأنتم جميعا في الدنيا فآمنتم وكفرنا ، وصدقتم وكذبنا ، وأقررتم وجحدنا ، فما أغنى ذلك عنكم نحن وأنتم اليوم فيها جميعا سواء ، تعذبون كما نعذب وتخلدون كما نخلد ، فيغضب الله عند ذلك غضبا لم يغضبه في شيء مضى ، ولا يغضب في شيء بقي ، فيخرج أهل التوحيد منها إلى عين بين الجنة والصراط يقال لها : نهر الحياة ، فيرش عليهم من الماء فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل ، فما يلي الظل منها فهو أخضر ، وما يلي الشمس منها أصفر ، ثم يدخلون الجنة ، فيكتب في جباههم : عتقاء الله من النار ، إلا رجلا واحدا فإنه يمكث فيها بعدهم ألف سنة ، ثم ينادي : يا حنان ، يا منان . فيبعث الله إليه ملكا ليخرجه فيخوض في النار في ظلمة سبعين عاما ، لا يقدر عليه ، ثم يرجع فيقول : يا رب ، إنك أمرتني أن أخرج عبدك فلانا من النار ، وإني طلبته في سبعين سنة ، فلم أقدر عليه . فيقول الله له : انطلق فهو في وادي كذا وكذا تحت صخرة فأخرجه . فيذهب فيخرجه منها فيدخله الجنة . ثم إن الجهنميين يطلبون إلى الله أن يمحي ذلك عنهم ، فيبعث الله إليهم ملكا فيمحوه عن جباههم ، ثم إنه يقال لأهل الجنة ومن دخلها من الجهنميين : اطّلعوا إلى النار . فيطلعون إليهم فيرى الرجل أباه ويرى أخاه ، ويرى جاره ويرى صديقه ، ويرى العبد مولاه ، ثم إن الله يبعث إليهم ملائكة بأطباق من نار ومسامير من نار وعمد من نار ، فيغلق عليهم بتلك الأطباق ويسد بتلك المسامير ، ويمد بتلك العمد ، ولا

يبقى فيها خلل يدخل فيه رَوْح ولا يخرج منه غم ، وينساهم الجبار على عرشه ، ويتشاغل أهل الجنة بنعيمهم ، ولا يستغيثون بعدها أبدا ، وينقطع الكلام ، فيكون كلامهم زفير وشهيق ، فذلك قوله : ﴿ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ * فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴾ [الهمزة : ٨-٩] . يقول : مطبقة في عمد ممددة ، فانظر أي صنف هؤلاء ، وهؤلاء قوم لم يتخلصوا من شؤم نفوسهم في دار الدنيا طرفة عين وفي دار الله في الجنان ، لم يتخلصوا من النفوس حتى دعتهم أن يطلبوا من الله أن يمحو ذلك الاسم ، وما ضرهم أن يكون مكتوب على جباههم : الجهنميون ، وقد كتب عليها : عتقاء الله من النار ، أفلم يكن في كتابة [١/ ١٧٤/ ب] اسمه على جباههم ما يشغلهم عن النظر إلى ما سواه ، وكيف تجد قوم على جباههم مكتوبا اسم مولاهم أعلى الأسماء وأجلها ، فنسخوا نفوسهم على محوه ، ثم يطلبون إلى ربهم ذلك طلبا ، أما لو كان المحبون له ابتلوا بهذا لم يسألوه أبدا أن يمحو اسمه من جباههم ، وهو قرة عيونهم ، أما أنا فقد وجدت عليهم وجدا شديدا بما يسألون ، ولكن هؤلاء قوم نفوسهم عليهم مستولية ، أنفوا من الاسم أن ينسبوا إلى جهنم ، وهي دار الأعداء ، واستحيوا من إخوانهم ، وليس في الجنة أذى ، إنما هي محشوة بكرم رب العزة السيد المنان ، فلما منّ عليهم بالرحمة جاد عليهم بالذي سألوا ، فمحا عنهم ، وإنما كتب على جباههم ذلك لتظهر منة الله عليهم بين ظهراني أهل الجنة ، فقد تأخر دخولهم الجنة ، فلما وردوا أحب الله أن يظهر عند أهل الجنة منته عليهم وأنهم عتقاؤه الذين جاد عليهم ، فأبت نفوسهم إلا حزنا ، فهم أدنى أهل الجنان ، وما فيهم دنيء ، والكتابة على الجباه سيماهم في الجنان كما كتب على جباه أحبابه أهل الصفوة والأولياء : هؤلاء المتحابون في الله[١] .

٦٢٢- حدثنا بذلك قتيبة بن سعيد ، وعلي بن حجر ، وصالح بن عبد الله ، قالوا : حدثنا خلف بن خليفة الأشجعي ، عن حميد الأعرج ، عن عبد الله بن الحارث ، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " إن المتحابين في الله لعلى عمود من ياقوتة حمراء ، في رأس العمود سبعون ألف غرفة ، يضيء حسنهم أهل الجنة كما

---

(١) ذكره العراقي في تخريج الإحياء وقال : إسناده ضعيف .

تضيء الشمس أهل الدنيا ، يقول بعضهم لبعض : انطلقوا بنا حتى ننظر إلى المتحابين في الله . فإذا أشرفوا عليهم أضاء حسنهم كما تضيء الشمس أهل الدنيا ، عليهم ثياب خضر سندس مكتوب على جباههم : هؤلاء المتحابون في الله .

٦٢٣ـ حدثنا داود بن حماد القيسي ، قال : حدثنا عبدة بن سليمان عن إسماعيل بن رافع[١] ، عن محمد بن زياد الأنصاري ، عن محمد بن كعب ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : يكتب على جباههم : عتقاء الرحمن الجهنميون ، فيسألون الله أن يمحو عنهم ذلك الاسم ، فيمحوه عنهم ، فأحب الله أن يكون عذره في تأخرهم عن دخول الجنة ظاهرا عند أهل الجنان وأنهم لم يدخلوها إلا برحمته ولم ينالوا جواره [١/ ١٧٥/أ] إلا بكرمه ، وأحب . . .[٢] أن يكون العقوبة التي حلت بهم مستورة عند أهل الجنة ، فلا يدري أحد أنهم ابتلوا بهوان الله وعقوبته أنفة وذهابا بنفسه ، وهي التي حطته في دار الدنيا عن درجة العبودة ، وفي الآخرة عن درجة الكرام البررة ، فيترك الله محبته لمحابهم ، ومحا عنهم ذلك الاسم تكرما وتفضلا وإتماما للمنن عليهم ، ولم يكن عند القوم من الإنسانية والكرم وجوهرية النفس أن يؤثروا ما فيه محابه على محابهم ، ولا له في قلوبهم من غليل المحبة ما تلاشى عندهم محابهم لمحابه ، وما ينسوا أحوال نفوسهم في جنبه من أجل ذلك بقوا في النار ما بقوا؛ لأنهم بهذه النفوس كانوا يعاملون الله ، وبمثل هذه الأخلاق كانوا يعبدونه .

---

(١) في (ص) « داود بن حماد القيسي عن . . . قال حدثنا عبدة بن سليمان بن إسماعيل بن رافع » .

(٢) كلمة لم أستطع قراءتها بالأصلين .

الأصل الرابع والمائة

٦٢٤ـ حدثنا إبراهيم بن عبد الحميد التمار ، قال : حدثنا محمد بن سعيد بن سابق ، قال : حدثنا يعقوب القمي ، عن جعفر بن أبي المغيرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قيل : يا رسول الله ، من أولياء الله؟ قال : " الذين إذا رءوا ذكر الله " .

٦٢٥ـ حدثنا صالح بن محمد ، قال : حدثنا داود بن عبد الرحمن المكي ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن شهر بن حوشب ، عن أسماء بنت يزيد ، حدثته أن رسول الله ﷺ قال : " ألا أخبركم أيها الناس بخياركم؟ " . قالوا : بلى . قال : " خياركم الذين إذا رءوا ذكر الله " .

٦٢٦ـ حدثنا عمر بن أبي عمر ، قال : حدثنا أبو الخير عبد المنعم بن بشير الأنصاري ، عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن جده قال : سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما يقول : قال رسول الله ﷺ : " خياركم من ذكّركم بالله رؤيته ، وزاد في علمكم منطقه ، ورغبكم في الآخرة عمله " .

٦٢٧ـ حدثنا عبد الأعلى بن واصل الأسدي ، قال : حدثنا إسماعيل بن صبيح ، عن مبارك بن حسان ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قيل : يا رسول الله ، أي جلسائنا خير؟ قال : من ذكركم بالله رؤيته ، وزاد في أعمالكم منطقه ، وذكركم بالآخرة عمله .

قال أبو عبد الله(١) :

فالذي يذكرك بالله رؤيته هم الذين عليهم من الله سمات ظاهرة قد علاهم بها القربة ونور الجلال وهيبة الكبرياء وأنس الوقار ، فإذا نظر [١/ ١٧٥/ب] الناظر إليه ذكر الله لما يرى من آثار الملكوت عليه ، فهذه صفة الأولياء ، فالقلب معدن هذه الأشياء ، ومستقر النور ، ويشرب الوجه من ماء القلب ، فإذا كان على القلب نور سلطان الوعد والوعيد تأدى إلى الوجه ذلك النور ، فإذا وقع بصرك عليه ذكرك البر

---

(١) غير موجودة في (د) .

والتقوى ، ووقع عليك منه مهابة الصلاح والعلم بأمور الله تعالى ، وإذا كان نور سلطان الحق أدى ذلك إلى الوجه ، فإذا وقع بصرك عليه ذكرك الصدق والحق ، ووقع عليك منه مهابة الحق والاستقامة ، وإذا كان على القلب نور جلال سلطان الله وعظمته وجلاله تأدى ذلك إلى الوجه منه ، فإذا وقع بصرك عليه ذكرك عظمة الله وجلاله وسلطانه ، وإذا كان القلب نوره وهو نور الأنوار بهتك رؤيته ، فمن شأن القلب أن يسقي عروق الوجه ويشربه من ماء الحياة الذي قد رطب به ، ويتأدى إلى الوجه منه ماء فيه لا غير ذلك ، فكل نور من هذه الأنوار التي ذكرنا كان في قلب فشرب وجهه من ذلك النور الذي فيه لا غير ، ألا ترى إلى قوله : ﴿ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴾ [الإنسان : ١١] . قال : سرورا في القلب ونضرة في الوجه ، فإذا سر القلب برضاء الله رضي الرب عن العبد ، وبما يشرق به صدره وقلبه من نوره حيث ينكشف الغطاء نضرت الوجوه ، فإنما تنضرت الوجوه بما أولجت القلوب ، فبذلك دل رسول الله ﷺ على الذكر عند رؤيتهم وصيره علامة لأهل ولايته ، وروي عن موسى[(١)] صلوات الله عليه أنه قال : يا رب ، من أولياؤك؟ قال : الذين إذا ذكرت ذكروا وإذا ذكروا ذكرت .

وهذا ما يشاكل ما جاءنا عن رسول الله ﷺ في الرؤية ، فإنما يذكرون عند ذكره؛ لأنهم رجاله وخاصته ، لم يعرفوا في الأرض إلا به ، وفي الأرض ثلاث طبقات ، فكل طبقة إنما تعرف بما عندها ، وهم رجال ما عندهم ، فرجال هم علماء بأمور الله من الحلال والحرام ، فعليهم سمات العلم ، وبالعلم يعرفون ، ورجال هم علماء بتدبير الله ، فعليهم سمات الحكمة ، فبالحكمة يعرفون ، ورجال هم علماء بالله ، فعليهم سمات نور هيبته ، فبالله يعرفون ، فهم أولياء الله ، وهو قول رسول الله ﷺ لأبي جحيفة : " سائل العلماء ، وخالط الحكماء ، وجالس [١/١٧٦/أ] الكبراء .

٦٢٨ـ حدثنا بذلك صالح بن عبد الله ، قال : حدثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة ، عن أبيه ، عن علي بن الأقمر ، عن أبي جحيفة ، ولم يرفعه .

---

(١) سقط من (د) " وروي عن موسي " .

٦٢٩. وحدثنا محمد بن إسماعيل بن سمرة الأحمسي ، قال : حدثنا إسحاق بن الربيع العصفري ، قال : حدثنا أبو مالك النخعي[1] ، عن سلمة بن كهيل ، عن أبي جحيفة قال : قال لي رسول الله ﷺ . فذكر نحوه .

وهو قول رسول الله عيسى صلوات الله عليه ، قال : العلماء ثلاثة : عالم بأمر الله ليس بعالم بالله ، وعالم بالله ليس بعالم بأمر الله ، وعالم بأمر الله عالم بالله . فهذا الثالث من الكبراء الذين قال لأبي جحيفة : جالسهم . فإن رؤيتهم دواء ، ومجالستهم شفاء ، وسائر الناس عباد وعمال ، وأهل بر وتقوى ، بذلك يعرفون ، وإلى أعمالهم ينسبون ، هذا رجل صالح ، هذا رجل زاهد ، هذا رجل متق . فإذا جاء الولي ذهب هذا الذكر من القلوب وغلب على قلوب الناظرين ذكر الله .

٦٣٠. حدثنا عمر بن أبي عمر ، قال : حدثنا الهيثم بن خارجة البغدادي ، عن راشد بن سعد ، عن عبد الله بن الوليد التجيبي ، عن أبي منصور مولى الأنصار ، عن عمرو بن الجموح ، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : " قال الله تبارك وتعالى : إن أوليائي من عبادي وأحبائي من خلقي الذين يذكرون بذكري ، وأذكر بذكرهم " .

٦٣١. حدثنا عمر بن أبي عمر ، قال : حدثنا قطبة بن العلاء الغنوي ، قال : حدثنا مالك بن مغول ، عن الزبير بن عدي ، قال : سمعت أنس بن مالك رضي الله عنه يقول : قالوا : يا رسول الله ، أينا أفضل كي نتخذه جليسا معلما؟ قال : " الذي إذا رئي ذكر الله لرؤيته " .

٦٣٢. حدثنا أبي رحمه الله ، قال : حدثنا محمد بن الحسن ، قال : أخبرنا عبد الله ، قال : أخبرنا معمر ، قال : قال موسى صلوات الله عليه : أي رب ، أخبرني عن أهلك الذين هم أهلك . قال : هم المتحابون في ، الذين إذا ذكرت ذكروا بي ، وإذا ذكروا ذكرت بهم ، هم الذين يعمرون مساجدي ، ويستغفرون بالأسحار ، ويبيتون إلى طاعتي كما يبيت النسر إلى وكرها ، وإذا استحلت محارمي غضبوا كما يغضب النمر إذا حُرِب .

وأما قوله : يزيد في علمكم منطقه . فإنه إذا كان ممن يذكر الله رؤيته ، فإنه يزيد في العلوم منطقه ؛ لأن العلوم بمكانة فإنما يزيد [١/ ١٧٦/ ب] منه منطقه ؛ لأنه عن الله ينطق ، والناطق صنفان ؛ فصنف ينطق بالعلوم عن الصحف تحفظا ، وعن أفواه

---

(١) في (د) " ابن مالك النخعي " .

الرجال تلقنا ، والصنف الآخر ينطق بذلك العلم عن الله تلقيا ، فالذي ينطق عن الصحف تحفظا ، وعن أفواه الرجال تلقنا وهو عالم عامل به إنما يلج آذان المستمعين عاريا ، والذي ينطق كذلك وهو غير عامل به فإنما يلج آذانهم عريانا بلا كسوة ، والأول الذي كان عاريا وهو الذي إذا كان خلق الكسوة لأنه لم يخرج من قلب نوراني إنما خرج من قلب دنس وصدر مظلم مغشوش إيمانه بحب العز والرياسة والشح على حطام الدنيا ، فإيمانه يقتضيه أن العز لله والدنيا له ، ونفسه قد استولت على قلبه ، ينازع الله في ردائه وإزاره ، ويناطح قسمته في دنياه ، ويضاد قضاءه ، والذي ينطق عن الله إنما يلج آذان المستمعين مع الكسوة التي تخرق كل حجاب ، وهو نور الله؛ لأنه خرج من قلب مشحون بالنور وصدر مشرق بالنور ، فإذا خرج المنطق مع ذلك النور فولج آذان المستمعين خرق هذا النور كل حجاب قد تراكم على قلوب المخلطين من رين الذنوب وظلمة الشهوات ومحبة الدنيا ، فخلصته إلى نور التوحيد ، فأنارته بمنزلة جمرة وصلت النفخة إليها فالتهبت نارا فأضاءت البيت ، ومن قبل النفخة كانت جمرة قد أحاط بها الرماد فذهب بتوقدها وحرها وضيائها ، فلما وصلت النفخة إليها طيرت الرماد عنها ، فلهبت واستجرت وأضاءت البيت ، فكذلك الكلمة التي تخرج من الناطق عن الله تخرج من نور ، وكسوته النور ، فإذا وصل إلى الصدر خرقت حجب الظلمات التي وصلت ، فأثارت نور التوحيد وأضاء البيت ، فاستغفر وبكى وندم وأبصر ، فهذا سبيل الناطق عن الله ، وهو قوله تعالى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ [يوسف : ١٠٨] أي على معاينة . ثم قال : ﴿ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ ذلك ليعلم أنه ليس هذا إلا لتابعي محمد ﷺ على هديه وسبيله وشمائله وأخلاقه ، فإنما يدعون إلى الله على بصيرة لأنهم بقلوبهم عند الله ، وعلى بصيرة الطريق ، ومحل القلوب في تلك المراتب يدعون إلى الله ، وكيف يجوز الدعاء إلى الله لمن ليس عند الله ، ولا هولله ، إنما قلبه عند نفسه ، ونفسه مشغولة بنهمته وشهواته [١/ ١٧٧/ أ] وأحواله ، وإنما هذا لمن تفرغ عن نفسه واشتغل بالله .

وأما قوله : يزيد في علمكم منطقه . فإنه إذا نطق نطق بآلاء الله وتدبير الله وصنع الله ، فهذا أصل العلم ، والعلم الذي في أيدي العامة هو فرع العلم ، فأما

الأصل فهو عند هؤلاء الحكماء النجباء الذين فهموا عن الله ، أولئك الذين ولي الله هدايتهم وأولئك هم أولو الألباب .

قال له قائل : ما آلاء الله وتدبير الله وصنع الله؟ قال : فأما آلاء الله فهو ما أبدى من الهيبة ، ووحدانيته وفردانيته كالجلال والجمال ، والعظمة والهيبة ، والكبرياء والبهاء ، والسلطان والعز ، والفخر والوقار ، فهذه صفات أبداها على قلوب الأنبياء والأولياء ، فتمالكوا مع ذلك واحتملته عقولهم ، وما وراء ذلك مما لم يبده ، لم يتمالكوا ولا احتملته عقولهم ، وأما تدبيره فما دبر من خلقهم من تراب الأرض ، لا من نور ولا من نار ، ولا من ماء ولا من ظلمة ، ولا من ريح ولا من حر ، ولا من برد ، ولكن من تراب ، ثم جعل فيهم أرواحا سماوية ، ثم أعطاهم جوارح قوالب لتلك الأرواح ، ثم اضطرهم إلى التربية والمعاش ، ثم نقلهم إلى داره ، ثم قيض لهم عدوا أزعجهم منها على حال الخطيئة ، ثم ردهم إلى الأرض ، ثم دبر لهم الرجوع إليه ، ثم حال بينهم وبين الرجوع إليه إلا من باب الموت؛ أمرّ شيء وأنكره وأثقله وأبشعه وأهوله ، ثم هيأ لهم يوما يحاسبهم ويفتشهم ويقتضيهم حقه ، ثم جعل ممرهم إلى الجنة على متن النار ، ثم أكرم وأهان ، وأدنى وأقصى ، وحرم وأعطى ، وأبرز عدله حتى قررهم في أماكنهم ، ولم يظلم أحدا مثقال ذرة ، ثم أفضل على من شاء بجوده وكرمه ومنه ، فهذا تدبيره منذ أول بدء خلقه ودبر لهم من العرش إلى الثرى قبل خلقهم مرمة لمعاشهم وحياتهم ومرمة لعبودته وحجة بالغة لنفسه يوم القضاء بينهم ، فمن يقدر أن يستقطع وصف هذا الذي دبر ، إلا أن العارفين يصفون ما يتراءى لهم من ذلك بشعاع اليقين .

وأما صنعه فأحوال العباد في الدنيا كيف يفقر وكيف يغنى ، ويعز ويذل ، ويُمَلِّك وينزع الملك ، ويبتلي ويعافي ، ويغير الأحوال ساعة فساعة ، فالعلم الظاهر [١/ ١٧٧/ب] الذي في أيدي الخلق إنما يستبين بهذا العلم ، وإنما يسيرون على الاستقامة بهذا العلم ، فأما قوله : يرغبكم في الآخرة عمله . فليس عمله ببديع ، إنما هو ما يعمله العمال ، ولكن على عمله نور وعلى أركانه خشوع ، وعلى تصرفه فيها صدق العبودية مع البهاء والوقار والطلاوة والحلاوة والمهابة؛ لأنه على المعاينة يعمل ، ولأنه إنما يعامل الله بتلك الأعمال عبودة لا متاجرة ، فإذا رآه الراءون

تقاصرت إليهم أعمالهم ، وهم في تلك الأعمال بأعيانها ، وليس لأعمالهم ذلك النور وتلك المهابة والحلاوة؛ لأنهم على الرغبة والرهبة يعاملون ، وعلى الخوف والطمع .

وروي لنا عن بعض السلف قال : لقي نبي من الأنبياء عابدا من العباد فقال : إنكم معاشر العباد تعملون على أمر لسنا معاشر الأنبياء نعمل عليه ، أنتم تعملون على الرغبة والرهبة ، ونحن نعمل على الشوق والمحبة .

فهذه معاملة أهل اليقين الأنبياء بنبوتهم والأولياء بولايتهم ، يعاملون على المعاينة وعلى الشوق والمحبة عبودة له ، قد شربت قلوبهم محبته ، ومن لم يفتح له باب اليقين على قلبه ، فإنما يعمل على الرغبة والرهبة؛ لأنه قد رغب في الجنة فارتغب ، ورهب من النار فارتهب ، فالوعد والوعيد نصب عينيه ، إن عرض له من أعمال البر فتثاقلت نفسه وأبطأت في ذلك مناها ما وعد الله ، فيستعين بذلك على نفسه حتى يقربها حتى تمضي وتنقاد ، وإن عرض له ذنب فرغبت نفسه ودعته إليه خوفها بما أوعد الله فيستعين بذلك على نفسه حتى يقمعها ويكفها ، فهذا شأن أهل الوعد والوعيد .

وأما أهل اليقين فإذا عرض لهم بر طارت قلوبهم من الشوق إليه والحب له ، فعملوا لذلك البر على اليسر وطيب النفس ، وإذا عرض لهم ذنب عرقت جباههم من الحياء منه تكرما وتعففا ، وهذا موجود في عبيده ههنا ، فشتان ما بين عبدين أحدهما يعمل لمولاه من خوف وعيده وحرمان وعده ، ولولا خوفه من وعيده وحرمان وعده ما عمل ذلك ، والآخر يعمل لمولاه شفقة على عمله ونصحا له وتذللا وتخشعا ، وألقى نفسه بين يديه محبة له وشغوفا به؛ فإنه(١) لا يستوي هذان العبدان في دار الدنيا عند مولاهما أبدا ، فكذلك شأن هذه القلوب [١/ ١٧٨/ أ] عند الله ، قد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال لعوف بن مالك الجشمي والد أبي الأحوص : « أرأيت لو كان لك عبدان أحدهما يخونك ويكذبك ، والآخر يصدقك ولا يخونك ، أيهما

---

(١) في (ص) « لأنه » .

أحب إليك؟ " . قال : الذي يصدقني ولا يخونني . قال[١] : " فكذلك أنتم عند ربكم " .

٦٣٣ـ **حدثنا** بذلك عبد الجبار ، قال : حدثنا سفيان ، عن أبي الزعراء ، عن أبي الأحوص ، عن أبيه ، عن رسول الله ﷺ .

(١) " قال " سقطت من (ص) .

الأصل الخامس والمائة

٦٣٤ـ حدثنا محمد بن موسى الحرشي ، قال : حدثنا جعفر بن سليمان الضبعي ، قال : حدثنا ثابت البناني ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : أصابتنا السماء ونحن مع رسول الله ﷺ في سفر ، فحسر رسول الله ﷺ الثوب عن رأسه حتى أصابه من المطر ، فقلنا : يا رسول الله ، لم صنعت هذا؟ قال : " لأنه قريب عهد بربه " .

وهذا فعل المشتاقين ، وأولاهم بالله أشدهم شوقا إليه ، وكلما ازداد العبد انتباها ويقظة ازداد شوقا حتى يفلق ويكمد .

وروي عن رسول الله ﷺ في صفته أنه كان طويل الفكر ، دائم الأحزان ، فهل كانت أحزانه إلا من الحبس عن اللقاء؛ لقاء الصفاء ، ولا يساوي[1] لقاء القلوب والأرواح في الدنيا لقاء الأرواح والأجساد في الآخرة ، ذاك لقاء الصفاء ، فأعلاهم منزلة وأقربهم قربا وأعلمهم به وأشدهم حرقة في القلوب شوقا وأقلقهم بالحياة تبرما ينتظر متى يدعى فيجيب ، فكأنه ﷺ وجد روحا إلى ذلك المطر بما وصف من حداثة عهده بربه ، وكذلك يجد المشتاق إلى لقاء من غاب عنه ، فهو قلق بشأنه ، فإذا ورد عليه منه كتاب أوشيء من آثاره كان له فيه أنس وإليه استرواح وبه تلذذ .

وروي عن موسى صلوات الله عليه أنه كان يخرج إلى طور سيناء ، فربما ضاق عليه الأمر في الطريق فيشق قميصه من شدة الشوق والعجلة التي تأخذه ، قال الله تبارك اسمه : ﴿ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ۞ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴾ [طه : ٨٣ - ٨٤] . فروي عن قتادة في قوله : ﴿ وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ ﴾ قال : شوقا إليك ، فالذي حمله على سؤال الرؤية لما سمع الكلام قلق وغلى شوقه بمراجله وضاق به الأمر ففزع إلى الرؤية طمعا لتسكين غليانه [١/١٧٨/ب] فعلم الله تبارك اسمه أنه لا يحتمل ذلك ، فأبى عليه وألقى إليه عذره بأن جعل الجبل دكا ، يعلمه أنك لا تقدر على احتمال ذلك؛ لأن الجبل حجر وحديد وصخر ، وأنتم لحم ودم ، فانظر إلى هذا الجبل ، فإن استقر مكانه فسوف تراني ، قال له : لن تراني . ولم يقل :

---

(١) في (د) " ولا يستوي " .

لا أراك . يعلمه أنه لا يقدر ولم يؤيسه أبدا .

٦٣٥ـ فحدثنا محمد بن رذام بن عبد الملك الأيلي ، قال : حدثنا أحمد بن عطاء الهجيمي ، عن محمد بن نصير الواسطي ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، عن رسول الله ﷺ في قوله : ﴿ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ ﴾ [الأعراف : ١٤٣] . قال : قال الله : يا موسى ، لن تراني ، إنه لن يراني حي إلا مات ، ولا يابس إلا تدهده ، ولا رطب إلا تفرق إنما يراني أهل الجنة الذين لا تموت أعينهم ولا تبلى أجسامهم(١) ، فكان رسول الله ﷺ مما يقول في دعائه : " أسألك الشوق إلى لقائك ولذة النظر إلى وجهك " .

٦٣٦ـ حدثنا أبي رحمه الله ، قال : حدثنا الحماني ، عن حماد(٢) بن زيد ، عن عطاء بن السائب ، عن أبيه ، عن عمار بن ياسر قال : سمعت رسول الله ﷺ يدعو فيقول : " أسألك لذة النظر إلى وجهك ، وأسألك الشوق إلى لقائك في خير ، اللهم زينا بزينة الإيمان ، واجعلنا هداة مهتدين " .

٦٣٧ـ حدثنا الفضل بن محمد ، قال : حدثنا إبراهيم بن موسى الطرطوسي ، عن بقية ، عن أبي بكر بن أبي مريم ، عن ضمرة بن حبيب ، عن أبي الدرداء ، عن زيد بن ثابت قال : قال لي رسول الله ﷺ : " اجعل في دعائك : ارزقني لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك " .

وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه كان إذا مطرت السماء أخرج ثيابه إلى المطر وتجرد له وقال : لتصيبني بركته . فهذا مذهب غير ذلك ، وبان تفاوت هذا القول من ذاك ملتمس البركة طالب للنفس شيئا .

---

(١) في (د) " أجسادهم " .

(٢) في (ص) " حامد " .

الأصل السادس والمائة

٦٣٨ـ **حدثنا** عمر بن أبي عمر ، قال : حدثنا بشر بن عيسى الطائي ، عن ابن أبي فديك ، عن محمد بن عثمان بن محمد ، عن أبيه[١] ، عن حارثة بن النعمان أنه جعل خيطا من مصلاه إلى باب حجرته ، وكان قد ذهب بصره ، فيضع عنده مكتلا فيه تمر وغير ذلك ، فكان إذا سلم المسكين أخذ من المكتل ثم أخذ بالخيط حتى ينتهي إلى باب الحجرة فيناول المسكين ، فكان أهله يقولون : نحن نكفيك . فيقول : سمعت رسول الله ﷺ [١/١٧٩/أ] يقول : " إن مناولة المسكين تَقي ميتة السوء " .

قال أبو عبد الله[٢] :

ففي مناولة المسكين خصلة تعلو الخصال ، وذلك أن الله تبارك اسمه قد شرف المؤمن وعظم شأنه ، وشرف هذه الأمة من بين الأمم وعظم شأنها ، فكانت الأمم من بني إسرائيل صدقاتها قربانها توضع فتجيء نار فتقبله وتترك ما لم يقبل منه ، فيصير منهتك الستر ، فأكرم الله هذه الأمة بفضل يقينها أن جعل صدقاتها تؤخذ من أغنيائها فترد على فقرائها ، فيبقى النفع فيهم ، وكانت نفوس الأولين لا تسخوإلا على عيان الأشياء وجهرها حتى بلغ بهم ذلك إلى أن قالوا لموسى : أرنا الله جهرة . كانت قلوبهم لا تستقر حتى ترى العيون ، وأيدت هذه الأمة بفضل اليقين ، فعلموا أن الشيء إذا أعطوه لله أن الله لا يضيعه ، وعلموا من جوده وكرمه ما خفي على الأمم قبلنا ، فلما أعطت هذه الأمة صدقاتها هكذا تفضل عليهم الرب أن ولي أخذ صدقاتهم منهم ، فلم يكلها إلى ملائكة ولا إلى أحد من خلقه ، فقال في تنزيله : ﴿ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ [التوبة : ١٠٤] فلم يكل قبول توبتهم ولا أخذ صدقاتهم إلى أحد ، ولهذا كان رسول الله ﷺ لا يكل خصلتين إلى أحد ، فكان يمشي بالصدقة إلى المسكين ويستقي لوضوئه الماء ، ولا يكله إلى أحد .

٦٣٩ـ **حدثنا** بذلك الجارود ، قال : حدثنا عمر بن هارون ، عن موسى بن عبيدة ، عن

---

(١) " أبيه " سقطت من (د) .

(٢) غير موجودة في (د) .

عبيد الله بن دينار ، عن العباس بن عبد الرحمن بن مينا ، عن رسول الله ﷺ .

٦٤٠ـ **حدثنا** عبد الجبار ، قال : حدثنا سفيان ، عن ابن عجلان ، عن أبي الخباب سعيد بن يسار ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " والذي نفسي بيده ما من عبد يتصدق بصدقة حسنة طيبة فيضعها في حق إلا كانت تقع في يد الرحمن فيربيها كما يربي أحدكم فصيله أو فلوه ، حتى إن التمرة واللقمة لتصير مثل الجبل العظيم " . ثم قرأ ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَـٰتِ ﴾ [البقرة : ٢٧٦] .

٦٤١ـ **حدثنا** صالح ، قال : حدثنا يحيى بن واضح ، عن موسى بن عبيدة ، عن عبد الله بن دينار ، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : " إن المؤمن يتصدق بالتمرة أو عدلها من الطيب ، ولا يقبل الله إلا الطيب ، فتقع في يد الله فيربيها له كما يربي أحدكم فصيله حتى تكون [١/١٧٩/ب] مثل الجبل العظيم " . ثم قرأ : ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَـٰتِ ﴾ .

٦٤٢ـ **حدثنا** أبي رحمه الله ، قال : حدثنا أبو نعيم ، قال : حدثنا سفيان ، عن عبد الله بن السائب ، عن عبد الله بن قتادة المحاربي ، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : إن الصدقة لتقع في يد الله قبل أن تقع في يد السائل . ثم قرأ عبد الله : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ ﴾ [التوبة : ١٠٤] .

٦٤٣ـ **حدثنا** إسماعيل بن نصر ، قال : حدثنا محمد بن بشر العبدي ، قال : حدثنا أبو المنهال الطائي ، عن علي بن حسين أنه كان إذا أعطى السائل شيئا قبله ثم وضعه على يده قائما قبله؛ لأنه علم من يأخذه .

قال أبو عبد الله(١) :

فتأويل قول رسول الله ﷺ : " مناولة المسكين تقي ميتة السوء " لأنه يصير بالمناولة في قرب الله ، ومن وقع في قرب الله كان له مأمنا ، وكان في ذمته ، فيوقى مصارع السوء وميتة السوء أن يموت مصرا على المعصية أو قانطا من رحمته أو ظالما أو غير تائب من ذنوبه أو يفجأ بالموت على غير صحة ، أو يختم له بسيئ أعماله ، أو

---

(١) غير موجودة في (د) .

يموت هدما أو غرقا أو حرقا أو لديغا أو ما أشبه ذلك ، فمن كان في ذمة الله وقي هذه الأشياء .

ومما يحقق ذلك ما جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال : " من صلى الغداة فهو في ذمة الله " . فطلبنا وجه هذا كيف خص رسول الله ﷺ صلاة الغداة من بين الصلوات فبه يصير في ذمة الله ، فوجدنا عن أبي الدرداء رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ في قوله : ﴿ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ [الإسراء : ٧٨] . قال : " يشهد الله وملائكته ، وذلك أنه يتنزل إلى السماء الدنيا في الساعة الآخرة من الليل فيقول : هل من تائب فأتوب عليه ، هل من مستغفر فأغفر له ، حتى ينفجر الصبح ، فإذا انفجر الصبح وصليت الفجر شهدها الله وملائكته " .

٦٤٤ـ حدثنا بذلك عمر بن أبي عمر ، قال : حدثنا يحيى بن بكير المصري ، قال : حدثنا الليث بن سعد ، عن زياد بن محمد الأنصاري ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن فضالة بن عبيد ، عن أبي الدرداء رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ . فإذا شهد العبد تلك الصلاة شهد ما شهد الله له ، فوقع في قربه ، فصار في ذمته ، فهذا مما يوافق بدءا ما قلنا في شأن الصدقة .

[ومما يحقق ما قلنا ما جاء عن رسول الله صلي الله عليه وسلم أن الصدقة لو خرجت علي يد سبعين نفسا لكان أجر آخرهم مثل أجر أولهم " معناه أن هذه الأول كلها منتهية إلى الله تعالي مثل تلك الصدقة][(١)] .

(١) ما بين المعقوفين سقط من (ص) .

الأصل السابع والمائة

٦٤٥ـ حدثنا عمر بن أبي عمر العبدي[١/ ١٨٠/أ] ، قال : حدثنا هشام بن عمار الدمشقي ، قال : حدثنا عمر بن واقد ، عن يونس بن ميسرة ، عن أبي إدريس الخولاني ، عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " ليس الزهادة في الدنيا بتحريم الحلال ولا بإضاعة المال ، ولكن الزهادة أن لا تكون بشيء مما في يدك أوثق منه مما في يد الله ، وأن يكون ثواب المصيبة أحب إليه من أن لو بقيت المصيبة عنده ، ولكل حق حقيقة ، ولا يبلغ العبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه ، ولكل حق حقيقة ، ولا يبلغ العبد حقيقة الإخلاص حتى لا يحب أن يحمد في كل شيء يعمله لله " .

٦٤٦ـ حدثنا عبد الله بن خلف بن موسى البلخي ، عن الوليد بن مسلم ، عن خالد بن يزيد ، عن أبي إدريس(١) الخولاني ، عن رسول الله ﷺ بمثله ، ولم يذكر أبا ذر .

قال أبو عبد الله(٢) :

فأصل الزهد هو الاستقلال ، يقال في اللغة : هذا شيء زهيد ، أي قليل . وإذا استقل الشيء دق في عينه وحقره وتهاون به ، وقال في قصة يوسف صلوات الله عليه : ﴿ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴾ [يوسف : ٢٠] أي من المتهاونين به المستحقرين له ، فالزاهد دقت في عينه الدنيا بما فتح له من الغيب ، فرأى الآخرة ببصر قلبه ، فاستقل هذه وتهاون بها وخلق مضطرا محتاجا إلى القوت وقد ضمن له رزقه ، فوثق بضمانه وصار هذا الذي في يده كالأمانة كأنه أودع وديعة ووكل بحفظها على نوائب الحق لينفقها هناك ، فضمان الرب لعبده الرزق كان أوكد عنده وأعظم شأنا من أن يلتفت إلى ما في يده ، فيركن إليه أن هذا رزقي ، فإنما قدر على هذا بما فتح الله في الآخرة بصره حتى دقت الدنيا في عينه وشخص بصره إلى ضمان الرزاق في رزقه عند الحاجة إليه ، فأما من لم يفتح له بصره في الآخرة وعظم قدر الدنيا

---

(١) في (ص) " ابن أبي إدريس " .

(٢) غير موجودة في (د) .

عنده فمتى ما وجد منها شيئا اجتذبت مخاليبه فيها وتشبثت وعلق قلبه بها ، ولم يستهن[١] على قلبه ضمان الرزق ، وكلما ذكر الفقر وأوجس في نفسه خيفة ركن إلى ما في يده ، فهذا وإن جانب الدنيا وأكل النخالة والحشيش فليس بزاهد ، إنما هو[١/١٨٠/ب] متزهد يتكلف الزهد بجوارحه ، وكذلك في المصائب يكون ثواب المصيبة آثر عنده من أن لو بقي عنده ذلك الشيء؛ لأن الشيء من الدنيا وقد دق في عينه والثواب من الآخرة وقد عظم في عينه .

وأما قوله : " لا يبلغ العبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه " .

فهذا علم أهل[٢] اليقين ، فالموحدون كلهم يعلمون هذا ، وذلك علم اللسان وحجة الله على ابن آدم ، يخرجه على ألسنتهم إيمانهم ، فبلسان التوحيد ينطقون ، فلا تستقر قلوبهم مع هذه الكلمة حتى يفر من الذي يتخوف أن يصيبه فرارا يعصي الله فيه .

وأما أهل اليقين فاستقر هذا العلم في قلوبهم فانشرحت به صدورهم ، فكانوا في النوائب كرأي العين ، أي هذا الذي ناب قد كان في سابق العلم ، ثم يصور عندهم كونه في اللوح مسطورا ، فاستقرت نفوسهم لعلم يقينهم بذلك ، فهذا عبد قد استنار في صدره وقلبه إيمانه ، فهو ، حقيقة الإيمان ، والإيمان في القلب ، والصدر عنه ، ولا يعلم ما في القلب إلا الله ، فإذا خرج نوره إلى الصدر انشرح ، فذلك هو حقيقة الإيمان ، فظهر على الجوارح .

وأما حقيقة الإخلاص فهو أن ينفي عن قلبه وصدره حب المحمدة ، فقد يكون مخلصا لله في أموره يعملها من أعمال البر ، وهو يجاهد نفسه في ذلك حتى يصفيها ويخلصها ، وليس ذلك حقيقة الإخلاص ، إنما حقيقة الإخلاص أن يزول عن حب المحمدة والثناء ، وذلك أن النفس إنما تحب المحمدة والثناء لينفذ قوله وينال نهمته في دنياه من خلقه ، وهو يقول بلسان التوحيد : هذا كله من الله . ثم يراه الله معلق القلب بخلقه طامعا فيما لديهم ، فهو غير ناج من التزين والتزيي ، يريد بذلك التحمد عندهم لتنال النفس ما تطمع فيه؛ لأن النفس قد علمت أن المذموم ساقط

---

(١) في (ص) " يستبر " .

(٢) " أهل " زيادة من (د) .

القدر ، وفي سقوط القدر حرمان الحوائج والنوال ، وأن المحمود رفيع القدر ، وفي علو القدر وصول إلى النهمات وإسراف على الأمور ودرك الأشياء ، فهذا عبد لم يبلغ حقيقة الإخلاص في العودة[1] لله ، فإذا استنار صدره بالإيمان وتعلق قلبه بالله نجا من الخلق ومن الأسباب وشخصت آماله إلى خالقه ، فيتقي الخلق بما تصور [١/ ١٨١/ أ] في صدره بما تنطق الألسنة به من قوله : لا مانع لما أعطى ، ولا معطي لما منع .

---

(١) في (د) " العبودة " .

الأصل الثامن والمائة

٦٤٧ـ حدثنا إبراهيم بن عبد الله الخلال ، قال : أخبرنا عبد الله بن المبارك ، قال : أخبرنا بهز بن حكيم ، عن أبيه ، عن جده قال : قلت : يا رسول الله ، عوراتنا ما نأتي منها وما نذر؟ قال : " احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك " . قلت : أرأيت لو كان القوم بعضهم في بعض؟ قال : " إن استطعت أن لا ترينها أحدا لا ترينها " . قلت : أرأيت لو كان أحدنا خاليا(١) ؟ قال : " فالله أحق أن يستحيى منه " .

٦٤٨ـ حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع البكري ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، قال : حدثنا بهز بن حكيم ، عن أبيه ، عن جده ، عن رسول الله ﷺ بمثله .

٦٤٩ـ حدثنا سفيان ، قال : حدثنا يزيد بن هارون ، عن بهز ، عن أبيه ، عن جده ، عن رسول الله ﷺ بمثله .

قال أبو عبد الله(٢) :

العورة خلقت من الآدمي مستورة ، وقد كان سُتر(٣) عن آدم صلوات الله عليه وحواء ، وعاشا ودخلا الجنة ولم يعلما بذلك حتى أكلا من الشجرة ، فانكشفت سوآتهما ، فأمرا بالستر حين نزلا ، قال الله تبارك اسمه : ﴿ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَآ ﴾ [الأعراف : ٢٧] . وقال : ﴿ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا ﴾ [الأعراف : ٢٠] . فسميت سوءة وسترت عن آدم عليه السلام .

وروي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أنه قال : أول ما خلق الله تعالى من الإنسان فرجه ، ثم قال له : هذه أمانة قد خبأتها عندك .

٦٥٠ـ حدثنا بذلك صالح بن عبد الله ، قال : حدثنا جرير ، عن ليث ، عن ابن أبي نجيح ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أنه قال : أول ما خلق الله تبارك وتعالى من الإنسان فرجه ، وكان أصله الخلقة مستورا ، فلما خرجا من ستر الله بالخطيئة

---

(١) في (ص) " خال " .

(٢) غير موجودة في (د) .

(٣) في (ص) " يستر " .

احتاجا إلى أن يستراه ، فالزوجة وملك اليمين مطلق لك في ملامستهما ، فكذلك النظر إليهما ، إلا أن الحياء يحجب صاحبه عن ذلك ، وكان رسول الله ﷺ يتوقى أن يرى أحد من نسائه عورته .

وروي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : ما رأيت ذاك من رسول الله ﷺ قط . فهذا وجه الأدب ومحاسن الأفعال ، وأما الإذن فقد أذن فيها وقال في تنزيله : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۞ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾ [المؤمنون : ٥ - ٦] . [١/ ١٨١/ب]

وأما إذا كان خاليا فتعرى ولم يحتشم عن ذلك ، فهذا قلب غافل عن الله ، لم يعلم بأن الله يرى علم اليقين ، وإذا سألته : هل يراك الله؟ اقتضى إيمانه أن يقول : نعم ، يراني من غير أن أشك فيه أو أمتري . ثم لا يأخذه الحياء ولا يثقل ذلك عليه ؛ لأن الصدر لم يستنر بنور ذلك فيرى قلبه أن الله يرى ، فعندها(١) كما قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : إني لأدخل الخلاء فأقنع رأسي حياء من الله .

وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه إذا اغتسل اغتسل في بيت مظلم وحنا ظهره يستحيي أن يقيم صلبه .

فإنما حملهم على ذلك الحياء ، وإنما توخى البيت المظلم لئلا(٢) يرى نفسه فيكون أهون عليه .

---

(١) في (ص) " فعند " .

(٢) " لئلا " سقطت من (ص) .

الأصل التاسع والمائة

٦٥١ـ [حدثنا العلاء بن مسلمة الرؤسي ، قال : حدثنا إبراهيم الطالقاني ، قال : أخبرنا عبد الله بن المبارك ، عن عاصم بن سليمان ، عن حفصة بنت سيرين ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " من أحسن إلى يتيم أو يتيمة كنت أنا وهو في الجنة كهاتين " . وقرن بين أصبعيه][1] .

٦٥٢ـ حدثنا عبد الجبار بن العلاء ، قال : حدثنا سفيان ، عن صفوان بن سليم ، عن أنيسة ، عن أم سعيد بنت مرة الفهرية ، عن أبيها قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " أنا وكافل اليتيم – له أو لغيره – إذا اتقى الله في الجنة كهاتين ، أو كهذه من هذه " .

قال أبو عبد الله[2] :

إنما برز هذا على سائر الأعمال لأن اليتيم قد افتقد تربية أبو يه ، وهي أعظم الأغذية ، فحرم شفقة الأم وبرها وتربيتها وريحها وحجرها وبر الأب ولطفه وتعاهده ومصالح أموره ، والله تعالى ولي ذلك كله ، يجريها على الأسباب ، فإذا قبض أبو يه فهو الولي لذلك اليتيم في جميع أموره ، يبتلي به عبيده لينظر أيهم يتولى ذلك .

٦٥٣ـ حدثنا أبي رحمه الله ، قال : حدثنا قبيصة ، عن سفيان ، عن طلحة ، عن عطاء قال : قال موسى صلوات الله عليه : يا رب ، تموت أبو ي الصبي ومن لا حيلة له وتدعه هكذا؟ قال : يا موسى ، أترضى بي كافلا ؟

ومن أسمائه الوكيل والكفيل ، فإنما توكل لعباده وتكفل لهم بما يحتاجون إليه ، وهو حسبهم ، فاليتيم كافله خالقه؛ لأنه قد قطع عنه من كان قيض له ، وطوى عنه أسبابه ، فمن مد يده إلى كفالة هذا اليتيم فإنما ذلك عمل يعمله عن الله لا عن نفسه ، والرسل من شأنهم [١/ ١٨٢/ أ] أن يعملوا عن الله ، يؤدون عن الله حجته إلى خلقه وبيانه وهدايته ، والذي يكفل اليتيم يؤدي عن الله ما تكفل به ، فلذلك صار بالقرب منه في الدرجة ، وبالقرب منه في الموقف ، وليس في الموقف بقعة أروح ولا أنور

---

(١) ما بين المعقوفين سقط من (د) .

(٢) غير موجودة في (د) .

ولا أطيب ولا آمن من البقعة التي يكون بها محمد ﷺ وسائر الرسل صلوات الله عليهم ، فإذا نال كافل اليتيم القرب من تلك البقعة فقد سعد جده ، وإن سائر الأعمال يعملها العمال عن أنفسهم ، وليس فيها السبب الذي وصفنا ، فإذا صام أو تصدق أو حج فإنما يعمل ذلك عن نفسه ، ألا ترى أن الجهاد قد فارقهم لأنه عن دين الله يذب والكلمة العليا لتنصر ، فهم على أثر الأنبياء يومئذ ، وبالقرب منهم ، وقد ذكر الله في تنزيله في شأن العفو فقال : ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ ﴾ [الشورى : ٤٠] . فبين القصاص وأذن فيه ، ثم ندب إلى العفو، وأعلى شأنه فقال : ﴿ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ ﴾ . فلم يجد شيئا من أعمال البر أجره مضمونا في عاجل الدنيا غير العفو، فطلبنا أصله من أين صار هكذا فوجدنا أن الرجل إذا ظلم وقع قلبه في سجن المعصية ، فصار محجوبا عن الله ، فهو وإن تاب فغير مقبول منه حتى يحلل المظلوم فيهب منه ظلامته ، وإذا وقع القلب في ظلمة فهو في خذلان من ربه خبثت نفسه وكسل وذهبت قواه ونزعت منه البركة ، وعمي عن رؤية الحق ، وجاءته مصائب تترى في دينه ، فلا يزداد الأشرار ترديا ، فإذ رحمه هذا المظلوم لما يعلم من فساد قلبه وأنه مسجون بسببه ، فوهب له ظلامته ، فإنما قيل : حلله؛ لأنه كان في وثاقه فتخلص القلب من تلك الظلمة والسحائب التي تراكمت على قلبه فسأل الله مغفرته ، فهذا قد عفا وأصلح ما فسد من قلبه بسؤال ربه المغفرة له ، فإنما عمل لله لا لنفسه؛ لأنه أطلق قلبه من وثاق ظلامته حتى توصل إلى أن يعبد الله ، فأعلم الله العباد أن أجره على الله ، وسائر الأعمال تحصل يوم القيامة ، فما تقبل منها أثيب عليه جزاء من الله لعبده وثوابا ، والعفوأجرته مضمونة للعبد في عاجل الدنيا ، قال الله تبارك اسمه : ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾ [الشورى : ٤٣] . فسمى سؤال المغفرة له من عزم الأمور ، فقد أخذ هذا الذي عفا وطلب له المغفرة بحظ من أمر أولي العزم من الرسل ، وكان من أولي العزم من [١/ ١٨٢/ ب] الرسل من يضربه قومه حتى يسيل دمه على وجنته ، فإذا أفاق قال : " اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون " .

٦٥٤- **حدثنا** إسماعيل بن نصر بن راشد ، قال : حدثنا محمد بن بشر العبدي ، قال : حدثنا أبو رجاء الجزري ، عن الحسن قال : ينادي مناد يوم القيامة : ألا من كان له على الله أجر فليقم . فلا يقوم إلا من عفا .

٦٥٥ـ حدثنا عمرو بن علي الصيرفي ، قال : حدثنا عبد الله بن عبد المجيد الحنفي ، قال : حدثنا مبارك بن فضالة ، عن أبي عمران الجوني ، عن ربيعة الأسلمي قال : كنت أخدم النبي ﷺ ، فقال لي : يا ربيعة[1] ، ألا تزوج؟ قلت : يا رسول الله ، أريد ذاك وما عندي ما يقيم المرأة ، وما أحب أن يشغلني عنك شيء . فتركني ما شاء الله ، ثم قال : " يا ربيعة ، ألا تزوج؟ " . فقلت له مثل قولي الأول ، ثم قلت : والله لرسول الله ﷺ أعلم بما يصلحني في أمر دنياي وآخرتي ، والله لئن قال لي : يا ربيعة ، ألا تزوج لأقولن : بلى يا رسول الله ، مرني بما شئت . فقال لي فقلت : بلى يا رسول الله ، فقال : " ايت بني فلان - حيا من الأنصار - فقل : إن رسول الله ﷺ أرسلني إليكم يأمركم أن تزوجوا ربيعة فلانة " . فأتيتهم فقالوا : مرحبا برسول الله ﷺ ، وبرسول رسول الله ﷺ ، فوالله[2] لا يرجع رسول الله ﷺ إلا بحاجته . فرحبوا بي وأكرموني وألطفوا بي ، فرجعت إلى رسول الله ﷺ حزينا فقال لي : " يا ربيعة ، وما لك حزينا؟ " . فقلت : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، أتيت أكرم قوم فرحبوا بي وأكرموني وألطفوا بي ، من أين لي الصداق؟ فقال رسول الله ﷺ : " يا بريدة ، اجمعوا له وزن نواة من ذهب " . فجمعوا لي وزن نواة من ذهب ، فقال رسول الله ﷺ : " اذهب بها إليهم وقل : هذا صداقها " . فذهبت بها إليهم وقلت : هذا صداقها . فقبلوا ورضوا وقالوا : كثير طيب . فرجعت إلى رسول الله ﷺ حزينا ، فقال : " ما لك يا ربيعة ما لك حزينا؟ " . قلت : يا رسول الله ، أتيت أكرم قوم فقبلوا ورضوا وقالوا : كثير طيب . من أين لي الوليمة يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ : " اجمعوا له ثمن شاة " . فجمعوا له فاشتروا لي كبشا سمينا ضخما ، وقال لي رسول الله ﷺ : [١/ ١٨٣/ أ] " اذهب إلى عائشة فقل لها تبعث بما كان عندها من طعام " . فانطلقت إلى عائشة رضي الله عنها فقلت لها : إن رسول الله ﷺ بعثني إليك تبعثين بما كان عندك من طعام . فقالت لي : خذ ذاك المكتل فيه تسعة آصع من شعير ، والله ما أصبح في بيتنا طعام غيره . فأخذته فأتيت رسول الله ﷺ فقال : " اذهب به إليهم وقل : ليصبح هذا عندكم خبزا " . قال : فانطلقت به وبالكبش ، فأخذوا

---

(١) في (ص) " ألا يا ربيعة " .

(٢) تكرر في (ص) " فوالله " وحذفناها .

الطعام وقالوا : اكفنا أنت الكبش . قال : فجاءوا معي ناس من أسلم فاجتمعنا على الكبش فذبحناه وسلخناه وطبخناه ، فأصبح عندنا خبز ولحم ، فأصبحت عروسا ، فدعوت رسول الله ﷺ وأصحابه ، ثم إن رسول الله ﷺ بعد ذلك أعطاني أرضا وأعطى أبا بكر أرضا ، وجاءت الدنيا حتى اختلفت أنا وأبو بكر في نخلة بيننا ، فقلت : هي من أرضي . فقال أبو بكر : هي من أرضي . فقال لي أبو بكر كلمة كرهها بعد ذلك ، فقال لي : رحمك الله رد علي مثلها حتى تكون قصاصا . قلت : لا أرد عليك . قال لي : رحمك الله ، رد علي مثلها حتى تكون قصاصا . قلت : لا . قال : لأستأذنن عليك رسول الله ﷺ . فانطلق يستأذنني على رسول الله ﷺ ، وانطلقت أتبعه ، وجاء ناس من قومي معي فقالوا : هو الذي قال لك ، ففيم يستأذن عليك؟ قلت : أتدرون من هذا؟ قالوا : لا . قلت : هذا أبو بكر الصديق ، وهذا ثاني اثنين ، ارجعوا لا يلتفت فيراكم معي تنصروني عليه فيغضب فيأتي رسول ﷺ فيخبره فيغضب رسول الله ﷺ لغضبه ، فيغضب الله لغضب رسول الله ﷺ فيهلك ربيعة . فأتى رسول الله ﷺ فأخبره ، فرفع رسول الله ﷺ رأسه إلي فقال : " يا ربيعة ، ما لك والصديق؟ " . قلت : يا رسول الله ، كان بيني وبينه اختلاف في نخلة فقال لي كلمة كرهها بعد ذلك . فقال لي : ردها علي حتى تكون قصاصا . فقلت : لا . فقال رسول الله ﷺ : " لا تردها عليه ، ولكن قل : غفر الله لك يا أبا بكر " . قلت : غفر الله لك يا أبا بكر . فولى أبو بكر رضي الله عنه يبكي (١) .

---

(١) جاء في (د) " تم المجلد الأول من كتاب نوادر الأصول بحمد الله وفضله وحسن توفيقه في العشرين من شهر الله المبارك رمضان من سنة ست وخمسين وخمسمائة " .

الأصل العاشر(١) والمائة

٦٥٦ـ حدثنا العلاء بن مسلمة الرواس ، قال : حدثنا عمر بن [١/ ١٨٣/ ب] يونس اليماني ، عن عكرمة بن عمار عن يزيد الرقاشي(٢) ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " إن لي حوضا ما بين عدن وعمان ، آنيته عدد نجوم السماء ، له ميزابان ، أحدهما من ورق والآخر من ذهب يمدانه من الجنة ، لا يرد عليه من كذب به " .

قال أبو عبد الله(٣) :

فالحياض يوم القيامة للرسل لكل على قدره وقدر تبعه ، وهو شيء يلطف الله به عباده ، فإنهم تخلصوا من تحت يد قابض الأرواح ، قد أذاقهم حرارة الموت وطالت مدتهم في اللحود ونشروا للهول العظيم .

والغوث لأهل التوحيد من الله مترادف ، أغاثهم يوم اللوح فأثبت أسماءهم بالولاية ، ونقلهم في الأصلاب وعينه ترعاهم ، كلما أراد إهلاك أحدهم أخرجه من صلب إلى قالب ، حتى أداه إلى آخر قالب ، ثم أنزله إلى الدنيا فرباه وهداه وهباه وهيأ له وكلأه ، حتى ختم له بما ابتدأه ، فهذا غوثة له في كل وقت وموطن ، فلما أذاقه الموت المرير وحبسه في مدفنه مع البلاء الطويل ، ثم أنشر بدعوة واحدة ، فبعثه إلى موقف عظيم بين الجنة والنار ، فمن غوثه إياه أن جعل الرسول الذي أجابه فرطا له ، قد هيأ له مشربا يروى منه ولا يظمأ بعدها أبدا ، ويسعد ولا يشقى بعدها أبدا ، وينعم فلا يبأس بعدها أبدا ، فمن لم يذد عنه إذا دنا منه وسقي فقد استقر في جوفه ما حرمت النار عليه ، ثم ينصب الصراط للجواز عليه .

وروي في الخبر أن الممد لهذا الحوض من الكوثر الذي أعطاه الله محمدا ﷺ بالمنة .

٦٥٧ـ حدثنا أبي رحمه الله ، قال : حدثنا صالح بن محمد ، قال : حدثنا سلمة بن عثمان ، عن أبيه قال : حدثني عدي بن ثابت الأنصاري ، قال : حدثني زر بن حبيش ، قال :

---

(١) في (د) " التاسع " .

(٢) في (ص) " عن عكرمة عن عمار بن يزيد الرقاشي " .

(٣) غير موجودة في (د)

حدثني أبي بن كعب ، قال : قال رسول الله ﷺ : " أول من يدعى يوم القيامة أنا ، فأقوم فألبي ، ثم يؤذن لي في السجود فأسجد له سجدة يرضى بها عني ، ثم يأذن لي فأرفع فأدعوبدعاء يرضى به عني " . فقلنا : يا رسول الله ، وكيف تعرف أمتك يوم القيامة؟ قال : " يقومون غرا محجلين من آثار الوضوء ، فيردون على الحوض ما بين بُصرى إلى صنعاء ، أشد بياضا من اللبن ، وأحلى من العسل ، وأبرد من الثلج ، وأطيب ريحا من المسك ، فيه من الآنية عدد [١/ ١٨٤/أ] نجوم السماء ، من ورده فشرب منه لم يظمأ بعده أبدا ، ومن صرف عنه لم يرو بعده أبدا ، ثم يعرض الناس على الصراط فيمر أوائلهم كالبرق ، ثم يمرون كالريح ، ثم يمرون كالطرفة ، ثم يمرون كأجاود الخيل والركاب ، وهي على كل حال ، وهي الأعمال ، والملائكة جانبي الصراط يقولون : رب سلم سلم . فسالم ناج ومخدوش ناج ومرسل في النار ، وجهنم تقول : هل من مزيد؟ حتى يضع فيها رب العالمين ما شاء أن يضع فتزوى وتنقبض[١] وتغرغر كما تغرغر المزادة الجديدة إذا ملئت وتقول : قط قط قط " معناه - قوله : قط - أي : حسب .

---

(١) في الأصلين " وتنقص " والمثبت من (ط) .

الأصل الحادي عشر والمائة

٦٥٨ـ **حدثنا** محمد بن إسماعيل بن سمرة الأحمسي ، قال : حدثنا محمد بن الحسن الأسدي ، قال : حدثنا أبو شيبة ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : لما قبض إبراهيم بن رسول الله ﷺ ، قال لهم رسول الله ﷺ : " لا تدرجوه في أكفانه حتى أنظر إليه " . فأتاه فانكب عليه وبكى[(١)] .

قال أبو عبد الله[(٢)] :

فالولد من ريحان الله فيشمه المؤمن فيلتذ به .

وروي عن رسول الله ﷺ أنه خرج وهو محتضن أحد[(٣)] ابني ابنته ، فقال : " إنكم لتجهلون وتجبنون وتبخلون ، وإنكم لمن ريحان الله " .

٦٥٩ـ **حدثنا** الجارود ، قال : حدثنا سفيان بن عيينة ، عن إبراهيم بن ميسرة ، عن ابن أبي سويد ، عن عمر[(٤)] بن عبد العزيز ، عن خولة بنت حكيم ، عن رسول الله ﷺ .

فكأنه أحب أن يتزود من ريحان الله عند آخر العهد به ، وانكبابه عليه يدل على اشتمامه ، ولذلك قيل : ريح الولد من ريح الجنة . كذلك روي عن رسول الله ﷺ فكان الرسول يفعل فعل المشتاقين إذا هاج به غليان الشوق إلى الله ، ألا ترى أنه كان إذا قطرت السماء تجرد وكشف عن رأسه وأبرز ، ثم يتلقاه بجسده ويقول : " إنه حديث العهد بربه " . ألا ترى أنه كان ينكب على الحجر الأسود ويقول : " ههنا تسكب العبرات " . ألا ترى أنه كان يستبطئ جبريل في مجيئه حتى قال : يا محمد ، ما نتنزل إلا بأمر ربك . فنزلت الآية على لفظه : ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ﴾ [الروم : ٦٤] .

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١٤٧٥) قال البوصيري في الزوائد : إسناده ضعيف لأن أبا شيبة قال ابن حبان : روى عن أنس ما ليس من حديثه لا يحل الرواية عنه . وقال البخاري : صاحب عجائب . وقال أبوحاتم : ضعيف الحديث ، منكر الحديث عنه عجائب .

(٢) غير موجودة في (د) .

(٣) في (ص) " إحدي " .

(٤) في (د) " محمد " .

فانكبابه على إبراهيم عند إدراجه في أكفانه تزود منه ، وبكاؤه توجع منه لمفارقته من يشتمّه ريحانا من الله .

وإنما قيل : من رياحين [١/ ١٨٤/ ب] الله . فنسب إلى الله؛ لأنه هبة الله ، فالهبة منه حشوها البر واللطف وظاهرها الابتلاء ، وقال في تنزيله : ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴾ [الشورى : ٤٩] .

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : " أولادكم من هبة الله لكم ، فكلوا من كسبهم " .

ووجه آخر أنه بكى رحمة له؛ لأن أجساد الأموات إنما كرمت بالأرواح وشرفت بالعبودة ، فنظر إلى جسد خاو قد فاته الروح والعبودة ، فلا بالروح تمتع ولا بالعبودة التذ .

وروي في حديث عنه ﷺ أنه قال : " هذه رحمة ، ومن لا يرحم لا يرحم " .

الاصل الثاني عشر والمائة

٦٦٠ـ حدثنا علي بن حجر ، قال : حدثنا خلف بن خليفة أبو أحمد الأشجعي ، وكان قد رأى عمرو بن حريث صاحب رسول الله ﷺ ، عن حميد الأعرج ، عن عبد الله بن الحارث ، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : لما نزلت ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ [البقرة : ٤٥] . قال أبو [١] الدحداح الأنصاري : أو إن الله ليريد منا القرض؟ قال : " نعم يا أبا الدحداح " . قال : أرني يدك يا رسول الله بأبي أنت وأمي . قال : فناوله يده ، قال : فإني أقرضت ربي حائطا فيه ستمائة نخلة . قال : فجاء إليه ونادى وهو خارج من الحائط : يا أم الدحداح . مرتين . قالت : لبيك . قال : اخرجي فقد أقرضته ربي .

قال أبو عبد الله[٢] :

فالقرض سفاتج الآخرة ، فإن الله تعالى جعل هذا المال قواما لمعاش ابن آدم ، وجعل قوام الروح به ، فأحبه الآدمي على قدر ما رأى من نفعه ومحله من الأشياء ، والمحبة لازقة بالقلب ، وإنما سميت محبة لأنها تخلص إلى حبة القلب شهوته ، وهو باطن القلب ، وإنما هما بضعتان : قلب وفؤاد ، فالقلب ما بطن ، والفؤاد البضعة التي قد اشتملت على قلبه ، وفي الفؤاد العين والأذن ، ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴾ فنسب الرؤية إلى الفؤاد .

ثم قد يجمعان في اسم واحد فيقال للكل منه : قلب ، كما قيل : نفس وروح ، وقال في تنزيله : ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ [الزمر : ٤٢] . وقيل : قبض روحه وخرجت روحه ، فهما شيئان ، وفي تمييز هذا كلام كثير ، ومما يدل على ما قلنا قول رسول الله ﷺ : " أتاكم أهل اليمن ، ألين قلوبا وأرق أفئدة " .

٦٦١ـ حدثنا [١/ ١٨٥/ أ] بذلك أبي رحمه الله ، قال : حدثنا الحماني ، عن أبي معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ ، فوصف القلب باللين ، والفؤاد بالرقة ، وذلك أن القلب بضعة من لحم في بضعة أخرى ، فالقلب ما بطن منه ، وهو البضعة الباطنة ، والفؤاد ما ظهر منه ، وفيه العينان والأذنان ،

---

(١) سقط من (ص) " أبو " ، وفي (د) " ابن " والمثبت من (ط) .

(٢) غير موجودة في (د) .

ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴾ [النجم : ١١] . فنسب الرؤية إليه . وذكره رسول الله ﷺ بالرقة ، ويقال في اللغة : خبز فئيد ، وهو خبز الملة ، وهو على هذه الصفة خبزة في أخرى كالغشاء لها وظهارة .

فنور التوحيد في القلب بينه وبين الفؤاد ، فشهوة النفس قد خلصت إلى حبة القلب فلصقت به ، فقيل : حبة . وذاك معدن الإيمان والحكمة والنور ومستقر النور ، وليس بموضع شهوة ، فإن الشهوة هي دنيا وهي داء القلب وسقم الإيمان .

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : " حبك الشيء يعمي ويصم " .

٦٦٢ـ [حدثنا بذلك أبي رحمه الله ، قال : حدثنا الحماني ، قال : حدثنا ابن مبارك ، عن أبي بكر بن أبي مريم الغساني ، عن خالد بن محمد الثقفي ، عن بلال بن أبي الدرداء ، عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : " حبك الشيء يعمي ويصم "][1] .

فإذا خلص حب شهوة شيء إلى القلب فقد أعمى بصر القلب وأصم أذنه؛ لأن القلب إنما صار بصيرا بالنور ، وصار به سميعا ، فإذا خالطته ظلمة الشهوات ودخان فورها ثقل الأذن وعشي البصر ، ومن ههنا قول رسول الله ﷺ لسلمان : " قل : اللهم إني أسألك صحة في إيمان " . فإنما سأل الصحة من السقم . وسقم الإيمان ما خالطه من شهوة النفس .

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : " الإيمان حلو نزه فنزهوه " . فلما كان هذا هكذا ، وذكر الله في تنزيله خروج العباد من أموالهم على وجوه فقال : ﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة : ١٩٥] . وقال : ﴿ تَصَدَّقُوٓاْ ﴾ . وقال : ﴿ إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ ﴾ [البقرة : ٢٧١] . وقال : ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ ﴾ [الإسراء : ٢٦] . وقال : ﴿ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾[2] [النحل ٩٠] ، وقال : ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ﴾ [الإنسان : ٨] .

فذكر النفقة وذكر الصدقة وذكر الإيتاء وذكر [١/ ١٨٥/ ب] الإطعام ، ففي كل ذلك إنما أشار إلى المساكين وإلى سبيله ، فلما صار إلى ذكر القرض أشار إلى إقراضه دون خلقه ، وذكر ثواب النفقة فقال : ﴿ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ ﴾ [البقرة : ٢٧٢] .

---

(١) ما بين المعقوفين سقط من (د) .

(٢) في (ص) " ذا " .

وقال : ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ﴾ [البقرة : ٢٦١] . وقال في شأن الصدقة : ﴿ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ﴾ [البقرة : ٢٧١] ، وقال في شأن الإطعام : ﴿ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ ﴾ [الإنسان : ١١] . فلما صار إلى ذكر ثواب القرض قال : ﴿ إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ [التغابن : ١٧] . فوعد المغفرة والتضعيف ، ثم ذكر تضعيفه في آية أخرى ، قال : ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾ [البقرة : ٢٤٥] . فذكر التضعيف بالكثرة ، والكثير من الله لا يحصى ، فوجدنا للقرض في كل مكان معنى زائدا في الاسم الذي سمي به في مخرج الفعل وفي مبتدئه وفي مختتمه ، وفي ثوابه ، وفي الشرط الذي علق به فقيل : ﴿ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ وليس لسائر هذه الأشياء هذا الشرط ، فأما اسمه فإن القرض هو القطع ، ومنه سمي المقراض ؛ لأنه به يقطع الشيء اللاصق بالشيء وليس منه ، إذا قرض بالمقراض فإنما يحسن قرضه إذا قرضه من أصله قرضا لا يبقى هناك شيء إلا انهتك في قرضه حتى أخذ من أصله شيئا أكثر من الزيادة اللاصقة به .

فهذا القرض الحسن ليس بمنهك ولا مقصر ، فكذلك هذا الشيء الذي لصقت شهوته ومحبته بالقلب ، فإذا صرفه إلى نوع من أنواع البر فقد قرض محبته من قلبه ، فإنه قد فارقه ملكا وأخرجه إلى ملك غيره ، فإذا أعطى وعلى قلبه كراهة الإعطاء وعسره فقد قطعه وبقي هناك شيء فلم يستأصله ، وإذا أعطى وانتظر الخلف والثواب فقد شخصت عيناه إلى محبة شيء هو أعظم من الذي أعطى وإلى ما يدق هذا في جنب ما طمع فيه ، فقد أنهك القطع ، فإذا أعطى لربه فإنما يعطيه عطاء لا يتبع نفسه العطية ولا الخلف منها ولا الثواب عليها ، فإن الله عز وجل ابتلى العباد بما أعطاهم من الدنيا ، ثم سألهم منها بعد إذ ولجت لذة منافعه قلوبهم محنة لسرائرهم ، فمن أسكرته لذة هذه المنافع فإنما أسكرت عقولهم [١/ ١٨٦/ أ] عن الله ، فصارت فتنة عليهم ، فإن أعطى كرها لم تصف عطيته ، وإن أعطى على طمع ثواب أو خلف منها لم تصف عطيته ، وإنما تصفو إذا أعطاه عطاء من كان الشيء عنده بأمانة ، فلو أن رجلا أودع آخر وديعة كان حفظها مؤنة عليه ، ولو استردها اغتنم ذلك منه وتسارع إلى ردها ، ولا يقوى على هذه الخطة إلا أهل الصفوة ، وهم أهل اليقين والمقربون السابقون ؛ لأن الأشياء عندهم عواري وودائع قبلوها عن الله

بقلوبهم وأمسكوها لله على نوائب حقوقه ، قد سقط عن قلوبهم قدر الدنيا وما فيها ، وولجت قلوبهم عظمة الله فدقت الدنيا في أعينهم ، فإذا أعطوا منها شيئا فإنما هي عندهم أمانة خرجوا منها إلى الله في وقت يأتيه الحق ، فهم أمناء ، وخزانه في أرضه أمناء ، فلم يخونوا في شأن أرواحهم ، ينتظرون دعوته متى يجيئهم(١) رسوله الموكل بالأرواح ، فسبحوا بأرواحهم طائرين إليه ، وأقوى اللذات في الدنيا الحياة ، وابن آدم أشد فرحا بها من سائر الأشياء ، فلن يذهب بهذه اللذة منهم إلا وجود لذة لقاء الله ، ولن يذهب بهذا الفرح منه إلا الفرح بلقاء الله ، فمن أجل ذلك سمحوا وجادوا بأرواحهم ، ولم يتلكئوا ولا ترددوا في ذلك ، وخزانه في أرضه قد ماتت شهوات نفوسهم عن جميع حطامها وإمساكها حرصا وعدة ، والدنيا عندهم كما قال رسول الله ﷺ : " إنما مثل الدنيا كمثل راكب يستظل شجرة ثم راح منها " .

وكما فعل أبو بكر رضي الله عنه حيث حثهم رسول الله ﷺ على الصدقة ، فأتى ماله كله ، فقال : " ما تركت لأهلك يا أبا بكر " . قال : الله ورسوله .

فالمستغني بالله لا بالمال هكذا قوله ، وإنما يؤدي بلسانه عما في ضميره ، فمن أعطى العطية وغناؤه بالله لم تشخص عيناه إلى الخلق والثواب ، ولم يكن عليه في وقت الإعطاء عسر ولا كراهة ، فهذه عطية الأولياء ونفقاتهم ، فحث الله العباد على أن يقرضوا قرضا حسنا كقرض الأولياء والأمناء والخزان ، وسائر العطايا إنما هي صدقة وإطعام ونفقة ، فباين هذا سائر العطايا بونا بعيدا .

ومما يحقق ذلك كما ذكر في حديث أبي(٢) الدحداح أنه قال : أرني يدك يا رسول الله . فإنما قال : أرني يدك يا رسول الله ليصفق على يده بالعطاء ؛ لأن الرسول فيما بينه وبين [١/١٨٦/ب] ربه ، ألا ترى إلى قوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [الفتح : ١٠] . فقد بايع الرسول(٣) ، ومن بايع الرسول فقد بايع الله ، ومن أعطى الرسول فقد أعطى الله ، فالرسول ولي الله في الأرض يتولى قبض ما

(١) في (ص) " حببهم " .
(٢) سقط من (ص) " أبي " .
(٣) " فقد بايع الرسول " سقطت من (د) .

يعطى لله حتى يضعه حيث أمره الله ، ثم لما صار إلى الحديقة لم يدخلها ، فأخرج عياله منها وجلا[(١)] عنها وقال : إني أقرضته ربي . فإنما توقى دخولها عندنا - والله أعلم - مخافة أن تتبعه نفسه شيئا مما ذكرنا ، ولم يأمن نفسه ، فاجتنب دخولها ، فلم يكن هذا إلا وفي النفس شيء ، فقال رسول الله ﷺ : " كم من عذق مذلل لأبي الدحداح في الجنة " . فإنما قال رسول الله ﷺ ذلك فيما نرى والله أعلم أن الله ذكر الأبرار في تنزيله ، فوصف أفعالهم وأقوالهم وثوابهم فقال : ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴾ [الإنسان : ٥] ، ثم وصف أفعالهم فقال : ﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا * وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾ [الإنسان : ٧ - ٩] فوصف الله ثوابهم فقال : ﴿ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴾ [الإنسان : ١٤] .

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : " إن الشجرة طولها مسيرة مائة عام ، فتذلل لصاحبها حتى ينال قطف ثمرها على سريره؛ إن شاء قائما ، وإن شاء قاعدا ، وإن شاء مضطجعا ونزلت قطوفها دانية " .

وروي في حديث أن المشركين تعجبوا عند نزول هذه الآية ، فأنزل الله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ [الغاشية : ١٧] . معناه أنهم لا ينظرون إلى قوائم الإبل وأنهم لا يصلون إلى ركوبها ، فقد ذللتها لهم وسخرتها لهم حتى تستنيخ لهم فيحملون عليها ويركبونها ، فقال رسول الله ﷺ : " كم من عذق مذلل لأبي الدحداح في الجنة " . فإن ذكر ثوابه في الجنة من هذا الذي وصف في الآية .

وأما عطية المقربين وصدقاتهم وقرضهم ربهم فقد صار شيئا واحدا لا تمييز فيه؛ لأن قلوبهم في تلك الأفعال لله الواحد القهار في وحدانيته ، يعبدونه ليس على قلوبهم غيره ، وإنما تطير الأشياء ، وذكر النفس على القلب إذا وصل إلى وحدانيته ، فانفرد القلب هناك في خلوته ، فهو [١/ ١٨٧/ أ] الذي قد حيي به ، فذكر الله عطيتهم في تنزيله فقال : ﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ * لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى * ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ * وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى * ٱلَّذِى يُؤْتِى

(١) في (د) " وتخلي " .

مَالَهُمْ يَتَزَكَّىٰ * وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴾ [الليل : ١٤-١٩] . إلى قوله : ﴿ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴾ [الليل : ٢١] . فأخبر أن من يؤتي ماله يتزكى أي يتطهر ، فإن محبته إذا ولج القلب سقم الإيمان ، وإذا سقم الإيمان تدنس القلب ، وإذا تدنس القلب وسخت الجوارح .

ثم قال : ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴾ . أي ليس يعطي لمكافأة ولا لأجر أومنفعة في دنياه .

ثم قال : ﴿ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ ؛ لأن الرب في لغة العرب المالك ، فكل من ملك فهو ربك ، ألا ترى إلى قولة يوسف صلوات الله عليه : ﴿ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ﴾ [يوسف : ٢٣] . يعني به مالكه الذي اشتراه ، وهو عزيز مصر ، فمن ملكته نفسه فهو ربه .

فإنما قيل : الأعلى ؛ لأنه هو المالك الأعلى الذي يملك ولا يملك ، ثم مملك عليه من نفسه والآدميين .

ولذلك قال : ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾ [الأعلى : ١] . وإنما قيل : الأعلى لأن الآدمي قد اتخذ ربا من دونه أي طاعة كأنه مالك له ، وهو قوله تعالى : ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة : ٣١] .

فقال رسول الله ﷺ لعدي بن حاتم الطائي حين سأله عن هذه الآية : " أما إنهم لم يصلوا لهم ولا صاموا ، ولكن أطاعوهم فيما استحلوه مما حرم الله عليهم " .

فالأصل في ذلك أن كل من ملكك في اللغة يسمى ربا ، فقال : ربه يربه فهو راب ، كما يقال : ملكه يملكه فهو مالك ، وإنما هو في الأصل راب ، ثم أسقطوا الألف ليخف فقالوا : رب ، كما قالوا : بار وبر ، فأخبر في قوله : ﴿ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ أي ليس للنفس في هذه العطية نصيب لا من طريق الثواب ولا من الخلف ، إنما يبتغي وجهه فقط ، ثم قال : ﴿ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴾ أي : يبلغ نهاية سبيله ، وقال في آية أخرى : ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة : ٢٦٥] .

وهذا ابتغاء مرضات الله ، وإن محبة المال ضائرة مفسدة للقلب ، واسمه دليل على فعله ؛ لأنه ميال القلوب والنفوس عن الله وعن الدار الآخرة وعن العبودة ، وقد ذكر الله شأن من جمعه في غير موضع فردده فقال : ﴿كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ * نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ * تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ * وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴾ [المعارج : ١٥ - ١٨] . وقال : ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا

جَمًّا * كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴾ [الفجر : ٢٠ - ٢١] الآية .

وقال : [١ / ١٨٧ / ب] ﴿ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ * يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴾ [الهمزة : ٢ - ٣] .

وردد آية النفقات والإطعام في غير آية ؛ لأنه أشد على الإنسان والنفس وأنكد ، فقال : ﴿ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ﴾ [البقرة : ١٧٧] ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ﴾ [الإنسان : ٨] ، وقال : ﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ [آل عمران : ٩٢] . وقد وصف الله الإمساك في تنزيله فقال : ﴿ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴾ [الإسراء : ١٠٠] . فهذا طبع الآدميين ، إلا من اختصه الله فجبله على السخاء ، وهو طبع الأولياء .

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : " ما جبل الله وليا له إلا على السخاء " .

والسخاء هو سماحة النفس وطيبها وسقوط قدر الشيء عنها ، وهو كرم النفس إذا كانت تربتها لينة كما عجنت كان طيبا حرا ، فلما صارت لحما ودما ونفسا كانت كريمة منقادة سلسلة مفقودة الكزازة والصعوبة والفتور ، يخشى الإنفاق حتى تحمله الخشية على منع الحقوق ، فإذا اتقى الله وخاف وعيده عمل فيه الخوف حتى تضعف فيه خشية الإنفاق ، فإذا أنفق أنفق عن جهد وكره .

٦٦٣ـ **حدثنا** نصر بن علي ، قال : حدثنا محمد بن يزيد بن خنيس ، عن عبد العزيز بن أبي رواد ، عن نافع ، عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان إذا أعجبه الشيء أخرج منه إلى الله ، وكانت له سرية ، وكان بها معجبا ، فأعتقها وزوجها بعض مواليه ، فولدت له غلاما ، فكان ابن عمر رضي الله عنه يضم ولدها إلى نفسه ثم يقبله ثم يقول : واها ، إني أجد منك ريح فلانة . يعني جاريته ، وكان راكبا بعيرا له فأعنق فأعجبه سيره فقال : إخ إخ . فنزل ثم قال : يا نافع ، جلله وألحقه بالبدن .

الأصل الثالث عشر والمائة

٦٦٤ـ **حدثنا** محمد بن إسماعيل بن سمرة الأحمسي ، قال : حدثنا موسى بن هلال العبدي ، عن عبد الله العمري ، عن نافع ، عن ابن عمر رضي الله عنهما : قال رسول الله ﷺ : " من زار قبري وجبت له شفاعتي " .

قال أبو عبد الله(١) :

فزيارة قبره ﷺ هجرة المضطرين ، هاجروا إليه فوجدوه مقبوضا فانصرفوا ، فليس بمحقوق أن يجنبوا ، بل يعلم الله نبيه ﷺ [١/١٨٨/أ] ذلك عنهم فيوجب لهم شفاعته ، يقيم حرمة زيارتهم ، فإنما الشفاعة لمن أوبقته ذنوبه ، فأما المتقون الورعون وأهل الاستقامة فقد كفاهم ما قدموا عليه ، فإنما نالوا تقواهم وورعهم برحمة شاملة ، فتلك الرحمة لا تخذلهم في مكان .

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : " شفاعتي للمتلوثين المخلطين المتدنسين ، فأما المتقون فقد كفوا أنفسهم .

وللشفاعة درجات ، كل صنف من أهل الدين يأخذون حظا منها على حياله ، المتقون والورعون والعابدون والزاهدون والأولياء .

وأما شفاعة محمد ﷺ فتلك شفاعة لا تشبه شفاعة غيره من الأنبياء والأولياء؛ لأن شفاعة غيره من الأنبياء والأولياء من الصدق والوفاء والحظوظ ، وشفاعة محمد ﷺ من الجود من بدء القدرة ومن سر القدر ، ألا ترى أنه قال : " إن إبراهيم ﷺ ليرغب إلي يوم القيامة " ، وفي حديث آخر : " قد يحتاج " .

---

(١) غير موجودة في (د) .

الأصل الرابع عشر والمائة

٦٦٥ـ **حدثنا** نصر بن علي ، قال : حدثنا مرحوم بن عبد العزيز العطار ، قال : حدثنا أبو عمران الجوني ، عن عبد الله بن الصامت ، عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله ﷺ : " صل الصلاة لوقتها ؛ فإن أتيت الناس وقد صلوا كنت قد أحرزت ، وإن لم يكونوا صلوا كانت تلك نافلة " .

٦٦٦ـ **حدثنا** أبو الأشعث العجلي ، قال : حدثنا حماد بن زيد ، عن أبي عمران الجوني ، عن عبد الله بن الصامت ، عن أبي ذر رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ بمثله .

قال أبو عبد الله[1] :

فالوقت ممدود ، فكلما صلاها قبل مضي آخرها فهو لوقتها ، وإنما جرى ذكر هذا الأمر أن رسول الله ﷺ أعلم أصحابه بما يكون بعده من الأحداث والفتن حتى قال : " سيكون بعدي أمراء يميتون الصلاة ويصلونها لغير وقتها ، واجعلوا صلاتكم معهم سبحة " . فقد أخبر أنهم يصلون لغير وقتها ، ومن صلاها في أخر[2] وقتها فقد صلاها في وقتها ؛ لأن ذلك الوقت هو وقت للصلاة ، وقد صلاها رسول الله ﷺ في ذلك الوقت .

وقد ظهر شأن هذا الحديث [١/١٨٨/ب] وتأويله في زمن بني أمية .

٦٦٧ـ **حدثنا** محمد بن علي الشقيقي ، قال : أخبرنا أبي ، قال : أخبرنا حمزة اليشكري ، قال : سألني عطاء بن السائب عن أبي مسلم فأخبرته ، فقال : أين يقع هذا من الحجاج؟ كان يخطبنا الحجاج يوم الجمعة ، فلم يزل يخطب حتى غربت الشمس ، ثم نزل فصلى الظهر والعصر والمغرب .

٦٦٨ـ **حدثنا** مؤمل بن هشام اليشكري ، قال : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، عن سوار بن عبد الله ، عن عبد الله ، عن عبد الواحد بن ضمرة[3] قال : قال سالم وهو يحدث

---

(١) غير موجودة في (د) .

(٢) في (ص) " غير " .

(٣) في (د) " إسماعيل بن إبراهيم سوار بن عبد الله عن عبد الواحد بن ضمرة " .

القاسم بن محمد : لما قدم علينا الوليد بن عبد الملك حانت الجمعة فجمع بنا ، فما زال يخطب حتى مضى وقت الجمعة ولم يصل . قال القاسم : فما قمت فصليت؟ قال : لا والله ، خشيت أن يقال : رجل من آل عمر . ثم قال : ثم ما زال يخطب حتى زال وقت العصر ولم يصل . قال : فقال القاسم : فما قمت فصليت ؟ . قال : لا . قال : فما صليت قاعدا؟ قال : لا . قال : فما أومأت؟ قال : لا .

فقول رسول الله ﷺ في حديث أبي ذر رضي الله عنه : " وإن لم يكونوا صلوا كانت لك نافلة " أي : صلاتك التي صليت معهم هي النافلة؛ لأن الفريضة قد مضت .

وقد قال في رواية أخرى : " واجعلوا صلاتكم معهم سبحة " .

٦٦٩ـ حدثنا بذلك علي بن خشرم ، قال : أخبرنا أبو بكر بن عياش[١] ، عن عاصم ، عن زر ابن حبيش ، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " إنكم لعلكم ستدركون أقواما يصلون الصلاة لغير وقتها ، فإن أدركتموهم فصلوا في بيوتكم للوقت الذي تعرفون ، ثم صلوا معهم ، واجعلوها سبحة " .

---

(١) في (ص) " أبو بكر بن عبدوس " .

الأصل الخامس عشر والمائة

٦٧٠ـ حدثنا حسين بن حسين المروزي ، قال : حدثنا ابن المبارك ، عن أسامة بن زيد ، عن نافع ، عن ابن عمر رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ استن ، فأعطى أكبر القوم ، قال : « أمرني جبريل أن أكبر » .

٦٧١ـ حدثنا صالح بن عبد الله ، قال : حدثنا الحكم بن ظهير ، عن زيد بن رفيع قال : دخل على رسول الله ﷺ جبريل وميكائيل وهو يستاك ، فناول رسول الله ﷺ جبريل السواك ، فقال جبريل لمحمد عليهما السلام : كبر . أي ناوله ميكائيل ؛ فإنه أكبر .

٦٧٢ـ حدثنا عمر بن أبي عمر العبدي[1] [١/ ١٨٩/ أ] قال : حدثنا سعيد بن أبي مريم ، عن يحيى بن أيوب وابن لهيعة ، قال : حدثنا ابن الهاد ، عن عبد الله بن كعب ، أن رسول الله ﷺ كان إذا استن أعطى السواك الأكبر ، وإذا شرب أعطى الذي عن يمينه .

قال أبو عبد الله[2] :

فالسواك عن حق الأسنان ؛ لأنه يشد اللثة ويذهب الحفر ، فأكبرهم سنا أقدمهم خروج أسنان ، ومن كان أقدم فهو أحق ، فإنما ينظر إلى الأكبر في السن فيقدم ، فكذلك في الجوارح يبدأ بالأقدم .

وروي عن رسول الله ﷺ في شأن الحاجبين ما يحقق هذا .

٦٧٣ـ حدثنا بذلك عيسى بن أحمد العسقلاني ، قال : حدثنا بقية بن الوليد ، عن أبي توبة النميري قال : حدثني خليد بن دعلج الموصلي ، عن قتادة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا ادهن أحدكم فليبدأ بحاجبيه ؛ فإنه يذهب بالصداع » أو قال : « ينفع من الصداع » .

وإنما ينفع عندنا من الصداع - والله أعلم - أن العقل مسكنه الدماغ ، وتدبيره على القلب ، فهذه كلمة جارية على ألسنة العامة ، يقال : فلان ليس في رأسه دماغ ، وفلان حار الرأس ، فإنما يراد به العقل ، فحرارة الرأس وذكاوة الدماغ من العقل ،

---

(١) في (ص) « عمرو بن أبي عمرو العبدي » وفي (د) « محمد بن أبي عمر العبدي » والمثبت الصواب كما سائر أسانيد الحكيم .

(٢) غير موجودة في (د) .

والعقل يسكن في الدماغ ، ويدبر على القلب ويذكي الفؤاد ، أي يوقده بحره ، فإذا اتبع الحق في كل شيء من أمره فقلبه مستريح ، وإذا اتبع الجهل أتعبه ، فإذا بدأ في الحاجبين بالمشط والدهن فقد أدى حقه؛ لأنه بداية في الخلقة ، فهو أكبر ممن بعده ، فالحق له ، فإذا ضيع الحق في ذلك فقدم المؤخر وأخر المقدم فغير مستنكر أن يهيج الصداع؛ لأن في فعله إتعاب الحق والعقل .

٦٧٤- **حدثنا** عمر بن أبي عمر ، قال : حدثنا محمد بن وهب ، عن بقية ، عن أبي توبة النميري ، عن خليد بن دعلج ، عن قتادة ، عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " إذا ادهن أحدكم فليبدأ بحاجبيه؛ فإنه يذهب الصداع " .

وذلك أول ما نبت على ابن آدم من الشعر ، فكأن رسول الله ﷺ توخى بذلك أن يبدأ من أجل نباته في بطن أمه قبل نبات شعر رأسه ، فإذا قدم شيء في الخلقة فهو مقدم في التدبير عند خالقه ، وصاحبه مطلوب بحفظ ذلك ورعايته ليقدم ما قدمه الله ويؤدي حقه كما يؤدي حق [١/ ١٨٩/ ب] الأكابر .

٦٧٥- **حدثنا** عمر بن أبي عمر ، قال : حدثنا نعيم بن حماد ، عن الوليد بن مسلم ، عن ابن المبارك ، عن خالد الحذاء ، عن عكرمة ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله ﷺ إذا سقى قال : " ابدأ بالأكابر؛ فإن البركة مع أكابركم " .

قال نعيم : كان ابن المبارك يحدثنا به عن خالد عن عكرمة ولا يذكر ابن عباس .

فهذا إذا سقى بدأ بالأكابر ، فأما إذا كان في أنا كبير يديره عليهم ، فالحق للأيمن فالأيمن ، كذلك روي عن رسول الله ﷺ .

٦٧٦- **حدثنا** بذلك قتيبة بن سعيد ، عن مالك بن أنس ، عن أبي حازم ، عن سهل بن سعيد ، عن رسول الله ﷺ .

فقول ابن عباس : كان رسول الله ﷺ إذا سقى قال : " ابدءوا بالأكابر " يدل على أن الأكبر يبدأ به في كل شيء لحق السبق الذي مضى فيه ، وهو يعبد ربه ويوحده ، فهذا في السواك والشراب وكل شيء ، وإذا لم يبدأ به لم يوقروه .

وروي عن رسول الله ﷺ : " ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا " .

وقوله : وإذا شرب أعطى الذي عن يمينه؛ لأن الإناء كان واحدا ، فإذا شرب وقد فضلت فضلة لم يجد بدا من مناولته غيره ، فالحق لليمين ومن على اليمين .

الأصل السادس عشر والمائة

٦٧٧ـ حدثنا سليمان بن أبي هلال وصالح بن عبد الله ، قالا : حدثنا عبد الله بن المبارك ، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد ، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : أخذ رسول الله ﷺ ببعض جسدي فقال : " كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل ، وعد نفسك من أهل القبور " .

٦٧٨ـ حدثنا الحسن بن القزعة البصري ، قال : حدثنا محمد بن عبد الرحمن الطفاوي ، قال : حدثنا الأعمش ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال : " كن في الدنيا كأنك غريب أو كأنك عابر سبيل " .

٦٧٩ـ حدثنا يحيى بن حسان النخعي ، قال : حدثنا الأعمش ، عن مجاهد ، عن ابن عمر رضي الله عنهما ، عن رسول الله ﷺ بمثله مثل حديث ابن المبارك بتمامه .

قال أبو عبد الله(١) :

فالغريب نازع قلبه إلى الوطن ماد عينه إلى أهله ، شاخص أمله [١/ ١٩٠/أ] إلى وقت الارتحال متى ينادى بالرحيل فيرتحل ، فكلما قطع مرحلة خف ظهره وهاج متوقه ، ينتظر نفاد المراحل ونهاية المسافة ، فإذا بلغ آخر مرحلة قلق وضاق ذرعا ، فإذا وقع بصره على وطنه رق ودمعت عيناه فبكى من طول الغربة ومقاساة الوحشة والفجعة ، ثم بكى فرحا بوصوله إلى وطنه ونظره إلى الأحباب والآلاف .

فعلى هذه الصفة دله رسول الله ﷺ أن يكون نازع القلب إلى دار السلام ، مادا عينه إلى عرش الملك الأعلى ، شاخص أمله إلى دعوة السيد المنان ، ينتظر متى يدعى فيطير ، فكلما قطع يوما من عمره خف ظهره من أثقال العمر ، وهاج شوقه ينتظر نفاد الأيام والليالي التي أجلت له ، فإذا بلغ آخر يومه قلق وضاق ذرعا لخوف الخطر الذي ركبه وأنه لا يدري بم يختم له ، فإذا كشف الغطاء عنه وبشر بالسلام والرحمة من العزيز الرحيم ، وأري مكانه من وطنه؛ رق وبكى من طول الغربة ومقاساة جهد النفس ، ثم بكى فرحا بلقائه مولاه ووصوله إليه ، فقال : " كن في الدنيا كأنك

---

(١) غير موجودة في (د) .

غريب أو عابر سبيل " . وهو المسافر ، وكلاهما قريب المعنى ، فالغريب لا يتهنى بعيش ، والغريب وحداني منفرد منكسر القلب ، وإن كان في سعة من العيش ونعمة[(١)] ، والغريب قد فقد عشيرته وأوداه[(٢)] ، وعابر سبيل لا يتوجع لما ينوبه في سفره ، ولا يجزع لما يقاسي من الشدة؛ لأنه يعلم أن سفره منقطع وأنه عابره ، وإن لم يصب منيته وشهوته قنع بما يجد ، ويعظ نفسه ويعزيها ويقول : هذه مراحل قحط وشدة وستقطعها .

وأما قوله : " وعد نفسك من أهل القبور " فهذا قطع الأمل أن يقول ساعة بعد ساعة : الآن يحضرني أمر الله عز وجل ، فيعد نفسه منهم ، لا من الأحياء .

ووجه آخر أن أهل القبور قد انقطعت أطماعهم من الأحياء ، وقطعوا الدنيا ورفعوا بالهم عنها ، فإذا كان بهذه الصفة فقد عد نفسه من أهل القبور ، وقد أمنه الخلق كما أمنه أهل القبور ، وقد أخمد ذكره وأمات شهوته كما خمد أهل القبور وأماتوا شهواتهم من الدنيا وراضوا نفوسهم .

والوجه الأول أشبه بما جاء عن السلف من فعلهم ، فكانوا يبادرون في العمل وتصحيح الأمور مخافة أن يحال بينهم وبين ذلك ، فإن الأمر بغتة قد غيب عن ابن آدم وقت خروجه [١/ ١٩٠/ ب] من الدنيا ، قال الله تبارك اسمه : ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ﴾ [سبأ : ٥٤] . فعقلوا هذا عن الله عز وجل فبادروا .

بلغنا أن عامر بن عبد قيس ناداه رجل من خلفه بشيء وهو يمر مسرعا فيما توجه له ، فقال له عامر : أبادر طي صحيفتي .

وبلغنا أن كرز بن وبرة انتهى إلى قنطرة وعليها زحام ، فنزل عن حماره وقام يصلي وقال : أكره أن يبطل من عمري ساعة ، أو نحوه من الكلام .

وبلغنا أن جعفر بن برقان قيل له : لا تخطب . قال : أكره أن يأتيني رسول ربي وأنا مشتغل .

---

(١) " ونعمة " زيادة من (د) .

(٢) كذا في الأصلين .

وبلغنا أن محمد بن النضر سئل عن الصوم في السفر : المبادرة المبادرة[١] ، فاغتنم .

وبلغنا أن داود الطائي سئل عن الرمي وتعليمه فقال : إنما هي أيامك فاقطعها بما شئت .

---

(١) كذا في (ص) و (ط) ، وغير واضحة في (د) .

الأصل السابع عشر والمائة

٦٨٠ـ حدثنا عمر بن أبي عمر ، قال : حدثنا سعيد بن أبي مريم الجمحي ، قال : حدثنا مسلمة بن علي الحسيني ، قال : حدثني زيد بن واقد ، عن القاسم بن مخيمرة ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " اتخذ الله إبراهيم خليلا ، وموسى كليما نجيا ، واتخذني حبيبا ، ثم قال : وعزتي وجلالي لأوثرن حبيبي على خليلي ونجيي " .

قال أبو عبد الله[1] :

فالخليل من الخلة ، ويقال في اللغة : هذا ثوب خليل إذا ضمه وألزقه به ، من العبادة ونحوها ، فخله بالخلال حتى جمعه إلى نفسه ، فالخليل من الآدمي هو المقرب المضمون الذي قد كشف الغطاء عنه حتى لا يعقل سواه . والنجي من المناجاة ، يقال في اللغة : إذا كانوا مائة ولم يكن فيهم غريب فتحدثوا فهو نجوى ، وإذا كان فيهم غريب فتحدثوا فليس بنجوى ، وإن كان عددهم ثلاثة .

والنجوى السر ، وذلك قول الله تعالى في تنزيله في شأن إخوة يوسف : ﴿ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ﴾ [يوسف : ٨٠] فكانوا ذا عدد ، فلما خلصوا من الناس وتحدثوا فيما بينهم بما يريدون من ذلك الأمر سماه الله نجوى .

والحبيب من حبة القلب ، والحياة في حبة القلب ، فقد أحياه بحياته ، فالأول مضموم كالملزوق ، والثاني مأنوس كالمعروف عنده ، قد ذهبت عنه الغربة والأجنبية ، والثالث حيي به في الحجاب ، فله الأثرة ؛ لأن الحياة عليه أظهر .

---

(١) غير موجودة في (ص) .

الأصل الثامن عشر والمائة [١/١٩١/أ]

٦٨١ـ حدثنا أبو عبد الله محمد بن علي بن الحكيم الترمذي رحمه الله ، قال : حدثنا عمر[(١)] ، قال : حدثنا سعيد بن أبي مريم الجمحي ، قال : حدثنا أبو غسان محمد بن مطرف ، قال : حدثني زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أن رجلا أتى رسول الله ﷺ فسأله أن يعطيه ، فقال رسول الله ﷺ : " ما عندي شيء ، ولكن ابتع علي ، فإذا جاء شيء قضينا " . فقال له عمر رضي الله عنه : هلا[(٢)] أعطيت إذا كان عندك ، فما كلفك الله ما لا تقدر . فكره رسول الله ﷺ قول عمر ، فقال رجل من الأنصار : يا رسول الله ، أنفق ولا تخف من ذي العرش إقلالا . فتبسم رسول الله ﷺ وعرف السرور في وجهه لقول الأنصاري ، ثم قال رسول الله ﷺ : " بذلك أمرت " .

فخوف الإقلال من سوء الظن بالله؛ لأن الله تبارك اسمه خلق الأرض بما فيها لولد آدم ، وقال في تنزيله : ﴿ خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ [البقرة : ٢٩] ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ [الجاثية : ١٣] .

فهذه الأشياء كلها مسخرة للآدمي قطعا لعذره وحجة عليه؛ ليكون له عبدا كما خلقه عبدا ، فبكونه له عبدا يقدم عليه غدا فيحرره من العبودة ويبعثه ملكا إلى داره ، فإن الله تبارك اسمه خلق آدم عبدا وعرض الأمانة فقبلها ، وأخرج ذريته من ظهره حتى أقروا له بالعبودة وقبلوها ، ثم رفعه إلى الجنة فأسكنه فيها وزوجته ، كأنه قال : لما خلقتك بيدي لم أستجز بعد هذه الفضيلة والكرامة أن أتركك على ظهر أرض في خراب وتراب ، ولكن أسكنك داري في جواري فتنعم فيها؛ لأنك صنع يدي ، وقد أسجدت لك ملائكتي ليكون فضلك بارزا ، فإني خلقتك بيدي ، وقلت لهؤلاء : كونوا فكانوا . فحملته الملائكة وزوجته على سرير من ذهب حتى وضعوه في وسط الجنان يعبد ربه ويسبح حول عرشه مع المسبحين ، وقلده الأمانة ، وهي جوارحه ، أن لا يعصي الله بجارحة منها حتى تكون ظواهر كما خلقه ويزداد بهاء ونورا وجمالا

---

(١) في (ص) " عمر بن عمر " .
(٢) في (ص) " هذا " .

بالعبودة ، وسريره بحذاء الشجرة التي من أكل منها خلد فيها ، وكانت الملائكة التي يعطون الخلد فيها تحنك بتلك الشجرة ، فكانت تدعى شجرة الخلد ، فمن حنك منها أمن فخلد فيها ، والخلد هو الطول وليس بالأبد ، وهو قول رسول الله ﷺ : [١/١٩١/ب] " أوتيت مفاتيح الدنيا فخيرت بين الخلد فيها وبين لقاء ربي ، فاخترت لقاء ربي " .

فقد علم رسول الله ﷺ أن الدنيا زائلة ، فذكر الخلد فيها ، وهو المدة ، فقيل لآدم وزوجته : كلا من الجنة رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة ، فإنما كانت عبودته لربه امتناعه من الشجرة فقط ، وسائر ذلك كان عبادة من التسبيح والذكر بلا توقيت ولا أمر مفروض ، فضيع الأمانة وأكل من الشجرة بغير إذن رب الشجرة طلبا للخلد فيها بما غوي من خدعة العدو، وبالحرص على الخلد أظلم قلبه حتى قدر العدو أن يشبه عليه فيقول له : إنك إن أكلت منها بقيت فيها ، وإني لك ناصح ، وأقسم لك بالخالق أني ناصح لك ، ولو انكشفت عنه ظلمة الحرص لاستنار قلبه بأن يقول : كيف أظفر بالخلد وإنما أكلي منها بغير إذن ربها ، أفيتركني فيها بعد أن أخالف إلى ما نهاني عنه .

فقد أجمل الله شأن الحرص في تنزيله فقال : ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر : ٩] .

وإنما توقى ما يعطى من النور ، فإن الشح وهو الحرص في النفس التي هي معدن الشهوة ، والنور في القلب ، والصدر بيت القلب والنفس ، فإذا فار دخان الحرص فأظلم الصدر كان القلب أسيره ، فإذا فار النور وأشرق شعاعه في الصدر ذهبت الظلمة فأبصر ، فانقمع الحرص وسكن فورانه ، ولم يبق للعدو خدعة .

ففي ذلك الوقت ذهبت العصمة من آدم صلوات الله عليه ولم يقوالنور ، وهاجت من النفس شهوة الخلود فيها ، فأتت بظلمة ودخان ، فشبه عليه العدو عندما وجد فرصة فخدعه بالنزهات والهنزات حتى صرعه عن المقام ، ثم ولى هاربا ، فأخرج من الجنة وأهبط إلى الأرض ، فكأنه قيل : إنما خلقناك للعبودة فأسكنتك جواري لتقضي العبودة ، وهي حقي عليك وعلى ولدك ، فإنك كنت ترابا فخلقتك بشرا سويا فنفخت فيك الروح وأعطيتك من الحياة واللذة والشهوة وقرة العين ، أما الروح

فمن أمري ، وأما الحياة فمن حياتي ، وأما اللذة والشهوة فمن قربي لما خلقتك بيدي ، فلك من القربة ما ليس لأحد ، وأما قرة العين فمن معرفتك إياي وإشراق نوري في قلبك حتى قدرت على أن تعرفني بالغيب وأنت [١/ ١٩٢/أ] على ظهر الأرض لا ترى عرشي ولا حجبي ولا سلطاني ، فعظم حقي عليك فيسرت عليك العبودة في دار السرور والنعمة ، فأبيت إلا أن ترجع لعنصرك الذي منه خلقتك ، فارجع إليها فاقض هذه العبودة في دار الفقر والبؤس والتعب . . .[١] والنصب حتى تنقضي المدة ، ثم تاب الله عليه ووعده أن يرده إلى الجنة ردا يكون ثوابا للعبودة فيؤيده فيها دائما يخلد ويؤبد ، فإنك رجوت الخلد فتمنيته من غير رحمة ، فأنا الذي مننت عليك بخلقك ورحمتك ، فمننت عليك بالتوبة فأعطيتك الخلد وأضعاف الخلد وهو الدوام على الأبد حيًّا باقيا في حياتي وديمومتي ملكا في ملكي ، نافذ المشيئة في داري ، ولكن اقض العبودة التي خلقتك لها في دار الضيق والضنك والفقر والبؤس ، وقد كنت اخترت لك داري متعبدا فلم تستقر ولم تدعك نفسك وعدوك حتى صرعاك وأرحلاك عنها ، فالآن فاعبدني حتى تقضي هذه العبودة أنت وولدك ، ثم أحضرك موقفي في يومي فأحررك ومن جاء بالعبودة من ذريتك فأجعلكم ملوكا في داري .

فالمستقيم من رفع باله وهمته عن هذه الشجرة التي له في دنياه ، وكان عظيم همته وباله في إقامة العبودة له والكون له كما خلقه ، فإن رزقه الله ملكا فهو عبد كما كان ، وإن رزقه مالا فكذلك ، وإن رزقه عزا فكذلك ، وإن رزقه قضاء المنى والشهوات ، فكذلك خاشعا له متذللا ملقيا بيديه سلما مراقبا لأموره في السر والعلانية ، منقادا لحكمه ، يعد نفسه عبدا لا يملك شيئا ، وأحواله عواري ، يقلبها وليُّها ساعة فساعة كيف شاء ، ليبث فيها مشيئته ، ويتوقى أن يفكر فيها فتحدث له مشيئة ، ناظرا إلى ما يبرز له من مشيئته في الغيب ، فخوف الإقلال إنما يضمحل عن القلب من وجهين : وجه من حسن الظن بالله أن ربي غني كريم قد استنار في صدره غناه وكرمه ، فإذا

---

(١) كلمة لم استظهر قراءتها .

أنفق لم يخف الإقلال ؛ لأنه يخلف ولا يعوزه شيء ، بمنزلة رجل في دار الدنيا عامل رجلا معروفا بالسخاء وحسن الخلق والغناء ، فإن أهدى هدية سمحت نفسه بذلك رجاء الثواب بأضعاف ذلك لمعرفته بسخاوة نفسه وغناه ، وإذا عرفه بالقلة أو بالضيق [١/ ١٩٢/ ب] والبخل جبن في ذلك ، فهذا وجه .

والوجه الآخر أن يكون رجلا قد ماتت شهواته ، فليس الدنيا من شأنه ولا باله ، فقد اجتزأ باليسير من القوت المقيم لمهجته ، ثم قد انقطعت مشيئته لنفسه ولعباد الله ، ينظر إلى تدبير الله ومشيئته فيهم ، فهذا يعطي من يسره وعسره فلا يخاف إقلالا ؛ لأنه قد رفع باله عن جميع ذلك وانقطعت مشيئته فيهم ، وإنما يخاف الإقلال من له مشيئة في الأشياء ، فإذا أعطى اليوم وله غدا مشيئة في شيء خاف أن لا يصيب غدا فيضيق عليه الأمر في نفقته اليوم لمخافة إقلاله غدا .

٦٨٢ـ **حدثنا** عبد الجبار ، قال : حدثنا سفيان ، قال : حدثنا أبو الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ قال : " قال الله تعالى : سبقت رحمتي غضبي ، يا ابن آدم ، أنفق أنفق عليك ، يمين الله ملأى سحاء[1] لا يغيضها شيء بالليل والنهار " .

٦٨٣ـ **حدثنا** محمد بن عمر بن الوليد الكندي ، قال : حدثنا مفضل بن صالح ، عن الأعمش ، عن طلحة اليامي ، عن مسروق ، عن عائشة رضي الله عنها ، أن رسول الله ﷺ قال : " أطعمنا يا بلال " . قال : ما عندي إلا صبر من تمر قد خبأته لك . قال : " أما تخشى أن يخسف الله به نار جهنم؟ أنفق يا بلال ولا تخش من ذي العرش إقلالا " .

٦٨٤ـ **حدثنا** محمد ، قال : حدثنا أبو غسان ، عن قيس ، عن أبي حصين ، عن يحيى بن وثاب ، عن مسروق ، عن رسول الله ﷺ بمثله .

٦٨٥ـ **حدثنا** عمر بن أبي عمر العبدي ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن سلام الجمحي ، عن عيسى بن يونس ، عن وائل بن داود ، عن النخعي ، عن الزبير بن العوام قال : جئت حتى جلست بين يدي رسول الله ﷺ ، فأخذ بطرف عمامتي من ورائي ، ثم قال : " يا زبير ، إني رسول الله إليك خاصة ، وإلى الناس عامة ، أتدرون ماذا قال ربكم؟ " .

---

(١) في الأصل : " سخاء " .

قلت : الله ورسوله أعلم . قال : " قال ربكم حين استوى على عرشه ونظر إلى خلقه : عبادي ، أنتم خلقي وأنا ربكم ، أرزاقكم بيدي ، فلا تتعبوا فيما تكلفت لكم ، فاطلبوا مني أرزاقكم وإلي فارفعوا حوائجكم ، انصبوا إلى أنفسكم أَصُبَّ عليكم أرزاقكم ، تدرون ماذا قال ربكم؟ قال الله تبارك وتعالى : عبدي ، أَنْفِق أُنْفِق ، وأَوْسِع أُوسِع عليك ، ولا تضيق [١/ ١٩٣/ أ] فأضيق عليك ، ولا تصر فأصر عليك ، ولا تخزن فأخزن عليك ، إن باب الرزق مفتوح من فوق سبع سماوات متواصل إلى العرش ، لا يغلق في ليل ولا نهار ، ينزل الله منه الرزق على كل امرئ بقدر نيته وعطيته وصدقته ونفقته ، من أكثر أكثر له ، ومن أقل أقل له ، ومن أمسك أمسك عليه .

يا زبير ، فكل واطعم ، ولا توكي فيُوكَى عليك ، ولا تحصي فيُحْصَى عليك ، ولا تقتر فيقتر عليك ، ولا تعسر فيعسر عليك .

يا زبير ، إن الله يحب الإنفاق ويبغض الإقتار ، وإن السخاء من اليقين ، والبخل من الشك ، فلا يدخل النار من أيقن ، ولا يدخل الجنة من شك .

يا زبير ، إن الله يحب السخاء ولو بفلق تمرة ، والشجاعة ولو بقتل عقرب أو حية .

يا زبير ، إن الله يحب الصبر عند زلزلة الزلازل ، واليقين النافذ عند مجيء الشهوات ، والعقل الكامل عند نزول الشبهات ، والورع الصادق عند الحرام والخبيثات .

يا زبير ، عظِّم الإخوان ، وجلل الأبرار ، ووقر الأخيار ، وصل الجار ، ولا تماش الفجار والأشرار ، وادخل الجنة بغير حساب ولا عذاب .

هذه وصية الله إلي ووصيتي إليك يا زبير بن العوام " .

الأصل التاسع عشر والمائة

٦٨٦ـ حدثنا عمر بن أبي عمر ، قال : حدثنا سليمان بن شرحبيل الدمشقي ، قال : حدثنا بشر بن عون ، قال : حدثنا بكار بن تميم القرشي ، عن مكحول ، عن واثلة بن الأسقع قال : قال رسول الله ﷺ : " يبعث الله عبدا يوم القيامة لا ذنب له فيقول له : بأي الأمرين أحب إليك أجزيك : بعملك أم بنعمتي عليك؟ قال : رب أنت تعلم أني لم أعصك . قال : خذوا عبدي بنعمة من نعمتي . فما بقي له حسنة إلا استفرغتها تلك النعمة ، فيقول : رب ، بنعمتك ورحمتك . قال : يقول : بنعمتي ورحمتي .

ويؤتى بعبد محسن في نفسه ، لا يرى أن له سيئة فيقال له : هل كنت توالي أوليائي؟ قال : يا رب ، كنت من الناس سلما . قال : هل كنت تعادي أعدائي؟ قال : يا رب ، لم أكن أحب أن يكون بيني وبين أحد شيء . قال : يقول الله تبارك وتعالى : وعزتي لا ينال رحمتي من لم يوال أوليائي ويعادي أعدائي "(١) . فالأول عبد غافل عن ربه متيقظ لآخرته سكت(٢) على نفسه ، يحب أن يلقى الله بالصدق من نفسه ، فيقتضي الثواب منه على صدقه ، قد خفي عليه [١/ ١٩٣/ ب] شأن المنة والنعمة ، عاش حافظا لأموره ، مادا عينه إلى ثوابه ، فإذا لقيه كان الذي قد توطنه في الدنيا من ذلك وعامل الله به هو الذي نطق به لسانه فسنح له الحق متبريا يقتضيه شكر النعمة ، فأخذه بأصغرها فاستفرغت عمله ، فعندها انكشف له الغطاء عن شأن المنة والنعمة ، وقدرهما ، وهذا عبد لم يفقه .

وكذلك ما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : " ما عبد الله بمثل التفقه " .

وروي عنه ﷺ أنه قال : " من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين " .

وقال : " لو كان جريج الراهب فقيها عالما لعلم أن إجابته أمه خير(٣) من عبادة ربه " .

---

(١) ذكره المتقي الهندي في كنز العمال (٤/ ٤٤٣) وعزاه إلي الطبراني والحكيم ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٣٤٩) فيه بشر بن عون وهومتهم بالوضع ، وقلت وبكار بن تميم مثله ، رواي نسخة عن مكحول عن واثلة كلها موضوعة .

(٢) هكذا استظرت قراءتها .

(٣) سقطت من " ص " خير " .

فالذي فقه حلت به أثقال المنة والنعمة(١) فهو يستقلها(٢) بالله كالجبال الرواسي على كتفه ، يظن أن لو كان له عبادة الثقلين عمر الدنيا لوازنته أصغر نعمة من نعم الله . وقد حار أقوام هذه الخطة من أوليائه وأصفيائه حتى حلت بهم من أثقال المعرفة ما لا يتفرغون لأثقال المنة والنعمة ، فكان على أكتافهم السماوات والأرض بمن فيها من خلقه ، فهم يستقلونها بالله ، فلو أن عمر الدنيا لهم عبادة الثقلين لم يلحظوا إليها أنهم عملوا شيئا ، وقد جاز أقوام من أوليائه هذه الخطة حتى حلت بهم من أثقال قربه في وحدانيته ، فانفردوا به ، فهم أهل البهتة الذي بهتوا غرقا في وحدانيته ، ثم حييوا به فخرجوا من البهتة بحياته ، فهم المحدثون ، صرنا إلى تأويل الحديث الذي روي عن رسول الله ﷺ .

فالعبد الأول ما وصفنا من الغفلة عنه والتيقظ لآخرته ، والعبد الثاني عبد راعى أحواله عاجز عن رعاية الحق ، فمن رعى نفسه فإنما عمله حفظ جوارحه وأداء فرائضه ، فإذا هو قد أتى بما أمر به ولم يرع الحق ، وإنما به نجاة نفسه ، وقد علم أن النجاة في الائتمار بأمره والتناهي عن نهيه ، ففعل ، فإنما رعى نفسه كي لا يهلك ، فلها والى ولها اهتم ، فلذلك صار من الناس سلما ، فلم يوال له وليا ولم يعاد له عدوا ، فالراعي لحقه انكشف له الغطاء عن جلاله وعظمته ، فاشتغلت الحرقات في جوفه حبا له وشغوفا به ، وعادى أعداءه موافقة له ، ولو كان على غير هذه الصفة [١/ ١٩٤/ أ] لكان مستحيل أن يكون لله وليا ، وذلك موجود في الدنيا أن الذي يحل من قلبك محلا به ترى الدنيا ، فكل من والاه فأنت له ولي ، وكل من عاداه فأنت له عدو ، ويهيج حبك له أن تحب من أحبه وتعادي من عاداه ، ومحال غير هذه الصفة فيك ، فكيف بالذي به تقوم وتقعد وتتنفس ، وقد سبى قلبك وهو رب العالمين ، أليس يستحيل أن يوالي إلا فيه ولا يعادي إلا فيه ، ولا يبغض إلا فيه ، وهذا من بلوغ العبد ذرى الإيمان .

۞ ۞ ۞ ۞

---

(١) كذا في (ص) " حلت بدايتان ،قال أبو عبد الله : المنة والنعمة " .
(٢) في (د) " يستقبلها " .

الأصل العشرون والمائة

٦٨٧ـ **حدثنا** عمر ، قال : حدثنا محمد بن حميد الرازي ، قال : حدثنا علي بن أبي بكر ، قال : حدثنا جراح الكندي ، عن أبي آسية ، عن ابن عكيم ، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : علمني رسول الله ﷺ فقال : " قل : اللهم اجعل علانيتي صالحة ، واجعل سريرتي خيرا من علانيتي ، اللهم إني أسألك من صالح ما تؤتي الناس من المال والولد غير الضال ولا المضل " .

قال أبو عبد الله[١] :

فالعلانية الصالحة مرضات الله من العمل الائتمار بأمر الله والتناهي عن نهيه ، والسريرة التي هي خير من العلانية تعظيم أمره ونهيه ، والوقوف عند حكمه ، وترك الاختيار في جميع أحواله وموافقته في مشيئته حتى لا يحب إلا ما يحب ، ولا يكره إلا ما يكره ، ولا يريد إلا ما يريد ، ويعمل أموره به وله .

وقوله : " أسألك من صالح ما تؤتي الناس " فقد يؤتي الله الناس ما يصير عليهم وبالا ، ويؤتي ما يبارك لهم فيه ، فما بورك لهم فيه فهو صالح ما يؤتي ، وما نزعت منه البركة فهو الفاسد ، فإذا رزقت مالا وولدا فهم كلهم لك عون على ما أنت بسبيله إذا بورك لك فيهم ، فليس واحد منهم ضال ولا مضل ، والذي ينزع البركة منه من مال أو ولد فهو ضال بنفسه ومضل لك .

---

(١) غير موجودة في (د)

الأصل الحادي والعشرون والمائة

٦٨٨ـ حدثنا عمر بن أبي عمر ، قال : حدثنا محمد بن عمرو[١] السويقي ، عن خالد بن عبد الله[٢] بن سعيد بن العاص ، قال : حدثنا بشر بن عبد الله ، عن عمر بن عبد العزيز ، عن بشر بن حيان ، عن مكحول ، عن واثلة بن الأسقع قال : قال رسول الله ﷺ : " من بادر العاطس بالحمد لم يضره شيء من داء البطن " .

فالعطاس تنفس الروح وسطوعه إلى الملكوت حنينا إلى قرب الله ؛ لأنه من عنده جاء ، فمن لطف الله لعبده استقر الروح [١/ ١٩٤/ ب] في جوار الآدمي وتمكن فيه ، وهو شيء لطيف طاهر طيب ملكوتي ، مكن له في لحم ودم أصله من تراب ، مع ذلك مجاور للشهوات والهوى والوسواس والشياطين في موطن واحد ، وأمر بالقرار فيه فاستقر ، فهذا من لطف ربنا لعبده ولكرامته إياه ، ولولا الروح لم ينتفع بهذه الجوارح ، وقد قال : ﴿ وَلَقَدْ[٣] كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء : ٧٠] .

فذكر عن ابن بريدة[٤] عن رسول الله ﷺ أن الأرواح هي للملائكة والآدميين والجن ، والأنفاس للدواب .

وذكر عن وهب بن منبه قال : للدواب أنفس ، والنفس حارة ، وجعل لابن آدم النفس ، وهي حارة ، وفضل بالروح ، وهي باردة . فإذا قال يف فذاك من برد الروح؛ لأنه من الرأس يجيء ، وإذا قال : هه . فذاك من حر النفس .

وإنما يوجد مثل هذا الوصف في التورية ، وذلك أنه وصف فيها خلق الإنسان وهيئته ، ويقال : إن الروح في الرأس ، ثم هو بعد كالسربال في الجسد ، ألا ترى إلى قوله : ﴿ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ [الأنفال : ١٢] .

---

(١) في (ص) " محمد بن عمر " .

(٢) في (د) " عبيد الله " .

(٣) في (ص) " وقد " .

(٤) في (د) " بريدة " .

فإنما دل على مستقر الروح فهناك المقتل ، ودل على البنان كي يصير زمنا ينقطع ضرره عن الدين وأهله ، فإذا عطس المؤمن فإنما ذلك وقت ذكر الله لعبده وتقوية الروح بما وقع فيه من الضيق ، فإذا خلص إلى الروح ازدهر وتاق إلى موطنه ، فتلك الضجة منها ، والعبد إذا رأى عظيم صنع الله في جسده فحمده على صنعه وكرامته إياه بالروح ، فالمبادر بالحمد أفهمهم لذلك .

ألا ترى إلى آدم صلوات الله عليه أنه لما عطس بادر بالحمد ، فقال له الله : رحمك ربك ، سبقت رحمتي غضبي .

وكذلك المؤمن المنتبه لما عطس وحمد فبورك عليه ، فإذا سمع عاطسا سبقه إلى الحمد؛ لأنه رأى عظيم صنع الله فيه ، فاستوجب بذلك البركة ، وهو القرب والعطف من الله ، فإذا بورك فيه وقى داء البطن ، وداء البطن هووجع الخاصرة ، وكذلك روي في بعض الأحاديث ، وقى وجع الخاصرة والمكر في الكليتين وسوء السرائر هناك فذاك داء البطن ووجع [١/ ١٩٥/ أ] الخاصرة ، فإذا كان سابقا بالحمد كان منتبها وكان صدره مستنيرا ، وكذلك جوفه ، فلم يعمل فيه سببا .

وروي عن الله تبارك اسمه أنه قال لسليمان : إن سمعت عاطسا من وراء سبعة أبحر فاذكرني .

٦٨٩ـ **حدثنا** بذلك عمر بن أبي عمر ، قال . حدثنا يوسف الصفار ، قال : حدثنا محمد بن طلحة التيمي ، عن إسحاق بن يحيى ، عن عمه موسى بن طلحة ، قال : أوحى الله تبارك وتعالى إلى سليمان عليه السلام : إن عطس عاطس من وراء سبعة أبحر فاذكرني .

ولذلك قال رسول الله ﷺ فيما روي عنه : " حق المسلم على المسلم ست خصال " . فكان إحداهن إذا عطس أن يشمته .

فإنما وجب له ذلك بما ظهر للعبد من الحال عند ربه ، فالتشميت تحية له ، فإذا لم يهنه فقد استهان به ، ومن استهان بأمر الله أهانه الله .

الأصل الثاني والعشرون والمائة

٦٩٠ـ حدثنا الفضل بن محمد، قال: حدثنا هشام بن عبد الملك الحمصي، قال: حدثنا بقية بن الوليد[1]، قال: حدثني ثور بن يزيد[2] عن خالد بن معدان[3]، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أطيب الكسب كسب التجار[4] الذين إذا حدثوا لم يكذبوا، وإذا ائتمنوا لم يخونوا، وإذا كان عليهم لم يمطلوا، وإذا كان لهم لم يعسروا»[5].

فهذه خصال الحافظين لحدود الله الذين قد أخذ الله عليهم في البيعة وأعطاهم الجنة أثمان أنفسهم، ولا يقدر على الوفاء بها إلا من وثق بضمان الرزق في شأن الرزق، وسقط عن قلبه خوفه، وسكنت نفسه ودرس عن قلبه محبة الرزق من أين وكيف، وعندها يستحق اسم التقوى، فقد ذكره في تنزيله فقال: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۞ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٣].

فبالتقوى يصير رزقه من غير محسبه، فعندها يعلم أنه متق، فإذا سقطت المحسبة من قلبه قال له قائل: ما المحسبة؟ قال: مظان الرزق ومعادنه وأسبابه، ألا ترى كيف افتتن هذا الخلق بذلك فتراهم قد تعلقت قلوبهم بها حتى يعصي الله من أجل سبب لا يدري فيه رزقه أم لا، قال له القائل: مثل ماذا؟ قال: اذكر خصلة واحدة [١/ ١٩٥/ ب] ثم اعرف سائرها بها، رجل اشترى سلعة فخان فيها أو مدح بما ليس فيه فكذب، هل فعل ذلك إلا لفتنة قلبه[6] وأنه يحسب أن ذلك رزقه ومعيشته وله

---

(١) في (ص) «بقيه بن عبد الوليد».

(٢) في (ص) «ثور بن».

(٣) في (ص) «سعدان».

(٤) في (ص) «التجارة».

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في العلل (١/ ٣٨٥) من طريق أبو تقي هشام بن عبد الملك، وقال: قال أبي: هذا حديث باطل، ولم يضبط أبو تقي، عن بقية، وكان بقية لا يذكر الخبر في مثل هذا.

(٦) «قلبه» سقطت من (ص).

فيه منفعة ، فكم من مغرور بمثل هذا حتى يبعث بالموت وقد عري عن منفعته ، وقد خدعه شيطانه وأماني نفسه ، فيصير مهناة لوارثه والوبال عليه .

فلو سقط عن قلبه محسبة معاشه ورزقه وعلم أن المنافع والأرزاق والمعاش بيد الله يخرج من مشيئة الغيب فيجريها بالأسباب لم يفتتن بالأسباب ، وكان قلبه مراقبا لما يصنع مولاه وعينه مادة إلى ما يختار له ، ثم لا تتهمه إن أتاه غير ما تحب نفسه .

٦٩١ـ **حدثنا** الفضل بن محمد ، قال : حدثنا محمود بن خالد الدمشقي ، قال : حدثنا مروان بن محمد ، قال : حدثنا ابن لهيعة ، قال : حدثنا الحارث بن يزيد ، عن علي بن رباح ، عن جنادة[1] بن أبي أمية ، قال : سمعت عبادة بن الصامت رضي الله عنه يقول : سمعت رسول الله ﷺ يسأله رجل : أي الأعمال أفضل؟ قال : " إيمان بالله وجهاد في سبيله " . قال : يا رسول الله ، أريد أيسر من ذلك . قال : " السماحة والصبر " . قال : يا رسول الله ، أريد أيسر من ذلك . قال : " لا تتهم الله في شيء قضى به لك " .

٦٩٢ـ **حدثنا** أبي رحمه الله ، قال : حدثنا الحسن بن سوار البغوي ، قال : حدثنا موسى بن علي بن رباح ، عن أبيه ، عن رسول الله ﷺ بمثله .

فالساقط عن قلبه محسبة الرزق من أين وكيف ومتى يؤتى برزقه عفوا صفوا وتقواه معه وعلى رزقه طابع الإيمان ، فهنيئا له وإن لم يتهن به .

هذه الطبقة فمن[2] والمتعلق بأسباب الرزق قلبه جوال ونفسه خاشعة ، فإن يدركه عصمة الله فهو كالهمج في المزابل ، يطير من زبل إلى زبل حتى يجمع أوساخ الدنيا ومزابلها ، ثم يخلفها وراء ظهره ، وينزع قابض الأرواح مخالبه التي اجتذب للقبض على حطام الدنيا ، ويلقى الله بإيمان سقيم قد دنسه ووسخه ، فكأنه يقول له في وقفته بين يديه : عبدي ، من كنت تعرف لنفسك ربا وإلها؟ فيقول : إياك عرفت يا إلهي وبك آمنت . فكأنه يقول له : فمن معرفتك إياي وإيمانك بي كان يحل [١/ ١٩٦/أ] بك من خوف فوت الرزق والمعاش ما كنت مطلعا عليه حتى حملك الخوف على أن عصيتني بأنواع المعصية في سببه شككت في ضماني أم اتهمتني أم

(١) في (ص) " حبان " .
(٢) كذا في الأصلين .

أسأت بي الظن ، فمن فتح له طريق الهداية إلى الله وعرف ربه معرفة الموقنين سقط عن قلبه همة الرزق وفكره ومحبوبه ولها عنه ، وشغله عن ذلك خوف جلاله وعظمته وكفي مؤنته ، ومن لم يفتح له طريق الهداية إلى الله وعرف ربه معرفة الموحدين تعب قلبه بما يرد عليه من المخاوف ونصب له لما يتعاوره ظنون السوء بالله ، وكَلّ بدنه في السعي يهرول خلف زانية لا تمنع يد لامس تتزين وتتشوق ، حتى إذا سبت قلبا ولت هاربة ، والمسيء على إثرها كالواله ، وهذا جزاء من أعرض عن الله وعن إحسانه ومننه وأياديه ، وهل نجازي إلا الكفور ، مكبا على جميع الحطام مكتسبا مقتبسا أوساخها وأدناسها من بين شبهة وحرام وحلال ، قد عصى الله في حبيبه عددا لا يحصيه ، وحقوق الله قد منعت أهلها ، يجمع قماش المكاسب ورديئها وينفقها في شهواته ومناه على مهواه مضيعا لحدود الله فيها ، مسرفا بطرا ، فهم المطرودون عن باب الله ، خوف الرزق على قلوبهم أمثال الجبال ، يأخذون الدنيا على غفلة ويخزنونها على التهمة وينفقونها في التهمة ، ولا يذكر أن أمامه النار وصراطا دقيقا ، إنما دقت من أجله ولمثله ، وعرض على مالك الملوك في هول عظيم وسؤال ، ونسي وعيده الذي قدمه إليه ﴿كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ * نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ * تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ * وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ﴾ [المعارج : ١٥ - ١٨] ، ﴿كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ * وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ * وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا * وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا * كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا * وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا * وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ (١) لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ * يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى * فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ * وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ﴾ [الفجر : ١٧ - ٢٦] .

ثم ذكر من كان بهذه الصفة فقال : ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ * ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى * وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ [الفجر : ٢٧-٣٠] . فإنما يقال هذا للنفس المرضية ورضيت عن الله تبارك وتعالى فرضي الله عنها قنعت بما أعطيت في الدنيا ولم يرفع(٢) بما سواها

---

(١) في (ص) بدون " واو" .

(٢) غير واضحة في (ص) ، وهو ما استظهرت قراءته في (د) .

راشا[١] ورضيت في [١/١٩٦/ب] الأحوال بتدبير الله جل ذكره وحكمه .

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : من انقطع إلى الله كفاه الله مؤنته ورزقه من حيث لا يحتسب .

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : " التاجر الصدوق مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين " .

فإنما لحق بدرجتهم لأنه قد احتظى بقلبه من النبوة والصديقية والشهادة ، فالنبوة انكشاف الغطاء ، والصديقية استواء[٢] سريرة القلب بعلانية الأركان ، والشهادة احتساب المرء بنفسه على الله ، فيكون عنده في حد الأمانة في جميع ما وضع عنده من الجسد والروح والمال والأهل[٣] والولد ، لا يخونه في ذلك ، وهو أن لا يتلكأ في رده إذا استرد منه .

٦٩٣ـ **حدثنا** صالح بن عبد الله ، قال : حدثنا محمد بن الحسن القرشي ، عن خصيب بن جحدر ، عن أبي غالب الصدي ، قال : سمعت أبا أمامة الصدي بن عجلان يقول : إذا سلم التاجر من أكل الحرام والربا والدين والحلف والكذب والمدحة وكتمان العيب فهو التاجر الصدوق ، فليشتر وليبع .

٦٩٤ـ **حدثنا** يعقوب بن شيبة ، قال : حدثني إبراهيم بن بشار الرمادي[٤] ، قال : حدثني يعلى بن شبيب المكي ، قال : حدثنا عبد الله بن عثمان بن خيثم ، قال : سمعت قيلة أخت بني أنمار قالت : كنت امرأة أشتري وأبيع في السوق ، فقدم رسول الله ﷺ مكة فأتيته وهو عند المروة فقلت : يا رسول الله ، إني امرأة أشتري وأبيع في السوق فيأتيني الرجل يريد أن يشتري مني الشيء فأستام عليه بأكثر مما أريد أن أبيعه فلا أنقص ، وأنقص حتى أبيعه بالذي أريد ، وكذلك في الشراء . قال : " فلا تفعلي هكذا يا قيلة ، إذا أردت أن تبيعي شيئا فاستامي به الذي تريدين أن تبيعيه أعطيت أومنعت ، وإذا أردت

---

(١) غير واضحة في (ص) ، وهو ما استظهرت قراءته في (د) .

(٢) في (ص) " واستواء " .

(٣) في (ص) " والأول " .

(٤) في (ص) " إبراهيم بن سيار الزبادي " .

أن تشتري شيئا فسومي بالذي تريدين أن تشتريه[١] به أعطيت أو منعت» .

٦٩٥ـ حدثنا أبي رحمه الله ، قال : حدثنا أحمد بن يونس ، عن محمد بن طلحة بن مصرف ، عن محمد بن جحادة قال : كان زاذان يبيع الكرابيس ، وكان يسوم سومة واحدة ، فكان إذا جاء المشتري ناوله شر الطرفين ذكرت أنفس من لم يفتح له طريق الهداية وعرف [١/١٩٧/أ] ربه معرفة الموحدين ، فما معناك فيه؟ فقال : إن طريق الهداية إلى صراط مستقيم للعامة ، وطريق الهداية إلى الله لأنبيائه وأوليائه ، فأولئك أهل مجاهدة ، والأنبياء والأولياء أهل يقين وروح وراحة ، فقد استراحوا من المجاهدة؛ لأن النفس قد ذلت وماتت شهواتها برياضتهم أنفسهم ، جاهدوها فهداهم الله وأعطاهم اليقين ، فتلك معرفة الموحدين ، وهذه معرفة الموقنين ، وكلاهما[٢] معرفة واحدة إلا أن هذه معرفة منورة بنور اليقين ، يستحي من جلاله وعظمته أن يعصيه ، والذي ليس له نور اليقين لا يأخذه الحياء حتى يعصمه من المعصية ، وهم المخلطون .

---

(١) في (ص) «تشترينه» .

(٢) في (ص) «وكليهما» .

الأصل الثالث والعشرون والمائة

٦٩٦ـ حدثنا الفضل بن محمد ، قال : حدثنا إبراهيم بن محمد بن يوسف الفاريابي ، قال : حدثنا عبد المجيد بن عبيد ، عن حماد بن عمرو ، عن زيد بن رفيع(١) ، عن سهل من ولد أبي موسى ، عن أبيه ، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " من استمع إلى صوت غناء لم يؤذن له أن يستمع الروحانيين في الجنة " . فقيل : وما الروحانيون يا رسول الله؟ قال : " قراء أهل الجنة "(٢) .

يدل هذا الحديث على أن في الجنة لهم أئمة كالأمراء وعرفاء وقواد .

فالأئمة هم الأنبياء ، إذا صاروا إلى الله فهم أئمة القوم والسابقون إليه .

وأما العرفاء

٦٩٧ـ فحدثنا الفضل ، قال : حدثنا إبراهيم بن محمد بن يوسف ، قال : حدثنا محمد بن عبد الرحمن القشيري ، قال : حدثنا ثور بن يزيد ، عن خالد بن معدان ، عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " أهل القرآن عرفاء أهل الجنة " .

فالعريف من تحت يدي الأمير ، له شعبة من السلطان ، فالعرافة هناك لأهل القرآن ، وأهل القرآن الذين عرفوا به ههنا تلاوة وعملا به .

وأما القراء فيلذذون أهل الجنة بما يعطون من الأصوات ، وإنما سموا روحا للروح الذي على قلوبهم ، والروح من فرحهم بالله أيام الدنيا ، وكل أحد في الجنة فحظه من الله على درجته في الدنيا ، فالصنف الذين كانوا في الدنيا إنما يفرحون بالعطاء مع نفوسهم ، فهم كذلك في الجنة ، فرحهم بما يعطون في الجنة ، فبه يتلذذون وبه يفرحون .

---

(١) في (د) " زيد بن ربيع " .

(٢) ذكره السيوطي في الجامع الصغير وعزاه للحكيم ورمز له بالضعف ، وقال المناوي في فيض القدير (٦/ ٦٠) : قال القرطبي : قيل إن حرمانه سماع الروحانيين إنما هو في الوقت الذي يعذب فيه في النار ، فإن خرج بالشفاعة أو الرحمة العامة المعبر عنها في الحديث بالقبضة أدخل الجنة ولم يحرم شيئا ، ويجري مثله في حرمان الحرير والخمر والذهب والفضة لمستعملها في الدنيا .

والصنف الذين كانوا في الدنيا [١/١٩٧/ب] يفرحون بالله فهم كذلك في الجنة فرحهم بالله ، لقد دقت الجنة عندهم في جنب فرحهم بالله ، أولئك الصديقون أولياء الرحمن ، فاحسب أن الروح الذي على قلوبهم شهرتهم وحسن أصواتهم في الجنة حتى يطربوا ويلذذوا أهل الجنان بفضل ذلك على قلوبهم ، ويسمون الروحانيين ، وهم المقربون وأهل اليقين ، ووجدنا هذه الطبقة على ثلاثة أصناف ، فصنف منهم الروح على قلوبهم والفرح به غالب عليهم ، وصنف منهم الهول على قلوبهم والأحزان غالب عليهم ، وقد نجد لهذين الصنفين مثالا في مقربي الملائكة عنده ، فصنف من الملائكة المقربين روحانيون ، وصنف كروبيون ، أولئك أهل روح وهؤلاء أهل كرب ، أولئك من شأنهم التسبيح والتحميد والتقديس ، وهؤلاء من شأنهم البكاء ، وإنما يأخذ كل أحد بما أعطي ، وينظر إلى ما وضع بين يديه وكشف عنه وفتح له من الغيب ، فأهل الروح والفرح به من الآدميين والملائكة فتح لهم من جماله وبهائه فانبسطوا ، وملكهم الفرح به ، وأهل الأحزان والكرب من الآدميين والملائكة فتح لهم من جلاله وعظمته فاكتأبوا وملكهم الكرب ، ويقولون في تسبيحهم : سبحانك ، ما لم تبلغه قلوبنا من خشيتك فاغفره لنا يوم نقمتك من أعدائك ، فذلك قولهم هذا أن كربهم وأحزانهم من رؤية التقصير .

والروحانيون قد شغلهم جماله عن الالتفات إلى أنفسهم وأعمالهم ، فإذا ذكروها لم تدعهم رؤية جماله أن يحسنوا الظن به ، فحسن الظن به غالب على رؤية التقصير ، فالفرح لهم به دائم والروح على قلوبهم مترادف .

وصنف ثالث أعلى من هذين الصنفين قد أجازوا هذين الحظين إلى وحدانيته فانفردوا به ، فشغلهم وحدانيته عن الجلال والجمال ، فهم أمناء الله وأعلامه في أرضه وقواد دينه ، وهم الكبراء الذين قال رسول الله ﷺ لأبي جحيفة : " جالس الكبراء ، وسائل العلماء ، وخالل الحكماء " . فالكبراء الذين تكبروا في عظمة الله وجلاله واعتزوا به ، فهم بدوله .

والفرح على ثلاثة أضرب :

فرح بهذه الدنيا الزائلة الدنية ، فقد خسر أهله ، فهذا فرح الظالمين ، قال الله [١/١٩٨/أ] تبارك اسمه : ﴿ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا مَتَـٰعٌ ﴾ [الرعد : ٢٦] .

وفي قصة قارون : ﴿ لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴾ [القصص : ٧٦] . وفرح بفضل الله ورحمته ﴿ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس : ٥٨] .

فهذا فرح المقتصدين الشاكرين ، وفرح بالله حيث انتبهوا أنه ربهم في عظمته وجلاله وجماله ومجده وكبريائه ، وملكه وغناه وكرمه ، فهذا فرح المقربين ، فلو أن عبدا كان لرجل قروى حراث ، أو جبلي غراس ، فانتقل ملكه إلى سيد سوقي تاجر لرفع به رأسا وفخر به ، ثم انتقل ملكه إلى أمير من الأمراء لرفع به رأسا وفخر به وصال به على الناس ، ثم لو انتقل ملكه حتى صار لأمير المؤمنين لتكبر أن يكلم أولئك السادة الذين كانوا ملكوه ورفع بنفسه أن يلحظ إلى كل أحد إعزازا بأمير المؤمنين وأنه من ملك يمينه .

فكيف بمن انتبه أن سيده ومالكه خالق الخلق ومالك الملوك ورب العالمين؟! ألا ينشق وينقد فرحا ، فقد كان هذا عبدًا ملكته دنياه ، فكان بها يفتخر ويصول ولها يفرح ، ثم أفاق إفاقة فملكته نفسه بالعطايا التي وردت على قلبه ، فكان بها يفتخر ويصول وبها يفرح ، ثم أفاق إفاقة فملكه الحق ليروضه ويؤدبه بين يديه حتى ينصلح له ، حتى إذا تمت رياضة الحق له بباب الملك الأعلى رفع الحجاب عن قلبه وأوصله إلى قربه ، فكان بين يديه ، فكان بالله يفتخر ويصول ، وبه يفرح ، حتى إذا اطمأن ومرن على المقام واعتاده وسكنت منه الأفراح وسكنت منه الأهوال والدهشات من النظر إلى جلاله وجماله قدمه إلى الوسيلة العظمى والقربة الأوفر ، فغرق قلبه في وحدانيته فصار منفردا به مشغولا به عن جميع صفاته ، فهذا أمينه وأحد أعلامه في أرضه وواحده بين عبيده ، فهو الذي يقول في أرضه إذا ناداه : يا واحدي . فيصدق في قوله ، وهو الذي ذكره رسول الله ﷺ .

٦٩٨ـ **حدثنا** بذلك حفص بن عمر ، قال : حدثنا محمد بن بشر العبدي ، قال : حدثنا عمر ابن راشد اليماني ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " سيروا ، سبق المفردون " . قالوا : يا رسول الله [١/ ١٩٨/ ب] ، من المفردون؟ قال : " الذين اهتروا في ذكر الله ، يأتون يوم القيامة خفافا يضع الذكر أثقالهم " .

والمهتر في اللغة هوالذي خرف فذهب عقله فصار مهترا ، وهو المفرد ، قد فرد قلبه

للواحد في وحدانيته ، وجاز من الجلال والجمال إلى وحدانيته ، فقد خمد نور عقله لنور وجهه الكريم ، فصار كالواله في ذكره كالذي يهذي؛ لأن من شأن العقل أن يقيم بك على الحدود والأشياء المعلومة المقدرة ، فإذا خمد العقل فقد ذهب عمله ، فهو الذي اهتر في ذكر الله .

٦٩٩- حدثنا عبد الله بن أبي زياد القطواني ، قال : حدثنا سيار ، عن جعفر ، عن مالك قال : قرأت في الكتب : أيها الصديقون ، تنعموا بذكري ، فإنه لكم في الدنيا نعيم وفي الآخرة جزاء وزاد ، فبه رضيتم بي بدلا من خلقي ، وآثرتموني على شهواتكم ، فبي فافرحوا ، وبذكري فتنعموا ، فوعزتي ما خلقت الجنان إلا من أجلكم ، فعما قليل لأخلين الدنيا من الفجار .

فالمقتصدون يتعبدون بذكره ، والصديقون يتنعمون به ، والمقتصدون بفضله عليهم يفرحون .

فإذا دخلوا الجنة فهمة المقتصدين الوصول إلى ثوابه من القصور والمساكن والحور في الحجال ، وهمة الصديقين قربهم إلى ربهم .

٧٠٠- حدثنا عبد الله بن أبي زياد ، قال : حدثنا سيار[١] ، قال : حدثنا رباح القيسي ، قال : حدثنا ثور بن يزيد ، قال : بلغنا أن الملائكة يأتون المؤمنين يوم القيامة فيقولون : يا أولياء الله ، انطلقوا . فيقولون : إلى أين؟ فيقولون : إلى الجنة . فيقولون : إنكم لتذهبون بنا إلى غير بغيتنا . فيقال لهم : وما بغيتكم؟ فيقولون : المقعد الصدق مع الحبيب ، وهو قوله جل ذكره : ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ * فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر : ٥٤ - ٥٥] .

٧٠١- حدثنا عمر بن أبي عمر ، قال : حدثنا إبراهيم بن جمرة الرملي ، عن محمد بن سلمة[٢] ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن كعب في قوله تعالى : ﴿فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ﴾ . قال : في نور وضياء .

---

(١) في (ص) " سنان " .
(٢) " محمد بن سلمة " سقط من (د) .

٧٠٢- حدثنا عمر بن أبي عمر ، قال : حدثنا محمد بن سنان العوفي ، عن إبراهيم بن طهمان ، عن صالح بن حيان ، عن ابن بريدة ، عن أبيه ، عن رسول الله ﷺ في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ [١/ ١٩٩/ أ] قال : إن أهل الجنة يدخلون على الجبار كل يوم مرتين فيقرأ عليهم القرآن وقد جلس كل أمرئ منهم مجلسه الذي يجلسه ، على منابر الدر والياقوت والزمرد والذهب والفضة بالأعمال ، فلا تقر أعينهم كما تقر بذلك ولم يسمعوا شيئا أعظم منه ولا أحسن منه ثم ينصرفون إلى رحالهم قريرة أعينهم ناعمين إلى مثلها من الغد فهؤلاء الروحانيون الذين ذكرهم رسول الله صلي الله عليه وسلم قرأ أهل الجنة فمن استمع إلى صوت غناء في الدنيا ثم دخل الجنة حرم أصواتهم .

الأصل الرابع والعشرون والمائة

٧٠٣- حدثنا الحسن بن عمر بن شقيق البصري ، قال : حدثنا سليمان بن طريف ، عن مكحول ، عن أبي الدرداء رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « خير أمتي أولها وآخرها ، وفي وسطها الكدر » .

٧٠٤- حدثنا صالح بن عبد الله ، قال : حدثنا عيسى بن ميمون البصري ، عن بكر بن عبد الله المزني ، عن ابن عمر[1] رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « مثل أمتي مثل المطر لا يدري[2] أوله خير أو آخره » .

٧٠٥- حدثنا صالح ، قال : حدثنا حماد الأبح ، عن يزيد الرقاشي ، عن ثابت البناني ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ ، بمثله .

٧٠٦- حدثنا الفضل بن محمد الواسطي ، قال : حدثنا إبراهيم بن الوليد بن سلمة الدمشقي ، قال : حدثنا أبي ، قال : حدثنا عبد الملك بن عقبة الإفريقي ، عن أبي يونس مولى أبي هريرة رضي الله عنه ، عن عبد الرحمن بن سمرة ، قال : بعثني خالد بن الوليد بشيرًا إلى رسول الله ﷺ يوم مؤتة ، فلما دخلت قلت : يا رسول الله ، فقال : « على رسلك يا عبد الرحمن ، أخذ اللواء زيد بن حارثة ، فقاتل زيد حتى قتل ، رحم الله زيدًا ، ثم أخذ اللواء جعفر ، فقاتل جعفر حتى قتل ، رحم الله جعفرًا ، ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة ، فقاتل فقُتِل[3] ، رحمه الله ، ثم أخذ اللواء خالد ، ففتح الله لخالد ، فخالد سيف من سيوف الله » ، فبكى أصحاب رسول الله ﷺ وهم حوله ، فقال : « وما يبكيكم ؟ » ، قالوا : ومالنا لا نبكي وقد قُتِلَ خيارنا وأشرافنا وأهل الفضل منا ، فقال : لا تبكوا ؛ فإنما مثل أمتي مثل حديقة قام عليها صاحبها فاجتث [١/ ١٩٩/ ب] رواكبها ، وهيأ مساكنها ، وحلق سعفها ، فأطعمت عاما فوجا ، ثم عاما فوجا ، ثم عاما فوجا ،

---

(١) في (ص) « عمر » .
(٢) « لا يدري » سقط من (ص) .
(٣) في (د) « أخذ اللواء زيد بن حارثة ، فقاتل زيد حتى قتل ، رحم الله زيدًا ، ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة ، فقاتل عبد الله حتى قتل ، رحم الله عبد الله ، ثم أخذ اللواء جعفرا ، فقاتل فقُتِل . . . » .

فلعل آخرها طعما يكون أجودها قنوانًا وأطولها شمراخًا ، والذي بعثني بالحق ، ليجدن ابن مريم في أمتي خلفا من حواريه " .

٧٠٧ـ **حدثنا** علي بن سعيد بن مسروق الكندي ، قال : حدثنا عيسى بن يونس ، عن صفوان ابن عمر السكسكي ، عن عبد الرحمن بن حسين عن جبير بن نفير الحضرمي ، قال : لما اشتد جزع رسول الله ﷺ على من أصيب مع زيد بن حارثة يوم مؤتة قال رسول الله ﷺ : " ليدركن المسيح من هذه الأمة أقوام ، إنهم لمثلكم أو خير منكم " ، ثلاث مرات ، " ولن يخزي الله أمة أنا أولها والمسيح آخرها " ، فمَنَّ الله على هذه الأمة خصوصا ثم عدد المنة فقال : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران : ١١٠] ، قال : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة : ١٤٣] ، أي : عدلا لتكونوا شهداء على الناس فالموصوف بالسطة[1] هو الموصوف بالعدل ، لا يميل إلى إفراط ولا إلى نقصان ، فالميزان لسانه في وسطه ، وباستواء الطرفين والكفتين يستوي لسان الميزان ويقوم الوزن ، فجعلت أوائل هذه الأمة وأواخرها ممن يهدون بالحق وبه يعدلون ، فجعل أولها وآخرها ككفتي الميزان يستويان وما بينهما من الكدر والقبيح والمعوج ، كلسان الميزان يستقيم فلا يميل هكذا وهكذا باستواء الكفتين ، فمعناه أن ينجو الوسط بهاتين الكفتين ؛ فإنه إن مال الوسط إلى أي الجانبين مال إلى ركن وثيق ، فعم استواء هاتين الكفتين اعوجاج هذا الوسط ويتجه ، ألا ترى أنه عمهم فقال : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ ، أي : عدلا ، وفي وسط الأمة اعوجاج ، فلما كان في استواء الكفتين استقامة اللسان فكذلك في استواء هذه الأمة وأواخرها يقوم الوسط فلا يهلك ، وقد جاء في الخبر " أنه سيظهر العلم في آخر الزمان ويقبل الناس على أمر الله حتى تتم حجة الله على عباده " .

❊ ❊ ❊ ❊

---

(١) كذا بالأصلين .

الأصل الخامس والعشرون والمائة

٧٠٨- حدثنا محمد بن عبدة بن شيبان الكلابي ، قال : أخبرنى ابن إدريس ، قال : أخبرنا جناح بن يزيد ، عن عبد الله بن علي بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبي أمامة ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " إن من [١/ ٢٠٠/ أ] أغبط أوليائي عندي مؤمن خفيف الحاد ذو حظ من صلاة ، أحسن عبادة ربه وكان غامضا في الناس ، وكان رزقه كفافا فصبر عليه ، فعجلته منيته وقلّ تراثه وقلت بواكيه " .

وقال رسول الله ﷺ : " هكذا " ، ونقر باصبعه هكذا .

٧٠٩- حدثنا عبد الجبار بن العلاء ، قال : حدثنا سفيان ، عن مطرح[١] بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبى أمامة ، يرفعه ، بمثله ، ولم يذكر عبيد الله ولا القاسم ، وقال في حديثه : " وكان غامصا في الناس " ، بالصاد .

٧١٠- حدثنا أبي رحمه الله ، قال : حدثنا يحيى الحماني ، قال : حدثنا ابن المبارك ، عن يحيى بن أيوب ، عن عبيد الله بن زحر ، عن علي بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبي أمامة ، عن رسول الله ﷺ ، بمثله ، قال : " وكان غامصا " ، بالصاد المهملة ، فالأولياء من كتب الله له الولاية وجعل له حظا ، فبحظه من الله يقدر أن يتولاه ، كما أن النبوة لمن كتب الله له النبوة ، وجعل له حظا ، فبحظه من الله قامت له النبوة ، فكما أن بين الأنبياء تفاوت في الدرجات فكذلك بين الأولياء تفاوت في الدرجات ، وقال جل ذكره في تنزيله : ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴾ [الإسراء : ٥٥] .

وقال في صفة موسى عليه السلام : ﴿ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴾ [مريم : ٥٢] ، وقال في صفة قوم مؤمنين صفوة له ، فقال : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ إلى قوله : ﴿ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ﴾ [المجادلة : ٢٢] . الآية ، وبلغنا أن أبا عبيدة بن الجراح قتل أباه يوم بدر فنزلت هذه الآية ، وروي لنا أن عبد الرحمن بن أبي[٢] بكر بعدما أسلم قال

---

(١) في (د) " فطر " .

(٢) في (ص) " أبا " .

لأبيه : يا أبت لقد أهدفت لي يوم بدر فضقت عنك ، فقال أبو بكر : أما إنك لو أهدفت لي ما ضقت عنك ، فكتب الله لأهل الولاية ولايتهم ، وأيدهم بروح منه ، ولا تأخذهم في الله لومة لائم ، ولا حب ولد ولا والد ولا أهل ولا مال تالد .

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : لا ينال الرجل ولاية الله وإن كثرت صلاته ، وإن كثر(١) صيامه حتى يحب في الله ، ويبغض في الله ، ويوالي في الله ، ويعادي في الله .

٧١١. حدثنا بذلك صالح بن عبد الله ، قال : [١/ ٢٠٠/ ب] حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، عن ليث ، عن مجاهد ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، بنحوه ، فأما قوله : ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾ [الإسراء : ٥٥] ، فأبهم الفضل الذي فضل بعضهم على بعض ، وأتى بذكر داود وما آتاه من الزبور ، والزبور كله ثناء ومدح ، يقال : ليس فيه حلال ولا حرام ، وإنما كان كتابهم التوراة فيها الحلال والحرام ، وخص داود بالثناء والمدائح ، فذكر في الخبر أنه لما عرض على آدم ذريته رأى نورا ساطعا في واحد من ذريته ، فقال : يا رب ، من هذا ؟ قال : ابنك داود ، قال : كم عمره ؟ قال : ستون سنة ، قال : رب هب له من عمري أربعين سنة .

٧١٢. حدثنا بذلك محمد بن حسين ، قال : حدثنا قتيبة ، عن ليث بن سعد ، عن ابن عجلان ، عن سعيد المقبري ، عن أبيه ، عن عبد الله بن سلام .

٧١٣. حدثنا أبي ، عن عمرو القناد ، عن أسباط ، عن السدي ، عن أبي صالح . وأبي مالك عن ابن عباس رضي الله عنهما . ومرة الهمداني ، عن ابن مسعود ، بمثله ، فذاك النور الساطع الذي رأى فيه يومئذ هو عندنا من هذا الذي أعطي وخص به من الزبور وقد كان خفف عليه .

٧١٤. فحدثنا عمر بن أبي عمر ، عن أحمد بن أبي الحسين الخزاعي ، عن عبد الرزاق ، عن معمر ، عن همام بن منبه ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : كان مما خفف على داود قراءة الزبور ، وإنه كان يأمر بدوابه أن تسرج ، فقبل أن يفرغ كان يأتي على

---

(١) في (ص) " كثرت " .

قراءته ، فإنما خف عليه لذلك النور الفاضل الذي أعطي حتى رأى آدم نوره ساطعا على نظرائه ، فأكثرهم نورا أسرعهم لتلاوة كتاب الله جل ذكره ، وكلما كان الماء أرق وأصفى كان جريه أسرع ، وكلما كان أغلظ وأكثر كدورة كان أبطأ لجريه ، فكذلك كلام الله ، فكلما كان القلب أرق وأصفى كان لتلاوته أسرع ، فبين الأنبياء تفاوت في القلوب والدرجات ، وكلهم أنبياء ، وكذلك الأولياء فبينهم تفاوت ، وكلهم أولياء ، فهذا الذي وصف رسول الله ﷺ كأنه يحكي عن الله تعالى ألا ترى أنه قال : " إن من أغبط أوليائي عندي " ، فليس هذا كلام الآدميين ، وهكذا يجري في الحكاية فتفهم ، فذكر المغبوط ، والمغبوط من يقرب درجته من درجة الأنبياء [١/ ٢٠١/أ] عليهم السلام علوا وارتفاعا ، مؤمن خفيف الحاذ ، وهذه صفة أويس القرني وأشباهه صفة الظاهر لا الباطن ، وقد يكون في[1] الأولياء من غير هذه الصفة صفته وهو أرفع درجة من هذا فيما نعلمه ، وذلك عبد ولي الله استعماله ، فهو في قبضته يتقلب ، به ينطق ، وبه يبصر ، وبه يسمع ، وبه يبطش ، وبه يعقل ، شهره في أرضه ، وجعله إمام خلقه وصاحب لواء الأولياء ، وأمان أهل الأرض ، ومنظر أهل السماء ، وريحانة الجنان ، وخاصة الله وموضع نظره ، ومعدن سره ، وسوط الله في أرضه ، يؤدب به خلقه ، ويحيي القلوب الميتة برؤيته ، ويرد الخلق إلى طريقه ، وينعش به حقوقه ، مفتاح الهدى ، وسراج الأرض ، وأمين صحيفة الأولياء وقائدهم ، والقائم بالثناء على ربه بين يدي المصطفى ، يباهي به الرسول في ذلك الموقف ، وينوه الله باسمه في ذلك المقام ، وتقر عين المصطفى به ، ويرفع رأسه به[2] ، قد أخذ بقلبه أيام الدنيا ، ونحله حكمته العليا ، وأهدى إليه توحيده وبره ، طهره من رؤية النفس وظل الهوى ، وائتمنه على صحيفة الأولياء ، وعرفه مقاماتهم ، وأطلعه على منازلهم فهو سيد النجباء ، وملح الحكماء ، وشفاء الأدواء ، وإمام الأطباء ، كلامه قيد القلوب ، ورؤيته شفاء النفوس ، وإقباله قهر الأهواء ، وقربه طهر الأدناس ، فهو ربيع يزهو بنوره ، وخريف يجتني

---

(١) " في " سقطت من (ص) .
(٢) في (ص) " ويرفع به برأسه " .

ثماره ، وكهف يلجأ إليه ، ومعدن يؤمل لديه ، وفصل بين الحق والباطل ، وهو الصديق والفاروق والولي ، العارف والمحدث والمجتبى ، واحد الله في أرضه ، فمن تحير في هذا .

فقد روي أن إبراهيم صلوات الله عليه كان واحد الله في أرضه ، وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : " يكون في هذه الأمة قلوب على قلب إبراهيم ، وهم صنف من البدلاء " ، معناه أنه فتح له طريقة على طريقة إبراهيم والمصطفى ، فإن إبراهيم خليل الله ، وأحمد حبيب الله ، وروي عن رسول الله ﷺ في شأن هلال عبد المغيرة بن شعبة أنه قال : هذا أحد السبعة الذين بهم تقوم الأرض ، بل هو خيرهم .

٧١٥ـ حدثنا بذلك داود بن حماد القيسي ، قال : حدثنا صالح بن عبد الله عن(١) عبد المجيد بن أبى رواد ، عن مروان بن سالم ، عن عيسى بن بشير ، عن يحيى ابن أبى طلحة ، عن أبى الدرداء رضي الله عنه [١/ ٢٠١/ ب] ، قال : كنت مع رسول ﷺ في المسجد فقال : " يدخل من هذا الباب رجل من أهل الجنة " ، فقام رسول الله ﷺ إلى الصلاة ، قال أبو الدرداء : فخرجت من ذلك الباب ، فمضيت فنظرت هل أرى أحدًا ؟ فلم أر أحدا ، فدخلت فيه ، فقعدت إلى رسول الله ﷺ فقال : أما إنك لست به يا أبا الدرداء ، ثم جاء رجل حبشي فدخل من ذلك الباب وعليه جبة صوف فيها رقاع من أدم ، رامي بطرفه إلى نحو السماء ، حتى قام على رسول الله ﷺ ، فبدره رسول الله ﷺ فسلم عليه ، فقال : " كيف أنت يا هلال ؟ " ، قال : بخير يا رسول الله ، جعلك الله بخير ، فقال له رسول الله ﷺ : " ادع لنا يا هلال واستغفر لنا " ، فقال : رضي الله عنك يا رسول الله وغفر لك ، فقال أبو الدرداء : استغفر لي يا هلال ، فأعرض عني ، ثم عاودته الثانية فأقبل على رسول الله ﷺ ، ثم قال : أراض أنت عنه يا رسول الله ؟ قال : " نعم " ، قال : رضي الله عنك وغفر لك ، ثم خرج وهو رامي بطرفه إلى السماء ، فقال أبو الدرداء : لقد رأيت عجبا يا رسول الله ، لقد أقبل وهو رامي بطرفه إلى السماء ما يقلع ، ثم خرج وهو على ذلك ، فقال رسول الله ﷺ : " لئن قلت ذاك

(١) في (ص) " ابن " .

إن قلبه لمعلق بالعرش ، أما إنه لم يبق فيكم أكثر من ثلاثة أيام " ، فأحصيت الأيام ، فلما كان في اليوم الثالث وصلى رسول الله ﷺ الفجر خرج من المسجد ونحن معه ، فخرج يؤم دار المغيرة بن شعبة ، فلقي المغيرة خارجا من داره ، فقال : " آجرك الله يا مغيرة " ، فقال : يا رسول الله ، ما مات في دارنا أحد الليلة ، قال : " بلى ، توفي هلال " ، قال : فالتمسه رسول الله ﷺ ، فوجده في ناحية الدار في إصطبل لهم خارًا على وجهه ساجدا ميتا ، فأمر أصحابه فاحتملوه ، فولي أمره رسول الله ﷺ بنفسه حتى دفن ، ثم أقبل على أبي الدرداء ، فقال : " يا أبا الدرداء ، أما إنه أحد السبعة الذين بهم كانت تقوم الأرض ، وبهم كنتم تستسقون المطر ، بل هو خيرهم " .

فالصديقون أمان أهل الأرض ، وهم خلفاء النبيين ، لما خلت الأرض من النبوة وشكت إلى الله عز وجل وعجت ، فروي في الحديث أنه قال : سوف أجعل عليك [١/ ٢٠٢/ أ] أربعين صديقا ، كلما مات واحد بدل الله مكانه . قال له قائل : ما الحظ الذي تذكره وتردده في كلامك كثيرا ، قال : الحظ إذا فتح الله لعبده قلبه ، وقذف في صدره النور حتى ينخرق حجب الشهوات ويضيء صدره ، فهو على نور من ربه ، وقد جعل الله له طريقا إليه ، فذاك مبتدأ الحظ حتى يسير إليه قلبا بقوة ذلك الحظ ، لا يزال يسير ويأتيه المدد من النور حتى يصل إليه ، فيظهر على قلبه جلاله وعظمته وبهاؤه وجماله ، فلا يزال هناك حتى يوصله إلى فرديته فيصير والِها به ، مبهوتا في وحدانيته ، فهذا هو الحظ .

وقال في تنزيله : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ ﴾ [العنكبوت : ٦٩] . فإنما هداه لسبيله بالمجاهدة ، وقد كان مؤمنا قبل ذلك ، هداه لسبيل الإيمان به ، قال له قائل : فما الولاية التي ذكرت قال المؤمنون كلهم أولياء والأولياء من المؤمنين ، والأنبياء كذلك أيضا فهم مؤمنون ، والأنبياء ولهم حظ النبوة زيادة ، والأولياء مؤمنون ولهم حظ الولاية زيادة ، وهو قوله : ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ [يونس : ٦٢] ، ثم وصفهم فقال : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾ [يونس : ٦٣] ، فذكر التقوى مع الإيمان ، فانظر إلى التقوى هذه(١)

---

(١) في (ص) " هذا " .

ومما يتقون ، ثم قال : ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ [يونس : ٦٤] ، فالبشرى على القلب ، والبشرى في المنام للروح إذا زايلت النفس(١) وهي الرؤيا الصالحة ، والبشرى عند الموت ، والبشرى في القبر ، والبشرى في الآخرة يوم الحشر ، ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ ، أي : لا بدل لهذا البشرى ولا خلاف ، ولا بدل لما قلنا ولا خلاف ، فالبشرى على القلب لأهل الصفاء الذين سكنت وساوس نفوسهم ، وحبست وساوس شياطينهم ، فإنما هما وسواسان ، لكل نفس وسواس نفسه ووسواس شيطان معه في حدوه(٢) . وذلك سلاح لهذا ، وبه يقدر على الآدمي ، فإذا امتلأ القلب يقينا ، وأشرق الصدر نورا ، ووصل قلبه إلى خالقه فالبشرى منه له كائن على القلب ، وفي المنام للأرواح ، فإنما صارت البشرى للأرواح في حياتها لمفارقة النفس ، فكذلك على القلب إنما يكون البشرى إذا فارقها النفس في جميع أحوالها [١/ ٢٠٢/ب] .

قال له قائل : فأي تقوى هذا الذي ذكرت ؟ قال : انظر إلى مبتدأ الآية ، فقال : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾ [يونس : ٦١] ، ثم قال بعدما بين وذكر شاهديته عليهم في جميع متقلبهم : ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [يونس : ٦١] ؛ ليتأديهم(٣) بالإيمان بالقدر ، ثم قال بعقب ذلك : ﴿ أَلَآ ﴾ ، و﴿ أَلَآ ﴾ كلمة تنبيه لما تقدم من الكلام وليتصل ما بعده به ، فقال : ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾ ، ثم أخبر مَن هؤلاء الأولياء فقال : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾ ، أي : يتقون ما أعلمهم من شاهديته عليهم ﴿ إِذْ تُفِيضُونَ ﴾ في الأعمال ، فمن يتقي شاهديته إلا من يعلم علم يقين لا علم تعليم أن الله يراه ، فمن صار هذا العلم على قلبه معاينة فهو علم يقين أن الله شاهد عليه استوت سريرته وعلانيته ، واجتهد في سريرة القلب حتى يستوي سريرة القلب بسريرة فعله أيضا ، ولا حظ في

---

(١) في (د) " اليقين " .

(٢) هكذا استظهرت قراءتها .

(٣) هكذا استظهرت قراءتها .

هذا لمن إذا خلا ترك حفظ حدود الله ، فإذا كان مع خلقه أتقن حفظ الحدود ، وهذا لمن يتقي شاهديته ؛ لأنه ليس على بصيرة نفس من ذلك ولا معاينة قلب ، قد أيقن بهذا يقين الموحدين لا يقين الموقنين ، وكنت يوما قاعدا في المسجد مع بعض إخواني ، فتذاكرت أشياء ، حتى أدى ذلك أني ذكرت من بعض فوائت قد كانت مرت بنا من الأذى ، أدى ذلك فيما أحسب إلى فضول الكلام ، فرأيت ليلة إذ صالح بن محمد في المنام قاعدا على صحن مسجده وهو متكِئ على وسادة متينة ، وحوله مشايخنا ، منهم : الحسن بن مطيع وأبو الحسن وأبو يعقوب رحمهم الله ، وعدة من المشايخ ، كأنه يقرأ عليهم شيئا من هذه الكتب ، فلما فرغوا وتفرقوا عنه وجدت نفسي قاعدا بالقرب من متكئه وحدي بين يديه ، وليس معنا ثالث ، وأنظر إلى بياض ثيابه وإلى حمرة خضابه فأتعجب ، فيقول لي : ما تفسير قوله : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ ﴾ ، حتى بلغ قوله : ﴿ إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِۚ ﴾ ، فأقول مجيبا له : شاهديته معهم ، وهذه كلمة ما ظننت أني تكلمت بها قط ، ولا سمعت من أحد ، ولا علمتها إلا في ذلك الوقت ، فلما أجبته [١/ ٢٠٣/ أ] بهذه الكلمة قال : نعم ، هكذا يقربها إلى أذني ، كأنه ليشير لي ، فقال : يقول - كأنه يعني الرب تبارك اسمه - لأوليائه : اختموا على الفم ، فانتبهت فقلت في نفسي : رؤيا موعظة ، وإنها[1] يقظة ، أستغفر الله وأتوب إليه ، ومما يحقق ما قلنا بدءا أن الأولياء الذين ذكرهم بأنهم ﴿ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ و﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِۚ ﴾ هم طائفة من المؤمنين قد خصهم الله بالولاية ، وعصمهم باليقين ، ونور قلوبهم بالهداية ، ولي الله ذلك منهم واجتباهم لنفسه ، فهم صنيعته ، وهم الذين ذكرهم فقال : ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ۞ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ﴾ ، ثم قال : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [الزمر : ١٧- ١٨] .

٧١٦- حدثنا الجارود ، قال : حدثنا أبو معاوية ، عن جويبر ، عن الضحاك في قوله : ﴿ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ﴾ ، قال : ما أمر الله النبيين من الطاعة ، فالمحسن هو الذي يتبع حسن الأمور ، وقد ذكر في حديث جبريل حيث سأله رسول الله ﷺ عن الإيمان

---

(١) في (د) " كأنها " .

والإسلام ، ثم قال : يا محمد ، ما الإحسان ؟ قال : أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، قال[١] : فإذا فعلت ذلك فأنا محسن ، قال : نعم ، قال : صدقت[٢] .

فمَن عبَدَ الله كأنه يراه استمع إلى القول فاتبع أحسنه ، ونظر إلى الأمور فعمل بأحسنها ، فأما قوله : ما أمر النبيين ، فمثل قوله للعامة : اصبروا ، وقال للرسول : ﴿ فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا ﴾ ، فجمال الصبر وجمال الأمور للأنبياء ، والأولياء على أثرهم في ذلك ، تقتضي منهم أيضا هذا الجمال والحسن حتى تكون محسنا ، وأما الصبر الجميل فروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : لا تشكوا إلى أحد غيري .

٧١٧. حدثت عن جنادة[٣] ، عن الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس رضي الله عنهما .

٧١٨. حدثنا الفضل بن محمد ، قال : حدثنا أحمد بن السرح المصري ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن القاسم العتيقي ، قال : حدثني سعد بن عبد الله ، عن عبد الأعلى بن الحجاج في قوله : ﴿ فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا ﴾ [المعارج : ٥] ، قال : يكون صاحب المصيبة في القوم لا يعرف من هو ، ومثل المبادلة لأهل المعصية والقيام بحقوق الله ، كما قال نوح وهو د : ﴿ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴾ [هود : ٥٥] ، ومثل قول إبراهيم : ﴿ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ ﴾ [الممتحنة : ٤] ، ولمن دونهم : ﴿ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ﴾ [المائدة : ١٠٥] ، ومثل سخاوة المتقين [١/٢٠٣/ب] وترك الادخار .

٧١٩. حدثنا قتيبة بن سعيد ، قال : حدثنا جعفر بن سليمان الضبعي ، عن ثابت البناني ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال : كان رسول الله ﷺ لا يدخر شيئا لغد . ومثل العفو : " امروا بالعفو والصفح حتى يأتي الله بأمره " ، ودعا على بعض المشركين ، فأنزل : ﴿ لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡ أَوۡ يُعَذِّبَهُمۡ فَإِنَّهُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٢٨] ﴿ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ ﴾ [الطور ٤٨] ، أي : لست بغافل عنك ، ولمن دونهم فقال : ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ ﴾ [الشورى : ٤٠] .

---

(١) " قال " سقطت من (ص) .

(٢) في (د) " قال : نعم ، قال : نعم " .

(٣) في (ص) " قتادة " .

الأصل السادس والعشرون والمائة

٧٢٠- حدثنا عمر بن أبي عمر ، قال : حدثنا عمر بن أبي عمر[(١)] الربعي ، عن محمد بن جابر ، عن عمرو[(٢)] بن مرة ، عن أبي البختري ، عن حذيفة ، قال : كنا في جنازة مع رسول الله ﷺ ، فلما انتهينا إلى القبر جلس رسول الله ﷺ على شفيره ، وجعل ينظر ، ثم قال : " يضغط المؤمن في هذا ضغطة تزول منها حمائله ، ويملأ على الكافر نارا " ، فالمؤمن أشرق نور الإيمان في صدره فباشر اللذات والشهوات ، وهي من الأرض ، والأرض مطيعة ، وخلق الآدمي من هذه الأرض وقد أخذ عليه العهد والميثاق في العبودة لله ، فبما نقص من وفاء العبودة صارت الأرض عليه واجدة عليه ، فإذا وجدته في بطنها ضمته ضمة ، ثم تدركه رحمة الله فترحب عليه ، وعلى قدر سرعة مجيء الرحمة يتخلص من الضمة ، فإن كان محسنا فإن رحمة الله قريب من المحسنين ، فإذا كانت الرحمة قريبة منه لم يكن للضمة لبث ، وإن كان خارجا عن حد المحسنين لم يخل أن يطول اللبث في الضمة حتى تجيء الرحمة ، قال له قائل : ومن المحسن ؟ قال : الذي وصف رسول الله ﷺ عندما سأله جبريل عليه السلام : ما الإحسان ؟ قال : " أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك " ، قال : فإن فعلت ذلك فأنا محسن ؟ قال : نعم ، قال : صدقت . فهذا المحسن لا يكون لضمته لبث ؛ لأن الرحمة توسع عليه ، وتلك ضمة الشفقة لا ضمة السخطة ؛ لأنه كان على ظهرها محسنا ، فكانت مشتاقة إليه ، فلما وجدته في بطنها ضمته كغائب وجد غائبه بعد الشوق إليه ، والظالم المخلط يكون لضمته لبث حتى تدركه الرحمة ، والكافر لا خلاق له من الرحمة ، فيملأ عليه نارا [١/ ٢٠٤/أ] .

٧٢١- حدثنا عمر بن أبي عمر ، قال : حدثنا أبو صالح الحداني ، عن عبد الله بن لهيعة ، عن دراج ، عن ابن حجيرة ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول ﷺ أنه قال : " إن المؤمن في قبره في روضة خضراء ، يرحب له قبره سبعين ذراعا ، وينور له قبره كليلة البدر ، أتدرون فيمن نزلت هذه الآية : ﴿ فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ [طه : ١٢٤] ؟

---

(١) في (د) " عمر بن أبي عمرو" .

(٢) في (ص) " عمر " .

قال : عذاب القبر ، والذي نفسي بيده ، إنه ليسلط عليه تسعة وتسعون تنينا ، أتدرون ما التنين ؟ تسعة وتسعون حية ، لكل حية منها تسعة رؤوس ينفخن في جسمه ويلسعنه ويخدشنه إلى يوم يبعثون " .

فهذا وجه واحد على ما ذكرنا ، ووجه آخر أن الأرض مطيعة ، قد كانت امتنعت واستعاذت بالله حيث أخذت منها قبضة آدم ﷺ ، حتى رجع الرسول ، فبعث ملكا آخر فاستعاذت ، فرجع الملك ، فبعث ملكا آخر فاستعاذت ، فرجع الملك ، فبعث ملكا آخر ، فقال في الحديث : إنه ملك الموت ، فلما استعاذت بالله استعاذ الملك من أن يمتنع حتى يأخذ منها ما أمره ، فلما انتشرت ذريته على وجه الأرض لم يعد أحد من خطيئة ألم بها غير يحيى بن زكريا صلوات الله عليه ، فمن عاد منهم إلى الأرض يوم قبضه ومزايلة الروح عنه قد وضع الله عنه وزره ، فلا سبيل للأرض عليه ؛ لأنه صار كأن لم يوزر ولم يعص ، وهو من إحدى المنن التي منّ الله على رسوله ﷺ ، فقال : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۞ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴾ [الشرح : ١ - ٢] ، فإذا وضع الله وزر عبد عنه في حياته قبل نفسه ؛ لأنها قد طهرت من الدنس ، فإذا عاد جسده إلى الأرض التي منها ابتدئ مع نور الإيمان ونور الطاعات فذلك جسد أشرف وأعظم خطرا من أن تضمه الأرض التي تضغطه ، فإن كانت الأرض مطيعة فهذا الجسد منذ زايلها صارت في مرتبة أعظم من مرتبتها من منن الله عليها ، وطاعته لا تشبه طاعة الأرض ؛ لأن نفس الأرض مجبورة ، ونفس الآدمي مفتونة بالشهوات ، فليست طاعة الأرض ولا طاعة السماء ولا طاعة سائر خلقه تشبه طاعة الآدمي ؛ لأنه يخرجه(١) من بين شهوات ووساوس وعجائب ، فإذا دخلت على الأرض في لحده وقد قبل الله نفسه ووضع عنه أوزاره ، ومع التوحيد ونور الطاعات فالأرض مهتزة بمقدمه ، مهتشة إلى جسده ، كما روي [١/ ٢٠٤/ ب] عن رسول الله ﷺ أنه قال : " اهتز العرش لموت سعد بن معاذ رضي الله عنه فرحا بلقائه " ، وقد فسرناه في بابه ، فإذا كان عرش الرحمن يهتز لروح عبد ، فليس بعظيم ولا بعجيب أن تهتز الأرض لجسده ، وتهتش

(١) في (ص) " لأنها خرجها " .

إلى لقائه ، قال له قائل : فقد روي لنا عن سعد بن معاذ أنه لما دفن قال رسول الله ﷺ : " لا إله إلا الله ، سبحان الله ، هذا العبد الصالح ، لقد ضيق عليه قبره حتى خشيت أن لا يوسع عليه ثم وسع عليه " ، فقيل : بم سبحت يا رسول الله ؟ قال : لقد تضايق على هذا العبد الصالح ، ثم رُفّه عنه قال : نعم " .

٧٢٢ـ حدثنا هارون بن حاتم الكوفي ، قال : حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر ، قال : لما مات سعد نزل جبريل عليه السلام فقال : يا محمد ، رجل من أمتك اهتز له العرش ، فخرج رسول الله ﷺ إلى المسجد فإذا امرأة ، فقالت : يا رسول الله ، إن سعد بن معاذ مات ، فشهد رسول الله ﷺ جنازته ، فجلس على القبر ، فقال : " لا إله إلا الله ، سبحان الله ، هذا العبد الصالح لقد ضيق عليه في قبره حتى خشيت ألا يوسع عليه ، ثم وسع " .

٧٢٣ـ حدثنا أبو هشام الرفاعي ، قال : حدثنا أبو فضيل ، قال : حدثنا عطاء بن السائب ، عن مجاهد ، عن ابن عمر رضي الله عنهما ، قال : دخل رسول ﷺ قبره فاحتبس ، فقالوا : ما حبسك يا رسول الله ؟ قال : " ضم سعد في القبر ضمة ، فدعوت الله أن يكشف عنه " ، فهذا لعلة ، جاء في غير هذا الحديث سبب هذه الضمة ، وإنما كانت مرة واحدة .

رواه يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق ، قال حدثني أمية بن عبد الله ، أنه سأل بعض أهل سعد : ما بلغك في قول رسول الله ﷺ هذا ؟ فقال : ذكر لنا أن رسول الله ﷺ سئل عن ذلك فقال : " يقصر في بعض الطهور من البول " ، فكان القوم لا يستنجون بالماء ، ومن شأنهم التمسح بالحجارة والتراب ، فلما نزلت فيه : ﴿ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ﴾ [التوبة : ١٠٨] فشا فيهم الطهور بالماء ، فمنهم من كان يستنجي ، ومنهم من كان يتطهر بالماء ، فأهل الاستقامة يردون اللحود وفيهم خصلة عليهم فيها تقصير ، فوردوا اللحود مع ذلك التقصير غير نازعين عنها ، وليس ذلك بذنب عندهم ولا خطيئة [١/ ٢٠٥/أ] فيحاسبون في قبورهم .

٧٢٤ـ حدثنا صالح بن عبد الله ، قال : حدثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة ، عن مجالد ، عن محمد بن المنتشر ، عن ربعي بن حراش ، عن حذيفة ، قال : في القبر حساب ، وفي الآخرة حساب ، فمن حوسب في القبر لم يعذب في الآخرة ، فخليق أن تكون

تلك الضمة التي نالت سعدا مع عظيم قدره من أجل أنه حوسب في القبر بذلك التقصير الذي ورد به في لحده ، فكانت ضمة ثم فرج عنه ، فيلقى الله وقد حط عنه دنسها ووبالها .

٧٢٥ـ **حدثنا** عمر بن أبي عمر ، قال : حدثنا سليمان بن شرحبيل ، قال : حدثنا بشر بن عون ، قال : حدثنا بكار بن تميم القرشي ، عن مكحول ، عن أبي أمامة ، قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : " اتقوا البول ؛ فإنه من أول ما يحاسب به العبد في القبر " .

٧٢٦ـ **حدثنا** الجارود ، قال : حدثنا جرير ، عن الأعمش ، قال : لما توفيت زينب بنت رسول الله ﷺ خرج رسول الله ﷺ إلى جنازتها ، قال : فكأنما يسفي على وجه رسول الله ﷺ الرماد ، فلما دفنت ذهب عنه بعض ذلك ، فقالوا : يا رسول الله ، لا نزال نرى في وجهك ما نكرهه ، قال : إني ذكرت ضعفها وضغطة القبر فعفي لي عنها ، ولقد ضغطت ضغطة سمع كل شيء إلا الثقلين .

٧٢٧ـ **حدثنا** سفيان ، قال : حدثنا ابن وهب ، عن عمرو بن الحارث ، عن زياد ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : قال ﷺ : " لو أفلت أحد من فتنة القبر أو ضمه لنجا سعد ، ولقد ضم ضمة ثم رخي عنه " .

فقصة زينب وقصة سعد قريبة إحداهما من الأخرى ، إن هذا إنما يكون من التقصير في شيء ثم يرفع عنه ، وذلك من اقتضاء الحق حقه ، ثم تجيء الرحمة فتكشفه ، فهذا لأهل الاستقامة ، وأما الأنبياء والأولياء فلا نعلم أن لهم في القبور ضمة ، وذلك أنهم بحظهم من ربهم امتنعوا من هذا الأمر وتخلصوا ، ومن دونهما ليس لهم حظ من ربهم ، إنما لهم الثواب بما عبدوا الله ، فالذي يمتنع من هذه الشدائد التي وصفت في الموت وبعد الموت بالله فهو منيع ، والذي يمتنع بالأعمال فغير منيع ، حتى يمنعه الله ، قال له قائل : وكيف يمتنع بالله ؟ قال : هذه صفة الأنبياء والأولياء ، على قلوبهم [١/ ٢٠٥/ ب] من جلال الله وعظمته ما إذا وردوا اللحود هابتهم اللحود من جلالتهم ، ألا ترى إلى قول رسول الله ﷺ : " من هاب الله أهاب الله منه كل شيء " .

٧٢٨ـ **حدثنا** بذلك محمد بن محمد بن حسين ، قال : حدثنا إسحاق بن المنذر ، قال :

أخبرنا سليمان بن أبي معاوية الكوفي ، عن إبراهيم بن أبي عبلة ، عن واثلة بن الأسقع ، قال : قال رسول الله ﷺ : " من اتقى الله أهاب الله منه كل شيء ، ومن لم يتق الله أهابه الله من كل شيء " .

ومثله ما جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال : " لوعرفتم الله حق معرفته لزالت بدعائكم الجبال " .

٧٢٩ـ حدثنا بذلك عمر بن أبي عمر ، قال : حدثنا عمر بن حفص بن غياث ، قال : حدثنا أبي ، عن الحجاج ، عن قتادة ، عن شهر بن حوشب ، عن عبد الرحمن بن غنم ، عن معاذ بن جبل ، عن رسول الله ﷺ .

فوجه هذا عندنا أن يبلغ من معرفة العبد بكرم ربه وجوده ، فيحسن ظنه أن يجيبه إذا دعاه أن يزيل الجبل لأزاله ، وهذا ظاهر ، والوجه الآخر أن يبلغ من معرفته بقدرته ما لا يتعاظمه ذلك ، وقد قرب محله ودرجته حتى غرق قلبه في وحدانيته فانفرد به ، وأعطي سلطانا ، فبذلك السلطان يدعو الجبل فيزول ويجيبه الجبل ، ومما يحقق الوجه الثاني الذي ذكرنا ما جاء عن رسول الله ﷺ .

٧٣٠ـ حدثنا أبي رحمه الله ، قال : حدثنا القعنبي ، عن ابن لهيعة ، عن أبي هبيرة ، عن حنش ، عن ابن مسعود ، أنه قرأ على مصاب : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا ﴾ [المؤمنون : ١١٥] ، إلى آخر الآية ، فبرأ ، فقال رسول الله ﷺ : " لو قرأها موقن على جبل لزال " ، ففكر في هذا الذي قال : " لو قرأها موقن على جبل لزال " ، لأي شيء يزول ، فمعناه عندنا أن هذا المصاب قد كان به شيطان يضربه ، فلما قرأ الآية ونهره انتهر فذهب ، وذلك أن القلب له حظ من السلطان والهيبة والجلال نفذ قوله وفعله ، كما قد نرى رجلا في بياض واحد من الناس لا يهابه ولا ينفذ قوله وفعله ، فإذا دعاه فولاه عمله وألبسه السواد هابه من رآه ، وأنفذوا قوله ، وأرعبوا من خوفه ، فالسواد علامة السلطان ، فلما رأوه تغيرت القلوب [١/ ٢٠٦/ أ] ونفذت الأمور ، وكذلك من نور الله قلبه باليقين فتح على قلبه من جلاله وعظمته وسلطانه ما يهابه كل من رآه .

ومن ههنا قال ابن عباس رضي الله عنهما أو غيره : والله ، لدرة عمر كانت أهيب في صدور الناس من سيوف غيره ، وكان يُهاب حتى يفرقه عليه أصحاب رسول الله ﷺ ، فإذا أرادوا أن يكلموه بشيء رفعوه إلى حفصة ابنته هيبة له ، وكان رسول الله ﷺ مع

طلاقته وبشاشته إلى أصحابه ، ورحمته وعطفه على أمته وبشره تهابه الخلق ، كأنما على رءوسهم الطير ، حتى كانوا يغتنمون أن يجيئهم أحد من أهل البادية في جفائه فيسأله عن بعض الأمور ، قال لرجل جلس عنده فأخذته الرعدة ، فقال : " هون عليك ، فإنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد " ، وقد روي عن عيسى ابن مريم صلوات الله عليه أنه أتي بامرأة مصابة ، فصك في صدرها فخرج منها تسعة من الشياطين ، فتعجبوا من ذلك ، فقال عيسى عليه السلام : أتعجبون من ذلك ؟ لو أن مؤمنا مستكمل الإيمان مستحقه نَهَر جبلا لزال ذلك الجبل من مكانه .

٧٣١ـ حدثنا بذلك الفضل بن محمد ، قال : حدثنا القاسم الجوعي الدمشقي ، عن الفاريابي(١) .

٧٣٢ـ قال : حدثنا عبد الجبار ، قال : حدثنا سفيان(٢) ، قال : حدثنا عبد الله العمري ، عن نافع ، قال : خرجت عنق نار من حرة النار ، لا تمر على شيء إلا أحرقته ، فأتي عمر فأخبر بها ، فصعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه ، وقال : أيها الناس ، أطفئوها بالصدقة ، فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف دينار ، فقال عمر : ماذا صنعت ، حَسَرت(٣) الناس ، فتصدق الناس ، فأتي عمر ، فقالوا له : لقد طفئت ، فقال : لولم تفعلوا لذهبت حتى أنزل عليها ، قال : وزلزلت المدينة على عهد عمر رضي الله عنه حتى اصطفقت السرر ، فقام عمر بن الخطاب على المنبر فقال : أيها الناس ، ما هذا ؟ ما أسرع ما أحدثتم ؟ قال : فسكنت ، فقال : لئن عادت لا أساكنكم فيها .

فإذا كان هذا حال المؤمن على ظهرها ، فكيف يجوز أن تضمه ؟ فإن الله تبارك وتعالى إذا شرح صدر عبد وضع عنه وزره ، وذلك أنه يجد بقلبه من الهيبة والسلطان ، ويظهر على قلبه من جلال الله وعظمته وكبريائه ما تذوق كل شعرة منه على ناحية هول ذلك ، فيعمل ذلك الهول في لحمه ودمه ، ومخه وعظمه ، وشعره [١/٢٠٦/ب] وبشره ، فيميت شهواته ويعلق قلبه بوحدانيته ، فإذا كان كذلك فقد طهره ، وقد

---

(١) في (ص) " الفاريان " .

(٢) سقط " سفيان " من (د) .

(٣) في (ص) " حصرت " .

روي عن رسول الله ﷺ ما هو أقل من هذا ودون هذا ، فأوجبت له نحوا مما ذكرنا

٧٣٣. **حدثنا** أبي رحمه الله ، قال : حدثنا الحماني ، قال . حدثنا عبد العزيز بن محمد ، عن يزيد بن الهاد ، عن محمد بن إبراهيم التيمي ، عن أم كلثوم بنت العباس ، عن أبيها العباس بن عبد المطلب ، قال : قال رسول الله ﷺ : " إذا اقشعر جلد العبد من خشية الله تحاتت عنه خطاياه كما تحاتت عن الشجرة البالية ورقها " .

٧٣٤. **حدثنا** إبراهيم بن يوسف الحضرمي ، قال : حدثنا ابن المبارك ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي داود ، عن أبي بن كعب ، قال : ليس من عبد على سبيل وسنة ذكر الرحمن ففاضت عيناه من خشية الله أن تمسه النار أبدا .

٧٣٥. **حدثنا** أبي رحمه الله ، قال : حدثنا الحماني ، قال : حدثنا جعفر بن سليمان الضبعي ، عن عبد الصمد بن معقل ، قال . سمعت وهب بن منبه يقول : قرأت في آخر زبور داود ثلاثين سطرا : يا داود ، هل تدري أي المؤمنين أحب إلي أن أطيل حياته ؟ الذي إذا قال : لا إله إلا الله ، اقشعر جلده ، فإني أكره لذلك الموت كما تكره الوالدة لولدها ، ولا بد له منه ، إني أريد أن أسره في دار سوى هذه الدار ، فإن نعيمها بلاء ، ورخاءها شدة ، فيها عدو لا يألوهم خبالا يجري منهم مجرى الدم ، من أجل ذلك عجلت أوليائي إلى الجنة ، لولا ذلك ما مات آدم وولده حتى ينفخ في الصور .

٧٣٦. **حدثنا** الفضل بن محمد ، قال : حدثنا محمد بن المصفى ، قال : حدثنا سويد بن عبد العزيز ، قال : حدثنا أبو عبد الله النجراني ، عن الحسن بن أبي الحسن ، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ : " إن المؤمن إذا مات تجملت المقابر لموته ، فليس منها بقعة إلا وهي تتمنى أن يدفن فيها ، فإذا دفن في البقعة التي قضى الله أن يدفن فيها دخل عليه ملكا الرحمة ، فأجلساه ، ثم سألاه ، فقال أحدهما للآخر [١/ ٢٠٧/ أ] : ارفق بولي الله ؛ فإنه نجا من هول شديد ، ثم يسأله عن الرب فعظم إجلاله ، وأخبره بعظمته ، ثم سأله عن نبي الله ﷺ ، فصلى عليه وأثنى عليه ، وإن الأرض تزينت له ، فقالت رب ، مني خلقته وفيّ أعدته ، ومني تبعثه للحساب ، فأذن لي حتى أدخل على عبدك فلان ، فأمر الله الأرض فتريت في صورة لم تر الأعين مثلها ، ودخلت على من هو أحسن منها . فقالت له حين دخلت عليه : ما أحسن وجهك وأطيب [illegible] وأفسح مضجعك . فقال لها : من يراك في هذه الصورة

فليحسن وجهه وليطل نعمه وينفسح مضجعه ، قالت له : أنت مني خلقت ، وعلي أعدت ، وفي أكرمت ، ثم خرجت من عنده ، فيقول : كان ابن آدم ناعما ، حتى يبعث أولياء الله ، لم يذق عذاب القبر ، ويبعث ببياض الوجه ، حتى أدخل في الجنة فتلقاه الملائكة ، فيقولون : سلام عليك ، هذا بشراك الذي كنت توعد ، وكذلك يبعث أولياء الله .

٧٣٧. حدثنا الفضل بن محمد ، قال : حدثنا محمد بن المصفى الحمصي ، قال : حدثني بقية ، قال : حدثنا أبو بكر بن أبي مريم ، عن الهيثم بن مالك الطائي ، عن عبد الرحمن بن عائذ الأزدي ، عن أبي الحجاج الثمالي ، قال : قال رسول ﷺ : " يقول القبر للميت حين يوضع فيه : ويحك يا ابن آدم ، ما غرك بي ؟ ألم تعلم أني بيت الظلمة ، وبيت الفتنة ، وبيت الوحدة ، وبيت الدود ؟ ما غرك بي إذ كنت تمر بي فرادا ؟ " قال : " فإن كان مُصلحا أجاب عنه مجيب للقبر ، فيقول : أرأيت إن كان ممن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ؟ فيقول : إني إذًا أعود عليه خضرا ، ويعود جسده عليه نورا ، وتصعد روحه إلى رب العالمين " .

الأصل السابع والعشرون والمائة

٧٣٨ـ **حدثنا** صالح بن محمد ، قال : حدثنا العمري ، عن إسماعيل بن محمد بن[١] سعد ابن أبي وقاص ، عن الزهري ، عن أبيه ، عن جده ، قال : قال رسول الله ﷺ : " من سعادة ابن آدم استخارته ربه ، ومن سعادة ابن آدم رضاه بقضاء الله ، ومن شقاوته تركه استخارة الله ، ومن شقاوته سخطه لقضاء الله ، فالاستخارة في الأمور لمن ترك التدبير في أمره وفوضه إلى ولي الأمور الذي دبر له ذلك وقدره قبل أن يخلقه " .

٧٣٩ـ **حدثنا** عمر بن أبي عمر ، قال : حدثنا عبد الوهاب بن نافع ، عن [١/ ٢٠٧/ ب] مبارك بن فضالة[٢] ، عن الحسن قال : قال الله تبارك وتعالى : يا داود ، تريد وأريد ، ويكون ما أريد ، فإن أردت ما أريد كفيتك ما تريد ، ويكون ما أريد ، وإن أردت غير ما أريد عنيتك فيما تريد ، ويكون ما أريد .

فأهل التفويض رموا بإرادتهم ، ورضوا بإرادته ، ولم يبطلوا مدة أعمارهم في فكرة ذلك .

وذكر لنا عن بعض السلف أنه قيل له : بم تعرف ربك ؟ قال بفسخ[٣] العزائم ، وذلك أن الآدمي يفكر ويدبر ويعزم ، وتدبير الله وراءه بإبطال ذلك ، وكون تلك الأمور على غير ما فكر ودبر ، وأولو الألباب وأهل اليقين والبصائر عرفوا هذا ، فرموا بفكرهم ، وأقبلوا عليه يراقبون تدبيره وينتظرون حكمه في الأمور ، فإذا أتاهم أمر قالوا : اللهم خِر لنا ، فهذا من سعادته ، فإذا خار الله له رضي بذلك ؛ وافقه أو لم يوافقه ، وهذا بحسن خلقه مع ربه ، والآخر لسوء خلقه ترك الاستخارة ، فإذا حل به تدبيره وقضاؤه فسخط وضاق به ذرعا وخنق نفسه ، ولا نجاة ، ولا يزداد إلا خنقا ، فقد صار الوهق في عنقه .

ومن سنة الاستخارة .

---

(١) في (ص) " عن " .

(٢) في (ص) " ابن مبارك بن فضالة "

(٣) هكذا استظهرت قراءتها

٧٤٠- **ما حدثنا** صالح بن محمد ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن أبي الموال ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه ، قال : كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن : " إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ، ثم ليقل : اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم ، فإنك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، وأنت علام الغيوب ، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ودنياي ومعاشي ومعادي وعاقبة أمري " ، أو قال : " عاجل أمري وآجله فاقدره لي ويسر لي وبارك لي فيه ، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ودنياي ومعاشي ومعادي وعاقبة أمري فاصرفه عني واصرفني عنه ، واقدر لي الخير حيث كان ورضني به ، وتسمي حاجتك باسمها " .

قال له قائل : هذا رضاه بالمقدور من المضار والمنافع في الدنيا ، فكيف يكون رضاه بالمقدور من المعاصي ؟ قال : رضاه بتقدير الله ، وسخطه على نفسه في إرادتها ، وعلى جوارحه في حركاتها [١/ ٢٠٨/ أ] فيما لم يؤذن له فيه ، فأما تقديره فالله محمود عليه ؛ لأنه لم يظلمك ، وإنما يلزم الذم من يظلم ، فأما من هو منزه عن الظلم فمحمود في جميع شأنه ، قد اتخذ عليك الحجة البالغة فيما أعطاك من العقل والعلم والهدى والبيان على ألسنة الأنبياء والرسل والكتب ، والعصمة لم تكن لك عليه ، فإن شاء عصم وإن شاء خذل ، فمرة يعصم ومرة يخذل ، كذلك جرى تقديره في شأنك ، ولم يوجب لك على نفسه العصمة ، فارض بتقدير الله ولا تسخط عليه فتجوره ، اسخط على نفسك ؛ فإنها الجائرة ؛ جارت على ربها بالشهوات ، ولم تنل منه التأييد ، فيأخذ بيده حتى لا يجوزه عنه ، ولم يكن للعبد عليه أن يأخذ بيده في وقت الجور عنه ، قال له قائل : وما تقدير الله ؟ قال : إبراز علمه في عبده من الغيب ، فقد علم ما يعمل هذا العبد فأبرز علمه .

الأصل الثامن والعشرون والمائة

٧٤١ـ حدثنا بكر بن حاتم الضبي ، قال : حدثنا أبو عاصم النبيل ، قال : أخبرنا ابن جريج ، قال : أخبرني عبد الكريم أن زياد بن أبي مريم[1] أخبره ، أن عبد الله بن معقل أخبره ، أن أباه أخبره ، أن ابن مسعود رضي الله عنه أخبره أنه سمع رسول الله ﷺ قال : " الندم التوبة " .

٧٤٢ـ حدثنا علي بن حجر ، قال : حدثنا عبد الله بن عمرو الرقي أبو وهب الأسدي ، قال : حدثنا عبد الكريم ، عن زياد بن الجراح ، عن عبد الله بن معقل ، قال : دخلت مع[2] أبي على ابن مسعود ، فسمعت أبي يسأل ابن مسعود : أسمعت رسول الله ﷺ يقول : " الندم توبة " ؟ قال : نعم ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : " الندم توبة " .

٧٤٣ـ حدثنا الفضل بن محمد ، قال : حدثنا المسيب بن واضح السلمي ، قال : حدثنا يوسف بن أسباط ، عن مالك بن مغول ، عن منصور ، عن خيثمة[3] ، عن ابن مسعود رضي الله عنه ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " الندم توبة " .

٧٤٤ـ حدثنا محمد بن أيوب السمناني ، قال : حدثنا عثمان بن صالح السهمي ، قال : أخبرني ابن وهب ، عن يحيى بن أيوب ، قال : حدثني حميد الطويل ، قال : قلت لأنس بن مالك : أسمعت رسول الله ﷺ يقول : " الندم توبة " ؟ قال : نعم ، فالندم هو العزم على ألا يعود ، وهو إقامة القلب بين يدي ربه ؛ لأن العبد قد [١/ ٢٠٨/ ب] بايع ربه على أن يكون بين يديه ، وما دام بين يديه فهو مطيع له ، وما دام مطيعا له فهو بين يديه كالعبيد ، فإذا أقبل على عمل غيره فقد أعرض عنه وتولى ، فإذا انتبه من نومته أو أفاق من سكرته انقلب راجعا إلى مولاه ، فوقف بين يديه عازما على أن لا يبرح ، فتلك الإقامة هي ندامة ، ومنه سمي النديم نديما ؛ لأنه مداوم على مجالسته ، ويقال في اللغة : مدن الرجل بأرض كذا ، أي : أقام بها ، ولذلك سميت المدينة مدينة ؛

---

(١) في (ص) " زياد بن أبي إبراهيم " .
(٢) في (ص) " علي " .
(٣) في (ص) " خيثم " .

لإقامة الناس بها واتخاذها وطنا ، وليسوا كأهل الوبر ؛ مرة ههنا ومرة ههنا بأرض أخرى ، ينتقلون بخيامهم ، فهم أهل عمود سيارة في البلاد ، وهم لا أهل مدينة ؛ لأنهم قد مدنوا بأرضٍ أي أقاموا بها فلا يبرحون ، والرستاق ما ترحل عن المدينة ، وهي فارسية معربة ، إنما هي رستة ، ثم قيل : رستق ، ثم قيل : رستق ، ورساتيق جماعتها ، وعربيتها قرية وقرى ، لأن الشذاذ من المدينة يتبع بعضهم بعضا ، والقري الإتباع ، ومنه اشتقت القراءة ، فيقال : قرأ ؛ لأنه أتبع الكلام بعضه بعضا ، ومنه قوله : أقرئه السلام ، أي : أتبعه السلام ، فإذا كانت الإقامة بالمدن قيل : مدن ، وإذا كانت الإقامة بالقلب بين يدي الله قيل : ندم ، على التقليب ، وإنما هو ثلاثة أحرف ، فقدم الميم ههنا وأخر النون ، وقدم النون هناك وأخر الميم ، فإنما هو ذلك العزم الذي يعزم للإقامة بين يدي الله مطيعا ، فقيل : هي توبة ، والتوبة هي الرجعة إلى الله ، يقال : تاب وأناب ، فالطاعة هي الإعطاء ، يقول : أعطى من جوارحه لله ما يأمره به حتى يقيم العبودية التي لها خلق ، وإذا أذنب فقد منع الله من جوارحه العبودة ، فليس بمعطي ، فقيل : ليس بمطيع ، وأما قولي : إذا انتبه من نومته أو أفاق من سكرته ، فالمؤمنون في أحوالهم على ضربين :

ضرب منهم سكارى ، فقد أسكرتهم شهوات نفوسهم عن الله ، وحالت تلك الشهوات بين قلوبهم وبين العقل ، حتى لم[١] يبصروا قبح ما يأتون ، والسكر السد ، ويقال : معدن العقل في الدماغ ، وعلى القلب تدبيره ، فبذلك النور الذي على القلب من العقل يبصر محاسن الأمور ومشانيها ، فجاءت هذه الشهوات فسدت طريق العقل ، فقيل : سكر ، فإذا أسكرته [١/ ٢٠٩/أ] الشهوة عن الله اجترأت النفس بدواهيها والسوء الذي نسب إليه ، وضرب آخر قد أفاقوا من سكرتهم بخوف الوعيد والعقاب من الله عمل النور الوارد على قلوبهم فأبصروا الوعد والوعيد ، فذهب سد الطريق ، فهم على معاينة من الجنة والنار ، وهم نيام عن الله ، وهم المقتصدون أهل الاستقامة ، مطيعين لله حافظين لحدوده فأخذهم لنومته[٢] عن الله ،

---

(١) في (د) " لا " .

(٢) كذا بالأصلين .

إن أطاع وعمل أعمال البر استكثر ذاك من نفسه ، وإن تورع عن الذنب كبر في صدره فعله ، يرى أنه عمل شيئا ، وهو غريق في نعم الله وفي منن الله ، نائم عن جلال الله وعظمته ومننه وتتابع إحسانه ، فإذا أذنب أحد من هذين الضربين ، فأفاق هذا من سكرته ، وانتبه الآخر من نومته فر إلى الله من نفسه راجعا إلى الكون بين يديه ، فعزم على أن لا يبرح ، فذاك العزم ندمه ، فقال رسول الله ﷺ : " الندم توبة " ؛ لأن ذلك العزم باطن فيما بينه وبين الله ، ولم يظهر بلسانه ، فأعلم رسول الله ﷺ أن تلك الندامة رجعة إلى الله عز وجل وهي التوبة ، والاستغفار هو سؤال العبد ربه بعد ذلك أن يستره ، فإنه لما برح من بين يديه فقد ترك مقامه وأخل بمركزه وانحطت درجته وبعد من ربه ، فخرج من ستر سيده وتعرى ، فلما رجع بندمه إليه عاريا استحيى منه ومن ملائكته وسمائه وأرضه وخلقه وخليقته ، فأمر بأن يسأل ربه المغفرة وهي الغطاء ، وهي قول العبد : اغفر لي ، أي : غطني واسترني ؛ فإني خرجت من سترك ، وبقيت بين يديك عاريا تنظر إلي ملائكتك وسماؤك وأرضك ، قال الله تبارك اسمه : ﴿ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران : ١٣٥] : ومن يستر الذنوب إلا الله ؛ لأن الستر ستره ، فلما خرج من ستره لم يكن أحد يستره غيره ، فالعبد مضطر لا يجد أحدا يستر عليه ، فقال : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾ [النمل : ٦٢] ، فإذا علم العبد هذا على وجه ما وصفنا سأل ربه ستره وهو المغفرة ، فهذه الأمة لما أيدت باليقين أبصرت عريتها وخروجها من ستر الله ، فوضعت لهم هذه الكلمة أن يقولوا : اغفر لنا ، أي : استرنا ، وبنو إسرائيل لم يعطوا من اليقين ما أعطينا ، فكانوا إذا أذنبوا لم يبصروا تعريهم وخروجهم من الستر فلم يأخذهم من الحياء ما أخذ [١/ ٢٠٩/ب] معاشر هذه الأمة ، فقيل لهم : ﴿ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ ﴾ ، يعني : باب بيت المقدس ﴿ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ ﴾ [البقرة : ٥٨] ، أي : حُط عنا الذنوب ؛ لأنهم لم يعرفوا وراء الخطأ شيئا ، فشتان ما بين الكلمتين ، ورفع عنا السجود ، فنحن نستغفر على أي حال تهيأ لنا ، وأولئك في حال السجود ، والقول قول النيام عن الله ، فهذا الذي وصفنا إنما ذكرنا أساس هذا الأمر الذي هوالأصل ، فمن فهم فله حظه ، ومن لم يفهم مر على الظاهر كما وجد ، فقيل : التوبة : الاستغفار باللسان والندم بالقلب والإقلاع بالبدن ، والإضمار على أن لا

يعود ، فهذا كلام أهل الظاهر أُجمل لهم حتى لا يتحيروا ، وهم بمنزلة الغنم ، يقول الراعي : تشت حوتشت حوة ولقهم جوة جوة[١] ، حتى تنضم الغنم بعضها إلى بعض ، ويمضي على ما يشار لهم إليه ، ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء ، فالذي أجمل أهل الظاهر فهم والذي قلنا سواء ، يرجع إلى معنى واحد ، إلا أن الأغنام الجهلة ليس لهم منقذ في هذه المسالك الذي وصفنا ، إنما هو أن يقال لهم : افعلوا كذا ، وخذوا هكذا ، فلذلك طوى العلماء عنهم هذه الأخبار .

---

(١) كذا بالأصلين .

الأصل التاسع والعشرون والمائة

٧٤٥. حدثنا علي بن حجر السعدي ، قال : حدثنا الوليد بن مسلم ، عن ابن لهيعة ، عن عبيد الله بن أبي جعفر ، عن أبان بن صالح ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : " الدعاء مخ العبادة " ، فإنما صار مخا لأنه تبرى من الحول والقوة ، واعتراف بأن الأشياء كلها له وتسليم إليه ، ويسأله ، وهذا فعل العبيد الصديقين ، إن كان رزق فمنه ، وإن كانت عافية فمنه ، وإن كان نوال فمنه ، وإن كان ثواب فمنه ، وإن كان دفع عقاب فمنه ، فإذا كان سؤالا لهذه الأشياء فقد تبرأ من الاقتدار والتملك والحول والقوة ، وسلم إليه ، فهو صدق اعترافه بأنه ربه ورب الأشياء كلها ، والدعاء سؤال حاجة وافتقار ، فإنما يظهر أولا على القلب ، ثم على اللسان ، فهو على القلب عبودة ، وعلى اللسان عبادة ، وإنما قال في الخبر : " عبادة " ؛ لأنه أراد ما يظهر على اللسان والافتقار في القلب وهو عبودة[(١)] .

٧٤٦. حدثنا عبد الله بن أبي زياد[(٢)] ، قال : حدثنا سيار ، عن موسى الراسبي ، قال : حدثنا هلال أبو حيلة عن [١/ ٢١٠/أ] أبي عبد السلام ، عن أبيه ، عن كعب ، قال : قال الله تبارك وتعالى لموسى : يا موسى ، قل للمؤمنين لا يستعجلوني إذا دعوني ، فلا يبخلوني ، أليس يعلمون أني أبغض البخل ؟ فكيف أكون بخيلا ؟ يا موسى ، لا تخف من أن تسألني عظيما ، ولا تستحي أن تسألني صغيرا ، اطلب إلي الدُقة ، واطلب إلي العلف لشاتك ، يا موسى ، أما علمت أني خلقت الخردلة فما فوقها ، وأني لم أخلق شيئا إلا وقد علمت أن الخلق يحتاجون إليه ، فمن سألني مسألة ثم أعطيته كان أشد عليه عند الحساب ، ثم إذا أعطيته ولم يشكرني عذبته عند الحساب .

٧٤٧. حدثنا محمد بن عثمان بن عمرو[(٣)] الطائفي ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ،

---

(١) " وهو عبودة " زيادة من (د) .

(٢) في (ص) " عبد الله بن زياد " وفي (د) " عبيد الله بن أبي زياد " والمثبت الصواب كما في سائر الأسانيد .

(٣) في (ص) " محمد بن عثمان بن عمر " .

عن مالك بن أنس رضي الله عنه ، قال : قال عروة بن الزبير : إني لأسأل الله حوائجي في صلاتي ، حتى أسأله الملح لأهلي .

٧٤٨ـ **حدثنا** عبد العزيز بن المسيب ، قال : حدثنا محمد بن عبد العزيز الواسطي ، عن رشدين ، عن زهرة بن معبد ، قال : سمعت محمد بن المنكدر يدعو، يقول : اللهم قو ذكري ؛ فإن فيه منفعة لأهلي ، فإنما سأل القوة في ذلك للخروج إلى الزوجة من حقها ، لا لقضاء النهمة ؛ لأن المرأة نهمتها في الرجال ، فإذا عضلتها عن الرجال بعقدة[1] النكاح ثم لهوت عن حاجتها أوقعتها في الفتنة والبلايا ، فأنت مسئول عن ذلك .

---

(١) في (ص) " بقعدة " .

الأصل الثلاثون والمائة

٧٤٩ـ حدثنا عمر بن أبي عمر ، قال : حدثنا عبد الغفار بن داود الحراني ، قال : حدثنا ابن لهيعة ، عن دراج أبي السمح ، عن عيسى بن هلال ، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، عن رسول الله ﷺ ، قال : " إن أرواح المؤمنين لتتلاقى على مسيرة يوم ، وما رأى صاحبه قط " ، فالأرواح شأنها عجيب ، وهي خفيفة سماوية ، وإنما ثقلت حيث اشتملت عليها النفس بظلمة شهواتها ، فإذا ريضت النفس حتى تذل وتنقمع وتتخلص الروح منها ، فإذا صفي من كدورة النفس عادت إلى خفتها وطهارتها ، وكان لها شأن لا يؤمن به إلا كل مؤمن قلبه بالله مطمئن لا بالأحوال التي دبرت له ، ومن ههنا قال عمر رضي الله عنه لأبي مسلم الخولاني حيث ورد المدينة بعدما ألقي في النار ، فلقيه عمر رضي الله عنه ، فقال [١/ ٢١٠/ ب] : أنشدك بالله ، أنت عبد الله بن ثوب الذي حرقه الكذاب صاحب صنعاء ؟ فقال : اللهم نعم ، فاعتنقه عمر رضي الله عنه ، ومثله ما قال سلمان للحارث بن عميرة صاحب معاذ حيث أتى بابه ، فخرج إليه سلمان ، فقال له الحارث : أتعرفني يا أبا عبد الله ؟ قال : نعم ، عرف روحي روحك .

٧٥٠ـ حدثنا بذلك صالح بن محمد ، قال : حدثنا عبد الحميد بن بهرام ، عن شهر بن حوشب ، قال : حدثني عبد الرحمن بن غنم ، عن الحارث بن عميرة(١) الحارثي ، أنه أتى باب سلمان ، فخرج إليه ، فقال : أما تعرفني يا أبا عبد الله ؟ قال : نعم ، عرف روحي روحك قبل أن أعرفك .

ومثل قول أويس لهرم بن حيان حيث قال له : السلام عليك يا أويس ، قال : وعليك السلام يا هرم بن حيان ، قال : ومن أين عرفت رحمك الله أني هرم بن حيان ؟ قال : عرف روحي روحك ، وإن الأرواح خلقت قبل الأجساد بألفي عام ، فتشامت كما تشام الخيل ، ويقال : إن بصر الروح متصل ببصر العقل في عين الإنسان ، فالعين جارحة ، والبصر من الروح ، وإدراك الألوان من بينهما ، فإذا تفرغ العقل والروح من اشتغال النفس أبصر الروح ، وأدرك العقل ما أبصر الروح

---

(١) في (ص) " الحارث بن عمرة " .

فعلم ، وإنما عجزت العامة عن هذا لشغل الأرواح بالنفوس ، واشتباك الشهوات بها ، فيشغل بصر الروح عن درك هذه الأشياء ، والذي جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال : " يطلع عليكم من هذا الفج رجل من أهل الجنة " ، فاطلع جرير ، إنما يحمله أهل الظاهر وما يشبهه من طريق الوحي ، فعذروا فيما قالوا ؛ لأن هذا طريق سهل يعرفه العالم والجاهل أن الرسول يوحى إليه أخبار ما يكون ، ولكن الرسول له من الإلهام والفراسة والحديث وتلاقي الأرواح والرؤيا الصادقة ما للأولياء ، بل كل شيء من ذلك لهم أصفى وأقوى وأخلص ، ولهم مع ذلك زيادة النبوة ، فليس كل شيء تكلم به الرسول ، وإنما تكلم به من الوحي ، وأهل الباطن يرون أن هذا وشبيهه للرسول من طريق الأرواح ، مع أن ذلك جائز أيضا ، وقوله : " إن أرواح المؤمنين لتتلاقى " ، فالمؤمن في ذلك الزمان عندهم هو المستكمل لحقائقه الذي قد شرح الله صدره [١/ ٢١١/ ب] للإسلام فهو على نور من ربه ، ليس الموحد الذي أحرز عرضه ودمه وماله بالكلمة العليا ، وأقبل على شهواته متشاغلا عن العبودة حتى خلط على نفسه الأمور ، هذا قلبه مأسور ، وروحه مشغول ، ونفسه مفتونة ، فكيف يبصر شيئا أو يعقل ما حضر ، فهذا فيما حضر عاجز عن أن يبصر ، فكيف فيما غاب عنه ؟ .

الأصل الحادي والثلاثون والمائة

٧٥١- حدثنا هارون بن حاتم الكوفي ، حدثنا أبو أسامة [١] ، عن عمر بن حمزة ، عن سالم ، عن أبيه ، عن عمر رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لكل أمة أمين ، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح » .

٧٥٢- حدثنا نصر بن علي الحداني ، قال : حدثنا مسلم بن إبراهيم ، عن شعبة ، عن خالد الحراني ، عن أبي قلابة ، عن أنس رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ ، بمثله .

٧٥٣- حدثنا يعقوب بن شيبة ، قال : حدثنا عبد الوهاب بن عيسى التمار ، قال : حدثني يحيى بن زكريا الغساني ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن أبي الزبير ، عن جابر ابن عبد الله ، أنه سمع خالد بن الوليد يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لكل أمة أمين ، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح » ، فالأمانة هي ترك الأشياء في مواضعها كما وضعت ، وإنزالها كما نزلت ، جعل الله الدنيا ممرا ، والآخرة مقرا ، والروح عارية ، والرزق بلغة ، والمعاش حجة ، والفضول بلوى ووديعة ، والسعي جزاء ؛ إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر ، وخلق الخلق في ظهر آدم عليه السلام ، واستخرجهم ، ولهم بين يديه مقام ، وقررهم بالعبودة ، وقلدهم إياها ، وأخذ عليهم العهد والميثاق ، ثم نقلهم من الأصلاب إلى الأرحام ، ومن الأرحام إلى الدنيا ، ومن الدنيا إلى اللحود ، ومن اللحود إلى النشور ، ومن النشور إلى المحشر ، ومن المحشر إلى الصراط ، ومن الصراط إلى مقام العرض والسؤال عن جميع ما قلده في المقام الأول وأخذ عليه العهد والميثاق ، فقد ترك له جميع هذه المدة التي بين المقامين ، فلا يسأله إلا عن الوقت الذي بلغ الحلم وأدرك مدرك الرجال ، إلى وقت فراقه الدنيا ، وما سوى ذلك مرفوع عنه قبل وبعد ، فدعي من دار الآفات [١/ ٢١١/ ب] إلى دار السلام ، ومن السجن إلى البستان ، ومن دار الفناء إلى دار البقاء ، وخلق الليل والنهار ليركضان بالخلق إليه دءوبا دءوبا ، فالأمين من استقرت نفسه ، فأبصر قلبه هذه الأشياء ببصيرة نفسه على هيئتها التي خلقت ، فإن النفس لا تبصر ما دامت في العَذْو والطياشة

---

(١) في (ص) « أسامة » .

والالتفات إلى أحواله يمنة ويسرة ، فإذا سكنت واستقرت واطمأنت إلى خالقها فقد صارت أمينة لا تخون ، وفي النفس شهوة ، وللنفس أخلاق رديئة دنيئة مفرطة لأمر الله ، عجولة في مهواها ، تشبثت بمخاليبها في دنياها لما وجدت من اللذة وقضاء النهمة فيها ، فعميت عن أنها دار ممر ، وألهتها عن أن تذكر دار المقر ، وشغفت بالحياة فنسيت عن أن تذكر أن الروح عارية ، وطلبت المعاش حرصا لتجمع الكثيرة عدة لنهماتها ونوائبها ، وتناولت الرزق على قضاء الشهوة ، ولهت عن السعي ، ورفعت بالها عنها ، ونسيت أنه يركض بها وأنها تحتاج إلى سعي منها مع الركض الذي تركض بها ، سعيا يصلح ويعرف في ذلك الموقف العظيم في صفوف الملائكة والأنبياء والمرسلين وعباده الصالحين ، فإنما جاءت هذه الفتنة من هذه النفس ، فإذا كانت ساكنة الطبع مطمئنة الفطنة ميتة الشهوات وجدتها كريمة حرة ، ووجدت أخلاقها مستوية يشبه بعضها بعضا ، فأبصر القلب الأشياء على هيئتها التي خلقت ، فصار ذا أمانة ؛ لأنه ليس هناك دخان يُظلم الصدر ويحجب النور عن إشراقه ، فإذا أشرق كانت النفس ذات[1] بصيرة ، ومما يحقق ما قلنا أن الأمانة من حسن الخلق والخيانة من سوء الخلق :

٧٥٤ـ ما **حدثنا** به أبو داود المصاحفي ، قال : حدثنا النضر ، قال : حدثنا الأشعث ، عن الحسن ، قال : قال رسول الله ﷺ : " ما من أحد من أصحابي إلا لوشئت عبت عليه في خلقه غير أبي عبيدة بن الجراح " ، فقد كشف لك هذا الحديث معنى ما قال لأبي عبيدة أنه أمين هذه الأمة ، فإنما ظفر أبو عبيدة بهذه الخصلة حتى صار واحد هذه الأمة في الأمانة بما أخبر في حديث النفس من طهارة خلق أبي عبيدة .

---

(١) في (ص) " ذا " .

الأصل الثاني والثلاثون والمائة

٧٥٥ـ حدثنا [١/ ٢١٢/ أ] محمد بن عبدة بن سليمان العامري ، قال : حدثنا أبي ، قال : حدثنا يحيى بن عبد الله ، عن أبيه ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : " نعم البيت يدخله الرجل المسلم بيت الحمام ، وذلك لأنه إذا دخله سأل الله الجنة ، واستعاذ به من النار ، وبئس البيت يدخله المسلم بيت العروس ، وذلك لأنه يرغبه في الدنيا وينسيه الآخرة " .

فهذا لأهل الغفلة ، صير الله هذه الدنيا بما فيها سببا للذكر لأهل الغفلة ؛ ليذكروا بها آخرتهم ، فأما أهل اليقين فقد صارت الآخرة نصب أعينهم ، فلا بيت حمام يزعجه ، ولا بيت عروس يستفزه ، لقد دقت الدنيا بما فيها من الصنفين والضربين في جنب الآخرة ، حتى إن نعيم جميع الدنيا في أعينهم كشارة[١] الطعام من مائدة عظيمة ، وجميع شدائد الدنيا في أعينهم كنقلة عوقب بها مجرم أومسيء قد كان استوجب القتل والصلب من جميع عقوبات أهل الدنيا ، عظمت أهوال القيامة وسلطانه يوم بروزه من الحجب على قلوبهم ، [فلم يحتاجوا إلى الاتعاظ والاعتبار بالحمام ، وعمل على قلوبهم شأن كرمه وجوده ومجده وبره بعباده المؤمنين ، فأنساهم كل نعيم ، وأما أهل الغفلة][٢] فإنهم يحتاجون إلى كل شيء من الدنيا أن يتعظوا منها ويعتبروا بها ، فإذا عاين بقعة حامية ذات بخار فائرة وماء حميم يصب من فوق رأسه ، مرة هاجت به فأخذ الغم بكظمه ودار به رأسه حتى يستروح به إلى الماء ليبرد به فؤاده ، وإلى روح يدخل عليه من خلل الباب ، فهذه بقعة تذكر الآخرة وعجائبها ودار العقاب وفنون عذابها ، وإذا عاين بقعة مزينة بفتن الدنيا منجدة[٣] بمتاع غرورها ، مشرقة بحطامها ، مغشوشة بأفراح خدعها ، تمنيه نفسه وترغبه في ذلك ، وأنسته الآخرة لعاجل ما يجد من اللذة والشهوة ، ودخول الحمام لم يكرهه[٤] رسول الله ﷺ لمن

---

(١) كذا بالأصلين .

(٢) ما بين المعقوفين سقط من (د) .

(٣) كذا في (ص) ، وفي (د) " منجلية " .

(٤) في (د) " ذكره " .

دخله متأدبا بأدب الله ، إذا دخله مستترا أو[١] طالب الخلوة أو غاضا بصره ، فلا يَرى عورة ولا تُرى له عورة .

وقد جاء عن رسول الله ﷺ ما يحذر عن ذلك ويؤدب وإن كان خاليا .

٧٥٦. حدثنا محمد بن موسى الحرشي ، قال : حدثنا يحيى بن عثمان التيمي [١/ ٢١٢/ ب] ، قال : حدثنا عبد الله بن طاوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ : " اتقوا بيتا يقال له الحمام " ، قيل : يا رسول الله ، إنه يذهب الوسخ ، ويذكر النار ، فقال : " إن كنتم لا بد فاعلين فادخلوه مستترين " ، فإنما أمر أن يتقي ذلك فيما نعلمه بحال التعري ونظر بعضهم إلى بعض ، ألا ترى أنه لما أذن فيه وذكر الدخول أشار إلى الستر[٢] .

٧٥٧. حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، قال : حدثنا بهز بن حكيم بن معاوية القشيري[٣] ، عن أبيه ، عن جده ، قال : قلت : يا رسول الله ، عوراتنا ما نأتي منها وما نذر ؟ قال : " احفظ عورتك إلا من زوجتك أو من ما ملكت يمينك " ، قلت[٤] : يا رسول الله ، فإذا كان أحدنا خاليا ؟ قال : " فالله أحق أن يستحيى منه " .

٧٥٨. حدثنا إبراهيم بن عبد الله[٥] الخلال ، قال : حدثنا عبد الله بن المبارك ، قال : أخبرنا بهز بن حكيم ، عن أبيه ، عن جده ، عن رسول الله ﷺ ، بمثله .

(١) سقطت " أو" من (ص) .
(٢) في (د) " التستر " .
(٣) في (ص) " بهز بن جكيم عن أبي معاوية القشيري " .
(٤) في (ص) " قال " .
(٥) في (ص) " إبراهيم بن عبيد " .

الأصل الثالث والثلاثون والمائة

٧٥٩ـ حدثنا علي بن حجر ، قال : حدثنا شريك ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل(١) ، عن الربيع بنت معوذ بن عفراء ، قالت : أتيت رسول الله ﷺ بقناع من رطب وأجر زغب ، فأعطاني ملء كفه حليا أو ذهبا .

٧٦٠ـ حدثنا يعقوب بن شيبة ، قال : حدثنا إسحاق بن عيسى الطباع ، قال : حدثنا شريك ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن الربيع بنت معوذ بن عفراء ، قالت : أتيت رسول الله ﷺ بقناع رطب وأجر زغب ، فأعطاني ملء كفه ذهبا ، فقال : " تحلي بهذه يا بنية " .

فالهدية خلق من خلق الإسلام ، عليه دلت الرسل ، وعليه ندبت ؛ لائتلاف القلوب ، ولنفي سخائم الصدور ، فإن ابن آدم مقسوم على ثلاثة أجزاء ؛ قلب بما فيه من الإيمان ، وروح بما فيه من الطاعة ، ونفس بما فيها من الشهوة ، فالإيمان يدعو(٢) إلى الله ، والروح تدعو إلى الطاعة ، والنفس تدعو إلى البر واللطف والنوال ، فكانت القلوب تأتلف بالإيمان ، والأرواح بالطاعات ، وحظ النفس باقية ، فإذا تهادوا تمت الألفة ولم يبق هناك حزازة(٣) ، فكان رسول الله ﷺ جوادا يقبل الهدية ويكافئ من وجده بأمثالها ، فالربيع كانت ممن قتل أبو ها يوم بدر [١/ ٢١٣/أ] ، فكان رسول الله ﷺ يبرها ويدخل عليها ويعتني بها ويكرم أحوالها ، فوافقت هديته سعة الوجد من رسول الله ﷺ ، وكان قلبه واسعا ، فأعطاها ملء كفه ذهبا ؛ ليعلم من بلغه ذلك ومن عاينه أن لا قدر للدنيا عنده ، وأن الذي يتودد إليك في الله وهو حر من الأحرار لا سبيل لك على رقه حقيق عليك(٤) أن تُربي عليه في الوداد ، وتعينه على صلته ، لما تبعثه على معالي الأخلاق ، وأيضا خلة أخرى ؛ أن للبر

(١) في (ص) " عقل " .
(٢) في (ص) " تدعو" .
(٣) في (د) " حرارة " .
(٤) في (د) " بها " .

أثقالا ، فالكريم لا يكاد يتخلص من تلك[١] الأثقال إلا بأضعاف ذلك البر ، وإلا فهو في حياء وشغل نفس من الذي بره ، فإذا ضعفت له في المكافأة انحطت عنه أثقال بره وذهب خجل نفسه .

وقوله : " تحلي بهذا يا بنية " فإن الربيع كانت جارية حديثة السن ، روي عنه في حديث آخر أنه قال : " إنما تتزين المرأة لزوجها ، أو لطمع في رجل يخطبها ، أما ما سوى ذلك فلا " ، ومنه قوله[٢] لأسامة بن زيد : " لو كنت جارية ما بغاك أحد ، ولوكنت جارية حليناك حتى ننفقك " ، وروي عن إبراهيم النخعي أنه كره أن يقول لولد غيره : يا بني ، ففي هذا الحديث ما يعلمك أنه لا بأس بذلك ؛ فقد قال لها : " يا بنية " .

وأما قوله : قناع من رطب ، فالقناع الطبق ، وكل شيء أقنع أي ارتفع من الأرض ، ومنه قوله تعالى : ﴿ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ ﴾ ، أي : رافعي رءوسهم ، ﴿ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ﴾ [إبراهيم : ٤٣] ، وقوله : أجر زغب ، فالواحد جرو ، والجمع أجري ، وهو القثاء أول ما يدرك ، فقال[٣] له : جرو ، وهو الذي له زغب كهيئة زئبر الثوب ، ومثله في اللغة أدل ودلو جماعة الدلو ، فإذا وقفت قلت : أجراء وأدلاء ، فإذا أعربت في الإعراب نويت فقلت : أجرٍ وأدلٍ ، كما ترى ، والمكافأة حق من الحقوق ، فكُلٌ إنما يكافئ على قدره من خلقه وسعته ، ولم يكن يخلو في ذلك الوقت بالمدينة من فقير وذي[٤] حاجة من أصحابه ، ولكنه كان يعطي على نوائب الحق ، فرأى هذا حقا فأعطاه ، ومنه ما روي عن وهب بن منبه قال : ترك المكافأة من التطفيف .

٧٦١. حدثنا بذلك عمر بن أبي عمر ، قال : حدثنا سهل بن خاقان ، عن عبد الوهاب بن همام الحميري ، قال : سمعت وهبا يقول : ترك المكافأة من التطفيف .

---

(١) في (ص) " ذلك " .

(٢) تكرر في (ص) " قوله قوله " .

(٣) في (ص) " يقال " .

(٤) في (ص) " وذو" .

٧٦٢ـ حدثنا عمر بن أبي عمر ، قال : حدثنا سعيد بن أبي مريم ، قال : ناول شاب الليث ابن سعد أترنج [١/ ٢١٣/ ب] باكورة ، فأمر أن يعطى دينارا ، وقال : كان الأسخياء يفعلون مثل ذلك .

٧٦٣ـ حدثنا عمر ، قال : حدثنا محمد بن معاوية ، قال : كنت عند الليث بن سعد ، فجاءته عجوز فقالت : يا أبا الحارث ، مر وكيلك أن يعطيني رطلا من عسل ؛ فإن ابني مريض يشتهيه ، فقال لوكيله : أعطها مطرا من عسل ، قال له : إنما سألتك رطلا ، قال : هي سألت على قدرها ، ونحن نعطيها على قدرنا ، والمطر وقر بعير ، مائتان وخمسون مُنًا ، وروي عن عبد الله بن أبي بكرة أنه أتاه قوم ، فقالوا : إن لنا مريضا قد تشنجت أعضاؤه من الرياح ، ووصف لنا أن نعالجه بلبن الجواميس فننقعه فيه ، فنحب أن تعيرنا من جواميسك ، فقال لوكيله : كم لنا يا لطف من الجواميس ؟ قال : خمسمائة ، قال : سقها إليهم ، قالوا : رحمك الله ، إنا سألناك عارية ، قال : إنا لا نعير الجواميس ، فأعطاها إياهم .

٧٦٤ـ حدثنا عمر بن أبي عمر ، قال : حدثنا محمد بن سنان العوفي ، قال : حدثنا موسى ابن علي بن رباح اللخمي ، قال : سمعت أبي يحدث ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : قال رسول الله ﷺ : " الهدية رزق من الله طيب ، فإذا أهدي إلى أحدكم فليقبلها ، وليعط خيرا منها " .

الأصل الرابع والثلاثون والمائة

٧٦٥. حدثنا عبد الله بن عبد الله الربعي البصري ، قال : حدثنا سليمان بن الربيع النهدي ، قال : حدثنا همام بن مسلم الزاهد ، قال : حدثنا مقاتل بن حيان أبو بسطام البلخي ، عن الضحاك بن مزاحم ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ : " من ولي من أمر أمتي شيئا فحسنت سريرته رُزق الهيبة من قلوبهم ، وإذا بسط يده لهم بالمعروف رزق المحبة منهم ، وإذا وفر عليهم أموالهم وفر الله عليه ماله ، وإذا أنصف الضعيف من القوي قوى الله سلطانه ، وإذا عدل مد الله في عمره " ، فحسن السريرة من هيبة الله ، فإذا هاب عبد ربه اتقاه في السر والعلانية ، وفي ظاهره وباطنه ، فإذا كان كذلك أهاب الله منه خلقه ، وصنائع المعروف لا يكون إلا من حسن الخلق ، ومَن حسّن الله خلقه أحبه ، ومن أحبه الله ألقى محبته على قلوب عباده ، وهو قوله تعالى لموسى عليه السلام : ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي ﴾ ، قال : فكان لا يراه أحد إلا أحبه ، حتى فرعون اللعين الذي كان يذبح أمة [١/ ٢١٤/أ] في جنبه وهو يرشفه في صدره .

٧٦٦. حدثنا عمر بن أبي عمر ، قال : حدثنا هارون الراسبي ، عن جعفر عن أبي رجاء(١) في قوله تعالى : ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي ﴾ [طه : ٣٩] ، قال : الملاحة والحلاوة ، وأما توفير المال على الرعية فمن قلة الرغبة ، ومَن قلّت رغبته وسقط عن قلبه قدر الشيء فالدنيا مقبلة عليه خادمة له ، وأما إنصاف الضعيف فإنما أعطي السلطان السلطنة على هذه الشريطة على أن يأخذ للضعيف من القوي ، ولولا ذلك لم يحتج إلى سلطان ، فإذا أخذ للضعيف من القوي فقد تمسك بالذي أعطي على هيئة ما أعطي ، فأديم له قوة ذلك الذي أعطي ، وإذا منع حق الضعيف فقد ضيع سلطانه الذي أعطي وذلّه ، فكيف يبقى معه قوة وهو الذي ضعف ما أعطي ، والسلطان ظل الله في الأرض يأوي إليه كل مظلوم .

٧٦٧. حدثنا عيسى بن أحمد العسقلاني ، قال : حدثنا بشر بن بكر ، عن سعيد بن سنان ، عن أبي الزاهرية ، عن كثير بن مرة ، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، عن رسول الله ﷺ ، فإذا أعطي أحد سلطانا أرعب القلوب ؛ لأن الرعب من جنوده ، فذهلت النفوس

---

(١) في (ص) " جعفر بن أبي رجاء " .

عن الاقتدار والتملك والتحير ، فإذا تمسك به فأخذ للضعيف من القوي حقه بما أعطي زيد قوته ، قال الله تبارك وتعالى في قصة داود عليه السلام : ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ ﴾ [ص : ٢٠] قال : الهيبة ، وأما قوله : وإذا عدل في رعيته مد في عمره ؛ لأن العدل صلاح الأرض ، وبالجور فسادها ، فإذا فسدت الأرض من جوره انقطع عمره وكان كشجرة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار ؛ لأن الأرض تعج إلى الله من الظلمة ، والسماء تجأر ، والبحار تئن ، والجبال تشكو ، فيقطع الله عمره ، فإذا عدل وصل الله عمره من كرمه فمد له ؛ لأنه أقام عدله الذي ارتضاه لنفسه ، وبالعدل قامت السماوات والأرض ، والجور من الهوى ، وهو الذي يهوي بصاحبه عن الله ، فإذا هوي عن الله ففي النار مهواه ، وقال الله جل ذكره : ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾ [المؤمنون: ٧١] .

الأصل الخامس والثلاثون والمائة

٧٦٨ـ حدثنا إسماعيل بن نصر بن راشد ، قال : حدثنا مسدد ، قال : حدثنا بشر بن المفضل ، [١/ ٢١٤/ ب] قال : حدثنا عمر مولى غفرة ، قال : سمعت أيوب بن خالد ابن صفوان يذكر عن جابر بن عبد الله ، قال : خرج علينا رسول الله ﷺ ، فقال : " أيها الناس ، من كان يحب أن يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله عنده ، فإن الله ينزل العبد منه حيث أنزله من نفسه ، وإن لله سرايا من الملائكة تحل وتقف على مجالس الذكر ، فاغدوا وروحوا في ذكر الله في الأرض ، ألا فارتعوا في رياض الجنة " ، قالوا : وأين رياض الجنة يا رسول الله ؟ قال : " مجالس الذكر ، فاغدوا وروحوا في ذكر الله ، واذكروه بأنفسكم " .

فمنزلة الله عند العبد إنما هو على قلبه على قدر معرفته إياه ، وعلمه به ، وهيبته منه ، وإجلاله له ، وتعظيمه إياه ، والحياء والخشية منه ، والخوف من عقابه ، والوجل عند ذكره ، وإقامة الحرمة لأمره ونهيه ، وقبول منته ، ورؤية تدبيره ، والوقوف عند أحكامه طيب النفس بها ، والتسليم له بدنا وروحا وقلبا ، ومراقبة تدبيره في أموره ، ولزوم ذكره ، والنهوض بأثقال نعمه وإحسانه ، وترك مشيئاته لمشيئاته ، وحسن الظن به في كل ما نابه ، والناس في هذه الأشياء على درجات يتفاضلون ، فمنازلهم عند ربهم على قدر حظوظهم من هذه الأشياء ، وإن الله تبارك اسمه أكرم المؤمنين بمعرفته ، فأوفرهم حظا من المعرفة أعلمهم به ، وأعلمهم به أوفرهم حظا من هذه الأشياء[١] ، وأوفرهم حظا منها أعظمهم منزلة عنده ، وأرفعهم درجة وأقربهم وسيلة ، وعلى قدر نقصانه من هذه الأشياء ينقص حظه ، وتنحط درجته ، وتبعد وسيلته ، ويقل علمه به ، وتضعف معرفته إياه ، ويسقم إيمانه ، وتملكه نفسه ، قال الله تبارك اسمه : ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾ [الإسراء : ٥٥] .

فإنما فضلوا على الخلق بالمعرفة له والعلم به لا بالأعمال ، فاليهود والنصارى وسائر أهل الملل قد عملوا أعمال الشريعة فصارت هباء منثورا ، فبالمعرفة تزكو

---

(١) تكرر في (ص) مقدار سطر .

الأعمال ، وبها تطهر الأبدان ، فمن فضل بالمعرفة فقد أوتي حظا من العلم به ، ومن فضل بالعلم به تكون هذه الأشياء التي وصفنا موجودة عنده ، ألا ترى [١/ ٢١٥/أ] إلى قول رسول الله ﷺ حيث عرج به إلى السدرة فإذا النور الأكبر قد تدلى ، فالتفت إلى جبريل فإذا هو ميت من الفرق كالحلس الملقى من خشية الله ، قال : « فعرفت فضل علمه بالله على علمي » .

٧٦٩- حدثنا بذلك عبد الله بن أبي زياد[1] ، قال : حدثنا سيار[2] ، عن جعفر ، عن أبي عمران الجوني .

فإنما فضلت الأنبياء من دونهم بالنبوة لا بالأعمال ، والنبوة فيها العلم بالله ، وإنما تفاضلت الأنبياء فيما بينهم بالعلم بالله لا بالأعمال ، ولو كانوا يتفاضلون بالأعمال لكان المعمرون من الأنبياء وقومهم أفضل من نبينا ﷺ وأمته ، وقد نجد في هذه الأمة من هو أطول عمرا وأشد اجتهادا من النبي ﷺ ، وهو أبعد منه في الدرجة من العرش إلى الثرى ، فإنما تقدمه بفضل المعرفة له والعلم به والانتباه عنه .

٧٧٠- حدثنا عبد الله بن عبد الله الربعي ، قال : حدثنا عبد الله بن وهب المصري ، قال : حدثنا معاوية بن صالح ، عن عيسى بن عاصم ، عن زر بن حبيش ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال : صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح ، فصنع شيئا لم نره صنع في غيره ؛ مد يده ثم أخرها ، فقلنا له : يا رسول الله ، لقد صنعت في صلاتك شيئا لم نرك صنعت في غيرها . قال : « إني رأيت الجنة ، فرأيت فيها دالية قطوفها دانية ، حبها كالدباء ، فأردت أن أتناول منها ، فأوحى الله إليها أن استأخري ، ثم رأيت النار فيما بيني وبينكم حتى رأيت ظلي وظلكم ، فأومأت إليكم أن استأخروا ، فقيل لي : أقرَّهم ؛ فإنك أسلمت وأسلموا ، وهاجرت وهاجروا ، وجاهدت وجاهدوا ، فلم أر لي عليكم فضلا إلا بالنبوة » ، فبالنبوة أدرك رؤية ما وصف ، فرأى الجنة أمامه حتى كاد يتناول منها ، فأوحى الله إليها أن استأخري ، ولم يقل : إني أخرت عنها ؛ لأن الرسول ﷺ من الله بالمنزلة التي لا تحول بينه وبين الجنة إلا قبض روحه حتى يلقى ربه

---

(١) في (ص) « عبد الله بن زياد » .

(٢) في (ص) « سنان » .

في جناته ، فإنما أدنيت الجنة منه ليعرف حاله ؛ أنك بهذه المنزلة ، وليس بينك وبين أن تدخل على الله في داره إلا قبض روحك ، فلما مد يده ليتناولها لم يؤخر عنها ، ولكن أوحي إليها أن [١/ ٢١٥/ ب] تأخري ؛ فإنه في بقية من أجله في الدنيا ، وليس ينال أحد الجنة بمباشرة نفسه إلا من ذاق الموت ، فاستأخرت ، ثم أري النار بينه وبين القوم ، يُعَرِّفه ؛ أنك جزت النار بقلبك بما أعطيت من النبوة ، فقد فرغت من أمر الصراط ، ومن خلفك لم يجوزوا بعد بقلوبهم ، فهو عليهم باق إلى يوم القيامة ، ألا ترى إلى حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : " إذا ضرب الصراط على النار قيل لي : قرب أمتك ، فإذا دنوت منها قال لي جبريل : يا محمد ، خذ بحجزتي ، فآخذ بحجزة جبريل ، فيضعني من وراء النار ، فيقال للأمة : جوزوا ، فيجوزون بأبدانهم ، فمنهم في السرعة مثل اللحظة والبرقة ، ومنهم في مثل الريح ، ومنهم في مثل أجاويد الخيل ، ومنهم ركضا ، ومنهم سعيا[(١)] ، ومنهم مشيا ، ومنهم زحفا ، فإنما يجوزونها بقدر إيمانهم ويقينهم وحظهم من النبوة ، فإن لأهل اليقين حظا من النبوة ، ألا ترى إلى قول رسول الله ﷺ : " الاقتصاد والهدي الصالح والسمت الحسن جزء من أربعة وعشرين جزءا من النبوة " .

فالرسول بفضل النبوة جاز بقلبه أيام الحياة النار ، فلما وصل إليها أجيز من غير تكلف ولا مباشرة ، ويحقق ما قلنا ما أخبر الرسول ﷺ في هذا الحديث أنه قال : " أُريت الجنة بين يدي ، وأريت النار من خلفي بيني وبين القوم " ، يعلمه منزلته ومنزلة القوم أنه قد فرغ من أمر الجواز ، ومن بعده لم يفرغوا ، قال الله تبارك اسمه : ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۞ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۞ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴾ [التكاثر : ٥ - ٧] ، ففي الدنيا يرى أهل اليقين بعلم اليقين ، فيجوزونها بقلوبهم ، ﴿ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴾ غدا معاينة ، فمعاينة القلب علم اليقين ، ومعاينة الجسد بعينه التي ركب فيه عين اليقين[(٢)] ، وإن الله تبارك اسمه لا يجمع على عبد خوفين ، كذلك روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : " قال ربكم : وعزتي لا أجمع

---

(١) تكرر في (ص) " ومنهم سعيًا " .

(٢) في (د) " الذي ركب فيه " .

على عبدي خوفين ولا أجمع له أمنين » ، فمن أعطي علم اليقين في الدنيا طالع الصراط [١/٢١٦/أ] وأهواله بقلبه ، فذاق من الخوف ، وركبته من الأهوال ما لا يوصف ، فوضع عنه غدا ، ومر عليها[١] في مثل البرق ، فالأنبياء أوفر حظًا من اليقين ، علي[٢] مطالعتهم أمور الآخرة بقلوبهم أكثر ، وهو لهم أشد لفضل نورهم ورؤيتهم تلك الأشياء بقلوبهم ، فمحمد ﷺ أوفر حظا .

وبلغنا أن إبراهيم خليل الله ﷺ يخفق قلبه في صدره حتى يسمع قعقعة عظام صدره نحوا من ميل من الخوف ، فهل هذا إلا من المطالعة البالغة ، فمحمد ﷺ يؤتى الأمن يوم القيامة ما يتفرغ لأمته ، فهل هذا إلا من الخوف الذي قد كان علاه أيام الدنيا ؟ فلم يجمع عليه خوفين ، وإنما جازوا الصراط لتفاوت مدة جوازهم ، حتى كان جواز أحدهم في مثل الريح ، وآخر في مثل الركض ، وآخر في مثل مشي على القدم ، فيحتاج إلى مدة حتى ينجو منه ، فعلى قدر المدة يذوق الأهوال والأفزاع عليها ، فكل من كان له ههنا حظ من اليقين طالع بقلبه بقوة ذلك اليقين فعاين منه ما ذاق الخوف ، فسقط عنه من الخوف على ما ذاق ههنا ، فكذلك تفاوت جوازهم .

وأما قوله : حتى رأيت ظلي وظلكم فيها ، فالنار سوداء مظلمة ، والمؤمنون أهل نور وضياء ، فإذا أشرفوا على النار غدا وقع ضوؤهم على النار على مقادير أجسادهم ، فذلك ظلهم في النار ، كما أن الشمس إذا أشرقت على الأرض فأضاءت وقع لأجسادهم التي لا ضوء لها[٣] على ذلك الضوء ظلمة ، فذلك ظله ههنا ، فإذا كان في الآخرة وأعطوا النور فمروا بنورهم وأجسادهم مضيئة وقع ضوؤهم على ظلمة النار ، فسمى ذلك الضوء على الظلمة ظلا .

وقوله : « أومأت إليكم أن استأخروا » .

فإنما أومأ إليهم شفقة عليهم أن يحترقوا ، ولم يتقدم هو بنفسه أمام القبلة فيتباعد منها ، فذلك من أجل أنه رأى نفسه قد جازها ، فلم يخف على نفسه ، فلم يبرح ورآهم لم

---

(١) في (ص) « عليه » .

(٢) في (ص) « واو » .

(٣) في (د) « فيها » .

يجوزوا وهم مشرفون عليها ، فخاف عليهم فأمرهم بالاستخار ، فقيل له : " أقرهم فإنك أسلمت وأسلموا ، وهاجرت وهاجروا ، وجاهدت وجاهدوا " .

معناه أنهم قد ائتمروا بأمري ؛ فإني أمرتهم [١/٢١٦/ب] بالإسلام والهجرة والجهاد ، فليس للنار عليهم سبيل ؛ لأن رحمتي قد نالتهم .

وقال الله تعالى في تنزيله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ﴾ . فحقق رجاءهم ، وأخبر بصدقهم أنهم صدقوا في الرجاء ، ثم وعدهم فقال : ﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢١٨] . أي : لمن رجا مثل رجائهم ، ومن صدق الرجاء أن يطيع من رجاه فيما يأمره به .

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : " الهجرة هجرتان ، فإحداهما أفضل من الأخرى ، والجهاد جهادان ؛ وأحدهما أفضل من الآخر " . فالهجرة أن تهجر ما كره ربك ، وهو أفضل الهجرة ، والأخرى أن تهاجر إلى الرسول ﷺ ، والجهاد أن تجاهد هواك ونفسك وهو أفضل ، والجهاد الآخر(١) مجاهدة العدو ، فقد جمع الذين يرجون رحمة الله الهجرتين والجهادين ، وهم الذين كانوا خلفه ، فقيل له : أقرهم ، فما على المحسنين من سبيل ، أي أن النار لا تضرهم .

قال : " فلم أر لي عليكم فضلا إلا بالنبوة " . وكفى بها فضلا ، فإن النبوة بلغته الدرجة العليا ، ورفعت عنه أهوال القيامة والجواز على النار ، وأوصلته إلى المقام المحمود والوسيلة والمكرمة ، ولم ينل بالأعمال ما وصفت ، والأعمال إنما تقوم ويعظم خطرها بالنيات ، والنية إنما بدؤها من الإيمان ، فأهل النيات بهذه الصفة يبدو لهم من إيمانهم ذكر الطاعة فتنهض قلوبهم إلى الله من مستقر النفس(٢) ، فإن قلوبهم مع نفوسهم . وأهل اليقين ، تجاوزوا هذه المنزلة ، وصارت قلوبهم مع الله وزايلت نفوسهم فقد فرغوا من أمر النية ، فالنية النهوض ، يقال في اللغة : ناء ينوء ؛ نهض ينهض ، فنهوض القلب من معدن الشهوات إلى الله بأن يعمل طاعة هو

---

(١) وفي (د) " وهو أفضل الجهاد والآخر " .

(٢) " النفس " سقطت من (ص) .

نية ، والذي صار قلبه بين يدي الله محال أن يقال : نهض قلبه إلى الله في أمر كذا ، فهو ناهض بمرة ، نهوضا وقف بين يديه ، فلا يرجع ولا يتصرف ، وقد نقض ذلك الوطن الذي كان يوطنه[1] وارتحل إلى الله فانظر أين يقع أعمال أهل اليقين ، وإنما يعملونها وقلوبهم هناك واقفة بين يدي الله في جلاله وعظمته من هؤلاء الذين ينهضون بقلوبهم في ذلك العمل إلى الله ويريدونه به[2] ، ويحتاجون إلى أن يخلصوا إرادتهم [١/ ٢١٧/ أ] من أهوائهم .

❂ ❂ ❂ ❂

---

(١) في (ص) « توطنه » .
(٢) في (د) « له » .

الأصل السادس والثلاثون والمائة

٧٧١. **حدثنا** عمر بن أبي عمر ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي حسان ، قال : حدثنا إسحاق ابن حازم المدني[١] ، عن صالح بن مسمار مولى سعد بن أبي وقاص ، عن عامر بن سعد ، عن أبيه قال : سمع رسول الله ﷺ رجلا في جوف الليل وهو يقول : يا غوثاه من النار . يرددها كذلك ليلا طويلا ، ثم غدا على رسول الله ﷺ فقال : " أنت القائل الليلة : يا غوثاه من النار ؟ " . فقال : نعم يا رسول الله . قال : " لقد أبكيت الليلة أعيان ملأ من الملائكة كثيرة " . فالنار حشوها غضبه ، وإنما اسودت من غضبه يحل ذلك الغضب غدا بأجساد العداة العصاة ، الذين ذهبوا برقابهم ، فتنتقم النار منهم لحق الله ، فالمستغيث على ثلاثة أضرب : مستغيث من نار الله بعفو الله ، ومستغيث من غضب الله برحمة الله ، ومستغيث من الله بالله ؛ فإن كان هذا المستغيث من النار الذي ذكرها[٢] في الحديث استغاث بعفو الله ، فخليق وأخلق بما وصف أن يكون استغاث من النار برحمة الله ، فلذلك أبكت أعيان الملائكة ، وهذه المنازل يتردد فيها أهلها ، وقد جمع رسول الله ﷺ ذلك فيما أتاه به جبريل ، وأمره أن يكون ذلك[٣] في السجود ، فقال : أعوذ بعفوك من عقابك ، ثم قال : فأعوذ برضاك من سخطك ، ثم قال : وأعوذ بك منك . فتعوذ من العقاب بعفوه ؛ لأنه ضده ، وتعوذ من سخطه برضاه ؛ لأنه ضده ، وتعوذ به منه ؛ لأنه لا ضد له ، ولا ندّ .

---

(١) في (ص) " عبد الله بن إسحاق بن حازم المدني " .

(٢) في (ص) " ذكره " .

(٣) " ذلك " زيادة من (د) .

الأصل السابع والثلاثون والمائة

٧٧٢- حدثنا عبد الوهاب بن فليح بن رباح المكي ، قال : حدثنا مروان بن معاوية[(١)] ، قال : حدثنا زياد بن المنذر ، قال : حدثنا أبو بردة بن أبي[(٢)] موسى ، قال : حدثنا الأغر المزني ، قال : خرج إلينا رسول الله ﷺ ، وهو رافع يديه وهو يقول : " يا أيها الناس استغفروا ربكم ثم توبوا إليه ، فوالله إني لأستغفر في اليوم مائة مرة " .

٧٧٣- حدثنا أبو العالية إسماعيل بن الهيثم النضري ، قال : حدثنا حماد بن واقد البصري ، عن ثابت البناني ، عن أبي بردة ، عن الأغر المزني ، عن رسول ﷺ أنه قال : " إنه ليغان على قلبي ، وإني لأستغفر الله في اليوم سبعين مرة " .

فالاستغفار : هي الغطاء [١/ ٢١٧/ ب] والستر ، يقال في اللغة : غفرت الشيء ، أي غطيته ، ومنه سمي المغفر ؛ لأنه يغطي الرأس ويستره ، فالعبد المؤمن قد بايع الله يوم الميثاق[(٣)] أن يطيعه ويكون بين يديه كالعبيد ، فلما أذنب ترك مقامه وخرج من ستره فتعرى ، فقيل له : تُب ؛ أي ارجع إلى مقامك ، فلما رأى نفسه عاريا طلب الستر ، ففزع من هربه ، فقيل : من يغفر الذنوب إلا الله ، أي من يستر الذنوب إلا الله ، فلما طلبها مضطرا ، يعلم أنه لا يستر أحد إلا الله ، أجيب إلى ذلك ، فستر ، فقيل : ارجع إلى ربك ، إلى مقام البيعة مع الستر ، فأنت في كنفه ما دمت واقفا بمقام البيعة ، فلذلك بدئ بالاستغفار ثم بالتوبة ، وقال في تنزيله : ﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ﴾ [هود : ٣] .

والمغفرة لها درجات ، ألا ترى أنه روي في الحديث أنه من فعل كذا غفر الله له سبعين مغفرة ، وفيما جاء عن الله تبارك اسمه أن قل لهم يا داود : إني من أغفر له مغفرة واحدة أصلح له بها أمر دنياه وآخرته .

٧٧٤- حدثنا الفضل بن محمد ، قال : حدثنا عمرو بن عثمان بن سعيد بن كثير الحمصي ،

---

(١) في (ص) " مرة بن أبي معاوية " .
(٢) سقط من (ص) " أبي " .
(٣) في (د) " القيامة " .

قال : حدثني أبي ، قال : حدثنا محمد بن عبد الرحمن ، قال : سمعت عبد الله بن بشر يقول : قال رسول الله ﷺ : " طوبى لمن وجد في كتابه استغفارا كثيرا " .

وقد وصفنا أن المغفرة هي الستر ، فمنهم من لا يستر عليه في أيام الحياة ، فإذا صار إلى ممره على النار ستر لئلا تصيبه النار ، ومنهم من ستر عليه ههنا ، وستر هناك إذا مر عليها ، ولم يستر عليهم في العرض ، ومنهم من ستر عليهم في العرض عند الملائكة ، فأدخل الحجب على ربه ، وخلا به ربه في السؤال ، فلقي شدة الحياء ، ومنهم من ستر في الحجب عن نفسه حتى لا يراها فيستحي ، ومنهم من ستر عليه سترا لا يذكرها حتى يذهب عنه ذكرها ، فذاك ستر بينه وبين العبد ، يستره عن علمه فيه حتى لا يخجل ، كما ستر أهل الجنان بالأنس له إذا ذكروا ذنوبهم لم يخجلوا ، ولم يثقل عليهم ذكرها ، حتى أنه ليقول لبعضهم : يا فلان ، أتذكر غدرتك يوم كذا ؟ فلو كان له في ذلك أذى أو خجل لم يذكر له ذاك ؛ لأنه في دار الثواب ، ولا تنقيص لثوابه ؛ لأنه أثابهم بدار فيها فرح دائم ، وسرور دائم ، فلو[١/٢١٨/أ] تنغّص عليهم ببعض ما يتأذون لكان في ذلك ارتجاع ، والله لا يرجع في مواهبه ، فكيف يرتجع في مثوبته ؟ فإن المواهب لا عن عوض ، والمثوبة عن عوض ، قد كان من العبد أيام الدنيا وهي العبودة ، فستر الله أهل الجنان بأنسه فهي مغفرتهم حتى لا يخجلون من ذكر ذنوبهم ، وستر الأنبياء في الموقف ، في موضع الحساب ، حيث يخاف الناس ، وتطير الأفئدة ، وتزلزل القلوب ، فسترهم بأنسه ، وكذلك ستر الأولياء من بعدهم في الموقف بأنسه ، فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، فكل من كان في الدنيا من الأنس به أوفر حظا ، كان ستره هناك من ذنوبه أكشف وأشد ، وذكره عليه أيسر وأنسه بالله أكثر ، وأنس العبد بالله من الاحتظاء بجماله وهيبته له من الاحتظاء من جلاله ، فإذا كان قلبه عنده في ملك الجمال فالغالب عليه الأنس ، وإذا كان قلبه عنده في ملك الجلال فالغالب عليه الهيبة ، وجزاء الهيبة منه اليوم الأمن غدا ، وجزاء الأنس به اليوم الأمل غدا ، وصنف من الأولياء أعلى من هذين الصنفين ، وهم المحدثون ، قد قربوا من محل الأنبياء ، فقلوبهم عنده في ملك ملكه قد جاوزت ملك الجلال والجمال

إلى فردانيته[١] ، فانفردوا به في وحدانيته[٢] ، وهم الذين وصفهم رسول الله ﷺ : " سيروا ، سبق المفردون " . قالوا : من هم يا رسول الله ؟ قال : الذين اهتروا في ذكر الله ، يضع الذكر أثقالهم ، يأتون يومئذ خفافا ، فهم أمناؤه في أرضه ، قلوبهم في مُلك الملك في تلك الخلوة التي انقطع العلم ، علم الصفات عندها ، فلا يوصف ما في قلوبهم أيام الحياة ، فالبهتة قد ملكتهم ، فجزاؤهم غدا الدّالّة ، وكذلك معاملة هذه الأصناف الثلاثة إياه ، وعبودتهم له ، فصاحب الهيبة في عبودته ومعاملته من الفرق كالميت في كل أمر من أموره على هول عظيم وخطر عظيم ، وصاحب الأنس في عبودته ومعاملته قد خَف ذلك عنه لما يأمل من عطفه ورأفته به وتحنينه عليه ، فالأمل لديه خفف عنه ذلك ، حتى مر فيها منبسطا ، وصاحب الهيبة مر فيها منقبضا ، وصاحب البهتة أمنته ، فهو كالمطمئن ؛ وإنما اطمأن لأنه صار في قبضته فهو يستعمله ، فباستعماله أشرف على الأمور فهو كالمقتدر الذي قد ملك شيئا فملكه فانبسط [١/٢١٨/ب] في الأمور ، فهو الذي يدل في الدنيا ، وهو الذي يدل في الآخرة ، فالأمين هو الذي بسطه الملك فانبسط ، وصاحب الأنس إنما بسطه الأنس ، فشتان بين من بسطه الملك ، وبين من بسطه الأنس بالملك .

رجعنا إلى ذكر المغفرة فقلنا : إنها درجات ، وقد غفر الله لرسوله ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وقد غفر لمن بعده في أعمال بر عملوها لا تخلو من ذلك ، وإن كان لم ينصه باسمه ، وإنما ذكر العمل فليست هذه المغفرة التي وعد العمال مغفرة الرسول ، والمغفرة الستر ، فلا يضم مغفرة العمال إلى ستر الرسول ، وقد وعد الله المؤمنين المغفرة في غير آية من تنزيله ، فليست كمغفرة الرسول ، ولو كان كذلك لم يكن الرسول مفضلا بذلك إلا بالبشرى ، عجله له ، فمن ظن أن الفضل الذي فضل به تعجيل البشرى فقط ، فقد قلّ علمه وغاب فهمه .

---

(١) في (د) " وحدانيته " .

(٢) في (د) " فردانيته " .

٧٧٥ـ حدثنا الفضل بن محمد ، قال : حدثنا إبراهيم بن الوليد بن سلمة الدمشقي ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثنا النضر بن محرز ، عن محمد بن المنكدر ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : " إن للقلوب صدأ كصدأ الحديد ، وجلاؤها الاستغفار " .

وهذا موافق لما جاء عنه ﷺ : " إن العبد إذا أذنب نكتت في قلبه نكتة سوداء ، فإذا عاد نكتت أخرى حتى يسودّ القلب ، فإذا تاب ونزع صقل قلبه ، ثم تلا : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين : ١٤] ، وإذا همّ العبد بشهوة لم يأذن الله له فيها ثار دخانها في الصدر وهو بيت القلب ، فإذا عزم صار ذلك الدخان حجابا للقلب على معاينة الغيب ، فإن لم يعمل سكن الدخان وذهب ، وإذا عمل ركد الدخان كسحاب راكد مظلم على القلب ، فإذا تاب تبدد السحاب فذهب ، فشبهوه مرة بالسحاب ، ومرة بالصدأ ، ومرة بنقطة سوداء ، وإنما يراد به الحجاب في هذا كله .

الأصل الثامن والثلاثون والمائة

٧٧٦ـ حدثنا بشر بن هلال الصواف ، قال : حدثنا جعفر بن سليمان الضبعي ، عن ثابت البناني ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول ﷺ المدينة أضاء كل شيء منها ، فلما كان [١/ ٢١٩/ أ] في اليوم الذي مات فيه أظلم كل شيء منها ، وما نفضنا الأيدي عن النبي ﷺ ، وإنا لفي دفنه حتى أنكرنا قلوبنا .

قال أبو عبد الله(١) :

وقوله : ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴾ [المائدة : ١٥] ، فكان رسول الله ﷺ نورا أضاء للعالمين ، وقال : ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٤٥ - ٤٦] . فكان ينير سراجه في العالمين ، فكان إذا مشى في الطريق فاح منه ريح المسك حتى يوجد عرفه في ممره ﷺ فيعرف أنه قد مر بهذا المكان ، وكان طاهرا طيبا طهره الله بالحفظ له في الأصلاب والأرحام ، وطفلا وناشئا وكهلا ، حتى قدسه بطهر النبوة وشرفه بالقربة ، وطيبه بروحه ، وجلله ببهائه ، فمن الذي كان يخيب برؤيته عن أن يكون له شفاء قلب إلا من ختم الله على قلبه وجعل على سمعه وبصره غشاوة ؛ كما قال : ﴿ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف : ١٩٨] . فإنما كان يبصر ما نحله الله وزينه من فتح الله عين قلبه بذلك النور الذي جعله في قلبه ، فأبصر محمدا ﷺ ، وعرفه هذه الأشياء ، وأبصر ضوءه كيف يضيء الأشياء ، وكان شفاء قلبه ودواء سقمه ، وكانت هيبته وجلالته ووقاره وطهارته سدا بين القلوب وبين النفوس ، فكانت النفوس قد ألقت بأيديها لأهلها منقادة مستسلمة هيبة وإجلالا وحياء منه ، فلما مات ذهب السراج فذهب الضوء ، وكانت له طلاوة وحلاوة ومهابة ، فأينما حل ببقعة أضاءت تلك البقعة بتلك الطلاوة ، وحليت بتلك الحلاوة والمهابة ، وأما قوله : إنا لفي دفنه وما نفضنا الأيدي حتى أنكرنا قلوبنا فهكذا شأن القلوب التي لم تغلب عليها الهيبة من الله ، فهيبة المخلوقين من رجاله وخاصته ، فأخذهم

---

(١) غير موجودة في (ص) .

وتملكهم ، والرسول ﷺ آية من آيات الله العظمى ، فمن عرف الرسول حين رآه بالآيات ، وقبل منه ما جاء به بالآيات حتى تمكنت المعرفة فيه من هذه الطريق ، فإذا فقده أنكر قلبه ؛ لأن نفسه كانت في قهر ما أعطي الرسول من السلطان ، فلما أحست النفس بذهابه وجدت زمامها ساقطة بالأرض كالمخلاة عنها ، فتحركت وتشوقت لمناها ، وأصاخت أذنا لمطامعها ، ومن غلبت الهيبة من الله على قلبه وملكته[1] [١/٢١٩/ب] لم ينكر قلبه بفقد رسول الله ﷺ ولا بقبضه ، لأن نفسه قد صارت كالميتة من الخشوع لله ، وإنما حدّث بهذا أنس رضي الله عنه عن قلبه وقلب أشباهه ، إذ كانت هيبة رسول الله صلي الله عليه وسلم قد أخذت بقلوبهم ، فأما الصديقون والأولياء فقد دخل قلوبهم من جلال الله وعظمته ما أبهتهم فهابوه ، فتلك هيبة احتشت القلوب منها ، وكذلك المحبة احتشت القلوب منهم من محبة الله ، فغمرت ما كان للمخلوقين فيها ، ولقد بلغني عن قوم جهال ، زاغوا في هذا الباب قياسا ، فقالوا : إذا جاءت هيبة الله زالت هيبة المخلوقين كائنا من كان ، وكذلك محبته ، ولقد عظم القول ، وزاغوا عن القصد ، وعياذا بالله أن تزول محبة رسول الله ﷺ من قلب مؤمن ، وكيف يكون ذلك ، وإنما أحب رسوله من أجله ، وكلما عظمت هيبة الله ومحبته في قلب عبد فهو للهيبة من رسول الله ﷺ أشد ، وحبه في قلبه أعظم وأصفى ، ولكن هيبة الله ومحبته غامرة لما سواها فلا يستبين بمنزلة وادي لينصب في بحر ، فالوادي بهيبته منصب ولكن غير مستبين في ذلك البحر ، وبمنزلة قمر يضيء فإذا أشرقت الشمس غمر إشراقها ضوء القمر ، والقمر بهيبته مضيء يجري في مجراه ، والشمس بإشراقها غالبة عليه .

---

(١) تكرر في (ص) " وملكته " .

الأصل التاسع والثلاثون والمائة

٧٧٧- حدثنا الفضل بن محمد ، قال : حدثنا موسى بن سليمان القرشي الصوفي ، عن بقية ابن الوليد ، قال : كتب إلي عبد الملك بن مهران ، قال : حدثني أبو أمية بن يعلى الثقفي ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، قال : قال رسول الله ﷺ : " نظر الرجل إلى أخيه على شوق خير من اعتكاف سنة في مسجدي هذا " ، فالاعتكاف في مسجد رسول الله ﷺ مضاعف ، كتضعيف الصلاة ، وروي عنه أنه قال : " صلاة في مسجدي تعدل ألف صلاة فيما سواه " ، فإذا كانت الصلاة الواحدة في مسجده تعدل بألف صلاة فيما سواه ، فاعتكاف سنة في مسجده تعدل باعتكاف ألف سنة في سائر المساجد ، فجعل هذا النظر على شوق منه خيرا من هذا الاعتكاف الذي ذكر ، والاعتكاف هو إقبال العبد على الله ، والتخلي عن الدنيا وشهواتها ، وعن التردد في ساحات العيش ، قد حبس نفسه على خالقه عبدا مانعا لنفسه [١/ ٢٢٠/أ] ، عن الانبساط والتفسح في يسير العيش ، مقبلا على ربه في مسجد رسول الله ﷺ ، وموضع مهاجره ومبوء الإسلام ، والنظر على شوق أكبر من هذا ، لأن المؤمن لما انتبه بقلبه فعرف ربه اشتعل نور اليقين في قلبه فانكشف له الغطاء عن جلاله وعظمته وجماله وبهائه ومجده ، اشتاق إليه ، فلم يزل يدوم له الشوق حتى قلق وبرم بالحياة وضاق به ذرعا ، فإذا نظر إلى الكعبة استروح إليها ؛ لأنها بيته ، وإذا نظر إلى القرآن استروح لأنه كلامه ، وإذا نظر إلى السلطان استروح لأنه ظله ، وإذا نظر إلى أخيه المؤمن استروح لأن فيه نوره والمؤمن حبيبه ، وسيماء نوره قد أشرق في وجهه .

فتلك النظرة على شوق منه إلى خالقه خير من اعتكاف سنة في مسجد رسول الله ﷺ ، وإقباله على ربه رافضا لشهواته ومانعا لنفسه حبيسا على ربه لأن هذا بإقباله على ربه ، وحبسه نفسه عليه تحرس نفسه بذلك من الآفات وينتظر منه الرحمة ، وهذا الآخر قد جاز هذه اللحظة ، فهو عطشان بطشان من ظمأ الشوق ، قد أسكرته محبته عن جميع الدنيا وأذهلته آماله فيه عن جميع مُناه في الدنيا ، وأقلقته بقية أنفاسه يتمنى أن يكون مائة ألف نفس قاضية في نفس واحد حتى يطير بروحه إلى الله ، فهو في محبسه يتردد ويطلب آثار من قد اجتباه بمشيئته وجعله أهلا لجنانه من بين خلقه

وسبى قلبه بنوره ، وقد انقطع طمعه من أن يراه وهو ينادي في خلال ذلك : ارحم من تراه ولا يراك ؛ لأنه قد سبق إلى ذلك كليم الله رأس المشتاقين لمّا منّ عليه بالكلام طمع في الرؤية ، فآيسه وأعلمه سبب المنع كالمعتذر ، فقال : ﴿ لَن تَرَىٰنِي ﴾ ، أي أنك لا تقدر على ذلك ، ﴿ وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي ﴾ [الأعراف : ١٤٣] ، وكذلك فعل الحبيب للحبيب(١) إذا سأله حاجة ولا طاقة له بها ، ولا يقوم لها ، وإن الحاجة تضيع ، أقام لنفسه عذرا ، ولم يوحشه بالرد ، فالمؤمن يطلب الآثار شوقا إليه ، فإحدى الآثار كلامه والآخر كعبته ، والآخر المؤمن ، ومنه قول الرسول ﷺ : " إن الله عز وجل أعطى المؤمن ثلاثا : المقة والملاحة والمودة والمحبة في صدور المؤمنين " . [١/ ٢٢٠/ ب] ثم تلا رسول ﷺ : " ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴾ [مريم : ٩٦] " .

٧٧٨. **حدثنا** بذلك أبو بكر بن سابق الأموي ، قال : حدثنا أبو مالك الجنبي ، عن جويبر ، عن الضحاك ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، عن رسول ﷺ .

٧٧٩. **حدثنا** الفضل بن محمد ، قال : حدثنا موسى بن سليمان القرشي ، عن ابن وهب ، عن حيوة بن شريح ، عن أبي عبد الرحمن الجبلي ، عن عبد الله بن عمر ، عن رسول الله ﷺ : " من نظر إلى أخيه نظر ود غفر الله له " .

فنظر الود هوقضاء المنية ، وقد آيس المشتاق من أن ينظر إلى مولاه في دار الدنيا ، فإذا نظر إلى هذا العبد فإنما يقضي منيته من ربه ، ولا يشفيه ذلك ، وهو يدأب على قدميه ، فكل لحظة يلحظ إلى هذا العبد يريد به التشفي من حرقات الشوق إلى الله ، وقد حبسه الله بباقي أنفاسه فيستوجب بتلك النظرة التي من أجل الله كانت ولم يصل إلى منيته المغفرة من الله ، ولله في أرضه أربعة من آثاره ، به يقطع المشتاقون أعمارهم : القرآن وهو كلامه ، والسلطان وهو ظله ، والكعبة وهو بيته ومعلمه ومطهره ، والولي وهو خليفته في أرضه ، فعلى كلامه طلاوة ولبق ، وعلى ظله هيبة ، وعلى بيته ومعلمه وقاره ، وعلى خليفته نور جلاله ، فبهؤلاء الأربع تقوم الأرض ،

---

(١) في (د) " بالحبيب " .

فإذا دنا قيام الساعة رفع القرآن وهدمت الكعبة وذهب السلطان وقبض الأولياء عن آخرهم ، فلم يبق في الأرض ذو حرمة ، فالمتبهون إنما مأخذهم من القرآن لطائفه وطلاوته ولبقه ، ومن السلطان هيبة ظله ، ولا يلحظون إلى أفعالهم وسيرتهم[١] ، ومن البيت إلى وقاره لا إلى نكد الأحجار والبنيان ، ومن الولي إلى نور جلاله التي قد أشرقت في صدره ، قال له قائل من خليفته : قال الذين وصفهم في تنزيله ، فقال عز من قائل : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ﴾ [النمل : ٦٢] . فإنما يصير مضطرا حين يبلغ غاية الصدق من مجاهدة النفس ظاهرا وباطنا ، فإذا رجع إلى نفسه وجدها كما كانت ، فتحير[٢] وانقطع وفزع إلى الله عز وجل مضطرا فأجابه ، فنور قلبه ، وأخذه من نفسه ، وكشف السوء عن باطنه [١/٢٢١/أ] ، وشرح صدره ، وجعله من خلفائه في أرضه ، وأمنائه في حقوقه .

---

(١) في (ص) " سيرته " .

(٢) في (د) " ضجر " .

الأصل الأربعون والمائة

٧٨٠- حدثنا الفضل بن محمد ، قال : حدثنا عمرو بن عثمان بن سعيد بن كثير الحمصي القرشي ، قال : حدثنا بقية ، قال : حدثني شعبة ، قال : حدثني يزيد بن خمير(١) ، قال : حدثني عبد الله بن بسر(٢) ، قال : دخل علينا رسول الله ﷺ فطعم ، ثم أتي بسويق فشرب وأعطى الذي عن يمينه ، وكان إذا أكل التمر وضع النواة على ظهر إصبعيه الوسطى والمشيرة ، ثم ألقاها - وأشار شعبة بأصبعيه ، وأشار بقية بهما ، وأشار عمرو بهما - معناه عندنا : أنه إذا أكل التمر ، فلو أخذ النواة بباطن أصابعه ثم عاد إلى بقية التمر لكان لا يخلو أن تكون أصابعه مبتلة من ريق الفم عند أخذ النواة ، فكره أن يعود إلى بقية التمر وفي يده بلة النواة لحرمة الأكيل والصاحب ، ليتأدب به من بعده ، فإنه قد يعاف الرجل صاحبه في فعله من ذلك ويكرهه ، فكان يأخذ النواة بظاهر إصبعيه ويستعمل باطنهما في تناوله .

وروي في حديث آخر ما يحقق ما قلنا :

٧٨١- حدثنا عمر بن أبي عمر ، قال : حدثنا محمد بن وهب الدمشقي ، عن بقية ، عن خُليد بن دعلج ، عن قتادة ، عن أنس رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ نهى أن نجمع بين التمر والنوى ، وبين الرطب والنوى على الطبق .

٧٨٢- حدثنا عمر ، قال : حدثنا الحارث بن عبد الله ، عن أبي معشر ، عن حفص بن عمر ابن عبد الله بن أبي طلحة ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ أتي بطبق من رطب ، فأكل منه شيئا ، ثم جعل يلقي النوى من فمه بشماله ، فمرت به داجنة فناولها إياه فأكلت .

---

(١) في (ص) " حدثنا بقية قال : حدثنا بني يزيد بن حمير " .

(٢) في (ص) " بشر " .

الأصل الحادي والأربعون والمائة

٧٨٣- **حدثنا** عمر بن أبي عمر ، قال : حدثنا الهيثم بن أيوب ، عن مروان الفزاري عن عيسى بن أبي غزة ، قال : سمعت أنس بن مالك رضي الله عنه يقول : سمعت نبيكم ﷺ يقول : " سيد إدامكم الملح " .

قال أبو عبد الله :

فالملح به صلاح الأطعمة وطيبها ، والآدمي عاجز أن يقوم بالحلاوة فيصير الملح مزاجا للأشياء .

الأصل الثاني والأربعون والمائة

٧٨٤. حدثنا محمد بن بشار[1] الهجري ، قال : حدثنا محمد بن جعفر ، قال [١/ ٢٢١/ ب] : حدثنا شعبة ، عن مسلم الأعور ، عن جبة العربي ، عن علي رضي الله عنه ، قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : متى الساعة ؟ فقال : " ما أعددت لها ؟ " . قال : حب الله ، وحب ورسوله . قال : " فأنت مع من أحببت " .

٧٨٥. حدثنا محمد بن المثنى أبو موسى ، قال : حدثنا محمد بن جعفر ، قال : حدثنا شعبة ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ ، بمثله .

٧٨٦. حدثنا المخزومي ، قال : حدثنا سفيان ، عن الزهري ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ ، بمثله .

فالحب هيّجه للسؤال عن قيام الساعة ؛ فقد علم أن لقاء العبد سيده على الصفاء والشفاء هناك بعد قيام الساعة ، وههنا لقاء القلوب على المزاج ، فقلق وضاق بالحياة ذرعا ، فسأل عن الساعة متى تقوم استرواحا إليها ، وإنما سأله رسول الله ﷺ : " ما أعددت لها " . تطلعا لما يحن ضميره وتعرفا للذي حمله عليه من السؤال من أي معدن هاجت هذه الكلمة ، فكان هذا السائل فيما أحسب من المشتاقين ، ألا ترى أنه لم يذكر من عدته شيئا من أعمال البر ؟ وإنما ذكر الذي كان بين يدي قلبه ، وما اعترض به في صدره ، فأجابه على ما وجده عليه ، فقال : " أنت مع من أحببت " . والموحدون كلهم يحبون الله ، ولكن ذاك حب إيمان ؛ فذاك حب لا يقلق ولا يجيش به صدره ، إن الغالب عليه نفسه ودنياه وشهوته ، وإنما يقلق ذلك ويجيش صدره إذا فاته شيء من شهواته ونهماته من دار الدنيا ، فذاك إنما يعد للساعة حسناته وأعمال بره عدته يرجو بها الثواب من الله ، حتى إذا ورد القيامة حصلت سرائره ، وبُلي خبره ، واقتضى صدقه في الأعمال ، فإن وجد صادقا في ذلك أثيب وأكرم على قدره ، وإن وجد كاذبا رمي به في وجهه كالثوب الخلق ، فهو موقوف في العرصة ، يرجو بأعماله النجاة من النار ، والنوال والثواب في الجنان ،

---

(١) في (ص) " يسار " وفي الأصلين " الهجري " ولم أقف عليه في ترجمته فلعله " العبدي " .

حتى تخلص حسناته وتصفى ، ثم يوزن بالسيئات ، فإن فضل له شيء أعطي بقدر ما فضل ، وهذا السائل قد كانت الأشياء كلها تلاشت عن قلبه في جنب معبوده ، فلحبه إياه جيشان وغليان في صدره فكان ذلك عدته ، فلذلك قال : " أنت مع من أحببت " .

وصاحب هذه القصة [١/ ٢٢٢/أ] أشدهم[1] اجتهادا ، وأصفاهم عملا ، وأخلصهم قلبا ، وأطهرهم إيمانا ، وأبعدهم من كل ريبة وريب ، وأخلقهم بمعالي الأخلاق وأنزههم عن مدانيها ؛ لأن حبه لا ينال إلا محبوبه ، ومن قبل أن ينالوا حبه أحبهم فأحبوه ، ألا ترى إلى قوله جل ذكره : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة : ٥٤] ، فبدأ بحبه إياهم ، ثم بحبهم له ، ثم وصف أخلاقهم وشمائلهم ، فقال : ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ ، يذل على عبده المؤمن لحقه ويرزق له ، ويعطف عليه ، ويحب له ما يحب لنفسه ، ويحوطه وينصحه ، ويعز على الكافر ، وعلى باطله ، فإنما يعز بالله على الباطل فيقهره ، ﴿ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ﴾ ، فمن حبهم إياه دق[2] شأن الخلق فذمهم ، ومدحهم في جنبه ، قال : ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ﴾ ، يعلمك أن هذا الحب إنما نالوا من فضله ﴿ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ ﴾ ، فضله للكل ، ولكنه ﴿ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة : ٥٤] بمن يستحق ومن هو أهله ، فـ ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ ﴾ للفضل ﴿ مَن يَشَآءُ ﴾ [البقرة : ١٠٥] ، وإذا فتح الله قلب عبد وأشرق النور في صدره ، وانتبه من غفلته فمحال أن لا يجيش صدره بحب مولاه حتى ينسى في حبه كل مذكور ، ويلهو عن كل شيء سواه ، كما قال الحسن رحمة الله عليه فيما روي عنه : حق على من قد عرفه أن ينكر كل شيء سواه ، معناه كأنهم يصيرون عند ذكره بالحالة التي لا يعرفون أحدا سواه ، وهذا كما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : " لا يبلغ أحدكم ذروة الإيمان حتى يكون الناس عنده مثال الأباعر في جنب الله ، ثم يرجع إلى نفسه فيكون لها أحقر حاقر " .

ومما يحقق قول الحسن رحمة الله عليه ، ويكشف عن معناه :

٧٨٧- ما حدثنا به أبي رحمه الله ، قال : حدثنا يحيى الحماني ، قال : حدثنا ابن المبارك ،

---

(١) في (ص) " أشد " .

(٢) كذا بالأصلين .

عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي مريم الغساني ، عن خالد بن محمد الثقفي ، عن بلال ابن أبي الدرداء ، عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : " حبك الشيء يُعمي ويصم " .

فهذا قلب واحد إذا أحب الدنيا ، وإذا أحب مولاه أعماه وأصمه عن جميع ما خلق ، وعن كل شيء سواه ، والحب حرارة تتوقد في القلب ، وإنما جاءت الحرارة من النور الذي ولج في القلب ، فيحيى به القلب ، وإذا حيى القلب بشيء [١/ ٢٢٢/ ب] كان الملك لذلك الشيء ، وأما حب الدنيا فإنه حرارة الشهوات تلج القلب فتملكه فيعميه ويصمه عن كل شيء سواه ، وأما حب الآخرة فهو حرارة شهوات الآخرة ، وذلك أنه لما صارت الآخرة له معاينة بالنور الوارد على قلبه هاجت شهوته لها ، فاستحر قلبه وتوقد ، فأعماه وأصمه عن كل شيء سواها ، وأما حب الله فهو نوره ، إذا توقد نوره في قلبه عنده انكشف الغطاء عن جلاله وعظمته وبهائه وجماله وكبريائه ، فسبى قلبه فأعماه وأصمه عن كل شيء سواه ، وهذا ركب في طبائع الآدميين أن يسمو قلبه إلى أرفع درجة من درجات الدنيا ، فيرى أهل النعيم والزينة والأجلة من الخلق ، فيسبى قلبه أوفرهم حظا من ذلك ، وأعظمهم قدرا ، فإذا عاين الآخرة دق هذا في جنبها ، فقلبه شاخص للأرفع فالأرفع ، فإذا وقع على قلبه من جلال الله وعظمته دق هذا كله في جنب ما عاين ، وإنما يحب الآدمي كلا على قدره ، فإذا كان العبد يبلغ منه محبة ما لا قدر له هذا المبلغ ، فما ظنك بمحبة ما لا منتهى لقدره ، ولا بلوغ لكنه صفته ، كيف يبلغ من العبد ، ألا ترى قول رسول الله ﷺ لحارثة ، حيث قال له حارثة : كأني أنظر إلى عرش ربي بارزا . فقال رسول الله ﷺ : " عرفت فالزم " . ثم قال : عبد نور الله الإيمان في قلبه ، فالإيمان في قلوب الموحدين في غطاء الشهوات ، وإذا كان الإيمان مغطى بحجب الشهوات صار محجوبا عن الله وعن داره ، فإذا رحم الله عبدا فأيده قذف النور في قلبه ، وانفسح الصدر وانشرح ، فهذا عين نور الإيمان وإنما انفسح الصدر لأن شهوات النفس كانت متراكمة في الصدر لظلمتها ، وتدبير القلب في الصدر وهو بيته ، والأمور تصدر عن بيت القلب ، وعيناه في الصدر مفتوحتان ، وأذناه مصيختان ، فيدبر الأمور ويصدرها إلى الجوارح ، فقيل صدر ، وللذي العينان والأذنان فيه فؤاد ، وهو قوله جل ذكره : ﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴾ [النجم : ١١] ، والذي هومستقر النور ، وهي

البضعة الباطنة ، وفيه الحياة ، وفيه المعرفة ، فهو قوله تعالى : ﴿ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾ [الحجرات : ٧] ، أي أوصله إلى حبة القلب [١/ ٢٢٣/أ] ، ويقال لتلك البضعة حبة القلب ومما يحقق ذلك قول رسول الله ﷺ : " أتاكم أهل اليمن ألين قلوبا ، وأرق أفئدة " . فوصف القلب باللين لأنت بنور الله ورطب وطاب وسمح ، ووصف الفؤاد بالرقة لأن النور تمكّن فيه فرقّ ، ومن ههنا يقال : فلان رقيق القلب ، والقلب سمي قلبا لأنه بيد الله عز وجل يقلبه كيف يشاء ، والقلب والفؤاد يقرب معناه ، وكلاهما يستعملان في الكلام بمعنى واحد وهما شيئان ، فيقال : خرجت نفسه ، ويقال : خرجت روحه ، وهو قول الله عز وجل : ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ﴾ [الزمر : ٤٢] .

رجعنا إلى ما كنا فيه ، فالمرحوم المؤيد بالنور إذا قذف في قلبه استنار ، فسئل رسول الله ﷺ عن علامته في الظاهر من فعله ، فقال : " التجافي عن دار الغرور ، والإنابة إلى دار الخلود ، والاستعداد للموت قبل نزوله " . ثم قرأ : " ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ [الزمر : ٢٢] . فأهل النور إذا كان أحدهم في مزيد من الله ، فكلما زيد نور ازداد من أحوال نفسه وشهواتها تلهيا ، وبه شغوفا ، وأهل المحبة قوم سبقت لهم من الله سعادة زائدة فاضلة على من دونهم من عمال الله ، اجتباهم بمشيئته وهداهم بإنابته ، فهما[1] صنفان ؛ صنف مجتابون بالمشيئة ، وصنف مهذبون بالإنابة ، وقد ذكرهما[2] الله في تنزيله ، فقال : ﴿ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ﴾ [الشورى : ١٣] . يعني : إلى قول لا إله إلا الله ، ثم قال : ﴿ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾ [الشورى : ١٣] .

فبمشيئته اجتباهم ، جذبت قلوبهم إليه جذبة من غير تردد وتكلف وطلب ، والآخرون طلبوا ونظروا وترددوا وأنابوا ، فهداهم إليه ، فالأول طريق الأنبياء ، وطائفة من أوليائهم ، خاصة الأولياء ، والثاني طريق الأولياء المهذبين أنابوا وساروا إليه بقلوبهم فأوصلهم إليه فأحبهم ، وبحبه أوصلهم إلى حبه ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [المائدة : ٥٤] . يذلون عند كل حق ، ويذلون عند كل مشيئة لله له

---

(١) في (ص) " فهم " .

(٢) في (ص) " ذكرها " .

يظهر من الغيب من أحكامه عليهم ، فينقادون له تسليما بلا تلجلج ، ويعزون عند الباطل ، فيمتنعون منه حتى لا يجد العدو سبيلا [١/ ٢٢٣/ ب] ، ولا النفس إلى خدعها طريقا ، ويعزون على أهله فلا يستقبلهم مضاد إلا انقمع لهم وسلس ، ولا يخافون لومة لائم في أمر الله ، قد سقط عن قلوبهم خوف سقوط المنزلة عند الخلق ، وهذه عقبة صعبة عظيمة من جازها فقد ولى الدنيا وراء ظهره ، ودفع عن الناس تالا[(١)] ، وللنفس بالان[(٢)] هما دنياه ، إحداهما أن يذهب دنياه ، والآخرة أن يسقط عن عيون الخلق ، فهما عقبتان كئودان ، فطلاب الآخرة جازوا هذه العقبة الواحدة فأعرضوا عن الدنيا توليا عنها ، وأقبلوا على الآخرة ، وبقوا في هذه العقبة الثانية ، فهم حرصاء أن يكون جاههم وقدرهم باقيًا عند الخلق ، وأن لا يسقطوا من عيون الخلق ، وهذه عقبة النفس ، فمن أشرب حب الله قلبه فشربه فقد أسكرته عن الدارين وعن الخلق ، فطارت هذه المحبات عنه حب المحمدة وحب الثناء ، ورفعة المنزلة عند الخلق ، وذهب باله ونسي هذا كله في جنب ما أحاط بقلبه ، وهو الشهوة الخفية التي ذكرها رسول الله ﷺ ، فقيل له في ذلك ، فقال : " أخوف ما أخاف عليكم حب الشرك الخفي ، والشهوة الخفية " . فحب الثناء والمحمدة هي الشهوة الخفية ، هو أمر باطن ، تكتم النفس صاحبها ذلك فلا يزيلها إلا حب الله فيعميه عن الخلق ، ويصمه عن ما يقولون ، فهذه الشهوة الخفية من أقوى الأشياء في الأدمي ، تبقى هذا في عمال الله والقراء والزهاد والورعين ، فهم منه في جهد ، فهذا الذي حملهم على الاختفاء والهرب من الخلق ، وإخفاء العمل وكتمان الأشياء التي يكرمهم الله بها مخافة التزيين ، وهذا الذي أسكتهم إذ خافوا المباهاة والتزيين في الأقوال ، فلا يبقي هذا عن القلب إلا عظمة الله وجلاله إذا أشرق الصدر بنوره فامتلأ من عظمته ، ولزمته هيبته وهاجت هوائج المحبة له والشوق إليه ، وظهر الوله والحنين ، فحينئذ تموت هذه الأشياء منه ، ويحيى قلبه به ولا يخاف في الله لومة لائم ، فإذا ترقى من هذه الدرجة إلى الدرجة العظمى فانفرد بوحدانيته بهت في

---

(١) كذا بالأصلين .

(٢) هكذا استظهرت قراءتها .

جلاله وجماله ، واستولت على قلبه هيبته افتقد ذكر هذا كله من نفسه فيصير في قبضته يستعمله في أموره معتزا به [١/ ٢٢٤/ أ] لا بذاته ، به يقوم ، وبه يقعد ، وبه يتصرف في الأحوال .

والسائل الذي سأل رسول الله ﷺ عن الساعة :

٧٨٨- روى محمد بن محمد بن المثنى في حديثه ، قال : حدثنا معاذ بن هشام ، قال : حدثني أبي ، عن قتادة ، قال : سمعت أنس بن مالك رضي الله عنه يقول : جاء رجل من أهل البادية فسأله عن الساعة ، فذكر الحديث ، فكم من بدوي من رجال الله وخاصته لا يعرف ولا يؤبه له .

٧٨٩- حدثنا محمد بن محمد بن حسين ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن واقد العطار ، قال : حدثنا هشام بن سلمان ، قال : سمعت ثابت البناني يقول : لا تسخروا من أحد ولا تستهزئوا من أحد ؛ فإن أنس بن مالك رضي الله عنه حدثنا أن رسول الله ﷺ كان بالبقيع ، فإذا هو بأعرابي أعمش العينين ، حمش الذراعين ، دقيق الساقين ، عليه شملتان ، وهو على قعود ، ومعه عكة سمن يبيعها ، فجاء جبريل عليه السلام إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، هذا زاهر ، هذا يحب الله ، والله يحبه . فدنا منه رسول الله ﷺ فقال : " يا زاهر " . قال : لبيك يا رسول الله . قال : " من يشتري زاهرا " . فقال : يا رسول الله إذا تجدني كاسدا . فقال : " يا زاهر ، إن تكن عند الناس كاسدا ، فإنك عند الله لست بكاسد ، إذا قدمت المدينة فانزل علي ، وإذا أنا بدوت نزلت عليك " .

الأصل الثالث والأربعون والمائة

٧٩٠- حدثنا أبي رحمه الله ، قال : حدثنا ابن أبي أويس ، قال : حدثنا سليمان بن بلال ، عن محمد بن عجلان ، عن سعيد المقبري ، عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قيل : يا رسول الله ، أي النساء خير ؟ قال : " التي تسره إذا نظر ، ولا تعصيه إذا أمر ، ولا تخالفه لما يكره في نفسها ومالها " .

فأما قوله : " تسره إذا نظر " . فللعفة ؛ فإن المرأة إذا كان لها جمال كان ذلك عونا له على عفته ودينه ، فلا يلحظ إلى امرأة إلا كان في غنى عنها بما عنده من جمالها .

وجاءنا عن زكريا صلوات الله عليه ما يحقق قولنا .

٧٩١- حدثنا بذلك عبد الله بن أبي زياد[1] القطواني ، قال : حدثنا سيار ، قال : حدثنا محمد بن مروان العقيلي ، أظنه قال : حدثنا يونس بن عبيد ، أن رجلا كان يعتدي على أهل مملكته ويجور عليهم ، فائتمروا لقتاله ، فقالوا : نبي الله زكريا بين أظهرنا صلوات [١/ ٢٢٤/ ب] الله عليه ، فلو أتيناه . فأتوا منزله ، فإذا فتاة جميلة رائعة ، قد أشرق البيت لها حسنا ، فقالوا : من أنتِ ؟ قالت : أنا امرأة زكريا . قالوا بينهم : كنا نرى نبي الله لا يريد الدنيا ، فإذا هو قد اتخذ امرأة جميلة رائعة ، قالوا : فأين هو؟ قالت : في حائط لفلان يعمل لهم . فأتوه ، فإذا هويعمل ، حتى إذا حضر غداؤه ، قرب رغيفين ، فأكل ولم يدعهم ، ثم قام فعمل بقية عمله ، ثم علق خفيه على عنقه والمسحاة والكساء ، ثم قال : حاجتكم ؟ قالوا : جئنا لأمر ، ولقد كاد يغلبنا ما رأينا ، على ما جئنا له . قال : فهاتوا . قالوا : جئنا منزلك فإذا امرأة جميلة رائعة ، وكنا نرى نبي الله لا يريد الدنيا . فقال : إني إنما تزوجت امرأة جميلة رائعة لأكف بها بصري ، وأحفظ بها فرجي ، فخرج نبي الله مما قالوا ، قالوا : ورأيناك قربت رغيفين فأكلت ولم تدعنا . قال : إن القوم استأجروني على عمل ، فخشيت أن أضعف على عملي ، ولو أكلتم معي لم يكفني ولم يكفكم . فخرج نبي الله صلوات الله عليه مما قالوا ، قالوا : ورأيناك وضعت خفيك على عنقك ، والمسحاة والكساء . قال : إن هذه

---

(١) في (ص) " عبد الله بن زياد " .

الأرض جديدة ، فكرهت أن أنقل تراب هذه إلى هذه . فخرج نبي الله مما قالوا ، قالوا : إن هذا الملك يجور علينا ويظلمنا ، وقد ائتمرنا لقتاله . فقال : أي قوم لا تفعلوا ؛ فإن إزالة جبل من أصله أهون من إزالة ملك مؤجل .

وجاء عن رسول الله ﷺ أنه قال : " مثل عائشة في النساء كمثل الثريد في الطعام " . فهذا تمثيل منه ، وذلك أن الثريد مشبع يجزئ عن سائر الطعام ، يستغني به صاحبه عما سواه ، ولا يقوم مقامه شيء من الطعام ، فهذا الذي ذكرنا وجه ، والوجه الآخر أن الله تبارك اسمه قد أخذ على الأزواج مواثيقهم في شأن نسائهم ، وذكر في غير موضع في تنزيله شأنهن ، وقال جل ذكره : ﴿ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾ [البقرة : ٢٢٩] ، وقال : ﴿ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ ﴾ [النساء : ٣٦] ، فأمرهم بالإحسان إليهن ، والمعروف إليهن .

فروي عن رسول الله ﷺ أنه خطبهم يوم فتح مكة[(١)] فقال : " إنما النساء عندكم عوان ، أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، فاتقوا الله فيهن " . أي في حُسن عشرتهن ، والخروج إليهن من حقوقهن ، فمن رُزق امرأة على وفاق نفسه كان ذلك عونا له على حسن العشرة وإقامة الحقوق [١/ ٢٢٥/ أ] ، فإن النفس إذا هويت شيئا مالت إليه ، وأمالت القلب ، والقلب ميال إلى إقامة أمر الله فيها ، فصار أمرهما على اتفاق ، فلم يبق للنفس تردد ولا تلكؤ ، فهذا قوله ﷺ : " تسره إذا نظر " .

أما قوله ﷺ : " ولا تعصيه إذا أمر " . فإنما عظم أمر الأزواج التي يلزمها أن لا تخرج من بيته إلا بإذنه ، ولا تدخل بيت أحد من الرجال بغير إذنه ، إلا أن يكون ذا محرم ، ولا تكلم أحدا من الرجال إلا بإذنه ، إلا ذي رحم محرم ، ولا تمنع نفسها في حال حاجته إليها ، هويت ذلك أو لم تهو ، خفّ ذلك عليها أو ثقل " لأنه إنما تزوجها لتكون لها سكنا ، وليعف بها عن الأدناس ، فإذا كانت خرقاء فنزعت على زوجها في وقت حاجته فقد ألقته في الهلاك ، فربما أوقعه صرفتها في فتنة ، أو في حال يصير غدا من عرتها في عويل وصراخ وشق جيب .

---

(١) كذا بالأصلين ، والصواب : حجة الوداع .

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : " لا تمنع المرأة زوجها نفسها ، وإن كانت على رأس تنور " .

وفي حديث آخر : " وإن كانت على قتب " .

ومعنى القتب أن القوابل كانت ممن تعز عليهم وجوده في تلك البوادي ، فيحملون نساءهم على القتب عند ولادتها ، حتى يقبلون ولدها من تحت القتب ، وقد هيئ القتب بالأرض حتى تستمكن من القعود فتلد ، فقال : لا تمنع نفسها وإن كانت على قتب ، أي في حال ولادتها .

٧٩٢- **حدثنا** عمر ، قال : حدثنا حرملة بن يحيى ، عن ابن وهب ، قال : حدثني معاوية ، عن أزهر بن سعيد ، عن أبي[١] كبشة صاحب رسول الله ﷺ قال : كنا جلوسا مع رسول الله ﷺ إذ مرت بنا امرأة ، فقام رسول الله ﷺ فدخل منزله ، ثم خرج إلينا وقد اغتسل ، فقلنا : نرى أن قد كان شيء يا رسول الله ؟ فقال : " مرت بي فلانة فوقعت في نفسي شهوة النساء ، فقمت إلى بعض أهلي فوضعت شهوتي فيها ، وكذلك فافعلوا فإنه من أماثل أعمالكم " .

وأما قوله ﷺ : " ولا تخالفه لما يكره في نفسها ومالها " . فهو أن تساعده على أموره ، ما لم يكن فيها معصية ، فإن حسن الصحبة في المساعدة ، وحسن العشرة ترك هواها لهواه ، وكذلك في مالها .

٧٩٣- **حدثنا** إبراهيم بن سالم بن رشد[٢] الجهيمي ، قال : حدثني يوسف بن عطية الصريمي ، قال : حدثنا ثابت البناني ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، أن امرأة جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ﷺ ، إن زوجي غزا في [١/ ٢٢٥/ ب] سبيل الله ، وإنه أمرني ألا أخرج من البيت ، وإن أبي اشتكى ؟ قال : " اذهبي فالزمي بيتك ، وأطيعي زوجك " . ثم جاءت فقالت : إن أبي مات فقام معها رسول الله ﷺ فذهب وصلى عليه ، فلما أن فرغ قال : " يا هذه اعلمي أن الله قد غفر لأبيك بطواعيتك زوجك " .

---

(١) في الأصلين " ابن " والمثبت من التهذيب .

(٢) في (د) " رشيد " .

٧٩٤ـ حدثنا صالح بن عبد الله ، قال : حدثنا يوسف بن عطية ، عن ثابت ، عن أنس رضي الله عنه ، أن رجلا انطلق غازيا وأوصى امرأته أن لا تنزل من فوق البيت ، وكان والدها في أسفل البيت ، فاشتكى أبو ها ، فأرسلت إلى رسول الله ﷺ تخبره وتستأمره ، فقال : فأرسل إليها : " اتقى الله وأطيعي زوجك " . ثم إن والدها توفي ، فأرسلت إليه تستأمره ، فأرسل إليها مثل ذلك . وخرج رسول ﷺ وأرسل إليها أن الله قد غفر لأبيك بطواعيتك لزوجك .

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : " الدنيا متاع ، وخير متاعها المرأة الصالحة " .

وقال رسول الله ﷺ : " خير[1] ما أعطي العبد من الدنيا زوجة مؤمنة تعينه على إيمانه " .

وفيما حكي عن لقمان رضي الله عنه ، أنه قال لابنه : مثل المرأة الصالحة مثل التاج على رأس الملك ، ومثل المرأة السوء كمثل الحمل الثقيل على ظهر الشيخ الكبير .

---

(١) " خير " سقطت من (ص) .

الأصل الرابع والأربعون والمائة

٧٩٥- حدثنا عبد الله بن أبي زياد ، قال : حدثنا سيار بن حاتم العنزي ، قال : حدثنا سالم بن سلمة مولى أم هانئ ، قال : سمعت شيخا يقول : سمعت عثمان بن عفان يقول : سمعت رسول ﷺ يقول : " قال الله جل ذكره : إذا بلغ عبدي أربعين سنة عافيته من البلايا الثلاث ؛ من الجنون والبرص والجذام ، فإذا بلغ خمسين سنة حاسبته حسابا يسيرا ، وإذا بلغ ستين سنة حببت إليه الإنابة ، وإذا بلغ سبعين سنة أحبته الملائكة ، وإذا بلغ ثمانين سنة كتبت حسناته وألقيت سيئاته ، وإذا بلغ تسعين سنة قالت الملائكة : أسير الله في أرضه . فغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، ويشفع في أهله "[١] . وهذا من جيد الحديث ، وقد أتت روايات أخر عن رسول الله ﷺ فقط ، وليس فيها حكاية عن الله تعالى .

٧٩٦- حدثنا بذلك يزيد[٢] بن هلال ، قال : حدثنا الفضيل بن عياض[٣] ، عن يوسف بن ذر ، عن جعفر بن عثمان بن أمية ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : " ما من معمر يعمر في الإسلام أربعين سنة إلا صرف الله عنه [١/ ٢٢٦/ أ] ثلاثة أنواع من البلاء : الجنون ، والجذام ، والبرص ، فإذا بلغ خمسين سنة لين الله حسابه ، فإذا بلغ ستين سنة رزقه الله الإنابة إليه بما يحبه - أو كما قال - فإذا بلغ سبعين سنة تقبل حسناته وتجاوز عن سيئاته ، وإذا بلغ ثمانين سنة أحبه الله وأحبه أهل السماء ، وإذا بلغ تسعين غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وتسميه [الملائكة][٤] أسير الله في الأرض ويشفع في أهل بيته .

٧٩٧- حدثنا صالح بن عبد الله قال : حدثنا الفرج بن فضالة ، عن محمد بن عامر عن محمد بن عبد الله ، عن جعفر بن عمرو الضمري ، عن أنس بن مالك بنحوه ولم يرفعه .

٧٩٨- حدثنا صالح بن عبد الله [قال : حدثنا خالد الزيات عن داود أبي سليمان عن

---

(١) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ، ورمز له بالضعف ، وقال المناوي : وفيه مجهول وضعيف .

(٢) في (ص) " سيف " .

(٣) في (ص) " الفضل بن عياض " .

(٤) زيادة لمناسبة السياق .

عبد الله][١] بن عبد الرحمن بن معمر بن حزم عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، ورفع الحديث قال : " المولود حتى يبلغ الحنث ما عمل من حسنة كتبت لوالديه - أو : لوالده - فإن عمل سيئة لم تكتب عليه ولا على والده ، وإذا بلغ الحنث وجرى عليه القلم أمر الملكان اللذان معه أن يحفظا ويسددا ، فإذا بلغ أربعين سنة في الإسلام أمنه الله من البلايا الثلاث : من الجذام والبرص والجنون ، فإذا بلغ الخمسين خفف الله حسابه ، فإذا بلغ الستين رزقه الله الإنابة إليه فيما يحبه ، فإذا بلغ السبعين أحبه أهل السماء ، فإذا بلغ الثمانين كتب الله حسناته وتجاوز عن سيئاته ، وإذا بلغ التسعين غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وشفعه في أهل بيته وكان اسمه عند الله في السماء : أسير الله في أرضه ، فإذا بلغ أرذل العمر لكي لا يعلم من بعد علم شيئًا كتب الله له مثل ما كان يعمل في صحته من الخير ، فإن عمل سيئة لم تكتب عليه " .

٧٩٩- حدثنا صالح بن محمد ، قال حدثنا سليمان بن عمرو، عن أبى حزم[٢] ، عن أنس بن مالك ، عن الرسول بمثله .

٨٠٠- حدثنا داود بن حماد القيسي ، قال : حدثنا اليقظان بن عمار بن اليقظان بن عمار بن ياسر ، قال : حدثنا ابن شهاب الزهري ، عن أبى سلمة ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : " إن العبد إذا بلغ أربعين سنة - وهو العمر - أمنه الله من الخصال الثلاث : من الجنون ، والجذام ، والبرص ، وإذا بلغ خمسين سنة - وهو الدهر - خفف الله عنه الحساب ، فإذا بلغ ستين سنة وهو في إدبار من قوته رزقه الله الإنابة إليه فيما يحب ، فإذا بلغ سبعين سنة - وهو الحقب - أحبه أهل السماء ، وإذا بلغ ثمانين سنة - وهو [١/ ٢٢٦/ ب] الخرف - أثبتت حسناته ومحيت سيئاته ، وإذا بلغ تسعين سنة - وهو الفناء - وقد ذهب العقل غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وشفع في أهل بيته ؛ لأن اسمه عند الله في السماء : أسير الله في أرضه[٣] ، وإذا بلغ مائة سنة

---

(١) ما بين المعقوفين سقط من (ص) .

(٢) في (د) " ابن حزم " .

(٣) في (د) " سماه أهل السماء أسير الله " .

سمي : حبيس الله في الأرض ، وحق على الله أن لا يعذب حبيسه في الأرض " .

٨٠١ حدثنا أبي رحمه الله ، قال : حدثنا عثمان بن زفر ، قال : حدثنا مزاحم[١] بن زفر ، عن ليث بن سعد ، عن أبي عمر الصنعاني ، عن رسول الله ﷺ نحو حديث فضيل بن عياض .

٨٠٢ حدثنا محمد بن محمد بن حسين ، قال : حدثنا عثمان بن هيثم البصري ، قال : حدثني الهيثم بن الأشعث ، عن الهيثم بن محمد السلمي ، عن محمد بن عمار الخطمي ، عن جهم بن عثمان بن أبي جهيمة السلمي ، عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ، عن عبد الله بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ : " إذا بلغ المرء المسلم أربعين سنة صرف الله عنه ثلاثة أنواع من البلاء : الجنون ، والجذام ، والبرص " .

قال أبو عبد الله[٢] :

فهذا حديث يخبر عن حرمة الإسلام وما يوجب الله لمن قطع عمره مسلمًا ، وليس يقصد في ذكر الدرجات ولا الأعمال ، إنما يُعلِم القاطعين أعمارهم بهذا الإسلام بما لهم بعمرهم الذين داموا فيه على الإسلام عند الله من الكرامة سوى صحة الأعمال وصدقه وصفائه واكتساب الطاعات ، فذاك ثوابه على قدر ما اكتسب وسعى ، وقد قال في الحديث الذي رواه الفضيل بن محمد : " ما من معمَّر يُعمَّر في الإسلام " فإنما قصد لبيان فضل التعمير في الإسلام وثباته عليه ، ومثال هذا موجود في خلقه ؛ ترى الرجل يشتري عبدًا فإذا أتت عليه ستون سنة يقول : قد طالت صحبة هذا وعَتِق عندنا ، ويرفع عنه بعض العبودة ويخفف عنه في ضريبته ، فإذا زادت مدة صحبته زيد رفقًا وعطفًا ، فالعبد لا يخلو من تخليط وذنب وإساءة في عمل مولاه ، فهو لطول الصحبة لا يمنعه رفقه رفده ولا يعيبه ، فإذا شاخ وكَبِر أعتقه ، ويحتشم من بيعه والإساءة إليه ، ولهذا ما قال رسول الله ﷺ : " إن الله يستحيي من عبده وأمته

---

(١) في (ص) " إبراهيم " .

(٢) غير موجودة في (ص) .

أن يشيبا في الإسلام فيعذبهما».

ففي بلوغ العمر أربعين سنة استكمال الشباب[١] واستجماع القوة، ثم لا يزال بعد الأربعين في نقصان وإدبار عمر تام، فإذا عاش في الإسلام عمرًا تامًّا وجبت له من الحرمة ما يدفع [١/ ٢٢٧/ أ] عنه هذه الآفات التي لا تقبل الدواء وَوُجُودَ العَدُوِّ إِلَيْهِ سَبِيلاً في أخذ قلبه، فإذا بلغ خمسين سنة فقد صار إلى نصف الذي هو أرذل العمر، فإنما برذالة العمر نال رفع الحساب وأن لا تكتب عليه سيئة في بلوغ المائة، فإذا بلغ خمسين سنة وجاوزها فقد وقع في النصف الأرذل فخَفَّف عنه حسابَه، وقيل في الرواية الأخرى: «لَيَّن حسابَه». وقال في حديث عثمان رضي الله عنه: «حاسبه حسابًا يسيرًا». فمعنى هذا كله قريب يرجع إلى معنى واحد وهو اليسر[٢] فإذا انتهى آخره يرفع عنه الحساب وهذا كله في حياته، وخفة الحساب في الدنيا أن لا يؤاخذه في الدنيا، ولا ينزع منه البركة، ولا يحرمه الطاعة، ولا يقصيه، ولا يخذله إذا عمر هذا العمر، ومن قبل الخمسين لم يستوجب هذه الحرمة.

فإذا بلغ ستين سنة فهو في عمر التذكر والتوقف.

٨٠٣ حدثنا يحيى بن المغيرة المخزومي، قال: حدثنا ابن أبي فديك، عن إبراهيم بن الفضل، عن ابن أبي حسين المكي، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة نودي أبناء الستين وهو العمر الذي قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾ [فاطر: ٣٧]». فإذا عمِّر في الإسلام ستين سنة فقد جاء أوان التذكر؛ لأن الأربعين منتهى استتمام القوة، فإذا جاوز الأربعين إلى الستين فقد أتى عليه عشرون سنة وقد أخذ في النقصان وقد جاوز الأربعين الذي به استتم، وافتقد من نفسه نصف القوة، فلذلك صارت حجة عليه لمَّا جاوز فقد النصف من القوة التي أعطي، فأوجب له حرمة بأن رزقه الإنابة إليه فيما يحب وهو التذكر، فإنه إذا تذكر أناب وإذا أناب تذكر، فرزقه الإنابة ولم يخذله فيصير عمره عليه وبالاً وحجة، فيعيره كما يُعيّر أهل النار، فقد حكى الله في تنزيله عن

---

(١) في (ص) «الأخلاق».

(٢) في (ص) «السير».

أعدائه فقال جل ذكره : ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ۞ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [فاطر : ٣٦ - ٣٧] ، فأجيبوا بقوله : ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [فاطر : ٣٧] فوجب للمعمَّر في الإسلام ستين سنة لحرمة مدته أن رزقه الإنابة إليه في الطاعات .

[١/ ٢٢٧/ ب] فإذا بلغ سبعين سنة فقد عمِّر حقبًا من الدهر ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿لَّابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ [النبأ : ٢٣] والواحد : حقب ، والحقب : سبعون سنة ، فجعل كل حقب غاية وحدًا ينتهى إليه في الطول وهو منتهى أعمار هذه الأمة .

٨٠٤ـ حدثنا أبى رحمه الله ، قال : حدثنا عثمان بن زفر ، عن ابن كناسة ، رفعه إلى أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله ﷺ [: " أقل أمتى أبناء السبعين " .

٨٠٥ـ حدثنا يحيى بن المغيرة بن سلمة المخزومي أبو سلمة ، قال : حدثنا ابن أبى فديك ، عن إبرهيم بن الفضيل ، عن المقبري ، عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ](١) : " معترك المنايا ما بين الستين إلى السبعين " .

٨٠٦ـ حدثنا محمد بن يزيد النيسابوري ، قال : حدثنا ابن إدريس ، قال : حدثنا أبى ، عن وهب بن منبه ، قال : مكتوب فى التوراة : شوقناكم فلم تشتاقوا ، ونُحنا لكم فلم تبكوا ، ألا وإن لله مَلكًا في السماء ينادي كل ليلة : بشِّر القتالين بأن لهم عند الله سيفًا لا ينام وهو نار جهنم ، أبناء الأربعين زرع قد دنا حصاده ، أبناء الخمسين ، هلموا إلى الحساب لا عذر لكم(٢) ، أبناء الستين ، ماذا قدمتم ؟ وماذا أخرتم ؟ أبناء السبعين ، ماذا تنتظرون ؟ ألا ليت الخلق لم يُخلقوا ، فإذا خلقوا علموا لما خلقوا ، ألا أتتكم الساعة فخذوا حذركم .

فقوله : " زرع قد دنا حصاده " لأن الزرع إذا أدرك فاستُحصِد حصد ، فإن تركناه من شأنه يفسد ، فكذلك أبناء الأربعين قد أدركوا تمام العمر فصار الجسد في إدبار .

وقوله : " أبناء الخمسين ، هلموا إلى الحساب " هو مقارِب لما قال في الحديث

---

(١) ما بين المعقوفين سقط من (د) .

(٢) " لا عذر لكم " سقط من (ص) .

الأول : " خفَّف اللهُ حسابه " .

وقوله : " أبناء الستين ، ماذا قدمتم وأخرتم ؟ " هو موافق لقوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ ﴾ [فاطر:٣٧] .

وقوله : (أبناء السبعين ، ماذا ينتظرون) أي قد نفد العمر وانتهى ، وهو موافق لذلك ، فهذا يحكي عن التوراة وذاك عن رسول الله ﷺ عن الله تعالى ، إلا أن ذاك في فضل المعمرين في الإسلام وما يجب لهم ، وهذا في طريق الوعيد وأذان أهل الغفلة في أسماعهم كي ينتبهوا ، فإذا عمر في الإسلام سبعين سنة أوجب له محبتَه ، وأحبه أهل السماء لأنه يشهر حبه فيهم ، كأنه يقال : هذا عبد قد كان في عبودة مولاه [١/٢٢٨/أ] سبعين سنة حقبًا واحدًا لم يأبق ولم يتولَّ عنه حتى شاب في الإسلام وذهب شبابه وقوته .

فإذا بلغ ثمانين سنة قبلت حسناته ، وتجاوز الله عن سيئاته ، فهذا قد عمر ضعف العمر ، وذلك أن العمر هو أربعون ، ثم هو في إدبار ؛ فقد عمر هذا العبد مثلَي العمر في الإسلام ، واستوجب أن قُبلت حسناته وتجاوز له عن سيئاته ، وقد ذكر الله أهل الاستقامة في تنزيله فقال : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأحقاف : ١٥] فذكر ههنا خصال أهل الاستقامة ، وهو شكر أهل النعمة والعمل الصالح المرضي والتوبة ، وقال الله تبارك اسمه : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ﴾ ثم قال : ﴿ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴾ [الأحقاف ١٦] أي من كان بهذه الصفة فقد سبق الموعود له بالجنة وما فيها من النعمة على ألسنة الرسل ، وهو قوله : ﴿ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ ﴾ [آل عمران : ١٩٤] فهذا وعدُه تقبُّلُ الحسنات والتجاوز عن السيئات ، فهذا لمن بلغ أربعين سنة على هذه الخصال ، فإذا كان مخلِّطًا فعمر في الإسلام ضعف أربعين أوجب له بحرمة ذلك العمر ما يوجَب للمستقيم الذي ذكرنا من خصاله في وقت الأربعين .

٨٠٧ـ حدثنا أبي رحمه الله ، قال : حدثنا عثمان بن زفر الكوفي ، قال : حدثنا جابر[١] بن

(١) في (د) " حاتم " .

نوح ، عن عمرو الملائي ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " إذا بلغ الرجل من أمتي ثمانين سنة حرم الله جلده على النار " .

فإذا بلغ تسعين سنة فقد أفند وفُنِّد عقله - وكان العقل حجة الله عليه - فغفر له ما تقدم من ذنبه فقطع هذا العمر مسلمًا ، وما تأخر من ذنبه بفقد عقله ، وسمي أسير الله في الأرض ؛ لأنه في أول ما اجتباه ألقى في قلبه نور المعرفة ، فسبى قلبه ، فما زال يستغله ، فيغل غَلّته ، ويؤدي خراجه ، حتى إذا شاخ وكبر وعجز عن الغلة وذهبت القوة وفقد العقل ؛ رفع عنه تبعة الذنب فيما بقي ، وإنما قيل : أسير ؛ لأنه في ربقة الإيمان [١/ ٢٢٨/ ب] فهو كأسير في وثاق ولا يقدر براحًا ، ولذلك قال رسول الله ﷺ : " مثل المؤمن مثل الفرس في آخيته " . فهذا المُقَيَّد المُهْتَر عاجز عن أعمال البر وهو في ربقة الإسلام ، فإذا بلغ مائة سنة فقد رد إلى أرذل العمر فعاد كالصبي ، فبلغ من حرمته أن أجريت له حسناته ولم تكتب عليه سيئاته لأنه قد بُلِي فوُجِد صادقًا في قول : لا إله إلا الله ، ثم لم يتردد عنها ، ودام عليها ناشئًا فتيًا ، ودام عليها شابًا طريًا ، ودام عليها كهلًا سريًا ، ودام عليها بَجَالاً بهيًا ، ودام عليها شيخًا رضيًا ، فلما صار إلى أرذل العمر عاد إلى أحكامه طفلًا صبيًا ، فأجري له مثل ما كان يعمل من الحسنات في سالف أيامه ، ورفع عنه سيئ ما يجيء منه ، قال الله تبارك اسمه : ﴿ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ﴾ [النحل : ٧٠] وقال : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ * ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴾ ثم استثنى فقال : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ [التين : ٤ - ٦] أي : غير مقطوع .

٨٠٨ - حدثنا صالح بن محمد عن(١) سليمان ، عن ابن حزم ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ في قوله : ﴿ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ قال : " غير ممنون ما يكتب لهم صاحب اليمين ، فإن عمل خيرًا كتب صاحب اليمين ، وإن ضعف عن ذلك كتب له صاحب اليمين وأمسك صاحب الشمال فلم يكتب سيئة " .

ومن قرأ القرآن لم يرد إلى أرذل العمر لكي لا يعلم من بعد علم شيئًا .

---

(١) في (ص) " ابن " .

فهذا كله يكشف عن حال المعمرين في الإسلام وأقدارهم عند الله ، وليس يراد به الأعمال والدرجات فإن للأعمال تفاوتًا ولكن هذا لعامة من يقطع عمره في الإسلام فبيّن الغايات ومرتبة كل غاية ، وفضله ، ووصف في تنزيله ما يقول لأعدائه : ﴿ قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ [المؤمنون : ١٠٨] ، ثم قال كنصرة لهم : ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۞ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴾ ، ثم ذكر جزاء المؤمنين على إيمانهم فقال : ﴿ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ [المؤمنون : ١١١] أي صبروا على التوحيد وعلى دين الإسلام فلم يبدلوا ولا نكصوا على أعقابهم . [١/٢٢٩/أ]

الأصل الخامس والأربعون والمائة

٨٠٩ـ حدثنا سعيد بن عبد الله التمار وإسماعيل بن نصر وحفص بن عمرو، قالوا : حدثنا يزيد بن هارون ، قال : حدثنا أزهر بن سنان القرشي ، عن محمد بن واسع ، عن سالم ابن عبد الله ، عن ابن عمر ، عن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : " من دخل سوقًا من أسواق المسلمين ، فقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، يحيي ويميت ، بيده الخير ، وهو على كل شيء قدير ؛ كتب الله له ألف ألف حسنة ، وحُطَّت عنه ألف ألف خطيئة ، ورفعت له ألف ألف درجة " . قال محمد بن واسع : فقدمت خراسان ، فلقيت قتيبة بن مسلم ، فقلت له : قد جئتك بهدية . فحدثته به ، فكان يركب في موكبه إلى السوق فيقولها ثم يرجع .

٨١٠ـ حدثنا حفص بن عمرو، قال : حدثنا يزيد بن هارون ، قال : حدثنا أزهر بن سنان القرشي ، قال : حدثنا محمد بن واسع ، قال : قدمت مكة ، فلقيت بها سالم بن عبد الله ، فحدثني عن أبيه عن جده ، قال : قال رسول الله ﷺ . فذكر مثله .

٨١١ـ حدثنا زياد بن أيوب ، قال : حدثنا ابن علية ، قال : حدثني عمرو بن دينار مولى آل الزبير ، عن سالم بن عبد الله ، عن أبيه ، عن جده ، عن رسول الله ﷺ بمثله .

قال أبو عبد الله[1] :

فهذه كلمات يخرج بها العبد من حال الغفلة ، وإنما خص هذه الكلمات بالأسواق من بين المواضع فإن الغفلة مستولية على أهلها ؛ وذلك أن الله تبارك اسمه هو المعطي والمانع والقابض والباسط والرازق وبيده خزائن كل شيء ومفاتيح الغيب ، فمن قدر على شيء فبقدرته ، ومن ملك شيئًا فبتمليكه ، ووضع الله الأشياء في الأسباب ، وجعل الأسباب نصب أعين الآدميين من أبو اب المكاسب ووجوه الأرزاق ، فأهل اليقين بنور بصائرهم نفذوا الأسباب إلى وليها ، فلم تقدر الأسباب أن تملكهم ولا صارت عليهم فتنة ، فهم يعملون في الأسباب مع وليها ، يزرعون وينتظرون رحمته ويحصدون ويقبلونه منه ، وإذا زُكِي قالوا : هذا من فضلك ورحمتك ، ويتجرون

---

(١) غير موجودة في (ص) .

يبتغون الأرباح من فضل الله عز وجل كما ندب الله لعباده فقال : ﴿ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ ﴾ [الجمعة : ١٠] وقال في آية أخرى [١/ ٢٢٩/ ب] : ﴿ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ ﴾ [المزمل : ٢٠] وإذا تعذر عليهم شيء سألوه كما أدبهم فقال : ﴿ وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓ ﴾ [النساء : ٣٢] .

وأهل الغفلة تعلقت قلوبهم بالتجارات والزراعات والحرف وما وضع لهم من التدبير فيه ، فإليه ينتظرون ، وإياه يطلبون ، وبه يفتنون ، ومن أجله يعصون ، فالأسواق معدن النوال ومظان الأرزاق ، وهي كأنها مملكة وضعها الله لأهل الدنيا يتداولون فيها مِلك الأشياء فيما بينهم ، فترى الشيء الواحد يدور مِلكه في اليوم الواحد عشر مرات على أيدي المالكين ، والتدبير على المملكة الأعلى وهي العرش ، فمملكة التداول هي الأسواق ، ومملكة تدبير التداول هي العرش .

فأهل الغفلة إذا دخلوها تعلقت قلوبهم بهذه الأسباب في هذه المملكة ، واتخذوها دولاً ، وصارت عليهم فتنة ، وأهل اليقظة والانتباه وهم أهل اليقين إذا دخلوها تعلقت قلوبهم به في تدبيره ، فسلموا من فتنتها ، فإذا نطق أحدهم بهذه الكلمات في ذلك ردًا على أهل الغفلة عيونهم وجفاءهم وسوء صنيعهم إذ أعرضوا عن تدبير الله وتركوا مراقبته ، فالسوق هورحمة من الله لعباده دبره معاشًا لخلقه يدر عليهم منها حوائجهم ليلاً ونهارًا وشتاء وصيفًا ونقلاً من بلد إلى بلد ؛ ليكون الأشياء موجودة في الأيدي عند وقت الحاجة ، وهو قوله عز وجل : ﴿ وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا ﴾ [فصلت : ١٠] .

وجعل الذهب والفضة أثمان كل شيء وما سواها عرضًا ، صرف أرزاقهم إلى مثل هذه الأرباح وصرف بوجوههم للطلب إلى مطلب المكاسب ؛ لتكون الأسواق قائمة والتدبير جاريًا والمعاش نظامًا ، ولو لم يكن هكذا لكان الواحد يحتاج إلى آلة الجميع من الحرف وإلى تعلم كل حرفة في الأرض ، فيصيرون عجزة ، فأسواقهم مشحونة بصنوف الأطعمة والأشربة والأغذية والأدوية وحوائج ما ينوب في المحيا من كل شيء ، ثم صيرهم يبتغون من فضل الله في هذه الأشياء بتغيير الأسعار ، فإن الله هو المسعر ، وهو القابض والباسط ، وهو مقلب القلوب ، فبتغيير الأسعار ينالون الأرباح ، وبنوبة [١/ ٢٣٠/ أ] الحوائج يدر عليهم الشيء بعد الشيء ، فيكون ذلك معاشًا ، والله تفضل عليهم به .

فأهل الغفلة صيروا هذه الرحمة وبالاً على أنفسهم بتعلق قلوبهم بالأسباب بغفلتهم عن المدبر لها والسائق أرزاقهم إليهم من فضله .

فالناطق بهذه الكلمات بين أولئك[1] الغفلَة في هذا الحظ من ربه ، فتكتب له الحسنات ، وتمحى عنه السيئات ، وترفع له الدرجات على عدد ما ذكر الرسول ﷺ ، ﴿ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٦١] .

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : " ذاكر الله في الغافلين مثله كالشجرة الخضراء في السنة الحمراء " .

وروي عن عون بن عبد الله[2] أنه قال : ذاكر الله في الغافلين كحامي الفئة المنهزمة .

وقيل في بعض الحديث : " كالكارّ بعد الفارّ " .

معناه عندنا أن السنة الحمراء هي السنة التي أقحطت فأشوي فيها ويبس كل شيء ، فلم يبق على الأشجار إلا أغصانها يابسة ، فتلك الشجرة الخضراء منظر بيِّنٌ بَيْنَ الأشجار[3] ، ومشخص ظاهر بين الأبصار يتراءون فيما بينهم لرطوبتها وخضرتها ، فلولا أنها لجوهرها من بين الأشجار كانت متمسكة برطوبتها معتصمة بما عندها وفيها من الخير الوارد لكان قد يبس أيضًا ، فكذلك أهل الغفلة أصابهم حريق الشهوات فذهبت ثمار القلوب وهي طاعة الأركان ، وذهبت محاسن الوجوه وطلاوتها وسمتها وأداؤها وسكون النفس ، وهديها وقصدها ، فلم يبق ثمر ولا ورق ، وما بقي من ثمر فبشع ، أو مر ، أو حلو لا طعم له ، كَدِر اللون ، عاقبته التخمة ، فهي أشجار بهذه الصفة ، والشجرة الخضراء سقياها من عند العطوف الرحيم الودود ، فقلبه رطب بذكره وعروقه لينة بفضله ومِنَنِه ، فلم يضره قحط ولا يبسة .

وأما قوله : " كحامي الفئة المنهزمة " ؛ فإن أهل الأسواق قد افترص العدو منهم حرصهم وشحهم ورغبتهم في هذا الفاني ، فصيرها عدة وسلاحًا لفتنته ، فدخلوا

---

(١) في (د) " هؤلاء " .

(٢) في (ص) " وروى عن عبد الله " .

(٣) في (د) " منظر بين الأشجار " .

أسواقهم وهم أصحاب صوم وصلاة وقراءة وتدين طالبين للمعاش ، فهذه الرغبة فيهم والحرص كامن ، كلما ازداد طلبًا ازداد حرصًا ، فأقبل العدوفنصب كرسيه في وسط أسواقهم ، وركز رايته ، وبث جنده ، وقال : دونكم مِنْ رجال مات أبو هم وأبوكم حي . فمن بين [١/ ٢٣٠/ ب] مطفف في كيل ، وطائش في ميزان ، ومنفِّق سلعته بالحلف الكاذب ، وحمل عليهم بجنوده حملة ، فهزمهم عن مقاومهم إلى المكاسب الردية ، وإضاعة الصلوات ، ومنع الحقوق ، فما داموا في هذه الغفلة على مثل هذه الأحوال فهم على خطر عظيم من ربهم ، من نزول العذاب وتغيير الأمور وكون الأحداث ، فالذاكر فيما بينهم يرد غضب الله ويطفئ ثائرة الغضب ؛ لأن في كلماته هذه نسخ تلك الأفعال ، وقد قال الله جل ذكره : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [البقرة : ٢٥١] ، فيدفع بالذاكرين عن أهل الغفلة ، وبالمصلي عمن لا يصلي ، وفي هذه الكلمات التي ذكرها رسول الله ﷺ نسخ لأفعال أهل السوق ؛ لأن القلوب قد ولهت بعضها إلى بعض في النفع والضر ، فقال هذا الذاكر : « لا إله إلا الله » فكان في قوله نسخًا لوله قلوبهم ، فقال : « وحده لا شريك له » فكان في قوله نسخًا لما تعلقت قلوبهم بعضها ببعض في نوال أو معروف أو خوف[(١)] ضرر ، ثم قال : « له الملك » فكان في قوله نسخًا لما يرون من تداول أيدي المالكين تلك الأشياء ، ثم قال : « وله الحمد » كان في ذلك نسخًا لما يرون من صنع أيديهم وتصرفهم في الأمور يتحمد بذلك بعضهم إلى بعض ، ثم قال : « يحيي ويميت » فكان في ذلك نسخًا لحركاتهم وما يرجون في أسواقهم للمنافع ، فإن تلك الحركات تملك واقتدار ، فقال : « يحيي » أي هو أحياهم حتى انتشرت الحركات على جديد هذه الأرض منهم « ويميت » أي يميتهم فلا يبقي متحرك ، ويهدأ الخلق ، وتخلو الأرض عن كل متنفس ، ثم قال : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان : ٥٨] نفى عنه ما نسب إلى المخلوقين في حياتهم من أنهم يموتون ، ثم قال : « بيدك الخير » أي أن

---

(١) في (ص) « تخوف » .

هذه الأشياء التي تطلبونها من الخير في الأسواق وجميع الخير بيده ، ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التغابن : ١] فمثل أهل الغفلة والتخليط في هذه الأسواق كمثل الهمج والذباب يجتمعن على مزبلة وكناسة يتطايرون فيها على ألوان المقادير ، فيقعن على ضروب ما هناك ، فعمد رجل إلى مكنسة عظيمة ذات شعوب وقوة فكنس هذه المزبلة ، فجرفها في الوادي ، فإذا البقعة نظيفة [١/ ٢٣١/ أ] وصاحبها معجب بها ، فهذا الناطق بهذه الكلمات وجد أسواقًا مشحونة بالكذب والغش والخيانة والظلم والعدوان والأيمان الكاذبة والمكاسب الردية ، قد هزمهم العدو فسباهم وهم على شرفِ حريق ، ونزول عذاب ، فنطق بهذه الكلمات فرمى بهذه المزابل في وجه العدو وهزمهم وطهر الأسواق منهم ، وكان في قوله هذا أطفأ نائرة سخط الله ، ومنه(١) في هذه الأسواق ، حسنة تستر مساوئهم ، ونور ينفي ظلمتهم ، وزكاة تطهرهم من أرجاسهم ، قال الله تبارك اسمه : ﴿ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْاْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴾ [الإسراء : ٤٦] فلهذا نرى اختار رسول الله ﷺ هذه الكلمات من بين الكلام ليكون نفيًا لما جاء به أهل الغفلة ، فيدفع الله بهن عن العامة .

❖ ❖ ❖ ❖

(١) كذا بالأصلين .

الأصل السادس والأربعون والمائة

٨١٢ـ حدثنا سعيد بن عبد الرحمن المخزومي ، قال : حدثنا سفيان ، عن معمر ، عن الزهري ، عن سالم ، عن أبيه يبلغ به النبي ﷺ قال : " تجدون الناس كالإبل المائة ليس فيها راحلة " . أو: " ليس فيها إلا راحلة " .

٨١٣ـ حدثنا سفيان بن وكيع ، قال : حدثنا محمد بن حميد المعمري ، عن معمر ، عن الزهري ، عن سالم ، عن أبيه ، عن رسول الله ﷺ قال : " إنما الناس كالإبل المائة لا تكاد تجد فيها راحلة " .

قال أبو عبد الله[(١)] :

فالراحلة هي التي قد رُيِّضَتْ وأُدِّبت فسمحت بالطاعة ، وتركت سيرتها ، وسارت بزمامها حتى ذلت لصاحبها ، وأعطت سيرها ، وجادت بنفسها في المهنة ، فهي راحلة خرجت في الاسم مخرج فاعلة ، وإنما هي مرحولة ؛ لأن الفعل واقع بها ، فما زال[(٢)] ذلك عادتها في الرحل ودأبها في الانقياد ، وعين صاحبها يرعاها ويلي تأديبها ، ويتفقد أحوالها حتى تمكنت عنده منزلة وحظًا ، حتى صيرها نجيبة من نجائبه ، وكريمة من كرائم إبله ، فإن رحلها أعطت من نفسها السير في وجهها والرفق في السير منها ، فهي سمحة لا تحرن ، كريمة لا تجمح ، جربة لا تنفر ، ولوعة لا تشمس ، ساكنة لا تضطرب ، إذا حُمِّلت حملت ، وإذا سارت استمرت ، وإذا حركت اعتنت ، فصاحبها بأحوالها معجب وبها ضنين ، لا يُملِكها أحدًا ، ولا يطلق لأحد عليها يدًا حتى تتحمل أثقال صاحبها ، فتكون من نجائب الملك ، فكانت [١/ ٢٣١/ ب] هذه كإحدى الإبل المائة سائمة ترعى في مظانها وتذهب في مهواها يمينًا وشمالاً ، لا ينتفع بها برسل ولا حمولة ، فالواحد منها ركوبة ، وسائرها للأكل نحرة وللحمولة ، قال الله تعالى اسمه : ﴿ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴾ [يس : ٧٢] ، فالذي قد ذلل صارت راحلة ، وسائرها لحم .

---

(١) غير موجودة في (ص) .

(٢) في (ص) " فأزال " .

كذلك الناس انتشروا على جديد الأرض فربَّتهم نعم الخالق ، فأظلتهم[١] سحائب رحمته ، واكتنفتهم رأفته ، وتُواليهم مننه ، أعني الموحدين منهم[٢] ، فإذا لجمت أحدهم بلجام الحق وزممته بزمام الصبر هز برأسه ولوى عنقه فرمى باللجام ، وجاذب بالزمام سبقًا ، فركب رأسه ، ومر شاردًا فرمى بحمولته ، في المائة لا تجد فيها راحلة واحدة ، أي لا تجد نفسا سمحة سخية منقادة مطيعة لربها قد ألقت بيديها سلمًا وانخشعت لعظمة ربها ، ووطنت نفسها على العبودة ، ولا تزال في عطف الله ورحمته وتأييده حتى يصير ذا حظ من ربه ، فبحظه منه ينجب وتزكو نفسه ، وتطيب أخلاقه ، وقد ينشرح صدره وتلين عروقه ، ويرطب قلبه ، ويألف ربه ، فإذا رحَلَه انقاد ، وإن سيره سار ، وإن عطفه انعطف ، وإن كبح به وقف ، وإن بعثه انبعث ، وإن حركه هملج أو جمز ، وإن أوفزه استمر ، وإن أنصبه احتمل ، وإن خلَّا زمامه تفويضًا إليه استقام ، فهو لربه أليف وربه به ضنين .

٨١٤ **حدثنا** سهل بن العباس ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن مغراء أبو زهير ، عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم ، عن أبى عبد الرحمن المعافرى[٣] ، عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : " لله أضن بعبده المؤمن من أحدكم بكريمة ماله حتى يقبضه على فراشه " .

٨١٥ **حدثنا** أحمد بن مصرف ، قال : حدثنا محمد بن بشر ، عن عباد بن كثير ، عن حوشب قال : قال رسول الله ﷺ : " إن لله عبادًا يضن بهم عن الأمراض والأسقام في الدنيا ، يحييهم في عافية ، ويميتهم في عافية ، ويدخلهم الجنة فى عافية " .

قال أبو عبد الله[٤] :

فالراحلة في الإبل قليلة ، والنجيبة في الرواحل قليلة ، فالموحدون في الناس قليل ، والمستقيمون بلجام الله في سيرهم إليه في الموحدين قليل ، والصديقون في

---

(١) في (د) " وأظلتهم "

(٢) " منهم " زيادة من (د) .

(٣) في (ص) " أبي عبد الرحمن عن المعافري " .

(٤) غير موجودة في (ص) .

المستقيمين قليل، قليل في قليل في قليل، قال الله تبارك اسمه: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]. [١/ ٢٣٢/أ] والسابقون أهل الشكر والوفاء، والمؤيدون بالحق والعطاء، والممتلئة قلوبهم من الجلال والبهاء والعظمة والآلاء وشمائلهم وطيب مخبرهم، كما وصفهم الرسول ﷺ.

٨١٦ـ حدثنا بذلك محمد بن يحيى بن أبي حزم القطعي، قال: حدثنا بشر بن عمر الزهراني، عن ابن لهيعة، عن خالد بن أبي عمران(١)، عن القاسم بن محمد، عن عائشة رضي الله عنها، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «طوبى للسابقين إلى ظل الله». قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: «الذين إذا أُعطوا الحق قبلوه، وإذا سئلوا بذلوه، والذين يحكمون للناس بحكمهم لأنفسهم».

فهذه صفة أهل القناعة وهي الحياة الطيبة التي ذكر الله في تنزيله فقال عز وجل: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧] ثم ذكر جزاءه في آخر الآية فقال: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧] فبالله استغنوا حتى قنعوا بما أعطوا، وبالله انقادوا، وألقوا بأيديهم حتى بذلوا الحق إذ سئلوا، وإلى الله أقبلوا حتى عدل قلوبهم فصاروا أمناءه وحكامه في أرضه، يحكمون للناس بحكمهم لأنفسهم، فإن النفس ميالة وصاحبها غير متهم فيها وإنه لا يألو لها نصحًا وخيرًا، فيتمثل شأنها فما أحب لها وحكم لها في الأمور أحب للناس مثله وحكم لهم بمثله، وروي عن كعب أنه قال: «إن أحببت أن تصل الأرحام بينك وبين آدم عليه السلام فأحب للناس ما تحب لنفسك»، وفي مناجاة موسى عليه السلام: يا رب، كيف أصل رحمي وقد تباعدوا عني في مشارق الأرض ومغاربها؟ وقد أمرتني بذلك قال: يا موسى أحب لهم ما تحب لنفسك».

وسألني(٢) بعض السائلين أن أوصيه بوصية أجمل له وأوجزها، فقلت له: تعبدنا ربنا بهذين الخصلتين: أن تكون له كالعبد، وأن تكون لعبيده كما هو لهم(٣). فقال

---

(١) في (ص) «أبي لهيعة عن خالد بن عمران».

(٢) في (ص) «وعنه قال: وسأل».

(٣) في (د) «وأن نكون لعبيده كما نحب لأنفسنا».

: كيف يكون هذا ؟ قلت : إذا وصفته كثر ، وسألتني أن أوجز ، فأوجزت لك الصفة في كلمتين تدرك بهما وتجزيك عن كثير الوصف ، مثل عبد اشتريته ليكون لك عبدًا فما أردت منه وطالبته به فاخرج إلى الله من مثله ، وكن لله كما تريد أن يكون عَبدك لك ، ومثل نفسك مثالاً فما أحببت لنفسك فعامل عبيده بمثله ، فإن الله اتخذك وعبدك [١/ ٢٣٢/ ب] حجة عليك في مطالبتك عبدك واقتضائك له أن يكون بين يديك ولا يمد يده إلى شيء من ملكك إلا ما أذنت له ، ولا يخطو إلى أمر إلا بإذنك ولا يعمل لغيرك عملا ، وما أعطيته قنع به ، وما حكمت عليه مما لم يوافق لم يسخط عليك ، ولم يَشْكِكَ إلى أحد ، وهذا مرادك من عبدك ، فاخرج إلى الله من ذلك ، وأنصفه من نفسك ، وضع في نفسك محبة نفسك وشفقة عليها وعطفًا ، وهي تلك الشهوة التي وافقتك فالتذذت بها ، فأنزل سائر العبيد من نفسك منزلة نفسك فإن نفسك عبد لله ، وهؤلاء عبيد الله فإذا حكمت هذين فأنت السابق إلى ظل الله غدًا وعيشك في الدنيا عيش أهل الجنان ولا يقوى على هاتين الخصلتين إلا عبد قد سقطت من قلبه منزلة نفسه ومنزلة دنياه ، ولها قلبه عنهما ، فشغف بمولاه .
ثم قلت : هذا عبد نبه من رقدة الغافلين فانتبه عن ربه ، وأشرق في صدره النور فوقف بقلبه على جلال الله تعالى وعظمته ، وعلى جماله وبهائه ، وعلى كبريائه وسلطانه ، فصارت دنياه عنده في الدقة أقل من جناح بعوضة ، وصارت نفسه عنده قبضة من تراب ، لما أشرق في صدره من نور جلاله وعظمته ، ووردت على قلبه من محبة الله والحلاوة التي وجد لها ما أسكرته وألهته عن محبة نفسه ودنياه ، وما يؤمن بها إلا كل مؤمن قد امتحن الله قلبه للإيمان ، وقليل ما هم " .

٨١٧ **حدثنا** أبي رحمه الله ، قال : حدثنا محمد بن الحسين(١) ، قال : أخبرنا عبد الله بن المبارك ، قال : أخبرنا صالح المري ، عن حبيب - وهو العجمي - عن شهر بن حوشب ، عن أبي ذر رضي الله عنه ، " أن الله يقول : يا جبريل ، انسخ من قلب عبدي المؤمن الحلاوة التي كان يجدها لي . قال : فيصير العبد المؤمن والهًا طالبًا

(١) في (د) " محمد بن الحسن " .

للذي كان يعهد من نفسه ، نزلت به مصيبة لم ينزل به مثلها قط ، فإذا نظر الله تعالى إليه على تلك الحال قال : يا جبريل ، رد إلى قلب عبدي ما نسخت منه فقد ابتليته فوجدته صادقًا "

[فهذه حلاوة المحبة من نالها فقد غلب على قلبه][(١)] وصارت سائر الأشياء خولاً لها بمنزلة رجل يلوك في فمه مشمشًا أو فرصادًا أو نحوه فهو يجد حلاوتهما فإذا لعق عسلاً استحال أن لا تلهيه حلاوة العسل عن حلاوة المشمش ، وبمنزلة رجل وجد فلسًا فأحبه على قدره ، ثم وجد درهمًا فأحبه على قدره ، ثم وجد دينارًا [١/ ٢٣٣/ أ] فأحبه على قدره ، ثم كلما وجد ما هو أعظم قدرًا ضعفت محبة الفلس والدرهم ، ثم وجد جوهرًا لا يحصي ما قيمته ، يعطى بها بيوت أموال من الدنانير ، قد دق في عينه الفلس والدينار والدرهم ، فكان نسيهم أصلاً ، فإنما أحب الدرهم والدينار لاستغنائه بهما وبما يرجو من نفعهما ولقضاء النهمات بهما ، لا ليمصهما في فيه فيبلعهما .

فإذا فتح الله قلبه ونور صدره وعرفه من جمله ما جهله فيحمل ذلك ؛ كان غناؤه كان بالله أكبر وأقوى من غنائه بالدرهم والدينار ، ولما علم أن الخير كله بيد الله تعالى والنفع منه كان رجاؤه منه أعظم من الدينار والدرهم ، وليس بعجيب بل هكذا الممكن[(٢)] في العقول أن يكون هكذا ، ولو أن رجلاً عنده في منزله بيت مملوء دنانير فلو سقط منه كيس فيه عشرة دراهم ونحوه لم يجد على قلبه حزنًا عليها ، ولو أهدي إليه هذا القدر لم يفرح بها لاستغنائه بتلك الدنانير ، فإذا كانت هذه الدنانير قد أغنتك وفرحتك فرحًا لا تجد لحصول هذه الدراهم القليلة فرحًا ولا لفوتها حزنًا فما ظنك بمن عرف الله تعالى في جلاله وعظمته وملكه وعرف إحسانه إليه ألا يكون غناؤه به وفرحه فرحًا لا يجد لشيء من عرض دنياه فرحًا ولا يجد على فوتها حزنًا .

٨١٨ـ حدثنا أبي رحمه الله ، قال : حدثنا محمد بن الحسن ، قال : حدثنا عبد الله بن المبارك ، قال : حدثنا معمر ، عن الزهري ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : بينما نحن جلوس عند النبي ﷺ فقال : " يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة " .

---

(١) ما بين المعقوفين سقط من (ص) .

(٢) في (ص) " المتمكن " .

فأطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته من ماء وضوئه ، معلق نعليه في يده الشمال ، فلما كان من الغد قال النبي ﷺ : " يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة " . فأطلع ذلك الرجل على مثل مرتبته الأولى ، فلما كان من الغد قال النبي ﷺ مثل ذلك ، فأطلع ذلك الرجل ، فلما قام اتّبعه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، فقال : إني لاحيت أبي ، فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاثًا ، فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى يحل يميني فعلتَ . قال : نعم . قال أنس رضي الله عنه : فكان عبد الله بن عمرو يحدث أنه بات معه ليلة فلم يره يقوم من الليل شيئًا غير أنه كان إذا انقلب على فراشه ذكر الله وكبره ، حتى يقوم لصلاة [١/ ٢٣٣/ب] الفجر فيسبغ الوضوء غير أني لا أسمعه يقول إلا خيرًا فلما مضت الليالي الثلاث فكدت أحتقر عمله قلت : يا عبد الله ، إنه لم يكن بيني وبين والدي غضب ولا هجرة ، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول لك ثلاث مرات في ثلاث مجالس : " يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة " . فاطلعت أنت تلك المرات الثلاث ، فأردت أن آوي إليك فأنظر ما عملك ، فقال : ما هو إلا ما قد رأيت . فانصرفت عنه ، فلما وليت دعاني فقال : ما هو إلا ما قد رأيت غير أني لا أجد في نفسي غلًا لأحد من المسلمين ولا أحسده على خير أعطاه الله إياه . فقال عبد الله بن عمرو : وهذه التي بلغت بك وهي التي لا نُطيق .

٨١٩ـ حدثنا عبد الله بن أبي زياد[١] ، قال : حدثنا سيار ، قال : حدثنا بشر بن منصور ، قال : حدثنا عبد العزيز بن أبي رواد ، قال : بلغنا أن رجلًا صلى مع رسول الله ﷺ فلما انصرف قال رسول الله ﷺ : " هذا رجل من أهل الجنة " . فقال عبد الله بن عمرو : فأتيته فقلت : يا عماه الضيافة . قال : نعم . فإذا له خيمة ونخل وشاة ، فلما أمسى خرج من خيمته ، فاحتلب العنز ، واجتنى لي رطبة ، ثم وضعه فأكلت معه ، فأتِ نائمًا وبت قائمًا وأصبح مفطرًا وأصبحت صائمًا ، ففعل ذلك ثلاث ليال ، فقلت له : إن رسول الله ﷺ قال فيك : " إنك من أهل الجنة " . فأخبرني ما عملك ؟ قال : فأتِ الذي أخبرك حتى يخبرك بعملي . فأتيت رسول الله ﷺ فقال : " ائتيه فمره يخبرك " .

---

(١) في (ص) " زائدة " .

فقلت : إن رسول الله يأمرك أن تخبرني . قال : أما الآن فنعم ، لو كانت الدنيا لي فأخذت مني لم أحزن عليها ، ولو أعطيتها لم أفرح بها ، وأبيت وليس في قلبي غلّ على أحد . قال عبد الله : لكني والله أقوم الليل وأصوم النهار ، ولو وهبت لي شاة لفرحت بها ، ولو ذهبت لحزنت عليها ، والله لقد فضلك الله علينا فضلاً بيِّنًا .

فهذا هو الذي ذكرناه بدءًا فأوجزته لذلك السائل .

وجماع الأمر في هاتين الخصلتين سقوط منزلة دنياك عن قلبك وسقوط منزلة نفسك عن قلبك ، فإذا لم يكن لدنياك عندك قدر لم تفرح بها ولم تحزن عليها ، وإذا لم يكن لنفسك عندك قدر لم تغل ولم تحقد على من آذاك أو نالك بظلم من أهل القبلة وكنت ممن قال [١/ ٢٣٤/ أ] الله عز وجل : ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ [الشورى : ٤٠] يعفو عنه ويطلب صلاحه حتى يصلحه ، وقد جاء عن رسول الله ﷺ أنه قيل له : أي المؤمنين أفضل ؟ قال : " كل مؤمن مخموم القلب صدوق اللسان " . قالوا : يا رسول الله ، ما مخموم القلب ؟ قال : " التقي النقي الذي لا إثم عليه ولا بغي ولا غل ولا حسد " . قالوا : ما نعرف هذا فينا يا رسول الله ، فمن يليه ؟ قال : " الذين نسوا الدنيا وأحبوا الآخرة " . قالوا : " وما نعرف هذا يا رسول الله إلا رافع مولى رسول الله ﷺ ، فمن يليه ؟ قال : " مؤمن في خلق حسن " .

٨٢٠ قال محمد بن علي الحكيم رحمه الله : حدثنا بذلك إبراهيم بن عبد الحميد التمار ، قال : حدثنا محمد بن المبارك الصنعاني ، قال : حدثنا يحيى بن حمزة ، قال : حدثني زيد بن واقد ، عن مغيث بن سمي الأوزاعي ، عن عبد الله بن عمر[١] عن رسول الله ﷺ .

مخموم القلب هو الذي قد ولج النور في قلبه فأخرج ما فيه من شهوة النفس ، والخمامة هو قماش البيت وما يكنس عن وجه الأرض ، فهذا النور قد كنس هذا البيت وهو الصدر ، فطهره من الإثم والبغي والغل والحسد والآفات ، فنقاه وجعله في وقاية من نور ، ألا ترى أنه قال[٢] : بدأ في الحديث فقال : " التقي النقي " .

---

(١) في (د) " عبد الله بن عمرو " .

(٢) " قال " سقطت من (ص) .

فبدأ بذكر التقوى ، والتقوى هو من الوقاية ، والوقاية هي النور الذي أشرق في الصدر من[١] القلب ، فصارت وقاية له من النفس وشهواتها وخدعها ودواهيها وأمانيها فلا يقدر على شيء ، فعز وجود هذا في وقتهم على عهد رسول الله ﷺ أن يكون ذلك في عامتهم كأنه أبى الله أن يكون ذاك إلا في خاص من الناس ، قليل في كل وقت ، ألا ترى أنه ذكر في التنزيل شأن المقربين السابقين فقال : ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴾ [الواقعة : ١٣ - ١٤] وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : " في كل قرن من أمتي سابقون " .

٨٢١ـ **حدثنا** أبي رحمه الله ، قال : حدثنا محمد بن الحسن ، قال : حدثنا عبد الله بن المبارك ، قال : حدثنا ليث بن سعد ، عن محمد بن عجلان قال : قال رسول الله ﷺ : " في كل قرن من أمتي سابقون " .

٨٢٢ـ **حدثنا** أبي ، قال : حدثنا إسماعيل بن مسلمة القعنبي بإسناده مثله .

فقول رسول الله ﷺ : " الناس كالإبل المائة " تمثيل لأن الإبل المائة هي سائمة ترعى مرعاها بهواها ليس على [١/ ٢٣٤/ ب] ظهورها حمولة ولا في آنفها أزمة ولا خطم ، فهي في استبدادها تعمل ما هويت ، فإن لم يكن لها راع فكم من متردية في جرف هار ، وكم من فريسة بين أنياب السباع ، وكم من آكلة دفلى تموت آكلته ، وأخر تموت عطشًا ، وأخر تموت جربًا ، فالراعي يرعاهم المرعى ويجنبهم الدفلى ويذود عنهم السباع ويعدل بهم عن الجرف ، ويوردهم المياه العذبة ، فهذه الإبل ليس فيها راحلة ، فكذلك الناس هم بهذه الصفة ، فالراحلة هو الذي رحل نفسه وراضها وجنبها سموم الدنيا وآفاتها وقوم أخلاقها حتى استقامت لله فصارت راحلة تركبها حقوق الله وتنقاد لها وتسيرها ، وتحمل أثقال الحقوق وإن كرهت ، فتسير بها إلى الله عز وجل .

٨٢٣ـ **حدثنا** عبد الجبار ، قال : حدثنا سفيان ، قال : قلت لإسرائيل أبي موسى : إنما كان بين أظهركم رجل يرحلكم . فقال : إنه بدأ بنفسه فرحلها ثم كان يرحلنا . يعني الحسن .

---

(١) في (ص) " في " .

فهكذا شأن الراحلة رحل نفسه فارتحل إلى الله ثم صار راعيا يرعى عباده فيصلح للرعاية ، ولئن يرحل فهو في جهد يجنبهم الآفات ويهديهم هدايات ويوردهم المياه العذبة وهو العلم الصافي بلا تخليط ولا كدورة ، ويعرفهم خداع العدوومراصده ومكامن النفس ، وهو في ذلك يحب أن تكون أمورهم على وفاق ما يبين لهم وعلى محاب الله تعالى ، فلا يكون كذلك فربما انتشرت عليه الإبل والأغنام التي يرعاهم فيضطرب في ذلك ويتلوى ، ويقبل ويدبر احتيالا ويضيق صدره بأمورهم ، فهو في جهد من ذلك لما يحب أن تستوي من أمورهم وتستقيم سيرتهم ويأبى الله أن يكون إلا ما قدر حتى إذا فتح عليه باب النجباء الكرام والنقباء الفخام فأبصر بذلك النور الذي أشرق في صدره وامتلأ منه قلبه أن هذا تدبيره لهم ومشيئته فيهم وأنه أعلم بما يراد لهم ، فإنما خلقهم من وجه أرض تربتها مختلفة ، فخرجت كل واحدة من هذه النفوس على قدر تربتها سهلا كان أو حزنا ، أو طيبا أو خبيثا ، وأن القلوب أوعية وأوانية في أرضه يضع فيها ما أحب ، ويرفع منها ما أحب ، وأن العقول بين العبيد مقسومة ، وأن الأخلاق لهم من الخزائن ممنوحة ، وأن الأنوار على ما اختصه برحمته من بينهم ممنونة ، وأن له من خلقه صفوة : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ﴾ [القصص : ٦٨] وأن [١/ ٢٣٥/ أ] العبيد فقراء حتى يغنيهم الله من فضله غنى القلب ، وأن القلوب بيده يقلبها كيف يشاء ، وأن الهداية منه ﴿ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾ وأن الرسول عوتب في ذلك حتى قيل له : ﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأنعام : ٣٥] ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ [القصص : ٥٦] ألقى بيده سلمًا وذل لمولاه وترك مشيئته لمشية العزيز الماجد ، وخضع وراقب تدبيره فيهم ، فصار نجيبة من نجائبه يضن به مولاه عن المكاره والآفات والبلايا ، فهذه الآية نزلت في سورة الأنعام بعد مضي سنين من النبوة يعلمك أنه لم يتمكن فيه هذا الأمر إلا من بعد ما أدبه ﷺ وقوّمه ثم أثنى عليه فقال : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم : ٤] . فسئلت عائشة رضي الله عنها عن ذلك الخلق ، فقالت : كان يرضى برضاه ويسخط بسخطه .

٨٢٤ **حدثنا** بذلك الفضل بن محمد ، قال : حدثنا أحمد بن يحيى الإسكندراني ، قال : حدثنا أبو أيوب بن شرحبيل ، عن زيد بن واقد ، عن بسر بن عبيد الله[1] ، عن أبي إدريس ، عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ ، قالت : خلقه أن يرضى برضاه ويسخط بسخطه .

---

(١) في (ص) " بشر عن عبيد الله " .

الأصل السابع والأربعون والمائة

٨٢٥ـ حدثنا إبراهيم بن عبد الحميد الحلواني ، قال : حدثنا محمد بن المبارك الصنعاني ، قال : حدثنا معاوية بن يحيى بن مطيع ، قال : حدثنا الحكم بن عبد الله – وهو الأيلي – عن القاسم بن محمد ، عن أسماء بنت أبي بكر ، عن أم رومان والدة عائشة رضي الله عنها ، قالت : رآني أبو بكر الصديق رضي الله عنه أتميل في صلاتي ، فزجرني زجرة كدت أنصرف من صلاتي ، ثم قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " إذا قام أحدكم إلى الصلاة فليسكن أطرافه ، لا يتميل تميل اليهود ، فإن سكون الأطراف في الصلاة من تمام الصلاة " .

قال أبو عبدالله[(١)] :

فالوقوف في الصلاة ينبغي أن يكون وقوف تذلل وتخشع ، وقد أثني على أهله فقال : ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴾ [المؤمنون : ٢] ، فالخشوع البالغ المستحق للثناء خشوع القلب ، وقد يتخشع الرجل بأركانه وليس بخاشع ، فإذا [١/ ٢٣٥/ ب] أراد بخشوعه ابتغاء وجه الله تعالى فهو محمود وعلى ذلك مأجور ، وإن كان ذلك لغير الله تعالى فهو تماوت وهو عليه ممقوت ، وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : " تعوذوا بالله من خشوع النفاق " .

٨٢٦ـ حدثنا بذلك عمر بن أبي عمر ، قال : حدثنا مسلم بن إبراهيم ، عن الحارث بن عبيد الإيادي ، قال : حدثنا مسلم بن سليمان اليشكري ، عن أبي بكر بن محمد بن عمرو[(٢)] ابن حزم عن[(٣)] مالك بن أوس ، قال : خطبنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقال : قال رسول الله ﷺ : " تعوذوا بالله من خشوع النفاق " . قالوا : يا رسول الله ، وما خشوع النفاق ؟ قال : " خشوع البدن ونفاق القلب " .

فهذا هو الذي يتماوت ويرمي ببصره إلى الأرض تقربا وترائيا ، وروي عن رسول

---

(١) غير موجودة في (ص) .

(٢) في (ص) " عمر " .

(٣) في (ص) " ابن " .

الله ﷺ أنه رأى رجلًا يعبث بلحيته في الصلاة ، فقال رسول الله ﷺ : " لو خشع قلبه خشعت جوارحه " .

٨٢٧ حدثنا بذلك صالح بن محمد ، قال : حدثنا سليمان بن عمرو ، عن ابن عجلان[1] ، عن المقبري ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ .

فالخشية للقلب الذي قد ماتت شهوات نفسه ، فاطمأن القلب لخلائها من النفس وفراغها ، ومن تكلفها مجاهدًا لنفسه فمحمود .

فأما تميل اليهود فإن بدو ذلك أن موسى صلوات الله عليه كان يعامل بني إسرائيل على ظاهر الأمور مكتفيًا لقلة ما في باطنهم ، وكان يهيب الأمور ويعظمها في الظاهر لهم ، وكان مكتفيًا لنفسه بما في باطنه ﷺ ، فإنما صنع بناء القربان على تلك الصفة من الذهب وألوان الصنعة لمكانهم ليعظموه ، وبلغنا أنه أوحي إليه : إن هذه التوراة صارت في حجور بني إسرائيل ، فلا تكاد تعظمها ، فحلها بالذهب واجعلها ذهبًا لم تمسسه يد الآدميين . فأنزلت عليه الكيمياء ، فعلمها ، فعمد إلى أسماء تلك الأدوية والعقاقير ففرقها ثلاثة أجزاء ، فأعطى جزءا منها هارون عليه السلام وجزءا منها يوشع عليه السلام وجزءا منها قارون ، ليأتوا بها من الجبال كي لا يجتمع عند أحدهم علمها فيعمل بها ، فذهب قارون فقعد على طريق هارون ويوشع حين رجعا من الجبال فاستدرجهما مختدعًا لهما ، فقال لكل واحد منهما : بم أمرك موسى ؟ فأخبره كل واحد منهما بالذي أمره ، فأثبتهما عنده ، فضم علم الجزأين إلى جزئه الذي عنده ثم عمد إلى الصفر فأذابه وألقى عليه فأخذ يعمل ذلك [١/ ٢٣٦/ أ] ، وتركه موسى وأمره ، فكان دهره وشهره في طبخ الذهب ، حتى اتخذ بيوت أموال ، فكانت تحمل مفاتيح كنوزه سبعون بغلا أغر محجلًا ، قال الله تبارك اسمه : ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ ﴾ [القصص : ٧٦] ، وضرب حيطان قصره من خارج بصفائح الذهب ، ونافق فوعظ ، فقيل[2] له : ﴿ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص : ٧٧] ، ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ ﴾ [القصص : ٧٨] أي

(١) في (ص) " عجلان " .

(٢) في (ص) " وقيل " .

أني طبخت الذهب وعملت هذه الكنوز بما كان عندي من علمه ، فخسف الله به وبداره الأرض .

٨٢٨ـ بلغنا بذلك عن جويبر ، عن الضحاك ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، فحلاها موسى بهذا الذهب الذي عمله ، فكان إذا قرأها على بني إسرائيل يتلذذ بما فيها وهاجت منه اللذة فكان يتمايل على قراءته كالذي يطرب على الشيء يقرأه فخلت هذه القلوب التي[1] بعده مما كان يجده موسى صلوات الله عليه فاستعملوها من بعده على خراب القلوب وخلاء الباطن من ذلك وقال موسى عليه السلام يوم الوفادة : إنا هدنا إليك فأخذوا هذا من قوله فجعلوا يتهادون في صلاتهم أي يتمايلون وقيل لموسى عليه السلام يوم كلمه الله تعالى : ﴿ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ [طه : ١٢] ، فأخذوا هذا من قوله فإذا صلوا خلعوا نعالهم فهذه الأشياء عللها قائمة والأصل صحيح وحق فقال هدنا إليك أي ملنا إليك وهو التوبة وذلك أن الوفد لما صاروا إلى الجبل رجف بهم فقال : ﴿ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ ﴾ [الأعراف : ١٥٥] ، إلى قوله : ﴿ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ﴾ [الأعراف : ١٥٦] ، فأخذوا هذه من قوله فتمايلوا في الصلاة وقراءة التوراة فطرب وحرك رأسه فأخذوا هذا من فعله وهبط الوادي حتى أنس النار وكانت نعلاه من جلد حمار غير مذكي فقيل له : ﴿ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ ، إعطاء الأرض بقدميك لتصيب قدماك بركة هذا الذي منّ به عليك فخلع نعليه فأخذوا هذا من فعله فأمر رسول الله ﷺ بإهدار هذه الأفعال وقال : سكنوا أطرافكم يخبر أن ذلك منهم غير صحيح . وروي عنه أيضا أنه قال : " صلوا في نعالكم ولا تتشبهوا باليهود " .

٨٢٩ـ حدثنا أبو عمار الحسن بن حويت الخزاعي ، قال : حدثنا مروان بن معاوية عن هلال ابن ميمون [١/ ٢٣٦/ ب] الرملي عن يعلى بن شداد بن أوس عن أبيه قال : قال رسول ﷺ ذلك . فأمرت هذه الأمة بتسكين الأطراف والخشوع لربها في الظاهر للعامة وفي الباطن للخاصة فقال : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴾ [المؤمنون : ١ - ٢] ، فأهل الظاهر يحفظون لخطاب العيون ألا يلحظ هكذا التفاتا ، وأهل الباطن قد جاوزوا

(١) في (ص) " الذي " .

هذا إلى الباطن وأحكموا هذا ، وسكنت جوارحهم ، فهم يحفظون لخطاب القلوب لئلا تلحظ إلى أحد سواه فتكون القلوب منهم منتصبة بين يدي الخالق كما انتصبت جوارحهم في الظاهر ، وإنما وصلوا إلى ذلك بما ولجت قلوبهم من عظمة الله وجلاله فهانت واستقرت في تلك الهيبة لله فانتفى عنهم وسواس نفوسهم ووسواس عدوهم ومن ههنا أنب رسول الله ﷺ على أهل الوسوسة فهكذا خرجت عظمة الله من قلوب بني إسرائيل حتى شهدت أبدانهم وغابت قلوبهم لا يقبل الله صلاة امرئ لا يشهد منها قلبه ما يشهد بدنه وإن الرجل ليصلي الصلاة وما يكتب له عشرها ، وقد شرحناه في بابه .

الأصل الثامن والأربعون والمائة

٨٣٠ـ حدثنا الفضل بن محمد ، قال : حدثنا هشام بن عبد الملك الحمصي قال : حدثني بقية بن الوليد[١] قال : حدثني ابن أبي رواد عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ " لا تبدأوا بالكلام قبل السلام ، ومن بدأكم بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه " فشرط الله مع هذه الأمة في دينهم أن يأمن بعضهم من بعض ولذلك سماهم مؤمنين ومسلمين وعلم الله آدم الأسماء كلها والأسماء سمات الشيء فكل اسم دليل على صاحبه ومشتق من معناه فالأسماء التي علم آدم هي على الحقائق عند الله ثم صارت الأسماء في أرضه مستعارة بعضها من بعض جعلوها سمات فيما بينهم كقوله صالح وإنما هو طالح ، وقوله : حسن وجميل وإنما هو قبيح وذميم وقوله : ميمون وهو مشؤم[٢] فهذه أسماء يتداعون فيما بينهم ويتعارفون بها فالأسماء الأصلية هي التي جاءت من عند الله مثل يحيى وأحمد قال تبارك اسمه : ﴿ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ ﴾ ، أي عندي ثم قال : ﴿ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴾ [مريم : ٧] ، أي لم نجعل قبله أحدا لا يذنب لأن يحيى من الحياة فقد [١/ ٢٣٧/ أ] أحيا الله قلبه به فلم يذنب ولم يَهُم .

٨٣١ـ حدثنا بذلك سفيان قال : حدثنا العلاء بن عبد الجبار عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : " ما من آدمي إلا وقد أخطأ أو هم بخطيئة غير يحيى بن زكريا صلوات الله عليهما " .

وكذلك أحمد قال الله في تنزيله : ﴿ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾ [الصف : ٦] فتلك أسماء كلها على الحقائق عنده ، وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : أعطيت ما لم يعط أحد : سُمِّيت أحمد ونُصِرْتُ بالرعب؛ فكذلك شأن هذه الأمة والاسم كل أمة تسمت من تلقاء نفسها ، فقال طائفة : نحن يهود ، وقالت الأخرى : نحن نصارى ، وقالت الأخرى : نحن الصابئون ، وقالت هؤلاء : نحن مجوس ، فولي الله تسمية هذه الأمة فقال : ﴿ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ﴾ ؛ أي : في اللوح المحفوظ والكتب : ﴿ وَفِى هَٰذَا ﴾ [الحج : ٧٨] ؛ أي : في هذا الكتاب ، ثم قال رسول الله ﷺ

---

(١) في (ص) " بقية بن عبد الوليد " .

(٢) في (ص) " ميشوم " .

إن الله سمى أمتي فاشتق لها اسمين من اسمه فهو السلام والمؤمن وسماهم مسلمين ومؤمنين فاسم هذه الأمة على الحقيقة الأصلية التي علم آدم فاقتضى منها وفاء هذا الاسم أن يأمن بعضهم بعضا ويسلم بعضهم من بعض ولذلك قال : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ [الحجرات : ١٠] ، وقال : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ [التوبة ٧١] وقال رسول الله ﷺ : المؤمنون كرجل واحد يفشوا شأن[1] الولاية بعضهم لبعض بهذا القول فوضعت هذه التحية فيما بينهم كرامة لهم فإن بني إسرائيل كانوا إذا لقي بعضهم بعضا احتاج أن ينحني له ويومئ برأسه كهيئة السجود فتلك تحيتهم كي يأمن بعضهم بعضا فأكرم الله هذه الأمة بأن جعل تحيتهم على ألسنتهم أشرف القول وأطيبها من قوله السلام عليكم .

٨٣٢ـ حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد قال : حدثنا أبي قال : حدثنا رزين مؤذن مسجد هشام بن حسان قال أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إن الله أعطى أمتي ثلاثا لم يعط أحد قبلهن السلام وهي تحية أهل الجنة ، وصفوف الملائكة ، وآمين إلا ما كان من موسى وهارون . معناه أن موسى عليه السلام دعا على فرعون وأمن هارون فقال الله تبارك اسمه عند ما ذكر دعاء موسى عليه السلام في تنزيله : ﴿ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا ﴾ [يونس : ٨٩] ، ولم يذكر مقالة هارون وقال [١/ ٢٣٧/ ب] : أجيبت دعوتكما وقال : في مبتدأ الآية : ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ ﴾ [يونس : ٨٨] ، فكان من هارون التأمين فسماه داعيا في تنزيله إذ صير ذلك منه دعوة ، فإنما جعل السلام وهو اسم من أسمائه موضوعا بينهم ليكون أمانا للعباد لأن أهل الجاهلية كان يقتل بعضهم بعضا ويغير بعضهم على بعض فلما أكرمهم الله بالإسلام كان من شرط هذا الدين أن يكونوا كالاسم الذي سماهم الله به يأمن بعضهم بعضا ويسلم بعضهم من بعض في الدم والعرض والمال ومن ههنا قال أبو بكر رضي الله عنه : السلام أمان للعباد فيما بينهم .

٨٣٣ـ حدثنا بذلك الشقيقي قال : أخبرنا أبي قال : أخبرنا عبد الله عن إسماعيل بن عياش قال : حدثنا أبو سلمة الحمصي عن يحيى بن جابر أن أبا بكر الصديق قال : السلام أمان الله في الأرض .

---

(١) كذا بالأصلين .

٨٣٤ـ حدثنا إبراهيم بن عبد الله الخلال قال : أخبرنا عبد الله بن المبارك قال : أخبرنا يحيى ابن أيوب عن عبيد الله[١] بن زحر عن علي بن يزيد[٢] عن القاسم عن أبى أمامة قال : قال رسول الله ﷺ : من بدأ بالسلام فهو أولى بالله ورسوله . فأولاهم بالله أوفرهم حظا من أن يأمنه الناس ويسلموا منه فلما كان هذا السلام ما من العباد فيما بينهم كان من بدأ بالكلام قد ترك الحق والحرمة فحقيق أن لا يجاب .

---

(١) في الأصلين " عبد الله " والمثبت من التهذيب .

(٢) في (ص) " زيد " .

الأصل التاسع والأربعون والمائة

٨٣٥ـ حدثنا عمر بن أبي عمر قال : حدثنا يحيى بن سليمان الجعفي قال : حدثنا ابن وهب قال : أخبرنا حيوة بن شريح قال : أخبرني أبو صخر المديني عن يزيد الرقاشي سمع أنس بن مالك رضي الله عنه يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن داود النبي صلوات الله عليه حين نظر إلى المرأة فهم بها قطع على بني إسرائيل بعثا وأوصى صاحب البعث فقال : إذا حضر العدوفقرب فلانا وسماه قال : قربت بين يدي التابوت وكان كذلك التابوت في ذلك الزمان يستنصر به فمن قدم بين يدي التابوت لم يرجع حتى يقتل أو ينهزم عنه الجيش الذي يقاتله فقتل فقدم زوج المرأة فترك الملكان على داود فقصا عليه القصة ففزع منهم إلى آخر القصة ففطن داود فسجد فمكث أربعين ليلة ساجدا حتى نبت الزرع من دموعه على رأسه وأكلت الأرض جبينه يقول في سجوده : رب زل داود زلة [١/٢٣٨/أ] أبعد(١) مما بين المشرق والمغرب إن لم ترحم ضعف داود وتغفر ذنبه جعلت ذنبه حديثا في الخلوف من بعده قال : فجاء جبريل بعد أربعين ليلة فقال : يا داود إن الله قد غفر لك الهم الذي هممت به ، [فقال له داود قد علمت أن الله قادر علي أن يغفر لي الذنب الذي هممت](٢) ، وقد عرفت أن الله عدل لا يميل فكيف لي إذا جاء يوم القيامة فقال : يا رب دمي الذي عند داود قال : جبريل ما سألت ربك عن ذلك ولئن شئت لأفعلن قال : نعم ، فعرج جبريل إلى السماء وسجد داود فمكث ما شاء الله ثم نزل فقال : سألت الله يا داود عن الذي أرسلتني إليه فقال : قل لداود إن الله يجمعكما يوم القيامة ثم يقول له : هب لي دمك الذي عند داود فيقول : هو لك يا رب فيقول له فإن لك قصرا في الجنة ، فالهم من الأنبياء والرسل عظيم شأنه لأنه ميل عن الله عز وجل(٣) .

---

(١) " أبعد " سقطت من (ص) .

(٢) ما بين المعقوفين سقط من (ص) .

(٣) ذكره الشوكاني في فتح القدير عند تفسير قوله تعالي : ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ﴾ [ص : ١٧] وقال : إسناده ضعيف ، قلت : يزيد الرقاشي ، وإن كان من الصالحين ، لكنه ضعيف الحديث عند الأئمة ، والظاهر والله أعلم أن هذا القصة من الإسرائيليات التي تروي عن أهل الكتاب الذين لا يعتقدون العصمة في الأنبياء ، وأخطأ يزيد فرفعه .

٨٣٦ـ حدثنا قتيبة بن سعيد وإسماعيل بن نصر قالا : حدثنا محمد بن يزيد بن حبيش المكي عن عبد العزيز بن أبى رواد قال : بلغني أن قاضيا كان في زمن بني إسرائيل بلغ من اجتهاده أن طلب إلى ربه أن يجعل بينه وبينه علمًا إذا هو قضي بالحق عرف ذلك وإذا هو قصر عن الحق فقضي عرف ذلك ، فقيل له : ادخل منزلك ثم مد يدك في جدارك ثم انظر حيث تبلغ أصابعك من الجدار فاخطط عندها خطا فإذا أنت قمت من مجلس القضاء فارجع إلى ذلك الخط فامدد يدك إليه فإنك متى قضيت على الحق فإنك ستبلغه وإن لم تقض على الحق قصر بك فكان يغدو إلى القضاء وهو مجتهد فكان لا يقضي إلا بحق وإذا قام من مجلسه وفرغ لم يذق طعامًا ولا شرابًا ولم يقض إلى أهله بشيء من الأمور حتى يأتي ذلك الخط فإذا بلغه حمد الله وأفضى إلى كل ما أحل الله له من أهل أو مطعم أو مشرب فلما كان ذات يوم وهو في مجلس القضاء أقبل إليه رجلان يريدانه ، فوقع في نفسه أنهما يريدان أن يختصما إليه وكان أحدهما له صديق وخِذْنٍ فتحرك قلبه عليه محبة أن يكون الحق عليه له فيقضي له به فلما أن تكلما دار الحق على صاحبه فقضي عليه فلما قام من مجلسه ذهب إلى خطه كما كان يذهب كل يوم فمد يده إلى الخط فإذا الخط قد ذهب وتشمر إلى السقف وإذا هو لا يبلغه فخر ساجدا وهو يقول : يا رب شيئا لم أتعمده ولم أرده فبينه لي فقيل له : أتحسبن أن الله لم يطلع على جور قلبك حيث أحببت أن يكون الحق لصديقك فتقضي له به ، قد أردته وأحببته ولكن الله [١/٢٣٨/ب] قد رد الحق إلى أهله وأنت لذلك كاره .

٨٣٧ـ حدثنا صالح بن عبد الله قال : حدثنا ابن إدريس عن ليث قال : تقدم إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه خصمان فأقامهما ثم عادا فأقامهما ثم عادا ففصل بينهما فقيل له في ذلك فقال : تقدما إلي فوجدت لأحدهما ما لم أجد لصاحبي فكرهت أن أفصل بينهما على ذلك ثم عادا فوجدت بعض ذلك فكرهت ثم عادا وقد ذهب ذلك ففصلت بينهما .

٨٣٨ـ حدثنا الجارود والحسين بن جنيد الراقصاني[١] قالا : حدثنا أبو أسامة عن الأعمش

---

(١) في (د) " الدامغاني "

عن المنهال بن عمرو عن(١) سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : اختصم إلى سليمان عليه السلام خصمان أحدهما من أهل جرادة امرأة لسليمان كان يحبها فهو ى أن يقع القضاء لهم ثم قضى بينهما بالحق فأصابه الذي أصابه عقوبة لذلك الهوى .

وروى محمد بن عمرو السويفي عن عبد الرحمن بن ميمون الرقي عن سالم مولى أبي جعفر قال : خرجنا مع أبي جعفر أمير المؤمنين إلى بيت المقدس فلما دخل دمشق بعث إلى الأوزاعي فأتاه فقال : يا أمير المؤمنين حدثني حسان بن عطية عن جدك ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [ص : ٢٦] ، قال : إن ارتفع إليك الخصمان فكان لك في أحدهما هوى فلا تشته في نفسك الحق له فيفلج على صاحبه فأمحو اسمك من نبوتي ثم لا تكون خليفتي ولا أهل كرامتي . يا أمير المؤمنين حدثني حسان بن عطية عن جدك قال : من كره الحق فقد كره الله لأن الله هو الحق . يا أمير المؤمنين حدثني حسان بن عطية عن جدك في قوله تعالى : ﴿ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ﴾ [الكهف : ٤٩] ، قال : الصغيرة التبسم والكبيرة الضحك ، فكيف بما في جنبة الأيدي فالهم بما عدل(٢) عن الحق فهو ميل عن الله وإعراض وقلوب الأنبياء معيار التوحيد وموازين الأعمال وحجج الله على أهل الباطن . فالهَمُّ همان : هم عارض لا قولا له ينفيه القلب بيقظته ونزاهته وطيبه وفسيح ساحته ونسيم روحه وبما أيد من الروح والسكينة واليقين . والهم الآخر هم عارض معه لله مشيئة وتدبير في أموره فربوبيته قاهرة لجميع ما عند هذا العبد من القوة والتأييد والجنود وإذا هو مخذول فصار همه عزما فالأول مفروغ منه(٣) [١/ ٢٣٩/أ] لأنه عارض لا يملكه ولم يتكلفه ولم يكن له فيه حركة في ظاهر ولا باطن . والهم الثاني : تحرك فيه وعزم عليه وهو عقد القلب فصار في ذلك في ميل عن الله

---

(١) في (ص) " ابن " .

(٢) في (ص) " فافهم فما عدل " .

(٣) في (د) " مرفوع عنه " .

فالأنبياء والأولياء في انحطاط عن ذلك بهذا الهم والعامة هم منحطون في الأصل عن هذه الدرجات فانحطاطهم عن درجاتهم إذا استعملوا هذا العزم وأخرجوه إلى الأركان فعملت جوارحهم ، ووجدنا ثلاثة أعلام في الأرض من الرسل بلوا بهذه الخطة من الهم محمد وداود ويوسف صلوات الله عليهم أجمعين فأما يوسف عليه السلام : ﴿ وَهَمَّ بِهَا ﴾ ، حتى روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه حل هيمانه وقعد منها مقعد الرجال فانفرج السقف وتراءى له جبريل عليه السلام في صورة يعقوب صلوات الله عليه عاضا على إصبعه ونودي يا يوسف أتعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب في ديوان الأنبياء فولى هاربا ثم أوصلها إليه تزويجا فيما جاءنا من الخبر بعد ما نالته العقوبة بالهم من طول المكث في السجن .

٨٣٩ـ حدثنا عمر بن أبي عمر قال : حدثنا عصام عن[1] المثنى بن وائل الحمصي عن أبيه عن وهب بن منبه قال : أصابت امرأة العزيز حاجة فقيل لها لو أتيت يوسف بن يعقوب فسألتيه فاستشارت الناس في ذلك فقالوا لا تفعلي فإنا نخاف عليك قالت : كلا إني لا أخاف ممن يخاف الله قال : فدخلت عليه فرأته في ملكه فقالت : الحمد لله الذي جعل العبيد ملوكا بطاعته ثم نظرت إلى نفسها فقالت : الحمد لله الذي جعل الملوك عبيدا بمعصيته قال فقضى لها جميع حوائجها ثم تزوجها فوجدها بكرا فقال لها : أليس هذا أجمل مما أردت ؟ قالت : يا نبي الله إني ابتليت فيك بأربع كنت أجمل الناس ، وكنت أنا أجمل أهل زماني ، وكنت بكرا ، وكان زوجي عنينا .

وأما داود صلوات الله عليه ففتح من المحراب باب الكوة واطلع على تلك المرأة فوقع في نفسه شأنها وفتنتها فلم يملك نفسه حتى وجه إليها من يومه فيما روي لنا ليضمها في الكون إلى نسائه كي يسكن الهائج من نفسه انتظارا لما يكون فأتت المرأة فمشي إلى بابها فمر بملكين يناجي أحدهما صاحبه وهو يقول : لقد أكرم الله إبراهيم وإسحاق عن هذا الممشى ومضى ولم يقتحم حتى وقف ببابها فاستفتح فقالت : من ذي فأخبرها فقالت : لقد أعاذ الله داود من أن يمشي هذا الممشى

---

(١) في (د) « ابن » .

فانصرف وكتب [١/٢٣٩/ب] إلى صاحب بعث كان زوجها فيه وأمره أن يقدم زوجها في مائتي رجل من بني إسرائيل مع تابوت السكينة وكان من قدم معه لم يرجع حتى يفتح عليه أويقتل فقدمه فقتل وقتل من قدم معه .

٨٤٠ـ حدثنا بهذه القصة الفضل بن محمد قال : حدثنا عبد الملك بن الأصبغ قال : حدثنا الوليد بن مسلم عن ابن جابر عن عطاء الخراساني ، وقال سعيد : قال قتادة : كتب إلى زوجها وذلك في حصار عمان مدينة بلقا أن تأخذوا بحلقة الباب وفيه الموت الأحمر فتقدم فقتل ، ثم رجع إلى حديث عطاء قال(١) : فلما انقضت عدتها خطبها فزوجها فلبث بذلك ما شاء الله فلم يرعه إلا وقد تسور الخصمان عليه المحراب ففزع فقصا الخصمان القصة ثم عرجا فانكشف الغطاء عن داود وخر ساجدا أربعين صباحا حتى نبت المرعى حول وجهه وغمر رأسه فنودي أجائعا فتطعم أو عاريا فتكسى فنحب نحبة هاج المرعى من حر جوفه فغفر له وستر بها فقال : يا رب هذا ذنبي فيما بيني وبينك قد غفرته فكيف بفلان وكذا وكذا رجلا من بني إسرائيل تركت أولادهم أيتاما ونساءهم أرامل قال : ولا يجاوزني يوم القيامة ظلم أمكنه منك ثم أستوهبك منه بثواب الجنة قال : يا رب هكذا أتكون المغفرة الهنئة ثم قيل يا داود ارفع رأسك فذهب ليرفع فإذا هوقد نشب في الأرض فأتاه جبريل عليه السلام فاقتلعه عن وجه الأرض كما يقتلع عن الشجرة صمغها حتى سأل ربه بعد ذلك أن ينقش خطيئته في كفه لئلا ينساها .

٨٤١ـ فحدثني الجارود قال : حدثنا الوليد بن مسلم عن ابن جابر عن عطاء الخراساني أن داود عليه السلام نقش خطيئته في كفه لئلا ينساها فكان إذا رآها اضطرب أو قال : اضطربت يده فمن جهل هذا التأويل حسب أنه كتب على يده خطيئته ليذكرها والكتابة دراسة وإنما ذكر في الحديث أنه نقش والنقش غير الكتابة والنقش هو صورة الخطيئة على قبحها عند الله فلم يقدر على هذا الحد إلا الله فإنما نسب إلى داود أنه نقش لأنه سأل ربه وقد بين ذلك في حديث آخر .

٨٤٢ـ حدثنا الفضل بن محمد قال : حدثنا عبد الملك بن الأصبغ قال : حدثنا الوليد بن

---

(١) سقط من (ص) " عطاء قال " .

مسلم عن ابن أبي نجيح قال : سأل داود ربه فقال : رب اجعل خطيئتي في كفي فكان لا يبسط كفه لطعام [١/ ٢٤٠/أ] ولا شراب إلا رآها فأبكته فيؤتى بالقدح فيشرب فإذا أبصر النقش على الكف فاض دمعه ، قال الوليد : وحدثني أبو عمرو الأوزاعي أن رسول الله ﷺ قال : إنما مثل عيني داود مثل القربتان بنطفان الماء ولقد حدد الدموع في وجه داود تحديد الماء في الأرض .

٨٤٣ وحدثنا الوليد قال : حدثنا إبراهيم بن محمد الفزاري عن عبد الملك بن أبي سليمان عن مجاهد قال : يبعث داود عليه السلام يوم القيامة وخطيئته منقوشة في كفه ، فإذا رأى أهاويل القيامة لم يجد منها محرزًا إلا أن يلجأ إلى رحمة الله قال ثم يرى فيقلق ، فقال له : ههنا ثم يرى فيقلق فيقال له : ههنا ثم يرى فيقلق فيقال له : ههنا فذلك قوله : ﴿ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴾ [ص : ٢٥] .

٨٤٤ قال : وحدثني الوليد قال : حدثنا عثمان بن أبي العاتكة أنه كان في قول داود إذ هو خلو من الخطيئة شدة في الخطائين أنه كان يقول اللهم لا تغفر للخطائين ثم صار إلى أن يقول اللهم اغفر للخطائين لكي تغفر لداود معهم سبحان خالق النور . إلهي خرجت أسأل أطباء عبادك أن يداووا لي خطيتي فكلهم عليك يدلني إلهي لحظات قد خفت أن تجعل حصادها عذابك يوم القيامة إن لم تغفرها سبحانك خالق النور إلهي إذا ذكرت خطيتي ضاقت الأرض برحبها علي وإذا ذكرت رحمتك ارتد إلي روحي .

وروي في الحديث أنه كان إذا ذكر انخلعت مفاصله فكان لا يمسكها إلا الأسوأ ثم يذكر رحمة الله فترجع أوصالها إلى مكانها ، ولقد كنت أمر زمانا طويلا بهذه الآيات ولا ينكشف لي المراد والمعنى من قوله : ﴿ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴾ [ص : ١٦] ، والقط الصحيفة في اللغة وذلك أن رسول الله ﷺ تلا عليهم : ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ ﴾ [الحاقة : ٢٥] ، وقال لهم : ستجدون هذا كله في صحائفكم تعطونها بشمائلكم فقال : ﴿ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا ﴾ ، أي صحيفتنا ﴿ قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴾ ، قال الله عز وجل : ﴿ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ [ص : ١٧] فقص قصة خطيئته إلى منتهاه فكنت أقول أمره بالصبر على ما قالوا وأمره بذكر داود فأي شيء يريد من هذا الذكر وكيف اتصل هذا بذاك فلا أقف على شيء يسكن قلبي عليه حتى هداني الله له يوما فألهمته أن هؤلاء [١/ ٢٤٠/ب]

أنكروا قول إنهم لا يعطون كتبهم بشمائلهم فيها ذنوبهم وخطاياهم واستهزءوا بأمره : ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴾ ، فأوجعه من استهزائهم وأمر بالصبر على مقالتهم وأن يذكر عبده داود سأل تعجيل خطيئته أن يراها منقوشة في كفه فنزل به ما نزل من أنه كان إذا رآها اضطرب وامتلأ القدح من دموعه فكان إذا رآها بكى حتى تنفذ سبعة أفرش من الليف يحشوه بالرماد فإنما سألها بعد المغفرة وبعد ضمان تبعة الخصم وأن الله تبارك اسمه يستوهبه منه وهو حبيبه ووليه وصفيه فرواية نقش الخطيئة بصورتها مع هذه المرتبة صنعت به هكذا فكيف كان يحل بأعداء الله وعصاته من خلقه وأهل حزبه أن لو عجلت لهم صحائفهم فنظروا إلى صور تلك الخطايا التي عملوها على الكفر والجمود وماذا يحل بهم إذا ما نظروا إلى ما في الصحائف وقد أخبر الله عنهم فقال : ﴿ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ﴾ [الكهف : ٤٩] ، فداود صلوات الله عليه مع المغفرة والبشرى والعطف لم يقم لرؤية صورتها في كفه وقد روينا في الحديث إذا رآها يوم القيامة منقوشة في كفه قلق حتى يقال له ههنا ثم يرى فيقلق ثم يقال له ههنا ثم يرى فيقلق حتى يقرب فيسكن وروي في حديث آخر أنه يمكن له في الحجب فإذا دخل الحجاب سكر .

وأما محمد ﷺ فإنه لما عاين زينب فوقع في نفسه شأنها وذلك أنه أبصرها قائمة في صحن الدار في درع وخمار أسود فلما وقعت في نفسه فزع إلى الله تعالى ووضع بيديه على وجهه وقال : سبحان الله مقلب القلوب فانظر أي كلمة هذه علم أن قلبه في قبضته وأنه قلبه لما يشاء فنزهه تعوذا بالتنزيه وتغوثا بالاسم الذي منه حدث على قلبه التغلب على أنه يقلبه بمشيئته لشيء يورثه الحياء منه والعويل واضطراب الصوت في الملكوت وفي العلى كما أورث غيره ممن[1] قبله من إخوانه فصيره مفزعا وملجأ واستعمل التدبير الموضوع بين العباد إن غض بصره واستحكم شأن الغض في أن قال : بيديه على وجهه ليكون في ذلك تمسكن وتضرع وافتقار وهيبة العبيد [١/ ٢٤١/ أ] ليرحمه فيصرف عنه الفتنة التي حس بها فيشكره على ذلك مولاه حيث فزع

---

(١) في (ص) ' من ' .

إليه عندما نابه الأمر ولم يفزع إلى نهمة النفس أو إلى الحيل للوصول إلى ذلك فروي في الخبر أنه أمسى زيد فأوى إلى فراشه قالت زينب لم يستطعني زيد وما أمتنع منه غير ما منعه الله مني فلا يقدر عليّ . هذه رواية أبي عصمة نوح بن أبي مريم رفع الحديث إلى زيد أنها قالت ذلك وفي بعض الروايات أن زيدًا تورم ذلك منه حين أراد أن يقربها فهذا قريب من ذلك فعلم زيد بما أخبرته زينب من فعل رسول الله ﷺ وقوله حيث أبصرها وصار إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله إن زينب تؤذيني بلسانها وتفعل وتفعل وإني أريد أن أطلقها فقال له : ﴿ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ ﴾ [الأحزاب : ٣٧] ، فطلقها فنزلت : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ ﴾ ؛ أي : بالإسلام ﴿ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ ﴾ ؛ أي : بالعتق وهو زيد بن حارثة : ﴿ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ ﴾ ؛ أي : اتق الله في أن تطلقها من غير جرم : ﴿ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ ﴾ ، فعوتب في قوله : ﴿ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ ﴾ ، والحبيب يحب عتاب الحبيب حتى يدوم الصفا ويكون العتاب بدل الوجد قالت عائشة رضي الله عنها : لوأن محمد ﷺ قدر على أن يكتم شيئا من الوحي لكتم هذه الآية ، وروي سبب العتاب على وجهين أحدهما أوجه من الآخر فقال ابن عباس رضي الله عنهما : وتخفي في نفسك الحب لها ، وقال الضحاك : كان رسول الله ﷺ يقول لزيد : أمسك عليك زوجك ويهوى أن يخلي سبيلها ، وقال قتادة : كان الذي يخفي رسول الله ﷺ في نفسه ودَّ أن لو طلقها زيد وخشي نبي الله ﷺ قالة الناس ، وقال الحسن البصري رحمة الله عليه نحوذلك وذلك أنه كان تبنى زيد بن حارثة فيجد المنافقون سبيلا فيقولون ينهانا عن نساء أبنائنا ويزوج امرأة ابنه فخشي القالة من هذا الوجه وقالوها بعد تزويجه إياها فنزلت : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ ، ونزلت : ﴿ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا ﴾ [الأحزاب : ٤٠] ، فذهبت الدعوة فقال [١/٢٤١/ب] هؤلاء المفسرون إنما جاءت المعاتبة من قبل أنه قال له : أمسك عليك زوجك وهو يود في نفسه أنه يطلقها وقد كان في الغيب أن سيطلقها ويبدى الله ما في نفس محمد ﷺ إذا تزوجها وأنه حمله على قوله أمسك خشية الناس فالله أحق أن تخشاه فتنطق بحاجتك ووجه آخر أوجه من هذا .

٨٤٥ـ حدثنا به(١) عبد الجبار بن العلاء قال : حدثنا سفيان قال : حدثنا ابن جدعان(٢) وسمعناه منه عودا وبدءًا قال : سألني علي بن الحسين قال : ما كان يقول الحسن في قوله : ﴿ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ ﴾ ، قلت : كان يقول أن زينب ، فذكر كلمة ذهبت علي ، فأمره أن يمسكها وأراه قال : أعجبها قال : لا ليس هو هكذا ولكن أعلم الله نبيه أنها ستكون من أزواجه فلما جاء زيد يشكوها قال : اتق الله وأمسك عليك زوجك فعلي بن الحسين جاء بها من خزانة العلم جوهرا من الجواهر ودرا من الدرر أنه إنما عتب الله عليه في أنه قد أعلمه أن ستكون هذه من أزواجك فكيف قلت لزيد أمسك عليك زوجك وأخذتك خشية أن يقولوا : تزوج امرأة ابنه ﴿ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ﴾ ، فترقب أمره وتدبيره فيك وفيها فيكون ممن أطلق لك ذلك ﴿ لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْاْ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ [الأحزاب : ٣٧] ، ثم قال : ما كان على النبي من حرج أي من ضيق فيما فرض الله له فالفرض المعلوم أي فيما أعلمه من أن تكون زينب من أزواجك ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾ ، تلك سنته في داود وهو ممن خلا من قبل حيث سبب له فرزقه القتل في سبيله حتى جمع بينه وبين تلك المرأة على تلك الهيئة وكان ذلك قدرا مقدورا على داود أن يكون الجمع بينهما على تلك الهيئة ويغفر له ويضمن عنه تبعته ونستوهب منه ويعطف على العبيد فإنه كان يقول : من شدة الحب لله والغيرة له اللهم لا تغفر للخطائين فقدر له ما ذكرنا من شأن المرأة حتى كان يقول : اللهم اغفر للخطائين لعلك تغفر لداود معهم وكان يعمد إلى غمض مجالس بني إسرائيل فيقعد إليهم ويقول : مسكين بين ظهراني مساكين فالحالة الأولى حالة جليلة وهذه أجل وأرفع يقتدي بربه في العطف على عبيده والرحمة لهم ثم مدحهم فقال [١/ ٢٤٢/ أ] : ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ [الأحزاب : ٣٩] ، يثني على محمد ﷺ أن بلغ ما أرسل إليه وإن كان له في ذلك بعض الوجد فبلغ ولا تخشى أحدا إلا الله وقال في تزويجها ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا ﴾ ، يعلمهم أني لما قلبت قلبك لها فزعت

---

(١) " به " زيادة من (د) .

(٢) في (ص) " جذعان " .

إلي وصاحباك فزعا إلي ما أقصصت عليك من شأنهما حتى كان ما كان فوليت عصمتك وهيأت لك تزويجها بتدبيري صافيا لا بالحيل طالبا فلما وليت عصمتك كذلك إلي تزويجك بكرمي وعطفي بطيب نفس بعد المعاتبة فمنعت زيدا وأعجزته عنها وألهمته طلاقها وأعلمتك أن هذه ستكون زوجتك فحملتك خشية القالة أن بعثوك علي أن قلت لزيد ﴿ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ ﴾ ، وقد علمت أني مبدي هذا الأمر ومظهره قد زوجناكها فقام رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن وقد كان قبل نزول الآية قدم رسول الله ﷺ الخطبة إليها ووجه زيدا يعلمها عليها ذلك فدخل عليها وبنى في مسجدها فذكر لها حاجة رسول الله ﷺ فقالت حتى أؤامر ربي فنزلت قوله : ﴿ زَوَّجْنَٰكَهَا ﴾ ، فهي بعد في مواسرتها وزيد عندها إذ دخل رسول الله ﷺ بغير إذن فقعد عندها وتلا هذه الآية فخرت ساجدة فكانت تفخر بذلك على نساء رسول الله ﷺ وروي لنا أنها كانت تسامي عائشة رضي الله عنها في الحظ من رسول الله ﷺ فقالت زينب : أنا الذي نزل تزويجها من السماء فقالت عائشة رضي الله عنها : أنا الذي نزل عذري من السماء في كتابه حين حملق ابن المعطل على الراحلة فقالت لها زينب : ما قلت حين ركبتيها ؟ قالت : قلت : حسبي الله ونعم الوكيل ، قالت : قلت : كلمة المؤمنين .

٨٤٦ـ حدثنا بذلك عبد الكريم عن جعفر بن عون عن المعلي بن عرفان عن محمد بن جحش قال : تفاخرت زينب وعائشة رضي الله عنهما فذكر الحديث . فأما قوله[(١)] في حديث داود عليه السلام أني أسأله فيهبك لي فيصير داود عليه السلام موهوب الله وشبه في ذلك الموقف فهذه مرتبة بارزة فذلك يقيمه عند ساق العرش فيقول مجدني الآن صار له بهذه الهيئة معنى زائدا على أهل الجمع فإن شأن أهل الموقف أن الحق يقتضيهم فمن وفى ومن لم [١/ ٢٤٢/ ب] يفي بقي حتى تأخذه الرحمة فيأخذه من الحق فههنا نرى داود قد أخذه الحق بتبعته خصمه فولى الله أخذه بأن استوهبه على طريق الإجلال والكرم والأمر والنهي ألا ترى أنه لما استوهبه فوهب منه أقامه مكرمة عند ساق العرش فقال مجدني .

---

(١) بياض في (ص) .

٨٤٧ حدثنا بذلك عبد الله بن أبى زياد قال : حدثنا سيار عن جعفر بن سليمان قال : سمعت مالك بن دينار يقول : قال الله لداود قم عند ساق العرش فمجدني كما كنت تمجدني في دار الدنيا بذلك الصوت الحسن الرخيم ، فيقول كيف يا رب وقد سلبتنيه ، فيقول فإني سأرده عليك فيدفع داود بصوت يستفزع نعيم أهل الجنان فذلك قوله : ﴿ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴾ [ص : ٤٠] ، فهذا في الموقف ألا ترى أنه يقول كيف وقد سلبتنيه ولو كان في الجنة لكان قد أعطى فلما استوهبه ليباهي به في الموقف وكان داود صلوات الله عليه له نور ساطع بين الأنبياء يوم عرض على آدم عليه السلام في ذريته فتبين سبب ذلك النور من أين أوتي وإلى أين انتهى فأوتي في الدنيا نورا وإنما هوثناء ومدح ، وقال رسول الله ﷺ : ما أحد أحب إليه المدح من الله ولذلك خلق الخلق فقال : ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾ [الإسراء : ٥٥] ، يذكر فضله فكان يقول في دنياه إلهي اجعلني أزمر لك أيام الحياة وأعظمك في مجالس الشيوخ فأعطي من الصور ما أعطي وكان يكون في خلقه سبعين لونا من الصوت يديرها في حلقه وكانت الطير تعكف عليه فكأنه خلق للثناء والمدح فكان هذا الذي ظهر منه هاهنا ذلك النور الساطع يومئذ عند آدم عليه السلام حتى وهب له من عمره أربعين سنة ثم أقيمت في العرصة ليسمع أهل الموقف ذلك التحميد .

الأصل الخمسون والمائة

٨٤٨ حدثنا أبي رحمه الله قال : حدثنا الحماني قال : حدثنا زيد بن الحباب[(١)] قال : أخبرني كثير بن عبد الله بن[(٢)] عمرو بن عوف قال : أخبرني الحسن بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : ثلاث تحت العرش القرآن له ظهر وبطن يحاج العباد ، والرحم ينادي صِلْ مَن وَصَلني واقْطَع من قطعني ، والأمانة قلت لكثير منذ كم سمعت هذا الحديث ، قال : منذ ستين سنة ، [١/ ٢٤٣/ أ] قلت كم أتى عليك قال تسعون سنة فالظهر يحاج العامة والبطن يحاج الخاصة فإن أهل الملة على صنفين صنف أهل يقين وصنف أهل علم ثم يصير أهل العلم على صنفين مستقيم ومخلط فالمخلط هو الظالم ظلم نفسه وظلم الحق وظلم الأنبياء وظلم الملائكة لأن الله بعث بالحق على أيدي الملائكة على ألسنة الرسل فالمخلط جاء بما وهن ما جاءوا به وحلّ عراه فسمي ظالما ، والمستقيم المقتصد فأهل اليقين هم السابقون المقربون الأولياء فظاهر القرآن يحاج المقتصد في تقصيره والظالم في تخليطه وباطن القرآن يحاج السابقين المقربين في تقصيرهم وخطراتهم وزلاتهم .

قال له قائل : تذكر لنا آية من ذلك وحظوظ هذه الأصناف من ذلك ، قال : نعم كقوله : ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [المائدة : ٧] ، فالظالم : يتقي تخليطه حتى لا يدخل في عمله شيء غير الله عنه والمقتصد قد فرغ من التخليط فهو يتقي أن يشوبه رياء أو عجب أو فساد أو خطأ والصديق وهو السابق المقرب قد فرغ من هذا فهو يتقي الأسباب والعلائق والاعتماد على شيء دونه ويتقي الخطرات فهذا كله تقواه ولكنه إنما يتقي كل صنف مما بقي عليه من التقوى فإن لم يفعل حَاجَّهُ القرآنُ بما بقي عليه وأما قوله : الرحم لها شأن عظيم وفي خلقه ما يدل على شأنه .

٨٤٩ حدثنا قتيبة بن سعيد قال : حدثنا حاتم بن إسماعيل عن معاوية بن أبي مزرد مولى بني هاشم[(٣)] قال : حدثني أبو الحباب سعيد[(٤)] بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :

(١) في (ص) " يزيد بن حيان " .
(٢) في (ص) " عن " .
(٣) في (ص) " مولي أبي هشام " .
(٤) في الأصلين " سعد " والمثبت من التهذيب .

قال رسول الله ﷺ : " إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فأخذت بحَقْو الرحمن ، فقال : مَه ، قالت : هذا مقام العائذ من القطيعة قال : نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك ، قالت : بلى ، قال : فذاكِ لكِ ثم قال : رسول الله ﷺ اقرءوا إن شئتم : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ۞ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ۞ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد : ٢٢ - ٢٤] .

٨٥٠ - حدثنا الفضل بن محمد قال : حدثنا عمران بن بكار الحمصي قال : حدثنا علي بن عياش عن محمد بن زياد عن ميمون بن مهران [١/ ٢٤٣/ ب] عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ : " قال الله تبارك وتعالى للرحم : خلقتك بيدي وشققت لك من اسمي وقربت مكانك مني وعزتي وجلالي لأَصِلَنَّ من وصلكِ ولأقطعنَّ من قطعك ولا أرضى حتى ترضين فخلق الله الرأفة والرحمة يرأف ويرحم بهما عباده والرأفة غالبة على الرحمة ولها سلطان إذا تحرك علا كل شيء وغلب وبدوّ الرأفة من رأفته وبدو رأفته من فضله والفضل من جماله فكأنه دل على أن هذه الرأفة التي خلقها في الرحم التي بها يترأفون ويتعاطفون كما خلق الرحمة التي بها يتراحمون فقامت هذه الرأفة تناشد ربها فقربها من رأفته وبين بدومكانها من أين بدأ ثم جعلها كالشجنة قد برزت إلى ما دون العرش ولما قربها جعل لها السبيل إلى الحقو في القربة فشق لها اسما من اسمه الرحمن ثم جعل لها سلطانا ممدودا من الحقو كالشجنة إلى ما تحت العرش واستعاذت هناك حيث أشار من مقامها من القطيعة فقال لأصلنّ من وصلك أي أصل واصلك بهذه الرأفة مني وأقطع من هذه الرأفة من قطعك فيكون صاحب القطيعة مقطوعا من رأفته ثم خلق الإنسان فجعل الرأفة منه في الطحال وهو في موضع الحقو فهي شيء غالب على الرحمة يتعد الآدمي منها حرقة تصل إلى الفؤاد فيعمله وهي بالعربية رأفة وبالعجمية مهر(١) وجعلها دما في الطحال له حرارة ثم جعل لها في العروق مجرى منها فصيرها في الأرحام جارية ليصلوها فروي لنا عن رسول الله ﷺ .

---

(١) هكذا استظهرت قراءتها .

٨٥١ ما **حدثنا** به عمر بن أبي عمر قال : حدثنا شاب ابن خليفة قال : حدثنا أنيس بن سرار الحرمي قال : حدثنا أبي قال : حدثنا مالك بن الحويرث عن رسول الله ﷺ أنه قال : " إذا أراد الله أن يخلق النسمة فغشي الرجل المرأة أحضر كل رحم له ثم قرأ : ﴿ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾ [الانفطار : ٨] " .

٨٥٢ **حدثنا** الجارود قال : حدثنا علي بن الحسن بن شقيق قال : أخبرنا عبد الله قال : أخبرنا مغيرة بن مسلمة عن عبد الله بن بريدة : " أن رجلا من الأنصار ولدت له امرأته غلاما حبشيا أسود فأخذ بيد امرأته فأتى بها رسول الله ﷺ فقالت : والذي بعثك بالحق لقد تزوجني [١/ ٢٤٤/ أ] بكرا وما أقعدت مقعده أحدا فقال رسول الله ﷺ : صدقت إن لك تسعة وتسعين عرقا ولها مثل ذلك فإذا كان حين الولد[1] اضطربت العروق كلها ليس منها عرق إلا يسأل الله يجعل الشبه به فهذه عروق فيها دم ويقال : إن الرحم خلقتها من المرأة كالكيس وهي عضلة وعصب وعروق ورأس عصبها في الدماغ ولها فم بحذاء قبلها ولها قرنان تشبه الجناحين تجتذب بها النطفة لقبولها ومن داخل فمها أربعة أفواه إلى الرحم فإن دخل من باب فولد ، وإن دخل من بابين فولدان وإن دخل من ثلاثة فثلاثة وإن دخل من أربع فأربع فلذلك تقال لا تلد امرأة في بطن أكثر من أربعة وقيل في الميراث : يحسب نصيب أربع بنين وقل ما يعيش أربع في بطن فهذه الدماء جارية من الأرحام إلى الأرحام منتقلة بعضها إلى بعض إلى هذه العروق التي ذكرنا مروا بالعملة لهذه الدماء لينقطع ولذلك فقال بلوا أرحامكم ولو بسلام فإن الدم والزنا إذا انتسب تقطعت فتبل حتى لا تنقطع وبللها من السلام والزيارة والعطية وسئل الحسن البصري رحمة الله عليه عن الصلة فقال بشاشة الوجه وبذل النفقة .

٨٥٣ **حدثنا** الجارود قال : حدثنا جرير عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : الرحم معلقة بالعرش فإذا أتاها الواصل أنشبت به وكلمته وإذا أتاها القاطع احتجبت منه .

٨٥٤ **حدثنا** الجارود قال : حدثنا أبو[2] خالد الأحمر قال : حدثنا قطن عن مجاهد عن

---

(١) في (ص) " الولدت " .

(٢) سقط " أبو" من (د) .

عبد الله بن عمرو[١] قال : قال رسول الله ﷺ : الرحم معلقة بالعرش .

٨٥٥ حدثنا الجارود قال : حدثنا أبو معاوية قال : حدثنا الحجاج بن أرطأة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ : يقول الله تبارك وتعالى : أنا الرحمن وهي الرحم جعلت لها شجنة مني فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته لها يوم القيامة لسان ذلق تقول فيما شاءت .

فقد بين في هذا الحديث تلك الشجنة التي ذكرنا بدءًا أنها الرأفة التي خلقها ثم قامت مقام العائذ إلى الحقو من القطيعة فتلك الشجنة التي ذكرنا بدءًا نابتة من العرش معلقة منها ، بها يتواصلون [١/ ٢٤٤/ ب] ويتقاطعون وحرقنها في الأجواف والرحمة هناك ثم هي مقسومة في الخلق منها ، فبها يتراحمون وكذلك هذه الرأفة أهلها هناك ثم هى مقسومة بين الخلق فبها يترأفون ويتعاطفون ؛ [فإذا قطعها فقد انقطع من رافة ، فلذلك تعجل عقوبة في الدنيا][٢] ولذلك قيل : أعجل البر ثوابا صلة الرحم ، وأسرع الشيء عقابا البغي وقطيعة الرحم ؛ لأن البغي من الكبر وقطيعة الرحم من الانقطاع من الرأفة . وأما قوله : الأمانة تحت العرش فالأمانة معلقة بالإيمان وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : " لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له " . فإنما أمن ليأمن الخلق جوره فإن الله عدل لا يجور وإنما عهد إليه ليخضع له بذلك العهد فينتهي إلى ما أمره فهذه الثلاث تحت العرش من القرآن وهو كلامه والرحم وهي رأفته والأمانة وهي أمانته الذي أَمِنَ به خلقه من[٣] جوره والأمان بُدُوُّهُ مِنْ عَدْلِهِ .

(١) في (د) " عبد الله بن عمر " .

(٢) ما بين المعقوفين سقط من (ص) .

(٣) كذا بالأصل ولعلها " مع " .

الأصل الحادي والخمسون والمائة

٨٥٦ـ حدثنا أبي رحمه الله ، وقتيبة بن سعيد ، وصالح بن عبد الله ، ونصر بن علي الجهضمي[1] ، ويوسف بن موسى القطان ، وإسماعيل بن نصر بن أبي ميسرة المكي ، وعبد الصمد بن سليمان ، ومحمد بن أيوب السمناني ، قالوا : حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد بن حبيش المكي ، قال : دخلنا على سفيان الثوري بمكة نعوده فدخل عليه سعيد بن حسان القرشي فقال له سفيان : أعد علي الحديث الذي حدثتنيه ، فقال : نعم حدثني أبو صالح ، عن صفية بنت شيبة ، عن أم حبيبة قالت : قال رسول الله ﷺ : " كلام ابن آدم كله عليه لا له إلا أمرا بمعروف أو نهيا عن منكر أو ذكرًا لله فإنما ترجمان القلب يؤدي إلى القلوب علم ما فيه من طريق الإسماع بعبرة اللسان فيرمي به إلى الأسماع فيولج القلوب إن خيرا فخير وإن شرًا فشر " ولهذا ما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : الأذنان قمع " .

٨٥٧ـ حدثنا بذلك الفضل بن محمد ، قال : حدثنا هشام بن عبد الملك الحمصي ، قال : حدثنا بقية ، قال : حدثني عن ابن أبي حكيم ، عن طلحة بن نافع ، عن كعب قال : أتيت عائشة رضي الله عنها فقلت : هل سمعت رسول الله ﷺ ينعت الإنسان ، وانظري هل يوافق نعتي نعت رسول الله ﷺ؟ قالت : انعت قال : [١/ ٢٤٥/ أ] عيناه هاد وأذناه قمع ولسانه ترجمان ورجلاه بريد وكبده رحمة أو قال : رأفة ودينه نفس وطحاله ضحك وكلوتاه مكر والقلب مالك فإذا طاب المالك طاب جنوده وإذا فسد المالك فسد جنوده قالت : هكذا سمعت رسول الله ﷺ ينعت . وبلغنا أن عمرو بن عتبة أو غيره كان يماشي أباه فسمع رجلا من خلفه يكلم عمرًا بفضول من الكلام فالتفت إلي وقال لي : ويلك - وما قال لي ويلك قط غيرها - إن هذا عمد إلى أخبث شيء في وعائه فأفرغه في وعائك فنزه سمعك من الخنا كما تنزه لسانك . وروي لنا عن موسى عليه السلام أنه قال له ربه : يا موسى لا تجالس أصحاب الأهواء فيحدثوا في قلبك ما لم يكن؛ فكلام ابن آدم على دروب شتى فمنها : ما يخلص للآخرة

---

(١) في (ص) " الجهمي " .

ويصفوفذلك مندوب إليه موعود عليه خيرا ، ومنها : ما يخلص للدنيا ولا نصيب للآخرة فيه فذاك من جور عنه موعود عليه عقوبة ووبالا . ومنها : ما يتحارى فيه الناس بينهم في أمر معاشهم مما لا بد لهم منه في الأخذ وفي الإعطاء وفي تصرفهم في أحوالهم فذاك مأذون لهم فيه والحساب من ورائه والناس في أمر دينهم على ضربين فضرب منهم يعاملون الله على الوظائف كعبيد الغلة يؤدون وما بقي فهو لهم فقد خلى بينهم وبين ذلك ثم علم في تصرفهم وأحوالهم يدبرون لأنفسهم ويهتمون لها ويكدون ويسعون لنوائبهم وينفقون على أنفسهم وعيالاتهم مشاغيل القلوب والأبدان متعبون بذلك فهم على تدبير أنفسهم يمضون باختيارهم الأمور لها يعملون وعموم ذلك كله يتراكم على قلوبهم يحتاجون إلى توفير الغلة على الموالي وتدبير معاشه والاهتمام بأموره ومرمة أمور عياله ، وكذلك هذا الذي يعامل الله على هذا السبيل عهد إليه ربه عهدا من أداء فرائضه واجتناب نواهيه ومحارمه في هذه الجوارح السبع من جسده وفي ماله ووعده على ذلك الجنة ووعده على تضييع ذلك النار وقال : ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴾ [البقرة : ٤٠] ، ﴿ وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴾ [البقرة : ٤١] ، فهو يقطع عمره بهذا له ويقتضي منه الثواب غدا فإذا قدم على ربه حسابه وحصل أموره وبلا سرائره فإذا وجده قد وفر حقوقه فيما عهد إليه أعتقه من رق العبودة ومكن له في داره وملكه [١/ ٢٤٥/ ب] منها ما يكون جزاء ووفاء لسعيه وكده والضرب الآخر : يعاملون الله على العبودة لعبيد الخدمة انتبهوا من رقدة الغافلين الأولين فاستوحشوا من هذا الفعل أن يدبروا لأنفسهم أمرا وقد علموا أنه قد مضى التدبير من قَبْل خلق السموات والأرض وأثبته في اللوح المحفوظ وأنه كل يوم هوفي شأن وأنه حي لا يموت قيوم لا يمل ولا يعجز فائتمنوه على أنفسهم وألقوا بأيديهم إليه سلما وفوضوا إليه أمورهم وشغلهم جلاله وجماله وعظمته وكرمه ومجده عن أن يتفرغوا لأنفسهم فيفكروا ويدبروا لأنفسهم أمرا ويهتموا الرزق ويهربوا من حكم أو يتخيروا عليه في شيء من الأحوال عزا أو ذلا أو فقرا أو غنى أو صحة أو سقما أو محبوبا أو مكروها وقد وقفوا بقلوبهم بين يديه ناظرين إلى جلاله مبهورين في جماله منفردين في وحدانيته متعلقين بكرمه ينتظرون رزقه ويراقبون تدبيره ويترجون من الأمور محابه وآذانهم مصغية إلى دعوتهم متى يدعونه فيجيبون فكلام هؤلاء في المندوب إليه مما صغى

للآخرة وفي المأذون لهم مما يتجارى من أهل المعاش في أحوالهم قد صار شيئا واحدا لأنهم له وفي خدمته وأموره إن نطقوا فله ينطقون وإن صمتوا فله يصمتون وإن نطقوا فعنه ينطقون وإن صمتوا فإياه يذكرون وبه يشتغلون وفي نجواه يرتاحون وأما الآخرون فإن نطقوا فبإذنه ينطقون فما كان للآخرة فلرجاء ثوابه الذي وعد وما كان للدنيا مما لا نصيب للآخرة فيه فلخوف عقابه الذي أوعد وما كان للمعاش ومتصرف الأمور مما أذن لهم فيه فلعاجل نفع أودفع ضر عاجل ضر فجلي العادة والغفلة عن الله عز وجل فالحساب من ورائهم في ذلك فإن نطقوا فلما ذكرنا وإن صمتوا فلأجل عقاب وعاجل ضر وإن نطقوا فعن علومهم وعقولهم ينطقون وإن صمتوا ففي أحوالهم يفكرون وإياه يذكرون وبدنياهم يشتغلون ووسواسهم يناجون وفي شأنهم وشهواتهم يرتاحون فهذا الضرب من الناس ما كان صفاء من كلامهم للآخرة فهم موعود ربهم من الثواب وما كان في المعاش وما لابد منه مما أذن لهم فيه وقفوا للحساب فذاك عليه لا له حتى يتخلص منه فإن وجد كلاما قد أذن له فيه [١ / ٢٤٦ / أ] ولم يكن له منه بد ، وهو على غفلة من ذلك ، قد تكلم على عادة نشوه لم ينل به ثوابا ؛ لأنه ليس مما ابتغي به وجهه ، فإن تخلص منه لا له ولا عليه فنعم ما تخلص ، مع أنه لا ينفك مع الخلاص من حسرة موجعة للقلب ، مفجعة للنفس ؛ إذ يرى أكثر عمره قد أهدره وأبطله ، فأهل الغفلة حظهم يوم القيامة الأوقات والساعات التي كانوا[1] في أمور آخرتهم من أعمال البر ، وسائر ذلك هدر ؛ لأنهم يطعمون ويشربون ويلبسون وينامون ويكسبون ويرمون للمعاش ، وينفقون ويتصرفون في حوائجهم مقبلين ومدبرين ليلهم ونهارهم شهوة ونهمة وغفلة لا نية لهم فيها ولا حسبة ، ويقدمون بها على ربهم فلا يجدون عنده ثوابا ، إنما يثابون على أعمال البر فقط ؛ لأنهم عملوها على ذكر الآخرة ، فاحتسبوا بها ونووا فيها ، وفي أمور معاشهم عملوا على العادة والشهوة وحظ النفس ، فليس لهم فيها ذكر آخرة ، فلوحصلت حظوظهم من أعمارهم لم تجدها يحصل لهم عشرها ، فترى أحدهم ينشق ماؤه من مزرعته فيسيل في الوادي هدرا ، فيتلوى ويقلق ويضجر ويتحسر على ما ضاع من مائه ، ولو أن أحدا فعل به ذلك لاستعدى عليه وعاداه على ذلك

(١) كذا في الأصلين .

، وهو يعلم أن عمره يهدر فلا يكون له يوم القيامة إلا عشره أوجزء من أجزاء قليلة ، فلا يضيق به صدرا ، ولا يبالي به ، فهو ما دام مصليا أو تاليا لكتاب الله أو مشيعا جنازة أو عائدا مريضا فهو حظه من عمره ، ثم إذا خلا من هذه الأشياء فهو في شهوة ونهمة ، يعمل بهواه ، بطال غافل ، فكشف له الغطاء يوم الحسرة والندامة ، قال الله تعالى : ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [مريم : ٣٩] ، وقال : ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [الحجر : ٣] ، وقال : ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ * مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم(١) مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ * لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ﴾ [الأنبياء : ١ - ٣] ، فهذه صفة أهل الغفلة ، صارت عامة أعمارهم لهوا ولعبا ، وصار تناولهم من الدنيا تمتعا وشرا وأشرا ، وألهتهم آمالهم عن ذكر الموت حتى نسوه ، ولو ذكروا الموت لحاسبوا أنفسهم وارتدعوا وانتبهوا ، واشتغلوا بما هو أملك بهم ، وإذا ذكرنا من أهل الغفلة هؤلاء الطبقة المشهورين المعروفين(٢) عند العامة بأعمال البر وبالعدالة وبالصلاح [١/ ٢٤٦/ ب] وبالعلم ، قد رضوا من حظهم من الله بما نالوا من مرفق النفس في دار الفناء ، ووصول إلى نهمة ، ورضوا من دينهم بهذه الأعمال التي تستروا بها ليحمدوا عند الخلق بذلك ، ولا تلحظ قلوبهم إلى مالك الملك الذي يراهم على هذه الصفة حتى يستحيوا منه ، ولا ينكرون أن وشيكا ما يعرون من هذه الأحوال ، ويخرجون من الدنيا صفرا ، فيبقون غدا على عرصة في الموقف وعرة وحشة بعيدة من الرحمة ، على خطر العقاب ، وسخط الرحمن ، يقبلون من النفس خدعها وأمانيها ، حيث يقول : إن رحمة الله واسعة ، ويجزيهم بذلك على ما هم فيه ، فينخدعون لها ويقبلون ذلك منها ، حتى إذا بقوا على ذلك الصراط الرقيق بين الجنة والنار مع حساب طويل وذنوب كثيرة وتبعات جمة نادى : يا ويلاه ، ماذا صنعت بنفسي ؟ فيقول رسول الله ﷺ : " كلام ابن آدم كله عليه لا له ، إلا هذه الخصال الثلاث " ، هوللعامة ، فأما أولياء الله وخاصة عبيده فهم أمناؤه وخدمه ، فأعمالهم ومتقلبهم كلها له ولا تبعة عليهم في ذلك ، ومما

---

(١) " من ربهم " سقط من (ص) .

(٢) في (ص) " المعروض " .

يحقق ذلك قول حديث عائشة رضي الله عنها ، عن رسول الله ﷺ ، عن جبريل ، عن ربه جل ذكره قال : " إذا أحببت عبدي كنت سمعه وبصره ، فبي يسمع وبي يبصر وبي ينطق وبي يعقل " ، [فإذا صار العبد ممن به ينطق إذا نطق ، فكيف يكون عليه ذلك تبعة بل][(١)] يكون جميع سعيه وتصرفه في الأمور صارت آخرة ، وإنما افترقت الأمور فصارت بعضها آخرة وبعضها دنيا لأهل الغفلة والبطالة ، فلذلك احتاجوا عند كل رأس أمر إلى نية حتى تصير كلها آخرة ، فإذا لم يفعلوها بطلت عامة أعمارهم وهدت تلك الأمور إلا ما انفرد به للآخرة ولم يكن للنفس فيه نصيب ، وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : " إن الله تعالى عند لسان كل قائل فاتقى الله امرؤ وعلم ما يقول " .

٨٥٨ـ حدثنا بذلك عمر بن أبي عمر ، قال : حدثنا قطبة بن العلاء ، عن عمر بن ذر ، عن أبيه ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، عن رسول الله ﷺ .

٨٥٩ـ قال : حدثنا أبي رحمه الله ، قال : حدثنا الفضل بن دكين ، عن عمر بن ذر ، عن أبيه ، عن رسول الله ﷺ ، بمثله .

---

(١) ما بين المعقوفين أثبتناه من (د) .

الأصل الثاني والخمسون والمائة

٨٦٠ـ حدثنا عمر بن أبي عمر ، قال : حدثنا هشام بن خالد الدمشقي ، عن إسماعيل بن عياش ، عن ليث ، [١/ ٢٤٧/ أ] عن ابن سابط ، عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " يكون في أمتي فزعة ، فيصير الناس إلى علمائهم فإذا هم قردة وخنازير " .

فالمسخ تغيير الخلقة عن جهتها ، فإنما حل بهم المسخ لأنهم غيروا الحق عن جهته ، وحرفوا الكلام عن مواضعه ، فمسخوا أعين الخلق وقلوبهم عن رؤية الحق ، فمسخ الله صورهم وبدل خلقتهم كما بدلوا الحق باطلا ، فالمسوخ كثيرة من خلق الله ، مثل الفيل والدب والعنكبوت والفأر والضب وما أشبه ذلك ، فإنما مسخوا على هذين الصنفين ؛ قردة وخنازير ؛ لأن القردة قوم خادعوا الله فاستحلوا السبت واتخذوا حظائر إلى جانب البحر ، فلما دخلت الحيتان إلى تلك الحظائر يوم السبت سدوا مخارجها حتى بقوا فيها أخذوها يوم الأحد ، فمسخهم الله قردة خاسئين ، والخنازير إنما خلقت لعذرة سفينة نوح عليه السلام ولم يكن قبل ذلك كذلك .

٨٦١ـ حدثنا الجارود ، عن الأسود ، عن عامر ، عن سفيان ، عن علي بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس رضي الله عنهما : فغذاؤها العذرة .

ومما يحقق ذلك قول الله تبارك وتعالى فيما ذكر في تحريم الميتة فقال : ﴿أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾ [الأنعام : ١٤٥] ، فذكره بالرجاسة من بين ما ذكر من الدم والميتة .

فعلماء السوء على ضربين ، فمنهم مكب على حطام الدنيا لا يسأم ولا يمل من جمعه ، فتراه شهره ودهره يتقلب في ذلك كالقمج[١] في المزابل[٢] يطير من عذرة إلى عذرة ، قد أخذ بقلبه دنياه ، وألزمته خوف الفقر ، وألهجه باتخاذها عدة في النوائب ، لا يتنكر عليه تقلب أحوالها ، ولا يتأذى بسوء[٣] رائحتها ، قد احتشت من الحرام ، ووسخ حلالها من تراكم الشبهات عليها ، فأفعال هذا الضرب وإكبابه

---

(١) هكذا استظهرت قراءتها .

(٢) " في المزابل " سقط من (ص) .

(٣) في (ص) " ولا يتأذوا سوء " .

على هذه المزابل كإكباب الخنازير ، فإذا حلت بالخلق مسخوا هؤلاء في صورة الخنازير ، وضرب آخر أهل تصنع وترائي وزهاة ومخادعة وتزين للمخلوقين ، شحا على رئاستهم ، يتبعون الشهوات ويلتقطون الرخص ، ويجلون سوء السريرة ، ويخادعون الله بالحيل في أمورهم ، دينهم المداهنة ، وساكن قلوبهم المنى ، وطمأنينتهم إلى الدنيا ، وركونهم إلى أسبابها ، رضوا من هذا كله بالقول دون الفعل ، فلما حلت السخطة مسخوا قردة ، فإن من شأن القردة الحربرة[1] والخداع والمداهنة واللعب والبطالة ، [١/ ٢٤٧/ ب] ومن شأن الخنزير الإكباب على المزابل والعذرات .

---

(١) كذا بالأصلين .

الأصل الثالث والخمسون والمائة

٨٦٢ـ حدثنا الفضل بن محمد ، قال : حدثنا إبراهيم بن محمد بن يوسف الفاريابي ، قال : حدثنا سلام بن واقد ، قال : حدثنا أبو حمزة اليشكري ، عن أبي إسحاق الهمداني ، عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : " إني قارئ عليكم سورة ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ﴾ ، فمن بكى فله الجنة " ، فقرأها ، فمنا من بكى ، ومنا من لم يبك[1] ، فقال الذين لم يبكوا : قد جهدنا يا رسول الله أن نبكي فلم نقدر عليه ، فقال : " إني قارئها عليكم الثانية ، فمن بكى فله الجنة ومن لم يقدر أن يبكي فليتباكى " .

فالبكاء على ضروب ، ومن أسباب مختلفة :

بكاء من فجعة النفس ، وبكاء خدعة ، وبكاء مساعدة ، وبكاء خوف الوعيد ، وبكاء خوف الحزن ، وبكاء الفرح ، وبكاء الخشية ، وبكاء الشوق ، وبكاء التحنن ، وبكاء القبضة .

فأما بكاء الفجعة فمصائب النفس ؛ يهان ويضرب ويظلم في نفسه وماله فيبكي .

وأما بكاء الخدعة فبكاء اللصوص ؛ يبكون والسرقة في أحضانهم ، قال الله عز وجل : ﴿ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴾ [يوسف : ١٦] ، ويوسف في البئر ، فأهل الذنوب يبكون والذنوب في أحضانهم لا يفارقونها .

وأما بكاء المساعدة فبكاء النساء ، وأما بكاء خوف الوعيد فمن الإيمان ؛ آمن بوعيد الله فرقّ قلبه لفجعة النفس ، وأما بكاء الخشية فمن العلم بالله ووجود السبيل إلى القربة رق قلبه من الرحمة التي قرب قلبه منها ، وأما بكاء الشوق فلطول الحبس عن الله في منزل الوحشة ، فبكى من الغربة ، وأما بكاء الحزن فمن المراقبة ؛ قد علم أنه لا يكون إلا ما يشاء ، ولا يدري ما يكون ، وهو في دار الأعداء[2] .

وقد شخصت آماله نحوه ولا يصل إلى ذلك ، فلفقد ما يأمل تأخذه الأحزان ، وأما بكاء الفرح فلوجدان ما يأمل ، وأما بكاء التحنن فإذا تحنن الله على عبده وقسم له

---

(١) في (ص) " يبكى " .

(٢) في (د) " ويدري ما يكون وهي دار الأعداء " .

الحظ - من اسمه الحنان - فرآه مقبلا عليه يكتنفه ويحوطه ، فيثير منه البكاء من منابع الرأفة ، وأما بكاء القبضة - وهو الذي يقال له الدنو- فهو الذي أبكاه ، وهو قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴾ [النجم : ٤٣] .

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه رأى رجلا يضحك في جنازة ، فقال : ﴿ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴾ . ورأى ابن مسعود رجلا يضحك خلف جنازة فقال : أتضحك خلف الجنازة ؟ والله لا أكلمك أبدا ، فابن عباس رضي الله عنهما عرف ذلك الضحك من أين [١/٢٤٨/أ] هو فعذره ، وابن مسعود رضي الله عنه رأى منكرا فلم يعذره ؛ لما ذكرنا من اختلاف معادن الضحك .

٨٦٣ـ **حدثنا** عبد الله بن أبي زياد القطواني ، قال : حدثنا سيار ، عن جعفر ، عن مالك بن دينار ، قال : قرأت في التوراة : " يا ابن آدم ، لا تعجز أن تقوم بين يدي في صلاتك باكيا ؛ فإني أنا الله الذي اقتربت لقلبك ، وبالغيب نوري " ، فهذا يحقق ما ذكرنا من بكاء أهل القبضة .

فميراث بكاء الفجعة صداع الرأس وضعف البصر ، وميراث بكاء الخدعة القسوة والمقت ، وميراث بكاء المساعدة الفترة ، وميراث بكاء الوعيد وجوب الجنة ونزول الرحمة ، وميراث بكاء الحزن نور في القلب ، وميراث بكاء الفرح الطمأنينة والثقة وحسن الظن به ، وميراث بكاء الخشية الخشوع ، وميراث بكاء الشوق القربة ، وميراث بكاء التحنن الدنو والعطف والشفقة ، وميراث بكاء القبضة الضحك إليه ، وذكر الله في تنزيله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ۩ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ۩ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ [الإسراء : ١٠٧ - ١٠٩] ، والذين أوتوا العلم هم أهل هذه الخشية ، قال الله في تنزيله : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ [فاطر : ٢٨] ، فأعلمهم بالله أشدهم له خشية .

٨٦٤ـ **حدثنا** أبو بكر بن سابق الأموي ، قال : حدثنا أبو مالك الجنبي ، عن جويبر ، عن الضحاك ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، عن رسول الله ﷺ أنه قال فيما يذكر عن ربه تبارك وتعالى ، قال لموسى صلوات الله عليه : " أما البكاءون من خشيتي فلهم الرفيق الأعلى لا يشركهم فيه أحد " .

وروى عبد الوهاب ، عن ثور ، عن خالد بن معدان ، قال : ما بكى عبد من

خشية الله إلا خشعت لذلك جوراحه ، وكان مكتوبا في الملأ الأعلى باسمه فلان ابن فلان ينور قلبه بذكر الله . وروي عن خزم القطيعي قال : سمعت مالك بن دينار يقول : الباكي من خشية الله تهتز له البقاع التي يبكي عندها ، وتغمره الرحمة ما دام باكيا .

وروى ابن السماك قال : سمعت عمر بن ذر يقول : إن الباكي من خشية الله تبدل بكل قطرة أو دمعة تخرج من عينه أمثال الجبال من النور في قلبه ، ويزاد في قوته للعمل ، وتطفأ بتلك المدامع بحور من النار .

وروى ابن السماك ، عن مفضل بن مهلهل قال : بلغني أن العبد إذا بكى من خشية الله تحاتت عنه ذنوبه كيوم ولدته [١/٢٤٨/ب] أمه ، ولو أن عبدا جاء بجبال الأرض ذنوبا وآثاما لوسعته الرحمة إذا بكى من خشية الله ، فإن بكى على الجنة تشفع الجنة له[١] ، تقول : يا رب أدخله علي كما بكى علي ، وإذا بكى خوفا من النار فالنار تستجير له من ربها ، تقول : رب أجره مني كما استجارك مني وبكى خوفا من دخولي .

وروى صالح المري قال : بلغني عن كعب قال : من بكى خوفا من الله من ذنب غفر له ذلك الذنب ، ومن بكى اشتياقا إلى الله أباحه النظر إليه متى شاء .

وقال الله جل ذكره في تنزيله في بكاء الحزن : ﴿ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴾ [التوبة : ٩٢] .

وقال في بكاء الفرح : ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ [المائدة : ٨٣] .

وقال رسول الله ﷺ في شأن بكائه على ابنه ، فقيل : أتبكي يا رسول الله ؟ قال : " إنما هي رحمة ، ومن لا يَرحم لا يُرحم " ، فيدل هذا الحديث - حديث جرير بن عبد الله - أن رسول الله ﷺ إنما خاطب بهذا أصحاب الأموال والعامة المستورين بستر الله ، وذلك أنه قرأ عليهم من بين السور قصتهم في التكاثر والسؤال عن النعيم ، وفيه وعيد على أثر وعيد ، مردود من قوله : ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ

(١) " له " سقطت من (ص) .

تَعۡلَمُونَ * كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ ﴾ [التكاثر : ٣ - ٥] ، أي : سوف تعلمون إذا جاءت معاينة الرسل ، ﴿ ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴾ إذا جاء السؤال في القبر ، ﴿ كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ ﴾ رؤية الجحيم ﴿ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا ﴾ يوم القيامة عين اليقين ، فههنا علم النفس ، فههنا علم اليقين ، وهناك عين اليقين ، ﴿ ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ ، فخوف الوعيد أبكاهم ، فقال : من بكى فله الجنة ، وذلك أن الله عز وجل وعدهم على خوف الوعيد الجنة ، فقال : ﴿ وَلَنُسۡكِنَنَّكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ ﴾ [إبراهيم : ١٤] يعني الجنة ، ثم قال : ﴿ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴾ ، فوعد الله على خوف الوعيد الجنة ، فلذلك قال : " فمن بكى فله الجنة " ؛ لأن هذه سورة فيها قصتهم وفيها وعيدهم ، فبكى أصفاهم قلبا وأرقهم فؤادا ، ثم ردد عليهم ثانية ، فأجهدوا أنفسهم فلم يقدروا على البكاء أولا ، ثم بكوا في الثانية ، فهذه درجة ثانية ، ثم قال لمن لم يبك : " فليتباك[1] " ، أي : فليتمثل لربه في صورة الباكين حتى يلحقه بهم في الثواب ، فقال حين رجعت الملائكة : قالت : يا رب ، إن أعبدا لك اجتمعوا فذكروك ، فقال : أشهدكم أني قد غفرت لهم ، قالوا : يا رب ، إن فلانا مر بهم ولم [١/ ٢٤٩/أ] يكن منهم ، قال : هم القوم لا يشقى بهم جليس ، فهذا جليس الباكين ، فإذا تباكى كان في صورتهم .

وأما بكاء المقربين السابقين من أصحاب رسول الله ﷺ ومن بعدهم فبكاؤهم بكاء أهل الخشية وبكاء المشتاقين وبكاء المحزونين وبكاء من أبكاه الله وأضحكه ، [قال له قائل : ما الذي يتراء علي إذا أبكاه وإذا أضحكه][2] قال : إذا نظر إلى جلاله أبكاه ، وإذا نظر إلى جماله أضحكه ، ومن وراء هذا منزلة أخرى أشرف من هذا ، [وهو بكاء الدنو قلبك غير أن القلب[3] صاحب هذا قلبه منفرد في وحدانيته][4] فإذا أدناه أبكاه للرقة التي تحل به ، فإذا رجع إلى مرتبته هابه وقلص دمعه ، وانتشفت الهيبة رقته فيبس ، فإذا أدناه رق فبكى ، إذا رجع إلى رتبته هاب فلزمته الهيبة ، فهذا دأبه

---

(١) في (ص) " فليتباكي " .

(٢) ما بين المعقوفين سقط من (ص) .

(٣) كذا بالأصل .

(٤) ما بين المعقوفين سقط من (ص) .

في البكاء ، والدنو منه بر لعبده ، فالبر يرقه ويبكيه ، وروي عن هارون بن رباب أنه قال : إن البكاء مثاقيل ، لو وزن بالمثقال الواحد منها مثال جبال الدنيا لرجح به البكاء ، وإن الدمعة لتتحدر فتطفئ البحور من النار ، وما بكى عبد لله مخلصا في ملأ من الملأ إلا غفر لهم جميعا ببركة بكائه ، فالمخلص هوبكاء لا يشوبه شيء ولا سبب له ، إنما هو أن أدناه فأبكاه ، فبلغ من ثوابه أن يغفر لمن حوله ببركة ذلك ، والبركة معناها القرب ، فهو راجع إلى ما قلنا .

وروي عن عبد الوهاب بن عطاء بن عبيدة بن حسان ، عن النضر بن سعد قال : قال رسول الله ﷺ : " لو أن عبدا بكى في أمة من الأمم لأنجى الله تلك الأمة من النار ببركة بكاء ذلك العبد ، وما من عمل إلا وله وزن وثواب إلا الدمعة ؛ فإنها تطفئ بحورا من النار ، وما اغرورقت عين بمائها من خشية الله إلا حرم الله جسدها على النار ، وإن فاضت على خده لم يرهق وجهه قتر ولا ذلة " .

الأصل الرابع والخمسون والمائة

٨٦٥ـ حدثنا موسى بن عبد الله بن سعيد الأزدي قال : حدثنا محمد بن زياد الكلبي ، عن بشر بن الحسين الهلالي ، عن الزبير بن عدي ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال رسول الله ﷺ : " ما من نعمة وإن تقادم عهدها فيجدد لها العبد بالحمد إلا جدد الله له ثوابها ، وما من مصيبة وإن تقادم عهدها فيجدد لها العبد بالاسترجاع إلا جدد الله له ثوابها وأجرها " ، فالنعمة يخفف أثقالها الشكر عليها ، والشدة يحرز لك ثمرتها الصبر عليها ، والشكر هو معرفتك بأن هذا منه فضلا ومنة ، وحفظ جوارحك عن مساخطه وأداء فرائضه والتكلم بالحمد فهذا [١/ ٢٤٩/ ب] تمام الشكر ، فإن التكلم به اعتراف العبد بأن هذه النعمة منه ، والصبر على المصيبة معرفتك بأن هذا منه تسليما له ، وثباتك على حفظ جوارحك بأن لا تعصيه بسبب ما نابك ، والتكلم بالاسترجاع وهو اعتراف العبد بالتسليم له ، كما أن الإيمان هو المعرفة لله بوحدانيته والطمأنينة به والتسليم له قلبا والبكاء بلا إله إلا الله ، وهو اعتراف العبد بذلك والعمل بحقيقته ، فهذا الاعتراف بهذه الأشياء في أي وقت كان فثوابه قائم للعبد ، وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : " جددوا إيمانكم " .

٨٦٦ـ حدثنا بذلك محمد بن ميمون المكي ، قال : حدثنا صدقة بن موسى ، قال : حدثنا محمد بن واسع ، عن ابن بهار العبدي ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : " جددوا إيمانكم " ، قالوا : بماذا يا رسول الله ؟ قال : " بلا إله إلا الله " ، فهذا يحقق ما قلنا ، فإذا كان إيمانه يتجدد بهذه الكلمة فكذلك حمده واسترجاعه يتجدد ، وإنما قال : " جددوا " ؛ لأن العبد قد يتكلم بهذه الكلمات ثم يدنسها ويكدرها بسوء أفعاله لا يذرها صافية ، ألا ترى أن الرجل قد يقول لصاحبه : أنت كبيري وأنت أخي وأنت حبيبي ، فيقتضيه صاحبه وفاء هذا القول ، فإذا جاء موضع الفعل وحقر أمره وقطع الأخوة وجفاه ، أليس قد دنس قوله وأخلفه ، فإذا عاد له واعتذر فقد جدده ، ثم إذا أعاد فقد أخلف ودنس ، وإنما قال لهم : " جددوا " ؛ لأن من شرط المؤمنين في هذه الكلمة أن لا يكون لقلوبهم وله في شيء من الأشياء في نائبة من النوائب إلا إليه ؛ لأنه لا إله إلا هو ، فإذا نابتهم النوائب وظهرت الحوائج تولت

قلوبهم إلى المخلوقين ، أليس قد دنسوا هذه الكلمة وأخلفوها فقال لهم : " جددوا " أي : استقبلوا التكلم بها ، فكان من شأن سيدنا أبي بكر رضي الله عنه أن يقول : كان كذا ولا إله إلا الله ، وفعلت كذا ولا إله إلا الله ، يختم أمره وكلامه بلا إله إلا الله ، يريد بذلك ما ندبهم إليه الرسول ﷺ من تجديده .

وهذا تفسير قول معاذ رضي الله عنه : تعالوا نؤمن ساعة أي : نذكره ذكرا يجمع قلوبنا عنده ، ويكون الوله إليه ، ونرغب إليه في ذلك الوقت ليديم لنا ذلك إذا تفرقنا ، فكذلك الحمد والاسترجاع يَخْلَقان ويدنسان بضدهما من الأفعال [١/ ٢٥٠/ أ] التي تخرج من العبد ، فيجددان ذلك ، فيكتب له ثوابهما ، ألا ترى أنه قال في الحديث الذي كتبناه في صدر الباب أنه قال : " إلا جدد الله ثوابها وإن تقادم عهدها " ، فإنما يجدد ثوابها لأنه جددها بالقول .

٨٦٧ـ حدثنا سليمان بن العباس الهاشمي ، قال : حدثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : قال رسول الله ﷺ : " الحمد رأس الشكر ، ما شكر الله عبد لا يحمده " .

الأصل الخامس والخمسون والمائة

٨٦٨ـ حدثنا الفضل بن محمد ، قال : حدثنا إبراهيم بن محمد بن يوسف الفاريابي ، قال : حدثنا محمد بن عبد الرحمن القشيري ، عن ثور بن يزيد ، عن مكحول ، عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " إن استطعتم أن تكثروا من الاستغفار فافعلوا ؛ فإنه ليس شيء أنجح عند الله ولا أحب إليه منه " .

فالاستغفار هو[1] سؤال العبد من الله ربه الستر ، والغفر الغطاء ، منه سمي المغفر ؛ لأنه يوضع على الرأس يتستر به ، يقال في اللغة : غفرته ، أي غطيته ، فقوله : اغفر لي ، أي : استرني ، واستغفر على قالب استفعل من ذلك لأن الله تبارك وتعالى جعل نوره في قلب هذا المؤمن ، وجعل لنوره سترا من نور وقاية للنور الأعظم الذي في قلبه ، ولباساله ، وحجب ذلك عن أعين الثقلين المعرضين للثواب والعقاب غدا ، وسائر الخلق والخليقة من الملائكة والسماوات والأرض والجبال والبحار والدواب قد انكشف لهم الغطاء عن رؤية ذلك ، فهم يرون ذلك ، قال الله جل ذكره في تنزيله : ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ [الأعراف : ٢٦] .

فإذا اجتبى الله عبده واختاره للإيمان جعل له نوره ، فأشرف في قلبه فهداه لنوره ، أي : أمال قلبه للنور الذي فيه وأحياه به فعرفه ثم جعل له لباس التقوى يجوز به الصراط ليكون له وقاية من النار فهذا النور الظاهر هوكسوة النور الباطن ، وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقرؤها : (الله نور السماوات والأرض مثل نوره في قلب المؤمن كمشكاة) ، وكان أبي بن كعب يقرؤها : (مثل نور من آمن به) ، وكل ذلك يرجع إلى معنى واحد ، فالمؤمن في بهاء هذا الستر يمشي على أرضه ، والخليقة ينظرون [١/ ٢٥٠/ ب] إليه بعين الجلالة والشرف ، فإذا هم بالمعصية وعزم عليها تجافى عنه الستر كما تجافى عنه العبد ، فإذا عملها تباعد عنه وبقي العبد عاريا من البهاء والجلالة والشرف ، فإذا أصر لم يزدد إلا سفالا وضعة ودنسا ، ولم يزدد الستر إلا بُعدا ومراحلة[2] ، فإذا ندم ورجع إلى الله بقلبه فمدن هناك أي أقام ،

---

(١) تكرر في (ص) " هو هو " .

(٢) كذا في (ص) ، وفي (د) يشبه أن تكون " ونزاهه " .

وإقامته عزمه أن لا يبرح من مقام الطاعة .

سأل المغفرة فقال : أستغفرك ، أي أسألك أن ترد علي الستر ، فيستره ، فيصير في ذلك النور فهو مستور ، فقيل : غفر له أي ستره ، وبدو ذلك من آدم صلوات الله عليه كان لباسه ستره وهو النور ، فلما عصى انكشف النور وعري ، فذلك قوله : ﴿ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا ﴾ [الأعراف : ٢٧] ﴿ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا ﴾ [الأعراف : ٢٠] ، فقد ووري عنهما عوراتهما .

٨٦٩ حدثنا عبد الجبار ، قال : حدثنا سفيان ، عن عمرو بن دينار ، عن وهب بن منبه رضي الله عنه في قوله : ﴿ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا ﴾ .

قال : جعل على عورة كل واحد منهما نورا ، فلا يرى واحد منهما عورة الآخر ، وجعل الله تعالى لهذه الجارحة من الآدمي شأنا عجيبا ؛ لأنه أداة الذرية التي في صلبه إلى يوم القيامة ، فالصلب باب وهذه أداة هذه الشهوة .

٨٧٠ حدثنا أبي رحمه الله قال : حدثنا إسماعيل بن صبيح اليشكري ، قال : حدثنا صباح بن واقد الأنصاري ، قال : حدثنا سعد بن طريف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : أوحى الله تبارك وتعالى إلى داود عليه السلام أن سائل ابنك سليمان عن سبع كلم ، فإن أخبرك فورثه العلم والنبوة ، فقال له داود عليه السلام : إن الله أوحى إلي أن أسألك عن سبع كلم ، فإن أخبرتني ورثتك العلم والنبوة ، قال سليمان : سلني عما شئت ، قال : أخبرني ما أحلى من العسل ، وما أبرد من الثلج ، وما ألين مسا من الخز ، وما يرى أثره في الصفا ، وما لا يرى أثره في الماء ، وما لا يرى أثره في السماء ، ومن يسمن في الخصب والجد ، قال : أما ما أحلى من العسل فرَوْح الله للمتحابين في الله ، وأما[1] ما أبرد من الثلج فكلام الله إذا قرع أفئدة أولياء الله ، وأما ما ألين مسا من الخز فحكمة الله إذا نشرها أولياء الله بينهم ، وأما ما لا يرى أثره في الماء الفلك تمر فلا ترى [١/ ٢٥١/ أ] أثرها وأما ما لا يرى أثره في الصفا فالنملة تمر على الحجر فلا يرى أثرها ، وأما ما لا يرى أثره في السماء فالطير يمر ويطير فلا يرى أثره ، وأما من سمن في الخصب والجدب فهو المؤمن ، إن أعطاه الله شكر وإن ابتلاه صبر ، فقلبه أجرد أزهر .

(١) " أما " سقطت من (ص) .

قال : انظر إلى ابنك نوبه[(١)] ، فاسأله عن أربع عشرة كلمة ، فإن أخبرك فورثه العلم والنبوة . فسأله فقال : ما لي بني من ذي علم ، قال داود لسليمان عليهما السلام : أخبرنا يا بني أين موضع العقل منك؟ قال : الدماغ ، قال أين موضع الحق ؟ قال العينان ، قال : أين موضع الباطل منك ؟ قال : الأذنان ، قال : أين باب الخطيئة منك ؟ قال : اللسان ، قال : أين طريق الروح منك ؟ قال : المنخران ، قال : أين موضع الأربة والبيان ؟ قال : قال : الكلوتان ، قال : أين باب الفظاظة والغلظة منك ؟ قال : الكبد ، قال : أين بيت الريح منك ؟ قال : الرئة ، قال : أين باب الفرج منك ؟ قال : الطحال ، قال : أين باب الكسب منك ؟ قال : اليدين ، قال : أين باب الغضب منك ؟ قال : الرجلين ، قال : أين باب الشهوة منك ؟ قال : الفرج ، قال : أين باب الذرية منك ؟ قال : الصلب ، قال : أين باب العلم والفهم والحكمة ؟ قال : القلب ، إذا صلح القلب صلح ذلك كله ، وإذا فسد القلب فسد ذلك كله .

٨٧١ـ حدثنا صالح بن عبد الله قال : حدثنا جرير عن ليث عن ابن أبي نجيح عن أبيه عن عبد الله بن عمرو ، قال : أول ما خلق الله من الإنسان فرجه ، فقال : هذه أمانة خبأتها عندك فلا تستل منها شيئا إلا بحقها .

قال : فالفرج أمانة والسمع والبصر أمانة ، واللسان أمانة والقلب أمانة ، ولا إيمان لمن لا أمانة له ، فإنما خلق الله آدم عليه السلام ليذرأ من صلبه هذا الخلق ، ويجعل موضع خلقه من الموضع الذي يذرأ منه الخلق ، ثم جعل الحياة في القلب وجعل هذه الأداة ركنا من أركان القلب ، فمنه يأتي الريح فيعينه ويقويه ليقدر على استعمالها ، فبروح الشهوة يقوى فخبأها عنده وجعلها أمانة لئلا يستعملها إلا فيما أذن له وخلقت له . ثم خلق منه حواء رضي الله عنها ، وستر عليهما ذلك منهما ، فلم ينكشف الستر عنهما حتى عصيا فعريا .

وروي عن وهب بن منبه قال : الإيمان عريان ، ولباسه التقوى ، وزينته الحياء ، وماله العفة . فإنما قال : لباسه التقوى ، تسبب إلى صاحبه وهو وقايته التي ظهرت ، وقد اتقى حتى صار متقيا ، فالمؤمن من بين الخلق في ذلك اللباس [١/ ٢٥١/ ب] يوقر ويعظم

---

(١) كذا في (ص) وفي (د) " توفيه " .

ويبجل ويُهاب ، وليس يرى منه تقواه في ذلك الوقت ، إنما يرى عليه طلاوة اللباس وزهرته وليق حركاته وتصرفه في الأمور وعليه مهابة ذلك اللباس .

٨٧٢ **حدثنا** أبو بكر بن سابق[1] الأموي قال : حدثنا أبو مالك الجنبي عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال : قال رسول الله : إن الله أعطى المؤمن المقة والحلاوة والمحبة في صدور الصالحين والملائكة المقربين ، وتلا : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وُدًّا ﴾ [مريم : ٩٦] .

قال : الوده هو منية القلب ، والودة هو منية النفس ، فمنية النفس من الشهوة ومنية القلب من الإيمان ، ومن القربة ، يقال في اللغة : وده يوده ودا ، بضم الواو، وهذا من الود . ويقال من التمني : ود يود ودا ، بفتح الواو، ومن المودة يقال : وددت ، ومن التمني يقال : وددت .

٨٧٣ **حدثنا** عبد الله قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا عبد القدوس بن الحجاج بن المغيرة الحمصي ، قال : حدثنا سعيد بن سنان الكوفي ، قال : حدثني أبو الزاهرية جرير بن كريب عن جبير بن نفير ، قال : صلى رسول الله ﷺ يوما بالناس صلاة الصبح ، فلما فرغ أقبل بوجهه على الناس رافعا صوته حتى كاد يسمع من في الخدور ، وهو يقول : " يا معشر الذين أسلموا بألسنتهم ولم يدخل الإيمان في قلوبهم لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عثراتهم ؛ فإنه من يتبع عثرة أخيه المسلم يتبع الله عثرته ومن يتبع الله عثرته يفضحه وهو في قعر بيته . فقال له قائل : يا رسول الله وهل على المؤمن ستر ؟ فقال رسول الله ﷺ : ستر الله على المؤمن أكثر من أن يحصى ، إن المؤمن ليعمل بالذنوب فتهتك عنه سترا سترا حتى لا يبقى عليه منه شيء ، فيقول الله لملائكته : استروا على عبدي من الناس فإن الناس يعيرون ولا يغيرون ، فتحف عليه الملائكة بأجنحتها فيسترو ه من الناس . قال : فإن تاب قبل الله منه ورد عليه ستره ، ومع كل ستر تسعة أستار ، فإن تتابع في الذنوب قالت الملائكة : ربنا إنه قد غلبنا وأقذرنا ، [١/ ٢٥٢/أ] فيقول الله للملائكة : استروا عبدي من الناس ، فإن الناس يعيرون

---

(١) في (ص) " أبوبكر سابق " .

ولا يغيرون ، فتحف الملائكة بأجنحتها فيسترونه من الناس ، فإن تاب قبل منه ورد عليه ستره ومع كل ستر تسعة أستار ، فإن تتابع في الذنوب قالت الملائكة : ربنا إنه قد غلبنا وأقذرنا فيقول الله تعالى : استروا عبدي من الناس فإن الناس يعيرون ولا يغيرون ، فتحف الملائكة بأجنحتها فيسترونه من الناس ، فإن تاب قبل الله منه ، وإن عاد قالت الملائكة ، يا ربنا قد غلبنا وأقذرنا ، فيقول الله للملائكة : تخلوا عنه ، فلو عمل ذنبا في بيت مظلم في ليلة مظلمة في جحر أبدى الله عنه وعن عورته » .

٨٧٤ حدثنا عبد الله عن موسى بن محمد بن عطاء مولى عثمان بن عفان ، قال : حدثنا أبو الصلت عن عبد الله بن راشد عن الحسن البصري عن سلمان الفارسي قال : إن المؤمن في[(١)] سبعين حجاب من نور ، فإذا عمل خطيئة ثم تناساها حتى يعمل أخرى هتك عنه حجاب من تلك الحجب ، فلا يزال كلما عمل خطيئة ثم تناساها حتى يعمل أخرى ، هتك عنه حجاب من تلك الحجب ، فإذا عمل كبيرة من الكبائر هتك عنه تلك الحجب كلها إلا حجاب الحياء ، وهو أعظمها حجابا ، فإن تاب تاب الله عليه ورد تلك الحجب كلها ، فإن عمل خطيئة بعد الكبائر ثم تناساها حتى يعمل أخرى قبل أن يتوب هتك عنه حجاب الحياء فلم يلق إلا مقيتا ممقوتا ممقتا ، فإذا كان مقيتا ممقتا نزعت منه الأمانة ، فإذا نزعت منه الأمانة لم تلقه إلا خائنا مخونا ، فإذا كان خائنا مخونا نزعت منه الرحمة ، فإذا نزعت منه الرحمة لم تلقه إلا فظا غليظا ، فإذا كان فظا غليظا نزعت منه ربقة الإيمان ، فإذا نزعت ربقة الإيمان من عنقه لم تلقه إلا لعينا ملعنا شيطانا رجيما .

فقد أخبر سلمان رضي الله عنه في حديثه أن الحجاب الأعظم هوحجاب الحياء ، وقد قال وهب بن منبه في حديثه : الإيمان عريان ولباسه التقوى وزينته الحياء .

٨٧٥ حدثنا الجارود عن النضر عن عوف بن مالك عن معبد الجهني في قوله : ﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ قال : الحياء . فهو الذي وصفنا بَدَاء ، إن ذلك الستر الأعظم الذي ستر الله الإيمان به وهو الذي يمشي بهائه ، فإذا أذنب ، وهو أن يعمل كبيرة ، فقد عري وخرج من الحجاب ، ففي حديث رسول الله ﷺ : إن الله يقول لملائكته : استروا عبدي ، فتحف الملائكة بأجنحتها ، ولم يدخل في ستر الله ، فإذا تاب رد عليه الستر ، فالآدمي

---

(١) في المخطوطتين « للمؤمن بي » والمثبت من (ط) .

لا ينفك عن عيب أو ذنب ، فإذا كان عيبا خرج عن ستر ، فلا يزال في عيب يحدثه وستر يزول عنه ، فالستر الأعظم قائم ، فإذا أذنب كبيرة عري ، فقول رسول الله ﷺ : " ليس شيء عند الله أنجح من الاستغفار ولا أحب إليه [١/ ٢٥٢/ ب] منه " يدل على أنه صار كذلك من أجل أنه ستر نوره .

ألا ترى إلى قول رسول الله ﷺ : " لله أفرح بتوبة العبد من رجل وجد ضالته في مفازة مهلكة ، عليها طعامه وشرابه " .

وروى خارجة بن مصعب عن ابن جريج عن عطاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : دخلت على نبي الله ﷺ ، فرآني حزينا ، فقال : " ما لي أراك حزينا يا أبا هريرة ؟ قلت : كان بيني وبين أهلي شيء فتعجلت إليهم ، فقال : أين أنت ثكلتك أمك ، أين أنت عن الاستغفار ، فوالذي بعثني بالحق إني لأستغفر في اليوم والليلة مائتي مرة ، فأكثر من الاستغفار ؛ فإن في الأرض أمانين ، يوشك أن تفقدوا أحدهما عن قريب ، وهو موت نبيكم ﷺ ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الأنفال : ٣٣] فإنه يجيء يوم القيامة محدقا بأعمال الخلائق له زئير حول العرش يقول : إلهي حقي حقي ، فيجيبه فيقول : خذ حقك ، فما يترك من سيئات بني آدم إلا اجتحفها .

٨٧٦ حدثنا عمر بن أبي عمر قال حدثنا محمد بن وهب بن عطية الدمشقي(١) عن الوليد بن مسلم عن الحكم بن مصعب المخزومي عن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ : " من أدمن الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ، ورزقه من حيث لا يحتسب " .

فإنما أشار إلى الإدمان إلى الاستغفار لأن الآدمي لا يخلو من ذنب أو عيب ساعة فساعة . ولذلك قيل : خياركم كل مُقِين تواب ، فإن المؤمن خلق مُقينًا توابًا . ذكر ذلك عن رسول الله ﷺ ، فإذا أدمن على الاستغفار خرج من الذنوب والعيوب ودخل في الستر الأعظم وعادت إليه تلك الستور ، وتلك الستور التي ذكر عددها هي عندنا ستور توابع الإيمان ، فالإدمان عليه يمحق الذنوب والعيوب ، ويحقق

(١) في (ص) " وهب عن عطية الدمشقي " .

ذلك قوله ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ والعذاب عذابان ، العذاب الأدنى والعذاب الأكبر ، ولكل عذاب ألوان ، والعذاب للعيوب والذنوب ، فإذا كان العبد متيقظا مشرفا على أموره ، وكلما أعيب أو أذنب أتبعهما استغفارا لم يبق في وبالهما وعذابهما ، وإذا كانت منه العيوب والذنوب ولها عن الاستغفار تراكمت العيوب والذنوب فجاءت الهموم وجاء الضيق وجاء العسر والكد والنصب ، هذا من العذاب الأدنى ، وفي الآخرة عذاب [١/٢٥٣/أ] النار ، وإذا استغفر خرج من الذنب والعيب فصار له من العيوب فرج ومن الضيق مخرج وأسبغ عليه الرزق ، وهو قوله ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق : ٢ - ٣] فالتقوى أن يجتنب العبد الذنب والعيب ، فإذا وقع فيه فطن إليه ولا يستقر حتى يتوب ويرجع ، وهو قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف : ٢٠١] فسماهم أهل التقوى . وقال : ﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٣] ثم بين من المتقون فقال ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ * وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ [آل عمران : ١٣٤ - ١٣٦] ففاعل الفاحشة والظالم لنفسه لم يخرج اسمه من المتقين ، بأنه لم يصر وعاد إلى ربه تائبا ، فتركه الإصرار من التقوي .

٨٧٧ حدثنا الجارود قال : حدثنا جرير عن يزيد بن أبي زياد عن عمرو بن أبي سلمة الهمداني عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : ما من رجلين مسلمين إلا بينهما ستر ، فإذا قال أحدهما لصاحبه هُجرا هتك ستر الله .

٨٧٨ حدثنا سفيان بن وكيع قال : حدثنا الحسين الجعفي عن زائدة عن يزيد بن أبي زياد عن عمروبن سلمة عن ابن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ بمثله .

قوله : لا شيء أنجح عند الله ولا أحب إليه من الاستغفار . فأقرب الأشياء من الشيء كسوته ووقايته ، ولعظم قدر الشيء يجعل له وقاية وكسوة وستر ، فإذا كان الشيء نفيسا جعل في ستر ، والملوك في ستر ، وكل شيء له خطر وقدر فهو محظور عن الجميع مستور ، فإذا أذنب العبد تباعد عنه الستر لنفاسته ونزاهته ، فإذا ندم فالندم

والتوبة بدؤهما من النور الذي في قلبه ، وهو الذي يندمه ويقتضيه الرجوع إلى الله ويهديه لذلك ، فلما فعل وسأل الستر فإنما يسأل الستر للنور الذي في قلبه ولا شيء أنجح من هذا القول ، يحبه لحرمة ذلك النور من أجل أنه هو الذي اقتضاه السؤال ، فكأنه الذي سأل إذا كان مقتضيا ، ولا شيء أحب إليه منه لأنه يسأله الستر لنوره ، ولذلك قال : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٢٢] والتوابون هم الذين رجعوا إلى الله وتطهروا [١/ ٢٥٣/ ب] بقربه من نجاسة الذنوب ومن رجاسة العيوب .

وروي لنا عن رسول الله ﷺ أنه قال : " إذا تاب العبد فقبل الله توبته أنسى الحفظة ما كان يعمل ، وقيل للأرض وجوارحه : اكتمي ولا تظهري عليه مساوئه أبدا " .

ومن شأن الآدميين إذا أحب أحدهم أحدا فاستقبله في طريق وهو سكران التفت هكذا وهكذا ، هل رآه أحد على تلك الحالة ، ثم ستره وأدخله منزلا فأقامه إشفاقا عليه وكراهة أن يراه أحد على تلك الحالة ، فما ظنك برب العزة إذا تاب العبد إليه وقبلها منه يدعه والحفظة تنظر إليه بعين من يفعل ذلك الفعل بالأمس ؟ كلا إنه لينسينه كما جاء عن رسول الله ﷺ حتى لا يعلم منه إلا خيرا حتى تنظر إليه الحفظة والخلق والخليقة بعين الإجلال .

وقال الله جل ذكره في تنزيله : ﴿ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ﴾ [نوح : ١٠] فوعد المغفرة على الاستغفار .

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : " أربع من أعطيهن لم يمنع أربعا "

٨٧٩ حدثنا بذلك عمر بن أبي عمر ، قال : حدثنا على بن حماد النصري ، وهو الذي يقال له : ابن أبي طالب عن خليفة بن عبد الله الشامي عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : " أربع من أعطيهن لم يمنع أربعًا ، من أعطي الدعاء لم يمنع الإجابة ، قال الله تعالى جده : ﴿ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ ﴾ [غافر : ٦٠] ومن أعطي الاستغفار لم يمنع المغفرة ، قال الله تعالى : ﴿ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ﴾ ومن أعطي الشكر لم يمنع الزيادة ، قال الله تعالى : ﴿ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡ ﴾ [إبراهيم : ٧] ومن أعطي التوبة لم يمنع القبول ، قال الله تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ [الشورى : ٢٥] " .

فإنما أمر الله بالاستغفار عند الذنب والشكر عند النعمة والتوبة من الذنب والدعاء

عند الحاجة ، فهذه كلها على الحقائق لا على التجويز ، فحقيقة الاستغفار أن يرى العبد في وقت الذنب خروجه من ستر ربه وتعريه فيأخذه الحياء ، كما يستحي الرجل إذا سلب ثوبه في ملأ عظيم أو في سوق من الأسواق فينقبض ويدخل أعضاؤه بعضها في بعض من الحياء ، فهل يجد المستغفر هذا الحياء من ربه لذهاب ستره وعريه حتى يسأل المغفرة وهي الستر أشد سؤالا وألحف من الذي ذهب ثوبه فتعرى في ذلك الملأ لتعلم أنه يقول قول السكارى ، لقن فالتقن ، [١/ ٢٥٤/أ] فهو في سكره لا يعلم أنه عار أو مستتر ولا يأخذه الحياء .

وحقيقة الشكر أن يرى النعمة منه رؤية القلب ، خلقه وتربيته وسياقته وإيصاله إليه ، فيأخذه من أثقال ذلك من الخجل ما يأخذه من رجل أهدى إليه بدرة من دنانير عدة مرات .

وحقيقة التوبة أن يرى إباقه من مولاه فيرجع إليه بندم واعتذار ووجل وحياء ، فيعزم على التوطن عنده بين يديه أشد من عزم عبد آبق من مولاه ، والآدمي وقد أحسن إليه مولاه كل الإحسان ومناه العتق والبر واللطف ، فلما عاد إليه تأسف على نفسه باكيا من فعله وثقل عليه أن يتراءى له من شدة ما يعلوه من الحياء ، فهو يتستر منه بالحائط وبالشيء ، فهو يوطن أن لا يفارقه إلى الممات .

وحقيقة الدعاء أن يسأله سؤال من أحضر قلبه كما أحضر بدنه ، بتضرع وإلحاح ، سؤال فقير زمن ومضطر وجد إذن دخول على ملك عطوف رحيم .

فإذا كنت في هذه الأربع الخصال تعامل الآدميين تكون بهذه الصفة ، فإذا عاملت الله بها وجدت نفسك بخلاف هذه الصفة ، فقد علمت أن هذا فعل السكران وقوله ، ولا اعتداد عند العقلاء بفعل السكران وقوله ، أو رجل يتكلم في منامه ، فالسكران لقن فالتقن . والنائم فكر في يقظته فتكلم في نومه ، فالمخلط سكران والمستقيم نائم ، والزهاد والعباد والورعون إنما يفوز بهذه الخطة العظيمة المنتبهون عن الله ، مزق شعل أنوار الله حجب قلوبهم ثم أحرقها فانحسر القلب لأمر عظيم ، فهو قول رسول الله ﷺ : من أعطي الدعاء لم يمنع الإجابة ، ومن أعطي كذا لم يمنع كذا ، أي أعطي نورا ، فإذا أعطي النور صارت هذه الأربع كلها عطاياه فأعطي الاستغفار وأعطي التوبة وأعطي الشكر وأعطي الدعاء من دون المنتبهين ، أمروا به وندبوا إليه ، وقيل لهم : تطهروا من هذه الأوساخ والأدران التي على قلوبكم وطهروا صدوركم حتى تعطوا النور فتكون هذه الأربع مني لكم عطاء ،

فتخرج منكم هذه الأربع على الحقيقة ، فأجيبكم إلى ما وعدت لأني لم أعد إلا على الحقيقة ، من دعا حقا واستغفر حقا وشكر حقا ؛ فإن لكل شيء حقيقة ، وكذلك وصف الله المؤمنين في تنزيله ، فبين حقيقة إيمانهم فقال : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الأنفال : ٢] إلى آخر الصفة ، ثم قال ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ [الأنفال : ٤] فالحقيقة [١/ ٢٥٤/ ب] في الأشياء هي بلوغ الصفة التي رسم الله لعباده فيما بينهم كيف يعاملون على الحقيقة ، فاستنادا من الحقيقة مقدار ذلك وعفا عما وراء ذلك .

٨٨٠ـ **حدثنا** محمد بن معمر البصري قال : حدثنا حبان بن هلال قال : حدثنا الهيثم البكاء قال : حدثني أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " إذا فتح الله على عبد الدعاء فليدع فإن الله مستجيب له " . وقوله : فتح ، أي أعطي .

وقال أبو حازم : لأنا من أن أمنع الدعاء أخوف عندي من أن أمنع الإجابة . فإنما خاف منع الدعاء أن لا يفتح له في وقت الدعاء فيكون دعاؤه كسائر الكلام ، قال كذا ادعوا ، والدعاء بوعد والقلب إليه حتى يتبوأ له هناك أي يجعل قرارا يقبل قوله ، والنفس متشبثة به ، فالقلب في حبس النفس لا يستطيع العدو إلى الله ، فقال : كذنب إلى ، فالتوبة الرجوع إليه وهو في حبس النفس لا يستطيع العدو، وإنما يرجع القلب ، فإذا كان في حبس النفس لم يقدر أن يتخلص منه ، قال كذا استغفرني ، وإنما المغفرة سؤال الغطاء من الذنب للعري ، والنفس حجاب للقلب فهو لا يقدر أن يرى عريه حتى يسأله الغطاء والستر . وقال لك : اشكرني ، أي أرني نعمتي عليك ، والنفس حجابه فلا يقدر أن يرى نعمه ، فهذه الأشياء قد أتيت بها اسما ولم تأت بها عينا ، فممنوع أنت عنهن على الحقيقة ، فإذا أعطيت النور غدا قلبك إليه عند الحاجة ، فيسأل بين يديه أجيب وأسعف .

وإذا أعطيت النور فرأيت الإباق منه رجعت إليه مع النور فوقفت هناك بين يديه ، فهي التوبة ، قبل منك . وإذا رأيت العري فسألت الستر والمغفرة أعطيت ، وإذا رأيت النعمة فشكرت قبل منك فأعطيت الزيادة لأنه إنما ابتغى منك الرؤية .

الأصل السادس والخمسون والمائة

٨٨١ـ حدثنا عمر بن أبي عمر قال : حدثنا سعيد بن أبي مريم ، قال : أخبرنا عبد الله بن عقبة عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : " إذا أراد الله بعبد خيرا جعل غناه في نفسه ، وتقاه في قلبه " .

فالحاجة في النفس لأنها معدن الشهوات ، وشهواتها لا تنقطع فهي أبدا فقيرة لتراكم الشهوات عليها واقتضائها وخوف فواتها وانقطاعها قد برح بها وضيق عليها ، فهي مفتونة مما ذكرنا وخلصت فتنتها إلى القلب فصار مفتونا ، فأصمته عن الله وأعمته لأن الشهوة ظلمات ذات رياح [١/ ٢٥٥/ أ] هفافة ، فالريح إذا وقعت في الأذن أصمت ، والظلمة إذا وقعت في العين أعمت ، فلما صارت هذه الشهوة من النفس إلى القلب حجبت النور ، فعمي وصم ، فإذا أراد الله بعبد خيرا قذف في قلبه النور فاحترق الحجاب وانحسر النور الأصلي وأشرق هذا النور الوارد في القلب والصدر فذلك تقواه ، به يتقي مساخط الله ، وبه يحفظ حدود الله وبه يؤدي فرائض الله وبه يخشى الله مع هذا كله ، ويصير ذلك النور وقايته يوم الجواز على الصراط ، فبه يتقي النار حتى يجوزهما إلى دار الله ، فهذا تقواه في قلبه .

وأما غناه في نفسه فإنه إذا أشرق الصدر بذلك النور نادى إلى النفس فأضاء ووجدت النفس له حلاوة وروحا ولذة فتلهيها عن لذات الدنيا وشهواتها ، ويذهب مخاوفها وعجلتها وخرقها وبلاهتها ، فتحيا بحياة القلب وتستضيء بنور القلب فتطمئن ؛ لأن القلب صار غنيا بانتباهه عن الله جل ذكره الماجد في بريته الكريم في فعاله الحي في ديمومته القيوم في ملكه ، والنفس جارة وشريكة ، ففي غنى الجار غنى وفي غنى الشريك غنى ، والتقوى في القلب وهو ذلك النور ، والغنى في النفس طمأنينتها ومعرفتها أين معدن الحاجات .

الأصل السابع والخمسون والمائة

٨٨٢ـ حدثنا عمر بن أبي عمر قال : حدثنا الحسن بن الربيع البجلي قال : حدثنا عمر بن أبي هرص[(١)] قال : حدثنا أبو عبد الرحمن الدمشقي عن عطاء بن أبي رباح عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ في قوله عز وجل : ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران : ٣١] قال : اتبعوني على البر والتقوى والتواضع وذلة النفس ، فالبر هو ما افترض الله على العبد ، والتقوى ما نهاه عنه ، والتواضع أن يضع مشيئته لمشيئة مولاه في أموره ، وذلة النفس ترك المنى في عطاياه في الدرجات ، وفي إقامته هذه الأربع صفوة العبودة ، فهو عبد الله ورسوله أرسله إلى الخلق على طريق العبودة لله .

٨٨٣ـ حدثنا أبو الحارث بن عبيد الله بن الحارث[(٢)] ، قال : حدثنا بكر بن محمد بن حبيب المازني عن الحكم بن ظهير عن السدي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : قدم وفد اليمن على رسول الله ﷺ ، فقالوا : أبيت اللعن ، فقال رسول الله ﷺ : سبحان الله إنما يقال [١/ ٢٥٥/ ب] هذا للملك ، ولست ملكا ، أنا محمد بن عبد الله ، قالوا : فإنا لا ندعوك باسمك ، قال : فأنا أبو القاسم ، فقالوا : يا أبا القاسم إنا قد خبأنا لك خبيئة ، فقال : سبحان الله ، إنما يفعل هذا بالكاهن ، فالكاهن والمتكهن والكهانة في النار ، فقال له أحدهم : فمن يشهد لك أنك رسول الله ؟ قال : فضرب بيده إلى حفنة حصى فأخذها فقال : هذه تشهد أني رسول الله ، قال : فسبحن في يده وقلن : نشهد أنك رسول الله ، فقالوا له : أسمعنا بعض ما أنزل عليك ، فقرأ ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا﴾ [الصافات : ١] حتى انتهى إلى قوله : ﴿فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصافات : ١٠] وإنه لساكن ما ينبض منه عرق ، وإن دموعه لتسبقه إلى لحيته ، فقالوا له : إنا نراك تبكي ، أمن خوف الذي بعثك تبكي ؟ قال : بلى ، من خوف الذي بعثني أبكي ، إنه بعثني على طريق مثل حد السيف ، إن زغت عنه هلكت ، ثم قرأ : ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾ [الإسراء : ٨٦] .

---

(١) كذا في (ص) ، ولم أستطع قراءته في (د) ، ولم أتبين من هو.

(٢) في (ص) " أبوالحارث عبيد الله بن الحارث " .

فإنما صار في مثل حد السيف لأن طريق الأعمال على النفس ومبتدأه من القلب وطريقها على النفس ، فإذا مرت فلم تلتفت إلى النفس ولا لحقته النفس أن تتقيه ، فقد صفا العمل وصفت العبودة .

فهذه منزلتان ، إحداهما أشرف من الأخرى ، فمنزلة أن العمل يبتدئ من القلب فيخرج من الأركان ونفسه حية تحب أن تشركه في ذلك ، وهو أن تلتمس الثواب . ومنزلة أشرف من هذا وهو أن تموت النفس والقلب في مقام الهيبة فيخرج العمل إلى الأركان فلا يلتفت إلى النفس ولا بالنفس حراك فتشخص إليه طرفا ، فهذا صفة العبودة ، بعث عبدا بالرسالة للعبودة ، فالعبد قائم بين يدي مولاه يعمل ما يؤمر به ، ولا يتكلف من تلقاء نفسه شيئا ولا يدبر لنفسه شيئا ، وقد فوض ذلك كله إلى مولاه ، فمن شأن المحب أن لا يكون له نهمة دون لقاء الحبيب ، فإذا لم يهتد إليه فوجد دليلا يؤديه إليه ، فمن صدق المحبة أن يقفو أثر الدليل والعلم الذي رفع له حتى يؤديه إليه .

فقال لنبيه ﷺ ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ﴾ [هود : ١١٢] فالاستقامة في السير أن لا يلتفت يمينا ولا شمالا ولا يعرج على شيء فيشتغل به دونه ، فاجتمع نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فأفاضوا في الذكر فرقوا ، ثم ذكروا نعم الله عليهم بالإسلام والقرآن وإحسانه ، فطارت نفوسهم فقالوا : [١/ ٢٥٦/ أ] لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله فنعملها ، فجاءت المحبة من الله ، فأنزل الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ [الصف : ٤] ، استقصاء عليهم في كنه الأمر ، ليظهر صدق ما نطقوا به ، فخرجوا إلى القتال ، فلم يكن من بعضهم الذي قال ، فأنزل الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۞ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف : ٢ - ٣] ، فقال عبد الله بن رواحة : لا أزال حبيسا في سبيل الله .

٨٨٤ـ حدثنا بذلك علي بن خشرم ، قال : حدثنا أيوب بن النجار اليمامي(١) ، عن يحيى بن أبي كثير . ثم قالوا : إنا لنحب ربنا ، فامتحنوا ، فأنزل الله تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران : ٣١] .

---

(١) في (ص) " أيوب بن النجار بن اليمامي " .

فإن من شأن الكريم أن يحب من أحبه ، ولم ينل حبه أحد إلا من بعد حبه له ، فجعل الاتباع علامة المحقين في هذه المقالة ، فمن قال : على ماذا نتبعه ؟ قيل : هذه سيرته فاتبعه في سيرته ؛ فإنه واصل إلي ، فإذا اتبعته في سيرته وصلت إلي ، فسيرته العبودة ، والعبودة هي هذه الخصال الأربع التي أجملت لك .

الأصل الثامن والخمسون والمائة

٨٨٥ـ حدثنا عمر بن أبي عمر الربعي ، قال : حدثنا يونس بن يزيد الأيلي ، عن ابن شهاب ، عن أبي سلمة ، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : " الحياء زينة ، والتقى كرم ، وخير المراكب الصبر ، وانتظار الفرج من الله عبادة "(١) .

فالحياء من فعل الروح ، والروح سماوي ، فعمل أهل السماء عمل ليس يشبه بعضه بعضا في العبودة ، والنفس شهواني أرضي ، ميالة إلى شهوة ثم إلى أخرى ، ثم إلى منية على إثر منية ، لا تهدأ ولا تستقر ، فأعمالها مختلفة لا يشبه بعضها بعضا ، مرة عبودة ومرة ربوبية ، ومرة استسلام ومرة تملك ، ومرة عجز ومرة اقتدار ، فإذا ريضت النفس وذللت وأدبت انقادت وكان السلطان والغلبة للروح جاء الحياء ، والحياء خجل الروح عن كل أمر لا يصلح في السماء ، فهو يكاع(٢) ويخجل من ذلك ، فهذا يزين الجوارح ويزين الأمور ، فهو زينة العبد ، فمنه العفة ، ومنه الوقار ، ومنه الحلم .

وأما قوله : " والتقى كرم " ، فالكريم من انقاد وذل ، ولذلك سميت شجرة العنب كرما ؛ لأنها تمد ، فأينما مددتها امتدت وذلت لك .

ومنه قول رسول الله ﷺ : " لا تقولوا للعنب كرما ، وإنما الكرم [١/٢٥٦/ب] قلب المؤمن " .

فإذا ولج النور القلب رطب ولان ، وبرطوبته ولينه ترطب النفس وتلين وتذهب كزازتها ويبسها ؛ لأن حرارة الشهوات قد طفئت بالنور الوارد على القلب ؛ لأنه من الرحمة ، والرحمة باردة ، فانقاد القلب فاتقى .

فأخبر أن تقاه في كرمه ، فإذا لان القلب وانقاد فقد صار متقيا ، وقوله : " وخير المراكب الصبر " ، فالصبر ثبات العبد بين يدي ربه في مقامه لأموره وأحكامه ، ومنه سميت المصبورة ؛ صُبرت هدفا للسهام ، فكذلك العبد أهدف نفسه لأموره

---

(١) أورده السيوطي في الجامع الصغير ، ورمز له بالضعف .

(٢) كذا في الأصلين .

وأحكامه ، ما خف منها وما ثقل ، وما أحب وما كره ، وما يسر وما عسر ، فهو خير مركب ركب إلى الله ، وهو مركب الوفاء بالعهد ، خلق الله الدنيا ممرا لعبيده إلى دار السلام ، فالقوم مجتازون يأخذون الزاد ويمرون أولا فأولا ، يدخلون قبورهم فيخرجون إلى الله ، جعل بابه الذين يدخلون عليه أشر باب وأهوله ؛ ليطهرهم من التلبس بالدنيا ، فيلقوه طاهرين ، فيمكن لهم في دار القدس ، فمن الوفاء بعهده أن لا يلتفت إلى شيء سوى الزاد ، وإن تناولت منها ما تناولت تزودا وتمضي يوف لك بالعهد أن يدخلك دار السلام ، قال : ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴾ [البقرة : ٤٠] أي : وإلي فارهبوا من نفوسكم ، فالهرب والرهب يرجعان إلى معنى واحد ، إلا أن هذا في نوع وذاك في نوع .

وقوله : " انتظار الفرج من الله عبادة " ، ففي انتظار الفرج قطع العلائق والأسباب إلى الله ، وتعلق به ، وشخوص الآمال إليه ، وتبري من الحول والقوة ، فهذا خالص الإيمان .

الأصل التاسع والخمسون والمائة

٨٨٦ـ حدثنا محمد بن مقاتل ، قال : حدثنا معن القزاز ، قال : حدثنا عبد الله بن المؤمل المخزومي[١] ، عن أبي الزبير ، عن جابر رضي الله عنه ، قال رسول الله ﷺ : " زمزم لما شربت له " .

فزمزم سقيا الله وغياثه لولد خليله ، فبقي غياثا لمن بعده ، فالغياث في كل نائبة ، فإن شربت لمرض شفيت ، وإن شربت لغم فرج عنك ، وإن شربت لحاجة استغنيت به ، وإن شربت لنائبة صلحت ، فهو قوله : " لما شربت له " ؛ لأن أصله من الرحمة بدءا وغياثا ، ولأي شيء شربه ذلك المؤمن وجد غوث ذلك الأمر .

٨٨٧ـ وحدثني أبي رحمه الله ، قال : دخلت الطواف في ليلة ظلماء ، فأخذني من البول ما شغلني ، فجعلت أعتصر حتى [١/ ٢٥٧/ أ] أذاني ، وخفت إن خرجت من المسجد أن أطأ بعض تلك الأقذار ، وذلك أيام الحج ، فذكرت هذا الحديث : " زمزم لما شربت له " ، فتضلعت منه ، فذهب عني إلى الصباح . وروي عن عبد الله بن عمرو أن في زمزم عين من الجنة من قبل الركن .

---

(١) في (ص) " المخزون " .

الأصل الستون والمائة

٨٨٨ـ حدثنا سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي ، قال : حدثنا يحيى بن سعيد الأنصاري ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : " كان رسول الله ﷺ إذا دخل البيت كأحدكم يخيط ثوبه ويعمل كأحدكم " .

قوله : يعمل ، أفهمني عنه غيره ، فهكذا شأن الأنبياء والأولياء ؛ لأنهم خدموا وعملوا الدنيا والآخرة لهم خدمة ؛ لأنهم عبيد الله على العبودة ، وقفوا بين يديه ، ورأوا أن هذه الأعمال التي للدنيا والآخرة تدبير الله في أرضه ، وأنها كلها معلقة بعضها ببعض ، وأنها لله ، فما استقبلهم من أمر لم يؤثروا عليه شيئا ، ولا اختاروا من تلقاء أنفسهم أمرا ، فلزموه ورفضوا ما سواه ؛ لأنهم يحبون أن يكونوا كالعبيد ، ما وضع بين أيديهم عملوه عبودة ، حتى يلقوا الله بها فيضع عنهم يومئذ رق العبودة ويرضى عنهم ، هذا بغيتهم .

والآخرون اختاروا من الأعمال ، وآثروا هذا على ذاك ، وذاك على ذا ، طلبا للأفضل ؛ لينالوا أجرا ويحتفظوا من نعيم الجنان ، فرفضوا كثيرا من الأعمال ضيعوا به حقوقا كثيرة ، والاعتبار في هذا بمثل حديث جريج الراهب ؛ نادته أمه : يا جريج ، أرني وجهك من الصومعة ، وهو في الصلاة ، فقال : صلاتاه وأماه ، فآثرها على أمه

٨٨٩ـ حدثنا إبراهيم بن المستمر الهذلي ، قال : حدثنا الحكم بن الريان اليشكري ، قال : حدثني ليث بن سعد ، قال : حدثني يزيد بن حوشب الفهري ، عن أبيه ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " لو كان جريج الراهب فقيها عالما لعلم أن إجابة أمه من عبادة ربه " .

فمن فقه عن الله أمره ، ورأى تدبيره ، لم يجد بدا من رفض الاختيار ، فلا يؤثر أمرا على أمر ، ولا حالا على حال .

وروي عن جعفر بن أبي طالب أن رسول الله ﷺ لما بعثهم إلى تبوك فأمر عليهم زيد ابن حارثة ، فقال : إن قتل زيد فجعفر أمير عليكم ، فقال : يا رسول الله ، أتؤمر علينا زيدا ؟ فقال : " إنك لا تدري في أي ذلك خير " .

وروي في الخبر أن موسى عليه السلام قال : " يا رب ، أي عبادك أكبر ذنبا ؟ قال :

[١/ ٢٥٧/ ب] الذي يتهمني ، قال : ومن يتهمك يا رب ؟ قال : الذي يستخيرني ، فإذا خرت له لم يرض بذلك " . أو كما قال ، فمن جعل أمور الآخرة وأمور الدنيا كلها لله ، وأراد بذلك إقامة العبودة فقد سقطت عنه مؤنة الاختيار ، ولم تملكه الأعمال ولا الأحوال .

الأصل الحادي والستون والمائة

٨٩٠ حدثنا أحمد بن عثمان بن حكيم الأزدي ، قال : حدثنا أبي ، عن شريك ، عن محمد ابن سعد ، عن أبي عطية ، عن أبي أمامة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : " المقة من الله ، والصيت في السماء ، فإذا أحب الله عبدا نادى جبريل في السماء : إن الله يحب فلانا فأحبوه ، فتنزل المقة في الأرض " .

والمقة الحب والبغض ، كذلك قوله : " الصيت في السماء " ، يعني به اضطراب الصوت والنداء ، فهو قوله : ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي ﴾ [طه : ٣٩] ، قال : ملاحة وحلاوة .

٨٩١ حدثنا عمر ، قال : حدثنا هارون الراسبي[1] ، عن جعفر بن حيان ، عن أبي رجاء في قوله : ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي ﴾ ، قال : الملاحة والحلاوة .

٨٩٢ حدثنا عمر ، قال : حدثنا عثمان بن الهيثم ، عن عوف ، عن معبد الجهني ، في قوله : ﴿ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا ﴾ [مريم : ١٣] ، قال : الحنان المحبة[2] .

٨٩٣ حدثنا أبو بكر بن سابق الأموي ، قال : حدثنا أبو مالك الجنبي ، عن جويبر ، عن الضحاك ، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، قال : سألت رسول الله ﷺ عن قوله : ﴿ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴾ [مريم : ٩٦] : ما هو يا رسول الله ؟ قال : " المحبة يا علي في صدور المؤمنين والملائكة المقربين ، يا علي ، إن الله أعطى المؤمن ثلاثا : المقة والمحبة والحلاوة والمهابة في صدور الصالحين ، فمن اصطنعه لنفسه قبل نفسه ، فوجد له حلاوة وملاحة ، ومن دعاه فأجابه فصدقه في الإجابة قربه فقبل قلبه ، فوجد له في القلوب ودا وهو المحبة ، قال الله لعبده موسى : ﴿ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴾ [طه : ٤١] " .

فكان لا يراه أحد إلا أحبه ، حتى فرعون الذي كان يذبح أولاد بني إسرائيل من أجله كان يرشفه في حجره .

فمن كان من بعده على مثل سبيله وطريقه إليه فله الحلاوة والملاحة واللبق ، ومن سار إليه حتى وصل فنال القربة فله الود في القلوب .

---

(١) في (د) " عمر بن هارون الراسبي " .

(٢) في (ص) " المحبب " .

٨٩٤ـ حدثنا إبراهيم بن المستمر ، قال : حدثنا محمد بن بكار العقيلي ، قال : حدثنا سعيد ابن بشير ، عن الأعمش ، عن ذكوان أبي صالح ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : [١/٢٥٨/أ] " لكل عبد صيت ، فإن كان صالحا رفع في الأرض ، وإن كان سيئا وضع في الأرض " .

الأصل الثاني والستون المائة

٨٩٥ـ **حدثنا** محمد بن الحسن الليثي ، قال : حدثنا الفرج بن فضالة ، عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم ، عن مولى أم معبد ، عن أم معبد ، قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " اللهم طهر قلبي من النفاق ، وعملي من الرياء ، ولساني من الكذب ، وعيني من الخيانة ، فإنك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور "(١) .

٨٩٦ـ **حدثنا** محمد قال : حدثنا أبو(٢) الأحوص ، عن غياث بن أبي خالد ، عن حنظلة(٣) ، قال : قال رسول الله ﷺ : " ما جاءني جبريل إلا وأمرني بهاتين الدعوتين ، قال : يقول : اللهم ارزقني طيبا واستعملني صالحا " .

فالنفاق ما كان ذا لونين ؛ يقين وشك ، وزهادة ورغبة ، وعزوف وحرص ، وتخليط وصحة ، وإخلاص ورياء ، وصدق وكذب ، وصبر وجزع ، وجود وبخل ، وسعة وضيق ، وهذا لا يكون إلا في قلب للنفس عليه شعبة من سلطان ، فإنما سمي نفاقا لأنه يدخل عليه الأمر من بابين ؛ من باب الله وباب النفس ، فيقبل عن الله ويقبل عن النفس ، يقبل عن الله من طريق الإيمان ، ويقبل عن النفس من طريق الشهوة ، وكذلك نافقاء اليربوع ؛ يدخل من هذا الباب ويخرج من باب آخر . وكذلك النفقة تؤخذ بهذه اليد وتنفق بالأخرى ، وكذلك قلب المنافق لا يستقر فيه شيء ، يدخل فيه ويخرج من الناحية الأخرى منصبا ، ودخلوا في الإيمان وخرجوا منه شكا ، فسأل رسول الله ﷺ ربه أن يطهر قلبه من آفات النفس ، فأجملها ، فقال : النفاق في الأعمال من الرياء ، ففساد الأعمال وخبطها منه ، وعلى أهله منه حياء شديد ، إذا وقف بين يدي الله تعالى فقال : عبدي ، هذا عمل بِرٍّ كان يُتقرب بمثله إلي ، فما حملك على أن تركت وجهي وعملته لوجه دنس ترائي عبدا من عبيدي لتنال منه منزلة لينيلك منه مرفقا .

٨٩٧ـ **حدثنا** محمد بن يزيد الواسطي ، قال : أخبرنا أبو عامر العقدي ، قال : حدثنا كثير بن زيد الأسلمي ، عن المطلب بن عبد الله بن حنظلة ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله

---

(١) أورده السيوطي في الجامع الصغير ، ورمز له بالضعف .

(٢) " أبو " سقطت من (ص) .

(٣) في (ص) " أبي حنظلة " .

عنه ، قال : كنا ننوب رسول الله ﷺ ، يطرقه أمر أو يأمر بشيء ، قال : فكثر أهل النوب والمحتسبون[(١)] [١/٢٥٨/ب] ليلة ، حتى كنا أبدا نتحدث ، فخرج علينا رسول الله ﷺ فقال : " ما هذه النجوى ؟ ألم تنهوا عن النجوى ؟ " ، فقلنا : تبنا إلى الله ، إنا كنا في ذكر المسيح نتخوف منه ، فقال : " ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من ذكر المسيح ؟ " ، قالوا : بلى ، قال : " الشرك الخفي ؛ رجل يعمل لمكان رجل " .

وأما قوله : " ولساني من الكذب " ، فإن للسان درجة عظيمة ، به يعبر عن مكنون القلب ، فإذا قال بلسانه ما لم يكن كذّبه الله ، وكذبه إيمانه من قلبه ؛ لأنه إذا قال لشيء لم يكن أنه قد كان فقد زعم أن الله خلقه ، ولا يكون شيء حتى يكونه الله عز وجل ، فإذا أخبر أنه قد كان ولم يكن الله كونه فقد افترى على الله .

فلذلك قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : الكذب مجانب للإيمان ، فإيمانه في قلبه يكذبه ، فسأل أن يطهر لسانه من الكذب بذلك .

وأما قوله ﷺ : " وعيني من الخيانة " ، فخيانة العين مسارقة ، كأنه يريد أن يسرق مما لا يُسرق منه ، ويستخفي ممن لا يخفى عليه لمحة ولا لحظة ولا طرفة ؛ لأنه لا يستعمل الإله نظرا ، ولكنه يلحظ ، ويعرض إذا رأى ما لم يؤذن له النظر إليه ، فيعرض بمكان المخلوقين ، ثم يلحاظ بلحاظ عينه اختلاسًا ، وقد حذر في تنزيله فقال : ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي ٱلصُّدُورُ ﴾ [غافر : ١٩] ، فقد غفل قلبه عن أن يراه أبصر الناظرين ، وروي في حديث آخر : " اللهم ارزقني طيبا ، واستعملني صالحا " ، فهذا عيش أهل الجنان ؛ رزقهم طيب ، وأعمالهم صالحة كلها ، ليس فيها فساد ، فالرزق الطيب هو الحلال مع القبول منه ، وإن استعمله فقد فاز ، فإن العباد على ضربين ؛ منهم من وضع العمل بين يديه فقيل له : اعمل هذا ودع هذا ، وأقبل على هذا وجانب هذا ، وآخرون قد جازوا هذه الخطة ، وعافوا المنهي ونسوه ، وطهرت قلوبهم وأركانهم ، فاستعملهم ربهم في الشريعة لمحابه ، ولما قد علم أن صلاحهم في ذلك فسأله الاستعمال ، فالأول بين له الشريعة ثم قيل له : سر فيها مستقيما ، وخذ الحق واجتنب الباطل ، وكثيرا ما يقع في التخليط والأغاليط ويشوبه ما ليس منه .

---

(١) في (د) " المحتسبين " .

الأصل الثالث والستون والمائة

٨٩٨ حدثنا حاتم بن نعيم التيمي قال : حدثنا أبو روح[(١)] ، قال : حدثنا هشام بن عبد الملك أبو الوليد الطيالسي ، قال : حدثنا عبد القاهر بن السري السلمي ، قال : حدثنا أبو لكيانة ابن عباس بن [١/ ٢٥٩/ أ] مرداس ، عن أبيه ، عن جده عباس بن مرداس ، أن رسول الله ﷺ دعا لأمته عشية عرفة بالمغفرة والرحمة وأكثر الدعاء ، فأجابه أني قد فعلت ، إلا ظلم بعضهم على بعض ، فأما ذنوبهم فيما بيني وبينهم فقد غفرتها ، قال : يا رب ، إنك قادر أن تثيب هذا المظلوم خيرا من مظلمته ، وتغفر لهذا الظالم ، فلم يجبه تلك العشية ، فلما كان الغداة غداة المزدلفة اجتهد في الدعاء ، فأجابه أني قد غفرت لهم ، فتبسم رسول الله ﷺ ، فقيل له : تبسمت في ساعة لم تكن تبسم فيها ، فقال : " تبسمت من عدو الله إبليس ، أنه لما علم أن الله استجاب لي في أمتي أهوى يدعو بالويل والثبور ، ويحثي على رأسه ويفر " .

قال أبو عبد الله :

فهذا لما نالتهم المغفرة عشية عرفة وقد ستروا من الذنوب ، فهم في ستره ، والحق يناشد ويقتضي تبعات الخلق ، فلا مرد له ولا معارض ، فلو تركهم والحق لأخرجهم الحق من الستر ، حتى يعودوا إلى الحالة الأولى عراة ، فعطف الله عليهم ولم يخيب أضيافه وزائريه والمنيخين بفنائه يستعطفونه ويسألونه سؤال المساكين ، فضمن عنهم التبعات ، ويرضي أهلها عنهم ، فغفرها لهم ، فبقوا في ستره ، ورضي الحق بضمان الكريم المليّ الوفيّ ، وخلّى عنهم ، وصاروا إلى تطواف بيته لائذين به بعد أن أرضوا الحق وتطهروا من الأدناس ، فحباهم وخلع على قلوبهم من النور ، وتلك عرائس الضيافة .

---

(١) في (ص) " حاتم بن نعيم التيمي أبوروح " .

الأصل الرابع والستون والمائة

٨٩٩- حدثنا داود بن حماد القيسي ، قال : حدثنا عمر بن سعيد الدمشقي ، قال : حدثنا صدقة بن عبد الله ، قال : حدثني عبد الكريم الجزري ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ ، عن جبريل عليه السلام ، عن الله تبارك وتعالى ، أنه قال : « من أهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ، وإني لأسرع شيء إلى نصرة أوليائي ، إني لأغضب لهم كما يغضب الليث الحَرِب ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض روح عبدي المؤمن ؛ وهو يكره الموت وأكره مساءته ، ولا بد له منه ، وما تعبد لي عبدي المؤمن بمثل الزهد في الدنيا ، ولا تقرب إلي عبدي المؤمن بمثل أداء ما افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى [١/ ٢٥٩/ ب] أحبه ، فإذا أحببته كنت له سمعا وبصرا ويدا ومؤيدا ؛ إن سألني أعطيته ، وإن دعاني أجبت له ، وإن من عبادي المؤمنين لمن يسألني الباب من العبادة ، ولو أعطيته إياه لدخله العجب فأفسده ، ذلك أن من عبادي المؤمنين من لا يصلحه إلا الغنى ، ولو أفقرته لأفسده ذلك ، وإن من عبادي المؤمنين من لا يصلحه إلا الفقر ، ولو أغنيته لأفسده ذلك ، وإن من عبادي المؤمنين من لا يصلحه إلا الصحة ، ولو أسقمته لأفسده ذلك ، وإن من عبادي المؤمنين من لا يصلحه إلا السقم ، ولو صححته لأفسده ذلك ، إني أدبر عبادي بعلمي بقلوبهم ، إني عليم خبير » .

قال صدقة : سمعت أبان بن عياش يحدث[1] هذا ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، ثم يقول أنس : اللهم إني من عبادك الذين لا يصلحهم إلا الغنى فلا تفقرني .

٩٠٠- حدثنا إبراهيم بن المستمر الهذلي ، قال : حدثنا أبو عامر العقدي ، قال : حدثنا عبد الواحد بن ميمون مولى عروة عن عروة بن الزبير[2] ، عن عائشة رضي الله عنها ، عن رسول الله ﷺ ، عن الله تبارك وتعالى أنه قال : « من أهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض روح عبدي المؤمن ، أنه يكره الموت وأكره مساءته ، وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضته عليه ، وإن

---

(١) في (ص) « يحدس » .

(٢) سقطت من (ص) « عن عروة بن الزبير » .

عبدي ليتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت بصره الذي به يبصر ، ولسانه الذي به ينطق ، وأذنه الذي بها يسمع ، وفؤاده الذي به يعقل ، ويده التي بها يبطش ، ورجله التي بها يمشي .

٩٠١ـ حدثنا إسماعيل بن نصر ، قال : حدثنا أبو المنذر القطيعي ، قال : حدثنا عبد الواحد أبو حمزة مولى عروة ، عن عروة ، عن عائشة رضي الله عنها ، عن رسول الله ﷺ ، عن الله تبارك وتعالى ، بمثله .

قال أبو عبد الله :

فالولي من ولي الله هدايته ونصرته وأخذه من نفسه ، فقد رفعه بمحل عليّ ، وعامة المؤمنين فقد تركوا ونفوسهم يجاهدونها ؛ ليكون ذلك الجهاد عبودتهم له ، فيكرم غدا مآبهم ، ويمجد نزلهم ، وقد قال في تنزيله : ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ﴾ [الحج : ٧٨] ، وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : " المجاهد من جاهد نفسه في ذات الله ، وذلك أفضل الجهاد " ، والولي جاهد فصدق الله في جهاده ، حتى إذا استفرغ وسعه في ذلك ألقى نفسه بين يديه ضرعا مستكينا مستغيثا به صارخا [١/٢٦٠/أ] إليه مضطرا ، وقد قال : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ﴾ [النمل : ٦٢] فأجابه ورحمه وأخذه من نفسه بنور فتح لقلبه من الغيب ، فاشتعل نارا أحرقت شهوات نفسه ودواهيها ، وأشرق الصدر بالنور ، وكشف السوء وجعله من خلفاء الأرض إماما من أئمة الهدى وربيعا للقلوب وخريفا يجتنى ثماره ، فولي الله إقامته على طريقه حتى ربت له عنده ، وهو قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت : ٦٩] . فمن أهانه فقد خرج إلى البراز يريد أن يسلبه ما أخذ ، والمحاربة المسالبة ، يقال في اللغة : سلبه ؛ أي حربه ، كأنه قال : قد بارزني ، يريد أن يأخذ مني ما قد رفعته فيضعه .

وأما قوله : " إني لأسرع شيء إلى نصرة أوليائي " ، فإن من تدبير الله أن الحق والرحمة مقتضيان في شأن الخلق ، فالحق يقتضي الخلق عبودته ، فمن لم يقبلها فهو ذرء النار وبهم تملأ جهنم وبالجنة ، كما قال في تنزيله : ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [هود : ١١٩] ، ومن قبلها فوفّى بها فلا حساب عليه ولا

عذاب ، ويدخل الجنة بسلام ، ومن قبلها فوفى ببعض وضيع بعضا اقتضى الحق ذلك والنار منتقمة ، تأخذ من جسده وتذر ، كما وفى ببعض وترك بعضا ، فإذا جاءت المشيئة جاءت الرحمة فأخذته من الحق فأنقذته من العذاب ، والحق يؤدي إلى الغضب وإلى النار ، إذا اقتضي فلم يجد الوفاء وقد سبق منه القول : سبقت رحمتي غضبي ، فتجيء الرحمة لمن سبقت له رحمته غضبه فتأخذه من الحق ، فهذا لعامة الموحدين ، فأما الأولياء فإنما نالوا الولاية بالرحمة العظمى ، فمن نازع الولي ، أي آذاه أو ظلمه ، فالرحمة خصمه والحق خصمه وخصم الجميع ، فقد اجتمع الحق والرحمة في طلب ثأره من هذا الظالم فلذلك كان أسرع شيء إلى نصرة أوليائه ومن كان من دون الأولياء فظُلم فاقتضى الحق ظلمه ليصاب بعقوبة جاءت الرحمة تدفع عنه وتأخذه والرحمة من المشيئة والحق من القدرة .

٩٠٢ـ حدثنا الفضل بن محمد ، قال : حدثنا الحسين بن أيوب الدمشقي قال : قرأت على عبد الله بن صالح المصري قال : حدثني سليم(١) بن عبد الله الأبلي قال : حدثني ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : " إذا كان يوم القيامة نادى مناد : ليقم أهل الله ، فيقوم أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، وعمر الفاروق ، وعثمان بن عفان ذو النورين ، وعلي بن أبي طالب رضوان الله عليهم فيقال لأبي بكر : قم على باب الجنة فأدخل فيها [١/ ٢٦٠/ ب] من شئت برحمة الله ورد منها من شئت بقدرة الله تعالى ، ويقال لعمر : قم عند الميزان فثقل ميزان من شئت برحمة الله وأخِفّ ميزان من شئت بقدرة الله ، ويقال لعثمان : خذ هذه العصا فذد بها الناس عن الحوض ، ويقال لعلي : البس هذه الحلة فإني قد خبأتها لك منذ يوم خلقت السماوات والأرض إلى اليوم .

ولذلك قال رسول الله ﷺ : " أرحم أمتي بأمتي أبو بكر وأقواهم في دين الله عمر وأصدقهم حياء عثمان بن عفان " .

فهذا الحديث الأول يبين منازل القوم أنهم أهل الله وخاصته وأنه ينكشف لأهل الموقف غدا يظهره عليهم عند خلقه وأن الرحمة حظها من الناس أبو بكر رضي الله

---

(١) في (د) " سليمان " .

عنه وأن الحق حظه من الناس عمر رضي الله عنه ، فلذلك يقوم أبو بكر رضي الله عنه عند باب الجنة ويقوم عمر رضي الله عنه عند الميزان ، ينبئ هذا القول عن الرجلين أن قلبيهما كانا قد استويا لله وكانا في قبضته فلا يرحمان إلا من يرحم ولا يخيبان من الرحمة إلا من يخيب ، وهذا من الإنابة ، فإذا صار الأمين بحال يستكمل الأمانة فوض إليه فتكون مشيئته قد وافقت مشيئة الذي ائتمنه ، فهؤلاء قوم قد صاروا أمناء الله وقفت قلوبهم بين يديه راقبين[١] لمشيئته ، فلذلك قال : أهل الله ، والأهل والآل بمعنى يؤولون لله ، أي يرجعون إليه في كل شيء فيبرز لأهل الموقف مقاومهم بقلوبهم وضمائرهم التي كانت فيما بينهم وبين الله كرامة لهم وتنويها بأسمائهم في ذلك الجمع[٢] ، فكان الغالب على أبي بكر رضي الله عنه الرحمة في أيام الحياة والغالب على عمر رضي الله عنه القيام بالحق وتعزيزه ، فكأنهما كانا ممن هو في قبضته يستعمله ، واستعمل هذا بالرحمة وهذا بالحق ، فإذا كان يوم القيامة وقف هذا عند باب الجنة وهذا عند الميزان لأن الحق يطالب أهل الموقف بالعدل ، والرحمة تطلب أهل الموقف لتوردهم الجنة ومعناي[٣] في قولي إنه يستعمل العبد إذا صيره في قبضته ما جاء به عن رسول الله ﷺ من غير وجه يحكى عن جبريل صلوات الله عليه عن الله تبارك وتعالى أنه قال : " إن عبدي ليتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه وبصره ويده ورجله ولسانه وفؤاده ، فبي يسمع وبي يبصر وبي ينطق وبي يعقل وبي يبطش وبي يمشي ، ومنه قول عمر رضي الله عنه حيث أتاه رجل والدم يسيل من شجته [١/ ٢٦١/أ] فقال : ويحك من فعل بك هذا ؟ قال : علي ، فقال علي رضي الله عنه : رأيته مفاوضا امرأة فأصغيت إليهما فساءني ما سمعته فشججته ، فقال عمر رضي الله عنه : أصابتك عين من عيون الله ، وإن لله في الأرض عيونا ، فهذا هو ذاك الذي قاله رسول الله ﷺ : بي يسمع وبي يبصر وبي يبطش .

---

(١) في (د) " رافضين " .

(٢) في (ص) " الجامع " .

(٣) كذا في الأصلين .

وأما قوله لعثمان رضي الله عنه " خذ العصا فذد بها عن الحوض " فإن الحوض غياث الخلق يومئذ ، وكان عثمان رضي الله عنه الغالب عليه إغاثة رسول الله ﷺ في نوائبه بالمال ، وهو جهز جيش العسرة فخذلوه حتى سفك دمه ، فحكم في شأن الحوض ليذود من لم يستحق من الحوض شرابا فإن الحوض غياث الخلق يومئذ .

وأما قوله لعلي رضي الله عنه : " البس الحلة التي خبأتها لك " فهو عندنا حلة التوحيد فإن الغالب على علي رضي الله عنه النفاذ(١) في علم التوحيد وبه كان يبرز على عامة أصحاب رسول الله ﷺ ، وهذه الخطب التي جاءت عنه تدل على ذلك ، وكان إذا أثنى على ربه أبلغ وأبرز على غيره ، فهذا قسم الله لهم وحظوظهم منه فيظهرها الله عز وجل يوم الموقف على أحوالهم .

وإذا رجعنا إلى حديث الأولياء ، فأما قوله : " وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض روح عبدي المؤمن ، إنه يكره الموت وأكره مساءته " ، فالموت خلق فظيع منكر ثقيل بشع مرير لا بد للأحباب أن يذوقوه ولا يخلو من أن يكرهوه ، وقد علم الله أنه يشتد عليهم ويتأذون به ، فتردد في فعله لكراهة مساءتهم كالذي يكره شيئا وقد قضى على نفسه حتما أنه يفعله ، فمشيئته لموته تردد بين الحق والرحمة ، فالحق ينفذ الموت والرحمة تدفع ، فالمشيئة مترددة بينهما ، مرة إلى الرحمة ومرة إلى الحق ، ومن دونهم ليس لهم هذا الحال ، إذا جاءت المشيئة مع الحق نفذ أمره فليست للرحمة هناك حركة لأن المشيئة لم تتردد بينهما ، قال الله جل ذكره : ﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ [ق : ١٩] فالحائد عن الموت أيام الحياة يأخذه الحق بتنفيذ الموت وليست للرحمة حركة في الدفع عنه ، ومن كان أيام الحياة يهش لذكره شوقا إلى الله فغليان الشوق في قلبه مراحل فإنما نال هذا القلب وهذا الشوق في القلب بالرحمة ، فتلك الرحمة تتحرك له عند كل نائبة ، وأعظم نوائبه الموت يريد خلاصه والحق من ناحيته يقتضيه أن ينفذ الموت عليه ، [١/ ٢٦١/ب] والمشيئة من الله مترددة فيما بينهما مرة إلى هذا ومرة إلى ذاك .

وأما قوله : " إني لأغضب لهم كما يغضب الليث الحرب " فالليث كريم لا يؤذي

---

(١) في (ص) " التفاخر " .

حتى يجترأ عليه ، فإذا اجترئ عليه أو سلب منه ولده حرب فكسر ودمر على من يظفر به ، فمن آذى ولي الله فإنما يجترئ على الله يريد أن يحاربه فيأخذ منه ما اصطفاه لنفسه فيفسد شأنه ويهدم بنيانه وتربيته ، فإن الولي إذا بلغ غاية الصدق سيرا إليه ومجاهدة لنفسه نظر إلى نفسه فوجدها كما كانت فلم يقدر أن يمحو عن نفسه ما ركب فيه ، كما لم يقدر على أن يسود ما ابيض من شعره أو يبيض ما اسود إذا كانت خلقة ، فهذا الصادق جاهد فصدق الله في المجاهدة وفطم نفسه عن سيئ الأخلاق فلم يقدر على إماتتها واستئصالها فحينئذ إذا رآه الله قد انقطعت حيلته وبقي بين يديه ينتظر رحمته انتخبه للولاية ووكل الحق به يهذبه ويطهره ويسير به إليه ، فتلك الأنوار التي ترد عليه من قربه تميت نكد الأخلاق وتطهر نفسه وتميت ، فذاك بنيان الله وتربيته وتبين أخلاقه بتلك الأنوار على محابه حتى يصلح لولايته ، فإذا تم البنيان والتربية كشف الغطاء وأشرق على صدره نوره وجعل لقلبه إليه طريقا لا يحجبه عنه شيء لأنه لم يبق في نفسه شيئا يحجبه فهو ولي الله هو يتولاه في أموره وهو يكلؤه وهو الذي يستعمله ، فهذا الذي يتعرض له ويظلمه قد اجترأ على الله تعالى يريد أن يهدم بنيانه ويفسد تربيته فيغضب الله له .

وذكر غضب الليث إذا أحرب ، فإن الأسد إذا أحرب لم يمل(١) عن الشيء الذي يثبث إليه حتى يفنيه كسرا ودمارا ، فإنما أراد بذكر هذا هاهنا أن العقوبة من الله تسرع إليه إسراعا كهيئة الاختطاف ، وهذا قول رسول الله ﷺ في حديث آخر .

٩٠١ـ **حدثنا** داود بن حماد القيسي قال : حدثنا عمر بن سعيد الدمشقي قال : حدثنا مكرم البجلي عن هشام بن الغاز عن أبيه الغاز بن ربيعة قال : قال رسول الله ﷺ : " إياك ونار المؤمن لا تحرقك وإن عثر كل يوم سبع مرات فإن يمينه بيد الله إذا شاء أن ينعشه نعشه " فلكل نور نار ولكل نار حريق ، وحريق كل نار على قدره وعظم كل نار على قدر نوره ، ونوره [١/ ٢٦٢/ أ] على قدر قربه ومحله من الدنو ، فهذا المؤمن الذي ذكر ههنا هو المحتظي من النور والقربة وقد تولاه الله فكان في ذلك الزمان المؤمن عندهم بهذه الصفة ، ولذلك قال أبو بكر رضي الله عنه : وددت أني شعرة في صدر مؤمن ،

---

(١) في (د) " يحل " .

وقيل في الحديث : " لو أن المؤمن أقسم على الله لأبره " فالمؤمن البالغ الولي لله إذا تعرضت له بمكروه فنار نوره يحرقك(١) ، ومن لا حظ له من نوره فليس له نار تحرق وإنما معه نور التوحيد فقط ، فحذر الرسول ﷺ أن يشتبه عليك أمره ، فإذا رأيته عثرا ووقع في ذلة أن تنظر إليه بعين الازدراء كسائر العامة فيحرقك ، فإن يمينه بيد الله ، فهذا أولى ، فإنما قال : يمينه بيد الله ؛ لأنه قد صار في قبضته وقد أخذه من نفسه فهو يمسكه ويحفظه ، فإذا عثر فتلك العثرة كانت في تدبير الله له ليجدد عليه أمرا وليرفعه إلى ما هو أعظم شأنا وليست تلك عثرة رفض إنما هي عثرة تدبير ، كذا دبر له كما دبر لداود تلك الخطيئة .

فانظر أي شيء كان له بعد الخطيئة من الكرامة والقربة بذلك البكاء وذلك النوح وما ظهر له من الله من الزلفة والعطف عليه ، فيكون للأولياء عثرات يجدد الله لهم بها كرامات ويبرز لهم ما كان مغيبا عنهم من حبه إياهم وعطفه عليهم فينعشهم ، فهو مع ذلك الذنب يمينه بيد الله لم يكله إلى نفسه ولا تخلى عنه ، وإنما يجري عليه الذنب ثم ينعشه .

٩٠٤- حدثنا الفضل بن محمد قال : حدثنا عمرو بن عثمان القرشي قال : حدثنا محمد بن حرب قال : حدثني أبو سلمة سليمان بن سليم ، عن يحيى بن جابر الطائي ، عن يزيد ابن ميسرة قال : إن الله تبارك وتعالى يقول : " ابن آدم لا تحرقك نار المؤمن فإن يمينه في كف الرحمن ينعشه وإن عثر في كل يوم سبع مرات " وذلك أن المؤمن يذنب الذنب ثم يتوب منه فيكون كالقرحة بين عينيه لا يزال يذكره فيستغفر الله منه ويذكر الرجل ذلك منه فيعيره به فيدخل الله صاحب الذنب الجنة ويدخل الذي يعيره النار .

وأما قوله : " ما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضته " فإنما فرض الله الفرائض ليحط بها عنه الخطايا وليطهر العبد بها ، ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ ﴾ [هود : ١١٤] ثم قال : ﴿ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ﴾ فأعلمك أن هذه الصلاة قيامها وركوعها وسجودها منك حسنات تذهب سيئاتك ، فإنك لهوت عن [١/ ٢٦٢/ ب] العبودة وغفلت عن نعمي وجفوتها وتكبرت في

(١) في (ص) " تحرقك " .

نفسك حتى ركبت الخطايا والذنوب وأطعت هواك من كبرك في نفسك وتركت أمري ، فهذه سيئات قد قبحتك وشانتك فالقيام تذلل وتسليم نفس ، والركوع خضوع ، والسجود خشوع ، والجلوس رغبة وتضرع ، فهذا منك حسنات تذهب منك السيئات وتزينك وتستر شينك .

وقال في شأن الزكاة : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ [التوبة : ١٠٣] .

وقال في شأن الحج فأمر بالوقوف والذكر ثم قال في آخره : ﴿ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ [البقرة : ٢٠٣] أي يرجعون مغفورين قد حطت عنهم الآثام .

فهذه الفرائض فرضها عليهم لتكون دواء للداء الذي اكتسبوه فإذا أقامها فقد تطهر فصلح للقربة ، وإذا ضيع الفرائض لم يكن ذاك دواء للذنوب وبقي على حاله مع دناسة الذنوب فلم ينل القربة ، فإذا تطهر بإقامة الفرائض فقد استوجب القربة فتنفل بعد ذلك فاستوجب المحبة .

والتنفل في المغازي كالعطف من الأمير على الواحد من أهل العسكر بحضرته ، فالنفل زيادة على القسمة خارج منها يبره الأمير على قدر عنائه ورجائه وبلائه في الحرب ، فههنا يتنفل العبد بزيادة على الفرائض فينفل القربة والمحبة ، فإذا أحبه اختاره وأوصله إلى حبة القربة ، ولكل شيء حبة وحبة كل شيء وسطه وجوفه ولبابه ، فهذا عبد نال القربة وهو أقرب القربة وحبته ، وهناك يحيى قلبه بالحي الذي لا يموت ، فإذا أحياه به كان كما ذكر ، فقال : كنت سمعه وبصره وفؤاده ولسانه ، فبي يسمع وبي يبصر وبي يعقل وبي ينطق حمد[1] ما في قلبه من نور الروح ونور العقل لنوره فهو يتولاه ويستعمله ، فالموحدون أحياهم الله بالروح وأحيا قلوبهم بنور التوحيد ، وهذه الطبقة ساروا إليه بنور التوحيد بالقلوب ورفضوا النفس وتبرءوا منها فأوصلهم إلى نفسه وقربهم وأحيا قلوبهم بنوره فهم الأنبياء والأولياء .

وقوله : " وما تعبدني عبدي بمثل الزهد في الدنيا " وهكذا شأن العبد يزهد في كل شيء لم يقدر له في اللوح ، فما أعطي علم أنه كان قدر له في اللوح فقبله وما مُنع

---

(١) كذا في الأصلين .

علم أنه لم يكن قدر له في اللوح فرفع باله وذكره عن ذلك ، فهذا عبد قد أبرز صدق العبادة ، فهو متعبد قد تعبد الله بالتشبه بالعبيد ، فإن من شأن العبد أن لا يمد [١/ ٢٦٣/ أ] يده إلى شيء حتى يعطى ، وهذا ينظر إلى ما قدر له في اللوح من بين العبيد وهو شيء لم يتدبره ولم يتكلفه ولم يعلم به ، دبره له مولاه العليم بما يصلحه ، وإنما مدح الزاهد بأنه تهاون الدنيا فلم يلحظ إليها ، فهذا منه صدق إيمان وتحقيق لأنه لما أيقن بالآخرة فنظر بنور اليقين إلى آخرته تلاشت الدنيا في عينه في جنب ما أعد الله في الآخرة ، فصغرت عنده .

والزهد في اللغة هو الشيء القليل ، وإذا قلّ الشيء في عين المرء تهاون به ، على هذا ركب وطبع . رأوا قلة الدنيا بنور الإيمان التي أبصروا بها كثرة الآخرة وعظمها ، فبهذا نبلوا وشرفوا فأعرضوا عن جمعها إلا ما قدر لهم في اللوح ، فعظموا ذلك القدر الذي أوصل إليهم لأنه لما توصل إليهم علموا أن هذا تدبيره وصنعه وعطفه ورحمته فعظم شأن ذلك عندهم ففرحوا واستبشروا وحمدوا ربهم وتوسعوا في ذلك ، فمن بلغك عن أحد من المتنبهين من السلف أنه فرح بشيء مما أوتي أو عظم فإنما عظمه من هذا الطريق لا من طريق قدر الشيء ، فأنعم فيه النظر حتى لا تغلط فتظن بهم ظن السوء ويقتدى بتوهمك بهم ، فإذا حُصِّلَت السرائر غدا خرج فرحك بالشيء من أجل النفس وقدر الشيء وخرج فرحك بالشيء فرحا بعطف الله وتدبيره ورحمته ، وقد قال في قصة قارون : ﴿ لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴾ [القصص : ٧٦] فإنما فرح قارون فرح أشر وبطر وإعجاب بالدنيا ، فانظر كيف كان عاقبته ، وفرح المتنبه بالله وتدبيره وصنعه له كيف دبر له ما قسم له في اللوح برحمته ، ولها عما سوى ذلك ، فالزاهدون متعبدة والأولياء عبيد ولا يعبدونه بالزهد ولا عبدوه بالعبودة ، فالزاهدون أعرضوا عن الدنيا ، فبهذا تقربوا إليه ، والأولياء أعرضوا عن النفس ، فبهذا تقربوا إليه ، فمن أعرض عن الدنيا أقام الزهد ، ومن أعرض عن النفس أقام العبودة .

٩٠٥- **حدثنا** الفضل بن محمد قال : حدثنا موسى بن عامر الدمشقي قال : حدثنا الوليد بن مسلم قال : حدثني إبراهيم الكلاعي عن أبان عن الحسن قال : " بني الإسلام على عشرة أركان : الإخلاص لله وهي الفطرة ، والصلاة وهي الملة ، والزكاة وهي الطهرة ،

والصيام وهي الجنة ، والحج وهو الشريعة ، والجهاد وهو العزة ، والأمر بالمعروف وهو الحجة ، والنهي عن المنكر [١/ ٢٦٣/ ب] وهو الواقية ، والطاعة وهي العصمة ، والجماعة وهي الألفة " فإنما أردنا في هذا الحديث لما ذكرنا بدءًا أن الفرائض هي للعباد خلاص من الآفات التي أحدثوها ، فإذا عملوها ذهبت الأحداث فقربوا .

وأما قوله : الإخلاص لله وهي الفطرة ، فإن الخلق فطروا على المعرفة فليس أحد ينكره ، فمعرفة الفطرة قد استوى الخلق فيه علوا وسفلا وهو قوله تعالى : ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ ﴾ [الروم : ٣٠] وروي عن وهب بن منبه رضي الله عنه أنه قال : لما خلق الله الخلق لحظ الهمم لحظة فكاد يزول كل شيء من مكانه ، ثم لحظ أخرى فهمدوا كلهم فألهمهم من ربوبيته ما ليس لأحد أن ينكره فهي الفطرة .

٩٠٦ـ **حدثنا** عمر بن أبي عمر قال : حدثنا هشام بن عمار الدمشقي عن محمد بن شعيب قال : أخبرني النعمان عن مكحول : " إن الفطرة معرفة الله ، يقول الله تبارك اسمه : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ ﴾ [لقمان : ٢٥] وقال في تنزيله : ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ ﴾ ثم قال : ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ﴾ " إنه خلقهم على معرفته وعلى ذلك فطرهم من الغيب ، فلا تبديل لذلك ؛ أي لا يقدرون أن ينكروني ، فهم يقرون به ويعرفونه معرفة الفطرة ، ثم يشركون به لجهلهم بصفاته ، فقوله : الإخلاص لله وهي الفطرة ، أن المؤمنين لما أدركتهم الهداية وجعل الله لهم نورا فأحياهم خلص لله أمره .

وقوله : الصلاة وهي الملة ، فإن الصلاة شيء في نفسه محشو بالأفعال ، وهو القيام والركوع والسجود والتلاوة والثناء والجلوس ، فهي أفعال مضمومة بعضها إلى بعض ، فصيرت فعلا واحدا فقيل : هي ملة ، والملة ما ضمت ، والملة : الخبزة المضمومة إلى الحفرة ، أضيفت الخبزة إلى الملة دقاق الخبز وترابه ، وقيل : خبز ملة ، على الإضافة إلى الملة ، فهكذا شأن صفة الصلاة ، هي أفعال شتى مضمومة بعضها إلى بعض إلى[1] أمر واحد ، وكذلك سبيله أيضا أنهم يجتمعون بأجسادهم على هذا الأمر الواحد فتكون صلواتهم مضمومة بعضها إلى بعض فتكون صلاة واحدة وهي الملة .

---

(١) في (د) " في " .

وأما قوله في الزكاة : وهي الطهرة ، فهو قوله : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ ﴾ لأنهم قد تدنسوا بها ، وإنما سمي مالا لميل القلوب إليها عن الله ، جعل الله هذا المال سببا لقوام معاشهم ، وخلقهم محتاجين مضطرين ، والمضطر مفزعه إلى من اضطره إلى [١/ ٢٦٤/أ] نفسه ، وترك مفزعه ، وصير المال الذي صير سببا مفزعا لحاجته ، فمال بقلبه عن الله ، فهذا دنس فقيل : تصدقوا ؛ أي أعطوا من هذا المال ما يظهر صدق أقوالكم : إنا لله وإن هذه الأموال من الله وفي أيدينا لله ، فسميت صدقة لأنه يظهر بالإعطاء صدق إيمانهم بالله ، وأنها لله ، فتصير صدقاتهم طهرة لهم من أدناسهم ، هذا إذا أصابه من حلال ، فهو يميل قلبه عن الله ويصير دنسا ، فكيف بالشبهة وبالحرام ؟ فالحرام لا يطهرها شيء والشبهة موقوفة والحلال متقبلة ، فإنما أمر الله نبيه ﷺ بأن يأمر الخلق في ذلك الوقت حيث أمرهم بالصدقة ، كانت في أيديهم مكاسب الحلال والغنائم ، فالصدقة من هناك وجبت على تلك الأموال ثم على سائر أموال العامة التي قد اختلطت .

وأما قوله : والصيام وهي الجُنّة ، فإن النار حفت بالشهوات والجنة بالمكاره ، وكذلك جاءنا عن رسول الله ﷺ ، ففي الصيام ترك الشهوات ، فإن تركها فقد ترك حفاف النار ، فصار مجنّة له من النار وسترا لأنه قد تباعد من حفافها .

وأما قوله : الحج وهو الشريعة ، فإن الله تبارك وتعالى دعاهم إلى أن يؤمنوا به ويسلموا إليه وجها ، وجعل البيت مطهرة ومعلمة ، فهناك آثاره وآياته ، وقد كان من قبل خلق الأرض زبدة بيضاء فاقتضاهم الإجابة له بإتيانه للمطهر الأعلى[1] ، وهو العرش ، وبأبدانهم إتيان المعلم الذي بالأرض لمن وجد السبيل إليه فشرع للعباد إلي العرش قلوبا إليه ، وشرع لهم إلى البيت عند معلمه أبدانا ، فهي الشريعة ، وهي الطريق إليه ، وشرع لهم بالقلوب وبالأبدان إلى الموطنين .

وأما قوله : الجهاد وهي العزة ، فإن الله دعا العباد إلى أن يوحدوه ، فأجابته طائفة وامتنعت طائفة تعززوا بالكبر الذي في صدورهم ، والقوة التي في أبدانهم وبالنعمة التي أسبغها عليهم ، فقال لهذه الطائفة المجيبة : أنتم أنصاري وأوليائي ﴿ وَأَنزَلْنَا

---

(١) في (ص) « باتيانه فلما لمطهره الأعلي » .

ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحديد : ٢٥] ثم قال : ﴿ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ [محمد : ٧] ثم قال جل ذكره : ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ ﴾ [محمد : ٤] وقال : ﴿ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ [الأنفال : ١٢] ثم قال : ﴿ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ﴾ [التوبة : ٥] [١/ ٢٦٤/ب] فصارت هذه الطائفة أهل حمية الله ونصرته وولايته فقتلوهم وأخذوهم وأسروهم وحاصروهم حتى أذعنوا وقعدوا في المراصد وهي الرباطات ينتظرون خروجهم بأمر الله ، فقال الله تبارك اسمه : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المنافقون : ٨] فالجهاد هو العزة .

وأما قوله : والأمر بالمعروف وهو الحجة ، فإن الأمر حجة الله على خلقه وهو فعل المرسلين بعثوا للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، [فمن نقله من بعدهم فهو من خلفائهم فهو يقدم حجة الله على خلقه . فأما قوله : والنهي عن المنكر][(١)] وهي الوقاية ، فإن الله تبارك اسمه ذكر في تنزيله : ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾ [المائدة : ٧٨] ثم ذكر بدو أمرهم فقال : ﴿ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ﴾ لبئس ما كانوا يفعلون ، ثم روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : " إن الظالم إذا لم يأخذوا على يديه يوشك أن يعمهم الله بعقاب " وروي عن النعمان بن بشير يقول عن رسول الله ﷺ أنه ضرب مثلا للراكب منكرا والمانع له والساكت عنه مداهنا .

٩٠٧. حدثنا بذلك سفيان بن وكيع قال : حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن الشعبي قال : سمعت النعمان بن بشير يقول على منبرنا هذا : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " مثل القائم على حدود الله والمداهن في حدود الله والراكب حدود الله كمثل قوم ركبوا سفينة فاقترعوا منازلها فصار مكان النزول مهراق الماء ومختلف القوم لأحدهم ، فصبح أحدهم فأخذ القدوم فنقر في السفينة فقال أحدهم لآخر : إنه يريد أن يغرقنا ويخرق سفينتكم فقال الآخر : دعه فإنما يخرق مكانه " .

---

(١) ما بين المعقوفين سقط من (ص) .

٩٠٨- حدثنا أبي رحمه الله قال : حدثنا الفضل بن دكين قال : حدثنا زكريا بن أبي زائدة قال : سمعت عامر الشعبي يقول : سمعت النعمان بن بشير يقول : سمعت رسول الله ﷺ ، فذكر مثله وزاد فيه ، قال : فإن تركوه هلك وهلكوا ، وإن أخذوا على يديه نجا ونجوا .

فقوله : والنهي عن المنكر وهي الواقية ، أن يقيهم العقوبة والهلاك ، فإذا غيروا ونهوا كان ذلك وقاية للعذاب .

وأما قوله : والطاعة وهي العصمة ، فإن طاعة الأئمة في طاعة الله رشد ، وإذا تركوا الطاعة ضلوا ، فتلك الطاعة هي عصمة ، بهم يعصم الله وبهم تسكن الفتنة ، وبهم يقمع أهل الريب ، وبهم يقوم الحج والجهاد [١/ ٢٦٥/ أ] والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فالسلطان شأنه عظيم وهو من الله رحمة فطاعته عصمة وطاعتك لله فيما أمرك عصمة لك من شر الدنيا وشر الآخرة ، فهذا الذي يعم والأول خاص .

وأما قوله : والجماعة وهي الألفة ، فإن الله تبارك اسمه جمع المؤمنين على معرفة واحدة وعلى شريعة واحدة ليألف بعضهم بعضا بالله وفي الله ، فيكونون كرجل واحد ، وقال : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات : ١٠] وقال : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ [التوبة : ٧١] فإذا كان مع الجماعة في الشريعة ولم يخرج إلى حدث ولا إلى بدعة فهو في الألفة معهم .

الأصل الخامس والسنون والمائة

٩٠٩ـ **حدثنا** الفضل بن محمد عن محمد بن المصفى[(١)] عن بقية بن الوليد عن شعبة بن الحجاج عن المجالد بن سعيد عن الشعبي عن شريح عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : " يا عائشة ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا ﴾ [الأنعام : ١٥٩] من هم ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : هم أصحاب البدع وأصحاب الأهواء وأصحاب الضلال من هذه الأمة ، يا عائشة إن لكل ذنب توبة ما خلا أصحاب الأهواء والبدع ليس لهم توبة ، أنا بريء منهم وهم برآء مني .

٩١٠ـ **حدثنا** هارون بن حاتم الكوفي قال : حدثنا عي بن حمزة الكسائي عن عباد بن كثير عن ليث عن طاوس عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول " ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ ﴾ " الحديث .

فأهل الأهواء قوم استعملوا أهواءهم ، والأهواء ميالة عن الله تعالى زوالة ، فحيث ما مالت يتبعها[(٢)] قلوبهم ، وإنما صارت هكذا لأنه لم يكن في قلوبهم من النور ما يقيدها عن اتباعها ، فإن على الحق نورا وعلى الإيمان نورا ووقارا ، والإيمان بنفسه نور ، فإذا خلا القلب عن ذلك كان إيمانه ذا سقم ، والسقيم ضعيف فمال به الهوى ، قال الله جل وعز : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ﴾ [آل عمران : ٧] وهي الحرقة وهي الشهوة التي في قلوبهم ، تلذذا بها ﴿ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ﴾ فكانت تلك الشهوة صارت في قلوبهم فمالت فسميت زيغا لأنها زائغة بوليها ، فأهل الأهواء كلما استحلوا شيئا ركبوه واتخذوه دينا حتى ضربوا القرآن بعضه [١/ ٢٦٥/ب] ببعض وحرفوه ، ومنهم من يَرفض حتى جحد نبوة محمد ﷺ ونسب الرسالة إلى علي رضي الله عنه ، ومنهم من اتخذه ربا فدخل عليه فقال : أنت ربي ، فقام علي رضي الله عنه فوطئه بقدمه حتى قتله وأحرقه بالنار .

وأما أهل البدع فمثل الخوارج وأهل حروراء ، أبدعوا من أنفسهم بدعا فما زالت بهم تلك البدع حتى أدتهم إلى الخروج على علي رضي الله عنه ، وإلى حربه .

---

(١) في (ص) " الفضل بن محمد المصفي "

(٢) في (د) " اتبعوها " .

وقوم تزهدوا بغير علم فأداهم الجهل إلى أن أبدعوا من تلقاء أنفسهم بدعا ، وحسبوا أن الزهد في الدنيا تجنب الأشياء فعلا والعزلة من أهل الدنيا ، فضيعوا الحقوق وقطعوا الأرحام وجفوا الخلق واكفهرّوا في وجوه الأغنياء وفي قلوبهم شهوة الغنى أمثال الجبال ، ولم يعلموا أن صلب الزهد إنما يكون بالقلب وأن أصل الزهد موت الشهوات في القلب ، فلما اعتزلوها بالجوارح اكتفوا به وحسبوا أنهم استكملوا الزهد حتى تأدى بهم الجهل إلى أن طعنوا في الأئمة الذين عرفوا بسعة المعاش وغنى المال حتى عابوا الأنبياء ونسبوا سليمان صلوات الله عليه إلى الرغبة ، وصاروا عند ذكره كالمعرضين عنه الطاعنين عليه ، فعابوا عليه ، وثقل عليهم ذكر من لا يتم إيمانهم إلا بالإيمان به ، فإن المؤمنين يدخل في عقد إيمانهم الإيمان بالرسل فهم حجة الله على خلقه .

وقوم زعموا أنهم توكلوا على ربهم وأن الطلب شك والرزق يأتي في وقته ، فقعدوا رفضا للطلب والمكسب فضيعوا الأهلين والأولاد ، ثم في خلال ذلك يتدنسون في أبو اب المطامع ويخادعون الله تعالى في معاملته .

وقوم اتخذوا العلم الذي هوحجة الله على عباده حرفة وصيروها مأكلة فأكدوا بها رياستهم واحتظوا به من القلوب وتمكنوا به في صدور المجالس وصحبوا بها الملوك ختلا لما في أيديهم من الحطام ، فلينوا لهم في القول طمعا لما في أيديهم ، وداهنوهم لما يرجون من نوالهم وساعدوهم على تجبرهم وجورهم .

وقوم مفتونون نسبوا إلى الدين فالتقطوا الرخص وزلات العلماء ، فاتخذوها دينا وتذرعوا بذلك إلى شهواتهم الغاوية لهم وزينوا للخلق ذلك ؛ تسترا على أحوالهم السيئة بذلك ، من تعاطي الأشربة المردية والمكسبة الرديئة وأشباه ذلك .

[١/٢٦٦/أ] وأما أهلُ الضلال والمشبهة والقدرية والجبرية والجهمية وأشباههم ، طلبوا الله من قبل علم البينة لا من قبله ، فضَلّوا عنه ، فاقتضى الله الإسلام للعباد دينا ، فالإسلام تسليم النفوس ، والدين الخضوع لله بتسليم النفس إليه ، يقال في اللغة : دان له ؛ أي خضع ، والدون مشتق عنه ، سمي دونا للاتضاع ، فقال في تنزيله : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران : ٨٥] فجعل الدين في تسليم النفس ، فدانوا له بأن سلموا

نفوسهم إليه قبولا لأمره وطاعته ، فأنزل كتابا فرقانا يفرق بين الحق والباطل ، وأمرهم بالاعتصام به ، وأشار إلى دار السلام : إن هذه مصيركم وإليها أدعوكم ، فقال : ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ [آل عمران : ١٠٣] وهو عهده الذي أنزل وقال : ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ [يونس : ٢٥] .

ودل إلى طريق مستقيم إليها من غير تعريج ولا تلوية ، ودبر في هذا الطريق فرائض معلومة وسننا ، وأخذ زينة ليوم العرض عليه .

فالزائغون مالت قلوبهم وأبدعوا وضلوا عن الله ، تركوا الخضوع لله وتسليم النفس إلى الله ، ففارقوا دينا فصاروا شيعا وأحزابا ، وكل حزب بما لديهم فرحون فرحا مظلما لا بقاء له ولا قوام ، زين لهم سوء أعمالهم ، سد عليهم باب القدر فاستبدوا وتعمقوا في طلبه حتى هلكوا ، وأداهم ذلك إلى أن برءوا الله من قدرته وشاركوه في مشيئته إفكا وافتراء ، وسد عليهم باب درك الكيفية فاستبدوا يطلبون الكنه والكيفية حتى عدلوه بخلقه سبحانه ، وسد عليهم باب التعمق فما زالوا ينزهونه حتى تاهوا في الإلحاد عنه فنفوا عنه ما لم ينف عن نفسه ، حتى جعلوه أصم أبكم أعمى ، حتى آل بهم الأمر حتى قالوا : ليس شيء . وجاءنا عن رسول الله ﷺ أنه قال : " افترقت بنو إسرائيل ، اليهود منهم ، على إحدى وسبعين فرقة ، كلها في النار إلا واحدة ، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة ، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة ، قيل : يا رسول الله من هذه الواحدة قال : السواد الأعظم " .

٩١١ـ **حدثنا** بذلك(١) الفضل بن محمد قال : حدثنا كثير بن عبيد الحمصي قال : حدثنا محمد بن حمير(٢) قال : حدثني مسلمة بن علي عن عمر بن ذر [١/ ٢٦٦/ ب] عن أبي قلابة الحربي عن أبي مسلم الخولاني عن أبي عبيدة بن الجراح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : أتاني رسول الله ﷺ وأنا أعرف الحزن في وجهه ، فأخذ بلحيتي ، فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، أتاني جبريل آنفا فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، قلت :

---

(١) كذا بالأصل .

(٢) في (ص) " جبير " .

أجل إنا لله وإنا إليه راجعون ، فمم ذلك يا جبريل ؟ فقال : إن أمتك مفتتنة بعدك بقليل من الدهر غير كثير ، فقلت : فتنة كفر أو فتنة ضلالة ؟ فقال : كل ذلك سيكون ، قلت : ومن أين ذلك وأنا تارك فيهم كتاب الله ؟ قال : فبكتاب الله يضلون ، وأول ذلك من قبل قرائهم وأمرائهم ، يمنع الأمراء الناس حقوقهم فلا يعطوها فيقتتلوا ، ويتبع القراء أهواء الأمراء ويمدونهم في الغي ثم لا يقصرون ، قلت : يا جبريل فبم يسلم من سلم منهم؟ قال : بالكف والصبر ، إن أعطوا الذي لهم أخذوه وإن منعوا تركوه .

٩١٢ـ **حدثنا** عمر بن أبي عمر قال : حدثنا شباب بن خليفة عن يوسف بن خالد السمتي عن سلم بن بشير بن جحل[١] ، سمع حبيبا المزني يحدث أنه سمع أفلح مولى رسول الله ﷺ يحدث عن رسول الله ﷺ أنه قال : « أخوف ما أخاف على أمتي ثلاث : ضلالة الأهواء ، واتباع الشهوات في البطن والفرج ، والعُجْب »[٢] .

قال محمد بن علي الحكيم رحمه الله : فهذا وحديث شريح عن عائشة رضي الله عنها متفقان أنهم ثلاثة أصناف : العجب ، وهو البدعة ، واتباع الشهوات ، وهي الأهواء ، والضلالة ، فإنما صار هؤلاء فرقا لأنهم فارقوا دينهم ، فمن مفارقة[٣] الدين تشتتت أهواؤهم فافترقوا ، ألا ترى إلى ما قال الله تعالى في تنزيله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ ﴾ ثم قال : ﴿ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ﴾ ثم قال : ﴿ لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ﴾ [الأنعام : ١٥٩] فبرأه منهم . فوجدنا أصحاب رسول الله ﷺ من بعده قد اختلفوا في أحكام الدين فلم يفترقوا ولم يصيروا شيعا ؛ لأنهم لم يفارقوا الدين ، وإنما اختلفوا فيما أذن لهم النظر فيه والقول باجتهاد الرأي ، فاختلفت آراؤهم واختلفت أقوالهم ، فإنما أمروا بذلك فصاروا باختلافهم محمودين لأنهم أدى كل واحد منهم على حياله بما أمر من جهة الرأي والنظر فيه ، فمن ذلك ما قال أبو بكر رضي الله عنه في مسألة الجد أنه بمنزلة الأب وإن المال كله له دون الأخ ، [١/ ٢٦٧/ أ] وقال علي وزيد رضي الله عنهما : المال

---

(١) في (ص) « سالم بن بشر بن خجل » وفي (د) « سالم بن بشير بن جحل » والمثبت من كتب التراجم .

(٢) ذكره السيوطي في جمع الجوامع وقال : سنده ضعيف .

(٣) في (ص) « فمقارقة » .

بين الأخ والجد نصفان .

ومثل ما قال عمر رضي الله عنه في بيع أمهات الأولاد ، أن لا يُبَعْنَ ، وقال علي رضي الله عنه : يبعن .

ومثل ما قالوا في الشركة ، فمنهم من شرك ومنهم من لم يشرك ، وذلك في زوج وأم وأختين لأم وأختين لأب وأم وأخوين لأم ، فأعطوا الزوج النصف والأم السدس وأعطوا الأختين للأم الثلث ، فمنهم من شرك الأختين للأم والأب في هذا الثلث ؛ لأنهم كلهم لأم واحدة ، ومنهم من لم يعط الأختين للأب والأم شيئا وجعل الثلث للأختين للأم ، وقال : فريضتهما في الكتاب بينة . ولكل وجه مذهب .

ومثل قول ابن عباس رضي الله عنهما : إن الفريضة لا تعول ، وقال عامة أصحاب رسول الله ﷺ بالعول وأنزلوه بمنزلة رجل ترك درهما واحدا ، ولرجل عليه ثلثا درهم ، ولرجل آخر نصف درهم ، فقالوا : يقسم هذا الدرهم الواحد بينهما على سبعة أسهم على حصة دينهما .

ومنهم من رأى طلاق السكران جائزا ، ومنهم من أبطله .

ومثل قولهم في الطلاق قبل النكاح ، فمنهم من أنزله ومنهم من لم ينزله .

وفي البيوع ، وفي أشياء كثيرة من أمر الدين اختلفوا ، فكان ذلك الاختلاف رحمة من الله على هذه الأمة ، حيث أيدهم باليقين ثم وسع على العلماء منهم للنظر[(١)] فيما لم يجدوا ذكره في التنزيل ولا في سنة رسول ﷺ حتى يلحقوه ببعض الأصول ، فكانوا أهل مودة وعطف متناصحين ، أخوة الإسلام فيما بينهم قائمة ، فلما حدثت هذه الأهواء المردية الداعية صاحبها إلى النار ظهرت العداوات وتباين الناس وصاروا أحزابا .

دليل ذلك أن هذا التباين والفرقة إنما حدثت من المسائل المحدثة التي ابتدعها الشيطان فألقاها على أفواه أوليائه ليختلفوا ويرمي بعضهم بعضا بالكفر ، فكل مسألة حدثت في الإسلام فخاض فيها الناس واختلفوا فلم يورث ذلك الاختلاف بينهم عداوة ولا بغضا ولا فرقة ، علمنا أن ذلك من مسائل الإسلام يتناظر فيه ويأخذ كل

(١) في (ص) " النظر " .

فريق بقول من تلك الأقوال ، ثم يكون في أحوالهم من الشفقة والرحمة والألفة والمودة والنصيحة كما فعل الصحابة والتابعون رضي الله عنهم ، وكل مسألة حدثت فاختلفوا فيها فردهم اختلافهم في ذلك إلى التولي والإعراض والتباين إلى الدين بالكفر ، [١/ ٢٦٧/ ب] علمنا أن ذلك ليس من أمر الدين في شيء ، يجب على كل ذي عقل أن يجتنبها ويعرض عن الخوض فيها .

ومما يؤكد ما قلنا ما ذكر الله في كتابه من حال أهل الإسلام كيف يكونون ، فقال الله عز وجل : ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ [آل عمران : ١٠٣] فذكر أنهم أصبحوا بالإسلام إخوانا فلما جاءت مسألة مما إذا اختلف فيها ذهبت الأخوة وجاءت الفرقة علمنا أن هذه المسألة ليست من الإسلام في شيء ؛ لأن شرط الله في تمسكنا بالإسلام إنما نصبح بذلك إخوانا ، فصاروا بهذه المسألة أحزابا يكفر بعضهم بعضا ، ووجدنا أهل الخذلان إنما أعرض الشيطان في قلوبهم بمثل هذه الأشياء ، وذلك لما خلت قلوبهم من خشية الله ومن خوف عقاب الله بما قدمت أيديهم ، ومن الأهواء التي أمامهم .

وكذكر الموت والصيحة والحساب ، والاهتمام بصحة الأمور ، وطلب الإخلاص فيما بينهم ، والانتباه بحسن صنعه بهم في ليلهم ونهارهم ، وطلب النجاة من رق النفوس إلى حرية العبودة لربهم ، فلما حلت هذه الأشياء خربت وصارت في القلوب ثلم ، فوجد العدو فرصة فألقى إليهم مثل هذه الأشياء التي يعلم المستنيرة قلوبهم أن هذا تكلف وخوض فيما لا يعنيه ، مثل قولهم في الجبر والقدر ، وفي الاستطاعة قبل الفعل ومعه ، وفي طلب كيفية صفات الله ، وفي الإيمان مخلوق هو أم لا ، وفي القرآن ما هو ، وفي الإمامة من استحقها بعد رسول الله ﷺ ، حتى أداهم ذلك أن رفضوا أبا بكر وعمر رضي الله عنهما وجوروهما وأظهروا سبهما ، فلولا أن هذا عبد قد خذله الله ونكس قلبه كان يشتغل بمثل هذا ، وهم قوم مضوا إلى الله بأعمالهم ، فهو يقسم لهم المنازل بهواه ويحمل بعضهم على بعض ، وقد قال الله جل ذكره : ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة : ١٣٤] .

وإنما بعث رسول الله ﷺ مبلغا ومعلما وهاديا ، فخرج من الدنيا وقد بلغ الرسالة وأدى الأمانة وعلّم وهدى وأبلغ في النصيحة فليّن القول منه للأمة في هذه الأشياء ،

وأين هدايته وتعليمه لهم ذلك ؟ فهل يوجد حديث واحد عن رسول الله ﷺ في الاستطاعة والجبر والقرآن ما هو والإيمان مخلوق أم لا ؟ فإن كان بعث مبلغا وقد بلغ ولم يكتم شيئا من الوحي ، فأين هذا في الوحي ؟ وأين هذا [١/٢٦٨/أ] في السنن التي جاءت عنه ؟ وكيف أدت عنه أئمة العلماء آداب الإسلام في طعامهم وشرابهم ونومهم وخلائهم ووضوئهم ولباسهم ومشيهم وزيهم وسائر أحوالهم ، وتركوا مثل هذه الأشياء التي أدى اختلاف القائلين فيها إلى إكفار بعضهم بعضا ، ليعلم أنها مسائل الفتن وأنها تؤدي إلى الحيرة ، وأن الكلام في ذلك مما لم[١] يؤذن لك فيه .

ووجدنا أن الله تبارك اسمه أثنى على أصحاب محمد ﷺ فقال : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح : ٢٩] إلى قوله : ﴿ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ﴾ أي صفتهم في التوراة ، فشهد لهم بهذه الخصال التي هي رأس الإيمان وذروته ، فما ظنك بقوم يبلغ من أقدارهم ومحلهم أن يمدح لبني إسرائيل شأنهم ويصف لهم محاسن خصالهم من قبل أن يخلقهم بكذا وكذا ألف سنة ، ثم وصفهم في الإنجيل للأمة الأخرى فقال : ﴿ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ﴾ أخبر أن أصحاب محمد ﷺ غيظ الكفار ، فمن وجدناه ممن ينتحل الإسلام قد صار كبراء أصحاب رسول الله ﷺ له غيظا ، فقد ساء ظننا به ، ونخاف أن يكون في قلبه داهية تسلبه الإسلام وهو لا يشعر .

وروي في نحو من ذلك عن رسول الله ﷺ أنه قال : " من يخادع الله يخدعه الله ويخلعه من الإيمان وهو لا يشعر " .

وروي عن أنس رضي الله عنه أنه قال : من ذكر أصحاب رسول الله ﷺ فليس له في الفيء نصيب ، وذلك أن الله قسم الفيء في تنزيله بين ثلاثة أصناف فقال : ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ ﴾ [الحشر : ٨] ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ [الحشر : ٩] وهم الأنصار ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾ [الحشر : ١٠] وهم التابعون إلى يوم

(١) " لم " سقطت من (ص) .

القيامة ، فإنما صار الفيء بين هؤلاء ، فمن جاء من بعدهم فتناولهم بالسوء فقد خرج من هذا الصنف ولا نصيب له .

٩١٣- حدثنا الفضل بن محمد قال : حدثنا محمد بن داود الإسكندراني قال : أخبرني زياد ابن يونس ، قال : حدثني عطاف بن خالد قال : بلغني أنه لما نزل قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا ﴾ [آل عمران : ١٣٥] صاح إبليس بجنوده وحثى على رأسه التراب ودعا بالويل والثبور ، حتى جاءته جنوده من كل بر وبحر فقالوا : ما لك يا سيدنا ؟ قال : آية نزلت في كتاب الله لا يضر بعدها أبدا من بني آدم ذنب ، فقالوا : وما هي ؟ فأخبرهم [١/ ٢٦٨/ ب] فقالوا : نفتح لهم الأهواء فلا يتوبون ولا يستغفرون ولا يرون إلا أنهم على الحق ، فرضي منهم بذلك .

الأصل السادس والستون والمائة

٩١٤ـ حدثنا عبد الواحد بن مسلم البصري عن محمد بن السماك عن الهيثم بن حماد عن يزيد بن أبان عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " ما من صوت أحب إلى الله من صوت عبد لهفان ، قالوا : يا رسول الله وما اللهفان ؟ قال : عبد أصاب ذنبا ، فكلما ذكر ذنبه امتلأ قلبه فرقا من الله فقال : يا رباه .

قال أبو عبد الله[1] :

فالفرق نفار القلب ، وهذا مقام عظيم ، هذا عبد له حظ من الهيبة ، فتلك مرتبته ، وهو الغالب على قلبه ، فإذا اشتدت هيبته وذكر ذنبه نفر القلب مما يلاحظ ، فذلك الفرق ، فإذا امتلأ قلبه من ذلك الفرق ، فرق فنادى نداء من ينحط في مهوى لا يدري ما قعره ، فهو في الانحطاط ينادي نداء مستغيث : يا رباه ، وذلك أن للعبد مقاما بين يديه ، ومقامه الهيبة ، فإذا ذكر ذنبه لم يستقر القلب في مقام الهيبة مع قبيح ذلك الذنب ، فيحيل إلى القلب بنفاره كأنه يهوي من قربه إلى حيث لا يدري قراره بُعدًا ، فهو يتلهف على ما فاته من مقام القربة بغاية التلهف .

ويقال : وإذا كان الشيء بالغا غايته خرج مخرج فعلان في القالب ، فقيل : لهفان ، وهو غاية التلهف على ما فاته من القربة ، فهو ينادي في انحطاطه في مهواه فيقول[2] : يا رباه ؛ نداء ندبة الثكلى ، وهذا نداء توجع وحرقة ، كذا تعرفه أهل اللغة ، أنهم إذا أرادوا أن ينادوا بتوجع وصلوها بمدة وهاء فقالوا : يا فلاناه ؛ ليبرز التوجع في المَدّة ، ويكون الهاء معتمدا يسكت عليه ، فتكون المدة أبين وأكشف .

قال : فذاك أحب الأصوات إلى الله عز وجل ، ولا يصير الرجل لهفانا حتى يفوته شيء قد عظم قدره عنده ، فهو يخاف الهلاك من فوته ، فيأخذه الدهش من فوته والعجلة والاضطراب ، وإنما صار لهفانا من الفرق ، وإنما فرق القلب لأنه نفر حين رأى الذنب صعد في مقام الهيبة .

---

(١) غير موجودة في (ص) .

(٢) " فيقول " زيادة من (د) .

والفرق شأن عظيم ؛ لأنه عاين القلب سلطانا عظيما وهو في محل ملك الملك فلم يتمالك القلب أن نفر .

وذكر لنا عن رسول الله ﷺ أنه قرأ بين يديه رجل فسقط فمات فقال رسول الله ﷺ : " إن الفرق فلذ كبده " فالكبد متصل بالقلب من تحته عن شقه الأيمن ، والطحال عن شقه [١/ ٢٦٩/أ] الأيسر ، فحرارته أحرقت الكبد ، فكلما نفر القلب فلذته ، أي قطعته ، وقوله : امتلأ قلبه ، يدل على أنه يمازجه حسن الظن لأنه فتح له من تلك الهيبة ، وإنما ينال حسن الظن من ملك الجمال .

٩١٥- حدثنا [1] أبي رحمه الله ، قال : حدثنا محمد بن الحسن قال : أخبرنا عبد الله بن المبارك ، قال : أخبرنا ابن لهيعة عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال ، أن داود النبي صلوات الله عليه كان يعوده الناس ، ما يظنون إلا أنه مريض ، وما به إلا شدة الفرق من الله عز وجل .

---

(١) بياض في (ص) .

الأصل السابع والستون والمائة

٩١٦ـ **حدثنا** الفضل بن محمد قال : حدثنا أحمد بن عمرو بن أبي السرح المصري ، قال : حدثنا ابن أبي فديك قال : حدثني عمر بن محمد الأسلمي عن مليح[1] بن عبد الله الخطمي عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ : " خمس من سنن المرسلين : الحياء والحلم والحجامة والسواك والتعطر " .

٩١٧ـ **حدثنا** سفيان بن وكيع قال : حدثنا حفص بن غياث عن حجاج عن مكحول عن أبي السماك عن أبي أيوب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " أربع من سنن المرسلين : التعطر والحياء والنكاح والسواك " .

فالسنة الصورة والحال ، كأنه يقول : هذه الخمس الخلال شأنهم ، وأنهم كانوا يكونون في هذه الصورة من الأفعال ، فأما الحياء فإن النور إذا دخل القلب تخلص الروح من أسر النفس وأشغالها فعاد إلى طبعه السماوي ، والحياء هو خجل الروح وتلكؤه عن كل عمل لا يحسن في أهل السماء ، فإنما صار الحياء من شأنهم لطهارة الروح من أسباب النفس .

وأما الحلم فهو سعة الصدر وانشراحه ، وإنما اتسع وانشرح لورود النور .

وأما الحجامة فمن أجل أن للدم حرارة وقوة ، وللنور حرارة وقوة ، وإذا لم ينقص من حرارة الدم أضر . ومما يحقق ذلك قول رسول الله ﷺ : " ما مررت بملأ من الملائكة ليلة أسري بي إلا قالوا : يا محمد مر أمتك بالحجامة " فإنما خصت هذه الأمة بذلك من أجل زيادة النور .

ألا ترى إلى قول رسول الله ﷺ : " ما أعطيت أمة ما أعطيت أمتي من اليقين " .

وقول كعب : وجدت في التوراة أن الأنبياء يقومون يوم القيامة مع كل نبي نوران ومع كل واحد ممن تبعهم نور واحد ، وأن النبي ﷺ قام له بعد ذلك سعرة من رأسه وجسده نور ، ومع كل واحد ممن تبعه نوران .

ومما يحقق ذلك قوله : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ ﴾ [آل عمران : ٧٣] أي قل : إن هذا الهدى [١/ ٢٦٩/ ب] هدى الله الذي ولي هدايتكم

---

(١) في (ص) " محمد " .

به لن يعطي أحدا مثل ما أعطيتم ، فإذا ولي الله هداية عبد فضله باليقين ، ومن هداه بالرسل والكتاب والآيات فهو دون هذا ، وكانت الأنبياء تأتي بالآيات وكفى الرسول ﷺ مؤنة ذلك حتى قال الرسول ﷺ : " إني لمن أكثر الأنبياء تبعا ، وما أتيت بما آمن بمثله البشر من الآيات " .

فإذا تركوا أخذ الدم يتبع فقتل لأن حرارة النور يغلبها فعرفت الملائكة شأن هذه الأمة وما فضلت به فتقربت إلى الله بالنصيحة لها .

وهذه المقالة التي بقيت في أفواه العامة : إن البدن يضعف ويضير به إخراج الدم منها ، وذلك أن الدم عماد الجسد ومنه حرارته ، ويشيرون إلى ترك الحجامة إنما خرجت من الأطباء ، والطب بدؤه من كتب الروم وهم نصارى ، وإنما انتسخوها من كتب ذي القرنين ومن بعده من كتب طب سليمان بن داود عليهما السلام ، ثم تبحروا وزادوا من تلقاء أنفسهم ووضعوا الكتب على ذلك ، فعامتهم يشيرون إلى تقليل الحجامة ثم إلى تركها بعد مجاوزة الخمسين من العمر ، ولا يعلمون أن لله في هذه الأمة خبيئة قد اضطربت بها الصوت في الملأ الأعلى حتى يتقربوا إلى الله بالنصح لهم من المداومة على الحجامة ، فلم يكن لبني إسرائيل من اليقين من الحظ ما لهذه الأمة ، فلم يضر بهم ترك الحجامة ، وإنما أخذت أطباؤهم من تقدير طبائعهم وسيرتهم أن ههنا فضل يقين يشتعل حريقه في قلوبهم ويتلهب في صدورهم فيغلي من ذلك بدمائهم الطبيعية حتى يؤدي ذلك إلى الفضول والضرر الكثير لدبروا لهم خلاف تدبيرهم نفوسهم وطباعهم فإنما صارت الحجامة من سنن عامة المرسلين أن النور غالب على قلوبهم وصدورهم ، فتغلي دماؤهم ، فإذا لم يأخذوها فارت فأضرت ، وكان رسول الله ﷺ يلقى من الصداع من نور الوحي فيغلف رأسه بالحناء ليخفف عن رأسه سلطان تلك الحرارة ، فمن روى من بعده أنه كان يخضب فإنما ذاك من قبل الوفد والأعراب ، كانوا يرون بشعره روع الحنا وحمرته فيحسبونه خضابا .

وأما السواك فلأنه طريق التنزيل والوحي الوارد وموضع نجوى الملائكة ، فكانوا يقصدون لتطييبها وتطهيرها فإنه إذا استاك تنظف وإذا تركه تنكرت الرائحة وآذى الملك وضاعت حرمة الوحي .

وأما النكاح فإن الأنبياء قد زيدوا في النكاح بفضل نبوتهم ، وذلك أن النور إذا امتلاء

الصدر منه ففاض [١/ ٢٧٠/أ] في العروق التذت النفس والعروق الشهوة وقواها وريح الشهوة إذا قويت فإنما تقوي من القلب والنفس ، فعندها يجد القوة .

وروي عن سعيد بن المسيب أن النبيين عليهم السلام تفضلوا بالجماع على الناس ، وذلك لما فيه من اللذة .

٩١٨ـ حدثنا بذلك عمر بن أبي عمر قال : حدثنا سعيد بن أبي مريم الجمحي عن يحيى بن أيوب وابن لهيعة قال : حدثنا ابن الهاد[1] عن سعيد بن المسيب ، وعن ابن الهاد[2] عن حمزة بن عبد الله بن عمر أنه سمع ابن عمر رضي الله عنه يقول : ما أعطي أحد من الجماع بعد رسول الله ﷺ ما أعطيت . وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : " أعطيت قوة أربعين رجلا في البطش وفي النكاح ، وأعطي المؤمن قوة عشرة " ، فهو بالنبوة والمؤمن بإيمانه ، والكافر له شهوة الطبيعة فقط .

وأما التعطر فإن الطيب يذكي الفؤاد ، وذلك أن أصل الطيب إنما خرج من الجنة ، وكان تزود آدم عليه السلام بورقة منها بورقة تستر بها وتركت عليه ، فمن ذلك أصل الطيب ، ففي تذكية الفؤاد قوة للقلب والجوارح؛ وذلك أن حسن القلب بالفؤاد؛ لأن الأذن عليه ، والبصر والنور بين القلب والفؤاد ، فالرؤية للفؤاد ، وهو قوله تعالى : ﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴾ [النجم: ١١] .

والفؤاد اللحمة الظاهرة ، والقلب اللحمة الباطنة ، وإنما هي بضعة واحدة بعضها مشتمل على بعض ، فما ظهر فهو فؤاد ، فإذا كان الفؤاد منحرفا لم يَعِ شيئا من النور ، قال الله تعالى : ﴿ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴾ [إبراهيم : ٤٣] ، أي منحرفة لا تعي شيئا ولا تعقل ، وهو قول رسول الله ﷺ : " أتاكم أهل اليمن ألين قلوبا وأرق أفئدة " فوصف القلوب باللين والأفئدة بالرقة؛ لأن النور إذا دخل القلب لين البضعة وأرطبها؛ لأن الرحمة مع النور ، وإذا تمكن النور في القلب في مستقرها فربا وعظم رقق الفؤاد .

---

(١) في (ص) " ابن الهادي " .

(٢) في (ص) " ابن الهادي " .

الأصل الثامن والستون والمائة

٩١٩- حدثنا سعيد بن عبد الرحمن العامري القشيري مولى الجارود بن يزيد قال : حدثني الجارود بن يزيد القشيري ، قال : لقيت بهز[١] بن حكيم في أسواق ، فحدثني عن أبيه عن جده ، قال : قال رسول الله ﷺ : " أتورعون عن ذكر الفاجر متى يعرفه الناس ، اذكروا الفاجر بما فيه يحذره الناس "[٢] .

قال أبو عبد الله :

فإنما ذكر الفاجر ، وهو اسم يلزم الموحد والمشرك ، وهو الذي يفجر الحدود ، وذلك أن الإسلام كحظيرة حظرها الله [١/ ٢٧٠/ ب] على أهله ، فلا يتعدون حدود الحظائر ، فإذا جاء أحدهم فثلم الحظيرة بالخروج منها ، متخطيا إلى ما وراءها فقد فجرها ، فهذا فعل يأتيه الموحد والمشرك ، فالمشرك لا حرمة له ، ولا يتوقى من ذكره ، فمعنى هذا الحديث عندنا على الفاجر الموحد ، وذلك أنهم تورعوا عن ذكره لحرمته التوحيد ، فبين لهم أن ذلك خيانة للعامة من المسلمين ، فقال : متى يعرفه الناس ، وذلك أن رسول الله ﷺ كان يحث على الستر ، ويقول : " من ستر مسلما ستره الله ، ومن هتك سترا لأخيه هتك الله ستره " فهابوا هذا الأمر فكفوا ، فقال لهم رسول الله ﷺ : " أترعون عن ذكره "

وإنما لزمه هذا الاسم إذا غلب عليه ذلك الفعل ، فمن غلب عليه الفجور فقد أعلن به وهتك ستره ، فإذا لم يبق له ستر استحال أن أستره وأكتم أمره ، وفي كتماني أمره وكفى عنه خيانة ، ألا ترى أنه قال : " متى يعرفه الناس " . وإن كان عنى بهذا المشرك ؛ لكان الناس قد عرفوه . فما معنى قوله : " متى تعرفه الناس " ، ثم بين نفع الذكر ، فقال : " اذكروه بما فيه يحذره الناس " فإنما هذا الذكر لمن احتسب بهذا الذكر وأراد به النصيحة للعامة ؛ لئلا يغتر به مسلم ، وإلى هذا أشار رسول الله ﷺ ، وعليه دل ، فأما من قعد يذكر أحدا من هذا الصنف متشفيا لغيظه أو مستنقما

---

(١) في (ص) " نهر " .

(٢) ذكره السخاوي في المقاصد الحسنة (١/ ٥٦٢) وقال : لايصح ، فالجارود ممن رمى بالكذب وقال الدارقطني هو من وضعه ثم سرقه منه جماعة .

لنفسه ، فهو خارج من هذا الحديث عندنا ، حتى يذكره على تلك النية .
وعلى ذلك دل عليه الرسول ﷺ ، وأطلق له ، وهذا حديث انفرد به الجارود بن يزيد ، فلم يشركه عامة رواة بهز فيما نعلمه ، كما تفرد أبو بكر الهذلي في حديث له أيضا عن بهز عن أبيه عن جده ، قلت : يا رسول الله أوصني بوصية قصيرة فألزمها ، قال : " لا تغضب ، فإن الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل " وكما تفرد علي بن إبراهيم بحديث عن بهز عن أبيه عن جده : كان رسول الله ﷺ إذا أتي بصدقة سأل عنها ، فإن قيل : صدقة ؛ لم يأكل منها ، وإن قيل : هدية ؛ تناول . وكما تفرد معمر عن بهز عن أبيه عن جده ؛ أن رسول الله ﷺ حبس رجلا[1] في تهمة ، ورواه ابن علية عن بهز أيضًا ، وكما تفرد أبو رجاء الهروي عن بهز عن أبيه عن جده ، عن رسول الله ﷺ . من طلب هذه الأحاديث ليماري بها السفهاء أو يباهي بها [١/ ٢٧١/أ] ليتحدث بها لم يرح رائحة الجنة ، وريحها يوجد من مسيرة خمسمائة عام ، وإنما جئت بهذه الأحاديث ؛ لأن بعض الناس أنكروا على الجارود بن يزيد هذا الحديث .

---

(١) " رجلا " زيادة من (د) .

الأصل التاسع والستون والمائة

٩٢٠- حدثنا الفضل بن محمد قال : حدثنا يحيى بن العيزار[(١)] الرملي قال : حدثنا يحيى بن صالح الوحاظي قال : حدثنا أبو إسماعيل شيخ من السُّكُون قال : سمعت مالك بن أدِ يقول : سمعت النعمان بن بشير يقول على المنبر : قال رسول الله ﷺ : " إنه لم يبق من الدنيا إلا مثل الذباب يمور في جوفها ، فالله الله في إخوانكم من أهل القبور ، فإن أعمالكم تعرض عليهم " .

فالأرواح تجول في البرزخ ، فتبصر أحوال الدنيا والملائكة تتحدث في السماء عن أحوال الآدميين ، وأرواح تحت العرش ، وأرواح طيارة إلى الجنان ، وإلى حيث شاءت على أقدارهم من السعي إلى الله أيام الحياة والعبودة لهم ومحلهم .

٩٢١- حدثنا صالح بن محمد قال : حدثنا أبو معشر نجيح مولى بني هاشم ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن المغيرة بن عبد الرحمن ، عن سلمان . وحدثنا عبد الجبار قال : حدثنا سفيان ، عن علي بن زيد ويحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب ، عن سلمان قال : إن أرواح المؤمنين تذهب في برزخ من الأرض حيث شاءت بين السماء والأرض ، حتى يردها الله إلى أجسادها ، فإذا ترددت هذه الأرواح هكذا علمت بأحوال الأحياء ، وإذا ورد عليهم من الأحياء ميت التقوا فتحدثوا وتساءلوا عن الأخبار ، فلما كان هذا شأنهم خرج من تدبير الله[(٢)] ؛ أن وكل أيضًا ملائكة بهم في عرض أعمال الأحياء عليهم ؛ كي إذا عرضوا عليهم ما يعاقبون به في الدنيا ، ويصابون به من أنواع المصائب من أجل الذنوب ؛ كان عذر الله ظاهرا مكشوفا عند الأموات ، لأنه لا أحد أحب إليه العذر من الله .

٩٢٢- حدثنا محمد بن كرامة الكوفي الوراق قال : حدثنا حسين الجعفي[(٣)] ، عن زائدة ، عن عبد الملك ، عن رواد ، عن المغيرة بن شعبة قال : قال رسول الله ﷺ : " لا شخص أحب إليه العذر من الله عز وجل ، ولذلك بعث الرسل مبشرين ومنذرين ، ولا

---

(١) في (ص) " العيذار " .

(٢) كذا بالأصلين .

(٣) في (ص) " حسين بن الجعفي " .

شخص أحب إليه المدح من الله ، ولذلك وعد الجنة " .

٩٢٣ـ حدثنا الجارود قال : حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن شقيق ، عن عبد الله ، عن رسول الله [١/ ٢٧١/ ب] ﷺ بمثله ، فكان الله أحب عندما أمر بأن تعرض أعمال الأحياء على أمواتهم ؛ أن يلقي على الأموات عذره فيما يعامل به أحياءهم ؛ من عاجل العقوبات من الأمراض وأنواع البلاء والمصائب في الدنيا ، فلو كان يبلغهم ذلك من غير أن تعرض عليهم أعمالهم ؛ لكان وَجْدُهم بذلك أشد .

٩٢٤ـ حدثنا أبي رحمه الله قال : حدثنا قبيصة ، عن سفيان ، عن أبان بن أبي عياش(١) ، عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " إن أعمالكم تعرض على عشائركم وأقاربكم من الموتى ، فإن كان خيرا استبشروا به ، وإن كان غير ذلك قالوا : اللهم لا تمتهم حتى تهديهم كما هديتنا " .

٩٢٥ـ كما حدثنا بذلك عبد العزيز بن عبد الله البصري ، عن كثير بن هشام(٢) قال : حدثني عيسى بن إبراهيم الهاشمي قال : حدثني عبد الغفور بن عبد العزيز ، عن أبيه ، عن جده ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : " تعرض الأعمال يوم الإثنين والخميس على الله ، وتعرض على الأنبياء وعلى الآباء والأمهات يوم الجمعة ، فيفرحون بحسناتهم ، وتزداد وجوههم بيضا وتشرقة ، فاتقوا الله ولا تؤذوا أمواتكم ، فإنما تعرض على الأنبياء والآباء والأمهات للأعذار " ألا ترى أن رسول الله ﷺ يؤتى به إلى الميزان يوم القيامة ؛ ليحضر وزن أمته ؛ ليكون عذر الله ظاهرا فيمن يعاقبوا .

وجاء عن أبي هريرة رضي الله عنه ؛ عن رسول الله ﷺ " إن الله يعتذر إلى آدم يوم القيامة بثلاثة معاذير " .

٩٢٦ـ حدثنا بذلك عبد الله بن أبي زياد قال : حدثنا سيار قال : حدثنا أبو عاصم العُباداني قال : حدثنا الفضل بن عيسى ، عن الحسن قال : خطبنا أبو هريرة رضي الله عنه على منبر رسول الله ﷺ بالمدينة فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " إن الله يعتذر إلى آدم يوم القيامة بثلاثة معاذير ، يقول الله تبارك وتعالى : يا آدم لولا أني لعنت الكذابين وأبغض

---

(١) في (ص) " أبان عن أبي عياش " .

(٢) في (ص) " كثير بن هاشم " .

الكذاب والحلف وأعذب عليه ؛ لرحمت اليوم ذريتك أجمعين من شدة ما أعددت لهم من العذاب ، ولكن حق القول مني لمن كذب رسلي وعصى أمري ، ولأملأن جهنم منهم أجمعين . ويقول الله : يا آدم إني لا أدخل أحدا من ذريتك النار ، ولا أعذب أحدا منهم بالنار ؛ إلا من قد علمت في سابق علمي ؛ أني لو رددته إلى الدنيا ؛ [١/ ٢٧٢/ أ] لعاد إلى شر مما كان فيه ، لم يراجع ولم يعتب . ويقول له : يا آدم قد جعلتك اليوم حكما بيني وبين ذريتك ، قم عند الميزان فانظر ما يرفع إليك من أعمالهم ، فمن رجح[١] منهم خيره على شره مثقال ذرة فله الجنة ، حتى تعلم أني لا أدخل النار اليوم منهم إلا ظالما " .

فإذا ستر عليه ونشر عليه الجميل ، وأثنى عليه عند الأحياء؛ فكذلك هو عند الأموات ، وإنما ذلك لمن ولي الله تدبيره ، وإذا كان في ولايته ستره؛ لئلا يرى الخلق من الأحياء والأموات معايب عبد قد ولي الله تدبيره ، فأخذه من أيدي الموكلين به ، فيكون للأموات بخير في ذلك ، ويقولون : هذا عبد ولي الله تدبيره .

فهكذا خرج له من تدبير الله أن يعمل المساوئ والذنوب فيستر عليه .

٩٢٧- حدثنا[٢] سفيان بن وكيع قال : حدثنا إسحاق بن إسماعيل الرازي ، عن محمد بن مسلم ، عن إبراهيم بن ميسرة ، عن عبيد بن سعد قال : خرج أبو أيوب الأنصاري غازيا في سبيل الله إلى أرض الروم ، فقص قاص فقال : ليس أحد في الدنيا من بني آدم يعمل عملا أول النهار إلا عرض على معارفه من أهل الآخرة في آخر النهار ، ولا عمل عملا في آخر النهار إلا عرض علي معارفه من أول النهار من الغد . فقال أبو أيوب[٣] : أيها القائل : انظر ما تقول . قال له : والله إن ذاك كذلك . قال أبو أيوب : اللهم لا تفضحني عند سعد بن عبادة ، ولا عند عبادة بن الصامت بما عملت بعدهما .

فقال القائل : والله الذي لا إله هو ما كتب الله لعبد ولايته إلا ستر عورته وأثنى عليه بأحسن عمله .

قال له قائل : وما ولاية التدبير؟ قال : إن الله تعالى شرع السبيل وهدى القلوب

---

(١) في (ص) " رجع " .

(٢) بياض في (ص) .

(٣) في (ص) " أيوب " .

ورزق العقول ، وأكد الحجة بالرسل وبما جاءوا به من البيان ، وأيد بالملائكة يهدون ويسددون ، وقيل لهم : سيروا إلى الله سيرا مستقيما في هذا الصراط ، فإن عارضتكم نفوسكم بخلاف ما أمر الله فجاهدوها وسلوه المعونة ، فهذا تدبيره الذي وضعه للجميع ، فمن صدق الله في مجاهدة نفسه حتى بلغ أقصى الغاية ومنتهاها؛ لم يقدر على أكثر من أن يمنع قلبه من الفكر كما منع الجوارح من العمل ، فهذا غاية جهاد النفس وتصحيح الباطن والظاهر ونهاية الصدق ، فبذلنا الوسع والطبع باق على تركيبه من الشهوة [١/ ٢٧٢/ب] واللذة والغضب والرغبة والرهبة ، وانقطع ههنا وتحير ، هذه الأشياء عنها حدثت المعاصي إلى القلوب ، ومن القلوب إلى الأركان ، فانقطع ههنا وتحير ، فكما لا يقدر أن يصير سواد الشعر بياضا كذلك لا يقدر على تغيير الطبع ، فيجأر إلى الله ويشتد عليه وَجْده لذلك لكدورة الأخلاق ، فإن هذه الخصال تكدر عليه إيمانه ولا يصفو ، فعندها يرحمه الله بعد انقطاع أسبابه ، وتغوثه بالله صارخا مضطرا ، وقد قال : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ﴾ [النمل : ٦٢] ، وقال : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ [العنكبوت : ٦٩] فيأخذه من تدبيره الذي وضعه لعباده من مجاهدة النفس إلى تدبير نفسه ، وهو القادر على ذلك ، فيوكل به الحق حتى يسير به إليه إلى منازل القربة ، فكلما سار في القربة زيد مركبا من النور ليسير به إلى محله من القربة ، فكل نور يزاد يموت من طبعه بقدر ذلك؛ لأنه يزداد بكل نور قربة ، ويحظى إلى محله ، ويزداد بالله علما ومنه خشية ، فالحق يربِّيه بهذه الأنوار ، حتى إذا انتهت التربية وتغير الطبع عن النفسية إلى خلق الإيمان جذب جذبة إلى محل القربة ، وانكشف له الغطاء عن جلال الله وعظمته ، ما يبهت فيه ، وإذا الهوى قد طاوعه والنفس قد ماتت ، فحيي قلبه بالله فهو الصديق ، فهذا وإن كان صديقا - وهذه صفته - فلن يخلو من ذنب قد كان في سابق علم الله ، ثم جرى القلم بذلك في اللوح المحفوظ فهو يعمله لا محالة ، ولكنه في ستره عند الأحياء وفي ستره عند الأموات .

الأصل السبعون والمائة

٩٢٨ـ حدثنا علي بن حجر ، قال : حدثنا الوليد بن محمد الموقري ، قال : حدثنا الزهري ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " مثل المريض إذا برئ وصح من مرضه كمثل البَرَدَة[1] تقع من السماء في صفائها ولونها . فالمرض للمؤمن تمحيص ، والآثام ذات دنس ، فالمؤمن يتلوث في شهواته فيدنس وتوسخ ، وتكدر الدنس على الأفعال ، والوسخ على الأركان ، والكدر على الطلاوة ، فإذا رحمه وأراد به خيرا أسقمه حتى يطهره ويصفيه بمنزلة الفضة ، يلقى في كيرها فينفخ عليها ، حتى يزيل خبثها ويصفو فضتها فتصلح للضرب والسكة ، فشبه بعد البرء بالبردة صفاء وطيبا ، وهو قوله تعالى : ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ [١/ ٢٧٣/ أ] فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى : ٣٠] فيأخذ بالقليل حتى يطهر ويعفو عن الكثير حتى يصفو ، فمن علائم العفو نزول البلاء ، فيمحص بما نزل ويعفو عن ما بقي ، فلذلك قال : مثله مثل البردة ، أي لم يبق عليه شيء ، وهذا موافق لما جاءنا عن علي رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : " من ابتلي بذنب فعوقب عليه فالله أعدل من أن يثني عقوبته ، وما عفا عنه فلم يعاقب فالله أكرم من أن يعود في عفوه " . قد كتبناه في بابه ، والله تعالى أعلم .

---

(١) وهو : الثلج الأبيض .

الأصل الحادي والسبعون والمائة

٩٢٩- **حدثنا** علي بن حجر قال : حدثنا الموقري[(١)] ، قال : حدثنا الزهري ، عن عروة ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : دخل عليٌّ رسول الله ﷺ فرأى كسرة ملقاة ، فمشى إليها فمسحها ، وقال : " يا عائشة أحسني جوار نعم الله ، فإنها قَلّ ما نفرت[(٢)] عن أهل بيت فكادت ترجع إليهم " . فحسن المجاورة لنعم الله من تعظيمها ، وتعظيمها من شكرها ، والرمي من الاستخفاف بها ، وذلك من الكفران والكفور ممقوت مسلوب ، فبلغنا أن امرأة أنجبت صبيا لها بكسرة خبز ، ووضعتها في جحر ، فابتلي أهل ذلك الزمان بقحط ، فاضطرت المرأة من شدة الجوع إلى أن طلبت تلك الكسرة ، حتى وجدتها فأكلتها . فارتباط النعم بشكرها ، وزوالها في كفرانها ، ومن عظمها فقد ابتدأ في شكرها ، ومَن صغّرها واستخف فقد تعرض لزوالها ، ففيها رأى رسول الله ﷺ خصالا غير واحدة ، منها الاستخفاف بالنعمة ، ومنها الفساد ، ومنها الإسراف ، والله لا يحب الفساد ، ولا يصلح عمل المفسدين ، ولا يحب المسرفين ، ولا يحب كل خوان كفور .

---

(١) في (ص) " علي بن حجر المرقري " .
(٢) في (د) " نفرق " .

الأصل الثاني والسبعون والمائة[1]

٩٣٠ـ حدثنا موسى بن عبد الله بن سعيد الأزدي ، قال : حدثنا محمد بن زياد الكلبي ، قال : حدثنا بشر بن الحسين الهلالي ، عن الزبير بن عدي ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : تلا رسول الله ﷺ : ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾ [الرحمن : ٦٠] . ثم قال : " هل تدرون ما يقول ربكم " ؟ . قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : " فإن ربكم يقول : هل جزاء من أنعمنا عليه بالتوحيد إلا الجنة " . نطق ﷺ عن الله تبارك اسمه بذكر غرضه كأنه يقول : هل جزاء من أحسنت إليه بأن هديته للتوحيد إلا أن أسكنه داري في جواري ، وهل جزاء من قربته بالمعرفة قلبا حتى يعرفني إلا أن أقربه في المسكن نفسا حتى ينظر إليّ ، وهل جزاء من أكرمته [١/ ٢٧٣/ ب] بمعرفتي إلا أن أغفر له ذنوبه ، وأتجاوز له عن سيئاته ، وأصفح عنه تكرمًا كما تكرمت وجُدْتُ عليه بتوحيدي؟ وهل جزاء من ابتدأته بهذه النعمة العظيمة ، فمننت بها عليه إلا أن أحفظها عليه حتى أختم له بها وأتمم عليه ، وله كرامتي .

❖ ❖ ❖ ❖

(١) سقط هذا العنوان من (د) .

الأصل الثالث والسبعون والمائة

٩٣١ـ **حدثنا** موسى بن عبد الله ، قال : حدثنا محمد بن زياد ، قال : حدثنا بشر بن الحسين بن الهلالي ، عن الزبير بن عدي ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " لو أن الدنيا كلها بحذافيرها في يدي رجل من أمتي ، ثم قال : الحمد لله ؛ لكان " الحمد لله " أفضل من ذلك " .

معناه عندنا أنه قد أعطي الدنيا ثم أعطي على أثرها هذه الكلمة حتى نطق بها ؛ لكانت هذه الكلمة أفضل من الدنيا كلها ؛ لأن الدنيا فانية والكلمة باقية ، وهي من الباقيات الصالحات ، وقال : ﴿ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ [الكهف : ٤٦] . وقيل في بعض الروايات : " لكان ما أعطى أكثر مما أخذ " . فصير الكلمة " أعطى " من العبد والدنيا أخذا من الله ، وهذا في التدبير كذا يجري في الكلام أن هذه الكلمة من العبد والدنيا أخذا من الله ، فهذا في ظاهر الأمر وكلاهما من الله في الأصل ، الدنيا منه والكلمة منه ، أعطاه الدنيا فأغناه بها ، وأعطاه الكلمة فشرفه بها في الآخرة ، وخفي عنه أثقالها لينعم بها في الدنيا .

الأصل الرابع والسبعون والمائة

٩٣٢ـ حدثنا موسى بن عبد الله ، قال : حدثنا محمد بن زياد ، عن بشر بن حسين ، عن الزبير بن عدي ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " ما محق الإسلام محق البخل قط " ، وقال رسول الله ﷺ : " من حفظ لسانه ستر الله عورته ، ومن كف غضبه كف الله عنه عذابه ، ومن اعتذر إلى الله في الدنيا قبِل الله معذرته " .

فالإسلام بني أصله على السماحة والجود؛ لأن الإسلام هو تسليم النفس والمال ، ومن بخل بالمال كان بالنفس أبخل ، ومن جاد بالنفس[1] كان كان بالمال أجود ، والبخل يمحق الإسلام ويبطله ويدرس الإيمان ويلبسه ؛ لأن البخل سوء الظن بالله ، وفيه منع حقوق الله ، وعليه اعتماد دون الله .

وأما قوله : " من حفظ لسانه ستر الله عورته " فإنما يحفظ من أعراض المسلمين ، كي لا يشتمهم ولا يهتك أستارهم ، فعاجل ثوابه أن ستر الله عورته . وقوله : " ومن كف غضبه كف الله عنه عذابه " فعذابه النار ، وحشوها غضبه ، وإنما تلظت وتسعرت لغضب الله ، وإذا كف غضبه فقد تواضع لله فكف [١/ ٢٧٤/ أ] عن غضبه ، وإذا كف غضبه فمن ورائه الرضى عن الله .

قوله[2] : " ومن اعتذر إلى الله في الدنيا قبِل الله معذرته " فالكريم يقبل العذر إذا اعتذر إليه صادقا أو كاذبا ؛ لأن اعتذاره ندم وتوبة وإقبال إليه ، فيأبى الماجد الكريم أن يخيبه عن معذرته . وإنما أمل بها الستر وإسقاط الحشمة ، فيعامله ربه على أمله لديه وطمعه وحسن ظنه به . فروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : " ما من أحد يعتذر إلى أخيه فلم يقبل عذره إلا كان عليه كخطيئة صاحب مكس " ، وهو العشار .

وروي عن الحسن أنه قال : من لم يقبل العذر ممن يتنصل إليه صادقا أو كاذبا لم يرد الحوض إلا متضمخا[3] ؛ لأن التنصل هو خروج إليه من الذنب واستسلام له ، فليس ترك قبوله من فعل الكرام .

---

(١) في (ص) " المال " .

(٢) في (ص) يشبه أن يكون " أبو عبد الله " .

(٣) كذا في (ص) ، وفي (د) " مستضحاً " .

الأصل الخامس والسبعون والمائة

٩٣٣- **حدثنا** عمر بن أبي عمر ، قال : حدثنا محمد بن المتوكل ، عن البختري ، عن عبيد الله بن سليمان الأغر ، قال : حدثنا أبي ، قال : حدثنا أبو هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : " إذا عظمت أمتي الدنيا نزعت منها هيبة الإسلام ، وإذا تركت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حرمت بركة الوحي ، وإذا تسابّت أمتي سقطت من عين الله " .

فمن شرط الإسلام تسليم النفس وبذلها لله عبودة ، فإنما عظم ما صغره الله ، وحقرها بأنها أخذت بقلبه فسبته ، وإذا وقع القلب في سبي الدنيا ذهبت العبودة ، فلم يقدر على بذل النفس لله ، فكان إسلامه مدخولا ، وإذا فسد الباطن ذهبت الهيبة؛ لأن الهيبة إنما تكون لمن هاب الله ، فإذا سجت نفس على فساد الباطن فهذا من أجل أنه لا يهابه ، ولو هابه لم يستقر قرارا حتى يصلح باطنه[1] ، وإنما يهابه من صلحت سريرته ، هذا علامة الهيبة ، وهو قوله لرسول الله ﷺ : " ما تمام البر "

٩٣٤- **حدثنا** بذلك عمر بن أبي عمر ، قال : حدثنا عبد الملك بن مسلمة[2] ، عن ابن لهيعة ، عن ابن أنعم ، عن عتبة بن حميد ، عن عبادة بن نسي[3] ، عن عبد الرحمن بن غنم قال : سمعت أبا عامر الأشعري يقول : قلت : يا رسول الله ، ما تمام البر؟ قال " تعمل في السر عمل العلانية " فمن تعظيم الدنيا ذراعة النفس إلى محبباتها ودواهيها ، وإذا عظمتها النفس آثرها على حقوق الله ، ولا يجتمع تعظيم الحقوق وتعظيم الدنيا في قلب ، [١/ ٢٧٤/ ب] فكان هذا العبد لما أسلم نفسه ووجهه إلى الله ، وبذل نفسه لله عبودة ، فصار من رجال الله وعبيده وخاصته ، فعلته مهابة ، وظهر سيما العبودة عليه ، كما قد يرى العبيد عبيد السوقة وعبيد الغلة لا قدر لهم ، فإذا صار عبدا للملك ظهر عليه من بهجة ملكه وغناه ، وجدت له هيبة ؛ لأنه عبد للأمير ، فعبيد الله صدقا عليهم

---

(١) في (د) " بالمنة " .

(٢) في (د) " عبد الملك بن سلمة " .

(٣) في (ص) " دسي " .

من الله طلاوة وحلاوة وملاحة ومهابة ، لبذلهم أنفسهم إسلاما ، فإذا غيروا وبدلوا فعظموا الدنيا بخراب قلوبهم فقد ارتجعوا في نفوسهم فذهبت الهيبة؛ لأنه ليس الآن من عبيد الأمير ، إنما هو عبد نفسه وهواه ودنياه وشهواته وشيطانه .

وأما قوله : " إذا تركت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حرمت بركة الوحي " فإن في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خذلان للحق وجفوة للدين ، وفي خذلان الحق ذهاب البصيرة ، وفي جفاء الدين فقد النور ، فيصير القلب محجوبا فيحرم بركة الوحي ، وحرمان بركة الوحي أن يقرأه فلا تعي أذنه منه شيئا إلا ذرو الكلام ، قد حرم فهمه وهو من أعلم الناس باللغة ، وأبصرهم بتفسيره ، وقد عمي عن لطائفه ومعانيه ووعده ووعيده وأمثاله؛ قد خَلِقَ على قلبه؛ لأنه كلما وقع الكلام من لسانه في أذنه ، فصار إلى قلب صدره مظلم ، فكأنه غرق في لجة ، إنما هو كلام يدخل سمعه ، فإذا صار إلى الصدر صار في عمى ، والذي أشرق صدره بالنور فعلى قلبه ينابيع الفهم فيلتذ باللطائف ويفرح بالوعد ويتحذر الوعيد وينتذر منه ، ويرغب ويرهب ويعتبر ويتعظ ، فهذا بركة الوحي

وأما قوله : " إذا تسابت أمتي سقطت من عين الله " فالسباب بدوه الكبر والاستحقار للمسلمين والحسد والبغي والتنافس في أحوال الدنيا ، فبهذا يسقط من عين الله ، والساقط من عينه قد خرج من كلاءته وحفظه ورعايته ، فليستعد للخذلان في نوائب الدين والدنيا ، فإذا زالت عنه رعايته ذهبت العصمة ، فله في كل نائبة ورطة حتى تؤديه إلى الورطة الكبرى؛ سلب الدين والانتكاص على العقبين ، ومن سقط من عينه لم يبال في أي واد هلك ، وأي شيطان سباه فذهب به ، هذا في السباب فكيف فيما هو أعظم منه .

الأصل السادس والسبعون والمائة
[١/٢٧٥/أ]

٩٣٥- حدثنا عمر بن أبي عمر قال : حدثنا عبد الله بن أبي أمية الفزاري ، عن أبي علي بن الرباح ، عن عمر بن ميمون قال : حدثني مقاتل بن حيان ، عن الأسود بن هلال ، عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " من قال في دبر الصلاة بعد ما سلم هؤلاء الكلمات كتبها ملك في رق ، فختم بخاتم ثم رفعها إلى يوم القيامة ، فإذا بعث الله العبد من قبره جاء الملك ومعه الكتاب ينادي : أين أهل العهود ؟ حتى يدفع إليه ، والكلمات أن يقول : اللهم فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم ، إني أعهد إليك في هذه الحياة الدنيا أنك أنت الله لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك ، وأن محمدًا عبدك ورسولك ، فلا تكلني إلى نفسي ، فإنك إن تكلني إلى نفسي تقربني من الشر وتباعدني من الخير ، وإني لا أثق إلا برحمتك ، فاجعل رحمتك عهدًا لي عندك تؤديه إلي يوم القيامة ، إنك لا تخلف الميعاد "

٩٣٦- حدثنا صالح بن عبد الله قال : حدثنا أبو إسماعيل المؤدب إبراهيم بن سليمان ، عن عبد الله بن مسلم بن هرمز ، عن طاوس أنه أمر بهذه الكلمات ، فكتبت في كفنه .

فصاحب العهد يتحلى بهذا العهد الذي عهد إلى ربه من الأسباب ، فيكون متعلقه برحمته ، ولا يثق إلا بها ، ولا يلحظ إلى الأعمال ملحظ النجاة بها ، فجعل هذا العهد في الدنيا كالوديعة عند ربه ، فوكل بها ملكًا ليقبلها منه ويسلمها إليه عند منشره حتى يسير إلى الله في محشره وموقفه ، والعهد بها[١] أنه لم يثق إلا برحمته وأنه أمله ورجاؤه ، فمن كرم ربنا أن لا يقطع رجاءه ولا يخيب أمله ، وقال الله جل ذكره في تنزيله : ﴿ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴾ [مريم : ٨٧] أي في الدنيا . واتخاذ العهد من صدق قول : لا إله إلا الله ، والوفاء بها ؛ لأن الوفاء بها أن لا يعتمد قلبك شيئًا سواه في أمر دنياه ولا أخراه ، فيكون هو كافيك وحسبك من الدارين ، وعندها يصفو قولك : حسبي الله ويخلص .

---

(١) في (د) " بيده " .

الأصل السابع والسبعون والمائة

٩٣٧ـ حدثنا عمر قال : حدثنا نعيم بن حماد ، عن عبد المؤمن بن خالد الحنفي قال : حدثنا عبد الله بن بريدة ، عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : « من قال عشر كلمات عند دبر كل صلاة غداة وجد الله عندهن مكفيا مجزيا ، خمس للدنيا وخمس للآخرة : حسبي الله لديني ، حسبي الله لدنياي ، حسبي الله [١/ ٢٧٥/ب] لما أهمني ، حسبي الله لمن بغى علي ، حسبي الله لمن حسدني ، حسبي الله لمن كادني بسوء ، حسبي الله عند الموت ، حسبي الله عند المساءلة في القبر ، حسبي الله عند الميزان ، حسبي الله عند الصراط ، حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه أنيب »

فهذه مواطن نوائب العبد في دنياه وفي آخرته ، فقد جعل له في كل موطن سببًا وعدة يقطع به تلك النائبة ، فإذا أعرض عن السبب والعدة وضرب عنه صفحًا ، واعتنى بالله كافيًا وحسيبًا كفاه الله وكان عند ظنه به ، فعدته في دينه : العهد الذي أنزل وهو الحبل الذي أمره بالاعتصام به ، وعدته فيما أهمه : الحبل الذي وضعه لكل حيلة ، وعدته في البغي : الاحتراز والتحصن والأخذ بالحزم ، وعدته في الحسد : التواضع والمقاربة للحاسد ، وعدته في المكايدة له بالسوء : سد الأبواب التي يجد السبيل منها إليه ، وعدته في الموت : العمل الصالح ، وعدته في المساءلة في القبر : تصحيح الأمر للجواب ، وعدته عند الميزان : كثرة الأعمال لثقل الوزن ، وعدته عند الصراط : النور للجواز . فإذا لَهَا العبد عن هذه العدد ، وكان الله حسبه قد انشرح بها صدره ، ولم يشخص أمله إلى شيء سواه ، ولا لحظ إلى خلق ولا فعل .

وقال : حسبي الله ؛ عند كل موطن من هذه الموطن : فهذا عبد قد تعلق به ، ومن تعلق به لم يخيبه ، وكان له في ذلك الموطن حسيبًا لظنه به .

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « قال الله(١) تعالى : أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا دعاني . فمن قال في هذه المواطن : حسبي الله ؛ كان الله له أكبر(٢) من تلك

---

(١) سقط من (د) لفظ الجلالة .

(٢) في (ص) « أكثر » .

العُدد والأسباب التي وضعها له ، ألا ترى أن إبراهيم صلوات الله عليه لما وضع في المنجنيق من الجبل ليرمى به في النار ؛ جأرت السماوات والأرضون والملائكة والخلق والخليقة بكاء وعويلاً ، فقالت : يا رب عبدك يحرق بالنار . فأذن الله لهم في نصرته إن استغاث بهم ودعاهم إلى نصرته . ورُمي به فهو في الهوي إذ عارضه جبريل عليه السلام بلوّى من الله تعالى : يا إبراهيم هل من حاجة ؟ قال : أما إليك فلا ، حسبي الله . فقال الله تعالى : ﴿ يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [الأنبياء : ٦٩] فولِي الله نصرته إذ لم يفزع إلى أحد سواه ، فلم يكله إلى أحد من خلقه ، فهذا صدق قوله : حسبي الله . فإذا لم يكن للعبد في قلبه من حقيقة ما كان لإبراهيم صلوات الله عليه فإن لكل مقالة حرمة ، والله عز وجل لا يضيع عبده . [١/ ٢٧٦/ أ] فإذا ردد هذه الكلمات نفعته في هذه المواطن بأن كن شفعاء إلى الله تعالى ، وكان الله خير إلى عبده أسرع ، وإذا تكلم بهذه الكلمات على يقظة وانشراح صدر وجد الله في هذه المواطن قد كفاه وأجزاه .

ولذلك ما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : " إذا قال العبد : حسبي الله ، سبع مرات ، قال الله تبارك اسمه : صدق عبدي لأكفينه صادقًا أو كاذبًا " معناه عندنا في قوله : صادقًا أو كاذبًا في الوفاية على الحقيقة ، فأوجب له بقوله : سبع مرات أن وفى له ، وكان حسبه كما كان للصادقين من الوفاء بذلك .

الأصل الثامن والسبعون والمائة

٩٣٨ـ حدثنا إبراهيم بن زيد الجرجاني قال : حدثنا هشام بن عمار الدمشقي قال : حدثنا الوليد بن مسلم قال : حدثنا زهير بن محمد عن محمد بن المنكدر[١] عن جابر بن عبد الله قال : قرأ علينا رسول الله ﷺ : ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ * عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴾ [الرحمٰن : ١ - ٢] حتى ختمها فقال : " ما لي أراكم سكوتًا ، الجن كانوا أحسن منكم ردًا ، ما قرأت عليهم هذه الآية من مرة ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ إلا قالوا : ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد " فحسن الجواب من لطافة الفهم ، وأجساد الجن من مارج من نار ، والآدميين من تراب ، فجوهرهم أرق وجوهر الآدمي أغلظ؛ ولم يشغلهم الشهوات شغل الآدميين[٢] ، فرقة جوهرهم عون لهم على درك الشيء ، وهذه سورة عدد الله فيها النعم ، وخاطب بتعديده الثقلين كلاهما الجن والإنس ، فقال في ذكر كل نعمة ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ فكان هذا القول سؤالاً يحتاج إلى رد الجواب فيه ، فأثنى رسول الله ﷺ على مؤمني الجن حيث تلا عليهم هذه السورة بحسن ردهم الجواب . وهذا من زينة الخطاب : أن لا يترك الخطاب الذي له جواب مهملاً ، فيكون المستمع كهيئة الغافل ، وكهيئة من لا يستمع إلا دعاء ونداء من الناعق به صم بكم عمي فهم لا يعقلون فهذه هيئة سيئة ، وكان أصحاب رسول الله ﷺ إذا أتوا على هذه الآية : ﴿ أَلَيۡسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴾ قالوا : اللهم بلى . وإذا أتوا علي قوله : ﴿ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴾ [التين : ٦] قالوا : اللهم بلي . فهذه الأشياء يحسن الجواب فيه والصلة للكلام ، وكانوا إذا مروا بذكر الجنة رغبوا إلى الله فيها ، وإذا مروا بذكر النار استعاذوا بالله منها ، [١/٢٧٦/ب] وإذا مروا بذكر التنزيه نزهوه ، وإذا مروا بذكر وعيده رددوه ، وإذا مروا بذكر لطائفه تلذذوا به ، فاقتضاهم رسول الله ﷺ في وقت قراءته عليهم ما وجده من الجن واستحسنه منهم ، وقد كان عند رسول الله ﷺ من أصحابه من يشغله ذرو كلام الله عن النظر في

---

(١) في (ص) " زهير بن محمد بن المنكدر " .

(٢) في (ص) " الآدمي " .

معناه ؛ إعظامًا لجلال الله ودهشًا في ذكره ، ومنهم من يتعلق قلبه بأول آية ، فيشغله أولها عن ذكر ما بعدها .

روي لنا عن علي بن الفضيل بن عياض أنه صلى خلف إمام قرأ سورة الرحمن ، فلما انفتل قيل له : يا علي ألم تسمع إلى ما قرأ الإمام اليوم من ذكر نعيم الجنان ، وما أعد الله للمؤمنين ؟ فقال : شغلني ما قبلها عن ذكر الجنان . يعني ذكر النار وسلطان كلام الله على القلوب ، على قدر ما فيها من العلم بالله والخشية له والحظ من القربة ، وإنما ينزل من القلب كلام كل واحد على قدر منزلته عنده ، فإذا كان عظيم المنزلة عظم قوله وأمره ، وإن لم يكن كذلك استخف به ، ومما يحقق ذلك قول رسول الله ﷺ : " من أحب أن يعلم ما منزلته عند الله فلينظر ما لله عنده من المنزلة ، فإن الله ينزل العبد من نفسه حيث أنزله العبد من نفسه .

الأصل التاسع والسبعون والمائة

٩٣٩ـ **حدثنا** عبد الله بن أبي زياد القطواني قال : حدثنا أبو عامر العقدي قال : حدثنا كثير ابن زيد ، عن إسحاق بن عبد الله بن جعفر ، عن أبيه قال : كان رسول الله ﷺ يقول : " لقنوا موتاكم : لا إله إلا الله الحليم الكريم ، سبحان الله رب السماوات السبع ورب العرش العظيم ، الحمد لله رب العالمين " قالوا : يا رسول الله فكيف هي للحي؟ قال : " أجود وأجود "

فكان هذا الكلام عند أهل البيت معلومًا ، ويسمونه كلمات الفرج ، فيتكلمون بها في النوائب والشدائد ، متعالم عندهم غياثه والفرج به ، وفيه زيادة : لا إله إلا الله العلي العظيم .

٩٤٠ـ **حدثنا** عمر بن يحيى بن نافع الأيلي قال : حدثنا حكيم بن حزام ، عن العلاء بن جبير ، عن مكحول : كلمة الفرج : لا إله إلا الله العلي العظيم ، لا إله إلا الله الحليم الكريم ، سبحان الله رب السماوات السبع ورب العرش العظيم ، الحمد لله رب العالمين .

٩٤١ـ **حدثنا** أحمد بن شداد قال : حدثنا علي بن قادم الكوفي قال : حدثنا علي بن صالح ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن مرة ، عن عبد الله بن سلمة ، عن علي رضي الله عنه ، قال(١) : [١/ ٢٧٧/ أ] قال رسول الله ﷺ : " ألا أعلمك كلمات إذا أنت قلتهن غفرت لك ذنوبك -مع أنه مغفور لك- : لا إله إلا الله الحليم الكريم ، لا إله إلا الله العلي العظيم ، سبحان الله رب السماوات السبع ورب العرش العظيم ، الحمد لله رب العالمين " .

٩٤٢ـ [**حدثنا** أبي رحمه الله قال : حدثنا أحمد بن يونس وعبيد بن الصباح الكوفي قالا : حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن(٢) عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن علي رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال لعلي . . . فذكر مثله .

---

(١) سقط من (ص) " قال " .

(٢) في (ص) " ابن " والمثبت الصواب كما في كتب التراجم .

٩٤٣ـ حدثنا أحمد بن عثمان بن حكيم الأودي قال : حدثنا شريح بن مسلمة التنوخي عن أبيه ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن مرة ، عن عبد الله بن سلمة ، عن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " ألا أعلمك كلمات إذا أنت قلتهن وعليك مثل عدد الذر من الخطايا ؛ غفر لك -على أنه مغفور لك- تقول : لا إله إلا الله العلي العظيم ، لا إله إلا الله الحليم الكريم ، سبحان الله رب السماوات السبع ورب العرش العظيم ، الحمد لله رب العالمين " .][1] فهذه كلمات جامعة : وحّده ، ثم وصفه بالعلو والعظمة ونزهه بهما على كل سوء ، وميزه منه على عن شبه المخلوقين ، وعظم عن درك المفكرين أن تبلغه قرائحهم . ثم وحّده ثانية ، ثم وصفه بالحلم والكرم فوسعهم حلمًا وكرمًا ، ففرقهم في نعمه ، عاملوه بما لا يحبه فعاملهم بما يحبون ، ثم عفا عنهم فقال في تنزيله : ﴿ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ﴾ [آل عمران : ١٥٢] ثم قال : ﴿ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ﴾ [آل عمران : ١٥٢] هكذا معاملته ، ثم نزهه بالتسبيح ، وختمه بالحمد .

---

(١) ما بين المعقوفين سقط من (د) .

الأصل الثمانون والمائة

٩٤٤- **حدثنا** أبي رحمه الله قال : حدثنا مكي بن إبراهيم قال : حدثنا جعفر بن الزبير عن القاسم ، عن أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ : " رأيت على باب الجنة مكتوبًا : القرض بثمانية عشر ، والصدقة بعشر ، فقلت : يا جبريل : ما بال القرض بثمانية عشر ، والصدقة بعشر؟ قال : لأن صاحب القرض لا يأتيك إلا وهو محتاج ، وربما وضعت الصدقة في غني " .

٩٤٥- **حدثنا** عتبة بن عبد الله بن عتبه الأزدي قال : حدثنا محمد بن عيسى أبو مالك ، عن جعفر بن الزبير ، عن القاسم ، عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " رأيت على باب الجنة مكتوبًا : القرض بثمانية عشر ، والصدقة عشرًا ، فقلت : يا جبريل : ما بال القرض أعظم أجرًا ؟ قال : [١/ ٢٧٧/ ب] لأن صاحب القرض لا يأتيك إلا محتاجًا ، وربما وقعت الصدقة في غير أهلها " .

٩٤٦- **حدثنا** محمد بن أبي تميلة[1] المروزي قال : حدثنا الحسن بن محمد الأعمش قال : حدثنا بشر بن نمير القشيري ، عن القاسم عن أبي أمامة[2] رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " رأيت مكتوبًا على باب الجنة : الصدقة بعشر ، والقرض بثمانية عشر ، فقلت : يا جبريل ، ما هذا؟ قال : إن الصدقة ربما وقعت في يد غني ، وصاحب القرض لا يأتيك إلا وهو محتاج " .

٩٤٧- **حدثنا** عمر بن أبي عمر العبدي قال : حدثنا هشام بن عمار قال : حدثنا خالد بن يزيد عن أبي مالك[3] ، عن أبيه ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " رأيت ليلة أسري مكتوبًا على باب الجنة : الصدقة بعشر ، والقرض بثمانية عشر ، فقلت : يا جبريل : ما هذا؟ قال : الصدقة بعشرة ، والقرض بثمانية عشر ؟ قال : لأن المتصدق عليه يعطى وعنده ، والمستقرض لا يأتيك إلا من حاجة " .

---

(١) في (د) " محمد بن أبي نملة " .
(٢) في (ص) " القاسم بن أبي أمامة " .
(٣) في (ص) " خالد بن يزيد بن أبي مالك " .

معناه عندنا : أن المتصدق حسب الدرهم الواحد بعشرة ، فدرهم صدقته وتسعة زائدة ، فصارت له عشرة ، والقرض ضوعف له فيه : فدرهم قرضه والتسعة مضاعفة ، فهو ثمانية عشر ، والقرض لم يحسب له؛ لأنه يرجع إليه ، فبقي له التضعيف فقط ، وهو ثمانية عشر ، والصدقة لم يرجع إليه الدرهم ، فصارت له عشرة بالذي أعطى .

الأصل الحادي والثمانون والمائة

٩٤٨ـ حدثنا خالد بن عقبة بن خالد السكوني قال : حدثنا حسين الجعفي ، عن زائدة ، عن عاصم ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قام يخطب فقال : قام فينا رسول الله ﷺ عام أول كقيامي فيكم ، ثم بكى ، ثم أعادها ، ثم بكى ثم أعادها ، ثم بكى فقال : إن الناس لم يعطوا شيئًا أفضل من العفو والعافية ، فسلوهما الله .

فالعفو والعافية مشتق أحدهما من الآخر ، إلا أن العفو يستعمل في نوائب الآخرة ، والعافية تستعمل[1] في نوائب الدنيا . وقد يقال : في نوائب الدنيا : عفا عنه فلم يبتليه[2] به ، وفي نوائب الآخرة : عافاه فلم يعاقبه . إلا أن الغالب في اللغة يستعمل لفظة العفو في نوائب الآخرة ، وقد جاءت رواية أخرى عن رسول الله ﷺ بذكر العفو [١/٢٧٨/أ] والعافية في الدنيا والآخرة ، ليعلم أن أحدهما -وهو العفو- في الآخرة ، والعافية في الدنيا ، وكلاهما يرجع إلى شيء واحد ، فيقال في موضع العقوبة : عفا عنه ، وفي موضع البلاء : عافاه .

وأصل التفضل عليه : أن يتفضل على عبده فلا يعاقبه ، وأن يتفضل على عبده فلا يبتليه . والعفو الدرس أيضًا وهو أن يدرس آثار الذنوب والبلاء عن جوارحه وشخصه ، فإن لكل نعمة تبعة ، ولكل ذنب نقمة في الدنيا والآخرة ، فإذا درست عنه التبعات والنقمات تخلص هذا في العفو .

وأما العافية فلكل نفس عند مدبر الأمور تدبيره ، وإذا تنفس أخرج نفسًا ، واستمد من الجواحز[3] مثله ، وفيه السلامة والآفة ، فإن نزعت الآفة منه سلمت لك النفس ، فعوفيت من البلاء ، وإذا طعمت أو شربت فمثل ذلك أيضًا ، واستقامة الطبائع لهما وبغير ذلك من الأحوال ، فالعافية أن تدرس عنك تلك الحوادث التي يحدث منها تلك البلايا .

---

(١) في (د) " يستعمل " .
(٢) في (ص) " يقتله " .
(٣) كذا في (ص) ، وفي (د) " الجوارح " .

الأصل الثاني والثمانون والمائة

٩٤٩ـ حدثنا الفضل بن محمد قال : حدثنا كثير بن عبيد الحمصي قال : حدثنا بقية ، عن الأوزاعي ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " إن الله يحب الملحين في الدعاء "(١) ففي الإلحاح مَلق ، والمؤمن حبيب الله ، ولحبه رزقه معرفته ؛ لأنها أعز شيء في خزائنه ، فكلما كثر سؤال الحبيب فهو أحب إلى محبه ، والله يحب صوته .

فروي في الخبر عن رسول الله ﷺ : " أن الله تبارك وتعالى يقول : يا جبريل : قد قضيت حاجته ، وأجبت دعوته ، ولكن أحبسها عنه ، فإني أحب صوته " .

٩٥٠ـ حدثنا صالح بن محمد قال : حدثنا قاسم العمري ، عن محمد بن المنكدر ، عن رجل من الأنصار قال : سمعت أبي يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك .

وروي في الخبر أن الله تعالى يقول : " أُنزل البلاء أستخرج به الدعاء " .

٩٥١ـ حدثنا بذلك عبد الله بن سعيد الأشج قال : حدثنا أبو يحيى التيمي ، عن ليث ، عن محمد ، عن وهب بن منبه قال : نجد فيما أنزل الله في بعض الكتب أن الله تعالى يقول : أُنزل البلاء أستخرج به الدعاء .

٩٥٢ـ حدثنا الفضل بن محمد قال : حدثنا دحيم الدمشقي قال : واسمه عبد الرحمن بن إبراهيم قال : حدثنا الوليد بن مسلم قال : حدثنا سعيد بن عبد العزيز قال : قال رسول الله ﷺ : [١/ ٢٧٨/ ب] قال داود صلوات الله عليه : سبحان مستخرج الدعاء بالبلاء ، سبحان مستخرج الشكر بالرخاء .

وروي عن كعب قال : قال الله تعالى لموسى عليه السلام : يا موسى اطلب العلف والدقة لشاتك ، ولا تستحي أن تسألني صغيرًا ، ولا تخف مني بخلاً أن تسألني عظيمًا ، يا موسى أما تعلم أني خلقت الخردلة فما فوقها ، وإني لم أخلق شيئًا إلا وقد علمت أن الخلق يحتاجون إليها ، فمن سألني مسألة وهو يعلم أني قادر أعطي

---

(١) ذكره الحافظ في تلخيص الحبير (٢/ ٩٥) وقال : رواه العقيلي وابن عدي والطبراني في الدعاء من حديث عائشة تفرد به يوسف بن السفر عن الأوزاعي ، وهو متروك . وكان بقية ربما دلسه .

وأمنع ، أعطيته مسألته مع المغفرة ، فإن حمدني حين أعطيه وحين أمنعه أسكنته دار الحمادين . وأيما عبد لم يسألني مسألة ، ثم أعطيته كان أشد عليه عند الحساب ، ثم إذا أعطيته ولم يشكرني عذبته عند الحساب .

٩٥٣ـ حدثنا بذلك عبد الله بن أبي زياد القطواني قال : حدثنا سيار قال : حدثنا موسى بن سعيد الراسبي ، قال : حدثنا هلال أبو حيلة(١) ، عن عبد السلام(٢) ، عن أبيه ، عن كعب .

فالدعاء اعتراف العبد بأن ذلك منه ، فإذا أعطاه كان قد قدم الشكر ؛ لأن الشكر إنما هو رؤية العبد من ربه من ذلك العطاء ، فالحمد لله قولاً ، والحفظ للجوارح له طاعة ، فإذا لم يسأل فأعطي اقتضي الشكر ، فحوسب لاقتضائه ، فإذا لم يوجد الشكر جاء العذاب ، وإنما صار المُلِحُّ محبوبًا؛ لأنه لا ينقطع رجاؤه ، [فهو يسأل فلا يري إجابة ، ثم يسأل فلا يري إجابة فلا يزال يلح ولا ينقطع رجاءه](٣) ولا يدخله اليأس ، فذلك لعلمه بالله وصحة قلبه وصدق عبودته واستقامة وجهته ، فمن صدق الله في دعوته ، استعمل اللسان وانتظر بالقلب مشيئته ، ولا يضيق ولا ييأس؛ لأن قلبه صار معلقًا بمشيئته ، فانتظاره المشيئة من أفضل ما يقدم به على ربه ، وهو صفة العبودة ، فاستعماله اللسان عبادة؛ لأن في السؤال اعتراف بأنها له ، وفي انتظار مشيئته لقضائه عبادة ، فهو بين عبادتين سريتين وجهريتين فاضلتين ، سرية وجهرية ، وأفضل الدعاء ما داوم عليه .

وجاء عن رسول الله ﷺ أنه قال : " ليدع أحدكم ، ولا يقولن أحدكم : قد سألت فلم يستجيب لي " .

وجاء عن رسول الله ﷺ أنه قال : " إن العبد المؤمن يستجاب له " ، فالإجابة إذا قال العبد : يا رب . قال الله عز وجل : لبيك؛ لأنه إنما ناداه بأنه لا رب له غيره ، فصدق الكريم قوله في ذلك فأجابه ، فإذا سأله حاجة فهو منه على إحدى ثلاث :

---

(١) في (ص) " أبو جله " .

(٢) في (د) " أبي عبد السلام " .

(٣) ما بين المعقوفين سقط من (ص) .

إما أن يعجل له حاجته ، وإما أن يصرف عنه بمسألته بدل حاجته [١/ ٢٧٩/ أ] شرًا ، وإما أن يدخر له في آخرته ما هو خير له مما سأل ، فلم تسقط دعوته على حال ، قال الله عز وجل لموسى : ﴿ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا ﴾ [يونس : ٨٩] .

٩٥٤ـ **فحدثنا** عمر قال : حدثنا أبو سلمة موسى بن إسماعيل ، عن أبي عوانة ، عن الأعمش ، عن مجاهد قال : بعد أربعين سنة .

قال أبو عبد الله(١) :

وقد كان كثير من السلف الصالح يمتنعون من الدعاء ، يخافون من خيانة نفوسهم ، لا يحبون أن يراهم الله في طلب الحاجة ، كأهل الغفلة يطلبونها بنهمة وشهوة ، وأما أهل اليقين فإنهم يدعون ويلحون ، وهم في ذلك ساكنون مطمئنون ينتظرون مشيئته ، فإن أجاب قبلوا ، وإن تأخر صبروا ، وإن منع رضوا وأحسنوا الظن .

كما قال أبو حبيب البدوي :

٩٥٥ـ **حدثنا** الفضل بن محمد قال : حدثنا عبد الله الأنطاكي قال : حدثني أبو الفيض قال : قال سفيان الثوري : أتيت أبا حبيب البدوي أسلم عليه ، وما كنت رأيته قط ، فقال : أنت سفيان الثوري الذي يقال؟ قلت : نعم نسأل الله بركة ما يقال ، ثم قال لي : يا سفيان : ما رأينا خيرًا قط إلا من ربنا . قلت(٢) : أجل . قال : فما لنا نكره لقاء من لا نرى خيرًا قط إلا منه . ثم قال لي : يا سفيان : منع الله إياك عطاء منه لك ، وذلك أنه لم يمنعك من بخل ولا عدم ، وإنما منعه نظرًا واختبارًا ، يا سفيان إن فيك لأنسًا ، ومعك شغلًا ، سلام عليك . ثم أقبل على غنيمته وتركني ، فمن شأن أهل الجود الإعطاء فذاك أحب إليهم من الأخذ للسؤال ، ومعروف في أهل السماحة والجود أنه يلتذ بجوده وعطاياه أكثر مما يلتذ الآخذ بالنوال ؛ لأن الأخذ خلق الفقراء ، والإعطاء خلق الأغنياء ، وهو خلق أهل الجنان ، وهو خلق الله الأعظم .

٩٥٦ـ [**حدثنا** قتيبة بن سعيد قال : حدثنا محمد بن يزيد بن حسن قال : كان من دعاء سفيان الثوري : يا من يحب أن يُسْأَل ، ويغضب على من لا يسأله ، ويا من أحب عباده إليه من

---

(١) غير موجودة في (د) .

(٢) في (ص) " قل " .

سأله فأكثر سؤاله ، وليس أحد كذلك غيرك يا كريم ، ويا من أبغض عباده إليه من لم يسأله ولم يطلب إليه ، وليس أحد كذلك غيرك يا كريم ، ويا من أحب عباده إليه من سأله العظيم ولم يعظم عليك ، وعزتك عظيم يا عظيم][١] .

---

(١) ما بين المعقوفين سقط من (د) .

الأصل الثالث والثمانون والمائة

٩٥٧ـ حدثنا عمر بن أبي عمر العبدي قال : حدثنا المسيب بن واضح السلمي قال : حدثنا ابن المبارك(١) عن معمر ، عن سماك بن الفضل ، عن وهب [١/ ٢٧٩/ ب] بن منبه ، عن عبدالله بن عمرو أن رسول الله ﷺ أمره أن يقرأ القرآن في أربعين ليلة ، فاستزاده حتى رجع إلى سبع . فالأربعون مدة الضعفاء وأولي الأشغال ، ينقسم الجميع على الأربعين ، فيكون في كل يوم مائة وخمسون آية وزيادة آيات يسيرة ، وفي السنة يبلغ ختمه تسع مرات ، ومدة الأربعين مرددة في أشياء كثيرة ، من ذلك :

أن الإنسان خلق لأربعين نطفة ولأربعين علقة ولأربعين مضغة ، ولأربعين سنة يتم شبابه ثم يدبر ، وبين النفختين أربعون ، ومكث آدم صلوات الله عليه في طينته أربعين ، ومواعدة موسى بطور سيناء أربعون ، وسلطان الدجال في الأرض أربعون ، وعدة النفساء إذا رأت الدم أربعون ، ووقت إقامة الفطرة في الجسد أربعون ، وتمام الرباط أربعون ، وبلوغ الأشد واجتماع القوة أربعون .

وأما توقيت السبع فإنه للأقوياء الذين يقوون على سهر الليل ، واحترفوا العبادة وتفرغوا من أشغال النفس والدنيا ، والمدة الأولى العامة ييسر عليهم ذلك ، وصارت مداومة وأحب الأعمال إلى الله تعالى ما ديم عليه .

٩٥٨ـ حدثنا الفضل بن محمد قال : حدثنا محمد بن إبراهيم بن الخطاب الليثي قال : حدثني أبي عن إسحاق بن خليفة ، عن ليث عن مجاهد قال : قال رجل : يا رسول الله من قرأ القرآن في سبع؟ قال : " فذلك عمل المقربين " قال : يا رسول الله فمن قرأه في خمس؟ قال : " ذلك عمل الصديقين " قال : يا رسول الله فمن قرأه في ثلاث؟ قال : " ذلك عمل النبيين وذلك الجهد ، ولا أراكم تطيقونه ، إلا أن تصبروا على مكابدة الليل ، أو يبدأ أحدكم بالسورة وهمه في آخرها " قالوا : يا رسول الله ففي أقل من ثلاث؟ قال : " لا " قال : " ومن وجد منكم نشاطًا فليجعله في حسن تلاوتها .

٩٥٩ـ حدثنا محمد بن إبراهيم ، قال : سألني يحيى بن معين عن هذا الحديث .

---

(١) في (ص) " المبارك " .

فإنما مخرج هذا الكلام من رسول الله ﷺ على المداومة عليه ، وإن صيرها عادة وحرفة . ولو أن رجلاً في بعض أيامه قرأ القرآن في يوم واحد أو ليلة واحدة لكان فاضلاً عظيم القدر .

وروي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه ختمه في ركعة واحدة . فإنما وقت هذه المدد لمن يداوم عليها ويصيرها حرفة موظفة ، [١/ ٢٨٠/ أ] وكان رسول الله ﷺ مما يقرأه في سبع تيسيرًا على الأمة ، فكان يبتدئ فيه فيجعله ثلاث سور حزبًا ، ثم من بعده إحدى عشر سورة حزبًا ، ثم من بعده ثلاثة عشر حزبًا ، ثم من بعده المفصل حزب ، فذلك سبعة أحزاب .

٩٦٠- حدثنا بذلك أبي رحمه الله قال : حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين قال : حدثنا عبد الله ابن عبد الرحمن بن يعلى بن كعب الثقفي قال : حدثني عثمان بن عبدالله بن أوس عن أبيه عن جده قال : احتبس عنا رسول الله ﷺ ليلة ، فقلنا له فقال : " إنه طرأ على حزب من القرآن ، فأحببت أن لا أخرج من المسجد حتى أقضيه " فقلنا لأصحاب رسول الله ﷺ : إن رسول الله ﷺ حدثنا أنه طر عليه[1] حزب من القرآن ، فكيف تحزبون ؟ قالوا : ثلاث سور وخمس سور وسبع سور وتسع سور وإحدى عشرة وثلاث عشرة سورة وحزب المفصل ما بين ق فأسفل .

فدلهم رسول الله ﷺ في الحديث الأول على حسن التلاوة ، فإن القرآن موعظة ، والله يحب أن يعقل عنه مواعظه ونصائحه ولطائفه ، في غرائز الآدميين موجود أن من كلم آخر بشيء أراد بذلك تشريفه وبره وألطافه ، فاستمع إلى كلامه بأذنه لاهيًا عن ذلك بقلبه ، وأنه يسقط من عينه ، فكيف برب العالمين يخاطب عبيده بشيء ، يريد بذلك إظهار ما لهم عنده من الأثرة والمحبة ، ويحب أن يعجل أوائل بره في عاجل محياهم؛ ليتلذذوا به ويفرحوا ، فمر عليه هذا التالي له بهذه ، هذا وقلبه في عمى عن ذلك ، وخاطب بعض عبيده بوعيده يريد أن يود به بذلك حتى ينجع قلبه ويتأدب ، فمر على خطابه تاليًا له وهو بهذه لوقته ، وقد أدب الله عباده ودلهم على الترتيل فيه فقال : ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾ [المزمل : ٤] وقال عز وجل : ﴿ وَقُرْءَانًا

(١) في (ص) " على " .

فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ ﴾ [الإسراء : ١٠٦] وقال : هذا ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [ص : ٣٨] .

فإنما دلهم على الترتيل والتمكث والتؤدة فيه والتدبر ليصل إليهم نفع ذلك ، فأفضلهم قراءة أعقلهم عنه ، فمن أسرع القراءة وعقل عنه كان في نور عظيم وعليا منزلة ، فذلك لفضل نوره ، ومن قصر ذلك فالتفكر والتدبر له خير [١/ ٢٨٠/ب] وأنفع .

الأصل الرابع والثمانون والمائة

٩٦١ـ حدثنا أبي رحمه الله قال : حدثنا زائدة بن قدامة أبو الجيم الأسدي الكوفي قال : حدثني أبي قدامة عن زائدة عن الأعمش عن ذر ، عن حذيفة رضي الله عنه قال : قام رسول الله ﷺ على المنبر ، فدعا الناس بيده هكذا ، قال : " اجلسوا " فأقبل الناس فقال بيده هكذا : " اجلسوا " ثم قال : " إني رأيتكم تطلبون معايشكم ، هذا رسول رب العالمين جبريل نفث في روعي أن لا تموت نفس حتى تستكمل رزقها ، وإن أبطأ عليها ، فاتقوا الله أيها الناس وأجملوا في الطلب ، ولا يحملنكم إبطاء شيء من الرزق أن تأخذوه بمعصية ، فإن الله لا يدرك ما عنده إلا بطاعته .

٩٦٢ـ حدثنا عبد الرحيم بن يوسف قال : حدثنا يعلى عن إسماعيل بن أبي خالد عن زبيد اليامي ، عن ابن مسعود رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ بمثله .

فحديث حذيفة أتم حديث في هذا الباب فيما نعلمه وأغربه ، وفيه ما دل على أن هذا كان وحيًا وأنه نطق بهذا الكلام طريًا عندما جاء به ؛ لأنه قال هذا رسول رب العالمين ، يشير إليه كأنه شاهده في ذلك الوقت " نفث في روعي " والروع القلب ، والنفث هو من الروح مع الروح ، والروح أمر عظيم من أمره ، وروي عن وهب بن منبه رضي الله عنه أن أول ما خلق الله الروح ، ثم شق منه الهواء ، ثم شق من الهواء النور والظلمة ، ثم خلق من النور الماء والنار والريح ، وخلق العرش على ظهر الماء ، والماء على الريح ، فالروح بدء خلقه .

[حدثنا محمد بن عامر حدثنا أبو عبد الله محمد بن علي][(١)] :

فاعلم أن الأرزاق معلومة ، فقسط كل نفس واصل إليها ، وإن هربت منه ، وأنه غير ميت حتى تستوفي ما قسم لها ، فحذرهم عن الغفلة عن هذه القصة وأن يتقوه ، ودلهم على جمال الطلب ، فجمال الطلب أن يحسن نيته في طلبه ، وهو أن يطلبه للعفة ولقوام الدين وللقيام بما أمر الله في ذلك ، وأن يحفظ فيه الجوارح ويحفظ الأمانة ويبذل النصيحة ، ويتجنب الخيانة والحلف والكذب والغش ، وأن يطلبه مع

---

(١) ما بين المعقوفين سقط من (د) .

ذكره لآخرته ، وقد وصف الله تعالى في كتابه فقال : ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ * لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [١/ ٢٨١/أ] [النور : ٣٧ - ٣٨] .

قال : الشفاعة ، فخوف ذلك اليوم طهر قلوبهم ، وأذهل نفوسهم عن شهوة تستخفهم وعن فتنة في طلبها تستفزهم ، فلم تلههم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، قد أمات خوف العقاب منهم كل حرص كان يعجلهم في أمر دنياهم ، وأكسلهم ثقل الحساب غدًا في ذلك الموقف العظيم عن طلبه حتى يخلصوا بذلك من فتنته .

الأصل الخامس والثمانون والمائة

٩٦٣- **حدثنا** الفضل بن محمد قال : حدثنا سليمان بن سلمة ، عن عبد الجبار الحمصي قال : حدثنا يعقوب بن خيثم قال : حدثني عمرو بن جرير ، عن عبد العزيز ، عن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " قال الله تبارك اسمه : إذا وجهت إلى عبد من عبادي مصيبة في بدنه أو في ولده أو في ماله ، فاستقبلها بصبر جميل؛ استحييت يوم القيامة أن أنصب له ميزانًا ، أو أنشر له ديوانًا "(١) .

فاشترط جمال الصبر في صبره ، وهو الرضا ، وذلك أن الصبر ثلاثة : صبر الموحدين ، وصبر المقتصدين ، وصبر المقربين .

فأما صبر الموحدين بأن لا يسخطوا على ربهم حتى يجوزوه ، ولكن على إيمانهم به صبروا أنه عدل عليهم في ذلك ، ثم أهملوا جوارحهم في المعاصي لحرقة تلك المصيبة ، وهو صبر ممزوج بالجزع ، فهو صبر الظالمين لأنفسهم .

فأما صبر المقتصدين فإنهم صبروا بالقلب والجوارح ، فرضوا بالقلب عن ربهم ، وحفظوا جوارحهم عن أن يعصوا الله بجارحة بسبب ما نزل عليهم ، وفي النفس كزة وشدة ومرارة وعسرة ، فلم يملكوا أكثر من هذا ، ولا قدروا على إخراج هذه الأشياء من النفس؛ لأن نفوسهم حية بالشهوات رطبة حارة ، فحفظوا جوارحهم ورضوا عنه قلبًا ، ولم يملكوا كراهة النفس ، فهذا صبر قد أذهبت النفس شؤمها ، وخلقها جمال الصبر .

وأما صبر المقربين فهو الرضا ، لم تجد لوعة المصيبة في قلوبهم مساغًا؛ لما فيها من الحلاوة واللذاذة بقرب الله ، وذلك أن النور لما اشتعل في صدورهم بعد أن امتلأ القلب منه ، فأحرقت ذات الصدور من شهوات النفس ومناها ، وصار الصدر مستنيرًا من نور القلب ، فذاك عبد قد شرح الله صدره للإسلام وهو التسليم ، فهو على نور من ربه ، فصارت الشهوة ميتة ، فلم يبق في [١/ ٢٨١/ب] النفس عكر ولا كزة ولا مرارة ولا عسرة ، انتهت النفس عن نومتها ، وخرجت عن(٢) سكرها ،

---

(١) ذكره السيوطي في الجامع الصغير وعزاه للحكيم ، ورمز له بالضعف .

(٢) في (د) " من " .

فأفاقت فصارت مشيئة الله عندها أحلى من مشيئتها ، وهذا موجود في الطبائع ، إذا أحببت عظيمًا من عظماء الدنيا ممن قد سبا قلبك حبه وملكك وده؛ صارت لمشيئته عندك من الحلاوة على قلبك ما يزيف مشيئتك ويدرسها عن قلبك ، ذاك لشغوفك به ، فكيف يكون هذا عندك موجود فيما بينك وبين الآدمي ، ثم إذا صرت إلى عظيم العظماء ومالك الملوك وسيد السادات نفيت عن هذا ذاك؛ لأن القلب قد خلا من عظمته وعمي[١] عليك سؤدده وجهلت ملكه ، فالمقربون بالقربة نالوا هذا حتى ذهب الكزة من نفوسهم ، وصار بدل المرارة حلاوة وبدل العسرة غنى ، فأعينهم مادة إلى صنعه ، فأينما برزت مشيئته في شيء من حجب غيبه وقفت قلوبهم عند مشيئته ، وهم الصادقون في قولهم ما شاء الله كان .

فالمخلطون صبرهم صبر إيمان محشو بالجزع ، والمقتصدون صبرهم صبر رضا مع كزة النفس ، والمقربون بالقربة نالوا هذا حتى ذهبت الكزة من نفوسهم وأفعالهم أفعاله منيتهم؛ لأنه قد انكشف لهم أنه قد أوصلهم إلى أشرف الأشياء بعطفه ورأفته ومنته[٢] ، وهو معرفته ، فلم يتهموه بعد ذلك في حال من أحوال أنفسهم ، فكيف ما دبر لهم من محبوب أو مكروه وقع ذلك منهم موقع بر وعطف ورأفة ورحمة ، كما قال معاذ بن جبل رضي الله عنه حين أصابه الطاعون ، فيغشى عليه ثم يفيق فيقول : اخنق خنقك ، فوعزتك لا تزداد بذلك عندي إلا حبًّا .

٩٦٤ـ **حدثنا** صالح بن محمد قال : حدثنا عبد الحميد بن بهرام الفزاري قال : حدثنا شهر ابن حوشب قال : حدثنا عبد الرحمن[٣] بن غنم قال : سمعت الحارث بن عميرة الحارثي يحدث أن معاذًا اشتد به النزع في الطاعون ، فنزع نزعًا لم ينزعه أحد ، فكان كلما أفاق من غمرة فتح طرفه ثم قال : اخنقني خنقك رب ، فوعزتك ربي إنك لتعلم أن قلبي يحبك .

٩٦٥ـ **حدثنا** إبراهيم بن إسماعيل بن يحيى بن سلمة بن كهيل قال : حدثني أبي عن أبيه ،

---

(١) في (د) " غمر " .

(٢) في (ص) " منه " .

(٣) في (د) " عبد الحميد " .

عن سلمة قال : أخذ معاذ بن جبل طاعون في حلقه قال : يا رب إنك لتخنقني وإنك لتعلم إني أحبك[١] .

٩٦٦ـ **حدثنا** قتيبة بن سعيد ثنا محمد بن يزيد بن حسن المكي عن سفيان الثوري قال : كان الربيع بن خثيم ربما خرج في مرضه ذلك فيجده إخوانه صريعًا فيمزعون[٢] عليه حتي يفيق فيقول : يارب غط ما شئت إن تغط فوعزتك لا تزداد عندي إلا حُبًا ، فقال له : إنك لفي صيغة أن لا تكلف نفسك هذا فيقول : فكيف بهذا الذي ينادي حي علي الصلاة لا أقدر أن أجيبه ، فصبر المقربين رضي القلب ورضي وصبر [٣] المقتصدين رضي القلب مع حفظ الجوارح وصبر المخلطين رضي الإيمان فقط .

٩٦٧ـ **حدثنا** الفضل بن محمد . . . [٤] بن مصفي . . . [٥] ثنا بقية عن إسماعيل . . . [٦] عن عاصم بن رجاء بن حيوة عن أبي عمران عن أبي سلام عن ابن غنم الأشعري عن أبي موسي رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم . . . [٧] غير ذلك فقد أدى وسعه ولا تكلف نفس إلا وسعها .

رجعنا إلي حديث سليمان بن سلمة قال : " فإذا أخذ ذلك بصبر جميل " استحييت أن أنصب له ميزانًا أو أنشر له ديوانا فهذا من أجل أن هذا العبد إذا صار في هذه الدرجة أن تلقى أحكامه بالرضا ، وهو جمال الصبر فهو من خاصته وأوليائه وأنصار حقه ، والخاصة لا يحاسبون ولا يفتشون ولا يقابلون في الثواب بالأعمال إنما يرجعون في الجنة إلي تعالي الدرجات بالحظوظ التي كانت في قلوبهم كقربهم من ربهم أيام الحياة ويسامحون بالهوال في الدرجات لما مختبهم بنفوسهم لم يكن لهم

---

(١) سقط من (ص) " إني أحبك حدثنا قتيبة بن سعيد . . . إلي أخر الأصل " .
(٢) هكذا استظهرت قراءتها .
(٣) مقدار كلمتين مطموسة بالأصل .
(٤) طمس بالأصل .
(٥) طمس بالأصل .
(٦) طمس بالأصل .
(٧) لم أستطع قراءتها بالأصل .

شيء أعظم من نفوسهم فالقوها بين يديه عبيدًا كما خلقهم فثوابهم بغير حساب ، ونوالهم بغير مقدار ومرتبتهم لا توصف .

٩٦٨- حدثنا أبي رحمه الله ثنا أحمد بن يونس عن إسرائيل عن رجل عن الشعبي قال : إني أرجو أن مؤمني هذه الأمة تدخل مداخل الأنبياء من الجنة . فإنما أراد بقوله : " مؤمني هذه الأمة " المؤمن البالغ في إيمانه وهم المقربون الذين وصفناهم .

ويحقق قول الشعبي :

٩٦٩- ما حدثنا به رزق الله بن موسي الناجي ثنا معن بن عيسى ثنا مالك بن أنس عن صفوان . . . [1] عن . . . [2] بن يسار عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : " إن أهل الجنة ليترايون أهل الغرف من فوقهم كما يراهم . . . [3] الدري . . . [4] المغرب ليفاضل ما منهم قالوا : يا رسول الله تلك منازل الأنبياء . . . [5] والذي نفسي بيده ، رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين هم الذين وصفهم الله في تنزيله فقال : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ [الفرقان : ٦٣] إلي قوله ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ ﴾ [الفرقان : ٧٥] فهم المقربون قربوا من الأنبياء فقال : حتي دخلوا مداخلهم ، وذكرهم في آية أخري ﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ﴾ ثم قال ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ﴾ فهذه أعلي من التي ذكرها في آية أخري فقال : ﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ بالتي عرضها السماوات والأرض .

روي عن وهب بن منبه أن السماوات والأرض والجنة التي عرضها كعرض السماء والأرض ، والجنة موضع في هوا[6] عليين فهي الدرجات العلي ، وإنما ذكر ذلك

---

(١) مقدار كلمة مطموسة بالأصل .
(٢) مقدار كلمة مطموسة بالأصل ، ولعل " صفوان بن سليم عن سليمان بن يسار " .
(٣) مقدار كلمة مطموسة بالأصل .
(٤) مقدار كلمة مطموسة بالأصل .
(٥) طمس بالأصل .
(٦) كذا بأصل .

الحرف الواحد إنما يحدث مكان السماوات لم يذكر ما أتينا به من الآيات مصداقًا له فقال في الحديث : بلي والذي نفسي بيده رجال آمنوا وصدقوا المرسلين ، فهذا إيمان النفوس الصديقين بصدقهم ولو كان إيمان المخلطين وتصديقهم ما نالوا الغرف التي . . . [١] أهل الجنة من دونهم ، فإنما تُنصب الموازين وتنشر الدواوين لمن عاجل الله عني التاجرة فعل العبودة علي اقتضاء الثواب ، فقال لهم كما قال في تنزيله : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ [البقرة : ٤٠] فالحساب والوزن ويقع علي هؤلاء ، فأما من عامل الله علي العبودة الصافية يري تدبير الله بقلبه كيف شاء ، ويصرف أحواله كيف أراد خلقه كما شاء . . . [٢] بقلبه شهوات في خلال الله ونفسه مسبوته [٣] في عظمة الله . . . [٤] العبيد في طاعة بين يديه ، وتكن عيناه . . . [٥] لا يفكر في حسن ذلك من نوال وغيره .

---

(١) مقدار كلمة لم أستطع قراءتها .

(٢) مقدار كلمة مطموس بالأصل .

(٣) هكذا استظهرت قراءتها في الأصل .

(٤) طمس بالأصل .

(٥) طمس بالأصل .

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر يا كريم

الأصل السادس والثمانون و المائة

٩٧٠- حدثنا إبراهيم بن عبد الحميد الحلواني ، ثنا عمرو بن الربيع المصري ، ثنا يحيى بن أيوب ، عن عيسى بن موسى بن إياس بن بكر ، أن صفوان بن سليم حدثه ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : " اطلبوا الخير دهركم ، وتعرضوا لنفحات رحمة ربكم ، فإن لله نفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده ، وسلوا الله أن يستر عوراتكم ويؤمن روعاتكم " .

٩٧١- حدثنا الفضل بن محمد ، ثنا أحمد بن محمد بن سعيد الأنطاكي ، عن يعقوب بن كعب ، عن نائل بن نجيح البصري ، عن عائذ بن حبيب ، عن محمد بن سعيد الأنصاري ، قال : وجدت في قائم سيف محمد بن سلمة كيابًا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : " إن لله في أيام دهركم نفحات فتعرضوا لها ، لعل دعوة أن توافق رحمة فيسعد بها صاحبها ثم لا يشقى بعدها أبدا " ، فمثال هذا في تدبيره عند ملوك الدنيا كملك يدرّ الأرزاق على عبيده وجنده شهرا شهرا ، ثم له في خلال ذلك عطية من سماحة وجود ، فيفتح باب الخزانة ، ويعطي منها ما يعم ويستغرق جميع الأرزاق الدارّة التي أخذوها في مدد شتى ، فمن وافق ذلك من الملك استغنى آخر الأبد ، فقوله : " لله نفحات " ، والنفحة : الدفعة من العطية ، فيعطي في دفعة واحدة ما يأتي على كثير من هذه النعم التي يدرّها عليهم فالنفحات من فتحات باب الخزائن ؛ خزائن المنن ، فإن خزائن الثواب بمقدار وعلى طريق الجزاء ، وخزائن المنن الواحدة منها تغرق ؛ لأنها منة يمنّ بها جودا وعطفا ، والذي يعطي على الجزاء بمقدار ، فوقت الفتحة غير معلوم من الساعات والأيام والأزمنة ، فإنما غَيَّب عِلمَه عنهم ليداوموا على طلبها بالسؤال المتدارك ، ويكونوا متعرضين له في كل وقت ؛ قائما وقاعدا ومضطجعا في وقت التصرف في أشغال

الدنيا ، فإنه إذا دام على ذلك كان وشيكا أن توافق دعوته الوقت الذي يفتح ، فيكون قد ظفر بالغنى الأكبر ، وسعد سعادة الأبد ، فإن الذي يتوقع ذلك من الملك لا يدري في أي وقت ينشط الملك فيسمح ويعطف ، فهو يديم الاختلاف في اليوم والليلة مرارا رجاء أن يوافق تلك الساعة ، فكم من سائل قد حرم فرُدّ ، ثم عاد فرد ، ثم عاد فوافق المسئول قد فتح كيسه وهو يزن دراهمه ، فإذا هو قد ظفر بمسألته ، وقلّ ما يخيب السائل عند حضور الطعام وعند [٢/ ب / ٢] وزن الدراهم ، فإذا كان في غير ذلك الوقت حُرِم .

٩٧٢ـ حدثنا محمد بن حسين ، ثنا المعلى بن راشد ، عن معتمر قال : سمعت أبي يحدث ، أن لقمان قال لابنه : يا بني ، عوّد لسانك أن يقول : اللهم اغفر لي ؛ فإن لله ساعات لا تُرَدّ .

٩٧٣ـ وأخبرنا محمد ، ثنا المعلى ، عن معتمر ، قال : سمعت أبا سعد يقول : سمعت الحسن يقول : أكثروا الاستغفار في بيوتكم ، وعلى موائدكم ، وفي طرقكم ، وفي أسواقكم ، وفي مجالسكم ، وأينما كنتم ؛ فإنكم لا تدرون أي حين تنزل المغفرة .

الأصل السابع والثمانون والمائة

٩٧٤- **حدثنا** قتيبة وسفيان بن وكيع ، قالا : ثنا عبد الله بن وهب ، عن عمرو بن الحارث عن دراج ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد ، قال : قال رسول الله ﷺ : " لا حليم إلا ذو عثرة ، ولا حكيم إلا ذو تجربة " .

فالحليم المنشرح صدره الذي يتسع لمساوئ الخلق ومدانئ أخلاقهم وسوء سيرتهم ، فروي في الخبر : كان رسول الله ﷺ من أصبر الناس على أقذار الخلق ، فهذا لانشراح الصدر يتسع فيه ما يضيق به صدور العامة .

وذكر عن الحسن البصري قال : ما سمعت الله نحل عباده شيئًا أقل من الحلم " .

٩٧٥- **حدثنا** أحمد بن عبد الرحيم بن خالد بن زياد الحداني ، ثنا إسماعيل بن إبراهيم ، عن يونس ، قال : سمعت الحسن يقول : ما سمعت الله نحل عباده شيئا أقل من الحلم ؛ فإنه قال : ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ ﴾ ، وقال : ﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴾ [الصافات : ١٠١] .

فإنما عظم حلمهم واستوجب الثناء من العزيز بما ابتلوا ، فاتسعت صدورهم للأمر العظيم الذي حلّ بهم من الذبح ، فاتسع صدر إبراهيم لذبح ولده ، واتسع صدر الغلام في تسليم ذلك لله ، قال الله تعالى : ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ (١٠٣) ۞ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ (١٠٤) ۞ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ﴾ [الصافات : ١٠٣ - ١٠٤] ، وقال : ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ [الزمر : ٢٢] ، فالإسلام هو تسليم النفس لربه عبودة في جميع ما يأمر ، وفي جميع ما يحكم عليه في الأحوال ، فهذا الحلم والمِلح بمعناه ، فكما لا تطيب الأطعمة إلا بالملح ، كذلك لا تطيب النفس ولا يتسع صدره ولا يصلح إلا بذلك النور الوارد على القلب ، فيشرق في الصدر فذاك الحلم ، فبه حليت الأمور في الصدر ، فلا تخبث النفس فيخبثها(١) كما أن الملح لا يترك الأطعمة واللُحمان أن تخبث وتنتن .

٩٧٦- **حدثنا** عمر ، ثنا محمد بن الطفيل ، عن يعقوب بن الوليد المديني ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جده حسين بن علي(٢) ، قال : قال لي علي : يا بني ،

---

(١) كذا بالأصلين .

(٢) في (د) " جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن حسين بن علي " .

ما العلم ؟ قال : خشية الرب واعتزال الخبث ، قال : فما الحلم ؟ قال : كظم الغيظ وملاك النفس .

٩٧٧ـ حدثنا عمر ، ثنا ابن رجاء[١] ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن ابن أبزى[٢] ، قال : قال رسول الله ﷺ : " كان أيوب أحلم الناس ، وأصبر الناس وأكظمهم [٢/ ٣/ أ] للغيظ " . فقال رسول الله ﷺ : " لا حليم إلا ذو عثرة " ، يدل على أنه لا يتسع الرجل لما يرى من الخلق إلا بعد ما يعثر ، فإذا رأى عثرته رحم الخلق واتسع لهم ، واتقى أن يلوم أحدا أو يعيره بذنب ؛ لما قد رأى نفسه فيها فرأى خذلان الله إياه ، ورأى شدة النفس وداهيتها ، وذهابها بالرقبة إذا أصابت فرصتها ، فكما انتظر لنفسه من الله الرحمة ، كذلك ينتظر لهم مثل ذلك ، فكما ساءه أن يعيره أحد بما كان منه ، كذلك يعامل الخلق على العطف والرفق والستر والنصيحة والموعظة الحسنة ، فهذا حليم قد استكمل الحلم ، وعثرة داود عليه السلام وسعته للخطائين ، ومن قبل ذلك كان يشدد عليهم ولا يجالسهم ، حتى روي في الخبر أنه قال : يا رب ، لا تغفر للخطائين ، من شدة الغيرة لله والحنق عليهم ، فلما عثر كان ينظر إلى أغمص مجلس في بني إسرائيل ، فيذهب فيقعد معهم ، ويقول : مسكين بين ظهرانَي مساكين ، وكان يقول : رب اغفر للخطائين كي تغفر لداود معهم .

وقوله : " لا حكيم إلا ذو تجربة " ، فالعقل يدل على الرشد ، والحكمة نور يكشف عن مكنون الأمور ، ولكنه لا يستكمل الحكمة مع كشف الغطاء واطلاعه بالقلب مطلع الأمور حتى يطالع الأمور بمباشرة النفس ، فإن كل شيء تجده القلوب فمباشرة النفس مع القلوب أثبت وآكد ، فالحكيم قد انكشف له الغطاء ، فيرى عواقب الأمور ، ويرى شينها وقبحها ، فإذا رأى ذلك بالجوارح كان ذلك عيانا لا يدفع ولا ينسى ، فهناك بعد التجارب يستكمل الحكمة ؛ لأنها كانت قبل التجربة معاينة القلب ، فصارت معاينة للعين ، كان ذلك علم اليقين فصار الآن عين اليقين ، ألا ترى أن الله تعالى أخبر عن النار فقال : ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴾ [التكاثر : ٥] فهذه رؤية القلب وهو علم

---

(١) في (د) " أبي رجاء " .

(٢) في (د) " أبي أبزي " .

اليقين ، ثم قال : ﴿ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴾ [التكاثر : ٦] أي : يوم القيامة فهذه رؤية العين ، فاعتبر الآن هل يحل لأحد برؤية القلب ، أمر ما هناك ما يحل يومئذ برؤية العين ، ذلك يعلم أن مباشرة الأشياء بالنفس أقوي وأعظم شأنا من معاينة القلب ، وقد سمي الله ذلك علم اليقين وهذا عين اليقين ، ولهذا قيل : إن العقل بالتجارب ، فالعقل انكشافه والتبحر فيه حتى ينفعك في كل مكان ، وكل أمر بالتجارب ، وقد جعل الله في العقل[١] شفاء القلوب ، وفي الأدوية شفاء النفوس ، فالطبيب قد يعلم الطبائع ، ويعلم الأدوية بنعوتها وأساميها ، وإنما يحذق ويفسره إذا جرب الأدوية بالطبائع ، فكذلك العقل إذا جرب الأمور وتبحره معرفة [٢/ ٣/ب] وبصرا .

---

(١) في (ص) " القلب " .

الأصل الثامن والثمانون والمائة

٩٧٨- حدثنا سفيان بن وكيع ، ثنا محمد بن بشر ، عن علي بن صالح ، عن أبي إسحاق ، عن أبي جحيفة ، قال : قالوا : يا رسول الله ، نراك قد شبت ؟ قال : " شيبتني هود وأخواتها " ، فالفزع يورث الشيب ، وذلك أن الفزع يذهل النفس ، فينشف رطوبة الجسد ، وتحت كل شعرة منبع ، ومنه يعرق ، فإذا انتشف الفزع رطوبته يبست المنابع ، فيبس الشعر وابيض ، كما يرى الزرع أخضر بسقياه ، فإذا ذهب سقياه يبس فابيض ، فإنما يبيض شعر الشيخ لذهاب رطوبته ويبس جلده ، ألا ترى أن الممرور يسرع إليه الشيب ، فذلك لانتشاف الماء ، وذلك أن المرة يابسة ، وهي حظ التراب من الجسد ؛ لأن الجسد إنما خلق من تراب وماء ، وفيه الروح وهي[1] بارد ، والنفس وهي حارة ، فهو مركب على أربع طبائع ؛ تراب يابس ، وماء رطب ، وروح بارد ، ونفس حارة ، فيبس التراب للمرة السوداء ، ورطوبة الماء للمرة الصفراء ، وحرارة النفس للدم ، وبرد الروح للبلغم ، فيبس المرة تأدت إلى المنابع فيبست فابيض الشعر ، فالنفس تذهل لوعيد الله وأهوال ما جاء به الخبر عن الله فتذبل وينشف ماؤها ، ذلك الوعيد والهول الذي جاء بها ، فمنه يشيب ، وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴾ [المزمل : ١٧] ، فإنما شابوا من الفزع ، وأما سورة هود فإنما ذكر الأمم وما حل بهم من عاجل بأس الله ، فأهل اليقين إذا تلوها تراءى على قلوبهم من ملكه وسلطانه ولحظاته بالبطش بأعدائه ، فلو ماتوا من الفزع لحُق لهم ، ولكن الله تبارك اسمه تلطف لهم في تلك الأحايين حتى يقرءوا كلامه ، ألا ترى كيف وصف الله في تنزيله شأن الجبال فقال : ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ [الحشر : ٢١] ، فلو نزل على الصخرة لتصدع ، وقد تجلى للجبل فتفطر وساخ واندك وانهار كالرمل ، وصار بعضه كالهباء يطير ، فلولا أن الله تلطف لعبده المؤمن حتى يعي وحيه وتنزيله لكان قلبه أسرع تصدعا من الجبل ، وإذا تراءى على قلبه عظمته وجلاله لكان أسرع تقعرًا وانقلابا وطيرانا ، وقد نزل بكثير من عباده نحو من ذلك ، وروي لنا عن رسول الله ﷺ أنه تلا آية

---

(١) في (ص) و (د) " وهو " والمثبت من (ط) .

وعنده شاب فخر ميتا ، فقال رسول الله ﷺ : " إن الفرق فلذ كبده " أي : قطعه .

٩٧٩ـ حدثنا بذلك أبي رحمه الله ، ثنا محمد بن الحسين[1] ، أنبأنا عبد الله ، أنبأنا محمد ابن مطرف ، رفعه .

وأما [٢/ ٤/ أ] أخواتها ، أي أخوات سورة هود ، فما أشبهها من السور مثل الحاقة و(سأل سائل) و (إذا الشمس كورت) والقارعة ، ففي تلاوة هذه السور ما ينكشف لقلوب العارفين سلطانه وبطشه ، فتذهل منه النفوس ، وتشيب منه الرءوس .

وروي عن محمد بن الحنفية أنه قال : لله ثلاثمائة وستون لحظة يلحظ بها إلى كل عبد من عباده في كل صباح ، فإن أخذ أخذ بقدرة ، وإن عفا عفا بحلم ، فأهل اليقين ثارت على قلوبهم لحظاته ، والعفو جانب ، لولا ذلك ما استقر لهم قرار من هول أخذه ، واللحظة قد شملت القدرة والحلم ، إلا أن أهل اليقين قد اطمأنت قلوبهم به فارتفعت في سعة عفوه .

وروي عن علي بن الحسين أنه كتب إلى الحجاج جواب كتابه الذي كان قد توعده فيه ، أنه بلغني أن رسول الله ﷺ قال : " إن لله في كل يوم ثلاثمائة وستين لحظة يلحظ بها إلى أهل الأرض ، فمن أدركته تلك اللحظة صرف الله عنه شر الدنيا وشر الآخرة ، وأعطاه خير الدنيا وخير الآخرة " ، وأرجو من الله أن يدركني ببعض لحظاته ، فيصرف عني شرك ، ويرزقني ما وعدني[2] رسول الله ﷺ ، فأعجب به الحجاج ، وكتب به الحجاج إلى عبد الملك بن مروان ، وكتب به عبد الملك بن مروان إلى هرقل ملك الروم ، فأرسل هرقل إلى عبد الملك رسولا يطلب : ممن خرج هذا الكلام ؟ حتى رجع[3] الأمر إلى علي بن الحسين ، فلما صار إليه فأخبره فقال له : ممن أنت ؟ قال : أنا ابن بنت رسول الله ﷺ وابن عمه ، قال : نعم ، هذا الكلام لا يخرج إلا من أهل بيت نبوة .

٩٨٠ـ حدثنا بذلك أبي رحمه الله ، ثنا صالح بن محمد ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن

---

(١) في (د) " محمد بن الحسن " .

(٢) في (د) " ما وعد به " .

(٣) في (ص) " خرج " .

عباد - وهو ابن كثير - قال : حدثني عبيد الله بن العيزار ، قال : حدثني محمد بن علي ، عن أبيه علي بن حسين ، عن رسول الله ﷺ .

وأما حديث ابن الحنفية :

٩٨١ـ **فحدثنا** به محمد بن محمد بن حسين ، ثنا عبيد الله بن موسى ، عن موسى بن عبيدة ، عن زيد بن عبد الرحمن ، عن محمد بن الحنفية بذلك .

ففي حديث علي بن حسين رضي الله عنه زيادة حرف ، قال : " فمن أدركته تلك اللحظة صرف عنه شر الدارين وأعطاه خيرهما ، فإنها ثمرة تلك اللحظة " ، وفي حديث ابن الحنفية شأن اللحظة موقوف ، فإذا كان العبد مهديا رشيدا أدركته اللحظة على حال مرضية ، فوصل إلى الأمل من نوال الخير وصرف السوء ، وإذا كان عاديا فاللحظة بين القدرة والحلم ، فإما بطش جبار ، وإما عفو واسع كريم ، وفي حديث ابن الحنفية قال : " فإن أخذ أخذ بقدرة ، وإن عفا عفا بحلم[١] " [٢/٤/ب] .

۞ ۞ ۞ ۞

---

(١) في (ص) " بقدرة " .

الأصل التاسع والثمانون و المائة

٩٨٢- **حدثنا** ابن أبي ميسرة[١] المكي ، قال : حدثنا يعقوب بن حميد[٢] قال : ثنا عبد الله ابن عبد الله الأموي ، قال : حدثني الحسن بن الحر ، أنه سمع يعقوب بن عتبة يقول : سمعت سعيد بن المسيب يقول : سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " من اعتز بالعبيد أذله الله " .

فالاعتزاز بالعبيد من الجهل بالله ، وجهله بالله يضعه في كل أموره ؛ لأنه مفتون بجميع من دونه ، والاعتزاز هو الامتناع من الأشياء التي تنوبه ، فمن امتنع بمن لا يملك لنفسه ضرا و لا نفعا ، فلما في قلبه من العزة ، وقد دلهم الكريم على ما فيه رشدهم ، فقال : ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ ﴾ [الحج : ٧٨] ، فالاعتصام بالله والاعتزاز به من ذُرى الإيمان ، ومن اعتصم بالمخلوقين واعتز بعرض الدنيا فهو المخذول في دينه الساقط عن عين الله .

٩٨٣- **أخبرنا** عبد الله بن أبي زياد القطواني ، ثنا سيار ، عن جعفر ، عن بكر بن خنيس ، عن هشام بن الغاز ، عن الزهري ، قال : أوحى الله إلى داود : ما من عبد يعتصم بي من دون خلقي وتكيده السموات والأرض إلا جعلت له من ذلك مخرجا ، وما من عبد يعتصم بمخلوق دوني إلا قطعت أسباب السماء بين يديه ، وأسخت الأرض من تحت قدميه .

٩٨٤- **أخبرنا** عمر بن أبي عمر ، ثنا حيوة بن شريح ، عن بقية ، عن صفوان بن عمرو[٣] ، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير وشريح بن عبيد ، عن أبي الدرداء ، قال : قال رسول الله ﷺ : قال الله تبارك وتعالى : " إني والجن والإنس في نبأ عظيم ، أخلق ويعبدون غيري ، وأرزق ويشكرون غيري " ، وسعهم حلمه ، وأخّرهم ليوم تشخص فيه الأبصار ، مهطعين مقنعي رءوسهم وأفئدتهم هواء ، أي : متحرقة لا تعي شيئا ، فيقال لهم : ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ﴾ [الرحمٰن : ٣٣] .

---

(١) في (د) " أبي ميسرة " .

(٢) سقط من (ص) " قال حدثنا : يعقوب بن حميد " .

(٣) في (ص) " صفوان عن عمرو " .

الأصل التسعون والمائة

٩٨٥ـ **حدثنا** عمر بن أبي عمر ، ثنا إبراهيم بن العلاء الزبيدي الحمصي ، حدثني عمرو بن الحارث ، عن عبد الله بن سالم الأشعري ، عن محمد بن الوليد الزبيدي ، عن يحيى ابن خالد ، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير [٢/ ٥/ أ] ، أن أباه حدثه ، عن عبد الله بن معاوية العامري ، حدثه أن رسول الله ﷺ قال : " ثلاث من فعلهن طَعِمَ طَعْمَ الإيمان ؛ من عبد الله وحده بأنه لا إله إلا هو ، وأعطى زكاة ماله طيبة بها نفسه ، ولم يعط الهرمة ولا الجربة ولا المريضة ، ولكن من أوسط أموالكم ، فإن الله لم يأمركم بخيره ولم يأمركم بشره ، وزكى نفسه " ، فقال رجل : وما تزكية نفسه ؟ قال : " أن يعلم أن الله معه حيثما كان " .

قال أبو عبد الله :

فهذه الثلاث كلها زكاة ، فزكاة القلب لا إله إلا الله ، وزكاة المال إخراج ما افترض الله فيه منه ، وزكاة نفسه علمها بأن الله معه حيثما كان ، فإذا علم ذلك استوت سريرته وعلانيته ، فهابه في كل مكان ووقت ، واستحيى منه[١] في كل مكان ووقت ، والهيبة والحياء وثا فإن[٢] لنفس العبد من جميع ما كره الله سرا وجهرا ، وظاهرا وباطنا ، فالسوي ما كان في الخلاء والجهر ما كان في الملأ والظاهر ، وما كان بالأركان والباطن ما كان بالقلب .

فالنفس في هذه الأحوال الأربع تخشع لهيبته ، وتذل وتخمد شهواتها ، وتذبل حركاتها وانبعاثها ، وتنقبض للحياء منه وتخجل ، فإذا كان للعبد من الله تأييد بهذين فاكتنفاه فقد استقام ، وإنما أردنا بالعلم بما قلنا أنه إذا علم ذلك عِلمَ القلب لا عِلمَ اللسان ، فإن علم اللسان أصله من القلب ، ولا . . . [٣] ؛ لأنه شرارة من شرر الإيمان ، وهي حجة الله على ابن آدم ، وعلم القلب علم اليقين .

---

(١) في (ص) " الله " .
(٢) هكذا استظهرت قراءتها .
(٣) مقدار كلمة لم أستطع قراءتها بالأصل .

وروي لنا عن رسول الله ﷺ ما يحقق قولنا في العلم .

٩٨٦ـ حدثنا بذلك حفص بن عمر العابد ، ثنا الفضل بن عياض ، عن هشام عن الحسن ، قال : قال رسول الله ﷺ : " العلم علمان ، فعلم في القلب فذلك العلم النافع ، وعلم على اللسان فذلك حجة الله على ابن آدم " .

وقال الله تبارك وتعالى في تنزيله فأجمل ، فقال : ﴿ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۞ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [فصلت : ٦ - ٧] ، فقال أهل التفسير : الذين لا يقولون : لا إله إلا الله ، وقال : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [الأعراف : ١٥٦] ، أي : يتقون الشرك ويعطون قول لا إله إلا الله .

٩٨٧ـ حدثنا محمد بن الفضل البخاري ، ثنا حفص بن عمر العبدي ، عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة في قوله : ﴿ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۞ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [فصلت : ٦ - ٧] ، قال الذين لا يقولون لا إله إلا الله ، فالزكاة هي الطهرة والنماء ، فإذا قال العبد صدقا من قلبه هذه الكلمة فإنما قوله من النور الذي أحيى الله قلبه به ، فبذلك النور طهر جميع [٢/ ٥/ب] جسده ، ولصدق هذه الكلمة ثلاث منازل ، أوله للظالمين ، وأوسطه للمقتصدين ، وآخره للمقربين ، فالظالمون زكوا قلوبهم وجوارحهم بهذا القول ثم دنسوها بالمعاصي ، وقد كانت من قبل هذا القول نجسة فزكت بهذا القول ، ثم لما عصت صارت دنسة وليست بنجسة ؛ لأن الكفر ينجس ، والمعصية تدنس ولا تترك النور الذي في قلبه أن ينجس بالمعصية ؛ لأنه طهره ، فهو مع ظلمه نفسه شريف المنزلة ، رفيع القدر ، لم يخرج بظلمه نفسه من ولاية الله ولا من رحمته ، ولا زالت عنه حرمته ، وإن تابوا زالت الأدناس ، وصاروا من أهل النور نور الطاعات ، والمقتصدون زكوا قلوبهم بهذه الكلمة ، وزكوا أموالهم وأجسادهم بالائتمار بأمر الله والتناهي عن نهيه ، ثم ثبتوا على تزكية الأموال والأجساد ، ودنسوا قلوبهم بالرغبة والرهبة ، والشهوات والغفلة ، والحرص والعجلة ، والخفة والهوى ، ومحبة الدنيا وأحوالها ، والمقربون زكوا بما زكى به المقتصدون ، وأقبلوا على قلوبهم فرعوها عن[1] أن تتدنس بشيء مما ذكرنا ، فكان مرعى

---

(١) " عن " زيادة من (د) .

قلوبهم بين يديه ، فلم يكن للدنيا ولا للنفس هناك دنو ولا لحاظ ، قد بقيت نفوسهم ودنياهم بالبعد من أهل المحل ، فتزكية قلوب الظالمين بنور التوحيد ، وجاءت الشهوات بظلمتها فأحاطت بالقلب ، فلم يكن لذلك الذي أعطي ما يحرق هذه الشهوات ، وتزكية قلوب المقتصدين بنور الإنابة ؟ إذا أناب العبد إليه استنار قلبه بنوره فأخرجه من سكر الظالمين ، فأفاق فخاف عقابه ورجا ثوابه ، وأبصر به آخرته فصار نصب عينيه ، وتزكية قلوب المقربين نور القربة ، فأحرق الشهوات فامتلأ القلب من نور التوحيد ، وأشرق الصدر بنوره ، فأيقظه من نومة الغافلين ، فانتبه ، وفي المقربين قوم مصطفون مجتبون هم خاصة المقربين ، وهم المجذوبون رءوس المقربين وصفوتهم ، فتزكية قلوبهم نور وجهه الكريم ، فهم في قبضته يتصرفون ، والظالمون علانيتهم أكبر من سريرتهم ، وهو الجور ، والمقتصدون استوت سريرتهم وعلانيتهم ، وهو العدل ، والمقربون فضلت سريرتهم علانيتهم حتى دقّت علانيتهم في جنب سريرتهم ، فلَلَحظة من سرائرهم أعظم من أعمال الثقلين عُمرَ نوح صلوات الله عليه ، وهذا ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أن الرجل من هذه الأمة يبلغ عمله يوما واحدا ما يكون أثقل من سبع سماوات وسبع أرضين في الوزن ، وروي عن أبي موسى رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه نظر إلى جبل أحد فقال : " رُب رجل [٢/ ٦/ أ] من أمتي يعدل الحرف الواحد من تسبيحته هذا الجبل ، فإنما صار هذا هكذا لأهل القُربة بفضل تلك اللحظات ، التي ليس للملائكة تلك اللحظات ، فكيف عن دونها؟

وأما قوله : أن يعلم أن الله معه حيث كان ، فهذا تزكية النفوس ، فإن هذا علم الإنابة ، فإنه إذا أناب استناب فبقي خوفه معه ففنده عن المعاصي سرا وجهرا ، والظالم إنما يعلم علم إيمان أن الله تعالى معه ثم لا تأخذه مخافة هذا العلم حتى تُفَنده ، فذاك هو العلم الذي قال ﷺ : " علم اللسان " .

هو علم المقتصد الذي أورثه المخافة وأبعده عن المعاصي هو علم القلب الذي قال : فذلك العلم النافع .

وأما المقرب فعلمه علم أنور من هذا ، ذاك علم يقارب المعاينة أو كأنه يراه ، ألا ترى إلى قول رسول الله ﷺ : " أن تعبد الله كأنك تراه " . وصدقه جبريل .

وروي عن ابن عمر رضي الله عنه : أنه كلمه عروة بن الزبير في الطواف بشيء من خطبة ابنته ، فلم يرجع جوابا ، فلما لقيه بعد ذلك قال : إنا كنا نتراءى الله بين أعيننا في الطواف فذاك الذي منعني من جوابك .

٩٨٨- حدثنا بذلك قتيبة بن سعيد ، وإسماعيل بن مصرف ، أنبا محمد بن يزيد بن خنيس[١] ، أنا عبد العزيز بن أبي رواد ، قال : أخبرني نافع ، عن ابن عمر رضي الله عنه .

٩٨٩- وحدثنا عمر بن أبي عمر ، ثنا نعيم بن حماد ، عن عثمان بن كثير بن دينار ، عن محمد بن مهاجر ، قال : أخبرني عروة بن رويم اللخمي ، عن عبد الرحمن بن غنم ، عن عبادة بن الصامت ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : " إن أفضل إيمان العبد أن يعلم أن الله معه حيث ما كان " .

فهذا علم اليقين لا علم اللسان ، فقد علم الموحدون كلهم أن الله معهم ، وقد قرءوا في تنزيله مع علمهم بذلك فقال : ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [المجادلة : ٧] ، وقال : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾ [يونس : ٦١] .

فالموحدون قد علموا هذا كله ، وقررهم إيمانهم به أن ذلك كذلك ، ثم لم يعمل في قلوبهم وراء ذلك شيئا ، فمن أُعطي علم الإنابة وهو النور الذي إذا أناب أعطي فوجد المخافة قيده ذلك الذي ورد على قلبه عما كره الله ، ووقف به قلبه عين رجاء ومخافة ، ومن أُعطي علم اليقين انكشف الغطاء عن قلبه بنوره وهو نور الأنوار ، فنظر إلى جلال الله وعظمته فاندست أعضاؤه بعضها في بعض وصارت نفسه الشهوانية كشجرة طيبة [٢/٦/ب] أصابها الحريق فيبست وصارت جذعا . ووجد أركانه كوعاء فيه رمل أو شيئا من الحبوب مثل الأرز ونحوه حذرا أو ضعفا وعجزا ثم أحله مرتبة من مراتبه بين يديه ، فأحيا قلبه به فقوي بالله وخبت شهواته فرطب جسده وانبسطت جوارحه وانفتقت أعضاؤه ، وعاش في غذائه ونجواه وبشراه بقية محياه مراقبا لأموره كأنه يراه فحياؤه منه أكثر من حياء ملاء عظيم ومحفل كبير قد ضم ذلك

---

(١) في (ص) " محمد بن يزيد بن حسين " ، وفي (د) " يزيد بن خنيس " والمثبت من التهذيب .

المحفل وجوه كثير من المسلمين وأشرافهم بل يدق حياؤه منهم في جنب حيائه منه وهيبته له أكثر من هيبته من ملك قد ملك ملوك الدنيا شرقا وغربا ، بل يدق هيبته لذلك الملك في جنب هيبته له ، فهذا الذي قد علم حق العلم أن الله تعالى معه ، فلولا أن الله يلطف لعبده هذا حتى ينبسط منه ويؤنسه ويقويه لاحتمال ذلك ما قدر عليه ولا صلح للمعاش والعشرة .

الأصل الحادي والتسعون والمائة

٩٩٠- **أخبرنا** عمر بن أبي عمر ، ثنا سهل بن تمام البصري ، عن عباد بن منصور ، عن أبي قلابة ، عن أبي أسماء الرحبي ، عن ثوبان ، عن رسول الله ﷺ قال : " إن الأرض لتنادي كل يوم سبعين مرة : يا بني آدم ؛ كلوا ما شئتم واشتهيتم ، فوالله ؛ لآكلن لحومكم وجلودكم " .

فهذا نداء متسخط فيه وعيد ، والأرض لا تتسخط[1] على أنبياء الله وأوليائه ، بل تفرح لكونهم على ظهرها وتفخر وتباشر[2] بقاعها لمنقلبهم عليها ، فإذا وجدتهم في بطنها في اللحود وضمتهم ضم الوالدة الوالهة الواجدة لولدها بعد الوله .

وهذا النداء عندنا واقع على من أكل منها بشهوة ونهمة بغفلة ، لأن الله سخرها لنا لنشكر لا لنكفر ، فالشكور محبوب والكفور ممقوت ، ورأس الشكر ذكره عند كل نعمة وقبولها منه والحمد له عليها ، فإذا غفل عن هذا كله فقد أكل منها بغير حق ، فَسُلطت عليه الأرض لتأكله كما أكل منها بغير حق ، فأما من أكله بالله ولله وفي ذات الله فالأرض أذل وأقل من أن تجترئ عليه ، وقد جاءنا عن رسول الله ﷺ وعمن بعده من أصحابه أخبار في بيان النار وشأن المؤمن . وروى عن رسول الله ﷺ : " أن النار تنادي : جُزْ يَا مُؤْمِنُ فَقَدْ أَطْفَأَ نُورُكَ لهبي " .

وروي لنا : " أن النار تنزوي وتنقبض عند ورود المؤمن " .

وروي عنه ﷺ أنه قال : " يجعلها الله - النار - على المؤمن بردا وسلاما كما كانت على إبراهيم عليه السلام " .

٩٩١- **أخبرنا** [٢/ ٧/ أ] بذلك عمر بن أبي عمر ، ثنا سليمان بن حرب ، ثنا أبو صالح الحراني غالب بن سليمان ، عن كثير بن زياد عن أبي سمية ، قال : سألت جابر بن عبد الله عن الورود ، فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " الْوُرُودُ الدُّخُولُ ، لَا يَبْقَى بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ إِلَّا دَخَلَهَا ، فَتَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِ بَرْدًا وَسَلَامًا كَمَا كَانَتْ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ،

---

(١) في (د) " تسخط " .

(٢) كذا بالأصلين .

حَتَّى إِنَّ لِلنَّارِ - أَوْ قَالَ : لِجَهَنَّمَ - ضَجِيجًا مِنْ بَرْدِهِمْ ثُمَّ يُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَيَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا " .

٩٩٢- حدثنا عمر ، ثنا أبو رجاء ، عن إسرائيل ، عن السدي ، قال : سألت مرة عن ذلك ، فحدثني عن عبد الله رضي الله عنه ، أنه حدثه عن رسول الله ﷺ ، أنه قال : " يَرِدُ النَّاسُ ، ثُمَّ يَصْدُرُونَ بِأَعْمَالِهِمْ ، فَأَوَّلُهُمْ كَلَمْحِ الْبَرْقِ ، ثُمَّ كالرِّيحِ ، ثُمَّ كَحُضْرِ الْفَرَسِ ، ثُمَّ كَالرَّاكِبِ في رحله ، ثُمَّ كَشَدِّ الرِّحَالِ ، ثُمَّ كَمَشْيِهِمْ ، ثم كحبوهم " .

٩٩٣- حدثنا عمر ، ثنا مسلم ، عن شعبة ، عن السدي ، عن مرة ، عن عبد الله رضي الله عنه ، قال : يردونها جميعا ، ويصدرون عنها بأعمالهم .

٩٩٤- حدثنا عبد العزيز بن مسلم ، عن منصور بن عمار ، عن بشير بن طلحة الحراني ، عن خالد بن دريك ، عن يعلى بن منبه ، قال : قال رسول الله صلى اله عليه وسلم : " تقول النار للمؤمن : جُزْ يَا مُؤْمِنُ فَقَدْ أَطْفَأَ نُورُكَ لَهَبِي " .

٩٩٥- حدثنا عبد الله بن أبي زياد[(١)] ، ثنا سيار ، ثنا بشر بن منصور ، ثنا ثور بن يزيد ، عن خالد بن معدان ، قال : " إذا جاء المؤمنون على الصراط نادى بعضهم بعضا : ألم يعدنا ربنا أن نمر على جسر النار ؟ فيقولون : بلى " . فلو كنا مررنا عليها وبقيت خامدة لممرنا . فإذا كانت النار تخمد لممر عبد فكيف تجترئ الأرض على أكله ، وإذا كانت النار تضج من تحته لبرده ، وكان له من النور ما يُطفئ لهب نار الله الكبرى ، فما ظنك به إذا ورد المضطجع من لحده كيف يعود عليه من الفسحة والخضرة ، وباب الله عليه مفتوح فليس عليه ضيقة في مكان يحتاج المؤمن أن يكون كما قال رسول الله صلى اله عليه وسلم للعبد : " احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده أمامك ، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة " .

فإذا كان العبد هكذا فهو حافظة وآنية وإمامة نصب عينيه يهيئ له أحواله ولا يكله إلى أحد من خلقه ، وجاء في الخبر : " أن الشهداء لا تأكلهم الأرض " ، وجاء في الخبر : " من أذن سبع سنين لم يدود في قبره " .

فإذا كان الشهيد والمؤذن وهو الداعي إلى أمر الله قد امتنعا من الأرض بحالتيهما ،

---

(١) في (ص) " عبد الله بن زياد " .

فحالة الصديقين والأولياء أرفع من هذا وأجل ، إذ كانوا هم الشهداء أيام الحياة والدعاة إلى الله قد شهدوا محل القربة ودعوا إلى الله على بصيرة .

٩٩٦ـ **حدثنا** عبد الجبار ، ثنا سفيان ، عن أبي الزبير ، عن جابر رضي الله عنه ، قال : [٢/ /٧ ب] لما أراد معاوية أن يجري العين إلى جنب أحد عند قبور الشهداء أمر مناديا فنادي فيهم : من كان له قتيل فليخرج إليه ، قال جابر : فخرجنا إليهم فوجدناهم رطابا يتثنون ، فأصابت المسحاة إصبع رجل منهم فبدرت إصبعه فانفطرت دما .

قال ابن سعيد : لا ينكر بعد هذا منكر أبدا .

٩٩٧ـ **حدثنا** ابن أبي هلال الذهبي ، ثنا عبد الجبار بن الورد المكي ، أخو وهيب ، عن أبي الزبير محمد بن مسلم ، عن جابر رضي الله عنه ، بمثله ، إلا أنه قال : فرأيتهم يتثنون على رقاب الرجال كأنهم رجال نُوَّمٌ ، حتى أصابت المسحاة قدم حمزة بن عبد المطلب فانبعث دما .

فأما قوله : (بالله) فهذا العبد في قبضته قد انفرد به وخلص قلبه إلى وحدانيته ، فيه يقوم وبه يتعد وبه ينطق وبه يصمت وبه يقتل وبه يبطش وبه يبصر وبه يسمع ، وهو على الصفة التي روي أن رسول الله ﷺ فيما روى عن ربه تبارك وتعالى أنه قال : " إذا أحببت عبدي كنت سمعه وبصره ويده ولسانه وفؤاده ، فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يعتد " . وقد شرحنا هذا الحديث في بابه ، ولكن أردت منه هذا القول ، قوله : (بالله) .

وأما قوله : (الله) فهذا عبد دونه - أي دون العبد الأول - بدرجة ، وهو من المقربين الأولياء إلا أن مقامه دونه من بعده فقد ألقى نفسه بين يديه سلما ، يراقب أموره ، فهو يمضي فيها كالعبيد لا يؤثر أمرا على أمر ، ولا يدبر لنفسه أمرا ، يراقب تدبيره ويقبل منه ويعمل له .

وأما قوله : (في ذات الله) فهذا عبد دونه بدرجة - أي دون العبد الثاني - قد شغف بحب الله وبذكر آلائه ، فهمته رضاه ، فهو دائما في عمره يبتغي في جميع متقلبه رضاه .

فهم كلهم أهل ولاية الله تعالى وقربته فحرام على الأرض لحومهم ودماؤهم لأنهم عبيد الله تعالى وخاصته ، والأرض سُخرة لهم ، فالأرض تمضي في سخرتها

والعبيد يمضون في حقوق الله تعالى ، جعل الله الأرض للآدميين ممرا لأنه بعثهم يوم الميثاق ليقطعوا هذه السفرة عبيدا إلى يوم العرض عليه ، فيقبلهم ويبعثهم ملوكا إلى داره ، ومنهم من يزيفه وينفيه ويبعث به إلى سجنه لأنه أبق من العبودة ، فانتقلوا من صلب ، ومن آخر صلب إلى رحم ، ومن رحم إلى مستقر العبيد ، وإذا الغلمة وإخراج الثمرة ، فمنهم من أثمر مسكا وعنبرا وبانا وياسمينا ، ومنهم من أثمر حنظلا وخرنوبا ، فإن أصل المسك والعنبر كانت من ورقة حملها آدم عليه السلام من الجنة فأكلتها دابة ، فرعت في هذا الوادي الذي خل به آدم عليه السلام ، فصار ذلك [٢/٨/أ] الطيب في سرتها ، والعنبر كذلك أيضا ، كانت في البر فصير مسكنها في البحر ، وهي ترمي بأحشائها ، وهي العنبر ، وأصلها من تلك الورقة ، وكذلك ولد آدم عنده ، منهم من نزع إلى تربته الطيبة ، ومنهم من نزع إلى تربته السبخة ، فالأرض هي ممر الآدميين ليأخذوا منها الزاد في هذه السفرة ، فهي بلغتهم قل أو كثر ضاق أو اتسع ، فالمتنبه اطلع هذا المطلع ، فأخذها تزودا ووجهه إلى الله تعالى وقلبه مع الله تعالى ، يسير إليه ركضا يقطع الليل والنهار ، كلما ذكر الموت ارتاح لما قد علم أن الموت يذهب به إليه ويقدم به عليه ، فأحب الموت حبا لا يوصف ، إذ علم أن الملائكة والأنبياء والخلق والخليقة كلهم عجزة عن هذه الخطة ، فليس لأحد أن يذهب به إلى مولاه الذي هو عطشان بلقائه إلا هذا الموت الذي وكله به وهذا الرسول الذي جعله بين يديه ، فإذا صار إلى مَلْحَدِهِ لم يكن بينه وبين الأرض إلا كل جميل .

روي في الخبر : " أن الأرض تضمه ضم الوالدة التي طالت غيبة ولدها عنها فاشتد شوقها ؛ فلما وجدته ضمته إلى صدرها وتحننت عليه وتأوهت على طول غيبته " .

وجاء في الخبر عن رسول الله ﷺ : " أنها تستأذن ربها في أن تدخل عليه في لحده في صورتها التي خلقت فيها ، فإن لكل شيء صورة ، فيؤذن لها ، فتدخل في تلك الصورة وتؤنسه وتبشره وتبشر به ، وتقول له : طالما كنت تمشي على ظهري وأنا إليك مشتاقة ، ويبكي ظهر الأرض عليه أربعين صباحا ، وتقول في بكائها : يا رب ؛ عبدك كان يذكرك في فجاجي وبقاعي . أسفا على ما فاتها وافتقدت من ذلك ، والسماء تبكي عليه فتقول : يا رب ؛ عبدك كان ينزل عليه رزقه مني ويصعد عمله

إليّ . فلا يزال ذلك دأبهما في البكاء " .

حتى روي عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه : أنه لما مات بكت السماء والأرض عليه أربعين عاما ، وقد جعل الله هذه الأرض سخرة للآدمي لتكون له قواما وقطعا لعذره وخلقه للعبودة ، وهو إقامة حقوقه ، فإذا اشتغل العبد في إقامة حقوقه وكان ذلك نهمته وهمته وهواه فالسخرة له سليمة طيبة بلا وبال ، فإذا أحدث في السخرة حدثا لم يكن له عادت عليه وبالا ، وهو أن يشتغل عن إقامة حقه بما سخر له فتصير عليه فتنة ، فقد تحولت العبودة عن الواحد لأولي عدد ، قال الله تبارك اسمه : ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر : ٢٩] . فهذا له ظاهر وباطن ، وما من آية إلا ولها ظهر وبطن ، فأما ظاهره فهو المشرك فيه شركاء يدعيه الشيطان والصنم [٢/٨/ب] وكل ما يعبد من دونه ، ورجلا سالما لرجل أي : موحد لربه ، والباطن منه رجل فيه شركاء متشاكسون أي : قلبا فيه شركاء قد سبوه وادعوه كل من ناحيته يدعيه ، والشكس الضيق [الخلق ، ومن الضيق][(١)] يكاد تنقطع همته حتى تصير أشقاصا ، فكل همة لها شقص من قلبه فقد صارت فيه شركاء أحزابا ، كل حزب فرح بما لديه ، ففي قلبه أفراح شهوات الدنيا وأحوالها اللذيذة كلهم سلطانه قائم على قلبه تزاحم صاحبتها فهم يتشاكسون أي : يتشاقصون فيما بينهم ، فهو مفتون فكل شهوة قد سبت شعبة من قلبه .

وروي عن ابن عمر رضي الله عنه : أنه باع حمارا له فقال : كان لنا موافقا ولكنه أذهب شعبة من قلبي فبعته .

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : " من انشعبت به همومه في دنياه لم يبال الله في أي واد هلك " . فهذا قلب فيه فتنة المال وفتنة الأهل وفتنة الولد وفتنة العز وفتنة حب الرئاسة وفتنة العلم وفتنة الثناء والمحمدة .

(ورجلا سالما لرجل) أي : قلبا سلما للواحد الفرد فالمخذول من عبيده من قلبه بين هذه الشركاء فكلهم يستعبدونه ، وكلهم ساخط عليه لأنه لا ينال غاية نهمته ،

---

(١) ما بين المعقوفين سقط من (ص) .

والمؤيد المجتبى قد أخذ الله بقلبه فجذبه إليه جذبة فأقامه في فرديته .

وجاءنا عن رسول الله ﷺ أنه قال : " إن هذه الدنيا خضرة حلوة فاتقوها " .

وقال : " إن هذا المال خضر حلو ، فمن أخذه بحقه بورك له فيه ، ونعم المعونة هو ، ومن أخذه بغير حقه لم يبارك له فيه ، وكان كالذي يأكل ولا يشبع " .

وقال في رواية أخرى : " ومن أخذه بشره نفس لم يبارك له " .

فالشره : أن تأخذه بشهوة للتمتع ، والأخذ بحقه : أن تأخذه بحاجة إليه للتزود .

وقوله : " فاتقوها " أن تغركم هذه الفانية عن الباقية ، وأن تغركم لذة نفوسكم فيها عن الله الخالق البارئ المصور فإنكم كنتم فيضة منها فبرأكم - أي : فضلكم منها - قَدُّ مقداركم فهو الخالق ، وبرأكم فهو البارئ ، وصوركم بأفضل الصور وأجملها ، فلذة هذه الأفعال التي وصل إليكم نفعها وشرفها الذين ، الذي[1] سخرها لكم وكنتم من قبل ذلك مثلها ترابا يبسا مواتا .

(١) كذا في (ص) ، وغير واضحة في (د) .

الأصل الثاني والتسعون والمائة

٩٩٨- أخبرنا الفضل بن محمد الواسطي ، ثنا أيوب بن محمد الرقي ، ثنا الوليد بن الوليد أبو العباس الدمشقي ، عن ثابت بن يزيد ، عن الأوزاعي ، عن الزهري ، عن عروة ، قال : سمعت عائشة رضي الله عنها تقول : كان نبي الله ﷺ يقول : « مكارم الأخلاق عشرة تكون في الرجل ولا تكون في ابنه ، وتكون في الابن [٢/٩/أ] ولا تكون في أبيه ، وتكون في العبد ولا تكون في سيده ، يقسمها الله تعالى لمن أراد به السعادة : صدق الحديث ، وصدق البأس ، وإعطاء السائل ، والمكافأة بالصنايع ، وحفظ الأمانة ، وصلة الرحم ، والتذمم للجار ، والتذمم للصاحب ، وإقراء الضيف ، ورأسهن الحياء »[١] .

٩٩٩- حدثنا الجارود ، ثنا عبدة بن سليمان ، عن الإفريقي ، عن يزيد بن أبي منصور ، عن عائشة رضي الله عنها بمثله ولم يرفعه . فكل خلق من هذه الأخلاق مكرمة لمن منحها .

وجاء عن رسول الله ﷺ : « إن الأخلاق مخزونة عند الله فإذا أراد الله بعبد خيرا منحه منها خلقا » .

فهذه أخلاق الله التي خرجت من أسمائه ، والخلق والعادة بمعنى واحد ، وأما الأخلاق التي ركب عليها الآدمي فقد عم الجميع تلك أخلاق الطبيعة ، ثم له منائح من فضله لعبد من عبيده يختصهم بمشيئته مَنًّا منه عليهم بخلق وخلقين وثلاثة وأكثر من ذلك من المخزونات عنده .

وإنما قيل : (مخزونات) لأنها له فيعطي عنه[٢] من عنده من أحب من عباده .

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق » . يدل قوله على أن الأنبياء قبله قد كانت معهم هذه الأخلاق وعليهم منها بقية بعث فبعث محمد ﷺ ليتممها .

---

(١) أخرجه ابن الجوزي في العلل المتناهية (٣/ ٧٢٧) وقال : هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ ، ولعله من كلام بعض السلف ، وفي إسناده ثابت بن يزيد ، قال حفص بن عياش : لم يكن بشيء ، وقال يحيى : ضعيف ، قال الدارقطني : والوليد بن الوليد منكر الحديث ، قال ابن حبان : لا يجوز الاحتجاج به .

(٢) كذا في (ص) ، وفي (د) « نفسه » .

وروي عنه ﷺ أنه قال : " إن لله مائة وسبعة عشر خلقا فمن أتاه بواحدة منها دخل الجنة " .

وقال : " إن الله يحب معالي الأخلاق ، فإذا جعل من محابه في عبد من عبيده أنجاه محبوبه " .

وروي عنه أنه قال : " إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم " .

فكما كان بين الأرزاق تقارب بعيد فكذلك في الأخلاق ، إن الله يحب العبد على أخلاقه إذا تخلق بها له ، فإذا تخلق بها لدنيا كان من حرمة تلك المكرمة التي أعطيها أن يعقبه منها معروفا ، فإن كان ظالما تيب عليه ورُزق الإنابة ، وإن مات على غير توبة رحم وغفر له بحرمة ذلك الخلق ، وإن كان كافرا خفف عنه العذاب . ألا ترى إلى قول رسول الله ﷺ لأم حبيبة : " ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة " .

قال : " إنه لينال بحسن الخلق درجة الصائم القائم " .

وقال في حديث الرؤيا : " رأيت رجلا من أمتي جاثيا على ركبتيه بينه وبين الله حجاب ، فجاءه حسن خلقه فأدخله على الله " . فتأويل هذه الرؤيا عندنا : أن سوء الخلق حجاب على القلب ولا يستقر اليقين في قلبه لأنه متدنى الأخلاق مظلم قلبه وتحجبه ، وحسن الخلق صفاء يوصل القلب إلى الله .

١٠٠٠ـ **حدثنا** الجاورد ، ثنا يزيد بن هارون ، عن المسعودي ، عن معن بن عبد الرحمن ، قال : قال عبد الله رضي الله عنه : تجد الرجل فظا فإذا امتحنته وجدت سريرته الإيمان ، وتجده [٢/ ٩/ ب] حلو الخلائق فإذا امتحنته لم تجد فيه من الإيمان شيئا ، ومن شاء الله جمع له خلاق الدين وخلاق الخلق .

١٠٠١ـ **أخبرنا** عمر بن أبي عمر ، ثنا عبد الحميد بن صالح البرجمي(١) ، عن زكريا بن عبد الله بن يزيد الأصبهاني ، عن أبيه ، عن كهيل بن زياد النخعي ، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : سبحان الله ما أزهد الناس في الخير ، عجبت لرجل يجيئه أخوه المسلم في حاجة لا يرى نفسه للخير أهلا ، فلو كنا لا نرجو جنة ولا نخشى نارا ولا ثوابا ولا عقابا لكان ينبغي لنا أن نطلب مكارم الأخلاق ، فإنها مما تدل على سبيل

---

(١) في (ص) " الرحبي " .

النجاح . فقام رجل فقال : فداك أبي وأمي يا أمير المؤمنين ؛ سمعته من رسول الله ﷺ قال : نعم ، وما هو خير منه ، لما أتانا سبايا طيىء وقعت لي جارية حماء حواء لعساء لمياء عيطاء مسنونة الخدين صلتة الجبين مقرونة الحاجبين صغيرة الأذنين شماء الأنف مقبوضة الهامة درماء الكعبين خدلجة الساقين لفاء الفخذين خميصة الخصرين ممكورة الكحشين مسقولة المثنين ، فلما رأيتها أعجبت بها وقلت : لأطلبن إلى رسول الله ﷺ أن يجعلها في فيئي ، فلما تكلمت نسيت جمالها لما رأيت من فصاحتها ، فقالت : يا محمد ؛ إن رأيت أن تخلي عني ولا تشمت بي أحياء العرب فإني ابنة سُرة قومي ، كان أبي يفك العاني ويحمي الذمار ويقري الضيف ويشبع الجائع ويفرج عن المكروب ويطعم الطعام ويفشي السلام ولم يرد طالب حاجة قط ، وأنا ابنة حاتم طيىء ، فقال رسول الله ﷺ : " يا جارية ؛ هذه صفة المؤمن حقا ، لو كان أبوك إسلاميا لترحمنا عليه ، خلوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق والله تعالى يحب مكارم الأخلاق ، فقام أبو بردة فقال : يا رسول الله ؛ الله يحب مكارم الأخلاق ؟ فقال : يا أبا بردة ؛ لا يدخل الجنة أحد إلا بحسن الخلق "[(١)] .

قوله : جارية حماء ، ورجل أحم ، وهو الذي شفته سوداء ، والحواء واللعساء مثله ، إلا أن الحماء أشد سوادا ، واللعساء أقل منه سوادا وباطنها إلى الحمرة ، واللمياء أقل سوادا ، وظاهرها سوداء وباطنها إلى لون الشفاة ، وفي شفتيها رطوبة ، والعيطاء : طويلة العنق ، يقال : رجل أعيط ، وامرأة عيطاء ، وأجيد وجيداء وأعنق وعنقاء ، كل هذا إذا كان في عنقه طول ، والعيط : طول في استدارة وارتواء الجيد والعنق يراد به الطول فقط .

قوله : مسنونة الخدين : مضمومة الخدين ، وهو أن تكون سهلا في استواء ، ليس بالمكلثم الذي قد تراكم اللحم عليه ، والسن : الضب ، وإنما قيل : مسنونة لاستواء الوجنتين بالخدين كأنه شيء واحد من استوائه وهو أحسن الوجوه ، فيقال : هذا رجل مسنون الوجنة ، أي : منضب مستوي الخدين ، وأما إذا كان لحما أعالي حُرّ وجهه فإنه وجنته [٢/ ١٠/ أ] فبأعلى منه أسفل من العين فهو وجنة ، وما كان أسفل من

---

(١) ضعف إسناده العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (٢٢٨١) .

الوجنة فهو خد ، فإذا لم يكن هناك لحم يقال : مسنون الخد ومسنون الوجنة ، أي : منضب مستوي ، فإذا كان هناك لحم قيل : رجل أوجن وامرأة وجناء ، وذلك الموضع منه يسمى الوجنة ، فإذا لم يكن لحم لا يقال له وجنة وإنما يقال له خد .

وقوله : صلتة الجبين ، فالصلت الواسع المستوي ، والجبين ناحيتي الجبهة ، والجبهة مسجدة ، والجبين ناحيته عن يمين الجبهة وعن شمالها .

وقوله : مقرونة الحاجبين ، أي : متصلة .

وقوله : شماء الأنف ، أي : طويلة في رقة وارتفاع ، يقال : رجل أشم وامرأة شماء .

وقوله : مقبوضة الهامة ، أي : هامتها ليس لها نتق ولا إفاضة ، إنما هي مجتمعة في مستقر واستواء .

وقوله : درماء الكعبين ، فالدرم الضيق والقرب ، وهو أن يكون ملتصقًا بالنتق والقدم لا فرجة هناك ولا سعة ، كأنه يوصف بالضيق والقرب ، وهو أن يكون ملتصقًا بالساق والقدم بعض من بعض .

قوله : خدلجة الساقين ، وهو أن يكون مستديرا في دبر لحم ووفارة كطي الطوامير من الاستدارة ، وظهر ساقها كعقلبة من الاستواء والتدوير .

وقوله : لفاء الفخذين ، أي كثيرة اللحم فقد التفا أي قرب أحدهما من الآخر من لحامته .

وقوله : خميصة الخصرين ، وهو أن ينضم خصراها ، والخصر ما بين الحجزة والقصرى من الأضلاع ، والخصرة والخاصرة بمعنى واحد ، والحجزة : طرف العجز المشرف على مراق البطن ، والحرقفة : طرف العجز عند الصلب ، والمالمة ما بين الحرقفة والحجبة ما أقبل على الخاصرة ، والعجز : ما بين الحجبتين والحاجزتين ، والورك : العظم الذي على طرف الفخذ فقد وصل ما بين الفخذ والعجز ، والعاجزة : حد الورك وهو موضع الكي من الخمار ، والخصر : هو ما ذكرناه ، والخمص : هو اللحوق بالصلب حتى كأنه جائع من خواء وانضمامه . ويقال : رجل أهيف وامرأة هيفاء ، وهو مثل ما وصفنا إذا كان خصراه قد لحقا عمود بطنه ، وكذلك روي في صفة رسول اله ﷺ : " خمصان القدمين " ، فقال : رجل خمصان ، وامرأة خمصانة ، وهو الذي قد لطف خاصرتاه حتى استوتا فلا يرى له نتق ، والتصقت ضلوعه وتدانى صدره ودق صلبه فلم يفاوت بعضه بعضا .

وقوله : ممكورة الكشحين ، فالممكورة : الممتلئة ريا من اللحم والوفارة ، والكشح : فوق الخاصرة إلى حيال الإبط من الجنبين .

وقوله : مسقولة المثنين ، فالعقاد متوسط الصلب ، والمثنان عن يمين الصلب وعن شماله ، وهما ناحيتاه ، فكأنه يقول : لهما بريق من الصفاء واللين ، فكأنه قد سقل مثناه ، وهما من المنكب إلى الوركين [٢/ ١٠/ ب] مما قد اكتنفا الصلب .

وقوله : بنت سرة قومي ، يقال في اللغة : هذا سُرةُ قومه ، أي معتمدهم ومتوسطهم .

وقوله : يفك العاني ، أي : الأسير ، ويحمي الذمار : أي يكون حامية قومه من لجأ إليه .

فأما ما ذكر من مكارم الأخلاق فعد عشرا منها : صدق الحديث ، فصدق الحديث من الإيمان ؛ لأن الكذب مجانب للإيمان وذلك أن الرجل إذا كذب فقال : كان كذا ، ولم يكن ذلك فقد افترى على الله ؛ لأنه زعم أن الله قد كونه وإذا كان ذلك فزعم أنه لم يكن فقد افترى على الله ، فمن هاهنا قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : الكذب مجانب للإيمان . فصدق الحديث من الإيمان .

وصدق البأس من الثقة بالله شجاعة وسماحة .

وإعطاء السائل من الرحمة .

والمكافأة بالصنايع من الشكر .

وحفظ الأمانة من الوفاء .

وصلة الرحم من العطف .

والتذمم للجار من نزاهة النفس وكذلك التذمم للصاحب .

وإقراء الضيف من سخاوة النفس .

والحياء من عفة الروح .

وكل خلق من هذه الأخلاق مكرمة عظيمة يسعد بالواحد منها صاحبها فكيف بمن جمعت له هذه المكارم كلها ؟ والأخلاق الحسنة كثيرة وكلها تقرب إلى الله ، ولكن هذه مكارم تلك الأخلاق ، فكل مكرمة منها تمنح العبد فهي له شرف وفضيلة في الدنيا ورفعة ووسيلة .

الأصل الثالث والتسعون والمائة

١٠٠٢ـ أخبرنا عمر بن أبي عمر ، ثنا محمد بن شعيب الأزدي ، ثنا موسى بن علي بن رباح ، قال سمعت أبي يقول : سمعت عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما يقول : قال رسول الله ﷺ : " أربع خصال إذا أعطي العبد فلا يضره ما عزل عنه من الدنيا : حسن خلقه ، وعفاف طُعمة ، وصدق حديث ، وحفظ أمانة " .

فهذه خصال كلها تطهر الجسد والقلب ، قال الله تعالى في تنزيله : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴾ [الأعلى : ١٤] ، وقال في الدرجات العلى : ﴿ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴾ [طه : ٧٦] ، فأما حسن خلقه فأن يكون حسن العشرة مع خلقه ، حسن الخلق مع أمره ونهيه ، حسن العشرة والخلق مع تدبير الله تعالى وأحكامه .

وقوله : عفاف طعمة ، فأن يطعم ما لا يشوبه الحرام ولا الشهوة ولا المطامع .

وقوله : صدق الحديث ، فأن يعف لسانه .

وأما : حفظ أمانة ، فأن يحفظ جوارحه وما ائتمن عليه ، فإن الكذوب والخائن لا قدر لهما عند الله تعالى .

الأصل الرابع والتسعون والمائة [٢/١١/أ]

١٠٠٣ـ **أخبرنا** عمر بن أبي عمر ، ثنا سعيد بن أبي مريم المصري ، ثنا يحيى بن أيوب ، قال : حدثني عبيد الله بن زحر ، عن علي بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبي أمامة ، عن أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " ليس من الصلوات صلاة أفضل من صلاة الغدوة يوم الجمعة في جماعة ، وما أحسبه شهدها أحد منكم إلا مغفورا له " .

فيوم الجمعة هو يومه الذي اصطفاه واستأثر به على الأيام ، فختم به آخر الخلق وهو آدم صلوات الله عليه ، وفيه قبضه ، وجعله يوم الجزاء ، وفيه تقوم الساعة ، وفيه فصل القضاء ، وفيه زيارة الأحباب إلى الفراديس العلي إلى الله العلي الأعلى .

وأما صلاة الغداة فإن الله تعالى يشهدها وملائكته كذلك روي عن رسول الله ﷺ ثم قرأ : ﴿ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ [الإسراء : ٧٨] .

ولذلك قال : " من صلى الصبح في جماعة فهو في ذمة الله " لأنه وقع في شهوده وقربه .

١٠٠٤ـ **حدثنا** أبي رحمه الله ، ثنا نصر بن صالح المري ، عن ثابت البناني ، ويزيد الرقاشي ، عن أنس بن مالك ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : " من صلى صلاة الصبح فهو في ذمة الله ، فإذا وافق العبد شهوده في يومه الذي هو يومه دخل في ستره وذمته " .

فالستر المغفرة ، والذمة الجوار والحصن من العدو ، فرغب رسول الله ﷺ الأمة في تلك الصلاة بالكشف عن الغطاء عن الحال فيه ، وأجمل الكشف وفهم عنه استجابة مجملا ، ثم احتيج من بعده إلى شرحه لأن هذا ، قد زالت العصمة عنهم ، وتراكمت سترة النفس على قلوبهم وأخلاط رين الذنوب في صدورهم .

الأصل الخامس والتسعون والمائة

١٠٠٥ـ **حدثنا** عمر بن أبي عمر ، ثنا سعيد بن أبي مريم الجمحي ، ثنا يحيى بن أيوب ، قال : حدثني عبد الله بن سليمان[(١)] ، عن دراج عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد رضي الله عنه . وابن حجيرة ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ : أنه مر ببلال وهو يقرأ من هذه السورة وهذه السورة وقال : أخلط الطيب بالطيب ، فقال ﷺ : " اقرأ السورة على نحوها " . وقال : " مثل بلال كمثل نحلة غدت تأكل من الحلو والمر ثم يمسي حلوا كله " .

معناه : أن النحلة هكذا سبيلها وهي مأمورة بذلك وجعل لها كلا الصنفين رزقا ، فإن في الحلو شفاء وداء وفي المر شفاء وداء ، فأمرت بالجمع بين ذلك ليكون الداء بالشفاء والشفاء بالداء فيعتدل فلا يضره ، ويكون شفاء ، فأوحى إليها ثم ذكر ذلك [٢/ ١١/ ب] في تنزيله فقال : ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ۝ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ ﴾ [النحل : ٦٨ - ٦٩] فذلت لله مطيعة واتخذت بيوتا من الأماكن التي أشير لها إليها فاتبعت رزقها من حيث ذكر لها ، فالمر من الثمار كريه على كل نفس منفوسة ، ولكنها كما سخرت للآدمي تذللت وانقادت كذلك فيما صرف إليها من الرزق حلوا كان أو مرا سخرت لأكلها ، وقد نجد سائر الدواب في مرعاهن يتقين كثيرا من الكلأ ومن ألوان نبات الأرض فلا يقربن ، وتجد كثيرا من ذوات الأجنحة يتقين كثيرا من الثمار فلا يقربنه ، وسخرت النحلة لأن تأكل كل الثمرات حلوها ومرها ومحبوبها ومكروهها ، فسارت الهوام والطيور والدواب إنما تتخذ المأوى والأوكار لنفسها وقرارها ، واتخذت النحل بيوتا بما أوحي إليها لتكون تلك البيوت أوعية لما يجعل الله في مأكولها من الشفاء للآدميين ، فلولا تلك البيوت التي تتخذها النحل لكان الذي يخرج من بطونها يذهب فسادا ، فتلك البيوت وإن كانت مساكنها فهي للعسل ولأمر الله لا لها ، ثم أمرها أن تأكل من كل الثمرات

---

(١) بالأصلين " عبد الله بن أبي سليمان " والمثبت من التهذيب .

حلوها وحامضها ورطبها ويابسها وحارها وباردها ومحبوبها ومكروهها ، فإن لكل ثمرة نفعًا فإذا أكلت من الكل فقد جمعت النفع كله في أكلها ، فإذا كان أكلها على هذا الصفة تاركة لشهوتها قد استوت عندها محبوب الثمار ومكروهها لما ذلت لأمر الله ، صار هذا الأكل لله لا لنفسها ولو آثرت المحبوب على المكروه لكان أكلها لنفسها ، فإنما وصفها الله تعالى بالذلة لأنها ذلت له في أكل الثمرات فيما وافقها وفيما لم يوافقها فصار ذلك شفاء بمنزلة الأدوية يخلط من كل نوع فصارت في طيرانها سالكة سبل ربها ، وصارت هذه كلها سبله حيث ما طارت في طلب رزق لأنها رمت بشهوتها واستوت عندها حالة المكروه والمحبوب من تلك الثمار ونسبها إلى الذلة ، ولم يقل مطبعة ، ولكن ذللا فقد انتظمت الطاعة فلما صفى أكلها في أنها له لا لنفسها بشهوتها ونهمتها صار ما في جوفها من المأكول حلوًا وصار شفاء لأسقام الآدميين ، ألا ترى أن البقرة صار لبنها شفاء ولحمها داء فإنما صار هكذا لأنها تأكل من كل الشجر ، هكذا جاء في الخبر عن رسول الله ﷺ : " عليكم بألبان البقر فإنها ترم من كل شجر " .

وروي عن النبي ﷺ [٢/ ١٢/أ] أنه قال : " لبنها دواء وسمنها شفاء ولحمها داء " إنما صار لبنها دواء لأنها تأكل من كل شجر ، ولحمها داء لأنها تأكل كالنهمة لأنها جعمة " .

وكذلك تعاودت ألسنة الناس هذه الكلمة فيشبه الإنسان الشهواني فيقال مثل البقرة الجمعة ، فهذه كلمة جارية على الألسنة ألا ترى أنها ترعى من كل شجرة حلوه ومره فهذه لجعامتها لا لأنها ذلت لله بأمر ربها كالنحل فإنها لم يلق إليها ما ألقي إلى النحل إلهاما من الله فذلت بإلهام الله ، ولكن البقرة أكلت من كل شيء لجعامتها ، ألا ترى أنها ترعى المزابل ومراعي السوء ، وترتزق من المقاذير وتذر الأطايب من الشجر ، فهذه آيات الجعومة فلما صارت تأكل بالنهمة جعامة صار لحمها داء ، واللبن الذي حدث عن أخلاط الشجر دواء للنهمة عليها صارت لحمانها منزوعة البركة ، وكل شيء لا يبارك فيه فهو داء في الدنيا والآخرة والدواء ضد الداء والشفاء ثمرة الدواء ، وهي البروء ، ويقال في اللغة : دوى يدوي على قالب فعل ، فهو من الداء وداوى يداوي ، على قالب فاعل ، هذا من الدواء ، واشتق اسم أحدهما من الآخر والداء

الهلاك ، ومنه سميت المفازة دوية ، وهو الاسم الأعلى لأنه موضع هلاك ، وسمتها العرب مفازة تطيرا لأنها مهلكة ، فالداء إذا عرض أهلك الطبع ، فإذا عولج بالدواء أهلك الدواء الداء فسمي هذا داء وهذا دواء للهلاك ، ليقرب هذا من ذلك بالواو الذي زيد فيه ، والشفاء هو الذي يحدث عن الدواء كالشبع من الخبز ، والرواء من الماء ، فجعل هذا الأمر منه وجاء إلى النحل .

والوحي : القذف إلهاما ، والقذف منه خصوصية لمن قذف إليه وتقديما له على نظرائه من أي جنس كان ، ولهذا ما جاءنا عن رسول الله ﷺ أنه نهى عن قتل النحلة والصرد والضفادع والهدهد .

فقد كان لكل واحد منهم سالف عمل مرضي وفي خلقهم جوهر يتقدم الجواهر وقد شرحناه في باب قتلهن .

ثم قال في آخر الآية : ﴿ شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل : ٦٩] فثمرة هذه الآية لمن سقى فكره فيها : لعلمك أن النحلة التي سخرتها لك ذلت لي فاستوى عندها في المطعم محبوبها ومكروهها ، وتركت نهمتها فجعلت ما في بطونها حلوها ومرها حلوا كله ، وجعلته شفاء من الأسقام فكيف بالآدمي المسخر له إذا ذلت نفسه فتركت(١) نهمتها وشهوتها رياضة لها حتى استوى عندها المكروه والمحبوب من أحوالها كيف يصير ذلك المكروه كله عنده [٢/ ١٢/ ب] حلوا محبوبا يكون كلامه شفاء للمذنبين وأفعاله شفاء للناظرين إليه من أهل المعاصي ورؤيته حياة لقلوبهم .

فأما تمثيل فعل بلال رضي الله عنه بالنحلة أنه إذا قرأ قصد آيات الرحمة أو لصفات الجنة فيتلوها نظاما ، ألا ترى أنه قال : أخلط الطيب بالطيب ، فكان يقصد من القرآن لما يطيب نفسه ، فأمره أن يقرأ السورة على نحوها كما جاءت ممزوجة ، والله أعلم بدواء العباد وحاجتهم فلو شاء لصنفها أصنافا كل صنف على حدة لكنه مزجها لتعمل على القلوب على المزاج ، فنظامه لا يوصف ، ولا يفهم نظامه إلا الأنبياء والأولياء ، حرام على قلوب التفتت إلى أحوال النفس أو حجبت عقولها عنه

---

(١) في (ص) « ذلت نفسه لي فتركت »

بشهوة أن تفهم نظامه ، ولقد تلوت يوما سورة حتى أتيت على هذه الآية : ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ۞ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [الفرقان : ٢٥ - ٢٦] فأوقفتني الآية كالمبهوت في فكرة أذكر من ذلك الحال فقلت : يا لطيف ؛ علمت أن قلوب أوليائك الذين يعقلون هذا الوصف عنك ويتراءى لهم هول هذه الصفة لا تتمالك فلطفت لهم ، فنسبت الملك إلى أعم اسم من الرحمة فقلت : الرحمن ، لأن في هذا الاسم تلك القلوب التي يحل بها القول عند تلاوته فيمازج تلك الأهوال التي يحل بها ، ولو كان بدله اسما من الأسماء التي تزيد في الهول كقوله : ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ﴾ [الحشر : ٢٣] ثم تفطرت القلوب كان حقيقيا غير مدفوع في جميع كلامه نظاما يعجز عنه الواصف والمفكر ومن النظام تخرج اللطائف ، فكان بلال رضي الله عنه يقصد لما تطيب النفوس به من آيات الرحمة ، فأمره أن يقرأ على نظام رب العالمين فهو أعلم بالشفاء ، فإنه سماه : ﴿وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [يونس : ٥٧] ، فإن في الصدور داء النفوس وهي الشهوات فإذا [جاءت مواعظ الله][١] جاءت بالشفاء معها فذهب الداء ثم مثل شأن بلال رضي الله عنه بالنحلة تغدو فتأكل حلوا ومرا ثم يمسي كلها حلوا ، معناه : أن المؤمن يتلو آية الوعد فيبشر قلبه ويسره ثم يتلو آية الوعيد فينكسر قلبه ويسوء ذلك ، فهو بين خوف ورجاء فهذا حلو ومر ثم يطمئن إلى رحمة الله تعالى وإلى معرفته بربه ، فيصير حلوا كله وقد ذكر في تنزيله فقال : ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر : ٢٣] ، وإنما اقشعرت الجلود من أجل خشيته من هول الوعيد الذي حل بقلوبهم فهذه مرارة ، ثم اطمأنت قلوبهم وجلودهم إلى ذكر الله لما عرفوه كريما رحيما سمحا جوادا ودودا رءوفا فطابت نفوسهم ولانت جلودهم وقلوبهم مطمئنة إلى ذكر الله فهذه الأسماء إنما صارت هكذا لأن التوحيد فيه قد استقر قراره ، وإنما خرج له التوحيد من خزائن المنة [٢/١٣/أ] ، والمنة من الفضل ، والفضل مَنّ جماله ، والوعد والوعيد كلامه لأهل دينه من أجل أعمالهم وسعيهم ، فإذا تلا العبد وعده رجا وإذا تلا وعيده خاف فاقشعر منه وبكى وجزع ، فالتوحيد الذي بدا له من

---

(١) ما بين المعقوفين سقط من (ص) .

منه على ما وصف لا يدعه حتى يجذب قلبه إلى ربه فيطمئن إلى عطفه ، فإنه من عطفه عليه نال هذا فشبهه بالنحلة تأكل حلوا ومرا ثم أمسى فعاد كله حلوا .
قال الله تبارك اسمه : ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ * ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى * وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴾ [الفجر : ٢٧ - ٣٠] فالمطمئن قد استوى عنده المحبوب والمكروه من أحكامه عليه فقبله منه على سبيل الرضا عنه فرضي الله عنه ، ويخاف من نوائب الدنيا ونوائب الآخرة ، ثم يطمئن إلى مولاه نعم المولى ونعم النصير لأنه صبره عظمته في الأمور والنوائب ، وقال : ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ﴾ [الحج : ٧٨] فمن يجمع هذا القول في قلبه فهو عصمة في كل نائبة من كل سوء .

الأصل السادس والتسعون والمائة

١٠٠٦ـ **أخبرنا** قتيبة بن سعيد ، ثنا ليث بن سعد ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن أبي الخير عن[١] عبد الله بن عمرو ، عن أبي بكر رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله ؛ علمني دعاء أدعو به في صلاتي ، قال : " قل : اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب إلا أنت ، فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم ، فهذا عبد اعترف بالظلم ثم التجأ إليه التجاء مضطر لا يجد لذنبه ساترا غيره ، وقد قال : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾ [النمل : ٦٢] .

ثم[٢] سأله المغفرة وهي الستر ، ثم قال : من عندك ، فالأشياء كلها من عنده ولكن إذا قيل : من عندك عرف أنه ليس مما قد بذله العامة ، إنما يبتغي من عنده ما قد خزنه عن العامة ولله رحمة قد عمت الخلق برهم وفاجرهم سعيدهم وشقيهم في أرزاقهم ومعايشهم وأحوالهم ، ثم له رحمة قد خص بها المؤمنين وهي رحمة الطاعة والإيمان ، ثم له رحمة قد خص بها المتقين وهي رحمة الطاعة ، ولله رحمة قد خص بها الأولياء ، وله رحمة قد خص بها الأنبياء فبها نالوا النبوة ، وفيما ذكر في تنزيله الأنبياء ، فقال : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا ﴾ [مريم : ٥٠] وقال الراسخون في العلم : ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران : ٨] فإنما سألوه رحمة من عنده .

---

(١) في (ص) " بن " .

(٢) " ثم " زيادة من (د) .

الأصل السابع والتسعون والمائة
[٢/١٣/ب]

١٠٠٧ـ حدثنا أبي رحمه الله ، ثنا الحماني ، ثنا زيد بن حباب ، قال : حدثني سهيل بن عبد الله ، أخو حزم القطيعي ، عن ثابت البناني ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال : قرأ رسول الله ﷺ : " ﴿ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴾ [المدثر : ٥٦] " ، فقال ﷺ : " قال ربكم : أنا أهل أن أُتَّقى فلا يجعل معي إله ، فمن اتقى أن يجعل معي إلها كان أهلا أن أغفر له " .

١٠٠٨ـ حدثنا الفضل بن محمد ، ثنا هدبة بن خالد الأزدي ، ثنا سهيل بن عبد الله ، أخو حزم القطيعي ، عن ثابت ، عن أنس رضي الله عنه قال : قرأ رسول الله ﷺ : " ﴿ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴾ [المدثر : ٥٦] " ، فقال : " قال ربكم : أنا أهل أن أتقى فلا يجعل معي إله ، فمن اتقى أن يجعل معي إلها فأنا أهل أن أغفر له " .

فقد اختلفت الروايتان في اللفظ ، قال الحماني : " كان أهلا أن أغفر له " . وقال هدبة : " فأنا أهل أن أغفر له " . فإنما اتقى أن يشرك به غيره أحدا ، ولو أشرك به أحدا لفعل محالا لأنه جعل شيئا لا يكون ، فذلك قوله : ﴿ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ [المدثر : ٥٦] أهل أن يتقى دعوة الشرك لأحد في ربوبيته وإلهيته ، فمن فعل ذلك فإنه كان أهلا للمغفرة أن يستر عليه ذنوبه وعيوبه ، وإنما صار كذلك لأن الإنسان ركب فيه الشهوات والهوى يميل به هكذا أو هكذا ، وليس له نور في قلبه ، فمن جعله الله أهلا أن يغفر له ذنوبه ويستر عليه عيوبه ، ومن وقاه الله ظلمة الشرك فجعله أهلا لذلك كان أهلا أن يقيه ظلمة النار وحرها ، وقال في تنزيله : ﴿ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ﴾ [الفتح : ٢٦] فجعلهم أحق بهذه الكلمة وجعلهم أهلا لها ، وقال : ﴿ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ * فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [الحجرات : ٧ - ٨] .

وفي الرواية الأخرى قال : فأنا أهل أن أغفر له ، فهذا على نسق التنزيل نسب الأهلية إلى نفسه في الفعلين ، فهو أهل أن يُتَّقى وهو أهل أن يَغْفِر ، والأهل والآل بمعنى واحد وهو الرجوع ، والهاء والواو والهمزة يتبدلون معناه ، أي : حقيق أن يتقى وراجع الأمور إلى أن يتقى إذ لا يوجد غيره إله ، وحقيق أن يغفر وراجع الأمور إلى

أن يغفر لمن وحده واتقى أن يجعل معه إلها ؛ لأنه شكور ، وقد تسمى بالشكور ولا يضيع أجر المحسنين ، ولا يضيع أجر من أحسن عملا ، فإن لم يغفر لمن وحده واتقى أن يجعل معه إلها فإن شكره لتوحيده ، وهو أعظم من جميع أعمال الثقلين ، ومن قال : أن أحدا [٢/ ١٤/أ] من أهل التوحيد يبقى في النار أبدا فقد أعظم الفرية على الله ، ونسبه إلى الجور والكفران ، تعالى الله أبدا عن ذلك ، وإنما قال بعض أهل السلف في ذلك قولا في أهل الكبائر فحملوه على غير جهته ولم يفهموا عنه ، فقال : " لا آمن أن يخلد في النار من أذنب ذنبا واحدا " . على وجه التغليظ ، وعلى وجه الخوف عليه ، والخلد لا يكون أبدا ، وإنما الخلد طول المكث في اللغة ، ألا ترى إلى قول رسول الله ﷺ : " خيرني ربي بين لقائه وبين الخلد في الدنيا ، فاخترت لقاء ربي " . فلا يشك أن الخلد في الدنيا لا(١) يكون أبدا .

وقوله : ﴿ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ ﴾ [الأعراف : ١٧٦] أي : أبطأ عن الآخرة إليها ، ويقال : هذا رجل مخلد ، أي : أبطأ مشيه ، فإنما قال ذلك القائل : لا آمن أن يخلد ، أي : يطول مكثه في النار ، ولا أعلم أحدا يجوز لنفسه أن يتكلم بهذا ، فمن يعقل أن المؤمن يبقى في النار أبدا ، ومن قال فقد ضل وغوى .

١٠٠٩ـ حدثنا الفضل بن محمد ، ثنا سالم بن حيان الطائي ، ثنا سويد بن عبد العزيز ، قال : حدثني نوح بن ذكوان ، عن أخيه أيوب ، عن الحسن ، أن رسول الله ﷺ قال : " قال الله تبارك وتعالى : إني لأجدني أستحيي من عبدي يرفع إلي يديه ثم أردهما . قالت الملائكة : إلهنا ، ليس لذلك بأهل ، قال الله تعالى : لكني أهل التقوى وأهل المغفرة أشهدكم أني قد غفرت له " .

---

(١) في (ص) " أبدا " .

الأصل الثامن والتسعون والمائة

١٠١٠ـ حدثنا أبي رحمه الله ، ثنا حوشب بن عبد الكريم البلخي ، ثنا حماد بن زيد ، عن أبان ، عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " يكون في آخر الزمان ديدان القراء ، فمن أدرك ذلك الزمان فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، ومنهم وهم الأنتنون ، ثم تظهر قلانس البرود فلا يستحيا يومئذ من الرياء ، والمتمسك يومئذ بدينه كالقابض على جمرة ، والمتمسك يومئذ بدينه أجره كأجر خمسين ، قالوا : منا أو منهم ؟ قال : بل منكم " .

١٠١١ـ حدثنا حميد بن علي مولى رسول الله ﷺ ، قال : ثنا جعفر بن محمد الهمداني ، ثنا أبو إسحاق الفزاري ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عبد الله رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : " يأتي على الناس زمان المتمسك فيه بسنتي عند اختلاف أمتي كالقابض على الجمر " .

يريد أن القراء هم هؤلاء الذين تنسكوا في ظاهر الأحوال تصنعا وتأكلا للدنيا به ، قد رموا بأبصارهم إلى الأرض ومدوا بأعناقهم بها وتكبرا وإعجابا بظاهر أحوالهم لجهلهم بالله وغرتهم به يعدون الخطير ويقضون المنى ناظرين [٢/ ١٤/ب] إلى أهل الذنوب بعين الازدراء حقارة لهم وعجبا بأنفسهم أعطوا القوة على لبس الخشن وأكل الحشف ، والتصبر على ملاذ الدنيا وشهواتها استدراجا فاستمرأوا بحبها ، وسخت نفوسهم بترك جميع اللذات في جنب لذة ثناء الخلق عليهم والتعظيم لهم والنظر إليهم بعين الإجلال ، تقول لهم نفوسهم : إنما تنال الرفعة العظمى عند الخلق بترك ظاهر الدنيا ولذاتها حتى تنال ملكا بلا سيف وجندا بلا ارتزاق وغنى بلا خزانة وعبيدًا بلا ملك ، فسبت قلوبهم بما مناهم فأقبلوا على جفاء الدنيا وذم من تناولها والطعن على من وسم بالغنى من أئمة أصحاب رسول الله ﷺ ، حتى أداهم جهلهم إلى أن خرجوا على الرسل طعنا ورميا منهم داود وسليمان وأيوب ، ومن وسع عليه هذه الدنيا صلوات الله عليهم ، فخرجوا من الدين مروقا من حيث لم يشعروا ، وأعظم شيء في أعين هذا الخلق هذه الدنية والحطام ، وعظمت هذه في نفوسهم ، وكبر شأنها في صدورهم حتي عصوا الله في جنبه ، ولهوا عن وعيده ،

وباعوا آخرتهم بدنياهم ، فمن تركها فقد عظم شأنه عندهم وحسبوا أنه لم يبق وراء هذا شيء ، وأن هذا عبد قد بلغ الغاية في الدين ، ولا يعلمون أنه ترك شيئا قليلا من شيء لا يزن جميعه عند الله جناح بعوضة ، فإذا كان الجميع لا يزن عند الله جناح بعوضة ، فالذي ترك منه كم هو .

بلغنا في الخبر : أن الله تبارك وتعالى يقول لتارك الدنيا : زهدت في الدنيا راحة تعجلتا ، وللغافل : عبدتني فحملك العباد فوق رءوسهم فهل أحببت فيّ وليا ، أو هل عاديت فيّ عدوا ؟ وعزتي لا ينال رحمتي من لم يوال فيّ ولم يعاد فيّ " .

فهؤلاء الديدان قد تركوها في رأي العين من حيث يظهر للخلق ، وأخذوها من حيث يخفى عليهم ، اتخذوا تركها في الظاهر عند الخلق منزلة ووجها حتى نالوها في الباطن بتلك المنزلة أوفر مما تركوها وعلى أسهل مما تناولوها ، فقد كانوا من قبل ذلك الترك يكدون سعيا في تناولها حتى يصلوا إليها ، ومن بعد المنزلة تناولوها على أيدي الراحة بسمة الترك لها يرزءون على أهل الغنى ويجفون أهل الريب ، ويشمئزون عن مخالطة العامة العبوس في وجوههم والتماوت في أركانهم وعجب النفس في صدورهم ونية الترك في كلامهم وسوء الخلق في أفعالهم وضيق الصدر في عشرتهم ، الواحد منهم في نفسه أعظم من ملء كورته رجالا ، فهم ديدان القراء الذي يقال لهم بالأعجمية : (كجل) يهابهم الناس هيبة سوء الخلق لا هيبة الحق ولا هيبة الخشية ، فحق لهم أن يكونوا كما سماهم رسول الله ﷺ : " الأنتنين " ؛ لأنهم [٢/١٥/أ] في نتن من الأمور وسفالة ودناءة ، وصدورهم أنتن من أمورهم لأنهم يموتون على الدنيا عشقا ، ومن أجلها يعادون أهل الدنيا ممن وسم بالغنى ، يخادع الله بقلب ولا يفكر في يوم الحساب وتحصيل ما في الصدور وحظه من عمره ما انفرد بأمر آخرته ، فإذا خرج منها إلى دنياه يظل عمره بالغفلة همته هواه ودينه مناه وتبعه غواة وتبعه سراه ، وهم من الصدق عراة قد ملكوا القلوب بتصنعهم وريائهم وهجروا الخلق من أجل دنياهم ، فكأنهم يقولون لهم : ضعوها حتى نرفعها وتخلوا عنها حتى نملكها .

وصنف آخر تصنعوا لهذا الخلق بزي أهل المسألة والعقل من حسن الملابس وطول القلانس وطرة اللحى وحف الشوارب ليتمكنوا في صدور المجالس ، وليستدروا

من الملوك ما ليس هذا الحطام على الختل الدامس والتدريب الدانس وصباب الهامس ونصب فخوخ القانص ، فالتمسك بسنة رسول الله ﷺ عند ظهور هذا الجنس كالقابض على الجمر ، لأن هذين الصنفين قد تمكنوا من صدور الخلق لغلبة الجهل عليهم فهم المقتدى بهم والمنظور إليهم ، فهم عند الخلق علماء ، وفي الملكوت جهال ، كما روي عن رسول الله ﷺ ، أنه قال : « إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من قلوب الناس ، ولكن يقبض العلماء ، فإذا ماتوا اتخذوا رءوسا جهالا فضلوا وأضلوا » .

فمن تمسك بالسنة بين ظهراني هذين الصنفين بعد تمكنهم من الرئاسة ونفاذ القول في الخلق فقد بارزهم بالمحاربة ؛ لأن في تمسكه بالسنة هتكا لسترهم عند العامة وكشفًا لعوراتهم وإبانة لكذبهم وحطا لرئاستهم وقطعا لمأكلتهم ، فالتمسك بالسنة فيه الصدق والوقار ، فإذا عارضته بصدقك ووقائك مستعملا له ترصد لك بالعداوة ، فاستعد لمحاربتك لما يخشى به من كشف عورته فصارت مؤنته عليك أعظم من مؤنة محاربة الكافر ؛ لأن الكافر لا حرمة له ، فالقلب والأركان قد تعاونوا عليه بإهلاكه ومنابذة هذا مع حفظ القلب لأن حرمة الإيمان معه ، فإذا عاداك في مخالفته إياك بتركه التمسك بالسنة احتجت إلى أن تداريه وتلاطفه وترفق به وتتأنى في أمره وتراقب الله في شأنه وتحتمل أذاه وعيبه لحرمة الإسلام وهو ينتقصك ويطلبك بالغوائل ، يريد إسقاطك فتحتاج إلى أن تحفظ جوارحك حتى لا تتعدى وتحتاج إلى أن تحفظ قلبك حتى لا يجور ، وأن تحفظ همتك فيه حتى لا يغش وتنصح الله في عبده المؤمن فترحمه في بلائه ، وتنتظر الفرج [٢/ ١٥/ ب] من خالقك فترى تدبيره فيه وفيك فلذلك شبهه بالقابض على الجمر ، لأن الجمر يحرق اليد وهذا يحرق القلب والكبد يحرقك من وجهين : من وجه تغييره الحق عن جهته ودرسه على لسانه واغترار الخلق به ، ومن وجه أن عمره صار ، وبالاً علية فترحمه ، ولقد جمعني وبعض أهل هذه الصفة مجمع فيها ملال ، فقدمت إلينا أطباق سكر ، غلابى في مداهن فضة ، فتناول الغالبية من الفضة وأبيت أن آخذه لمكان الفضة ، فغاظ هذا المخالف ما فعلت لما كان فيه من هتكه ، فأخذ يهجن فعلي محتجا ، وذلك بمسمع من ذلك المجمع ، فقلت : ألم ينه رسول اله ﷺ عن لباس الحرير والديباج وعن

الشرب في آنية الذهب والفضة ؟ فقال : بلى ، قلت : أفترى نهاهم من أجل الشراب أو من أجل الآنية لأنه من زي الفراعنة وأهل الشرك بالله استعمالهم الذهب والفضة أوانيا ؟ فما الفرق بين استعماله شربا ومنه وبين استعماله مدهنا وتغلفا منه ؟ أرأيت حين نهاهم عن لباس الحرير والديباج ، هل علمت أحدا رخص في إقرارهما ،

١٠١٢ـ بل حدثنا الجارود بن معاذ ، ثنا وهب بن جرير ، ثنا أبي ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن حذيفة رضي الله عنه ، قال : نهانا رسول الله ﷺ عن لبس الحرير والديباج وأن نجلس عليه .

١٠١٣ـ **وحدثنا** قتيبة ثنا حماد بن زيد عن ابن عون عن محمد قال : قلت لعبيدة : افتراش الحرير والديباج كلبسه؟ قال : نعم .

١٠١٤ـ **حدثنا** سفيان بن عون عن محمد بن عبيدة بمثله(١) .

١٠١٥ـ **حدثنا** علي بن حجر ، عن شريك ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن بعجة ، أن عليا رضي الله عنه أتي بدابة عليها سرج حرير فنزع سفنه ثم ركب .

١٠١٦ـ **حدثنا** عبد الجبار ، ثنا سفيان ، عن عمرو بن دينار ، قال : سمعت صفوان بن عبد الله بن صفوان يقول : قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه : لأن أجلس خمر العقا أحب إلى من أن أجلس على مرافق حرير .

فكما حظر علينا الجلوس والافتراش للحرير والديباج حظر علينا لبسه ، فكذلك حظر علينا اتخاذ الأوعية والأواني من الذهب والفضة كما حظر علينا لبس الذهب والجلوس على الحرير والديباج بمعنى واحد ، وكذلك المداهن والمجامر والمخاضب ، وكل شيء يتخذ وعاء من الذهب والفضة ، فكذلك كله من زي المجوس فهل تابعك على هذا الذي قلت أحد من السلف ؟ إنما جرى الاختلاف بين أبي حنيفة وأبي يوسف في المفضض ، فقال أبو حنيفة : لا بأس بالقدح يفضض بالسرير يزين بالفضة ، واحتج بحلية السيف التي جاءت في الأخبار [٢/١٦/أ] عن رسول الله ﷺ في أن قبيعة سيف رسول الله ﷺ كانت مفضضة ، فقال : يضع فاه

---

(١) كذا هذا الإسناد في (ص) ولم أتبينه ، ولعله " سفيان عن ابن عون عن محمد عن عبيدة " . وغير موجود في (د) ، وفيها " سفيان حدثنا علي بن حجر . . . " .

على العود ولا يضع على القصبة ، وخالفه أبو يوسف وعامة أصحابه من بعده ، فقالوا : هذا كله من ذى المشركين ، وهو منهي عنه ، فأما إذا كان نفس الشيء من فضة ، فلا أعلم أحدا من الصحابة والتابعين ولا أحدا من فقهاء علمائنا ، ولا أبي حنيفة وأبي يوسف[١] إلا وقد كرهوه كلهم ، فلما طالبته بفعل أحد من السلف ترك هذا وخرج إلى حد السفه ، هربا من الحق ، وعنادا عن[٢] الله ، فقلت : قد جاء القبض على الجمر ، تحتاج إلى أن تعاشر هذا مع هذه المعاملة معاشرة يسلم لك إيمانك وإيمانه وإسلامك وإسلامه ، والحق الذي ألف الله به العباد وعليه جمعهم وتذب عن الحق ذبا ، لا تدخل عليه من ناحية أخرى بما يؤذيه ويثلمه في تحفظ قلبك مع الله في هذه الأحوال ، فقلت في نفسي : هذا ممن قد غلبه سكرتان ؛ سكرة الجهل بما إليه أشير ، وسكرة حب الدنيا ، فخطاب السكارى على سبيل العدل والإنصاف أمرّ من الصبر وأشد من نقل الصخر ، والقبض على الجمرة .

١٠١٧ـ **حدثنا** عبد الله بن أبي زياد القطواني ، ثنا سيار ، عن جعفر بن سليمان ، عن الصلت بن طريفة ، ثنا شيخ من أهل المدائن ، قال : قال رسول الله ﷺ لأصحابه : " أنتم اليوم على بينة من ربكم ؛ تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتجاهدون في سبيل الله ، ثم تظهر فيكم السكرتان ؛ سكرة العيش وسكرة الجهل ، وستحولون إلى غير ذلك ، يفشو فيكم حب الدنيا ، فإذا كنتم كذلك لم تأمروا بمعروف ، ولم تنهوا عن منكر ، ولم تجاهدوا في سبيل الله ، والقائمون يومئذ بالكتاب والسنة في السر والعلانية السابقون الأولون " .

قال له قائل : هذه صفة ديدان القراء قد وصفتهم ، فصف لنا الصادقين من القراء ، وفي أي مرتبة هم من الدين ؟ قال : " نعم ، أما صفتهم هم قوم تابوا فتاب الله عليهم ، وقد يتوب قوم فلا يتوب الله عليهم " . قيل : ولم ذلك ؟ قال : " لأنهم لم يصدقوا الله ، وإنما التوبة الندم بالقلب على كل ما كره الله ، وترك العود إليه عزما ، فتكون قد رجعت إلى الله ، والتوبة هي الرجعة ؛ لأنك عنه انصرفت إلى

---

(١) في (ص) " ولا أبو حنيفة وأبو يوسف " .

(٢) في (د) " علي " .

المعاصي ، فلما تركتها ورجعت إليه ، فإذا تركت جميع ما نهى الله عنه سرا وجهرا ، وظاهرا وباطنا ، وعزمت على أن تؤثر حقه على كل أمر اشتهته نفسك مما ليس بحق ، فقد صدقت الله في رجعتك إليه ، فرجع الله عليك بالمغفرة والرحمة والنصرة والتأييد ، فهذه توبتك [٢/١٦/ب] ، وهذه الأخرى توبته ؛ فتوبتك إليه ، وتوبته عليك كما نقول : رجعتك إليه ، ورجعته عليك ، رجعت إليه عبودة فرجع عليك شفقة وعطفا ، عرف إليه بالنفس بدلا ، فعاد عليك بمجده كرما ، سمحت له بنفسك طاعة ، فجاد عليك بفضيلة وزيادة ، فالفضل ثوابه ، والزيادة النظر إليه ، فالصادقون قوم تابوا صدقا فتاب الله عليهم ، فأعطاهم نورا قذفه في قلوبهم فشرح صدورهم من الذي أشرق في قلوبهم وبرّد وهج نفوسهم ، وسكّن غليان شهواتهم ، فأقبلوا على تصحيح أمورهم فيما بينهم وبين الله ، وعن التخلي عن كل ما نهى الله عنه دقّ أو جلّ ، وجاهدوا نفوسهم في ذات الله حق جهاده ، فلم يزل هذا دأب أحدهم يجاهد نفسه في شأن الاستقامة لله على سبيل الطاعة ، ويأتيه المدد من الله نور على نور ، حتى قوي على ترك كثير من الخلال تحصنا مما نهى الله عنه حتى دق نظره في الأشياء وورعه عن دقيق الأمور التي يخاف منها النقص غدا ، فثبت على ذلك يرجو الثواب ويخاف العقاب ، ويطلب الإخلاص في إتيان كل ما أمر الله ، والتناهي عن كل ما نهى ، يعلم أنه لا يثاب غدا إلا على الصدق ، فهو مشغول بنفسه لا يتفرغ لغيره فيعيبه أو يزري على أحد في دينه ، قد أوثقه خوفه من الله وثاقا شغله عن جميع الخلق برعاية هذه الجوارح السبع اللاتي اؤتمن عليها الآدمي ووكل برعايتهن وأخذ عليه العهد والميثاق فيهن يطلب إلى الله فكاكهن مما تعلق به من الأعمال السيئة ، فالعون على رعايته إياهن[١] فيما بقي من عمره ، فالمآتم نهاره والنوح ليله ، والصلاة نحلته والصوم عادته ، وكل ما شغله عن أمره فالهرب منه عزيمته ، قد تحصن من الخلق بعزلته ، وباينهم بهمته مبتهلا إلى الله في طلب المغفرة لجماعته وأهل ملته ، فهو على مثل هذه الحالة يطلب معيشته ويقوت عياله ويحسن إليهم ويعطف عليهم ، فإن كان عنده سعة أنفق من سعته ، وإلا تحرى من

(١) في (د) " رعايتهن إياهن " .

وجوه المكاسب أسلمها وأحمدها عقبى ، وجدّ فيه واجتهد حفظا للجوارح في طلبها ، وأداء أمانة ، وإنصاف للخلق في ذلك ، واجتزأ باليسير لنفسه ، وسعة على عياله ، وعفة عن المطامع ، وصيانة لوجهه ودينه ، ونزاهة عن شبهات الدنيا والمكاسب الشائنة لدينه ، وكان في طلبها كالمضطر الذي لا يجد عنه مندوحة ، ومنها على خطر وحذر ، يطلبها مخافة أن تدعوه نفسه إلى فتنة وبلية ، ويريد أن تطمئن نفسه ، كما قال [٢/١٧/أ] سلمان رضي الله عنه أن النفس إذا أحرزت رزقها اطمأنت بطلبها على أحسن هيئة وأجمل طلب مع قلب واثق بالله في رزقه ، ونفس مطمئنة قنعة لم يفتنهم حرصهم حتى يدعوهم إلى تناول الدنيا من الشبهة ومن المكاسب الرديئة ، طالبين للرخص في ذلك ، وقد أثنى الله عليهم في تنزيله ، فقال : ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ * رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ * لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ﴾ [النور ٣٦ : ٣٨] .

فاعلم أن الخوف من أهوال القيامة لما عمل على قلوبهم صار يوم القيامة معاينة على قلوبهم بالنور الذي شرح به صدورهم ، فخافوه وهالهم ذلك ، فلم تقدر حلاوة الأرباح ولذاذة الغنى أن تفتنهم ولا تلهيهم عن ذكر الله في حفظ الحدود في بيعهم وتجاراتهم ، وعن إقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، فوعدهم مع الجزاء الزيادة من فضله ، فروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : " الزيادة الشفاعة " .

وأما مرتبتهم من الدين فهم المقتصدون أهل الاستقامة ، أعينهم مادة إلى الثواب ، والتفاتهم إلى أعمالهم ، وعليها يعتمدون ، وبها يذلون ، حتى إذا وردوا العرصة وانكشف الغطاء صارت رؤوسهم بين أرجلهم من الحياء ، فلولا رحمة الله التي قد شملتهم من الدنيا إلى ذلك الموقف لكانوا من الهالكين .

قيل له : هذه صفة الصادقين ، فأخبرنا عن صفة الصديقين . قال : الصديقون قوم فتح لهم الطريق إلى الله ، والصادقون وقفوا على الطريق عندما عرضت لهم الجنة التفتوا إليها ، فبقوا معها ، واشتد عليهم ما وراءه ، ففيها يتفكرون ، وعنها ينطقون ، وإياها يطلبون ، والصديقون لما عرضت لهم في طريقهم إلى الله لم يلتفتوا إليها وفروا إلى الله لا يعرجون على شيء حتى وصلوا إلى الباب ، فما زالوا ببابه يرفعون

إليه شكواهم حتى فتح لهم وأشرق على قلوبهم نور جلاله فشغفوا به وشغلوا عن كل شيء سواه ، فوقفوا بين يديه للعبودة صدقا ، وفوضوا إليه أمورهم ، وائتمنوه على نفوسهم ، وآثروا مختاره كيف ما دبر لهم واختار ، فرضوا عن الله في الأحوال ، ورضي الله عنهم في الأمور ، يقبلون النعمة ، ويتلقون أحكامه عليهم بالبشاشة والسماحة ، يراقبون أمره ، ويقفون عند حكمه ، فالصديقون مع الله في كل أمر وحال ، والصادقون [٢/ ١٧/ ب] مع النفوس في كل أمر وحال ، يطلبون الصدق في الأمور والأحوال ، قد ضاقت عليهم الأمور خوفا من خيانة النفوس ، وخروجها عليهم من مكانها ، والصديقون قد فرغوا من هذا الأمر ، وجاوزوا هذه الخطة . فسلطان الله على قلوبهم قد أمات من نفوسهم ما خاف الصادقون لأنها حية عندهم ، وعند الصديقين ميتة ، ألا ترى إلى قول رسول الله ﷺ : " ما لقي الشيطان عمر رضي الله عنه إلا خرّ لوجهه ، و ما سمع حسه إلا فرّ " .

وقول مالك بن دينار : قرأت في بعض الكتب إن سرّك أن تحيا وتبلغ علم اليقين ، فاحتل في كل حين أن تغلب شهوات الدنيا ، فذلك الذي يفرق الشيطان من ظله ، فهؤلاء أهل اليقين ، وإنما خر الشيطان لوجهه ، ويفر من ظله لأن على قلبه سلطان لو تراءى لأهل سبع سماوات لماتوا ، فكيف لأهل الأرض ؟ ولا يقدر أحد أن يراه ؛ لأنه سلطانه تعالى ، والصديقون في هذه المرتبة وهم السابقون(١) المقربون ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

(١) في (د) " الصادقون " .

الأصل التاسع والتسعون والمائة

١٠١٨ـ حدثنا علي بن حجر ، ثنا الوليد بن محمد الموقري ، ثنا الزهري ، عن عروة ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : دخل عليّ رسول الله ﷺ فرأى كسيرة ملقاة ، فمشى إليها ومسحها ، وقال : « يا عائشة : أحسني جوار نعم الله ؛ فإنها قلّ ما نفرت عن أهل بيت فكادت ترجع إليهم » .

فالخبز غذاء الجسد ، والغذاء قوام الروح ، وقد شرفه الله وجعله من أشرف الأرزاق ، وأنزله من بركات السماء نعمة ، فإذا رُمي به أو طرحه مطرح الرفض والهوان كان قد غَمِضَ النعمة وكفرها ، وفي إدرار الرزق على السعة قوة عظيمة على الدين ، فإذا جفا نعمة صيرت قواما للنعمة العظمى نفرت ، وإذا نفرت لم تكد ترجع لأنها قد وسمتهم بالجفاء .

وروي لنا عن بعض التابعين أنه قال : الدنيا ظئر والآخرة أم ، ولكلٍّ بنون يتبعها بنوها ، فإذا جفوت الظئر نفرت وأعرضت ، وإذا جفوت الأم عطفت ؛ لأن الظئر ليس لها عطف الأمهات ، وهذه النعمة تخرج من هذه الأرض المسخرة فهي بمنزلة الظئر تربيك .

وروي في الخبر أن امرأة نجت صبيانها بكسرة خبز ، وجعلته في جحر ، فسلط الجوع على أهل تلك الزمان من بني إسرائيل حتى فزعت المرأة إلى تلك الكسرة فطلبتها حتى ظفرت بها ، فأكلتها .

١٠١٩ـ حدثنا الجارود ، ثنا عبد المجيد [٢/ ١٨/ أ] بن أبي داود ، ثنا مروان بن سالم ، عن إسماعيل ، عن فلان بن الحجاج بن غلاط السلمي(١) ، قال : قال رسول الله ﷺ : « أكرموا الخبز ، فإن الله أنزله من بركات السماء ، وأخرجه من بركات الأرض ، وأكرمه أن لا يوطأ ولا يطرح » .

---

(١) في (د) « عن فلان بن الحجاج عن الحجاج بن غلاط السلمي » .

الأصل المائتان

١٠٢٠ـ **حدثنا** علي بن حجر ، ثنا الوليد بن محمد الموقري ، ثنا الزهري ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " مثل المريض إذا برئ وصح من مرضه كمثل البردة تقع من السماء في صفائها ولونها "(١) .

وذلك لأن المريض قد كان توسخ وتدنس ، وكدر طيبته ، وقد كانت الرحمة مع هذا تكنفه ، فأبى الله أن يضيعه فداواه وشفاه ، كما تداوي الشفيقة من الأمهات ولدها بمد الأدوية البشعة لما تأمل من شفائه من سقمه ، فسلط عليه الأسقام ، حتى إذا تمت مدة التمحيص خرج منها كالبردة في الصفاء واللون ، والبياض في الوجه طلاوة وحلاوة ، والصفاء في القلب .

فتقدم الله إلى العباد أن يحفظوا جوارحهم عن أن يتدنسوا ليصلحوا لدار القدس في جوار القدوس ، فنزعوا الرعاية وضيعوا الحفظ ، فدلهم على أن يتطهروا بالتوبة ، فلم يفعلوا ، تابوا من ذنب وأصروا على ذنبين ، وتابوا من ثلاث وأصروا على واحدة ، على جهد من نفوسهم الشهوانية ، ثم دعاهم إلى هذه الفرائض ليتطهروا بها ، مثل الصلاة والزكاة والحج وصوم رمضان ، وقال في تنزيله في شأن الصلاة : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ﴾ . ثم قال : ﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ [هود : ١١٤] .

وقال في الزكاة : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ [التوبة : ١٠٣] .

وقال في الحج : ﴿ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ [البقرة : ٢٠٣] . أي مغفورا له .

وقال : " في الصوم جنة " .

فدلهم على هذه الفرائض ليتطهروا بها ، فخلطوها وغشوها ، وأدوها مع النقصان والوسوسة والمكاسب الرديئة ، فلم يكن هذا مما يطهرهم إذ لا تطهر النجاسة

---

(١) ذكره السيوطي في اللآليء المصنوعة (٢/ ٣٣٢) وقال : قال ابن حبان هذا حديث باطل ، إنما هو قول الزهري ، ولم يرفعه عنه إلا الموقري ولا يحتج به بحال .

بالنجاسة ، ولا ينقى الدنس بالوسخ ، فلما رأى[1] الله حالتهم هذه رحمهم ، فداواهم بهذه الأسقام ليمحصهم فيطهرهم .

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : يقول الله تعالى لملائكته : عبدي في وثاقي .

١٠٢١ـ حدثني أبي رحمه الله ، ثنا أحمد بن يونس ، ثنا عاصم بن محمد العمري[2] ، عن عبد الله بن سعيد ، عن جده ، رفعه ، قال : قال رسول الله ﷺ : " يقول الله تعالى : أبتلي عبدي [٢/ ١٨/ ب] المسلم ، فإن لم يشكني إلى عوّاده أطلقته من أساري ، ثم أبدلته لحما هو خير من لحمه ، ودما خيرا من دمه ، ثم ليأتنف العمل ، وقال في تنزيله : ﴿ وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورى : ٣٠] .

فقد قاصفه ببعض ما كسبت يداه ، وأهله للعفو في الباقي ، فأخرجه صافيا طاهرا ، فشتان بين ما داويت بالصوم والصلاة ، وأعمال بر تكتسبه بجوارحك على الصفة التي ذكرنا ، وبين ما داواك ربك ، ودواؤك قل ما يخلو من العجب والرياء والتخليط والشبه ، وهذا الذي داواك به لا رياء ، ولا عجب ولا صلف ولا تخليط ، إنما هي أسقام حلت بلحمك ودمك ومخك ، وقواك ليأخذها ويبدلك بها خيرا منها ، أو يقبضك إليه طاهرا حتى إذا وصلت غدا إلى العرصة ، واضطررت لا محالة إلى الجواز على الصراط إلى دار الله ، وجدتك النار قد تطهرت ، إما بالتوبة وإما بالذي محصك الله به من هذه الأسقام والمصائب ، فاحتسبته وصبرت عليه ، فطهرك وأعطاك نوال الصابرين ، فإن حمدته كتبك في الحامدين ، ومن قدم عليه غَدا بغير توبة ولا تمحيص بالأسقام ، قدم مع دنس المعاصي وأوساخها ، قد لزق بجوارحه ، والنار بالمرصاد قد أعدت منتقمة من الأعداء ، ومطهرة للموحدين ، فإذا مرّ عليها أخذت في الممر من جوارحه تلك الأدناس ، فتأكل من لحمه ودمه ثم يبدل لحما طريا ، وجسدا يصلح لدار السلام ، ولقد مرضت في سلف أيامي مرضة فلما شفاني الله منها مثلت في نفسي بين ما دبر الله لي من هذه العلة ، في مقدار هذه المدة ، وبين عبادة الثقلين في قدر أيام علتي ، فقلت : لو خيرت بين هذه العلة وبين

(١) غير واضحة في (ص) .

(٢) في (د) " المعمري " .

أن تكون لك عبادة الثقلين في مقدار مدتها إلى أيهما تميل اختيارا ؟ فصح عزمي ، ودام يقيني ، ووقعت بصيرتي أن مختار الله لي أعظم وأشرف خطرا ، وأنفع عاقبة ، وهو العلة التي دبرها لي ، ولا شوب فيه إذ كان فعله ، فشتان بين فعله بك لتنجو به ، وبين فعلك لتنجو به ، فلما رأيت هذا دق في عبادة الثقلين مقدار تلك المدة في جنب ما أتاني ، فصارت العلة عندي نعمة ، وصارت النعمة منة ، وصارت المنة أملا ، وصار الأمل عطفا ، فقلت في نفسي : بهذا كانوا يستمرون في البلاء على طيب النفوس مع الخلق ، وبهذا الذي انكشف لي كانوا يفرحون بالبلاء .

١٠٢٢ـ **حدثنا** أبي رحمه الله ، ثنا مالك بن سليمان الهروي ، ثنا هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، أنه وضع يده على رسول الله ﷺ وبه حمّى ، فوجدها من فوق اللحاف ، فقال : يا رسول الله ، ما أشدها عليك ؟ فقال : " إنا كذلك [٢/ ١٩/ أ] يشتد علينا البلاء ويضاعف لنا الأجر " . فقلت : يا رسول الله أي الناس أشد بلاء ؟ قال : " الأنبياء " . قلت : ثم من ؟ قال : ثم " الصالحون ، إن كان الرجل ليبتلى بالفقر حتى ما يجد إلا العباءة يحويها ، وإن كان الرجل ليبتلى بالقمل حتى يقتله ، وإن كان أحدهم ليفرح بالبلاء كما يفرح أحدكم بالرخاء " .

١٠٢٣ـ قال : حدثنا حفص بن عمر[(١)] ، ثنا زيد بن حيان ، قال : حدثنا موسى بن عبيدة[(٢)] ، قال : حدثنا زيد بن أسلم ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ ، بمثله .

إلا أنه " وإن كان النبي من الأنبياء ليبتلى ، وإن كان النبي ليفرح بالبلاء "

(١) في (د) " حفص بن عمرو " .

(٢) في (د) " موسي بن عبدة " .

الأصل الحادي والمائتان

١٠٢٤ـ حدثنا العباس بن أيوب الزبيري[١] ، ثنا قيس بن محمد الكندي ، ثنا طلحة بن كامل ، ثنا محمد بن هشام المدني ، قال : بايعت عبيد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب فما كسبنى ؟ فقلت : فما كسبي[٢] يا ابن رسول الله ؟ فقال : نعم ، حدثني أبي ، عن جدي ، قال : قال رسول الله ﷺ : " المغبون لا محمود ولا مأجور "[٣] . فهذا من أجل أنه لم يحتسب بما زاد على قيمته فيؤجر ، وأن يتحمد بائعه فيحمده ، ولكنه استرسل في وقت المبايعة فاشترى بغبن ، فلم يقع عند البائع موقع المعروف فيحمده ، ولكن رجع إلى نفسه فقال : خدعته ، فذهب الحمد ولم يحتسب ، وقال : أَسُر قلبه بما أزيده فيؤجر ، فالكيس فهم هذا فكايس وماكس مستقصيا ، فصح ماله الذي اؤتمن عليه ، وجعل قواما له أن يخرج من يده باطلا بلا حمد ولا أجر ، ونصح نفسه ، وهو مع ذلك حافظ للدنيا ، العقد الله[٤] يماكس غير مستقر ولا حريص ولا مغبون ، يحفظ على نفسه وعلى البائع دينه .

وروي لنا عن رسول الله ﷺ أنه مر برجلين يتبايعان وأحدهما يقول : لا أعطيك . وقال الآخر : لا أزيدك . فمر الرجل بالسلعة قد اشتراها ، فقال رسول الله ﷺ : " قد وجب إثم أحدهما " .

وروي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه ساوم رجلا سلعة ، فقال : لا أعطيك . فانصرف معاذ ، فدعاه فقال له : هل لك فيه ؟ قال : لا ، إني أكره أن أعينك على إثم .

ففي المكاس شرط وثيق ؛ أنه إنما يماكس لا لحرص على الدنيا ولا لرغبة فيها ، وهو مع ذلك حافظ لدينه ، حافظ على صاحبه دينه لئلا يأثم ولا يؤثم ، فهذا مكاس

---

(١) في (د) " الزبيدي " .
(٢) كذا بالأصلين .
(٣) ذكره الفَتَّني في تذكرة الموضوعات ، وعزاه للحكيم وقال : قال الذهبي : منكر .
(٤) كذا في (ص) ، ومطموسة في (د) .

محمود ، لم يترك ماله يذهب باطلا بلا حمد ولا أجر ، وقد ائتمنه الله عليه ، وجعله قواما له .

الأصل الثاني والمائتان [٢/١٩/ب]

١٠٢٥ـ حدثنا زيد بن أخزم الطائي ، ثنا أبو عامر العقدي ، عن سليمان بن سفيان ، عن بلال بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله ، عن أبيه ، عن جده ، قال : كان رسول الله ﷺ إذا رأى الهلال قال : " اللهم أهلله علينا باليمن والإيمان ، والسلامة والإسلام ، ربي وربك الله " .

فاليمن السعادة ، والإيمان الطمأنينة بالله ؛ كأنه سأله دوامها ، والسلامة والإسلام أن يدوم له الإسلام ، ويسلم له شهره .

فإن لله في كل شهر حكمًا [وفصلاً وشأنا في الملكوت ، فأما المحرم فشهره وأما إلي فيه . . . (١) ، وأما رمضان](٢) فمختاره ، وأما ذو القعدة فمن الشهور الحرم .

وقوله : " ربي وربك الله " . فإن أهل الجاهلية كان فيهم من يسجد للشمس والقمر من دون الله ، حتى جاء الله بالإسلام ، فقال في تنزيله : ﴿ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ ﴾ [فصلت : ٣٧] . فكان إذا رأى الهلال قال : " ربي وربك الله " . كأنه يناجيه ويخاطبه بذلك .

١٠٢٦ـ حدثنا الجارود بن معاذ ، ثنا الفضل بن موسى ، عن الفرج بن فضالة ، عن علي بن أبي طلحة ، عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا رأى الهلال قال : " إلهنا وإلهك ، وربنا وربك الله ، الحمد لله الذي سخرك(٣) لنا يخاطبه " . إن الوله إليه والربوبية ، وهو الملك له ، وأنت مسخر لنا ، ونحمده على تسخيره إياه شكرا لله ، فقد سخره ليضيء لأهل الأرض ، وقدره منازل ليعلم عدد السنين والحساب ، ويكون معلم مواقيت حجنا ، وديوننا ، وعدة نسائنا ، وعند مستهل كل شهر حكم وأمر معلوم .

---

(١) كلمة لم أستطع قراءتها .

(٢) ما بين المعقوفين سقط من (ص) .

(٣) في (ص) " سخر " .

الأصل الثالث(١) والمائتان

١٠٢٧ـ حدثنا أبو العاج أحمد بن سالم بن العلاء بن نوفل بن ناجية الربعي ، ثنا مالك بن يحيى بن عمرو بن مالك النكري ، عن أبيه يحيى بن عمرو ، عن جده عمرو بن مالك النكري ، عن أبي الجوزاء ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : " لم أر شيئا أحسن طلبا ولا أسرع إدراكا من حسنة حديثة لذنب قديم ، ﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾ " .

فالحسنة الحديثة والذنب القديم كلاهما بين يدي من جعلهما كذلك ، وولي الجزاء بالحسنات ، والمدرك بالعقوبات واحد ، والحسنة نور ، والسيئة ظلمة ، فإدراك النور للظلمة سريع ، فالحسنة نور ومبتدأة من نور الإيمان ، والإيمان هدى الله ، فبنور الإيمان يحسن طلبه وبقوة هدى الله يسرع إدراكه .

فلما كان في الحسنة نور ، وبه كان هادي الحسنة حتى تلحق السيئة بسرعة ، وتركب الحسنة نيته ، والنية من نور التوحيد ، فمن كان مركبه نور التوحيد فلحاقه بمن طلبه سريع في أسرع من الطرفة ، [٢/ ٢٠/ أ] والقديم والحديث عند الله بمنزلة ، وإنما يتفاوت هذا عند الآدمي وسائر المخلوقين ، ووجه آخر أن السيئة قد تقدم في الصحيفة موضع تخطيطها منذ أعوام كثيرة ، فالحسنة الحديثة لذلك الذنب هي التوبة ، فهي طالبة لموضعها من الصحيفة أحسن طلب ، وأسرع إدراك حتى تصير مكتوبة تحت السيئة أنه تائب ، ثم تمضي تلك الحسنة في مكانها حتى تجلو الظلمة التي على السيئة ، فروي لنا في الخبر أنه إذا تناول العبد الصحيفة يوم القيامة أعطي منها ما يلي السيئات فيجد تحت كل سيئة مكتوبة : تاب ، وتلك حسنة تضيء مكانها فتستر على السيئة فيقرأها العبد ، فربما أتى العبد على عظيمة يشتد عليه النظر إليها فتدركه رحمة ربه في ذلك المكان فتستر عليه تلك العظيمة ، ويقال له : جاوزها ؛ لأنه دعاه أيام الحياة بأحسن التجاوز ، فإذا انتهى إلى آخرها غفر له ما فيها فيصير جميع ما فيها بياضا ؛ لأن التوبة قد علت السيئة بضوئها ، ثم يقلب الصحيفة فيقرأ الحسنات

(١) في (د) " الثاني " .

والخلق ينظرون إلى صحيفته حسنات ، فإذا قلبها نظروا إلى الوجه الآخر فرأوها قد علت بضوئها فيقولون : طوبى لهذا العبد لم يذنب ذنبا قط ، فتقبل حسناته ، فعند ذلك ينادي : ﴿ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ * إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ * فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ * فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾ [الحاقة : ١٩ - ٢٢] .

الأصل الرابع[1] والمائتان

١٠٢٨ـ حدثنا عمر بن أبي عمر ، ثنا إبراهيم بن حمزة الرملي[2] ، عن محمد بن سلمة الحراني ، عن أبي واصل ، عن شهر بن حوشب ، عن عمرو بن معد يكرب قال : قال رسول الله ﷺ : " عرامة الصبي في صغره زيادة في عقله في كبره " .

فالعرم المنكر ، وإنما صار منه منكر لصغره ، فذاك من ذكاوة فؤاده ، وحرارة رأسه ، وأن الناس يتفاضلون في أصل البنية في الفطنة ، والكياسة والحظ من العقل .

والعقل على ضربين ؛ ضرب منه يبصر به أمر دنياه ، وضرب يبصر به أمر آخرته ، والعقل الأول من نور الروح ، والعقل الثاني من نور الهداية ، والعرمة بالعقل الأول موجود في عامة ولد آدم ، إلا من عنة ، أو جنة ، أو اعتل بعلة يتغير عليه طبعه ، وبينهم في ذلك العقل تفاوت عظيم ، وهو بالأعجمية هش ، والثاني بالأعجمية خرو[3] ، فالعقل الثاني موجود في الموحدين ومفقود من المشركين ، وبين الموحدين في ذلك العقل تفاوت عظيم ، وإنما سمي العقل [٢/ ٢٠/ب] عقلا من كلا الضربين لأن الجهل ظلمة ، وعمله على القلب ، فإذا غلب النور وبصره في تلك الظلمة زالت الظلمة وأبصر فصار عقلا للجهل ، فالصبي إذا رؤي منه زيادة بصر في الأمور وذكاوة فهم ، قيل : عارم ، والعرم بلغة أهل اليمن : المسناة ، وهي السد ، وهي عربية يمانية ، والصبي يسد أبواب الحمق والبلاهة بزيادة ذلك النور الذي أذكى فؤاده ، فتكايس في الأعمال في صغره ، واهتدى للطائف الأمور ومحاسنها بالنور الزائد المتقد في دماغه ، وإنما قيل : فلان حاد الرأس ، ذكي الفؤاد ، من هذا فحرارة رأسه من ذلك النور ؛ لأن مسكنه في الدماغ ، وأما عقل الإيمان فمسكنه في القلب ، ومعمله في الصدر بين عيني الفؤاد ، وكذلك روي لنا في حديث سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام أنه سأل ابنه[4] : أين موضع

---

(١) في (د) " الثالث " .

(٢) في (ص) " البرمكي " .

(٣) في (د) " حَرد " .

(٤) في (ص) " أبوه " .

العقل منك ؟ قال : القلب . فهذا عقل الإيمان ، ألا ترى أن هذه كلمة متوازنة ، أن يقال : فلان رجل له دماغ ، فإنما يراد بأن نور الروح متقد فيه اتقادا ، يذكي فؤاده ، فالصبي إذا كان في مزيد من ذلك سد بذلك الزائد أبواب الحمق ، فقيل : قادم ، أي : ساد له ، فمن ركب طبعه على هذه الزيادة ، ثم أدرك مدرك الرجال ، وجاءه نور الهداية من الله فآمن كان الذي ركب فيه في صغره عونا له في جميع أموره ، فصار بذلك له زيادة في عقله ، واللوثة والبلاهة والحمق نقص في العقول الدنياوية ، فإذا جاءه العقل الثاني افتقد العون ، ولم تكن[1] له في النوائب هداية الطبع ، إنما له هداية الإيمان ، والعارم قد اجتمعت له هداية الإيمان وهداية الطبع .

فهداية الطبع من ذكاوة الحياة التي فيه والروح المضموم إليه ، فكانت النفس قالبا للروح ، والروح قالبا للحياة ، وتلك الحياة لها ذكاوة تنفذ فيه ، تعرف أحوال الدنيا ، وخيرها وشرها ، فإذا جاوز التوحيد أذكى الفؤاد والقلب ، وكل شيء منه فأبصر وكان له أعون من كل عون .

---

(١) في (د) « يكن » .

الأصل الخامس والمائتان

١٠٢٩ـ حدثنا عمر بن أبي عمر ، ثنا يزيد بن عبد الله الحمصي ، عن بقية بن الوليد ، عن عيسى بن إبراهيم ، عن الزهري ، عن أبي سليمان[(١)] مولى أبي رافع ، عن أبي رافع رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله ، للولد حق علينا كحقنا عليهم ؟ قال : " نعم ، حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة والسباحة والرماية ، وأن لا يرزقه إلا طيبا "[(٢)] .

فالكتابة عون له على الدين والدنيا ، والسباحة منجاة من الهلاك ، والرماية دفع عن مهجته وحريمه وشرف له عند لقاء [٢/ ٢١/أ] العدو ، وأن لا يرزقه إلا طيبا كي لا ينبت لحمه على سخطة فتنزع منه البركة ، وهذه خصال من دوائر[(٣)] الأدب .

---

(١) في (ص) " أبي اليمن " .

(٢) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ، وقال : أخرجه الحكيم الترمذي وأبو الشيخ في الثواب ، والبيهقي عن أبي رافع ، ورمز له بالضعف ، قال المناوي في فيض القدير (٣/ ٥٢١) : وظاهر صنيع المصنف أن مخرجه البيهقي سكت عليه ، وهو خلاف الواقع ، بل تعقبه بقوله : عيسى ابن إبراهيم - أي أحد رجاله - يروي ما لا يتابع عليه ، وفي الميزان أنه منكر الحديث ، وفي الضعفاء تركه أبو حاتم ، ومن ثم قال ابن حجر : إسناد الحديث ضعيف .

(٣) كذا في (ص) ، مطموسة في (د) .

الأصل السادس(1) والمائتان

١٠٣٠ـ حدثنا الفضل بن محمد ، ثنا موسى بن سهل ، عن ابن أبي فديك ، قال : حدثني يحيى بن أبي خالد ، عن ابن أبي سعيد الأنصاري ، عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : " التائب من الذنب كمن لا ذنب له " . والندم توبة ، فالتائب حبيب الله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٢٢] .

والحبيب يستر الحبيب ، والحبيب يحب زين الحبيب ، فإن بدا شين ستره ، فإذا أحب الله عبدا فأذنب ستره فصار كمن لا ذنب له ، والذنب يدنس العبد والرجوع إلى الله يطهره ، وهو التوبة ، فرجعته إليه تصيره في محل القربة منه(2) بنوره ويذهب دنسه ، ألا ترى ما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : " إذا أذنب العبد نكتت في قلبه نكتة سوداء ، فإن عاد نكتت أخرى ، فإذا تاب صقل قلبه فذهبت النكتة وصارت كالمرآة تتلألأ " .

ومن ههنا قال الشعبي رضي الله عنه : إذا أحب الله عبدا لم يضره ذنبه .

١٠٣١ـ حدثنا بذلك عبد الله بن الوضاح النخعي ، ثنا ابن يمان ، عن سفيان(3) ، عن عاصم الأحول ، عن الشعبي .

واعتبر بهذه الرأفة والرحمة التي وضعها في الآباء والأمهات ، ثم تراهم كيف تحل أولادهم منهم في حال البطالة والفساد من الرحمة عليهم والشفقة والرفق بهم ، والتأني والانتظار والاحتراق عليهم فيما يخافون عليهم من الوبال ، وفرحهم بالتوبة إذا هم تابوا إلى الله ، فاعتبر بهذه الرأفة التي في جميع الأمهات والآباء ، لو جمعها فوضعها في أم واحدة أو أب واحد لولد واحد لكان لا يتراءى له فساد هذا الولد وسيئ عمله ، من عظيم الشفقة عليه والمحبة له ، وكان ذلك ساترا له ، فكيف بالخالق الباري الماجد الكريم البر الرحيم الذي تدق جميع رأفة أهل الدنيا ورحمتهم في جنب رحمة من المائة المخلوقة ، ثم ماذا يكون تلك في جنب الرحمة العظمى

---

(١) في (د) " الخامس " .

(٢) " منه " زيادة من (د) .

(٣) في (ص) " شقيق " .

التي شملت كل خير للعبيد ، فهذا العبد المؤمن له كل هذا الحظ ، فإذا تاب صار في كنفه وهو في الأصل حبيبه ، فتدق ذنوبه في جنب ما له عنده من الرأفة والرحمة ، فإن الله تبارك وتعالى لما وقعت خيرته وجبايته على عبد من عبيده ثم أخرجه من بطن أمه إلى الدنيا فأدركته الهداية بما سبقت له من الجباية ، وكتب عليه هذا الذنب أنه سيصيبه لا محالة ، فلما أصابه لم يتركه حيران ، فلم يغلق عنه باب التوبة ، وتكرم أن يرجع إليه عبده صدق الرجوع أن لا يقبله ، فإذا قبله صار كمن لا ذنب له في معنى القبول . [٢/ ٢١/ب] .

الأصل السابع والمائتان

١٠٣٢ـ حدثنا الفضل بن محمد ، ثنا عمرو بن عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار الحمصي ، ثنا محمد بن حرب ، عن أبي المهدي ، عن أبي الزاهرية ، عن كثير بن مرة ، عن ابن عمر رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ ، أنه قال : " الالتفاع لبسة أهل الإيمان ، والتردي لبسة العرب " .

فالالتفاع والالتحاف بمعني واحدا وهو أستر ، وإنما قيل : " لبسة أهل الإيمان " ؛ لأنه يقدر مع ذلك على التقنع ، وكان رسول الله ﷺ يكثر التقنع ، وذلك أن الذي يعلوه الحياء من ربه يلجأ إلى ذلك ؛ لأن الحياء في العين والفم ، وهما من الرأس ، والحياء من عمل الروح ، وسلطان الروح في الرأس ، ثم هو متفش في جميع الجسد ، ألا ترى أنه قال : ﴿ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ ﴾ [الأنفال : ١٢] . فالضرب على الرأس قتل وحي .

وروي في الخبر " أن من أخلاق النبيين التقنع " ، فهذا من الحياء ، وكذلك أهل اليقين من بعدهم ، وهم الأولياء ، وهذا دأبهم ومن شأنهم ، والحياء من الناس من أفعال تحتشم الروح منها بين أيديهم ، والحياء من الله من أفعال تحتشم الروح منها بين يدي الله ؛ لأنه قد شارك النفس في معانيها مضطرا ، لأنه قد قرن بها ، وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : إني لأدخل الخلاء فأقنع رأسي حياء من الله .

فهذا لأهل اليقين لأنهم أبصروا بقلوبهم أن الله يراهم ، فصارت الأمور كلها لهم معاينة ، يعبدونه كأنهم يرونه ، ففي الأعمال التي فيها حشمة يعلوهم الحياء ، وفي الأعمال التي يحط بها عند الله يعلوهم الحياء ، فقال : الالتفاع أي الالتحاف بالثوب ، متقنعا لبسة أهل الإيمان ، وذلك لأن الحياء من الإيمان ، وما ازداد عبد بالله علما إلا ازداد منه حياء ، والتردي لبسة العرب توارثوه في الجاهلية من آبائها ، كانوا في إزار ورداء ، فكانوا يسمونها حلة ، والالتفاع ورثها بنو إسرائيل عن آبائهم ؛ لأنهم قطعوا أعمارهم بالعبادة ، فكانت أصحاب لفاع ، وأصحاب برانس ، وأصحاب سياحة وصوامع وترهب ، وهذه الأمة أيدت باليقين النافذ لحجب القلوب فأخرقتها ، فمن تقنع فمن الحياء منه تقنع لعلمه بأن الله يراه علم يقين لا علم تعلم ،

والعرب كانت في برها وسماحتها وطولها ومحاسن أخلاقها إلى أن بعث الله فيهم رسوله الأمي هو منها[١] فيما بينهم هذه الأخلاق ، بها يعبدون الله مع شركهم ، وبنو إسرائيل يعبدون الله مع شركهم بتغيب [٢/ ٢٢/ أ] الأركان وكدها ، وبالخروج إلى الله من الأموال .

---

(١) هكذا استظهرت قراءتها في (ص) ، وهي مطموسة في (د) .

الأصل الثامن والمائتان

١٠٣٣ـ **حدثنا** صالح بن محمد ، ثنا عبد المجيد بن أبي رواد ، عن مروان بن سالم ، عن صفوان بن عمرو ، عن شريح بن عبيد الحضرمي ، عن أبي الدرداء رضي الله عنه ، قال : كان رسول الله ﷺ إذا بلغه عن رجل شدة عبادة سأل : كيف عقله ؟ فإن قالوا غير ذلك ، قال : " لن يبلغ " .

وذكر له عن رجل من أصحابه شدة عبادة واجتهاد فقال : كيف عقله ؟ قالوا : ليس بشيء . قال : " لن يبلغ صاحبكم حيث تظنون " .

١٠٣٤ـ **حدثنا** أبي رحمه الله ، ثنا جندل بن والق[١] الكوفي ، ثنا عبيد الله بن عمرو الرقي ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة ، عن نافع ، عن ابن عمر رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : " لا يعجبنكم إسلام رجل حتى تعلموا ما عقده عقله . فالعقل هو نور خلقه الله ، وقسمه بين عباده على مشيئته فيهم وعلمه بهم ، وروي في الخبر عن رسول الله ﷺ أنه قال : " لما خلق الله تعالى العقل قال له : أقبل . فأقبل ، ثم قال له : أدبر . فأدبر ، ثم قال له : اقعد . فقعد ، ثم قال له : انطق . فنطق ، ثم قال : اصمت . فصمت ، فقال : وعزتي وجلالي ، وعظمتي وكبريائي ، وسلطاني وجبروتي ؛ ما[٢] خلقت خلقا أحب إلي منك ، ولا أكرم عليّ منك ، بك أُعْرَف ، وبك أُحْمَد ، وبك أُطَاع ، وبك آخذ ، وبك أعطي ، وإياك أعاتب ، ولك الثواب ، وعليك العقاب " .

١٠٣٥ـ **حدثنا** بذلك عبد الرحيم بن حبيب ، ثنا داود بن محمد بن محرم[٣] البصري ، ثنا الحسن بن دينار ، قال : سمعت الحسن يقول : حدثني عدة من أصحاب رسول الله ﷺ ، أنه قال ذلك .

١٠٣٦ـ **حدثنا** الفضل ، ثنا هشام بن خالد ، عن بقية ، عن الأوزاعي ، عن رسول الله ﷺ بمثله ، وزاد فيه ، قال : " لك الثواب وعليك العقاب ، وما أكرمتك بشيء أفضل من الصبر " .

---

(١) في (ص) " رافق " .
(٢) في (ص) " لما " .
(٣) كذا في (ص) ، ولم أتبينه في (د) ، ولم أقف له علي ترجمة .

١٠٣٧ـ حدثنا الفضل بن محمد ، ثنا هشام بن خالد الدمشقي ، ثنا يحيى - وهو عندي يحيى ابن الغساني[١] - ، ثنا أبو عبد الله مولى بني أمية ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن أول شيء خلق الله القلم ، ثم خلق النون ، وهي الدواة ، ثم قال له : اكتب . قال : وما أكتب ؟ قال : ما كان ، وما هو كائن إلى يوم القيامة من عمل أو أثر أو رزق أو أجل ، فكتب ما يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة ، وذلك قوله : ﴿ نٓۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ [القلم : ١] ثم ختم على فِي القلم ، [٢/ ٢٢/ ب] فلم ينطق ولا ينطق إلى يوم القيامة ، ثم خلق الله العقل ، فقال : وعزتي لأكملنك فيمن أحببت ، ولأنقصنك ممن نقصك ، ممن أبغضت ، فقسم العقل بين خلقه على علمه بهم ، ثم قسم بين الموحدين عقل الهداية على علمه بهم ، فتفاوت القسم ، فكلما استقر في عبد كان دليله على مقاديره الذي كان منه يومئذ ، فكلما أحب الله إقباله في أمر دلهم على إقباله ، وما كره الله دلهم على الإدبار ، وما أحب الله القول به ، دله على القول به ، وما كره الله دله على الصمت ، ولذلك في كل فعل فعله يومئذ يلهم العقل صاحبه في كل أمر ما أذن له فيه وما خطر عليه ، ومحابه ، ومساخطه ، فكل من كان حظه من العقل أوفر فسلطان الدلالة فيه أعظم وأنفذ ، فمن شأنه الدلالة على الرشد ، والنهي عن النعي ، فكان الرسول ﷺ إذا ذكر له عن رجل شدة اجتهاد وعبادة سأل عن عقله ؛ لما قد علم أن العقل هو الذي يكشف لك عن مقادير العبودية ، ومحبوب الله ومكروهه ؛ لأن العبادة الظاهرة قد تكون من العادة والمساعدة ، ترى الرجل في صباه علم هذا فنشأ عليه ، وعلم أنه خير فثبت عليه ، معتادا له ، قد ألفه ويسر عليه ، والرجل يساعد آخر يعمل له ، فإن كان العقل يدله على هذه العادة الظاهرة كان علامته أن يتورع عن مساخط الله ، ولم يجوز[٢] لنفسه أن يرضاه بأعماله ، مع تضييع فرائضه ، أو التوتب[٣] في مساخطه ، فكان العاقل عندهم الذي عقل عن الله ما أمره ونهاه فائتمر بما أمره وازدجر عما نهاه ، فتلك علامة العقل ،

---

(١) كذا في الأصلين ، وفي كتب التراجم « يحيى الغساني » .

(٢) في (ص) « تجوز » .

(٣) كذا في (ص) ، والظاهر من (د) « الثواب » .

فإذا رؤي أحدهم يتعبد ، وهذا فيه علم أنه عن عقل يتعبد وعن بصيرة ، فإذا رأى في خلق من هذا علم أنه عن عادة ومساعدة ، فلم تحسن ظنونهم به ، ولذلك قال : " لا يعجبنكم إسلام رجل حتى تعلموا ما عقده عقله " .

فالإسلام هو ما ظهر من أعمال العباد من أعمال الشريعة ، مثل الصوم والصلاة ، والحج والجهاد والصدقة ، وسائر أنواع البر ، فلا يعجبنكم هذا منه حتى تعلموا أي شيء يعتقد في قلبه لما يعمل به(١) ، وعقدة العقل هو وثاق العقل ، معناه أن يقول ما هو أي كيف هو ؛ لأن كلمة (ما) تقع على الجوهر والخبر ، فقال : حتى تعلموا ما عقده عقله ، يعني بأي شيء يعقد عقله ، فإن العقل قسم للعبيد ، فأعطي عبد فعقد بالإيمان بالله فرشد ، وآخر أعطي فعقده بالهوى ، فهوى ، فقال : حتى تعلموا بأي شيء عقد عقله ، بالإيمان بالله أم بالهوى ، فإن القلب إذا كان مؤمنا وجاء العقل فدله على الرشد ، فإن عقد عقله بالإيمان حزبه في الطاعة ، وإن كان القلب [٢/ ٢٣/ أ] فاجرا ، وجاء العقل فعقده صاحبه بالهوى فشربه في الغي ، والعقد الوثاق ، فكأنه قال : إن كان وثاقي هذا العقل الذي أعطي بالإيمان استعمله الإيمان ، وإن كان وثاقه بالهوى فهو أسيره استعمله بالمعاصي ، صار الدليل أسيرا ، متهورا في سجن الهوى ، فدل رسول الله ﷺ على تعرف ذلك من هذا الوجه ، فقال : " لا يعجبنكم ظاهر ما ترون حتى تعلموا بأي شيء عقد عقله " ، فإن كان عقله عقيد هوى لا يتورع ولا يتقي قال : " لن يبلغ صاحبكم حيث تظنون " .

١٠٣٨ـ **حدثنا** محمد بن محمد بن حسين(٢) ، حدثتنا حكامة بنت عثمان بن دينار البصرية ، قالت : ثنا أبي ، عن مالك بن دينار ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " الورع سيد العمل ، من لم يكن له ورع يرده عن معصية الله إذا خلا لم يعبأ الله بسائر عمله شيئا " .

فذلك يخاف الله في السر والعلانية ، والاقتصاد في الفقر والغنى ، والصدق عند الرضا والسخط ، ألا وإن المؤمن حاكم على نفسه ، يرضى للناس ما يرضى لنفسه ،

---

(١) " به " زيادة من (د) .

(٢) في (ص) " محمد بن محمد بن حسن " .

والمؤمن حسن الخلق ، وأحب الخلق إلى الله أحسنهم خلقا ينال بحسن الخلق درجة الصائم القائم وهو راقد على فراشه ؛ لأنه قد وقع لقلبه علم فهو يشهد مشاهد القيامة ، يعد نفسه ضيفا ، وروحه عارية في بدنه ، ليس بالمؤمن خفاء حملانة على نفسه ، الناس منه في عفاء ، وهو من نفسه في عناء ، رحيم في طاعة الله ، بخيل على دينه ، حييّ مطواع ، وأول ما فات ابن آدم من دينه الحياء ، خاشع القلب لله ، متواضع قد برئ من الكبر ، قائم على قدمه ، ينظر إلى الليل والنهار ، يعلم أنهما في هدير غمرة ، لا يركن إلى الدنيا ركون الجاهل الأجرم أنه إذا خلف الدنيا خلف الهموم والأحزان ، ولا حزن على المؤمن بعد الموت ، بل فرحته وسروره مقيم بعد الموت .

١٠٣٩ـ حدثنا الحسين(١) بن أبي كبشة البصري ، ثنا أبو عامر العقدي ، عن عباد بن راشد ، عن داود بن أبي هند ، عن أبي نضرة ، قال : سمعت أبا سعيد الخدري رضي الله عنه يقول : إنكم لتعملون أعمالا هي أدق عندكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله ﷺ الكبائر من الموبقات " .

١٠٤٠ـ حدثنا روح بن قرة اليشكري ، ونصر بن علي الحداني ، ومحمود بن المهدي ، قالوا : ثنا سهل بن أسلم ، عن حميد بن هلال ، عن عبادة بن قرص(٢) ، قال : إنكم لتعملون أعمالا هي أدق في أعينكم من الشعر ، كنا نعدها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات .

١٠٤١ـ حدثنا ابن أبي كبشة ، ثنا عبد الملك بن عمرو [٢/ ٢٣/ب] أبو عامر ، عن سعيد بن مسلم ، قال : سمعت عامر بن عبد الله بن الزبير يقول : حدثني عوف ابن الحرب بن الطفيل ، عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : قال رسول الله ﷺ : " يا عائشة ، إياك والمحقرات ؛ فإن لها من الله طالبا " .

١٠٤٢ـ حدثنا أبو بكر بن سابق الأموي ، ثنا أبو مالك الجنبي ، عن جويبر ، عن الضحاك ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ : " إن الله تبارك وتعالى

---

(١) في (ص) " الحسن " .
(٢) في (د) " قراط " .

ناجى موسى ، فكان فيما قال : يا موسى ، إنه لم يتقرب المتقربون إلي بمثل الورع عما حرمت عليهم ، فإنه ليس من عبد يلقاني يوم القيامة إلا ناقشته الحساب ، وفتشته عما كان في يديه ، إلا ما كان من الورعين ؛ فإني أُجلهم وأكرمهم وأدخلهم الجنة بغير حساب " .

وزاد فيه غيره : عن وهب بن منبه ، قال : " أجلهم وأكرمهم وأستحيهم " .

١٠٤٣ـ حدثنا عمر ، ثنا نعيم بن حماد ، عن عبد المؤمن بن خالد ، عن عبد الله بن بريدة ، عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : " ثلاث من لم يأت بهن يوم القيامة فلا شيء له ؛ ورع يحجزه عن محارم الله ، وخلق يداري به الناس ، وحلم يرد به جهل السفيه " .

١٠٤٤ـ حدثنا محمد بن الحسن ، ثنا أبي ، عن هاشم بن القاسم ، عن ميسرة ، عن عباد بن كثير ، عن محمد بن زيد ، عن أبيه عن عروة بن الزبير ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : قلت : يا رسول الله ، بأي شيء يتفاضل الناس . قال : " بالعقل ؛ في الدنيا والآخرة " . قلت : أليس يجزى الناس بأعمالهم ؟ قال : " يا عائشة ، وهل يعمل بطاعة الله إلا من عقل ؟ فبقدر عقولهم يعملون ، وعلى قدر ما يعملون يجزون " .

١٠٤٥ـ حدثنا أحمد بن عبد الله بن حكيم المهلبي ، ثنا بكار بن عبد الله الربذي ، قال : حدثني عمي موسى بن عبيدة الربذي ، عن الزهري ، عن عطاء بن يزيد الليثي ، عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : " إن الرجل لينطلق إلى المسجد فيصلي ، وصلاته لا تعدل جناح بعوضة ، وإن الرجل ليأتي المسجد فيصلي فصلاته تعدل جبل أحد ؛ إذا كان أحسنهما عقلا " . فقال أبو حميد : وكيف يكون ذلك يا رسول الله أحسنهما عقلا ؟ قال : " أورعهما عن محارم الله ، وأحرصهما على أسباب الخير ؛ وإن كان دونه في العمل والتطوع " .

١٠٤٦ـ حدثنا المهدي بن عامر ، ثنا الحسن بن خازم ، عن عبد ربه ، عن عباد بن كثير ، عن غالب الخدري ، عن طاوس قال : قضى رسول الله ﷺ بين مهاجريّ وأنصاريّ ، فقال المهاجري : يا رسول الله ، حقي ثابت وما قضى لي شيئا . فقال الأنصاري :

---

(١) " عن أبيه " سقط من (ص) .

صدق يا رسول الله ، إن حقه لثابت وما قضيته شيئا . فقال رسول الله [٢/ ٢٤/ أ] ﷺ : " فأده إليه " . قال : أما دعواه فقد أديته إليه ، وأما حق ثواب معروفه ، فإنه عليّ أكافئه . فقال المهاجري : صدق يا رسول الله . فقال رسول الله ﷺ : " تبارك الذي قسم العقل بين عباده أشتاتا ، إن الرجلين ليستوي عملهما وبرهما وصومهما وصلاتهما ، ولكنهما يتفاوتان في العقل ؛ كالبدنة في جنب أحد ، وما قسم الله لخلقه حظا هو أفضل من العقل واليقين "(١) .

١٠٤٧ـ حدثنا الجارود ، ثنا يزيد بن هارون ، عن هشام بن حسان ، عن الحسن ، قال : كان عقل آدم مثل عقل جميع ولده .

١٠٤٨ـ حدثنا مهدي ، ثنا الحسن بن خازم ، عن عبد ربه ، عن عباد بن كثير ، عن إدريس ، عن جده وهب بن منبه قال : أجد في سبعين كتابا أن جميع ما أعطي الناس من بدء الدنيا إلى انقطاعها من العقل في جنب عقل محمد ﷺ كحبة رمل دفعت من بين جميع رمال الدنيا .

قال وهب : إن الشيطان لم يكابد شيئا أشد عليه من المؤمن العاقل ؛ إنه ليكابد مائة ألف جاهل فيسخرهم ، ويكابد المؤمن العاقل فيضعف عنه ، وزوال الجبال صخرة صخرة أهون عليه من مكابدة المؤمن العاقل ، وما من شيء أحب إليه من فتنة العاقل ، وفتنة العاقل أحب إليه من غواية ألف جاهل ، وإنه ليكابد العاقل ، فإذا كان ذا بصيرة ويقين ، وكان كامل العقل ، فلهو أثقل عليه من صخور الجبال وأصلب من الحديد ، فإذا لم يقدر عليه يقول : يا ويله ، ما له ولهذا إلا حاجة لي فيه ، ولا طاقة لي به ، فيتحول عنه إلى الجاهل فيتسخره ، حتى يركب عنقه ، ويغويه حتى يستأجره ، فيسلمه إلى المهالك .

١٠٤٩ـ حدثنا مهدي ، ثنا الحسن عن عبد ربه(٢) ، عن موسى بن جابان(٣) ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " إن الأحمق يصيب بحمقه أعظم من

---

(١) ذكره العراقي في تخريج الأحياء وقال : إسناده ضعيف .

(٢) في (ص) " الحسن بن عبد ربه " .

(٣) في (ص) " موسي بن أبان " .

فجور الفاجر ، وإنما يقرب الناس الزلف على قدر عقولهم " .

١٠٥٠ـ حدثنا مهدي ، ثنا الحسن ، عن منصور ، عن الريذي ، عن الزهري ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قيل : يا رسول الله ، رجل يكون قليل العمل ، كثير الذنوب ؟ قال : " كل آدمي يخطئ ، فمن كانت له سجية عقل ، وغريزة يقين لم تضره ذنوبه شيئا " . قيل : وكيف ذاك يا رسول الله ؟ قال : " كلما أخطأ لم يلبث أن يتوب ؛ فتمحى ذنوبه ، ويبقى فضل يدخله الجنة " .

١٠٥١ـ حدثنا مهدي ، ثنا الحسن ، عن منصور ، عن ثابت بن زياد ، عن سيار أبي الحكم ، قال : كان ابن مسعود رضي الله عنه يقول : ومن أعقل ممن خاف ذنوبه واستحقر عمله .

١٠٥٢ـ حدثنا مهدي ، ثنا الحسن [٢/ ٢٤/ ب] ، عن منصور ، عن موسى بن جابان(١) ، عن لقمان بن عامر ، عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " يا عويمر ، ازدد عقلا تزدد من ربك قربا " . قلت : يا رسول الله ، من لي بالعقل ؟ قال : " اجتنب مساخط الله ، وأد فرائض الله تكن عاقلا ، ثم تنفل بالصالحات من الأعمال تزدد في الدنيا عقلا ، ومن ربك قربا وعليه عزا " .

١٠٥٣ـ حدثنا مهدي ، ثنا الحسن ، عن منصور ، عن عمر ، عن مكحول ، عن كعب قال : تجد الرجل يستكثر من أنواع البر ، ويحتاط في صنائع المعروف ، ويكابد سهر الليل ، وشدة ظماء الهواجر ، وهو في ذلك لا يساوي عند الله جيفة حمار . قالوا : وكيف ذاك يا أبا إسحاق ؟ قال : ذلك من قلة عقله ، وسوء رعيته ، ولعلك تجد الرجل العاقل نائما بالليل مفطرا بالنهار لا يظهر لك بره ، ولا ينسب إلى صنائع المعروف ، وبينهما كما بين المشرق والمغرب . قيل : وكيف ذلك يا أبا إسحاق ؟ قال : لأن ربنا افترض على عباده أن يعرفوه ، وأن يطيعوه ، وأن يعبدوه ؛ وإنما يطيعه ويعرفه ويعبده من يعقل ، فأما الجاهل فإنه لا يعرفه ولا يطيعه ولا يعبده .

١٠٥٤ـ حدثنا مهدي ، ثنا الحسن ، عن منصور ، عن موسى بن جابان ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : " إن الله خلق العقل أكثر من عدد الرمل ، فمن الناس من أعطي حبة من ذلك ، ومنهم من أعطي حبتين ، ومنهم من أعطي مدا ،

---

(١) في (ص) " موسي بن أبان " .

ومنهم من أعطي صاعا ، ومنهم من أعطي فرقا ، وبعضهم وسقا " . فقال ابن سلام : من هم يا رسول الله ؟ قال : " العمال بطاعة الله على قدر عقولهم ويقينهم وجدهم والنور الذي في قلوبهم " .

١٠٥٥ـ حدثنا مهدي ، ثنا الحسن ، عن منصور ، عن أبي حاجب ، عن زيد بن وهب ، قال : شهدت عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعنده ابن مسعود وأبو موسى الأشعري رضي الله عنهما ، فقال أبو موسى رضي الله عنه : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " رب رجل يعمل بطاعة الله ، فلعل الحرف الواحد من تسبيحه وتحميده وبره أثقل من أحد ، ثم على قدر ذلك يتفاضل عمله " ، فقال ابن مسعود رضي الله عنه : إن من المؤمنين من يكون عمله يوما واحدا أثقل من السموات والأرض . قال عمر رضي الله عنه : فكيف ذاك يا ابن أم عبد ؟ قال : إن الله جل ثناؤه قسم الأشياء بين عباده على قدر ما أحب أن يقسمه ، وإنه لما خلق العقل أقسم بعزته أنه أحب خلقه إليه ، وأعزهم عليه ، وأفضلهم عنده ، فأرجح عباده أحسنهم عقلا ، وأحسنهم من كانت فيه ثلاث خصال : صدق الورع ، وصدق [٢/ ٢٥/ أ] اليقين ، وصدق الحرص على البر والتقوى . فبكى عمر رضي الله عنه عند ذلك بكاء نشج منه .

١٠٥٦ـ حدثنا مهدي ، ثنا الحسن ، عن منصور ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " قسم الله العقل ثلاثة أجزاء ، فمن كان فيه فهو العاقل ؛ حسن المعرفة لله ، وحسن الطاعة لله ، وحسن الصبر لله " . فحسن المعرفة الثقة بالله في كل أمرك ، والتفويض إليه ، والائتمان له على نفسك وأحوالك ، والوقوف عند مشيئته لك في كل أمر ، دنيا وآخرة ، وحسن الطاعة أن تطيعه في كل أموره ، ثم لا تلتفت إلى نوال فتتخذه عدة دون الله ، وحسن الصبر لله أن تصبر في النوائب صبرا لا يرى عليك في الظاهر أثر النائبة من الاستكانة والاستخذاء[1] ، وأن تتلقى حكمه بالرضا ، كما تتلقى ما يوافق نفسك من ذلك ، فيستوي عندك المحبوب والمكروه .

---

(١) كذا بالأصلين .

الأصل التاسع والمائتان

١٠٥٧ـ حدثنا صالح بن محمد ، ثنا داود بن عبد الرحمن المكي ، عن ابن جريج ، عن أبيه ، عن أم حميد بنت عبد الرحمن ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : " إن فيكم مغربون " . قلت : يا رسول الله ، وما المغربون ؟ قال : " الذي يشترك فيهن الجن " .

فالجن والإنس ثقلان ابتليا بالعبودة ، واقتضيا ذلك ، ولهما الثواب ، وعليهما العقاب ، وأمر الرسول ﷺ بالنذارة إلى الجن ، والرسالة إلى الآدميين ؛ فأنذرهم وعلمهم القرآن ، فللجن مساحاة بابن آدم في الأمور والاختلاط ، فمنهم من يتزوج فيهم ؛ وكانت بلقيس ملكة سبأ أحد أبويها من الجن .

١٠٥٨ـ حدثنا نصر بن علي الجهضمي ، ، ثنا وهب بن جرير بن حازم ، عن الخليل بن أحمد ، عن عثمان بن حاضر ، قال : كانت أم بلقيس من الجن ، يقال لها : بلمقة بنت شيصبان ، وقد كان في الآدميين في أوقات من هم يشركون الجن في نسائهم ، وكذلك الجن ، ربما غلب الآدمي على أهله فيأخذ بقلبها ، ويعد بها ، فالامتناع منهم باسم الله ، وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : " ستر بين عورات بني آدم وبين أعين الجن إذا وضع الرجل ثوبه أن يقول : باسم الله " .

فإذا أحب الآدمي أن يطرده من مشاركته فباسم الله ؛ فإن اسم الله طابع على جميع ما رزق ابن آدم ، فلا يستطيع الجن فك الطابع .

١٠٥٩ـ حدثنا محمد بن عمارة بن صبيح الأسدي ، ثنا سهيل بن عامر البجلي ، عن يحيى بن يعلى ، عن عثمان بن الأسود ، عن مجاهد قال : إذا جامع الرجل ولم يسم انطوى الجان على إحليله [٢/ ٢٥/ ب] فجامع معه ، فذلك قوله تعالى : ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴾ [الرحمن : ٥٦] .

الأصل العاشر[1] والمائتان

١٠٦٠ـ حدثنا حفص بن عمرو ، ثنا محمد بن عبد العزيز الواسطي ، عن بقية ، عن معاوية ابن يحيى ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " من حدث بحديث فعطس عنده فهو حق "[2] .

فالعطسة تنفس الروح ، وتحننه إلى الله ؛ لأنه من الملكوت ، فإذا تحرك عاطسا عند حديث فهو شاهد يخبرك عن صدقه وحقه .

١٠٦١ـ حدثنا حفص بن عمرو ، ثنا آدم بن أبي إياس العسقلاني ، ثنا ابن أبي ذئب ، ثنا سعيد المقبرى ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : " إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب ؛ فإذا عطس أحدكم فحمد الله فحق على كل مسلم أن يشمته ، والتثاؤب من الشيطان ، فإذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع ، فإن أحدكم إذا قال : هاه ، ضحك الشيطان منه " .

١٠٦٢ـ حدثنا عمر بن أبي عمر ، ثنا عمر بن عمرو الرباعي ، عن عثمان بن عطاء ، عن أبيه

---

(١) في (د) " التاسع " .

(٢) قال المناوي في فيض القدير (٦/ ١٥١) : قال المصنف - السيوطي - في الدرر تبعا للزركشي : وحسنه النووي في فتاويه وأخطأ من قال إنه باطل ، وظاهر صنيع المصنف - السيوطي - أنه لم يره مخرجا لأشهر من الحكيم ، وهو عجب فقد خرجه الطبراني في الأوسط وأبو يعلى باللفظ المذكور كلهم من الطريق المذكور وقال - أعني الطبراني - : لا يروى عن النبي ﷺ إلا بهذا الإسناد ، وكذا أبو يعلى والديلمي قال الهيثمي : وفيه معاوية بن يحيى الصدفي وهو ضعيف .

وعزاه النووي في الأذكار لأبي يعلى ثم قال : كل إسناده ثقات متقنون إلا بقية بن الوليد فمختلف فيه قال : وأكثر الحفاظ والأئمة يحتجون بروايته عن الشاميين وقد رواه معاوية الشامي وممن خرجه البيهقي في الشعب وقال : إنه منكر . وبالجملة هو حديث ضعيف لا موضوع كما قال ابن الجوزي : ويكفي في رده قول النووي في فتاويه : له أصل أصيل . وقول بعضهم : حديث باطل وإن كان إسناده كالشمس إذ كيف يجوز أن يثبت أن رسول الله ﷺ شهد بصدق كل محدث عطس عنده ، وكم أرى في الناس من كذاب ومحدث بباطل قارن حديثه العطاس ، رده الزركشي وغيره بأن إسناده إذا صح ولم يكن في العقل ما يأباه وجب تلقيه بالقبول وقد صح في الحديث العطاس من الله وكان هذا الأمر المضاف إلى الله حق ولا يضاف إليه إلا حق .

قال : العطسة الواحدة شاهد عدل ، والعطستان شاهدان ، وما زاد فبحساب .

١٠٦٣ـ **حدثنا** عمر ، ثنا عبد الغفار بن داود الحراني ، عن ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن أبي الخير ، عن أبي رهم السماعي[1] ، قال : مما يسعد به العطاس عندنا الدعاء ، فللروح كشف غطاء عن الملكوت ، وذكر هناك عنده في القربة ، فإذا تحرك لذلك تنفس ، وهو عطاس ، فإذا كان في ذلك الوقت كان ذلك وقت حق تحقق الحديث ويستجيب الدعاء .

١٠٦٤ـ **حدثنا** محمد بن عمر ، عن أبي قتادة الليثي ، عن يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة ، قال : قال عمر بن الخطاب : لعطسة واحدة عند حديث أحب إليّ من شاهدي عدل .

١٠٦٥ـ **حدثنا** محمد بن بقية ، عن رجل سماه ، قال : حدثني الرويب السلمي ، قال : قال رسول الله ﷺ : " الفأل مرسل ، والعطاس شاهد عدل " .

فأما قوله : " الفأل مرسل " ، فمثل قول رسول ﷺ حيث سمع في العسكر رجلا يقول : يا حسن ، فقال : " أخذنا فألك من فيك " . ومثل قوله حين استقبله بريدة في طريق الهجرة ، فقال : " ما اسمك ؟ " . قال : بريدة ، قال : فالتفت إلى أبي بكر ، فقال : " برد أمرنا " . قال : ممن قال من أسلم ، قال : " سلمنا يا أبا بكر " .

١٠٦٦ـ **حدثنا** بذلك ابن عمار ، ثنا أوس بن عبد الله بن بريدة ، عن أخيه ، عن أبيه ، عن جده ، عن رسول الله ﷺ .

فقوله : " الفأل " ، أي أن هذه الأشياء مما يرسلها الله حتى تستقبلك كالبشير لك ، فإذا تفاءلت فقد أحسنت به الظن [٢/ ٢٦/ أ] والله عند ظن عبده به .

١٠٦٧ـ **حدثنا** الفضل بن محمد ، ثنا سليمان بن مسلمة بن عبد الجبار ، حدثنا يعقوب بن الجهم الخرساني ، ثنا عمر بن جرير ، عن عبد العزيز ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : عطس عثمان بن عفان رضي الله عنه عند رسول الله ﷺ ثلاث عطسات متواليات ، فقال له رسول الله ﷺ : " يا عثمان ، ألا أبشرك ، هذا جبريل يخبرني عن الله تعالى : ما من مؤمن يعطس ثلاث عطسات متواليات إلا كان الإيمان ثابتًا في قلبه " .

---

(١) في (ص) " الساعي " .

الأصل الحادي عشر والمائتان

١٠٦٨ـ حدثنا أبو عمار الخزاعي ومحمد بن ميمون ، قالا : ثنا الوليد بن مسلم قال : حدثني عبد الرحمن بن يزيد بن خالد ، قال : حدثني بشر بن عبيد الله الحضرمي ، قال : حدثني واثلة بن الأسقع الليثي ، عن أبي مرثد الغنوي رضي الله عنه ، سمع رسول الله ﷺ يقول : " لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها " .

فمعنى هذا إقامة حرمة المسلم بعد موته في أن لا يوطأ ولا يجلس عليه فإن تلك استهانة به أن تطأه أو تتخذه موطئًا لقعودك ، وكان رسول الله ﷺ مما يجتنب ذلك .

١٠٦٩ـ حدثنا الفضل بن محمد ، ثنا إبراهيم بن الوليد بن مسلمة الدمشقي ، قال : حدثني أبي ، ثنا يزيد بن قيس الكندي ، قال : أخبرني عبادة بن نسي ، عن ابن غنم ، عن معاذ ابن جبل رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ كان يكره أن نطأ القبور إعظامًا للمسلمين وإكرامًا لهم .

وأما قوله : " لا تصلوا إليها " . فإنه كره أن تتخذ القبور مسجدًا وقبلة يصلى إليها ؛ وكان أهل الجاهلية يفعلونه ، فنهوا عن ذلك .

وقد ذهب في تأويل هذا الحديث ناس إلى أن الجلوس عليها في الحديث أن يتغوط عليها وهذا مذهب بعيد ، وليس هذا من أخلاق المسلمين حتى يحتاج إلى النهي عنه .

١٠٧٠ـ حدثنا الجارود ، ثنا المعلى بن منصور ، ثنا ابن لهيعة ، عن بكر بن سوادة ، عن زياد بن نعيم الحضرمي ، عن عمرو بن حزم قال : رأى رسول الله ﷺ رجلا جالسا على قبر ، فقال : " انزل عن القبر لا تؤذي صاحبك ولا يؤذيك " .

١٠٧١ـ حدثنا أبي رحمه الله عن الحماني ، ثنا وكيع ، عن الأسود بن شيبان ، عن خالد بن سمير ، عن بشير بن نهيك ، عن بشير ابن الخصاصية رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ رأى رجلا يمشي بين القبور في نعلين ، فقال : " يا صاحب السبتين ، اخلع " .

١٠٧٢ـ حدثنا أبي رحمه الله ، ثنا أبو نعيم ، ثنا الأسود بن شيبان ، عن خالد بن سمير ، عن بشير بن نهيك الدوسي ، قال : حدثني بشير رضي الله عنه قال : بينما أنا أماشي مع(١) رسول الله ﷺ ، فأتى على قبور المشركين فقال [٢/٢٦/ب] : " قد سبق هؤلاء خيرًا

---

(١) " مع " زيادة ليستقيم السياق .

كثيرًا " . ثلاث مرات ، وأتى على قبور المسلمين فقال : " قد أدرك هؤلاء خيرًا كثيرًا " ثلاث مرات ، ثم أتى صاحب السبتين ، فقال : " ويحك ألق سبتيك " . فنظر ، فلما عرف رسول الله ﷺ خلع نعليه ، فرما بهما .

فهذه الأحاديث كلها تدل على إقامة الحرمة في أن يتعاظم عند المرء المسلم أن يمشي على أعظم مدفونة قد اجتباها رب العالمين واختارها لمحبته ملكًا في الجنان في جواره .

وقوله : " لا تؤذ صاحبك " أي أن الأرواح تعلم بترك إقامة الحرمة وبالاستهانة ، فيتأذى بذلك .

وروي عن بشير ابن الخصاصية رضي الله عنه في حديثه زيادة حرف أنه قال : " ألق سبتيك لا تشغله " .

١٠٧٣ـ **حدثنا** أبي رحمه الله ، ثنا الحماني[(١)] ، ثنا ابن المبارك ، عن عبد الرحمن بن زيد ابن جابر ، أن بشير بن عبيد الله ، أخبره أن أبا إدريس الخولاني أخبره ، أن واثلة بن أسقع أخبره ، أن أبا مرثد الغنوي أخبره أن رسول الله ﷺ نهى أن يصلى على القبور أو يجلس عليها .

ولهذا الحديث الذي رواه بشير ابن الخصاصية تأويل غير هذا ، وذلك كأنه أتى على حديث العهد بالوفاة ، وكان الميت مشغولاً في قبره بالحساب فكره أن يشغله بخفق نعله من فوقه ، فيتأذى به ، ألا ترى أنه قال : " ألق سبتيك لا تشغله " .

١٠٧٤ـ **حدثنا** صالح بن عبد الله ، ثنا يحيى بن زكريا ، عن مجالد ، عن محمد بن المنتشر ، عن ربعي بن حراش ، عن حبيب ، قال : في القبر حساب ، وفي الآخرة حساب ، فمن حوسب في القبر نجا ، ومن حوسب في القيامة عذب .

وعن حذيفة رضي الله عنه قال : في القبر حساب ، فمن حوسب في القبر عوفي من عذاب الآخرة .

---

(١) من أول قوله " حدثنا أبو عمار الخزاعي ومحمد بن ميمون قالا : ثنا . . . . حدثنا أبي رحمه الله ثنا الحماني " سقط من (د) .

الأصل الثاني عشر والمائتان

١٠٧٥ـ حدثنا أبي رحمه الله ، ثنا الحماني ، ثنا سليمان بن بلال ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : ما نيل من رسول الله ﷺ ما نيل منه ذات يوم ، أنه يطوف بالبيت ، فدخلوا عليه ، فقطعوا عليه الطواف ، وأخذوا بتلابيبه ، وقالوا : أنت الذي تنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا . قال : " هو ذاك " .

وأبو بكر رضي الله عنه ملتزمه من خلفه وهو يقول : أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم فإن يك كاذبا فعليه كذبه وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم ، وعيناه تهملان ، فخلوا سبيله .

فهذه مرتبة أبي بكر رضوان الله عليه من الدين ، ومحله من الإسلام ، عادى المشركين والخلق عامة في الله ، وذب عن رسول الله ﷺ وحده ولم يهب شرق [٢/ ٢٧/ أ] الدنيا وغربها .

وأثنى الله على مؤمن آل فرعون في تنزيله بما أثنى وهو في ذلك يكتم إيمانه ، حيث يقول : ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ ﴾ [غافر : ٢٨] ، وقال في تنزيله : ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ ﴾ [غافر : ٢٨] .

١٠٧٦ـ حدثنا علي بن الحسين بن إشكاب البغدادي ، ثنا كثير بن هشام ، عن الحكم بن هشام ابن أبي عقيل ، قال : عاتب الله هذه الأمة إلا أبا بكر ، فقال : ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ ﴾ [التوبة : ٤٠] .

١٠٧٧ـ حدثنا الفضل بن محمد ، ثنا عبيد الرملي ، عن إبراهيم بن بكر الشيباني ، ثنا مبارك بن فضالة ، عن الحسن قال : لقد عاتب الله جميع أهل الأرض غير أبي بكر رضي الله عنه ، فقال : ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ ﴾[التوبة : ٤٠] .

يقول : لما ذكره أخرجه من خطاب المعاتبة كأنه لم يخاطبه بالمعاتبة .

١٠٧٨ـ حدثنا قتيبة ، ثنا حميد بن عبد الرحمن الرؤاسي ، عن سلمة بن نبيط ، عن نعيم ، أراه عن سالم بن عبيدة رضي الله عنه – وكان من أهل الصفة – قال : لما قبض رسول الله ﷺ قالت الأنصار : منا أمير ومنكم أمير . فقال عمر : سيفان في غمد واحد لا يصطلحان . ثم أخذ بيد أبي بكر فقال : من له هذه الثلاثة : ﴿ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ

لِصَٰحِبِهِۦ﴾ من صاحبه ؟ ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة : ٤٠] مع من ؟ قال : ثم بايعه ، فبايع الناس أحسن بيعة وأجملها .

١٠٧٩ـ حدثنا عمر بن أبي عمر ، ثنا العلاء بن مسلمة ، عن محمد بن حبيب الثقفي ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن علي رضي الله عنه قال : اجتمعت قريش بعد وفاة أبي طالب بثلاث ، فأرادوا قتل رسول الله ﷺ ، فأقبل هذا يجؤه ، وهذا يتلتله ، فاستغاث النبي ﷺ يومئذ ، فلم يغثه يومئذ أحد إلا أبو بكر رضي الله عنه وله ضفيرتان ، فأقبل يجأ ذا ويتلتل ذا ، ويقول بأعلى صوته : ويلكم ، أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله ؟ والله إنه لرسول الله . فقطعت إحدى ضفيرتي أبي بكر يومئذ . فقال علي : والله ، ليوم أبي بكر خير من مؤمن آل فرعون ، إن ذلك رجل كتم إيمانه ، فأثنى عليه في كتابه ، وهذا أبو بكر أظهر إيمانه وبذل ماله ودمه .

١٠٨٠ـ حدثنا عمر ، ثنا الحميدي ، قال : حدثنا سفيان(١) ، قال : ثنا الوليد بن كثير ، عن ابن تدرس(٢) مولى حكيم بن حزام ، عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالوا لها : ما أشد شيء رأيت المشركين بلغوا من رسول الله ﷺ ؟ فقالت : كان المشركون قعودًا في المسجد الحرام يتذاكرون رسول الله ﷺ ما يقول في آلهتهم ، فبينما هم كذلك إذ دخل رسول الله ﷺ ، فقاموا إليه بأجمعهم ، وكانوا إذا سألوه عن شيء صدقهم ، فقالوا له : ألست [٢/ ٢٧/ ب] تقول في آلهتنا كذا ؟ قال : بلى . قال : فتشبسوا به بأجمعهم ، فأتى الصريخ إلى أبي بكر رضي الله عنه فقال له : أدرك صاحبك . فخرج من عندنا وإن له غدائر ، فدخل المسجد وهو يقول : ويلكم ، أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم ؟ فلهوا عن رسول الله ﷺ وأقبلوا إلى أبي بكر ، فرجع إلينا أبو بكر فجعل لا يمس شيئًا من غدائره إلا جاء معه ، وهو يقول : تباركت يا ذا الجلال والإكرام ، إكرام إكرام .

---

(١) « سفيان » سقط من (ص) .

(٢) كذا في الأصلين ، وفي كتب التراجم « تدرس » .

الأصل الثالث عشر والمائتان

١٠٨١- حدثنا ابن أبي ميسرة ، ثنا إسماعيل بن سويد ، ثنا عبيد الله بن الحسن قاضي البصرة ، قال : حدثني سعيد بن إياس الجريري ، عن أبي عثمان النهدي ، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " إذا التقى المسلمان كان أحبهما إلى الله أحسنهما بشرًا لصاحبه ، فإذا تصافحا أنزل الله عليهما مائة رحمة ، تسعون منها للذي بدأ بالمصافحة ، وعشر للذي صُوفح " .

فالمؤمن عليه سمة الإيمان ووقاره ، وبهاء الإسلام وجماله ، فأحسنهما بشرًا أفهمهما لذلك وأعقلهما عن الله ما مَنّ الله به عليهما ، وإنما يبديه حتى يظهر بشره ؛ لعلمه بالله تعالى وبمنة الله على عبده ، هذا وجه .

وجه آخر : أن المؤمن عطشان إلى لقاء ربه شوقًا إليه ، فإذا رأى المؤمن أو رأى كلام الله الذي أنزله أو رأى بيته - الكعبة - اهتش إلى ذلك روحه ، وتنسم قلبه روح ما وجد من آثار مولاه الذي قد قلق بحياته برمًا من أجل حبه عنه ، فيطمئن ويبشر بذلك فيظهر بشره ، وإنما صار أحب إلى الله بما له من الحظ من الله .

ووجه آخر : أن الذي يظهر البشر لأخيه يسر أخاه المؤمن ؛ لأن العبوس مما يقبضه وينكسر قلبه على رؤيته ، فإذا أظهر البشر قواه لأن في ذلك إظهار المودة له .

١٠٨٢- حدثنا أبي رحمه الله ، ثنا صالح بن محمد ، عن أبي الحسن العسقلاني ، عن زيد ابن أسلم قال : كان يحيى بن زكريا إذا لقي عيسى ابن مريم بدأ فسلم عليه ، وكان لا يُلقَى يحيى إلا باشًا متبسمًا ، ولا يُلقَى عيسى إلا محزونًا شبه الباكي ، فلقيه يحيى ، فبش في وجهه وتبسم وسلم عليه ، فقال له عيسى : إنك تَبَسَّمُ تَبَسُّمَ رجل وتضحك كأنك آمن . فقال له يحيى : إنك لتعبس تعبُّس رجل وتبكي كأنك آيس ، فأوحى الله إلى عيسى أنَّ أحبَّكما إلي أكثركما تبسمًا .

فأما الصفاح فهو الأخذ بالأيدي ، وهو كالبيعة ؛ لأن من شرط الإيمان والإسلام الأخوة أن يكون كل واحد منهما أخية صاحبه ، وقال تعالى [٢/٢٨/أ] : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات : ١٠] وقال : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ [التوبة : ٧١] ، فهذا شرط الله فيما بينهم : الأخوة والولاية ،

فإذا لقيه فإنما يريد بمصافحته كأنه يبايعه على هاتين الخصلتين ، ففي كل مرة يلقاه يجدد صاحب النعمة الحمد ، فيجدد له ثواب شكرها ؛ لأنه إذا فارقه بعدما صافحه لم يخل من دخول خلل الأحداث والنوائب ، فيجدد عند لقائه ، كما قال رسول الله ﷺ : " جددوا إيمانكم " . قالوا : بماذا ؟ قال : " بلا إله إلا الله " .

فالسابق إلى تجديده له من المائة تسعون رحمة .

وفي التمسك بالأخوة والولاية إقامة حرمة لا إله إلا الله ، وتعظيم ذلك النور الذي جعله في قلبه وزينه فيه .

وأول ما ظهرت بيعة يوم الميثاق ، ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما : " الركن يمين الله يصافح به عباده يوم القيامة " . لأنهم يوم الميثاق بايعوا الله فصافحوا الحجر ، فلما أنزله من الفردوس ووضع في ركن البيت دعوا إليه ليجددوا بيعة يوم الميثاق وهو الاستلام في أمر الحج والطواف ، وإنما قيل الاستلام لأنهم بايعوه يوم الميثاق على الإسلام ، فكلما جددوا بيعة يوم الميثاق وافوا الركن جددوا الإسلام وهو تسليم المُقِر ، وكلما تمسحوا به فذلك منهم بيعة متجددة وهو الاستلام منهم على قالب الافتعال .

الأصل الرابع عشر والمائتان

١٠٨٣ـ حدثنا نصر بن فضالة وعبد الكريم بن عبد الله اليشكري ، ثنا عبد الله بن نافع[(١)] الصائغ المدني ، ثنا أيوب بن سليمان[(٢)] بن مينا ، عن من حدثه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " من وسع على عياله في يوم عاشوراء وسع الله تعالى عليه في سنته كلها " .

١٠٨٤ـ حدثنا عبد الجبار ، ثنا سفيان ، ثنا جعفر الأحمر ، عن إبراهيم بن محمد بن المنتشر[(٣)] قال : بلغني أن من وسع على عياله يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر سنته .
قال سفيان : جربناه منذ أربعين سنة فلم نر إلا خيرًا .

فالأصل في ذلك أن نوحا عليه الصلاة والسلام استوت سفينته على الجودي يوم عاشوراء ، فقيل له : ﴿ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ﴾ وهم الموحدون إلى آخر الدهر ، ﴿ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [هود : ٤٨] وهم المشركون ، فكانوا كلهم في صلبه ، فكان هذا السلام وهذه [٢/٢٨/ب] البركات وعلى الأمم الموحدة التي معه ومن في صلبه .

فإنما قيل له : اهبط من السفينة لتبوئ لأهلك وولدك مبوأ صدق ومستقرًا لمعاشك . وبهذا السلام وهذه البركات فمن أراد أن يأخذ بحظه من تلك البركات فوافى ذلك اليوم في كل وقت وزمان كان في تلك الهيئة هيئة من يبوء لعياله مرمة معاشهم ويزيد في وظائفهم ، ويهيئ لهم ليناله حظه من ذلك السلام وتلك البركات كما كان من أراد أن يأخذ بحظه من ذلك فليدخل فيما دخل فيه تلك الأمم من الإيمان بالله ويفارق الأمم التي مضت ، فوعدت المتعة والعذاب ، فاستقبل الله تبارك اسمه بالدنيا استقبالاً بعد أن غرقها وخربها شرقًا وغربًا ، فلم يبق في جميع الدنيا إلا سفينة نوح عليه السلام بمن فيها ، فرد عليهم دنياهم يوم عاشوراء ، وأمروا بالهبوط للتبوئة

---

(١) في (ص) " عبد الله بن رافع " .
(٢) في (ص) " سليم " .
(٣) في (ص) " المنكدر " .

والتهيؤ للعيال أمر معاشهم مع السلام والبركات عليهم وعلى الأمم التي في صلبه من الموحدين ، فمن خرج من الموحدين من الأصلاب في كل زمان فأتى عليه ذلك اليوم فكأنه في يومه في وقته يهبط من السفينة ويهيئ لعياله معاشًا فيناله سلامه وبركاته لذلك ، فإنما أوجب البركات له وللأمم معه لاتخاذ الوطن والمعاش لعياله .

وعلى هذا السبيل ما جاء في الكحل أيضًا .

١٠٨٥- حدثنا نصر بن فضالة ، ثنا محمد بن عمر الواقدي ، أسنده إلى يحيى بن أبي كثير قال : من اكتحل يوم عاشوراء بكحل إثمد فيه شيء من مسك لم تتجع عينه تلك السنة ، وعوفي من الرمد .

فالاكتحال مرمة للعين ، وفي الكحل تقوية للبصر ، ومدد للروح ؛ لأن بصر الروح متصل ببصر العين والعين قالبه .

فأما مرمة للعين فإنه جاءنا عن رسول الله ﷺ أنه قال : " من خير أكحالكم الإثمد ؛ فإنه ينبت الشعر ويجلو البصر " .

١٠٨٦- حدثنا بذلك عبد الوهاب بن عبد الحكم الوراق ، ثنا يحيى بن سليم ، الطائفي ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ .

فإنبات الشعر مرمة العين ؛ لأن الأشفار ستر الناظِرَيْن ، فلولا الأشفار لم يقو الناظران على النظر ، فإنما يعمل ناظر العين من تحت الشفر ، فالكحل ينبته وهو مرمته .

وأما تقوية البصر فإنه يجلوه ويذهب بغشاوته وما يتحلب من الماقين من فضول الدموع والبلة الطبيعية ينشفه الإثمد ولم يدعه يتلبث فيصير غشاوة وغيمًا على حدقته .

وأما مدد الروح فإن بصر الروح في الباطن متصل ببصر العين ، فإذا ذهب هذه الغشاوة التي ذكرنا وصل النفع إلى بصر الروح ، [٢/٢٩/أ] ووجد لذهابه راحة وخفة .

ففي مرمة المعاش مرمة النفس ، فإذا كان ذلك منه في هذا اليوم نال البركة فعوفي من الضيق ، ووسع عليه سائر سنته ، وإذا كانت مرمة الروح عوفي من الرمد ؛ لأنه يشغل الروح إذا رمد .

الأصل الخامس عشر والمائتان

١٠٨٧ـ حدثنا الجارود بن معاذ ، ثنا الفضل بن موسى ، عن شريك ، عن ليث ، عن بشير بن نهيك ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ في قوله تعالى : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الحجر : ٩٢ - ٩٣] قال : " عن لا إله إلا الله " .

معناه عندنا عن صدق لا إله إلا الله ووفاء بها ، وذلك أن الله تعالى ذكر في تنزيله العمل فقال : ﴿ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الحجر : ٩٣] ، ولم يقل : عما كانوا يقولون ، وإن كان قد يجوز أن يكون القول أيضًا عمل اللسان ، فإنما المعني به ما يعرفه أهل اللغة أن القول قول والعمل عمل .

فإنما قال رسول الله صلى الله عيه وسلم : " عن لا إله إلا الله " أي :[1] عن الوفاء بها والصدق لمقالتها كما قال الحسن البصري : ليس الإيمان بالتحلي ولا الدين بالتمني ، ولكن ما وقر في القلوب وصدقته الأعمال .

ولهذا ما قال رسول الله ﷺ : " من قال : لا إله إلا الله - مخلصًا دخل الجنة " . فقيل : يا رسول الله ، ما إخلاصها ؟ قال : " أن تحجزه عن محارم الله عز وجل " .

١٠٨٨ـ حدثنا بذلك عمر بن أبي عمر ، ثنا مسلم بن إبراهيم ، ثنا الهيثم بن حماد ، عن أبي داود ، عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " من قال : لا إله إلا الله - مخلصًا دخل الجنة " . قيل : وما إخلاصها ؟ قال : " أن تحجزه عن محارم الله " .

١٠٨٩ـ حدثنا عمر ، ثنا عمر بن عمرو الربعي ، ثنا عبيد الله بن الوليد الرصافي ، عن أبي بكر الحنظلي ، عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " إن الله عهد إلي أن لا يأتيني أحد من أمتي بلا إله إلا الله لا يخلط بها شيئًا إلا أوجبت له الجنة " . قالوا : يا رسول الله ، وما الذي يخلط بلا إله إلا الله ؟ قال : " حرصًا على الدنيا ، وجمعًا لها ، ومنعا لها ، يقولون قول الأنبياء ، ويعملون أعمال الجبابرة " .

وإنما ثمرة هذه الكلمة لأهلها ، وأهلها من رعاها حتى قام بوفائها وصدقها ، ألا ترى إلى قول رسول الله ﷺ : " ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في القبور ولا في النشور " .

---

(١) " أي " زيادة من (د) .

١٠٩٠ـ حدثنا بذلك علي بن عيسى بن يزيد البغدادي ، ثنا الحماني ، ثنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن ابن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في القبور ولا في النشور " . كأني أنظر إليهم وهم ينفضون التراب [٢/ ٢٩/ ب] عن رءوسهم وهم يقولون : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [فاطر : ٣٤] . فإنما ذهبت عنهم الوحشة في القبور والنشور لأنهم بشروا بالنجاة من العذاب والحساب والفوز يوم القيامة ، ولقوا روحًا وريحانًا عند الموت ، وفي الآخرة نضرة وسرورًا ، ومن قدم على ربه مع الإصرار على الذنوب فليسوا من أهل لا إله إلا الله ، إنما هم من أهل قول : لا إله إلا الله . والأهل والآل بمعنى واحد ، والهاء والهمزة يتبادلان ، ألا ترى أنه يقال لأهل مكة : آل الله ، وأهل الله .

وقد جاءت الرواية في حديث عتاب بن أسيد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : " إني باعثك إلى آل الله " . فإنما قيل لهم هذا لأنهم يئولون إلى بيته في الوطن ، ويقال : آل فلان لأنهم يئولون في النسب إليه .

ويقال : آل يئول أوْلاً ، يعني رجع يرجع رجوعًا .

فأهل قول : لا إله إلا الله ؛ من كان مرجع أمره إلى القول والعمل بهواه ، وأهل لا إله إلا الله من كان مرجعه إلى إقامة هذا القول وفاءً وصدقًا .

وروى أبو أسامة ، قال : ثنا عمر بن حمزة العمري ، عن نافع بن مالك أبي سهيل ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " لا إله إلا الله تمنع العباد من سخط الله ، ما لم يؤثروا صفقة دنياهم على دينهم ، فإذا آثروا صفقة دنياهم على دينهم ، ثم قالوا : لا إله إلا الله ؛ ردت عليهم ، وقال الله تعالى : كذبتم " .

١٠٩١ـ حدثنا موسى بن أحمد العسقلاني ، ثنا عبد الأعلى بن سليمان العبدي ، ثنا أبان بن أبي عياش ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " لا يزال قول : لا إله إلا الله ، يرفع سخط الله عن العباد ، حتى إذا نزلوا بالمنزل الذي لا يبالون ما نقص من دينهم إذا سلمت لهم دنياهم ، فقالوا عند ذلك ، قال الله لهم : كذبتم " .

ومما يحقق ذلك أيضا : ما جاء عن رسول الله ﷺ أن الموحدين ليسوا من أهل النار ، وأن أهل النار هم الأعداء .

١٠٩٢ـ حدثنا بذلك عبد الوارث بن عبد الصمد ، قال : حدثنا أبي ، عن سليمان التيمي ،

عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية : " ﴿ فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴾ [طه : ٧٤] " قال : " أما الذين هم أهلها فإن لهم جهنم لا يموتون فيها ولا يحيون ، وإنما الذين ليسوا من أهلها فإن النار تميتهم إماتة ، ثم يجعلون ضبائر ، ويقوم الشفعاء " .

قال له قائل : وما صدق لا إله إلا الله ووفاؤها ؟ قال : لها منزلتان إحداهما أعلى من الأخرى ، فأما المنزلة الأدنى : فمن صدقها أن يقف عند صنعه كالعبيد ، ويقف عند أمره كالعبيد ، فأما صنعه فهو أحكامه [٢/ ٣٠/ أ] عليك ، وتدبيره فيك ، مثل العز والذل ، والصحة والسقم ، والفقر والغنى ، وكل حال محبوب ومكروه ، فتقف هناك كالعبيد ، لا تعصى الله في جنب ما حكم عليك ، ودبره لك ، وهو أن تحفظ جوارحك السبع عند كل حكم يدبره لك ويحكم به عليك ، وأما أمره فهو أداء الفرائض واجتناب المحارم ، فلا تغضبه في ترك فريضة ، ولا انتهاك محرم ، فهذا صدق لا إله إلا الله والوفاء به ، وهذه أدنى منزلة لأنه بعد في حفظ الجوارح .

وأعلاها منزلة : أن يكون في هذين حافظًا لقلبه ، قد راض نفسه ، وماتت شهواته ، فما ورد عليه من أحكام الله تعالى رضي بها ، واهتشت نفسه إلى قبولها حبًّا لله وإعظامًا له ، وشغوفا به ، وما أعطي من الدنيا قنع بها ، وكان كالخازن الذي يعطيه مولاه شيئًا يأتمنه عليه ، فهو يمسكها بالأمانة ، يرقب متى يومئ إليه حتى يبذلها من غير تلجلج ، وما ورد عليه من أمره ونهيه أنفذ من غير أن يلتفت إلى عوض عنها في عاجل أو ثواب في آجل .

ولعلك تجد في العبيد لو أن رجلا أعطى عبدًا له مائة درهم عطية ينتفع بها ، ثم قال له أعط فلانا درهمًا ، فإن أعطى هذا العبد على أنه يعوضه مولاه أو يعطيه بدله درهمين ، فليس هذا صدق في الباطن إنما بذل ذلك على طمع نوال ، فهذه متاجرة الله تبارك اسمه ، خلق العبد ذا شهوات ، فالسابقون راضوا نفوسهم وفطموها عن الشهوات ، فلما جاءهم أمر الله في أحكامه انقادوا وذلت نفوسهم لأمره إعظامًا لجلاله ذلة العبيد الذين قد استسلموا لسيدهم ، فهم المبهوتون في طاعة الله لا يبتغون أمور الدنيا والآخرة[1] ، قد استوت لهم ؛ لأنهم لله وبالله ، لا يخطر على

---

(١) الظاهر في (د) " أمور الدنيا في الآخرة " .

بالهم عند تصرفهم في الأمور اختيار الأمور والأحوال ، فإن كان في مرمة نفس أو معاش فهو لله ، وإن كان في مرمة أمر الآخرة من الصوم والصلاة وأنواع البر فهو لله ، فأعمارهم غير معطلة ، كلها عبادة لمليكهم ، لأنهم عبدوا الله بنومهم كما عبدوه بسهرهم ، وعبدوه بأكلهم كما عبدوه بجوعهم ، وعبدوه بأخذ الدنيا وتناولها كما عبدوه بتركها ، إنما نظرهم إلى تدبيره لهم ، فعلى أي حال سار بهم إليه ، ساروا طيبة بذلك نفوسهم ، حسنة أخلاقهم .

والآخرون وهم : المقتصدون لم يروضوا أنفسهم ولا فطموها عن الشهوات فلا ذلت نفوسهم ولا انقادت إلا لما هويت واشتهت ، إلا أن خوف الوعيد حال بين نفوسهم وبين المعاصي ، فحجرهم عن أعمال الهلك ، وحملهم على أعمال أهل النوال لما أُطمعوا من الثواب إلا وقد نجد مثل هذا العقل من الدواب إنها تتلكأ وتبطئ [٢/ ٣٠/ب] في السير حتى إذا أحست بالدنو من المنزل استقلت بالحمولة وجدت السير تحننًا إلى الأدارين ، وربما رأت أنثى فتهتاج بذلك ترائي في سيره مستقلاً بالحمولة مجدًا ، وربما أحست بالسوط في جنبيها من راكبها فتهتاج في السير مجدًا ، فإذا نظر المنتبه إلى هذا من فعل الدواب استحيا من أن يكون شبيها بهم ؛ لأن هذه معونة قد أتتهم من الله ، خلق لهم دار الثواب ووصفها لهم على ألسنة الرسل كي إن تكلت نفوسهم على الانبعاث لأعمال البر طمعت لدار السلام وما فيها فسلست ، وأعطت بزمامها ، وإن جمحت على الوثوب فيما زجرت عنه وذلت وانقبضت وانخشعت ، فهؤلاء قوم انقادوا لله من أجل نفوسهم ، وليس هذا بخالص العبودة ، إنما خالص العبودة لقوم هامت قلوبهم في حب الله ، وهانت نفوسهم في جلال الله وعظمته ، فانبعثوا لأعمال البر شغوفًا به إذ علموا أنه يحب ذلك ، وامتنعوا من الآثام هيبة له وإجلالاً إذ علموا أنه مساخطه ومكروهه .

فأما قول : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ﴾ [فاطر : ٣٤] فالناس في هذا الحزن درجات كل إنما بجهده على إذهاب حزنه : فأما المتقون فكان حزنهم قطع النار ، وفوت الجنة وأيام الحياة مجاهدة النفس ، والصديقون حزنهم تقصير مما لزمهم من شكر العصمة والتوفيق بأن وفقها للطاعات ، وعصمهم من الآثام ، فوجدوا أنفسهم مقصرين في شكره ، ينتظرون العفو ، والعارفون على صنفين وحزنهم على وجهين ،

فكل واحد منهما واجد من الحزن على قلبه ما هو الغالب ، فأما صنف منهم فحزن العاقبة على قلبه ، وصنف منهم حزن القلق هو الغالب على قلوبهم ، وهذا أعلى .
قيل له : كيف هذا ؟ قال : هذا خفي ، والمشهور في أيدي هؤلاء غير هذا ، ذلك أنهم يحكون أنه قيل لفلان : أما تشتاق ؟ فقال : إنما يشتاق الغائب . فاستعظموا هذا ، وصيروه غاية الأمر ، ولا يعلمون أن من وراء هذا درجة فيها تنافس الأنبياء والأولياء المجذوبين المحدَّثين حظ .
وقائل ذلك القول رجل مشتاق رقي به إلى درجة فيها الجلال والجمال ، فسكن شوقه لطعم لذة ما نال من القربة ، فمر في العبودة بقوة حظ من الجلال ، وعظم أمله حظه من الجمال ، فهو مطمئن ساكن .
فمن نظر إلى ذلك قال في نفسه : فأي شيء بقي ؟ ولا يعلم أن من وراء هذا درجة للأولياء المحدثين تقلق أحشاءهم إلى آخر رمق من الحياة حتى تخرج أرواحهم بغصة من الكمد ؛ لأنهم خلصوا بفردانيته وتعلقوا بوحدانيته ، فظمئت أكبادهم [٢/ ٣١/ أ] عطشى إلى لقائه ، وهل نال أحد في الدنيا ما نال موسى عليه الصلاة والسلام من أن سمع كلامه ؟ أفليس زاده ذلك قلقًا حتى حمله على سؤال الرؤية ، ثم عاش أيام الدنيا عطشان إلى لقائه ، فمحال أن يستقر العارف حتى ينكشف له الغطاء يوم الزيادة ، ويصل إلى ما سأل كليم الله في الدنيا ، فكلما ازداد العبد إليه قربًا زاده مولاه دنوًا فازداد هيمانًا وولهًا حتى يقلق فيكمد ويحترق من نيران الشوق ، فهذا الغالب عليه حزن القلق ، وفيما بينه وبين مولاه من الأسرار ما يسكن عن خوف التحويل ، لا أنه ذهب عنه ، ولكنه غاب عنه كما خاب خوف العقوبة عن الصديق لغلبة الهيبة على قلبه ، فإذا نظر إلى قلبه وجده كالآمن ، فإذا نطق نطق بلسان الخائف للتحويل ، فأسراره تعلمه أنه مقبول عنه ، وهو في حكمه فيما بينه وبين العباد أنه لا يدري ما يكون وإن الله تبارك اسمه ركب هذه الشهوات في نفوس بني آدم ، فهن أبدا يهوين بصاحبهن عن الله إلى الإخلاد والركون والبطء ، وكلما انكشف الغطاء له عند تلاشي هذا الهوى وهذه الشهوة ، حتى تموت نفسه وشهواته ، فيظهر كأن بقي ظله ، فعلى حسب ما بقي يخاف ضرره ، وهو حال النفس .
والأنبياء عليهم السلام لم يبق لهم ظل الهوى ، فانكشف لهم الغطاء كله ، فبشروا

بالنجاة ، فلم تضرهم البشرى ، لأنه لم تبق لهم نفوس فتستبدّ وتجورَ إذا أمنت السقوط ، ومَنْ بعدَهم بقي لهم في نفوسهم شيء ، فمعنوا البشرى ، وأبهم عليهم الأمر صنعًا لهم ونظرًا ، لتكون نفوسهم منقمعة بخوف الزوال ، فهذا هو الأصل فافهمه ، فالخلق كلهم منه في الربانية من الحجب في سبعة حجب : حجاب القدرة ، وحجاب العزة ، وحجاب الجبروت ، وحجاب السلطان ، وحجاب الكبرياء ، وحجاب الخالق ، وحجاب العظمة ، فالصديقون منه في حجاب القدرة ، والمجذوبون في حجاب الخالق ، والأنبياء في حجاب العظمة .

الأصل السادس عشر والمائتان

١٠٩٣ـ حدثنا عمر بن أبي عمر ، ثنا موسى بن إسماعيل أبو سلمة ، عن سعيد بن زربي ، عن ثابت ، عن أنس رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : " لقد أوتي أبو موسى مزمارًا من مزامير آل داود " . فبلغ ذلك أبا موسى ، فقال : يا رسول الله ، لو علمت أنك تستمع لقراءتي لحبرته لك تحبيرًا .

الزمر والرمز بمعنى واحد ، إلا أن الرمز بالشفتين ، والزمر بالحنجرة وهو تحريك التركيب من ذلك الموضع على التكوين ، فالشفتان تركيبهما كما قد ترى ، فإذا رمزت فهو تحريك الشفتين على الصوت التي رأيت [٢/ ٣١/ ب] لتخرج تلك الألفاظ ، فإذا كان بصوت فهو كلام ، وإنما قيل : كلام ؛ لأنه يدخل السمع فيكلم الصوتُ القلبَ أي يؤثر عليه ، ومنه قيل للجراحة : كلم ، لأنه قد أثر ، فإذا دخل الصوت الأسماع فَلَجَ الصدر فتصوَّرت معاني ذلك الصوت الذي نطق به في الصدر ، فإذا كان بغير صوت فهو رمز ؛ لأنه إشارة إلى حروفٍ بشفتيه لتفهم ، فتقوم مقام الصوت فهذا بالعين يدركه القلب علمًا ، وهذا بالسمع يدركه القلب علمًا ، فلذلك لا يقال للرمز كلامًا .

وأما الرمز فإذا خرج الصوت من جو الصدر إلى جو الرأس حرك الحنجرة المركبة بعضها على بعض حتى يرد الصوت ويرجعه ، فإذا تردد على هذه الصفة في ذلك التركيب من الحنجرة صارت له أصداء ، وبذلك الصدى يتلوَّن الصوت فيصير ألوانًا ، وكل شيء صار للآدمي ألوانًا فقد تلذذ به ؛ لأنه بين اللونين سر من أمر الله ، وتدبير من تدبير الله ، ولطف من لطفه لا يدركه إلا لحظات أهل اليقين ، ففصل بين اللونين حتى إذا سمعت الأول ورد الثاني ثم عاد الأول فورد على السمع طريًا ثم عاد الثاني فورد طريًا ، فتلك الطراوة على السماع وجود اللذة ، ألا ترى أنه إذا دام اللون سمج وفقدت لذته ، وكذلك نجد هذا في الألوان التي تدركها الأبصار ، إنما نجد اللذة بالانفساخ ، فإذا انفسخت الألوان بعضها ببعض عمل البصر فيها على ما ذكرنا من الطراوة ، وعملت الألوان عليها ولذت العين ، فالمدبر الحكيم اللطيف له في خلقه عجائب ، جعل بين كل شيئين برزخًا من أمره كما جعل بين البحرين حاجزًا ، وبين الليل والنهار

، وبين النور والظلمة ، وبين الكفر والإيمان ، وبين الدنيا والآخرة ، فالمزمار على قالب مفعال ، وهو الموضع الذي يزمر به ، فأخبر رسول ﷺ أن هذه الأصوات الزائدة على أصوات العامة إنما هو من التراكيب الزائدة في الحنجرة ، وأن ذلك من عطاء ربنا وفضله ، وإنما يؤتي من يشاء برحمته ، فلما بلغ ذلك أبا موسى عظمت منة الله عليه أن ركب في جسمه وخلقته شيئًا له موقع عند رسول الله ﷺ رسول رب العالمين ، فوقع جلاله ، وأنه من عطاء ربه وفضله ، فهذا شأن التركيب ، وما أهل اليقين ، فهم خصوا بهذا أيضًا ، من أجل أن ذلك النور يفتح سدد تلك الطرق التي هي مخارج الصوت فتصفو .

وأوفرهم منه حظًا أكثرهم منه قوة ، وهذا خارج [٢/ ٣٢/ أ] من شأن التركيب ، ألا ترى أنه روي في الخبر أنه قال : " لم يبعث نبي إلا حسن الصوت حسن الصورة " .

فقال أبو موسى رضي الله عنه : " لو علمت أنك تستمع لقراءتي لحبرته لك تحبيرًا "

والتحبير : تلون الصوت ، أي : لو علمت كنت أزيد في تحريك هذا التركيب في الحنجرة لمكانك يا رسول الله .

ومنه قيل : برد حبرة ، إذا كان ذا ألوان .

ومنه ما روي عن قتادة أن رجلًا قال : يا رسول الله ، قد رأيت سد يأجوج ومأجوج . قال : " انعته لي " . قال : رأيته كالبرد المحبر ، طريقة حمراء ، وطريقة سوداء .

وأصل الحبر الألوان ، ومنه سمي الربح ربحًا على القلب من قالبه لأنه ألوان .

ومنه قوله تعالى : ﴿ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴾ [الروم : ١٥] ، فالروضة لون واحد ، ثم تلون عليهم الفرش والخدم والكسوة والأطعمة في تلك الروضة .

فأبو موسى رضي الله عنه كان من غنيا بالله ، لا تأخذه الأحوال والأقوال ، والأعين والأشخاص ، أتفرس فيه أنه من أولياء الله تعالى المشتعلة قلوبهم بنور الله الذين لا تملكهم نفوسهم ، ولو حصلت ذلك من طريق الأخبار لحققت فراستي عند من يجهل الفراسة ويعقله من طريق الخبر ، وذلك أنه نزلت : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ ﴾ [المائدة : ٥٤] الآية ، فروي في الخبر : أنها نزلت في الأشعريين ، فما لبثوا إلا يسيرًا حتى قدمت سفائن الأشعريين وقبائل اليمن من طريق البحر ، فكان لهم بلاء في الإسلام في زمان رسول الله ﷺ ، وكانت عامة

فتوح العراق في زمان عمر رضي الله عنه على يد قبائل اليمن .

١٠٩٤- حدثنا عمر ، ثنا يحيى بن عبد الله بن بكر المصري ، قال : حدثني الليث بن سعد ، عن خالد بن يزيد ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن زيد بن أسلم أن الأشعريين - أبا موسى وأبا مالك وأبا عامر في نفر منهم - لما هاجروا قدموا على رسول الله ﷺ في فلك ، وقد أرملوا من الزاد ، فأرسلوا رجلًا منهم إلى رسول الله ﷺ يسأله ، فلما انتهى إلى باب رسول الله ﷺ سمعه يقرأ هذه الآية : " ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ " [هود : ٦] . فقال الرجل : ما الأشعريون بأهون الدواب على الله . فرجع ولم يدخل على رسول الله ﷺ ، فقال لأصحابه : أبشروا أتاكم الغوث ، ولا يظنون إلا أنه كلم رسول الله ﷺ ، فوعده ، فبينما هم كذلك إذ أتاهم رجلان يحملان قصعة بينهما مملوءة خبزًا ولحمًا ، فأكلوا منها ما شاءوا ، ثم قال بعضهم لبعض : لو أنا رددنا هذا الطعام إلى رسول الله ﷺ ليقضي به حاجته . فقالوا[1] للرجلين [٢/ ٣٢/ ب] : اذهبا بهذا الطعام إلى رسول الله ﷺ ، فإنا قد قضينا منه حاجتنا . ثم إنهم أتوا رسول الله ﷺ ، فقالوا : يا رسول الله ، ما رأينا طعامًا أكثر ولا أطيب من طعام أرسلت به . قال : " ما أرسلت إليكم طعامًا " . فأخبروه أنهم أرسلوا صاحبهم ، فسأله رسول الله ﷺ ، فأخبره ما صنع وما قال لهم ، فقال ﷺ : " ذلك شيء رزقكموه الله " .

١٠٩٥- وحدثنا إسماعيل بن نصر ، عن النضر ، عن شعبة ، عن سماك بن حرب قال : سمعت عياضًا رجلًا من الأشعريين قال : لما نزل قوله تعالى : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة : ٥٤] قال رسول الله ﷺ : " هم قوم هذا " وأشار إلى أبي موسى رضي الله عنه .

١٠٩٦- حدثنا سفيان بن وكيع ، ثنا يزيد بن هارون ، عن حميد ، عن أنس عن رسول الله ﷺ قال : " يقدم عليكم قوم هم أرق أفئدة منكم " . فقدم الأشعريون فيهم أبو موسى رضي الله عنه ، فجعلوا يرتجزون ويقولون : غدا نلقى الأحبة محمدًا وحزبه .

فأبو موسى رضي الله عنه من أهل هذه الصفة فيما تفرسنا فيه : ممن لا يخافون

(١) في (ص) " قالوا " .

في الله لومة لائم ، ومن أهل محبة الله ، بل هو أوفرهم حظا إن شاء الله ، فلم تكن تأخذه محمدة الخلق فتملكه ، فذلك أمكنه أن يقول : " لو علمت أنك تستمع لقراءتي لحبرته لك تحبيرًا " أي : يبتغي بذلك مسارّ مخلص في ابتغاء ذلك ، فهو[1] لَمَن عن قلبه محمدة الناس ، وكذلك روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : " المخلص لا يحب أن يحمده الناس في شيء من عمله " .

والإنفاق من الصوت كالإنفاق من المال ، فمن أمكنه أن يصدق الله في الإنفاق من ماله جهرًا ، وأحقهم أن ينفق عليه : الرسول ﷺ ، لأن الصوت الحسن حلية القرآن ، ولذلك[2] جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال : " لكل شيء حلية وزينة ، وحلية القرآن الصوت الحسن " .

وأحسنهم صوتًا أحسنهم حلية ، فحلية تدرك بالعين ، وحلية تدرك بالسمع ، ومرجع ذلك كله إلى أن يحلى القلب ، فأولاهم أن ينفق عليه من ذلك رسول الله ﷺ ، فلذلك قال : " لحبرته لك تحبيرًا " .

١٠٩٧ـ **حدثنا** صالح بن عبد الله ، ثنا فرج بن فضالة ، ثنا أبو هريرة الدمشقي ، عن صدقة ، عن ابن عباس رضي الله عنه قال : كان داود يقرأ الزبور بسبعين صوتًا ، يلون فيها ، وكان يقرأ قراءة يطرب منها المحموم ، وكان إذا أراد أن يبكي نفسه لم تبق دابة في بر ولا بحر إلا استمعن لصوته .

١٠٩٨ـ **حدثنا** نصر بن فضالة ، ثنا عمرو بن الحسن الجزري ، ثنا أبو عاصم النبيل ، عن ابن جريج قال : سألت عطاء عن القراءة على ألحان القيان ، قال : حدثني عبيد بن عمير أن داود النبي عليه السلام كان يأخذ المعزفة [٢/ ٣٣/ أ] فيضرب بها عند قراءة الزبور ، يريد أنه يَبكي ويُبكي .

١٠٩٩ـ **حدثنا** صالح بن عبد الله ، ثنا عمر بن هارون ، عن ابن جريج قال : أخبرني عطاء ، سمعت عبيد بن عمير يقول : كان داود نبي الله يأخذ المعزفة فيضرب بها ، ثم يقرأ عليهم ، يزيد عليها صوته ، يريد أن يَبكي بذلك ويُبكي .

---

(١) في (د) " هذا " .

(٢) في (د) " كذلك " .

فالمعزفة تهيج من معدن السرور وما فيه لا من معدن الحزن ، هكذا الظاهر من التدبير أن المعازف إنما تكون في مواضع السرور ، وفي أوقاتها ، والنوائح في أوقات الأحزان فذكر ههنا عنه شأن المعزفة ثم ذكر البكاء ، فدل ذلك أن هذا بكاء الشوق ؛ لأن المشتاق الهائم من طول الغيبة والحنين عمن اشتاق إليه يشتد حزنه ، وفي باطن حزنه السرور ؛ لأن الحب أصل ، والسرور من الحب ، والشوق من السرور ، والحزن من أجل الشوق ، فإذا لاقى قلبه أصوات السرور بكي ، فكان هذا دليل من فعله أنه كان يعزف بالمعزفة يريد أن يَبكي ويُبكي المشتاقين .

الأصل السابع عشر والمائتان

١١٠٠- حدثنا عمر بن أبي عمر ، ثنا الحسن بن علي الخلال الحلواني ، ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، ثنا هاشم بن سعيد الكوفي ، ثنا زيد الخثعمي ، عن أسماء بنت عميس رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " بئس العبد عبد تجبر واعتدى ، ونسي الجبار الأعلى ، بئس العبد عبد سها ولها ونسي المبتدى والمنتهى ، بئس العبد عبد بغى وعتا ونسي المقابر والبلى ، بئس العبد عبد يحتال بالدين والدنيا[(١)] ، بئس العبد عبد يختل الدنيا بالشبهات ، بئس العبد عبد يذله الرعب عن الحق ، بئس العبد عبد طمعٌ يقوده ، بئس العبد عبد هوى يضله " .

فأما قوله : " عبد تجبر واعتدي " . فهذا صنف من الناس احتشى من الشهوات ، وجبر الخلق على هواه فيها ، فصار ذلك عادة ، واعتدى في جبريته ، فمن خالف هواه فهي إما يقتل أو نحوه ، والعدو أن يأبق العبد من ربه إباقًا يقع في العدو كالركض في السرعة هربًا ، فإذا وصف عدوه بالبالغ من الصفة ، قيل : عُدوان على قالب : فعلان ، فإذا وصف ببعضه قيل عادٍ ، فإذا صار له عادة قيل : اعتدى على قالب : افتعل ، كأن العادة صارت له دأبًا ، فوصف أن هذا عبد عمل بهواه وجبر الخلق على ذلك ، " ونسي الجبار الأعلى " الذي له الجبر ، وقد صغرت الدنيا بمن فيها من الخلق والخليقة والملكوت علوًا وسفلاً في ملك جبروته ودق .

وقوله : " عبد سها ولها ونسي المبدأ والمنتهى " . فسهوه بالأماني ، ولهوه بالشهوات ، ونسي المبدأ [٢/ ٣٣/ ب] من أين خلق ، ونسي المنتهى إلى أين يرد ، ونسي من أين بدئ ، وإلى أين يعاد .

وقوله : " عبد بغى وعتا ونسي المقابر والبلى " . فالبغي طلب العلو ، فكلما رأى من الدنيا درجة أحب أن ينال ذلك ويسلب غيره ؛ فهو باغ للمنازل ، يحب أن ينفرد بها دون نظرائه ، وعتا أي يبس قلبه ، انتشفت حرارة شهوته رطوبة قلبه ، وما ركب فيه من الرأفة والرحمة الخِلقية والطبيعية ، فإذا يبس ذلك صار إيمانه محجوبًا ، فلا

---

(١) كذا في الأصلين ، وفي الشرح " عبد يحتال الدنيا بالدين " ، وفي (ط) " يحتال بالدين الدنيا " .

إيمانه عمل الرأفة والرحمة والعطف والبر والرفق والسخاء ومحاسن الأخلاق ، ولا الذي ركب في طباع الأميين ، من ذلك جفت له رطوبته فيعمل عمله ، فهذا قلب قاسي عاتي يابس من الخير ، قد انتشفت منه ماء الرحمة ، فهذا متكبر ، فمن الكبر طَلَبَ العلوَّ ، ومن الكبر عتا فذهب رفقه وصبره وتأنيه وحلمه وحياؤه ورأفته وعطفه ، ونسي أن القبر متضمنه يومًا ومحتوٍ على أركانه ، ومُبْلٍ لحمه ودمه أكلاً أكلاً ، حتى يصير من اللحد فقيدًا .

وقوله : " عبد يحتال الدنيا بالدين " . فهذا عبد متصنع مداهن ، قلَّت مبالاته بنفسه على الحقيقة ، إنما يبالي فيما يعرض له في العاجل من النهمة متى ينالها لبعد قلبه عن الآخرة ، ومن بعد قلبه عن الآخرة فهو من البر أبعد وأبعد ، فقد ترصد للتوثب على الدنيا ليظفر بها منتهزًا لفرصتها ، يتحلى بظاهر الإيمان ليصطاد به الدنيا ، صير معالم الإيمان شبكة لحطام الدنيا وأوساخها ، يظهر الخشوع بالتماوت كي يحظى عند أهل الدنيا ، فينال من عزها وجاهها ، كي ينال به مناه وشهواته ، يتحازن عند لقاء الخلق ويتنفس الصعداء فيظهر بذلك الاهتمام لدينه والتحسر على إدبار أمره ، وإنما هو أسف منه على ما يفوته من الدنيا ، يمتنع من قبول الشيء اليسير من الدنيا ليكون في هيئة الزاهدين عند الخلق ، يخاف إن قبله أن ينكسر جاهه عند الخلق ورئاسته ، لأنه يصير عندهم في صورة الراغبين ، فهو مع الحاجة هكذا ينتظر فريسته ، فكل باب من الأبواب من منالات الدنيا ، قد هيأ له بابًا من أبواب الدين ليختلسه من أيديهم بذلك ، ويُظْهِر الانقباض ليُهَاب ، ويظهر العبادة ليُهَيأ له ويُكْفَى مؤنته ، ويظهر الورع ليُؤْتَمن على الأموال ، ويظهر الزهادة فيُمَال عليه بالدنيا ، ويظهر شدة على أهل الريب ليشار إليه بالأصابع ويطلب الرئاسة ليحكم في الخلق في معاملته تحكم الملوك ، ويطلب العز لنفاذ مشيئاته فيهم ، كل ذلك ختلاً لنوال هذه الدنسة التي خلقت من تراب ، ثم يتخلى عنها أوفر ما كانت حتى يكون فريسة الأسدان والذئاب والثعالب .

قوله : " يختل الدنيا بالشبهات " . فهذا أيسر من الذي يختله بالدين [٢/ ٣٤/ أ] ، هذا رجل فر من الحرام وتغمض عند الشبهة ، فهو يخادع الله بذلك يقول : أفر من الحرام .

قوله : " عبد يذله الرعب عن الحق " . إذا استقبله حق من حقوق الله فأراد أن يقيمه جاءت النفس بسوء ظنها ، فخوفته وجوه المهالك حتى ترعبه فتذله ، وقد ندبه الله في تنزيله فقال : ﴿ كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ﴾ [النساء : ١٣٥] ، فهذا العبد من سوء الظنون علاه الرعب ، فانكسر قلبه ، وانخلع جبنًا ، ولذلك قال رسول الله ﷺ : " شر ما في الإنسان حرص هالع وجبن خالع " . فالحرص يورث القلب هلعًا وهو أن لا يشبع ، كلما وجد شيئًا فلا قرار له ، ولا يبيتن في جوفه ذلك ، والجبن إذا انفتحت المرية منه من الفزع خلع القلب من مكانه .

قوله : " عبد طمعٌ يقوده " . فالطمع هو أن يتمنى أمرًا من شهوات الدنيا ، فلا يزال يتمنى ويفكر حتى يجد طمعه من الفكر الذي جال في صدره ، فإذا وجد القلب طمعه قادته تلك الشهوة .

قوله : " عبد هوى يضله " . فالهوى المضل ترك الحق في أموره ، وترك الحق في السير إلى الله حتى يقع في الباطل وحتى يقع في الأهواء والزيغ عن سواء السبيل .

الأصل الثامن عشر والمائتان

١١٠١ـ **حدثنا** عمر بن أبي عمر ، ثنا أبو همام الدلال ، عن إبراهيم بن طهمان ، عن عاصم ابن أبي النجود ، عن زر بن حبيش ، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ أنه أتاه جبريل عليه الصلاة والسلام ، فبينما هو عنده إذ أقبل أبو ذر ، فنظر إليه جبريل فقال : هو أبو ذر ، فقلت : يا أمين الله ، وتعرفون أنتم أبا ذر ؟ قال : نعم ، والذي بعثك بالحق إن أبا ذر أعرف في أهل السماء منه في أهل الأرض ، وإنما ذلك لدعاء يدعو به في كل يوم مرتين ، وقد تعجبت الملائكة منه ، فادع به . فاسأله عن دعائه ، فقال رسول الله ﷺ : " يا أبا ذر ، دعاء تدعو به كل يوم مرتين " . قال : نعم فداك أبي وأمي ، ما سمعته من بشر ، وإنما هو عشرة أحرف ألهمني ربي إلهامًا ، وأنا أدعو به كل يوم مرتين ؛ أستقبل القبلة فأسبح الله مليًا ، وأهلله مليًا ، وأحمده مليًا ، وأكبره مليًا ، ثم أدعو بتلك العشر الكلمات : اللهم إني أسألك إيمانًا دائمًا ، وأسألك قلبًا خاشعًا ، وأسألك علمًا نافعًا ، وأسألك يقينًا صادقًا ، وأسألك دينًا قيمًا ، وأسألك العافية من كل بلية ، وأسألك تمام العافية ، وأسألك دوام العافية ، وأسألك الشكر على العافية ، وأسألك الغنى عن الناس . قال جبريل : يا محمد ، والذي بعثك بالحق [٢/ ٣٤/ ب] لا يدعو أحد من أمتك بهذا الدعاء إلا غُفِرتْ له ذنوبه وإن كانت أكثر من زبد البحر وعدد تراب الأرض ، ولا يلقى أحد من أمتك وفي قلبه هذا الدعاء إلا اشتاقت إليه الجنان ، واستغفر له الملكان ، وفتحت له أبواب الجنة ، ونادت الملائكة : يا ولي الله ، ادخل أي باب شئت .

قوله : " إيمانًا دائمًا " . فالدوام على وجهين : وجه أن يدوم له توحيده حتى يختم له بذلك فلا يُسلبه ، فيلقى ربه بإيمانه ، فيدوم له ذلك أبدًا ، والوجه الآخر أن يكون له يقين يصير أموره على المعاينة ولا ينقطع ذكره عن قلبه على كل حال ، ومنه قول أبي الدرداء رضي الله عنه حيث بلغه أن فلانًا أعتق مائة رقبة ، فقال : إيمان تلزمه بالليل والنهار ولسانك رطب بذكر الله أفضل من ذلك . وقال ابن رواحة رضي الله عنه : مثل الإيمان مثل قميصك بينا أنت لبسته ؛ إذ أنت نزعته ، وبينا أنت نزعته إذ أنت لبسته .

فإذا دام الإيمان على القلب دام الذكر ، ومن ههنا قال معاذ رضي الله عنه : تعال حتى نؤمن ساعة .

فكان القوم يطلبون دوام الإيمان على قلوبهم ، ومن ههنا قال رسول الله ﷺ : " أشد الأعمال ذكر الله على كل حال " .

فكان القوم يتفقدون هذا من أنفسهم أن يكونوا كما آمنوا بأن النعمة من الله أن يجدوا دوام ذلك الإيمان على قلوبهم في وقت النعمة وكذلك في البؤس والشدة ، فيكونوا عند أحكامه عليهم في الأحوال مطمئنين به كما اطمأنوا به ربًا ، فهذا دوام الإيمان .

قال أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه : ليأتين على الرجل أحايين وما على جلده موضع إبرة من النفاق ، وليأتين عليه أحايين وما على جلده موضع إبرة من الإيمان .

١١٠٢ـ **حدثنا** بذلك قتيبة ، ثنا ابن لهيعة معناه . على ما وصفنا بدءًا أنه يصير قلبه خاليًا من ذكر كل شيء ، وينفرد للفرد الواحد ، فيأنس به ويطمئن إلى حكمه ، فلم يبق فيه شيء من النفاق ، وإذا غلبته شهوته أو رغبة أو رهبة أو غضب فملكته نفسه صار الإيمان في قلبه كشمس قد انكسفت فذهب ضوءها ، فجاءت النفس تطلبها ، فداهمتها .

فإنما سأل إيمانًا دائمًا أي يدوم له شمسه فلا تنكسف حتى يكون صدره مستنيرًا بنور اليقين في كل أمر .

وقوله : " قلبًا خاشعًا " فهو الذي قد ماتت شهوته ، فذلت النفس لله ، وخشع القلب مما طالع من جلال الله وعظمته .

قوله : " علمًا نافعًا " هو العلم الذي قد تمكن في الصدر ، وتصوره ذلك أن النور إذا أشرق في الصدر ، تصورت الأمور حسنها وسيئها ، ووقع لذلك ظل في الصدر وهو صورة الأمور ، فيأتي حسنها ويجتنب سيئها ، خرجت تلك العلائم إلى الصدرة ، هي علامات الهدي والعلم الذي [٢/ ٣٥/ أ] قد تعلمه ، فذاك علم اللسان إنما هو شيء قد استودع الحفظ والشهوة غالبة عليه ، قد أحاطت به فأذهبت بظلمتها ضوءه .

وقوله : " يقينًا صادقًا " فاليقين على وجهين : وجه أن يوقن يقينًا ينفي الشك ولا يغلب الشهوة وهو يقين التوحيد ، واليقين الآخر نور مشرق للصدر غالب للشهوات صارت له أمور الدنيا والآخرة وأمر الملكوت معاينة قد ورث قلبه الخشية والمحبة

والهيبة والتعظيم لله .

وقوله : " ودينًا قيمًا " والدين الخضوع لله بأمره ونهيه ، وأن يكون مسيره إليه في الشريعة على سبيل الاستقامة لا زيغ فيه ولا بدعة ، وهو كما وصف الله في تنزيله فقال : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾ [البينة : ٥] فأمروا أن يعبدوا الله فيحلوا ما أحله ويحرموا ما حرمه ويؤدوا الفرائض ويجتنبوا المساخط ، فإذا دان لله بغير ما شرع في الشريعة لم يقبل منه وليس ذلك بالدين القيم ، بل هو ساقط ، هذا أدناه .

وأعلاه أن يدين لله لا يلتفت إلى أحد سواه ، فيكون هو ثقته وملجأه ومفزعه ولا يطمئن إلى أحد سواه ، فيكون هو متعلق قلبه ، فهذا أعلى الدين القيم .

وقوله : " والعافية من كل بلية " فالبلاء على ثلاثة أضرب : منها تعجيل عقوبة للعبد ، ومنها امتحان ليبرز ما في ضميره فيظهر لخلقه درجته أين هو من ربه ، ومنها كرامة ليزداد عنده قربة وكرامة .

فأما تعجيل العقوبة فمثل ما نزل بيوسف عليه السلام من لبثه في السجن بالهم الذي هم به ، ومن لبثه بعد مضي المدة في السجن بقول : ﴿ ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ ﴾ [يوسف : ٤٢] .

وأما الامتحان فمثل ما نزل بأيوب عليه الصلاة والسلام ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴾ .

وأما الكرامة فمثل ما نزل بيحيى بن زكريا عليهما الصلاة والسلام الذي لم يعمل خطيئة قط ، ولم يهم بها ، فذبح ذبحًا وأهدي رأسه إلى بغي من بغايا بني إسرائيل .

فسأل العافية من كل ذلك كله ، والعافية أن يكون في كل وجه من هذه الوجوه إذا حل به شيء من ذلك لا يكله إلى نفسه ، ولا يخذله ، وأن يكلؤه ويرعاه في كل هذه الوجوه ، هذا وجه .

والوجه الآخر : أن يسأله أن يعافيه من كل شر وشدة ، فإن الشدة إنما يحل أكثرها من أجل الذنوب ، فكأنه سائله أن يعافيه من البلاء ويعفو عنه الذنوب التي من أجلها تحل الشدة بالنفس ، فقد قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ ﴾ [الشورى : ٣٠] وقال سبحانه : ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَدۡنَىٰ دُونَ

ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَكۡبَرِ ﴾ [السجدة : ٢١] [٢/٣٥/ب] .

قوله : " ودوام العافية " فأن تدوم له ولا تنقطع .

وقوله : " وتمام العافية " فأن تكون عافية لا شوب فيها ، " والشكر على العافية " فأن ترتبط النعمة وتجلب المزيد .

وقوله : " والغنى عن الناس " فإنما يستغني عن الناس إذا استغني بالله ، ففيه الخروج من الرق إلى الحرية ، ومن لم ينقطع طمعه عن الخلق فهو على خطر عظيم من أمر الله ، وهو مفتون .

الأصل التاسع عشر والمائتان

١١٠٣ـ حدثنا محمد بن أيوب السمناني ، ثنا مسلم بن إبراهيم ، ثنا وهب ، ثنا ابن طاوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : " العين حق ، ولو كان شيء سابقًا القدر سبقته[1] العين ، وإذا استغسلتم فاغسلوا " .

أما قوله : " العين حق " فإن الله تعالى كان ولا شيء ثم أبدى ملكه وربوبيته ، ثم خلق الخلق لإظهار ملكه وربوبيته على أعين الخلق ليدينوا له لا ليشتغل الخلق بالأشياء عن صانع الأشياء ، فتلهيهم عنه ويفتتنوا بهم ، فإذا فعل ذلك أحد من خلقه فأعجب بشيء من خلقه غير ذلك الحال ليفسد إعجابه ، فكان هذا من فعله حق ؛ لأن من شرطه لما خلق الخلق لينظروا إلى صنعه ويرونه محمودًا ، ألا ترى إلى آدم عليه الصلاة والسلام حين فتح عينه فنظر إلى خلق نفسه وعطس ، فقال : الحمد لله ، فرضي الله ذلك من فعله ورضي عنه رضا لم يضره معه ذنب ، فأذنب ، فرزقه التوبة والرحمة والمغفرة ، ورده إلى جواره . وأما قوله : " لو كان شيء سابقًا القدر لسبقته العين " فإن الله تعالى قدر المقادير قبل الخلق بخمسين ألف سنة ، فيما روي عن النبي ﷺ ، ثم أبرز خلقه ، فليس شيء من الخلق يسبق القدر ؛ لأنهم بعد القدر خلقوا ، وإنما قدر الخلق ليخلق وليظهر ملكه وربوبيته فيحمدوه ويعبدوه ، ويضيفوا الأشياء إلى وليها وصانعها . وروي لنا في الخبر عن وهب بن منبه أنه قال فيما حكي عن الله تعالى في الكلام الذي أقبل به على خلقه يوم السبت حين فرغ من جميع خلقه فقال في آخره : وما خلقت الخلق لحاجة كانت بي إليه ، ولكن لأبين به قدرتي ، ولأعرف به الناظرين نفسي ، ولينظر الناظرون في ملكي وتدبير حكمتي ، ولتدين الخلائق كلها لعزتي ، وليسبح الخلق بحمدي ، ولتعنو الوجوه كلها لوجهي . فالغافل عن الله ينظر إلى الأشياء بعين الغفلة فيعجب بها وتصير عليه فتنة ، ومن شرط الله تعالى على العباد أن يعتبروا ، والاعتبار هو العبور عن الأشياء إلى خالق الأشياء ، فإذا لم يعتبروا وبقوا مع الأشياء عجبًا وفتنة ؛ أفسد ذلك الشيء عليهم كي ينبههم [٢/ ٣٦/ أ] ويغير عليهم عجبهم ، فقد تقدم الشرط قبل خلق الخلق ، فهم مقرون بالقدرة ، أنه قدر الخلق لينظروا إلى تدبيره وملكه ، فلو كان شيء سابق القدر لسبقته العين لقربه منه وجواره ، ولا يسبقه

(١) في (د) " لسبقته " .

لما سبق من الشرط قبل أن يخلق الخلق . وأما قوله : " وإذا استغسلتم فاغسلوا " ، فإنه كذلك جرت به السنة عن رسول الله ﷺ في الأخبار أن العاين يتوضأ أو يغتسل ، ليغتسل بتلك الغسالة هذا المُعان ، فيخف ما به ، وينحل من ثقله كما ينحل صاحب الأخذة من سحره ، فإن أخذة العاين من قبل الحق[1] ، فإن الحق لا يرضى أن تضاف الأشياء إلى غير خالقها ، ومن أذلها يقتضي الحق أن ينسبوا الأشياء إلى مالكها ووليها ، فهذا أول شأنه ، فإذا أخذت الأشياء تناولا عن الأسباب في حالة غفلة عن الله اقتضى الحق شكرها لولي الحق ، وإذا نظروا إلى الأشياء فأعجبوا بها ناشد الحق وليها في إفساد ما به أعجبوا ؛ لأن تلك نعمة حدثت من الملك ، والربوبية من خزائن المنة على أيدي لطفه ، فغيرها العباد بعمى النفوس عن جهتها ، فغير الله ما بهم ، وهو قوله : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الأنفال : ٥٣] ، فهذه أخذة الحق ، فأما العلة فيه فإن العين إنما جاءت من قبل النفس الغافلة المحجوبة عن الله عقلها التي لما نظرت إلى ما صنع الله وفيها إعجاب بالأشياء للشهوة التي قد ركبت فيها أعجبت بذلك ، وعجزت لما فيها من الحجب المظلمة التي احتوشتها عن درك رؤية صنع الله ولطفه في صنعه ، وبره بالعبد وعطفه عليه ، فافتتنت بذلك الشيء ، فكره الله ذلك من فعلها فأفسد عليها إعجابها ، وغير الحال رحمة للناظر والمنظور إليه ليكون للناظر عبرة وللمنظور إليه خروجا من أن يكون سببا لما كره الله من فتنة العباد بمن دونه ، وكذلك الأصنام والأوثان عبدت من دون الله ، فهي وإن لم يكن لها ذنب فهي مزجورة ، ألا ترى أن سليمان عليه الصلاة والسلام لما شغله الخيل الصافنات الجياد حيث عرضت عليه ؛ عن صلاة العصر فطفق مسحا بالسوق والأعناق ، فعرقبهن بالسيوف وضرب أعناقهن لئلا يبقى على ظهر الأرض من صارت فتنة وشغلته عن أمر الله ، وكان ذلك في زينة الحياة الدنيا ، فلما فتنته أبادهن ، فإنما اجترأ سليمان عليه السلام في ذلك على ما علم من تدبير الله ، فأمر هذا الناظر العاين أن يغتسل ؛ فإن الغسالة هي مرفوضة ، وهكذا من شأن النفس أن تعاف غسالتها وترى بها رفضا ليجعل الله

---

(١) في (د) " الخلق " .

الشفاء فيما رفضت نفسه وعافته ؛ لأنه ليس شيء مما يلائم النفس إلا ولها فيه شهوة وإليها نزوع ومد عين ، وتلك آفة [٢/٣٦/ب] ، واستشفاء هذا المعان بما قد رفضت نفس المعاين وعافته وتخلصت من آفة النفس تقربا إلى الله بخلافها وبالرد عليها تأميلا للشفاء وحسن ظن به ، فحقق الله الأمل ، ووقي بالظن فعافاه ، وصارت مزجورة مذمومة بفعلها ، ولم يوجد في ذلك الوقت شيء مما حضر إلا وللنفس فيها شهوة ومراد ، فأمرت تلك النفس التي فعلت ذلك أن تعمد إلى شيء ليست لها فيه شهوة ولا إرادة فتزايل ذلك الشيء ، والشيء عندها مرفوضة ثقيلة وخمة فيكون في ذلك الشفاء الذي حل به منها ، فأحل من سقم النظر وسوء استعماله البصر الذي أكرمه الله .

١١٠٤ـ **حدثنا** محمد بن أبان الهلالي ، ثنا إسحاق بن إسماعيل الرازي ، ثنا طالب بن حبيب المدني الأنصاري ، عن عبد الرحمن بن جابر ، عن أبيه ، قال : قال رسول الله ﷺ : " أكثر من يموت من أمتي بالنفس بعد كتاب الله وقضائه " ، يعني العين .

١١٠٥ـ **حدثنا** الفضل بن محمد(١) ، ثنا محمد بن الوزير الواسطي ، ثنا يوسف بن السفر ، قال : حدثني مالك بن أنس رضي الله عنه ، قال : حدثني ربيعة بن أبي عبد الرحمن ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال : كان عند رسول الله ﷺ يتيم مريض ، فسأل عنه يوما ، فقالوا : إنه لميت يا رسول الله ، فقال : " أفلا استرقيتم له ؛ فإن ثلث منايا أمتي من العين " . فإنما صار أكثر من يموت بذلك لأن هذه الأمة فضلت باليقين على سائر الأمم ، فحجبوا يقينهم بالشهوات فعوقبوا بآفة العين ، فإذا نظر أحدهم بعين الغفلة وقد فضل باليقين على الأمم قبله كان عينه أعظم والذم له ألزم ، وهو قوله في تنزيله : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ ﴾ [آل عمران : ٧٣] ، أي : لم يؤت أحد من الهدى أي من اليقين مثل ما أوتيتم ، ثم قال : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ﴾ [آل عمران : ٧٣] ، ثم قال : ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾ [آل عمران : ٧٤] ، فهذه رحمة من الله لهذه الأمة ، فلما فضلهم باليقين وهو التأييد الأعظم من الله لم يرض منهم بأن ينظروا إلى الأشياء بعين الغفلة وتتعطل منة الله عليهم وتفضيله إياهم .

---

(١) في (د) " حميد بن الفضل " .

الأصل العشرون والمائتان

١١٠٦ـ حدثنا أبي رحمه الله ، ثنا عبد الله بن عاصم الحماني[١] ، ثنا أبو عوانة ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، عن ابن عمر رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ : " من استعاذ بالله فأعيذوه ، ومن سألكم بالله فأعطوه ، ومن استجار بالله فأجيروه ، ومن أتى إليكم معروفا فكافئوه ، وإن لم تجدوا فادعوا له حتى تعلموا أنكم قد كافأتموه " .

قال أبو عبد الله :

فالاستعاذة بالله دخول في مأمنه وحريمه ، ولو أن أحدا التجأ إلى ملك من ملوك الدنيا لهاب طالبه أن يتكلف منه أذى ، ولكف عنه إعظاما لمن التجأ إليه ، ولو التجأ إلى حرم الله لاستحق أن يكف عنه حتى يخرج منه [٢/ ٣٧/ أ] ، فكيف بمن دخل في عياذه وصيره ملجأ وكهفا ومفزعا ، ولو أن ملكا التجأ إليه أحد من طالب يطلبه بسوء لم يرض الملك أن يتكلف الطالب منه بعد ذلك مكروها ، وعد ذلك منقصة أن يخذله ، ووجد على طالبه بسوء بعد أن صيره المطلوب ملجأ ، وكان ذلك من الطالب جرأة على الملك واستخفافا بحقه وتضييعا لحرمته ، فكيف بمالك الملوك ، فلو أن رجلا له حرمة وجاه وقدرٌ فزع هذا المطلوب إليه فأوى إلى حجره أو دخل في قميصه تحرزا من هذا الطالب بسوء لكف طالبه عنه ، واستحيى من ذلك الجليل أن يتناوله من قربه بسوء ، فكيف بمن دخل في عياذ الله ، وكذلك قوله : " من استجار بالله فأجيروه " ، فهو من الاستعاذة قد دخل في جواره ، وجار الله لا يُؤْذَى .

وقوله : " من سألكم بالله فأعطوه " ، فالسؤال بالله بوجهه أن يقول : سؤالي هذا بلساني في الظاهر ، ولكن في الباطن كان يؤدي إلى أن يقول : أسأل ربي أن يسألك هذه الحاجة ، فكأنه صير الرب هو السائل بينه وبين صاحبه ، فالله لا يرد هذا إذا سأل بحق ، فإذا سأل بباطل فإنه لم يسأل بالله ، إنما يسأل بالشيطان .

وروي عن علي رضي الله عنه أنه قال له رجل : أسألك بوجه الله ، فقال : إنما سألتني بوجهك الخَلِق .

---

(١) في (د) " عاصم الحماني " .

١١٠٧ـ حدثنا صالح بن محمد ، ثنا سليمان بن عمرو ، عن سالم الأفطس ، عن الحسن وسعيد بن جبير ، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، أن رجلا سأله فلم يعطه شيئا ، فقال : أسألك بوجه الله ، فقال له علي : كذبت ، ليس بوجه الله سألتني ، إنما وجه الله الحق ، ألا ترى إلى قوله : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [القصص : ٨٨] ما أريد به وجهه ، ولكن سألتني بوجهك الخَلِق .

١١٠٨ـ حدثني الفضل بن محمد ، ثنا إبراهيم بن الوليد بن سلمة الدمشقي ، قال : حدثني أبي ، ثنا يزيد بن قيس الكندي ، قال : أخبرني عبادة بن نسي الكندي[1] ، قال : أخبرني عبد الرحمن بن غنم الأشعري ، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله ﷺ : " من سألكم بالله فأعطوه ، وإن شئتم فدعوه " ، قال معاذ : وذلك أن تعرف أنه غير مستحق ، فإن عرفتم أنه مستحق وسأل فلم تعطوه فأنتم ظلمة . ومعنى قوله : " فإن شئتم فدعوه " ، إذا عرف أنه غير مستحق أو اشتبه عليه فلم يعرف أنه سأل بحق ، ألا ترى أن معاذا قال : إن عرفتم أنه مستحق فلم تعطوه فأنتم ظلمة ، وأما المعروف فإنه يكافأ ، فإن لم يجد المكافأة فالدعاء أكثر من المكافأة بالشيء ، ذاك أعطاه عرضا من الدنيا وكافأه ، وهذا بالمسألة من الله له نوالا ، فنوال العبد يدق في جنب نوال الله جل وعز ، والعبد إذا صنع إليه معروف فأراد أن يكافئ فلم يجد فاشتد عليه فإنما يشتد عليه لكرم طبعه ؛ لأنه قد نجع فيه معروفه ؛ لأنه عارف بالصنائع شاكر له [٢/ ٣٧/ ب] ، فأثقله معروفه فاشتد عليه ، فطلب ما يجد الخلاص به من تلك الأثقال ، فأعوزته الحاجة ، ففزع إلى الله عز وجل من أثقال معروفه يسأله أن يكافئه عنه ، والله تعالى يحب هذا الخلق من المؤمن فهو محض الشكر ، فهذا قمن أن يستجيب له ؛ لأن هذا فعل من رءوس أفعال محاب الله تعالى .

---

(١) سقط من (د) " عبادة بن نسي الكندي " .

الأصل الحادي والعشرون والمائتان

١١٠٩- حدثنا حميد بن علي مولى رسول الله ﷺ قال : ثنا جعفر بن محمد الهمداني ، ثنا ابن مبارك ، عن حماد بن سلمة ، عن الزبير بن عبد السلام ، عن أيوب بن عبد الله الفهري ، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : " مر لقمان على جارية في الكتاب ، فقال : لمن يُصقل هذا السيف ؟ " .

قال أبو عبد الله :[(١)]

هذه كلمة تمثيل خرجت من معدن الحكمة ، وعامة الحكمة هي أمثال ؛ لأن الأمثال أنموذج الآخرة ، وأنموذج الملكوت ، وبالخلق حاجة إلى معاينة الآجل ، فإنما يعاينوه بالعاجل ، ولهذا ما ضرب الأمثال في تنزيله وعجل لآجل الدنيا من نعيم الجنان أنموذجا وهو الأنوار والطيب والذهب والفضة واللؤلؤ والزبرجد وسائر الجواهر ، فلو لم يرهم ذلك في دار الدنيا ثم وصف لهم الجنان بهذه الأشياء لم يفهموا عن تلك الصفة ، ألا ترى أنه وصف ثلاث درجات ؛ درجة فضة ، ودرجة ذهب ، ودرجة نور ، وهي مائة درجة ، فإنما أمسك عن وصف سائر الدرجات لأنهم ليست عندهم أنموذجاتها فيفهمون بها عما يوصف ، وذلك قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ [السجدة : ١٧] ، لأن النفوس لم تعاين شيئا من ذلك في الدنيا ، فلو سميت لهم لم يعقلوها ولم يعلموها من ذلك إلا الاسم ، فالسيف أمره وحي لا يكاد يلبث صاحبه ، فكذلك المرأة شهوتها من بين الشهوات كالسيف من بين الأسلحة ، وذكر لنا أن إبليس لما خلقت المرأة قال : أنت نصف جندي ، وأنت موضع سري ، وأنت سهمي الذي أرمي بك فلا أخطئ . وذكر الله في تنزيله حب الشهوات فبدأه بذكر النساء ، فقال : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ﴾ [آل عمران : ١٤] ، ذلك لتعلم أنها أقوى الشهوات ، وقال في تنزيله في آية أخرى : ﴿ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾ [النساء : ٢٨] ، أي في شأن النساء ؛

---

(١) غير موجودة في (د) .

لأنه ركب فيه شهوة أزعجته ، وقال : ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ [النساء : ١] ، وقال : ﴿ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا ﴾ [الروم : ٢١] فهل يكون السكون إلا من الاضطراب والجولان ، وإن الله تبارك اسمه اقتص في تنزيله شأن ثلاثة من أنبيائه [٢/٣٨/أ] وأعلام أرضه ؛ يوسف وداود ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم(١) ، فأما يوسف صلوات الله عليه فابتلي بامرأة العزيز ، فلما تزينت له وراودته قال : ﴿ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ﴾ [يوسف : ٢٣] ، فلم تزل في مراودته ومخادعته حتى دخلت به في بيت وغلقت الأبواب ، فبلغنا في الخبر أنها قالت له : يا يوسف ، ما أحسن صورة وجهك ، قال : في الرحم صورني ربي ، فقالت : يا يوسف ، ما أحسن شعرك ، قال : هو أول شيء يبلى مني في قبري ، قالت : يا يوسف ، ما أحسن عينيك ، فقال : بهما أنظر إلى ربي ، قالت : يا يوسف ، ارفع بصرك فانظر في وجهي ، فقال : أخاف العمى في آخرتي ، قالت : يا يوسف ، أدنو منك وتتباعدني ، قال : أريد بذلك القرب من ربي ، قالت : يا يوسف القبطون فادخل معي ، قال : القبطون لا يسترني من ربي ، قالت : يا يوسف فراش الحرير قد فرشته ، قم فاقض حاجتي ، قال : إذن يذهب من الجنة نصيبي ، قالت : يا يوسف ، إنك لجريء على سخطي ، قال : أريد بذلك مرضاة ربي ، قالت : يا يوسف ، أنت عبدي ، اشتريتك بمالي فتعظم علي ، قال : لجرمي وخطيئتي اشتريتني ، قالت : يا يوسف ، ليتني لم أعرفك ولم تكن قربتني ، بطول صحبتك رجوت أن يقر بك عيني ، قال : إن الموت موكل بي ، قالت يا يوسف : ضع يدك على صدري ، قال : إنه لا صبر لي على إحراق جسدي إذا زرعت في أرض غيري ، قالت : يا يوسف الخبيثة قد غطتكم فاسقها ، قال : الذي بيده مفاتيحها أحق بسقيها ، قالت : يا يوسف ، عتقتك من الرق وجعلتك بمنزلة زوجي ، فبأي حيلة امتنعت عني ، قال : بحول ربي الذي في السماء عرشه ومكان سيدي الذي في الأرض سلطانه أخافه على نفسي ، قالت : يا يوسف ، إني

---

(١) سبق الرد على هذه القصص في (١٤٩) .

مسلمتك إلى المعذبين فيسل جسمك كما أسللت جسمي ، قال : ذلك[1] فِعل إخوتي بي ، قالت : يا يوسف ، النار قد التهبت قم فاطفها ، قال : أخاف أن يحرقني بها ربي ، فلم تزل تخدعه وترده حتى هم بها ، فلما حل سراويله ورد يده إلى جيب قميصه ليخلعه ويدخل بها في فراشها ناداه مناد من السماء ثلاث مرات : مهلا يا يوسف ، مهلا يا يوسف ، مهلا يا يوسف ؛ فإنك إن واقعت الخطيئة محي اسمك من ديوان النبوة ، فلم يكترث لذلك الصوت ، وغَلبةُ ما حدث فيه من الشهوة ، فمثل الله له أباه في مثل صورته التي عهده فيها ، فنظر إليه غضبان عاضا على أنمله التي تدعى المسبحة يوعده ويحمل عليه ليقتله ، فلما رأى ذلك يوسف كف وهرب موليا نحو الباب ، فاتبعته سيدته ، فتداركا عند الباب ، يباعدها ليخرج وتجره من خلفه ليرجع ، فانقدّ قميصه من دبر ، ﴿ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِۚ [٢/ ٣٨/ ب] قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [يوسف : ٢٥] ، فلما رأى ذلك يوسف أفشى عليها ، فقال : ﴿ هِيَ رَٰوَدَتْنِي عَن نَّفْسِيۚ ﴾ [يوسف : ٢٦] ، حتى آل الأمر إلى أن شاع أمرها في النساء وقبح عليها الأمر ، فجمعت النساء واتخذت عيدا ، واستعانت بهن عليه ، وأوعدته وتهددته إن لم يفعل ذلك ليسجنن وليكونن من الصاغرين : ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [يوسف : ٣٣] ، قال الله تعالى : ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ لمقالته ، الْعَلِيمُ بقلبه وبتعلقه ، فلبث في السجن عشر سنين ، فلما انتهت مدة عقوبة الهمّ وحان أوان الخروج منه قال لذلك الذي كان جليس الملك ثم أخرجه : ﴿ ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾ [يوسف : ٤٢] ، وروي في الخبر : أنه كان ثلاث سنين ، فلما انتهت المدة مدة عقوبة قوله : ﴿ ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ ﴾ [يوسف : ٤٢] ، جاءه جبريل عليه السلام فدخل عليه السجن ، فقال له : يا يوسف ، إن الله يقول لك : أتحب أن يكلك الله في شيء من أمرك إلى فرعون وعبده ؟ قال يوسف : أعوذ بالله من ذلك ، برأفة ربي ورحمته ، قال الملك : لِمَ ؟

---

(١) في (د) « ذاك » .

قال : لأنهما لا يملكان لي ضرا ولا نفعا ، قال له الملك : فما الذي حملك على أن تستغيث بهما وتطلب إليهما حاجتك وأنت تعلم أنهما لا يملكان لك من الله شيئا ؟ قال يوسف : ظلمتني سيدتي فلم يتبين سيدي في أمري ، فرجوت أن ينصفني فرعون حين يعلم علمي ، قال له الملك : أفترضى بفرعون حكما دون الله في شيء من أمرك ؟ قال يوسف : معاذ الله وجه ربي ، قال له الملك : فما أنساك ذكر ربك حين طلبت إلى غيره وأنت تعلم أنه هو الذي ابتلاك ، اذهب فإن الله قد وكلك إلى من اتكلت عليه ثلاث سنين ، ثم قال له : يا يوسف ، انظر ، فنظر إلى الأرض ، فقال لها الملك : يا أرض ، انفرجي ، فانفرجت ، فقال : يا يوسف ، ما ترى ؟ قال : أرضا أخرى ، فقال لها : يا أرض ، انفرجي ، فانفرجت ، فلم يزل كذلك حتى انفرجت عن الصخرة ، فإذا عليها دودة حمراء بين يديها طعام ، فقال : يا يوسف ، ما ترى ؟ قال : أرى دودة على الصخرة بين يديها طعام ، فقال الملك ، فإن ربك يقول : لم أغفل عن دودة تحت سبع أرضين حتى هيأت لها رزقها وغفلت عنك وأنت يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليلي فاتخذت من دوني وكيلا ، لأطيلن حبسك ، فبكى يوسف وقال : انتشى قلبي من كثرة البلوى فقلت كلمة ، فقال : يا يوسف ، من خلصك من أيدي إخوتك ؟ قال : الله ، قال : فمن أضاء لك الجب ؟ قال : الله ، قال : فمن صرف كيد النسوة ؟ قال : الله ، قال : فكيف استعنت بالمخلوقين وتركت الخالق ؟ قال [٢/٣٩/أ] : اللهم اجعل لي من كل أمر أهمني وكربني من أمر ديني ودنياي فرجا ومخرجا ، واغفر لي ذنوبي ، وارزقني من حيث أحتسب ومن حيث لا أحتسب ، وأثبت رجاءك في قلبي واقطعه ممن سواك حتى لا أرجو أحدا غيرك ، فخرج من السجن وآتاه الله ملك مصر وخوله خزائن أرضها حتى جمع بينه وبين يعقوب عليهما السلام وجمع شمله في إخوته وأهل بيته وانتقلوا إلى مصر .

وروي لنا في شأن تلك المرأة .

١١١٠ـ **ما حدثنا** به عمر بن أبي عمر ، ثنا عصام بن السني الحمصي ، عن أبيه ، عن وهب بن منبه ، قال : أصابت امرأة العزيز حاجة ، فقيل لها : لو أتيت يوسف بن يعقوب فسألتيه ، فاستشارت الناس في ذلك فقالوا لها : لا تفعلي ؛ فإنا نخاف عليك ، قالت : إني لا أخاف ممن يخاف الله ، قال : فدخلت عليه فرأته في ملكه ، فقالت : الحمد لله

رب العالمين الذي جعل العبيد ملوكا بطاعته ، ثم نظرت إلى نفسها فقالت : الحمد لله رب العالمين الذي جعل الملوك عبيدا بمعصيته ، قال : فقضى لها حاجتها ، ثم تزوجها فوجدها بكرا ، فقال لها : أليس هذا أجمل مما أردت ؟ قالت : يا نبي الله ، إني ابتليت فيك بأربع ؛ كنتَ أجمل الناس كلهم ، وكنت أنا أجمل أهل زماني ، وكنت بكرا ، وكان زوجي عنينا ، قال : وكتب يعقوب إلى يوسف وهو لا يعلم أنه يوسف : بسم الله الرحمن الرحيم ، من يعقوب نبي الله ابن إسحاق ذبيح الله[1] ابن إبراهيم خليل الله إلى عزيز آل فرعون ، سلام عليك ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد ، فإنا أهل بيت مولع بنا أسباب البلاء ، كان جدّي إبراهيم خليل الله في حداثة سنه ألقي في النار ، فجعلها الله عليه بردًا وسلاما ، وأمر الله جدّي إبراهيم أن يذبح له أبي إسحاق ، ففداه الله بما فداه ، وكان لي ابن من أحبّ الناس إليّ كلهم ، ففعل به ما أذهب حزني عليه بصري وألصق جلدي بعظمي ، وكان له أخ لأمه ، فكنت إذا ذكرته ضممته إلى صدري فأذهب بعض وجدي وهو المحبوس عندك في السرقة ، وإني أخبرك أنه لم يسرق قط ؛ لأني لم أكن سارقا ولم ألد سارقًا قط ، فلما قرأ يوسف الكتاب بكى وصاح ، وقال : ﴿ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا ﴾ .

وأما داود صلوات الله وسلامه عليه فإنه لما قعد في المحراب والزبور في حجره يقرؤه إذا طائر بين يديه عليه من الألوان ما لا يوصف ، كلما أهوى ليأخذه طار[2] من الكوة ، فأخرج داود رأسه من الكوة فوقع بصره على امرأة تغتسل على رأس بركة في بستانها تحت محراب داود ، فرأت ظله وأنه قد اطلع عليها إنسان ، فقالت بشعرها فجللت جميع جسدها بشعرها ، فرجع من الكوة بجسده وبقي القلب هناك عند البركة ، فما يصنع العبد بلا قلب وإنما القلب ملك ، فسبي الملك وانهزم [٢/ ٣٩/ ب] الجند وهم الجوارح ؛ لأن الهوى هزمهم ، فخرج من المحراب وقصد لبيت المرأة لينقلها إلى نسائه ليكون لنفسه في ذلك متنفس مما حدث حتى يقدم زوجها أو ينتظر ما يكون ، فروي في الخبر أنه وقف على مدرجته ملكان ، يقول أحدهما

---

(١) ذهب إلى ذلك بعض العلماء والراجح أنه إسماعيل عليه السلام .

(٢) في (ص) « فطار » .

لصاحبه : لقد أكرم الله من قبل هذا النبي إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام ، فلم ينتفع بما سمع ، حتى صار من أمره إلى أن كتب إلى صاحب البعث أن يقدم زوجها إلى التابوت ، وكان من قدم إلى ذلك التابوت لا يرجع حتى يفتح المدينة أو يقتل ، فقدم زوجها في نفر إلى التابوت ، فقاتلوا حتى قتلوا ، فاعتدت المرأة ، فخطبها وتزوجها واشتغل عنها بالتوبة ، وأقبل على العبادة مفكرا فيها ، نادما متداركا لما سلف منه ، حتى شغل عن النظر في أمور بني إسرائيل ، وجعل يأكل قويهم ضعيفهم فلا يجد الضعيف غياثا ، يقيم الشهر ونحوه ببابه فلا يصل إليه ؛ لشغله بما أحدث من الأمر ، حتى طمع فيه سفهاء بني إسرائيل واتمروا في خلعه ، وكان قبل ذلك لا يرام لقوله : ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ ﴾ [ص : ٢٠] ، فانطلقوا إلى ابن له أكبرهم سنا وأعزهم عليه وهو بِكْرُه ، فخدعوه ومنوه الملك ، فقالوا : أنت أكبر ولد أبيك ، وقد كبر أبوك وشغل وعجز عن السياسة ، وضاعت حقوق الناس وأحكامهم ، فأنت أحق من قلدك بذلك ، ولا نراه يكره ذلك ولا يباله ، فإن هو عاتبك في ذلك أخبرته أنك إنما فعلت ذلك . . . (١) وشفقة عليه حين خشيت الإثم وضياع الناس ، وخشيت على ملكه الأعداء ، فلم يزالوا يخدعونه حتى بايعهم ، وإنما فعل ذلك السفهاء منهم رجاء أن يملك فيملكهم ، فلم يشعر بهم داود حتى خلع ، وأصبح ابنه يبايع الناس ويدعو إلى نفسه ، فلما بلغ ذلك داود عرف أنه عقوبة لذنبه ، فخاف الفتنة والبلاء والسفهاء فهرب بنفسه ومعه رجلان ؛ أمير جنده وصاحب مشورته ، حتى إذا كان ببعض الطريق وهو يريد جبلا يتحصن فيه ، وكان في بني إسرائيل رجل غلب القضاة والحكام قبل داود ، فلما وليه داود أنصف منه الضعيف وأقام عليه الحدود ، وكان جَلَده حدودا مرارا ، فلما سمع ببيعة ابن داود أسرع إليها فلقي داود في بعض الطريق ، فلما نظر إليه في مذلة البلاء قال : أداود ؟ قال : نعم ، قال : الحمد لله الذي نزع ملكك وفرق عنك جموعك ، فلما سمع ابن أخت داود وهو أمير جنده الذي كان معه مقالة الرجل سل سيفه ليضربه ، فقال داود : مهلا ؛ فإن هذا ليس هو الذي سبني ، ولكن الله هو الذي سبني على لسانه بذنبي

(١) كلمة لم أستطع قراءتها بالأصل .

وخطيئتي ، ومتى كان يطمع هذا وأمثاله حتى يأذن الله له فيّ وأمثاله ، فلم يظلمني ربي ولكن أنا الذي ظلمت نفسي ، ثم انطلقوا هاربين حتى كمنوا في تلك الجبال خائفين [٢/ ٤٠/ أ] لا يأمنون القتل ، وكان لداود صاحب شورى يقال له : نوفيل ، فغضب عليه واستبدل به ، فقال ابنه له : نوفيل من أجل أي شيء غضب عليك أبي داود وقد كان ينتصحك ويعمل بمشورتك ؟ فقال نوفيل : إنه لما نزلت به البلية وعرف فيه الوهن كنت أول من فطن ، فأخبرت بني إسرائيل حين خاضوا فيه فأكثروا أن داود لم يهن ولم يستكن إلا لجرم أجرمه فيما بينه وبين الله وحدثٍ أحدثه ، فعرفت حين رأيت الوهن والخلل أن الرجل مذنب ، وأن ذنبه هو الذي فلّه وضعفه ، فغضب حين لم أستر ذلك عليه ، قال : كيف الرأي في قتاله ؟ قال : إن كنت تريده يوما من الأيام فعاجله اليوم ما دام مخذولا مسخوطا عليه ؛ فإني أعلم أنه لم يترك هذه المنزلة إلا بذنب فالله عنه معرض ، وهو بعد لم يتدارك التوبة ، ولن يعترضه بمثلها ، ولإن أخرت أمره حتى يتوب الله عليه ويغفر له لم تطقه ؛ فهو الذي قتل جالوت ونزع طالوت ملكه ، وأذل رقاب الملوك ، فاستشار الآخر فقال : هل سمعت بابن نبي قتل أباه ؟ أم هل سمعت بنبي أذنب فلم تقبل توبته ؟ ولعلك تطمع أن تبلغ المعشار ، فما صنع الله لداود في علمه وحلمه وقسطه ، أم ماذا تقول لربك يوم القيامة وقد قتلت أباك ونبيه ووطئت فراشه ؟ وما وجه التوبة من قتل نبي ووالد ونكاح أمهات ، ما أعلم يقبل ممن فعل ذلك صرفا ولا عدلا ؟ فإن كان لا محالة أنت ضابط هذا الملك وبما أجمعت عليه من عقوق أبيك وخلعه فلا تطلبه ولا تقتله ؛ فإن كان الله قد أذن بفنائه وهلاكه فما أكثر معاريض البلاء التي تكفيك ذلك منه ، وإن كانت بقيت له حياة يستكملها ألفيتك لم تأثم بربك ولم تفرط بوالدك ، فقال : الرأي رأيك ، وما أسمعك عرضت بغش ولا ادخرت نصيحة ، وأنا متابعك على ما في قلبك ، وكافٌ عن داود ما كف عني ، فإن قاتلني حميت نفسي مخافة أن يظفر بي فيقتلني ، قال الرجل : كف عن داود حتى يقاتلك ، واعلم أنه لن يقاتلك أبدا ما دام ذنبه له مهينا ، ولن يفعل ذلك حتى يقبل الله توبته ويأذن له بقتالك ، فإذا جاءه الأمر من الله والقائم له داود فأية طاقة لك به ، فأقصر عندها إني لك نذير مبين ، وإنه إن ظفر بك أبوك أحياك وأمنك ، وإنه أعظم حلما وعفوا من أن يقتل ولده ،

ولبث داود من يوم خرج إلى أن رجع إلى ملكه سنتين ، وانقطع الوحي ، فلما رد الله إليه ملكه سرح ابن أخته وهو أمير جنده ، فأمره أن يدخل المدينة ثم يدعو إلى داود ، ويخبر بني إسرائيل أن الله قد قبل توبته [٢/ ٤٠/ ب] ورد إليه ملكه ، فاتبعوه إلا قليلا منهم انحازوا إلى ابن داود ، ولم يجرءوا أن ينظروا في وجه داود بعد الذي كان منهم ، فاستقبلوا فقاتلوا قتالا شديدا حتى قتلوا ، وكف ابن داود فلم يقاتل حتى قتل أصحابه ، ثم إنه هرب حياء من أبيه ، وكان يريد أن لا يرى أبوه له وجها ، فتبعه ابن أخت داود ، وعهد إليه داود فقال : أحذرك أن تقتله ، فإياك ثم إياك أن تقتله ؛ فإني قاتلك به إن خالفت أمري ، فإن ابني بكري وأعز ولدي علي ، وأحبهم إلي توبة وصلاحا ، ابتلاني الله بأحب ولدي إلي وأعزهم علي ليغيظني ويذنبني ويغمني بذنبي ويهينني بخطيئتي وينزع ملكي ، ثم تداركني الله عفوه ورحمته ، فعفا عني وقبل توبتي ، فينبغي لي أن أعفو عنه كما عفا عني وأرجو له من التوبة والرحمة ما رجوت لنفسي ، فليس هو بأعظم جرما مني ، فالحذر على دمه ، فلحقه فوجده قد علقته شجرة ، ودخل عود منها برنسه فاقتلعه من السرج ، وزالت الدابة من تحته حين اقتلعه العود ، فبقي معلقا وذهبت الدابة ، فوقف عليه ابن أخت داود ، فلما دنا منه ناداه ، فقال : لبيك ، قال : أحي أنت ؟ قال : نعم ، فأدركني إن كان لداود في حاجة ؛ فإني قد أشفيت على الموت ، فلما قال هذا طعنه بالرمح حتى اعتدل فيه ، وترك وصية داود ، ثم انصرف فتركه حتى مات معلقا ، فلما رجع إلى داود غضب عليه وقال له : أما إني قاتلك إما عاجلا وإما آجلا ، فوطن نفسك على ذلك ، فقال : ما فعلت فعلي إلا وقد وطنت نفسي على أنك قاتلي ، فاستبقاه داود ؛ لأنه كان رجلا منصورا لا ترد له راية ، وكان بعيد الصوت والنكاية في العدو ، فكره داود أن يعجل قتله ، وأحب أن يمتع به المجاهدين في سبيل الله ما دام حيا ، فلما حضره الموت أوصى سليمان عليهما السلام بقتله ، فقتله ساعة رفع يده من قبره ، فلما تيب عليه التوبة الظاهرة ورد الله إليه ملكه واطمأن نزل عليه الملكان فتسورا المحراب ، فكان من خبره ما اقتص الله تعالى في تنزيله ، وانكشف له الغطاء عن فعله ، فبدر إلى البراز صارخا متململا ، وسجد سجدة العويل والنوح ، دام في ذلك أربعين صباحا حتى نبت العشب حول ترابه .

١١١١ـ حدثنا عبد الوهاب بن فليح بن زياد المكي ، قال : حدثني جدي اليسع بن طلحة ،

عن عطاء بن أبي رباح ، قال : لما طالت السجدة من داود عليه السلام وقرح الجبين ونبت الزرع من دموع عينيه وبدا العظم شكا إلى ربه ، فأتاه جبريل عليه السلام فقال : يا داود ، ارفع رأسك فقد غفر لك ، فقال : يا جبريل ، فكيف بالرجل ؟ فقال : إن الله قد أعاضه الجنة وقد غفر لك فارفع رأسك .

قال أبو عبد الله :(١)

فهذا سبيل الآدمي ، يزل ويخطئ ثم يهتدي لما هدي له من طريق التوبة ، فيتوب ويتاب عليه لموعود [٢/ ٤١/ أ] الله أنه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ، ولكن من أراد الله به خيرا ليصطفيه ويبريه من ذنبها في عاجل الدنيا صيرها كبة على قلبه أيام الدنيا ، ويكشف له عن الغطاء حتى يرى قبحها ، ويحجبه عن منزلته قلبا حتى يصرخ إليه ويرد عليه حتى يتململ ويتلوى توجعا ، ثم يرحمه ، فهذا أدبه للخاصة ، فأدبه بأدب العامة وتاب عليه ، ثم أدبه بأدب الخاصة ورده إليه ، ولنا مجلس في ذكره وأحواله ونجواه في سجدته ضممناها إلى هذا الباب : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، يا خليفة الرحمن ، فإذا لقيت من خطيئة واحدة ارتجت بها الأصوات في العُلى ، وتناسخت القرون في الأمم حديثها لأهل البلوى ، وكم من طعنة وكلمة ذات مرارة ذقت طعم مرارتها من أجل تلك الخطيئة أيام الدنيا ، بينا أنت في المحراب في مناجاة إلهك الرحمن تقرأ الزبور بألوان وألحان بنغمة برزت بها على الأنام نغمة الأصوات ، وتنير منابع قلوب الصديقين إلى كرامة ذي الجلال والإكرام ، وتنعم أرواح المقربين إلي وسائلهم بالحنان المنان ذي اللطف والإنعام ، إذًا أنت مخذول سلس القياد ، قد زلت قدمك من المحراب أبعد مما بين المشرق والمغرب ، طار فؤادك وأحاطت بك الفتنة ، وسكنت عنك الأحوال ، وانقطعت المناجاة ، وسهوت عما أنت فيه لطائر طار بين يديك في كوة المحراب سببا للفتنة والبلاء ، عليه من كل زينة وبهجة من بهجات الدنيا ، فلم تتمالك أن هويته وقمت إليه ، فيا ويح من وكل إلى نفسه كيف يأمن ساعة من عمره ، فوقعت في فتنة بعد فتنة تداولتك أيديها وأنت في غمراتها ، حتى إذا تناهت بك

(١) غير موجودة في (د) .

منتهاها ووصلت إلى نهمتك منها شهد لها الصدق باضطراب على قلبك ، واقتضاك الوفاء اللطيف بك الكريم المتحبب إليك بما كنت عاهدته وقبلت عليه ميثاق النبوة ، فاعتذرت في التوبة والاستغفار ، واعتزلت النساء والأهل معتذرا إلى العزيز الغفار ، ولم تهنأ بما ملت إليه ، ولا وصلت النفس إلى منيتها القصوى توبة علم ومعرفة بما قابلها روحك وعقلك متأدبا للصدق والوفاء لمولاك حيث قال لك : يا داود ، عاد نفسك ودني بعداوتها ، فما زلت تدأب في العبادة مقبلا على صلاتك قد أهمك شأنك ، وندمت على ما فرط منك حتى شغلك ذلك عن الحكم بين بني إسرائيل والنظر في أمورهم حتى أكل قويهم ضعيفهم وضاعت أحكامهم وأمورهم ، فأدركتك رحمة الله التي يعطف بها على أوليائه ، ويطهرهم عن المقام بمحل الاغتراب ، وانكشف الغطاء وبرز الأمر ، ورفع الحجاب وظهرت الهنات والغفلات بتسور الملكين عليه [٢/ ٤١/ب] في متعبده وهو مشغول في تلافي ما فروا منه ، فأنكرهما وأقبل عليهما باللائمة ، وقال : ما أنتما ؟ ومن أدخلكما من غير إذن علي ؟ قالا : ﴿ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴾ [ص : ٢٢] فضربا له مثلا بقوله : ﴿ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴾ [ص : ٢٣] . أي : غلبني وامتنع مني أن ينصفني ، فأجبت رسل رب العالمين وأنت لا تشعر من تجيب ، وخاطبت خطاب من لا يفكر بمرجوع جوابه ، فقلت : ﴿ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [ص : ٢٤] ، قال الملكان : وغير الخلطاء قد يبغي كما بغيت على جارك في امرأته ، ولم يكن لك خليط ولا شريك ، وقد حصرت نفسك في هذا البيت واحتجبت فيه فلا يوصل إليك ، حتى ضاع الناس ، وكاد يأكل بعضهم بعضا ، ويأتيك ذو الحاجة من الشقة البعيدة فلا يصل إليك حتى تطول مدته وتشتد مؤنته ويضيع حقه ، ويأتيك الضعيف فيحجب عنك حتى يأكله القوي ، فإن كانت الصلاة هي التي شغلتك فقد كان في الحكم بين الناس بالحق لك منها عوض ، بل الحكم والقيام به أفضل من الصلاة ، وإن كان اشتغالك هذا في طلب التوبة مما فعلت بامرأة جارك فترك الخطيئة كان أهون عليك من طلب التوبة ، ثم تحولا في صورتهما وطارا ، فلما انكشف الغطاء وعرج الملكان وبصر عظم ما أتى ورفع

الحجاب عن قلبه وثب من مكانه وثبة ملدوغ جرى السم في عروقه والتهبت جوفه نيرانا ، فرمى بثيابه ولبس المسوح وافترش التراب ، والتجأ إلى البراز صارخا بالعويل ، ولزق بالأرض وخر على محاسن وجهه بسجدة يا لها من سجدة ، لقد طال سقوطه بين يدي ربه منقبض الأعضاء متحاملا بجميع جوارحه على عرنينه ، لقلبه وجيف ، ولفؤاده خفقان ، وللدموع هطلان ، يجأر إلى الله مستكينا ويستغيث إليه من قبيح ما انكشف له معتذرا ، حتى نبت العشب حوله من دموع عينيه ، وهو ينادي في سجوده : إلهي ، أين أفر من الموقف بين يديك غدا ؟ ومن ينقذني من ظلمة خطيئتي وسوادها ، فقد خفت أن تحول ظلمتها بيني وبين النظر إليك غدا ، سبحان خالق النور إلهي ، ذكر(١) منه استكانة البلاء ، ودخله الوهن والضعف ، وانقطع الجواب ، فضاقت عليه الأرض برحبها وضاقت عليه نفسه ، وقلق في سجوده ، ونادى : إلهي ، خليت بيني وبين عدوي فلم أطق لفتنة نزلت بي دفعا ، سبحان خالق النور إلهي ، إلهي ، قرح الجبين ، وفنيت الدموع ، ودبرت الأسباب ، وخطيئتي ألزم لي من جلدي ، فنودي : يا داود ، ما لك ؟ أجائع أنت فتُطْعَم ؟ أظمآن أنت فتسقَى ؟ أمظلوم فتُنْصَر ؟ أعار فتُكْسَى ؟ فزفر زفرة هاج ما في جوفه من اللهبان فاحترق العشب الذي كان غيب رأسه [٢/ ٤٢/ أ] ، ثم قال : أما نظر في خطيئتي بعدُ ؟ لقد عرفت إلهي أن رحمتك واسعة ، ولولا رحمتك لفضحتني ، فمن هذا الذي ينصرني إن خذلتني ، ومن هذا الذي يغفر خطيئتي ويمحوها عني ، إلهي ، يقشعر جلدي إذا نظرت إلى خطيئتي التي مع ملائكتك وهم حافظون لها ، أم من هذا الذي يتداركني برحمة إن لم تجاوز عني وتمن بها علي ، تصدعت الحدود وانقطعت الأشجار ، وارتجت البحار وفزعت الجبال والآكام من عظم خطيئتي ، لا أطيق حمل خطيئتي إن لم تحملها عني ، إلهي ، ينام كل ذي عين ويستريح في موطنه ، وقد شخصت عيناي ينتظران رحمتك ، إلهي ، فتقبل دعائي وارحم شمطي(٢) ، وتجاوز عن ذنبي ، سبحان خالق النور إلهي ، تبكي الثكلى على ولدها إذا فقدته ، وداود يبكي

---

(١) كذا في (ص) ، وهي مطموسة في (د) .

(٢) كذا في (ص) ، وفي (د) « شهطي » .

على ذنبه العظيم ، سبحان خالق النور إلهي ، فقل أنت الآن : إلهي ، طوبى لداود إذا مع بالبكاء على ذنب واحد ، قال : من قربك منا ، قال : الويل الطويل لي إذ حرمت البكاء على ذنوب عظام جسام ، فسبحان خالق النور إلهي .

يقول داود : إلهي خليت بيني وبين عدوي فلم أطق لفتنة نزلت بي دفعا ، فقل أنت الآن : هذا حال داود مع جلال قدره ورفيع رتبته ، فكيف يكون حالي وقد سباني وأرادني وأحاطت شبكات فتنته بي ؟ سبحان خالق النور إلهي ، يقول داود : إلهي ، خلقتني وكان في سابق علمك أني صائر إلى ما جرت إليه ، أخرجتني من بطن أمي وليس لي خطيئة أعذب عليها ، فلم أرع وصيتك ، فأين أفر من خطيئتي ، وأين أهرب من عملي ، هذا مكان العائذ بك ، سبحان خالق النور إلهي ، فقل أنت الآن : إلهي ، إذا كان يظهر لصفيك ونبيك وخليفتك في أرضك من مكنون قضائك المحتوم ما يظهر فما الذي يظهر لي ؟ كيف لا تنقطع أعضائي ولا أموت كمدا خوفا مما لعله يظهر لي الكفر بعد الإيمان بك يا سيدي ، سبحان خالق النور إلهي ، يقول داود : إلهي ، من أين يطلب العبد المغفرة إلا من سيده ؟ حثوت على رأسي التراب وألزقت به خدي ، ودسست فيه وجهي خشية عذابك وأليم عقابك ، سبحان خالق النور إلهي ، فقل أنت الآن : إلهي ، ما طلب داود المغفرة والتوبة حتى فتح له باب الرحمة ، فكيف أصنع بذنوبي وخطاياي وبابي منغلق قد كبلتني خطيئتي ، وانغلقت أبواب ضرعي إليك ، والتفت في المعاصي التفاف الدود حتى لا أجد مسلكا إلى التوبة ، سبحان خالق النور إلهي ، يقول داود : إلهي ، لم ينفعني الزبور ، فلم تعافني مما ابتليتني به ، سبحان خالق النور إلهي ، فقل أنت الآن : إلهي ، يا راحم الضعفاء والجهلة ، إذا كان صفيك داود لم ينج من الفتنة مع نبوته فكيف بالجهلة الضعفاء ، سبحان خالق النور إلهي ، يقول داود : إلهي ، يغسل الثوب فيذهب درنه ووسخه ، والخطيئة لازمة [٢/ ٤٢/ب] لي لا تذهب عني ، وثوبي يبلى وجسمي يفنى وخطيئتي لا تبلى ، سبحان خالق النور إلهي ، فقل أنت الآن : إلهي ، إذا كانت الخطيئة لازمة لداود فهي لنا ألزم وألزم ، أخاف ألا يطهرنا منها إلا حريق النيران ، سبحان خالق النور إلهي ، يقول داود : إلهي ، ويل للخطائين يوم القيامة من شر الحساب ، ويل للخطائين ، كيف يحشرون غدا حفاة عراة ، ويل للخطائين

حين تأتيهم ملائكة غلاظ شداد ، أعينهم كالبرق الخاطف ، ولهب النار يخرج من أفواههم ، ليست لهم رأفة ولا رحمة ، فيبطشون بهم ، ويل للخطائين حين يعلو جهنم زفيرها ويشتد تلظيها وتنشر أغلالها وتتطاير شررها ، سبحان خالق النور إلهي ، فقل أنت الآن : إلهي ، لقد أرعب داود قلوب العصاة المذنبين ، أنطقه لسان الخوف ، وسخطك أشد على عارفيك وفراقهم رضوانك من جميع ما حوته جهنم من ألوان العذاب ، فليت شعري ، ما الذي يظهر لنا من جودك يومئذ سيدي ، سبحان خالق النور إلهي ، يقول داود : إلهي ، أنا الذي لا أطيق حر شمسك ، فكيف أطيق حر نارك ، سبحان خالق النور إلهي ، فقل أنت الآن : إلهي ، لا داود يطيق نارك ، ولا أحد من خلقك ، فكما تفضلت على داود بالمغفرة فتفضل علينا معشر العصاة المذنبين الذين فقدوا يتحازنون على الذنوب وإن لم يجدوا الحزن ، سبحان خالق النور إلهي ، يقول داود : أنا الذي لا أطيق صوت رعدك ، فكيف أطيق صوت جهنم إذا دمدمت وتغيظت على العصاة ، أسمع صوت الرعد فيكاد يذهب قلبي وتزهق نفسي ، فكيف إذا أخذت النار في جسدي ، سبحان خالق النور إلهي ، فقل أنت الآن : إلهي ، ليس لجهنم سبيل على داود ، وإن له عندك لزلفى وحسن مآب ، إنسان فينا معشر الخطائين الذين بادروك بالعظائم وتلوثوا في المعاصي ، سبحان خالق النور إلهي ، يقول داود : إلهي ، كيف يستتر الخطاءون من خطاياهم ، وأنت شاهدهم حيث كانوا ، سبحان خالق النور إلهي ، فقل أنت الآن : إلهي ، تفضلت على داود مع المغفرة بالحياء منك ، سيدي ، الشأن فينا أنا نجترئ على معاصيك ثم لا يأخذنا منك الحياء ، سبحان خالق النور إلهي ، يقول داود : إلهي ، قرح الجبين وجمدت العينان من البكاء مخافة الحريق على جسمي ، سبحان خالق النور إلهي ، فقل أنت الآن : إلهي ، طال سجود نبيك داود حتى قرح منه الجبين مَنًا منك عليه ، وإكراما له ، فأنى لي السجود وأنا المقصى المقصر عن بابك بما كسبت يداي ، سبحان خالق النور إلهي ، يقول داود : إلهي ، الويل لداود حين يكشف الغطاء عنه فيقال : هذا داود الخاطئ [٢/ ٤٣/ أ] ، سبحان خالق النور إلهي ، فقل أنت الآن : إلهي ، إنما يكشف الغطاء عن داود نفسه لا لغيره في تلك الحجب الخفية ، وأنا أخاف أن تكشف عني غطائي على رءوس الأشهاد للخلق

والخليقة ثم يؤمر بي إلى النار ، سبحان خالق النور إلهي ، يقول داود : إلهي ، إذا ذكرت ذنوبي يئست من كل خير ، وإذا ذكرت رحمتك رجوتها ، سبحان خالق النور إلهي ، فقل أنت الآن : إلهي ، رحمتك الواسعة جعلت داود لها أهلا ، فإن لم يكن معشر العصاة المذنبين أهلا لرحمتك أن تنالها فرحمتك الواسعة أهل أن تنالها ، سبحان خالق النور ، يقول داود : إلهي ، أبكي أيام الدنيا أهون علي من أن أبكي وقد جعلت في النار ، سبحان خالق النور إلهي ، فقل أنت الآن : إلهي ، من وجد إلى البكاء سبيلا فقد رحمته ، ومن رحمته بكى بين يديك ، فكيف لنا بالبكاء سيدي وإنما يبكي من خلص إلى قلبه أوجاع الذنوب ، فكيف لنا بوجع الذنوب لا نالها ، سبحان خالق النور إلهي ، يقول داود : إلهي ، زعمت أني أتفرغ في المحراب وأغلب الشياطين بقوتي ، فوكلت إلى نفسي فزلت قدمي أبعد ما بين المشرق إلى المغرب ، سبحان خالق النور إلهي ، فقل أنت الآن : إلهي ، تزل قدم داود صفيك في المحراب فكيف أجد القرار أم كيف آمن وأنا متردد في أودية الفتن وسكك البلاء من ذلك القدم(١) ، أسالك الأمان من الخذلان ، سبحان خالق النور إلهي ، يقول داود : إلهي ، دعوتك حتى انقطع صوتي وضاقت بي دنياي ، سبحان خالق النور إلهي ، فقل أنت الآن : إلهي ، واشؤم معصيتاه ، خطيئة تقطع صوت داود عندك وتصيره كالطير لا ريش له ، فكيف صنعت بنا في تلك العجائب التي رأيتها منا يا حليم ، سبحان خالق النور إلهي ، يقول داود : إلهي ، كنت أبغض الخطائين وأمقتهم ، فأنا اليوم أرحمهم لعلك أن تغفر لهم فتغفر لداود الخاطئ معهم ، سبحان خالق النور إلهي ، فقل أنت الآن : إلهي ، كان داود يبغض الخطائين ويحمله على مقتهم غيرة لك ، فإن الحبيب يغار للحبيب ، فحل به ما حل حتى صار يدعو لهم ، فكيف بمن أبغضهم إعجابا بنفسه وعقله عن حال صاحبه وتيها وتعظما على عبيدك ، سبحان خالق النور إلهي ، يقول داود : إلهي ، بعثتني بالنبوة وألبستني لباس الملوك بعد الثياب الخشنة ، ومنعتني بالمهابة من خلقك ، فحدثت نفسي أن أتفرغ لك في المحراب وأعبدك ، وقلت : إني سأغلب نفسي إن وكلت إليها ، ولم يكن ينبغي لي

(١) في (د) « العدم » .

أن أقول هذا ، فلما وكلت إلى نفسي أتتني الهلكة فهلكت حين خذلتني ، سبحان خالق النور إلهي ، فقل أنت : إلهي ، لم تحتمل هذا عن صفيك داود فوكلته [٢/ ٤٣/ ب] إلى ما أعطيته فلم تنفعه العطية حين تخليت عنه ، فكيف بمن ركن في جميع عمره إلى الأسباب واعتصم بالمخلوقين ، وشخصت آماله لدى العبيد المربوبين ، سبحان خالق النور إلهي ، يقول داود : إلهي ، لا تنقصني ما أنت معطي النبيين والصديقين من أجل خطيئتي ، إنما أنا من ولد آدم المذنب الخاطئ التائب ، سبحان خالق النور إلهي ، فقل أنت الآن : إلهي ، داود يخاف على نبوته من أجل خطيئته ، فكيف يكون خوفي على توحيدي من أجل جرائمي فيك ، أعوذ من وبال ما كسبت يداي أن يكون رجعاه سلب إيماني ، سبحان خالق النور .
يقول داود : إلهي ، تسبح لك الطيور بأصوات ضعاف من خشيتك وليت لها ذنوب[1] ، وأنا العبد المذنب الذي لم يكن للساني ولا لقلبي أن يفترا من ذكرك والتسبيح بحمدك ، فارحم ضعفي ورقة جلدي من النار التي تعذب بها أعداءك فلا تجعلني لك عدوا بعد أن نولتني باب عمل استحق رضوانك ، أم ماذا أقول وقد أحصيت عملي كله فهو مكتوب عندك في أم الكتاب ؟ سبحان خالق النور إلهي ، فقل أنت الآن : إلهي ، تخلصت الطيور في الجو ، والوحوش في البراري والقفار ، والحيتان في البحار من النار والعار ، وتخلص داود بالغفران والرحمة الشافية من الحنان المنان بما سبق له من الحظ وقرب المكان ، فكيف يخلص من أكرمته بالإيمان فدنس جسمه وأخلق وجهه وآثر على ما دعوته إليه الفتن والخسران ، يقول داود : إلهي ، امدد عيني بالدموع وعيني بالخشية وضعفي بقوة حتى أبلغ رضاك عني ، لك القدرة في أمرك كما تشاء ، أنت الحق وخالق الخلق ، ناصيتي بيدك ، إن عجز عني عملي في الدنيا فكيف نفي في الآخرة بما قد عجز عني في الدنيا ، لا أثق بعملي وأنا منه خائف ، فأسألك رأفتك يا أرحم الراحمين ، سبحان خالق النور ، وما أعظم ملكك وأشد سلطانك وأصدق قولك ، من يقوم لغضبك إلهي ، فقل أنت الآن : إلهي ، داود محتاج إلى مدد الدموع مع غزارة منابع دموعه ، ومحتاج إلى مدد الخشية والقوة مع سلطان النبوة ، فكيف

(١) كذا بالأصل .

تكون حاجة مَن قلبُه أسير شهواته وتابع نفسه الأمارة بالسوء ، وإن لم تداركه بالرحمة التي ينال بها عصمتك وإلا فهو أسير عدوه اليوم ، وغدا أسير نارك الكبرى ، يقول داود : إلهي ، تبت إليك فتب علي ، وتضرعت إليك فارحم تضرعي ، طمح الشيطان بنفسي إلى ما لا ينبغي لي ، فإن لم ترحمني فارحم دموعي ، فنودي : يا داود ، أتذكر دموعك ولا تذكر ذنوبك ؟ فنادى : أعوذ بنور وجهك من ظلمة زلتي وخطيئتي ، ومن العمى والصمم يوم يتجلى نورك لمن شئت من خلقك ، ويسمع كلامك من رحمت من خلقك ، هذا مكان العائذ بك ، أعوذ برأفتك من شدة عقابك ، وبرحمتك من عذابك ، وبعزتك من الذل والخزي يوم تجمع خلقك لفصل القضاء ، إلهي أصبح الشيطان [٢/ ٤٤/أ] يعيرني ، يقول : يا داود ، أين كان منك ربك حين واقعت الخطيئة ؟ إلهي ، نحل جسمي من خشيتك ، واشتد خوفي من قضائك ، لا أجد لي أسوة فيمن خلقت من أجل أنك سميتني نبيك وخليفتك ، فأنزلت علي الزبور نورا للبصر وربيعا للقلوب ، وأمرتني فيه أن أكون لليتيم كالأب الرحيم ، وأن أكون عضدا للضعيف والمكلوم ، فلم أبطأ عن الفتنة إذ عرضت لي ، بل أسرعت إليها ، سبحان خالق النور إلهي ، إلهي ، هذا مكان العائذ بك ، إني أخطأت ، وكنت في خطيئتي كالأعمى في الظلمات ، وكالأصم مع الأبكم ، وقد علمت أن مصيري ومرجعي إلى حسابك ، وأنت تدين بالحق إله الحق شديد الملك عظيم السلطان ظاهر الجبروت عزيز جبار ، لا يكلمك إلا من أذنت له ، سبحان خالق النور إلهي ، إلهي ، إنما أنا من ولد آدم الذي أصاب الذنب وهو في الجنة ، فأكل من الشجرة التي نهيته عنها فنزع عنه لباسه الذي كسوته ، ونظر بعينيه إلى عورة زوجته ، وعاين ما كتب عليه من مرارة العيش ، ثم استنقذته بالتوبة بكلماتك التي علمته ، فجليت . . . [(١)] عن بصره ، وواريت بهن عورته ، ووعدته الرجوع إلى الجنة ، وافترضت عليه التوبة وعلى ذريته من بعده ، سبحان خالق النور إلهي ، إلهي ، بأي فم أتكلم بين يديك ، أفبالنعم الذي أخطأت ؟ وبأي لسان أنطق وأنت إله الحق والصدق ؟ وعلى أي رجلين أقوم قدامك يوم القيامة ؟ وكيف يقوم من كان الباطل عمله والكذب قوله ؟ وأي قدم حملها جنيته ؟

---

(١) كلمة لم أستطع قراءتها بالأصل .

إلهي ، أين أهرب من غضبك إلا إلى رحمتك ؟ وبمن أستغيث إلا بك ؟ سبحان خالق النور إلهي ، فنودي : يا داود ، ارفع رأسك فقد غفرنا لك ، وجاءه جبريل عليه السلام فأسنده إلى صدره وقد سقطت فروة وجهه وبقي في ذلك الطين الذي ابتل من دموعه ، وبشره أن الله قد تغمد بعفوه زلته ، فقال : إلهي ، إن بي حاجة إلى السماوات والأرض وإلى هذا الخلق ، أن ينصتوا لي ، فأمر الله تعالى السماوات السبع والأرضين السبع بمن فيهن من الخلق صمتن لداود ، فنادى : إلهي ، كيف وأنت حكم عدل ، وأنا الذي قدمت أوريا بن حنان في مقدمة الخيل إلى التابوت حتى قتل ، فهو يطلبني بدمه يوم القيامة ؟ فنودي : يا داود ، اذهب إلى الصخرة فضع جبهتك عليها ، وناد أوريا وسله عن ذلك ، فذهب داود حتى وضع جبهته على الصخرة ونادى : يا أوريا ، فأجابه قال : لبيك يا نبي الله ، لم دعوتني وأخرجتني من النعيم الذي كنت فيه ؟ قال : إني أذنبت إليك ذنبا ، قال : قد تجاوزت عنك يا نبي الله ، فخرج مشروحا إلى ذلك ، فاستقبله جبريل عليهما السلام فقال : ما صنعت ؟ قال : قد تجاوز عني ، فقال : هل أخبرته بما أتيت إليه ؟ قال : لا ، قال : فإنك لم تصنع [٢/ ٤٤/ ب] شيئا ، لعله ظن شيئا آخر ، اذكر له الذنب الذي أتيت إليه ، فرجع داود فنادى : يا أوريا ، قال : لبيك يا نبي الله ، لم أخرجتني من النعيم ؟ قال : إني أذنبت إليك ذنبا فتجاوز عني ، قال : أوليس قد فعلت ؟ قال : ألا تسلني عما أتيت إليك ؟ قال : وما هو يا نبي الله ؟ قال : بسبب . . . (١) امرأتك ، فقص عليه القصة ، فسكت أوريا ، فانقطع الجواب عن داود ، فقال : أجبني يا أوريا ، وتجاوز عني ، قال : يا نبي الله ، ما هكذا تفعل الأنبياء يا نبي الله ، فسأقوم بين يدي الله أنا وأنت ، فصاح داود صيحة أفزعت الخلق والخليقة ، وخر لوجهه ينادي : إلهي ، قد فني الدموع وانقطع عني ، وطال حزني ورق عظمي ، وبلي لحمي وقحل جلدي ، وبقي ذنبي على ظهري ، إليك أشكو فاقتي وضعفي وقلة حيلتي ، سبحان خالق النور إلهي ، إلهي ، لو أتيت . . (٢) عبادك في بلادك لكانوا كلهم عليك

---

(١) كلمة لم أستطع قراءتها بالأصل .

(٢) كلمة لم أستطع قراءتها بالأصل .

يدلني ، إلهي ، لو يؤاخذ من في الأرض كلهم جميعا بذنبي لم تكن لهم في ذلك حُجة ولا مُعذرة ، فكيف بي في مثل ضعفي ، وكيف أطيق ذلك وحدي ، إلهي ، زل داود زلة أبعد ما بين المشرق والمغرب ، قد خفت أن تجعل ذنبه حديثا للخلوف بعد الخلوف ، فارحم ضعف داود ، إلهي ، من يسأل العبد إلا ربه ، وأنت ربي وأنا عبدك ، وأنت الغني وكل إليك فقير ، ومن يسأل الفقيرُ إلا الغني ، وأنت واجد لكل ما سئلت عنه ، يغنيهم فضلك ، وليس بك فقر إلى أحد ، سبحان خالق النور إلهي ، إله إبراهيم عليه السلام الذي أنجيته من أيدي الجبابرة ، وبعظمتك أنجيته من حريق النيران ، وإله إسحاق عليه السلام الذي أكرمته بالبلاء ، وكشفت عنه بالصبر واليقين ، وجعلته قرة عين لوالديه ، وإله يعقوب عليه السلام الذي أكرمته فجعلت منه أنبياء ، وابتليته بيوسف عليه السلام فرددت عليه بصره بعد صبره ، وبقيت أنا من سبطهم وذريتهم ، فارحمني بفضل رحمتك إياهم .

فنودي : يا داود ، ارفع رأسك ، أما الخطيئة فقد غفرتها لك ، وأما خصمك فأمكنه منك يوم القيامة ثم أستوهبك منه فيهبك لي ، فأعطيه حتى يرضى ، وأما المودة فقد انقطعت بيني وبينك ، ما أسرع ما نسيت عهد ربك يا خليفة الرحمن - حيث قال : يا داود ، عاد نفسك ووُدّني بعداوتها - جاءت الفتنة فحالت بينك وبين الوفاء بها ، وجرت النفس بك في ميدان القضاء في قضاء ما عرض لك من المنى ، فإن كانت المودة قد انقطعت فالمحبة قائمة والحظ باق ، فمنها حدثت المودة وإلا كانت المودة التي انقطعت ما شارطه ربه أن قال : ودّني بعداوة نفسك ، فعادى نفسه ، فلما أعطاها منيتها انقطع الود ، فلما تاب عليه وقبله جعل له بدل الود عطفا وشفقة ، فلم يزل يزداد بذلك العطف وتلك الشفقة [٢/ ٤٥/أ] قربا ، وكلما ازداد منه بذلك قربا ازداد عليه وجعا فر من ربه حياء ، وكلما ازداد من ذلك ازداد من الله عفوا ومنة وشرف محل وعظيم قدر ، وازداد كرامة ونبلا حتى صار رأس البكائين ومسعد الخطائين على الذنوب نَوْحا وعويلا بعد أن كان يتغيظ عليهم حنقا ، فلم يزل باكيا منكسا رأسه من الحياء حتى كادت نفسه تزهق من الوجد والأسى ، وأقسم أن لا يشرب شرابا إلا مزجه بدموع عينيه ، ولا يطعم طعاما إلا خلطه بالرماد لئلا يصل إلى نفسه لذة الطعام والشراب ، وكان إذا خرج إلى الناس ألقى نفسه بين الخطائين ،

ويقول : مسكين بين ظهراني مساكين ، وسأل ربه أن ينقش له خطيئته في يده اليمنى ، فكان لا ينظر إليها إلا أرجفت يده حتى يسقط ما تناوله ، وكان إذا علا المنبر رفع بيمينه فاستقبل بها الناس ليريهم نقش خطيئته ، فكان ينادي : إلهي ، إذا ذكرت خطيئتي ضاقت علي الأرض برحبها ، وإذا ذكرت رحمتك ارتد إلي روحي ، رب اغفر للخطائين كي تغفر لداود معهم ، وكان يقعد على سبعة أفرشة من الليف محشوة بالرماد ، فكان تستنقع دموعه تحت رجليه حتى ينفذ الأفرشة كلها ، فكان إذا كان يوم نواحه نادى مناديه في الطرق والأسواق والأودية والشعاب وعلى رءوس الجبال وأفواه الغيران : ألا إن هذا يوم نَوْح داود ، فمن أراد أن يبكي على ذنبه فليأت داود فيشهده ، فيهبط السياخ من الغيران والأودية ، وترتج الأصوات حول منبره ، والوحوش والسباع والطير عكف ، وبنو إسرائيل حول منبره ، فإذا أخذ في العويل والنوح وأثارت الحرقات منابع دموعه صاحت الجماعة صيحة واحدة نوحا وبكاء حتى يموت حول منبره بشر كثير في مثل ذلك اليوم ، وكان ينادي في جوف الليل : إلهي ، هدأت العيون وغارت النجوم وأنت حي قيوم لا تأخذك سنة ولا نوم ، ذنبي عظيم ، وأنت الرب العظيم ، قد علمت سري فاقبل عذري ، وقد علمت ما في نفسي فأقلني عثرتي ، إليك رفعت رأسي يا ساكن السماء ، نظر العبيد على أربابها ، يا عامر السماء ، تساقطت العرى(١) وأبطل ذكرهم وأنت دائم الدهر ، مستعد كرسي القضاء ، فلما أصاب الخطيئة نفرت الوحوش عنه ، فنادى : إلهي ، رد عليّ الوحوش كي آنس بها ، فرد الله عليه الوحوش فأحطن به وأصغين بأسماعهن نحوه ، فرفع صوته بقراءة الزبور والبكاء على نفسه ، فنادينه : هيهات هيهات يا داود ، ذهبت الخطيئة بحلاوة صوتك ، قال : وقال الله له : قد غفرت لك يا داود وألزمت عارها [٢/ ٤٥/ ب] بني إسرائيل ، قال : وكيف ذاك يا رب وأنت الحكم العدل لا تظلم أحدا ، أنا أعمل الخطيئة وتلزم عارها غيري ؟ فأوحى الله إليه : إنك لما اجترأت علي بالمعصية لم يعجلوا عليك بالنكرة .

وأما محمد ﷺ فإنه وافى باب زيد بن حارثة ، ووقع بصره على امرأة زيد وهي زينب

---

(١) هكذا استظهرت قراءتها في (ص) ، وهي مطموسة في (د) .

بنت جحش وهي في خمار أسود ، وكانت وسيمة وذات هيئة ، وهي واقفة في صحن الدار ، فوقعت في نفسه فقال بكفيه على عينيه ، وتولى وقال : " سبحان مقلب القلوب " ، فرجع إلى منزله ، فروي في الخبر أنه لما أوى زيد رضي الله عنه إلى فراشه تلك الليلة عجز عنها ، فقالت زينب : أرادني وما يستطيعني وما أمتنع منه ، فعلمت أن هذا من الله ، وروي أن زيدا أصابه هناك ورم حتى حيل بينه وبين إتيانها ، فلما رأى ذلك أحس بأمر حادث من الله ، فجاء إلى رسول الله ﷺ ليطلقها ، واعتل بعلل تطييبا لرسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله ، إن زينب لا تأتي ما أحب ولا تبر قسمي ولا تطيعني في أشياء ، كهيئة الشكوى ، فقال : " اتق الله يا زيد وأمسك عليك زوجك " ، فلم يزل زيد على عزمه الذي عزم الله على قلبه ، كما قلب صفيه محمد ﷺ بهواها ، وكذلك قلب عبده زيد حتى طلقها ، وانقضت عدتها ، فنزل القرآن الكريم بتزويجها منه ، وولي الله تزويجها منه على لسان الروح الأمين ، فكانت تفخر على سائر أزواجه فتقول : إن الله أنكحني من العرش وهو وليي من دون الخلق ، ونزل في ذلك جبريل : ﴿ زَوَّجْنَٰكَهَا ﴾ [الأحزاب : ٣٧] ، قام رسول الله ﷺ فدخل عليها وهي لا تعلم بشيء فقعد عندها(١) .

١١١٢ـ حدثنا أبي رحمه الله ، ثنا محمد بن الحسن ، ثنا عبد الله بن المبارك ، ثنا سليمان ابن المغيرة ، عن ثابت ، عن أنس رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ بعث إلى زينب حين انقضت عدتها فخطبها ، فقالت : حتى أؤامر ربي ، فقامت إلى مسجدها ، ونزل القرآن بتزويجها ، فقام رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن ، فأما الأول وهو يوسف عليه الصلاة والسلام فقال حين شخص له البلاء : ﴿ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ﴾ [يوسف : ٢٣] ، اعتصم بالله وأخذ العدة من النفوذ به ، وذكر إحسان من ملكه ، وأن هذا كفران النعمة أن أخونه في أهله . وأما الثاني وهو داود عليه الصلاة والسلام حين شخص له البلاء اعتصم بالحيل للنفس ، فنقل تلك المرأة إلى نسائه لتطمئن النفس . والثالث وهو محمد ﷺ فزع إلى الله فردا حين شخص له البلاء واعتصم بفرديته ، ألا ترى

---

(١) في (د) " والسفير في ذلك جبريل عليه السلام ، فلما نزل قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا ﴾ قام رسول الله ﷺ فدخل عليها وهي لا تعلم بشيء فقعد عندها .

أنه قال : " سبحان " ، فذكر نزاهة الفردية ، ثم انظر بأي شيء وصفه وبأي شيء نطق ، فقال : " مقلب القلوب " ، فإن [٢/ ٤٦/ أ] القلب إنما خرج من مشيئته لأن القلوب لم يكلها إلى أحد ، وهو الذي يلي تقلبها كيف شاء ، فهذه أظهر كلمة وأبرأها من الأسباب ، ذكر نزاهته ثم ذكر مشيته ، فتعلق بها تضرع اليدان لا يقلبها إلى ما لا يليق به ولا يحسن عنده ، فكان عقبى تعلق يوسف عليه السلام أن ترك حتى فقم وكاد الأمر أن يكون ، ثم تداركه برحمته التي بها نال الاستخلاص ، ألا ترى أنه قال : ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [يوسف : ٢٤] ، فنسب فعل الإخلاص إلى نفسه لا إلى يوسف عليه السلام ، ولم يقل : مخلِصين ، إنما قال : ﴿ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ ، فصرف عنه بالبرهان وهو جبريل في صورة يعقوب عليهما السلام ، وهو سبب من الأسباب ، وكان عقبى تعلق داود عليه السلام أن تركه حتى هَمّ بما هَمّ من شأن أوريا حتى مضى الأمر إلى آخره ، ثم نبهه بالملكين وعاتبه وملأه المشرق والمغرب بكاء وعويلا وصراخا حتى عجت الملائكة وخليقة الرحمن وخليقة الأرض من الوحش والطير والحيتان والدواب جزعا على مآثمه المشينة التي حلت به ، والأحزان التي هاجت منه ، وصارت إنابته وتوبته حديثا في العالمين لتكون مددا للنواحين أيام الدنيا . وكان عقبى تعلق محمد ﷺ أن تولى خلاصه من ذلك بنفسه فردا كما فزع إليه فردا ، فمنع زيدا من إتيانها ، وأخذ بقلبه عنها حتى عجز عنها وطلقها ، وهذه من الربوبية خرجت له ، ثم ولي تزويجها منه فردا ، وأنبأه من طريق الوحي أن قد زوجناكها ، كما أخرجه من تدبير أهل الدنيا فإنما تدبيرهم أن يزوجوا بولي ورضى المرأة وشاهدين وصداق ، فأخرجه من تدبير جميع خلقه فقال : ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا ﴾ [الأحزاب : ٣٧] ، فليس ههنا صداق ولا شهود ولا ولي ولا رضى ، فمن ههنا قد قال العلماء : إذا زوج الرجل عبده أمته ولم يفرض صداقا جاز ؛ لأنه ملكه ، فهذه رتبة رفيعة لمحمد ﷺ أن أخرج شأن تزويجه زينب من تدبيره لعامة خلقه ، زوج أمته من عبده فولي ذلك بكرمه ورحمته ، وأشهد الروح الأمين على ذلك ، وجعل مرتبته صداقا لها ، فانظر إلى محل هذه القلوب الثلاثة أين كانت منه ، وبروز قلب محمد ﷺ على سائر القلوب ، صلوات الله عليهم أجمعين .

الأصل الثاني والعشرون والمائتان

١١١٣ـ حدثنا سفيان ، ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن الشعبي ، عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب " .

١١١٤ـ حدثنا أبي رحمه الله ، ثنا الفضل بن دكين ، ثنا زكريا بن أبي زائدة ، عن الشعبي ، عن النعمان بن بشير رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ [٢/ ٤٦/ ب] ، بمثله .

قال أبو عبد الله :

فالقلب ملك ، والأركان عبيد ، إنما يعمل كل ركن في معمله بمشيئة القلب وأمره ، والقلب عن مشيئة الله يشاء ، لم يكلها إلى أحد سواه ولم يطلع عليه أحدا ، يضع منها ما شاء ، ويرفع منها ما شاء ، فالنور فيه والتوحيد فيه والطاعات منه ، وفكر ذلك كله في الصدر ، وعن الصدر تصدر الأمور ، ولذلك سمي الصدر صدرا ، والقلب لتقلبه ، والفؤاد لتفئيده ، وهي بضعة واحدة ، فالفؤاد البضعة الظاهرة ، والقلب البضعة الباطنة التي هي جوف الفؤاد ، وفي الفؤاد العينان والأذنان ، ألا ترى إلى قوله : ﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴾ [النجم : ١١] ؟ فنسب الرؤية إلى الفؤاد ، ومنه قيل لخبز الملة(١) : خبز فئيد ؛ لأنها خبزة في جوف خبزة ، وما ظهر منها وقايتها الرماد الحريق ، فالقلب معدن النور منها الرب تبارك وتعالى ومستقر التوحيد ، والصدر موضع التدبير ، والفكر والنفس معدن الشهوات ، فإذا وجدت النفس طريقا إلى القلب مرت بشهواتها إلى القلب فدنست الإيمان ، وكان كما وصف رسول الله ﷺ فيما قال له رجل : أخبرني يا رسول الله بوصية قصيرة فألزمها ؟ قال : " لا تغضب ؛ فإن الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل .

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : " الإيمان حلو نزه فنزهوه " ، فنزاهته أن تعصم نفسك عن الشهوات حتى لا يصل إلى قلبك منها أذى ، فيكون بمنزلة ماء صافٍ جرى إليه ماء كدر فذهب بصفائه ، أو عسل ماذي وصل إليه غبار الحنظل والمر

---

(١) هكذا استظهرت قراءتها في الأصل .

والصبر فغيره عن حلاوته ، وذلك أنه استقر في قلبك بذلك النور توحيد رب واحد ليس له نظير ولا مشارك في نبي وهو رب كريم ، فوجدت حلاوة شعورك بإلهك أكبر من عبد شعر بأن له سيدا سيد السادات في الدنيا ويملك سادة الملوك لغناه وملكه ، وسوده فضالة على أهل الدنيا أن له سيدا هكذا ، وامتلأ القلب بذلك سرورا وفرحا ، ولكل سرور وفرح حلاوة ، فهذا في عبيد الدنيا فكيف برب العبيد وملك الملوك وسيد السادات إذا شعر الموحد بذلك من ربه إذا ظهر له وداده وكرمه وبره وحبه لعبده ، فأي شيء بقي للعبد مما مَنّ عليه سيده أن تم له هذا منه ، فهذه حلاوة التوحيد ونزاهته ، فجاءت شهوات النفس فوجدت سبيلا إلى القلب فخالطته فكدرته ومازجت حلاوته فدنست وكدرت ، فلا خسران أعظم من هذا ، وما ظنك بمن خلع على بعض قواده وهو ملك من الملوك خير خلعة في خزانته ، فذهب فدنسها وأخلقها بقلة التوقي لها [٢/ ٤٧/ أ] عن مواضع الدنس . ألم يك محقوقا أن يسلب فيهان ، أوليس على حياء من فعله في يومه الذي يدخل فيها على الملك بتلك الخلعة ، فانظر ماذا حل بالموحدين من هذا الذي وصفت ، وأي شيء عملت هذه النفوس بأهلها ، وهي لباس التقوى الذي ذكر الله في تنزيله ، ثم قال : ﴿ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ ، ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ [الأعراف : ٢٦] ، وأية آية أعظم من رجل أعطي على قلبه خلعة ، فإذا جاء يوم القيامة غشي بها ووقي حتى يجوز النار كلها وهي خامدة من سلطان تلك الخلعة ، فمثل القلب مع قلة اليقين وكثرة صور الطاعات مثل ملك له عبيد لهم هيئة وشارة ومراكب وزي الأغنياء ، والملك فقير معدوم ليس له مادة ولا كنز ، إنما ملكه على ما ظهر منه ، فالعاقل إذا نظر إليه يقول في نفسه : ليس لهذا الأمر نظام ولا له دوام ؛ فإنه معدوم ، وهذه الهيئات التي أراها لا تدوم ، وسيحتاج إلى مثلها ، وليس له مدد ، وإن برز له مناوئ فإنها زوال ملكه وضياع هؤلاء العبيد ، وتغير أحوالهم بأدنى مناوءة من هذا المناوئ المعارض له ، وإذا كان الملك غنيا ، ذا مادة والعبيد في هيئة بذة لم يجسر على مناوءته ، ولم يغره ذلك من فعله ، يقول في نفسه : له بيوت أموال من الكنوز ، ففي ساعة واحدة يصيرهم فرسانا يجمع آلة الفرسان ويكسوهم من الكسوة ويعطيهم من العدة ما يعرفهم بغناه ، فكذلك الذي قلبه بين يدي الله في غناه وسلطانه قد احتظى منه الحظ الأوفى من

جلاله وعظمته وكبريائه ومجده فهو في تلك الأنوار مشرق صدره ، فإن رأى أركانه معطلة من أعمال البر لم يجرئه ذلك ؛ لأن الملك غني ، فعري الأركان لا يضره ، فإنه لا يترك فرضا إنما يترك فضلا ، وأي شيء يستبين من فضائل الأركان في جنب ما تفضل الله به عليه ومنّ به من معرفته التي برز بها على الخلق ، فلو زالت الجبال لم يزل ، قد عرف الله معرفة وثق به في جميع أحواله وفوضها إليه ، ناظرًا إلى تدبيره ومراقبا له ، قابلا لأحكامه ، قنعا بالذي يؤتى من دنياه ، مؤتمرا بأمره ، مطمئنا به ، ليست له همة ولا نهمة ولا قرار إلا الخلاص من هذا السجن الذي أخذ بنفسه ، قد ضاقت عليه الدنيا وصارت له سجنا بطول احتباسه ؛ لأنه ظمآن إلى لقاء . . . [(١)] وأي شيء ألذ من لقاء العبد لسيده الذي كان أمله من الدنيا والآخرة ، وإنما فقدت هذه اللذة من العبيد الأباق الذين جهلوا سيدهم ، ومتى سمعت بعبد شهوته في الإباق ومنيته الإباق من سيده ، أنه يحب لقاء سيده ، وهل شيء أثقل عليه من لقاء سيده ، وإنما أبقوا من مولاهم لأنهم تعجلوا حرية النفس وتقلبهم في [٢/ ٤٧/ب] دنياهم وشهواتهم استبطئوا الحرية فتعجلوها فهربوا من العبودة ، فلو وجدوا لذة العبودة لم يهربوا ، وإنما فقدوا لذة العبودة ؛ لأنهم جهال بمن له العبودة ، فقد عرفوه وهم به جهال لم ينكروه بعد أن عرفوه ، لم يشكوا فيه بعد أن أيقنوا وعلموا علم اللسان أنه عظيم ، وأنه جليل وأنه كبير ، وأنه ماجد بهي ، وأنه كريم واحد عليّ ، وأنه حنان منان ، وأنه محسن مفضل ، ولكنه لم يتراءى على قلوبهم نور جلاله ، ولا حل بقلوبهم عظمة الله ، ولا كلل[(٢)] عليها كبرياء الله ، ولا عارضها سلطانه وثناؤه ولا طالعت مجده وبهاءه ، ولا عاينت منته وإحسانه وأياديه ، ولا فهمت تدبيره ولطفه في الأمور ، ولا انتبهت لربوبيته التي ملكت الخلق ، ولا شربت بالكأس الأوفى من محبته ، ولا ظمئت من الشوق إليه ، ولا ولهت وَلَهَ العُكّف ببابه ، ولا حملت حمول الوفد من مهابته ، ولا تفسحت في ساحات توحيده متأنسة بجماله ، ولا انفردت لأحدية الأحد الصمد ، ولا حييت بحياة الحي

---

(١) كلمة لم أستطع قراءتها بالأصلين .

(٢) هكذا في (ص) ، و في (د) " تحلل " .

القيوم ، ولا خلصت لوحدانية الواحد ، ولا طابت بنسيم قربه ، ولا انشرحت صدورهم بذلك من قلوبهم ، إنما عجلوا جميع الإقرار بذلك قولا ، والاعتقاد له قلبا ، وصدورهم غير منشرحة بباطن علمه ، فمن جهل هذا اكتفى بهيئة العبيد والملك فقير معدم .

فالعاقل ينظر إلى صلاته وصيامه وحجه وجهاده ، وأعمال بره من الصدقة وعتق الرقاب ، وبناء الرباطات والقناطر ، وغسل الموتى وحفر القبور وتشييع الجنائز ، وعيادة المرضى ، فكأنه نظر إلى أركان وجوارح كهيئة عبيد عليهم ثياب جدد وهيئة مرتفعة ومراكب سرية وأسلحة وافرة ، فإذا نظر إلى باطن أحدهم وجد خوف الرزق على قلبه كالجبال ، يموت من همه وخوف الخلق ، وخوف سقوط المنزلة من قلوبهم ، والفرح بمدحهم والثناء عليه وحب الرياسة وطلب العلو ، والتبصبص للأغنياء والاستحقار للفقراء ، وتناول النعمة على أيدي الغفلة ، والأنفة من الفقر ، والاستكبار في موضع الحق ، والحقد على أخيه ، والعداوة والبغضة وترك الحق لمخافة ذل ينزل به ، والقول بالهوى والخيبة والرغبة في الدنيا والحرص عليها ، والشح والبخل وطول الأمل ، والأشر والبطر والمباهاة والرياء والسمعة ، والاشتغال بعيوب الخلق ، والمداهنة والإعجاب بالنفس والتزين للمخلوقين والصلف والتجبر وغرة النفس والقسوة والفظاظة وغلظ القلب ، والغفلة وسوء الخلق وضيق الصدر والفرح بالدنيا والحزن على فوتها ، وترك [٢/٤٨/أ] القناعة ، والمراء في الكلام والجفاء والطيش ، والعجلة والحدة والجرأة وقلة الحياء والاتكال على الطاعات والأمن لسلب ما أعطي ، وفضول الكلام والشهوة الخفية ، وطلب العز واتخاذ الإخوان في العلانية على عداوة في التستر ، واختيار الأحوال والتملك والاقتدار في أمر الله ، وذهاب مسلك النفس إذا رد عليه قوله ، والتماس المغالبة ، . . . [١] والانتصار للنفس إذا نالها الذل ، والأنس بالمخلوقين ، والتعظيم للأغنياء من أجل غناهم ، والاستهانة للفقراء من أجل فقرهم ، والغيبة والحسد والنميمة والجور والعدوان ، فهذه كلها مزابل قد انضمت عليها طويات صدره ، وظاهره

---

(١) مقدار كلمة غير واضحة بالأصلين .

صوم وصلاة وزهادة وأنواع أعمال البر ، فإذا انكشف الغطاء بين يدي الله عز وجل عن هذه الأشياء كان كمزبلة فيها أنواع الأقذار غشيت بالديباج ، فلما رفع الغشاء أخذت بالأنف من نتنها ، وأعرض الناظرون عن النظر إليها من قبحها فهذا عبد مراءٍ مداهن متصنع عبد شهواته فلم يقدر أن يخلص من عمله فإنه لا ينفك من عمل أن يحتاج إلى أن يجتهد فيه فكما احتاج أن يجتهد في صلاته فيخلصها فكذلك هو محتاج إلى أن يخلص في مشيته وركوبه ونزوله وأكله وشربه ومنطقه وصمته وأخذه وإعطائه وجميع معاملاته وجميع سعيه فلم يقدر أن يخلص بذلك الجهد لربه سعيه ونفسه متقدة بنار الشهوة وقلبه مشحون بهوى نفسه ولو أنه اجتهد حتى أخلص في هذا كله أليس هذه المزابل معه فهذه كلها عيوب والعبد إذا كثرت عيوبه انحطت قيمته .

فالعاقل لا يغره ما رأى من ظاهر أحواله وتقلبه في أعمال البر إذا اطلع على باطنه فوجده على ما وصفناه وقال في نفسه هذا كملك له عبيد في زي وهيئة ومراكب والملك بنفسه ليست له مادة من الكنوز ولا من القوة ما يدوم لعبيده هذا الذي أرى فلم يعبأ بما عاين من عبيده وعلم أن الملوك إذا اجتمعوا وهذا معدم فيما بينهم تبين عدمه عند محاولتهم ومشاكلتهم الأمور وأنه إذا ناب نائب فالملوك على مراتبهم وقواهم وعدتهم وهذا فيما بينهم أسير أو رجل ناوبته من عرض الناس وإذا رأى عبيدا في هيئة رثة والملك صاحب كنوز وجواهر وقد ملأ من الجواهر بيته وملأ الخزائن من الأموال علم هذا القائل أن هذه الهيئة لا تضر عبيده لأنه متى عرض له أمر فتح له بابا من خزائنه فغرقهم فكذلك إذا رأى عبدا أركانه معطلة من هذه الأشغال التي ذكرنا من أعمال البر [٢/٤٨/ب] من غسل الموتى وبناء القناطر واتخاذ الرباطات وعيادة المرضى وصلاة الضحى وتشييع الجنائز وعتق الرقاب وما أشبه ذلك وقلبه ملك من الملوك مملوءة خزائنه أموالا وبيوته جواهر فأما الأموال فهو غناه بالله وأي غني أغنى ممن استغنى بالله فالأموال كلها مددها منقطع والله حي دائم لا يزول فالغنى بالله دائم والغنى بالأموال منقطع فأما الجواهر فحكمة صفائه وهي الحكمة العليا وهي حكمة الحكيم وقد عجز عن دركها الخلق وإنما خص بها الأنبياء وخاص الأولياء وأهل خدمة الله فموجود عند هذا القلب الهيبة والحياء والخشية والمحبة فقد انفرد للفرد الواحد واحتظى من جلاله وعظمته وكبريائه ومجده وجماله

فتواضع له وخشعت جوارحه لخشوع قلبه وعظم أمر الله وحفظ حدوده وراقب تدبيره إعظاما لجلاله وهيبته وتذللا لربوبيته فعنده الرأفة بالخلق والرحمة لهم واللين والرفق والحلم وسعة الصدر وبه يقدر على الإخلاص له وحراسة القلب ودوام الفكر والقناعة والرضى والإنابة والشوق إليه ألزم بالحياة ورؤية المنة واليقظة في الأمور والمعاينة لها والرزانة والصيانة والنزاهة والشفقة والعطف والتأني والوقار والسكون والذكر الدائم والرهبة والرغبة والخوف والرجاء والأنس بالله والسرور به والسخاء والجود والبشاشة والنصيحة وسلامة الصدر فهذا قلب قد امتلأ خيرا وامتلأت جوارحه من هذا الخير فلساعة واحدة من عمره بهذه الصفة أفضل من أعمال الثقلين دهرا ، فإن تعطلت أركانه عن كثير من أعمال البر فهو في الخير كله دائم عليه بدوام قلبه على ذلك وقليل من عمله أزكى من عمل ذلك المخلط سنين كثيرة .

١١١٥ـ **حدثنا** قتيبة بن سعيد ثنا محمد بن يزيد بن حبيش قال : سمعت وهيب بن الورد يقول : بلغني أن رجلا جاء إلى رسول الله ﷺ فلما رأى ما بلغ به من الضر قال : " ما بلغ بك من الضر ما أرى ؟ " ، قال بأبي أنت وأمي السقم والحاجة ، فقال له رسول الله ﷺ : " أفلا أعلمك كلمات إذا أنت قلتهن أذهب الله عنك ما بك ؟ " قال : بأبي أنت وأمي ما أحب أن لي بما ترى وقعة بدر وأحد فقال رسول الله ﷺ : " يا أخا الأنصار وأين تقع وقيعة بدر وأحد من موقع الفقير القانع " .

١١١٦ـ **حدثنا** عبد الله بن أبي زياد القطواني قال : حدثنا سيار[(١)] ثنا بشر بن منصور عن عبد العزيز بن أبي رواد رفعه [٢/ ٤٩/ أ] أن رجلا شهد له رسول الله ﷺ بالجنة فلم ير له صوم ولا صلاة فقيل له في ذلك فقال : إني أبيت وليس في نيتي غل ، ولو أعطيت الدنيا ما فرحت بها ولو أخذت مني لم أحزن عليها .

١١١٧ـ **حدثنا** أبي رحمه الله[(٢)] قال : حدثنا محمد بن الحسن عن ابن المبارك[(٣)] عن معمر عن الزهري عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ بنحوه .

---

(١) " قال حدثنا سيار " سقطت من (ص) .

(٢) " حدثنا أبي " سقطت من (ص) .

(٣) في (د) " المبارك " .

١١١٨- حدثنا مؤمل بن هشام ثنا إسماعيل بن إبراهيم عن غالب القطان عن بكر بن عبد الله المزني قال : إن أبا بكر رضي الله عنه لم يفضل الناس بكثرة صوم ولا صلاة إنما فضلهم بشيء كان في قلبه .

١١١٩- حدثنا أبي رحمه الله ثنا الحسن بن سوار ثنا ابن المبارك[١] عن الحسن قال : إن عمر رضي الله عنه لم يغلب الناس بالأعمال إنما غلبهم بالصبر واليقين والزهد .

١١٢٠- حدثنا أبو السائب سالم بن جنادة السوائي ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن عمارة بن عمير عن عبد الرحمن بن يزيد قال : قال عبد الله رضي الله عنه : أنتم اليوم أكثر صياما وصلاة وجهادًا من أصحاب رسول الله ﷺ وهم كانوا خيرا منكم ، قالوا : بم ذاك يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : كانوا أزهد في الدنيا وأرغب في الآخرة . فالزهادة في الدنيا والرغبة في الآخرة إنما تؤتى العبيد من فضل اليقين وإشراق الصدر بنوره .

١١٢١- حدثنا قتيبة بن سعيد ثنا عون بن موسى الليثي قال : تذاكرنا عند الحسن أي الأعمال أفضل فكأنهم اتفقوا على قيام الليل ، فقال معاوية بن قرة : ترك للخادم فقال الحسن : أصبت .

١١٢٢- حدثنا سعيد بن عبد الرحمن المخزومي ثنا سفيان عن يحيى بن سعيد وعلي بن زيد ابن جدعان عن سعيد بن المسيب أن عبد الله بن سلام رضي الله عنه رأى سلمان رضي الله عنه في المنام بعد موته فقال : كيف أنت يا أبا عبد الله؟[٢] قال : بخير ، أبشر فإني وجدت الأعمال فلم أر شيئا خيرا من التوكل .

١١٢٣- حدثنا صالح ثنا أبو معشر عن محمد بن كعب القرظي عن المغيرة بن عبد الرحمن عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه مثله . وقال له : وجدت التوكل شيئا عجيبا .

١١٢٤- حدثنا أبو بكر بن سابق الأموي ثنا أبو مالك الجنبي عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ - فيما يحكي عن ربه تبارك وتعالى - أنه قال : يا موسى إنه لم يتصنع المتصنعون بمثل الزهد في الدنيا ، ولم يتقرب المتقربون بمثل الورع عما حرمت عليهم ، ولم يعبدني العابدون بمثل البكاء من خشيتي فأما

---

(١) في (ص) " المبارك " .

(٢) في (د) " أبو عبد الرحمن " .

الزاهدون فأبيحهم الجنة حتى يتبوءوا منها حيث شاءوا ، وأما الورعون عما حرمت عليهم فإنه ليس من عبد يلقاني يوم القيامة إلا ناقشته الحساب وفتشته عما في يديه إلا ما كان من الورعين فإني أُجِلّهم فأكرمهم [٢/ ٤٩/ ب] وأدخلهم الجنة بغير حساب ، وأما البكاءون من خشيتي فلهم الرفيق الأعلى لا يُشرَكون فيه .

١١٢٥ـ حدثنا محمد بن محمد بن حسين حدثتنا حكامة بنت عثمان بن دينار قالت ثنا أبي عن مالك بن دينار عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : " الورع سيد العمل من لم يكن له ورع يرده عن معصية الله إذا خلا بها لم يعبأ الله بسائر عمله شيئا " ، فذلك مخافة الله في السر والعلانية والاقتصاد في الفقر والغنى والعدل عند الرضى والسخط ألا وإن المؤمن حاكم على نفسه يرضى للناس ما يرضى لنفسه فهذه الخصال لا تكون إلا لأهل القلوب ، فأما أهل الأعمال فهم أعجز من أن يكون هذا لهم .

١١٢٦ـ حدثنا عبد الله بن أبي زياد ثنا خالد بن مخلد القطواني ثنا حمزة الزيات عن الأعمش عن مصعب بن سعد عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : " فضل العلم أحب إلي من فضل العبادة ، وخير دينكم الورع . لأن فضل العلم بالله يحكم العبادة ويخلصها لله ويصفيها لصاحبها غدا ، وخير الدين الورع والدين الخضوع فخير ما خضع العباد لله عند محارمه ونهيه فانتهوا وتركوا شهواتهم خضوعا وذلة . ومن ههنا قال أبو الدرداء رضي الله عنه : ما أعرف من أمر أصحاب محمد ﷺ إلا أنهم يصلون جميعا .

١١٢٧ـ حدثنا بذلك عمر بن أبي عمر عن ابن نمير عن الأعمش عن سالم بن أبي الجعد عن أم الدرداء عن أبي الدرداء رضي الله عنه . فإنما نظر أبو الدرداء رضي الله عنه إلى القلوب فرآها خربة قد سقطت عنها هذه الأشياء التي ذكرناها فلم يعبأ بأعمال الأركان منهم .

١١٢٨ـ حدثنا إبراهيم بن إسماعيل بن يحيى بن سلمة بن كهيل قال حدثني أبي عن جدي عن سلمة بن كهيل قال : لقيني أبو جحيفة السوائي فقال : يا سلمة ما نعرف اليوم شيئا إلا أنهم يتوجهون إلى الصلاة .

١١٢٩ـ حدثنا عتبة[1] بن عبد الله اليحمدي ثنا عبد الله بن المبارك أخبرني عيسى بن عمر

---

(١) في (د) " قتيبة " .

قال حدثني سهيل بن أبي أمامة بن سهل بن حنيف قال : قال أبي لأنس بن مالك رضي الله عنه : يا خال ليسوا بالناس الذين كنت تعهدهم إنما هم الذباب عليهم الثياب فاحذرهم ، قال : أما والله لئن قلت ذلك لقد رابتنى منهم هنية إني أحدثهم بالحديث عن رسول الله ﷺ فيقولوا أنت سمعت هذا بأذنيك ؟

١١٣٠ـ **حدثنا** محمد بن محمد بن حسين ثنا علي بن الجعد عن سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس رضي الله عنه قال : ما أعرف اليوم فيكم شيئا كنت عهدته على عهد رسول الله ﷺ ليس قولكم لا إله إلا الله . فصلاح القلب صلاح الجسد وعمارته عمارة دينه .

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : " من كان له قلب صالح تحنن الله عليه " .

وروي عن عيسى صلوات الله عليه [٢/ ٥٠/ أ] أنه قال : بالقلوب الصالحة يعمر الله الأرض ، وبها يخرب الأرض إذا كانت على غير ذلك .

١١٣١ـ **حدثنا** بذلك أبو سنان ثنا الحكم بن نافع عن صفوان بن عمرو عن شريح بن عبيد عن يزيد بن ميسرة .

الأصل الثالث والعشرون والمائتان

١١٣٢ـ حدثنا صالح بن عبد الله ثنا يوسف بن عطية عن ثابت البناني عن أنس رضي الله عنه أن بعض أصحاب رسول الله ﷺ شكا إلى رسول الله ﷺ ما يجدون في صدورهم من الوسوسة ، فقال رسول الله ﷺ : " كيف أنتم وربكم(١) ؟ " ، فقالوا : لا نشك في ربنا ولأن يقع أحدنا من السماء فيتقطع أحب إليه من أن يتكلم بما يجد في صدره ، فقال له رسول الله ﷺ : " الله أكبر ، ذاك محض الإيمان " .

فكان ثابت يقول : اللهم أكثر لنا منه . وقال عطاء السلمي : اللهم أذهبه عني فإني أخاف أن أكون قد هلكت فقال لي عطاء : ليتك سألت ثابتا لِمَ يقول هذا ؟ فانتهيت إلى ثابت وهو يقول ألا أقول لشيء قال رسول الله ﷺ : " هو محض الإيمان " . أن يزيدنا الله منه فقد أحكم الله الإيمان في قلوب من اجتباهم وهداهم ووقفت مشيئته عليهم يوم اختارهم في سابق علمه وأبرز أسماءهم بالسعادة في اللوح المحفوظ وأخرجهم في أصحاب اليمين يوم الميثاق وفزع الشيطان من أن يوسوس إليهم في توحيدهم ما يبطله عنهم وكيف يجوز ذلك وقد أخذ الله بقلبه وناصيته وفي قلبه نوره فكيف يقوم العدو لنوره حتى يطفئه فليس أحد ينشرح صدره بالله وبالنطق بلا إله إلا الله إلا بمنة الله عليه وأنه أكرم من أن يرتجع في منته فيسلط عليه العدو حتى يبطله ألا ترى إلى قوله تعالى للعدو : ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾ [الإسراء : ٦٥] أي : لم أعطك عليهم من السلطان ما تدخل عليهم في قلوبهم فتفسد عليهم توحيدهم وإنما سلطانه في الصدر لأن الصدر بيت القلب والنفس معدن الشهوات ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿ يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴾ [الناس : ٥] .

فالشيطان يزين ويشهي ويمني ويحدث في هذا الصدر بهذه الشهوات التي في النفس حتى يضله ويفتنه فأما القلب ففيه نور الله وقد استقر فيه توحيده ، وهو الإيمان به فليس للكفر فيه شهوة فيدخل الشيطان هناك بظلمته فيزين له الشرك حتى يفسد توحيده ولا له إليه سبيل إنما سبيله إلى فتنة الصدر بهذه الشهوات ألا ترى إلى قوله :

---

(١) في (ص) " في ربكم " .

﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [النساء : ١٣٢] أي : مانعا شيطانه من أن يدخل قلبه والقلب إذا جعل الله فيه نورا وأحياه فقد توكل له بالعصمة والحفظ والتستر والتدبير فهو يكلؤه ويرعاه ، فالشيطان [٢/ ٥٠/ ب] أخسأ وأذل وأقل من أن يقدر إليه لحاظا إنما حديثه على أذن القلب في صدره فأما قلبه فقد كفاه الله وكيلا له ، وقال الله تعالى : ﴿ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾ [الحجرات : ٧] أي : أوصل نوره إلى حبة قلوبكم وحبة القلب هو المضغة اللحم الباطنة وهذه المضغة الظاهرة ، يقال لها : فؤاد وفيها العينان والأذنان وباب القلب والمضغة التي في جوفها هو القلب يقلبها من لم يكلها إلى أحد ولم يطلع عليها أحدا من خلقه فنزع شهوة الكفر والفسوق والعصيان من ذلك القلب حين أوصل إلى حبة قلبه الإيمان فليس يعصي مؤمن يريد بذلك أن يعصي الله ويفسق إنما يريد قضاء نهمته والكافر عدو الله يعصي ويريد معصية الله والفسق وهو الذهاب بالروية والخروج من أمره والرد عليه والجحود فحبب الإيمان وزينه وكره الكفر والفسوق والعصيان فليس يجد المؤمن في نفسه شهوة الكفر لأنه نزعها بإيصال الإيمان إلى حبة قلبه وهو النور حتى أمن ثم بقي شهوة الأشياء في قلبه ثم حرم وأحل ليبلوه وقال له جاهد نفسك في هذه الشهوات الباقية فقد كفيتك الشهوة العظمى ، . . . [1] فما لم أجوز أن أحله فقد كفيتك مؤنته بأن نزعت عنك شهوته فكرهته إليك وما جاز أن أحله وأحرمه فقد أمرتك بمجاهدة نفسك فتحل حلالي وتحرم حرامي وتدتنبه فالمؤمن قد حلاه الله بالإيمان وطهره وطيبه وزين قلبه فإذا وسوس في صدره أنكر القلب بما فيه من النور وإنكاره محض الإيمان وإنما صار محضا لأنه اهتاج فاستنار ، ومثل ذلك مثل جمرة قد علاها الرماد بخمودها فلا تكاد تضيء مما علاها فوصلت إليه نفحة فطار عنها رمادها فتوقدت وتلظت واستضاء البيت بتوقدها فازدادت تلك الجمرة فصارت محضة لما طار عنها الرماد فكذلك القلب فيه الإيمان وقد سقم وعلاه رماد حريق الشهوات ، ومن أجل ذلك ضعف حتى آثر شهواته على أمر الله وآثر رضى نفسه على رضى الله فلما جاءه الوسواس بحديثه وكيده يريد به نقض توحيده كان ذلك كمن ينفخ في تلك

---

(١) كلمة لم أستطع قراءتها بالأصل .

الجمرة لتتقد ويطير عنها الغبار وتلك النفخة ، هو أمر من الله حتى يلطف لعبده من لطفه ليفي له بما توكل له من قوله ﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾ [الإسراء : ٦٥] وكفى بربك وكيلا ، ولذلك قال عبد الله رضي الله عنه حيث سئل عن الوسوسة فقال : ذاك برازخ الإيمان ، والبرزخ ما بين الشيئين فلما صار إيمانه ذا غبار رحم الله عبده فلطف له في تسليط الوسواس عليه ثم لطف له من حيث خفي على العباد بالعصمة فمنع كيده من أن يفسد عليه توحيده واهتاج الإيمان منكرا لما جاء به ونافرا عنه فطار عنه رماد الشهوات وغباره ودخانه واستوقدت [٢/ ٥١/أ] جمرة الإيمان فأضاءت الصدر ، فلذلك صار محض الإيمان ؛ لأنه في ذلك بلا رماد ولا دخان ، ففهم هذا المعنى الذي ذكرنا ثابت البناني رحمه الله فيما أحسبه ، فلذلك قال : اللهم زدنا منه . فإنما سأل الزيادة من ذلك اللطف الذي يلطف الله لعبده به ، والبرزخ الحاجز بين الشيئين ، فقد كان الإيمان ثابتا في القلب ، فلما جاءت الوسوسة كان أمر الله أسرع قد حل بين الوسوسة وبين الإيمان ليكون حاجزا كما دخل بين البحرين حاجز البحر العذب وبحر المالح وكليهما ملتصقان في رأي العين ، ولا يعذب المالح ولا يملح العذب ، وهو قوله تعالى : ﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾ [الرحمٰن : ١٩ - ٢٠] ، وقال تعالى : ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ﴾ [النمل : ٦١] فإنما هو لطفه حجز بينهما ، وقال : ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾ [الفرقان : ٥٣] ، فإنما قال رسول الله ﷺ : " ذاك محض الإيمان " لقولهم : لأن يقع أحدنا من السماء أحب إليه من أن يتكلم بما يجد في صدره ، فصير ذلك الذي وجدوا في نفوسهم من الأفكار محض الإيمان ، فبان بما قلنا أن صاحب الوسوسة إنكاره لما جاء به الوسواس فيه كفاية له ؛ لأن من شأن المعرفة أن ينكر غيره ، ومن شأن الإيمان أن ينفي الكفر ، ومن شأن التوحيد أن ينفي الشرك ، ومن شأن النور أن ينفي الظلمة ، ومن شأن الرب أن ينفي عدوه عن حريمه ، فإنما يجد المؤمن الإنكار على قلبه من أجل أن في قلبه معرفته وتوحيده والإيمان به ، وذلك من النور الذي استقر فيه ، وأن قلبه حريم الله وحوزه وبيته مدخره[١] ولم يكل القلوب إلى أحد من خلقه ، ولا لهم أن يطلعوا على ما فيها ، فلا يعلم مخلوق ما

---

(١) في (ص) " منتظره " .

فيها ، ولا يعلم أحد بذلك إلا الله ثم صاحبها بالإحساس ووجود البشرية ، فإذا جاء العدو بالكفر فإنما جاء بظلمة يريد أن يسرجها بالنور فلا يطيقه ولا سبيل له إلى ذلك ، وجاء بشك يريد أن يمزجه باليقين فلا سبيل له إلى ذلك ، وكما لا سبيل إلى من ينظر إلى شمس تضيء ، فقيل له : إن هذا كوكب أو إلي نهار(١) مبصر ، في قال : هذا ليل ، فكذلك لا سبيل للشيطان أن يدخل على التوحيد بشركه ، ولا على نور الله بظلمته ، ولا على حباله بحبالته ، ألا ترى إلى قول رسول الله ﷺ : " مثل المؤمن مثل الفرس في آخيته يحول ويجول ثم يرجع إلى آخيته " ، فالمؤمن يسهو ويسهو ثم يعود إلى إيمانه؛ لأن الله أخذ بقلبه وعرفه ، ولا ينكر القلب من عرف إذا كانت المعرفة صحيحة ، فإنكار المؤمن من نفار قلبه بما فيه من النور من ظلمة ما جاء به العدو فذاك محض الإيمان؛ لأنه إنما هاج إنكاره من اهتياج إيمانه ، وإذا اهتاج استنار وأشرق ، فلذلك صار محضا ، فيحق على المؤمن أن يقل عبؤه بوسوسته ، فأخسأ ما يكون إذا استحقرته ولم تعبأ به ، [٢/٥١/ب] فمن اعتراه ضعف في قلبه حتى يحزن ويخاف على نفسه فذاك لضيق صدره وقلة انشراح صدره وظلمة الشهوات والذنوب ، فإن وسوس إليه في التشبيه فالرد عليه أن يقول في نفسه : كل ما تصور في صدري فربي بخلافه ، فإنه لا يتصور في صدري إلا مخلوق أو نعته؛ لأن ما تصور في الصدر فله كيفية وربي لا يدرك كيف هو ولا مثل له ، فإذا تمثل في الصدر فهو غير ربي ، وإذا كان رجل مبتلى بهذا ومن كثرة ما يتردد في صدره يخاف على نفسه ولا يطمئن إلى السكون فليقل ما جاء عن رسول الله ﷺ : " الله ربي لا أشرك به شيئا " ، وإنما هذه كلمة تطيب بها نفسه بما ضاق منه صدره ليخرج من ضيقه بهذه الكلمة إلى السعة .

❁ ❁ ❁ ❁

---

(١) في (د) " نار " .

الأصل الرابع والعشرون والمائتان

١١٣٣ - حدثنا أبي رحمه الله ، ثنا الحماني ، ثنا ابن نمير ، عن موسى بن عبيدة ، عن إياس ابن سلمة بن الأكوع ، عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : " النجوم أمان لأهل السماء ، وأهل بيتي أمان لأمتي " .

فالنجوم هن الطوالع السوائر الغوارب ، وهن خمس : عطارد وبهرام وهو الذي يقال له المريخ بلغة أخرى ، وزحل ومشتري والزهرة وهن اللاتي ذكرن في التنزيل في قوله : ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ * ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ﴾ [التكوير : ١٥ - ١٦] : يتخنسن في ضوء النهار ويظهرن في سواد الليل ويكبسن أي : يفلن في مغاربهن ، ولذلك سمين نجوما ؛ لأنها تنجم أي تطلع من مطالعها في أفلاكها كالشمس والقمر ، وسائرها كواكب ، قال الله تعالى : ﴿ إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ * وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ﴾ [التكوير : ١ - ٢] أي : تناثرت وذهب ضوؤها وقال : ﴿ جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا ﴾ [الأنعام : ٩٧] ، فالاهتداء بالنجوم ، وجعل الكواكب زينة وقال : ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ ﴾ [الصافات : ٦] ، وقال : ﴿ وَلَقَدۡ جَعَلۡنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴾ ، فالكواكب معلقات من السماء كالقناديل ، والنجوم لها مطالع ومغارب تنجم وتغرب ، فهن أمان لأهل السماء ، فإذا هَبت[1] أتى السماء ما توعد ؛ لأنه قد ذكر في تنزيله فقال : ﴿ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ﴾ [التكوير : ٢] ﴿ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ ﴾ [التكوير : ١١] أي : نزعت ، فقد ذهبت مقاومهم ومصافهم ، وعلى هذا تأويل قول رسول الله ﷺ : " مثل أصحابي مثل النجوم بأيها اقتديت اهتديت " .

فليس كل من لقي رسول الله ﷺ أو بايعه أو رآه رؤية واحدة يدخل في الصحبة ، إنما أصحابه من لازمه غدوة وعشيا وعرف بصحبته فكان يتلقى الوحي منه طريا ويأخذ عنه الشريعة التي جعلت منهجا للأمة وينظر منه إلى أدب الإسلام وشمائله ، فصاروا من بعده أئمة أدلة ، فبهم الاقتداء وعلى سيرتهم الاحتذاء ، فكانوا يمسون عنده ويصبحون عنده يدعون ربهم بالغداة والعشي ، وأثنى عليهم في تنزيله ، وأمر نبيه ﷺ بالصبر معهم ، فقال : ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ

(١) في (ص) " ذهب " .

وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ [٢/ ٥٢/أ] تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [الكهف : ٢٨] .

١١٣٤ـ حدثنا الجارود ، ثنا يحيى بن الحكم ، ثنا خلف بن خليفة ، عن أبي هاشم ، عن سعيد بن جبير في قوله : ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ ﴾ [الكهف : ٢٨] ، قال : المخاطبة في الحلال والحرام ، فقوله : " مثل أصحابي مثل النجوم " تأويله عندنا – والله أعلم – أنه إنما عنى به أولئك الذين صحبوه بدوام الصحبة ولزموه في الحضر والسفر ، وفقهوا في دين الله وعرفوا الناسخ والمنسوخ والسنن حتى صلحوا من بعده للخلافة ، وكانوا خلفاء مهديين وأمراء في الأمصار مرضيين ، فهم الذين بأيهم اقتديت اهتديت مثل أبي بكر وحمزة وعثمان وعلي وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد وأبي[1] عبيدة ومعاذ وابن مسعود وأبي[2] الدرداء رضي الله عنهم ، وأشباههم ممن قد عرفوا بالفقه في دين الله والصحبة لرسول الله ﷺ ، فهم النجوم الأدلة ، فإنما شبههم رسول الله ﷺ بالنجوم ، والكواكب ليست بأدلة ولا بهم اهتداء ، وهؤلاء القوم من أصحابه هم قليل عددهم كالنجوم لأنهم أهل بصائر ويقين ، وإنما جاز لهم اجتهاد الرأي بفضل اليقين والبصائر ، فلما اختلفوا في اجتهادهم كان كل من أخذ بقول من أقوالهم تقليدا له كان مهتديا إذا لم يكن من أهل النظر والتمييز ، ومن كان من أهل النظر فاستنبط واختار قولا من أقوالهم مجتهدا كان له ذلك ، فأما من لم يكن له صحبة وإنما رآه رؤية واحدة مثل طارق بن عبد الله المحاربي ومثل رويفع بن ثابت البلوي ومثل نبيشة الهذلي رضي الله عنه فهؤلاء مثل الكواكب يضئن لأنفسهن ، وليسوا بأدلة ولا بأئمة .

وأما قوله : " أهل بيتي أمان لأمتي " فإن أهل بيته من خلفه من بعده على منهاجه وهم الصديقون ، وروي في الخبر أن الأرض شكت إلى ربها انقطاع النبوة فقال : سوف أجعل على ظهرك أربعين صديقا كلما مات منهم رجل أبدلت مكانه رجلا ، ولذلك سموا أبدالا ؛ بدل الله أخلاقهم فطيبها وطهرها وصفاها ، وكلما مات رجل أبدل مكانه مثله قد هيأه لذلك ورباه وهذبه وأدبه حتى يقوم مقامه ، فهم أوتاد

---

(١) في (ص) " أبو " .

(٢) في (ص) " أبو " .

الأرض وبهم تقوم الأرض وبهم تمطرون[١] .

١١٣٥ـ **حدثنا** عمر بن يحيى بن نافع الأيلي ، ثنا العلاء بن زيد ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : الأبدال أربعون رجلا ، كلما مات واحد بدل آخر ، فإذا كان عند القيامة ماتوا كلهم ، اثنان وعشرون منهم بالشام وثمانية عشر بالعراق .

١١٣٦ـ **حدثنا** حميد بن الربيع اللخمي ، ثنا زيد بن حباب ، حدثني عمر البزاز جليس حماد ابن سلمة ، ثنا الحسن بن ذكوان ، عن عبد الرحمن بن قيس ، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " الأبدال ثلاثون رجلا قلوبهم على قلب إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، إذا مات رجل منهم أبدل مكانه آخر " ، فليس في [٢/ ٥٢/ ب] الحديثين اختلاف وإنما هم أربعون رجلا ، فثلاثون منهم قلوبهم على قلب إبراهيم .

وكذلك روي لنا عن أبي الدرداء ،

١١٣٧ـ **حدثنا** بذلك عبد الرحيم[٢] بن حبيب الفاريابي ، ثنا داود بن محمد ، عن ميسرة ، عن أبي عبد الله السامي ، عن مكحول ، عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : إن الأنبياء كانوا أوتاد الأرض ، فلما انقطعت النبوة أبدل الله مكانهم قوما من أمة أحمد يقال لهم الأبدال ، لم يفضلوا الناس بكثرة صوم ولا صلاة ولكن بحسن الخلق وصدق الورع وحسن النية وسلامة القلوب لجميع المسلمين ، والنصيحة لهم ابتغاء مرضاة الله بصبر وحلم ولب وتواضع في غير مذلة ، فهم خلفاء من الأنبياء ، قوم اصطفاهم الله لنفسه واستخلصهم بعلمه لنفسه ، وهم أربعون صديقا ، منهم ثلاثون رجلا على مثل يقين إبراهيم خليل الرحمن ، بهم يدفع المكاره عن أهل الأرض والبلايا عن الناس ، وبهم يمطرون ويرزقون ، ولا يموت الرجل منهم حتى يكون الله قد أنشأ من خلقه من يخلفه .

١١٣٨ـ **حدثنا** أبي رحمه الله ، ثنا عبد العزيز بن المغيرة البصري ، ثنا صالح المري ، عن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ : " إن بدلاء أمتي لم يدخلوا الجنة بكثرة صوم ولا صلاة ، ولكن دخلوها برحمة الله وسلامة الصدور وسخاوة الأنفس والرحمة لجميع المسلمين " .

---

(١) في (د) " يمطرون " .

(٢) في (د) " عبد الرحمن " .

١١٣٩ـ حدثنا علي بن حجر ، ثنا إسماعيل بن عياش قال : حدثني صفوان بن عمرو ، عن شريح بن عبيد الحضرمي ، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " إن الأبدال يكونون بالشام ، وهم أربعون رجلا ، كلما مات منهم رجل أبدل الله مكانه رجلا ، يسقي بهم الغيث وينصر بهم على الأعداء ، ويصرف عن أهل الأرض بهم البلاء " ، فهؤلاء أهل بيت رسول الله ﷺ وأمان هذه الأمة ، فإذا ماتوا فسدت الأرض وخربت الدنيا ، وهو قوله تبارك وتعالى : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾ [البقرة : ٢٥١] ، فبهم يدفع الله عن أهل الأرض ، وهو قوله تعالى : يا موسى لولا من يحمدني من خلقي ويوحدني لسيلت جهنم على الأرض تسييلا . فخالص الحمد وخالص التوحيد على الحقيقة لهؤلاء الأربعين .

والبيت من تبوئة الذكر وإن رسول الله ﷺ بعث ليبوئ ذكره في الأرض فطرد من حرمه ولم يئوه ، فجعل الله له مهاجرا ومستقرا ، فمن هاجر إليه فأووا إليه ولزموه فصاروا أهل الذكر فهم أهل بيته ، ومن أوى إليه ولم يصر من أهل الذكر فهم ليسوا من أهل البيت وهم من أصحابه وأتباعه ، وإنما يكون من أهل التبوئة من بوأ لذكره على طريقه .

قال له قائل : وكيف ذلك ؟ قال : إن الذكر قد اشترك فيه الجميع حتى المنافق ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء : ١٤٢] ، فقال الحسن البصري : إنما قل لأنه كان لغير الله ، فذاك وإن كثر منه فهو قليل ، وكذلك من المخلط وإن كثر فهو ضعيف سقيم ، وكلٌ إنما يصفو [٢/ ٥٣/ أ] ذكره على قدر صفاء خلقه وطهارة قلبه ، والذكر المغشوش من الإيمان المغشوش .

قال له قائل : وكيف يكون إيمان مغشوش؟ قال : كما قال رسول الله ﷺ لسلمان : " قل : اللهم إني أسألك صحة في إيمان " ، فهل يسأله الصحة إلا من السقم؟ فسقم الإيمان أن يمازحه الهوى وهو شهوة النفس حتى يميل به عن الله ويثقله عن أمره ويشغله عنه ويلهيه عن ذكره ، قال الله تعالى : ﴿ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [المنافقون : ٩] ، والإيمان هو طمأنينة القلب إلى الله في كل أموره ، فإذا آمن به جملة ثم مال يمينا وشمالا ليطمئن إلى الأسباب والخلق فذاك غش الإيمان قد خلط به ما ليس منه ، فالأنبياء

والأولياء من بعدهم قد اطمأنوا إليه ، فإقدامهم بين يديه كالجبال الرواسي وهو نصب أعينهم يراقبون ما يخرج من عجيب الغيب من مشيئته وتدبيره ، فإنه كل يوم هو في شأن ، فيقبلون منه اهتشاشا وتسارعا ونفوسهم ألين بمشيئاته وأحكامه وتدبيره من الدهن باللبن ، قد أخبتوا له وانخشعت نفوسهم ؛ لأن شهواتهم قد ماتت من هيبة جلاله ، فالمستحقون للذكر هم أهل الذكر .

قال له قائل : ومن المستحقون للذكر ؟ قال : من ذكر بحقيقة الذكر ، قال : وكيف حقيقة الذكر ؟ قال : أن لا يبقى على قلبه مع ذكره في ذلك الوقت ذكر نفسه ولا ذكر مخلوق فذاك الصافي ، قال : ويكون هذا ؟ قال : وكيف لا يكون ، وإنما هو قلب واحد ، فإذا شغل بشيء ذهل عما سواه ، هذا موجود في المخلوقين ؛ لو أن رجلا دخل على بعض ملوك الدنيا وسلطانها لأخذه من هيبته ما لا يذكر في ذلك الوقت غيره ، أو سئل : من كان معك في المجلس . فقال : لا أدري . لعذر في ذلك ، هذا في سلطان كائن موجود ، فكيف بمالك الملوك إذا انكشف لك الغطاء عن جلاله ، وحل بقلبك هيبته ، وعمل في صدرك سلطانه ، وطالع قلبك كبرياؤه وعظمته ، لو كان فيك عقل مائة ثم شغل عن ذلك كله به حتى لها عن سواه ما كان بمستنكر ، فكلما كان عقله أوفر كان الاشتغال به أشد وأكثر ، فهذا الذكر الصافي - يحقق ما قلنا حديث عمر عن رسول الله ﷺ يقول الله تعالى : من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين . هذا فيمن شغله ذكر الخالق ، فكيف بمن شغله الخالق بأنسه؟ هذا فيمن شغله الخالق بأنسه ، فكيف بمن شغله الخالق بجلاله وجماله؟ هذا فيمن شغله الخالق بجلاله وجماله؟ فكيف بمن شغله الخالق في فردانيته بنفسه في وحدانيته؟ ولهذا ما قال رسول الله ﷺ [٢/ ٥٣/ ب] : " سيروا ، سبق المفردون " ، قيل : يا رسول الله ، ما المفردون ؟ قال : " الذين انفردوا في ذكر الله يأتون يوم القيامة خفافا يضع الذكر عنهم أثقالهم " ، فالمهتر الذي إذا نطق عن ربه يشبه كلامه كلام من لم يستعمله عقله ؛ لأن العقل يخرج الكلام على اللسان بتدبير وتؤدة وتأني ، وهذا المهتر إنما ينطقه ربه ، فكأنه الماء على لسانه يجري حتى يشبه الهذيان في بعض أحواله عند العامة ، وهو في الباطن مع الله من أصفى الناطقين وأطهرهم وأصدقهم ، ومن ذلك قيل : المتهاتر إذا قال قولا بالعجلة بلا

نظام يشبه الجزاف ، والمهتر في اللغة الشيخ الكبير الذي قد أفند عقله وهو يهتر في الكلام كالخرف ، فهذا قد أفند عقله للكبر الذي قد حل به فلا يعمل عقله في الأول ، وقد خمد نور عقله لنور وجهه الكريم ، فلا يعمل عقله ذلك العمل ، فالذي خمد عقله للكبر لا يستوجب العصمة والحفظ والتأييد ، فالذي خمد عقله للكبر بمنزلة قمر حل به كسوف فذهبت منفعته ، والذي خمد عقله للقربة والنور الذي حل به بمنزلة قمر طلعت عليه شمس فخمد نور القمر لضوء الشمس ولم يعمل شيئا ، فبيت رسول الله ﷺ هو مستقره ومبوأ ذكره ، وهو كما قال الله في تنزيله : ﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ ﴾ [يونس : ٩٣] وهي الأرض المقدسة ، فبعث رسول الله ﷺ ليبوئ لذكره في أرض الله فبدأ بمكة فطرد وبقي الذكر ، قال الله تعالى : ﴿ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴾ [الأنعام : ٨٩] ، وهم المهاجرون والأنصار ، فتبوءوا الدار والإيمان فصاروا أهل بيت رسول الله ﷺ لتبوئة الذكر ، والأهل والآل بمعنى واحد ، والهاء والهمزة أختان تجزي إحداهما عن الأخرى ، فإنما قيل : أهل؛ لأنه حيثما ذهب فهو راجع إلى ذلك المستقر ، وكذلك الآل حيثما تفرق ، فالنسبة تئول إلى الأصل ، فأهل البيت كل من رجع نسبه إليك من الأصل ، وأما أهل بيت الرسول ﷺ فهو كذلك أيضا ، إلا أن الرسول ﷺ قد أخذه الله من خلقه فاختصه لنفسه واصطنعه واصطفاه لذكره ، فكان في كل أمر قلبه راجع إلى الله ، من عنده يصدر ومعه يدور وإليه يرجع ، فكان هذا أشرف وأعلى من البيت الذي هيأ له في أرضه من النسبة ، فكان هذا البيت عاليا على ذلك البيت ، ألا ترى أنه غلب على بقية ما أكرمه الله به من النسبة ، فمن قبل ذلك كان يقال : محمد بن عبد الله ، فإذا نسب إلى فعل قيل : محمد الأمين ، فلما جاءت الكرامة غلب على اسمه هذا الاسم فقيل : نبي الله ورسول الله ، فكذلك هناك كان له بيت النسبة وأهل بيت النسبة ، فلما جاءه بيت الكرامة والنبوة فغلب على ذلك البيت كان كل من كان راجع قلبه إلى الله على طريقه من أهل ذلك البيت ، فأهل بيته هم الأربعون [٢/ ٥٤/أ] الذين خلفوه من بعده حتى تقوم بهم الأرض ويمطرون ويرزقون قاموا مقامه ، ولو كان كما ذهب إليه هؤلاء المفتونون بخدع الشيطان في صدورهم إذًا لاستحال ، وذلك أنه روي في الحديث : " فإذا ذهب أهل بيتي أتى

أمتي ما يوعدون " ، فكيف يذهب أهل بيته حتى لا يبقى منهم أحد وذريتهم ونسلهم أكثر من أن يحصى في الأرض وبركة الله عليهم دائمة ورحمته مظلة من فوقهم ، ذلك لتعلم أن أهل بيته هؤلاء الأربعون الذين هم أهل الذكر الصافي ، بهم تقوم الأرض وهم أوتاد الأرض وخلف النبيين ، فإذا كان في دنو الساعة أماتهم في يوم واحد فيذهب نورهم من الأرض ، وذهبت الأدلة والأعلام فأتى أهل الأرض ما يوعدون ، كما أن النجوم إذا تهافتت وانكدرت أتى أهل السماء ما يوعدون .

قال له قائل : قد ذهب قوم إلى أن أهل بيته الذين عناهم في الحديث هم أهل بيته في النسبة ، قال : هذا مذهب لا نظام له ولا وفاق ولا مساغ ، وذلك أن أهل بيته بنو هاشم وبنو عبد المطلب وبنو أمية وبنو عبد مناف ، فمتى كان هؤلاء أمانا لهذه الأمة حتى إذا ذهبوا ذهبت الدنيا؟ إنما يكون هذا لمن به تقوم الدنيا وهم أعلامه وأدلة الهدى في كل وقت ، فإذا تفانوا لم يبق لأهل الأرض حرمة فعمهم البلاء ، ومن قال : إن أهل بيته ذريته ، فموجود في ذريته الميل والفساد ، وكما يوجد في غير ذريته فمنهم المحسن ومنهم المسيء ، فبأي شيء صاروا أمانا لأهل الأرض ؟ فإن قال : بحرمة رسول الله ﷺ ، فحرمة رسول الله ﷺ عظيمة جليلة ، وفي الأرض ما هو أعظم من حرمة ذرية رسول الله ﷺ وهو كتاب الله ، فلا نجد ذكره في الحديث ، وإنما الحرمة لأهل التقوى ، وإنما عظمت حرمة رسول الله ﷺ بفضل النبوة وما أكرمه الله به .

١١٤٠ـ حدثنا صالح بن عبد الله ، ثنا أبو صيفي الواسطي ، عن سعيد المقبري ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : دخل رسول الله ﷺ على فاطمة وعندها صفية عمة رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ : " يا بني عبد مناف ، يا بني عبد المطلب ، يا فاطمة بنت محمد ، يا صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله ، اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئا ، سلوني من مالي ما شئتم ، واعلموا أن أولى الناس بي يوم القيامة المتقون ، وإن تكونوا أنتم مع قرابتكم فذاك ، لا يأتيني الناس بالأعمال وتأتوني بالدنيا تحملونها على أعناقكم فتقولون : يا محمد ، فأقول هكذا ، ثم تقولون : يا محمد ، فأقول هكذا؛ أعرض بوجهي عنكم ، فتقولون : يا محمد أنا فلان ابن فلان ، فأقول : أما النسب فأعرف وأما العمل فلا أعرف ، نبذتم الكتاب فارجعوا فلا قرابة بيني وبينكم " .

١١٤١ـ حدثنا الفضل بن محمد ، ثنا الحسن بن علي الحلواني ، ثنا يحيى بن معين ، ثنا

محمد بن جعفر ، ثنا شعبة ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم ، عن عمرو بن العاصي رضي الله عنه [٢/ ٥٤/ ب] قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول جهارا غير سر : " ألا إن أوليائي منكم ليسوا ببني فلان ولكن أوليائي منكم المتقون من كانوا وحيث كانوا " .

وإن هذه الطبقة الزائفة قلوبهم المفتونة بحب أهل بيت رسول الله ﷺ نسبا ما زالت بهم فتنتهم حتى عمدوا إلى كل شيء من مثل هذه الأشياء فنسبوه إليهم وحرموا غيرهم ذلك إعجابا بهم وفتنة ، وإن الله تعالى فضلهم بأن طيب عنصرهم وطهر أخلاقهم فاختار قبيلتهم على القبائل بذلك فلهم حرمة التفضيل والأثرة ولهم حرمة الاتصال برسول الله ﷺ ، فيحق علينا أن نحبهم حبا لا يرجع علينا بوبال وظلمة ، فإن النفس قرينها الشيطان وهي أرضية شهوانية خفيفة تخف بزينتها وهواها فتميل مع كل ريح شهوة فجاءت بأحاديث مختلقة وأكاذيب تنكرها عقول الصادقين ، حتى أداهم ذلك إلى أن طعنوا إمارة الشيخين المهديين المرضيين الذين كان علي رضي الله عنه يؤدب وينكل من فضله عليهما ويقول : لا أجد أحدا يفضلني عليهما إلا جلدته حد المفتري . فبلغ من إفراط هذه الطبقة أن رووا أحاديث مختلقة حتى رووا أن محمدا ﷺ يبعث لمقام الشفاعة على ألف مرقاة من منبره وعلي إلى جنبه دونه بمرقاة ، فيناوله الله مفاتيح الجنان فيناولها عليا رضي الله عنه فيدخل من شاء ، فبمثل هذا يريدون أن يقيموا لعلي رضي الله عنه فضلا ، وقد فضل الله عليا رضي الله عنه بأشياء كثيرة قد أغناه الله عن مثل هذه الأكاذيب ، فتركوا لظلمة قلوبهم تلك الأشياء وأقبلوا على الكذب والزور بشقاء جدهم وزيغ قلوبهم وتأولوا قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٣٣] أن أهل البيت إنما هو علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم ، فهي لهم خاصة ، وكيف يجوز هذا ومبتدأ الخطاب بيّن وهو كلام منسوق بعضه على إثر بعض إلى آخره ، فكيف يتصرف في الوسط إلى غيرهم وهو على نسق ونظام واحد فقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۞ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ ثم قال : ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ

يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا * وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴾ ، ثم قال : ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّۚ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا * وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا * وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى [٢/ ٥٥/ أ] بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِۚ ﴾ [الأحزاب : ٢٧ - ٣٤] فكيف صارت هذه المخاطبات كلها لنساء النبي صلي الله عليه وسلم قبلا وبعد ، وصار في وسط كلامًا منفصلاً لغيرهن والكلام منسوق متصل بعضه ببعض أليس هذا عنادًا ومكابرة واستبدادًا ، وإنما ينظر في هذا إلي اللغة المعقولة وما عليه بني الكلام ولا ينبغي أن نترك الأصل المنير بقول الكلبي وأشباهه من هؤلاء المفتونين فإنا نجد للكلبي أشياء في هذا التفسير ما لو كان في زمن السلف الصالح لمنعوه عن ذلك وحجروا عليه ، وإنما يروج الكلبي وأشباهه مثل هذا علي هؤلاء الأغنام من متحلة العلم الذين دخل عليهم هذا السواد في البياض اقتصروا عليه وغاب عنهم ما في بياض ذلك السواد ، فرب كلمة منها . . . (١)

بما فيها تملأ واديا فيصير نهرًا ، وما من علم ظاهر إلا وله حكمة والحكمة ما بطن يؤتيه من يشاء ، قال الله جل ذكره ﴿ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًاۗ ﴾ [البقرة : ٢٦٩] فالعلم الظاهر هو هذا الذي سودوه من هذا البياض بالتخليط وغاب عنهم أصل العلم وعجزت أفهامهم ذالا فكيف يجوز أن يروح عليهم مثل هذه الأشياء ، فيقال : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ﴾ [الأحزاب : ٣٣] إنها نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين خاصة والخطاب موصول بعضه ببعض من قوله : ﴿ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ﴾ [الأحزاب : ٣٣] فقوله : ﴿ عَنكُمُ ﴾ هذا الكاف كاف الخطاب علي ما يقع ، ثم قال علي إثره ﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ ﴾ [الأحزاب : ٣٤] فكيف صار هذا الكاف الثاني خطابًا للنساء والخطاب الأول لعلي

---

(١) كذا بالأصل .

وفاطمة وأين ذكرهما في هذه الآيات وإنما هذا شيء حوي في الأخبار أن رسول الله صلي الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية دخل عليه علي وفاطمة والحسن والحسين فعمد النبي صلي الله عليه وسلم إلي كساء فلفها عليهم ثم ألوي بيده إلي السماء فقال : " هؤلاء أهلي اللهم اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا " ، فهذه دعوة من رسول الله صلي الله عليه وسلم لهم بعد نزول الآية أن يدخلهم في الآية التي حوطت بها الأزواج فذهب المفتون فصيرها لهم خاصة فهي دعوة لهم خارجة من التنزيل .

١١٤٢ـ **حدثنا** بذلك صالح بن محمد ثنا عبد الحميد بن بهرام ثنا شهر بن حوشب قال : سمعت أم سلمة تذكر ذلك عن رسول الله صلي الله عليه وسلم .

قال له قائل : فإن كان الخطاب لنسائه فكيف قال : ﴿ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ﴾ [الأحزاب : ٣٣] ولم يقل : عنكن ، فأخرج الكلام علي مخرج التذكير ، والجواب له في ذلك : أنه لما ذكره وقال : ﴿ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ﴾ [الأحزاب : ٣٣] فإنما ذكره لقوله " أهل " فالأهل مذكر فسماهن وإن كن إناث باسم التذكير فلذلك صار ﴿ عَنكُم ﴾ .

الأصل الخامس والعشرون والمائتان

١١٤٣ـ [٢/٥٥/أ]حدثنا عمر بن أبي عمر ثنا سهل بن تمام البصري عن سوار أبي حمزة[١] عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " إذا اجتمع القوم في سفر فليجمعوا نفقاتهم عند أحدهم فإنه أطيب لنفوسهم وأحسن لأخلاقهم " .

فهذه النفوس فيها ضيق وجهل ووسواس وللشيء عندهم قدر وذلك لضعف يقينهم وظلمة صدورهم وما أتى الشح والبخل والسرقة والتعظيم للشيء إلا من قلة اليقين يريك ما في الملكوت فيصغر عندك الدنيا بما فيها وتدق في جنبه ، فضعف اليقين يعجزك عن رؤية الآخرة وعن رؤية عظيم ما في الملكوت ، واليقين نور من نور الله في قلبك فإذا تمكن في قلبك صارت عين قلبك ذات بصيرة فأبصرت الغيب بذلك النور كما أن بصر عين الرأس يريك الأشياء في الدنيا ، وبين اليقين تفاوت للعباد كما قد تري الرجل يبصر الكواكب قد تري الرجل يبصر الكواكب بالنهار وأخر لا يرها إلا بالليل حين يظلم ، فهذا لضعف بصره وذلك لقوة بصره فكذلك يعد عين القلب إنما يقوي بنور اليقين الذي في قلبه ألا تري إلي قول رسول الله صلي الله عليه وسلم في خطبته " وخير ما ألقي في القلب اليقين " .

وقوله : في حديث أبي بكر رضي الله عنه عن رسول الله صلي الله عليه وسلم : " إن الناس لم يعطوا شيئًا خيرًا من اليقين والعافية فسلوها الله " فأوفرهم حظًا من اليقين أكثرهم معرفة ، وأغزرهم علمًا بما في الملكوت وأخشاهم لله تعالى أعلمهم بتدبير الله ، وأغناهم بغنى الله .

فهذا قليل في الناس والعامة من الناس قد عجزت عن هذا لما يرون الأشياء بالأسباب وبذلك تعلقت قلوبهم ومنها افتتنوا حتي عصوا الله في جنبها فمحال أن لا يكون المشي عندهم قدر وإنما عصوا الله طائفة من المتقين لحزن العقاب فصارت لهم عصمة عن تناول حرامها وأوساخها ثم هم مع ذلك في الفتنة إلي الخلق إنما يغضبون ولها يرضون وبها يفرحون ومن أجلها يحزنون عظم قدر ما أيديهم من هذا الحطام

(١) في (ص) " سوار بن حمزة " .

عندهم حتي لا تسخو نفس أحدهم أن يخرج مما في يديه . . . [(١)] إلا يقربون . قال له قائل : المقربون ، قال : الديون بالأعجمية ألم تر إلي الرجل يستصنع صانعا شيئًا وبين له المقدار ليتخذه له فيعطيه العربون فإنما أخذ منه العربون لأنه لم يسكن قلبه علي ما وصف عليه خاف أن يتركه عليه فأخذ منه العربون وثيقة ليأمن من تركه كأنه قد عجل له بعض ثمنه .

فكذلك هذه الطبقة لا تسخو نفوسهم علي إخراج درهم مما في يده إلا علي ذكر الخلف من الله أن يخلفه له في دنياه ، كما وعده في تنزيله من قوله : ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ﴾ [سبأ : ٣٩] وعلي ذكر الثواب أن يعطيه في الآخرة قصورًا ودورًا زخرفًا وسرورًا ، فهذا عربون أهل النميمة لم تسخُ نفوسهم علي اتفاق جوارحهم وأعمالهم لله في شيء من أعمال اليقين [٢/٥٦/أ] إلا على طمع نوال الثواب غدًا من الله ولم ينتهوا عن محارم الله إلا علي خوف العقاب من الله ، فهؤلاء عبيد عبدوا الله من أجل نفوسهم لم تأخذهم هيبة عظمته وسلطان كبريائه فيركض بهم في ميدان الطاعة ركضا ، وتركض بهم في ميدان المعرب عن مساخطه ركضا إجلالا لرؤية الله تعالى إياهم على الأحوال وتوخيا لمحابه وتلذذا لعبودته فإذا اجتمعت هذه الطبقة التي للشيء عندهم قدر في سفر فانفرد كل واحد منهم بطعامه كانت في ذلك وحشة ونزعت البركة ، وليس ذلك من خلق الإسلام وفيه ذهاب الألفة وظهور الفرقة .

وروي عن رسول الله صلي الله عليه وسلم " أن أحب الطعام إلي الله ما كثرت عليه الأيدي " .

وروي عن أبي أمامة رضي الله عنه في قوله تعالي ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴾ [العاديات : ٦] قال : " الكنود الذي يأكل وحده ، ويمنع رفده ، ويضرب عبده " .

١١٤٤ـ **حدثنا** بذلك الجارود ثنا أبو قطن عمرو بن الهيثم ثنا جرير بن عثمان عن حمزة بن هانئ قال سمعت : أبا أمامة رضي الله عنه فذكر نحوه .

١١٤٥ـ **حدثنا** عبد الوهاب بن فليح ثنا عبد العزيز بن عبد الصمد ثنا هشام أبو المقدام عن

(١) كلمة لم أستطع قراءتها بالأصل .

محمد بن كعب عن ابن[1] عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : " ألا أنبئكم بأشراركم؟ قالوا بلي يارسول الله ، قال : من أكل وحده ومنع رفده وجلد عبده " .

فالأكل وحده في صورة أهل البخل والدناءه ، فإذا أنفق علي الجماعة ولم يقم لذلك عجز عنه ، . . . [2] في ذلك ما ندبهم إليه رسول الله صلي الله عليه وسلم أن يجمعوا نفقاتهم إلي أحدهم حتي ينفقها عليهم فكيف أطيب لنفوسهم وأحسن لأخلاقهم ، فكل أحد إنما أخرج من يده مقدار كفايته لم يزد علي ذلك وهو طيب النفس بذلك ، ولا يجنشم[3] من الأكل لأنه إنما هو عند نفسه أكل شيئه ولو أنفق واحد واحد لآ حتشم أحدهم من صاحبه واستحيا ونقل عليه حتي تجيء نوبته وربما ذهبت النوبة وانقطع السفر ، بقي ما دل عليه رسول الله صلي الله عليه وسلم مسكن للنفوس من وجهين جميعًا من وجه الحشمة ومن وجه . . . [4] فالنفوس ساكنة والأيدي مجتمعة والألفة باقية والبركة نازلة وخلق الإسلام باق وإنما سمي بهذا لنهود النفوس إليها ، وينهد أي : يتسارع ويخف إلي هذا البعل ، وإنما بعث الله الرسل ليدلوا الخلق إلي أشرف الأمور وأكرمها ، وقد سبق ذكر هذا النهد في التنزيل فيما اقتص الله علينا في شأن أصحاب الكهف من قولهم ﴿ فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ ﴾ [الكهف : ١٩] فنسب الورق إليهم كلهم فكأنه دل علي أنهم اجتمعوا علي النفقة فبعثوا أحدًا منهم بورقهم في شراء ما بهم إليه حاجة من الطعام وفي [٢/ ٥٦/ ب] هذا دلالة لصحة الوكالة أن الوكيل قد يجوز أن يشتري لغيره ويتوكل له في أموره ، فيجوز عليه ، وإنما هذا القول في شأن النهد من رسول الله صلي الله عليه وسلم لعامة من عنده ، فأما الكرام ملوك الدين فهم أرفع شأنا من أن يتناهدوا لأن قدر الشيء عن قلوبهم ساقط ، ومن

---

(١) في (ص) " ابني " .

(٢) كلمة لم أستطع قراءتها بالأصلين .

(٣) كذا بالأصل .

(٤) كلمة لم أستطع قراءتها بالأصلين .

طبيعتهم السخاء والجود فقل ما يجري فيما بينهم إذا انفردوا عن العامة وزن وعدة وتفقد ، إنما الوزن والعدد والتفقد للعامة إلا من عظم شأن ذلك عندهم وحل من قلوبهم محل الفتنة ، فأما أهل اليقين فهم في خلو من هذا فيما بينهم إذا انفردوا عن الناس وعلي صدق الأخوة تجري أمورهم يأخذ أحدهم من مال أخيه عند الحاجة ، وإنما طابت نفوسهم بذلك لأنه لا يمد أحدهم يده إلي مال أخيه [لا][1] لرغبة فيه ولا شهوة ولا لقضاء نهمة إنما يتناول لله فقد عرف أخوه ذلك منه وأمنه على نفسه وماله وشهد له قلبه بالشفقة والعطف والرحمة فلا يتهمه على نفقه ولا على إمساك .

١١٤٦ـ حدثنا أبو هشام الرفاعي ثنا ابن يمان ثنا عمار بن عمر عن الحسن رضي الله عنه قال : إن كان الرجل ليدخل يده في كيس أخيه فما يسأله كم أخذت .

١١٤٧ـ حدثنا أبو هشام الرفاعي ثنا ابن يمان ثنا شيخ قال : قال أبو جعفر رضي الله عنه : أيدخل أحدكم يده في كيس أخيه؟ قلنا : لا ، قال : لستم بأخوة .

١١٤٨ـ حدثنا أبي رحمه الله ثنا ثابت بن محمد الزاهد ثنا ابن إدريس عن خالد بن أبي كريمة عن أبي جعفر قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ليس لي ثوب أتواري به ، قال : فما لك جيران ؟ قال : بلى ، قال : فهل أحد منهم له ثوبان ؟ قال : نعم ، قال : فيعلم أن لا ثوب لك ؟ قال : نعم ، قال : فيعود عليك بأحد ثوبيه؟ قال : لا ، قال : ما ذاك بأخ .

وروي عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أنه دخل على عمر رضي الله عنه وهو يصلي فعمد إلى مزوده فأخذ منه سويقا أو تمرا فأكله ، فأعجب ذلك عمر رضي الله عنه . وروي عن الحسن البصري رضي الله عنه أنه فعل ذلك .

وروي عن أبي[2] أيوب السختياني رحمه الله أنه دخل كَرْم صديق له فأكل منه بغير إذن . وتأول قول الله تعالي في كتابه ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ ﴾ إلي قوله ﴿ أَوْ صَدِيقِكُمْ ﴾ [النور : ٦١] فإنما كف الناس من بعد مضي السلف من أجل تغيير القلوب ، فلم يأمن بعضهم

---

(١) ما بين المعقوفين سقط من (ص) .

(٢) في الأصلين " أبو " .

بعضا لفقد الرحمة والعطف وذهاب الألفة وظهور الحسد والآفات ، فامتنعوا من أن يتناول أحدهم من شيء صاحبه إلا بإذنه ومن بعد الإذن أيضا تأني ونظر واحتياط وحذر ، ولم يبق لأحد على أحد من ولايه ثقة في زماننا ، هذا وما أعلمه إلا لأولئك الأربعين الذين بهم تقوم الأرض وهم البدلاء العارفون المقربون المبروءن من الآفات الذين دقت الدنيا في جنب الآخرة في أعينهم ، ودقت الآخرة في جنب ملك الله تعالى وعظيم ما أبرز من غيبه ودق ما أبرز من ملك في جنب عظمته وجلاله فهم الذين لا قسمة بينهم ولا وزن ولا عدد يتناول [٢/ ٥٧/ أ] أحدهم من ملك أخيه ما شاء من غير إذن ، لأن إذنه قد ظهر منه له مرة ، وإنما انتفى الإذن من أجل طيب النفس ، فإذا كانت منية نفسه تناول أخيه من ماله ، فالإذن قد عم وظهر .

١١٤٩ـ وحدثنا الجارود ، ثنا جرير ، عن مغيرة ، قال : كان رسول الله ﷺ يعمل في مال أبي بكر كما يعمل في مال نفسه ، فإنما كان يفعل ذلك لما قد عرف منه ، ألا ترى أنه لما قال لهم : " تصدقوا " . فجاء أبو بكر بماله كله ، فقال : " يا أبا بكر ، ما تركت لأهلك ؟ " . قال : الله ورسوله .

فهل كان يفعل في مال غيره مثل ذلك ، فإنما صارت مخالطة المتبوع على السخاء أطيب ، والتناول من شبيبه أشهى ، والأكل من طعامه أحلى وأطيب من أجل سقوط قدر ذلك عن قلبه ، ولا يكاد أهل الانتباه واليقظة يدخلون بيوت البخلاء ويتناولون من أطعمتهم ، إلا ويجدون ثقل ذلك على قلوبهم ويفتقدون ذلك الطيب وتلك الحلاوة واللذة من طعامهم ؛ والقلوب تجيش بما في نفوسهم من تلك الأمة التي ذكرها الله تعالى في تنزيله فقال : ﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٥٩] .

وروي في الخبر أن رسول الله ﷺ لما أسري به نزل عليهم جبريل حين رجع حتى أقرأهم عشر سور من القرآن ، وعلمهم الشريعة ومستقرهم بأرض الصين من وراء نهر الرمل ، فذكر أنه سألهم عن معاشهم ، فقالوا : نزرع ونحصد ونجمعه في برية من الأرض ، فيخرج كل من احتاج إلى شيء فيأخذ منه وسائره متروك هناك ، فهذا صدق الأخوة في أهل الهداية بالحق ، وأما أهل العدالة فقد صار العدل مقومهم ، والحق هاديهم ، فقد كانت أوائل هذه الأمة على هذا السبيل ، وقد أثنى الله تعالى عليهم في تنزيله ، فقال : ﴿ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ

أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [الحشر : ٦] . وذلك أن رسول الله ﷺ لما فتح خيبر فقسم الغنائم للمهاجرين دون الأنصار ، فأثنى الله عليهم حين لم يجدوا في صدورهم ضيقا ولا حسدا ولا شكا ، ولا وجدوا على رسول الله ﷺ في فعله حيث ضربوا بالسيوف حتى فتحوا وغنموا ، ثم أعطى الغنيمة المهاجرين دونهم ، فأثنى الله عليهم وشهد لهم بالصدق وسقوط قدر الشيء عن قلوبهم ، فقال : ﴿ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا ﴾ [الحشر : ٦] يعني المهاجرين ، ثم قال : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ . فهذا غاية الطهارة من قدر الشيء وسقوطه من القلب ، فيظن بمثل هذا ومن هذه صفته أن يتناول من شيئه على طريق الترفق والمخالطة ، أن يكون في ذلك مكروها ، ولهذا ما أجزأ عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه حتى أكل من مزود عمر بن الخطاب [٢/ ٥٧/ ب] رضي الله عنهما بغير إذنه ، وقول الله تعالى في كتابه : ﴿ أَوْ صَدِيقِكُمْ ﴾ [النور : ٦١] . إذن بالغ ، لكن الصديق له حقيقته ، فما لم تعرف له حقيقة صداقته لم يغرر المتقي المتورع بنفسه في ذلك ، وأول حقيقة الصداقة في سقوط قدر الشيء من قلبه ، فإذا لم يعرفه بهذا ، فهو وإن صادقه بكل قلبه فهو مجتهد ، ومن يجتهد في صداقته لا يخلو من كراهية وثقل إن تناولت من ملكه شيئا ، لأنه في جهد من ذلك ، لأن نفسه لا تطاوعه لقدر ذلك الشيء على قلبه ، فهو يجاهد نفسه ، فصاحب هذا مغرور إذا عامله على ذلك ، وإنما أذن الله في الأموال عن طيب النفس ، ألا ترى إلى قوله في شأن المهور : ﴿ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴾ [النساء : ٤] . فلم يقل : فإن طبن لكم عن شيء منه قلبا ، ولكن قال : نفسا ؛ لأن القلب ربما رضي وطاب بما فيه من الإيمان ، والنفس تكره بما فيها من الشهوة . فشرط في شأن المهر طيب النفس .

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : " لا يحل لامرئ أن يأخذ من عطاء أخيه إلا بطيب نفسه " . وذلك لشدة ما حرم الله من المؤمن .

١١٥٠ـ حدثنا بذلك أبي رحمه الله ، ثنا الحماني ، ثنا سليمان بن بلال ، عن سهيل بن أبي صالح ، عن عبد الرحمن بن سعيد ، عن أبي حميد الساعدي ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : " لا يحل لامرئ أن يأخذ من عطاء أخيه إلا بطيب نفسه " . وذلك لشدة ما

حرم الله من مال المسلم على أخيه المسلم ، فاليوم الإقدام على هذا جرأة عظيمة ، ولا أعلم في هذا ثقة إلا بأولئك الذين خلت قلوبهم من نفوسهم ، وتعلقت بالخالق البارئ الماجد الكريم ، فلا يبالون بما أقبل وما أدبر ، ومن أخذ ومن أعطى ، يتناولون من الدنيا لله ، ويمسكون بالله على نوائب الحق ، ويعطونها لله ، فإن تناولت من أموالهم لم يرجع عليك وبال منهم إذا أخذتها لله ، وهذا فيما بينهم يجوز ، فأما غيرهم فالأخذ من أموالهم فلا ؛ لأن الذي يتناوله بغير حق يتناوله فيثقل عليه فعله .

ألا ترى إلى قول رسول الله ﷺ وهو من أسخى البشر ، والدنيا ساقطة عن قلبه ، فقال : " إنما أنا خازن ، والله يعطي وأنا أقسم ، فمن أخذ مني شيئا بطيب نفس بُورك له فيه ، ومن أخذ مني شيئا وأنا له كاره فإنما يتأبطها نارا " .

أي أخذ تحت إبطه ، فعياذا بالله أن يظن برسول الله ﷺ أنه كره ذلك من أجل قدر ذلك الشيء ؛ فإن ذلك بخل ، ولكن إنما كان بطيب نفس رسول الله ﷺ بالإعطاء لمن سأل بحق ، وأخذه بحق ، فأما من أحس به أنه يأخذه أشرا وبطرا وحرصا وجرما وجمعا فكان يعطيه على كراهة نفس ، ويخبرهم أنه لا يبارك له فيه ؛ لأنه أخذه بغير حقه ، فقيل له : يا رسول الله ، فلم تعطيه ؟ قال : " يأبى الله لي البخل " .

كأنه كره أن يرى أحد من خلق الله أن الدنيا عنده مما تزن جناح بعوضة . [٢/٥٨/أ] فأبى الله له أن يراه الخلق مانعا له أحدا فيكون عند الخلق في صورة من يعبأ بالدنيا ، وتزن عنده شيئا ، فيكون على خلاف ما وصف عن الله تبارك وتعالى ، ألا ترى أنه كان لا يَزِن ولا يحصي ، وقال لعائشة رضي الله عنها : " لا توكي فيوكى عليك ، ولا تحصي فيحصى عليك " .

وكان لا يدخر شيئا لغد ليُري الخلق قدره عنده ، ويعلمهم صدق موافقته لله فيها .

١١٥١ـ حدثنا صالح بن محمد ، ثنا المنكدر بن محمد ، عن أبيه ، عن جابر رضي الله عنه قال : ما سئل رسول الله ﷺ شيئا قط فقال : لا .

الأصل السادس والعشرون والمائتان

١١٥٢ـ **حدثنا** قتيبة بن سعيد ، عن مالك بن أنس ، عن ابن شهاب ، عن عطاء بن يزيد ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " من يصبر يصبره الله ، ومن يستعفف يعفه الله ، ومن يستغن يغنه الله ، وما أعطي عبد عطاء هو خير وأوسع من الصبر " .

فأما قوله : من يصبر يصبره ، ومن يستعفف يعفه الله ، ومن يستغن يغنه الله ، فإن الله تعالى أعطاهم العقول ومنّ عليهم بالإيمان ، فالصبر والعفة والغنى إنما يخرج كله من الإيمان ، فإذا أعطي الإيمان فقد أعطي هذا كله ، فبقوة الإيمان يصبر على طاعة الله ويستعفف عن محارم الله وعن تناول شبهات الدنيا ، ويقوم في العبودة على سبيل الاستقامة ، ثم لا يتم له ذلك إلا بعون من الله لأن النفس تقوم بهدم ذلك كله ، وتدعو إلى خلافه فوقع العبد في مجاهدة معها ، فلولا عون الله العبد لمالت به النفس ، ولكن سبيل العبد أن لا يتحير ، فإذا جاء موضع الصبر تصبر وعزم عليه ، فوشيكا يجيئه العون من الله فوجد اليسر في أمره ، فذلك عون الله ، ومن قبل ذلك كان قلبه ثقيلا دخل في الأمر مع الجهد ؛ لأن النفس تأبى ذلك ، فدخلت بإكراه صاحبها لها على ذلك ، فجاءه العون من الله فيسر عليها ، وعلى ذلك دل عباده من قوله : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة : ٥] .

فأمره بالعبادة وسؤال العون ؛ فما لم يقدم العبد على ذلك فسؤاله المعونة كالمحال ، وذلك أنه أعطي القوة على القيام بما أمره ، إلا أن النفس قامت تدعو على خلاف ذلك ، فجاءت شهواتها تريد أن تغلب القلب على ما أمر ، فاحتاج عند مجاهدة النفس إلى عون من الله ، وهو نور يرد على القلب فيستنير الإيمان ويمتزج به النور ، فيقوى القلب وتذل النفس وتخمد شهواتها لأن الخوف يحل بها من النور الوارد فتذل النفس ، فينبغي للعبد أن يقدم على كل أمر أُمر به ، وأن ينتهي عن كل ما نهي عنه بما أعطي من العلم والعقل والإيمان بالله ، وذلك مع جهد شديد ، وينتظر العون من الله ، ولا يلقي بيده إلى التهلكة ، وكذلك التوبة تخرج إلى الله من جميع [٢/٥٨/ب] ما نهى عزما بالقلب وجهدا عن النفس ، وتجليا بالأركان مع عسر

وشدة وجهاد ، فإذا العون من الله قد جاء فيسر عليه كل ذلك ، ولم يأمرنا الله بأن نقول : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة : ٥] على العبودية ، ثم يحبس عنا العون ، ما هذا المظنون به ، وقال : ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ [الشرح : ٥ - ٦] .

فأخرج العسر مخرج المعرفة ، واليسر نكرة كأنه يقول : إن مع العسر يسرا ، أن مع هذا العسر يسرا آخر ، فلذلك قال رسول الله ﷺ : " لن يغلب عسر يسرين " . فاليسر الأول فهو ما أعطي العبد من الآلة والعلم والمعرفة والقوة ، فلولا النفس التي تحارب صاحبها بدفع ما يريد وإفساده عليه لكان الأمر قد تم ، فإنه قد أعطي يسر ما به يقوم الأمر الذي قد أمر ، ولكن جاءت النفس بشهوتها ، والعدو بكيده ، فاحتاج العبد إلى يسر آخر فوعده ، فقال : عسر عليك الأمر فأعطيتك مع العسر يسرا ، ثم قال : ﴿ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ [الشرح : ٦] فيسر قبل الأمر ، وهو اليسر الأصلي ، وهو حجة الله على عبده ، قال تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة : ٢٨٦] . ويسرا بعد الأمر حين يأخذ فيه ، وهو العون له ، فإذا جاء العون انهزمت النفس وخمدت الشهوة وهرب العدو وبطل كيده ، فهذا يسر ؛ فهما يسران لن يغلبهما هذا العسر الذي بينهما وهو مجاهدة النفس حتى يأتيك بحربه وجهاده ليصدك ويقهرك بشهواته ، فذاك عسر قد حل بك ، فقال رسول الله ﷺ : " لن يغلب عسر يسرين " .

إن العبد إذا لم يلق بيديه ويصدم واستعمل ما أعطي من اليسر في وقت هذا العسر الذي عارضته النفس به جاءه اليسر الثاني ، فلن يغلب هذا العسر هذين اليسرين ، واليسر الثاني هو : عونه ، وهو عطف الله على العباد ورحمته ، وإذا عطف على عبده لم يبق للنفس عليه سبيل ولا للعدو مطمع ؛ لأنه قد جاءه من العطف ومدد وجند عظيم ، وهو نوره الذي قد أنار نور التوحيد فصارت لجمرة قد طار عنها غبارها فأخذت تتوقد وتضيء ، فقوله : " من يصبر يصبره الله " . أي يستعمل ما أعطي من الصبر الذي يخرج له من الإيمان ، فإذا فعل ذلك صبره الله بأن جاءه المدد والعون حتى يتم له صبره في يسر ، وكذلك قوله : " من يستعف يعفه الله " . وأما قوله : " من يستغن يغنه الله " . فإنه الالتجاء إليه في الحوائج صدقا فهو أكرم

من أن يرددك ويلجئك إلى عبيده .

١١٥٣ـ **حدثنا** ابن أبي زياد ، ثنا سيار ، عن جعفر بن ثابت ، قال : حبس ابن أخ لصفوان ابن محرز فلم يبق بالبصرة رجل له وجه عند الأمير إلا تحمل به عليه فلم يزده إلا شدة ، فبات ليلة ، فقيل له في منامه : يا صفوان ، اطلب الأمر من وجهه ، فقام فتوضأ وصلى ركعتين وسأل ربه ثم عاد إلى مضجعه فنودي [٢/ ٥٩/ أ] بالباب : يا صفوان ، هذا ابن أخيك قد جئنا به ، فصار إلى الباب ، فإذا ابن أخيه فقال : نُبّه الأمير في جوف الليل حتى بعث إلى السجن فنودي : أين ابن أخي صفوان ؟ فطلب حتى جيء به ، فها هو ذا .

١١٥٤ـ **حدثنا** أبي رحمه الله ، ثنا الحكم بن المبارك ، ثنا بقية ، ثنا بكر بن حذلم الأسدي ، قال : حدثني وهب بن أبان ، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، أنه خرج في سفر له ، وإذا بجماعة على طريق ، فقال : ما هذه الجماعة ؟ قالوا : أسد قطع الطريق . قال : فنزل فمشى إليه حتى قفده بيده ونحّاه عن الطريق ، فقال : ما كذب عليك رسول الله ﷺ ؛ قال : " إنما يُسلط على ابن آدم من يخافه ابن آدم ، ولو أن ابن آدم لم يخف غير الله لم يسلط عليه غيره " . وإنما وكل ابن آدم لمن رجا ابن آدم ، ولو أن ابن آدم لم يرج إلا الله لم يَكِلْه الله إلى غيره .

وقال الله تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [النحل : ١٢٧] . يعلمه أنه لا يتم له ذلك إلا بعون من الله وغياث منه ، فأما قوله : " وما أعطي عبد عطاء هو أوسع من الصبر " . لأن الصدر قد انشرح واتسع للنور الوارد على قلبه ، فإذا اتسع الصدر يسرت عليه الأمور كلها ، وهو قوله : ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ [الزمر : ٢٢] . فإذا استقر النور في القلب انفسح الصدر وانشرح وألقى بيديه سلما لمولاه في أمره ونهيه وجميع أحكامه عليه وتدبيره له ، ولم يبق للقلب منازع ؛ لأن النفس إنما تذل وتنقمع وتموت شهوتها وتلقى بيديها حين يشرق الصدر فيحل بها من ذلك الإشراق خوف الله وخوف عقابه ، ثم يزيد النور فتدخله الخشية وهو نور القربة فتحل بها الرهبة من الله ، ثم يزداد النور فتدخله العظمة فتحل بها الهيبة من الله ، والخوف الخالص منه ، فتيبس وتذهب شهوتها وتخشع لله فتصير تابعة للقلب ، فمنه بدأ أول النور ، فوجد العبد متسعا في صدره ، فقيل : صابر ، ثم زيد فهو صابر قانع ، ثم زيد فهو صابر راض مراقب ، ثم زيد فهو صابر راض

مراقب والهٌ ، ثم زيد فهو منفرد قد انفرد بربه ولي[1] عن الصبر والرضى والمراقبة والوله ، وهذا كله له ، والانفراد غالب عليه فهو في قبضته يستعمله ، وهو قول رسول الله ﷺ عن جبريل عليه الصلاة والسلام ، عن الله تبارك وتعالى حيث يقول : " كنت سمعه وبصره ويده ورجله ولسانه وفؤاده ، فبي يبطش ، وبي يعقل ، وبي يمشي ، وبي يبصر ، وبي ينطق " .

وهو قول عمر رضي الله عنه حين شج علي رضي الله عنه ذلك الرجل ، فأتى عمر فقال : من فعل بك ، ويحك ؟ قال : علي . فسأل عليا رضي الله عنه ، فقال : إني مررت به ، فأصغيت إليه بسمعي ، فإذا هو يكلم امرأة بكلام ، فلم أملك [٢/ ٥٩/ ب] حتى ضربته . فقال عمر : أيها الرجل أصابتك عين من عيون الله وإن لله في الأرض عيونا .

والصبر هو ثبات النفس على حكم الله وتدبيره وأمره ونهيه ، ويري بشهوته ومنيته ، والنفس لا ترى بذلك حتى تبصر ما هو أفضل من شهوتها ، ومنيتها ، وإنما تبصر ذلك بذلك النور الوارد على القلب ، فتطيب وتستقر وتوقن ، فأي شيء أوسع منه ؟ وبذلك يثقل ميزانه ، ويملأ منه ميزانه ، وسعة كفة الميزان سعة السماوات والأرض .

---

(١) كذا بالأصل .

الأصل السابع والعشرون والمائتان

١١٥٥ـ حدثنا حميد بن علي مولى رسول الله ﷺ ، ثنا جعفر بن محمد الهمذاني ، ثنا ابن مبارك ، عن حماد بن سلمة ، عن الزبير بن عبد السلام ، عن أيوب بن عبد الله الفهري ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : قال رسول الله ﷺ : " لا تُسكنوا نساءكم الغرف ولا تعلموهن الكتابة " .

فإنما حذرهم رسول الله ﷺ ذلك لأن في إسكانهن الغرف تطلعا إلى الرجال ، وليس في ذلك تحصين لهن ولا تستر ، وذلك أنهن لا يملكن أنفسهن حتى يشرفن على الرجال ، فتحدث الفتنة والبلاء ، فحذرهم أن يجعلوا لها ذريعة إلى الفتنة . وهو كما قال رسول الله ﷺ : " ليس للنساء شيء خير لهن من أن لا يراهن الرجال ولا يرين الرجال " . وذلك أنها خلقت من الرجل ، فهمتها في الرجل ، والرجل خلق فيه الشهوة وجعلت سكنا له ، فغير مأمون كل واحد منهما في صاحبه ، وكذلك تعليم الكتابة وربما كانت سببا للفتنة ، وذلك إذا علمت الكتابة كتبت إلى من تهوى ، والكتابة عين من العيون به يبصر الشاهد الغائب ، والخط هو آثار يده ، وفي ذلك تعبير عن الضمير بما لا ينطق به اللسان ، فهو أبلغ من اللسان فأحب رسول الله ﷺ أن يقطع عنهن أسباب الفتنة تحصينا لهن وطهارة لقلوبهن .

والله سبحانه أعلم .

الأصل الثامن والعشرون والمائتان

١١٥٦- حدثنا محمد بن عبد الله بن زيد المقري ، ثنا أبي ، ثنا الحسن بن عمارة ، عن عبد الرحمن بن عابس بن ربيعة ، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " رأس الحكمة مخافة الله " .

فمخافة الله هي التي ألهته عن الأشياء حتى صارت رأس الحكمة وهي تعلق القلب بمشيئة الله لما صار إلى المشيئة أبهم الأمر عليه ، فقد علم أنه شاء فخلقه ، ولا يدري لماذا خلقه ، فظهر له بعض المشيئة ، وخفي عليه آخر شأنه من مشيئته ، فأقلقه وألهاه ، فهذا رأس الحكمة ، ومن هاهنا مبتدأ تدبيره له بالحكمة البالغة ، وقال في تنزيله : ﴿ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾ [الحجرات : ٧] . إلى قوله : ﴿فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً [٢/ ٦٠/أ] وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحجرات : ٨] فهو حكيم بالحكمة دبر له أموره من مبتدئه إلي آخره فخوف المشيئة وهلته عن النفس وعن دنياه ، فلما زايلته نفسه ودنياه انشرح صدره واتسع في الحكمة .

الأصل التاسع والعشرون والمائتان

١١٥٧ـ حدثنا إبراهيم بن عبد الحميد الحلواني ثنا عبد الله بن صالح كاتب الليث ثنا معاوية ابن صالح عن راشد بن سعد عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله .

فالفراسة هي مشتقة من الفروسية فركضه بالجوارح على الفرس هو فروسية ، وركضه ببصر قلبه بنور هو فراسة ، فبالفرس يقطع مسافة الدنيا وبنور الله يقطع مسافة الغيب ، وذلك أن على الأشياء دلائل وسمات وقد وسم الله خلقه بذلك فبنوره يدرك تلك السمات حتى يدرك ما لم يأت بعد .

وروي عن عمر الخطاب رضي الله عنه أنه تفرس .

١١٥٨ـ حدثنا بذلك يعقوب بن شيبة ثنا بشر بن موسي ثنا يزيد بن زريع عن شعبة قال : أنبأني عمرو بن مرة عن عبد الله بن سلمة "[1] قال : دخلنا على عمر رضي الله عنه معاشر وفد مذحج وكنت من أقربهم منه مجلسا فجعل ينظر عمر رضي الله عنه إلى الأشتر ويصوب بصره فقال : لصاحبي ، أمنكم هذا ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، هذا مالك بن الحارث ، قال : ماله قاتله الله ، كفي الله أمة محمد صلي الله عليه وسلم شره ، والله إني لأحسب أن للمسلمين منه يومًا عصيبًا .

١١٥٩ـ حدثنا الجارود ثنا الفضل بن موسي عن زكريا ابن أبي زائدة عن سعد بن إبراهيم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : ما حذر عمر شيئًا قط فتكلم به إلا كان .

١١٦٠ـ حدثنا عبد الأعلي بن واصل ثنا أبو بشر المذكر عن ثابت البناني عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : " إن لله عبادا يعرفون الناس بالتوسم " .

١١٦١ـ حدثنا صالح ثنا محمد بن مروان عن عمرو بن قيس الملائي عن عطية عن أبي سعيد رضي الله عنه عن رسول الله صلي الله عليه وسلم في قوله : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ [الحجر : ٧٥] قال : للمتفرسين .

---

(١) سقط من الأصلين " عن شعبة قال أنبأني عمرو بن مرة عن عبد الله بن سلمة " وأثبتناه من رقم (١١٧٧) .

فالتوسم مأخوذ من السمة ، أن يعرف سمات الله وعلائمه في الأمور ، والتفرس أن يركض قلبه فارسا بنور الله إلى أمر لم يكن بعد فيدركه مثل ما أدركه عمر رضي الله عنه ، وروي الحسن البصري رحمه الله أنه قال : لعمرو بن عبيد هذا سيد فتيان أهل البصرة إن لم يُحْدِث ، وقال لأيوب : هذا سيد فتيان أهل البصرة ولم يستثن . وروي عن الشعبي أنه قال لداود الأودي وهو يماريه إنك لا تموت حتى تكوى في رأسك ، وكان كذلك .

وقال الحسن البصري رضي الله عنه لأيوب : هذا سيد فتيان أهل [٢/٦٠/ب] البصرة ولم يستثن ، فإذا امتلأ قلب العبد من نور الله نظرت عينا قلبه بنور فأبصر في صدره ما لا يحيط به وصفًا ، فالفراسة من الله تعالى لعبده كائنة .

الأصل الثلاثون والمائتان

١١٦٢ـ حدثنا أبي رحمه الله ثنا ابن الأصفهاني حدثنا عبدالرحيم بن سليمان عن واصل بن السائب الرقاشي عن أبي سورة عن أبي أيوب رضي الله عنه قال : قلنا : يا رسول الله هذا السلام فما الاستئناس ؟ قال : " يتكلم الرجل بالتسبيحة والتكبيرة والتحميدة أو يتنحنح فيؤذن أهل البيت " .

فالاستئناس تنبيه والاستئذان عهد فندب إلى أن يبتدئ بالتنبيه ثم بالعهد ، فيكون آكد للعهد وأقوى للحجة ، فإنه إذا فوجئ بالسلام والإنسان في غفلة والعقل عازب عنه مشغول بغير ذلك كانت الحجة عليه غدًا أضعف يقول فوجئت بالسلام وعوجلت به فلم أقبله بالتثبيت .

ألا ترى أن الله . . . [1] نعم فقال : بابها الناس ، فهذه أسماؤهم ، ثم قال : ﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا ﴾ فكناهم فقدم[2] علي الدعوة تنبيها ، فقال : ﴿ يَتَأَيُّهَا ﴾ وإنما هو " ياء " والياء كلمة تنبيه ، إنما هي حرف ذات أصداء لينبهك عما أنت به مشتغل ليرجع إليك عقلك بصوته ، ثم قال : أي ، وهي كلمة الفتش مضمر فيها من ثم قال : " ها " وهو تنبيه آخر يشير إلى شيء معلوم عينه . ثم قال : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا ﴾ فكناه كأنه يفي بهذا أي : بقولي يا دعوت دعوة تنبيه ، ثم قلت : أيهم أريد بدعوتي ثم قلت : هذا أمرى إلي من أذكر اسمه أني أريده بدعوتي ثم أبرزت اسمه أو كنيته ، فقلت : الناس " الذين آمنوا " فهذه التنبيهات من إلقاء العذر وإتمام الحجة ، فما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون ، " لا أحد أحب إليه العذر من الله " ولذلك بعث الرسل عليهم السلام ، وروي لنا ذلك عن رسول الله صلي الله عليه وسلم . وروي عنه أيضًا أنه قال : " يعتذر الله تعالي إلي ابن آدم بثلاثة معاذير يوم القيامة . وروي عنه أيضا أنه قال : إن الخلق يعرضون ثلاث عرضات فعرضتان جدال ومعاذير ، وفي العرضة الثالثة تطاير الصحف .

فقال ههنا : ﴿ لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ [النور : ٢٧] .

---

(١) طمس بالأصل .

فالاستئناس التنبيه ثم يكون التسليم بعده ، والتسليم كان عندهم الاستئذان فإذا ردوا جاء الإذن بعد ذلك ، وإن قيل : ارجعوا رجعوا ، وأدنى الاستئناس النحنحة ، وأعلاه ذكر الله فيشر عليهم ، فذكر الأعلي والأدني ، فقال : تسبيحة أو تكبيرة أو تحميدة ، ثم ذكر الأدني ، وإنما قيل استئناس لأن الحس حس المجيء قد يختلف [٢/ ٦١/ أ] فإذا سمع الحس لم يدر السامع ما هو ، فلعله سبع من السباع أو بهيمة أو داهية من الدواهي ، فإذا تنحنح عرف هذا أنه من جنسه يأنس به ؛ لأن الآدمي إنما يأنس بجنسه ويستوحش من غير جنسه ، فأعلاه تسبيحة أو كلمة أو نحوها ، ليعلم هذا السامع أنه أخوه المسلم ، فذاك أقبل فربما كان تنحنح ذا شبهة لا يعرف السامع مسلم هو أو كافر ، وليّ هو أو عدو ، فدخله روعة لمجيئه ، فإذا ذكر الله كان أوفر للاستئناس ، وإنما قيل استفعال كأنه يدل على أنه يفعل فعلا مستدعى عن أنسه إلى أنسه حتى يأتلف .

والعجب من هؤلاء الرواة أحدهم يروي عن ابن عباس أنه قال في قوله ﴿ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ ﴾ [النور : ٢٧] : هو خطأ من الكاتب ، إنما هو : حتى تستأذنوا وتسلموا ، وما أرى مثل هذه الروايات إلا من كيد الزنادقة في هذه الأحاديث ، إنما يريدون أن يكيدوا الإسلام بمثل هذه الروايات ، فيا سبحان الله كأن كتاب الله بين ظهراني أصحاب رسول الله ﷺ في مضيعة حتى كتب الكاتب فيها ما شاء وأراد وزادوا وأنقصوا .

وروي عنه أيضا أنه قال : هو خطأ من الكاتب قوله : ﴿ أَفَلَمْ يَا۟يْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [الرعد : ٣١] إنما هو : أفلم يتبين .

فهذه كلمات إنما تتغير معانيها بزيادة حرف ونقصان حرف ، أفيحسب ذو عقل أن أصحاب محمد ﷺ أهملوا أمر دينهم حتى فوضوا عقيدتهم إلى كاتب يخطئ فيه ثم يقرؤها أبو بكر وعمر وأبي بن كعب رضي الله عنهم ، حيث جمعوه في خلافة أبي بكر رضي الله عنه ، ثم من بعده مرة أخري في زمان عثمان رضي اله عنه فقاروهم على الخطأ ؟ هذا كلام أحد رجلين : جاهل لا يعرف ما وراء هذه الكلمة ، أو ملحد يريد أن يكيد الدين ، فليس فيما رَوَى أبو أيوب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ في تفسير الاستئناس ما يبطل رواية من روى عن ابن عباس رضي الله عنه أن هذا خطأ من الكاتب .

فإن قال قائل : فقد روى شعبة هذا الحديث عن أبي بشير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الكاتب أخطأ في ذلك ، وإنما هو حتى إذا استأذنوا ، قال : هؤلاء رواة ، إنما ينكر هذه الأشياء ويدفعها الرعاة ، الراوي كالطواف والخدم ، ليس لهم من الطعام إلا الشم ، إنما الحظ من الطعام للأكلة والعارف بالطعام الطهاة وصاحب المطبخ ، وأما الذين يتداولون القصاع على أيديهم طوافا وخداما فهم جياع ليس لهم إلا المشام ، فكذلك الرواة ، ما يدري مثل شعبة ما غور هذا ، وإنما هو نقال ، فإذا خرج من نقلاته لم يبق معه إلا ذرو الكلام ، وأين مكان أبي بشير من هذا الدين والعلم حتى [٢/ ٦١/ب] يصغى إليه الأذن ؟ هؤلاء شيوخ منسوبون إلى العبادة ، فللزنادقة وأهل كيد الدين فيهم مطمع أن يدسوا لهم مثل هذا الكلام ، كما دس الكلبي وأبو صالح تلك المناكير في تفسير ابن عباس .

قال له قائل : فإن كان هؤلاء الرواة فمن الدعاة ؟ قال : الذين عن الله عقلوا وعن تدبيره فهموا ، وهم المقربون أهل اليقين ، وقد وصفهم رسول الله ﷺ فيما تجلى عن الله تبارك اسمه ، أنه قال : " فإذا أحببت عبدي كنت سمعه وبصره وفؤاده ولسانه ، فبي يعقل وبي يسمع وبي يبصر وبي ينطق " فهو الذي ينفي مثل هذه الأشياء ويدفعها ، فإذا نفاه ودفعه . . . (١) فبه ينفي وبه يدفع لأنه به يعقل وبه ينطق ، فهو حجة الله على خلقه وراعي غنمه وطبيب عباده ، فمن عارضه هلك ، وهؤلاء بشر ، فكم مستحل لهذا العلم الظاهر عارض هذه الطبقة التي ولى الله أمرها ، ولم يعرفها . . . (٢) الذي فيه فاستخف به ولم يعلم أن صفوة العلم الذي في يديه عند هذه الطبقة وأنهم قد طالعوا تدبير الله في هذا العلم الذي عندهم فقبلوه على بينة من ربهم ، فلم يخرج المعارض من الدنيا حتى صغره الله وحل به عاقبة السوء ، لهذا ما حدث رسول الله ﷺ فقال عن ربه تبارك وتعالى : " من آذى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ، وإني لأسرع شيء نصرة لأوليائي " أفيظن أن يفوتني ؟ كيف وأنا الثائر لهم ؟ .

١١٦٣ـ **حدثنا** سليمان بن منصور الذهبي ثنا بقية عن معاذ بن رفاعة السلامي عن القاسم بن

---

(١) كلمة لم أستطع قراءتها بالأصل .

(٢) كلمة لم أستطع قراءتها بالأصل .

عبد الرحمن قال : قال رسول الله ﷺ " يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين " .

فهذا فعل العدول ، من استقام قلبه بعدل الله فهم حملة هذا العلم ، وأما هؤلاء النقلة الرواة فليسوا من العلم في شيء إلا الأداء فعليهم التثبت حتى لا يكيدهم الزنادقة فيلقون في كتبهم أو على ألسنتهم بالكذب والخطأ والإلحاد .

الأصل الحادي والثلاثون(١) والمائتان

١١٦٤ـ حدثنا رزق الله بن موسى الناجي ثنا معن بن عيسى ثنا مالك بن أنس عن صفوان بن سليمان عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ " إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم " ، قالوا : يا رسول الله تلك منازل الأنبياء فلا يبلغها إلا هم ؟ قال : " بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين " .

فأهل الغرف أهل عليين الذين قد ارتفعت درجاتهم لما قرب العرش ، فالاغتراف : الارتفاع ، ويقال في اللغة : اغترف ؛ أي يرفع بيده ، وقال في التنزيل : ﴿ إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِۦ ﴾ [البقرة : ٢٤٩] فالغرفة ما ارتفع ، والغرف جمعه ، وهذه التعال الغرف منها سميت لارتفاعها عن الأرض ، والجنة ثلاثة أثلاث ، أعلاها [٢/ ٦٢/أ] للسابقين المقربين ، ووسطها للمقتصدين ، وأدناها للمخلطين ، وما فيها دني ، وعدن مقصورة الرحمن ، خلقها بيده وقربها ونجدها ، وهي جنة النعيم وجنة عدن محل الرسل ، وجنات عدن محل الأنبياء ، والفردوس محل الصديقين والأولياء ، والغرف وهي سدة الجنة بحيال باب العرش ، فوصف رسول الله ﷺ أن أهل الجنات من دونهم يتراءون أهل الغرف من البعد كما يتراءى أهل الأرض الكوكب الدري في السماء ، فتوهم أصحابه أن تلك منازل الأنبياء لا يدخلها غيرهم ، فأعلمهم في قوله : بلى والذي نفسي بيده يبلغها من ليسوا بأنبياء ، وفي هذه الكلمة ما يؤدي إلى تلك الغرف ليست بمنازل الأنبياء وأن الأنبياء فوقهم لأن الأنبياء والأولياء لا يجتمعون في درجة واحدة لأن درجة النبوة فوق درجة الولاية ، فالأنبياء فوق الغرف في جنات عدن وعدن كالمدينة ، وجنات عدن كالقرى حولها ، والفردوس حول جنات عدن كعوالي القرى ، والفردوس مضموم إلى جنات عدن منسوب إليها ، وما دونها من الجنات كالخيام والمحلات حول عوالي القرى ،

---

(١) في (د) " الثلاثون " .

فكذلك نجد المساكن في الدنيا إنما هي مدينة ثم قرى ثم عوالي القرى ثم محلات وخيام ومراعي في براري .

فأعلم في هذا الحديث شأن الغرف درجة من هي ، فقال : رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين ، فهذا إيمان الصديقين لا إيمان الموحدين المخلطين ، ولا نعلم للمخلطين في الغرف حظا ، إنما أهل الغرف أهل الدرجات العلى ، وقد وصف الله جل ذكره في كتابه فقال : ﴿ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ * جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴾ [طه : ٧٥ - ٧٦] أي تطهر من مساخط الله قلبا وقولا وفعلا .

فإيمان الصديقين إيمان طمأنينة ، ويجتمع أحكامه ، وتصديقهم للمرسلين تصديق ثقة وسكون .

١١٦٥- حدثنا صالح بن محمد ثنا سليمان بن عمرو عن أبي حازم عن سهل بن سعد رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ في قوله : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ ﴾ [الفرقان : ٧٥] وقوله : ﴿ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴾ [سبأ : ٣٧] قال : " الغرفة من ياقوتة حمراء وزبرجدة خضراء أو درة بيضاء ، ليس فيها فصم ولا وصب ، وإن أهل الجنة ليتراءون الغرفة منها كما تتراءون الكوكب الدري الشرقي أو الغربي في أفق السماء وإن[1] أبا بكر وعمر رضي الله عنهما منهم[2] وإنهما[3] .

١١٦٦- حدثنا صالح بن عبد الله وقتيبة بن سعيد وعلى بن حجر ، قالوا : ثنا خلف بن خليفة عن حميد الأعرج عن عبد الله بن الحارث عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : " إن المتحابين في الله تعالى لعلى عمود من ياقوتة حمراء ، في رأس العمود سبعون ألف غرفة ، يضيء حسنهم أهل الجنة كما تضيء الشمس أهل الدنيا ، يقول أهل الجنة بعضهم لبعض : انطلقوا بنا حتى ننظر إلى [٢/ ٦٢/ ب] المتحابين في الله ، فإذا أشرفوا عليهم أضاء حسنهم أهل الجنة كما تضيء الشمس أهل

---

(١) " وإن " سقطت من (ص) .
(٢) " منهم " سقطت من (ص) .
(٣) كذا في الأصلين .

الدنيا ، عليهم ثياب خضر سندس مكتوب على جباههم : هؤلاء المتحابون في الله " .
فهؤلاء أهل الغرف وهم أهل محبة الله ، فإنما تحابوا في الله لمحبة الله ، وهو قوله : " حقت محبتي للذين يتحابون لجلالي " فمن تحاب في أموره ومن أَجَلّ أموره فدخل التقصير في أعمالهم درس ذلك منهم فيما بينهم ، ومن تحاب بجلاله ومحبته لم ينظر إلى تقصير من أحبه ، وإنما ينظر إلى ما يجد من قلبه ، وإنما ألفهم بروحه ، فما دام روحه بينهم قائما فوصلتهم قائمة لا يلتفتون إلى الأعمال ، وقد وصف الله أهل الغرف في تنزيله فقال : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ ﴾ فنسبهم إلى اسمه الرحمن ، يوهمنا أنه خرج لهم ذلك من اسمه حتى نالوا ذلك ، فقال : ﴿ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ [الفرقان : ٦٣] إلى قوله : ﴿ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقان : ٧٤] فوصف مشيتهم وخطابهم وانتصابهم له ودعاءهم ونفقاتهم ونزاهتهم ويقظتهم وانتباههم وصدقهم ومحبتهم وبغضهم ، ثم قال : ﴿ أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا ﴾ [الفرقان : ٧٥] والصبر بذل النفس والثبات له وفق ما يريد بالقلوب عبودة . فهذه صفة المقربين .

وقال في آية أخرى : ﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ ﴾ [سبأ : ٣٧] .
فذكر شأن الغرفة أنها لا تنال بالأموال والأولاد وإنما تنال بالإيمان والعمل الصالح ، ثم بين أن جزاءهم الضعف ومحلهم الغرفات ، يعلمك هذا أنه إيمان طمأنينة وتعلق قلبه به فيطمئن به في كل ما نابه في جميع أموره وأحكامه ، وإذا عمل عملا صالحا فلا يخلطه بضده وهو الفاسد ، فلا يكفي العمل الصالح الذي لا يشوبه فاسد إلا مع إيمان بالغ مطمئن ، صاحبه ممن آمن . . .(1) وأحكامه ، والمخلط معه إيمان الموحدين غير مطمئن بأمره وأحكامه ، مقر بربوبيته مؤمن . . .(2) يعمل على شهوته ويقضي منيته ، فهذا إيمان الموحدين وذاك إيمان المطمئنين المخبتين ، وكلاهما إيمان واحد برب و احد ، إلا أن ذلك قد جثمت على قلبه شهوات نفسه

---

(1) كلمة غير واضحة في (ص) ، مطموسة في (د) .
(2) كلمة غير واضحة في (ص) ، مطموسة في (د) .

فأظلمت صدره وانكمن نوره فلا يعمل شيئا من الإشراق والإنارة ، وهذا البالغ من الله عليه بنوره فهتك هذه الحجب من الظلمات وأمات من الشهوات ، ما حل بقلبه من الخشية فأورثه ذلك النور . . . [1] الله . . . [2] من عظمة الله وجلاله فأذبل نفسه واستقام القلب لله ، وهو قوله : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ * ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الحج : ٣٤ - ٣٥] فإنما ذكر رسول الله ﷺ شأن أهل الغرف فقال : " رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين " [٢/ ٦٣/ أ] ولم يذكر عملا ولا شيئا سوى الإيمان والتصديق للمرسلين ، ذلك لتعلم أنه إنما عنى الإيمان البالغ وتصديق المرسلين من غير سؤال آية أو تلجلج ، وإلا فكيف ينال الغرف بالإيمان والتصديق الذي للعامة ، ولو كان كذلك لكان جميع الموحدين في أعلى الدرجات ، فهذا محال .

---

(١) كلمة غير واضحة في (ص) ، مطموسة في (د) .

(٢) كلمة غير واضحة في (ص) ، مطموسة في (د) .

الأصل الثاني والثلاثون والمائتان

١١٦٧ـ **حدثنا** أبي رحمه الله ثنا الفضل بن دكين ثنا سلمة بن وردان الكناني الجندعي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " من ترك الكذب وهو باطل بني له في ربض الجنة ، ومن ترك المراء وهو محق بني له في وسط الجنة ، ومن حسن خلقه بني له في أعلاها " .

فترك الكذب هو ترك الشرك ، ولا كذب أعظم من الشرك ، فمحل تاركه في ربض الجنة وهو أدانيها ، و هذا الصنف هو الظالم ، وترك المراء إذا اقتضاه الحق أمر الله به من أداء فرائضه واجتناب محارمه ، أن يخضع للحق ولا يماريه ، فيذهب برقبته من حق الله في أمره ونهيه ، فهذا مقتصد محله في وسط الجنة ، وأما حسن الخلق فإن الله تبارك اسمه دبر لعبده من قبل أن يخلقه شأنه من الرزق والأحوال والآثار والأخلاق ، كل ذلك مقدر ومؤقت يبرزه له في وقته كما قدره ، والعبد ذو شهوات قد اعتادها وتخلق بها ، ودبر الله لعبده غير ما تخلق به من الشهوات ، فمرة سقم ومرة صحة ومرة غنى ومرة فقر ومرة عز ومرة ذل ومرة مكروه ومرة محبوب ، فأحوال الدنيا تتداوله ولا ينفك من قضائه وتدبيره ، والعبد يدبر ما وافقه واشتهاه ، وتدبير الله فيه غير ذلك ، فإذا راض نفسه وقمعها وخشعت لله بما أيده الله من نور اليقين ، حسن خلقه واستقام قلبه ، فقد ترك جميع مشيئاته لمشيئة الله تعالى ، فنظر ما يبرز له من تدبير الله في جميع أحواله فيتلقاه ببشاشة قلب وطيب نفس ، فهذا حسن الخلق فمحله في أعالي الدرجات ، فالأول ظالم والثاني مقتصد والثالث مقرب ، وسوء الخلق حجاب بين العبد وبين ربه ؛ لأن سوء الخلق من نفس شهوانية ، والنفس ما لم تمت شهواتها لا تنقاد ولا يتخلص القلب من مخاليبها ، ولا . . .[١] من سقمه ، وهواء النفس سقم الإيمان .

وروي عن رسول الله ﷺ في حديث الرؤيا أنه قال : " رأيت رجلا من أمتي جاثيا على ركبتيه وبينه وبين الله حجاب فجاءه حسن خلقه فأدخله على ربه " .

---

(١) كلمة غير واضحة في (ص) ، مطموسة في (د) .

فحسن الخلق على ثلاثة منازل ، وهو أن يحسن خلقه مع أمره ونهيه ، والمنزلة الثانية أن يحسن خلقه مع جميع خلقه ، والمنزلة الثالثة أن يحسن خلقه مع تدبيره فيه [٢/ ٦٣/ ب] ، فلا يشاء إلا ما يشاء له ربه ، ومن أسوأ خلقا من رجل دبر الله تبارك وتعالى شيئا لعباده وبلاده من بركات السماء ، فجعل فيه أرزاقهم وأرزاق حيوانهم ومعاشاتهم ، فهو بتدبيره بلطفه يحيي بذلك أمة من الأمم ، والعبد يكرهه ويأباه من أجل أنه في أرض براز فتبتل ثيابه أو يبقى عن سفر يريده ، فهذا العبد إنما ثقل على تدبير الله لهذا الخلق لشهوته لذلك العمل الذي هو فيه ، ولو كان ميت الشهوة ، أعماله عبودة لله ما كان ليشتل عليه تدبيره .

١١٦٨- حدثنا عمر بن أبي عمر ثنا سليمان بن عبد الرحمن عن مؤمل بن عبد الرحمن الثقفي ثنا أبو أمية بن يعلى عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " أوحى الله تعالى إلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام أن يا إبراهيم خليلي حسن خلقك ولو مع الكفار تدخل مداخل الأبرار ، فإن كلمتي سبقت لمن حسن خلقه أن أظله في عرشي وأن أسكنه حظيرة القدس ، وأن أدنيه من جواري " .

وأن محاسن الأخلاق جاءت من الله ، وقد خزنها الله عن خلقه فلا يعطيها إلا من أحبه وسعد جده ، فيمنحه خلقا من تلك الأخلاق ويخلق ذا جد منها يرى عليه بهجة ذلك في شمائله ، وفي منطقه وفي معاشه ، حتى في سيما وجهه .

الأصل الثالث والثلاثون والمائتان

١١٦٩ـ **حدثنا** أبي رحمه الله قال : حدثنا محمد بن الحسن[١] ثنا عبد الله بن المبارك ثنا هشام بن الغاز عن حبان أبي النضر حدثه قال : سمعت واثلة بن الأسقع رضي الله عنه يقول : قال رسول الله ﷺ : " يقول الله تبارك وتعالى : أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء " .

فالظن هو ما تردد في الصدر ، وإنما يحدث من الوهم لأن النفس تركبت على وجود الأشياء بحواسها ، فلقريحة الوهم همة وغريزتها هواجس ، فالظن هاجسة النفس وللنفس إحساس بالأشياء كلها عليها نشأ من[٢] بدا من بطن أمه ، فإنما علمها بالحس[٣] ، فإذا عرض أمر دبرت لها ، شأن لها مر[٤] العارض ممثلة مما تقدم من الأمر بما يشبهه ، فما خرج لها من التدبير فهو هاجس النفس وايذا لله[٥] المؤمن بنور التوحيد في القلب ونورا في الصدر يطوف حول القلب حجابا لذلك النور الأعظم ، وأصل هذا النور هي النار ، فهو حجاب لذلك النور الأعظم .

وروي عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : " إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام ، باسط يده لمسيء النهار أن يتوب ولمسيء الليل أن يتوب ، بيده الميزان ، يرفع أقواما ويخفض أقواما ، حجابه النار ، لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره " .

١١٧٠ـ **حدثنا** بذلك أبي رحمه الله ثنا الفضل بن دكين ثنا المسعودي عن عمرو بن مرة[٦] عن أبي عبيدة [٢/ ٦٤/أ] عن أبي موسى رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ . فحجابه النار هناك ، وكذلك ههنا نوره في القلب فيه هدايته وحجابه ، الصدر نور أصله من النار

---

(١) " قال : حدثنا محمد بن الحسن " سقط من (ص) .

(٢) كذا بالأصلين .

(٣) في (د) " الحسنة " .

(٤) هكذا استظهرت قراءتها بالأصل .

(٥) هكذا استظهرت قراءتها بالأصل .

(٦) في (ص) " المسعود بن عمرو بن مرة " .

ويطوف حول الفؤاد ، فإذا نهجت النفس بعارض أمر ونور الصدر مكانه يضيء في صدره ، واستقرت النفس فاطمأن القلب وحسن الظن لأن ذلك النور في صدره يزيد من علائم التوحيد وشواهده في الصدر ما تسن النفس إليه ويطمئن القلب لأن النور الذي يؤدي إلى القلب حسنه وحسن القلب أن الله كافيه وحسبه في كل أموره ، إنه كريم رحيم عطوف ، يكفيه ويرحمه ويعطف عليه ، ويتكرم لعبده في كفايته ، فهذه حسنة القلب ، وإنما وجدها من نور التوحيد فأداها إلى النفس في الصدر ، فإذا كان الصدر مضيئا بذلك النور الذي يطوف حوله قلبه تصور لعيني الفؤاد في الصدر ذلك الأمر على الثقة بصانع ذنبا . . . (١) منه ومجده ، على أحسنه ذا جد ، فإذا تصور للفؤاد ، هكذا علمت النفس بذلك لأنها مقرونة بالفؤاد قد استقرت فإذا استقرت لم يتزعزع القلب فاطمأن القلب بما فيه من النور ، فهذا حسن الظن بالله ، فإذا كانت النفس حديدة ذات شدة وحدة وشهوة غالبة فارت بدخان شهواتها كدخان الحريق فأظلمت الصدر ، فإذا التقت هذا النور الطواف في الصدر إلى ذلك الدخان الذي جاءت به النفس مقتفيا إلى ما جاءت به عوقب وجذل ، فانكشف في تلك الظلمة فلم يبق له ضوء ، بمنزلة قمر ينكسف ، فعاد الصدر مظلما وجاءت النفس بهواجسها ، فاضطربت ، فذاك سوء ظنها بالله ، فإذا اضطربت النفس زعزعت القلب عن استقراره ، فاستقر هنا وفقد القلب طمأنينته وسكونه بالله ولم تقبل النفس وما يؤدي التوحيد إلى الفؤاد لأن الفؤاد قد صارت عيناه في ظلمة الصدر فضعف وفقد ضوء ذلك النور .

فإذا أراد الله بعبد خيرا أعطاه حسن الظن وهو أن يزيده نورا يقذف في قلبه ليقوى ذلك النور الذي كان يطوف حول القلب وتنقشع ظلمة الصدر كسحابة تنقشع ويصفو ضوء القمر ، فهذا حسن الظن من طريق العطاء .

لذلك قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : " والله الذي لا إله إلا هو ما أعطي عبد عطاء خيرًا من حسن ظن بالله " .

١١٧١ـ حدثنا بذلك إبراهيم بن يوسف ثنا عبد الواحد بن زياد عن الأعمش عن خيثمة عن عبد الله رضي الله عنه .

---

(١) كلمة لم أستطع قراءتها في الأصل .

وهو كما روي[١] عن رسول الله ﷺ أنه قال : " من أعطي الشكر لم يمنع الزيادة ، ومن أعطي الدعاء لم يحرم الإجابة ، ومن أعطي التوبة لم يمنع القبول ، ومن أعطي الاستغفار لم يمنع المغفرة " .

فإنما صار هكذا لأنه لما أعطي النور وصل العبد إلى حقيقة الشكر وحقيقة الدعاء وحقيقة [٢/ ٦٤/ب] التوبة وحقيقة الاستغفار ، وإنما وعد الله العباد على حقائق أفعالهم ، فقال : ﴿ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ ﴾ [غافر : ٦٠] و ﴿ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ ﴾ [إبراهيم : ٧] فإنما وقع هذا على أن يشكره بحقيقة الشكر ويدعوه بحقيقة الدعاء ، فإذا أعطي النور وصل العبد إلى حقيقة الشكر وحقيقة الدعاء فأعطي ما وعد عليه ، فلذلك قيل لذلك : عطاء .

وقد فسرنا ذلك على وجهه مشروحا في بابه فيما تقدم من هذا الكتاب ، فكذلك حسن الظن إذا كان عطاء فإنما يأتيه نور من الله ، ولذلك النور فاستنار الصدر وانقشعت الظلمة وبرز ما أداه نور التوحيد في جنة القلب إلى الفؤاد ، أدى ذلك إلى الصدر على الثقة بصنائع ربنا كرما وجودا ومجدا ، وعلى حسنه وأجمله ، فاستقام القلب إلى الفؤاد فتصور في الصدر صنائع ربنا بالعبد من كرمه ومجده ولطفه وعطفه ، فاستقرت النفس واطمأن القلب ، فذلك حسن الظن بالله الذي من طريق العطاء ، إذا لم يكن من طريق العطاء فهو النور الطواف حول القلب ، فإذا هجست النفس بحسها فالصدر يضيء بذلك جانب جنة القلب مخبرة عن نور التوحيد بكرم ربنا ورحمته ولطفه وصنائعه ، فتصور في ذلك الصدر واستقرت النفس وقبلت ذلك ، وذلك بمشيئة الله ، فإذا كانت مشيئة الله في العبد غير ذلك وكانت النفس تفور بشهواتها ودخان حريقها والتفت النور إلى ما جاءت به النفس خذلت وذهب ذلك النور في ظلمة هذا الصدر وبقيت هواجس النفس عاملة على القلب .

قال الله تعالى : " أنا عند ظن عبدي بي " معناه أي : إن القلوب بيدي ، لم أكلها إلى أحد سواي ، فأنا عند قلوب عبادي وعند ظنونهم ، فإذا ظن بي حسنا حققت له ذلك ولم أخيبه ، وإذا ظن بي سيئا وكلته إلى سيئ ما ظن وتخليت عنه لأني قد

---

(١) في (ص) " وهو كما قال وروي " .

أعطيته من النور في القلب ما يؤدي إلى الصدر ، وأعطيته في الصدر ما يضيء به فيتصور له ما يؤدي القلب إليه ، فإنما ضاع ذلك الضوء لقوة ما أتت به النفس من دخان شهواتها ، فالعبد ملوم على تقوية الشهوات لأن تقوية الشهوات من استعمالها ، فإذا استعملتها فقد قوته بها ، وذلك بمنزلة أتون أو تنور ، كلما ألقيت فيه الحطب ازداد تلظيا ودخانا ، وإذا أمسكت عنه الحطب انقطع الدخان وسكنت الحرارة .

ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ ثم قال : ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [المنافقون : ٩] فنسب الفعل في ابتدائه إلى الأموال والأولاد ، فهما يلهيان القلب ، ثم قال : ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ فعوقب العبد عليه ونسب إليه بتركه تعاهد القلب حتىٰ استولت [٢/ ٦٥/ أ] النفس عليه فألهته عن ذكر الله .

فالظن ظنان : ظن عطائي ، فذلك الذي تستقر النفس ويطمئن القلب ويوفي لهم بذلك ولا يخيب .

والظن الآخر ظن خالطه تهمة فلم يطمئن القلب ، فإن خيب فغير مستنكر .

قال له قائل : كيف يكون قرار القلب عند ذلك الظن ؟ قال : أضرب لكم مثلا كي تفهموه إن شاء الله : رجل خرج في مفازة وبه حاجة إلى الماء فوجد على طريق المفازة رجلا يعرفه باسمه وشخصه معه ماء ، فسقاه الماء ثم خرج مرة أخرى كذلك وبه حاجة إلى الماء فأبصر ذلك الرجل في ذلك المكان من بعيد فطمع أن يسقيه بحسن ظنه به ثم وجد في نفسه حزازة مخافة أن لا يسقيه فلم يستقر قلبه على حسن الظن به حتى مازجه سوء الظن ، فإن عرف هذا الرجل ذلك منه فخيبه كان حقيقا .

ورجل خرج في مفازة وبه حاجة إلى الماء فوجد على طرف المفازة أمه وبيدها ماء فسقته ، ثم خرج مرة أخرى كذلك فوجدها كذلك على طرف المفازة ، فلما نظر إليها لم يجد في نفسه حزازة وسكنت نفسه إلى علمه برأفة أمه وتحننها عليه ، فلو خرج على هذه الصفة مائة مرة فوجدها كذلك لم تحز نفسه ولم تدخله تهمة في أمه أن لا تسقيه ، فذاك لعلمه برأفة أمه ، قد اطلعت نفسه من رأفتها مطلعا لو قيل له غير ذلك لم يصدق ، فلم تضطرب نفسه على ذلك منها ، فإنما وثق بها من قبل علمه برأفتها به .

فالعبيد الموحدون إنما ظفروا بتوحيده لما أدركته رأفته ورحمته ، [فوحدوه ثم مع رأفته ورحمته عليهم ستر عنهم رأفته ورحمته][١] ، ولو كشف عن القلب ذلك الغطاء حتى يعاينوا رأفته ورحمته معاينة النفس ومعهم شهواتهم التي ركبت فيها إذا لاستبدوا وجمحت بهم شهواتهم فركبوا العظائم من الأمور وضيعوا الحدود ، فإذا ضيعوا الحدود فسد التدبير في معايشهم وخلق النار لا عذابه ، ثم أشاع في المؤمنين خبرها ووصفها كي تكون زجرا للنفوس وقمعا لشهواتهم ، وستر عنهم الرأفة والرحمة التي ينالونها بحظوظهم منه كي لا يستبدوا ويفسدوا ، فمن أدب نفسه وقمعها وراضها ورفض الشهوات انكشف الغطاء عن قلبه ، فبالمعرفة استنار قلبه ونظر إلى رأفته ورحمته وعطفه وشفقته ، فلم يكن يلقى في نفسه من قوة الشهوة ما يستبد ويجنح على حق الله ، ففي النوائب يحسن ظنه بالله ثم لا يحيك في نفسه شيء لمعرفته برأفته ورحمته ، فاستقر قلبه ، فهو الذي يقول له : " أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء " ، معناه أنه يجدني قريبا وفيا بما أمل ورجا ، فإنما يحسن ظن من انقد وله يريد[٢] فأعرض عن نفسه ورقد عند بابه فانكشف له الغطاء عن رأفته ورحمته فاستقر قلبه

والآخر صاحب شهوة [٢/ ٦٥/ ب] واشتغال بنفسه ، فلو انكشف له الغطاء عن رأفته عليه لأفسد أمره وضيع حدوده وركب شهواته واستبد واجترأ ، فستر رأفته عنه حتى يكون في مخافة وحذر .

ألا ترى أن الأنبياء عليهم السلام لما سكنت شهواتهم وماتت نفوسهم ، فحييت بالله قلوبهم بشروا بالنجاة وبشر رسولنا ﷺ بالمغفرة للزائد من الخوف له من الله والهيبة له والتعظيم فلم تضره البشرى بل زاده ذلك حتى تورمت قدماه من القيام بين يدي الله شكرا لله ، فأثقال المنة عملت فيه ، حيث منّ الله عليه بالبشرى ما لم يعلم قبل ذلك غيره .

---

(١) ما بين المعقوفين سقط من (د) .

(٢) هكذا استظهرت قراءتها بالأصل .

الأصل الرابع والثلاثون والمائتان

١١٧٢ـ حدثنا صالح بن عبد الله ثنا يوسف بن عطية عن ثابت عن أنس رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال يوما : " هل تدرون من المؤمن ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : المؤمن من لا يموت حتى يملأ الله مسامعه مما يحب ، ولو أن عبدا اتقى الله في جوف بيت إلى سبعين بيتا ، على كل بيت باب من حديد ، لنشر الله رداء عمله حتى يتحدث الناس به ويزيدون ، قالوا : وكيف يزيدون يا رسول الله ؟ قال : إن التقي لو يستطيع أن يزيد في بره لزاد ، وكذلك الفاجر يتحدث الناس بفجوره ويزيدون لأنه لو يستطيع أن يزيد في فجوره لزاد " . وكان ثابت إذا حدث بهذا الحديث يقول : بلغني أن رسول الله ﷺ كان يقول : " نية المؤمن أبلغ من عمله " .

١١٧٣ـ حدثنا عمر بن أبي عمر ثنا نعيم بن حماد عن عبد الوهاب بن همام الحميري قال : سمعت أبي يقول : سمعت وهبا يحدث عن ابن عباس رضي الله عنه " أن رجلا قال : يا رسول الله ، ما أفضل العمل ؟ قال : النية الصادقة " .

١١٧٤ـ حدثنا عمر عن عمر بن عمرو الربعي عن ابن جريج قال : قلت لعطاء : ما نية المؤمن خير من عمله ؟ قال : لأن النية لا يكون فيها رياء فيفسدها .

١١٧٥ـ حدثنا عمر عن فهد بن سلام عن يزيد عن مالك بن دينار ، قال : رأيت رجلا بمكة يقول : اللهم كما قبلت حجاتي الأربع فاقبل هذه الحجة ، فتعجبت منه وقلت : كيف علمت أن الله تعالى قبل منك ؟ قال : أربع سنين كنت أنوي كل سنة أن أحج وعلم من نيتي ، فحججت من عامي ، فأنا خائف أن لا يقبل مني ، قال مالك : فيومئذ علمت أن النية أفضل من العمل .

قال أبو عبد الله :

وجدنا من طريق الاعتبار عندما مثلت بين النية والعمل أن العمل منقطع والنية دائمة ، وتصديقه في حديث ثابت عن أنس رضي الله عنه ، فالعمل علانية[١] والنية ستر وتصديقه في حديث عطاء : أعمال الستر مضاعفة ، والعمل سعي الأركان إلى الله ، والنية سعي القلوب إلى الله ، فالقلب ملك والأركان جنوده ، ولا يستوي سعي

---

(١) في (ص) " علامة " .

الملك وسعي جنوده [٢/ ٦٦/ أ] ، والعمل يوضع في الخزائن والنية عنده ، إن الذكر الخفي والعمل موقوف على نهايته والنية لا تحصى نهايتها ، والعمل تحقيق الإيمان وإظهاره ، والنية فرع الإيمان بمنزلة الشجرة لأن الشجرة هي خشبة منصوبة ، فبظهور ورقها هي شجرة وليس للورق ثمرات إنما هي زينة الشجرة ، والثمرة من الفرع والفرع سقيناه من الأصل ، وذلك قوله : ﴿ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ [إبراهيم : ٢٤] فالأصل هو الإيمان الذي في القلب والنية هي فرعها في السماء والعمل هو الأكل ﴿ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَاۗ ﴾ [إبراهيم : ٢٥] والعمل موكل به الحفظة والنية لم يطلع عليها الحفظة ، والعمل في ديوان الملائكة والنية في ديوان الله .

ألا ترى إلى قوله : " أنتم حفظة على عبدي وأنا رقيب على ما في نفسه " . فالعمل الواحد لا يعدو النفس ذلك العمل ولا ينتظم[(١)] غيره والنية الأعمال واعمل ثوابه من الجنة والنية ثوابها من منازل القربة . والعمل أجناس لا يشبه بعضها بعضا ، فلا يقدر العبد أن يعمل عملا ينتظم جميع الأعمال ، والنية تشمل الأشياء وذلك إذا نوى بلوغ مرضاته فمرضاته جميع الطاعات ، فهو في ذلك الوقت كأنه قد أخذ يعبده بالطاعات كلها ، فهو كالعامل بجميع الطاعات ، وهذه النية كلها للعارفين من عمال الله ، يحتاجون إلى نية في كل أمر لأن قلوبهم مع الأشياء ، فيحتاجون إلى أن يتوبوا إلى الله عند كل مبتدأ ، كل أمر .

وكذلك جاءنا عن رسول الله ﷺ أنه قال : " الأعمال بالنيات " وقال : " لا عمل لمن لا نية له ، و لا أجر لمن لا حسبة له " أي أصل النية من طريق الإعراب هو النهوض فأينود[(٢)] أي : نهض ينهض ، فإذا كان القلب في حبس النفس فإنه يحتاج إلى النهوض إلى الله عند مبتدأ كل أمر وهو كالإرادة ، فالقصد إليه إذا اتخذ القلب من حصار النفس فصار إلى الله وتعلق به وجني به ، فمحال أن يقال : نهض إليه لأنه عنده لا يحتاج إلى نية ، هو في كل أموره عند ربه قد سقط عنه هذا النظر ، وهذا عنده محال بعد أن استقام قلبه عبودة وقام بين يديه ، فهذا دائم له في كل حال .

---

(١) كذا بالأصلين .

(٢) كذا بالأصلين .

الأصل الخامس والثلاثون والمائتان

١١٧٦ـ **حدثنا** صالح بن عبد الله ثنا يوسف بن عطية عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك رضي الله عنه " أن رسول الله ﷺ كان إذا أصابه الرمد أو أحد من أهله أو أصحابه دعا بهؤلاء الدعوات : اللهم أمتعني ببصري واجعله الوارث مني وأرني ثأري وانصرني على من ظلمني " .

قال أبو عبد الله :

فالمتعة بالبصر استعماله فيما له . . . [1] في العين ، فإن الله تعالى جعل البصر من هذا الجسد بمكان علي ومحل رفيع [٢/٦٦/ب] .

ألا ترى أنه قد جاء في الخبر أن العبد يؤخذ يوم القيامة بنعمة البصر فيوجد قد استفرغ جميع حسنات العبدي يفي سائر النعم عليه مع التبعة ، ومن رفيع درجة البصر على سائر الجوارح أنه به ينظر إلى الله في داره يوم الزيادة ، و به يلذ بنعمائه برؤيته ، فمن يقدر أن يحيط بكنه هذه المرتبة؟ وبه ينظر إلى العبيد في الدنيا ، فالعين قالب البصر والبصر من نور الروح ، ولكل ذي جسم لطافة ، و الروح مسكنه في الدماغ ومقامه في الوتين ، و هو نياط القلب ، ثم هو متفش في سائر الجسد من الظفر إلى شعر الرأس ، نفخ فيه الروح من طرف إبهامه في المبتدأ ، ثم يخرج منه عند القبض من طرف لسانه لأن الله تعالى رفع درجة اللسان على سائر ا لجوارح بالتوحيد ، فبه يظهر ما في القلب .

وروي عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه أنه قال : ما من شيء أحب إلى الله من بضعة لحم ، وذلك لسان المؤمن ، وما من شيء أبغض إلى الله من بضعة لحم ، وذلك لسان الكافر .

فجعل سبيل الروح عند خروجه من طرف لسانه ليكون آخر الجوارح موتا ، فتكون حركة لسانه عند خروج الروح منه بالتوحيد ، فإن التوحيد والحياة مع العقل والمعرفة بالحياة تتحرك ، كما أن النفس قالب للروح فكذلك الروح قالب للحياة ،

---

(١) كلمة لم أستطع قراءتها في (ص) ، وتشبه أن تكون في (د) " ركب " .

فإذا خرج الروح كان ما نصف منه باقيا مع الحياة والمعرفة والعقل ، فبالحياة حركة لسانه والمعرفة والعقل معه فيملأ الجسد من تلك الحركة نور ، يصعد بذلك النور ما لطف من الروح إلى الله فيلحق بما خرج منه في التجشم .

ألا ترى أن الميت قد تراه يهدأ ساعة بعد اضطراب شدقيه وخروج روحه حتى تظن أنه لم يبق شيء ثم تجده يحرك لسانه وتتحرك بعض جوانب شدقيه ، فذلك[1] الباقي ما لطف من روحه يلتمس من المؤمن نورا من ذكر في نفسه به في الحياة والعقل والمعرفة .

فالروح نور والعقل نور والمعرفة نور ، ولكل نور بصر ، فللروح بصر وللعقل بصر وللمعرفة بصر ، وبصر العقل متصل ببصر الروح ولطافة الروح ما رق منه وصفا فهو في العين ، وإذا نظر الناظر إلى حدقة عين أبصر تلك الرقة واللطافة في الحدقة في ذلك السواد ، فتلك لطافة الروح ، كالماء ، فبصر الروح في الإنسان التي في الحدقة فذلك النور المشرق فيه هو بصر الروح ، والضوء من خارج وإدراكا للألوان من بين هذا النور الذي في الإنسان ، وبين هذا الضوء الذي هو خارج ضوء نهار كان أو ضوء سراج بالليل ، حين لا يجتمعان لا يدرك الناظر بعينه الألوان ، فهذه لعامة الآدميين ، ثم حقق الموحدون من ولد آدم بأن أرواحهم من النور أصله [٢/ ٦٧/ أ] ، وأرواح الكفار من نار ، فليس للكافر عقل ، فخص الموحد بالعقل فاجتمع نور التوحيد ونور العقل ونور الروح في تلك الإنسانية ، فإن لكل نور بصرا ، فاجتمعت هذه الأبصار في هذه الإنسانة المركبة في هذه الحدقة ، فبها يبصر الغير في الدنيا ، وتتمثل له أمور الآخرة .

ثم خص الأولياء من الموحدين بنور القربة ، ولذلك النور أيضا بصر ، فكما نور في القلب وبصره في بصر العين ، فبقوة ذلك يتفرس والفراسة هي شبيهة بالغيب .

وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه دخل عليه الأشتر في زمانه من قبل أن يظهر منه ما ظهر يوم الجمل وصفين ، قدم على عمر رضي الله عنه في وفد اليمن ،

---

(١) في (د) " ذاك " .

فصعّد فيه البصر وصوبه فقال : أيكم[١] هذا ؟ قالوا : هذا مالك بن الحارث ، فقال عمر رضي الله عنه : ما له ، قاتله الله ، كفى الله أمة محمد شره ، إني لأحسب أن للمسلمين منه يوما عصيبا .

١١٧٧ـ **حدثنا** بذلك يعقوب بن شيبة ثنا بشر بن موسى ثنا يزيد بن زريع عن شعبة قال : أنبأني عمرو بن مرة عن عبد الله بن سلمة قال : دخلنا على عمر رضي الله عنه فذكرنا ما وصفنا .

فظهر الذي قال عمر رضي الله عنه وتفرس فيه بعد عشرين سنة أو نحوه ، فإنما نظر إليه عمر بعينه رضي الله عنه ، فأبصر بالنور الذي أشرق من نور القربة في إنسانة العين ما كان بعد عشرين سنة أو نحوه ، ولهذا قال رسول الله ﷺ : " اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله " .

١١٧٨ـ **حدثنا** بذلك إبراهيم بن عبد الحميد الحلواني ثنا عبد الله بن صالح المصري[٢] ثنا معاوية بن صالح عن راشد بن سعد عن أبي أمامة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ .

فليس هذا نور الروح ولا نور العقل إنما هذا نور الله من القربة ، له إشراق في إنسانة العين لأولياء الله ، وذلك قوله في كتابه : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ [الحجر : ٧٥] .

١١٧٩ـ **حدثنا** صالح بن محمد ثنا محمد بن مروان عن عمرو بن قيس الملائي عن عطية عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ في قوله : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾[٣] أنه قال : " للمتفرسين " .

١١٨٠ـ **وحدثنا** عبد الأعلى بن واصل الكوفي ثنا سعيد بن محمد الجرمي ثنا عبد الواحد بن واصل ثنا أبو بشر المزكي عن ثابت البناني عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " إن لله عبادا يعرفون الناس بالتوسم " .

وروي عن الحسن البصري أنه دخل عليه عمرو بن عبيد فقال : هذا سيد فتيان

---

(١) في (د) " أيهم " .

(٢) في (ص) " البصري " .

(٣) سقط من الأصلين في قوله : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ وأثبتناها من (١١٦١) .

البصرة إن لم يُحْدِثْ ، فكان من أمره ما كان حتى هجره عامة إخوانه .

وروي عن جندب بن عبد الله البجلي أنه أتى على رجل يقرأ القرآن فوقف فقال : من سمّع سمّع الله به ، و من راءى راءى الله به ، فقلنا له : كأنك عرضت بذلك الرجل ، فقال : إن هذا يقرأ عليك القرآن اليوم [٢/ ٦٧/ ب] ويخرج غدا حروريا ، فكان رأس الحرورية ، واسمه مرداس .

١١٨١ـ حدثنا بذلك صالح بن محمد ثنا الربيع بن بدر عن الجريري عن أبي تميمة وسيار بن سلام عن خالد الأحدب ابن أخي صفوان بن محرز ، عن جندب البجلي رضي الله عنه .

فالفراسة أمر جليل من أمور الغيب خص بها الأولياء ينظرون بنور الله إلى سمات القدرة على عبيد الله في الغيب ، فتوسمهم نظرهم ببصر ذلك العين الذي اتصلت الأبصار فيها بعضها ببعض ، وغشيها نور القربة فيدركون سمات القدرة والتدبير ، فيخبرون بالعجائب ، فهذا البصر للأولياء ثم للأنبياء عليهم السلام زيادة نور في أبصارهم وتلو بصر النبوة ثم للرسل عليهم السلام بصر الرسالة ثم لرسولنا عليه الصلاة والسلام بصر قيادة الرسل وسيادتهم ، وذلك أنه سيد المرسلين وقائدهم ، فاجتمعت هذه الأبصار كلها في إنسانة تلك الحدقة من عينه ﷺ ، فروي عنه أنه قال : " ليلة أسري بي رأيت من القدرة الذرة تذب على وجه الأرض من سدرة المنتهى " لاحتداد بصره ، فكان يقول : " اللهم أمتعني ببصري " فالإمتاع بالبصر أن ترى هذه العجائب التي ذكرنا من تدبير الله في أمور الدنيا والآخرة ، ويرى كل شيء كما خلقه الله .

بلغنا أن عيسى عليه الصلاة والسلام قال : يا رب أرني الأشياء كما خلقتها . فمن يقدر أن يرى إلا بأمر عظيم في ذلك العين الذي كان قالبا للروح فسأله الإمتاع ببصره ليتقرب إلى الله بما ينظر إليه من العين .

ألا ترى إلى قول الله تعالى : ﴿ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ﴾ [الحج : ٥] أي من كل لون بهيج ، ثم قال : ﴿ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ﴾ [ق : ٨] فوصف الله تعالى نبات يعود ألوانها بالبهجة ، فأين البهجة من قلوب العباد عند نظرهم إلى هذه الألوان ، هل هو إلا سخنة عيونهم ، فكيف لا تسخن عيونهم فهم عمي عن لطائف الله في أمره وتدبيره ورحمته ، فلو نظر العبد إلى ورقة لحار عقله فيها من العجائب التي في تلك الورقة في رطوبتها ولونها وطعمها وريحها وقشرها ولبها ومقدارها وتقطيعها

وهيئتها وتقويتها وتخطيطها ، واللطف الذي جراها على هذه الصفة .

هذه ورقة واحدة ، فكيف بالثمرة ؟ ثم كل شجرة لها ورق لا يشبه الأخرى ، فللمؤمن في هذا البصر بهجة ، وإنما تكون البهجة للمنيب ، والمنيب الذي قد أناب بقلبه فأقبل على الله وفرغ قلبه لله من زخرف الدنيا وطهر قلبه من أدناس المعاصي ، وكدورة الأخلاق وعقول الدنيا فقربه ربه وأدناه وبقي قلبه بنوره فاحتد بصره في خلقه وفي صنيعه وتدبيره ، والكبت[1] على نفسه في خلو من هذا الأمر إنما به شغل نفسه ماذا يناله منها من عاجل النفع ، أكلا وتمتعا واعتدادا لما فضل منه حرصا على الدنيا وجمعها ، قد اتخذ لنوائبه عدة دون الله ، واعتمد عليه ، كما وصف الله في تنزيله أعداءه فقال : ﴿ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ [٢/٦٨/أ] ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا * كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴾ [مريم : ٨١ - ٨٢] .

فهذه الطبقة من الموحدين قد شبهت سيرتهم أولئك الذين[2] حرصوا على جميع ما نالوا من هذه الدنيا فاستولت عليهم بهجة التقديس لينالوا بها عزا ، فجمعوا ومنعوا ولهوا وسهوا ، وقد تقدم إليه فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [المنافقون : ٩] فوقعوا في الخسران وحرموا أدوية البهجة فصار عاقبة أمرهم إلى الخسران والكفران .

وقال في تنزيله : ﴿ أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴾ [السجدة : ٧] ثم وصف على إثره خلق الإنسان ثم ذكر أنه أعطاه السمع والبصر والفؤاد ثم نسبه إلى قلة الشكر ، يُعلم العباد أنه إنما خلق ما في الأرض جميعا لهذا الآدمي بقوله : ﴿ خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ [البقرة : ٢٩] وأنه أحسن كل شيء خلقه لينظر إلى خلقه الذي خلقه لك وتعقل بقلبك وتبصر بفؤادك حسن كل شيء في باطنه ، وقلدك شكر ذلك كله ، فإذا أظلم صدرك غابت عنك رؤية حسن الأشياء وافتقدت البهجة ، فسأل رسول الله ﷺ أن يمتعه ببصره الذي به ينال هذه الأشياء ، وأن يجعله الوارث منه ؛ أي يختم له بالنبوة والتوحيد والعقل وأن لا يسلبه ذلك فيكون بحال إذا خرج الروح منه كان الذي

(١) هكذا استظهرت قراءتها .

(٢) " الذين " سقطت من (ص) .

يرثه بصره الذي اجتمعت فيه هذه الأبصار ، فإن الروح إذا خرج فإنما يخرج التجشم منه أولا ثم ما لطف منه ، وكذلك كل شيء في وعاء إذا أحببته ، فإنما يخرج منه التجشم منه ثم ما لطف يبق برقبة ورقبة على الوعاء فكذلك الروح لما خرج فإنما لطافة الروح في العين ثم البصر في تلك اللطافة ، وألطف منه فهي تنتظم هذه الأبعاد التي ذكرنا بداية .

١١٨٢ـ حدثنا عبد الحارث ثنا سفيان عن أيوب السختياني عن أبي قلابة قال : قال رسول الله ﷺ : " إن الروح إذا فارق تبعه البصر " . ألا ترى إلى شخوص عينيه .

١١٨٣ـ حدثنا صالح بن محمد ثنا داود بن عبد الرحمن المكي عن ابن أبي ذئب عن ابن شهاب عن قبيصة بن ذؤيب رضي الله عنه قال : قال رسول ﷺ : " إن الروح إذا عرج به يشخص البصر " .

فسأل رسول الله ﷺ أن يمتعه أيام حياته حتى يتوسم فيها آيات الله التي ذكر في تنزيله فقال : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ فينظر به إلى سمات القدرة ويكون ممن يعبد الله بكل نظرة ، فإنما أعطى العباد هذه الأبصار ليعبدوا الله بها لا ليستمتعوا بها تمتع الكفار .

ألا ترى إلى قوله : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾ [محمد : ١٢] وقال : ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [الحجر : ٣] .

فالمؤمن يتزود في جميع نظره وسعيه وعقله ، والكافر يتمتع ، فإذا نظر بعين العقل والشهوة كان تمتعا ، وإذا [٢/ ٦٨/ ب] نظر بعين العبرة والفكرة في أمر الله كان تزودا يتقرب إلى الله به ويتزود لآخرته ، فالأول عبد بطال شهواني عبد نفسه والثاني عبد ذاكر كثير يتقلب في العبودة ، فعار على المؤمن أن يأخذ من الدنيا علي التمتع أشرا وبطرا ، فالعاقل المتعبد كلما نظر إلى شيء ازداد علما وكان بصره رأس ماله والمزيد من العلم ربحه ، وإنما استعمل تلك الآلة التي ركب فيها والنور الذي استقر في الآلة .

ألا ترى إلى ما جاءت به الأخبار أن النظر إلى البحر عبادة والنظر إلى العالم عبادة ،

(١) كلمة لم أستطع قراءتها .

والنظر إلى الكعبة عبادة والنظر إلى وجه الأبوين عبادة ، فإنما صارت عبادة لأنه عبد الله بتلك النظرة : نظر إلى البحر بعين القدرة ، إلى سعته وعرضه وأهواله وعظيم ما أعطي من السلطان ، وحده الذي حد له فلم يجاوزه ، فاعتبر ، ونظر إلى العالم وإلى ما . . .[1] من نور العلم فأجله ووقره في ذاته ، ونظر إلى الكعبة فتلذذ بها شوقا إلى ربها ، ونظر إلى أبويه فذل لهما ورق وأشفق شكرا لتربيتهما إياه وتعظيما لحديثهما ، وقد كان السلف الصالح يستمعون إلى النوح ، وهذا أمر منهي عنه ، يلتمسون بذلك رقة قلوبهم ، ومنهم من يستمع إلى المزمار ، وهذا أمر منهي عنه يعتبر بذلك النفخ بالصور .

بلغنا ذلك عن محمد بن المنكدر . فكانوا لا يرضون بذلك من فعلهم ويحفظون من أفعالهم الاعتبار بذلك .

" وبلغنا أن رسول الله ﷺ سمع نعيق داعي بغنمه وهو ينفخ في قصبة فخرج يجر رداءه فزعا يظن أن القيامة قامت " وذلك أنه قد قيل : ﴿ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ [ق : ٤١] فظن أنها تلك .

فسأل الإمتاع ببصره كي يعتبر به ، قال : " واجعله الوارث مني " ، فلم يقل : واجعله وارثي ، ولو كان هكذا الكان يقول فصلا بين خروج الروح وخروج البصر فإنه إنما يرثه من خلقه ، لكن قال : اجعله الوارث مني ؛ أي اجعل بصري آخر ما يخرج مني فتكون قد ختمت لي بالنبوة والسعادة ، فيكون بصري هو الوارث لجوارحي من بين جوارحي ، فإن هذه الأبصار قد اجتمعت في هذا البصر فإني إن سلبتني النبوة والعقل والتوحيد كان آخر ما يخرج مني لطافة الروح ، وهو بصر العين فقط ، وقد سلبتني قبل ذلك الأبصار التي اجتمعت في ذلك البصر ، وذلك لا يغني عني شيئا ؛ لأن الروح لا يعمل شيئا دون نور العقل والنبوة إذا كانت المعرفة مع نور العقل .

فالسعيد من قبض روحه وكان آخر ما يخرج منه بصر روحه فقط ، فلذلك سأل رسول ﷺ الإمتاع ببصره أي يدوم له ذلك إلى أن يفارقه روحه فكان آخر ما يخرج منه بصره لأنه كان متصلا ببصر العقل وبصر التوحيد وبصر الولاية [٢/ ٦٩/ أ] وبصر النبوة وبصر الرسالة وبصر القيادة حتى يكون ذلك حقائق لأمره .

وكان رسول الله ﷺ لا يأمن من مكر الله ولا يقنط من رحمة الله وإنما أمن بعد ما

أُمِّن وبُشِّر بالمغفرة بما كان ويكون ووضع عنه وزره ، فأما في بادئ الأمر فكان يخاف ، وكيف لا يخاف وهو الذي يقال له : ﴿ وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ ﴾ وقيل له : ﴿ وَلَئِن شِئۡنَا لَنَذۡهَبَنَّ بِٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ ﴾ [الإسراء : ٨٦] وقيل له : ﴿ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخۡتِمۡ عَلَىٰ قَلۡبِكَۗ ﴾ وقال : ﴿ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾ .

فجرت هذه الدعوة على سبيل ما هو قاض إليه حتى إذا بشر بأن قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، ﴿ وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴾ [الفتح : ٢] .

أين وهذا في آخر عمره وهذا بالدعوة درجة أخرى ، وذلك أن النبي ﷺ كان يثقل عليه شأن هذا الملك كاتب السيئات ، وقد علم أنه لا بد له من أن يرفع ما كتب إلى الله ، فهاب ذلك لتعظيم عظمة الله في قلبه وإجلاله لجلاله ، فكان يشتهي أن يكون آخر من يكون مصيره إلى الله كاتب السيئات ، حتى تكون على مقدمته حسناته وكاتب حسناته ، وخليفته الروح ، وهي لتلك اللطافة التي ذكرنا بدءا كان السمع والبصر من تلك اللطيفة ، فأحب أن يكون الخليفة منها السمع والبصر وارثه الذي يرثه لا الملك الذي يكتب السيئات ، فيكون خروج الروح على أثره ووارثه ، وخليفة الروح وهي الطافة ، ثم هذان الملكان : كاتب الحسنات وكاتب السيئات ، فيكون الذي يؤديه خليفة الروح بعد خروج الروح والاشتياق إليه قبل مقدم كاتب السيئات على الله تعالى .

وفي بعض الروايات : " اللهم متعني بسمعي وبصري " فإنما قرن السمع والبصر لأن السمع أيضا من لطافة الروح ، فإنما يحمل السمع أخف الأشياء ، وهو الصوت ، والريح ذرو الكلام كلاهما من شيء واحد .

وأما قوله : " أرني ثأري فيه " أي في البصر ، والثأر : النصرة والانتقام ، كأنه يقول : أرني ببصري هذا ما يكون في أمتي إلى آخر الدهر من النصرة لما جئت به ، فاستجيب له ، فأري ملك فارس والروم ، وأري الصديقين في أمته ومنازلهم ، والحكماء والعلماء والأئمة الهادية بالحق والقائمة بالعدل . . .[1] على الفتن التي هي كائنة في أمته ، ثم أري الرحمة التي عمتهم حتى قال : أمتي مرحومة ، عذابها

---

(١) مقدار كلمة لم أستطع قراءتها بالأصل .

بأيديها ، القتل والزلازل .

وأما قوله : " وانصرني على من ظلمني " فإن ظلم الرسول ﷺ أن يكذب وأن تنفى عنه منة الله العظيمة عليه في شأن النبوة ، فليس هذا ظلم النفس ولا ظلم المال إنما ظلمه في أعظم الأشياء ، حيث برأه من سمة الله ونفى عنه منة الله ، ووسمه بالكذب ، فسأله إظهار حقه الذي جاء به من عنده حتى يغلبه وينصر حزبه ، فتكون كلمة الله هي العليا وحقه الغالب وحزبه المنصور ، فقد قال : ﴿ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس : ١٠٣] [٢/٦٩/ب] فكانت تلك نصرة النبوة ، وإنما كان يستعدي على من ظلمه في نبوته لا على من ظلمه في ماله أو عرضه ، فكان المستعدى عليه على أحد أمرين ، إما أن يهديه وإما أن يقتله .

الأصل السادس والثلاثون والمائتان

١١٨٤ـ **حدثنا** عمر بن أبي عمر العبدي ثنا عمر بن حفص بن غياث ثنا أبي عن الحجاج بن أرطاة عن قتادة عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم عن معاذ بن جبل رضي الله قال : قال رسول الله ﷺ : " لو خفتم الله حق خيفته لعلمتم العلم الذي لا جهل معه ، ولو عرفتم الله حق معرفته لزالت لدعائكم الجبال " .

قال أبو عبد الله :

فحقيقة الخوف لمن وصل قلبه إلى فردانيته ، فامتلأ من عظمة الفردية ، فبه يعقل الأشياء . . .[1] في جلاله ، فأينما وقع بصره على شيء وأينما دارت فكره واطلعت بتلك المطالع عَلِم العلم الصافي الذي لا تمازجه شبهة ولا جهل ، يمثل له الشمس إذا أشرق على أهل الدنيا ، فضوءه يريك الأشياء كلها من الكون والمصيبة والمقادير ، فحيث ما وقعت من بلاد الله فضوءه معك يريك الأشياء حتى لا يخلى عليك من شيء ، فإنما تمت لك هذه الرؤية بعموم إشراقه على الأشياء كلها ، فكذلك شأن القلب إذا كمل علمه أشرق نور الله في صدره ، فذلك الضوء يريك أمور الملكوت وأمور الدنيا والآخرة ، فذلك قوله : لعلمتم العلم الذي لا جهل معه ، فإنما نال هذا العلم بنور الخوف ، ونور الخوف هو ما أشرق في صدره من نور عظمة الفردية ، فخاف حق خيفته ، وعلم العلم الذي لا جهل معه لأنه يريد ذلك النور باطن الأمور والأسرار التي في الغيوب التي خص الله بالكشف عنها الأنبياء والأولياء .

وأما قوله : " لو عرفتم الله حق معرفته " ، فحق المعرفة أن تعرفه بصفاته العلى وبأسمائه الحسنى معرفة يستنير قلبك بها ، فإذا عرفته بذلك كان دعاؤك عن معرفة وحسن ظن ، وقد قال : " أنا عند ظن عبدي بي " ، والكريم يستحي أن يُعْرف بشيء ثم لا يكون من ذلك الشيء منه نوال ، فما ظنك بعبد يعرف ربه بالكريم ثم يدعوه فيقول : يا كريم ، هل يخيب العارف له بذلك ، وقد عرف بالكرم معرفة يقين لا معرفة خبر وعلم ، وقد عرف الموحدون كلهم أن ربهم كريم ، ولكن تلك معرفة

---

(١) مقدار كلمة لم أستطع قراءتها في (ص) ، ومطوسة في (د) .

التوحيد لا معرفة أهل اليقين .

ألا ترى أنهم يعاملون معاملة اللئام ولا يأتمنون على أحوالهم من ائتمن الله على أحواله لم يتخير الأحوال ، وألق مفاتيح الأمور إليه حتى يكون الله هو الذي يختار له ، فإذا اختار له ما تكره نفسه ويثقل عليها راض نفسه وأدبها حتى إذا اختار الله له ذلك اهتش إلى المكروه كما يهتش إلى [٢/ ٧٠/أ] المحبوب ثقة به وتفويضًا إليه ، فهؤلاء الراضون عن الله رضي الله عنهم ورضوا عنه لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه .

فهم أهل الخشية الذين عرفوه بالكرم معرفة التوحيد ، يتخيرون الأحوال ، فيهربون من الفقر ، والذي يختارون لأنفسه أحوال المحبوب ويطلبونها ويدبرون لأنفسهم أمورا ، فمنها ما يقضى لهم ومنها ما لا يقضى ، فإذا جاءهم المكروه من المعرفة صنع من الله جميل . . .[١] خلقا شكا وظنا سيئا ، فلا يزل ذلك السوء يتردد في صدره حتى يتكدر عليه عيشه ، فإن كان صاحب تقوى اتقى الله بجوارحه وصدره بهذه الصفة ، وإن خذل فترك تقواه خرج ذلك من صدره إلى الجوارح فافتضح عند الملائكة وعند عقلاء خلقه في أرضه .

---

(١) كلمتين لم أستطع قراءتهما في (ص) ، ومطموسة في (د) .

الأصل السابع والثلاثون والمائتان :

١١٨٥ـ يحيى بن المغيرة بن عبد الرحمن المخزومي ثنا ابن أبي فديك عن يزيد بن عياض سمع معن بن محمد الغفاري عن حنظلة بن علي الأسلمي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر " .

١١٨٦ـ **حدثنا** عمرو بن علي الصيرفي ثنا عمر بن علي بن مقدم ثنا معن بن محمد الغفاري قال : سمعت حنظلة بن علي الأسلمي يحدث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت أبا القاسم ﷺ بهذا الوادي يقول : الطاعم الشاكر كالصائم[1] الصابر ، وقال : " الصوم لي وأنا أجزي به " .

قال أبو عبد الله :

فقوله : " الصوم لي " هذا فيما يحكي عن مقالة ربه وقد جاءت أحاديث فيها أنه قال : " قال ربكم : الصوم لي " فالأعمال كلها بيده ، وإنما صار الصوم مختصًا من بين الأعمال بأنه نسبه إلي نفسه لأن الصوم ليس بعمل الأركان فكتبته الحفظة ، ويصير علانية ولكنه سر فيما بينه وبين ربه وهو أن يجزم على أن يكف عن الطعام والشراب ومباشرة النساء إلي الليل يسمي صومًا ، وفي اللغة السائرة إذا كف عن شيء يقال : صام عنه ومنه قوله تعالي : ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا ﴾ [مريم : ٢٦] أي : صمتًا لينطق عيسى عليه السلام بحجة الله حين أنطقه في المهد صبيًا ، فالصائم كل ساعة يتردد فيه شهوة من طعام أو شراب أو غير ذلك ، مما هو ممنوع فجرعت نفسه مرارة الرد ، فهو صابر يتجدد عليه الصبر ساعة بعد ساعة ، فلذلك قال : " الصائم الصابر " لأنه يتجدد عليه الصبر عند تحرك شهوة في نفسه ومنع منها [٢/ ٧٠/ ب] بها فهو يرد أو يثبت على الوفاء بنذره ، فلذلك قال : " هو لي وأنا أجزي به " ، لأن الحفظة لا تعلم ذلك ولا تطلع عليه ، إنما ذلك بينه وبين ربه ، وخفي على الحفظة أن يعلموا جزاءه ومقدار ثوابه ، فولي الله ذلك العبد لأنه كلما ترددت شهوة تجددت شهوة للعبد عزمة على الثبات ، فله بكل عزمة ثواب جديد .

---

(١) في (ص) " الصائم " .

ألا ترى إلى قول رسول الله ﷺ : " ما من نعمة وإن تقادم عهدها فذكرها العبد فاسترجع إلا جدد الله له ثواب شكرها كيوم شكره ، وما من مصيبة وإن تقادم عهدها فذكرها العبد فاسترجع إلا جدد الله له ثوابها كهيئة يوم أصيب بها " .

فللصائم بكل عزمة في ساعات يومه استئناف صبر .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر : ١٠] فقد خرج هذا من عمل الحفظة وإدراكهم ، ولذلك ما روي عن رسول الله ﷺ أنه : " الأعمال كل حسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، إلا الصوم فإنه لا يعلم ثواب عامله إلا الله .

١١٨٧ـ **حدثنا** نصر بن يحيى ثنا سعيد بن سليمان ثنا أبو عقيل ثنا عمر بن محمد بن زيد عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " الأعمال عند الله سبعة(١) : عملان موجبان وعملان بأمثالهما وعمل بعشرة أمثاله ، وعمل بسبعمائة ضعف ، وعمل لا يعلم ثواب عامله إلا الله " .

فأما الموجبان فمن لقي الله يعبده مخلصا لا يشرك به شيئا وجبت له الجنة ، ومن لقي الله قد أشرك به وجبت له النار ، ومن عمل سيئة جزي بمثلها ، ومن أراد أن يعمل حسنة ولم يعملها جزي بمثلها ، ومن عمل حسنة جزي عشرا ، ومن أنفق ماله في سبيل الله ضعفت بسبعمائة فالدرهم بسبعمائة والدينار بسبعمائة ، والصيام الذي لا يعلم ثواب عامله إلا الله .

فالموجبات هي الإيمان والشرك ، فإنما ذكر مخلصا لأنه قد يكون مؤمن مشرك .

ألا ترى إلى قوله : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف : ١٠٦] ليس من مشرك إلا وهو يعرف ربه معرفة الفطرة ويؤمن به ثم يجد العدو إليه سبيلا فيغويه حتى يشرك به لأنه لم يمنّ عليه معرفة التوحيد .

ألا ترى إلى قول رسول الله ﷺ : " قال ربكم : خلقت عبادي حنفاء فأتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وأمرتهم أن يشركوا بي " .

فإنما قال : " من لقي الله يعبده مخلصا " ؛ أي لقيه بإيمان خالص لا يشرك فيه لأحد ، فهو موجب للجنة .

---

(١) كذا بالأصل ، وذكر هنا ثمانية أعمال .

ثم من قبل وصوله إلى الجنة حساب بالأعمال التي هي وفاء الإيمان .

وأما قوله : " عملان بأمثالهما " فصير السيئة مع إرادة الحسنة لأن إرادة الحسنة هو عمل القلب وحده ، لم تتخط تلك الإرادة إلى النفس فتقهرها بها حتى تستقيم الجوارح ذلك العمل لأن الجوارح هي للنفس والنفس غالبة عليها [٢/ ٧١/ أ] ، ألا ترى أنها إذا خرجت النفس في حال منامها ذهب السمع والبصر واللسان ، وقوة كل شيء من جوارحه ، فالحسنة الواحدة قد اشترك فيها مع القلب تسعة : الروح والنفس ، والجوارح السبعة اللاتي أخذ عليهن العهد والميثاق ، وألزمت أليته كتبه(١) بالأعجمية ، فحسبت له بعشر أمثالها ، والسيئة اشترك فيها التسعة ، فأنكر القلب ، فالروح والنفس والجوارح عوامل بتلك السيئة ، والقلب منكر لذلك بما فيه من الإيمان ، فبإنكاره له حبب له بواحدة ، ووجدنا أعمال العباد على ثلاث منازل : فالحسنة بعشر أمثالها ، وذلك للعامة ، وقد بين ذلك في تنزيله فقال : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ ﴾ [الأنعام : ١٠٦] . فعم الجميع بقوله : ﴿ مَن جَآءَ ﴾ . فدخل فيه أهل التخليط من الموحدين ، ومنزلة أخرى الحسنة فيها بسبعمائة ، وذلك للصادقين ؛ لأن أبدانهم قد صارت سبيلية ، فكل حسنة إنما خرجت من بدن عليه سبع جوارح ، فحسبت له كل حسنة بسبعة ، ثم ضوعفت بسبعة ، ثم ضوعفت كل واحدة بمائة فصارت سبعمائة ، فقال في تنزيله : ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ ﴾ [البقرة : ٢٦١] . فهذا مثل كأنه ضرب للجوارح السبع ، حبة تلك الحسنة من حبة القلب ، فأعملت الجوارح ، حتى عملت جارحة منها وأعانتها عليها سائر الجوارح ، فصارت بمنزلة السنابل السبع ، فضوعفت بمائة ، فالقلب والنفس قد استقاما لله ، فالقلب أمير والنفس عريف للأمير ، والعوامل سبع جوارح ، فالحياء والكرامة للقلب ، وللنفس من مزيد الله ، والجزاء للجوارح السبع ، فإنما صارت كل واحدة بمائة من المزيد الذي ناله القلب والنفس ، وإن الجارحة الواحدة إذا عملت فأدتها من الجوارح

---

(١) هكذا استظهرت قراءتها بالأصل .

الباقية ؛ لأن العهد المقبول قد تمكن فيهن ، وبذلك العهد يعين بعضها بعضا ، ومنزلة أخرى ، وذلك أن الحسنة فيها بأضعاف ثم الأضعاف مضاعفة ، فأما الأضعاف فهي السبعمائة المذكورة ، وأما المضاعفة لتلك الأضعاف فقد انقطع عن الملائكة أن يحصوه ، فهذا للمحسنين أهل الصفاء ، الذين وصفهم رسول الله ﷺ حيث سأله جبريل عليه الصلاة والسلام : ما الإحسان ؟ قال : " أن تعبد الله كأنك تراه " .

فالحسنة من هذا الصنف تضاعف بسبعمائة ، وهو العلم الذي أعطي الملائكة ، ثم يضاعف أمته تلك الأضعاف من عنده بما ينقطع العلم عنه ، وهو قول رسول الله ﷺ في هذا الحديث ، أنه قال : " الصيام الذي لا يعلم ثواب عامله إلا الله " .

وإذا بلغ العبد منزلة المحسنين ، وصارت أعماله كما وصف رسول الله ﷺ " أن يعبد الله كأنه يراه " ، ولِيَ اللهُ جزاءه ؛ لأن الملائكة تعجز عن أن تطلع في قلبه من أين هاجت هذه الحسنة [٢/ ٧١/ب] وأما طريق الجنة والجزاء فقد أعطى الملائكة علم ذلك ، وأما قوله : " الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر " ، فالإيمان ينقسم على الشكر والصبر ، ولذلك قال رسول الله ﷺ : " الإيمان نصفان ؛ نصف للشكر ، ونصف للصبر " .

لأن العبد في جميع عمره بين محبوب ومكروه ، فالإيمان يقتضيه الشكر عند المحبوب ، والصبر عند المكروه ، فإذا وفّى بهما وفر إيمانه ، فإذا طعم فقد أتى بمحبوب النفس ، فإذا شكرت فقد أتت بنصف وفاء الإيمان ، وإذا جاعت فذلك مكروهها ، فإذا صبرت فقد أتت بالنصف الباقي ، ثم هو في جميع الأعمال كذلك ، وأن العبد لما آمن بقلبه واعترف بلسانه امتحن صدق ما في قلبه ، وامتحن طمأنينة نفسه بالإيمان بهذا المحبوب والمكروه ، فإن أبرزهما بالجوارح في كل أمر فأبرز عند المحبوب شكرا ، وعند المكروه صبرا ، فقد أتى بوفاء الإيمان .

وهو قوله تعالى : ﴿ الٓمٓ * أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴾ [العنكبوت : ١ - ٢] .

فقوله : ﴿ الٓمٓ ﴾ كأنه يقول : أنا أعلم بالناس ، ولم أمتحنهم ، وأنا أعلم بسرائرهم ، فلم أتركهم وسرائرهم ، وإن أظهروا القول ، حتى أبرز بالأعمال ، فأعلم أنا منهم ،

ثم قال : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [العنكبوت : ٣] فهذا علم الظاهر ، وقد علم من قبل علم السرائر ، والفتن الحرق ، وذلك أن الشهوة التي في ابن آدم من المحفوف بباب النار فيها حرقة ، فإذا أثارها محبوب من الأمور فهي حرقة يقتضي عليها الشكر ، وهو رؤيتها من خالفها والمقدر لها ، وإذا آثرها بمكروه فهي حرقة يقتضي عليها الصبر للمقدر الحاكم القاضي عليه بذلك ؛ ليظهر صحة إيمانه ، فيباهي الله به يوم الموقف ملائكته وجنوده إذا أتى الله بالشكر والصبر .

الأصل الثامن والثلاثون والمائتان

١١٨٨ـ حدثنا عمر بن أبي عمر العبدي ، ثنا الحرب بن عبد الله ، عن أبي معشر ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : " إذا شربتم فاشربوا بثلاثة أنفاس " . فالأول شكر لشرابه ، والثاني شفاء في جوفه ، والثالث مطردة للشيطان . " وإذا شربتم فمصوه مصا ؛ فإنه أجدر أن يجري مجراه ، وأنه أهنأ وأمرأ " .

قال أبو عبد الله :

فإنما صار الأول شكرا للمتنبهين عن الله لما خلص إليه عذوبة الماء ورطوبته وبرده تراءيا لقلبه لطف الله له في ذلك الماء كيف جرت ربوبيته في ذلك الماء حتى رطبه وأعذبه وبرده ، فكانت رؤيته لذلك شكرا ، وأما النفس الثاني إنما صارت شفاء لأن النفس الأول لما كان بهذه الهيئة أذهب بالداء ، وإذا ذهب الداء جاءت نوبة الشفاء ، فلما [٢/ ٧٢/أ] شكر هذا العبد في النفس الأول استوجب من الله المزيد ، وهو قوله : ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم : ٧] . فاجتلب في النفس الثاني المزيد فصار شفاء ؛ لأن البركة قد اشتملت على المزيد ، وأما النفس الثالث فإنما صار مطردة للشيطان للوترية التي فيه ، فإن الله تعالى وتر يحب الوتر ، فالنفس الثالث محبوبه ، والنفس الثاني شكره لعبده ، وهو بمزيده ، والنفس الأول رحمته ، فإنما انطرد الشيطان من صدره وقلبه للوترية التي في النفس الثالث ، فعلى النفس الأول سمة رحمته ، وعلى النفس الثاني سمة مزايدة ، وعلى النفس الثالث سمة الوتر الذي هو فرد أحد واحد ، فوتريته نفت كل خلط في الأعمال مما يريد الشيطان أن يزاوجه ؛ لأن الله تبارك وتعالى أبدي وتريته ؛ لتكون الأعمال لله خالصا ، والشيطان مستعد لأن يزاوج الأعمال بما يورد على القلوب في تلك الصدور ، والموحد ينفي مزاوجته بحظه من وترية الله حتى يبطل كيده ويصفو عمله للوتر ، ولذلك كانت العلماء تتوخى الوتر في كل شيء ؛ فأهل الباطن نالوا هذا العلم من الذي وصفت من الأصل ، وأهل الظاهر اقتدوا بالظاهر من أمر الله تبارك وتعالى ، وقول رسول الله ﷺ وفعله ، فأما قول الله تعالى في تنزيله : ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ

﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات : ٤٩] . ثم لما صار إلى حد العدد أبدي محبوبه في خلقه الذي خلق ، فجعل سرير الملك واحدا ، وكرسي القضاء واحدا ، وقلم المقادير واحدا ، ولوح الأعمال واحدا ، والجنة دار الأحباب واحدا ، والسجن دار الأعداء واحدا ، ثم جعل للجنة سبعة أبواب ، وللنار سبعة أبواب ؛ لكل باب منهم جزء مقسوم ، وجعل بابا واحدا ؛ وهو باب محمد ﷺ ، وهو باب الرحمة ، وهو باب التوبة ، فهو منذ خلقه الله مفتوحا[1] لا يغلق ، فإذا طلعت الشمس من مغربها أغلق فلم يفتح إلى يوم القيامة ، وسائر الأبواب باب الأعمال مقسومة على أعمال البر ، فباب منها للصلاة ، وباب للصوم ، وباب للزكاة والصدقة ، وباب للحج ، وباب للجهاد ، وباب للصلة ، وباب للعمرة ، وأما أبواب النيران فلكل باب من النار جزء مقسوم ، فباب منها للشرك ، وباب للشك ، وباب للغفلة ، وباب للشهوة ، وباب للرغبة ، وباب للرهبة ، وباب للغضب ، فأما باب التوبة من الجنة الزائد على الأبواب ، فليس هو باب عمل ، إنما هو باب الرحمة العظمى ، الذي منه تدخل توبة العباد إلى الله ، ولذلك قال رسول الله ﷺ : " أنا نبي التوبة ونبي الملحمة " .

١١٨٩ـ **حدثنا** بذلك علقمة بن عمرو التميمي ، ثنا أبو بكر بن عياش : " وأنا رحمة مهداة " . بإسناد له ، وقال : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] . لنفس محمد ﷺ كانت رحمة للعالمين ، وسائر الأنبياء عليهم السلام يبعثهم رحمة للعالمين [٢/ ٧٢/ ب] ، فمن كان من الأنبياء مبعثهم رحمة للعالمين ، فيبعث بالهدى والنبوة والرسالة إليهم ، فمن أجابهم سعد ، ومن أعرض عنهم عوجل بالعذاب ، ومحمد ﷺ مولده ونفسه كانت رحمة للعالمين ، فصار مولده وخروجه إلى الدنيا أمانا للعالمين ، فمن أبى وأعرض لم يعاجل بالعذاب ، وأخر إلى يوم القيامة ؛ لحرمة خروجه إلى الدنيا ، من الأصلاب والأرحام ، والمدفن حيث دفن إلى نفخ الصور ، فحرمة تلك الرحمة وأمانه قائم ، فروي في الخبر أنه " ما من فجر يوم يطلع إلا نزل قبره سبعون ألف ملك يحفون بالقبر " .

عدنا إلى ما ذكرنا من الوترية ، فالسموات سبع ، والأرضون سبع ، والأيام سبع ، والسجود على سبع ، والجوارح المثاب ، والعاقب سبع ، والرزق من سبع ، وخلق

(١) في (ص) " مفتوح " .

الإنسان من سبع ، وأيام الدنيا كلها سبعة ، فهذه الأشياء كلها وتر ، وأمر بصلاة المغرب وترا ليرفع عمل النهار إلى الله وترا ، وإذا صلى العشاء أمر بالوتر ليرفع عمل الليل إلى الله وترا ، لأن ملائكة الليل غير ملائكة النهار ، وكان رسول الله ﷺ يتوضأ وترا ، وإذا تكلم فأعاد الحديث أعاد وترا ، وكان متوخيا للوترية في كل شيء ، وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان يتوخى الوترية في كل شيء حتى أنه كان يقرأ في صلاته أم القرآن بثلاثة أنفاس ، وكان ابن سيرين رضي الله عنه يتفقد ذلك حتى يأمر بالخادم أن تضع على مائدته من كل شيء وترا يتوخون بذلك محبوب الله والتماس البركة وانطراد الشيطان ونفوره ، وإذا انطرد الشيطان في النفس الثالث فإنما ينطرد لتوخي هذا الشارب بتلك الوترية في هذا النفس ، وبنى الشفاء على هيئته ، وثبت الشكر لصاحبه في النفس الأول ، فلذلك قال رسول الله ﷺ : " إن الله ليرضى عن العبد بالشربة الواحدة وبالأكلة الواحدة يشربها أو يأكلها فيحمد الله عليها " .

١١٩٠ـ حدثنا بذلك الجارود بن معاذ(١) ، نا إسماعيل بن أبان الأكبر ، عن زكريا بن أبي زائدة ، قال : حدثني سعيد بن أبي بردة ، عن أنس بن مالك ، عن رسول الله ﷺ .

١١٩١ـ وحدثنا الجارود ، ثنا وكيع ، عن يوسف أبي خزيمة ، عن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ : " ما أنعم الله على عبد من نعمة صغيرة ولا كبيرة فحمد الله عليها إلا كان قد أعطي خيرا مما أخذ " .

قال الجارود : قال وكيع : كان يقال : الحمد لله شكر ، ولا إله إلا الله .

قال أبو عبد الله :

فيالها من كلمة لوكيع ؛ لأن لا إله إلا الله أعظم النعم ، فإذا حمد الله عليها كان في كلمة الحمد قول لا إله إلا الله متضمنة مشتملة عليها الحمد ، فالنفس الأول للشكر ، وإنما ثبت له هذا الشكر بهذه الوترية في الثالثة لانطراد الشيطان ؛ لأنه إذا لم يكن مطرودا دخل عليه بوسوسة ما يبطل شكره ، وذلك أنه يوسوس إليه في عذوبته ، أو في صفائه ، أو في برده [٢/ ٧٣/أ] خللا ينغص عليه النعمة حتى يغيب عن قلبه

---

(١) في (د) " الحارث بن حماد " .

لطف ربوبية الله في ذلك الماء ، فربما أولج في الماء خللا حتى يشغله عن رؤية اللطف والربوبية ، فإنما ثبت له شكر النفس الأول بتوخيه الوترية حين قطع النفس في الثانية طالبا لوترية الله فيه بالنفس الثالث ، فإنما استوجب العبد رضى الله عنه في شربة واحدة هذه الآداب التي دأب عليها مطيعا لله طالبا بها حسن العمل ، فإن الله تبارك اسمه قال : ﴿ خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الملك : ٢] ، فاعلم أنه يبلونا أينا أحسن عملا في الحياة ليجزينا به بعد الممات يبتغي منا حسن العمل ، لا الكثرة والتخليط ، فإن الكثرة في العدد إنما تكثر عند من يجوز أن يموت عليه ويخادع ، والله تعالى لا يخادع ولا يموه عليه ، فقليل العمل إذا كان حشوه الحسن فهو كثير لأنه إنما حسنه العبد من حب الله تعالى وهيبته وإجلاله ، فحسن العمل في كل شيء أن لا يلتفت إلى رشوة من ربه ، وطهارته أن يكون لله خالصا ، فهذه الشربة الواحدة إنما رضي الله عن العبد بها . لأنه سمى في أولها ، ويتنفس حين قطع الشرب للشكر للمزيد ليجتلبه ، فإن المزيد أكثر من الشكر ، ثم تنفس فقطع ليجتلب الوترية فيتقى العدو الحاسد الذي قد أعد له في كل شيء حسدا فيثبت له الشكر ويدوم ، فإذا حمد الله فقد ختمه بكلمة الصدق فرضي عنه بتلك الكلمة الصادقة ، وإذا حمده حمدا مع تركه الأدب الذي وصفنا كانت كلمته بالحمد مدخولة يخاف ألا يستوجب الرضا ، فإن رضي الله عن العبد له خطب جليل وشأن رفيع وإذا رضي الله عن عبده أثنى عليه في سمائه على عرشه ، وأحبه جبريل والملائكة عليهم السلام ، فإذا حمد مع ترك الأدب باستيلاء القبلة كان حمده حمد السكارى .

١١٩٢ـ حدثنا عمر ، نا سليمان بن شرحبيل ، عن البختري بن عبيد ، ثنا أبي ، ثنا أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " من شرب ماء بثلاثة أنفاس بدأ فسمى في كل مرة ، وحمد بعد كل مرة ، سبح ذلك الماء في جوفه حتى يشرب ماء غيره " .

قال أبو عبد الله :

فإنما صار الماء بعدما صار مواتا بالشرب والاستهلاك حيا في جوفه ، فإنما حيي بتلك التسمية وذلك الحمد بحياة قلب العبد الشارب له .

وأما قوله : " إذا شربتم فمصوه " . لأن اللهاة تيبس من حرارة الجوف ولهبان الكبد

فتعطش اللهاة ، فإذا مص الماء كان لبث البرودة على . . .[١] ، وتمكث الروح الذي تضمنه الماء بوروده على اللهاة أكثر ، فتسكن العطش ، فاستغنى به عن كثرته ، وكثرة الماء تتخم وتبلي تلك التخمة في العروق فيحدث داء كبيرا ، فكثرة شرب الماء ليس [٢/ ٧٣/ ب] محمود عند العلماء بالدين ، ولا عند العلماء بالطب لأنه إذا أكثر شرب الماء امتلأت العروق فثقلت وخلص ذلك لما[٢] عروق القلب فأدرأت النوم فإذا مصه أسرع برودة الماء إلى تسكين عطش اللهاة فاستغنى عن الازدياد ، وأيضا خلة أخرى إذا شربه مصا كان أرفق لمجراه في العروق ، ولذلك كان رسول الله ﷺ يثقل عليه أن يرى أحدا يشرب بنفس واحد ، وكان يقول : " لا تعبه عبا ؛ فإن الكباد من العباب " . معناه : إذا عب أضر بالكبد ، وذلك أن مجمع العروق عند الكبد ، ومنه ينقسم في العروق ، فإذا عبه في دفعة واحدة أي أحدره وصوبه واحدة فقد أوعب ، وكان ذلك بمنزلة نهر فتحت مفتحه ، فإذا فتحت مرة واحدة فدخل الماء جملة لم يؤمن البثق والفساد ، وضرب عضادتي النهر ففاض وافد ، فكذلك إذا شربه عبابا في دفعة واحدة صبا لا مصا لم تحتمل العروق ذلك ، وفاضت من المعدة إلى العروق ، فربما كان على الطريق سدد في العروق واحتبس الماء هناك من أجل السُدة فدوي ، فصار خاما ، وقوي البلغم ، فحدثت منه أدواء ، وأورث ذلك البلغم كسلا عن عبادة الله وفتورا ، ففيه ضرر للدين ، وهذا من حقوق النفس الذي أوصاك الله بها في تنزيله فقال : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ [النساء : ٣٠] . ثم قال : ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًاۚ ﴾ [النساء : ٢٩] . فمن لها عند تفقد إقامته مثل هذه الحقوق التي وصفنا يوشك أن يؤديه إلى ما أكثر منه ، وكان آخذا بحظه من الظلم والعدوان في هذا القدر ، فكان رسول الله ﷺ شفيقا على الأمة ، ولله ناصحا ، وبالمؤمنين رءوفًا رحيما ، عزيز عليه ما عنت الأمة ، حريص بالمؤمنين أن يؤديهم إلى الله مع ذروة الإسلام وبهاء الإيمان ، فعلمهم تناول الشراب والطعام واللباس ، وكل شيء للنفس فيه حق ، وقال الله تعالى في تنزيله : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ

---

(١) كلمة لم أستطع قراءتها في (ص) .

(٢) كذا في الأصل .

أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ﴾ [الأحزاب : ٢١] . فطهره الله وأدبه ، وأحيا قلبه ونفسه فقبل أدبه وصار مهذبا ، بلاء نفسا به لمن رجا الله ، ورجا اليوم الآخر ، وجعل الاتباع له علامة محبة الله في قلوب العباد فقال : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ [آل عمران : ٣١] . فأوجب الله محبته لمن اتبعه .

الأصل التاسع والثلاثون والمائتان

١١٩٣- حدثنا إبراهيم بن عبد الحميد التمار ، ثنا عثمان بن صالح المقري ، قال : حدثني ابن لهيعة ، قال : حدثني عبد الرحمن بن جاس(١) ، عن عمرو بن حريث رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « النائم الطاهر كالصائم القائم »(٢) .

قال أبو عبد الله :

فالصائم بترك الشهوات يطهر ، وبقيامه بالليل يرحم فيحيا ، والنائم نوم العدة محتسبا [٢/ ٧٤/ أ] إذا نام على طهارة فنفسه تعرج إلى الله ، فإذا كان طاهرا قرب ، فسجد تحت العرش .

١١٩٤- حدثنا بذلك قتيبة بن سعيد ، ثنا ابن لهيعة ، عن واهب بن عبد الله المعافري ، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال : تعرج الأرواح إلى الله في منامها ، فما كان منها طاهرا سجد تحت العرش ، وما كان غير طاهر سجد قاصيا ، فلذلك يستحب أن لا ينام الرجل إلا وهو طاهر .

قال قتيبة : سألني جرير عن هذا الحديث فحدثته به ، فقال لابنه إسماعيل : اكتب هذا الحديث .

١١٩٥- حدثنا عمر بن أبي عمر ، ثنا عبد الغفار بن داود ، عن ابن لهيعة ، عن عثمان بن نعيم ، عن أبي عثمان الأصبحي ، عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : إذا نام الإنسان عرج بنفسه حتى يؤتى بها تحت العرش ، فإن كان طاهرا أذن لها في السجود ، وإن كان جنبا لم يؤذن لها في السجود .

قال أبو عبد الله :

فالأول ذكر الأرواح تعرج في منامها ، وهي لفظة قد يستعملها أهل اللغة ، فينسب الشيء ، فيسموه باسم قريبه كالقلب والفؤاد ، وأشباه ذلك كثير ، فالنفس والروح قريبان ، إلا أن الروح مسكنه في الرأس ، وهو يدعو إلى الطاعة لأنه سماوي ، والنفس تدعو إلى الشهوات لأنها أرضية ، وكلاهما ريحان قد وضع في كل واحد منهما

---

(١) كذا في (ص) ولم أقف له على ترجمته .

(٢) سقط من (د) من أول « فإن رضي الله عن العبد . . . كالصائم القائم » .

شيء من الحياة ، فيعمل بتلك الحياة ، فبالنفس يأكل ويشرب ويسمع ويبصر ، وبالروح يعف ويستحيي ويتكرم ويتلطف ويعبد ربه ويطيع ، والنفس هي أمارة بالسوء ، وبذلك أثنى عليها ، وهي حارة والروح باردة ، فإذا نام العبد خرجت النفس بحرارتها فعرج بها إلى الملكوت ، والروح باق معلق بنياط القلب ، وهو الذي يحرس القلب بما فيه من التوحيد ، فأصل النفس باق يتقيد بالروح ، وقد خرج شعاعها ، وعظم خلقها وحرارتها ، وهو قول الله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [الزمر : ٤٢] . ولذلك تجد النائم إذا استيقظ يجد في أعضائه بردا في أيام الصيف ، فذاك خروج حرارة النفس .

فإنما استجاز عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن قال : إن الأرواح تعرج ؛ لأنه استجازات يسميها باسم قرينها كالقلب والفؤاد ، واللهو واللعب ، وأشباه ذلك ، والنفوس تكون للبهائم ، وفضل الآدمي بالروح السماوي ؛ ليكون داعيا لنفسه إلى الطاعة ، ولكن إذا نام خرجت النفس فلقيت من أمر الملكوت وأخبار الغيب ما ترجع إلى صاحبها بالعلم الشافي .

ولذلك قال رسول الله ﷺ : " رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة " .

وقال في حديث آخر في مرضه يوم توفي ﷺ : " إنه لم يبق بعدي من النبوة شيء إلا المبشرات ؛ رؤيا المؤمن " .

فالقول [٢/ ٧٤/ ب] ما قال أبو الدرداء رضي الله عنه ، حيث أتى باسمه الذي هو اسمه ، فقال : عرج بنفسه إلى الله ، ومقالة عبد الله بن عمرو رضي الله عنه صحيح . إنما سماه باسم قرينه ، فإذا عرجت النفس صارت إلى فناء العرش ، فطهرت بقرب الله ، وطهرت بالسجود الذي أذن لها ، فرجعت إلى صاحبها طاهرة بالقرب ، محبوة بكرامة السجود ، فصار بمنزلة الصائم الذي يتطهر بترك الشهوات ، وحيي بقيام الليل ، فهذه منزلة الصادقين ؛ استوى نومه على طهارة بقيامه وصيامه . ولذلك قال معاذ لأبي موسى رضي الله عنهما : إني أنام نصف الليل ، وأقوم نصفه ؛ فأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي . لأنه قد عرف ما ثمرة هذه النومة ، وما ترجع النفس من الله إليه بتلك النومة .

فإما منزلة خاصة الله فهي أرفع من هذا ، فربما كان النوم أثر عندهم من القيام ؛ لأن نفوسهم قد قلقت بين الأحشاء ؛ فهي تطلب الانقلاب إلى فسحة التوحيد في فحص العرش ، وطلبت العقول الوصول إلى الله ؛ فاغتنم ما تطلب النفس فافترقا ، فخرج العقل بحظه من القلب اشتياقا إلى الله ، وخرجت النفس اشتياقا إلى فسحة العرش والروح الذي هناك ، فإذا رجعتا إلى البدن أوردا على الروح من الطهارات والكرامات ما لا يخطر على قلب بشر حتى ترتاح وتطهر ، ولذلك كان رسول الله ﷺ يتوخى نوم السَّحَر .

١١٩٦ـ حدثنا محمد بن الحسن الليثي ، ثنا إبراهيم بن سعد ، عن أبيه ، عن أبي سلمة ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : « ما ألقاه السحر عندي إلا نائما » .

تعني رسول الله ﷺ .

قال : فالسَّحَر ساعة نزول الرب تبارك اسمه إلى السماء الدنيا ، واطلاعه على خلقه ، والعطف عليهم ، ويناديهم : ألا هل من داع فأستجيب له ؟ ألا هل من تائب فأتوب عليه ؟ ألا هل من سائل فأعطيه ؟ ألا هل من مستغفر فأغفر له ؟ وهو باسط يده لمسيء النهار أن يتوب بالليل ، ثم يقول : من يقرض غير عدوم ولا ظلوم ؟

فانظر أي وقت هذا حين يظهر كلامه وإقباله من فوق رؤوس أهل الأرض ، فكان النبي ﷺ يتوخى النوم في ذلك الوقت ؛ لعروج نفسه إلى الله ، فيلقاه في سمائه ، فكان ذلك عنده أفضل من قيامه ؛ لأنه في حال القيام إنما يعرج إليه بعقله ، وههنا في حالة النوم تعرج النفس مع القلب والعقل ؛ فاجتماع الثلاثة عنده أفضل في ذلك المحل من توحد العقل ، فخاصة الله قد نالوا من هذا الحظ ، فإذا ناموا توخوا بنومهم هذا الذي وصفنا ، فلذلك صاروا أفضل من الصائمين القائمين ، وأما الصادق الذي وصفنا بدءًا فقد اعتدل نومه بصومه ، ومكثه في نومه بقومته ، فالحديث للصادقين ، فأما الخاصة فقد جازوا هذه المرتبة . [٢/ ٧٥/أ]

١١٩٧ـ حدثنا محمد بن سعيد بن سويد الحكمي ، حدثني أبي سعيد بن سويد ، عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : أبطأ عنا رسول الله ﷺ بصلاة الفجر حتى كادت الشمس تدركنا ، ثم خرج فصلى بنا ، فخفف في صلاته ، ثم انصرف فأقبل علينا بوجهه فقال : « على مكانكم ؛ أخبركم ما بطأني عنكم اليوم في هذه الصلاة ؛ إني صليت في ليلتي هذه ما شاء الله ، ثم

ملكتني عيني فنمت فرأيت ربي تعالى في أحسن صورة وأجملها ، فقال : يا محمد . قلت : لبيك يا رب . قال : فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت : لا أدري يا رب . ثم قال : يا محمد . قلت : لبيك يا رب . قال : فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت : لا أدري يا رب . قال : فوضع كفه بين كتفي ، فوجدت برد أنامله بين ثديي ، فعلمت من كل شيء وبصرته ، ثم قال : يا محمد . قلت : لبيك يا رب . قال : فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت : في الكفارات . قال : وما هن ؟ قلت : في المشي على الأقدام إلى الجماعات ، وفي إسباغ الوضوء في السبرات ، وفي القعود في المساجد بعد الصلوات . ثم قال : فيم ؟ قال : قلت : وفي إطعام الطعام ، وفي إفشاء السلام ، ولين الكلام ، والصلاة بالليل والناس نيام . قال : سل . قال : قلت : اللهم إني أسألك حب الحسنات ، وترك المنكرات ، وحب المساكين ، وأن تغفر لي وترحمني ، وإذا أردت فتنة بين خلقك فنجني منها غير مفتون ، اللهم وأسألك حبك ، وحب من يحبك ، وحب عمل يقرب إلى حبك " . ثم أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال : " تعلموهن وادرسوهن ؛ فإنهن حق " .

١١٩٨ـ حدثنا الجارود بن معاذ ، ثنا الوليد بن مسلم ، قال : حدثني عبد الرحمن بن يزيد ابن جابر ، قال : حدثني خالد بن اللجلاج ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن عابس الحضرمي رضي الله عنه ، قال : سمعت رسول الله ﷺ . فذكر نحوه .

١١٩٩ـ حدثنا أبو سنان البلخي ، ثنا عبد الله بن صالح ، ثنا معاوية بن صالح ، عن سليم[١] ابن عامر ، عن أبي يزيد ، عن أبي سلام الأسود ، عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ . بنحوه .

١٢٠٠ـ حدثنا أبي رحمه الله ، عن رجاء[٢] بن نوح ، عن سعيد بن سالم ، قال : حدثني عبيد الله بن أبي حميد ، عن أبي مليح بن أسامة ، قال : حدثني أبو هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ بنحوه .

قال : فقد ذكر في هذا الحديث أنه قام في ليلته ما قام ، ثم قام فقال ما قال ، فانظر

---

(١) في (ص) " سليمان " .

(٢) في (د) " جابر " .

كم بين القومة والنومة ، فهذا قصد المشتاقين إلى الله للمنامات يتوخون بها تجدد أحوال النفوس ، ويتوقعون من الله المنن ، وكان أبو بكر رضي الله عنه يقول : لأن أسمع برؤيا صالحة أحب إليّ من كذا وكذا .

١٢٠١ـ حدثنا الفضل بن محمد الواسطي ، ثنا إبراهيم بن موسى الطرسوسي ، ثنا يحيى بن سعيد ، عن ابن جريج ، عن سعيد بن زيد [٢/ ٧٥/ ب] ، قال : حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن[١] ، أن رسول الله ﷺ قال : " وكل بالنفوس شيطان يقال له الهو فهو يحمل إليها ويتراءيا إلى أن تنتهي إذا عرج بها ، فإذا انتهت إلى السماء فما رأت فهو الرؤيا التي تصدق " .

قال : فقد أخبرني بهذا الحديث من قول رسول الله ﷺ ما يحقق قول أبي الدرداء رضي الله عنه : التي تعرج في منامها هي النفوس لا الأرواح ، فهذا الحديث الذي ابتدأ ما فيه من قوله : " النائم الطاهر بمنزلة الصائم القائم " . هو نظير الحديث الذي جاء عنه ﷺ أنه قال : " الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر " . فهذا شكر الصادقين ، عدل شكره على طعامه بصبره في صيامه ، فأما شكر الصديقين أولياء الرحمن فقد فاق وبرز على صبر الصائمين ؛ لأن الصبر ثبات العبد في مركزه عن الشهوات ، يرد ما يحتاج إليه من الشهوات في يومه إلى المساء في وجه النفس ، والشاكر من الصديقين يطعم فيفتتح طعامه باسم الله الذي تملأ تسميته ما بين السماء والأرض ، ويطفئ حرارة الشهوة ، ويرد كل سم في كل شهوة من طعامه ، ويرى لطف الله في ذلك الطعام ، ويرى رأفة الله في سياقه إليه ، وحزنه عن جميع خلقه ، ويحمد الله على ما يرى من صنائعه إليه في ذلك الطعام حمدا لا ينتهي ، ولا ينهنهه شيء حتى يلحق بالحمد الذي حمد الله بنفسه عُشِ[٢] الحمد ، فقد بان عند أولي الألباب تفاوت ما بين هذين الحالين .

---

(١) في (ص) " أبو سلمة عبد الرحمن " .

(٢) هكذا استظهرت قراءتها بالأصلين .

الأصل الأربعون والمائتان(١)

١٢٠٢ـ حدثنا يعقوب بن شيبة ، ثنا موسى بن إسماعيل ، ثنا عبد العزيز الدراوردي ، عن إسماعيل بن رافع ، عن محمد بن يحيى بن حبان ، عن عمه واسع بن حبان ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " تعوذوا بالله من الرغب " .

قال : وكانت له ابنة رغيبة ، فدعا الله عليها فماتت .

قال أبو عبد الله :

فالرغب كثرة الأكل والشبع مفقود حتى يحتاج صاحبه إلى أن يثابر عليه في اليوم مرات ، وصاحب هذا هو ممن الحرص عليه غالب ، فلهبان نار الحرص يهضم ذلك الطعام ، وينشف رطوبته حتى يسرع في يبسه فيصير ثفلا يحتاج إلى أن ينفضه نفضا .

وزاد في هذا الحديث في رواية أخري أنه قال : : " الرغب شؤم " . فإنما شأمه هذا الحريق الذي فيه من الحرص الغالب عليه ، فالحرص على الطعام جعامة النفس ، وإذا كانت النفس جعمة فصاحبها مفتون ، وابتلى الله هذا الآدمي بهذه الشهوات واللذات ، فإنما ظهرت جعامة النفس من قلة حظه من الله ، وبعد قلبه منه ، فربت نفس مالت جعامتها بها إلى بطنه ، وربّت نفس مالت جعامتها إلى فرجه ، فلذلك تجد الناس على ذلك ترى أحدهم مفتونا ببطنه [٢/٧٦/أ] ، ولذة حلقه هالعا لا يدع رطبا ولا يابسا إلا ابتلعه ، وآخر مفتونا بفرجه ، مهتما بشأنه ، فإذا عجز عنه فعلا لكبر أو ضعف فقلبه مهموم ، ولسانه رافث ، وعينه طماحة خائنة .

ولذلك ما روي عن رسول الله ﷺ .

١٢٠٣ـ حدثنا بذلك صالح بن عبد الله ، ثنا ابن إدريس ، عن أبيه ، عن جده ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قيل : يا رسول الله ، ما أكثر ما يدخل الناس الجنة ؟ قال : " تقوى الله ، وحسن الخلق " . قيل : ما أكثر ما يدخل الناس النار ؟ قال : " الأجوفان ؛ البطن والفرج " .

---

(١) من هنا إلي آخر الكتاب اعتمدت علي مخطوطة واحدة وهي التي رمزت إليها (ص) .

قال : وتصديق مجيء هذا الخبر عن رسول الله ﷺ في كتاب الله قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴾ [الأحقاف : ٢٠] . فعير الله الكافرين عند المؤمنين ، ولم يعيرهم بالكفر ، إنما عيرهم بالاستمتاع بطيبات حياة الدنيا ، والطيبات هي الشهوات التي تلتذ بها النفس ، ببطنه وفرجه ، بلا ورع ولا شكر ، فهذا كله من الحرص ، وقد حذر الله على ألسنة الرسل هذا الشأن .

١٢٠٤ـ حدثنا أبي رحمه الله ، ثنا أبو نعيم ، ثنا موسى بن علي بن رباح اللخمي ، عن أبيه ، عن عبد العزيز بن مروان ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " أشرّ ما في الإنسان شح هالع وجبن خالع " .

قال : فالشح الهالع عندنا هو الحرص الذي له حريق في الجوف ، وصاحبه لا يشبع والجبن الخالع هو الذي إذا وقع الخوف في الرئة انتفخ من الجبن وسوء الظن حتى يرحل القلب من مكانه فيبقى القلب معلقا كالمنخلع من مكانه ، فالرغب مشتق اسمه من الرغبة ، وهو شعبة من الرغبة ، والرغبة خلق من أخلاق الكفر .

١٢٠٥ـ حدثنا الجارود ، ثنا عمر بن هارون ، عن صالح المري ، عن أبان ، عن وهب بن منبه قال : وجدت في الحكمة مكتوبا : بني الكفر على أربعة أركان : على الرغبة والرهبة والشهوة والغضب .

قال أبو عبد الله :

فعلى قول وهب : الرغبة ربع الكفر ؛ والمؤمن لا يرغب ، بل يتناول على الحاجة ، والمؤمن لا يستمتع ، بل يتزود ، ولأن المؤمن مسافر قد أيقن بالبعث فهو في السير إلى ربه ، فما أخذه من الدنيا أخذه تزودا ليقطع مسافة أيام الدنيا إلى يوم مقدمه عليه بالموت الذي حل به ، فأورده على الله ، والكافر قد ركن إلى الدنيا ونعيمها ، ولم يقر بالبعث ولا اطمأن إلى أنه صائر إلى الله ؛ لأنه لم يعرفه معرفة التوحيد فيرجوه ويأمله ، ومن التوحيد امتدت عيون الموحدين إلى الله بالرجاء العظيم والأمل الفسيح ؛ لأن في حبو(١) التوحيد ما يصيرهم بهذه الصفات .

(١) هكذا استظهرت قراءتها بالأصل .

قال له قائل : وما في حبوه ؟ قال : أُجْمِل ، أو : أُطْنِب ؟ قال : بل أَجْمِل . قال : حب الله [٢/ ٧٦/ ب] في حبو توحيد كل مؤمن ، فحبه لا يدعه حتى يمد عينه إلى رجاء عظيم ، وأمل فسيح ، وكذلك تجد نفسك في الدنيا كل من أحببته ، وثقت فيه واطمأننت إليه ، وعلى حسب ذلك يعظم رجاؤك لديه ، وينفسح أملك ، وربنا أحق بالوفاء للعبد ، ولذلك قال رسول الله ﷺ : " ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطن ، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، فإن كان لا بد فثلث طعام وثلث شراب وثلث نفس " .

١٢٠٦ـ حدثنا بذلك علي بن حجر ، ثنا إسماعيل بن عياش ، قال : حدثني سليمان بن سليم ، وحبيب بن صالح ، عن يحيى بن خالد ، عن المقدام بن معد يكرب ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك . وقال لأبي جحيفة حيث تجشأ ، فقال : " يا أبا جحيفة أقصر من جشائك ؛ فإن أطول الناس جوعا يوم القيامة أكثرهم شبعا في الدنيا " .

ولذلك كان يقال : الشبع أبو الكفر ؛ لأن الإنسان إذا امتلأ حدث عن امتلائه الأشر والبطر ، ومنهما يتجبر ويتكبر .

وقال فيما روي عنه ﷺ : " إن الله يحب الفيتين من أمتي " . قيل : يا رسول الله ، وما الفيتين ؟ قال : " قليل المطعم " .

وما روي عن يحيى بن زكريا عليهما السلام ، أنه قال لإبليس : هل وجدت مني شيئا قط ؟ قال : لا ؛ إلا أنك ربما شبعت فثقلت عن الصلاة . فعاهد الله أن لا يشبع حتى يخرج من الدنيا ، فإنما أمر رسول الله ﷺ بالتعوذ بالله من الرغب كي يعافى من هذه الآفات التي وصفنا ، والله أعلم .

الأصل الحادي والأربعون والمائتان

١٢٠٧ـ حدثنا محمد بن علي رحمه الله ، ثنا صالح بن محمد ، ثنا جرير ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن مجاهد ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ : " أعطيت خمسا لم يعطهن نبي قبلي ، ولا أفخر ؛ بعثت إلى الأحمر والأسود ، وكان النبي قبلي يبعث إلى قومه ، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا ، ونصرت بالرعب أمامي مسيرة شهر ، وأحلت لي الغنائم ، ولم تحل لأحد قبلي ، وأعطيت الشفاعة فأخرتها لأمتي فهي نائلة إن شاء الله لمن لا يشرك بالله شيئا " .

١٢٠٨ـ حدثنا إبراهيم بن إسماعيل بن يحيى بن سلمة بن كهيل ، قال : حدثني أبي ، عن أبيه ، عن سلمة بن كهيل ، عن مجاهد ، عن ابن عمر ، عن رسول الله ﷺ ، بمثله ، ولم يذكر ابن عباس .

قال أبو عبد الله :

فالرسول مبعوث إلى الخلق بمنزلة الأمير المؤمن يعطى الولاية والإمارة والرعاية ، فهو بمنزلة الراعي يرعى غنمه ، في مراعي تسمن عليها ، ويوردهم صفو الماء ، ويرتاد لهم في الصيف مشتاهم ، وفي الشتاء مصيفهم ، وقد أعد لهم كل ليلة مأوى قبل هجومه ، ويفر بهم عن مراتع الهلكة ، ويجنبهم الأرض الوبيئة ، ويحرسهم من السباع ، ويحوطهم عن الشذوذ ، ويلحق شذاذهم بهم ، ويجر كبيرهم ، ويداوي [٢/ ٧٧/ أ] مريضهم ، ويجمع . . . [(١)] من الألبان والصوف لرب الغنم ، فهذا راعي ناصح لمولاه في غنمه ، وأجره موفور عليه يوم الجزاء ، ومتوقع من رب الغنم فضل هدية على قدر ملكه ، فالرسول هو راعي الخلق ، والخلق غنمه ، بعث ليرعاهم ، فبرع وكل جارحة في واديها ، فإذا نباشر وماذا تجتنب ، فأحل من كل جارحة بعضها ، وحرم بعضا ، وأوردهم من المياه أصفاها ، وهو العلم الصافي ، وينزلهم المشتى والمصيف ، وهو للاستعداد في الحياة وأيام الصحة والقوة قبل الهرم والمرض والموت ، وأعد لهم المأوى ، فبين لهم عند حدوث الفتن كالليل

---

(١) كلمة لم أستطع قراءتها بالأصل .

المظلم إلى أين يأوون وبمن يعتصمون ، ويفر بهم عن مراتع الهلكة ، وهي الشهوات الدنيوية المشوبة بالحرص ، ويجنبهم الأرض الوبيئة وهي الأفراخ التي تحل بالقلب سمها فيوباً[١] ويمرض منها القلب ، ويحرسهم عن الشذوذ مخافة الذئاب ؛ وهو العدو ، ويجبر كسيرهم إذا وقعوا في المعاصي ، ويدعوهم إلى التوبة ، ويعينهم عليها حتى يجبر كسيرهم ، ويداوي مريضهم ، وهو أن يعظ مفتونهم حتى يخلصهم بالمواعظ من فتن النفوس ، ويحمل شذاذهم ؛ وهو أن يتولى رعاية أطفالهم بالتأديب ، ويجمع رسلهم وألبانهم ، وهو أن يدعو لهم ويستغفر لهم ويسأل الله قبول أعمالهم ، فهذا راعي ، ومع ذلك أمير يؤدبهم ، ويحملهم على المكاره ، ويسوقهم ويسيرهم بسوط الأدب على شارع الاستقامة ؛ ليوافي بهم الموقف بين يدي الله ؛ فكل راع إلا ومعه عصا يهشّ بها على الغنم ويؤدبهم بها ، وقد ذكر الله عصا موسى عليه الصلاة والسلام في تنزيله ؛ فكل راع مؤنته على قدر غنمه ، وكل أمير مؤنته على قدر رعيته ، فالأمير المبعوث إلى كورة محتاج على قدر ولايته إلى آلة الولاية من الخدم والدواب والمراكب والكنز لينفق في إمارته ، فمن أمر على طخارستان فهو أقل حظا من هذه الأشياء التي وصفنا ، ومن أمر على خراسان كانت حاجته إلى كنز عظيم ، ومن ملك المشرق والمغرب والأرض كلها احتاج إلى خزائن الأموال حتى يضبط به ذلك الملك ، فكذلك كل رسول بعث إلى قومه فأعطي من كنز التوحيد وجواهر المعرفة على قدر ما حمل من الرسالة ، فالمرسل إلى قومه في ناحية من الأرض إنما يعطى من النبوة ومن هذه الكنوز على قدر ما يقوم به في شأن نبوته ورعاية قومه ، فالمرسل إلى جميع أهل الأرض كافة إنسها وجنها أعطي من المعرفة بقدر ما يقوم بها في شأن النبوة إلى جميع أهل الأرض كافة للناس ، فحظه من قوله : " بعثت إلى الأحمر والأسود " . ومن قول الله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ ﴾ [سبأ : ٢٨] . كحظه من ولاية ملك يملك الدنيا شرقها وغربها وما بينهما ، ومن ملك الأرض كلها وجواهر الأرض كلها ومعادنها له ، والملك الذي يملك ناحية من الأرض ليس له إلا معدن

---

(١) هكذا صورتها في الأصل .

ناحيته ، فجوهر ذلك المعدن فقط ، فلذلك قال رسول الله ﷺ : " اختصر لي الحديث ، وأوتيت جوامع [٢/ ٧٧/ب] الكلم " .

ولذلك صار كتابه مهيمنا على الكتب ، ولذلك صار القرآن مشتملا على التوراة والإنجيل والزبور ، وبقي المفصل نافلة لهذه الأمة خاصة ، وأوحي إليه بالعربية واللغات كلها فهي موجودة ، وبذلك اتسعت بالوفارة حتى برزت على سائر اللغات ، وهي لسان أهل الجنة ، لسان الأنبياء ، فلما أعطى الرسالة إلى أهل الأرض كافة إنسها وجنها أعطي من الكنوز مقدار الكفاية للجميع ، ومن الجنود كذلك ، وأوتي من الحكمة العليا ، وأوتي جواهرها ، فهي بمنزلة الملك الذي ملك الأرض بما فيها من الجواهر ، وأوتي ختم الرسالة وأوتي الرعب ، ولم يؤت أحد قبله جواهر الرسالة كلها ، ولا ختم الرسالة ، ولا الرعب ، فبجواهر الرسالة قوي على علم مختصر الحديث وجوامع الكلم .

وروي في الخبر أن التوراة كلها كان يحملها سبعون جملاً(١) موقرة ، والزبور من بعدها ، والإنجيل من بعده ، فجمع الله لمحمد ﷺ ذلك كله في الفرقان ، ثم جمع الفرقان كله في فاتحة الكتاب ، ولذلك سميت أم الكتاب ؛ لأن القرآن كله منها تولد وخرج ، ولذلك قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾ [الحجر : ٨٧] . وهي سبع آيات سميت مثاني ؛ لأن الله تعالى كتب جميع الكتب كلها في اللوح المحفوظ ، ثم أنزل منها على الرسل عليهم السلام ، على كل رسول ما علم أنه يحتاج إليه ذلك الرسول وأمته ، فاستثنى فاتحة الكتاب من جميع ذلك وخزنها لهذه الأمة ، فقيل مثاني لأنه استثناء لنا ، فجميع علم التوراة والإنجيل والزبور والفرقان مستخرج من أم القرآن ، فالقرآن مستخرج من أمه ، وسائر الكتب في القرآن .

ومما يحقق ذلك قول الرسول ﷺ

١٢٠٩- ما حدثنا به قتيبة بن سعيد ، ثنا عبد الوهاب ، ثنا أيوب ، عن أبي قلابة ، أن رسول الله ﷺ كان يقول : " أوتيت السبع " . يعني الطُّوَل " مكان التوراة ، وأعطيت

---

(١) كذا بالأصل .

المثاني مكان الإنجيل ، وأعطيت المبين مكان الزبور ، وفُضلت بالمفصل " .

قال الله تعالى : ﴿ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف : ١٩٨] .

أي ينظرون إليك بعيون رؤوسهم وهم لا يبصرونك بعيون قلوبهم ، فمن عمي قلبه عن الله ولم يكن في قلبه نور الهداية لم يبصر آثار النبوة على محمد ﷺ ، وإنما كان يبصر منه شخص الجثة . ومن هداه تعالى لنوره فانفتح عين قلبه بذلك النور فاستقرت المعرفة في قلبه أبصر من محمد ﷺ شخص النبوة بارزا وعلى شخص النبوة شخص الرسالة فائقا .

قال له قائل : وما شخص النبوة ؟ قال : الحياة والذكاء ، واليقظة والإنفاذ والسرعة ، والبدار والسبق والسماحة والكرم ، والسعة والجود ، والحياء والسكينة ، والوقار والحلم ، ومن الأفعال : السواك والحجامة والتعطر والجماع . قال : وما شخص الرسالة الذي فاق على شخص النبوة ؟ [٢/٧٨/أ] قال : الجلال والبهاء والنزاهة والحلاوة والطلاوة والملاحة والمهابة والسلطان ، وأصل هذا كله من ثلاثة أشياء : من اليقين والحب والحياة ، فإنما نال المؤمنون من معرفة محمد ﷺ على قدر معرفتهم بالله وعلمهم به ، فمن صدق محمدا ﷺ في الصحبة كان صدق صحبته على قدر معرفته إياه وعلمه به ، وعلى حسب ذلك كان يتراءى لبصر عينه في الظاهر ما ذكرنا من الخلال التي عددنا ، فأوفرهم حظا من نور الله وأوفرهم علما بمحمد ﷺ وقدره وجلالته ، وحظه ومنزلته ، وأوفرهم علما به أسرعهم إجابة لدعوته ، وأبذلهم له نفسا ومالا .

ألا ترى أن أبا بكر رضي الله عنه لما أفشى إليه رسول الله ﷺ أنه رسول مبعوث صدقه على المكان ولم يتردد ولم يضطرب ، وقال علي رضي الله عنه : حتى أسأل أبي . ثم رجع من الطريق وصدقه ، وغمر صدقه بعد مدة ، وبعدما أسلم تسعة وثلاثون نفسا فتم بإسلامه عدد الأربعين بعد دعوة رسول الله ﷺ ليلة أسلم عمر رضي الله عنه من الغد : " اللهم أعز الدين بعمر بن الخطاب أو بعمرو بن هشام " . يعني أبا جهل ، فسعد عمر وشقي عمرو .

ودل أسماؤهما على حظيهما من الله والمقدار الكائن من أمريهما ؛ لأن عمر رضي الله عنه أول اسمه عين مثقل ، وعمرو أول اسمه عين مفتوح مخفف ، والمضموم الذي

قد آواه الله وضمه إلى باله ، والمفتوح الذي أهمله الله وأخرجه من باله ، وكلا الاسمين مشتق من العمر ، والعمر حجة الله على ابن آدم ، والأسماء من علم آدم الذي برز به على الملائكة ، وورثه الأنبياء والأولياء من ولده .

قال له قائل : فما العمر ؟ قال : إنما هو ثلاثة أشياء : مهلة وأجل وعمر ، فالمهلة أنه أعطاه القرار حين خرج من بطن أمه على حديد الأرض ، والعمر ما تخلص إليه من تدبير الله في جميع متقلبه من التربية ، والأجل هو الغاية التي إذا بلغها انقطع القرار والتربية ، وتبدد الجميع من الروح والنفس والحياة ، والذهن والعقل والعلم والملك ، فرجع الروح إلى معدنه ، والنفس إلى جوهرها ، والذهن إلى مجراه ، والعقل إلى أصله ، والعلم إلى معدنه ، والملك إلى موضع الميراث ميراث الله حيث قال : ﴿ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [آل عمران : ١٨٠] .

فضمة الاسم الأول دليله إلى أنه كان مضموما إلى بال الله ، وقد كان به عليما ، فوضع مبتدأ اسمه من القالب في موضع ضمه بعلم ، وورثه علم آدم عليه الصلاة والسلام . قصة شأنه في مبتدأ خلقه ليدركوا به ما يكون من شأنه في جميع منقلبه ومحياه من طريق علم الفراسة ، فأعز الله به الإسلام عزا حتى صار محل أن جاء جبريل عليه الصلاة السلام ، فقال : " يا محمد ، أقرئ عمر السلام ، وأخبره أن غضبه عز [٢/ ٧٨/ ب] ورضاه حكم " .

١٢١٠ـ حدثنا بذلك حسين بن الحسن المروزي ، بمكة ، ثنا إبراهيم بن رستم ، عن يعقوب القمي ، عن جعفر بن أبي المغيرة ، عن سعيد بن جبير ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ .

١٢١١ـ حدثنا أبي رحمه الله ، ثنا يوسف بن واقد ، عن يعقوب القمي ، عن جعفر بن أبي المغيرة ، عن سعيد بن جبير ، عن رسول الله ﷺ . ولم يذكر فيه أنس .

كأن معناه أن قال لعمر رضي الله عنه : أنت في الاستقامة لله وبين يديه بمحل إذا غضبت أمضى الله غضبك وجعل له سلطانا ، يعز به دين الله ، وإذا رضيت كان رضاك قاضيا ، ورضا الله به كأنك إذا حكمت على الله برضا لشيء ، أو عن عبد أمضى حكمك ورضي بما حكمت ، وهذا موسع القسم ، وهو قول رسول الله ﷺ : " إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره " . ففي القسم درجات في السرعة

والبطء ، وفي الانبساط والانقباض ، وفي الاتساع في الدالّة ، وفي التقرر ، فأما فتحة الاسم التي دلت على أن عمرو بن هشام خرج من بال الله ، فقد انكشف الغطاء عن شأنه ، فكانت كنيته في قريش : أبو الحكم ، فجرت كنيته في الإسلام بأبي جهل ، لعظيم جهله وكثرة بلاهته ، وشترة نفسه الخبيثة ، فعلى حسب خروجه من بال الله عظمت آفته على رسول الله ﷺ وعلى الإسلام حتى قتله الله أذل قتلة ، وسحب بوجهه فألقي في قليب ببدر ، ووقف رسول الله ﷺ على القليب ، فقال : " يا أبا جهل بن هشام ، ويا عتبة ، ويا شيبة ؛ هل وجدتم ما وعد ربكم حقا " .

فلم يلق رسول الله ﷺ من جميع المشركين من الأذى والعدوان ما لقي منه وحده ، ولم يعمل في الصد عن الإسلام قولا ولا فعلا ، ونفقة في الحروب ما عمل هو ، وهو الذي حرض الناس يوم بدر على الحرب ، وقد همّ الناس بالرجوع لما وصل الخبر إليهم أن العير قد سلم ، فما زال يسلبهم ويُعير قومه بالجبن حتى نصب الحرب لهم ، حتى وافته لعنة الله والخزي الذي حل به ، وكان يقول : إني لأعلم أنه نبي ، ولكن قالت بنو عبد مناف : لنا السقاية والحجابة واللواء ، فأطعمنا ونحرنا ، وقلنا : لنا المجد ، حتى إذا تماست الركب ، قالوا : منا نبي . ومتى كنا تبعا لبني عبد مناف ، فوالله لو ينزل عليّ من فوق سبع سماوات لجاهدته .

وضم الله عمر إلى باله ، فخرج من تقدير الله له اسم مضموم مثقل ، على تقدير فُعَل ، وقوله : حظا من البال ، حتى أعز به الدين ونصر به الرسول ، ودعم ظهر الإسلام فبه فتح الفتوح ، وبه مصّر الأمصار ، وبه أحيا سنن المرسلين ، وترك المسلمين على الواضح من الطريق ، فلم يقم أحد مقامه إلى يومنا هذا ، فأكرم الله محمدا ﷺ ، وأبرز كرامته وفضيلته بأن جعل لكل نبي من الأنبياء وزيرا ، وجعل لمحمد ﷺ [٢/ ٧٩/ أ] أربعة من الوزراء ؛ فأبو بكر وعمر رضي الله عنهما وزيرا الرسالة ، وعلي وعثمان رضي الله عنهما وزيرا النبوة ، ثم نحلهم من الحظوظ من عنده ؛ فحظ أبي بكر رضي الله عنه منه العظمة والحياء ، وحظ عمر رضي الله عنه منه الحق والوكالة ، وحظ علي رضي الله عنه منه الحرية والخلة ، وحظ عثمان رضي الله عنه النور والحياء ، قال له قائل : نور ماذا ؟ قال : نور الحق . فتفاوت أعمالهم في صحبتهم الرسول أيام الحياة ، وفي سيرتهم في الأمة بعد على قدر

حظوظهم ، فلما أحس رسول الله ﷺ بالارتحال إلى الله من الدنيا ، وابتدئ له في وجعه ، وعجز عن الخروج إلى الصلاة بالأمة أمر أبا بكر رضي الله عنه بالصلاة ، تتابعت الروايات بذلك من وجوه شتى ، كلهم ثقات ، وتداولت السنة العامة خبرا متفقا ، أنه هو الذي ولي الصلاة ، وكان من صنع الله للأمة أن خفف الله عنه يوم قبض ، فخرج والمسلمون في صلاة الغداة ورجلاه يخطان في الأرض حتى جلس إلى جنب أبي بكر رضي الله عنه ، فصلى ليعلم الجميع أن رسول الله ﷺ رضي بذلك من فعله ، لئلا يبقى لمعاند أو طاعن مقال أنه لم يأمر بذلك في مرضه ، وأنه كان مغلوبا على عقله لشدة علته ، فأظهر الله ذلك بما خفف عنه حتى خرج وقعد إلى جنبه فصلى من حيث انتهى أبو بكر ، ثم صار المتأولون لذلك على صنفين منهم ، فقال قائلون : صلى بصلاة أبي بكر وأبو بكر رضي الله عنه الإمام ، وقال قائلون : بل رسول الله ﷺ الإمام وأبو بكر رضي الله عنه المقتدي .

١٢١٢- **حدثنا** صالح بن عبد الله ، ثنا إسماعيل بن جعفر ، عن حميد ، عن أنس رضي الله عنه قال : آخر صلاة صلاها رسول الله ﷺ خلف أبي بكر رضي الله عنه .

١٢١٣- **حدثنا** صالح بن محمد بن الفضل التمار ، ثنا محمد[١] بن عمر الواقدي ، ثنا الضحاك بن عثمان ، عن حبيب مولى عروة ، عن أسماء بنت أبي بكر قالت : سمعت أبي يقول : آخر صلاة صلاها رسول الله ﷺ خلفي في ثوب واحد .

فهذا أوضح حديث في هذا الباب إذ حكاه أبو بكر رضي الله عنه ، وهو أعلم بهذه القصة من جميع من كان في المسجد ، فالصلاة عماد الدين ، وأول شيء فرضه الله على المسلمين يوم أوحي إليه ، والصلاة إقبال الله على العبيد ليقبلوا إليه في صورة العبيد ، تذللا وتسلما وتبدلا وتخضعا وتخشعا وترغبا وتملقا ، فالوقوف تذلل ، والتكبير تسلم ، والثناء والتلاوة تبدل ، والركوع تخضع ، والسجود تخشع ، والجلوس ترغب ، والتشهد تملق ، فأقبل العبيد إلى الله بهذه الصورة ليقبل الله عليهم بالترحم والتعطف والتقبل والتكرم ، والتقرب والتكنف ، فليس شيء من أمر الدين أعظم من هذا ، ولذلك قال رسول الله ﷺ : " الصلاة عماد الدين " [٢/ ٧٩/ ب] .

(١) بالأصل " عمر " والمثبت من كتب التراجم .

وقال في حديث آخر : " الصلاة نور " .

وقال : " لا يزال الله مقبلا على العبد بوجهه ما دام العبد في صلاته ، وإن الله لينصب لأحدكم وجهه ما دام العبد مقبلا عليه " .

وقد رخص في الدخول في جميع أعمال البر كلها ، والعبد محدث علي غير وضوء ، وجوز له ذلك إلا الصلاة فإنها لا تجوز بغير طهور ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ [الفرقان : ٤٨] ؛ ليتطهر العبد للقيام منتصبا بين يديه ، مقبلا بما ذكرنا من الخلال لينال من إقباله عليه ظاهر ما وصفنا ولم يصف بعد شيئا مما ينال من إقباله عليه ظاهر في الباطن ؛ ولذلك قال رسول الله ﷺ : " إن الله جعل قرة عيني في الصلاة " . وكان ينشر من منة الله عليه في أمر الصلاة .

١٢١٤- ما حدثنا به الجارود ، عن عمر بن هارون ، عن حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن يوسف بن عمران ، عن ابن عباس رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ قال : " أتاني جبريل فقال : إنه حبب إليك الصلاة فخذ منها ما شئت " .

قال أبو عبد الله :

فقد حبب الصلاة إلى الأنبياء كلهم ، وذلك من حظه حبب إليه ، فإبراهيم عليه السلام من الخلة ، وموسى عليه السلام من النجوة ، وعيسى عليه السلام من الروح ، ويحيى عليه السلام من الحياة والحنان ، ومحمد ﷺ من الحب ؛ فلذلك قال له : " خذ منها ما شئت ، فلكل ممن تقدم شيء مقدر ، وأبيح لمحمد ﷺ كلها ، وكذلك وجدنا فيما سواها ، أن لمحمد ﷺ من ربه بَحْر المشيئة ، ولمن سواه منه من المشيئة أنهار وأودية ، فكل إنما ينال من الصلاة من مقامه ، فالأنبياء والأولياء من بعدهم لهم مقاوم ، ينالون من الصلاة من مقاومهم ، وليس للنبوة ولا للعباد ولا للمتقين مقام إلا مقام الصدق ، ومجاهدة الوسوسة ، ومن بعدهم من المسلمين عامة فلهم مقام التوحيد في الصلاة ، والوساوس معهم بلا مجاهدة ، فالأنبياء والأولياء في مفاوز الملكوت ، وليس للشيطان أن يدخل في تلك المفاوز ، وما وراء المفاوز حجب وبساتين شغلت القلوب بما فيها عن أن يخطر ببالهم ما وراءها ، فذلك الذي قال رسول الله ﷺ من ذكره قرة العين ، فأبو بكر وعمر رضي الله عنهما لهما من وزارة الرسالة ، وعثمان وعلي رضي الله عنهما لهما وزارة النبوة وحاجة الخلق إلى

الرسالة ، ولذلك أمر رسول الله ﷺ بالاقتداء بهم .

١٢١٥ـ حدثنا بذلك إبراهيم بن إسماعيل بن يحيى بن سلمة بن كهيل ، قال : حدثني أبي ، عن أبيه ، عن سلمة بن كهيل ، عن أبي الزعراء ، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " اقتدوا باللذين من بعدي ؛ أبو بكر وعمر رضي الله عنهما " .

١٢١٦ـ حدثنا زياد الخزاعي[1] البصري ، عن سفيان ، عن عبد الملك بن عمير ، عن ربيع ابن حراش ، عن حذيفة رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : " اقتدوا باللذين من بعدي ؛ أبو بكر وعمر رضي الله عنهما " .

قال أبو عبد الله :

فالحاجة بالخلق إلى الاقتداء بالرسالة ، فلو [٢/ ٨٠/ أ] أعطي وزارة الرسالة غيرهما لأمر بالاقتداء لمن سواهما ، فلذلك أمر رسول الله ﷺ بما عليه مدار الدين - وهو عماد الدين - أبا بكر رضي الله عنه أن يتقدم لتتبعه الأمة وتقتدي به ، فكل شيء من الشريعة ؛ من الحدود والأحكام والرعاية ، فهو دون الصلاة ، وقال رسول الله ﷺ : " الإمام ضامن " . فمن ذا الذي يعلم كنه هذا الضمان ، ماذا ضمن هذا الإمام عن المأمومين ؟ وماذا ضمن هذا الإمام للمأمومين ؟ هذا باب لا ينكشف غطاؤه إلا للعارفين ، فلماذا أبو بكر رضي الله عنه قوة ما أعطي من تقلده هو من ضمان الصلاة عن الله لعبيده ، وعن العبيد لله ، ثم عن رسول الله ﷺ بعد وفاته ، علم أن الله مؤيده فيما دون الصلاة من أمور الشريعة وتقلده خلافة رسول الله ﷺ لأمته ، ولذلك قال المهاجرون والأنصار في وقت المشورة : قدمك رسول الله ﷺ للصلاة فمن يؤخرك ؟!

وقال عمر رضي الله عنه : يقول الله تعالى في كتابه : ﴿ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ ﴾ من هما ؟ ﴿ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ ﴾ [التوبة : ٤٠] مع من ؟ ابسط يدك . فبايعوه .

١٢١٧ـ حدثنا أبي رحمه الله ، ثنا يحيى بن يعلى المحاربي ، ثنا زائدة بن قدامة الثقفي ، ثنا

(١) بالأصل " زياد بن الخزاعي " والمثبت الصواب .

عاصم بن أبي النجود الأسدي ، عن زر ، عن عبد الله رضي الله عنه قال : لما قبض رسول الله ﷺ قالت الأنصار : منا أمير ومنكم أمير . فبلغ ذلك عمر رضي الله عنه ، فأتاهم ، فقال : يا معشر الأنصار ، ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قال : " مروا أبا بكر رضي الله عنه أن يصلي بالناس " . فأيكم تطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر رضي الله عنه ؟ فقالت الأنصار : نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر رضي الله عنه .

١٢١٨- حدثنا إبراهيم بن يعيش البغدادي ، ثنا حسين الجعفي ، عن زائدة ، عن عاصم ، عن زر ، عن عبد الله رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ ، بمثله .

١٢١٩- حدثنا أبي رحمه الله ، عن أحمد بن يونس ، عن زائدة ، عن موسى بن أبي شيبة ، عن عبيد الله بن عبد الله ، قال : دخلت عليّ عائشة رضي الله عنها ، فحدثتني عن مرض رسول الله ﷺ ، فقالت : إنه لما ثقل أرسل إلى أبي بكر بأن يصلي بالناس . قال عبيد الله : فدخلت على ابن عباس رضي الله عنهما ، فعرضت عليه حديثها ، فما أنكر منه شيئا .

قال : فخرج رسول الله ﷺ آخر يوم وأبو بكر في الصلاة ، فذهب ليتأخر ، فأومأ إليه النبي ﷺ أن لا يتأخر ، وقال للعباس ورجل آخر : " أجلساني إلى جنبه " . فأجلسناه إلى جنب أبي بكر رضي الله عنه ، فجعل أبو بكر يصلي وهو قائم بصلاة النبي ﷺ والنبي قاعد ، والناس يصلون بصلاة أبي بكر رضي الله عنه .

١٢٢٠- حدثنا سفيان بن وكيع ، ثنا أبي ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : لما مرض رسول الله ﷺ مرضه الذي مات فيه [٢/ ٨٠/ ب] جاءه بلال يؤذنه بالصلاة ، فقال : " مروا أبا بكر فليصل بالناس " . قلت : إن أبا بكر رجل أسيف ، ومتى ما يقوم مقامك يبكي ؛ فلا يستطيع ، فلو أمرت عمر يصلي بالناس ؟ قال : " مروا أبا بكر يصلي بالناس ؛ فإنكن صواحب يوسف " .

قال : فأرسلنا إلى أبي بكر فخرج فصلى بالناس ، ووجد رسول الله ﷺ من نفسه خفة ، فخرج وهو يهادي بين رجلين ، ورجلاه تخطان بالأرض فلما أحس أبو بكر ذهب ليتأخر ، فأومأ إليه النبي ﷺ أن : مكانك . فجاء النبي ﷺ حتى جلس إلى جنبه ، فكان أبو بكر يأتم بالنبي ﷺ ، والناس يأتمون بأبي بكر .

١٢٢١ـ **حدثنا** قتيبة بن سعيد ، ثنا حميد بن عبد الرحمن الرؤاسي ، عن سلمة بن نبيط ، عن نعيم - أراه عن نبيط - عن سالم بن عبيد رضي الله عنه - وكان من أهل الصفة - قال : أغمي على النبي ﷺ في مرضه فأفاق ، فقال : " حضرت الصلاة ؟ " . قالوا : نعم . قال : مروا بلالا فليؤذن ، ومروا أبا بكر فليصلي بالناس " .

فقالت عائشة : إن أبي رجل أسيف ، فقال : " إنكن صواحبات يوسف ، مروا بلالا فليؤذن ، ومروا أبا بكر فليصلي بالناس " .

ففعلوا ، فلما أقيمت الصلاة قال النبي ﷺ : " ادع لي إنسانا أعتمد عليه " . فجاءت بريرة ، وآخر معها ، فاعتمد عليهما ، وإن رجليه لتخطان بالأرض ، وأبو بكر يصلي بالناس ، فجلس إلى جنبه ، فذهب أبو بكر ليتأخر ، فحبسه حتى فرغ من الصلاة .

ثم توفي رسول الله ﷺ .

١٢٢٢ـ **حدثنا** صالح بن عبد الله ، ثنا إسماعيل بن جعفر ، عن حميد ، عن أنس رضي الله عنه قال : آخر صلاة صلاها رسول الله ﷺ في ثوب واحد ، وقعد متوشحا خلف أبي بكر .

قال أبو عبد الله :

فحديث عائشة رضي الله عنها حيث قالت : " فجعل أبو بكر يصلي بصلاة النبي ﷺ وهو قاعد بجنبه " ، ظن من عائشة ، هكذا حسبت ، هي[1] في البيت ، وأنس خارج مع رسول الله ﷺ على رأي العين ، والدليل على ذلك أن القول ؛ قول أنس ، أن رسول الله ﷺ خرج فجلس إلى جنب أبي بكر ، فذهب أبو بكر يتأخر ، فحبسه . فلو كان رسول الله ﷺ هو الإمام لكان لا يحبسه عن التأخر ، وكان يقوم مقام الأئمة . ومما يحقق ذلك :

١٢٢٣ـ **ما حدثنا** به محمد بن الفضل السمسار ، ثنا محمد بن عمر الواقدي ، ثنا الضحاك ابن عثمان[2] ، عن حبيب مولى عروة ، سمع أسماء بنت أبي بكر تقول : رأيت أبي

---

(١) في الأصل " هو " والمثبت الصواب .

(٢) بالأصل " الضحاك بن عمر " والمثبت من كتب التراجم .

يصلي في ثوب واحد وثيابه موضوعة ، فقلت له في ذلك ، فقال : آخر صلاة صلاها رسول الله ﷺ خلفي في ثوب واحد .

قال أبو عبد الله :

فأبو بكر رضي الله عنه أعلم بهذه القصة : من كان الإمام ومن المأموم من عائشة وأنس ومن الجميع ، فاستحكم تقديم أبي بكر على جميع أصحابه في الصلاة من هذه الوجوه ، وبخروج رسول الله ﷺ . [٢/ ٨١/ أ] في اليوم الذي قبض فيه ، وقوله لعائشة رضي الله عنها من هذه الوجوه ، وبخروج رسول الله ﷺ : " إنكن صواحب يوسف " ، فعد ذلك القول فيها زيغا وفتنة عن الطريق وأنكر عليها .

١٢٢٤ـ حدثنا عبد الله بن أبي زياد القطواني ، ، ثنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد ، ، ثنا أبي ، عن ابن إسحاق ، قال : حدثني عبد الملك بن أبي بكر ، عن أبيه ، عن عبد الله بن زمعة ابن الأسود بن المطلب رضي الله عنه ، قال : لما استقر برسول الله ﷺ ونحن عنده في نفر من المسلمين وبلال يؤذنه بالصلاة ، فقال : " مروا من يصلي بالناس " ، فخرجت فإذا عمر في الناس ، فكان أبو بكر غائبا ، فقلت : يا عمر ، صل بالناس ، فقام ، فلما كبر سمع رسول الله ﷺ صوته ، وكان عمر رجلا مجهرا ، فقال : " هذا صوت ابن الخطاب ، أين أبو بكر ، يأبى الله ذلك والمسلمون " ، فبعث إلى أبي بكر رضي الله عنه ، فجاء بعد أن صلى عمر تلك الصلاة ، فصلى بالناس ، فقال عمر : ويحك يا ابن زمعة(١) ، ماذا صنعت بي ؟ ما ظننت إذ قلت لي إلا أن رسول الله ﷺ أمرك بذلك ، ولولا ذلك ما صليت بالناس ، فقال : والله ما أمرني رسول الله ﷺ ، ولكن لم أر أبا بكر فرأيتك أحق من حضر بالصلاة .

قال أبو عبد الله :

فهذا في مبتدأ علته في بيت ميمونة من قبل أن يتحول إلى عائشة ، ثم كان الكلام الذي كان من عائشة رضي الله عنها بعد ذلك ، ومما يحقق ما قلنا أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما وزيرا الرسالة ومن بعدهما وزيرا النبوة :

---

(١) بالأصل " ويحك يا زمعة " والمثبت من (ط) .

١٢٢٥ـ **ما حدثنا** به أبي رحمه الله ، ، ثنا الحماني ، ، ثنا أبو بكر بن عياش ، ، ثنا أبو المهلب ، عن عبيد الله(١) بن زحر ، عن علي بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " إني رأيتني أدخلت الجنة ، فلما خرجت منها أتيت بكفة ، فوضعت فيها ووضعت أمتي في الكفة الأخرى ، فرجحت بأمتي ، ثم رفعت ، ثم جيء بأبي بكر فوضع في كفة الميزان ، وجيء بأمتي فوضعت في الكفة الأخرى ، فرجح بأمتي ، ثم رفع أبو بكر وجيء بعمر فوضع في كفة الميزان ، وجيء بأمتي فوضعت في الكفة الأخرى ، فرجح بها ، ثم رفع الميزان إلى السماء " .

قال أبو عبد الله :

فرؤيا الأنبياء كلها حق ليس يخالطها من العدو شيء ، فكأنه أعلم الأمة ما أعطي أبو بكر من قوة الوزارة حتى قابل بها جميع الأمة وعمر في الأمة ، ثم أعلم قوة وزارة عمر بما قابل به الأمة وأبو بكر خارج من الأمة؛ لأنه قد كان رفع من الكفة ثم رفع الميزان بذلك على أن وزارة الرسالة كانت فيهما .

١٢٢٦ـ **حدثنا** رزق الله بن موسى الناجي البصري ، ، ثنا مؤمل بن إسماعيل ، ثنا حماد ابن سلمة ، ثنا سعيد بن جمهان ، عن سفينة مولى أم سلمة ، قال : كان رسول الله ﷺ إذا صلى الصبح أقبل على أصحابه فقال : " أيكم رأى [٢/ ٨١/ ب] الليلة رؤيا ؟ " ، قال : فصلى ذات يوم ثم أقبل على أصحابه فقال : " أيكم رأى الليلة رؤيا ؟ " ، فقال رجل : أنا يا رسول الله ، رأيت كأن ميزانا أدلي من السماء ، فوضعتَ في كفة الميزان ووضع أبو بكر في كفة أخرى ، فرجحت أنت أبا بكر ، فرفعت وترك أبو بكر ، فجيء بعمر فوضع في الكفة الأخرى ، فرجح أبو بكر بعمر ، ورفع أبو بكر وترك عمر مكانه ، فجيء بعثمان فوضع في الكفة الأخرى فرجح عمر بعثمان ، ورفع عمر وترك عثمان مكانه ، فجيء بعلي فوضع في الكفة الأخرى فرجح عثمان بعلي ، ورفع الميزان ، فتغير وجه رسول الله ﷺ ، ثم قال : " خلافة نبوة ثلاثين عاما ، ثم تكون ملكا " . فقال لي سفينة : أمسك سنتي أبي بكر رضي الله عنه ، وعشر عمر رضي الله عنه وثنتي

---

(١) بالأصل " عبد الله " والمثبت من التهذيب .

عشر عثمان رضي الله عنه ، وست علي رضي الله عنه .

قال أبو عبد الله :

فمضى أبو بكر رضي الله عنه محمودا بنعمة الله عليه في الخلافة ، ثم نظر بحظه من الله وبما وجد من تأييد الله بعد الرسول نظرا شافيا لحق الله ثم لنفسه فلم ير أحدا أحق بأن يخلف خلافة رسول الله ﷺ من عمر ، وقد كان وزراء النبوة وأنصار النبوة حوله ، فاختار منهم عمر ورأى له الحق ، حتى جادلوه فقالوا له : استخلفت علينا فظا غليظا ، فماذا تقول لربك ؟ قال : أتهددوني وتخوفونني بربي ؟ أقول : استخلفت عليهم يا رب خير أهلك ، فانظر إلى صلابة قلبه وابتلاج الحق في صدره في وقت حضور أمر الله وإشرافه على المقدم على الله ، فإذا خرج من لسانه بحكم أنه يقول لربه خير أهلك فإنما أنطقه لسان الحق باليقين الواضح ، فمضى لسبيله ، وولي الصلاة عمر وما بعد الصلاة من أمور الأمة ، فحقق رضي الله عنه فراسة أبي بكر رضي الله عنه وإلهامه ، فوطأ الإسلام ومهده وزينه ، وملأه ريا من العز ، وكان الإسلام بمنزلة ضيف بعثه الله إلى الخلق على أيدي أحب خلقه وأطهرهم وأنزههم وأعظمهم أمانة ، فإذا طائفة قليلة مستضعفة فلم يتهيأ لهم إيواؤه ، وطردته العامة ، فنصر الله هذه الطائفة المستضعفة ، وهيأ لهم دار الهجرة وأنشأ لهم علم النصرة بالأنصار ، فتبوءوا الدار والإيمان فأحبوا من هاجر إليهم وآثروهم على أنفسهم ، حتى صارت الفئة القليلة المستضعفة كثيرة مؤيدة منصورة ، وكسر الله قرن الكفر ، وأكمل الله الدين بالوحي المنزل ، وقبض الرسول ﷺ إلى ما عنده ، فامتحن الله المؤمنين بجولة الباطل أن ارتدت العرب ، فقام أبو بكر رضي الله عنه وسل سيف الله ، وتحرك لأمره حتى رد هذا الصنف الذين فلم يزل في مدته متجردا لأمر الله يبعث السرايا حتى رد هذا الصنف إلى السرئر والمهاد ، فلم يمهل ، وقبضه الله إلى ما عنده ، وتوسم في عمر رضي الله عنه فاستخلفه ، وقد تقدم من رسول الله ﷺ [٢/ ٨٢/ أ] في المقال أنه قال : " ما من أمة إلا وفيها محدَّث ، فإن يك في أمتي فعمر منهم " .

١٢٢٧ـ حدثنا بذلك عبد الجبار ، عن سفيان ، عن ابن عجلان ، عن أبي سلمة ، عن عائشة رضي الله عنها ، عن رسول الله ﷺ .

١٢٢٨- وحدثنا أحمد بن أبي بكر العمري ، ، ثنا ابن أبي أويس ، عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي نعيم المقرئ ، عن نافع ، عن ابن عمر رضي الله عنهما ، عن رسول الله ﷺ قال : " إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه " .

وما روي عنه ﷺ أنه قال : " الحق بعدي مع عمر حيث كان " .

١٢٢٩- حدثنا أبي رحمه الله ، ، ثنا أبو نعيم الطحان ، ثنا معن بن عيسى القزاز ، عن الحارث بن عبد الملك ، عن القاسم بن يزيد بن عبد الله بن قسيط ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس ، عن أخيه الفضل بن العباس رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ خطبهم في شكواه الذي توفي فيه فقال في خطبته : " الحق بعدي مع عمر حيث كان " . وما روي عنه أنه قال : " لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب " .

١٢٣٠- حدثنا بذلك سليمان بن نصير ، ثنا المقرئ ، عن حيوة بن شريح ، عن بكر بن عمرو المعافري(١) ، عن مشرح بن هاعان ، عن عقبة بن عامر الجهني ، عن رسول الله ﷺ قال : " لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب " ، فهذه الأشياء قد امتثلها أبو بكر مع إلهامه وفراسته فاستخلفه ، ففتح الله الفتوح على يده ، ومصر الأمصار ودرّ الأرزاق ، وبث السرايا وجنود الله في نواحي أقطار الأرض حتى تمهد الإسلام في الوطن الذي منه بدأ ، وصار كالجبال الرواسي ، وارتبع وانبسطت أكارعه ، وامتدت نعوت ، وانفسحت مقاومه ، فأكرمه الله بالشهادة ، ففوض ذلك إلى ستة نفر ؛ إذ كمن فيهم كل من أركان الخير ، وأحسن بهم الظن ، ولو وجد في واحد منهم مساغا للفراسة أو حظا من الإلهام لنصه باسمه ، ولكنه انسد عليه باب الفراسة وانقطع حظ الإلهام ، فرأى التفويض إلى هؤلاء خير من الإهمال لأمر أمة محمد ﷺ ، ورأى أن الستة إذا اجتمعوا بحظوظهم من الله ما يفي بذلك الحظ أن يريهم الحق ومن يصلح للأمة ، فقبض إلى الله وترك الأمر شورى بينهم ، فاختاروا من بينهم واحدا بعد الاحتياط والتأني والتشاور ، وافتقدت الأمة وزارة الرسالة ، وحضرت نوبة وزارة النبوة ، فاتفق أمر الستة على أحد وزيري النبوة ؛ إذ لم يبق في الستة إلا هذين من الأربعة الوزراء علي وعثمان رضي الله عنهما ، فلم يزالوا يستخيرون الله ويميلون بين الصفقتين حتى

---

(١) بالأصل " العامري " والمثبت من التهذيب .

أصفقوا على عثمان رضي الله عنه ، ثم أقبلت الدنيا وجاء كفران النعمة وتبديل الأمور وغلبة الهوى ، حتى قتل عثمان رضي الله عنه ، فجاءت نوبة علي رضي الله عنه والزمان بتلك الحالة ، فلم يكن لوزارة النبوة [٢/ ٨٢/ ب] من القوة ما يقوم مقام أبي بكر رضي الله عنه ولا مقام عمر رضي الله عنه ، بايعوا أبا بكر رضي الله عنه ، وسلوا على أهل الردة سيفهم فلم يغمدوها ولم يخذلوه ولم ينكثوا البيعة ، وبقي السيف مسلولا إلى انقضاء وزارة الرسالة بموت عمر رضي الله عنه ، وبايعوا عليا في . . . (١) ثم نكثوا بيعته وسلوا السيوف عليه ، وخرجوا عليه مارقين حرورية ، وآخرون بايعوه وسلوا السيوف وهم أهل الكوفة ثم خذلوه ، وآخرون امتنعوا من بيعته وحاربوه وأبوا خلافته ، ولو كانت له وزارة الرسالة لأتته نصرة الرسالة فصارت القلوب كلها له كقلب واحد ، وكانت الفئة المستضعفة غالبة على الفئة الكثيرة كما كان في زمان أبي بكر رضي الله عنه ، فمن خفي عليه هذا السبيل الذي شرحناه وهذه الصفة فإنما تهود يعلم من تلقاء نفسه ، فلحظ إلى علي بسبب القرابة والختونة إلى معاني ليس في هذا الأمر من شيء ، إنما هذا أمر الرسالة ، وأمر الأمة إنما يقوم بها القائم وتهوا بها بحظه من الله الذي ضمن حسن(٢) الرسالة ، فمنّ بحظ إلى القرابة والميراث وإلى مقالات جاءت عن رسول الله ﷺ : " من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه " ، فقد أخذ سبيل المتجبرين ، ولعلي رضي الله عنه من الفضائل والمناقب ما يستحق أن يوالي من والاه ويعادى من عاداه ، فليس في هذا القول من الموالاة والمعاداة ما يثبت له الخلافة لرسول الله ﷺ في الأمة ويختار على أبي بكر رضي الله عنه .

وقول الله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴾ [محمد : ١٠] ، والله مولى المؤمنين ورسول الله ﷺ مولى المؤمنين ، وكل من مضى بعد رسول الله ﷺ على سبيله وكان له تابعا على سبيله فهو مولى المؤمنين ، فهذه كلمة جامعة وإن كان قد خص بها علي رضي الله عنه في وقت من الأوقات .

---

(١) كلمة لم أستطع قراءتها بالأصل .

(٢) هكذا استظهرت قراءتها بالأصل .

١٢٣١- حدثنا أحمد الحنظلي[1] ، ثنا شبابة بن سوار المدائني ، ثنا فضيل بن مرزوق ، قال سألت عمر بن علي فقلت : هل فيكم إنسان مفترضة طاعته تعرفون له ، ومن لم يعرف فمات مات ميتة جاهلية ؟ قال : لا والله ، ما هذا فينا ، من قال فينا فهو كذاب ، فقلت : نعم رحمك الله ، إن ناسا يقولون : إن رسول الله ﷺ أوصى إلى علي ، وأن عليا أوصى إلى الحسن رضي الله عنهم ، وأن الحسن أوصى إلى حسين ، وأن الحسين أوصى إلى علي بن الحسين ، فقال : والله لَمات أبي وما أوصى بحرفين ، والله إن هؤلاء لمتآكلين بنا .

قال الفضيل : وسمعت الحسن بن الحسن أخا عبد الله بن الحسن وهو يقول لرجل ممن يغلوا فيهم : ويحكم ، أحبونا في الله ، فإن أطعنا الله فأحبونا ، وإن عصينا الله فابغضونا ، قال الرجل : إنكم لذو قرابة من رسول الله ﷺ ، فقال : والله ، لو كان الله نافعا بقرابة من رسول الله ﷺ لنفع بذلك أقرب منه؛ أباه وأمه ، والله إني لأخاف أن يضاعف للعاصي منا العذاب ضعفين ، وإني لأرجو أن يؤتى المحسن منا أجره مرتين ، ولو كان الأمر على ما يقولون أن [٢/ ٨٣/ أ] رسول الله ﷺ أوصى إلى علي وأمره بقيام الناس ثم ترك علي ما أمره رسول الله ﷺ إن كان علي في ذلك أعظم الناس خطيئة وجرما إذ ترك ما أمره رسول الله ﷺ ، فقال له الرافضي : ألم يقل رسول الله ﷺ : " من كنت مولاه فعلي مولاه " ، فقال : والله لو عنى به الإمرة والسلطان لأفصح لهم كما أفصح لهم بالصلاة والزكاة ، ولقال لهم : يا أيها الناس ، هذا ولي أمركم بعدي ، فما كان من وراء هذا ، فإن أنصح الناس للناس كان رسول الله ﷺ .

وروي عن زيد بن علي رضي الله عنه أنه قال لبعضهم : ويلك ، من كان يخاف رسول الله ﷺ حتى يعرض بالخلافة فيقول : " من كنت مولاه فعلي مولاه " ، ألا قال : هذا خليفتي من بعدي ؟

قال أبو عبد الله :

فهؤلاء البهم تعلقوا بمثل هذه الأشياء حتى تردوا إلى شتم وزيري رسول الله ﷺ

---

(١) بالأصل " أحمد بن الحنظلي " والمثبت من كتب التراجم .

ونسبوهما إلى الاغتصاب لحق الله تعالى .

١٢٣٢ـ حدثنا صالح بن محمد ، ثنا المعلى بن هلال ، عن ليث ، عن مجاهد ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : " إن لي وزيرين من أهل السماء ووزيرين من أهل الأرض ، فوزيريّ من أهل السماء جبريل وميكائيل ، ووزيريّ من أهل الأرض أبو بكر وعمر رضي الله عنهما " .

١٢٣٣ـ حدثنا بشر بن خالد ، ثنا سعيد بن مسلمة ، عن إسماعيل بن أمية ، عن نافع ، عن ابن عمر رضي الله عنه ، قال : خرج النبي ﷺ ويمينه على أبي بكر رضي الله عنه وشماله على عمر رضي الله عنه ، فقال : " هكذا نبعث يوم القيامة " .

١٢٣٤ـ حدثنا صالح بن عبد الله ، ثنا أبو بكر بن عياش ، عن أبي البختري ، عن عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : " أحشر أنا وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما ونحن مشرفون على الناس هكذا " ، وأشار بأصابعه الثلاث : السبابة والوسطى والبنصر .

وروي عنه ﷺ أن سبابته كانت أطول من الوسطى ، فدل معنى هذا القول أنهم في الإشراف على الناس بمنزلة هذه الأصابع .

١٢٣٥ـ حدثنا أحمد بن مصعب الحنظلي ، ثنا عمر بن إبراهيم بن خالد بن بهرام البصري ، ثنا إسماعيل بن عياش ، عن عبد الملك بن عمير ، عن أسيد بن صفوان رضي الله عنه – وكان أدرك النبي ﷺ – ، قال : لما قبض أبو بكر الصديق رضي الله عنه ارتجت المدينة بالبكاء كيوم قبض رسول الله ﷺ ، فسجوه ، وجاء علي رضي الله عنه باكيا مسرعا مسترجعا وهو يقول : انقطعت خلافة النبوة ، حتى وقف على باب البيت الذي فيه أبو بكر ، فقال : رحمك الله أبا بكر ، كنت إلف رسول الله ﷺ وأنيسه ومستراحه وثقته وموضع سره ومشاورته ، كنت أول القوم إسلاما وأخلصهم إيمانا وأشدهم يقينا ، وأخوفهم لله ، وأعظمهم عَنَاء في دين الله ، وأحوطهم على رسول الله ﷺ ، وأحدبهم على الإسلام ، وأيمنهم على أصحابه ، وأحسنهم صحبة ، وأكثرهم مناقب ، وأفضلهم [٢/ ٨٣/ ب] سوابق وأرفعهم درجة وأقربهم وسيلة ، وأشبههم برسوله هديا وسمتا ورحمة وفضلا وخلقا ، وأشرفهم منزلة وأكرمهم عليه وأوثقهم عنده ، فجزاك الله عن الإسلام وعن رسوله والمسلمين خيرا ، كنت عنده بمنزلة السمع

والبصر ، صدقت رسول الله ﷺ حين كذبه الناس فسماك الله تعالى في تنزيله صديقا فقال : ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ ﴾ : محمد ، ﴿ وَصَدَّقَ بِهِ ﴾ [الزمر : ٣٣] : أبو بكر ، وآسيته حين بخلوا ، وقمت معه عند المكاره حين قعدوا ، وصحبته في الشدة أحسن صحبة ثاني اثنين ، وصاحبه في الغار والمنزل عليه السكينة ورفيقه في الهجرة ، خلفته في دين الله وأمته أحسن الخلافة حين ارتد الناس ، وقمت بالأمر ما لم يقم به خليفة نبي نهضت حين وهن أصحابك ، وبرزت حين استكانوا ، وقويت حين ضعفوا ، ولزمت منهاج رسول الله ﷺ إذ هموا ، كنت خليفته حقا لم تنازع ولم تصدع برغم المنافقين وكبت الكافرين وكره الكارهين وصغر الفاسقين وغيظ الباغين ، قمت بالأمر حين فشلوا ، ونطقت حين تتعتعوا ، مضيت بنور إذ وقفوا فاتبعوك فهدوا ، وكنت أخفضهم صوتا وأعلاهم فرقا ، أقلهم كلاما وأصوبهم منطقا ، أطولهم صمتا وأبلغهم قولا ، أكثرهم رأيا وأشجعهم نفسا وأعرفهم بالأمور وأشرفهم عملا ، كنت والله للدين يعسوبا؛ أولا حين نفر الناس عنه ، وآخرا حين قبلوا ، كنت للمؤمنين أبا رحيما إذ صاروا عليك عيالا ، فحملت أثقال ما أضعفوا ، ورعيت ما أهملوا ، وحفظت ما أضاعوا لعلمك ما جهلوا ، فشمرت إذ ضيعوا ، وعلوت إذ هلعوا ، وصبرت إذ جزعوا ، فأدركت أوتار ما طلبوا ، وراجعوا رشدهم برأيك فظفروا ، ونالوا بك ما لم يحتسبوا ، كنت على الكافرين عذابا صبا ونهبا ، وللمؤمنين رحمة وأنسا وخصبا ، وطرت والله بعنانها وفزت بخبائبها ، وذهبت بفضائلها وأدركت سوابقها ، لم تفلل حجتك ولم تضعف بصيرتك ، ولم تجبن نفسك ولم يزغ قلبك ولم تخن ، كنت كالجبل لا تحركه العواصف ولا تزايله القواصف ، وكنت كما قال رسول الله ﷺ أمنّ الناس عليه في صحبتك وذات يدك ، وكما قال : ضعيفا في بدنك ، قويا في أمر الله ، متواضعا في نفسك ، عظيما عند الله ، جليلا في أعين المؤمنين ، كبيرا في أنفسهم ، لم يكن لأحد فيك مغمز ، ولا لقائل مهمز ، ولا لأحد مطمع ، ولا لمخلوق عندك هوادة ، الضعيف الذليل عندك قوي عزيز حتى تأخذ له بحقه ، والقوي العزيز ضعيف ذليل حتى تأخذ منه الحق ، والقريب والبعيد عندك في ذلك سواء ، أقرب الناس إليك أطوعهم لله وأتقاهم له ، شأنك الحق والرفق والصدق ، قولك حكم وحتم ، وأمرك حلم وحزم ، ورأيك علم وعزم ، فأقلعت وقد نُهِج السبيل وسهل العسير وأطفئت النيران ، فاعتدل [٢/

٨٤/ أ] بك الدين وقوي الإيمان وثبت الإسلام والمسلمون ، وظهر أمر الله ولو كره الكافرون ، فجليت عنهم فأبصروا ، فسبقت والله سبقا بعيدا ، وأتعبت من بعدك إتعابا شديدا ، وفزت بالخير فوزا مبينا ، فجللت عن البكاء ، وعظمت رزيتك في السماء ، وهدت مصيبتك الأنام ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، رضينا عن الله قضاءه ، وسلمنا له أمره ، فوالله لن يصاب المسلمون بعد رسول الله ﷺ بمثلك أبدا ، كنت للدين عزا وحرزا وكهفا ، وللمؤمنين فئة وغيثا وحصنا ، وعلى المنافقين غلظة وكظما وغيظا ، فألحقك الله بنبيه ، وجمع بينه وبينك ، ولا حرمنا الله أجرك ولا أضلنا بعدك ، وإنا لله وإنا إليه راجعون . قال : وسكت القوم حتى انقضى كلامه ، فبكى أصحاب رسول الله ﷺ حتى علت أصواتهم وقالوا : صدقت يا ختن رسول الله ﷺ .

وأما قوله : " جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا " فهذا بوقارة الحظ البارز له على الرسل كلهم من الله تبارك وتعالى وعلى أمته ، ولأمته من بعده من حظه ما بورزوا به على سائر الأمم ، فحينما انتصبوا لله قياما كان لهم من النور ما يتهيأ لهم الإقبال على الله ، فإذا كان ذاك منهم أقبل الله عليهم ، فبإقبال الله عليهم طهرت بقاع الأرضين حيثما انتصبوا ، فإذا كبروا رفعت الحجب ودخلوا في ستره فطهرت البقاع لهم حيثما وقفوا ، ولم يكن هذا النور الذي به يقوون به على الإقبال بقلوبهم في الأمم قبلنا ، إنما كانوا يتكلفون في الظاهر الانتصاب لرفع الإيمان به فقط ، وأما نور الإقبال فعز وجوده في الأمم ، فوفر الله حظ الرسول ﷺ وفارة برز بها على الرسل عليهم السلام ، واحتوت الأمة من حظه فصارت الأرض له ولهم مسجدا .

وأما قوله : " طهورا " فإنهم إذا لم يجدوا الماء الذي جعله الله طهورا للخلق فكانوا سفرا فتعذر عليهم وجوده أمرهم أن يتطهروا من أحداثهم بالصعيد الطيب وهو التراب ، وإنما سمي صعيدا لأنهم يصعدونه ويمشون عليه ، فجعل ما تحت أقدامهم طهورا لهم إذا لم يجدوا ما فوق رءوسهم من الماء وهو ماء الحياة الراكد تحت العرش من أجلهم ، وأن الله تبارك وتعالى اسمه قال في تنزيله : ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴾ [الفرقان : ٤٨] ، أتى فعولا للطهر ، ﴿ لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ﴾ [الفرقان : ٤٩] ، فالماء الذي ينزل من السماء هو من بحر الحياة من تحت العرش ، خلقه الله حياة لكل شيء فقال : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ

حَيٍّ ﴾ [الأنبياء : ٣٠] ، فمنه حياة قلوب الأنبياء والأولياء ، ومنه يحيون في قبورهم يوم النشور ، ومنه يحيون ، إذا دخلوا الجنة اغتسلوا ولبسوا ثياب الجنة حتى يكون لهم طهورا من اللوث والأذى والأدران ، وتصير أجسادهم [٢/ ٨٤/ ب] أجساد أهل الجنة ، من شرب منه شربة من حوض الرسول ﷺ لم يظمأ أبدا ، ثم إذا شربوا بباب الجنة زايلهم كل أذى في أجوافهم ، وصفت ألوانهم ، وجرت النضرة في أجسادهم ووجوههم ، وأمنوا الموت فلا يجري عليهم سلطان الموت أبدا لقوة الحياة التي(١) في ذلك الماء ، فجعل الله جميع أرزاق الخلق من ذلك البحر يقدر الله في ليلة الحكم - وهي ليلة القدر - أرزاق جميع المرتزقة من خلقه في تلك الليلة إلى مثلها من قابل ، فإذا نفد ذلك البحر نفخ في الصور ، وذلك قوله تعالى : ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ * فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾ [الذاريات : ٢٢] ، فأنزل الله تبارك اسمه هذا الماء وسماه طهورا أي : فعولا للطهور ، وإن هذا العدو برجاسته ونجاسته قد وجد السبيل إلى الولوج إلى جوف ابن آدم وبدو ، أنه لما أكل آدم من الشجرة بما أشار عليه العدو وجد العدو السبيل إلى المعدة ، فجعل له هناك موطنا ، فلذلك نتن ما في جوفه حين أخرج من الجنة لرجاسة العدو ونجاسته ، ثم ورث ذلك ولده ، وروي في الأخبار أنه قال : يا رب أين مسكني ؟ قال : صدور بني آدم ، وهو قول الله تعالى : ﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ * ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴾ [الناس : ٤ - ٥] ، فإنما نتن ما في المعدة حتى صار روثا لنجاسته ، وأمر آدم وولده بالوضوء لذلك ، فأمر بغسل أطرافه والأطراف أربعة الجناحين والرأس والقدمين ، فأعلمهم العباد أن هذا طهور لكم أي : يطهركم من آفاته الظاهرة والباطنة ، فآفاته الظاهرة ما يخرج منك من الأذى من البول والغائط ورائحتهما ، وهي النفخة التي تخرج منهما ، فهذه كلها آفاته ، بلغ من إحنه وعداوته لك أن تمعدنه في ذلك الموطن الذي صير له منك معدنا هو مجمع الطعام ، فإذا انطبخ صار روثا ودما ، فالدم غذاؤه ، وموضع الروث مجلسه منك ، فبلغ من عداوته أنه ينفخ عليك ، فإذا خرج منك الصوت هيج عليك الضحك من الطحال ، فإن الطحال بيته ومنه يتسخط

---

(١) بالأصل « الذي » .

الآدمي في أموره ، وفيه مجمع نفاية البدن من كدورة الدم وغيره ، إلا أن كله من ذوات الأربع مما قد يعافه الآدمي وإن كان قد أطلق له ؛ لأنه سقالة الكبد ومجمع ثفله من الدم ، فذلك الضحك الذي يهيج منك وممن سمعه من الناس من أجل ذلك الصوت هو سخرية بك منه وشماتة ، يريد أن يعلمك أني ههنا ، كي يصغرك عند نفسك ، يريد من باطنك ما ستر عنك ليفسد منن الله عليك في جسدك الذي خلقه لك ، وقد قال : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾(1) . [التين : ٤] .

فالعدو حاسد يحسدك في كل شيء ، ويريد أن يكدر منن الله عليك ، ولذلك صار الضحك حدثا في الصلاة ، ولأنه من هيج الشيطان من معدنه [٢/ ٨٥/ أ] ، فالضحك في الصلاة حدث ، والبلل ورائحة البلل من ذلك حدث ، فهذا واجب الوضوء ، ثم كان الرسول ﷺ وكثير من الصحابة يتوضئون لكل صلاة منهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعدة ، يتوخون بذلك تجديد الطهارة ؛ لقوله : ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴾ [الفرقان : ٤٨] ؛ لأن الآدمي تصيبه ساعة بعد ساعة آفة من آفاته من همزه ونفثه ونفخه ونزغه ، ألا ترى أنه أمر نبينا ﷺ بالتعوذ منه فقال : ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَـٰطِينِ * وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴾ [المؤمنون : ٩٧ - ٩٨] ، وقال : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ﴾ [الأعراف : ٢٠٠] ، وقال : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ * مَلِكِ ٱلنَّاسِ * إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ * مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ * ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ * مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾ [الناس : ١ - ٦] .

فهل أمر أن يتعوذ منه إلا من تتابع الآفات وتواليها ، وآفاته تذهب بحياة القلب ، وحياة القلب بالله تشد عقد الإيمان وتؤكد عراه ، فجعل هذا الماء طهورا لهذا الآدمي المؤمن من هذه الآفات التي تعتوره من هذا العدو الذي لا يفارقه ، وذلك قول رسول ﷺ : " ما من أحد من الآدميين إلا وله قرين من الشيطان موكل به " ، قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : " ولا أنا ، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم ، فلا يأمرني إلا بخير " .

قال أبو عبد الله :

---

(١) جاء بالأصل في أول الآية " ولقد خلقنا . . . " بزيادة واو العطف ، وقد استدركناه .

فوسواسه ونزغاته وهمزاته ونفخاته ونفثاته تطمس وجوه القلب وتذهب بحياته كل على قدره ، وذهاب حياة القلب توهن العقد وترخي عراه وتخمد توقده ، فبما وصفنا يجد العدو سبيلا إلى إهاجة النفس بشهواتها وخدائعها وأمانيها واغترارها ، يقول العدو الغرور إذا هاجت النفس هاجت رياح الهوى بهبوبها فتشعبت النفس والقلب في الأركان فرمته في آبار المعاصي فصدده أعظم من أن يوصف ولذلك أمر الله تبارك اسمه عبيده بأن يتخذوه عدوا ، فقال : ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [فاطر : ٦] ، وحذر العباد أن يغتروا به فقال : ﴿ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾ [لقمان : ٣٣] ، فمن لم يدخل في مأمن الله وحرزه ووكالته ومعاقله فهو أسيره ، فكان ممن أغار عليه العدو فسلبه عطايا ربه .

قال له قائل : وما مأمنه وما حرزه وما وكالته وما معاقله ؟ قال : مأمنه ، قال : حجته الربانية ، وحرزه الوصول إلى قربه ، ووكالته قبوله ترقي نفسك إليه ، ومعاقله ترادف ذكره الذي هو ذكره ، وهذه صفة الأولياء ، وقال الله تعالى في تنزيله : ﴿ ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ [البقرة : ٢٥٧] ، وقال في آية أخرى : ﴿ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران : ٦٨] ، فإنما والاهم ليوالوه ، فمن والاه فالله وليه في جميع أحواله دنيا [٢/ ٨٥/ ب] وفي البرزخ وفي المنشر وفي الموقف وفي الممر وفي العرض وفي داره ، ومن والى نفسه فقد ضيع نفسه ، عن هذه الأشياء وبقيت معه ولاية التوحيد الذي ابتداؤه به ، ثم العسرة كائنة في جميع أحواله إلى باب الجنة أن يسلم له توحيده ، فجعل الله هذا الماء طهورا لهذا المؤمن من آفاته الظاهرة والباطنة ، فأما في الظاهرة فليطهر جوارحه من تلك الأحداث التي حدث عليها ، وفي الباطن يرد عليه ما ذهب من حياة القلب بطهارته ، ألا ترى أنه قال : ﴿ لِّنُحْۦِىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ﴾ [الفرقان : ٤٩] ، فالبلدة في الظاهر هي الأرض التي إذا وصل إليها ذلك الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ، وكذلك قال في تنزيله : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً ﴾ أي : ميتة ﴿ فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ﴾ [فصلت : ٣٩] ، اهتزت أي تحركت ، وربت أي انتفخت ، إن الذي أحياها لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير ، فالبلدة في الباطن القلوب تخلص إليها آفات العدو فتموت عن الله فيحييها الله بذلك الوضوء، وكذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله :

﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ [الحديد : ١٧] قال : يلين القلوب من بعد قسوتها ، فالقسوة من موت القلوب واللين من حياتها .

ومما يحقق ما قلنا بدءا قول رسول الله ﷺ : " لن يحافظ على الوضوء إلا مؤمن " ، معناه : أن المؤمن البالغ إيمانه إذا أحدث لم يقدر أن يدوم على حدثه ولا يطمئن حتى يتوضأ فيكون أبدا على الوضوء؛ لأن قلبه في وقت الحدث يفتقد نزاهة الإيمان وطيبه ، ووساوسه تصير عاملة على القلب في وقت الحدث؛ لأن طهارة الماء بالتوضوء قد انقطع عنه ، فقوي وسواسه وكثرت وساوسه ، فالتفت القلب إلى بعض تلك الوساوس فانطفأ بعض توقد نار القلب ، وذهب بعض زكاة حياة القلب فشعر به المؤمن ، فأسرع إلى الوضوء ليجد ما افتقد ويعود عليه إلى الحالة الأولى ، معناه : أن هذا الفعل من علامات المؤمن البالغ ، وقال رسول الله ﷺ فيما أوصى به أنس رضي الله عنه : " يا بني حافظ على الوضوء " .

١٢٣٦ـ حدثنا مسلم بن حاتم الأنصاري ، ثنا محمد بن عبد الله الأنصاري ، عن أبيه ، عن علي بن زيد ، عن سعيد بن المسيب ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله ﷺ : " يا بني ، إن استطعت أن لا تزال على الوضوء ، فإنه من أتاه الموت وهو على وضوء أعطي الشهادة " .

وأما قوله : " طهورا " فإنهم إذا لم يجدوا الماء وكانوا سفرا صار هذا الصعيد لهم طهورا بدل الماء ، وإنما هذا لهذه الأمة خاصة وكان لسائر الأمم الماء طهورا على ما وصفنا بدءا فصار تراب هذه الأرض لهذه الأمة طهورا يوازي ذلك الماء الذي [٢/ ٨٦/ أ] جعله الله طهورًا للخلق ، وجعله بحرًا تحت العرش ، أعده للعباد كما وصفنا بدءًا ، وإنما صارت الأرض هكذا من أجل أنها لما أحست بمولد النبي ﷺ وبظهوره من بطن أمه على جديد الأرض انبسطت الأرض وتمددت وتطاولت وازدهرت وأينعت ، ولبست ثياب الدالة ، وافتخرت على السماوات وسائر الخلق بأنه مني خلق ، ومني تربى جسده ، وعلى ظهرى تأتّى كرامات الله ، وعليَّ مشى يتقلب نبيًّا رسولاً يعبد ربه وتختلف إليه الرسل ، وعلى بقاعي تسجد جبهته لله ، وفي الجبهة ما فيها ، وفي خلال أوديتي يتنزل كلام الله ووحيه البارز على الكتب كلها ، وفي بطني مدفنه ، وأنا الذي أتضمن أعظمه وجسده ، وعلى ظهري يكون خاصة الله

من أمته وورثة ميراثه من الحكمة العليا . فجرّت الأرض رداء فخرها ودالها ، وحُقَّ لها ذلك ، فجعل ترابها طهورَ الأمةِ لمجيء محمد ﷺ على ما وصفنا ، فبالأرض يتطهرون وينتصبون بين يدي الله ، وحيثما ضربوا بأقدامهم بين يدي الله صارت الأرض من تحت أقدامهم مسجدًا ، وقالت عائشة رضي الله عنها لرسول الله ﷺ : يا رسول الله ، إنك إذا دخلت صليت في مواضع من البيت ، أفلا نهيء لك موضعًا تصلي فيه ؟ فقال : " يا عائشة ، أما علمت أن المؤمن إذا وضع جبينه لله طهرت تلك البقعة إلى سبع أرضين " .

فإنما صار التيمم لهذه الأمة دون سائر الأمم لأنه بمجيء محمد ﷺ طهرت الأرض ، فلما جاء بالتيمم عن الله إلى الأمة قبلوه ، فإنما قبلوا عن الله على يدي محمد ﷺ ، فحيث ما مدوا أيديهم إلى بقعة صار ذلك التراب طاهرًا بمد أيديهم وزائلة أنجاس الشرك والمعاصي التي عليها ، فإنما صارت طاهرة بمد أيديهم على ذلك القبول الذي قبلوه عن الله ، ألا ترى أنه قال : ﴿ فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾ [النساء : ٤٣] ، فلا يجزئ أحد أن يتمعك في تراب ثم يكتفي به عن التيمم ؛ كما يجزي الذي يقع في ماء فيسبح فيه من غير قصد الوضوء فيجزئه عن غسله ووضوئه ، وفي التيمم لو تمعك في التراب من غير قصده التوضي به والتطهر لم يجزه وهو محدث ، فإنما انتفى منه التيمم ، وهو القصد بالقلب ليطهر بذلك القصد ، ومدُّ اليد إليه قابلاً لما جاء به الهدية وهو محمد ﷺ من المهدي هذه النحلة في شأن التيمم كالطرفة والتحفة يتحف بها الملك عبده يريد بذلك لطفه وبره وسروره ، فيطهر ذلك التراب بمد اليد إليه وقبوله الهدية ، فلذلك خرج اللفظ بهذه الكلمة على التيمم لتقصد القلوب للهدية ، والهدية هو محمد ﷺ صار يطهر ما جاء به تراب الأرض طهورًا كطهور الماء الذي أنزله الله من بحر الحياة ، وقد قال في شأن التيمم في تنزيله : ﴿ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً [٢/٨٦/ب] فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [المائدة : ٦] .

فالحمد لله الذي عطف علينا بأن أكرمنا برسول بلغ من طهره بطهر الله الذي حشاه به أنه لما وقعت على ظهر الأرض طهرة رسالته صارت تربة الأرض له ولأمته الذين أتوا

من طهره طهرًا حظًا وافرًا بقبولهم له طهورًا تطهروا به ووضوءًا توضئوا به وغسلاً تغسلوا به ، فتسيل عن أجسادهم آثار العدو .

فأما قولنا في الهدية فإن رسول الله ﷺ قال : " بعثت إليكم وأنا رحمة مهداة " . فمحمد ﷺ من الله لنا هدية ، والهدية ليست كالعطية ، ولا كالحجة ، فإن الرسل عليهم السلام من قبله بعثوا على الأمم حجة وعطية ، فمن قَبِل العطية بورك له ، ومن لم يقبل العطية تأكدت الحجة عليه وعذب ، ورسولنا ﷺ كان عطية وهدية ، فمن قبل محمدًا عطية وهدية سعد ورشد وصار سابقًا ومقربًا ، ومن قَبِل محمدًا ﷺ عطية ولم يفطن للهدية ، ولم يقبله قبول الهدية ؛ سعد ولم يصب ثمرة الرشد ونجائب السعادة ، ومن أباه وكفر النعمة وجحد كان حظه من السعادة النجاء من عقوبات الأمم الذين عوجلوا بها في الدنيا فسعدوا بهذا القدر ، وتأخر عنهم العذاب إلى يوم القيامة ، والأولون عوجلوا بالعقوبة في الدنيا وبالعذاب إلى أن التحقوا بعذاب الآخرة ، فالعطية تغني ولا تمد ، والهدية تغني وتمد ، فمن قبل محمدًا ﷺ عطية وهدية اجتباه الله ، ومن قبله عطية هداه الله إليه بالإنابة ، وذلك قوله : ﴿ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾ [الشورى : ١٣] .

قال له قائل : ما الفرق بين العطية والهدية ؟ قال : العطية من الرحمة ، والهدية من المحبة ، وكذلك تجد الرجل يعطي عبدًا من عبيده إذا رق له ورحمه إذا رآه في بؤس أو ضعف قوّاه وجبره بدريهمات وكسوة يجبره بها ، ويذهب بؤسه ، فهذه عطية من الرحمة ، فإذا أحبه أهدى إليه خِلَعًا وحملانَ دنانيرَ يريد بذلك أن يستمد قلبه ، ويختصه ، ويتخذه لنفسه خادمًا صفيًا ، وإنما سميت الهدية هدية لاستمالة القلب ، ولذلك قيل : يتهادى في مشيته ، أي يتمايل ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ﴾ [الأعراف : ١٥٦] أي : مِلْنا ، فالرسل إلى الخلق عطايا من ربنا رحمهم فبعث إليهم من يهديهم ويذهب عنهم بؤس فقر الكفر ، ويجبر كسرهم ، ورحمنا ربنا فبعث إلينا محمدًا ﷺ عطية وهدية ، العطية من الرحمة ، والهدية من المحبة ، فجعل الإيمان والإسلام في [٢/ ٨٧/ أ] العطية ، وجعل حكمة الإيمان والإسلام في الهدية ، وذلك قوله : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ ﴾ ثم قال : ﴿ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ ثم قال : ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ [الجمعة : ٢] فحكمة

الإيمان والإسلام هدية لهذه الأمة بمبعث محمد ﷺ خاصة فضلاً على الأمم .
قال له قائل : وما تلك الهدية ؟ قال : كنوز المعرفة من خزائن السبحان ، فاحتظينا معاشر الأمة من تلك الكنوز حظًا وافرًا ، وبرزنا به على سائر الأمم حتى صرنا موصوفين لبني إسرائيل في التوراة والإنجيل ، فروي في الخبر أن صفة أمة محمد ﷺ في التوراة صفوة الرحمن ، حكماء علماء أبرار أتقياء ، كأنهم في الفقه أنبياء .
فإنما ورثنا هذا من حظ محمد ﷺ البارز به على حظوظ سائر الرسل عليهم السلام ، فتلك هدايا الله إلى محمد ﷺ ، ثم صير محمدًا ﷺ لنا هدية .

١٢٣٧ـ حدثنا إبراهيم بن عبد الله القيسي ، ثنا وكيع ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، قال : قال رسول الله ﷺ : " أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة " .

فهذا يحقق ما قلنا بدءًا أن الرسل عليهم الصلاة والسلام للأمم عطية ورسولنا ﷺ للأمة عطية وهدية ، وقربه بتلك الهدية حتى تراءى له محل درجة الوسيلة ، وقال : " إني لأرجو أن تكون لي " . وأمدنا معاشر الأمة بما أصبنا من الحظوظ من حظ حتى صرنا بارزين على الأمم ، فمنا السابقون ، ومنا الأولياء ، ومنا الأصفياء ، ومنا خاصة الله ، وقال في تنزيله : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ ﴾ [آل عمران : ٧٣] قال : لن يعطى أحد مثل ما أعطيتم . وقال رسول الله ﷺ فيما روي عنه : " ما أعطيت أمة من اليقين ما أعطيت أمتي " . فليس في الأرض شيء أعز من اليقين ، فلَمقدارُ رأس إبرة من اليقين يوسع الله خيرًا وبركة ، وأقل شيء منه ينفي الشك من القلوب ، ويبلغ به العبد منازل الكرام السادة ، فإنما صير محمدًا ﷺ هدية ليهدينا إلى أعالي درجات الدنيا عبودة لنكون غدًا في أعالي درجات الجنة بالقرب من رسولنا ؛ لتقر عينه بنا ، فإن ربنا يحب أن يقر عينه بنا ؛ لأنه من بين الرسل حبيب قد جرت الأخبار بهذه الكلمة :

١٢٣٨ـ حدثنا عمر بن أبي عمر ، ثنا سعيد بن أبي مريم ، ثنا مسلمة بن علي ، قال : حدثنا زيد بن واقد ، عن القاسم بن مخيمرة ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " إن الله اتخذ إبراهيم خليلاً ، وموسى نجيًا ، واتخذني حبيبًا ، ثم قال : وعزتي لأؤمرن حبيبي على خليلي ونجيّي " .

فالحبيب يحب أن يُقِرَّ عين الحبيب بأمته ، فقد علمنا في تنزيله كيف محلنا من قلبه

فقال : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم ﴾ [التوبة : ١٢٨] [٢/ ٨٧/ ب] هو يعز عليه ويشتد عليه أن نقع في إثم ، وحريص على هدانا وطاعتنا لله تعالى ، ثم ذكر رأفته ورحمته علينا فقال : ﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ فمن أصدق من الله قيلا ؟ فالله أخبرنا بهذا عن باطن قلبه لنا ، فالله يحب أن يقر عينه غدًا بنا في الموقف وفي درجات الجنان ، فأعطانا من حظه ما يمدنا إلى نفسه من تلك الكنوز حتى تكون طاعتنا لله وقلوبنا له ونفوسنا أكثر انقيادًا وتذللاً وعبودة ومعرفة بالله وعلمًا به من سائر الأمم .

ويباهي الله بهذه الأمة في سمائه ، فيري ملائكته بهاء ما يصعد إليه من أعمالهم وبرهم ووفائهم ويقينهم وصدقهم وجدهم وجهدهم واستقامتهم وحبهم له .

عدنا إلى ما كنا فيه من ذكر التيمم

فرد محمد بن علي السؤال على بعض من حضره فقال : أرى علماءهم يقولون إذا وقع في ماء وخرج منه غير ناو للوضوء أجزأه ذلك من الوضوء ، وقالوا : إذا تمعك في التراب أو نُثِر عليه حتى أصاب مواضعَ الوضوء ذلك الغبارُ أنه لا يجزئه حتى ينوي التيمم ، فسئلوا عن الفرق بينهما ، فقالوا : إن الله تبارك وتعالى قال : ﴿ فَتَيَمَّمُوا ﴾ فالتيمم هو القصد للصعيد ، والقصد لا يكون إلا بالقلب ، فلذلك قلنا : إنه لا يجزئه حتى ينوي أي يقصد . قلنا : فقد قال ههنا : ﴿ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا ﴾ [المائدة : ٦] فهذا الذي وقع في الماء لم يغسل أيضا ، فإن قلتم : إنه لمَّا وقع في الماء انغسل ، فكذلك لما تمعك في التراب انغبر ، فإن كان أريد بالوضوء منه سيلان الماء على مواضع الوضوء ، فقد أريد منه في اغبرار مواضع الوضوء ، فكما سال الماء عليه بغير الإسالة فأجزأه ، فكذلك إذا أهالوا عليه التراب من غير فعل منه فانغبر أجزأه ذلك ، فالقياس في كليهما مستمرا بهما يتساويان ، فإما أن نقول : لا يجزئ ذلك عنه في الوضوء حتى يغسله بفعل منه لأنه أمر بالفعل فقال : ﴿ اغسلوا ﴾ كما قال ههنا : اقصدوا ، فإما أن تقول كلاهما جائز على مذهب ما ذهبت إليه أنه ابتغي منه سيلان الماء عليه بأن الماء جعل له طهورًا ، فإذا جرى عليه فقد طهر ، وسواء أجراه بنفسه أو جرى عليه الماء من غير فعله ، قلنا : فكذلك خص رسول الله ﷺ من بين الرسل وأمته من بين الأمم بهذه الهدية ، بأن جعل تراب

الأرض طهورًا ، فإنما ابتغي منه الطهارة بذلك التراب فسواء عليه أهو ترَّب نفسه يريد به الطهارة أو ترَّبه غيره ، فلم نجدهم التجئوا إلى شيء يكون بين المسألتين فرقًا مزيلًا ، كلما راموا فرقًا وجدناه متصلًا ، فكل حالة من الوضوء بالماء قابلناها بحالة الوضوء بالتراب وجدناها مستوية ، ووجدنا مفزعهم إلى هذه الكلمة أن الله تبارك اسمه قال ههنا : ﴿ تَيَمَّمُوا ﴾ والتيمم هو القصد بالقلوب ، فقلنا : أي شيء يقصد ؟ قالوا : يقصد [٢/ ٨٨/ أ] إلى أن يتطهر به من الحدث ، فقلنا لهم : أمر ههنا بالقصد للتراب يتمسح ولم يأمر هناك بالقصد للماء ليغسل ، فقال ههنا : ﴿ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ ﴾ [المائدة : ٦] لأن الغسل كان متعارفًا في الأمم ، وفي الجاهلية أن الأقذار والنجاسات والأدناس إنما تغسل بالماء ، فكان ذلك عندهم معروفًا ، فلما جاء الله بالإسلام وأمرهم بالانتصاب بين يديه مصلين ولم يخل أحدهم من أدناس الخطايا لم يرض لهم أن يقوموا بين يديه مصلين مترضين له معتذرين إليه ومعهم غبار العدو وأدناسه ، وإن لم يكن على أجسادهم في الظاهر أقذار ونجاسات ، فأمرهم أن يغسلوا أطرافهم وسماه وضوءًا يعلمهم أن هذه الأطراف تصير وضيئة بهذا الغسل ، ويذهب غبار العدو عنها ، فيطهروا ، وقد قال في تنزيله : ﴿ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ ﴾ [المائدة : ٦] ثم قال : ﴿ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ يطهركم بالماء حتى تزول الأدناس وغبار العدو ، فإذا زالت حيي القلب ، فتلك الحياة تمام النعمة ، فقاموا لله منتصبين بحياة قلب ، يعقلون ما يعبدونه به ، وأنهم بين يدي الله ، فذلك منهم شكر ، فلما جاءت هذه الأمة وعطف الله عليهم بكرامته إياهم بمحمد ﷺ كان التوضي بالتراب غير متعارف عندهم ، ولم يكن عندهم أن التراب فيه طيب وطهارة ، وإنما عرفوا الطهارة في الماء ، فأمرهم بالقصد للتراب ليتمسحوا به ، فكانوا لا يحتاجون إلى قصد إلى الماء ؛ لأن الماء لهذا أنزل لتزال به الأقذار والتراب ليطرح عليه الأقذار ، فهكذا كان المتعارف في ولد آدم عليه الصلاة والسلام منذ خلقهم الله ، فلما جاءت نوبة هذه الأمة أهدى الله محمدًا ﷺ إلى الأمة مع كنوز المعرفة ووفارة الطهارة ، وطهرت الأرض ، فصارت بقاعها مساجد للأمة ، وصعيدها طهورًا للأمة يتوضئون بها ، فقيل للأمة في الظاهر : تيمموا ، أي اقصدوا التراب لأنه كان من شأنكم وعادتكم التطهر بالماء ، فإذا فقدتم الماء أنتم يا معشر أمة

محمد ﷺ فاقصدوا التراب عند فقد الماء تطهروا بالتراب ، وقيل لأهل الباطن من الأمة : اقصدوا للهدية التي في باطن هذا الأمر ، فبحرمة قصد أهل الباطن قبل الله قصد أهل الظاهر للتراب ، فوجدنا علماءكم قد تعلقوا بهذه الكلمة في شأن الفرق بينهما أن الله تعالى قال في شأن الوضوء : اغسلوا ، ولم يقل : اقصدوا للماء واغسلوا ، وقال ههنا : تيمموا ، أي اقصدوا التراب وامسحوا ، والباب عنهم منغلق ليس وراء هذا عندهم شيء فيحتجوا به على الأمم ويستبشروا بالفضل الذي جاءهم الله به ، فقلنا لهم : إن الحجة القاطعة في الفرق بينهما في نفس الآية ، ولكن لم يفتح لكم الباب فتفهموا عنه ، وصرفتم عنه ، فانظروا ما آية هذا الصرف ، فإنه قال : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ﴾ فقال أهل التفسير : صرف الله عن آياته قلوب المتكبرين بغير [٢/ ٨٨/ ب] الحق ، فلا يفهمونه ، ولا يجدون حلاوته ، ولا لذاذته ، ولا لطائفه ، ولا دقائق حدوده .

فأما الحجة القاطعة في نفس الآية فإنه قال : ﴿ فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾ [المائدة : ٦] فالصعيد هو التراب الذي يصعد الناس عليه بأقدامهم فيطئونه ، ثم قال : ﴿ طَيِّبًا ﴾ فأعلمنا أن الخبيث الذي حل بالأرض من نجاسة الشرك ورجاسة العدو ارتفع وزال وعاد الصعيد الذي يقصدون لتناوله فيمسحون به مواضع الوضوء طاهرًا وزائل الخبث ؛ لعظم ما جاء به محمد ﷺ من عندي ، فإنما أمرنا بقوله : ﴿ تَيَمَّمُوا ﴾ أي اقصدوا لتلك الهدية ﷺ التي بها طاب هذا الصعيد ، وإنما القصد للهدية في التراب لا للتراب ، فإذا كانت الهدية مفقودة عن القلب والقلب بها جاهل فماذا تغني ؟ فالرسول ﷺ يقول : " أعطيت هذا ولم يعط أحد قبلي من الأنبياء " . فسماه الله في تنزيله طيبًا ، فما من فرق بين الوضوء والتيمم .

هذه النكتة أن تقصد الهدية في التراب فتقبلها من الله ، فإذا الأرض قد صارت لك طيبة ، وقامت لك مقام الماء الذي جعله الله طهورًا لك ، فالطهر يجمع المتفرق والطيب يحيي ويثبت ويدوم أصله ، فالطهور بالماء للأمم كلها ، والطيب بالتراب لهذه الأمة خاصة ، فاجتمع الطهور والطيب في التيمم ، وتمت نعمة الله علينا به ، فإنما طابت الأرض بمجيء الكنوز مع محمد ﷺ .

وكذلك الغنائم كانت نجسة لأنها أخذت من العدو ، ومِلْك العدو كله نجس ، ألا ترى

أن الله تعالى ذكر حلي فرعون أوزارًا فقال : ﴿ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ ﴾ [طه : ٨٧] فكانت لا تحل لنجاستها ، فكانت يضعونها فتجيء نار من السماء فتأكلها ، وكان هارون صلوات الله عليه أمرهم أن يقذفوا ما في أيديهم من تلك الحلي التي استعاروها من آل فرعون ، فقال لهم هارون : تطهروا منها ، فرموا بها ، فجمعها السامري ، فاتخذها عجلًا ، وقذف فيها التراب الذي كان رفعه من حافر فرس جبريل عليه الصلاة والسلام ، فرس الحياة ، للفتنة التي كتب الله عليهم بلواها ، فذلك قوله : ﴿ وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ ﴾

فإنما يسمى أوزارًا لرجاسته ، فقال الله لهذه الأمة : ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا ﴾ [الأنفال : ٦٩] أي أحلت لكم الجزية ، ثم قال : ﴿ طَيِّبًا ﴾ فإنما طابت هذه الغنيمة لمحمد ﷺ وأمته لأنهم ضربوا بالسيوف بحرارة حمية حب الله وزائلتها رجاسة الكفر وأهله ؛ لأن حرارة الحب تقطع علائق النفس وتحرق أسبابها ، وعلاقة النفس من أسباب الشرك ، وسائر الأمم لم يعطوا هذا ، فلم تطب لهم الغنائم ، ولم تزل رجاسة أهل الكفر من تلك الأشياء ، فلم تحل لهم ، وبنو إسرائيل إنما قاتلوا على الديار وعلى الأرضين المغتصبة التي كانت لآبائهم ، وهي الأرض المقدسة ، أرض إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، فقاتلوا عليها ليردوها إلى ملكهم ، وأنبياؤهم بعثوا بالدعوة إلى الله ، ونبينا ﷺ بعث للتوبة والملحمة ، يعني إن لم يتوبوا لُحِموا بالسيوف ، فلذلك قال عليه السلام : " أنا نبي التوبة [٢/ ٨٩/ أ] ونبي الملحمة " .

١٢٣٩ـ حدثنا بذلك علقمة بن عمرو التميمي ، ثنا أبو بكر بن عياش ، عن عاصم ، عن أبي وائل ، عن حذيفة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " أنا نبي التوبة ، وأنا نبي الملحمة " .

قال أبو عبد الله :

معناه عندنا أن الأنبياء قبلي أمروا بدعوة الخلق إلى أن يقولوا : لا إله إلا الله ، فإن أجابت الأمة وإلا عذبت ، وبعثتُ إلى الأمة بأن أدعو إلى لا إله إلا الله ، فإن أجابتْ وإلا أمهلتُهم حتى يتوبوا ، وللتوبة انتظار مدة ، والعذاب مأمون ، فهم يتقلبون في الشرك مع المدة .

وأما صاحب التوبة فإن تابوا قبل الله ذلك منهم بأنه جعلني نبي التوبة ، ومن تمادى

في ذلك لَحَمْت أجسادهم بالسيف ، أي ضربتهم حتى صاروا لحومًا بلا أرواح ، فكما صارت الغنائم طيبة من رجاسة الكفر بما ذكرنا من حرارة الحب التي فضلت هذه الأمة بها ، فكذلك طابت الأرض من رجاسة الكفر والمعاصي لما جاء به ﷺ من الأنوار المقدسة ، فصارت الأرض لهم مسجدًا وطهورًا ، وطابت أيضا بليلة القدر ومشاهدة الرب أهل الأرض بالقربة ، وإنما كانت تكون المشاهدة للنبيين على أجسادهم ، وأعطيت هذه الأمة على أرضها حتى يراها من سبقت له الحسنى من الله بعينيه إشراق المشاهدة ، وقد روي في الأخبار أن بعض أصحاب رسول الله ﷺ رآها فذكر ذلك لرسول الله ﷺ ، فقال : " هذه ليلة كشف غطاؤها " .

ولذلك قال علي رضي الله عنه : أنا أشرت على عمر رضي الله عنه في أن يقيم للناس إماما في شهر رمضان ليصلي بهم صلاة التراويح ، وأعلمته أن لله ملائكة في حظيرة القدس يقال لهم : الروح ، فإذا كانت ليلة القدر استئذنوا ربهم في النزول إلى الأرض .

١٢٤٠ـ **حدثنا** بذلك عبد الأعلى بن واصل الأسدي ، ثنا عبيد بن إسحاق العطار ، ثنا سيف ابن عمر التميمي ، عن سعد بن طريف ، عن الأصبغ بن نباتة ، عن علي رضي الله عنه .

فإنما استأذنته ملائكة الروح في النزول إلى الأرض طمعًا أن ينالوا ما لم يكن عندهم في منازلهم .

ومما يحقق ذلك قول الله تعالى : ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا ﴾ [القدر : ٤] يعني في تلك الليلة ، ثم قال : ﴿ مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۞ سَلَـٰمٌ هِىَ ﴾ أي تلك الليلة سلام من كل آفة ﴿ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾ [القدر : ٥] ولذلك قال رسول الله ﷺ : " لا يرمى في تلك الليلة بنجم " . لأن الشياطين قد أجبست من أجل المشاهدة ، قال : " لا يحدث فيها داء " . لأن الخلق صاروا في مأمن من مشاهدة السلام المؤمن المهيمن ، فبقيت طهارة المشاهدة وطيب سلام السلام على الأرض ، فهذا كله لهذه الأمة ، فكيف لا يعود ترابها طهرًا ؟

وأما نفس هذه الكلمة من قوله : ﴿ تَيَمَّمُواْ ﴾ قال : ترجمتها هو التوجه ، وذلك أن كل شيء توجهت إليه فقد جعلته [٢/ ٨٩/ ب] أمامك ، يقال في اللغة : أم الشيء يؤمه أي توجه ما أمامه ، فإنما هو تأمم على قالب تَفَعَّل ، فإذا أبدلوا بالألف أو الهمزة ياء ، قيل : تَيَمَّم ، فهذا أصل هذه الكلمة .

فإنما أمرت بالتوجه إليه بالقلب ولو كان ذلك يراد به التوجه بالثبوت لكان في كل عمل من الغسل وغيره لا يتهيأ له حتى يتوجه ، فإنما خص التيمم بالتوجه ليكون فرقًا بينه وبين الغسل .

وأما قوله : " نصرت بالرعب " .

فإن الرعب أصله من قدرة سلطان الله من باب النار ، فإذا جعل نصرته من الرعب فقد أعطي جندًا لا يقوم له أحد ، ولم يعط أحد من الرسل ذلك ، فكان أينما ذكر من مسيرة شهر وقع ذلك الرعب في قلب عدوه فدل بمكانه .

وأما قوله : " أحلت لي الغنائم " فقد دخل تفسير هذا فيما بيناه بدءًا من شأن التيمم .

وأما قوله : " أعطيت الشفاعة فادخرتها لأمتي " .

فإن تلك دعوة كانت لكل نبي فتعجلها الأنبياء في الدنيا ، وأخرها نبينا محمد ﷺ ذخرًا لأمته ، ونصيحة لله في عباده ، فاستوجب بنصيحة الله وبرأفته على عبيده أن وضع دعوته في محل التربية حتى تربو وتتضاعف ، حتى تخرج له يوم القيامة تلك الدعوة بهيئة يحتاج الخلق كلهم إليها ، حتى إبراهيم خليل الله ، كذلك روي لنا عن رسول الله ﷺ .

١٢٤١ـ حدثنا بذلك عبد الرحيم بن يوسف ، ثنا يعلى بن عبيد ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن عبد الله بن عيسى ، عن جده عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن أبي بن كعب رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : " لما أتاني جبريل بهذه الدعوة قلت إني ادخرتها لأمتي ، فيحتاج الخلق كلهم إلى هذه الدعوة حتى إبراهيم خليل الله " .

وفي الحديث قصة اختصرنا هذه الكلمة التي احتجنا إليها في هذا الموضع .

مسألة لاحقة بمسألة التيمم

١٢٤٢ـ حدثنا إبراهيم بن إسماعيل بن يحيى بن سلمة بن كهيل ، قال : حدثني أبي ، عن أبيه عن سلمة بن كهيل[١] ، عن مجاهد ، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : " أعطيت خمسًا لم يعطهن نبي قبلي : بعثت إلى الناس كافة الأحمر

---

(١) في الأصل " إبراهيم بن إسماعيل عن يحيى بن سلمة بن كهيل قال حدثني أبي عن سلمة بن كهيل " والمثبت من رقم (١٢٠٨) .

والأسود وإنما كان النبي يبعث إلى قومه ، ونصرت بالرعب يرعب مني عدوي على مسيرة شهر ، وأُطْعِمْتُ المَغْنَم ، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا ، وأعطيت الشفاعة فادخرتها لأمتي إلى يوم القيامة " .

١٢٤٣ـ حدثنا صالح بن محمد والجارود بن معاذ ، قالا : ثنا جرير ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن مجاهد ، عن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " أعطيت خمسًا لم يعطهن نبي قبلي ولا فخر " . فذكر مثل حديث سلمة عن مجاهد عن ابن عمر رضي الله عنه .

١٢٤٤ـ وحدثنا قتيبة بن سعيد ، ثنا بكر بن مضر القرشي البصري [٢/ ٩٠/ أ] ، عن يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، أن رسول الله ﷺ عام غزوة تبوك قام من الليل يصلي ، فاجتمع وراءه رجال من أصحابه يحرسونه ، حتى إذا صلى انصرف إليهم فقال لهم : " قد أُعطيت الليلة خمسًا لم يعطهن أحد قبلي : أما أنا فأُرسلت إلى الناس كلهم وكان من قبلي إنما يُرسل إلى قومه ، ونُصرت على العدو بالرعب ولو كان مسيرة شهر بيني وبينه لمُلِئ مني رعبًا ، وأُحلت لي الغنائم آكلها وكان من قبلي يعظمون أكلها كانوا يحرقونها ، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا أينما أدركتني الصلاة تمسحت وصليت وكان من قبلي يعظمون ذلك وإنما كانوا يصلون في كنائسهم وبيعهم ، والخامسة هي ما هي قيل لي : سل فإن كل نبي سأل . فدخرت مسألتي إلى يوم القيامة ، فهي لكم ولمن شهد أن لا إله إلا الله " .

وقال الله تعالى في تنزيله : ﴿ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ﴾ ثم قال : ﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [المائدة : ٦] فأعلم العباد أن فى التراب طهور إذا لم يجدوا الماء لقوله : ﴿ لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ ﴾ [الأنفال : ١١] فأقام التراب مقام الماء ، وأعلم العباد حظهم من مشيئته : إن مشيئتي قد انقسمت على من مضى وعليكم فكان من وفارة حظوظكم من مشيئتي أن خرجت لكم إرادتي أن جعلت لكم التراب بدل الماء طهورًا ، وأن هذه هدية لكم اختصصتكم بالهدية دون سائر الأمم فاشكروني عليها ، فإن الأمر قد يجيء من الله حكمًا وحتمًا ، ويجيء الأمر حكمًا مع البر واللطف ، ففي ذلك يكون يسرًا عليهم ، فيسر عليهم بأن أقام لهم التراب

طهورًا يتطهرون به كالماء ثم ألقى إليهم بعقب الأمر لطفا ينبئ عن إرادته ومشيئته ويقتضيهم شكر هذا اللطف والبر ، فقال : ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [المائدة : ٦] فجرى حكم التيمم في الواجبات من الأمور أنه إذا فقد الماء فأنه يقوم التراب مقام الماء ، وذلك إذا كان مجروحًا أو محصورًا أو بردًا شديدًا يخاف على نفسه منه ، كانت تلك الضرورة كفقد الماء ، وقد ذكر في الآية ضرورة المرض فقال : ﴿ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ ﴾ [المائدة : ٦] فجعل المرض وفقد الماء ضرورتين ، وروي عن رسول الله ﷺ في شأن البرد :

١٢٤٥ـ حدثنا بذلك محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ ، ثنا أبي ، ثنا ابن لهيعة ، قال : حدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن عمران(١) ، عن عبد الرحمن بن حبيب ، عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : بعثني رسول الله ﷺ في غزوة ذات السلاسل ، واحتلمت في ليلة باردة شديدة البرد ، فخشيت إن اغتسلت [٢/ ٩٠/ب] أن أهلك ، فتيممت ، ثم صليت بأصحابي ، فلما قدمنا على رسول الله ﷺ ذكرت ذلك له وقلت لرسول الله أشفقت إن اغتسلت أن أهلك ، فذكرت قول الله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ [النساء : ٢٩] فتيممت ثم صليت بأصحابي . فضحك رسول الله ﷺ .

١٢٤٦ـ حدثنا قتيبة بن سعيد ، ثنا الليث بن سعد ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن رسول الله ﷺ بنحوه ، وقال : " ما أحب أنك تركت شيئًا مما فعلت " .

قال أبو عبد الله : ثم جرت في الأخبار ذكر سائر الضرورات ، من ذلك أن تموت امرأة ليس معهم امرأة تغسلها .

١٢٤٧ـ حدثنا محمد بن عبدة بن سليمان ، ثنا أبو بكر بن عياش ، عن محمد بن سهل ، عن مكحول ، عن رسول الله ﷺ في المرأة تموت في السفر مع رجال ليس معهم امرأة وفي الرجل يموت في السفر ومعه نساء ليس معهن رجل قال : " يؤتمان بالصعيد " .

قال محمد بن عبدة : سمعته من أبي بكر بن عياش مع أبي ووكيع ويحيى بن آدم .

١٢٤٨ـ حدثنا أحمد بن مصرف اليامي ، ثنا أبو يحيى الحماني ، عن أبي سعيد ، عن مكحول ، عن رسول الله ﷺ بمثله .

---

(١) في الأصل : « عمر بن أبي أنس » والمثبت من التهذيب .

ومن ذلك صلاة الجنازة إذا حضرت فخاف فوتها ، فأجازوا له التيمم .

١٢٤٩ـ **حدثنا** محمد بن أبي مذعور ، ثنا ابن نمير ، ثنا إسماعيل بن مسلم ، عن عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه أتي بجنازة وهو على غير وضوء فتيمم وصلى عليها .

١٢٥٠ـ **حدثنا** إسحاق بن إبراهيم ابن الشهيد ، ثنا عمر بن أيوب الموصلي ، عن المغيرة بن زياد ، عن عطاء بن أبي رباح قال : مرت بابن عباس رضي الله عنه جنازة وهو على غير طهور فتيمم بالصعيد فصلى عليها .

قال أبو عبد الله :

فهذه ضرورة خوف الفوت ، ثم من بعد ذلك أحوال تأتي على المؤمن ما يحب أن يجدد وضوءًا والماء موجود في الحضر فيتيمم مخافة الفوت ، وذلك ما

١٢٥١ـ **حدثني** به أبي رحمه الله ثنا محمد بن الحسن ، عن عبد الله بن المبارك ، عن ابن لهيعة ، عن عبد الله بن هبيرة ، عن حنش ، عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يخرج فيهريق الماء فيتمسح بالتراب ، فأقول : يا رسول الله الماء منك قريب . فيقول : " ما أدري لعلي لا أبلغه " .

١٢٥٢ـ **حدثني** أبي رحمه الله ، ثنا الفضل بن دكين ، عن سفيان ، عن أبي سنان ، عن عبد الله بن أبي الهذيل ، قال : إن كان أحدهم ليبول ثم يمسح بالتراب مخافة أن تقوم الساعة .

١٢٥٣ـ **حدثنا** محمد بن موسى الحرشي ، ثنا محمد بن ثابت العبدي ، عن نافع ، عن ابن عمر رضي الله عنه قال : سلم رجل على رسول الله ﷺ فلم يرد عليه حتى دنا إلى حائط ، فضرب بيديه ضربة فمسح بهما وجهه ، ثم ضرب ضربة أخرى فمسح بهما ذراعيه إلى المرفقين ، ثم رد عليه السلام .

١٢٥٤ـ **حدثنا** محمد بن بشار [٢/ ٩١/ أ] العبدي ، ثنا محمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن محمد بن المنكدر ، عن عبد الله بن حنظلة بن الراهب ، أن رجلا سلم على رسول الله ﷺ وقد بال ، فلم يرد عليه حتى أتى حائطا فقال بيده على الحائط ، يعني أنه تيمم .

١٢٥٥ـ **حدثنا** سعيد بن يحيى الأموي ، عن أبيه ، عن يحيى بن سعيد الأنصاري ، عن سليمان بن يسار ، عن رسول الله ﷺ بنحوه .

١٢٥٦ـ حدثنا عبد الكريم بن عبد الله اليشكري ، ثنا أبو معاذ النحوي ، ثنا أبو عصمة ، عن موسى بن علقمة ، عن الأعرج ، عن أبي جحيفة رضي الله عنه قال : أقبل رسول الله ﷺ من بئر حمل إما من غائط أو بول ، فسلمت عليه ، فلم يرد علي حتى ضرب الحائط بيديه فمسح بهما وجهه ، ثم ضرب أخرى فمسح ذراعيه إلى المرفقين ثم رد علي السلام .

قال أبو عبد الله :

فهذه ضرورة لحالة الفوت لأن رد السلام فريضة .

ثم من بعد ذلك أحوال تشبه هذا .

١٢٥٧ـ حدثنا الجارود بن معاذ ، ثنا جرير ، عن محمد بن إسحاق ، عن يعقوب بن عتبة ، عن الحارث بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، عن أبيه ، قال : أتى ابن الحمامة السلمي رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله ، إني أثنيت على ربي ومدحتك . فقال : " أمسك عليك " . ثم قام رسول الله ﷺ فخرج به من المسجد فقال : " أما ما أثنيته على ربك فهاته ، وأما ما مدحتني به فدعه عنك " . فأنشده حتى إذا فرغ دعا بلالاً فأمره أن يعطيه شيئًا ، ثم أقبل رسول الله ﷺ على المسجد فوضع يده على حائط المسجد فمسح به وجهه وذراعيه ثم دخل .

قال أبو عبد الله :

فهذا تيمم من أجل أنه استمع إلى شعر ، فذلك وإن كان ثناءً على الله كان سجعًا وتكلفًا ، فإنما أثنى على الله طمعًا في نوال عرض الدنيا ، فداراه رسول الله ﷺ ولم يرده ولم يخيبه من طمعه ، ألا ترى أنه أمره بالإمساك حتى خرج من المسجد لأنه كره أن يذكر الله أحد بطمع في نوال وإنما أعطاه وقاية لعرضه .

١٢٥٨ـ حدثنا سفيان بن وكيع ، ثنا زيد بن حباب ، عن منصور بن الصلت ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ أتاه شاعر ، فأمر له بشيء ثم قال : " ما وقى به المرء عرضه فهو صدقة " .

فكذلك هناك في ذلك الحديث إعطاء ليقي عرضه ، فلما فرغ وأراد النبي ﷺ الرجوع إلى المسجد تيمم وعد ذلك حدثا ، فتيمم ليعود إلى الحالة الأولى ، وأيضا ضرورة لضرب احتياط من حيث لا يدري ذلك أن تفكر المرء في نفسه ما جاء في تشديد

البول وما جاء فيه من عذاب القبر فيخاف أن يكون قد أصابه منه شيء من حيث لا يدري فأمر بالتيمم

١٢٥٩ـ **حدثنا** بذلك عبيد الله بن يوسف [٢/ ٩١/ ب] الجبيري ، ثنا عثمان بن عبد الرحمن الحراني ، ثنا عبد الحميد بن يزيد ، عن أمية بنت عمر عن ميمونة رضي الله عنها أنها قالت : يا رسول الله ، أفتنا عن عذاب القبر . قال : " أثر البول ، فمن أصابه منه شيء فليغسله ، ومن لم يجد فليمسح بتراب طيب " .

فصيّر رسول الله ﷺ فَقْدَ علمه - لأنه لا يدري أصابه أم لا - كفقده الماء

وروي عن الأعمش أنه كان إذا أراد أن يُحَدِّث تيمم .

وروي عن السلف أن أحدهم كان إذا انتبه من النوم تيمم في فراشه ليعود إلى النوم على طهارة جديدة ، وكانوا يستحبون إذا نام الرجل في المسجد فاستيقظ من منامه أن يتيمم على مكانه لكي يكون ممره في المسجد إذا أراد الخروج على طهارة .

فهذا التيمم هدية من الله لهذه الأمة خاصة دون الأمم لتدوم لهم هذه الطهارة في جميع أحوالهم ليلا أو نهارا لإتمام النعمة عليهم ويشكر العباد على هديته فأقاموه مقام الماء في كل أنواع الضرورات .

الأصل الثاني والأربعون والمائتان

١٢٦٠ـ حدثنا نصر بن علي ، أخبرني عوبد بن أبي عمران الجوني ، قال : حدثني أبي ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " يا بني أسبغ الوضوء يزد في عمرك " .

قال أبو عبد الله :

فزيادة العمر تتجه على وجهين وجه منها أن العمر إذا عمر بالإيمان وبحياة القلب بالإيمان فذاك كثير وإن قل في عدد أيام المدة لأن القصير من العمر إذا احتشى من الإيمان أربى على الكثير وإنما يبتغى من العمر للعبودة لله كي يصير غدا عند الله وجيها ، ألا ترى أن المعمرين من الأنبياء عليهم السلام مثل نوح وهود وصالح وإبراهيم وموسى عليهم الصلاة والسلام كلهم عمروا ما بين المائتين إلى الألف ومحمد ﷺ إنما لبث في النبوة نيفا وعشرين سنة فأربى على الجميع وتقدمهم لعظيم حسره ووفور حظه ودنو قربه ، وقال : أنا سيد ولد آدم ولا فخر . ولذلك قال : " إن الله أعطاني خصالا لم تعط أحدا قبلي ، سميت أحمد ، ونصرت بالرعب ، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا وأحلت لي الغنائم " .

١٢٦١ـ حدثنا بذلك الفضل بن محمد ، ثنا إبراهيم بن محمد بن يوسف الفاريابي ، عن عاصم بن علي بن عاصم ، عن قيس بن الربيع ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن الطفيل بن أبي بن كعب ، عن أبيه ، عن رسول الله ﷺ .

فكل واحدة من هذه الخلال لو حملت السماوات والأرض ما في حشو(١) كل خصلة منها لأثقلتها .

فأما قوله : سميت أحمد ، فمنه نال لواء الحمد لأنه هو الذي وصل إلى عش الحمد من بين الرسل وكانت الرسل تحمد ربها من جو الآلاء ويحمد ﷺ من جو الرحمة العظمى الذي منه بداء الآلاء فلذلك جعل أحق الرسل بلواء الحمد لأن حمده أظهر [٢/٩٢/أ] وأوفر .

---

(١) كذا بالأصل .

وأما قوله : نصرت بالرعب ، وما بعده من هذه الخصال فقد تقدم تفسيره .

ووجه آخر أن الله تعالى قدر الآجال والأرزاق والحظوظ بين أهلها فجعل بعضها واجبة وبعضها هدية ثم أثبت ذلك كله في أم الكتاب الذي عنده الذي لا يطلع عليه أحد ومنه نسخ على اللوح المحفوظ فيمحو من ذلك الأم ما شاء ويثبت ما شاء فإذا محا فإنما يمحو من الهدايا ما شاء ويثبت ما شاء ، فأما الواجبات فقد وجبت لأهلها والهدايا تمحى بالأحداث التي تكون من أهلها في الأرض ، فإذا حافظ المؤمن على الوضوء وأسبغ الوضوء فإنما يدوم هذا الفضل للعبد لوفارة إيمانه ولاتساع صدره شرحا للإسلام فهداياه في أم الكتاب مثبتة تتربى له وتربو بحفظ وضوئه للهدايا فإذا استخف بها وحل التخليط في إيمانه وذهبت الوفارة انتقص من كل شيء بمنزلة الشمس التي ينكسف طرف منها فبقدر ما انكسف ولو بمقدار رأس إبرة انتقص شعاعها وإشراقها على أهل الدنيا كلهم وخلص ضرر النقصان إلى كل شيء في الأرض فكذلك نور المعرفة بقدر ما ينكسف من شمسها ولو بمقدار رأس إبرة ينتقص من جميع أعماله وأخلاقه وسيرته في الدين بين يدي الله لأن القلب صار محجوبا فمن حجب عن الله بمقدار رأس إبرة فزوال الدنيا بكليتها أهون من ذلك ، فلا يزال العبد ينتقص ويتراكم نقصانه وهو أبله لا ينتبه لذلك حتى يستوجب الحرمان فتمحى الهدية ويبقى العبد خاليا فإنما بلهته ثَمّ حتى صار أبله ولو قد عقل ثم انتبه لما حل به لم ينم ولأينيم صارخا إلى الله يتردد في الأرض ولا يستقر

وقوله : " يزيد في العمر " أي تثبت له الهدية حتى يزاد في العمر فيؤخر أجله ويزاد في رزقه في قوته في أعمال الدين والدنيا ويزاد في البركة في كل الأشياء منه وقد جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال : إن الرجل ليبقى من أجله ثلاثة أيام فيصل رحمه فيزيد الله في عمره ثلاثين سنة

قال أبو عبد الله :

وكيف لا يزاد له في عمره وقد تعلق بقميص الرحمة ، والأخبار مستفيضة في أشياء من أعمال البر أنه يزاد له في عمره ثوابا لتلك الأعمال فذاك عاجل الثواب بشرى لما أعده له في الآخرة من الثواب .

١٢٦٢ـ حدثنا عبد الرحيم بن حبيب الفاريابي ، ثنا بقية بن الوليد ، ثنا عيسى بن إبراهيم

القرشي قال ثنا سليمان بن عمر القرشي قال سمعت سلمة بن عبد الله الجهني يحدث عن عمه أبي الدرداء رضي الله عنه قال تذاكرنا زيادة العمر عند رسول الله ﷺ فقال: " لن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها ، زيادة العمر ذرية صالحة يرزقها الله العبد يدعون له بعد موته يلحقه دعاؤهم فذاك الزيادة في العمر " .

١٢٦٣ـ حدثنا عمرو بن محمد العثماني ، ثنا ابن أبي أويس ، عن سليمان بن بلال ، [٢/ ٩٢/ ب] عن يونس ، عن الزهري ، عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " من كان يريد أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه " .

الأصل الثالث والأربعون والمائتين

١٢٦٤ـ **حدثنا** أبي رحمه الله ، ثنا عصمة بن جهم أبو أمية ، ثنا أبو هلال الراسبي ، عن قتادة عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له " .

قال أبو عبد الله :

فالإيمان عش الأمانة ، والأمانة في جوفه ، كالفرخ الذي يتفقأ عن البيضة ، ووكل العباد بتربيتها كما يربي الطير فرخه في عشه ويزقه ويغدو في طلب تربيته حتى ينقل إليه من أقطار الأرض ويكتنفه ويذب عنه ويقاتل عنه من يرومه في عشه تحننا عليه وشفقة وصيانة حتى ينبت له جناح ويطير معه فالموكل موكل بحفظ الأمانة وقد قبلها مع قبول الإيمان فلم يتم الإيمان إلا بقبول الأمانة وكانت مستورة فأحب الله أن يبرزها حتى يقبلها آدم بارزا ظاهرا فيباشر قبولها بيده ولسانه ، فمثلها له درة بيضاء وجعلها مستورة في جوفه فعرضت على السماوات والأرض والجبال فهبنها وأشفقن منها لأنه انكشف الغطاء لهن عن ذلك وستر عن آدم عليه السلام وإنما عرضت على السماوات والأرض والجبال لمكان آدم صلوات الله عليه والمقصود بذلك أمر ، فأمر بقبولها ولم يك عرضا فكان إذا قبلها ثم ضيع منها شيئا هو وولده لكانوا يكفرون ولكن الله لطف لآدم عليه السلام وولده فجعلها عرضا على السماوات والأرض فعرض لذلك آدم حتى قبلها وإنما قبلها لأنه تحرك ما في قلبه من المضمر في إيمانه وهاج فلم يملك أن أسرع إلى القبول مقتدرا فأعلي باقتداره فسمي ظلوما لقبوله على الاقتدار جهولا بما في باطن تلك الدرة فهو في الظاهر بها جاهل وفي الباطن مستعمل له ما في باطن إيمانه يزعجه على القبول حتى وضعها على العاتق وقال هي لك بين أذني وعاتقي ، وبين الأذن والعاتق العنق وفيها الرقبة فألزم الأمانة عنقه كطوق العبيد وذل بقد رقبته فلولا ما جرى فيه للاقتدار لكان أمرا عجبا ، فتكرر عليه الأمر للاقتدار ، وانقطعت المادة ، وإنما عمل فيه الاقتدار وانشر عليه باب التعلق بالله لما كان في ظهره من الأعداء ، فأحب الله أن يزايله الأعداء فإن الأحباب قد ضمهم صلبه فابتلاه بقبول الأمانة ليميز الخبيث من الطيب فقبله على الاقتدار فصار القبول

حظ الأحباب وصار الاقتدار حظ الأعداء وذلك قوله : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأعراف : ٧٢] ثم أعلم العباد لما فعل هذا فقال : ﴿ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الأعراف : ٧٣] .

كأنه يقول إنما فعلت هذا لأعذب الأعداء وأتوب على الأحباب فأغفر لهم [٢/ ٩٣/ أ] سيئ ما عملوا وأرحمهم في تقصيرهم حتى تؤديهم الرحمة إلى دار رحمتي فتقلد حفظ هذه الأمانة فجرى قبوله لها من القلب إلى الجوارح السبع فتجزأ حملها على هذه الجوارح فللعين جزء وللسان جزء وللسمع جزء وللبدن جزء وللرجل جزء وللبطن جزء وللفرج جزء وجعل أمانة الفرج من بين الجوارح كلها مستورة ولذلك سميت فاحشة إذا كشف عنها بغير حق ، والاستعمال لها بغير حق هلكة ، والأدب لمن أتاه بغير حق القتل بالحجارة والتنكيل والناظر إليها عامدا ملعون والكاشف عنها منزوع الحياء وإذا نزع الحياء هتك الله ستر الحياء منه فمقته ، فلا تلقاه إلا مقيتا شيطانا لعينا فبهذا جاء في الخبر :

١٢٦٥ـ **حدثنا** صالح بن عبد الله ثنا جرير عن ليث عن ابن أبي نجيح عن أبيه عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال : أول ما خلق الله من الإنسان فرجه ثم قال : هذه أمانة خبأتها عنك فلا تسل منها شيئا إلا بحق ، فالسمع أمانة ، والبصر أمانة ، والفرج أمانة ، والبطن أمانة ، واللسان أمانة ، واليد أمانة ، والرجل أمانة .

قال أبو عبد الله :

فالذي يكشف خبء الله إهمالا أو لاستعماله بغير حق استوجب هذه العقوبات البارزة في الدنيا وبالآخرة على سائر العقوبات فأما في الدنيا فالنكال والرجم وأما في الآخرة فإن أهل النار يتأذون من نتن فروج الزناة ويزدادون بذلك عذابا ، فالإسبال الإسمال(١) .

ولذلك قال رسول الله ﷺ : " أكثر ما يدخل الناس النار الأجوفان البطن والفرج " .

---

(١) هكذا استظهرت قراءتها بالأصل .

فقد قلد كل جارحة الأمانة بقسط فمن استبل بالأمانة في كل جارحة خيانة انتقص من وزن إيمانه حين يوزن ومن ضوئه ما دام حيًّا فإن ضوء الإيمان رأس مال الموحدين به يستضيئون في السير إلى الله في الطاعات ، فإذا غُلِب الضوء ضل القلب بمنزلة قمر وقع في الكسوف فضل المسافر الذي أظلم عليه الطريق عن المسير ، فكسوف ضوء الأمانة في ظلمة الخيانة فلكل فعل حرم الله على جارحة من الجوارح ستر فإن هتكت تلك الجارحة ذلك الستر فانتهكت تلك الحرمة برفع حجابها فقد خان الأمانة ، ومثل ذلك مثل راكب يسير إلى الملك على راحلة نجيبة من النجائب وإذا هو ساعة فساعة ينيخها فمن كثرة الإناخة صارت النجيبة صعبة فحرنت وخلأت وصالت واستبدت ، فتركت نجابتها من كثرة الإناخة فكذلك صاحب الأمانة إذا نزهها عن الخيانة فهي نجيبة تطير به إلى الله وفيها منجاة لكل نائبة تنوبه في الدنيا وفي البرزخ وفي المحشر وعند الميزان وعلى الصراط فالمتقون فهموا هذه القصة فخرست ألسنتهم عن أن تنطق بما نهى الله عنه والسمع عن الاستماع إلى ما نهى الله عنه والبصر واليد والرجل والبطن والفرج كذلك وحفظوا القلب [٢/ ٩٣/ ب] وساحته وهي الصدر مع الله فيما بينه وبين الخلق فكلما زلت جارحة من جوارحك بفعل حظره الله عليك فقد ضيعت من الأمانة بقدرها ، وإنكسف من ضوء قمرك بقدرها ، ونقص من وزن إيمانك غدا بقدرها ، فإذا علمت شأن هذه الجوارح السبع ، وجعلتها في وثاق الأمانة فقد نجوت من اقتضاء الأمانة جوارحك ، فأفدت(١) فإن كنت ممن فتح له الطريق فسار إلى الله صار حفظ الأمانة أصعب وأعظم خطرا وأوفر حظا من ثم ، لأن العبد حتى الآن كان في كسب الجوارح عملا ينال به أجرا والآن قد وقع في كسب القلب سعيا إلى الله ينال به القربة ، فالحراسة ههنا للأمانة من الخواطر ، فإن حرسها بحقها وصدقها تحول الضوء الذي كان بدءًا شعاعا يتوهج يخطف بصائر النفس ، فضوء الإيمان للصادقين مع جهدهم وشعاع الإيمان للصديقين مع تفويضهم لأنهم خرجوا من قمر الإيمان إلى شمسه فإن الكفر كليل مظلم ، فإذا أضاء الإيمان في الصدر كأن الليل طلع قمره ، فليل يقمر بربعه وليلة

---

(١) هكذا استظهرت قراءتها .

بثلثه وليلة بنصفه وليلة ببدره كاملا فالموحدون كان كل من ذلك القمر بقدره ، وكل مطيع يأخذ بقدره من الضوء فمؤمن يخلط إنما يقمر له من إيمانه بمقدار ما يقمر الليلة الثالثة من الشهر ، ويغيب عنه ما سوى ذلك ، لظلمة خيانته وعامل يقمر ليلة من إيمانه الثلث ويغيب عنه ما سوى ذلك ، وكذلك الورع والمتقي والزاهد ، والناسك كل على قدر صدقه حتى إذا انتهى الصدق منتهاه من هؤلاء الأصناف استحق الصدق فسمي صادقا لأنه يصدق الله مطيعا له في كل جارحة فالظاهر مستقيم والباطن ذو تخليط كثير ، فمن أقمر ليله بدرا فصار ضوء إيمانه كالقمر ليلة البدر ، والضوء ليس له شعاع ولا حريق لأنه ممحو فكذلك الصادق محجوب قلبه عن الله فاسد الباطن مجهود ، ومن فتح لقلبه الطريق إلى الله فصار على منهج الصدق وهو البذل لنفسه لله غير ملتفت إليها تحول قمره شمسا فإنما يبدو عليه من شعاع ذلك الشمس بمقدار ما كان يبدو من القمر في مبتدأ أمره فلا يزال يسير حافظا للأمانة في العطايا حتى تزول عنه الخيانة ويتبرأ من النفس وينساها ، فإذا وصل إلى هذه الخطة وافتقد مشيئته لمشيئة مولاه ونسي أحوال نفسه لما طالع من العظائم واشتغل بالمرعى أشرقت شمسه بتمامها بجميع شعاعها ولذلك قوله لداود عليه السلام : تمشي تماما وتقول صوابا .

وقوله : ﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ ﴾ [الأنعام : ١٥٤] ، فالحافظ لهذه الآية بحقها وصدقها في أمان الله يوم المقدم على الله عند معالجة سكرات الموت وفي البرزخ عندما يأتي القبر ويوم المنشر وفي ساعات المحشر وهناك في الموقف وعند المجاز على الصراط وعند الوزن وعند قراءة الصحيفة وعند العرض الأكبر حتى توافي دار الأمن والأمان ، فاتصلت أمانة هذا العبد من ههنا [٢/ ٩٤/أ] بدار الأمان وهذا هو المؤمن المستكمل لوفارة الإيمان وبهائه ، ولذلك قال أبو بكر رضي الله عنه : وددت أني شعرة في صدر مؤمن ، وروي في الخبر أن الله تعالى إذا أثنى على عبد فأبلغ في الثناء سماه مؤمنا ، وقال لإبراهيم عليه السلام حين أثنى عليه : ﴿ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الصافات : ٨١] .

١٢٦٦ـ حدثنا أبي رحمه الله ، ثنا الحماني ، ثنا زيد بن حباب ، قال : أخبرني كثير بن عبد الله ، قال : أخبرني الحسن بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : " ثلاثة تحت العرش : القرآن له ظهر وبطن يحاج العبد ، والرحم تنادي صل من

وصلني واقطع من قطعني ، والأمانة " .

١٢٦٧- حدثنا الحسن بن علي بن الأسود العجلي ، ثنا محمد بن الفضيل[1] الضبي ، ثنا أبي ورقبة بن مسقلة العبدي ، عن نافع ، عن ابن عمر رضي الله عنهما ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : " انطلق ثلاثة نفر فدخلوا غارا فأرسل الله صخرة فأطبقت الغار عليهم ، فقال بعضهم لبعض : قد ترون ما نحن فيه وما قد ابتلانا الله به فلينظر كل رجل منكم أفضل عمل عمله فيما بينه وبين ربه فليذكره ثم يدعو الله تعالى لعل الله يفرج عنا ما نحن فيه ويلقي عنا هذه الصخرة ، فقال رجل منهم : اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي بنت عم وكانت من أحب الناس إلي ، فطلبت منها نفسها ، فأبت علي إلا أن أعطيها مائة دينار ، فجمعتها من حسي وبسي ، حتى جئتها بها ، فدفعتها إليها ، فلما قعدت منها مقعد الرجل من امرأته أرعدت وبكت ، وقالت : يا عبد الله اتق الله ولا تفتح الخاتم إلا بحقه ، فقمت وتركت الدنانير ، اللهم إن كنت تعلم أني إنما تركتها وتركت الدنانير لها من مخافتك ففرج لنا من الصخرة فرجة نرى منها السماء . ففرج الله عنهم فرجة فنظروا منها إلى السماء . وقال الثاني : اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي أبوان ، وكانت لي صِبْيَة ، وكنت أرعى على أبوي فكنت أجيء بالحلاب فأبدأ بأبوي فأسقيهما ، ثم أجيء بفضلهما إلى الصبية فأسقيهم وأني جئت ذات ليلة بالحلاب فوجدت أبوي نائمين والصبية يتضاغون من الجوع فلم أزل بهم حتى ناموا ، ثم قمت بالحلاب على أبوي ليلتي حتى قاما فشربا ، ثم جئت بفضلهما إلى الصبية فأسقيهم ، اللهم إن كنت تعلم أني إنما فعلت ذلك من مخافتك ففرج عنا منها فرجة . ففرج الله عنهم منها فرجة .

وقال الثالث : اللهم إنك تعلم أنه كان لي أجير يعمل عندي ، فأعطيته أجره فغمصه وذهب وتركه ، فعملت له بأجره حتى صار له بقرا وغنما ، ثم أتاني بعد سنين يطلب أجره ، فقلت له : دونك هذا البقر والغنم وراعيها فخذها فهي لك فانطلق فأخذها ، اللهم إن كنت تعلم أني فعلت ذلك من مخافتك فألقها عنا ، فألقى الله عنهم ، فخرجوا يمشون " .

---

(١) بالأصل " الفضل " والمثبت من التهذيب .

وروي [٢/ ٩٤/ ب] عن إسماعيل بن جعفر ، عن عثمان بن عطاء الخراساني ، عن أبيه قال : كان رجل من بني إسرائيل له مكان من الملوك ، ليس منهم ملك يموت فيخلفه ملك إلا أنزله منه بمنزلته من الملك الأول ، فبعث على بني إسرائيل ملك صالح ، فدعا الناس إلى أداء الحقوق والمظالم ، فارتحل الأحياء إليه حتى ليس منهم أحد إلا وهو ينظر في شأنه ومن كانت له مظلمة رد عليه مظلمته ، ومن كان له حق أنصفه من حقه ، ومن كانت له حاجة قضى له حاجته ، حتى رحل حي الفتى فارتحل فيهم ، وهم يظنون أن الملك سينزله منه منزلته من الملوك قبله ، فدخل على الملك بعض قومه ، فقضى حوائجهم ، ورد عليهم مظلمتهم ، حتى دخل الفتى ، فكلمه بمثل ما كان يكلم به الملوك قبله ، فيعجبهم فيقربونه ، فقال له الملك : أولا تتقي الله وتؤدي الأمانة ، فقال : أية أمانة ؟ فأخذ رجل من خدمه بيده فأخرجه ، فانصرف إلى قومه ، قال : لعل بعضهم سَيَّعَنِي عند الملك . فحلفوا له ، فصدقهم ، فانصرف إلى أهله ، فمات ذلك الملك ، وبعث عليهم ملك صالح ، فدعا الناس إلى ما دعاهم إليه الملك قبله ، فارتحل الناس إليه وارتحل الفتى مع حيه ، فلما دخلوا عليه كلمه الفتى بالكلام الذي كان يكلم الملوك فيقربونه ، فقال له الملك : أولا تتقي الله وتؤدي حق الأمانة ؟ فقال : أية أمانة ؟ فأخذ بيده ، فأخرج فانصرف إلى قومه قال : لعل بعضهم سيعني عند الملك . فحلفوا له فصدقهم ، فانصرفوا ، وانصرف الفتى إلى أهله ، فقال : لا أحسب هذا إلا لما كنت أصبت مما لا يصلح لي . فوضع يده اليمنى على اليسرى ، ثم قال : اللهم إني أبايعك على أن لا أسأل أحدا شيئا أبدا . فمكث بذلك ثم قال : لا حاجة لي بقرب الناس ومخالطتهم . فانطلق إلى برية فتعبد فيها ، فتخرقت عنه ثيابه ، وصار كهيئة . . . (١) المحرق ، وجعل يأكل من نبات الأرض ، فبينما هو على ذلك إذا هو بشيخين بين أيديهما طعام يأكلانه ، فتعرض لهما ، فرفعا رءوسهما ، فنظرا إليه ، حتى إذا علما أنه قد علم أنهما نظرا إليه أكبا على طعامهما ، ثم رفعا رءوسهما فدعواه ، فأقبل ، فإذا هما يأكلان خبز شعير ، فنظرا إليه ثم أكبا على طعامهما ، قم قالا : اجلس .

---

(١) كلمة لم أستطع قراءتها بالأصل .

فجلس ، ثم مد يده إلى كسرة فأمسكها فنظرا إليه ثم أكبا على طعامهما ، ثم قالا : كل ، فكبر ، فأمسكا بيده وقالا : لم كبرت على طعامنا ؟ قال : إني كنت حلفت أن لا أسأل أحدا شيئا ، ولولا أنكما قلتما كل لم أتناول طعامكما . قالا : أولا تتقي الله ، وتؤدي الأمانة ؟ قال : وأية أمانة ؟ فوالله ما أخرجني من بين الناس إلا هذه الكلمة ، ولا لقيت ما تريان إلا لها . قالا : أشرف هذا الشرف ، فانظر ماذا ترى وراءه ثم ارجع إلينا ، فأشرف ثم رجع إليهما ، فقال : رأيت خمسمائة ضائنة أو ستمائة لم أر مثلها حسنا . قالا : أتأخذها بأمانة الله على أن تردها [٢/ ٩٥/أ] إلينا إذا نحن سألناكها صحاحا ، شق الشعرة شطرين ؟ قال : نعم . فدفعا إليه الغنم ، وانطلقا ، فنمت ، وبارك الله فيها ، فنزل قرية من القرى ، وباع فيها ، فاشترى رعاء ، فجعلت ترعى جناب القرية ، وتأوي إليها ، فكثرت ونمت ، وبارك الله فيها ، وجعل لا يبيع منها فيتخذ صنفا من أصناف الأموال إلا بارك الله فيه ، فتزوج البكر ، واتخذ السراري ، وكثر له الولد ، وكان في ذلك رجلا صالحا ، يقري الضيف وينزل ابن السبيل ويعطي السائل ، فبينما هو على ذلك وقد أتى على ذلك سنون إذا هو بشيخين يقرعان عليه باب داره ، فنادى غلامه فقال : انظر من يقرع باب الدار ، فخرج غلامه ، فإذا هو بشيخين ، قال : ما حاجتكما ؟ قالا : حاجتنا إلى سيدك . فرجع إلى سيده ، فأخبره ، قال : انطلق بهما ففرغ لهما بيتا في ناحية الدار ثم أفرشهما وأتحفهما وأطعمهما واسقهما ، فليبيتا بخير ، ثم يغدوا على حاجاتهما ، وهو يحسب أنه كان كمن كان يضيف ، فرجع الغلام إليهما قال : إن سيدي أمرني أن أفرغ لكما بيتا ، وأن أفرش لكما وأتحفكما وأطعمكما وأسقيكما ، فتبيتا بخير ثم تغدوا على حاجاتكما . قالا : هذا مكاننا أو يأذن لنا عليه . قال : وهي ليلة باردة شديدة البرد ، فرجع إلى سيده ، فأخبره فقال له : قل لهما إني فد وضعت ثيابي وخلوت بأهلي ، فبيتا ثم أغدوا على حاجاتكما . فرجع إليهما فأخبرهما قالا : هذا مكاننا أو يأذن لنا . فغضب العبد فأغلق الباب دونهما ، وانصرف إلى مضجعه ، فلما أصبح دعا غلامه فقال : ويحك ، ما فعل ضيفاني ؟ قال : عرضت عليهما ما أمرتني به ، فأبيا ، فأغلقت الباب وانصرفت ، قال : ويحك ، تركت ضيفي في صقيع بغير عشاء ، لا جرم لأفعلن بك ولأفعلن ، ائذن لهما . فدخلا عليه فجعل

يعتذر إليهما : أتيتماني في ساعة لا يدخل علي فيها ، فأمرت الغلام بقراكما فغمصتما ذلك ، فذكر لي أنه أغلق الباب دونكما ، لا جرم لأفعلن به ولأفعلن . قالا : إن لنا حاجة ، فأخلنا لحاجتنا . فأمر من حوله فارتفع ، حتى إذا خلوًا به قالا : هل تعرفنا ؟ قال : لا . قالا : أتذكر شيخين أتيتهما ببرية كذا وكذا ، بين أيديهما خبز شعير يأكلانه ، وأنت . . . (١) المحترق ؟ قال : أذكر . قالا : فما فعلت الغنم ؟ قال : فعلت خيرا ، نمت وكثرت ، واتخذت أصناف الأموال . فقالا : ألست قد عرفت شرطنا عليك ؟ قال : بلى ، صحاحا شطرين . قالا : فادع لنا بمالنا . قال : فدعا بدواوينه ، وإذا الأموال أكثر من أن تحصى إلا بكتاب ، فدعا بالغنم فقسمت شطرين ، ثم دعا بالإبل والبقر ، وسائر الأموال ، فقسمت شطرين ، فقال : قد فعلت ووفيت لكما بالشرط . قالا : ائتنا بأمهات أولادك . قال : ما لكما ولأمهات [٢/ ٩٥/ ب] أولادي ، نساء قد ولدن وأعتقن ؟ قالا : إن أثمانهن من مالنا . قال : لا أفعل . قالا : اتق الله وأد الأمانة ، تعلم أنا لسنا نأخذك بسلطان وليس لنا عليك بينة ، وإنك إن تجحد يصدقك الناس ويكذبونا . قال : فبات علي فراشه متسلق ، أيتها النفس اصبري ، واذكري الحال الذي كنت عليه ، صدقًا لعمري ، إن أمهات أولادي والنفقة عليهن من مالهما . فلما أصبح قال : ادعوا بأمهات أولادي . فدعا بهن ، فقسمهن شطرين ، فجعلن يبكين بعضهن إلى بعض ، قال : قد فعلت . قالا : ائتنا بنسائك . قال : وما شأن نسائي ، بنات قوم أحرار ، فأما أمهات أولادي فكن من مالكما . قالا : إن صَدُقاتهن والنفقة عليهن من مالنا . قال : لا أفعل . قالا : اتق الله وأد الأمانة ، تعلم أنا لسنا نأخذك بسلطان ، وليس لنا عليك بينة ، وإنك إن تجحد يصدقك الناس ويكذبونا . قال : يا نفس اذكري الحال الذي أتيتهما عليه صدقاتهن والنفقة عليهن من مالهما ، ائتوني بنسائي . فأتي بهن فقسمهن شطرين . قال : قد فعلت . قالا : ائتنا بولدك . قال : وما شأن ولدي ، أما أمهات أولادي فالثمن والنفقة من مالكما ، وأما النساء فالصدُقات والنفقة من مالكما ، وأما ولدي فخرجوا من صلبي ، فلم أكن لأفعل . قالا : اتق الله وأد الأمانة ، تعلم أنا لسنا

(١) كلمة لم أستطع قراءتها .

نأخذك بسلطان وليس لنا عليك بينة ، وإنك إن تجحد يصدقك الناس ويكذبونا . قال : أيتها النفس اصبري واذكري الحال الذي أتيتهما عليه ، أرأيت كسوة الولد والنفقة عليهم أليست من مالهما ؟ ائتوني ببني . فأتي بهم فقسموا شطرين ، فإذا غلام لا يعدله أحد من الولد قال : قد قسمت ولدي ، وهذا غلام ، فإن أحببتما أن تقوما قيمته ثم أرد عليكما الشطر فعلت . قالا : ما نريد أن تشتري منا شيئا . قال : فهب نصيبكما منه . قالا : ما نريد أن نعطي أحدا من حقنا شيئا . قال : فأنا أهب لكما نصيبي . قالا : ما نريد أن يكون لك علينا منة . قال : فماذا ؟ قالا : قد عرفت شرطنا عليك صحاحا ، شق الشعرة . قال : أفأشقه ؟ قالا : أنت أعلم . قال : والله لا أفعل هذا أبدا . قالا : اتق الله وأد الأمانة ، تعلم أنا لسنا نأخذك بسلطان وليس لنا عليك بينة ، وإنك إن تجحد يصدقك الناس ويكذبونا . قال : يا نفس اصبري واذكري الحال الذي أتيتهما عليه ، قربوا المنشار ، فأتي بالمنشار فقال : خذوا بناحية وآخذ بناحية . قالا : نعم ذاك لك . فأخذا بناحية المنشار وأخذ بناحيته ، ثم أدركته رأفة الوالد فقال : ابدءا فأشعراه فيه . قالا : أنت أحق من بدأ . قال : إني أجد له ما لا تجدان ، فأشعراه لي . قالا : أنت أحق من بدأ . فتقاعس في المنشار لناشره ، فرفعاه قالا : إن كنت لفاعلا ؟ قال : نعم والله حتى [٢/ ٩٦/ أ] أوفي الله بما جعلت له وأؤدي الأمانة ، قالا : اذهب فلك أهلك ومالك وبارك الله لك لسنا من البشر كان هذا بلاء قضاه الله عليك فبررت وأوفيت ونحن منعنا ملكي بني إسرائيل أن يعطياك شيئا لما قضاه الله عليك من البلاء فاطمئن في مالك .

وعنه عن عثمان عن عطاء عن أبيه قال : لما أعتق لقمان أعطاه مولاه مالا فبارك الله للقمان في ذلك المال فكثر ونَمَا وجعل لا يأتيه أحد يستقرضه قرضا إلا أقرضه لا يأخذ عليه حميلا ولا رهنا إلا أنه إذا أراد أن يدفع إليه المال قال : تأخذه بأمانة الله لتؤديه إلي عام قابل ؟ فإذا قال : نعم دفعه إليه فجعل الناس يأخذون منه ويؤدون ، فذكر فعل لقمان لرجل يسكن ساحل البحر تجارته في البحر لص ملط فاجر فقال : والله إن رأيت مالا أضيع من هذا ما يأخذ مني رهنا ولا حميلا والله لآتين هذا الرجل ولأقطعن من ماله مالا عظيما فأقبل إليه فقال : يا لقمان ذكر لي معروفك وأنا رجل أسكن كذا وكذا من ساحل البحر وتجارتي فيه فإن رأيت أن تقرضني قرضا أصبت فيه ثم أؤديه إليك فعلت ؟ قال :

نعم : وكم تريد ؟ فسمى له فأكثر قال : نعم أما أني لست أسألك حميلا ولا آخذ منك رهنا أتأخذه بأمانة الله أن تؤديه إليّ عام قابل في هذا اليوم ؟ قال : نعم ، فدفع إليه ما سمى وكتب عنده اسمه واسم أبيه ومنزله الذي سمى فذهب بالمال فوضع يده فيه وخلطه بماله وعزم أن لا يؤديه إليه وأدرك للقمان ابن فقال : يا أبت إني أريد أرض كذا وكذا ؟ وإن رأيت أن تأذن لي فعلت ؟ قال : نعم يا بني اذهب فاحمل على دوابك وشد عليك ثيابك ثم ائتني أوصيك بوصيتي ففعل ذلك ابنه ثم أتاه فقال : قد فعلت يا أبت قد حملت على ظهري وشددت علي ثيابي فأوصني قال : نعم يا بني إن في طريقك مفازة فأبكر فيها الدلجة فإنه ستعرض لك شجرة واسعة الظل تحتها عين فلا أعلمن ما قربت الشجرة ولا نزلت تحتها ، يا بني إني أرجو أن يخرجك الله منها سالما فتأتي حي بني فلان وهم لنا أصدقاء قد أعلم أنهم سيكرمونك ، يا بني وفيهم امرأة شابة كريمة الحسب كثيرة المال وقد أعلم أنهم سيعرضونها عليك فلا أعلمن نكحتها ولا ضمنت لشيء من أمرها ، يا بني أرجو أن يسلمك الله منها وإن رجلا يسكن ساحل كذا وكذا وقد أتاني منذ حين فاقتطع من مالي كذا وكذا وهذا اسمه واسم أبيه فأته فاقبض ما عليه ولا تبت عنده ليلة ، يا بني انظر الذي أوصيك به فافعله قال الفتى : نعم قال : يا بني إن من أفضل ما أوصيك به إن صحبك في طريقك هذا رجل أكبر منك فلا تعصه حتى [٢/ ٩٦/ ب] ترجع إلي ؟ قال : أفعل فسار ابن لقمان حتى انتهى إلى المفازة بكر فيها الدلجة فإذا هو أبعد من ذلك وأسحق فقام قائم الظهيرة واشتد الحر وهو في وسط منها فبينا هو يسير إذ عرضت له الشجرة فلما نظر إليها عرفها بنعت أبيه فإذا تحتها شيخ جالس فعدل إليها فقال له الشيخ : ما الذي تريد يا فتى؟ قال أريد أن أسير قال : فلا تفعل فقد قام قائم الظهيرة وتوقد الحر ولكن انزل فاستظل في ظل هذه الشجرة وضع عن دوابك واشرب من الماء فإذا أبردت فارتحل ، قال الفتى في نفسه : هذه الشجرة التي نهاني عنها أبي ما أريد أن أفعل قال : أقسمت عليك لتنزلن قال : ووافق ذاك منه هواه وذكر أن أباه قال : إن صحبك رجل هو أكبر منك فلا تعصه ، فنزل الفتى فوضع عن دوابه واستظل وأكل وشرب ثم رقد وأبى الشيخ أن ينام فلما استلقى ابن لقمان انحطت حية من رأس الشجرة فلما نظر إليها الشيخ رماها فقتلها ثم قطع رأسها فجعله في قرابه وغيب لحمها حتى إذا برد النهار وأيقظ ابن لقمان فقام فلم يستنكر من نفسه شيئا فحمل على دوابه ، وقال له الشيخ : أين تريد؟ قال : أريد أرض كذا

وكذا قال : أنا أريدها فهل لك في صحابتي ، قال ابن لقمان : أحب صاحب فلما نزلوا بالحي الذي سماهم له لقمان قالوا : ابن لقمان ، فأنزلوه وأكرموه .

فبينا هم يأكلون عنده ويشربون إذ قال له رجل منهم : يا ابن لقمان هل لك في امرأة شابة كريمة الحسب كثيرة المال تنكحها؟ قال ابن لقمان في نفسه : هذه التي منعنيها أبي ما لي حاجة بالنكاح ، قال الشيخ : ما تعرضون عليه؟ قالوا : نعرض عليه امرأة شابة جميلة كبيرة الحسب كثيرة المال ، قال الشيخ : أشباب وجمال ومال ما يترك هذا أحد انكحها ، قال ابن لقمان : ما أريد النكاح يا عم وإني لعلي رحلي قال : أقسمت عليك لتفعلن فوافق ذلك منه هواه وذكر الذي عوفي في الشجرة وأن أباه قال : إن صحبت رجلا هو أكبر منك فلا تعصه فنكحها ، فلما ملك عصمتها أتاه بعض صديق أبيه قال : ما صنعت هذه امرأة قد نكحت تسعة ليس منهم رجل إلا يصبح ميتا على فراشها وأنت العاشر ، فدخل الشيخ على ابن لقمان وهو مهموم حزين قال : ما يحزنك؟ قال : المرأة التي أمرتني أن أنكحها نكحت قبلي تسعة ليس منهم رجل إلا يصبح ميتا على فراشها وأنا العاشر وأنا أكره الموت ، قال : انظر الذي آمرك به فافعله فإذا أدخلت عليك فلا تقربها حتى تأتيني ، فأقبلوا بها إليه حتى أدخلوها عليه وكان من خلق أهلها وغلمانها أنها إذا أدخلوها على الزوج حفوا بالبيت فإذا صاح كانت علامة موته دخلوا فاحتملوا صاحبتهم وما معها وتركوه ، فحفوا بالبيت كما كانوا يصنعون وقال ابن لقمان : للمرأة إن لي حاجة فخرج إلى الشيخ فقال : المرأة في البيت وأنا عندك [٢/ ٩٧/ أ] قال : ائتني بمجمرة فيها جمر فأتاه بها ابن لقمان فعمد إلى رأس الحية التي قتل عند الشجرة فجعلها على المجمرة ، ثم قال : انطلق بها فاجعلها تحت المرأة فإذا برد فائتني بها ففعل بها ابن لقمان ، فقال : اجعلي هذا تحتك ففعلت فلما طفئ الجمرة أخرجها فذهب ابن لقمان بها إلى الشيخ فإذا شبه الدودة محترقة في المجمرة ، فقال : اذهب إلى أهلك فلا بأس عليك فإن هذه التي كانت تقتل الرجال فانطلق إلى أهله فأصبح قرير عين وأصبحت فرحة وتفرق الذين كانوا حفوا بالبيت ، فلما أراد ابن لقمان أن يرتحل قال له الشيخ : أين تريد؟ قال : غريما لنا في ساحل بحر كذا وكذا أريد أن آتيه فأقبض حقنا قبله ، قال : فهل لك في صحابتي؟ قال : أحب صاحب ، فانطلق معه حتى إذا قدما الساحل سألا عن

غريمهما ، فقال أهل البلد : ذاك لص ملط فاجر وكان قد عمد إلى قصر فبناه على ساحل البحر يمد البحر حين يمد فلا يترك حول القصر شيئا إلا احتمله لا يخلص إلى القصر ولا إلى من فيه فأتاه ابن لقمان وقال له : حقنا عليك؟ فقال : مرحبا بيتا الليلة ثم اغدوا على مالكما فقال ابن لقمان في نفسه : هذا الذي منعني عنه أبي ما أريد أن أبيت الليلة ، قال الشيخ : ما تعرض عليه؟ قال : أعرض عليكما أن تبيتا الليلة ثم تغدوا على مالكما قال : افعل يا بني ، قال : ما أريد ذاك ، قال : أقسمت عليك لتفعلن قد أنسأته أطول من ليلة فلا تنسه ليلة فوافق ابن لقمان هواه وذكر الذي عوفي من الشجرة والمرأة فباتا فلما فرغ من عشائهما عمد إلى وطاء تحت القصر ففرش لهما على سريرين وقد علم أن الماء إذا جاء احتملهما وعمد إلى ابن له فأضجعه على سرير فوقهما في مكان قد علم أن الماء لا يبلغه فرقد ابن لقمان وأبى الشيخ أن ينام فلما كان في جوف الليل أقبل البحر فلما رآه الشيخ أيقظ ابن لقمان فاحتملا سريرهما فجعلاه مكان سرير الغلام وحملا سرير الغلام وهو نائم فوضعاه موضع سريرهما وأقبل البحر فاحتمل الغلام بسريره فذهب به ولم يخلص إليهما فلما أصبحا اطلع صاحب القصر ينظر ما فعل غريماه فإذا هما نائمان وإذا ابنه قد ذهب فناداهما فقال : مكرت بكما وحاق بي المكر فاغدوا على مالكما فغدوا على مالهما فانتقداه ثم انصرفا إلى المرأة فأمرها ابن لقمان بالرحيل فارتحلت فإذا أكثر مال قومها لها مما كانت تصيب من الأزواج فارتحلت بمال عظيم من أصناف المال وأقبل معه الشيخ حتى إذا شارفا منزل لقمان قال الشيخ : لابن لقمان أي صاحب وجدتني في سفرك؟ قال خير صاحب كف الله بك ورزق ، قال : أفما لي فيما أصبت نصيب؟ قال : بلى نصفه لك طيبة لك به نفسي ، قال : فإما أن تقسم وتخيرني وإما أن أقسم وأخيرك قال ابن لقمان : لا اقسم وخيرني ، فعرف الشيخ هوى ابن لقمان في المرأة فعمد إليها وإلى شيء يسير من مالها فعزله [٢/ ٩٧/ ب] وعمد إلى عظيم المال فتركه ، ثم قال : لابن لقمان اختر ، قال ابن لقمان : أما إنك عدلت وأنصفت حين خيرت فإن كنت فعلت ما فعلت أختار المرأة وما معها فارتحل ابن لقمان بالمرأة وما معها ، وقام الشيخ في عظيم المال ، فلما سار ابن لقمان وكاد أن يتغيب عن الشيخ أدركه فقال : أعطيتني مالك فبم ذاك لعلك تخوفت مني شيئا ، قال ابن لقمان : وما عسيت

أن أتخوف منك ولكن لا يذكر صاحب من صاحب أفضل مما أذكر منك وسألتني ، قال : أتعطيني ذاك طيبة به نفسك ؟ قال : نعم ، قال : فاذهب فلك أهلك ومالك بارك الله فيك لست من البشر أنا أمانة أبيك الذي كان يأتمن بها الناس بعثني الله لأصحبك في طريقك ثم أردك إلى أبيك صالحا فاطمئن في مالك مباركا لك فيه .

قال أبو عبد الله :

فهذا قولنا الذي قلنا بدءًا : أن صاحب الأمانة المحافظ عليها في أمان الله حيث ما انقلب .

وروي في الخبر أن بختنصر لما سبي بني إسرائيل ، وقتل من قتل منهم ، فقيل له : إن هاهنا رجلا كان يخبرهم بما حل بهم فسجنوه ، قال : وأين هو؟ قالوا : في السجن . فأخرجه ، فقال له أنت الذي أخبرتهم بما حل بهم . قال : نعم أخبرني به ربي . قال للرجل لك أن تصحبني . قال لا حاجة لي فيها ، قال : فأكتب لك أمانا حيث ما ذهبت كان أماني معك . قال : إني لم أخرج من أمان الله منذ دخلت فيه فتركه .

١٢٦٨ـ حدثنا أبي رحمه الله عن صالح بن محمد عن القاسم العمري عن عمرو بن أبي عمرو عن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبيه رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : " أول ما يرفع من الناس الأمانة ، وآخر ما يبقى من دينهم الصلاة ورب مصل لا خلاق له عند الله " .

قال أبو عبد الله :

فالأمانة من الإيمان بمنزلة القلب من الجسد ، فإذا مال القلب إلى شيء مال الجسد إلى ما مال إليه القلب ، فالإيمان يشدد عقد القلب ويؤكد عزمه ويقوي ضميره ، والأمانة في الإيمان بمنزلة العماد فإذا وهن العماد بتضييع صاحبه فسقم إيمانه والسقيم صحيح سقمه قد خالطه الداء وذهب بقوته . وكذلك الخيانة إذا جاءت وقعت الأمانة إنها ضدها ولن يجتمعا بمنزلة الإخلاص والشرك لا يجتمعان ، والإيمان والكفر لا يجتمعان ، إذا جاء أحدهما ذهب الآخر . وكذلك الخيانة إذا جاءت وقعت الأمانة ثم الإيمان وكذلك قال رسول الله ﷺ فيما روي عنه : " يا سلمان قل اللهم إني أسألك صحة في إيمان وإيمانا في حسن خلق ونجاحا يتبعه فلاح " .

قال أبو عبد الله :

فقد أنبأك في هذا الحديث أن الصحة لا تسلم له من سقم فإذا أسقم فإنما يسقم بعلة

فإذا صح فقد اشتمل الإيمان على تلك الصحة ، وهو العماد الذي به يقوم الإيمان ، ثم الإيمان قد اشتملت على الأسماء التي خرجت للعباد ومنه خرج حسن الخلق وهي تسعة وتسعون اسما .

وأما قوله : " نجاحا يتبعه [٢/٩٨/أ] فلاح " . فقد كتبت في بابه فالإيمان للعباد عطية من المنة ، والأمانة في الإيمان هدية من الجود فإذا ضاعت الهدية ذهبت العطية فإذا ذهب الشيء افتقد صاحبه زينته وحلاوته ولذاذته وذبلت النفس واستراحت وإذا ذهب بها الشيء وثقلت عن المحافظة عليها وذهبت قوة القلب لذبول النفس وثقلها فحلت الخيانة محلها ، والخيانة في اللغة : كل شيء يعمل من وراء ، وهي مكر النفس فإنها لما لم تقدر على أن تستقبل القلب صبرا بالذي هويت من المعصية أسرته من القلب والتمست الغرة والغفلة من القلب فأوجدته اللذة التي وجدت فاستولت على القلب بسلطان اللذة في وقت غفلة القلب عن الله ، والغافل كاليتيم المتحير على قارعة الطريق لا أب له ولا أم يأوي إليهما ، فالغافل عن الله في وقت غفلته كاليتيم عن . . . [(١)] الله وإقباله عليه بأسباب المعصية ، فإنما يلتمس هذه النفس بمكرها تلك الآفات فإذا أوجدت القلب يتيما أمكنته أسره إياها لأن القلب أضعف ما يكون في وقت الغفلة وانقطاع المدد من الله ، فعرف القلب تلك اللذة التي أوجدته فتلك الخيانة ، وفي لغة العرب : كل شيء يعمل من وراء فاسمه عندهم الخيانة ، وفي اللغة : خان يخون هذا في الباطن إذ نخه ينخه أي يسود من ورائه ومنه قول الراجز :

في حداء الإبل لا تضربا ضربا ذنخا نخا لم يدع النخ لهن نخا

وهو أن يسوقها من ورائها ، ومنه قول رسول الله ﷺ - فيما نحسبه - " لَيْسَ فِي الْجَبْهَةِ ، وَلا فِي الْكُسْعَةَ ، وَلا فِي النُّخَّةِ صَدَقَةٌ " فأما " الجبهة " عندنا الخيل ، تجبه للقتال يقاتل بعضها بعضا بالخاء " والنخة " الرقيق لأنها إذا سيقت سيقت من ورائها وإذا دفعت دفعت سوق الأشداء على العنف .

" والكسعة " الحمير لأنها تساق من ورائها وتكسع ومن ذلك يقال كسع فلانا إذا

---

(١) كلمة لم أستطع قراءتها بالأصل .

ضرب مؤخرة برجل فيما حكي عن الفراء ، " النخة " هي أن يأخذ دينارا بعد فراغه من أخذ الصدقة فهذا من ذلك ، ومن ذلك أيضا أن يأتي الآخذ من ورائه فالخيانة تشتق من هذا وإنما هي في الباطن تلك اللذة التي تأتي بها النفس إلى القلب فتوجده سرا مكر(١) لا تخادعه وتزين له وتموه عليه فالأمانة يزينها اليقين فإنما ضاعت الأمانة من التعبد من قِبَل اليقين وليس شيء في الأرض أعز من اليقين ولا أقل منه .

١٢٦٩ـ حدثنا عمر بن أبي عمر ثنا عصام بن المثنى بن وائل الحمصي عن أبيه عن وهب بن منبه : أتي داود عليه السلام بصحيفة مختومة بالذهب من السماء فيها عشر مسائل وأمر أن يسأل ولده منها فمن أجابه بما فيها فهو الخليفة فدعا سليمان عليه السلام من بين ولده فسأله أي شيء أقل في الأرض؟ قال : اليقين [٢/٩٨/ب] . قال : فأي شيء أكثر؟ قال الشك . قال : فأي شيء آنس؟ قال الروح في الجسد . قال : فأي شيء أوحش؟ قال الجسد إذا خرج منه الروح . قال فأي شيء أحسن؟ قال الإيمان بعد الكفر . قال فأي شيء أقبح؟ قال الكفر بعد الإيمان . قال فأي شيء أمرّ ؟ قال الفقر .
قال فأي شيء أقرب؟ قال الآخرة إذ هو آت ، قال فأي شيء أبعد؟ قال الدنيا إذا زالت عنك . قال فأي شيء أشر؟ قال المرأة السوء . ففك داود خاتم الصحيفة فنظر فإذا هو بتفسيرها في الكتاب لم يغادر منه حرفا فاستخلصه .

فإذا عز اليقين وقل الشك وتذبذب القلب وارتحلت الأمانة إلى المهد ، وحلت الخيانة محلها فكيف يتشفع العبد بعد هذا بإيمان أجوف ، والخيانة في جوفه مكان الأمانة والشك علاوته والإيمان كما كان اليقين علاوته فما ظنك بشيء ذهبت علاوته ، وما ظنك بجسد قطعت . . . (٢) أليس قد ذهب السمع والبصر واللسان والشم ، ولا يسمع ولا يبصر ولا ينطق لا يجد رائحة ذلك فكذلك من افتقد اليقين لم يسمع عن الله ما خاطبه ولا أبصرها وكشف له وأراه ولا فطن عن الله حكمته ولا وجد ريح الطيب الذي طيبه الله فقال : ﴿ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ ﴾ [النور : ٢٦] وقال : ﴿ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾ [فاطر : ١٠] فكل طيب له ريح وإنما يجد الريح من كان ذكيا

(١) كذا بالأصل .
(٢) كلمة لم أستطع قراءتها بالأصل .

يذكي القلب باليقين فإذا ذهب اليقين فقد مات القلب عن الله ولم يمت عن توحيده ، فلذلك تجده مخلطا يعمل عمل الموحدين وعمل المشركين وعمل الموقنين وعمل النساكين وعمل الجادين جدا وعمل الملاعبين هؤلاء وإنما يعمل عمل الجد بقوة اليقين الذي في التوحيد فأما اليقين الذي هو في القلب فهي الأمانة في جوف الإيمان فقد فاته بتضييق فلذلك جاء مخلطا .

١٢٧٠ـ حدثنا ابن أبي ميسرة ثنا عبد الله بن زيد المقبري ثنا علي بن مسعود(١) قال : قال رسول الله ﷺ في خطبته " خير ما ألقي في القلب اليقين " .

١٢٧١ـ حدثنا أبي رحمه الله ثنا عبد الله بن نافع الزبيري عن عبد الله بن مصعب بن زياد بن خالد الجهني عن أبيه عن جده قال استلقفت هذه الخطبة من فم رسول الله ﷺ بتبوك مثله " خير ما ألقي في القلب اليقين "(٢) .

١٢٧٢ـ حدثنا صالح بن محمد ثنا زفر بن سليمان رفعه إلى رسول الله ﷺ : " أن عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام كان يمشي على الماء ثم قال : لو زاد يقينا لمشى في الهواء " .

١٢٧٣ـ حدثنا عمر بن أبي عمر ثنا عبد الغفار بن داود عن ابن لهيعة عن عبد الرحمن بن زياد ابن أنعم عن سعد(٣) بن مسعود التجيبي قال كان رسول الله ﷺ يقول : " ما أعطي أحد من اليقين ما أعطيت أمتي ، قال وكان عيسى ابن مريم يقول : ما أنزل في الأرض شيء أقل من اليقين " . [٢/٩٩/أ]

١٢٧٤ـ حدثنا مؤمل بن هشام اليشكري ثنا إسماعيل بن إبراهيم عن غالب القطان عن بكر ابن عبد الله المزني قال : إن أبا بكر رضي الله عنه لم يفضل الناس بكثرة صلاة ، إنما فضلكم بشيء كان في قلبه ، وروي عن الحذاء قال : إن عمر رضي الله عنه لم يغلب الناس بكثرة صوم ولا صلاة إنما غلبهم بالصبر واليقين .

---

(١) هكذا صورة الإسناد . والحديث في مصادر التخريج عن ابن مسعود ، ولا أدري من علي بن مسعود هذا .

(٢) ذكره الحافظ ابن حجر في اللسان في ترجمة : " عبد الله بن مصعب بن خالد الجهني " وقال : وقد جهل ابن القطان عبد الله بن مصعب وأباه .

(٣) بالأصل " سعيد " والمثبت من كتب التراجم .

١٢٧٥- حدثنا عبد الجبار بن العلاء ثنا الوليد بن مسلم ثنا عبد الرحمن بن زيد بن جابر قال سمعت سليم بن عامر يقول سمعت أوسط البجلي يقول سمعت أبا بكر الصديق رضي الله عنه على المنبر وهو يقول : سمعت رسول الله ﷺ على هذا المنبر عام أول والعهد قريب : " سلوا الله اليقين والعافية فإن الناس لم يعطوا شيئًا خيرًا من اليقين والعافية " .

١٢٧٦- حدثنا أبي رحمه الله ثنا القعنبي عن ابن لهيعة عن ابن هبيرة عن حنش عن عبد الله ابن مسعود أنه مر بمصاب فقرأ عليه فبرأ ، فقال رسول الله ﷺ : ما قرأت؟ قال : قرأت ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا ﴾ [المؤمنون : ١١٥] الآية فقال ﷺ : " لو قرأها موقن على جبل لزال " .

١٢٧٧- حدثنا محمد بن علي الشقيقي ثنا عبد الله بن عثمان أنبأنا عبد الله بن المبارك قال أنبأنا معمر عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن المسور بن مخرمة رضي الله عنه قال : لما استخلف عثمان رضي الله عنه جاء عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه حاجا ومرض عثمان رضي الله عنه فكتب بالبيعة لعبد الرحمن بن عوف ولم يطلع على ذلك أحدا غير مولاه حمران أبي عبد الرحمن فأخبره أن عثمان قد جعل البيعة لك فقال عبد الرحمن : ما أراك إلا وقد خنته ، وما أدري هل يسعني إلا أن أخبره بذلك أي إنه صاحب سره فأفشاه عليه فقال حمران : فإن فعلت فخذ لي منه أن لا يعاقبه ، قال : فذهب عبد الرحمن إلى عثمان رضي الله عنه فأخذ لحمران منه وأخبره بصنيعه فقال : لقد خان ، ثم وجهه إلى البصرة أى : كان يقول بقاء إليها .

قال أبو عبد الله :

فأوفر الناس حظا من اليقين أوفرهم من الأمانة وأشدهم لها حفظا وحراسة ولذلك قال رسول الله ﷺ : " لا يؤمن العبد حتى يأمن الناس من بوائقه " ، وقوله : " المؤمن الذي يأمنه الناس " .

١٢٧٨- حدثنا عمر بن أبي عمر ثنا سعيد بن عفير البصري ثنا عبد الله بن عقبة وابن لهيعة عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أنه قال : " المؤمن في الدنيا على ثلاثة أجزاء : الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ، ثم الذي يأمنه الناس على أموالهم وأنفسهم ، ثم الذي إذا أشرف على طمع تركه لله تعالى " .

قال أبو عبد الله :

فهذه [٢/ ٩٩/ ب] ثلاثة منازل للإيمان المنزلة الأولى نزلها صنف آمنوا بالله إيمان طمأنينة لا ريب فيه وجاهدوا أنفسهم في سبيل الله في الأمر والنهي فقاموا بأداء الفرائض واجتناب المحارم فهذه أول منزلة المؤمنين والرغبة فيهم باقية ومن كانت الرغبة فيهم باقية فالخيانة فيهم كائنة لأن الله تعالى أعطى الخلق الأرواح بما فيها من الحياة عارية وأعطاهم دنياهم عارية فالروح وضعه فيهم للارتحال والدنيا للزوال والانتقال . . . (١) فمن تشبه بالحياة لا يريد مفارقتها وفر من الموت فقد خان لأن العارية إذا امتنع صاحبها من الخروج بها إلي وليها ومالكها قهر وسلب وسمي بامتناعه وفراره خائنا ، فكذلك الدنيا إنما وضعت ممرا للعباد ومتزودا فمن اشتغل قلبه بالتمتع صيره كالمستقر فسلب يوم الخروج منها ، وهو خائف لما وضع بيده فيها فهم مع هذه الحياة يقومون بأداء الفرائض بلا توفير ويقومون باجتناب المحارم بلا صيانة ولا تقوي ، إنما التقوى إذا خرجت شهوة تلك الأشياء من قلبه فهذا الصنف الأول .

وهم في أول منزلة من منازل الإيمان فهم بعد في سفح الجبل والرغبة معهم ، فبالرغبة وقعوا في الخيانة . ألا تري أنهم لا يوفرون الفرائض ، وإنما افترضت عليهم الفرائض لشد . . . (٢) العبودة التي قبلوها فلما جاءت السيئات كانت ثلة يحتاج إلي شدها ، فشدت بالفرائض ولذلك قال : ﴿ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ ﴾ [النساء : ٣١] .

ألا تري أنهم يجتنبون المحارم بلا صيانة ولا تقوي وأنهم إن اجتنبوها فعلوا ذلك من خوف العقاب غدا ولم يلتفتوا إلي صيانة المعرفة التي في قلوبهم فإن قال له علام الغيوب غدا إن معرفتي كانت خلعتي على قلبك فاجتنب محارمي شفقة على جلدك ولحمك ولم تلتفت إلى خلعتي فتخاف عليها الدنس والغبار وإنما عظم عندك شأن جسدك وجل قدره بهذه الخلقة التي بها طاب جسدك فباليت بالجسد فاجتنبت المحارم توقيا عليه لا توقيا علي خلعتي ، فماذا يقول هذا العبد فهذا من دناءة المنزلة .

فإنما عم ما قلنا علي أهل الرغبة في الدنيا ولا يرغب فيها إلا أبله لأن الذي كتب في

(١) كلمة لم أستطع قراءتها بالأصل .

(٢) كلمة لم أستطع قراءتها بالأصل .

اللوح لا حول له ولو تقرب منه ، والذي لم يكتب له قد فاته أبدا ، هل تكفر الرغبة بعد هذا إلا لأبله متجبر .

وأما الصنف الثاني الذين هم في المنزلة الثانية من الإيمان فهم قوم زالت عنهم الرغبة في الدنيا فاشتاقوا إلى دار الله فاطمأنت نفوسهم وطابت أروحهم فأمنوا الخلق على أموالهم وأنفسهم لأن القلوب بما فيها من الإيمان شهدت لهذا الصنف بالأمانة التي في جوب إيمانية وذلك أن الإيمان له نسيم وإنما يدرك نسيمه إيمان العباد فاستطابوه واستحلوه واطمأنوا إليه ، وخذ أخري أن أرواح [٢/ ١٠٠/أ] المؤمنين تتلاقي في الهواء فيتعارفون وإنما يعرف بعضها بعضا بما تضمنه من روح الإيمان .

وما روي في الخبر " أن على الحق نورًا وعلي الإيمان وقارًا " وقال الربيع بن خثيم : " إن للحق نورًا كضوء النهار ، وللباطل ظلمة كظلمة الليل " فالصادقون إذا عاينوا الحق في فعل عاجل به استنارت قلوبهم وعرفوا أنه الحق ، والمخلطون لا تستنير قلوبهم ، لذلك يذلون وينقادون لأن نور الحق إذا لاقي قلب المخلط استقبلته ظلمته ومن وراء الظلمة نور الإيمان فلا يقدر نور الحق الذي أتي به هذا أن يصل إلي نور الإيمان من هذا الآخر لأن ظلمة تحجبه ولكن إيمانه الذي في قلبه يعرف ذلك فيذلل القلب ويجعله منقادا للذي أتي به ، فالصادق مستنير القلب يعمل علي قوة وحزم والمخلط علي حيرة ، . . . (١) للحق ، لقوة ما جاء به هذا الحق ، والصادقون في وقار الإيمان يتخشعون لصاحبه ويلقون بأيديهم سلما ويتوقرون ، والمخلطون يحمدون ويكفون ، وفي الباطن ليس لهم خشوع ولا سلم ، فهذا شأن الإيمان والحق ، فكذلك الأمانة إذا حلت في قلب العبد علي ما وصفنا آمنت قلوب الخلق واطمأنت نفوسهم إلى ما عنده ، فالخلق قد أمنوا على النفوس والأموال ولم يأمنوا منه على الدين .

وأما الصنف الثالث في المنزلة الثالثة من الإيمان فهم قوم بلغوا ذروة الإيمان وإنما سماه رسول الله ﷺ ذروة لأنه شبه الإيمان بالجبل والنفس كريشة طياشة تهب بها الريح فكلما كان الجبل أثقل كانت الريشة أسكن حتى إذا بلغ العبد ذروة الإيمان كان كأنه

---

(١) كلمة لم استظهرت قراءتها بالأصل .

على قلبة جبل والنفس تحته مضغوطة لا تقدر على التحرك فلا يزال كذلك تحت أثقال المعرفة حتى تصفو من عصارتها وتسيل منها تلك الفضول حتي تيبس عن رطوبة الشهوات كما يبس الكسب الذي قد عصر تحت الأثقال حتى سال دهنه وبقي ثفله يابسًا فعند ذلك تجدها قد ماتت شهواتها وخمدت نيرانها خمودا افتقد حرها فهذا الذي وصفه رسول الله ﷺ في المنزلة الثالثة من قوله ، ثم الذي إذا أشرف على طمع تركه لله فإنما قدر على أن يتركه لله ، وهو شرف علم إن شاء أخذه بقوة ما فيه من الغنى بالله فالغنى بالله في ذروة الجبل وهو أعلى الإيمان أولئك الذين يأمنهم الخلق على دينهم فتقبل القلوب مواعظهم وإشارتهم إلى الله تعالى لأنهم يسيرون إلى الله وقلوبهم بين نور الحق ووقار الإيمان ، فإذا نطق أحدهم استنارت القلوب لنور مقالته وإذا شخصت أبصارهم إليه توقرت النفوس لوقاره وهدأت الأركان وسكنت منهم الأصوات .

١٢٧٩ـ حدثنا الفضل بن محمد ثنا علي بن سهل الرملي ثنا حجاج بن محمد الأعور ثنا أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس [٢/ ١٠٠/ ب] عن أبي العالية الرياحي عن أبي هريرة رضي الله عنه أو غيره عن رسول الله ﷺ : أنه لما صعد إلى السماء السابعة إذ هو برجل أشمط جالس على كرسي عند باب الجنة وعنده قوم جلوس بيض الوجوه أمثال القراطيس ، وقوم في ألوانهم شيء فقام هؤلاء الذين في ألوانهم شيء فدخلوا نهرا فاغتسلوا فيه فخرجوا وقد خلص من ألوانهم شيء ، ثم دخلوا نهرا آخر فخرجوا وقد خلصت ألوانهم فصارت مثل ألوان أصحابهم فجاءوا فجلسوا إلي أصحابهم فقلت : يا جبريل من هذا الأشمط ومن هؤلاء ومن هؤلاء وما هذه الأنهار التي دخلوها؟ قال : أبوك إبراهيم عليه السلام أول من شمط على الأرض ، وأما هؤلاء البيض الوجوه فقوم لم يلبسوا إيمانهم بظلم ، وأما هؤلاء الذين في ألوانهم شيء فقد خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا فتابوا فتاب الله عليهم ، وأما الأنهار فأدناها رحمة الله ، والثاني نعمة الله ، والثالث ﴿ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ [الإنسان : ٢١] قال والمؤمن أمين الله علي معرفته في دنياه وآخرته والخيانة في الدنيا كائنة ، قد رفعت الخيانة في الآخرة .

قال ابو عبد الله :

تأويل هذه الأنهار عندنا والله أعلم ، أن الأول نهر التوبة ، والثاني نهر الطاعة ، والثالث نهر الحياة من شر مسبتها حي قلبه بالله ، فهذا مقابل الحديث الأول ، الذي قال :

" الإيمان علي ثلاثة أجزاء " فإنما قال رسول الله صلي الله عليه وسلم " أول ما يرفع من الناس الأمانة لميل الناس عن الله ، لما[1] النفوس علي سبيل ما وصفنا للمؤمن أمين الله علي معرفته في دنياه وآخرته ، فالخيانة في الدنيا كائنة وقد رفعت الخيانة في الآخرة .

قوله " ولا دين لمن لا عهد له " فالدين اسم جامع منتظم لجميع الإسلام إلا أن ترجمته في الإسلام هو تسليم النفس إلى الله عبودة ، وترجمة الدين هو الخضوع وأن تجعل نفسك دون أمره ، فأمره عالي ونفسك دونه فهذا الدين ، فمن تمكن الدين فيه فهذه صفته ومن قبله في مبتدئه فهذا شرطه مع الله أن يكون كل أمره غالبا على قلبه ونفسه وشهواته وإرادته كلها فمن وفى بهذا في جميع الأوقات فهو صادق مطيع وقد وفى إليه بما قبل منه ، ومن وفى ببعضا وضيع بعضا فقد خلط فدينه منقوص وعلى حسب ذلك يقبض الجزاء من ديان يوم الدين فقد أخبراه مالك يوم الدين أي : أن هذا يوم الدين لا أملك فيه أحدا شيئًا كما فعلت بهم في دنياهم وذلك قوله : ﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴾ [الانفطار : ١٩] .

وأما العهد فهو تذكرة الله الذي وضعه فيما بينه وبين العباد يوم أخذهم للعبودة قبل خلق السموات والأرض فلما خرجوا إلى الدنيا نسيه الأعداء وحفظه الموحدون ثم غلب الموحدين غفلة على ذلك الحفظ فوهلوا فأوفرهم حظا من الحفظ أوفرهم حظا [٢/ ١٠١/ أ] من الذكر فالأعداء في غفلة وفي الغفلة النسيان والأحباب في غفلة ومن الغفلة تكون الوهلة ، ومن الوهلة الخطايا ونقضان العهد ودروس ذكر العهد وذلك قوله ﴿ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الحديد : ١٦] فبطول الأمل اندرس ذكر العهد فإذا درس أغبر ، وإذا أغبر النفس وتغني فإنه إذا ذكر تجلي وإذا عند النفس ففي وقت التجلي هو مطيع متهلل مسرع وفي وقت التغشي والتلبس عاصي متخلد . . .[2]

فأوفرهم حظا من العهد أوفرهم حظا من الدين وأشدهم انقيادا فالكافر ينسى والمؤمن يغفل ولا ينسي ، قال الله تعالي في شأن الكافر : ﴿ نَسُوا ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾ [الحشر : ١٩] وقال : ﴿ نَسُوا ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ [التوبة : ٦٧] فالكافر ناسٍ لربه ونفسه من

---

(١) كذا بالأصل .

(٢) كلمة لم أستظهر قراءتها بالأصل .

أين وإلى أين ، والمؤمن يتردد بين الغفلات والذكر فالمؤمن أمين الله في أرضه ائتمنه على معرفته ووضعه في قلبه وجعل قلبه خزانة لها وأمنه عليها بما فيها من كنوز المعرفة ووكل بحراستها من النفس ومن ورائها يوحي بالشيء بعد الشيء إلي النفس ينتظر متي تفترص فرصتها من القلب وليس أحد أعز على الملك ولا أصفى حبا له من أمينه الذي ائتمنه على ملكه وعلي خزائنه وحرمه وعلي أسراره ، وعلي رعيته فهذا بهذه الصفة أعز من يدخل ذلك الباب ، فإذا أقام العبد الأمانة فهو أمين الله في أرضه قد ائتمنه علي معرفته وحقوقه ، وعلم معرفته وأسراره ودنياه ونفسه وجميع خلقه ، فإذا أوفي العبد بالقيام بذلك وصدق الله في القيام فعين الله ترعاه وهو المستحق لاسم الإيمان ، فيقال هذا مؤمن قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : وددت أني شعرة في صدر مؤمن " فكانوا يشيرون إلي مثل هذه الصفة فيسموا كلها[1] مؤمنين فجهد الأكياس في هذا الباب أن يحافظوا علي هذه الأمانة وبتقوا علي صيانتها ويحرسوا خزائنها والحمقى غفلوا عن هذا الباب فأقبلوا على عمل الأركان علي التخليط والصدق المجهود وذلك قوله : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴾ [الدخان : ٥١] فهو واجد الله في أرضه في كل وقت ، وإنما سمي جبريل أمين الله وبذلك أثني عليه في تنزيله فقال : ﴿ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾ [التكوير : ٢٠ - ٢١] فقال أهل التفسير : حل من الأمانة محل أن يدخل سبعين ألف حجاب من نور بغير إذن وائتمنه الله على وحيه فبرز اسمه في السموات بأنه أمين واستحق دخول الحجب بلا إذن وفي كل حجاب سر ، فإذا أطلق لأحد دخول الحجاب بلا أذن فقد ائتمن علي ذلك السر ، ومن لم يؤتمن احتاج إلي إذن ، ولذلك تجد ملوك الدنيا لا يطلق الدخول لأحد بغير إذن متى شاء إلا ائتمن على أسرار ما في وراء الحجاب . [٢/ ١٠١/ ب]

---

(١) هكذا استظهرت قراءتها .

الأصل الرابع والأربعون والمائتان

١٢٨٠ـ حدثنا عمرو بن زياد الحنظلي أنبأنا عبد الله بن المبارك في مجلس حماد بن زيد سنة سبعين ومائة عن يحيى بن أيوب عن عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " من نظر إلى محاسن امرأة فغض طرفه في أول نظرة رزقه الله تعالى عبادة يجد حلاوتها في قلبه ".

قال أبو عبد الله:

فمحاسن المرأة مجالس الشيطان وموضع زينته الذي قال: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الحجر: ٣٩]، فتلك الزينة يلقيها على المحاسن فإن وجد العبد في النظرة على غفلة عملت الزينة التي بيده على عين الناظر عملا ينفذ إلى القلب فيأخذ القلب بمنزلة السهم المسموم إذا خلص إلى الجسد فقد سمه من طرف السهم فدب في جميع الجسد، فقد يبرأ المجروح من جراحات كثيرة ويسلم، ولا يسلم المسموم ولا يبرأ حتي يقتله لدبيب السم في جسده وأخذ بالقلب حتي تجمد العلقة التي في جوف القلب . . . يموت[1] فذاك من حريق برد السم لأن للبرد حريق كحريقًا النار أو أشد منه حدة ونفوذًا، فتلك الزينة التي بيد العدو لها سم فإذا ألقاها على محاسن المرأة فإنما يلقيها ليهيج نفوس الآدميين، والنفوس ساكنة حتي إذا نظرت العين وحظ العين من الدنيا زينة الأشياء وألوانها فإذا أخذت الزينة وألوانها على غفلة وتخطى إلى ما لم يؤذن له في النظر إليها أو فيما أذن له وهو غير ذاكر لله خلصت تلك الزينة التي بيد العدو إلى النفس فهيجتها فصارت بمنزلة السم يدب في جميع الجسد، لأن تلك الزينة لها حلاوة وحرارة، فإذا تأدت إلى القلب خالطت حلاوة الإيمان وحرارته فتكدر الإيمان وانكشفت المعرفة فصارت بمنزلة شمس صارت في كسوف فعلق القلب بتلك النظرة بالمنظور إليها وصارت كجراحة مسمومة بقلبه.

والذي حل بداود عليه السلام إنما كانت من نظرة واحدة، فالعبد أعطى جفون

---

(١) كلمة لم أستطع قراءتها.

الناظرين حجة عليه وقطعا لعذره وإخراسا للسانه ، وقد جاء في الخبر أن الله تعالى يقول : " يا ابن آدم إن نازعتك عينك ، فأطبق فقد جعلت لهما طبقا ، وإن نازعك لسانك فأطبق فقد أعطيتك طبقا اللحيين ، وإن نازعك فرجك فأطبق فقد أعطيتك طبقا يريد به الفخذين " فهذا من الله تأييد لعبده فإذا استعمل زينة الشيطان التي أعدها لغوايته بها بتأييده الذي أيده الله جاءت [٢/١٠٢/أ] العصمة بعد التأييد وسكنت النفس وبطل كيد العدو وأثابه الله في عاجل الدنيا ثوابا أن رزقه عبادة يجد حلاوتها مع ما يدخر له من ثواب الآجل .

ولذلك ما روي في الخبر : " ما ترك عبد شيئا من الدنيا لله إلا آتاه الله خيرا منه وأفضل " .

١٢٨١ـ حدثنا بذلك إبراهيم بن يوسف الحضرمي أنبانا ابن مبارك عن الربيع بن أنس عن أبي ابن كعب رضي الله عنه .

قال أبو عبد الله :

إذا اعتبرنا قص الله عليك من نبأ سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام كيف ترك في جنب الله ما أوتي وبماذا ثابر فقال في تنزيله : ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَٰنَ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ [ص : ٣٠] ثم وصف أو بينه فقال ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ * فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ * رُدُّوهَا عَلَىَّ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ﴾ [ص : ٣١ - ٣٣] قال الله تعالى ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴾ [ص : ٣٦] يقول لنبيه حيث أراد ، فهذا ثواب عاجل ثم ذكر ثواب الآجل ﴿ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ [ص : ٤٠] .

١٢٨٢ـ فحدثنا صالح بن محمد عن محمد بن مروان عن جويبر عن الضحاك قال : أخرجت لسليمان خيلا من البحر منقوشة ذوات أجنحة . . . (١) عليه ، وروي عن إبراهيم التيمي إنها كانت عشرين ألفًا فعرضت عليه بالعشي فشغل عن صلاة العصر حتى غربت الشمس فدخلت عليه حرقة الفوت ، ووجد من ذلك وجدا شديدا حتي قال :

---

(١) مقدار ثلاث كلمات لم أستطع قراءتهم بالأصل .

ردوها ، فأمر بضرب سوقها وأعناقها بالسيوف ، قال الله تعالي ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ ﴾ [ص : ٣٦] فإنما سخر له الريح شكرًا لما أتي من العقوبة بالخيل التي شغلته ، وذلك قوله " ما ترك عبد لله شيئًا إلا آتاه الله خيرًا منه " فهذا الذي غض بصره إنما رد حلاوة هاجت منه حين أحست نفسه بالنظرة الأولى التي كانت له فرد تلك الحلاوة على النفس فرجعت النفس قهقرى على عقبيها وبقيت خزانة الله مصونة فأعقبه الله تعالى في عاجل دنياه بما صان خزانته فأهاج من الخزانة من شرارات المعرفة حلاوة عبادة طرية وخلصه من وبال النظرة وجعل تلك العبادة حصنه ، وتلك الحلاوة زاد قلبه فقطع مسافة العبودة أيام الحياة ، فإن العبادة كائنة من العبادة وأصلها من العلم وحلاوة العبادة تحفة من الله ، وأصلها من هيجان المعرفة فالعبادة موجودة كثيرة من العباد ، وحلاوة العبادة عزيزة لا تنال إلا من طريق التحف وهي زاد قلوب العابدين وبالزاد يقطع الأسفار أسفار الملكوت .

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : " أحب العيون إلى الله تعالى عينان عين غضت عن محارم الله وعين حرست في سبيل الله " .

١٢٨٣ـ حدثنا بذلك أبي عبد الله[(١)] [١٠٢/ب / ٢]

وقال في تنزيله ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾ [النور: ٣٠] فخرجت هذه الآية مخرج النصيحة والعطف والتأييد ، وقال في سائر الأشياء افعلوا ولا تفعلوا ، وقال لنبيه ﷺ وأمر وبين القول والأمر بون بعيد ، آية المؤمنين بهذه الكلمة من قوله ﴿ قُل ﴾ ليقووا علي غض الأبصار فيجد السابق سبيلا إلى صفاء الانتهاء ، والمقصد يجد السبيل إلى الانتهاء مع التنازع وقال تعالى في تنزيله ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ [غافر : ١٩] وقال ابق حظه من قوله : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ الخلاص في من خيانة الأعين وما تخفي الصدور .

١٢٨٤ـ حدثنا إبراهيم بن عبد الله الخلال أنا عبد الله بن المبارك ثنا يونس بن يزيد عن ابن شهاب عن نبهان مولى أم سلمة حدثه أن أم سلمة زوج النبي ﷺ حدثته أنها كانت عند رسول الله ﷺ وميمونة قالت : فبينا نحن عنده أقبل ابن أم مكتوم فدخل عليه وذلك بعد

---

(١) كذا بالأصل .

أن أمر بالحجاب فقال ﷺ احتجبا منه فقلنا : يا رسول الله أليس هو أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا؟ فقال ﷺ : " أفعمياوان أنتما ألستما تبصرانه " .

قال أبو عبد الله :

فقد تقدمت موعظة الله للعباد في تنزيله من قوله : ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ﴾ ثم قال : ﴿ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾ [الأحزاب : ٥٣] . يعلم أن المبتقى منهم طهارة القلوب وإنما تطهر القلوب بحفظ الحواس المؤدية الأخبار إلى الباطن ، وقد حذر الله عباده وعظم شأن الزناة في تنزيله وبين عقوبته ثم وجدنا الزنا مقسومًا علي جوارح . . . [(١)] وقد نطق به الرسول صلي الله عليه وسلم أن لكل جارحة منه حظا .

١٢٨٥ـ حدثنا قتيبة بن سعيد ثنا ابن لهيعة عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " العين تزني واليد تزني والرجل تزني والسمع يزني واللسان يزني ويصدق ذلك كله ويكذبه الفرج " . قال فتكذيب الفرج إياهن أن لا يوجب حدا فأما الأدناس والآثام فقد أصابت الجوارح وحلت بها .

١٢٨٦ـ حدثنا إبراهيم بن عبد الله أنبأنا عبد الله أنبأنا يحيى بن أيوب قال : حدثني عبيد الله ابن زحر عن خالد بن أبي عمران قال : " لا تتبعن النظرة النظرة فربما نظر العبد نظرة ينفل فيها قلبه كما ينفل الأديم في الدباغ فلا ينتفع به " .

قال أبو عبد الله :

فهو ما ذكرنا بدءًا من السهم المسموم .

١٢٨٧ـ حدثنا أبي رحمه الله أخبرنا حميد الأصبهاني ثنا عتبة بن عبد الرحمن القرشي عن أبي الحسن المدائني عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " النظر إلى محاسن المرأة سهم من سهام إبليس مسموم فمن صرف بصره عنها رزقه الله عبادة يجد حلاوتها " .

١٢٨٨ـ حدثنا عمر بن أبي عمر أنبأنا سعيد بن أبي مريم المصري أنبأنا نافع بن يزيد قال : حدثني خالد بن يزيد [٢/ ١٠٣/أ] عن عمار بن سعد قال : لقي يحيى بن زكريا عيسى

---

(١) كلمة لم أستطع قراءتها .

صلوات الله عليهم قال يحيى لعيسى : يا روح الله وكلمته حدثني ، قال عيسى : بل أنت فحدثني أنت خير مني حبك الله سيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِين ، قال يحيى : أنت خير مني أنت روح الله وكلمته تصعد مع روح فحدثني ما يبعد من غضب الله ؟ قال عيسى : لا تغضب ، قال : يا روح الله ما يبدئ الغضب وينشئه؟ قال : التعزز والفخر والحمية والعظمة ، قال : يا روح الله هؤلاء شداد كلهن ، فكيف لي بهن؟ قال : سكِّن الروح واكظم الغيظ ، ثم قال : إياك واللهو فيسخط الله عليك ، وإياك والزنا فإنه من غضب الرب ، قال : يا روح الله ما يبدئ الزنا أو ينشئه ويثيره ، قال : النظر والشهوة واتباعهما لا تكونن حديد النظر إلى ما ليس لك فإنه لن يزني فرجك ما حفظت عينك فإن استطعت أن لا تنظر إلى ثوب المرأة التي لا تحل لك فافعل ولا تستطيع ذلك إلا بالله .

قال أبو عبد الله :

لذلك حسم[1] عليك العلماء النصحاء باب قصور النظر لأن النظر بمنزلة بذر تبذره في الصدر فإذا كانت النظرة نظرة عابرة فالصدر فتان ، فإذا كانت نظرة شهوة مشتملة عليها الغفلة فالصدر مسكانها .

١٢٨٩ـ **حدثنا** محمد بن علي الشقيقي ثنا أبو مالك سعيد بن هبيرة ثنا حماد بن سلمة ثنا محمد بن إسحاق عن محمد بن إبراهيم التيمي عن سلمة بن أبي الطفيل عن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " إن لك من الجنة كنزا وإنك ذو قرنيها فلا تتبعن من النظرة النظرة فإن لك الأولى وليست لك الأخرى " .

قال أبو عبد الله :

فالكنز عندنا معناه فاطمة وقرنيها الحسن والحسين ، وكان رسول الله ﷺ يقول : " أربع نسوة سيدة نساء العالمين في الجنة مريم وآسية وخديجة وفاطمة " وقال ﷺ : " إنما فاطمة بضعة مني " وقال لها عند موته : " إنكِ أسرع الناس لحوقًا بي فضحكت " فبشر عليا رضي الله عنه بأنها لك في الجنة ، وصيرها بمنزلة الكنز لأن الكنز موضوع مستور إليه المال وسائر الماء ظاهر يذهب ويجيئ ويفوت ، والكنز

---

(١) كذا بالأصل .

أصل المال فشبه فاطمة من نعيم الجنة وأزوا جمعًا لعلي بالكنز من المال ، ثم قال : " وإنك ذو قرنيها " فنسب القرنين إلي فاطمة إن الحسن والحسين قرناها ، وإنك يا علي ذو القرنين أي تجد الحسن والحسين " وهما سيدا شباب أهل الجنة " لك ولدًا ، وذو كلمة الاتصال واللصوق كالشيء من الشيء فأعلمه قرب منزلتهم منه في الجنة وأنهم يفرقون كما جمعهم الله في الدنيا ، كذلك يجمعهم في الدرجة ، ثم أوصاه على أثر البشرى وصية الرسل على التلطف يحذره إتباع النظرة النظرة لئلا يطمس وجه الكنز ولا يغير ما به من نعمة الله فإنه يحتاج [٢/ ١٠٣/ ب] إلى التطهير في شأن الوصول إلى الكنز ، وكان ﷺ إذا خص أحدا من أصحابه بموعظة وتحذير فإنما يقصد قصد النكبة التي يخاف عليه منها ، وكان علي رضي الله عنه رجلا الغالب علي قلبه محبة الله والمحبة تسير إلى الله في ميدان السعة والتشجيع في الأمور والتذرع ، والمحبة لها حلاوة وحرارة تهيج الشهوة وتذيب ماء الصلب فحذره رسول الله صلي الله عليه وسلم ما كان يخاف عليه كأنه خاف أن يطمع الذي فيه مما ذكرنا بنظره إلي ما ليس له بدأ ، فبشره بالكنز والقرنين ثم أتبعه الوصية وحذره كي يشفق على البشري الذي بشره بما له في الجنة فيكون ذلك الأمل الذي يأمل في ذلك الكنز عونًا له علي غض بصره ورد نفسه .

ومما يحقق ما ذكرنا من شأن الحب الغالب ، قول رسول الله ﷺ بخيبر " لأعطين الراية غدا لرجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله " فشهد له الرسول بحب الله إياه وبحبه لله ، ونسبة هذه الخصلة إليه من بين الجميع ، وقد كان هناك أبوبكر وعمر رضي الله عنهما والنجباء وإنما ينسب المرء إلى ما يكون الغالب عليه من الأمور والأعمال ، وكذلك من الحظوظ إنما ينسب أصحاب القلوب كل إلى ما وفر له من الحظ من ذلك الشيء فأبو بكر رضي الله عنه منسوب إلى الرحمة ، وعمر رضي الله عنه منسوب إلى الحق ، وعثمان رضي الله عنه منسوب إلى الحياء ، وعلي رضي الله عنه منسوب إلى المحبة ، فإنما ينسب كل واحد منهم إلى ما هو الغالب عليه .

ومما يحقق ذلك أيضًا أن عليًا رضي الله عنه كان بارز لأمر في شأن الثناء علي الثناء علي الله ، وذكر الصفات ونشر الآلاء من جميع الأصحاب وهذا علم المحبين ،

وكان معروفا بالانبساط والانطلاق والهشاشة إلى الخلق والمزاح حتى قال عمر رضي الله عنه في حقه : إنه رجل تلعابة ، وقال مرة أخرى : به دعابة ، والدعابة المزاح . . . [(١)] من الملاعبة وهذا لمن الغالب على قلبه محبة الله ، لأن القلب ينبسط عند المحبة وينقبض عند المخافة فإذا غلبت المحبة على الخوف انبسط وإذا غلب الخوف على المحبة انقبض لأنه يلاحظ العظمة وفي وقت الانبساط يلاحظ جوده وكرمه فكان انبساط علي رضي الله عنه إلى الخلق ومعاملته إياهم حسب ذلك من السعة والبشر والهشاشة ، وبتلك القوة أمكنته المحاربة وتشجع ، وصلي علي قتلي الفريقين ، وقال : يرحمكم الله دعيتم فأجبتم وأمرتم فأطعتم ، ومن هذه صفته كانت شهوته هائجة ، وكان قويًا في أمر النساء ، وكان يقول : كنت رجلا مذاء فكنت أغتسل في اليوم مرات حتى شجئت وكنت أستحيي أن أسأل رسول الله ﷺ من أجل ابنته فأمرت المقداد أن يسأله فسأله فقال : يجزيك الوضوء وكان قد هم [٢/ ١٠٤/أ] أن يتزوج علي فاطمة رضي الله عنها حتى خطب رسول الله ﷺ على المنبر فقال : " إن بني المغيرة استأذنوني في أن ينكحوا ابنتهم من علي رضي الله عنه ، وإن فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها ألا فإني لا آذن ثم لا آذن ثم لا آذن " .

١٢٩٠ـ **حدثنا** بذلك سليمان بن منصور الذهبي ثنا عبد الجبار بن الورد عن ابن أبي مليكة عن رسول الله ﷺ .

١٢٩١ـ **حدثنا** أبي رحمه الله ثنا الحسن بن سوار البغوي وأحمد بن يونس عن ليث بن سعد عن ابن أبي مليكة عن المسور بن مخرمة عن رسول الله ﷺ بمثله .

١٢٩٢ـ **حدثنا** عبد الجبار بن الورد عن سفيان عن عمرو بن دينار عن أبي جعفر أن رسول الله ﷺ قال : " إن عليا رضي الله عنه يريد أن يخطب العوراء بنت أبي جهل ، وما كان لعلي أن يجمع بين ابنة نبي الله وابنة عدو الله وإن فاطمة بضعة مني يغضبني ما أغضبها " .

ومرة أخري يوم فتح مكة وقعت في سهمه جارية من سبي هوازن فذهب بها مستعجلا إلى أخته أم هانئ لتزينها فهم في ذلك ، إذ نادى منادي رسول الله ﷺ خلوا عن السبايا فبقي على رضي الله عنه قارعة الطريق . ومرة في بعض السرايا نكح

---

(١) كلمة لم أستطع قراءتها بالأصل .

جارية من الخمس فأنكروا ذلك عليه فجاءوا إلى رسول الله ﷺ منكرين عليه ، فقال رسول الله ﷺ : " لا تؤذوني في علي رضي الله عنه " .

١٢٩٣ـ حدثنا عبد الجبار عن سفيان عن عمرو عن أبي جعفر قال : دخلت أم أيمن على فاطمة رضي الله عنها فرأت في وجهها شيئا فأنكرته فسألتها [فأبت] أن تخبرها ، فقالت : أما إن أباك لا يكتمني شيئا ، فقالت : جارية وهبها أبو بكر لعلي رضي الله عنهما ، فخرجت أم أيمن فنادت أما لرسول الله حق أن يحفظ في أهله ، فقال علي رضي الله عنه : ما هذا؟ فقالوا له : أم أيمن تقول كذا ، فقال علي رضي الله عنه الجارية لفاطمة رضي الله عنها ومات يوم مات عن سبع عشرة من بين حرة وأم ولد فكان هذا كله من غلبة ما ذكرنا على قلبه . فإنما حذره رسول الله ﷺ النكبة التي عرفها فيه وحذر خطرها ووبالها ، وكذلك كان من شأنه ﷺ إذا عرف من رجل شيئا يخاف عليه منه وعظه من ذلك الباب ، ومن ذلك قال للزبير رضي الله عنه وهو أخذ بطرف عمامته ، يا زبير إني رسول الله إليك خاصة وإلى الناس عامة ، يا زبير إن الله تعالى يقول " أَنفِق أُنفق عليك ولا تصر فأصر عليك " فذكر الحديث إلي آخره .

فإنما قصده بهذا لأن الزبير كان يُزَنّ ببخل وبلغ من إمساكه أنه كان يوصي إليه أفاضل أصحاب رسول الله ﷺ في أموالهم لعلمهم بإمساكه .

الأصل الخامس والأربعون والمائتان

١٢٩٤ـ **حدثنا** الحسن بن علي بن نصر بن علي بن صهبان قال حدثني أبي عن جدي عن النضر بن شيبان أنه [٢/ ١٠٤/ ب] لقي أبا سلمة بن عبد الرحمن فقال : حدثني بأفضل شيء سمعته يذكر - يعني في بابه في رمضان - فقال : ثنا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : " إن شهر رمضان شهر فرض الله على المسلمين صيامه ، وسننت لهم قيامه فمن صامه وقامه إيمانا واحتسابا خرج من الذنوب كيوم ولدته أمه " .

١٢٩٥ـ **حدثنا** سعيد بن عبد الله التمار ثنا الفضل بن دُكَيْن ثنا نصر بن علي بن صهبان عن النضر بن شيبان عن أبي سلمة عن أبيه عن رسول الله ﷺ بمثله .

١٢٩٦ـ **حدثنا** قتيبة بن سعيد وصالح بن عبد الله قالا : ثنا نوح بن قيس الحراني عن نصر بن علي عن النضر بن شيبان قال : قلت لأبي سلمة حدثني بشيء سمعته من أبيك سمعه أبوك من رسول الله ﷺ فقال : قال رسول الله ﷺ فذكر مثله ، ونصر هذا جد نصر بن علي الذي لقيناه بالبصرة .

١٢٩٧ـ **حدثنا** الجارود ثنا النضر بن شميل ثنا القاسم بن الفضل الحراني ثنا النضر بن شيبان قال : لقيت أبا سلمة فقلت له حدثني حديثا سمعته من أبيك عن رسول الله ﷺ ليس بينك وبينه أحد فقال : سمعت أبي أو حدثنا قال : قال رسول الله ﷺ فذكر مثله .

قال أبو عبد الله :

صامه إيمانا أي آمن بما افترض الله عليه ثم صامه على نية أنه افترضه الله عليه لأنه قال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾ [البقرة : ١٨٣] والصوم إنما هو عزم على كف عن كل شيء يطعم ويشرب وعن إتيان النساء فهذا العزم بينه وبين ربه لا يطلع على أحد فهو في كل ساعة من يومه إذا اعترضت له شهوة فإنما يمتنع منها لإيمانه بأن الله مطلع علي سره وإضماره ، فذاك من إيمان في نفسه بأن الله يعلم عزمه وضميره في هذا الكف فيستقر لذلك قلبه ويعظم ليله ويرجو من الله عليها خيرًا ، هذا كله إيمان فإذا لم يجمع من الليل ولم يعزم على ذلك من أول ما يجره(١) صومه ، هذا في الذي

(١) هكذا استظهرت قراءتها .

افترض الله عليه لأنه قد كتب عليه ذلك من أول ما ينفجر الصبح إلى غروب الشمس وإقبال الليل فأمر بإتمامه إلي الليل ، وأما التطوع فله أن ينوي قبل الزوال فيكتب له أجر اليوم تماما وتفضلا من الله على عبده ، وبذلك جاء الخبر عن رسول الله ﷺ لأنه إذا عزم على الصوم قبل الزوال فقد بقى عليه أكثر النهار فإذا افترض من ذلك الوقت على نفسه حسب له صيامه من أول النهار ولأن حكم أكثر الشيء حكم السجل وجدنا ذلك في[1] سائرا في كثير من الأحكام ، وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : " لا صيام لمن لم يجمع الصيام من الليل " فهذا لمن فرض الله عليه فإذا لم يجمع فأصبح فهو في تلك [٢/ ١٠٥/ أ] الساعة التي أصبح غير مؤد للفرض ، وروي عنه أنه قال العناية[2] بالخيار ما بينه وبين نصف النهار فهذا في التطوع ، فأما قوله : " إيمانا واحتسابا " فكل عمل ابن آدم إنما يقوم بالنية والحسبة ، والنية والحسبة مرتبتان تجريان في الأعمال معا ، فإذا انقطعت النية انقطعت الحسبة ، فالنية نهوض القلب إلى الله ، وبدؤها الخاطرة ثم المشيئة ثم الإرادة ثم النهوض ثم الحوق إلى الله بعقله وعلمه وذهنه وهمته وعزمه وإضماره فههنا تتم النية فيقال مولي ، ومن ههنا تخرج إلى الأركان فيظهر على الجوارح فعله ، ومبتدأ النية الذي لزمه هذا الاسم نهوض القلب وتحركه من مكانه ، يقال في اللغة : ناء ينوء أي : نهض ينهض ، وقيل : النية كانت ظاهرة ثم مشيئة ثم إرادة حتي إذا صار القلب إلي فعل ظاهر في صدره قيل نية لأنه قبل ذلك كانت الأشياء خفية في الصدر فلما ظهرت نهض فمبتدأ النية نهوض ومنتهاها عزمه ثم الارتحال .

قال أبو عبد الله :

والعزم عقد القلب فلا تكون النية إلا بالعقد والتوجيه إلى القيام مع العزم ، لذلك ثبتوا عليه الفرائض متضمنة فيه فأما سائر الطاعات المرغوبة فتحتاج إلى عزم . . .[3] كل ذلك حتى يمكنه الثبات عليه مثل ما ثبت الأول ، فإذا صح العزم خرج الرياء

---

(١) أظن " في " زائدة .

(٢) كذا بالأصل .

(٣) كلمة لم أستطع قراءتها .

والفخر والخيلاء من جميع أعماله وبلغ مقام الأولياء ثم الناس بعد ذلك على طبقات ؛ فالعامة في جميع أعمال البر هذا صفتهم لا بد لهم من أن يأتوا بهذه الصفة في كل عمل يلتمسون ثوابه غدا ، وهذا موجود في العامة من الموحدين في كل عمل أخلصوه لله تعالى فهذه الخصال موجودة في ذلك العمل إلا أنه لا يحسن أن يميز هذا الاسم ويطالعه بقلبه في صدره لأن صدره مرج من المروج ملتف فيه من النبات ما إذا أخطئ فيه لا يكاد يستبين موضع قدمه أين يقف من كثرة التفاف ما فيه من البردي والأشجار والحطب فهذا صدر فيه اشغال النفس وفتنتها ووساوس شهواتها ، فمن أين يبصر في صدره الخواطر والمشيئات والإرادات والنهوض والارتحال وجنود المعركة ولكن الله تبارك اسمه لما رحم الموحدين ومن عليهم بالتوحيد ضمن هذه الأشياء توحيدهم وأودعها قلوبهم فهم بتلك القوة يعملون أعمال البر فربما أخلصوا وربما خلطوا وربما اطمأنوا وربما نافقوا ، ولذلك وضع الحساب في الموقف لتخليط الإيمان بالنفاق والصدق بالكذب والإخلاص أعني شرك الأسباب وإنما يستبين الذي [٢/ ١٠٥/ب] وصفنا لقلب أجرد أزهر في صدر فسيح قد شرحه الله للإسلام فهو على نور من ربه رطب بذكر الله قد لان بلطفه ورطب برحمة الله وصلت بآلاء الله وبذلك وصفه رسول الله ﷺ فقال : " قلب المؤمن أجرد أزهر " .

فصدره كمفازة جرداء فيها شمس تزهر ولذلك قال ﷺ : " إن لله في الأرض أواني ألا وهي القلوب فخيرها أصفاها وأرقها وأصلبها "

فأصفاها من كدورة الأخلاق وأرقها للإخوان وأصلبها في ذات الله ، فأما الناس في هذه النية على طبقات ، فأما نية العامة فارتحالهم إلى الله بهذا العقل والعلم والذهن والهمة والإضمار والعزم ، فمبلغ ارتحالهم الحريم(١) ليس لقلوبهم من القوة ما يرتحلون فيطيرون لأنه لا ريش لقلوبهم فيطيرون والجو مسدود لأن القلوب لما مالت إلى النفوس فأطاعتها انسد طريقها إلى ربها لأن القلوب إنما أعطيت معرفة التوحيد ومُنّ عليها بذلك فقويت بقوة وافرة بالغة ، لتمد النفس بما فيها من الشهوات

---

(١) كذا بالأصل .

إلى الله فتطيعه فتمت حجة الله على القلوب بما أعطيت ، ضعفت ولم يتشمر لأمر الله بما أعطيت من الجنود ولم تجاهد النفس حتى تغلبها وتأسرها بجميع ما فيها من الشهوات فتذلها وقد قيل لها ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ ﴾ ثم قال : ﴿ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ ﴾ [الحج : ٧٨] أي رفعكم من بين الأعداء جباية منه لكم ليتخذكم أحبابا ، وإنما جباهم من بين أعداء ووضع في قلوبكم التوحيد بحلاوته كي إذا[١] جاءت النفس بحلاوة شهواتها إلى القلب ضرب بتلك الحلاوة وجهها وردها بقوة هذه الحلاوة الممنون عليه بها بمنزلة ملك قاعد على سرير الملك والتاج على رأسه والإكليل على جبينه في سماطي جنوده وبين يديه قعب من عسل وشهد ، فهو يلعق العسل ويطعم الشهد على أثره كي يقوى على لعق العسل عودا فجاء عبد حبشي في وسخ ذو خبالة قد ابتلي به لأنه دبره علي شريطة أن يعتقه بعد كذا وكذا من العمل والخراج ، فلا يقدر أن يبيع ولا يقضيه من ، مما كتبه فبينا هذا الملك على هذه الحال الذي وصفناه إذ أتاه هذا العبد بطبق عليه فرصاد أو مشمش يظهر بذلك على الملك شفقة ليتناول من هذه الحلاوة التي جاء بها فلا يحق على هذا الملك أي يأمر بطرده وبما جاء به ، لأنه سخر بأمره فإذا كان الملك أبله أعرض عن العسل وأقبل على هذا الفرصاد فهذا الوجد الذي أعطي التوحيد بما فيه من الحلاوة إذا انخدع لتقيه وبما تأتي به النفس بمنزلة هذا الملك للأبله .

[٢/١٠٦/أ] فإذا وجد الجنود الملك أبله[٢] تجرأوا وتعطلت أعمالهم التي بها وكلوا ورفع التاج عن رأسه ، ونزع الإكليل وأنزل عن السرير ووضع في يد هذا العبد القذر حتى يدوسه في المزابل ، حتى يمتلئ منخراه ودماغه من كل نتن ، فهناك تجده لا يلتذ بطاعة ولا يستروح إلى ذكر الله ، لأنه لا يجد رائحة الذكر ، لأنه يخرج من صدر كالمزابل محشو بالخبث والخيانة والظلم والعدوان والرغبة والتجبر والتعزز والتكبر والاستبداد والحقد والعلو وحب الأشياء التي يضاهي الله بها وينازع

---

(١) بالأصل « إن » .

(٢) بالأصل « أبلها » .

رداءه ، فيرجو بعد هذا صاحب هذا أن يلتذ بطاعة أو يستروح إلى ذكر أو يجاور قلبه في عمله رأسه .

فإن اجتهد فأخلص في شيء واحد بحرمة ذلك التوحيد وقوته فبجهد شديد ولا يجاوز قلبه الحق ، فهذا شأن العامة .

وأما العارفون فهم العباد والزهاد والقراء فنياتهم صاعدة بهذه الأشياء التي ذكرنا من العقل والعلم والهمة والاضمار والعزم ، فإذا بلغ المحل الذي هناك استقر القرآن في بيت العزة في السماء الدنيا ، ضعفوا عن تجاوز ذلك إلى ما فوق لأنه لا يقدر قلبه على الطيران إلى العلا ، وعلى قدر عقله وعلمه وذهنه واستعماله لهم يمكن أن يطير فتحتظي تلك النفوس من ذلك المحل وتأخذ قوتها وتستمر في الطاعة .

وأما العارفون ، وهم الصديقون فإن نياتهم قد صارت كلها نية واحدة ؛ لأن القلب قد ارتحل إلى الله بمرة ووجد الطريق ، فمر واستقل ، فالنفس بما فيها من الشهوات لينة منقادة قد تحولت من الجباية إلى الإقامة وانقادت للقلب ، فالقلب أمير والنفس أسيرة حتى صارت أمينة بعد الأسر ، وللقلب قرينة أكرمت بكرامة القلب ، فهذا صاحب العسل والشهد .

فارتحال قلوبهم إلى المعسكر عند ذي العرش ، فلهم مصاف وأعمالهم معروضة على الله في كل معرج ، لا توضع في الخزائن حتى تعرض وينظر إليها الرب تبارك اسمه ويقبلها ، ثم توضع بعد القبول في خزائن الخاصة .

وأما العارفون الحكماء ، حكماء الله لا حكماء التدبير فهم الذين اطلعوا على يدي الربوبية ومحل القربة ، فهم خاصة الله في بحور الله ، يعملون جميع الأعمال والأعمال غائبة عن قلوبهم لأن الله نصب أعينهم في مجالس الملك ، فأجمل رسول الله ﷺ ذكر النية فقال : " الأعمال بالنيات ، وإنما لامرئ ما نوى " . يعلل بقوله : " وإنما لامرئ ما نوى " ، أن النية درجات ، كل على قدر درجته ينال قربه .

١٢٩٨ـ حدثنا سليمان بن منصور الذهبي ثنا عبد الله بن المبارك عن يحيى بن سعيد عن محمد بن إبراهيم التيمي [٢/١٠٦/ ب] عن علقمة بن وقاص عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " الأعمال بالنيات ، وإنما لامرئ ما نوى " .

وما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : " لا عمل لمن لا نية له ، ولا أجر لمن لا حسبة له " .

فأما الحسبة فإن العبد لما انتبه علم أنه في رق العبودة إلى يوم خروجه من الدنيا ؛ لأنه خلقه عبدا ليعبده ثم وعده أن يحرره يوم الموقف إذا أتاه بالعبودة ، فيقعده ملكا في داره ، دار السلام .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات : ٥٦] فنحن نسعى في هذا الرق إليه إلى يوم القيامة ، وهو خروج الروح وقبض النفس عن الدنيا ، ﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا * كُلًّا نُّمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ ﴾ [الإسراء : ١٩ - ٢٠] .

شكر الله لهم بمغفرة الذنوب والرضى عنهم وتملكهم الجنان وقضاء المنى والشهوات أبدا ، ورضوان من الله أكبر .

فلما آمن العبد بربه ألقى بيديه إليه سلما وقبل أمره وعبوديته فقبله الله وأقبل عليه بالقرب له .

وقد قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ أي في العون والنصر ، فما دام العبد مقبلا على الله وأقبل الله عليه ، ومن ذا يعلم ما في حشو هذا الإقبال من أهله ، فإذا أعرض العبد مغترا بخدائع النفس وأمانيها وأكاذيبها فأقبل على النفس وقبل منها ما تأتي به ، فقد أعرض عن الله ومال عنه وعذب قلبه ، ورث عليه أشغال الدنيا رثا حتى يغرق فيها قلبه ، وانقطع المدد والعون ، فإذا تاب إلى الله ونزع خرج من هذا الغرق برحمة أدركته من الله وغوث أغاثه ، ولم يحب أن يطيع صنائعه فجاد وتفضل وفتح باب الرحمة ؛ نظرا منه لمنته وأياديه التي كانت له عند العبد فوجد القلب خلاصا وعاد العون والمدد ، فلم يزل العبد يترقى في رقي درجة درجة ، وتفضل الله تعالى عليه بالكرم وجاد بالإقبال فانتعش بعد النكس وحيي بعد الموت ، حتى توردت بساتين توحيده وتفطرت مكنون جواهره كانفطار الينابيع وانفلاق الحبوب عن بذورها ، وأزهرت وأينعت ، وذلك قوله تعالى : ﴿ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ ﴾ ، ﴿ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ ﴾ ، يخرج الحي من الميت .

فأخذ العبد يسعى في الرقي والعبودة ، وكلما عمل شيئا من الأعمال احتسب به

على الله في العبودة التي قبلها منه ، بمنزلة رجل عليه دين في عنقه بأمانة ، فهو يقلب رقبته بإزائه شيئا بعد شيء ، إذا أدى عشرة احتسبها على صاحب الدين قضاء ووفاء ، وإذا أدى مائة فمثل ذلك ، وإذا أدى دينارا احتسبه به قضاء من ذلك الدين ، وإذا أدى جوهرا احتسبه به قضاء ، وإذا أدى عقارا [٢/١٠٧/أ] أو عرضا من العروض فمثل ذلك ، وكل شيء يؤديه إلى صاحب الدين احتسبه عليه في قضاء الدين الذي في عنقه .

وإنما قيل : احتسب ، على قالب افتعل ، ولم يقل : حسب ؛ لأن هذا فعل في الذات مقرون بالنية ، وإنما يقال : يفعل الأركان حسب ، وهذا احتسب ، ومعناهما يرجعان إلى الحساب وأن هذا العبد يحتسب في نفسه وفي ذاته بعد العمل ، يحتسبه على الله من قضاء دينه ، ودينه العبودة التي قبلها ، فإذا نوى واحتسب فقد أخلص وعقد إخلاصه بالنية وعبودته بالاحتساب ، فقد أتى بالأمرين جميعا ، وبذلك أمر في تنزيله فقال : ﴿ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [البينة : ٥] فقال رسول الله ﷺ في ذكر شهر رمضان : " فمن صامه إيمانا " بما كتبه الله عليه فهو يؤدي الفرائض إيمانا بأنه مطلع على عزمه في صومه ورد شهواته في ساعات يومه ، فذاك كله من العبد إيمان يتجدد عليه في كل ساعة ، وكان أصحاب رسول الله ﷺ يأخذ أحدهم بيد صاحبه مثل معاذ بن جبل وعبد الله بن رواحة رضي الله عنهما ، فيقول أحدهما لصاحبه : تعال نؤمن ساعة ، وإنما يريدون بذلك تجديد الإيمان بما يتجالسون على ذكر الله وذكر أياديه ومنته ، فكذلك هذا الذي يتردد في صدر هذا الصائم من شهوات العبد التي تسيطره فيردها ، ففي كل ردة هو مجدد لإيمانه ؛ لأن ذلك سر بينه وبين ربه لا يطلع عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل ، ولذلك قال : الصوم لي وأنا أجزي به ، لأنه فيما بينه وبينه ، ففي كل ردة من العبد لشهوة تعرض له خزائن ربه ، وهذا شيء لا يدركه الحفظة والكتبة .

وأما قوله : " قامه احتسابا " فإنما يقوم في صلاته التي لم تفرض عليه ويحتسب بقومته على الله قضاء للعبودة التي خلق لها ، فيكتب له أجر العبودة ، ولذلك قال رسول الله ﷺ : " لا أجر لمن لا حسبة له " فرب رجل يعمل أعمال البر على العادة لا على يقظة العبودة ، فلا يكون له احتساب أن يحتسبها قضاء عن العبودة التي في عنقه .

ألا ترى إلى قول رسول الله ﷺ حيث قال : " وفي غشيانك أهلك صدقة ، قالوا : يا رسول الله نأتي شهواتنا ونؤجر ؟ قال : أرأيت لو وضعتها في حرام أكنت تؤزر ؟ قالوا[(١)] : بلى ، قال : فتحتسبون بالشر ولا تحتسبون بالخير " فقد أعلم في هذا الحديث أنه لما . . . [(٢)] إنما قصد لقضاء الشهوة فاحتسب على النفس بإعطائها منيتها وقضاء النفس شهوتها لأنه عبد نفسه وعبد شهواته ، وإذا وضعها في حلاله فأراد العفة عن الحرام فاحتسب بها قضاء عن العبودة التي لزمته وقبلها ، أجر فيها وصارت تلك صدقة منه على أهله ، ولذلك قال معاذ لأبي موسى رضي الله عنهما [٢/١٠٧/ب] : " إني أنام نصف الليل وأقوم نصفه فأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي " . فإنما نام تلك النومة ليأخذ العدة للقومة فاحتسب بالنومة قضاء عن العبودة التي قبل من ربه لما قبلها بدءًا لما خلقه عبدا ، وخلق ليعبده ، فإذا نام تلذذ بنوم وأتى أهله تلذذا لم يحتسب بها قضاء عن العبودة ، فبطل أجره وبقيت العبودة في عنقه ، فلقي الله وقد خسر أجر العبودة في ذلك الوقت الذي عطله ، فإن شاء الله عفا عنه وإن شاء حبسه للحساب الطويل والهول العظيم .

وإذا مال بهذه الشهوات إلى الحرام فإنما يقضي عبودة النفس ، فما ظنك بعبد خلقه الله تعالى عبدا وقبل هذا العبد هذه العبودة ثم ذهب فصير نفسه عبدا لنفسه وشهواته ، وذهب بعبوديته عن الله إليها ، ولذلك استوجب اللعنة من رسول الله ﷺ ، أرحم البرية وأرأفهم .

١٢٩٩ـ حدثنا بشر بن هلال الصواف ثنا عبد الوارث بن سعيد عن يونس عن الحسن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " لعن عبد الدينار لعن عبد الدرهم " وزاد غيره في حديثه : ولعن صاحب الخميصة وتعس وشيك فلا انتقش . حبذا عبد الله وعبيد الله .

قال أبو عبد الله :

فهذا عار عظيم على مؤمن يسمى بعبد الله ثم صار عبد نفسه وعبد شهوته وعبد بطنه

---

(١) في المخطوطة " قال " .

(٢) كلمة لم أستظهر قراءتها .

وعبد فرجه وعبد هواه .

١٣٠٠ـ حدثنا الفضل بن دكين ثنا إبراهيم بن محمد بن يوسف الفاريابي ثنا عمرو بن بكر ثنا أبو بكر محمد بن عبد الواحد الأفطس عن أبيه عبد الواحد بن قيس قال : سمعت أبا أمامة رضي الله عنه يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " إنما لامرئ ما احتسب وعليه ما اكتسب ، والمرء مع من أحب ، ومن مات على زنا في طريق فهو من أهله " .

قال أبو عبد الله :

فقد كشف لك هذا الحديث عما قلنا أن ما احتسب قضاء عن العبودة فهو له ، وما لم يحتسب ذلك ولكن اكتسب فهو عليه لأن الكسب فعل الأركان والاحتساب فعل الذات ، فإذا كان فعل الذات احتسابا لم يكن اكتسابا ؛ لأن اكتساب الذات بالنفس ، فإذا جاء الاحتساب ذهب الاكتساب ؛ لأن الاكتساب حظ النفس يكتسبه اتباع الهوى فيما تقضي النفس من مناها وشهواتها ولذاتها ، فذاك علم ، فإذا جاء الاحتساب من قوة القلب تذكر العبودة مع النية الصادقة ، فتلك النية تحول العمل فصار لله لا للهوى ، وكذلك الاحتساب الذي يحتسب به على الله قضاء العبودة لا قضاء النهمة والشهوة ، وقال في تنزيله : ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾ [البقرة : ٢٨٦] فإنما صار لها ما كسبت لأن بدء الكسب حسنة ثم خرج إلى الأركان فصار كسبا للقلب [٢/١٠٨/أ] ، والاكتساب في الذات تكتسبه النفس لهواها ، وما أورد الهوى به عليها من باب النار من تلك الشهوات التي حفت النار بها .

«الأصل السادس والأربعون والمائتان»

١٣٠١ـ حدثنا صالح بن محمد ثنا عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب قال : سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول : " أوصاني خليلي أبو القاسم ﷺ بصيام ثلاثة أيام من كل شهر ، وألا أنام إلا على وتر ، وركعتي الضحى " .

١٣٠٢ـ حدثنا عمر بن أبي عمر ثنا إسحاق بن إبراهيم بن يزيد القرشي ثنا خالد بن يزيد المري قال : حدثني العلاء بن الحارث عن مكحول عن كثير - قال أبو عبد الله هو ابن مرة عندي - عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " يا عويمر حافظ على ألا تبيت إلا على وتر وركعتي الضحى مقيما ومسافرا ، وصيام ثلاثة أيام من كل شهر ، تستكمل الزمان كله ، أو قال : تستكمل الدهر كله " .

قال أبو عبد الله :

فالعبد محسوب عليه عمره معدود له أنفاسه مقتصًا من العبودة في هذا العمر في كل نفس ، فأمر بالجملة فقبلها وهي شهادة أن لا إله إلا الله ، وقبول ما جاء به الرسول ﷺ من عنده على صدق الاعتقاد من قلبه ، ثم اقتفى ما قيل مجملا في جميع عمره سنة سنة وشهرا شهرا ويوما يوما وساعة ساعة ونفسا نفسا . فمنه ما اقتضى في وقت دون وقت ومنه ما اقتضى في الأوقات كلها .

فأما ما اقتضي في وقت دون وقت فالفرائض ، وأما الذي اقتضى في الأوقات كلها فالعبودة في كل نفس ، فأجمل الله تبارك وتعالى بعطفه وكرمه للعباد أمرا أجمل به العبودة كي إذا فعلوها استكملوا الدهر كله عبودة ، فدلهم لعبودتهم في النهار على ركعتي الضحى بعد أداء الفرائض واجتناب المحارم ، فإذا أدى المفروضة من صلاة الفجر انتظر طلوع الشمس وتحليل الصلاة ، فإذا أضحت صلى ركعتين على سبعة أجزاء بسبعة جوارح مقسومة هذه الأجزاء بما ضمنت وحسبت على ثلاثمائة وستين جزءا ليخرج إلى الله من صدقة النفس ، وذلك قول رسول الله ﷺ : " إن على كل آدمي ثلاثمائة وستين سلامى ، على كل سلامى منها صدقة ، وركعتا الضحى تجزيك من ذلك كله " فهذه صلاة يومه للعبودة .

وأما صيام ثلاثة أيام من كل شهر فالحسنة بعشر أمثالها ، فاليوم الواحد بعشرة أيام ،

فصيام ثلاثة أيام من كل شهر هو ستة وثلاثون يوما للسنة كلها والسنة ثلاثمائة وستون يوما ، فقد صار العبد بهذا [٢/١٠٨/ب] في جميع عمره صائما وبركعتي الفجر في جميع عمره قائما هذا في نهاره كله ، فأما في ليله فالفوز بصلاة الوتر ، فإذا كان صائما قائما في نهاره ويوتر فقد استكمل الزمان كله ، كما قال رسول الله ﷺ ، فهذه ولا إله إلا الله أصل السعادة على ما به يستكملوا العبودة بعد أداء الفرائض واجتناب المحارم ، فمن داوم على هذا كان اسمه في ديوان الصائمين القائمين الفائزين ، وهو طاعم وشارب ونائم ، ذلك لتعلم يسر الله لهذه الأمة ورفع الحرج عنهم في دينهم وسماحته فيما اقتضاهم مما له خلقهم .

فأما شأن الوتر فإن الله سبحانه وتعالى قال : ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الذاريات : ٤٩] أن الزوجين متضادان متنافيان ينفي أحدهما الآخر مثل الليل والنهار والنور والظلمة والحر والبرد والرطب واليابس ، فتذكرون بأن لا أحد يزاوجني أو يضادني ، وأنا الفرد الوتر .

ثم خلق الأشياء على محبوب الوترية : واحدا وثلاثا وخمسا وسبعا ، فالعرش واحد والكرسي واحد واللوح واحد والجار واحدة والبحر واحد وأبواب الدار سبعة ، ثم زيد في العدد واحد لمحمد ﷺ باب الرحمة وباب التوبة ، وهو أصل الأبواب ، وأبواب البحر سبعة ، وعمال الله مقسومون على سبعة أجزاء وأهل النار مقسومون على سبعة أجزاء وظلال الآدميين سبع وهي السموات ، ومهادهم سبع وهي الأرضون ، والأيام سبعة ، وخلق الآدميين من سبع وأرزاقهم من سبعة ، وعبودتهم على سبع جوارح ، ثم افترض على العباد من الصلوات خمسا ، فالخمس وتر ، وعدد ركعاتها سبعة عشرة ، وهي وتر ، وترد على سبع آيات ، وأدنى القراءة وتر وهي آية ، وأدنى التسابيح في الركوع والسجود وتر ، وهو ثلاث وركعة وسجدتان وتر ، وفرض الحج في يوم تاسع ذي الحجة ، وفرض الزكاة في كل ما بين خمسة دراهم والعشر ومن كل عشر واحد ، وافترض على العباد حفظ سبع جوارح ، وجعل التقوى في سبع ، وأسماؤه التي هي حظوظ العباد تسع وتسعون اسما ، والقلب وتر وخالقه وتر ، فأظهر الله تعالى محبوبه في هذه الأشياء وفي عامة الأشياء اقتصرنا على ما ذكرنا فجعل الله للعباد في ليلهم بعد أداء فرائضهم في صلاة الوتر في

الركعة الثالثة التي هو الوتر موقفًا ، فهما موقفان : موقف في كل سنة في تاسع ذي الحجة ، وموقف كل ليلة بعد صلاة العشاء في الركعة التي وسمها بالوترية ، تلك الركعة عليها سمة الله تبارك وتعالى بأن يفضلها على الأعمال ، فموقف الحج نطق به لسان الكتاب وموقف الوتر نطق به لسان الرسول ﷺ ، وفي كل موقف نصه الله لعباده علي لسان الكتاب أو على لسان الرسول ﷺ فللعباد في ذلك الموقف من الله نوال وقرة عين لا تخطر [٢/١٠٩/أ] على قلب بشر وإن ذهب الواصف يصفه من طريق الحكمة عجز عنه ؛ فإن الله تعالى لم يشر للعباد شيء إلا ولهم فيه نوال موضوع ، فكيف إذا أشار لهم إلى الموقف بين يديه فقد كتب عليهم الخمس المفروضات غياثا لهم ليطفوا بها حريقهم ، وما من صلاة يدخل وقتها إلا قال أهل السماء : يا بني آدم قوموا إلى ميراثكم فاطلبوه . فصرن هذا الخمس مكتوبات بالعهد في الكتاب ، وليس شيء من الفرائض كمثلها ، فإذا ذاقوا عرضة الثواب بالعهود التي خرجت لهم من البراءات في مواقيت الصلوات جاء العبيد بالعهود فأوجب لهم الجنة .

ثم كان من عطف الله الجليل أن زادهم بجود جلاله هذه الصلاة بعد صلاة العشاء ، وسن لهم على لسان الرسول صلوات الله عليه وسلامه ، فيها موقف يدخلون في ذلك الموقف على الله بالتكبير المجرد ، فيكون كمن دخل الدار ثم تخطى من الدار إلى محل الملك من السرير فجلس بين يديه واقفا يرفع إليه رغباته ويعتذر إليه من عمل نهاره ومن تقصيره وتفريطه ، ويفتقر إلى الله ويبأس ويتمسكن ويتخشع ويتضرع ويتعوذ من الأهوال والأخطار التي هو عليها ، فإنما استأنف التكبيرة ورفع اليدين في الركعة الثالثة وهو في الصلاة لأنه قد انتقل من موقف إلى موقف أجل منه ، فالصلوات الخمس تكفر سيئاتهم ، وفي ذلك الموقف من الوتر نوال تملأ منه رغباتهم ، ومركز يجدون فيها معاداتهم ، فالنوم بعد النوال أفضل من أن يؤخرها إلى آخر الليل . فإذا أوتر أول الليل عرجت نفسه إلى الله في منامها مع الفوز بالنوال في المعاد ، فيرجع مع المزيد ، فلذلك أوصاه رسول الله ﷺ ألا ينام إلا على وتر ، وكان أبو بكر رضي اله عنه يوتر قبل أن ينام فقال له رسول الله ﷺ : " متى توتر يا أبا بكر ؟ قال : أول الليل ، أحرزت نصيبي وأبتغي النوافل ، قال : أخذت بالحزم ،

وقال لعمر رضي الله عنه : متى توتر يا عمر ؟ قال : آخر الليل ، قال : أخذت بالقوة " .

فالحزم احتياط وفقه ، والقوة ملك النفس ومدد الوكالة ، فأبو بكر لاحظ كنه الوتر وعمر لاحظ الساعة التي يؤدى فيها الوتر ولم يلاحظ الكنه .

ألا ترى إلى قول أبي بكر رضي الله عنه حيث يقول : أحرزت نصيبي ، فصير موقف الوتر موقفا فيه نشاد وغنيمة فينتهبه ، فما ظنك بنشاد الله وغنيمته ، ثم يبتغي فيما بقي من الليل نوافل الرب .

وعمر رضي الله عنه ذهب إلى الساعة التي أسرها الله من ساعات الليل فهبط إلى السماء الدنيا واطلع إلى عباده وناداهم ، وهي ساعة اهتز لها العرش واشتغلت الملائكة في صفوفها وانقطعت صلواتهم لما رأوا من هبوط الرب إلى السماء الدنيا ، سماء العبيد واطلع إليهم وناداهم ، فإنما سبى قلب عمر هذا المعنى حتى أي عن نهب موقف الوتر ، فاستكمل الله محمد ﷺ شأن دين الإسلام [٢/ ١٠٩/ ب] شأن العبودة بعد أداء الفرائض واجتناب المحارم بهذه الثلاث خصال حتى وفرت العبودة لهم ، فصيام ثلاثة أيام من كل شهر وهو ستة وثلاثون يوما ، محسوب لهم كل يوم بعشرة فذلك ثلاثمائة وستون يوما هم السنة كلها ، صيام .

وألا ينام إلا على وتر حتى ينال في ذلك الموقف ثناء الله ونهب العبيد ، وركعتا الضحى حق السلامى وهي ثلاثمائة وستون مفصلا ، فموقف الحج موقف المباهاة ، وموقف الإسلام . ألا ترى أنه يقال : حجة الإسلام .

وقف العبد ليسلم إليه رقبته عبودة ؛ ليتخذه عبدا فباهى الله به في سمائه وهبط إلى سماء العبيد ليطلع إليهم ويباهي بهم ملائكته ، والمباهاة أن يريهم بهاء الإسلام الذي على عبيده في تسليمهم النفوس إليه معتذرين باكين متضرعين ملقين بأيديهم سلما ، رافعي أيديهم إليه طمعا ، فيقول للملائكة : انظروا إلى عبيدي ، فتلك المباهاة ، وموقف الوتر موقف هدايا المعرفة وحرمة الإسلام ورحمة العامة ، فهدايا المعرفة في هذا الموقف للأولياء والأصفياء ، وحرمة الإسلام للصادقين المجتهدين ، والرحمة العامة يخرج لهم من تلك الرحمة بركات وعصمات وقوات ، ويتجدد عليهم دينهم ، فسمى ذلك الموقف قنوتا لأنه قنت لربه بما تعبأ له من الموقف في

مقامه لأن المقام للصلاة .

والموقف للركعة الثالثة والقنوت للموقف فهو بمنزلة بيت في بيت ، فالجواهر في البيت الأقصي ، وحشو ذلك القنوت رغبة العبد ، وعلى قدر الرغبة يخرج من العبد ثناؤه على ربه ومحامده له وذكر آلائه وبث منته ونشر صنائعه واعترافا . . . [(١)] وتوبته إليه واعتذارا إليه ومتصلا بالاستغفار وترضيا وتضرعا واستعاذة بالمعاذ واختتاما بالكلمة التي بها يستجاب ويجاب مما خص الله به هذه الأمة ، وحسدنا عليه اليهود من أنه أعطى نبيهم موسى وهارون عليهما السلام ولم يعطوا ، وأعطي محمد ﷺ وأعطيت . . . [(٢)] لأمته كرامة لمحمد ﷺ .

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : " أمرني جبريل عليه السلام ولقاني عند فراغي من فاتحة الكتاب : آمين ، وعند الدعاء " وقال : إنه كالطابع على الكتاب .

١٣٠٣- **حدثنا** عمر بن أبي عمر ثنا عبد الملك بن مسلمة القرشي عن ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ بذلك .

١٣٠٤- **حدثنا** عمر بن أبي عمر ثنا أبو عمير بن النحاس الموصلي عن محمد بن يوسف الفاريابي قال : حدثني صبيح بن محرز [(٣)] الحمصي قال : حدثني أبو مصبح المقرائي[(٤)] قال : كنا نجلس إلى أبي زهير النميري ، وكان من الصحابة ، فيتحدث بأحسن الحديث ، فإذا دعا الرجل منا بدعاء قال [٢/ ١١٠/أ] : " اختموا بآمين فإن آمين في الدعاء مثل الطابع على الصحيفة " . قال أبو زهير : وأحدثكم عن ذلك : خرجنا مع رسول الله ﷺ ليلة نمشي فأتينا على رجل في الخيمة قد ألحف في المسألة ، فوقف رسول الله ﷺ يستمع منه ، فقال : إن ختم فقد أوجب ، فقال له رجل : بأي شيء يختم ؟ فقال : بآمين ؛ فإنه من ختم بآمين فقد أوجب . فانصرف الرجل الذي سأل رسول الله ﷺ فأتى الرجل فقال : يا فلان اختم بآمين وأبشر .

---

(١) كلمة لم أستظهر قراءتها .

(٢) كلمة لم أستظهر قراءتها .

(٣) بالأصل " محمود " والمثبت من التهذيب .

(٤) بالأصل " المقرئ " والمثبت من التهذيب .

قال فإذا ختم الدعاء بآمين صار الدعاء مطويا كالكتاب مصونا عن الآفات ، وعن تناوله واطلاع ما فيه ، وإنما ختم الكتاب لئلا ينشره أحد ولا يطلع عليه فيكفي الختم صيانة لما فيه من الآفات .

فإذا دعا العبد وختم بآمين فقد صانه عن أن يطلع عليه أحد وصعد إلى الله بالختم مطويا عن جميع الخلق ، فأجابه .

وذلك أن الكريم قال لعبيد هذه الأمة خاصة من بين الأمم : ﴿ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر : ٦٠] ، وإنما كان يقال هذا للأنبياء عليهم السلام ، فأعطيت هذه الأمة ولم تعط أمة قبلنا .

١٣٠٥ـ حدثنا بذلك أبي رحمه الله عن صالح بن محمد عن محمد بن عبد الرحمن عن عباد ابن كثير عن ليث عن شهر بن حوشب عن عبادة بن الصامت عن رسول الله ﷺ أنه قال : " أعطيت هذه الأمة ما لم يعط أحد ، قوله : ﴿ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر ٦٠] وإنما كان يقال هذا للأنبياء عليهم السلام ، وقوله : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج : ٧٨] وإنما كان يقال هذا للأنبياء عليهم السلام ، وقوله : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [البقرة : ١٤٣] وإنما كان يقال للنبي ، أنت شهيد على قومك " .

قال أبو عبد الله :

فإنما أعطاهم آمين وخزنها عن سائر الأمم لأنه قد سبق منه القول بالخصوصية لأمة محمد ﷺ أن قال : ﴿ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر : ٦٠] وفيهم ما فيهم من قلة الشكر وقلة الوفاء وكثرة التخليط والاستخفاف بأمر الله والإعراض عن حق الله ، فلو لم يعطهم الختم حتى يختموا دعاءهم بآمين ، فيصير الختم مانعا لجميع الخلق بين العبيد وبين الله إلى العرش ، من الهواء والسحاب والشمس والقمر والنجوم والرياح والجنود التي في الهواء ، وما وراء ذلك في السموات إلى العرش فكان عمر دعائنا إلى العرش إلى محل الدعاء ومعدن الإجابة والقضاء على هؤلاء كلهم وكانوا لا يخلون من أن يتعرض متعرض لإفساد ذلك حمية لله ، فإن هؤلاء الخلق كلهم مطيعون ، فإذا مرت الدعوة القضاء عليهم لم يؤمن أن يرموا فيها شيئا يكون فيه فساد أو ذلك منهم حق ، وقد جاءنا في الأخبار عن رسول الله ﷺ أن على أبواب السماء [٢/ ١١٠/ ب] حُجاب يردون أعمال أهل الكبر والحسد والغيبة .

١٣٠٦ـ وحدثنا الفضل بن محمد ثنا مسلم بن يحيى الطائي عن الحسن بن ذكوان عن أخيه أيوب عن الحسن عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " إن العبد ليقول : يا رب اغفر لي ، وقد أذنب ، فتقول الملائكة : يا رب إنه ليس لذلك أهل ، قال الله تبارك وتعالى : لكني أهل أن أغفر له " .

قال أبو عبد الله :

فهؤلاء الملائكة فمن دونهم في هذا الحق يشتد عليهم ما يكون من هؤلاء الآدميين ، فلما سبقت من الله هذه الكرامة والخصوصية لأمة محمد ﷺ من أن أعطاهم ما أعطى للأنبياء من قوله : ﴿ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر : ٦٠] ومنع الأمم كلها ، أعطاهم كلمة الختم وهي آمين ، لتصعد دعوتهم إليه مختومة لا يطلع على ما فيها أحد حتى لا يجد أحد من هؤلاء سبيلا إلى الطعن فيها .

ودعوة كل رجل من الأمة إنما تخرج على قدر ما عنده من قوة القلب في الدعاء ، فرب دعاء من داع يخرج مع نور . . . [(١)] بمنزلة شمس تطلع ، ودعاء يخرج مع تقصير فنوره بمنزلة قمر يطلع ، ودعاء يخرج مع تقصير كثير فنوره بمنزلة كوكب ، فإنما تفاوت دعاء الموحدين وتباين لاختلاف مخارجه من المعادن .

ألا ترى أن رسول الله ﷺ قال : " إن القلوب أوعية وبعضها أوعى من بعض ، فإذا دعوتم الله فادعوه وأنت موقنون بالإجابة ؛ فإن الله لن يستجيب دعاء عن ظهر قلب غافل " .

فظهر القلب هو دعاء قد تعلمه ، فهو يدير الكلمات بمغرفة لسانه في حنكه وفي لهاته ، وليس عنده وراء ذلك شيء إلا تلك الإرادة التي في القلب ، يبتغي بها خيرا من عند ربه وهو لا يدري ذلك الخير وموعده ، كالجزاف غير مفتقر إلى تلك الحاجة ، فهو كسكران لقن شيئا ، أو كصبي نطق من غير عقل ، فليس لكلام الصبي والسكران بال عند الخلق ولا عنوا به إلا أن الكريم لما علم إرادة الخير من الداعي أعطاه على ذلك أجرا أن دعاه على رجاء أن ينال منه معروفا ، فأما الاستجابة فهو بعيد منها لأنه لم يخرج منه الدعاء على الجد والاجتهاد ، ولو كان ذلك منه جدا لترك الإباق من ربه

---

(١) كلمة لم أستظهر قراءتها .

بالذنوب والمعاصي والبطالات والإكباب على الدنيا والاستخفاف بحق الله بداره وبيوم الحساب ، وبوعده ووعيده ومواعظه ، فالموت الذي جعله آية من آياته يأتيه عيانا ، فإذا نفسه ملقاة تغط غطيط البَكْر المخنوق حتى تفارق الروح الجسد ، فالآبق في دار الدنيا من مولاه ويدعو في إباقه ، ويراسله فيستوجب الفوت من سيده لأنه في صورة المستهزئين بسيدهم ، فالكريم الجواد واسع [٢/ ١١١/ أ] لعبيده الذي جاد عليهم بأعظم الأشياء وهي المعرفة فلم يترك هذا العبد خاليا صفر اليدين إذا مد يديه حتى يأجره على ذلك لأنه دعا العبيد إلى أن يأتوه بقلوبهم فيقرعوا الباب بالدعاء ، فهذا الذي أبق قر نفسه وأثقل ظهره من الخبائث ، صار كسلانا لحمًا ودمًا ملقى بالأرض ، وحسبا خلق خاف فتعلم على ألسنة الناس هذه الدعوات ملتمسا بها من عنده نوالا ، لا عن فاقة وافتقار خرجت من جوف تلك الكلمات ولا علم ما سأل ، ذلك كان أعلم الناس باللغة ، فهو عالم بالكلمة من طريق اللغة ، جاهل بغور الكلمة ، جاهل بمعدنها جاهل بيبانها جاهل بنوبها[1] جاهل بوقتها جاهل بموضعها ، وإن سئل عن قوله : اعف عني ، لم يدر ما العفو ، وقال : هو أن لا يأخذني بذنبي ، فأنت تسأله عن تفسير العفو فهو يجيبك عن ما يحدث عن العفو ، وإن قال : استرني لم يدر ما الستر ، وإن أثنى لم يدر ما ذلك الثناء ، وإن مدح لم يدر ما ذلك المدح ، وإن حمد لم يدر ما ذلك الحمد ، فهو عارف باللغة بصير بالعربية جاهل بالمعنى أعمى عن حشو المعنى ، فصاحب هذا الدعاء لا يصيب في دعائه جدا ولا اجتهادا ، واليقين منه بعيد ، وإنما يدعو عن ظهر قلب ، فهذا عبد يُجاب ولا يستجاب ، وإنما يجاب لأنه مؤمن ، فالإجابة للمؤمنين والاستجابة للجادين المفتقرين المرتغبين المبتلسين المتمسكنين الخاشعين الموقنين .

١٣٠٧ـ حدثنا الفضل بن محمد ثنا هشام بن خالد الدمشقي ثنا بقية ثنا محمد بن سعيد عن عبادة بن نسي عن عبد الرحمن بن غنم قال : " بينما نحن جلوس يوما عند معاذ بن جبل رضي الله عنه إذ دعا بدعاء لم أسمع أحدا يدعو مثل دعائه ، فقلت له :

---

(١) هكذا استظهرت قراءتها .

رحمك الله يا أبا عبد الرحمن لو علمتني بعض ما تدعو به ، فقال : لو كنت أعلم لك فيه خيرا كنت علمتك ، قلت : سبحان الله ، لم لا تعلم لي فيه خيرا ؟ قال : إن رسول الله ﷺ كان يدعو بالدعاء الكثير الحسن الجميل الذي لا يستطيع أحد أن يقول مثله ، فقلت له يوما : يا رسول الله ، لو علمتني بعض ما تدعو به ؟ فقال رسول الله ﷺ : لو أعلم لك فيه خيرا لعلمتك ، قلت : سبحان الله يا رسول الله ، لم لا تعلم لي فيه خيرا ؟ قال : لأن أفضل الدعاء ما خرج من القلب بجد واجتهاد ، فذلك الذي يسمع ويستجاب وإن قل " .

قال أبو عبد الله :

فالجد أن يقف العبد بقلبه في محل الدعاء ، والاجتهاد افتقار القلب إلى الله وتبؤس النفس ، فذاك منه جهد ، وإنما شرط الله الإجابة للداعين في تنزيله فقال [٢/ ١١١/ ب] : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة : ١٨٦] فهذه إجابة تلبيته ، وقول رسول الله ﷺ : " إذا قال العبد : يا رب ، قال الله : لبيك فهذه إجابة الرب تبارك وتعالى .

وأما الاستجابة ، فقال : ﴿ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر : ٦٠] وبين في آية أخرى لمن الاستجابة ، فقال : ﴿ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ [الشورى : ٢٦] ثم قال : ﴿ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ﴾ [الشورى : ٢٦] فوعد الله الاستجابة والمزيد لهؤلاء .

فأما ما ذكرنا من قنوت الوتر فإنه ينبغي أن تكون مع ما تجد من الرغبة والجد على أدب وهيئة ، فإن لكل أدب ثمرة ولكل هيئة زينة ، وأحق ما يتفقد العبد هذا الأدب وهذه الزينة في هذا الموقف الذي ذكرنا أنه من الله هدية لهذه الأمة خاصة فيبدأ . . . [١] ثم ثناء عليه وتنزيها له ثم محامده وذكر آلائه وبث منته ونشر صنائعه والاعتراف بالمساوئ ، والتوبة إليه والاعتذار منها إليه والتنصل بالاستغفار ، والترضي والتملق والخضوع والاستعاذة بالمعاذ والاختتام بآمين .

وسألتموني أن أنسق ذلك لكم على ما يتهيأ ويوفق الله بإذنه ، فقد أجبتكم إلى ذلك : اللهم يا قديم يا أبد يا أبدي يا دائم يا الله يا رب يا حي يا قادر يا قدير يا واحد يا فرد يا

---

(١) مقدار كلمتين لم أستطع قراءتهما .

وش(١) يا أحد يا صمد يا ماجد يا كبير يا عظيم يا جليل يا حميد يا علي يا عالي يا أعلى يا متعال يا حق يا مبين يا سبوح يا قدوس يا قيوم يا نور يا منير يا ملك يا عزيز يا جواد يا رحمن يا رحيم يا سلام يا مؤمن يا مهيمن يا وهاب يا علام يا قوي يا كريم يا لطيف يا حنان يا منان يا قريب يا مجيب يا تواب يا أول يا آخر يا ظاهر يا باطن يا عفو يا غفور يا ودود يا شكور يا حليم يا رؤوف يا جبار يا قهار يا خالق يا بارئ يا مصور يا شهيد يا وكيل يا كفيل يا كافي يا بديع يا حسيب يا مبدئ يا معيد يا رزاق يا فتاح يا حكم يا عدل يا قاضي يا من له المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ، يا ذا الأفعال العلى والأسماء الحسنى يا ذا المنّ والطّوْل والآلاء الكبرى ، يا من عَلا فقهر يا من ملك فقدر يا من نظر فخبر ، يا من أمات وأحيا ، يا قريب غير بعيد ، يا شاهد غير غائب يا غالب غير مغلوب يا من على العرش وقاره وفي الحجب جلاله وفي السموات ضياؤه وفي الجنة رحمته وفي النار سلطانه وفي المقادير أمره وفي النور بهجته وفي الروح برهانه وفي البحر سبيله وفي القبور قضاؤه وفي الأرض موطؤه التسبيح لجلالك والحول لقوتك والكبرياء لها بتلك ذا الجبروت لعظمتك والتهليل لعلمك والجلال لها بنيك ، والرضا لأمرك ، من خيرك فبنعمتك ومن عبدك فبقدرتك ومن أطاعك فبمنك ومن أدى فرائضك فبعظمتك ومن امتنع من سوء فبعصمتك ، وأنت الأول فلا شيء [٢/ ١١٢/ أ] قبلك وأنت الآخر فلا شيء بعدك ، وأنت الظاهر فلا شيء فوقك وأنت الباطن فلا شيء دونك ، يا منيع القدرة يا لطيف المنحة يا عزيز النصرة يا قريب الرحمة يا واسع المغفرة يا عريض البركة يا فارج الكرب ، يا قابل التوبة يا مجيب الدعوة يا مقيل العثرة ، سبحانك عدد خلقك سبحانك زنة عرشك سبحانك مداد كلماتك سبحانك رضا نفسك سبحانك وبحمدك منتهى علمك سبحانك عدد ما علمت سبحانك ملء ما علمت ، لك الحمد بجميع محامدك كلها على جميع نعمائك كلها على جميع خلقك كلهم ، لك الحمد حمدا يوافي نعمك ويكافئ مزيدك ، لك الحمد الذي حمدت به نفسك ، لك الحمد أحب الحمد إليك ، لك الحمد الذي لا يتسع لشيء ، لك الحمد حمدا لا يحيط بعلمه

---

(١) كذا بالأصل .

أحد لك الحمد حمدا يفضل على كل حمد كفضلك على جميع خلقك ، لك الحمد كما ينبغي لكرم وجهك وعز جلالك ونور كبريائك ، على حلمك بعد علمك وعلى عفوك بعد قدرتك وعلى جميع مننك وعلى جميع إحسانك وعلى جميع عطاياك وعلى جميع نعمك علينا وعلى جميع خلقك ، لا إله إلا أنت الحليم الكريم ، لا إله إلا أنت العلي العظيم ، سبحان الله رب السموات السبع ورب العرش العظيم ، الحمد لله رب العالمين وتبارك الله الذي لا إله إلا هو ، لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين .

اللهم تم نورك فهديت ، فلك الحمد ، وعظم حلمك فعفوت فلك الحمد ، وبسطت يدك بالخير فأعطيت فلك الحمد ربنا ، وجهك أكرم الوجوه ، وجاهك خير الجاه وعطيتك أنفع العطايا ذا هناء .

تُطَاع ربنا فتشكر ، وتُعْصَى ربنا فتغفر ، تجيب المضطر وتكشف السوء وتنجي من الكرب وتشفي من السقم وتغفر الذنب وتقبل التوبة ، لا يجزي بآلائك أحد ولا يحصي نعماءك قول قائل ، لا إله إلا أنت ، اللهم صل على محمد صلاة زاكية تبلغه الدرجة الوسيلة ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما صليت وباركت على إبراهيم وآل إبراهيم ، إنك حميد مجيد .

اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم ، إني أعهد إليك في هذه الحياة الدنيا أني أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك ، إلها واحدا أحدا صمدا أبديا فردا باقيا أبدا أبدا ، تباركت يا ذا الشرف والسلطان والبسطة التي رحمت بها العباد ، وأشهد أن محمدا عبدك ورسولك ، وأنك إن تكلني إلى نفسي تقربني إلى الشر وتباعدني من الخير ، وأني لا أثق إلا برحمتك ، فاجعل رحمتك لي عندك عهدا تؤديه إليّ يوم القيامة ، إنك لا تخلف الميعاد ، لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك ، عملتُ سوءا وظلمتُ نفسي وأنا عبدك فارحمني إنك أرحم الراحمين ، لا إله إلا أنت سبحانك [٢/ ١١٢/ ب] وبحمدك ، عملتُ سوءا وظلمتُ نفسي وأنا عبدك فتب علي إنك أنت التواب الرحيم .

اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك ، وفي قبضتك ، ناصيتي بيدك ، عدل فيّ قضاؤك ، أسألك بكل حق هو لك وبكل اسم سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو

علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور بصري وسناء ما في صدري وذهاب همي وجلاء أحزاني .

اللهم اغفر لآبائنا ولأمهاتنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، وأزواجنا وذرياتنا وللمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات ، أصلحهم وأصلح ذات بينهم وألف بين قلوبهم وأنزل عليهم رحمتك واجعل في قلوبهم الإيمان والحكمة وأوزعهم أن يشكروا نعمتك التي أنعمت عليهم ، وأن يتوبوا إليك بالعهد الذي عاهدتهم عليه وثبتهم على ملة رسولك ، إلهَ الحق ربَّ العالمين .

اللهم ربنا اغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار ، ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد ، ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ، ربنا توفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين ، ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما ، ربنا اغفر لنا ذنوبنا وهب لنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا ، إسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ، وانصرنا على أنفسنا وعلى من ظلمنا وبغى علينا وأرنا ثأرنا فيهم ، ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما ، ربنا أوزعنا أن نشكر نعمتك التي أنعمت علينا وعلى آبائنا وأمهاتنا ، واجعلنا نعمل صالحا ترضاه وأصلح لنا ذرياتنا وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

اللهم اهدنا فيمن هديت وعافنا فيمن عافيت وتولنا فيمن توليت وبارك لنا فيما أعطيت وقنا شر ما قضيت ، إنك تقضي ولا يُقْضَى عليك ، إنه لا يذل من واليت ، تباركت ربنا وتعاليت .

اللهم اشرح لنا صدورنا ويسر لنا أمورنا وحَسِّن أخلاقنا ونور قلوبنا وأورثنا تقواك الذي هو تقواك ، وارزقنا توبة نصوحا تدوم إلى يوم لقائك وافتح لنا طريقنا إليك وخذنا من نفوسنا إليك ، وثبتنا على طلقك بين يديك وتب علينا ، تبارك الله الذي لا إله إلا هو .

اللهم ارزقني إيمانا دائما ويقينا صادقا وعلما نافعا ورزقا واسعا طيبا وعملا متقبلا

وثباتا على أمرك وعزيمة على الرشد وشكر نعمتك وذكرك وحسن عبادتك ، تبارك الله الذي لا إله إلا هو .

اللهم ارزقني قلبا خاشعا شاكرا سليما صالحا ، ولسانا ذاكرا وبدنا على طاعتك [٢/ ١١٣/أ] صابرا ، تبارك الله الذي لا إله إلا هو .

اللهم فرغ فؤادي لذكرك وأغن قلبي عن مفاخر الدنيا ، واجعل علانيتي صالحة واجعل سريرتي خيرا من علانيتي وارزقني الراحة عند الموت والمعافاة عند الحساب ، والعفو والنجاة من النار ، تبارك الله الذي لا إله إلا هو .

اللهم ارزقني صدق اليقين وصدق الورع وصدق التوكل عليك ، وحسن الظن بك والتوفيق لمحابك من الأعمال وكفاية كل مؤنة في الدنيا وكل هول دون الجنة حتى تبلغنيها برحمتك ، تبارك الله الذي لا إله إلا هو .

اللهم ارزقني برد عفوك وحلاوة رحمتك وأعِنّي على آخرتي بمنك وأعني على دنياي بتقواك وهب لي قوة في طاعتك وفقها في دينك وزهادة فيما زهّدت فيه أولياءك ورغبة فيما رغبتهم فيه ، والعافية في قدرك والسعة من طيب رزقك ، تبارك الله الذي لا إله إلا هو .

اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي وبارك لي فيهما ، واجعل حياتي زيادة لي في كل خير واجعل وفاتي راحة لي من كل شر ، واجعل خير أعمالي خواتيمها وخير عمري آخره وخير أيامي يوم ألقاك واجعل نفسي به مطمئنة تؤمن بلقائك وترضى بقضائك وتقنع بعطائك ، تبارك الله الذي لا إله إلا هو .

اللهم بك أنزلت فقري ومسكنتي وأنا لمغفرتك ورأفتك ورحمتك راج ، اللهم اغفر لنا فإنك بنا عالم ولا تعذبنا فإنك علينا قادر ، وارزقنا الهدى والتقى والعفة والغنى والعافية ودوام العافية وتمام العافية وشكر العافية ، وأجرني من خزي الدنيا وعذاب الآخرة ، تبارك الله الذي لا إله إلا هو .

اللهم استرنا واجبرنا وانصرنا وارزقنا خير الدنيا وخير الآخرة واصرف عنا شر الدنيا وشر ما في الآخرة ، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها ، واحرز لنا ديننا وسلمه لنا وتقبله منا ، تبارك الله الذي لا إله إلا هو .

اللهم اصرف عنا الهم والغم والحزن والسقم والجوع والعري والذل والصغار والفواحش ما ظهر منها وما بطن ، تبارك الله الذي لا إله إلا هو .

اللهم اجعلني ممن يخاف لقاءك ويخاف وعيدك ويرجو لقاءك وذكر أيامك ، واجعل لنا عندك وليجة وزلفى وحسن مآب ، ولا تنزع مني صالح ما أعطيت فإنه لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد ، تبارك الله الذي لا إله إلا هو .

اللهم أقلنا عثراتنا وآمن روعاتنا واستر عوراتنا واكفنا ما أهمنا ، ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا واجعله الوارث منا وأعنا ولا تعن علينا وانصرنا ولا تنصر علينا ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ولا تجعل الدنيا [٢/ ١١٣/ ب] أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا تسلط علينا من لا يرحمنا ، تبارك الله الذي لا إله إلا هو .

اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت وليها ومولاها وخير من زكاها ، أنت تحول بين المرء وقلبه ، فحُلْ بيني وبين كل شيء لا ينفعني عندك ، تبارك الله الذي لا إله إلا هو .

اللهم ارزقنا من خشيتك ما تحول بيننا وبين معاصيك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ومن طاعتك ما تبلغنا به رضوانك ، تبارك الله الذي لا إله إلا هو .

أعوذ بعفوك من عقابك وأعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بك منك ، جل وجهك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ، يا عظيم يرجى لكل عظيم فاغفر لنا واستجب لنا دعاءنا وأعطنا سؤلنا واقض حوائجنا ، تبارك الله الذي لا إله إلا هو .

أعوذ بك من النار وأعوذ بك من عذاب النار وأعوذ بك من شر فتنة المحيا والممات ، وأعوذ بك من فتنة الصدر وأعوذ بك من شتات الأمر وأعوذ بك من زوال النعم وأعوذ بك من فجأة النقم ، أعوذ بك من العمى بعد الهدى ، أعوذ بك من أن أشرك بك وأنا أعلم وأن أشرك بك وأنا لا أعلم ، وأستغفرك من جميع ذلك .

اللهم إني أعوذ بك من جهد البلاء وأعوذ بك من فظيع القضاء وأعوذ بك من درك الشقاء وأعوذ بك من شماتة الأعداء وأعوذ بك من أن أقترف سوءا أو أجره إلى مسلم وأعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته ، وأعوذ بك مما استعاذ بك عبادك الصالحون ، وأسألك من خير ما سألك منه عبادك الصالحون ، تبارك الله الذي لا إله إلا هو .

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ، آمين رب العالمين .
فهذا الذي سقناه لكم من الدعاء .
قول : إنا نستعينك ونستغفرك ونستهديك ونؤمن بك ونتوكل عليك ونثني عليك الخير كله ، نشكرك ولا نكفرك ونخلع ونترك من يكفرك ، اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد وإليك نسعى ونحفد ، نرجو رحمتك ونخشى عذابك ، إن عذابك الجد بالكفار ملحق ، اللهم عذِّب الكفرة وخالف بين كلمتهم وأنزل عليهم رجزك وعذابك وبأسك الذي لا يرد عن القوم المجرمين ، اللهم قاتل كفرة أهل الكتاب الذين يكذبون رسولك ويصدون عن سبيلك ويجحدون آياتك ويجعلون معك إلها ، لا إله إلا أنت ، تباركت وتعاليت عما يقول الظالمون علوا كبيرا .

١٣٠٨ـ حدثنا أبي رحمه الله ثنا الفضل بن دكين عن سفيان عن جابر عن أبي معمر عن إبراهيم عن الأسود عن عبد الله رضي الله عنه قال : وجب القنوت في الوتر على كل مسلم .

الأصل السابع والأربعون والمائتان :

١٣٠٩ـ حدثنا عمر بن أبي عمر العبدي ثنا مسلم بن إبراهيم عن الحارث بن عبيد الإيادي ثنا مسلم بن شقير اليشكري [٢/ ١١٤/أ] عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن مالك بن أوس قال : خطبنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقال : قال رسول الله ﷺ : " تعوذوا بالله من خشوع النفاق ، قيل : يا رسول الله وما خشوع النفاق ؟ قال : خشوع البدن ونفاق القلب " .

١٣١٠ـ حدثنا صالح بن محمد ثنا سليمان بن عمرو عن محمد بن عجلان عن المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ رأى رجلا يعبث بلحيته في الصلاة فقال : " لو خشع قلبه لخشعت جوارحه "(١) .

قال أبو عبد الله :

فخشوع القلب من المعرفة ، فكلما كان أوفر حظا من العلم بالله ومن المعرفة بالدنيا كان أخشع ، فأثقال المعرفة حلت بالقلب فأذن القلب إلى ثلاث : خشعة وخضعة وذلة ، فالذلة الحسد ، والخضعة اللين ، والخشعة الانكسار والانحناء ، فهذه صفة القلب .

وأما صفة النفس تحت أثقال القلب فلها الخمود مكان ذلة القلب والانتباه مكان الخضعة والتهافت والتناثر كالرمل مكان الخشعة ، كما وصف الله عز وجل في كتابه الجبال فقال : ﴿ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴾ [المزمل : ١٤] أي رملا ينهار ويتساقط ، فإذا صارت النفس هكذا وصار القلب كما وصفنا فقد لزمه اسم الخشوع على الحقيقة ، وذلك قوله : ﴿ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴾ [طه : ١٠٨] ذهب الصوت وقوة ذرو الكلام .

وقال ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً ﴾ [فصلت : ٣٩] أي ساقطة هامدة ، فمن لم يكن في قلبه تراكم أثقال المعرفة فتخشع أركانه فذاك نفاق لأنه تماوت وهو حي ، فالتماوت مراءاة ونفاق ، مرة يراءي الله فيبتغي عنده قبولا ومدحا ، ومرة يراءي

(١) ذكره العراقي في الإحياء (٤٠١) وقال : سنده ضعيف .

عبيده فيبتغي جاها عندهم ومدحا ، فيتخشع وليس بخاشع .

ألا ترى إلى قول رسول الله ﷺ عندما رآه يعبث في صلاته ذكر خشوع قلبه يعلمك أن الخاشع إذا قام بين يدي الله لا يتفرغ للعبث في الصلاة وأنه كما انتصب لله جسده في الظاهر فقد انتصب قلبه في الباطن وكما رمى ببصره في الظاهر حيث يقع من الخلقة فكذلك رمى ببصر قلبه إلى المقام الذي رتب له إن كان من أهل المرتبة ، وإلا ففي متعبده إن لم يكن من أهل المرتبة .

قال له قائل : وأين المراتب وأين التعبد ؟ قال : التعبد يقوى في مراتبهم من العرش على أصنافهم ، عسكر دون العرش وعسكر على العرش وعسكر في الملكوت والخاصة في ملك الملك بين يديه ، فأبصار قلوبهم هناك وأبصار وجوههم في مواقع الخلقة .

قيل له : وما مواقع الخلقة ؟ قال : إن العبد إذا قام على الخلقة ثم رمى ببصره على الخلقة فإنما يقع من الأرض بمكان لو خر ساجدا لوقعت جبهته على تلك البقعة التي لو كان قائما فرمى ببصره لم يَعْدُ تلك البقعة ولم يقصر [٢/ ١١٤/ ب] عنها وإذا ركع فرمى ببصره على الخلقة فإنما يقع على موضع القدمين ، وإذا سجد فرمى ببصره فإنما يقع على موضع الصدر ، وإذا قعد للتشهد فرمى ببصره فإنما يقع على دائر ركبتيه وطرف فخذيه ، فهذا كله رمى بالبصر حيث وقع ليس فيه تكلف ولا استعمال للبصر وإنما الاستعمال في وقت النظر فهذا رَميٌ خرج من سلطان البصر وليس بناظرة القلب رام ببصره حيث وصفنا من العلى في مراتبهم ، مراتب الأولياء والصديقين ، ومن لم يكن من أهل المراتب في متعبده ، والمتعبد هو بيت العزة حيث استقر القرآن في وقت نزوله جملة في شهر رمضان في السماء الدنيا ، فذاك محل التعبد ، فمنها قبلوا القرآن لما فيه من العبودة علم العباد هذه الصفة ولم يعلم ، فإنهم داخلون في هذا الباب كما نجد المسلمين كلهم قد دخلوا في الميثاق يوم استخرجهم من الأصلاب علموا أو لم يعلموا ، فإنما يحشرون وتجزئ أرواحهم وعقولهم بتلك الأشياء التي مرت وسيقت .

فوجدنا الصلاة ثلاث مراتب عليه رتب أهل الصلاة ، وقد ذكرهم الله في تنزيله جل جلاله : محافظون ومداومون وخاشعون ، فقال : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾

﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴾ [المعارج : ٢٣] فوعدهم عليها الكرامة في الجنة فقال : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٖ مُّكۡرَمُونَ ﴾ [المعارج : ٣٥] وقال : ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ * ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ﴾ [المؤمنون : ١-٢] فوعدهم على ذلك الفلاح ، فالفلاح اسم ينتظم الكرامة والترقي في الدرجات ، والأخذ من الجنة بغير حساب ، والأثرة في دار الله .

فالمحافظة على الوقت والمداومة على استعمال الأركان بحدودها في الصلاة هو أن لا يلتفت في وقت الإنصات ولا يتمايل ، ويسكن الجوارح ، ولا يستعمل منه شيئا إلا بضرورة وعلة ، من مثل التراوح على إحدى القدمين ، ومثل حك شيء من جسده ، مثل ذباب مؤذ أو بعوضة تشغله عن الصلاة ، فتلك ضرورة ، أو بزاق أو مخاط ، فهذه كلها علل يعذر فيها .

فإذا ركع سوى ظهره ركوعه فيكون مقدمه كمؤخره ، وإذا سجد خوى وجمى ، والتخوية لإعطاء كل مفصل وعضو حظه من الانتكاس للسجود ، والتجمية توفية للانبساط ليكون كهيئة الساجدين لا كهيئة المنبطحين على الأرض ببطونهم وصدورهم ، فإن تلك ضجعة أهل النار على وجوههم ، فإذا جمى توقى تلك الهيئة وتلك الصورة ، وإذا خوى أراد تركيب السجود بعضا على بعض ، فإنما سمي سجودا لتركيب الأعضاء بعضها بعضا .

وإذا رفع رأسه لم يعد إلى السجدة الأخرى حتى يستوي ويرجع كل عضو إلى مكانه ، فذلك إتمام الركوع والسجود ، وإذا قعد جثى على ركبتيه وانتصب اليمنى منه وافترش اليسرى [٢/ ١١٥/أ] معتمدا بجلسته عليه .

فالمداومة على الصلاة ما وصفنا ، وإنما الخشوع فهو على القلب ، ومن عنده يبتغى ، فإذا لم يكن هناك فليس ذلك بخشوع إنما هو مداومة ، فالمحافظة من الخشية والمداومة من الخوف ، والخشعة من التجلي ، فإذا خشي القلب حافظ وإذا خاف داوم وإذا خشع فالأركان مستعملة في القبضة .

ثم تتحول أصناف الخشعة على اختلاف صور الأفعال فيها ، فأولها خشعة في صورة الأسر ، ثم بعدها خشعة الخدم ، ثم من بعدها خشعة التعلق ، ثم من بعدها خشعة العبودة ، ثم من بعدها خشعة الرقي ، ثم من بعدها خشعة الحمد ، ثم من بعدها خشعة الخضوع والملق مع الأمل .

ويتشهد في جلسته لأنه قد جعل الإخبات السبيل إلى ذلك فقال في تنزيله : ﴿ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر : ٦٠].

١٣١١ـ **حدثنا** محمد بن بشار ثنا معاذ بن معاذ وسهل بن يوسف وابن أبي عدي ، قالوا : ثنا شعبة عن عبد ربه بن سعيد عن أنس بن أبي أنس عن عبد الله بن نافع ابن العمياء عن عبيد الله بن الحارث عن المطلب بن أبي وداعة عن رسول الله ﷺ قال : " الصلاة مثنى مثنى وتشهد في كل ركعتين وتبأس وتمسكن وتقنع بيديك وتقول : اللهم اللهم ، فمن لم يفعل ذلك فهو خداج .

١٣١٢ـ **حدثنا** محمد بن حسين ثنا نعمان بن بشير عن ابن المبارك أنبأنا الليث بن سعد قال : أخبرني عبد ربه بن سعيد عن عمران بن أبي أنس عن عبد الله بن نافع عن ربيعة بن الحارث عن الفضل بن العباس قال : قال رسول الله ﷺ : " الصلاة مثنى مثنى ، ثم تقنع بيدك ، يقول : ترفعها إلى ربك مستقبلا ببطونها وجهك وتقول : يا رب يا رب ، فمن لم يفعل ذلك فهي خداج " .

قال أبو عبد الله :

فقوله : تبأس ، مأخوذ من البؤس ، وهو أن تفتقر إلى ربك افتقار من كان ترابا فخلق بشرا ، والتبؤس والتخشع قريب أحدهما من الآخر .

الأصل الثامن والأربعون والمائتان

١٣١٣ـ **حدثنا** قتيبة بن سعيد ثنا الفضل بن فضالة المصري عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة رضي الله عنها " أن رسول الله ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيها فقرأ فيها : قل هو الله أحد ، وقل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس ، ويمسح بهما ما استطاع من جسده ، ويبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده ، يفعل ذلك ثلاث مرات " .

١٣١٤ـ **حدثنا** قتيبة عن مالك بن أنس . وحدثنا يحيى بن الأحمر الطائي قال : أملاه علينا مالك بالرقة مع ولد المهدي ، عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة رضي الله عنها " أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى قرأ على نفسه بالمعوذات وينفث ، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح بيده رجاء بركتهما " .

١٣١٥ـ **حدثنا** أبي رحمه الله [٢/ ١١٥/ ب] ثنا الحماني ثنا سليمان بن بلال عن يونس عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت : " كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه نفث في كفيه بقل هو الله أحد والمعوذتين ثم يمسح بهما وجهه وعضده وصدره ، حيثما بلغت من جسده ، فلما اشتكى أمرني أن أفعل ذلك ، فكنت أقول : أعطني كفيك أمسح بهما رجاء بركتهما " .

قال يونس : فكنت أرى ابن شهاب يفعل ذلك إذا أوى إلى فراشه .

١٣١٦ـ **حدثنا** سفيان بن وكيع ثنا أبو عاصم عن ابن جريج عن زياد بن سعد أن ابن شهاب حدثه عن عروة عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : كان رسول الله ﷺ إذا اشتكى نفث على نفسه بالمعوذات فمسح بيديه ، فلما اشتكى وجعه الذي قبض فيه طفقت أنفث عليه بالمعوذات وأمسح عليه بيد رسول الله ﷺ .

قال أبو عبد الله :

ففي حديث عقيل يخبر أنه بدأ فنفث فقرأ ، فإنما دل على أن النفث قبل القراءة ، وفي حديث مالك بدأ بذكر القراءة ثم النفث ، وفي حديث يونس بدأ بذكر النفث بلا قراءة ، قال : نفث بقل هو الله أحد ، فلا يكون هذا النفث إلا بعد القراءة ، وإذا فعل الشيء بشيء كان ذلك الشيء مقدما حتى يأتي الشيء الثاني ، فقال في حديث

يونس : نفث بقل هو الله أحد ، يدل أن القراءة مقدمة ، ثم نفث ببركته ، لأنه يبتغى من قراءة هذه الأشياء أن يصل إلى الجسد نورها وبركتها ، ولا يقدر على الإيصال بمثل هذا ، وذلك أن العبد إذا قرأها استنار صدره بنور هذا الكلام الذي يتلوه ، كل قارئ على قدره ، فإذا نفث فإنما ينفث من الصدر ، والنفث من الروح والنفخ من النفس ، وعلامة ذلك أن الروح باردة والنفس حارة ، فإذا قال : تف ، خرجت الريح باردة ، فذاك من برد الروح ، وإذا قال : ها ، خرجت الريح حارة ، فتلك من النفس ، فالأولى نفثة وهذه الثانية نفخة ، وإنما صار هكذا لأن الروح مسكنها في الرأس ثم هي منفشية في جميع الجسد ، والنفس مسكنها في البطن ثم هي منفشية في جميع الجسد ، وفي كل واحدة منهما حياة بهما يستعملان الجسد بالحركات ، والروح سماوية والنفس أرضية والروح عادتها الطاعة والنفس عادتها الشهوات ، فإذا ختم شفتيه اعتصرت الروح في مسكنها ، فإذا قصد . . . [(١)] لها خرجت على شفتيه مع البرد فذاك النفث ، وإذا فتح فاه اعتصرت النفس ، فإذا أرسلت خرجت ريح حارة ، فإنما جاء الحر بالنفث لأن الروح أسرع نهوضا إلى نور تلك الكلمات إذا تلاها العبد ، وأوفر حملا من النفس ، والنفس ثقيلة بطيئة عاجزة ، فأدى الروح إلى الكفين يذهب النفث ويجاهد ، [٢/١١٦/أ] قد باشرت أنوار الصدر التي أنارتها تلك الكلمات واسقبلتها بما جاء به من المزيد ، فإن في كل كلمة منها نور ، وفي كل حرف من تلك الكلمة نور ، فإذا صارت الريح إلى الكفين بالنفث مسح بهما وجهه وما أقبل من جسده ثم بعد ذلك حيث ما بلغ من جسده؛ لأن الحق للوجه لأن الصورة فيه ، ثم الحق من بعد ذلك لما أقبل من جسده لأن قبالة المؤمن حيث ما كان فهو لقبالة الله ، وكذلك قلبه في الباطن فالحق له في النفث أن يبدأ بالوجه وبما أقبل من جسده ، وتفاوت النفاثات من أجلها على قدر نور قلوبهم وعلمهم بتلك الكلمات ، فإذا فعل ذلك بجسده عند إيوائه إلى فراشه كان كمن اغتسل بأطهر ماء وأطيبه فما ظنك بمن يغتسل بأنوار كلمات الله تعالى وكان ذلك أيضا كثوب نفض من غباره وخلص من شوكه وتباعد من الزهومات فعاد طريا طيبا فخرجت نفسه

---

(١) كلمة لم أستظهر قراءتها .

إلى الله في منامه كذلك ، هذا سوى الاستغفار والتوبة والتسبيح والدعاء ، فالذي أشار رسول الله ﷺ للأمة عند منامهم فإنما اختار هذه القُلَاتِ الثلاث لأن في إحداهن مدحة الله تعالى ونعته فبه يطهر ويتنزه ويطيب ، وبالمعوذتين يتخلص من الشرك والعلائق لأن على ابن آدم عدوًا من عظيمي المؤنة : النفس والشيطان يأتيان بالشك والشرك في اليقظة ويأتيان بالعين الحاسدة التي تهدم أركان النعمة ، فلذلك قال رسول الله ﷺ : " العين حق وأكثر من يموت من أمتي بعد قضاء الله بالنفس " ، وإنما صار هكذا لأن هذه الأمة أيدت باليقين وفضلت به وطريقهم إلى الله تعالى واسعة فطولبوا بما فضلوا أن ينسبوا كل شيء يستحسنونه إلى خالقه ويبركوا فيقولوا : تبارك الله ، فإذا تركوا ذلك إعجابا بذلك الشيء تهافت ذلك الشيء وذهب حسنه وهلك ، ولذلك قال رسول ﷺ حيث سبقت ناقة الأعرابي ناقة رسول الله ﷺ حيث استبقا فقال : " حق على الله ألا يرفع الناس أعينهم إلى شيء إلا وضعه الله " ، وإنما ذم رسول الله ﷺ تلك العيون الغافلة عن الله تعالى وقد أمر الله نبيه ﷺ أن يتعوذ من شر تلك العيون فسماها حاسدة فقال : ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ [الفلق : ٥] فإنما سمي حاسدا لأنه يحصد الأشياء حصدا ويستأصلها بسوء نظرته الفاجرة عن الله تعالى ، والسين والصاد يعتقبان يجزئ أحدهما عن الآخر كقولك صراط وسراط .

قال له قائل : فإن كان هذا الناظر بغفلته هو الجاني فما بال المنظور إليه حيث لحقته العقوبة ؟ قيل : ليس ذا عقوبة ولكن هذا [٢/١١٦/ب] تدبير الله تعالى في عباده ، ألا ترى أن الساحر يسحر بأجرة فيخلص الضرر إلى من سحره حتى يعالج ، وكذلك فعل برسول الله ﷺ حيث أنزلت عليه المعوذتان فكان جبريل عليه السلام يقرأ كل آية ويحل عقدة وذلك قوله تعالى : ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴾[الفلق : ٤] فالساحر يعقد وينفث فيؤخذ بها أعضاء من يقصده بذلك ، فكذلك هذا يخلص إليه ضرر نظرته المشوبة بالإعجاب حتى يأخذه .

عدنا إلى حديث يونس عن الزهري ، قلنا : فمن اتخذ هذا الفعل عندما يأوي إلى فراشه عادة رأى النفع الظاهر في جسده وسائر أموره لأن النفس تعرج إلى الله في منامها مع البركة والطهارة والنزاهة والتخلص من الشرك بقراءة ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص : ١]

فتسجد تحت العرش ، وهي بهذه الصفة قد اغتسلت بهذه الأشياء فتنال من حب الله وكرامته ما ترجع إلى الجسد بالخير الكثير والمزيد الشافي ، وإذا عرجت إلى الله تعالى بغير هذه الصفة سجدت وهي خالية عن هذه الأشياء فينال من الحب والكرامة على قدره نوره .

١٣١٧ـ حدثنا قتيبة بن سعيد ثنا ابن لهيعة ، عن واهب بن عبد الله العامري ، عن عبد الله[(١)] بن عمرو رضي الله عنهما قال : تعرج الأرواح إلى الله في منامها ، فما كان طاهرا سجد تحت العرش ، وما لم يكن طاهرا سجد قاصيا ؛ فلذلك يستحب أن لا ينام الرجل إلا وهو طاهر ، فإنما ذكر عبد الله بن عمرو في حديثه الأرواح وإنما هي النفوس وقد يسمى الشيء باسم قرينه كما قيل : قلب وفؤاد ، فالقلب ما بطن والفؤاد ما ظهر وفيه العينان والأذنان ، فالخروج من منامها للنفوس وذلك قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [الزمر : ٤٢] .

١٣١٨ـ حدثنا عمر بن أبي عمر ، ثنا عبد الغفار بن داود ، عن ابن لهيعة ، عن عثمان بن نعيم ، عن أبي عثمان الأصبحي ، عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : إن النفوس تعرج إلى الله تعالى في منامها فما كان طاهرا سجد تحت العرش وما كان غير طاهر تباعد في سجوده ، وما كان جنبا لم يؤذن لها في السجود ، فإذا كان بطهارة الوضوء ينال القربة تحت العرش حتى يسجد هناك ، فكيف إذا أتى بطهارة وتوضأ ونزه وطاب وطهر بأنوار كلام الله تعالى الذي يتردد في صدره ونفث منها على جسده ، إن هذه لسجدة لها عند الله حظ عظيم .

---

(١) بالأصل " عبيد الله " والمثبت من التهذيب .

الأصل التاسع والأربعون والمائتان

١٣١٩- حدثنا سليمان بن منصور الذهبي ، ثنا أبو حفص العبدي ، عن أبان ، عن شهر بن حوشب ، عن أم الدرداء ، عن أبي الدرداء رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : " إن العبد ليبلغ بحسن خلقه درجة الصوم والصلاة " . [٢/١١٧/أ]

قال أبو عبد الله :

فدرجة الصوم درجة الصابرين ودرجة الصلاة درجة الشاكرين ثم إذا وصل العبد إلى درجة الشاكرين والصابرين فقد جمع الإيمان كله ، وذلك قول رسول الله ﷺ : " الإيمان نصفان نصف للشكر ونصف للصبر " ، وإذا جمع العبد الإيمان كله انقطع بقوة هذا الإيمان إلى الله تعالى ، وإذا انقطع إلى الله تعالى نجا من شرور النفس وخدعها وأمانيها وصار في معاذ الله من وساوسها .

وروي عن عمران بن حصين ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : " من انقطع إلى الله كفاه مؤنته ورزقه من حيث لا يحتسب " ،

وبذلك أمر الله تعالى نبيه ﷺ فقال : ﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا * رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴾ [المزمل : ٨ - ٩] .

فالتبتل الانقطاع إليه ، ثم أمره أن يتخذه وكيلا ، فمن تمسك بهذه الآية عاش حرا كريما ومات حرا كريما ولقي الله تعالى عبدا صافيا خالصا .

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال في حديث الرؤيا : " ورأيت رجلا من أمتي بينه وبين الله حجاب فجاءه حسن خلقه فأدخله على الله تعالى " .

فهذا يحقق ما قلنا بدءا : إن حسن الخلق يؤديه إلى الله انقطاعا عن النفس وفتنتها ، وحسن الخلق على ثلاث منازل أول منزلة منها أن يحسن خلقه مع أمره ونهيه فيأتمر بأمره وينتهي عن مناهيه ، فإذا أحكم هذا تخطى إلى المنزلة الثانية وهو أن يحسن خلقه مع جميع خلقه على سبيل المساعدة والمقاربة والمساهلة واللين والرفق والمواتاة والتداري ومعاشرة الجميل ، فإذا أحكم هذا ، تخطى إلى المنزلة الثالثة وهو أن يحسن خلقه مع تدبير الله تعالى في كل أموره فلا يريد إلا ما يريد الله ولا يشاء إلا ما يشاء الله ، فعينه مادة إلى ما يبرز له ساعة فساعة من حجاب الملكوت من

تلك الغيوب من تدبيره فيتلقاه مهتنئا راضيا وقد ائتمن الله على نفسه وأحوالها ، فهذا قد استكمل حسن الخلق واستراح قلبه واطمأنت نفسه واستقامت جوارحه وألقى بيديه إلى الله سلما ووجدته كافيا كريما حسيبا مولى وناصرا فنعم المولى ونعم النصير ، فإذا قال حينئذ : حسبي الله ، صدقه على عرشه ، وإذا قال : كفى بالله وكيلا ، كفاه الله ، وإذا توكل على الله هيأ له وإذا اتكل على كرمه وفى له بما هو سأله ولو كان طي الأرض والمشي في الهواء ولو سأله يوم القيامة أمة لشفعه فيهم وكان مسكنه في أعلى الجنان ، يحقق ذلك :

١٣٢٠- **ما حدثنا** به أبي رحمه الله ، ثنا أبو نعيم ، ثنا سلمة بن وردان ، أن الكتاني قال : سمعت أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ : " من ترك الكذب وهو باطل [٢/ ١١٧/ ب] بني له في ربض الجنة ، ومن ترك المراء وهو محق بني له في وسطها ، ومن حسن خلقه بني له في أعلاها " ، فالذي قاله رسول الله ﷺ في حديث أبي الدرداء رضي الله عنه : " إن العبد ليبلغ بحسن خلقه درجة الصائم القائم " ، هو عندنا درجة المعاشرة مع خلقه مع الائتمار بأمره والتناهي عما نهى عنه ، فهذا عبد ترك من حسن الخلق درجتين فصار كمن صام نهاره وقام ليله فهو صابر شاكر ، وإنما بقيت الدرجة العليا فتلك درجة المقربين خاصة الله تعالى .

الأصل الخمسون والمائتان

١٣٢١ـ حدثنا محمد بن إسماعيل بن سمرة الأحمسي ، ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي ، ثنا إسماعيل بن إبراهيم الصائغ ، ثنا أبو سفيان ، عن سالم ، عن الحسن ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " من مرض ليلة فصبر ورضي بها عن الله خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه " .

قال أبو عبد الله :

جاد العبد بنفسه على الله ليلة واحدة فجاد الله عليه بمغفرة طهرته من جميع الذنوب فصار كمن لم يذنب ، فهكذا شأن الكريم مع المؤمنين ، هذا فيمن جاد عليه بنفسه في ليلة واحدة فكيف بمن جاد عليه بنفسه في جميع عمره بماذا يجود عليه؟ يجود عليه غدا بوجهه الكريم حتى يصير بالصفة التي ذكرها في تنزيله عندما ذكر لظى نعوذ بالله منها : ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى * ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴾ [الليل : ١٧ - ١٨] فوصفه الله في جانب وبمعزل من النار ، ثم سماه الأتقى ثم وَسَمَهُ بالزكاة وهو الامتلاء والاجتناء ثم ذكر صفاءه وإخلاصه ثم أنبأ عن ستره ماذا يبتغي بعمله فقال الابتغاء هو : ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ * إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [الليل : ١٩ - ٢٠] أي : ابتغى بهذا التقوى والصفاء والإخلاص أن يلقى وجهه الكريم قلبا ويلقى غدا في الموقف رؤية ويلقاه في الفردوس رؤية الحنان نظرا وبهجة وسرورا ولذة ، ثم ختمه بقوله : ﴿ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴾ [الليل : ٢١] أي يعطى حتى يرضى وإنما يعطي ما يعقل العبد ثم بين وراء ذلك ما لم يعقله .

١٣٢٢ـ حدثنا الجارود بن معاذ ، ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر ابن عبد الله أظنه رفعه قال : يقول الله تعالى : يا أهل الجنان بقي لكم شيء لم تنالوه ، فيقولون : وما هو يا ربنا ؟ فيقول : رضواني .

قال أبو عبد الله :

آخر ما ينال أهل الجنة لا شيء أكبر منه ذكر الله جنات عدن في تنزيله ثم قال : ﴿ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ [التوبة : ٧٢] ، فكل عبد من أهل الجنة حظه من الرضوان هناك فيها على قدر جوده بنفسه على الله في الدنيا ، ألا ترى إلى أصحاب رسول الله ﷺ يوم الحديبية حيث بايعوا رسول الله ﷺ على الموت حتى قال جابر

ابن عبد الله رضي الله عنهما : بايعناه على أن لا نفر ، فسم قوله : " بايعناه على الموت " ، وكانت البيعة تحت الشجرة في ذلك الوادي فأنزل الله تعالى : ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ [٢/ ١١٨/ أ] إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ ﴾ [الفتح : ١٨] إلي آخره .

فأوجب لهم الرضاء في بذلة واحدة بذلوا نفوسهم لله مع رسول الله ﷺ ، فكيف بمن بذل نفسه في جميع عمره لله؟ فمن أوجب الله له الرضا عنه في دار الدنيا فحظه في الجنة الرضوان كله .

الأصل الحادي والخمسون والمائتان

١٣٢٣ـ **حدثنا** عمر بن أبي عمر العبدي ، ثنا إبراهيم بن موسى الفراء ، عن هشام بن يوسف قاضي صنعاء ، عن عبد الله بن بجير ، عن هانئ البربري مولى عثمان بن عفان ، عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا دفن ميتا وقف وسأل له التثبيت ، وكان يقول : " ما يستقبل المؤمن من هول الآخرة إلا والقبر أفظع منه " .

قال أبو عبد الله رحمه الله :

فالوقوف على القبر وسؤال التثبيت للمؤمن في وقت دفنه مدد للميت بعد الصلاة لأن الصلاة بجماعة المؤمنين كالعسكر له قد اجتمعوا بباب الملك فيشفعون له ، والوقوف على القبر لسؤال التثبيت مدد العسكر ، وتلك ساعة شغل المؤمن لأنه يستقبله هول المطلع ، وسؤال وفتنة فتاني القبر منكر ونكير فإنما سميا فتاني القبر لأن في سؤالهما انتهارًا وفي خلقهما صعوبة ، ألا ترى أنهما سميا منكرا ونكيرا فإنما سُمِّيَا بذلك لأن خلقهما لا يشبه خلق الآدميين ولا خلق الملائكة ولا خلق طير ولا خلق البهائم ولا خلق الهوام بل هما خلق بديع وليس في خلقهما أنس للناظرين إليهما جعلهما الله تعالى مكرمة للمؤمنين لتثبيت وتبصرة ، وهتكا لستر المنافق في البرزخ من قبل أن يبعث حتى يحل عليه العذاب ، وإنما صارت مكرمة للمؤمن لأن العدو لم ينقطع طمعه بعد فهو يتخلل السبيل إلى أن يجده في البرزخ ، ومما يحقق ذلك :

١٣٢٤ـ **ما حدثنا** به صالح بن محمد ، عن حماد بن عبد الرحمن ، ثنا إدريس بن صبيح الأودي ، عن سعيد بن المسيب رضي الله عنه قال : حضرت عبد الله بن عمر في جنازة فلما وضعها في اللحد قال : بسم الله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله ، فلما أخذ في تسوية اللحد قال : اللهم أجره من الشيطان ومن عذاب القبر ومن عذاب النار ، فلما سوى الكثيب عليه قام جانب القبر ثم قال : اللهم جاف الأرض عن جبينها وصعد روحها ولقها منك رضوانا ، فقلت لابن عمر : أشيئا سمعته من رسول الله ﷺ أم شيئا قلته من رأيك؟ قال : إني إذًا لقادر على القول ، بل سمعته من رسول الله ﷺ .

١٣٢٥ـ **حدثنا** أبي رحمه الله ، ثنا الفضل بن دكين ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن عمرو

ابن مرة قال : كانوا يستحبون إذا وضع الميت في اللحد أن يقال : اللهم أعذه من الشيطان الرجيم[١] ، فإنما كانوا يتخوفون من فتنة الفتانين من قبل العدو وأنه يشبه على من كان في قلبه زيغ أيام الحياة .

وروي عن سفيان الثوري أنه قال : إذا سئل الميت : من ربك تراءى له الشيطان في صورة فيشير إلى نفسه أي : أنا ربك ، فهذه [٢/١١٨/ب] فتنة عظيمة جعلها الله مكرمة للمؤمن إذا ثبته ولقنه الجواب ، فلذلك كان رسول الله ﷺ يدعو بالثبات يقول : " اللهم ثبت عند المساءلة منطقه وافتح أبواب السماء لروحه " ، فلو لم يكن للشيطان هناك سبيل ما كان ليدعو له رسول الله ﷺ بأن يجيره من الشيطان .

فهذا يحقق ما روي عن سفيان ، وإنما سؤال الميت في هذه الأمة خاصة لأن الأمم قبلنا كانت الرسل تأتيهم بالرسالة فإذا أبوا كفت الرسل وعزلوا وعوجلوا بالعذاب ، فلما بعث الله محمدا ﷺ بعثه بالرحمة وأمانا للخلق فقال : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ فأمسك عنهم العذاب وأعطى السيف حتى يدخل في الإسلام من دخل لمهابة السيف ثم يرسخ في قلبه ، فأمهلوا ، فمن ههنا ظهر أمر النفاق فكانوا يسرون الكفر ويعلنون الإيمان فكانوا بين المسلمين في ستر ، فلما ماتوا قيض لهم فتانا القبر ليستخرج سرهم بالسؤال ، فروي في الحديث أنه إذا سئل عن الرسول ﷺ قال : لا أدري ، فيضرب بالمقامع فيقال له : لا دريت .

و﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [إبراهيم : ٢٧] شكر الله لعبده ما كان يضمر عليه لله من الصدق واليقين فثبته للجواب وخذل الآخر ليظهر سره فينهال عليه العذاب .

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : " كيف أنت يا عمر إذا أتاك في قبرك أسودان أزرقان يطآن الأرض بنعولهما ويحفران الأرض بأنيابهما أصواتهما كالرعد القاصف وأعينهما كالبرق الخاطف فيسألانك : من ربك ودينك ونبيك ؟ " ، فقال عمر : كيف عقلي يومئذ؟ قال : " كهيئة اليوم " ، قال : إذا أكفيكهما " فدل قول عمر رضي الله عنه أن الجواب من المؤمنين على قدر عقولهم التي كانت في الدنيا .

---

(١) ذكره الحافظ في الفتح (٢/٣١٩) وقال : إسناده جيد .

١٣٢٦ـ حدثنا محمد بن زنبور المكي ، ثنا أبو بكر بن عياش ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " هذه الأمة تبتلى في قبورها " .

وأما قوله : " ما يستقبل المؤمن من هول الآخرة إلا والقبر أفظع منه " ، فهذا للمؤمن خاصة ، وأما الكافر فما يستقبله من شيء إلا وهو أفظع مما مضى لأن المؤمن كلما قرب من ربه تيسر عليه الأمر وكان أقرب إلى الرحمة فإنما يحاسب المؤمن في القبر ليكون أهون عليه غدا إذا وقف بين يديه؛ لأن الله تعالى أنزل عبده المؤمن من نفسه أنه يستحيي منه وأنه أوجب له محبته ورحمته ورأفته ، فإذا كانت هذه منزلته منه ثم كان من العبد جفاء وانتهاك شيء حرمه الله أو اغترار بقول العدو ويستوجب بذلك العقوبة ليرضى الحق أناله ذلك وهو بعد في البرزخ حتى يمحصه ليخرج من القبر وقد اقتص منه وأرضى الحق .

١٣٢٧ـ حدثنا صالح بن عبد الله ، ثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة(١) ، عن مجالد(٢) ، عن محمد بن المنتشر ، عن ربعي بن حراش ، عن حذيفة رضي الله عنه قال : " في القبر حساب [٢/ ١١٩/ أ] وفي الآخرة حساب ، فمن حوسب في القبر نجا ، ومن حوسب في القيامة عذب " ولذلك ما روي عن رسول الله ﷺ : أن أهل التوحيد الذين تأخذهم النار يميتهم الله إماتة حتى تحرق النار منهم ما تحرق ثم يحييهم فينجيهم .

١٣٢٨ـ حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد ، عن أبيه ، عن سليمان التيمي ، عن أبي نصر ، عن أبي سعيد رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ بذلك ، فلا نعلم للإماتة سببا أكشف عن المعنى من الذي ذكرنا أن الله تعالى بعدما أوجب لعبده محبته ورأفته ورحمته وبذلك جعله أهلا للكلمة العليا لا إله إلا الله ، وكان ممن دخل اسمه في الآية في التنزيل حيث يقول : ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ﴾ [الفتح : ٢٦] ثم قال : ﴿وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ ، فمن دخل اسمه في هذا المديح وفي مثل هذه المرتبة ثم حبسه في النار حقوق الله تعالى حتى يحترق منها ما يرضي الحق كان غير مدفوع أن الله عز وجل

---

(١) بالأصل " يحيى بن زكريا بن زائدة " والمثبت من التهذيب .

(٢) بالأصل " مجاهد " والمثبت من الحديث رقم (٧٢٤) .

يستحيي من العبد فيميته في تلك النار حتى يقضي للحق ما وجب له ويرضيه ، ثم إذا أحياه أنجاه ، ألا ترى إلى قول رسول الله ﷺ : " إن الله ليستحيي من عبده وأمته أن يشيبا في الإسلام شيبة فيعذبهما بالنار " ، وفي حديث آخر : " إن الله تعالى ليستحيي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفرا " .

الأصل الثاني والخمسون والمائتان

١٣٢٩ـ حدثنا أبي رحمه الله ثنا عبد الله بن نافع قال : حدثني ابن أبي فديك ، عن عبد الرحمن بن أبي عبد الله عن سعيد بن المسيب عن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه قال : خرج علينا رسول الله ﷺ ذات يوم ونحن في مسجد المدينة فقال : " إني رأيت البارحة عجبا ، رأيت رجلا من أمتي جاءه ملك الموت ليقبض روحه فجاءه بره بوالديه فرده عنه " .

قال أبو عبد الله :

فبر الوالدين شكر لأنه قال : ﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [لقمان : ١٤] ، فإذا برهما فقد شكرهما وقد قال في تنزيله : ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم : ٧] فإنما وجد العبد من ربه في وقت انفصاله من أمته العمر ، وقد كان في البطن حياة ولم يكن عمر ، فلما خرج أعطي العمر بمقدار ، فإذا وصل والديه ببر كان قد وصل الرحم الذي منه خرج والصلب الذي منه جرى وكان يفعله ذلك شاكرا فزيد من ذلك العمر الذي شكر من أجله فرد عنه ملك الموت ، يوهمك في هذا الحديث أن العباد إذا وصلوا أرحامهم زيد في أعمارهم لأنهم بالصلة صاروا شاكرين فشكر الله لهم ووفى لهم بما وعد في تنزيله فقال : ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم : ٧] فزاد في أعمارهم .

١٣٣٠ـ حدثنا أبي رحمه الله ، ثنا الفضل بن دكين ، عن سفيان ، عن عبد الله بن عيسى ، عن عبد الله بن أبي الجعد ، عن ثوبان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " لا يزيد في العمر إلا البر ولا يرد القضاء إلا الدعاء وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنب الذي يصيبه " . ورأيت رجلا من أمتي قد بسط [٢/ ١١٩/ ب] عليه عذاب القبر فجاءه وضوؤه فاستنقذه من ذلك .

قال أبو عبد الله :

فعذاب القبر من البول والنجاسات لذلك روي عن رسول الله ﷺ أن عامة عذاب القبر من البول والنميمة ، وإنما صار كذلك لأن البول من معدن إبليس من جوف الآدمي ، فإذا لم يتنزه العبد من ذلك دخل قبره بنجاسات العدو فعذب في القبر ، وعذاب المؤمنين في البرزخ وعذاب الكفار في القيامة .

١٣٣١ـ حدثنا عمر بن أبي عمر ، ثنا إبراهيم بن موسى الرازي عن هشام بن يوسف قاضي صنعاء ، عن عبد الله بن بجير ، عن هانئ البربري مولى عثمان بن عفان قال : سمعت عثمان بن عفان رضي الله عنه يقول : كان رسول الله ﷺ إذا دفن ميتا وقف عليه وسأل له التثبيت وكان يقول : " ما يستقبل المؤمن من هول الآخرة إلا والقبر أفظع منه " ، وإنما صار هذا هكذا لأن المؤمن في ستر الله ومن أحبابه فإذا قبض في الدنيا حوسب في القبر حتى يكون أهون عليه من أن يكون بين يدي الله محاسبة الله على ألسنة الملائكة كان يستحي من عبده المؤمن إذ كان في الأصل حبيبه أن يحاسبه بين يديه فقدم حسابه في البرزخ ويمحصه ليخرج من القبر إلى الله يوم القيامة طاهرا لم يبق للحق عليه دعوى .

١٣٣٢ـ حدثنا صالح بن عبد الله ، ثنا يحيى بن زكريا ، عن مجالد ، عن ربعي بن حراش ، عن حذيفة رضي الله عنه قال : في القبر حساب وفي الآخرة حساب ، ومن حوسب في القبر نجا ، ومن حوسب في الآخرة عذب ، فجعل الله هذا الماء طهرا يطهر النجاسات الدنياوية وأدناس الذنوب ، فإذا كان العبد مداوما على الوضوء فهو أبدا في إزالة الأدناس ونفض الغبار عن دينه ، فإذا كان يوم البرزخ وجاء العذاب عذاب الأدناس التي اكتسبها بالسيئات جاءه وضوؤه فاستنقذه من النار .

١٣٣٣ـ حدثنا عبيد الله بن يوسف الجبيري ، ثنا عمر بن عبد الرحمن الحراني ، ثنا عبد الحميد بن يزيد ، عن أميمة بنت عمر ، عن ميمونة رضي الله عنها أنها قالت : يا رسول الله أفتنا عن عذاب القبر ، قال : " من أثر البول ، فمن أصابه منه شيء فليغسله بماء ، فإن لم يصبه أو يجده فليمسحه بتراب طيب " .

قال أبو عبد الله :

فالغسل لما يعلمه ، فإذا خفي عليه أن يكون أصابه شيء وخاف من حيث لا يدري ، وأهابه ما جاء عن رسول الله ﷺ من شأن عذاب القبر دله على التيمم ، فإنما سألت ميمونة رضي الله عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الفُتيا في عذاب القبر عن الحيلة في الخلاص منه إن أصابه البول من حيث لا يعلم ، وقد جاء من التشديد ما جاء فرأى أن الجهل ضرورة وفقد الماء ضرورة وقد تفضل الله على عبيده عند فقد الماء بالتيمم وصيره كافيًا وطهرا ومزيلا للجنابة والأحداث عنه فرأى أن التيمم هاهنا في

حال الشك والتخوف أن يكون قد [٢/ ١٢٠/ أ] أصابه من حيث لا يعلم بول يكون كافيا مزيلا للنجاسة عنه لينجو من وبال عذاب القبر .

وما روي عن يونس بن بُكَيْر عن محمد بن إسحاق ، قال : حدثني معاذ بن رفاعة بن رافع ، قال : حدثني محمود بن عبد الرحمن بن عمرو بن الجموح ، عن جابر رضي الله عنهما قال : لما توفي سعد بن معاذ رضي الله عنه ووضع في حفرته سبح رسول الله ﷺ وسبح القوم ثم كبر وكبر القوم معه فقالوا : يا رسول الله لم سبحت؟ قال : هذا العبد الصالح لقد تضايق عليه قبره حتى فرجه الله عنه فسئل رسول الله ﷺ عن ذلك فقال : كان يقصر في بعض الطهور من البول .

قال أبو عبد الله :

فلما كان شأن عذاب القبر هكذا وقد قال عامة عذاب القبر من البول دلهم على التيمم لما لا يعلم على الاحتياط لذلك ولما يعلم علا .

ورأيت رجلا من أمتي احتوشته الشياطين فجاءه ذكر الله فخلصه من بينهم .

قال أبو عبد الله :

فالشيطان وجنوده قد أعطوا السبيل إلى فتنة الآدمي وتزيين ما في الأرض له طمعا في غوايتهم وقد قال : ﴿ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [الحجر : ٣٩ - ٤٠] فلو لم يجعل بيده شيء ما قدر على أن يزين ولكن قد أعطي سلطانا بتلك الزينة التي أعطيها حتى يوصلها إلى النفوس ويهيجها تهييجا يزعزع أركان البدن ويستفز القلب حتى يزعجه عن مستقره فلا يعتصم الآدمي بشيء أوثق ولا أحصن من الذكر لأنه إذا هاج الذكر من القلب هاجت الأنوار فاشتعل الصدر بنار الأنوار وهيج العدو من نفسه نار الشهوات بنفخه ونفثه ونار له أنوار تحرق نار الشهوات وتحرق العدو فإذا رأى العدو هيج الذكر من القلب ولى هاربا ويترك النفخ والنفث وخمدت نار الشهوة وامتلأ الصدر نورا فبطل كيده وذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴾ [الإسراء : ٤٦] .

وقال جل اسمه في تنزيله : ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۞ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴾ [الصافات : ٦ - ٧] وقال : ﴿ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ۞ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴾ [الحجر : ١٧ - ١٨] وقال : ﴿ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ

﴿فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾[الصافات : ١٠]
فهذه قصة السماء حرسها بشهب الكواكب ثم جعل صدور المؤمنين كذلك فجعل قلب المؤمنين خزانة لكنوز معرفته وجعل أعلام الكنوز في الصدر مرفوعة لعين الفؤاد حتى ترى عين الفؤاد حتى يتبع العلم فالأعلام زينة الصدر ومصابيحه فهؤلاء حراس السماء يحرسون أخبار السماء حتى لا يسترق العدو سمع ما في السماء فإذا دنوا للسمع رموا بشهب الكواكب وهؤلاء حراس الخزانة يحرسون كنوز المعرفة حتى لا يسترق العدو سمع ما في الصدور [٢/ ١٢٠/ب] من تراءى عين الفؤاد وتدبير ذات الصدر فإذا هاج الذكر فإنما يهيج من هذه الأعلام التي في الصدر من تلك الكنوز التي في القلب فاشتعل الصدر نورا ولكل شعلة حريق فإن تراءى العدو في ذلك الوقت أحرقته تلك الشعلة يرمي بشعاعها ويهرب العدو ويتخلص العبد فعلم العدو أن لله عبادا قد امتحنهم للتقوى واستخلصهم للكرامة واستثناهم فقال : ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ فإنما استخلصهم الله بالذكر فأصفاهم ذكرا وأطيبهم معدنا للذكر أقواهم على العدو والعدو أشد نفارا منهم .
ولذلك قال رسول الله ﷺ : إن الشيطان ليفر من حس عمر وما رأى الشيطان عمر إلا خر لوجهه ، وقال تعالى في تنزيله : ﴿ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾ [الناس : ٤] فإنما سماه خناسا لأنه إذا جاء الذكر انخنس وذهبت قوته وإن تعرض في ذلك الوقت احترق وما روي عن رسول الله ﷺ أن يحيى بن زكريا عليهما السلام آخر ما كان يأمر قومه بخمس خصال ويضرب لهم مثلا فكانت إحدى الخصال أن أمرهم بذكر الله وضرب لهم في ذلك مثلا فقال : رجل أتاه العدو من ناحية فقاتله وأتاه آخر من ناحية فقاتله وأتاه آخر من ناحية فلما رأى أنهم أتوه من النواحي دخل الحصن وأغلق بابه فاستقر آمنا في الحصن وبقي العدو خارجا .
فالعبد إذا قاتل الشيطان بنوع من أنواع البر جاءه من نوع آخر فإذا جاء الذكر هرب وتركه لأن للذكر نورا يحرق وليس لأعمال البر تلك القوة التي يحترق منها العدو .
ورأيت رجلا من أمتي قد احتوشته ملائكة العذاب فجاءته صلاته فاستنقذته من أيديهم .
قال أبو عبد الله :
فالعذاب إنما يقصد العبيد الأباق الذين ذهبوا وهربوا وتقربوا برقابهم من الله وأهل

الصلاة كلما أبقوا عادوا إلى الله في وقت كل صلاة فوقفوا بين يديه تائبين نادمين معتذرين مسلمين(١) نفوسهم مجددين لإسلامهم يقرضونه بالتكبير والتسبيح والتحميد والتهليل والركوع والسجود والرغبة والضرع إلى الله تعالى في التشهد فسقطت عنهم عيوب إباقهم وهربهم وزالت عنهم العقوبات التي استوجبوها .

ورأيت رجلا من أمتي يلهث عطشا كلما ورد حوضا منع فجاءه صيامه فسقاه وأرواه .

قال أبو عبد الله :

فهذا عبد اتبع هواه وأمعن في شهواته حتى بعد من الرحمة فإذا بعد القلب من الرحمة عطش وإذا عطش يبس وإذا يبس قسا ولذلك قال : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الزمر : ٢٢] وقال : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ [البقرة : ٧٤]

فبالرحمة يرطب القلب ويروى وببعده من الرحمة يعطش فأورثه [٢/ ١٢١/أ] عطش القلب عطش يوم القيامة حتى رآه النبي ﷺ في منامه في القيامة في تلك الحالة فإذا ترك العبد الهوى وامتنع من منهى الشهوات عادت الرحمة وقرب القلب منه وتوسع في سقياه فروي لأن برد الرحمة يسكن حرارة الشهوة التي تؤدي النفس إلى العطش والصيام هو ترك الشهوات والمنى ورفض الهوى ، وإنما جعل الحوض حوض الرسول ﷺ غياثا لأهل الموقف لأنهم يقومون عطاشا من قبورهم لأنهم دخلوها مع الهوى والشهوات لم يفارقوها إلا بمفارقة الروح وخروج النفس فخرجوا من الدنيا عطاشا فاحتاجوا إلى الحوض ، ومن خرج من الدنيا وقد فارق الهوى والشهوات فإنما يسكن عطشه وروي برحمة الله من قرب الله فدخل القبر ريان وخرج منه يوم القيامة إلى الله ريان من كل ماء عطشان إلى الله فأولئك الذين يسقون قبل دخول الجنة حتى يرووا من حيث عطشوا .

روي لنا عن مالك بن دينار أنه قال : ينادي مناد يوم القيامة أين أهل العطش؟ فأول من يقوم داود عليه السلام فيسقى على رؤوس الخلائق فذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴾ [ص : ٤٠] وإنما خص داود عليه السلام بالأولية لأن الخطيئة عطشته ، فهو وإن تاب وقبلت توبته وغفر الله له ذلك فذلك العطش باقٍ إلى ذلك اليوم .

---

(١) في الأصل " مسلمون " .

ورأيت رجلا من أمتي والنبيون قعود حلقا حلقا كلما دنا إلى حلقة طرد فجاءه اغتساله من الجنابة فأخذ بيده فأقعده إلى جنبي .

قال أبو عبد الله :

فالجنابة إنما سميت جنابة لأن الماء الذي جرى من صلبه قد كان جاور في الأصل مياه الأعداء في ظهر آدم عليه السلام فأصابته زهومة تلك المياه بجواره وممره من الصلب إلى مستقر العدو في الجوف ومستقره من المعدة إلى موضع الحدث هو كله معدنه وإذا خرج من العبد في يقظته أوجب غسلا وإذا خرج في منامه حلما أوجب غسلا ، وإذا أخرج منه عند خروج الروح منه يوم الموت أوجب غسلا بعد الموت ولذلك يغسل الميت ولا يصلى عليه حتى يغسل ، كما كان الحي لا يجزيه الصلاة إلا بعد الغسل والغسل تطهير من أثر العدو والجنب ممنوع من قراءة القرآن ومن أن يمسه بيده ومن أن يتخذ المساجد مجلسا لأن الطهارة مفقودة وآثار العدو موجودة فإذا كان هكذا فهو ممنوع من حلق النبيين عليهم السلام ومجالسهم في الموقف لأن حلقهم في الموقف على مراتب لا كحلق إبل الدنيا لمن انتابهم في حاجة فالرسل عليهم السلام مراتبهم معلومة في الموقف مقامهم وقعودهم ومن يخنو لهم والأنبياء دونهم والأولياء دونهم كل صنف على مرتبته فهذا الجنب لو لم يكن يغتسل في الدنيا لمنعه فقد طهارته عنهم فلما اغتسل في [٢/ ١٢١/ ب] الدنيا صارت منزلته بطهارته بحيث صلح وجاز أن يقعد إلى سيد الرسل ﷺ بالطهارة وجد السبيل إلى ذلك وإنما وجد السبيل إلى رسولنا ﷺ من الرسل لأن أصل الجنابة من الفرج وجد المغتسل السبيل إلى أصل الفرج وهو محمد ﷺ .

ورأيت رجلا من أمتي من بين يديه ظلمة ومن خلفه ظلمة وعن يمينه ظلمة وعن شماله ظلمة ومن فوقه ظلمة ومن تحته ظلمة وهو متحير فيها فجاءه حجه وعمرته فاستخرجاه من الظلمة وأدخلاه النور .

قال أبو عبد الله رحمه الله :

قد وعد الله تعالى في تنزيله في شأن الحج حط الآثام عنه فقال : ﴿ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ [البقرة : ٢٠٣] : أي يرجع مغفورا له قد سقط عنه الآثام فتلك الظلمات كانت آثام العبد فإذا قضى حجه وفى الله له بما وعد ،

وأما العمرة فإن رسول الله ﷺ روي عنه أنه قال : العمرة الحج الأصغر؛ .

ورأيت رجلا من أمتي يكلم الناس ولا يكلمونه فجاءته صلة الرحم وقالت : يا معاشر المسلمين كلموه ، فكلموه .

قال أبو عبد الله :

فالرحم أصل المؤمنين كلهم فمن تمسك بصلته فقد أرضى المؤمنين كلهم ما بينه وبين آدم عليه السلام ومن تهيأ له صلة الرحم تهيأ له إرضاء المؤمنين كلهم ومن كان قاطعا للرحم أيس المؤمنون من خيره ، ولذلك ما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : إن الرحمة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم؛

قال : وإنما صار هكذا لأن الرحمة منقطعة عنه وهو في سخط الله وإن الله تعالى خلق الرحم بيده وشق لها اسما من اسمه فقال : أنا الرحمن وأنت الرحم خلقتك بيدي وشققت لك اسما من اسمي؛ ثم أرسل حواشي قميص الرحمة من العرش ليتعلق الخلق بها فمن وصل الرحم فقد تعلق بحاشية القميص ومن قطعها قصرت يده عن حاشية القميص فانقطع عن رحمة الله ولم يبق له إلا رحمة التوحيد فهذا الواصل للرحم كان رجلا قد عمل السيئات الكثيرة وضيع الحقوق فحسنت سيرته بهذه الخصلة الواحدة فلما وصل الرحم نالت يده حواشي القميص فتعلق بها فنال الرحمة فلما جاءته الصلة فأخبرت المؤمنين في القيامة كلموه معناه أنه دخل في رحمة الله التي يرحم بها المؤمنين فصاروا كلهم له بعد أن كانوا عليه .

ورأيت رجلا من أمتي يتقي وهج النار وشررها بيده عن وجهه فجاءته صدقته فصارت سترا على وجهه وظلا على رأسه .

قال أبو عبد الله رحمه الله :

فالصدقة إنما صارت سترا للمؤمنين من النار لأنه إذا تصدق فإنما يفدي نفسه ويفل غرامة جنايته روي عن رسول الله ﷺ أن يحيى بن زكريا عليهما السلام أمر قومه بالصدقة فضرب لها مثلا فقال : كمثل رجل قتل [٢/ ١٢٢/ أ] قتيلا ثم هرب فسأله أولياؤه أن يجعلوا دية القتيل عليه نجوما ففعلوا لوا فأداها نجما نجما ففك رقبته وصار إلى أهله مطمئنا ، فالنار إنما تطلب وجوه الجفاة في الموقف لتلفحها فإذا أدى الجاني غرمه صار الأداء سترا على الوجه وظلا على الرأس وهكذا شأن الفدية تأخذ

بالحذاء ومن فوق فتقيك بنفسها من كل ناحية .

ورأيت رجلا من أمتي قد أخذته الزبانية من كل مكان فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذاه من أيديهم وأدخلاه مع ملائكة الرحمة .

قال أبو عبد الله رحمه الله :

فالزبانية شُرط الملائكة والشرط لمن جاهر بالمعاصي من أهل الريب يلتمسونهم في الطرق والمسالك ليأخذوهم فمن استتر بستر الله وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو وإن استعمل أعمال أهل الريب بعد أن يكون مستورا لا ينتهك فالشرط في الدنيا منتهون عن أخذه غير ملتمسين أشباه هؤلاء لحرمة ذلك الستر فكذلك في الآخرة إذا طلبت الزبانية في عرصة القيامة أهل المجاهرة بالمعاصي فوقع هذا المستور في أيديهم نفعه ذلك النهي عن المنكر والأمر بالمعروف وكل من عمل المعاصي في الدنيا سرا لا يجاهر به فكائن منه أن ينهى عن المنكر إذا لقيه وإذا فعل ذلك كانت ملائكة الرحمة أحق به من ملائكة العذاب ومن استحقته ملائكة الرحمة من الموقف فقد نجا .

ورأيت رجلا من أمتي جاثيا على ركبتيه بينه وبين الله حجاب فجاءه حسن خلقه فأخذ بيده فأدخله على الله تعالى .

قال أبو عبد الله رحمه الله :

ينبئك في هذا القول أن العبد تحجبه ذنوبه عن الله في الدنيا قلبا وفي الموقف غدا بدنا وإن حسن الخلق منيحة من الله لعبده لأن الأخلاق في الخزائن فإذا أحب الله عبدا منحه خلقا منها ليدرّ عليه ذلك الخلق كرائم الأفعال ومحاسن الأمور فيظهر ذلك على جوارحه ليزداد العبد بذلك محبة توصله إليه في الدنيا قلبا وفي الآخرة بدنا وحب الله عبده يمحق الذنوب محقا ويتركه من آثامه عطلا وإذا أحب الله عبدا أهدى إليه خلقا من أخلاقه وإذا رحم الله عبدا أذن له في عمل من أعمال البر فهذه ثمرة الرحمة وتلك ثمرة المحبة .

ورأيت رجلا من أمتي قد هوت صحيفته من قبل شماله فجاءه خوفه من الله فأخذ صحيفته فجعلها في يمينه .

قال أبو عبد الله رحمه الله :

فأعظم الأهوال في القيامة في ثلاثة مواطن عند تطاير الصحف وعند الميزان وعند الصراط وذلك قول رسول الله ﷺ فيما روي عنه أنه قال :
لا يذكر أحد أحدا في هذه المواطن فإذا وقعت الصحيفة بيمينه أمن وبانت سعادته قال الله تعالى في تنزيله : ﴿ فَأَمَّا مَنْ [٢/ ١٢٢/ب] أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۞ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۞ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴾ [الانشقاق : ٧ - ٩] .
١٣٣٤ـ حدثنا يحيى بن حبيب بن عدي ثنا بشر بن المفضل عن عوف عن الحسن رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال :
" قال ربكم تبارك وتعالى : لن أجمع على عبدي خوفين ، ولن أجمع أمنين ، من أخفته في الدنيا أمنته في الآخرة "
فمن قاسى خوفه في الدنيا أوجب له الأمن يوم القيامة فإذا جاءه الهول عند تطاير الصحف جاءه ذلك الخوف فنفعه بأن جعل صحيفته في يمينه حتى يأمن .
ورأيت رجلا من أمتي قد خف ميزانه فجاءته أفراطه فثقلوا ميزانه .
قال أبو عبد الله :
فالأفراط أولاده الصغار الذين لم يبلغوا الحلم فإنما ثقل ميزانه لأنهم أطفال موحدون قدموا على ربهم بلا شرك ولا ذنب ، فدبر الله خلقهم من صلب موحد فبهم صار من أهل رحمة الله وإنما تثقل الموازين بالرحمة .
وقال في حديث آخر : من مات له ثلاثة أولاد لم يبلغوا الحلم أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم ؛ فهذا الولد إنما يدخل الجنة بما يفضل من رحمة الله هؤلاء الأطفال فكيف برحمته لهم فالحسنات تثقل الموازين وأهل الحسنات من رحمته بدا حتى ظهرت على العبد ، ومن أحسن الحسنات ذرية يخرجها الله من صلب موحد ثم يقبضهم لم يتدنسوا بمعصية ، فإذا العبد قد قدم طائفة من جده طاهرة لم تدنس فإذا وضع في الميزان ثقل .
ورأيت رجلا من أمتي قائما على شفير جهنم فجاءه وجله من الله فاستنقذه من ذلك ومضى .
قال أبو عبد الله :
الوجل هو في وقت انكشاف الغطاء لقلب المؤمن فإذا كان ذلك فتلك خشية العبد

فاقشعر جلده وإن جهنم حائلة بين العباد وبين الجنة حتى تضرب الجسور وتُهَيَّأ القناطر فعندها يستبين الصراط وهو الطريق لأهله فالخلق كلهم على شفير جهنم وقوف هائبون لها فوجل العباد يجعل لهم السبيل ليقطعوها لأن الخشية ثوابها المغفرة قال تعالى في تنزيله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ [الملك : ١٢] ، والمغفرة : نورها ساطع وهو نور الرأفة فإذا جاءت الرأفة وجل العبد قلبا وذهبت الحيرة وتشجعت النفس فمضت .

ورأيت رجلا من أمتي هوي في النار فجاءته دموعه التي بكى من خشية الله في الدنيا فاستخرجته من النار .

قال أبو عبد الله :

هذا عبد استوجب النار بعمله فأدركته رحمة الله ببكائه من الخشية فأنقذته لأن دمعة الخشية تطفئ بحورا من النيران .

ورأيت رجلا من أمتي قائما على الصراط يرعد كما ترعد السعفة فجاءه حسن ظنه بالله فسكن رعدته ومضى .

قال أبو عبد الله رحمه الله :

فحسن [٢/ ١٢٣/أ] الظن من المعرفة بالله وعظم أمل العبد ورجاؤه لربه من المعرفة فلم يضيع الله معرفة العبد لأنه هو الذي مَنَّ عليه بها فلم يرتجع في مَنِّهِ ووفى له بأن أعطاه حسن الظن به في الدنيا من تلك المعرفة الممنون بها عليه ثم حقق ظنه في ذلك الموقف أي كما عرفتني ثم ظننت من معرفتك بي أني أنجيك فلك النجاة والأمان فسكن رعدته .

ورأيت رجلا من أمتي يزحف أحيانا ويحبو أحيانا ويتعلق أحيانا فجاءته صلاته عليّ فأخذته وأقامته ومضى على الصراط .

قال أبو عبد الله رحمه الله :

الصلاة على الرسول ﷺ من العبد بنوة لأبيه يريد أن يرى أباه مقام الولد للأب ولذلك أمر الله العباد أن يصلوا عليه فذاك حق للرسول ﷺ يقضونها بمنزلة الأولاد يقضون حقوق آبائهم فإذا كان الولد هكذا فمن شأن الوالد أن يأخذ بيد الولد في وقت عثراته بمنزلة الطفل الذي إذا مشى تعثر في مشيته عجل إليه أبوه ويبادر حتى يأخذ بيده

فيقيمه فصارت صلوات العباد للرسول ﷺ بمنزلة ذلك الأب العطوف الذي كلما عثر الولد يبادر لعطفه فأخذ بيده فأقامه .

ورأيت رجلا من أمتي انتهى إلى أبواب الجنة فغلقت الأبواب دونه فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله ففتحت له الأبواب وأدخلته الجنة .

قال أبو عبد الله رحمه الله :

فهذه كلمة جعلت مفتاحا لأبواب الجنة وإنما غلقت دون هذا العبد كأنه جاء بمفتاح ليس له أسنان وقد نجد في دار الدنيا أن يجيء الرجل بمفتاح الباب وقد ضاع بعض أسنانه فلا يزال يردده ويحركه حتى يفتحه وإذا لم يكن بيده مفتاح لم يفتح فهذا عبد قد ضيع الأسنان فأغاثه الله بما جاء به ، وقد جاء عن رسول الله ﷺ إن المؤمنين يدعون من أبواب الجنة وإن أبوابها مقسومة على أعمال البر فباب للصلاة وباب للصيام وباب للصدقة وباب للحج وباب للجهاد وباب للأرحام وباب لمظالم العباد وهو آخرها فهذه سبعة أبواب مقسومة على أعمال العباد برا ، وكذلك أبواب النيران مقسومة على أعمال أهلها لكل باب منهم جزء مقسوم وباب للجنة زائد لأهل الشهادة يسمى باب التوبة فأري رسول الله ﷺ في منامه هذه الرؤيا ليعلم العباد قوة هذه الأفعال التي ذكرها من العبيد أيام الدنيا ماذا لكل نوع من هذه الأعمال من القوة هناك في الموقف وفي أي موطن ويؤيده ليعلم العبد أجناس هذه الأفعال ليكثر منها كي إذا استقبلته أهوال [٢/١٢٣/ب] القيامة وتارات الموقف نسأله عونها وقوتها والله سبحانه أعلم .

الأصل الثالث والخمسون والمائتان

١٣٣٥- حدثنا علي بن سعيد بن مسروق الكندي ثنا عيسى بن يونس عن عمر مولى غفرة قال : حدثني إبراهيم بن محمد من ولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : « كان رسول الله ﷺ إذا مشى تقلع كأنما يمشي من صبب » .

١٣٣٦- حدثنا سفيان بن وكيع أنبأنا جُمَيْع بن عمر العجلي ثنا رجل من بني تميم عن ولد أبي هالة عن ابن لأبي هالة عن الحسن بن علي عن خاله هند بن أبي هالة الكندي قال : « كان رسول الله ﷺ إذا مشى كأنما يتوكأ على شيء » .

قال أبو عبد الله :

فالمشي بالقلب ومن القلب تتأدى قوة المشي إلى الساقين ألا ترى أن القلب إذا فزع وارتاع وقع القائم وذهبت قوة رجلاه ، ألا ترى أن السكران إذا غاب ذهنه وعقله عن قلبه استرخت رجلاه فاختلفتا وربما يقع فإذا ثاب إليه عقله وذهنه قوي ذلك لتعلم أن قوة جميع الأركان بالقلب إذا كان العقل والذهن معه فكان قلب رسول الله ﷺ مشحونا بكنوز المعرفة كشحن السفينة إذا أثقلت حتى غابت في الماء إلى منطقتها ، وكانت كنوزه على صنفين عن اليمين أسرار الله وعن اليسار سمات الله ، فالرحمة مع الأسرار والحق مع السمات وحب الله له أمامه جؤجؤ السفينة وشوق الله شراع سفينته وفرحه به رياح الشراع ، فكان إذا مشى مالت به الصنفات(١) ، فمرة أثقال أسرار الله تميل به ، ومرة أثقال سمات الله تميل به ، فإذا استقر قائما على المنبر أو قاعدا في مجلس استقرت به أثقال الحب ، وإذا هبت رياح الأفراح وهاج الشوق قام إلى الصلاة فقرت عينه فذلك قوله " حببت إلي الصلاة وقيل لي خذ منها ما شئت وإن الله تعالى جعل قرة عيني في الصلاة " فأثقال الأسرار مطوية عن الخلق إلا عن أهل جذبة الله الذين أدرجهم بمحمد ﷺ وجعلهم قرة عينه فسار بهم على طريقه وجعل سقياهم من مشربه ومرعاهم من ملك الملك بين يديه على مائدته تلك ضيافة محمد ﷺ لقرة عينه في عرش الله وهو بدء الربوبية وبدء التدبير وتلك حكمة الله ولا

---

(١) هكذا استظهرت قراءتها .

يعدل السمات حشوها في الأمثال العليا والأسماء الحسنى فتلك حكمة الخلق والحق موكل بيده ، والرحمة العظمى منهضة بتلك فصار هذا القلب كسفينة موقرة من كنوز المعرفة مشحونة بعلم الله محفوفة بآلاء الله تجري في بحر غيب الله وهو بحر الذكر الذي من شرب منه شربة [٢/ ١٢٤/ أ] نسي نفسه ولم يلتفت إليها إلى يوم اللقاء ، وهبوب رياح أفراح الله قد هبت في شوق الله إلى عبده ورفعت السفينة بما فيها من الكنوز فميلانها مرة هكذا ومرة هكذا والحق يمسكها عن الانقلاب من جانب والرحمة تمسكها عن الانقلاب من جانبها والعدل على كوثل السفينة يستقيم بسيرها لمجدافها ومجدافها مشيئة الله تعالى ، فلولا المجداف لكان الشراع ورياحها تطير بها فتضرب بها صخرة حتى تنكسر وتغرق أو تقذف بها إلى جزيرة يابسة فتلقيها على الأرض لوحا لوحا ، ولكن المجداف الموكل به على كوثلته يستقيم بصدرها فالثبات من المشيئة يخرج إلى العبد فلولا الثبات من الله لعبده لرمى هبوب هذه الرياح بهذه السفينة وطار بها كل مطر حتى يصدم بها حيال البحر فتنكسر كالزجاجة قطعة قطعة وتذهب الكنوز في ذلك الماء غرقا ، ولكن ولي السفينة وكل بالسفينة في الأمواج وفي السواكن من البحر مجدافا وهو مشيئة الله ، ووضع المجداف في يدي العدل حتى يستقيم صدر السفينة فتبقى مستوية وما فيها مستقر فالحب غالب على الأشياء التي في قلب المؤمن فإذا قوي الحب وصار إلى حب الله له فناله من هناك فلولا الثبات من الله تعالى بالمشيئة لطار الحب به كل مطير ورمى به في واد قعير ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ۝ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ﴾ [الإسراء : ٧٤ - ٧٥] فانظر أي وعيد هذا فإنما هاج من رسول الله ﷺ ذلك الحب لله حتى حرصه على دخولهم في الإسلام وقبولهم ما جاء به فأجابوه إلى الدخول في الإسلام على شريطة أن لا يركعوا في صلاتهم وأن يتركهم حتى يتمتعوا باللات سنة ، فكان رسول الله ﷺ يكاد يحترق من الحب لله فيحرص على دخولهم في الإسلام وأن يوافقهم في أشياء مما يجوز على التداوي منه لهم فلما جاءوا بهذه الكلمة وهم ثقيف [و] أهل الطائف وجد رسول الله ﷺ من هذه الكلمة وجدا شديدا واشتعل نارا ودعا بوضوء كالمبرد حتى قال عمر رضي الله عنه : " أحرقتم رسول الله ﷺ أحرق الله أكبادكم " وإنما

احترق رسول الله ﷺ من أجل أنهم طمعوا فيه أن يجيبهم إلى ذلك لما رأوا من رفقه وعطفه ولينه وبشاشته وسروره بمجيئهم بعد أن كان قد حاصرهم شهرا فهال رسول الله ﷺ طمعهم فيه وخاف أن يكون قد أفرط في تعظيم مجيئهم وسروره بهم حتى دعا بماء فتوضأ وقال عمر رضي الله عنه : « أحرقتم رسول الله ﷺ » [٢/ ١٢٤/ ب] فأنزل الله تعالى ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴾ [الإسراء : ٧٣] وذلك أنهم كانوا سألوا أن يمتعهم باللات سنة ، فإن سأله المسلمون عن ذلك قال : إن ربي أمرني بهذا أن أرخص لهم فأنزل الله تعالى : ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ ﴾ ثم قال : ﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء : ٧٤] فلم ينسبه إلي أنه هم بالركون أو مال إليهم وأعلمه أن الثبات هو الذي عصمه يعلمه أن حبه هذا يهيج حرصه حتى تجد النفس سبيلا إلى القلب فيشاركه في المحبة لأن الحب في القلب والحرص في النفس فلولا الثبات لافتتن فأعلمه المنة عليه وأنه لما ذلك الثبات ، لقد قربت من الفتنة والركون إليهم فيما سألوا فعصمتك بمشيئتي وأعطيتك الثبات لقلة خطر الحب ، إن شأنه عظيم وإنه يسبي القلب فإذا لم يكن له ثبات ذهبت قوة القلب فطارت به لغلبة الفرح الذي في الحب بمنزلة السفينة التي طارت فصدمت به جبلا فتكسرت قطعة قطعة وتبددت كنوزه في بحر الغيب غرقا فلا حق بقي ولا رحمة .

الأصل الرابع والخمسون والمائتان

١٣٣٧ـ حدثنا إبراهيم بن إسماعيل بن يحيى بن سلمة بن كهيل قال : حدثني أبي عن أبيه عن سلمة بن كهيل عن الشعبي عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ : « الأشربة من خمس من الحنطة والشعير والتمر والزبيب والعسل فما خُمِر فهو خَمْر » .

قال أبو عبد الله رحمه الله :

قوله " الأشربة من خمس " إن هذه أشياء ينبذ عليها الماء فيستخرج بالماء ما فيهن من القوة " فإذا أخمرته فهو خمر " يعني إذا تركته نيا على هيئته التي خرج فلم تأخذ قوته بالنار فشربته خالطت القوة التي فيها قوة العدو التي أعطي فإنه موكل بما أعطي من هذه الأشربة ، فإذا تركتها بقوتها جاء العدو بما بيده فخلطه بها ثم وجد السبيل إلى المعدة بنصيبه فإذا دخل الجوف خمر القلب أي : غطاه وحال بين القلب والعقل لأن العقل في الرأس وشعاعه في الصدر والتدبير للعقل مع القلب في الصدر لأن عين الفؤاد في الصدر وشعاع العقل يشرق من الصدر فبذلك الإشراق يهتدي القلب لما حسن مما شان وقبح وإنما نزل القرآن بتحريم الخمر فالخمر إثم فيه صيغة الفعل الذي يظهر منه الفساد لأنه يخمر الفؤاد أي يغطيه ويحول بينه وبين شعاع العقل فكل شراب كانت فيه هذه الصفة فقد لزمه اسم الخمر ولزمه التحريم .

ولذلك قال عمر رضي الله عنه : " الخمر ما خامر العقل " أي : غطاه ولذلك قال رسول الله ﷺ : [٢/١٢٥/أ] « كل مسكر خمر وكل خمر حرام » ذلك لتعلم أن الخمر لزم أنواع الأشربة ولو لم يكن كذلك لم يقل « كل » ثم بين أن علامة الخمر كل شيء أسكر والمسكر هو المفعل للسكر والسكر سد العقل ومنه يقال لسد النهر سكر ومنه قوله تعالى : ﴿ سُكِّرَتْ أَبْصَـٰرُنَا ﴾ [الحجر : ١٥] أي : سدت ، فهذا الماء جار في النهر فإذا ألقي في بعض طريقه كيسا من التراب وغيره بقي الماء إلى حيث انتهى فصار ما سفل من الكيس في بطن النهر خاليا فكذلك العقل قراره في الدماغ ثم شعاعه جارٍ إلى الصدر إلى عيني الفؤاد لتدبير الأمور وتمييز الحسن والقبيح والضر والنفع فإذا شرب هذا الشراب ولم يكن أخذ قوته بالطبخ فالعدو منه بنصيبه يخلص

إلى الصدر بنجاسته فإذا وقعت هذه النجاسة والظلمة في هذا الطريق بين عيني الفؤاد والرأس صار سدا فيبقى الصدر مظلما وما وراء السد ومما يلي الرأس مضيئا مشرقا ، لا ينتفع بذلك عينا الفؤاد فيبقى الصدر خاليا كما بقي النهر ويبقى عينا الفؤاد في ظلمة ما جاء به العدو فسمي ذلك في النهر سَكرا بفتح السين ، وسمى هذا سُكرا بضم السين ، فمن أجاز طلاق السكران وفرق بينه وبين المعتوه والمجنون والصبي لأن السكر سد والعقل وراء السد قائم وهو حجة الله وعلامته أنه إذا تم فحرارة ذلك النور تؤدي إلى الصلب فيخرج منه الماء الذي يوجب الغسل إما بحلم أو بجماع فلذلك صيروا الحلم علامة الإدراك لا في الحكم وجرى الحكم عليه لأن العقل قد تم وقبل ذلك كان صغيرا لا يحتمل دماغه ذلك العقل ، وأما العتاهة فهو التحير وهو أن يهيج من المرة فيتأدى إلى الدماغ فيفسد العقل ويخالطه فليس هناك عقل يقدر أن يعمل شيئا لأنه قد خالطه ، وكذلك الجنون هو من المرة فكلما ستر العقل من داء فذاك يخالط العقل ويفسده وما كان من شراب فإن ذلك سد ظلمة من رجاسة العدو والعقل من ورائه على هيئته لم يخالطه شيء إلا أنه متمكن لانسداد الطريق وقد يكون هذا السد سدا رقيقا وسدا كثيفا فربما عمل بعض عقله من خلال ذلك السد ، ألا ترى أنه يعقل شيئا ولا يعقل شيئا ، لأن العقل بمكانه لم يخالطه شيء وفي حال الجنون خالط العقل ذلك الداء لأنه خلص إلى الدماغ ، وأما الصبي فإنه لم يعط تماما وهو يزاد قليلا قليلا باللطف حتى يبلغ من السن ما يحتمل ذلك ويجد العقل مكانا ينفسخ فالذي فرق بين طلاق السكران وطلاق المعتوه والمجنون والصبي إنما فرق لهذا ، وأما الذين لم يجيزوا طلاقه فإنما نظروا إلى افتقاد القلب العقل فإذا افتقده لم يلزموه شيئا من الأحكام لأنه إنما تقوم الحجة بالعقل .

الأصل الخامس والخمسون والمائتان
[١٢٥/ب /٢]

١٣٣٨- حدثنا إبراهيم بن إسماعيل بن يحيى بن سلمة بن كهيل عن أبيه قال : حدثني أبي عن أبيه عن سلمة بن كهيل عن أبي عبد الرحمن السلمي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال :

" بعث رسول الله ﷺ بعثا وأمر عليهم أميرا منهم هو أصغرهم فلم يسيروا فلقي النبي ﷺ رجلا منهم فقال : يا فلان ما لك ؟ أما انطلقتم فقال يا رسول الله : أميرنا يشتكي رجله فأتاه النبي ﷺ أو بعث إليه فقال : بسم الله وبالله وأعوذ بعزة الله وبقدرته من شر ما فيها ، سبع مرات فبرأ الرجل فقالوا له : يا رسول الله أتؤمره علينا وهو أصغرنا فذكر النبي ﷺ قراءته للقرآن فقال : يا رسول الله لولا أني أخاف أن لا أقوم به ، فقال : رسول الله ﷺ إن القرآن مثله كجراب فيه مسك قد ربطت فيه فإن فتحته فاح ريح المسك وإن تركته كان مسكا موضوعا مثل القرآن إن قرأته وإلا فهو في صدرك .

١٣٣٩- حدثنا محمد بن ميمون المكي ثنا شعيب بن حرب قال : حدثني جرير بن عثمان عن القاسم أبي عبد الرحمن عن أبي أمامة رضي الله عنه يبلغ به النبي ﷺ قال :

" لا تغرنكم هذه المصاحف المعلقة إن الله تعالى لا يعذب قلبا وعى القرآن » .

١٣٤٠- حدثنا قتيبة بن سعيد ثنا ابن لهيعة عن مشرح(١) بن هاعان عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " لو كان القرآن في إهاب ما مسته النار " .

قال أبو عبد الله :

فمن حرمة القرآن أن لا تمسه إلا طاهرا ، ومن حرمته أن يقرأه وهو على طهارة وأن يستاك ويتخلل ويتطيب فإن هذا طريقه ، ومن حرمته أن يستوي له قاعدا إن كان في غير صلاة ولا تكون متكئا ، ومن حرمته أن تتلبس له كما تتلبس للدخول على الأمير لأنك مناج ومن حرمته أن يستقبل القبلة لقراءته .

---

(١) بالأصل " مسرع " والمثبت من التهذيب .

١٣٤١ـ حدثنا الجارود عن عمر بن هارون عن أبي سلمة : كان أبو العالية إذا قرأ اعتم ولبس وارتدى واستقبل القبلة ، وأن تتمضمض كلما تنخع .

وروي عن شعبة عن أبي حمزة عن ابن عباس رضي الله عنهما : أنه كان يكون بين يديه ثور إذا تنخع تمضمض ثم أخذ في الذكر ، وكان كلما تنخع تمضمض ، ومن حرمته إذا تثاءب أن يمسك عن القراءة لأنه إذا قرأ فهو مخاطب ربه ومناجيه وإن التثاؤب من الشيطان ، ومن حرمته أن يستعيذ بالله عند ابتدائه للقراءة من الشيطان الرجيم ويقرأ بسم الله الرحمن الرحيم إن كان ابتدأ قراءته من أول السورة أو من حيث بلغ ، ومن حرمته إذا أخذ في سورة لم يشتغل بشيء حتى يفرغ منها إلا من ضرورة ، ومن حرمته إذا أخذ في القراءة لم يقطعها ساعة فساعة بكلام الآدميين من غير ضرورة ، ومن حرمته أن يخلو بقراءته حتى لا يقطع عليه أحد بكلامه فيخلطه بجوابه لأنه إذا فعل ذلك زال عنه سلطان الاستعاذة التي [٢/١٢٦/أ] استعاذ ، ومن حرمته أن يقرأه على تؤدة وترسيل وترتيل ، ومن حرمته أن يشغل فيه ذهنه وفهمه حتى يعقل ما يخاطبه ، ومن حرمته أن يقف على آية الوعد فيرغب إلى الله ويسأله من فضله ، وأن يقف على آية الوعيد فيستجير بالله منه ، ومن حرمته أن يقف على أمثالها[١] فيمتثلها ، ومن حرمته أن يلتمس غرائبه ، ومن حرمته أن يؤدي لكل حرف حقه من الأداء حتى يبرز الكلام باللفظ تماما ، فإن له بكل حرف عشر حسنات ، ومن حرمته إذا انتهت قراءته أن يصدق ربه ويشهد بالبلاغ لرسوله ﷺ ، ويشهد على ذلك أنه حق ، فيقول : صدقت ربنا وبلغَتْ رسلك ، ونحن على ذلك من الشاهدين ، اللهم اجعلنا من شهداء الحق القائمين بالقسط لك ، ثم يدعو بدعوات ، ومن حرمته إذا قرأه لا يلتقط الآي من كل سورة فيقرؤها ، فإنه روي عن رسول الله ﷺ أنه مر ببلال رضي الله عنه وهو يقرأ من كل سورة شيئا فأمره أن يقرأ على السور ، أو كما قال .

ومن حرمته إذا وضع الصحيفة ألا يتركه منشورا ، وألا يضع فوقه شيئا من الكتب ، حتى يكون أبدا عاليا لسائر الكتب ، علما كان أو غيره ، ومن حرمته أن يضعه في

(١) كذا بالأصل ولعل الصواب « أمثاله » .

حجره إذا قرأه أو على شيء بين يديه ولا يضعه بالأرض ، ومن حرمته ألا يمحوه من اللوح بالبزاق ، ولكن يغسله بالماء ، ومن حرمته إذا غسله بالماء أن يتوقى النجاسات من المواضع والمواضع التي توطأ ؛ فإن لتلك الغسالة حرمة ، وكان من قبلنا من السلف منهم من يستشفي بغسالته ، ومن حرمته ألا يتخذ الصحيفة إذا بليت ودرست وقاية للكتب ؛ فإن ذلك جفاء عظيم ، ولكن يمحوها بالماء ، ومن حرمته ألا يخلي يوما من أيامه من النظر في المصحف مرة ، وكان أبو موسى الأشعري رضي الله عنه يقول : إني لأستحي أن لا أنظر كل يوم في عهد ربي مرة ، ومن حرمة القرآن أن يعطي عينه حظها منه ؛ فإن العين تؤدي إلى النفس ، وبين النفس والصدر حجاب ، والقرآن في الصدر ، فإذا قرأه ، عن ظهر قلب فإنما يسمع أذنه فيؤدي إلى النفس ، فإذا نظر في الخط كانت العين والأذن قد اشتركتا في الأداء ، وذلك أوفر للأداء ، وكان قد اتخذت العين حظها كالأذن .

١٣٤٢ـ حدثنا عبد الأعلى بن عاصم الأموي ، ثنا أحمد بن عاصم بن عقبة بن عبد الرحمن الكوفي ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " أعطوا أعينكم حظها من العبادة " ، قالوا : يا رسول الله ، وما حظها من العبادة ؟ قال : " النظر في المصحف والتفكر فيه والاعتبار عند عجائبه " .

١٣٤٣ـ حدثنا عبد الأعلى ، ثنا أحمد بن عاصم ، عن حفص بن عمر بن ميمون [٢/ ١٢٦/ ب] ، عن محمد بن سعيد ، عن مكحول ، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " أفضل عبادة أمتي قراءة القرآن نظرا " .

ومن حرمة القرآن أن لا يتأوله عندما يعرض له من أمر الدنيا .

١٣٤٤ـ حدثنا عمرو بن دينار الحنظلي ، ثنا هشام بن بشر ، عن المغيرة ، عن إبراهيم قال : كان يكره أن يتأول شيء من القرآن عندما يعرض له شيء من أمر الدنيا ، والتأول مثل قولك للرجل إذا جاء : ﴿ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴾ [طه : ٤٠] ، ومثل قولك : ﴿ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ ﴾ [الحاقة : ٢٤] هذا عند حضور الطعام ، وأشباه هذا ، ومن حرمة القرآن أن لا يقال : سورة كذا ، كقولك : سورة النحل وسورة البقرة وسورة النساء ، ولكن يقال : السورة التي يذكر فيها كذا ، ومن حرمته أن لا يتلى منكوسا كفعل معلمي الصبيان ، يلتمس أحدهم بذلك أن يرى الحذق من نفسه والمهارة ، فإن تلك

مجانة ، ومن حرمة القرآن أن لا يقعر في قراءته كفعل هؤلاء الهُمَزيين المتنطعين في إبراز الكلام من تلك الأفواه المنتنة تكلفا ، فإن ذلك محدث ألقاه إليهم الشيطان فقبلوه عنه ، ومن حرمته أن لا يقرأه بألحان الغناء كلحون أهل العشق ، ولا بترجيع النصارى ، ولا نوح الرهبانية ؛ فإن ذلك كله زيغ .

١٣٤٥ـ حدثنا سليمان بن أبي هلال الذهبي ، ثنا بقية بن الوليد ، عن حصين بن مالك قال : سمعت شيخا يكنى أبا محمد وكان قديما يحدث ، عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " اقرءوا القرآن بلحون العرب وأصواتها ، وإياكم ولحون أهل العشق وأهل الكتابين ، فإنه سيجيء من بعدي قوم يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنوح لا يجاوز حناجرهم " .

١٣٤٦ـ حدثنا محمد بن يحيى القصيري ، ثنا أبو إدريس ، عن الأعمش قال : قرأ " غورك اللهم " عند أنس .

ومن حرمة القرآن أن يجلل تخطيطه إذا خطه .

١٣٤٧ـ حدثنا محمد بن علي الشقيقي ، عن أبيه ، عن عبد الله بن المبارك ، أنبأنا عبد الملك بن شداد الضبعي قال : أخبرني عبد الله بن سليمان العبدي ، عن أبي حكيمة أنه كان يكتب المصاحف بالكوفة ، فمر علي رضي الله عنه فنظر إلى كتابه فقال له : أجلل قلمك ، فأخذت القلم فقططت من طرفه قطا ، ثم كتبت وعلي رضي الله عنه قائم ينظر إلى كتابي ، فقال : هكذا ، نوره كما نوره الله .

قال أبو عبد الله :

وأخبرني علي بن المبارك ، عن أبي حكيمة ، عن علي ، بنحوه .

ومن حرمة القرآن أن لا يجهر بعض على بعض في القراءة فيفسد عليه حتى يبغض إليه ما يسمع ، ويكون كهيئة المغالبة ، ومن حرمة القرآن ألا يماري ولا يجادل فيه في القرآن ، ولا يقول لصاحبه : ليس هكذا هو ، ولعله أن تكون تلك القراءة صحيحة جائزة بين القراء فيكون قد جحد كتاب الله ، ومن حرمة القرآن ألا يقرأه في الأسواق ، ولا في مواطن اللغط واللغو ومجمع السفهاء ، ألا ترى أن الله تعالى ذكر عباد الرحمن فأثنى عليهم بأنهم إذا مروا باللغو مروا كراما ، هذا لمروره [٢/ ١٢٧/ أ] بنفسه ، فكيف إذا مر بالقرآن الكريم تلاه بين ظهراني أهل اللغو ومجمع السفهاء .

ومن حرمة القرآن أن لا يتوسد المصحف ولا يعتمد عليه ، ولا يرمي به إلى صاحبه إذا أراد أن يناوله ، ومن حرمة القرآن أن لا يصغر المصحف .

١٣٤٨ـ حدثنا محمد بن علي الشقيقي ، عن أبيه ، عن عبد الله ، عن ابن شقيق ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علي رضي الله عنه قال : لا تصغر المصحف .

ومن حرمة القرآن أن لا يخلط به ما ليس منه ، ومن حرمة القرآن ألا يحلى بالذهب ولا يكتب بالذهب فتخلط به زينة الدنيا .

١٣٤٩ـ حدثنا محمد بن علي الشقيقي ، عن أبيه ، عن عبد الله بن المبارك ، عن أبي عوانة ، عن مغيرة ، عن إبراهيم أنه كان يكره أن يحلى المصحف أو يكتب بالذهب أو يعلم عند رءوس الآي أو يصغر .

١٣٥٠ـ حدثنا سهل بن العباس ، ثنا عبد الرحمن المحاربي ، عن إسماعيل بن عياش ، عن صخر بن صدقة ، عن رجل من أهل دمشق ، عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " إذا زخرفتم مساجدكم وحليتم مصاحفكم فالدمار عليكم " .

١٣٥١ـ حدثنا سهل ، ثنا أبو عوانة ، عن عاصم الأحول ، عن أبي عثمان النهدي ، عن ابن عباس رضي الله عنه أنه رأى مصحفا قد زين بفضة ، قال : تغرون السارق ، وزينته في جوفه !

ومن حرمة القرآن أن لا يكتب على الأرض ولا على حائط كما يفعل بهذه المساجد المحدثة .

١٣٥٢ـ حدثنا محمد بن علي الشقيقي ، عن أبيه ، عن عبد الله بن المبارك ، عن شقيق ، عن محمد بن الزبير قال : سمعت عمر بن عبد العزيز يحدث قال : مر رسول الله ﷺ بكتاب في أرض ، فقال لشاب من هذيل : " ما هذا ؟ " ، قال : من كتاب الله ، كتبه يهودي ، فقال : " لعن الله من فعل هذا ، لا تضعوا كتاب الله إلا موضعه " .

قال محمد بن الزبير : رأى عمر بن عبد العزيز ابنا له يكتب القرآن على حائط فضربه .

ومن حرمة القرآن أنه إذا اغتسل بكتابته مستشفيا من سقم أن لا يصبه على كناسة وفي موضع نجاسة ، ولا على موضع يوطأ ، ولكن ناحية من الأرض في بقعة لا يطؤه الناس ، أو يحفر حفرة في موضع ظاهر حتى ينصب من جسده في تلك الحفرة ثم يكبسها ، أو في نهر كبير تختلط بمائه فيجري .

ومن حرمة القرآن أن يفتتحه كلما ختمه حتى لا يكون كهيئة المهجور ، ولذلك كان رسول الله ﷺ إذا ختم يقرأ من أول القرآن قدر خمس آيات لئلا يكون في هيئة المهجور .

١٣٥٣ـ حدثنا محمد بن عمارة بن صبيح الأسدي ، ثنا زيد بن حباب ، ثنا صالح المري ، ثنا قتادة ، عن زرارة بن أوفى العامري ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : جاء رجل فقال : يا رسول الله ، أي العمل أفضل ؟ قال : " عليك بالحالّ المرتحل " ، قال : وما الحال المرتحل ؟ قال : " صاحب القرآن يضرب في أوله حتى يبلغ آخره ثم يضرب في أوله ، كلما حل ارتحل " .

ومن حرمة القرآن أن لا يكتب التعاويذ منه ثم يدخل به في الخلاء ، إلا أن يكون في غلاف من أدم أو فضة أو غيره فيكون كأنه في صدرك .

ومن [٢/ ١٢٧/ ب] حرمة القرآن إذا كتبه وشربه سمى الله على كل نفس ، وعظم النية فيه ، فإن الله يؤتيه على قدر نيته .

١٣٥٤ـ حدثنا عبد الأعلى ، ثنا محمد بن الصلت ، عن عمرو بن ثابت ، عن محمد بن مروان ، عن أبي جعفر قال : من وجد في قلبه قسوة فليكتب " يس " في جام بزعفران ثم يشربه .

١٣٥٥ـ حدثنا عبد الأعلى ، أنبأنا عبيد الله بن موسى ، عن حسن بن صالح ، عن ليث ، عن مجاهد قال : لا بأس أن تكتب القرآن ثم تسقيه المريض .

١٣٥٦ـ حدثنا أبي رحمه الله وثنا عبد الأعلى قالا : ثنا ابن أبي أويس ، قال : حدثني محمد ابن عبد الرحمن بن أبي بكر الجُدعاني ، عن سليمان بن مرقاع الجندي ، عن هلال بن الصلت[١] ، أن أبا بكر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " سورة يس تدعى في التوراة المعمة " ، قيل : وما المعمة ؟ قال : " تعم صاحبها خير الدنيا والآخرة ، وتكابد عنه بلوى الدنيا والآخرة ، وتدفع عنه أهاويل الآخرة ، وتدعى الدافعة والقاضية ، تدفع عن صاحبها كل سوء ، وتقضي له كل حاجة ، ومن قرأها عدلت له عشرين حجة ، ومن سمعها عدلت له ألف دينار في سبيل الله ، ومن كتبها ثم شربها أدخلت جوفه ألف دواء وألف نور وألف يقين وألف بركة وألف رحمة ، ونزع منه كل غل وداء " .

---

(١) في الأصل « هلال عن الصلت » والمثبت من كتب التراجم .

قال أبو عبد الله :
وحق لسورة " يس " أن تبلغ ذلك من صاحبها ، فإنه روي عن رسول الله ﷺ " أنها قلب القرآن " .
١٣٥٧ـ حدثنا قتيبة بن سعيد وسفيان بن وكيع وأبو طالب الفروي ، عن حميد بن عبد الرحمن الرؤاسي ، عن هارون أبي محمد ، عن مقاتل بن حيان ، عن قتادة ، عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " لكل شيء قلب ، وقلب القرآن يس ، ومن قرأها فكأنما قرأ القرآن عشر مرات " .
فالقلب أمير على الجسد وكذلك " يس " أمير على سائر السور موجود فيه كل شيء ، وافتتحها الله بالياء والسين ، وفيها مجمع الخير ، ودل المفتتح على أنه قلب وأنه أمير على سائر السور ومشتمل على جميع القرآن .
فأما حديث قتيبة ، عن ابن لهيعة فقد فسرناه في كتاب الصلاة .
١٣٥٨ـ حدثنا الحسن بن عمر بن محمد المنقري ، ثنا شهاب بن عباد العبدي ، ثنا الحسن ابن أبي يزيد الحمداني ، عن عمرو بن قيس ، عن عطية عن أبي سعيد[(١)] رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " يقول الله تعالى : من شغله ذكري وقراءة القرآن عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين ، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على جميع خلقه " ، فهذا لا يحاط بكنهه إذ كان لا يحاط بفضل الله على جميع خلقه ، وإنما صار هكذا لأنه كلامه منه خرج .
١٣٥٩ـ حدثنا يحيى بن الأحمر بن زياد بن الأحمر الطائي ، ثنا محمد بن مسلم الطائفي ، عن عمرو بن دينار قال : أدركت سبعين رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون : الله الخالق ، وما سواه مخلوق غير الكلام فإنه منه خرج وإليه يعود .
قال أبو عبد الله : يحيى بن الأحمر بن زياد بن الأحمر هو ابن أخي جعفر بن زياد بن الأحمر .
وكذلك ما روي عن طاوس قال : قال رسول الله ﷺ : " ما رد العباد إلى الله شيئا [٢/١٢٨/أ] أحب إليه من كلامه " .

(١) في ط " عطية بن أبي سعيد " .

١٣٦٠ـ وسمعت الجارود بن معاذ يقول : سمعت وكيعا يقول : سمعت سفيان الثوري يقول : سمعت أن قراءة القرآن أفضل من الذكر .

قال أبو عبد الله :

وجاد فأفاض قائل هذا القول ؛ لأن الذكر هو شيء يبتدعه العبد من تلقاء قلبه من علمه بربه ، والقرآن هو شيء قد تكلم الرب تعالى ، فإذا تلاه العبد فإنما يتكلم بشيء قد كان عند الرب ولم يخلق منذ نزل إلى العباد ، ولا يخلق ولا يتدنس ، فهو على طراوته وطيبه وطهارته ، وله كسوة ، والذكر الذي يذكره العبد مبتدعا من عنده لا كسوة له ، وأيضا أنه هو الذي يؤلف ، ليس تأليف الله كتأليف العبد ، ألا ترى قوله تعالى : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء : ٨٨] .

ألا ترى إلى قول الوليد بن المغيرة حيث استمع إلى القرآن تحير فيه فقال : قد عرضته على رجز الشعر وهزجه وقريضه فلم يشبهه ، وليس بسحر ولا كهانة ، وإن عليه لطلاوة وإن له لحلاوة ، وإن أسفله لمغدق ، وإن أعلاه لمثمر ، وليس هذا من كلام البشر .

فهذ قول رجل ممتلئ من علم النفس خال من علم القلب فقلبه في غلاف والباطن مردوم .

١٣٦١ـ أخبرنا أبي رحمه الله ، ثنا أخرم بن حوشب ، عن بقية بن الوليد ، عن المعتمر بن أشرف(١) ، عن محمد بن علي قال : قال رسول الله ﷺ : « القرآن أفضل من كل شيء دون الله ، وفضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه فمن وقّر القرآن فقد وقر الله ، ومن لم يوقر القرآن لم يوقر الله ، وحرمة القرآن عند الله كحرمة الوالد على ولده ، القرآن شافع ومشفع وماحلٌ مصدق ، فمن شفع له القرآن شفع ، ومن محل به القرآن صدق ، ومن جعله أمامه قاده إلى الجنة ، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار ، حملة القرآن هم المحفوفون برحمة الله ، الملبسون نور الله ، المعلمون كلام الله ، ومن

---

(١) كذا بالأصل ولم أقف له علي ترجمة .

والاهم فقد والى الله ، ومن عاداهم فقد عادى الله ، يقول الله تعالى : يا حملة القرآن ، استجيبوا لربكم بتوقير كتابه يزدكم حبا ويحببكم إلى عباده ، يدفع عن مستمع القرآن بلوى الدنيا ، ويدفع عن تالي القرآن شر الآخرة ، ومن استمع آية من كتاب الله كان له خير من ثبير ذهبا ، ومن قرأ آية من كتاب الله كان أفضل مما تحت العرش إلى التخوم ، وإن في كتاب الله لسورة تدعى العزيزة ، يدعى صاحبها الشريف يوم القيامة تشفع لصاحبها أكثر من ربيعة ومضر وهي سورة يس .

الأصل السادس والخمسون والمائتان

١٣٦٢ـ حدثنا الحسن بن قزعة البصري ، أنبأنا سفيان بن حبيب ، ثنا شعبة ، عن ثور ، عن الطفيل بن أبي بن كعب ، عن أبيه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : " ﴿ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ [الفتح : ٢٦] : قول لا إله إلا الله " .

قال [٢/١٢٨/ب] أبو عبد الله :

وإنما سميت كلمة التقوى؛ لأن العبد إذا نطق بها فإنما ينطق عن نور التوحيد الذي في قلبه ، فإذا انتهى إلى الصراط صار ذلك النور له وقاية من النار ، وذلك النور برد يخمد لهب النار؛ لأن ذلك النور نور الرحمة ، وتلك رحمة هي حظ المؤمن من ربه ، فإذا نال العبد تلك الرحمة أشرق القلب بنور التوحيد وامتلأ الصدر من ذلك الإشراق ، ونطق اللسان عن نور وضوء ، فإذا انتهى إلى الصراط صار ذلك الضوء والنور له وقاية ، فالنور يخمد ما تحت قدميه ، والضوء يضيء له أمامه ، وينفرج له الطريق عن تلك الظلمة التي على الصراط من سواد النار ، فلذلك قيل : كلمة التقوى ؛ لأنه بها يتقي من النار ، وإنما يقي في الأصل وقوي من قوله : وقى يقي وقاية فهو وقوي ، فحولت الواو تاء كقوله : تراث وإنما هي وراث ، وقوله : تكلان وإنما هو وكلان ، وهذا من قالب الافتعال كان حقه أن يقول : اوتقى ، فأدغمت الواو في التاء فقيل : اتقى يتقي والاسم منه تقوى ، فكلمة : لا إله إلا الله أولها نفي الشرك وآخرها تعلق بالله ، فلا يقدر العبد أن يتعلق بالله حتى يلزمه الله ، وإنما يلزمه الله بعدما يجعل له إليه سبيلا ، فإذا رحم عبدا فتح له من قلبه الطريق إليه ، حتى إذا صار القلب إلى محل التوحيد فهناك يلزمه الله نور الكلمة ، فيصدر القلب عن الله بتوحيده إلى النفس حتى تطمئن النفس وتسكن إلى ذلك ، وتستقر عن التردد والجولان في طلب معبود سواه ، فيستقر القلب والنفس جميعا للعبودة له بما يأمر وينهى ، وصار تعلقهما جميعا به في العبودة وهو قوله : ﴿ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ﴾ [البقرة : ٢٥٦] .

فلم يصر العبد مستمسكا بالعروة إلا بعد تعلقه بقلبه ونفسه بالله ، فهذه عقدة القلب وطمأنينة النفس وسكونها ، ثم من بعد ذلك تمضي النفس في شهواتها حلا وحرما

عليه وفتنة ، وهي مع ذلك بالله مطمئنة أنه معبودها إلا أنها تخف وتطيش بهبوب رياحها التي فيها من الشهوة على إضمار أنها تقضي شهوتها وتعود إلى مكانها ثانية ، وأما القلب فهو منكر لذلك ينعقد عقدته مستمسك بعروته مقهور في سلطان النفس ، حتى إذا أقبل الله على عبده بالرحمة وأعطاه سلطان التوبة فبتلك القوة يعرض عن النفس ويرمي بتلك الشهوة في وجه النفس ، ويقصد إلى الله نازعا ، وتخمد نار الشهوة في النفس لما نال العبد من نور التوبة ؛ لأن ذلك النور جاء من الرحمة ، فإذا ورد على القلب خمدت نار الشهوة فخرج القلب من أسر النفس وقهرها ، وصارت النفس مقهورة مزجورة ، فالعروة الوثقى هي ذلك النور الذي ألزم الله قلب العبد فاستمسك القلب تقوي ووجد وقاية وفرادى تلك عروة لا انقطاع لها أي لا انفصال لها ولا انقطاع [٢/ ١٢٩/ أ] عن الله ، فقد اتصل العبد بربه اتصالا لا يجد العدو إليه سبيلا أن يدخل عليه فيما بينه وبين ربه في توحيده حتى يلقي فيه الشك فيزيغ القلب ، فإذا انتهى إلى الصراط صار ذلك النور وقاية له من تحت قدمه وفوقه وحوله ، وصار الضوء أمامه يطرق له في تلك الظلمة حتى يجوزها ، وصارت الرحمة معلقة ومتمسكة ، فعلى قدر حظه من الرحمة تكون سرعة جوازه على الصراط ، وعلى قدر حظه من الرحمة يكون من العبد الوفاء لهذه الكلمة أيام حياته ، فقد قلنا بدءا : إن كلمة لا إله إلا الله أولها نفي الشرك وآخرها تعلق بالله ، فإنما يتعلق بالله إذا استكمل التقوى ، وذلك أن الشرك على ضربين : شرك عبودة وشرك الأسباب ، وكلاهما علاقة ، وإنما سمي شركا لأنه علاقة ، وهو مشتق من الشَّرَك الذي ينصب فيتعلق به الصيد ، فإنما ينصب الشرك ويلقى هناك حبوب فينخدع الطائر له بحاجته إليها حتى يقع فيه فيتعلق ، وكذلك السمك إنما يقع في حبالته لشهوة بطنه ، وكذلك الآدمي إنما يقع في حبالة العدو حتى يتولى دون ربه إلها ويتخذه معبودا لشهوة نفسه ، يشتهي أن يعاين معبوده فيلتذ بالعبادة وطلب معبوده ، فلما لم يجد مده العدو إلى شيء وصوت له من جوفه وزينه فالتذ بصوته فعبده ، فهو يعبد الشيطان ولا يدري ، يحسب أنه يعبد ذلك الوثن ، وذلك قوله لهم يوم القيامة : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [يس : ٦٠] وقال : ﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ ﴾ [الإسراء : ٦٤] .

قال له قائل : ما ذلك الصوت ؟ قال : ذاك صوت أعطى العدو ليفتن به الآدميين ، أي يهيج الحرقة التي في جوف الآدمي ، قال قائل : وما تلك الحرقة ؟ قال : تلك حرقة الفرح الذي خلق من النار فوضع بباب النار وحفت النار بها وهي الشهوات ، فمن سمعها من المخذولين فقد سباه ، ومن سمعها من الموحدين لم يقدر أن يسبيه ؛ لأن الله قد منّ عليه بالرشد ، ومن منّ عليه بالرشد فقد كرّه إليه الكفر والفسوق والعصيان ، وقد قال في تنزيله : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۞ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ ﴾ [الحجرات : ٧-٨] ، وذلك قوله : ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ ﴾ [الأنبياء : ٥١] ، فمن أوتي الرشد لم يلتذ بذلك الصوت ، ومن وجد قلبه خاليا عن ذلك سباه بذلك الصوت ، ألا ترى أن الموحدين لما سمعوا صوته في المزامير وأمره بالمجاهدة فيكون مجاهدا في ذاته إلى وقت ، فإذا ابتلي فصبر عنه فتح له في الغيب فنال من الأنوار [٢/ ١٢٩/ ب] ما لا تجد له هذه المعازف إليه سبيلا ؛ لأن الذي في جوفه من الشهوة قد مات ، وإنما كان يلتذ قبل ذلك لملاقاة تلك الأصوات من المعازف والممازجة بصوت العدو فيهتاج لما في جوفه فيجد لذته ، فلما وقع العبد في منازل القربة بعد مجاهدته في ذات الله ماتت شهوته من خوف الله ، وانخشع قلبه من جلال الله ، علته الهيبة فلم يجد العدو سبيلا إليه لما جاء به ، وصارت لذة قلبه في حبه فدقت حلاوة جميع الأشياء عنده وصارت الأشياء مرفوضة ، وإنما يتعلق القلب بالله إذا نجا من تعلقه بالشهوات والمشيئات والإرادات ، فهذا كله شرك الأسباب ، فإذا تخلص من هذا الشرك فلم يبق له متعلق تعلق القلب بالله ، فعندها صدق الله في مقالته لا إله إلا الله ، وبتلك المقالة تملأ الكفة من الميزان حتى تستميل بالسموات والأرض ومن فيها من الخلق .

١٣٦٣ـ حدثنا عمر بن أبي عمر ، أنبأنا أصبغ بن الفرج البصري قال : حدثني ابن وهب ، عن عمرو بن الحارث أخبره ، عن دراج أبي السمح حدثه ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ قال : " قال موسى صلوات الله عليه : يا رب ، علمني شيئا أذكرك به وأدعوك به ، قال : قل يا موسى : لا إله إلا الله ، قال : كل عبادك يقولون هكذا ، قال : قل : لا إله إلا الله ، قال : إنما أريد شيئا تخصني به ، قال : يا موسى ، لو أن السموات السبع وعمارهن غيري والأرضين السبع في كفة ولا إله إلا الله في كفة مالت بهن لا إله إلا الله " .

الأصل السابع والخمسون والمائتان

١٣٦٤ـ حدثنا صالح بن عبد الله ، ثنا عبد الأعلى بن عبد الأعلى ، عن الجريري ، عن أبي السليل ، عن عبد الله بن رباح الأنصاري ، عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " أبا المنذر ، أيّة آية معك من كتاب الله أعظم ؟ " ، قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : " أبا المنذر ، أيّة آية معك من كتاب الله أعظم ؟ " ، قلت : الله لا إله إلا هو الحي القيوم ، قال : فضرب في صدري فقال : " ليهن لك العلم أبا المنذر ، فو الذي نفس محمد بيده إن لهذه الآية للسانا وشفتين تقدس الملك عند ساق العرش " .

قال أبو عبد الله :

فهذه آية أنزلها الله جل ذكره وجعل ثوابها لقارئها عاجلا وآجلا ، فأما في العاجل فهي حارس لمن قرأها من الآفات ، فإن الله تعالى خلق آدم فأحسن خلقه وجمل صورته ، وقال في تنزيله : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [التين : ٤] ، فمن ذا يقدر على صفة من هو في أحسن تقويم ، وقال : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴾ [الانفطار : ٧] ، فمن ذا يقدر على صفة تسويته وتعديله وليس أحد من خلقه في مثل هذه الصفة [٢/ ١٣٠/ أ] من التقويم والتعديل ، ثم قال : ﴿ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾ [الانفطار : ٨] ، فأخرج تقويمه وتسويته وتعديله من باب الرحمة ، وأخرج تركيب الصورة من باب المشيئة والفردية ، ثم فضله بالروح وقربه باليقين ، وجعل فيهما الحياة للحراك للعبودة ، ثم جعل تلك البضعة الجوفاء خزانته وهي القلب ، وجعل لها عينين تبصران الغيب وأذنين تعيان وحيه وكلامه ، وجعل لها بابا إلى الصدر للسراج المتوقد شعاعه في الصدر ، وجعل تلك البضعة معدنا لجواهر التوحيد من الحكمة البالغة والعلوم العالية ، وقبض عليها ضنًّا بها ، فلم يطلع عليها ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا ، فهو مقلبها على مشيئته ، ثم خلق الآفات في ذلك اليوم الذي خلقه وذلك يوم الجمعة ليقابل كل شيء من صنيعه الجميل في آدم وولده في الظاهر منه ، وفي الباطن آفة ذلك الشيء ليكون الآدمي حامدا له وشاكرا يرتبط ذلك الصنع الجميل على نفسه ولنفسه بذلك الحمد والشكر ، وليكون آخذا لحرزه من الآفات بهذا الحمد والشكر ، وليكون داخلا في ستره ، فجعل أول الحمد في الكلمة العليا وهي كلمة لا إله إلا الله ، فإذا قالها صار له

عبدا متعبدا ، فإذا شهد بها صار من شهد آية أوليائه والقائمين بالقسط له ، ثم يثني هذه الكلمة بالحمد لله ، فعندها يصير قوله : الحمد لله مقبولا ، ولا يقبل الحمد من عبده حتى يكون على مقدمة قول لا إله إلا الله ، ثم اقتضى العبد بعد ذلك تحقيق هاتين الكلمتين بالشكر وهو أن يفي بالعبودة له بهذه الجوارح السبعة ، فينتهي عما نهاه عنه من فعل هذه الجوارح السبعة ، ويأتمر بما افترض عليه في جسده وماله الذي جعله قياما بجسده ، فهذا الشكر المقتضي من العبد تحقيقًا لما تقدم منه من قوله : الحمد لله ، حتى يقر حمده بهذا الشكر ، فإذا وقره بهذا كان ذلك الحمد تحقيقا للكلمة العليا التي تقدمت وهي لا إله إلا الله ، وسماها في تنزيله كلمة التقوى ، تقيه آفات الدنيا والآخرة ، ثم لما صار للعبد في هذه المهملة(1) غفلات وهفوات مما يلحقه من نزغات العدو وهمزاته ومضراته ونفخاته ونفثاته من أجل الشهوة المركبة فيه والهوى الهفافة فيها لهبوب تلك الشهوات وهما سلاح العدو ووسيلته إلى الآدمي بهما يصل إلى غوايته فإذا كان ذلك دخل في الشكر تقصير وفي الحمد تكدر وفي الكلمة العليا ترخيم وعلى العروة الوثقى توهين حتى يصير العبد قلبه معلقا بعد أن كان منتصبا ، ويصير معقلا بعد أن كان منطلقا ، ويصير منقبضا بعد أن كان منبسطا ، ويتحرج صدره بعد أن كان منشرحا ، فعندها الآفات كائنة [٢/ ١٣٠/ ب] ، وعلى كل شيء من جميل صنعه فيه لازمة ، فتجده أعمى بعد أن كان بصيرا ، وأصم بعد أن كان سميعا ، وأبكم بعد أن كان نطوقا ، وزمنا بعد أن كان يدب على وجه الأرض ، وعاجزا بعد أن كان قابضا وباسطا ، وفي الباطن كذلك يلحق من الآفات كل شيء قابل نعمة من نعمه ، فإنما لحقت العبد تلك الآفات لما دخل من التقصير في الشكر ، فقال في تنزيله : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الأنفال : ٨] ، وقال فيما جرى من الخبر عن الله تعالى من قوله لبني إسرائيل : إني أبتدئ عبادي بنعمي ، فإن قبلوا أتممت ، وإن شكروا زدت ، وإن غيروا بدلت ، وإذا بدلت غضبت ، ثم أعطى العباد بعد ذلك من باب الرحمة من جوده وكرما من كرمه عطفا عليهم ما يحرزوا به من الآفات مع هذا

---

(١) كذا بالأصل .

التقصير الذي جاءوا به ، وجعل لتلك الأشياء حرمة ، فإذا نطق بها العبد وجبت للعبد حرمة لحرمة تلك الأشياء فوقع في حراسته من تلك الآفات عطفا منه على عباده ، ومكرمة لمحمد ﷺ في أمته ، واختصاصا لهم بالفضل الذي برز لهم على الأمم ، وأنزلها على رسول الله ﷺ في تنزيله ، فمن تلا تلك الآيات ونطق بتلك الكلمات صارت للعبد شفيعا إلى ربه تسأل حراسته وكلاءته حتى يقع العبد في حصن الله من الآفات ، وروي لنا عن نوف البكالي أنه قال : آية الكرسي تدعى في التوراة ولية الله ، ويدعى لقارئها في ملكوت السموات عزيز .

١٣٦٥ـ حدثنا بذلك عمر بن أبي عمر ، ثنا مهدي بن سلام ، عن جعفر بن سليمان ، عن مالك بن دينار ، عن نوف البكالي . قال : وكان عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه إذا دخل بيته قرأ آية الكرسي في زوايا بيته الأربع . كأنه يلتمس بذلك أن تكون له حارسا من جوانبه الأربع ، وأن ينفي عنه الشيطان من زوايا بيته .

وروي عن عمر رضي الله عنه أنه صارع جنيا ، فصرعه عمر رضي الله عنه ، فقال له الجني : خل عني حتى أعلمك ما تمتنعون به عنا ، فخلى عنه وسأله ، فقال : إنكم تمتنعون منا بآية الكرسي .

ومما يحقق قوله ما جاء عن رسول الله ﷺ أن أبي بن كعب[١] شكا إليه أنه يدخل بيت التمر فيراه ناقصا ، فحرسه فإذا هو بشيء شبيه للضوء يخرج من الكوة ، فوثب إليه فأخذه ، فقال : خل عني ولا أعود ، فخلى عنه ، ثم غدا على رسول الله ﷺ فأخبره ، فقال رسول الله ﷺ : " كذبك ، وهو مُعاود ، وإنه لكذوب " ، فحرسه من الليلة الثانية ، حتى جاء فدخل من الكوة فأخذه ، فعل ذلك ثلاث ليال ، فقال الجني في الثالثة : خل عني حتى أعلمك ما إذا قرأته لم أقدر على الدخول ولا على أي شيء ، فقال : ما هو ؟ قال : آية الكرسي ، فغدا على رسول [٢/ ١٣١/ أ] الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : " الآن قد صدقك ، ولا يعود " . أو كما قال .

قال أبو عبد الله :

فقد تأذى الشيطان بما تضمنت هذه الآية من السلطان ، وتوقي حيث تقرأ هذه الآية ؛

---

(١) كذا بالأصل ، وسائر مصادر التخريج " أبي هريرة رضي الله عنه " .

لأن الله تعالى قد أوجب لها سلطانا وحراسة ، روي أن المؤمنين تربوا على المحافظة على قراءتها في دبر كل صلاة .

١٣٦٦ـ حدثنا عتيق بن محمد ، ثنا ابن أبي فديك ، عن أبي سليم ، عن الحوشبي ، عن أبان ، عن أنس رضي الله عنه ، رفع الحديث إلى رسول الله ﷺ ، قال : " أوحى الله إلى موسى عليه الصلاة والسلام : من داوم على قراءة آية الكرسي دبر كل صلاة أعطيته قلوب الشاكرين ، وأجر النبيين ، وأعمال الصديقين ، وبسطت عليه يميني بالرحمة ، ولم يمنعه أن أدخله الجنة إلا أن يأتيه ملك الموت . قال موسى : يا رب ، من سمع بهذا لا يداوم عليه ؟ قال : إني لا أعطيه من عبادي إلا نبيًا أو صديقًا أو رجلًا أحبه ، أو رجلًا أريد قتله في سبيلي " .

١٣٦٧ـ حدثنا عبد الوهاب بن فليح المكي ، قال : حدثني جدي اليسع بن طلحة ، قال : أنبأنا طاوس ، قال : قال الله تعالى . وذكر نحوه .

١٣٦٨ـ حدثنا الجارود ، ثنا يزيد المروزي ، رفعه إلى رسول الله ﷺ ، أنه قال : " من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة كان الذي قبض روحه ذو الجلال والإكرام ، وكان كمن قاتل عن أنبياء الله ورسله حتى يستشهد " .

١٣٦٩ـ حدثنا محمد بن إسحاق بن إبراهيم العامري ، ثنا زكريا بن حازم ، قال : أنبأنا الربيع بن أنس ، عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال : قال الله تعالى : يا موسى ، من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة أعطيته ثواب الأنبياء .

قال أبو عبد الله :

عندنا أنه يعطى ثواب عمل الأنبياء ، فأما ثواب النبوة فليس لأحد إلا للأنبياء .

١٣٧٠ـ حدثنا عمر بن أبي عمر ، ثنا مسلم بن إبراهيم ، عن حرب بن ميمون ، عن عبد الكريم الصفار ، عن جابر بن زيد ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، عن رسول الله ﷺ " أن موسى بن عمران لقي جبريل عليهما الصلاة والسلام ، فقال له : ما لمن قرأ آية الكرسي كذا وكذا مرة ؟ فذكر نوعا من الأجر ما لم يَقْوَ عليه موسى عليه الصلاة والسلام ، فسأل بربه ألا يضعفه عن ذلك ، ثم أتاه جبريل مرة أخرى ، فقال عليه الصلاة والسلام : إن ربك يقول : من قال في دبر كل صلاة مكتوبة مرة واحدة : اللهم إني أقدم إليك بين يدي كل نفس ولمحة ولحظة وطرفة يطرف بها أهل

السموات والأرض ، وكل شيء هو في علمك كائن أو قد كان ، أقدم إليك بين يدي ذلك كله ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] إلى قوله : ﴿ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] . قال الليل والنهار أربع وعشرون ساعة ، ليس منها ساعة إلا يصعد إلي فيها سبعون [٢/ ١٣١/ ب] ألف ألف حسنة حتى ينفخ في الصور وتشتغل الملائكة " .

قال أبو عبد الله :

حصلنا حساب ليلة فبلغ ثمانمائة ألف ألف وأربعين ألف ألف ، وبالنهار مثلها ، فذلك ألف ألف وستمائة ألف ألف ، وثلاثين ألف ألف ، هذا ليوم وليلة ، فحقيق أن تشتغل الملائكة بذلك .

فأما معنى قوله : أقدم إليك بين يدي ، هذه الأشياء التي أجمل ذكرها لعجزه عن إحصائها على الانفراد ، فقال : أقدم إليك بين يدي هذه الأشياء ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] كأنه يؤدي معناه إلى أنه قديم لم يزل قد كان قبل هذه الأشياء التي أجمل ذكرها ، فقد كان بجميع هذه الصفات التي وصف بها نفسه في هذه الآية ، من أنه حي به ، حييت الأشياء فتحركت فخرجت حركاتها إلى الله ، بما رضي وسخط ، وأنه قيوم ، به قامت الأشياء فاستقرت قراءتها وسكنت ، والله بريء من الحركات والسكون . ثم قال : ﴿ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ ﴾ . فالسنة النعاس ، والنوم خروج النفس من الجسد ؛ معناه أنه لا تؤاخذه هذه الأشياء ، فيذهل عن إمساك خلقه ، ثم قال : ﴿ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ ﴾ يخبر عن ملكه لهذه الأشياء التي في السماوات والأرض ، ثم قال : ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ ﴾ يسأل كالمستخبر من ذا ، قولك : من هذا الذي يفعل كذا وكذا ؟ نافيا أن يفعل ذلك أحد إلا بإذنه . وقوله : ﴿ يَشۡفَعُ ﴾ هو الدعاء والمسألة ، وإنما قيل : ﴿ يَشۡفَعُ ﴾ لأن الشفع ضم الشيء إلى الشيء ، حتى يصير اثنين ، ومنه قوله : ﴿ وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ ﴾ [التين : ٣] فالشفع ضد الوتر ، فإنما قيل في المسألة : شفع ؛ لأن صاحبها وتر عن تلك الحاجة ، فإذا سأل حاجة كان هو والحاجة اثنين قضيت أو لم تقض ، والوتر الخالي عن تلك الحاجة ، فإذا سألها فإنما سأل أن يضم إليه تلك الحاجة مقضية ، حتى يكون في وقت الصدر شيئين ؛ السائل وحاجته ، فيقال : شفع إليه يشفع ، أي رفع إليه شخصه وحاجته ،

وكان في البدء وترا ، فقال : لا يفعل هذا عنده أحد إلا بإذنه ، وكل الأشياء لا تكون إلا بإذنه ، وإنما خص الدعاء في هذه الآية ؛ لأن الدعاء هو فعل قد أذن الله فيه ، وندب العباد إليه ، وفتح لهم الباب ، وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر : ٦٠] . وليس هذا في سائر الأشياء ، لم يجئنا أنه قال : اعملوا وأتقبل منكم ، بل قال : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة : ٢٧] .

والدعاء قد يتقبل من غير المتقين ، ألا ترى أن أهل الجاهلية كان يدعو بعضهم على بعض ، فيجاب إلى ذلك ، فأعلم العباد أن المسألة والدعاء مرتبة من بين الأعمال ، ليس إليه سبيل أيضا ، حتى يأذن فيه كسائر الأشياء من الطاعات ، ثم قال : ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ [طه : ١١٠] ما بين أيديهم الآخرة ، وما خلفهم الدنيا ، وإن قلت : ما بين أيديهم الدنيا ، وما خلفهم الآخرة ، فكلاهما يؤديان [٢/ ١٣٢/ أ] ، إلا أنه عالم بكلاهما بأمر الدنيا والآخرة ، ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] أي لا يحيط خلق السماء وخلق الأرض بشيء من علمه إلا بما شاء أن يعطيهم من ذلك العلم ، وتأويل آخر : أنهم لا يحيطون بشيء من علم البدء ، وعلم صفاته إلا بمقدار ما شاء ، يعلمهم أن العباد عجزة عن جميع علومه ، فإنما يعطيهم من كل شيء من أنواع علم صفاته شيئا بمقدار احتمالهم لذلك ، ثم قال : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ يعلمهم أن الكرسي مظل على السماوات والأرض ، قد دخلنا في جوف الكرسي ، ووسع الكرسي لسعته السماوات والأرضين .

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ قال : علمه ، فإنما ذهب ابن عباس في قوله هذا إلى أن الكرسي العلم ؛ لأن للرب تعالى علوم ، فعلمه بالخلائق ، وعدد أنفاسهم وحركاتهم مقرون بفرس الحياة ، لأن فرس الحياة للخلق فإنما أقامت تحت الكرسي ، لحياة الخلق وحركاتهم بالحياة ، ولذلك قال ابن عباس في قوله : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ . قال : علمه . فليس تأويل قول ابن عباس أن نفس الكرسي هو العلم ، وكيف يكون الكرسي علما ، وهذا ما لا يعرف في اللغة ، فإنما ذكر ابن عباس عند ذكر الكرسي العلم ، أي أنه وسع ذلك العلم الذي عند الكرسي السموات والأرض ، وإنما وضع الله علمه بحركات الخلق هناك ؛ لأن الحركات مبتدؤها من فرس الحياة ، فالعلوم كثيرة ، ولكن علم

الحركات هناك لما وصفنا ، ثم قرن الحفظ بذلك العلم ، فكما لا يؤوده علم الحركات كذلك لا يؤوده حفظهما ، أي حفظ السماوات والأرض بما فيهما من أثقال الحركات وأوزانها ومقاديرها .

ثم قال : ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] . أي علا شأنه عن هذا ، وجلت عظمته عن أن يؤوده شيء فيعجزه ، أو يفوته ، أو يعزب عنه تبارك الله رب العالمين .

وأما قوله : " لها لسانا وشفتين ، تقدس الملك عند ساق العرش " ، معناه أن قراءة القارئ لها تصعد إلى الرحمن فتقدس ملكه عند ساق العرش ، وبالتقديس تسأل الحراسة لقارئها ؛ لأن القدس به تتقدس الأشياء ، فإذا تقدست بقيت الأشياء على هيئتها التي خلقها الله وتحصنت من الآفات ، لأن القدس ينحي الآفات ويبعدها عن الأشياء ، ويحضها منها ، فقراءة العبد اعتراف بما تضمنت الآية من صفاته ، وتجديد إيمان به ، فإذا تجدد إيمانه به وقعت لقراءته حرمة تنتهي إلى ساق العرش فتقدس ، فإذا قبل تقديسها جعل ثواب التقديس حراسة العبد لكل ما هيأ الله له من الحال المحمود والمرغوب فيه .

الأصل الثامن والخمسون والمائتان

١٣٧١ـ حدثنا محمد بن مقاتل ، ثنا معن القزاز ، ثنا عبد الله بن المؤمل المخزومي ، عن أبي الزبير ، عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ [٢/ ١٣٢/ ب] : " زمزم لما شربت له " .

قال أبو عبد الله :

معناه أن هذا بئر إسماعيل بن إبراهيم صلوات الله عليهما ، أنبطه الله له غياثا في وقت الاضطرار والإشراف على الموت بعدما كان يتمايل عطشا ، فبعث الله تبارك وتعالى جبريل فأدار بطرف جناحه على تلك البقعة ، ثم دفعها بعقبه دفعة فانفتقت عين الماء من عين الجنة من قبل الركن الذي يستلمه الناس اليوم ، فروي عن رسول الله ﷺ أنه قال :

" لولا أن أم إسماعيل اغترفت لكان زمزم عينا معينا " .

١٣٧٢ـ حدثنا حميد بن الربيع اللخمي الخزاز ، قال : ثنا محمد بن حميد المعمري ، عن معمر ، عن أيوب وكثير بن كثير بن المطلب بن أبي وداعة - يزيد أحدهما على الآخر - عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : " رحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم - أو قال : لو لم تغترف الماء- لكان زمزم عينا معينا " .

قال أبو عبد الله :

والمعين الطاهر الجاري ، الذي تراه العيون ، واشتقاق المعين من رؤية العين ، أي غايته العيون .

١٣٧٣ـ حدثنا عبد الجبار ، عن سليمان بن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : ماء زمزم لما شرب له ، إن شربته لشبع أشبعك الله ، وإن شربته لظمأ أرواك الله ، وإن شربته لشفاء شفاك الله ، وزمزم هزمة جبريل عليه السلام بعقبه ، وهي سقيا الله إسماعيل ، وزمزم اشتقت من الهزمة .

قال أبو عبد الله : والهزمة الدفعة ، ومنه اشتقاق الهزيمة ، وهو قوله تعالى : ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة : ٢٥١] . وهو الدفع والكسر .

١٣٧٤ـ وحدثنا هارون بن أبي بردة البجيلي ، ثنا يونس بن بكير ، قال : حدثني يزيد بن أبي

حبيب المصري ، عن مرثد بن عبد الله[(١)] اليزني ، عن عبد الله بن زرير الغافقي ، قال : سمعت علي بن أبي طالب رضي الله عنه يحدث بحديث زمزم ، قال : بينما عبد المطلب نائما في الحجر أتي فقيل له : احفر برة . قال : وما برة ؟ ثم ذهب عنه ، حتى إذا كان الغد نام في مضجعه ، فأتي ، فقيل له : احفر المضنونة . قال : وما مضنونة ؟ ثم ذهب عنه ، فلما كان الغد عاد فنام في مضجعه ، فأتي فقيل له : احفر طيبة . فقال : وما طيبة ؟ ثم ذهب عنه ، فلما كان الغد عاد لمضجعه فنام فيه ، فأتي ، فقيل له : احفر زمزم . قال : وما زمزم ؟ قال : لا تنزف ولا تذم . ثم نعت له موضعها ، فقام يحفر حيث نعت له ، فقالت له قريش : ما هذا يا عبد المطلب ؟ قال : أمرت بحفر زمزم . فلما كشف عنه أبصر الطوى قالوا : يا عبد المطلب ، إن لنا حقا فيها معك ، إنها بئر أبينا إسماعيل عليه السلام . قال : ما هي لكم ، لقد خصصت بها دونكم . فحفرها .

قال أبو عبد الله :

فهذه الأشياء التي ذكرت لعبد المطلب في منامه دليل على ما فيها .

فأما قوله : " برة " فمعناه أنها تعطيك الصدق من نفسها ؛ لأنها من الجنة ، وكل شيء من الجنة ، فإن الأشياء المشتهيات كائنة جميعها في واحدة منها ، وذلك قوله : لهم فيها ما اشتهت أنفسهم[(٢)] . وقال : ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ﴾ [الزخرف : ٧١][(٣)] . فكل شيء من الجنة موجود [٢/ ١٣٣/ أ] في واحدة منها جميع الشهوات ، ألا ترى أن العينين النضاختين المذكورتين في التنزيل تنضخان بألوان الأشياء ، فإن اشتهى ولي الله من تلك العين طعاما نضخت ، وإن اشتهى شرابا نضخت ، وإن اشتهى جواريا نضخت ، وإن اشتهى دوابا ملجمة مسرجة نضخت ، وبذلك جاء الخبر .

وروي في الخبر : أن السحابة تجيء تقف على رؤوسهم فتنظر ما يشتهون فتمطر عليهم ما يشتهون ، حتى قال يزيد بن مرثد في حديثه : لإن أشهدنا الله ذلك لأقولن لها : أمطرينا جواريا مُزَنيات .

---

(١) بالأصل " عبيد الله " والمثبت من التهذيب .

(٢) كذا بالأصل ولعلها ذكرها علي سبيل الإقتباس .

(٣) بالأصل " وفيها ما تشتهي الأنفس " .

١٣٧٥ـ حدثنا بذلك عبد الرحيم بن حبيب[١] . وإن الأشجار لتنطق والأقداح تطير فتغترف بمقدار شهوة الشارب ، وذلك قوله تعالى : ﴿ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴾ [الإنسان : ١٦] . أي لا تفضل عن الري ، ولا تنقص منه ، قد ألهمت الأقداح معرفة مقدار ريّ المشتهي ، حتى تغترف بذلك المقدار ، وإن الرجل منهم ليمشي في بيوتاته ويصعد إلى قصوره وبيده قضيب يشير بها إلى الماء فيجري معه حيث ما دار في منازله على مستوى الأرض في غير أخدود ، وينبعه حيث ما صعد من أعالي قصوره .

وذلك قوله : ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾ [الإنسان : ٦] .

فروي في الخبر أن ولي الله يشير بتلك القضبان إلى الماء فتعدل معه حيثما عدل ، فهو التفجير .

وإن الثوب الذي يلبسه ولي الله يتلون عليه في اليوم الواحد سبعين لونا ، كلما خطر بباله لون تغير لباسه عليه بما اشتهت نفسه ، وكذلك فيما يطعم ويشرب ، كلما تمنى أو خطر بباله شيء تغير ذلك الذي في فيه يمضغه إلى طعم ما خطر بباله .

فهذا كله وفاء ربنا لعبده حيث قال لهم : فيها ما اشتهت أنفسهم[٢] ؛ لأنهم ردوا شهوات النفس في الدنيا من المعاصي على نفوسهم فشكر الله لهم في داره ، فكلما تناولوا شهوة من طعام أو شراب أو لباس أو مركب أو مسكن ، أو شيء من الأشياء فخطر ببالهم في ذلك الشيء شهوة غيرها تحول ذلك الشيء إلى ما اشتهت نفسه ؛ لئلا يتنغص عليه عيشه ، ولا يتكدر عليه عطاء ربه ؛ لأن الله تعالى وعده في تنزيله أن الجنة عطاء غير مجذوذ ؛ أي غير مقطوع ، فلو كان إذا خطر بباله شيء من الشهوات احتاج إلى مهلة ومدة حتى ينالها لم يكن في ذلك وفاء للوعد ، فجعل الله الجنة ونعيمها له هنيئة كلما خطر بباله شهوة في شيء تحولت له تلك في أسرع من طرفة عين إلى الشهوة الأخرى وفاء لما وعد ليكون عطاء غير مجذوذ دائما أبدا ، ألا ترى أنه يأتي زوجته وهي بكر فإذا قضى منها شهوته عادت بكرا على حالها ، فهكذا شأن الجنة ، فإذا خرجت من الجنة إلى الدنيا تلك الأشياء تغيرت أحوالها ؛ لأن

---

(١) كذا بالأصل .

(٢) كذا بالأصل ولعلها ذكرها علي سبيل الاقتباس .

الجنة محرمة على الآدميين حتى يذوقوا الموت ، ألا ترى أن الحجر الأسود في الركن كانت تضيء كالشمس فاسودت [٢/ ١٣٣/ ب] لأدناس الآدميين ، وسترت زينتها عنهم فهي في الباطن على هيئتها ، ولكنها مستورة ولو دقت فصارت رضيضا لم تجده إلا أسود في رأي العين ، وهي في الباطن على هيئتها .

١٣٧٦ـ **حدثنا** سلمة[1] بن شبيب ، ثنا إبراهيم بن الحكم بن أبان العبدي ، قال : حدثني أبي ، عن وهب بن منبه ، عن طاوس ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : " لولا ما ضيع من الركن من أنجاس الجاهلية وأرجاسها ، وأيدي الظلمة والأثمة لاستشفي به من كل عاهة ، ولألفاه اليوم كهيئته يوم خلقه الله ، وإنما غيره الله بالسواد لئلا ينظر أهل الدنيا إلى زينة الحياة ، وإنها لياقوتة بيضاء من ياقوت الجنة وضعه الله لآدم حين أنزله في موضع الكعبة قبل أن تكون الكعبة ، والأرض يومئذ طاهرة لم يعمل فيها شيء من المعاصي ، وليس لها أهل ينجسونها ، ووضع لها صفا من الملائكة على أطراف الحرم يحرسونه من جان الأرض ، وسكانها يومئذ الجن ، وليس ينبغي لهم أن ينظروا إليه لأنه شيء من الجنة ، ومن نظر إلى الجنة دخلها ، وهم على أطراف الحرم حيث أعلامه اليوم محدقون به من كل جانب ، فلذلك حُرِّم وسُمِّيَ الحرم .

١٣٧٧ـ **حدثنا** سلمة ، ثنا محمد بن يحيى ، عن ابن أبي إياس ، عن أبيه ، عن وهب بن منبه قال : كان الركن كرسيا لآدم يجلس عليه .

قال أبو عبد الله :

فالركن حجر من الفردوس بعثه الله يوم الميثاق فوضعه بينه وبين العباد ليبايعوه على ذلك الحجر فيمسحونه بأيديهم بيعة لله ، ولذلك أمر باستلامه .

١٣٧٨ـ **حدثنا** الحسن بن حميد الدامغاني ، ثنا أبو أسامة ، عن سفيان بن سعيد ، عن أبي الوليد القرشي قال : سمعت فاطمة بنت الحسين تقول : لما أخذ الله ميثاق العباد جعله في الحجر ، فمن الوفاء لله بالعهد استلام الحجر .

---

(١) بالأصل " مسلمة " والمثبت من التهذيب .

قال أبو عبد الله :

فكذلك ماء زمزم ، هو بهيئته على ما في الجنة من حلاوتها ولذتها ولونها ، إلا أنها ممتنعة أن توجد الشاربين تلك الهيئة التي فيها من الجنة ، وأقرت فيها خلة واحدة وهي الغياث ؛ لأنها أخرجت من الجنة لإغاثة ولد خليل الله عليه الصلاة والسلام ؛ لأن إبراهيم لما ولّى نادته هاجر : يا إبراهيم ، إلى من تكلنا ؟ قال : إلى الله . فكان خليل الله عليه الصلاة والسلام صادقا في قوله ، نطق عن مجادة في الباطن ، فخرج القول منه مجيدا ، وهو فيه صادق ، فوفى الله له لصدقه ومكّن لقوله بين يديه على مجادته ، وأغاث ولده في وقت الاضطرار ، ووفّى الوكالة فبقي ذلك الغياث لمن بعده ممن نواه وشربه ولم يرتجع فيه ذنبا ، وذلك قول رسول الله ﷺ : " زمزم لما شربت له " .

١٣٧٩ـ حدثنا الجارود بن معاذ ، ثنا النضر بن شميل ، أنبأنا يونس [٢/ ١٣٤/أ] بن أبي إسحاق ، عن حارثة بن مصرف ، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : كانت سارة بنت مَلِك ، فتزوجها إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، فلما كان من أمر الجبار ما كان ، وحال الله بينه وبينها فأعطاها هاجر ، فوهبتها لإبراهيم عليه الصلاة والسلام ، على أن لا تَسُرَني فيها ، فولدت له إسماعيل عليه السلام ، وولدت سارة بعد ذلك إسحاق عليه السلام ، فلما أينع الغلامان وتحركا ، أمرهما إبراهيم فاستبقا وهو جالس بفناء بيته ، فسبقه إسماعيل ، وكان أشف الغلامين ، فأخذه إبراهيم فاحتضنه ، ثم جاء إسحاق فأخذه ، فوضعه على فخذه ، فخرجت سارة غَيْرى ، فقالت : احتضنت ابن الأمة ، وأخذت ابني فأجلسته على فخذك ، وقد شرطتني ألا تسرني فيها . قال : أجل . قالت : فاعزلهما عني . فانطلق بهما حتى أنزلهما مكة ، ومعهما قربة لها شنة فيها ماء ، ونفد الماء وبلغ الغلام العطش ، فقالت له أمه : يا شمويل ، اذهب ههنا في أعلى الوادي ، فإني لا أطيق أن أراك إذا مت ، فأمرته ، فانطلق الغلام يتمايل ، وجاء جبريل عليه الصلاة والسلام ، فقال : من أنت؟ قالت : أنا جارية إبراهيم . قال لها : فمن معك ههنا ؟ قالت : معي ابنه إسماعيل . قال : أين هو ؟ قالت : بلغ الجهد فلم أستطع أن أراه إذا مات ، فأمرته فذهب ههنا أعلى الوادي ، أو أسفله ، قال لها : إلى من وكلكما ؟ قالت : قلت له حين ولّى : إلى من تكلنا ؟ قال : أكلكما إلى الله . قال

(١) بالأصل « قال » .

جبريل عليه الصلاة والسلام : قد وكلكما إلى كَنف ادعيه . ثم قال لزمزم فنقبها ، ثم قالت بالسريانية : يا شمويل . ثلاث مرات ، فلما سمع الغلام الصوت ، أقبل يجد - أي يتمايل من العطش - وقامت هي بقربتها تنضح عليها الماء ، فقال لها : اقربيها فإنها ريا ، ولو قضي أنك لم تكوني وضعتي بيدك فيها لجرت ، فجاء إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، فقال لها : من جاءكِ ؟ قالت : جاءنا خير الناس . قال إبراهيم : ذلك جبريل ، ثم إن إسماعيل تزوج ، فقال إبراهيم لسارة : أتأذنين لي فآتي إسماعيل فأزوره ؟ قالت : نعم ، على أن لا تنزل . فانطلق حتى أتى منزله ، فسلم واستأنس ، قال : كيف أنتم ؟ فتجهمت امرأته ولم تحتفِ به ، قال النضر : أي لم تكرمه ، ولم تلطف به . فقال لها : أين إسماعيل ؟ قالت : هو في غنمه . قال : أقرئيه السلام إذا جاء ، وقولي له : غيّر أسكفة بابك ؛ فإني لا أرضاها لك . فلما جاء إسماعيل وجد الريح ، فقال : قد جاءكم خير ؟ قالت : جاءنا شيخ ههنا . قال : فما قال لكم ؟ قالت : سألني عنك ، ثم قال : أقرئيه السلام ، وقولي له : فليحول أسكفة بابه ؛ فإني لا أرضاها لك . قال : أنتِ هي . فخلّى سبيلها ، وتزوج بعد ذلك امرأة ، فقال إبراهيم لسارة : أتأذنين لي في أن آتي إسماعيل ، فأسلم عليه ؟ قالت : نعم ، على أن لا تنزل . فانطلق حتى أتى منزله ، فسلم واستأنس ، قال : كيف أنتم ؟ قالت : بخير . وبشت [٢/ ١٣٤/ ب] به ورحبت به ، قال : فأين إسماعيل ؟ قالت : هو في غنمه ، فأخرجت له غسلا ، وقربت الحجر ، فوضع قدمه عليه ، فأخذت أحد جانبي رأسه ، فغسلته ، ثم حولته من الجانب الآخر ، فوضع قدمه عليه ، فغسلت رأسه ودهنته ، فقال لها : إذا جاء إسماعيل فقولي له : قد جاء والدك ههنا ، وأمرك بأسكفة بابك خيرا . فلما جاء وجد الريح ، قال : قد جاءكم الخير اليوم ؟ قالت : نعم ، قد جاء والدك ، فسألني ، فأخبرناه أنك في الغنم ، فقال : أقرئيه السلام وقولي له : آمرك بأسكفة بابك خيرا ، فإني قد رضيتها لك . قال : فأنت أسكفة بابي . ثم أنزلت السكينة كأنها قطعة ضبابة ، فيها رأس يتكلم .

قال أبو عبد الله :

فقول رسول الله ﷺ " زمزم لما شربت له " . جاري للعباد على مقاصدهم وصدقهم في تلك المقاصد وتلك النيات ؛ لأن العبد الموحد إذا نابه أمر فمن شأنه المفزع إلي ربه ، فإذا فزع إليه استغاث به ، فوجد شيئا قد هيأه الله على مقدمة نوائب

العباد ، غياثا أنبطه لولد خليله عليهما السلام .

فالغياث أمر جامع ينفش ويطرد في جميع الأمور ، فإذا ناب العبد نائبة كائنة ما كانت فنواه وقصده وجد ذلك الغوث فيه موجودا ، وإنما يناله العبد على قدر نيته .

١٣٨٠ـ حدثنا قتيبة بن سعيد ، ثنا هشيم بن أبي ساسان الصيرفي ، قال : سمعت سفيان الثوري يقول : إنما الرقى والدعاء بالنية .

قال أبو عبد الله :

فالنية تبلغ بالعبد عناصر الأشياء ، والنيات على قدر طهارة القلوب وسعيها إلى ربها إلى تلك المراتب ، وتفسير النية النهوض . يقال في اللغة : ناء ينوء ؛ أي نهض ينهض ، فالنية نهوض القلب بعقله ومعرفته إلى الله تعالى ، فعلى قدر العقل والمعرفة يقدر القلب على السعي والطيران إلى الله تعالى ، فالشارب لزمزم إن شرب لشبع أشبعه الله ، وإن شربه لري أرواه الله ، وإن شربه لشفاء شفاه الله ، وإن شربه لسوء خلق حسن خلقه ، وإن شربه لغناء النفس أغناها الله ، وإن شربه لرياضة نفس كفاه الله ، وإن شربه لطهارة قلب طهره الله ، وإن شربه لانفلاق ظلمات الصدر أفلقها الله ، وإن شربه لقوة قواه الله ، وإن شربه لرفعة في الدين رفعه الله ، وبأية نية شربها من أبواب الخير والعافية والفلاح وفى الله له بذلك ؛ لأنه استغاث بما أظهره الله من جنته على حديد أرضه غياثا .

١٣٨١ـ حدثنا أبي رحمه الله ، قال : أخذني البول في ليلة ظلماء في الطواف حتى شغلني وكرهت الخروج مخافة أن أطأ عذرات الناس ، وذلك في أيام الموسم ، فذكرت هذا الحديث ، أن : " ماء زمزم لما شربت له " . فملت إليها فشربت منها شربة تضلعت منها ، فانقطع عني البول إلى الصباح .

فأما قوله : " مضنونة " ، فإنما سميت مضنونة ؛ لأنها قد ضن بها عمن قبلهم من الآدميين ، فجاد الله بها على أب العرب إسماعيل عليه الصلاة والسلام [٢/ ١٣٥/ أ] لتبقى مكرمتها في ولده محمد ﷺ وفي أمته ، وأما قوله : " طيبة " فإنما طابت بدار الله التي خلقها بيده ، ثم طابت بجود الله وبعطفه على ولد خليله صلى الله عليهما وسلم .

الأصل التاسع والخمسون والمائتان

١٣٨٢ـ حدثنا محمد بن أبان مستملي وكيع ، قال : أنبأنا أبو تمام الأهوازي ، عن ثور بن يزيد ، عن خالد بن مقدام ، عن أبي رمثة الأنماري ، قال : كان رسول الله ﷺ إذا أخذ مضجعه قال : " اللهم اغفر لي ذنبي ، وأخسِ شيطاني ، وفكّ رهاني ، وثقل ميزاني ، واجعلني في النداء الأعلى " .

قال أبو عبد الله :

قوله : " اغفر لي ذنبي " . فقد أمر بالاستغفار ، فقال في تنزيله : ﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ﴾ [محمد : ١٩] .

والمغفرة درجات بعضها أعلى من بعض ، فمغفرة الرسل أعظم من مغفرة ذنوبهم ، ومغفرة محمد ﷺ أعلاها ، ألا ترى أنه جاء عنه ﷺ أنه قال : " إن لي دعوة أخّرتها إلى يوم القيامة ، وإن إبراهيم ليرغب إليّ في ذلك اليوم " ، وقال : " إذا زفرت النار على أهل الموقف قالت الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام : نفسي نفسي " . وقال نبينا ﷺ : " أمتي أمتي " .

فهذا لعلو درجته في المغفرة ، فإنه أمره أن يستغفر ، فلم يزل ذلك دأبه بعد ما بشّره الله في سورة الفتح بقوله : ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [الفتح : ٢] . فنزلت عليه في آخر أمره : ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴾ [النصر : ١ - ٣] .

فإنما نزلت هذه بعد فتح مكة ، والبشرى بالمغفرة في سورة " إنا فتحنا لك فتحا مبينا " قبل ذلك بنحو من سنتين ، وذلك عند فتح خيبر ، فلم يزل ذلك دأبه ، ولم يفارق الاستغفار إلى أن قبضه الله ، ومن يحيط بالمغفرة إلا الله ، فكلما استكثر العبد من سؤالها كان منها أوفر حظا .

وروي في الخبر المأثور : إن الاستغفار يخرج يوم القيامة ينادي : يا رب ، حقي حقي . فيقال : خذ بحقك . فيحتفل أهله ويجتحفهم .

وروي أن داود عليه الصلاة والسلام خرج يستسقي فلما انتهى إلى البراز قال : اللهم اغفر لنا . ورجع فما تتام آخر الناس حتى رجع أولهم ، فكأنهم قد استقلوا منه ذلك ،

فأوحى الله إليه أن قل لقومك : إن من أغفر له مغفرة واحدة أصلح له بها أمر دنياه وآخرته .

قوله : " أخسِ شيطاني " . كأنه ليس من آدمي إلا وكل به شيطان يوسوس إليه ، وهو الوسواس الخناس ، ولذلك أمر رسول الله ﷺ بأن يستعيذ برب الناس ملك الناس إله الناس من شر الوسواس .

وروي عن رسول الله ﷺ : " ما منكم من أحد إلا وقد وكّل به قرينه من الشياطين " . قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : " ولا أنا ، إلا أن الله قد أعانني [٢/ ١٣٥/ ب] عليه فأسلم " .

ثم تأول المتأولون هذه الكلمة ، من قوله : " فأسلم " . على معنيين ، فأحد المعنيين ذهب به إلى السلامة ، أي سلم من كيده ودواهيه لأنه أمر بالتعوذ منه ، فلم يكن ليأمره بالتعوذ فيفعل إلا وقد سلم منه بما أمره من التعوذ ، ونفروا من أن يحملوا معناه على الإسلام ، وليس على ما ذهبوا ، لأن قوله : " أسلم " . مفتوح الميم معناه : أي انقاد وأعطى بيديه سلما ، كقوله تعالى : ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا ﴾ [الحجرات : ١٤] . أي أعطينا بأيدينا سلما ، كقوله تعالى : ﴿ وَأَلْقَوْا۟ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ ﴾ [النساء : ٩٠] . أي أعطوا بأيديهم وألقوا أنفسهم إلى الله تسليما . فقوله : " أخسِ شيطاني " . أي أنك إذا أخسيته خسئ فلم يبق معه شر ولا كيد ، والخسأ في لغة العرب الفرد ، والزكاء المزوج ، وكل شيء انضم إليه شيء فزاوجه فهو زكاء ، ومنه سميت الزكاة في مال الزكاة ، وفي كل شيء زاد ، وربى من الزرع والثمار ريعه ، قيل : زكاء الزرع وزكت الثمرة ، ومن ذلك قوله : ﴿ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ ﴾ [البقرة : ٢٣٢] . وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا ﴾ [النور : ٢١] . ومنه قوله تعالى : ﴿ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [فصلت : ٦-٧] . أي لا يؤتون كلمة لا إله إلا الله ، فيخسئون من نورها ، فإذا لم يقولوا فهم خسأ أي فرد خال عن النور والخير ، فيقول الله لهم في النار : ﴿ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ [المؤمنون : ١٠٨] . أي كونوا في خلاء مني ومن رحمتي ونوري وجودي وعطفي ، فعندها ينقطع الكلام والنداء ويطبق عليهم ، فلا يبقى لهم من الرب شيء ، فذاك الحال أخلى خلاء ، فقوله : " أخسِ شيطاني " . أي أخله من جميع الشر الذي فيه ، وأنه خلق من نار ، حتى لا يبقى له قوة أن

يكيدني بشيء وإن دق ، قولك " فك رهاني " فإن النفوس حظها من الدنيا النعمة ، نعمة البصر ونعمة السمع ونعمة اللسان ، ونعمة سائر الجوارح ، وسائر النعم التي تربى فيها الجوارح ، وحظها من ربها الحياة والعلم والذهن والمعرفة والعقل والحفظ والفهم والفطنة والقوة ، ومن يحص نعم النفس ، وقوامها ودوامها بالشكر ، فالنفوس مرتهنة بالنعم ، فإنما يفكها الشكر ، فعلم الرسول ﷺ أن العباد لا يبلغون كنه الشكر ، ففزع إلى ربه أن يتولى فك رهانه بجوده وفضله ، وقال تعالى في تنزيله : ﴿ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ [الطور : ٢١] . وقال تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ * إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴾ [المدثر : ٣٨ - ٣٩] . فأصحاب اليمين هم الموحدون ، وحدوا الله بقلوبهم ثم أبرزوا ذلك التوحيد على ألسنتهم فنطقوا بلا إله إلا الله ، فاقتضى الله عباده الوفاء بصدقها ، وصدقها مستور عن الخلق ، وعند الله ظاهر فاقتضى حفظ الجوارح السبع عن المناهي وأداء الفرائض ليبرز صدق الصادق وكذب الكاذب ، فكل الموحدين قد أخذوا بسهم من سهام يمن اليمين كل على قدر صدقه ، يتوفر من ذلك اليمين [٢/ ١٣٦/ أ] ، فأول أصحاب اليمين الرسل عليهم السلام ، وآخرهم من أتى الله بكلمة التوحيد قط نطقا بها ليس معك وراء ذلك شيء ، وأصحاب الدرجات فيما بين ذلك ، فكل من أتى الله مع هذه الكلمة بشيء من أعمال البر من حفظ جارحة وأداء فريضة واحدة فقد أتى بسهم من الشكر ، وإن دق فعلى قدر ذلك من الشكر فك رهانه وبقي سائر السهام عليه غرما ، ولذلك قال تعالى : ﴿ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴾ [الفرقان : ٦٥] .

فأوفرهم حظًا من حفظ الحدود وأدى الفرائض أوفرهم حظا من الشكر ، وهذا شكرهم فينجو من الغرم بقدر ذلك ، ويفك من رهنه بقدر ما نجا من الغرم حتى ينتهي ما وصفنا إلى درجات الرسل عليهم الصلاة والسلام ، فهم أحفظ الخلق للجوارح ، وأتقاهم عليها ، وأدائها للفرائض ، وهم مع هذا مقتصرون عند أنفسهم في الشكر ، قال الله تعالى : ﴿ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴾ [عبس : ٢٣] . أي لن يبلغ أحد أن يقضي أمره على كنهه .

وكيف يقدر آدمي على أن يخرج من لحمه ودمه الذي أصله من التراب ومعه شهوات نفسه ووسواسه ما يبلغ به كنه أمره الذي هو أهله هيهات هيهات ، فالآدميون عجزوا عن هذا ، فلذلك فزع إلى ربه فقال : " فك رهاني " . حتى يكون الذي عجز عنه

الآدميون هو الذي يفكه بجوده فينجو من رهان الشكر ، ألا ترى إلى قول موسى صلوات الله عليه : يا رب أسبغت عليّ النعم السوابغ فشكرتك عليها فكيف لي بشكر شكرك ؟ قال : يا موسى تعلمت العلم الذي لا يفوقه علم ، بحسبك أن تعلم أن ذلك من عندي . فهذا موضع العجز ، فإذا بلغ العبد موضع العجز فزع إلى الله حتى يجود عليه بما بقي عليه من الشكر فيفكه من رهنه .

قوله : " ثقل ميزاني " . فالرسل في ستر الله الأعظم ، فإذا نصبت الموازين امتلأت الكفتان جميعا من نور أعمال النبوة وأفعال الرسالة ، والصدق لسان موازينهم ، فأصدق الخلق الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام في أقوالهم وأفعالهم ، فأهل الموقف في أشد الأهوال في ذلك الموقف ؛ لأن الرحمة لم تخرج بعد من الحجب إلى أهل الموقف ، والرب تعالى غضبان أسف محتجب عن خلقه لشرك المشركين وعبادة الأوثان ، وفرية المفترين على الله ، فذاك وقت الأهوال ، فإذا نصبت موازين الرسل وطارت أنوار أعمالهم في النبوة وأفعالهم في الرسالة من الميزان إلى الله سكن الغضب ورضي عنهم الرب تعالى ، وخرجت الرحمة من الحجب إلى أهل التوحيد فأحاطت بهم ، وصار الموحدون في سرادقها ، فعندها توزن أعمال العباد ، فإنما قال : " ثقل ميزاني " . أي وفر علي أنوار النبوة والرسالة حتى أكون أعظمهم نورا وأوفاهم وفاء ، وأصدقهم صدقا حتى يكون عملي هو الذي يسكن غضبك على خلقك ويخرج الرحمة إلى الموحدين بما أوافي به ذلك المقام [٢/١٣٦/ب] .

وأما قوله : " واجعلني في النداء الأعلى " . فإن الأنبياء في الموقف لهم مراتب على نحو مقاومهم بقلوبهم في دار الدنيا ، فمن كان أقرب منزلة بقلبه في دار الدنيا فهو أقرب منه مرتبة هناك ، فالندي هم السابقون المقربون الذين يبدأ بهم ، فسأل أن يكون في أعلاهم مرتبة ؛ لأن أعلاهم مرتبة أقربهم إليه مكانا ، فكان هذا دعاؤه حتى بشر بالمقام المحمود ، وهو أقرب المقام .

ولذلك قال مجاهد في قوله تعالى : ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء : ٧٩] قال : يجلسه على عرشه .

فروي لنا أنه تنشأ ناشئة من العرش كهيئة الشجنة ، فتحمله من الموقف إلى أعلى

العرش حتى ينظر إليه الخلق في تلك الوقفة ، فيتلهفون على ما فاتهم من أداء حقه إذا رأوا له تلك المنزلة عند ربه .

١٣٨٣ـ حدثنا أبي رحمه الله ، أنبأنا محمد بن الحسن ، أنبأنا عبد الله بن المبارك ، أنبأنا معمر ، عن . . . [1] ، سمع محمد بن عبد الله بن أبي يعقوب ، يحدث عن بشر بن شغاف ، قال : سمعت عبد الله بن سلام رضي الله عنه يقول : أكرم خليقة الله على الله أبو القاسم ﷺ . قلت : لا يكون ملكا مقربا ، فنظر إلي ، قال : تدرون كيف خلق الملائكة ، إنما خلق الملائكة كخلق السماء والأرض ، وكخلق الجبال والسحاب ، وإن أكرم خليقة الله على الله سبحانه وتعالى أبو القاسم ﷺ ، فإذا كان يوم القيامة وضرب الجسر على جهنم نادى مناد : أين محمد وأمته ؟ فيقوم نبي الله ﷺ فتتبعه أمته فيمضي النبي والصالحون حتى ينتهي إلى ربه تعالى ، فيوضع له كرسي عن يمين الرحمن تعالى وتقدس .

---

(١) شيخ معمر لم أستطع قراءتها بالأصل .

الأصل الستون والمائتان

١٣٨٤ـ حدثنا أبي رحمه الله ، ثنا إسماعيل بن صبيح اليشكري ، ثنا عنبسة بن سعيد أخو أبي الربيع السمان ، عن مهاجر أبي المنيب الهذلي ، عن أبي المليح ، عن أبيه ، أن رجلا أتى رسول الله ﷺ فقال : إني أدخل في صلاتي فلا أدري أعَلَى شفع أتقبل أم على وتر من وسوسة أجدها في صدري . فقال رسول الله ﷺ : " إذا وجدت ذلك فاطعن أصبعك هذه - يعني السبابة - في فخذك اليسرى ، وقل : باسم الله ؛ فإنها سكين الشيطان ، أو مدية الشيطان " .

قال أبو عبد الله :

معناه عندنا أن هذه الطعنة بالسبابة مدية الشيطان إذا كان مبتدأها باسم الله ، والمدية السكين التي لها وجهان ، كالخنجر المقدار إلا أنها ذات وجهين ، فباسم الله تخلص تلك الطعنة بالسبابة إلى الشيطان فتنال منه فخذه وساقيه على بصير مقعدا زمنا ، وذلك أن الوسواس جاءنا صفته في الحديث ، كيف هو من الآدمي .

١٣٨٥ـ حدثنا صالح بن عبد الله ، ثنا إسماعيل بن إبراهيم ، عن الجريري ، عن عثمان بن أبي العاص أنه شكا إلى رسول الله ﷺ [٢/ ١٣٧/ أ] الوسواس ، فقال : " ذاك شيطان يقال له خنزب ، فإذا أحسست بشيء منه فاتفل عن شمالك ثلاثا ، ثم تعوذ بالله منه " .

١٣٨٦ـ حدثنا صالح ، عن عمرو بن محمد العنقزي ، عن أبي بكر الهذلي ، عن شهر بن حوشب ، عن أبي ثعلبة الخشني قال : سألت الله أن يريني الشيطان ومكانه من ابن آدم ، فرأيته يداه في يديه ورجلاه في رجليه متشاعبة في جسده ، غير أن خطما كخطم الكلب ، فإذا ذكر الله خنس ونكص ، وإذا سكت عن ذكر الله أخذ بقلبه .

فعلى نحو ما وصف أبو ثعلبة أنه متشاعب في الجسد ؛ أي في كل عضو منه شعبة منه .

وروي عن عبد الرحمن بن الأسود ، أو غيره من التابعين ، أنه قال : بعدما كبر سني وضعفت ما أمنت الزنا ، وما يؤمنني أن يدخل الشيطان ذكري فيوتده . فهذا القول ينبئك أنه يتشعب في الجسد .

١٣٨٧ـ حدثنا الجارود ، عن أبي معاوية ، عن الأعمش ، عن خثيمة ، أنه قال : يقول

الشيطان : كيف ينجو مني ابن آدم وأنا في صدره ، فإذا غضب طرت حتى أكون في رأسه .

فهذا تحقيق ذلك أيضا ، وإنما يطير إلى الرأس في وقت الغضب لأن العقل في الرأس ، وإشراقه من الرأس إلى الصدر لينظر عين الفؤاد بنور العقل فتميز بين الأمور وتدبر ، فإذا رأى الشيطان الغضب قد هاج من الآدمي طار إلى رأسه حتى يحجب العقل عن أن يشرق في الصدر .

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : " الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم " .

فمجرى الدم هي العروق المشتملة على جميع الجسد ، فقول رسول الله ﷺ في حديث أبي المليح حيث أمره أن يطعن بالسبابة في فخذه اليسرى ، يدخل على تحقيق هذه الأحاديث التي ذكرناها أنه متشاعب في الجسد ، ثم سلطانه ومقعده في الصدر في وقت الوسوسة .

وروى أبو الأشهب ، عن يحيى بن أبي كثير ، قال : الوسواس له باب في صدر ابن آدم يوسوس إليه منه

١٣٨٨ـ **حدثنا** عمر بن أبي عمر العبدي ، ثنا عصام بن المثنى بن وابل الحمصي ، قال : حدثني أبي ، عن وهب بن منبه : أن إبليس وضع ابنا له بين يدي حواء ، وقال : اكفليه . فجاء آدم فقال : ما هذا يا حواء ؟ قالت : جاء عدونا بهذا ، وقال لي : اكفليه . فقال ألم أقل لك لا تطيعيه في شيء ؛ هو الذي غرنا حتى وقعنا في المعصية . وعمد إلى الولد فقطعه أربعة أرباع ، وعلق كل ربع على شجرة غيظا له ، فجاء إبليس فقال : يا حواء ، أين ابني ؟ فأخبرته بما صنع آدم ، فقال : يا خناس ، فحيى فأجابه ، فجاء به إلى حواء وقال : اكفليه ، فجاء آدم فحرقه بالنار وذرّ رماده في البحر ، فجاء إبليس عليه اللعنة فقال : يا حواء ، أين ابني ؟ فأخبرته بفعل آدم إياه فذهب [٢/ ١٣٧/ ب] إلى البحر ، فقال : يا خناس ، فحيي فأجابه ، فجاء به إلى حواء الثالثة ، وقال : اكفليه . فنظر إليه آدم فذبحه وشواه وأكلاه جميعا ، فجاء إبليس فسألها فأخبرته حواء ، فقال : يا خناس . فحيى فأجابه ، فجاء به من جوف آدم وحواء فقال إبليس : هذا الذي أردت ، وهذا مسكنك في صدور ولد آدم . فهو ملتقم قلب ابن آدم ما دام غافلا يوسوس ، فإذا ذكر الله لفظ قلبه وانخنس .

١٣٨٩ـ حدثنا عمر ، ثنا عبد الله بن عبد الوهاب الحجبي ، عن عدي ابن أبي عمارة ، قال : حدثني زياد النمري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " الشيطان ملتقم قلب ابن آدم ، فإذا ذكر الله خنس عنه ، وإذا نسي الله التقم قلبه " .

وأما التفل الذي أمر رسول الله ﷺ به أن يتفل عن يساره ، فإن التفلة واصلة إلى وجه الشيطان فتصير قروحا ، وكذلك رمي الجمار إنما يرمى رأس الشيطان ومطلعه حيث طلع لآدم ، ثم لخليل الله عليهما الصلاة والسلام فبقيت سُنة ؛ لأن تلك الطلعة منه كائنة لكل مسلم حاج ، فإذا رمى الحاج شدخ رأسه وطلعته حتى يخنس ، وإنما أمر بسبع حصيات ؛ لأنه أطلع رأسه من سبع أرضين ونفسه موثقة في سِجّين ، وذلك سجنه تحت الأرض السابعة ، فبكل حصاة يخنس في الأرض حتى تبلغ خنساته بالسابعة في الأرض السابعة إلى مستقره ، فكذلك التفلة مع تعوذك بالله يرد الذي جاء به من النزغة والوسوسة كالنار إلى وجهه فيحرق ويصير قروحا .

وروي عن الربيع بن خيثم أنه قص عليه رؤيا منكرة ، وذلك أنه أتاه آت فقال : إني رأيت في المنام كأن قائلا يقول : أخبر الربيع أنه من أهل النار . فتفل عن يساره ثلاثا وقال : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، فرأى ذلك الرجل في منامه في الليلة الثانية كأن رجلا جاء بكلب فأقامه بين يديه وفي عنقه حبل وعلى جبهته قروح فقال : هذا ذلك الشيطان الذي أراك في منامك رؤيا الربيع ، وهذه القروح تلك التفلات الثلاث التي كانت منه . والله سبحانه وتعالى أعلم .

الأصل الحادي والستون والمائتان

١٣٩٠ـ حدثنا عيسى بن أحمد العسقلاني ، ثنا شبابة ، ثنا شعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " كَمُل من الرجال كثير ، ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران ، وآسية بنت مزاحم ، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام " .

قال أبو عبد الله :

فكمال المرء في سبقه في العلم والحق والعدل والصواب والصدق والأدب واللبق ، وذلك أنه إذا لم يعلم فهو جاهل [٢/١٣٨/أ] بأمر الله ، فإذا علم أمر الله احتاج إلى أن يكون محقا ، فيعمل بذلك العمل وهو حق ، ولكنه في غير وقته ، فلم يصب الصواب بمنزلة رجل صلى ركعتين في وقت طلوع الشمس ، فالصلاة حق ، ولكنه لم يصب وقتها فتكون صوابا ، وبمنزلة رجل صلى وأمه تدعوه فترك إجابتها ، وبمنزلة رجل غزا بغير إذن أبويه ، فالفعل حق ولكنه لم يصب الصواب ، فإذا عمل فأصاب الصواب احتاج إلى العدل قبل ذلك ، فيكثر يريد به وجه الله في ذلك العمل ، فإذا عدل احتاج إلى الصدق أن لا يلتفت إلى نفسه فيوجب لها ثوابا أو يقتضيه ثوابا فتحتجب عنه المنة فإذا احتجبت صار معجبا متعظما في نفسه ، فإذا قام الصدق في ذلك وهو صدق العبودة احتاج إلى الأدب أن يعمله كأن الله يراه فهو يعمل على يقظة أن يرى الله بما يرى حتى يعمل بوقار وسكينة وهيبة ووقارة ذلك العمل ، فإن الأدب بساط العمل ، فإذا لم يبسط البساط لم تتميز الأشياء ولم تنقسم حتى يحضره ، فإنه يتوقر العمل ، فإذا أقام الأدب احتاج إلى اللبق ، فإذا لبق قبل ، وإنما يدرك اللبق بحياة القلب بالله ، فإذا حيى القلب بالله كان عمله لبقا ، فهذا الكامل لأنه يعمل على المشاهدة على بصيرة ، وذلك قوله : ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ۞ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴾ [القيامة : ١٤ - ١٥] . أي لا تنفعه المعاذير ، ولا تقبل معذرته ، لأنه قد أعطي البصيرة فأعماها بهوى النفس ، ومشيئاتها وشهواتها ، فإذا أعمى بصيرته فاللائمة لازمة له ، وعذره غير مقبول .

١٣٩١ـ حدثنا عمر بن أبي عمر العبدي ، ثنا محمد بن مخلد أبو أسلم الرعيني ، ثنا يعلى بن

الأشدق الطائفي ، قال : سمعت عمي عبد الله بن حراد ، يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " ليس الأعمى من يعمى بصره ، إنما الأعمى من تعمى بصيرته "[١] .

قال أبو عبد الله :

وذلك قوله تبارك وتعالى في تنزيله : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴾ [الحج : ٤٦] .

فالبصر في العين الظاهرة من نور الروح ، والبصيرة على النفس من القلب ، من نور معرفة الفطرة ، وذلك أن الله تعالى كان ولا شيء ، ثم قدر المقادير فأبرز علمه في خلقه يوم المقادير ، ولا عرش ولا كرسي ولا جنة ولا نار ، ولا مكان ولا وقت ولا زمان ، ولا خلق مخلوق ، ثم عرضهم فنظر إليهم حتى أنفذهم بصره ، فمن ثم عرفوه ، فقال في تنزيله : ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴾ [القيامة : ١٤] . أي من نور معرفة الفطرة عليها ، بصيرة تبصره أن هذا الذي يبصر بعين الرأس هو آيات الله ، وآثار قدرته ، فهذا الإنسان خرج من بطن أمه مع هذه البصيرة لا يقدر أن يجحد ربه ولا ينكره ؛ لأن بصيرته معه ، فلما تحركت منه الشهوات التي في نفسه عميت بصيرته ؛ لأن القلب مال إلى الانشراح بالشهوات ، والنفس مالت إلى اللذة بالشهوات ، فعميت بصيرته ، كمن لم يعرف أنه [١٣٨/ ب / ٢] افتقد قوة المعرفة فذهب أعمالها فلذلك قبل من العدو ما جاء به من الشرك والعبادة لمن دونه ، واتخاذ ولي دونه ، فظلمة الشهوات حجبت تلك البصائر ، بصائر الهدى من الناس ، ثم من الله على مختاريه من ولد الآدميين فاختار من كل ألف واحدًا فوضع فيه الخير حتى صار مختارا ، ثم من عليه بنور التوحيد ، وفي جوف ذلك النور نور المحبة ونور البهاء ، فقيد قلمه ونفسه الشهوانية بنور المحبة ، فلما وجدت النفس حلاوة نور المحبة رفضت حلاوة عبادة الوثن وبنور البهاء ، وأن التوحيد لله ، وقبح عنده الشرك فرفضه ، فبوجود نور المحبة ونور البهاء لم تعم بصيرته ، وازدادت البصيرة قوة ، فبوجود هذه الأنوار التي جاءت من المنة ، فمن صان هذه له أنوار من دخان النفس وحريق الشهوات ، قويت

---

(١) ذكره المناوي وقال : فيه يعلى بن الأشدق أورده الذهبي في الضعفاء وقال : قال البخاري : لا يكتب حديثه .

بصيرته قوة تهتك كل حجاب بينه وبين ربه من حجب الأرضيين ، وصدرت أعماله من صدره إلى الأركان على مشاهدة اليقين ، ومعاينة القلب محل المقادير ومحل القضاء من ملك الجبروت ، وذلك قوله تعالى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ . ثم قال : ﴿ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف : ١٠٨] .

فلم يجعل الدعاء إلى الله على بصيرة إلا لتابعي محمد ﷺ ، وتابعوه من هاجر عما نهى الله عنه ونصر الحق في كل موطن ، وكان له السبق ، فهذا عبد قد رضي الله عنه وأعطاه حبه فاحتدت بصيرته حتى انتهت إلى المقام بين يديه ، فباطن الأشياء له معاينة كظاهر الأشياء لأهل الغفلة معاينة .

فأهل الغفلة ينظرون إلى الأشياء بنور الروح ، وهذا الموقن الذي وصفناه ينظر إلى الأشياء بنور الله ، ولذلك قال رسول الله ﷺ : " اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله " . وقال رسول الله ﷺ في الحديث الذي يأثره عن جبريل عليه السلام عن الله تبارك وتعالى أنه قال : " ما تقرب إلي عبدي بمثل أداء فرائضي ، وإنه ليتقرب إلي بعد ذلك بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي به يسمع ، وبصره الذي به يبصر ولسانه الذي به ينطق ، ويده التي بها يبطش ، ورجله التي بها يمشي ، وفؤاده الذي به يعقل ، فبي يستعمل هذه الأشياء " .

فإذا أدى الفرائض ؛ وهي إقامة الأمر والنهي فقد هاجر ، وإذا تنفل بعد إقامة الأمر والنهي فقد نصر الحق ، وإذا قطع العلائق نال السبق ؛ لأنه قد انفلت من المتعلقين فطار إلى ربه ، فهذا التابع بإحسان ، قال الله تعالى في تنزيله : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة : ١٠٠] .

فالسبق والأولية في كل أمر وعمل لهذه الطبقة التي بها حرث[(١)] عن الآثام ونصرة الحق ، فهم أهل الرضاء ومحبوبو الله أيام الدنيا ؛ لأنهم اتبعوا رأس المحبين محمدا ﷺ [٢/ ١٣٩/ أ] فنالوا من تلك المحبة التي أعطيت محمدا ﷺ ، وقال في

---

(١) هكذا استظهرت قراءتها .

تنزيله : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران : ٣١] . فجعل اتباع محمد ﷺ علامة لمحبة الله ، فمن اتبعه صدقا نال حبه صدقا .

١٣٩٢ـ **حدثنا** عمر بن أبي عمر ، ثنا الحسن بن الربيع البجلي ، ثنا عمرو بن هرمز(١) ، ثنا أبو عبد الرحمن الدمشقي ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن أبي الدرداء رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ في قوله : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران : ٣١] . قال : على البر والتقوى والتواضع وذلة النفس .

قال أبو عبد الله :

فالبر والتقوى هو الهجرة التي ذكرناها ، والتواضع هو السبق ؛ لأن من تواضع رفعه الله ، وذلة النفس نصرة الحق .

قال له قائل : وكيف صار نصرة الحق في النوافل دون الفرائض ؟ قال : إن نصرة الحق منه في الفرائض منكمنة ؛ لأنه إن ترك الفرائض فخوف الوعيد يحمله على القيام بها ، فما دام يؤدي الفرائض فهو ناصر للحق ، ولكن النصرة منكمنة لأنه ربما أداها من خوف العقاب والوعيد ، فإذا تنفل فقد انكشفت النصرة ؛ لأنه يعمل لا من خوف الوعيد إنما يريد أن يتودد ويتقرب ويتحبب إلى ربه بتلك النوافل ، ألا ترى أنه قال في حديثه : " وإنه ليتقرب إلي بعد ذلك بالنوافل حتى أحبه " .

فإنما أوجب له حبه بما تحبب إليه بالنوافل ، فقد تقرب العبد بالفرائض وتحبب ، ولكن كان ذلك منكمنا لأن خوف الوعيد قد مازجه ، فبالنوافل ظهر ما كان منكمنا فأظهر له حبه وأوجبه له .

١٣٩٣ـ **حدثنا** عمر بن أبي عمر ، ثنا محمد بن الطفيل ، عن أيوب بن يسار الزهري ، ثنا محمد بن المنكدر ، عن جابر رضي الله عنه قال : جاء العباس إلى رسول الله ﷺ وعليه ثياب بيض ، فتبسم رسول الله ﷺ في وجهه ، فقال : يا رسول الله ما الجمال ؟ قال : " صواب القول بالحق " . قال : فما الكمال ؟ قال : " حسن الفعال بالصدق " .

١٣٩٤ـ **حدثنا** عمر ، ثنا فهد بن سلام ، عن ليث ، عن مجاهد ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، عن النبي ﷺ بمثله ، غير أنه زاد فيه : فرآه تبسم فقال : ما يضحكك يا رسول الله ،

---

(١) بالأصل " عمرو بن أبي هرمز " والمثبت من التهذيب .

أضحك الله سنك ؟ قال : " يضحكني جمالك " .

قال : وما الجمال يا رسول الله ؟ فذكر بقية الحديث .

قال أبو عبد الله :

فهذا الكمال موجود في الرجال بفضل العقول وتفاوتها ؛ لأن المعرفة مع العقل ، والنساء منقصرات في العقول ، وعقولهن على النصف من عقول الرجال ، ولذلك صارت شهادة امرأتين تعدل شهادة رجل لنقص عقولهن .

فأما مريم بنت عمران وآسية فإنهما برزتا على النساء بما أُعطيتا فكملتا ، قال له قائل : ماذا أعطيتا حتى كملتا ؟ قال : أعطيتا السبيل إلى الوصول إلى الله ، ثم الاتصال به ، وذلك ما ندب الله إليه عباده المؤمنين فقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة : ٣٥] .

وفيما قص الله علينا من شأنهما دليل على كمالهما من قوله : ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا ﴾ . أي صفة ﴿ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ ؛ ليمتثلوا فيطلبوا هذا المثال من أنفسهم . فقال : ﴿ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ ﴾ . والعند في اللغة أقرب القرب بين يديه ، فسألت ربها مستقرا بين يديه في داره في مكان القربة فلم تسأل ذلك إلا وقد طالعت نور القربة ، ثم قالت : ﴿ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ ﴾ [التحريم : ١١] .

سألت أن يخلصها من سلطان فرعون حتى لا يجتمعا في شأن البضاع على رائحة الشرك ، ولذلك حرم الله تعالى على المؤمنين مشركات النساء ؛ لئلا يجتمع رائحة التوحيد مع رائحة الشرك ، وأباح نساء أهل الكتاب لأنهن من الضلال الكفار غير مشركات ، ثم قال : ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ ﴾ [التحريم : ١٢] .

فالتصديق بالكلمة أعظم الأشياء ؛ لأنها لم تعاين الملائكة ، وإنما سمعت صوت البشرى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ﴾ [آل عمران : ٤٥] . فصدقت ولم تتردد ؛ فسماها الله صديقة في تنزيله ؛ فقال : ﴿ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ﴾ [المائدة : ٧٥] .

فبالاتصال يبلغ العباد أعلى منازل الصديقين فلا يبقى لهم في أمر الله حيرة ، ألا ترى أن سارة لما بشرت بإسحاق كيف اضطربت حتى أنكرت الملائكة من قولها : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ * قَالُوٓاْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ [هود : ٧٢ - ٧٣] .

فتبين ههنا منها نقص ، وتبين الكمال من مريم حيث بشرت بالكلمة من قوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ۝ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [آل عمران : ٤٥ ، ٤٦] .

فعندها قالت : ﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ﴾ [آل عمران : ٤٧] . فإنما سألت : من أين هذا الولد ؟ لأنه قد جاءها من أمر الله ما ليس في البشر مثله ، والذي جاء من أمر سارة ليس بمستنكر ألا يكون مثله في البشر ، ألا ترى أنه لما جاء الولد من إبراهيم عليه الصلاة والسلام وسارة ولم(١) يفتتن الخلق به ، ومجيء عيسى عليه الصلاة والسلام صار فتنة على المفتونين .

(١) كذا بالأصل ولعل الصواب « لم » .

الأصل الثاني والستون والمائتان

١٣٩٥ـ **حدثنا** أبي رحمه الله ، ثنا محمد بن حفص البلخي ، ثنا العلاء بن الحكم ، عن الربيع بن صبيح ، عن الحسن أنه قال : من لم يحفظ هذا الحديث كان النقصان في مروءته وعقله .

قلنا : وما ذاك يا أبا سعيد ؟ قال : فبكا وأنشأ الحديث فقال : لو أن رجلا من المهاجرين الأولين اطلع من باب مسجدكم هذا ما أدرك شيئا مما كانوا عليه إلا خلقكم هذه . ثم قال : هلاك الناس ثلاثا : قول ولا فعل ، ومعرفة ولا صبر ، ويقين ولا صدق ، ما لي أراكم رجالا ولا أرى عقولا ، وأرى أجساما ولا أرى قلوبا ، دخلوا في الدين ثم خرجوا ، وحرموا ثم استحلوا [٢/ ١٤٠/أ] ، وعرفوا ثم أنكروا ، إنما دين أحدهم على لسانه ، ولئن سألته : هل مؤمن بيوم الحساب ؟ قال : نعم ، وكذب ، ومالك يوم الدين ، إن من أخلاق المؤمنين قوة في دين ، وحزما في لين ، وإيمانا في يقين ، وحرصا في علم ، وشفقة في فقه ، وحلما في علم ، وقصدا في غنى ، وتجملا في فاقة ، وتحرجا عن طمع ، وكسبا من حلال ، وبرا في استقامة ، ونشاطا في هدى ، ونهبا عن شهوة ، ورحمة للمجهود ، وإن المؤمن - عياذ الله - لا يحيف على من يبغض ، ولا يأثم في من يحب ، ولا يضيع ما استودع ، ولا يحسد ، ولا يطعن ، ولا يلعن ، ويعترف بالحق وإن لم يشهد عليه ، ولا يتنابذ بالألقاب في الصلاة ، متخشع إلى الزكاة ، مسرع في الزلازل ، وقور في الرخاء ، مشكور قانع بالذي له ، لا يدعي ما ليس له ، ولا يجمع في القيظ[1] ، ولا يغلبه الشح عن معروف يريده ، يخالط الناس كي يعلم ، ويناطق الناس كي يفهم ، وإن ظلم وبغي عليه صبر حتى يكون الرحمن هو الذي ينتصر له ، ثم قال الحسن : وعظني بهذا الحديث جندب بن عبد الله ، وقال جندب : وعظني بهذا الحديث رسول الله ﷺ .

قال أبو عبد الله :

فهذه الخصال كلها من أخلاق المعرفة ، فمن ترقى في درجات المعرفة احتظى من كل درجة خلقا من أخلاقها .

---

(١) هكذا استظهرت قراءتها .

قوله : " قوة في دين " . فالدين خضوع القلب ، وذبول النفس ، وكل شيء خضع لشيء فقد دان له ، ومنه سمي الدون ، يقال : هذا دون ذاك ، أي تحته وأوضع منه ، وانقياد القلب وتوضيع النفس للحق هو للدين ، فقلب الآدمي كثيف غليظ ، ونفسه شفيقة ممتنعة بما فيها من الكبر ، فإذا خبأت المعرفة بأنوارها أذابت تلك الكثافة ، وانتشفت تلك الشفافة والفظاظة ؛ فلان القلب ورق الفؤاد ، ولذلك قال رسول الله ﷺ : " أتاكم أهل اليمن ألين قلوبا وأرق أفئدة " .

وهذا مدح رفيع اختص به أهل اليمن ، وقد كتبنا شأنه العظيم في مثلة جليلة في كتاب النقائض ، فاقتصرنا عليه ، فإنما تلين القلوب الرطوبة الرحمة التي جاءت مع المعرفة ؛ لأن المعرفة لا ينالها العبد إلا برحمة الله ، فإذا لان القلب برطوبة الرحمة ، ورق الفؤاد بحرارة النور ضعف القلب ، وذبلت النفس ، فاحتاجا إلى صلابة ، فكان من صنع الله للعبد أن أعطاه الله من هذه الأنوار الثلاثة حتى كان القلب لله وهو نور الرحمة ونور الحياة ونور العظمة ؛ فبنور الرحمة يلين القلب وينقاد ، وبنور الحياة ينتصر لله عبودة ، وبنور العظمة يتصلب ويثبت إذا جاء به أمواج الشهوات لتزيله عن مركزه ومقامه ؛ لأن العبد دعي إلى العبودة ، فمن أجاب ولان قلبه فإنما لان وأجاب بنور الرحمة الذي ناله والذي لم [٢/ ١٤٠/أ] ينله ، ذلك في قلبه ، وعسى أن ييبس ، بمنزلة غصن شجرة يابسة إذا مددته تقصر ، فإذا كان رطبا فمددته انقاد وأنها ، ولما أمر هذا العبد أن يكون قلبه منتصبا بين يدي خالقه لأموره وعبودته فأيد بالحياة في كبده حتى ينكبد ويقوى للانتصار ، وذلك قوله : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِى كَبَدٍ ﴾ [البلد : ٤] . قال : منتصبا ، فقويت الحياة في الكبد ، ومن تلك القوة ينتصب قلبه لله ، ثم يحتاج إلى ثبات عند الزلازل ، لأن الشهوات إذا هاجت بأمواجها وأهبوب رياحها في عروق النفس وقعت الرجفة في النفس ، والزلزلة في القلب ، بمنزلة سفينة في بحر قد علت أمواجها فصارت السفينة تتكفأ بما فيها ، وذلك يصير القلب ، فإذا صار القلب هكذا وهن وذل ، فيحتاج هذا القلب إلى ثبات ، فإذا أيد بنور العظمة صلب وثبت ، ولذلك ما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : " ما رزق عبد شيئا أفضل من إيمان صلب " .

١٣٩٦ـ حدثنا أبي رحمه الله ، ثنا صالح بن محمد ، عن النضر بن شميل ، عن عوف ، عن

أبي السليل ، عن رسول الله ﷺ بمثله .

١٣٩٧- حدثنا صالح بن محمد ، ثنا سليمان بن عمرو ، عن أبي حازم ، عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله ﷺ : " إن لله في الأرض أواني ألا وهي القلوب ، وأحبها إلى الله أرقها وأصفاها وأصلبها ؛ أرقها للإخوان وأصفاها من الذنوب وأصلبها في ذات الله " .

قوله : حزما في لين ، فإن اللين يظهر على الأركان ، فإذا كان أصله من القلب كان من السكينة ، وإذا كان أصله من النفس كان من الكسل ، وإذا كان من الكسل انتشرت أمور دينه ودنياه ، وتبددت وضاعت ، وإذا كان من السكينة ثقل القلب بثقل السكينة فسكنت الجوارح ، وإذا سكنت الجوارح من ثقل القلب ظهر الحزم في الأمور ، والحزم هو اجتماع الأمور له ، فترى أمور دينه ودنياه كلها محكمة قد جمعت له حزمه .

قوله : " وإيمانا في يقين " . فإن الموحدين قد منّ الله عليهم بنور التوحيد فوحدوه ، ثم للنفس في الأسباب مرتع ، فإذا تعلقت بسبب من الأسباب لم تنقض عقدة التوحيد لأنها معقودة بالعقدة العظمى ، وهي العروة الوثقى التي ذكرها الله عز وجل في تنزيله بأنها لا انفصام لها ، ولكن دخل النقص في نوره المشرق في صدره فصار محجوبا عن قلبه ، وبقي مع الأسباب ، فتراه الدهر من خوف الرزق مضطربا ، ومن خشية الخلق ذاهلا ، ومن الطمع فيما لديهم أسيرا ، ولا يعمل لله إلا كأجير السوء ؛ فهذا موحد دنيء مسفلة ، لا يقدر على الوفاء والتوقير ، لما نطق لسانه بقول : الحمد لله على نعمه ، ثم تراه في الفعل كفورا ، ويقول [٢/ ١٤١/ أ] : الله أكبر ثم يتكبر على حق الله ، ويقول : لا إله إلا الله ، ثم يوله قلبه إلى الأسباب ، فتراه عبيد أهل الدنيا ، ويقول : لا حول ولا قوة إلا بالله ، ثم يقتدر في الأمور ، ويقول : صلى الله على محمد ، ثم يوهن عرى ما جاء به محمد ﷺ وأقامه بالسيف بأفعال السوء والسيرة المذمومة ، ويقول : يا رب ، ثم ينازعه في تدبيره في ربوبيته ، ويقول : توكلت على الله ، ثم يتخذ من دونه أولياء ، فيتعلق بهم لنوائبه وحوائجه ، ويقول : فوضت أمري إلى الله ، ثم يعرض عن تدبيره ويشتغل بتدبير نفسه ، ويقول : اللهم خر لي ، فإذا خار له تسخط وتلوى ، ويقول : حسبي الله ، ثم تراه في خلو من الحسب قد ركن إلى كل ظلوم ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾ [هود :١١٣] ، فهذا مع هذه العقائد قد يتسمى باسم الإيمان

لتوحيده واعترافه بالكلمة العليا وقبوله الإسلام ، ولكن حساب طويل وعذاب أليم في القبر والقيامة وعلى الجسر ، فيحتاج مع هذا الإيمان إلى يقين ، فإذا نال اليقين تخلص من هذه العقائد وصار موحدا شاكرا لله خالصا له متواضعا والها إليه في كل حاجة ، مفوضا ملقيًا بيديه سلما قد تولى الله وتولاه الله ، قد عزر رسول الله ﷺ ووقره ونصره واتبع النور الذي معه أولئك هم المفلحون .

وقال الحسن البصري : إن عمر رضي الله عنه لم يغلب الناس بالصوم والصلاة ولكن بالزهد واليقين .

وقال بكر بن عبد الله المزني : إن أبا بكر رضي الله عنه لم يفضل الناس بكثرة صوم ولا صلاة وإنما فضلهم بشيء كان في قلبه .

وفيما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال في خطبته : " خير ما ألقي في القلب اليقين " ، وقال : " ما أعطيت أمة من اليقين ما أعطيت أمتي " .

وقال : " صلاح أول هذه الأمة بالزهد واليقين ، وفساد آخرها بالبخل والأمل " ، فالبخل والأمل لا يظهر إلا من فقد اليقين ، ساء ظنهم بربهم فبخلوا ، وتلذذوا بشهوات الدنيا فحدثوا أنفسهم بطول الأمل ، تلك أماني كاذبة .

قوله : حرصا في علم ، فهذا حرص قد اتجه على وجهين : فوجه منه أن العلم بحر ، فإذا دخله طالبه فتوسطه فلم ير له ساحلا ولا منتهى ، مل وسأم فيحتاج إلى حرص يعينه على ذلك ويذهب بملالته وسآمته ويعينه في كل وقت ؛ لأن العلم درجات ومدد من العالم العليم ، فلما كان ذلك النوع أقرب إلى العالم كان أغمد وأضيق مدخلا ، والحرص هو . . . (١) إلى العالي من أمر الدين والدنيا ، وإنما صار الحرص مذموما في أمر الدنيا لأن النفس كلما أعطيت درجة من الدنيا نزعت إلى أعلى منها فلا تقنع أبدا ، كلما نالت درجة تاقت إلى درجة أعلى منها ، فهذا إذا [٢/ ١٤١/ب] كان في طلب الدنيا مذموم لأنه لا يقنع بما قدر له في اللوح من الرزق الذي قد فرغ الله منه لكل نفس فهو في حرصه في طلب العلم محمود ؛ لأنه يترقى بعلمه بقلبه إلى علام الغيوب ، فكلما نال درجة قربت منزلته عند ربه ، قال الله

---

(١) كلمة لم استظهر قراءتها .

تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾ [المجادلة : ١١] ، وقال رسول الله ﷺ : " إن يوما لا أزداد فيه علما يقربني إلى الله لا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم " . فالحرص في العلم يرقى بصاحبه ، والحرص في الدنيا يحط بصاحبه ، والوجه الآخر من الحرص أنه يحرص على البر والتقوى ، فيحتاج ذلك الحرص إلى العلم لئلا يتعدى به حرصه في بره وتقواه إلى السقوط في التهلكة ، فيبر بما يصير عقوقا ويتقي بما يصير وسوسة ، ويعمل البر وهو غير مصيب للحق كما فعل جريج الراهب في بره وكما فعلت بنو إسرائيل في تقواهم .

فأما جريج

١٣٩٨ـ فحدثنا عبد الوهاب بن فليح المكي ، ثنا مروان بن معاوية الفزاري ، عن الحسن ابن عمرو ، ثنا عبد الرحمن بن سعيد بن زياد ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ ، عن جريج الراهب أنه كان متعبدا في صومعة زمان بني إسرائيل ، وكانت له أم فتأتيه فتناديه فتقول : يا جريج ، فيقطع صلاته فيكلمها ، فأتته يوما فجعلت تناديه : يا جريج ، فجعل لا يكلمها ولا يقطع صلاته ، ويقول : يا رب ، أمي وصلاتك ، فلا يكلمها ، فلما رأت العجوز ذلك جزعت وقالت : اللهم إن كان جريج يسمع كلامي ولا يكلمني فلا تمته حتى ينظر في أعين الموسات ، وكانت راعية وراعي يأويان إلى ديره ، فوقع بها الراعي فحملت ، وكان أهل القرية يعظمون الزنا إعظاما شديدا ، فلما ولدت أخذوها فقالوا : ممن ولدت ؟ قالت : من جريج الراهب ، نزل فوقع بي فحملت ، فأتاه قومه فنادوه : يا جريج ، فجعل يقول : يا رب قومي وصلاتك ، وجعل لا يكلمهم ، فلما رأوا ذلك ضربوا صومعته بالفئوس ، فلما رأى ذلك نزل إليهم ، قال : ما لكم ؟ قالوا : ذكرت هذه أنها ولدت منك ، فضحك ثم صلى ركعتين ، ثم وضع يده على رأس المولود ، فقال : من أبوك ؟ فقال : الراعي الذي كانت تأوي معه إلى ديرك ، فلما رأى ذلك قومه جزعوا بما صنعوا به ، وقالوا له : دعنا نبني صومعتك ونعيدها لك من ذهب ، قال : لا ، أعيدوها على ما كانت ، فقال له قومه : لِم ضحكت ونحن نريد ما نريد من القتل والشتم ؟ قال : ذكرت دعوة والدتي ألا أموت حتى أنظر في أعين الموسات ، فقال رسول الله ﷺ : " والذي نفسي بيده ، لو دعت الله أن يخزيه لأخزاه ، ولكنها دعت أن ينظر فنظر " .

فقال مجاهد : فكان المولود أحد الثلاثة الذين تكلموا في المهد .

١٣٩٩ـ حدثنا إبراهيم بن المستمر الهذلي ، أنبأنا الحكم بن الريان اليشكري ، قال : حدثني الليث بن سعد ، قال : حدثني يزيد بن حوشب الفهري ، عن أبيه ، قال : سمعت رسول الله ﷺ [٢/ ١٤٢/ أ] يقول : « لو كان جريج الراهب فقيها عالما لعلم أن إجابة أمه من عبادة ربه » .

١٤٠٠ـ حدثنا صالح بن محمد ثنا القاسم بن عبد الله العمري ، عن عمه عبيد الله بن عمر ، عن علي بن زيد بن جدعان القرشي ، عن سعيد بن المسيب قال : جاء عثمان بن مظعون إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، غلبني حديث النفس ، فلم أر أن أحدث شيئا حتى أذكر ذلك لك ، فقال له النبي ﷺ : « وما تحدثك به نفسك يا عثمان ؟ » ، قال : تحدثني نفسي بأن أختصي ، فقال : « مهلا يا عثمان ، فإن خصاء أمتي الصيام » ، قال : يا رسول الله ، فإن نفسي تحدثني بأن أترهب في رءوس الجبال ، قال : « مهلا يا عثمان ، فإن ترهب أمتي الجلوس في المساجد انتظارا للصلوات » ، قال : يا رسول الله ، فإن نفسي تحدثني أن أسيح في الأرض ، قال : « مهلا يا عثمان ، فإن سياحة أمتي الغزو في سبيل الله والحج والعمرة » ، قال : يا رسول الله ، فإن نفسي تحدثني بأن أخرج من مالي كله ، قال : « مهلا يا عثمان ، فإن صدقتك يوما بيوم وتكف نفسك وعيالك ، وترحم المسكين واليتيم فتطعمه أفضل من ذلك » ، قال : يا رسول الله ، فإن نفسي تحدثني بأن أطلق خولة امرأتي ، قال : « مهلا يا عثمان ، فإن الهجرة في أمتي من هجر ما حرم الله عليه أو هاجر إلي في حياتي أو زار قبري بعد موتي وإن مات وله امرأتان وثلاث وأربع » ، قال : يا رسول الله ، فإن نهيتني أن أطلقها فإن نفسي تحدثني بأن لا أغشاها ، قال : « مهلا يا عثمان ، فإن الرجل المسلم إذا غشي أهله أو ما ملكت يمينه فلم يكن من وقعته تلك ولد كان له وصيف في الجنة ، وإن كان من وقعته ولد فمات قبله كان له فرطا وشفيعا يوم القيامة ، وإن مات بعده كان له نورا يوم القيامة » ، قال : يا رسول الله فإن نفسي تحدثني بأن لا آكل اللحم ، قال : « مهلا يا عثمان ، فإني أحب اللحم وآكله إذا وجدته ، ولو سألت ربي أن يطعمنيه في كل يوم لأطعمنيه » ، قال : يا رسول الله فإن نفسي تحدثني بأن لا أمس الطيب ، قال : « مهلا يا عثمان ، فإن جبريل أتاني بالطيب من الجنة غبا ، وقال : يوم الجمعة لا تتركه ، يا عثمان لا ترغب عن سنتي ، فمن رغب عن سنتي فمات قبل أن

يتوب ضربت الملائكة وجهه عن حوضي يوم القيامة "(١) .

١٤٠١ـ حدثني أبي رحمه الله ، أنبأنا أحمد بن يونس ، عن عباد بن كثير ، عن علي بن زيد ، عن سعيد بن المسيب ، عن رسول الله ﷺ ، بنحوه ، وزاد فيه أنه قال : يا رسول الله ، إن نفسي تحدثني أن أخرج من جميع ما أملك ، قال : " مهلا يا عثمان ، صدقة على اليتيم والمسكين والأرملة ، فكذلك حتى يأتيك الموت " .

وأما تقوى بني إسرائيل :

١٤٠٢ـ فحدثنا إسماعيل بن نصر ، ثنا الحسن بن قتيبة المدائني ، عن جامع بن شداد قال : أتيت أبا بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بمكة فقلت : يرحمك الله ، إذا خرجنا فأكل بعضنا الخبز وتركه بعضنا كراهية له فكيف ترى ؟ فقال : يا أيها الناس ، لا تغلوا في دينكم ، مرتين . [٢/ ١٤٢/ ب]

حدثني أبو هريرة : أن عيسى ابن مريم صلاة الرحمن عليه ندب قومه لخبز ولحم وشراب ، ثم أرسل إليهم فدعاهم ، فأقبلوا يمسحون أيديهم بملاء الكتاب باغين(٢) فقالوا : لا نأكل من هذا اللحم ؛ لأن كبشه رضع من كلبة ، ولا نأكل من هذا الخبز ؛ لأن سنبله نبتت في مزبلة ، ولا نشرب من هذا الشراب ؛ لأن حبلته نبتت في مقبرة ، قال : فلم يرموا بخبز حتى حبب إليهم اللحم ، حتى إنهم ليأكلون الخصي من حبهم اللحم ، وإن الفويسقة تقع في إناء أحدهم فيخرجها ويشرب من حبه الشراب ، وإنه لا يصلح شيء إلا بمزبلة ، ثم التفت إلى مولى له فقال : أولم يكن من أحب زادنا إلينا الخبز .

١٤٠٣ـ حدثنا هارون بن حاتم الكوفي ، أنبأنا أبو عبيدة الحذاء ، عن الأعمش ، عن جرير ابن حازم ، عن أبي قلابة قال : بلغ النبي ﷺ أن أناسا من أصحابه اجتنبوا النساء واللحم ، فأوعد النبي ﷺ فيه وعدا شديدا حتى ذكر القتل ، فقال : " لو كنت تقدمت فيه لقتلت " ، ثم قال : " إني لم أرسل بالرهبانية ، إن خير الدين عند الله الحنيفية السمحة ، وإنما هلك

---

(١) ذكره العراقي في تخريج الإحياء وقال : مر سل عن سعيد بن المسيب ، وفيه القاسم بن عبيد الله العمري ، كذبه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين .

(٢) كذا بالأصل .

من قبلكم من أهل الكتاب بالتشديد ، شددوا على أنفسهم ، فتلك بقاياهم في الصوامع والديار ، اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وحجوا واعتمروا واستقيموا يستقم بكم " ، فيحتاج الحريص على البر والتقوى إلى العلم حتى يمسك حرصه على التعدي وذلك صدق الحرص الذي قال عبد الله بن مسعود لعمر بن الخطاب رضي الله عنهما : يا أمير المؤمنين ، إن في هذه الأمة من يبلغ عمله في الميزان ما يكون عمل يوم وليلة أثقل من سبع سموات ، قال : بم ذلك يا ابن أم عبد[1] ؟ قال : بصدق اليقين وبصدق الورع وبصدق الحرص على البر والتقوى .

قوله : شفقة في معة ، فالشفقة تحنن الرأفة والإكباب على من تشفق عليه ، فإنما يصير محبا بشدة الرأفة ، فتلك الشفقة ، والمعة هي الحاوية مشتقة من المعاء معاء البطن ، فإذا كانت الشفقة بغير معة انتشرت فأفسدت ، وإذا كان في معة كانت الشفقة في حصن فلم تنتشر ولم تفسد لأن هناك شيئًا يحويها .

قال له قائل : وما ذاك الشيء ؟ قال : تعظيم حق الله ، فإذا أشفقت على حق الله كانت تلك الشفقة حاوية لهذه الشفقة ؛ لأن النفس تأخذ بنصيبها من الشفقة ، فإذا كان الغالب على العبد الشفقة على حق الله كانت تلك الشفقة تجري على هذه الشفقة حتى لا تنتشر وتنبثق فيتعدى إلى الفساد ، ألا ترى أن أصحاب النبي ﷺ جزعوا عند الحدود في مبتدأ أمرهم ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ [النور : ٢] ، فجعل علامة إيمانهم في إقامة حق الله الرمي برأفة النفس ، وجلد عمر ابنه فقال : يا أبت قتلتني ، فقال : إذا لقيت ربك فأخبره أنا نقيم الحدود .

وكُلم رسول الله ﷺ [٢/ ١٤٣/ أ] في فاطمة المخزومية حيث أراد قطعها في سرقة فغضب وقال : " والله لو كانت فاطمة بنت محمد لقطعتها " ، ثم نزل من المنبر فقطعها .

قوله : حلما في علم ، فالحلم سعة الأخلاق ، فإذا توسع المرء في أخلاقه ولم يكن له علم افتقد الهدى وضل ؛ لأن توسعه يرمي به إلى نهمات النفس ، فيحتاج إلى علم يقف به على حفظ الحدود ، وإذا كان له علم ولم يكن هناك حلم ساء خلقه

---

(١) سقطت " عبد " من الأصل .

وتكبر بعلمه ؛ لأن العلم له حلاوة ، ولكل حلاوة شره ، فإذا ضاقت أخلاقه لم ينتفع بعلمه ؛ لأن ضيقه يرمي به إلى شره النفس وحدتها فيكون صاحب عنف وخرق في الأمور فعندها ضاع علمه ، ولذلك قال الشعبي أو غيره من التابعين : ما أضيف شيء إلى شيء أزين من حلم إلى علم .

ولذلك قال ابن شوذب : الحلم أرفع من العقل ؛ لأن الله تعالى تسمى بالحلم ولم يتسم بالعقل .

١٤٠٤ـ حدثنا أحمد بن عبد الرحيم الحراني ، ثنا إسماعيل بن إبراهيم ، عن يونس ، عن الحسن قال : ما سمعت الله نحل عباده شيئا أقل من الحلم ، قال : ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ ﴾ [هود : ٧٥] ، وقال : ﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴾ [الصافات : ١٠١] .

فالحلم سعة الخلق ، والعقل عقال عن التعدي ، فالواسع في أخلاقه حر عن رق النفس ، ولذلك قال عيسى صلوات الله عليه لبني إسرائيل : فلا عبيد أنقياء ولا أحرار كرماء . فالحليم كريم ، فاعلم أن ههنا صنفين : رجل عبد لله وأخلاقه فهو بتقواه ينجو ، وعبد حر من أخلاق النفس ورقها فهو كريم أينما انقاد ، فهذا صفة الحليم ، فالحليم يحتمل أثقال الأمر والنهي بلا كد ولا مجاهدة ، وكان إبراهيم عليه الصلاة والسلام ممن احتمل الأثقال؛ ابتلي بالنار وابتلي بالغربة والهجرة ، وابتلي بسارة وابتلي بالختان ، وابتلي بذبح الولد ، فجاد بنفسه وبولده على الله تعالى ، فأثنى الله سبحانه عليه فقال : ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ ﴾ .

قوله : " قصدا في غنى " ، فالقصد في الأفعال والأعمال ، والقسط في الأرزاق ، قال الله تعالى : ﴿ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ ﴾ [لقمان : ١٩] وهو المشي الوسط لا الوهن الكسلان ولا السريع العجلان ، وقال : ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ ﴾ [الرحمن : ١٩] ، فمعنى قوله : " قصدا في غنى " ، أي : إذا كان غنيا لم يتدرع في الإنفاق فيقع في الإسراف ، ولكن وسطا حتى لا يجحف ماله ، فإنما هو رزق ، ألا ترى أن رسول الله ﷺ جاءه ضيف ، فبينما هو قاعد عنده إذ جاء الراعي على يده بهمة قد ولدها ، فقال له : " اذبح شاة " ، ثم قال للضيف : " لا تحسبن أنا من أجلك ذبحنا ، ولكن لنا شياه مائة ، فإذا ولد الراعي بهمة ذبحنا مكانها شاة " ، فهكذا القصد ، إن الله إذا رزقه اقتصد في إنفاقه وذكر الله في كتابه منازل الخلق فقال : ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ

سَابِقٌۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ [فاطر : ٣٢] ، فالمقتصد يسير إليه على طريق العدل والسابق على طريق الفضل ، وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال في قوله [٢/ ١٤٣/ ب] : ﴿ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ﴾ [سبأ : ١٣] : " من كن فيه ثلاث خصال فقد أوتي ما أوتي آل داود : خشية الله في السر والعلانية ، والقصد في الغنى والفقر ، وكلمة العدل في الرضى والغضب " .

قوله : " تجملا في فاقة " ، فالفاقة هو الخلاء من الشيء وهو الفقر ، فدل على التجمل ، وأن لا يلقي بيديه إلى التهلكة ، فإذا أوسخت ثيابه صبر على الأوساخ وقلّت مبالاته ، وإذا تشوه شعره ودرن جسده صبر على الفضول والأدران ودفع باله عن أحوال نفسه وهيئته وهيئة مسكنه حتى يصير بحال توحش الناظرين إليه ، وجاء عن رسول الله ﷺ أنه رأى رجلا ثائرا شعره فقال : " لم يشوه أحدكم نفسه ؟ " ، ورأى آخر في ثياب وسخة فقال : " أما يملك هذا ما يغسل ثيابه ؟ " ، وقال : " إن الله نظيف يحب النظافة " ، وقال : " نظفوا أفنيتكم ؛ فإن اليهود لا ينظفون " ، فالفقير وصاحب الفاقة إذا كان حي القلب صاحب تقوى وجدته في نظافة وهيئة ، من نظر إليه لم يوحشه ، ومن جالسه لم يثقل عليه ولم يتأذ به ، يأخذ شعره ويقلم أظفاره ويغسل أدرانه ، ويبيض أثوابه ويتطيب ، ويتوقى على أحواله ، وكذلك في مسكنه يهيء كل شيء على حياله بما لا يحتاج فيه إلى كثير نفقة ، يقول : إن لم يكن له مال فإن هذه الأحوال التي تتجمل بها لا يحتاج صاحبها إلى كثير نفقة ، فإن الأنهار جارية ، والغسول من ورق الأشجار موجودة ، فأخذ الشعر والأظفار ليس فيه كثير مئونة ، وتنظيف المجالس التي يجلس فيها في مسكنه ليس في كنسها ونظافتها كبير مئونة ، فليس رجل يترك هذا صاحبه ويهمله من أجل أنه لا يجد ذلك ، يتركه لنذالة النفس ودناءتها وموت قلبه ، فإن القلب إذا مات لم يلتمس الطهارات والنظافات .

وكان رسول الله ﷺ يربط الحجر على بطنه من الجوع ولا يترك الطيب ، ويعاهد أحوال نفسه ، وكان لا تفارقه المرآة والسواك والمقراض في السفر والحضر ، وكان إذا أراد أن يخرج إلى الناس نظر في ركوة فيها ماء ، فيسوي من لحيته وشعر رأسه ويقول : " إن الله جميل يحب الجمال " .

١٤٠٥ـ حدثنا بذلك أبي رحمه الله ، ثنا أبو نعيم النخعي ، عن العلاء بن كثير ، عن مكحول ، عن عائشة رضي الله عنها ، عن رسول الله ﷺ . فهذا تجمل في فاقة ،

يتجمل في الناس على قدر ما يجد ، ولا يرفع باله عن نفسه وأحوالها ؛ لأنه إذا أهمل ذلك ورفع البال ساء منظره ووحشت هيئته فأدخل على إخوانه من المؤمنين الغم والهم من أجله ، وكان ذلك منه كالشكوى إلى العباد من ربه ، وإذا تجمل في فاقته كان ذلك كالكاتم مصيبته والشاكر لربه والمتمجد إلى خلقه منه . وروي عن عمران بن حصين أنه لبس الخز فقيل له : تلبس الخز ؟ فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " إذا أنعم الله على عبد نعمة أحب أن يرى أثر ذلك عليه " ، فصاحب هذه الصفة كأنه إذا أرى الناس ذلك من [٢/ ١٤٤/ أ] فعله كأنه يقول لهم : أحمد إليكم ربي ، فإن نعمته علي هكذا كما ترون ، فإن الله يحب هذا الفعل من عبده ؛ لأنه يشكره بهذا الفعل ، ألا ترى أن رسول الله ﷺ حين لبس ثوبا جديدا فقال : " الحمد لله الذي كساني ما أواري به عورتي وأتجمل به في الناس " ، فهذا التجمل في الناس لا للناس ، إنما هو لله ، وإنما صار لله لأنه نوى أن يُرى العباد نعمه عليه فيكون ذلك شكرا ونشرا لجميل من ربه ، وإذا أصابته مصيبة سترها وكتمها .

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : " من كتم مصيبته أربعين يوما يخرج من الذنوب كيوم ولدته أمه " .

وروي عن علي بن الحسين رضي الله عنهما أنه لدغته عقرب فصبر في ذلك الوجع ليلته إلى الصباح كاتما له ؛ لئلا يعلم به أحد ، فلما أصبح أعتق رقبة شكرا لله أن طوقه ذلك الصبر حتى قدر على كتمانه .

فالعبد الحي القلب إذا أنعم الله عليه نعمة نشرها عند خلقه قولا وفعلا يريد بذلك أن يريهم حسن صنيعه إليه ، وإذا نكب نكبة كتمها وسترها لئلا يقول : أنعم علي بما لا يحصى عدده فلم أبلغ كنه شكره ، فإن أصابتني مصيبة لم أبنها وأكتمها حتى لا أري العباد أنه أصابني من قبله سوء ، فإنما حمله على كتمان المصائب وعلى التجمل في الفاقة لئلا يرى العباد من أحوال نفسه ما يتحير العباد فيه من سوء الحال ؛ لأن الله تعالى جل ذكره معروف بالمعروف ، فإذا رأوا سوءا تحيروا حتى يرجعوا إلى إيمانهم به أنه عدل لا يظلم ولا يجور ، ولذلك استرجع أهل المصيبة ؛ لأنهم عندما يصابون تأخذهم الحيرة في أول الصدمة ، فإذا ذكروا ربهم استرجعوا معنى قولهم : إنا لله وإنا إليه راجعون ، أي : رجعنا إليك من حيرتنا وعلمنا أن ذلك لك وأن فعلك هذا بنا خير كله .

قوله : " تحرجا من طمع " ، فالطمع فيما في أيدي الخلق ، وهو انقطاع عن الله ، ومن انقطع عن الله فهو المخذول الخائب ؛ لأنه عبد بطنه وفرجه وشهوته ، والطمع والرجاء مقترنان ، إلا أن الرجاء صفة فعله من القلب أن يمد القلب عنقه إلى شيء فيكاد يزول عن مكانه ، والطمع وجود القلب طعم ذلك الشيء الذي رجاه فهذه فتنة ، ولذلك قال رسول الله ﷺ : " تعوذوا بالله من طمع يهدي إلى طبع " ، فهذا الطمع إذا عمل في قلب العبد فتمكن فيه طبع على قلبه ؛ لأنه يوله قلبه إلى الخلق عن الله ، فهذا مدبر ، فتراه يتملق هذا ويمدح ذلك في وجهه ويتبع هذا فيصير في متابعته كالعبد له ، فكم من حق يضيعه في جنب هذا ، وكم من أمر يسكت عن الحق فيه ، فإذا نطق نطق بالهوى ، فهذا قلب قد خرب ، ولذلك قال : يا داود ، ما من عبد يعتصم بخلق دوني إلا أسخت الأرض [٢/ ١٤٤/ب] من تحت قدميه وقطعت أسباب السماء من فوقه .

وقال لموسى فيما روي عنه : من رجا غيري وكلته إليه ، ومن وكلته إليه فليستعد للفتنة والبلاء . فمن أخلاق المعرفة التحرج عن المطامع .

قوله : " كسبا من حلال " ، فإن كل نفس قد فرغ الله من رزقها وأثبته في اللوح ثم أنزل بذلك قرآنا ، فقال : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَاۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [هود : ٦] ، فالمؤمن الموقن قد صار هذا الضمان والإثبات في الكتاب المبين الذي قصه الله في تنزيله له معاينة فاطمأن إلى ذلك وسكن إلى إتيانه بفضل يقينه وقنع بما أوتي ، وقال : قد أيقنت بالمقدار ولا أدري أبطلبي أوتى أو بقعودي ، فمرة أطلب ، فإذا رأى أنه قد أوتي بغير طلب قعد ، فإذا رأى أنه قد انقطع طلب على هيئة وسكينة وسكن قلبه على ما أثبت له في اللوح ، والذي ضعف يقينه وغلبته شهوات نفسه طلب فجد في الطلب ولم يصر له معاينة ، فهو يطلب من وجوه المكاسب ، فإذا طلب كسبه من حلال فإنما منعه تقواه أن يتعدى ذلك إلى الحرام وقواه ضمان ربه وإثباته في اللوح وأحسن الظن بربه ووثق به فقدر على كسب الحلال ، والمفتون بنهمات الدنيا وشهواتها قد غلبته نفسه فحرصه وشدة طلبه لا يفارقه فلا يقدر على حفظ الحدود والتورع عن الشبهة ، فهذا من أجل أن أخلاق المعرفة مفقودة من إيمانه ، فهو في الجملة يقول : إن الله يرزق ، ولكن

شهوته تغلبه حتى يفتتن فيتعدى إلى الحرام والشبهة .

قوله : " برا في استقامة " ، فإن المؤمن إذا كان لين القلب رقيق الفؤاد عطف على الأهل والولد وذوي الأرحام والناس كلهم ، فإذا بر وكان بهذه الصفة لم يؤمن أن يزول عن الحق والصواب وتذهب استقامته ، فإذا زال ذهبت استقامته ؛ لأن لكل مؤمن مقام عند ربه للعبودة ، فتلك استقامته ، فإذا زال عن الحق صار متعلقا كالمتدلي كهيئة طائر على غصن شجرة فطار من عشه فهو المستقيم ، فإنما اشترط على البار أن يكون بره في استقامته لا بر هوى ولكن بر مع صلابة ؛ لأن النفس إذا كانت سلسة والقلب لينًا والفؤاد رقيقًا فجاء الهوى تعدى بره إلى غير الحق والصواب ، فربما بر أهله بين يدي والدته فهيج غيرتها وأدخل على والدته مكروها فصار عقوقا ، فسبيله إذا أراد ذلك أن يبرها من حيث لا ترى ، وربما بر أحد أولاده بما لا يبر غيره فصار ذلك جورا ، وقد نهى عن ذلك فأمر بالتسوية بينهم .

١٤٠٦- **حدثنا** الجارود بن معاذ ، ثنا عبد العزيز بن أبان ، عن مالك بن مغول ، عن أبي معشر ، عن إبراهيم أنه : يستحب أن يسوي الرجل بين ولده حتى في القبلة .

١٤٠٧- **حدثنا** سفيان بن وكيع ، ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن الشعبي ، عن النعمان بن بشير ، عن النبي ﷺ قال : " اعدلوا بين أولادكم في النحلة كما تحبون أن يعدلوا [٢/ ١٤٥/ أ] بينكم في البر واللطف " .

١٤٠٨- **حدثنا** سفيان ، ثنا سفيان بن عيينة ، عن الزهري ، عن حميد بن عبد الرحمن ، عن النعمان بن بشير أن أباه نحله غلاما ، فأتى النبي ﷺ يشهده فقال : " كل ولدك نحلته ؟ " ، قال " لا ، قال : " فاردده " .

١٤٠٩- **حدثنا** سفيان ، ثنا جرير ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه قال حدثني النعمان بن بشير ، عن رسول الله ﷺ ، بمثله .

وربما بر إخوانه ، فإذا لم يتفقد ذلك من أقدارهم حتى يبرهم على ذلك دخل فيه الضرر الكثير والجور عن الحق ، فقوله : " بر في استقامة " شرط وثيق وهو أن لا يمازجه هوى ، والبر والملق قرينان ، وهما مشتبهان ، فكم من متملق يرى أنه يبر وليس ذلك ببر ، إنما هو ملق ، فلذلك شرط الاستقامة .

قوله : " نشاطا في هدى " ، فالنشاط هو انحلال النفس وانبساطها ، والأنشوطة

هي العقد الذي إذا مددته انحل من غير أن تحله ، فإذا عمل العبد عملا كان من النفس انقباض للكسل والهرب من الأثقال ، فإذا مال بها الهوى والشهوة نشطت وانحلت العقد عن الانقباض ، وإذا قواها القلب بالعروة نشطت وانحلت العقد عن الانقباض ، فأمر صاحب هذا أن يتفقد حتى يكون نشاط نفسه وانحلالها في هدى لا في ضلالة ، فإنه إذا مال بها الهوى ضلت .

فإن مثلها كمثل الصبي إذا رأى معلمه انقبض وتطأطأ ، فإذا افتقد شخص معلمه انبسط وانتشر ، فما انبساطه وانتشاطه في صلاح حذر ، فإذا تعدى إلى الفساد وعذل ووبخ ، فلذلك اشترط أن يكون نشاطه في هدى ؛ لأن النفس ربما نشطت ، فإن تركها صاحبها ونشاطها تعدت إلى الفساد وضلت ، وكان السلف الصالحون ينتشطون إلى أهاليهم وأولادهم وإلى إخوانهم ، ويظهرون النشاط في الأمور ، ويتفقدون من أنفسهم الوقوف على الحدود ، ويحذرون المجاوزة ، ويتوقون . . . (1) وسوء الأدب حتى لا يرتطموا في النهي .

وقال إبراهيم النخعي : يعجبني أن يكون الرجل في أهله كالصبي ، فإذا بغى منه وجد رجلا ، معناه : إذا طولب بما لا يجوز في الحق وجد صلبا في دينه ، فهو في رأي العين كالصبي انبساطا ونشاطا مع أهله وعياله وتواضعه ، وفي مواضع الحق مهيبا لا يرام .

قوله : " نهيا عن شهوة " ، فإن النفس ذات شهوات ، فإذا أطمعتها في واحدة طمعت في أخرى ثم لا تزال كذلك حتى تستمر فتشرد عن صاحبها شراد البعير ، هكذا شأن النفس ، فكان القوم يحذرون ذلك وينهون النفس عن الشهوات .

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : " من السرف أن تأكل كل ما اشتهيت " .

١٤١٠ـ حدثنا بذلك حفص بن عمر (2) . ومعناه عندنا : أن النفس إذا اعتادت هذا من صاحبها استمرت ، فإذا منعها لم يقدر على ذلك ، فإذا فعل ذلك حتى عودها [٢/ ١٤٥/ ب] نوال كل شيء فقد أسرف أي جاوز حد الأدب وترك أدبها ، وروي عن عكرمة أنه قال : إن

---

(١) كلمة لم استظهر قراءتها .

(٢) كذا بالأصل .

النفس إذا أطمعتها طمعت ، وإن آيستها يئست ، وإن فوضت إليها ضيعت .
قوله : " رحمة للمجهود " ، فالمجهود على أصناف ؛ فمجهود في العبادة ، ومجهود في المعاش ، ومجهود في البلاء ، فمن شأنه أن يرحم كل هؤلاء ؛ لأنه إذا نظر إلى ذلك الجهد رق قلبه واشتد على سوء الحال وتقلب ذلك البدن فرق فؤاده وفزعت نفسه لذلك الحال .
قوله : " المؤمن عياذ الله " ، فالعوذ لله هو الذي يعيذ العباد من السوء فالمؤمن البالغ في إيمانه يعيذ العباد بفضل إيمانه من جوره وظلمه . . . [١] فقد أمنه الخلق وصاروا منه في معاذ ثم وصفه فقال : " لا يحيف على من يبغض " ، أي بغضه إياه لا يحمله على أن يحيف عليه ويجور ويظلم وذلك قول الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ ﴾ [المائدة : ٨] .
قوله : " لا يأثم فيمن يحب " ، أي : لا يحمله حبه إياه أن يأثم في جنبه فإنه إذا كان على غير ذلك كان بغضه لغير الله وحبه لغير الله ، وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : " لن يبلغ العبد ذروة الإيمان حتى يحب في الله ويبغض في الله " ، فمن كان حبه في الله وبغضه في الله لم يحمله البغض على أن يجور ولا حبه إياه أن يأثم في جنبه ومن أحب وأبغض لهوى نفسه جار على المبغض وأثم في جنب المحبوب ولذلك قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَـٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ ﴾ [التغابن : ١٤] ، وذلك أنهم لما أرادوا الهجرة امتنع منهم بعض أزواجهم وأولادهم فافتتن بعضهم بالأزواج والأولاد فأقاموا وتركوا الهجرة ومنهم من مضى وتركهم فنزلت الآية فيمن أثم في جنب محبوبهم من الأهل والولد .
قوله : " ولا يضيع ما استودع " ؛ لأنه يشفق على ما تودعه وتأتمنه عليه كشفقته على مال نفسه لعظيم قدر الأمانة عنده .
قوله : " فلا يحسد ولا يطعن " ؛ لأن من أخلاق المعرفة إذا رأى لأخيه المؤمن حالا حسنا في دين أو دنيا شده ذلك واعتده في النعم عنده فكيف يحسده ومن

(١) كلمة لم أستظهر قراءتها .

عرف الله عرف أنه هو الذي قسم الدنيا بين أهلها بحكمة بالغة وبين حصصهم بمقادير معلومة في اللوح ثم أعلمهم في تنزيله فقال : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [هود : ٦] ، فقد فصل أرزاق البرية كلها حتى البعوضة والنملة ولا تعدو مقاديره خردلة ولا حبة ولن تموت نفس حتى تستوفي ما كتب لها والأرزاق جارية من الرحمة إلى العباد وقال تعالى : ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ [فاطر : ٢] [٢/١٤٦/أ] . وقال تعالى : ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ﴾ [يونس : ١٠٧] فمن أيقن في إيمانه بهذه الكلمات لم يحسد الناس على فضل أوتوا وقنع بما أوتي فهذا من أخلاق المعرفة ، وروي عن وهب بن منبه أن الله تعالى كتب التوراة بيده فيها عشر كلمات أمره(١) بهن : بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب الله تبارك وتعالى كتبه لعبده موسى عليه الصلاة والسلام تسبحني وتقدسني يا موسى إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني ولا تشرك بي شيئا فإني حق القول مني لتلفحن وجوه المشركين النار ، واشكر لي ولوالديك إلي المصير أنسأ لك في عمرك وأقيك المتالف وأحييك حياة طيبة وأقلبك إلى خير منها ، ولا تقتل النفس التي حرمت إلا بالحق فتضيق عليك الأرض برحبها والسماء بأقطارها وتبوء بسخطي والنار ، ولا تحلف باسمي كاذبا ولا آثما فإني لا أطهر ولا أزكى من لم ينزهني ويعظم أسمائي ، ولا تشهد بما لم يع سمعك ولم يحفظه عقلك ولم يعقد عليه قلبك فإني أوقف أهل الشهادات على شهاداتهم ثم أسائلهم عنها سؤالا حفيا ، ولا تحسد الناس على ما آتيتهم من فضلي فإني أنا الجواد بالعطية أعطي من شئت وأمنع من أردت ، ولا تنفس عليهم نعمي ورزقي ولا تمدن إلى ذلك عينيك ، ولا تتبعه نفسك فإن الحاسد عدو لنعمتي مضاد لقضائي ساخط لقسيمي الذي أقسم بين عبادي ، ومن يك كذلك فلست منه وليس مني وأنا منه بريء ، ولا تزن ولا تسرق فأحجب عنك وجهي وتغلق دون دعوتك أبواب السماوات ، ولا تغدر بحليلة جارك

---

(١) كذا بالأصل ، ولعله سقط لفظة " موسى عليه السلام " .

فإنه كبر مقتا عندي ، وأحبب للناس ما تحب لنفسك واكره لهم ما تكره لنفسك ، ولا تذبح لغيري فإنه فسق ولا يصعد إلي قربان أهل الأرض إلا ما ذكر عليه اسمي ، وتفرغ للسبت وفرغ له آنيتك وأسقيتك وثورك وحمارك ودوابك وجميع أهل بيتك .

وذكر وهب أن هؤلاء الكلمات العشر التي كتب الله تعالى لموسى عليه السلام في الألواح مكتوبات في القرآن وذلك أن الله تعالى يقول : ﴿ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [المائدة : ٧٢] .

وقال في الوالدين : ﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [لقمان : ١٤] .

وقال في القاتل : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : ٩٣] .

وقال في الحلف : ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَـٰنِكُمْ ﴾ [البقرة : ٢٢٤] .

وقال في الشهادة : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء : ٣٦] .

وقال في الحسد : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [النساء : ٥٤] .

وقال في الزنا : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء : ٣٢] .

وقال في السرقة : ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا [٢/١٤٦/ب] جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَـٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة : ٣٨] .

وقال في حليلة الجار : ﴿ وَٱلْمُحْصَنَـٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۖ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ ﴾ [النساء : ٢٤] .

وقال في التحاب بين الناس : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات : ١٠] .

وقال : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ ﴾ [الفتح : ٢٩] .

وقال في الذبائح : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ ﴾ [الأنعام : ١٢١] .

وقال في السبت : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ﴾ [البقرة : ٦٥] .

قال أبو عبد الله :

فمن عادى نعمة الله بحسده وسخط أمره وضاد قضاءه فمعرفته في سجن مظلم في سويداء قلبه ولا أدري أتبقى عليه حتى يختم له بها أم يسلب فيموت كافرا عدوا لله ،

وإن تفضل عليه بأن تركها عليه وختم له بها لا أدري متى ينجو من النار .

قوله : " لا يطعن " ، فالطعن قد يكون من الحسد ويكون من الغيرة والغيرة من إبليس في صدر الآدمي كالعذرة من الآدمي ، فحق على كل مؤمن أن يخاف من الغيرة فإذا طعن فقد هتك الستر وإنما يطعن في ستر الله ، ولو أن رجلا طعن في ستر ملك من عظماء ملوك الدنيا لخاطر بنفسه وأهلكها فكيف بستر الله ؛ لأن المؤمن في سبعين سترا من الله .

١٤١١ـ حدثنا محمد بن عيسى ، عن موسى بن محمد بن عطاء مولى عثمان ، عن عبيد الله ابن راشد ، عن الحسن البصري ، عن سلمان قال : المؤمن في سبعين حجابا من نور فإذا عمل خطيئة ثم تناساها حتى يعمل أخرى هتك عنه حجابا من تلك الحجب فلا يزال كلما عمل خطيئة ثم تناساها حتى يعمل أخرى هتك عنه حجابا ، فإذا عمل كبيرة هتك عنه تلك الحجب كلها إلا حجاب الحياء وهو أعظمها حجابا ، فإن تاب تاب الله عليه ورد تلك الحجب كلها فإن عمل خطيئة بعد الكبائر ثم تناساها حتى يعمل أخرى قبل أن يتوب هتك عنه حجاب الحياء فلم تلقه إلا مقيتا ممقتا ، فإذا كان مقيتا ممقتا نزعت منه الأمانة فإذا نزعت منه الأمانة لم يلقه إلا خائنا مخونا ، فإذا كان خائنا مخونا نزعت منه الرحمة ، فإذا نزعت منه الرحمة لم تلقه إلا فظا غليظا ، فإذا كان فظا غليظا نزعت منه ربقة الإيمان ، فإذا نزعت منه ربقة الإيمان لم تلقه إلا لعينا ملعنا شيطانا رجيما .

١٤١٢ـ حدثنا الجارود ، ثنا جرير ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن عمرو بن أسامة الهمذاني ، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : ما من رجلين مسلمين إلا بينهما من الله ستر ، فإذا قال أحدهما لصاحبه هجرا هتك ستر الله .

قوله : " لا يلعن شيئا " فإن اللعنة إذا خرجت من العبد استأذنت ربها ، فإذا صارت إلى من وجهت إليه فلم تجد مساغا رجعت إلى ربها فقالت : رب إني لا أجد مساغا ، أمرت بالرجوع إلى صاحبها .

قوله : " يعترف بالحق وإن لم يشهد عليه " ، فالمؤمن [٢/ ١٤٧/ أ] أسير الحق يعلم أن الشاهد عليه علام الغيوب وقد أيقن بما أنزل عليه من قوله : ﴿ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾ [يونس : ٦١] ، فقد اجتمع على قلبه أمران اثنان : العلم والشهادة ، فأخذته هيبة العلم وحياء الشهادة ، وقال في تنزيله : ﴿ وَٱللَّهُ

يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴾ [محمد : ١٩] ، وقال : ﴿ أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴾ [العلق : ١٤] ، كلا فلا يحوج الموقن بهذا إلى أن يشهدوا عليه وهو معترف بالحق أبدا له وعمله .

١٤١٣ـ حدثنا محمد بن يحيى القطعي ، ثنا بشر بن عمر الزهراني ، عن ابن لهيعة ، عن خالد بن أبي عمران ، عن القاسم بن محمد ، عن عائشة رضي الله عنها ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : " هل تدرون من السابقون إلى ظل الله يوم القيامة ؟ " ، قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : " الذين إذا أعطوا الحق قبلوه ، وإذا سئلوا بذلوه وحكموا للناس كحكمهم لأنفسهم " .

قوله : " ولا تنابزوا بالألقاب " ، فالنبز من شأن البطالين وأهل الخفة الذين قد رفعوا عن أنفسهم البال ورموا بها في كل وادٍ من شدة النفس ، فإذا شرهت النفس طلبت التفسخ والتوزع في الأمور والتلذذ بالبطالات ، فلذلك تجترئ على تغيير أسماء قد تسمى بها أهلها وفي ذلك حقارة للمؤمنين إذا دعوا بالألقاب .

وروي عن أبي أمامة أنه قال له رجل : يا أصلع ، فقال : لقد كنت غنيا عن لعنة الملائكة .

وبلغ من تعظيم حق المؤمن وإجلاله أن يكنى ويدعى بالكنية لأن الاسم قد نالته البذلة ، فلم يزل يسمى ويدعى به في صغره ، فلما حل محل الإجلال جعل له دعوة طرية مرفوعة من نوعه عن البذلة ، فكنى عن الاسم بشيء آخر تعظيما له ؛ لأن الاسم قد امتهن وابتذل في أيام صغره فصار كالشيء الخلق بالامتهان فأُجِلَّ بالكنية ، وكانت الأعراب لجفائهم ينادون : يا محمد ، يا محمد ، فنهى العباد عن ذلك ونزلت : ﴿ لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗا ﴾ [النور : ٦٣] ، فعلموا أن يقولوا إذا دعوا : يا رسول الله يا نبي الله ، وقد كانت كنيته : أبو القاسم ، فلو دعي بتلك الكنية لكان مدعوا بما قد كان ابتذل قبل النبوة وامتهن ، فجعلت مرتبته أعلى بين الأمة فدعي بالنبوة والرسالة لئلا يسوى به سائر الناس .

قوله : " في الصلاة متخشعا " فالخشوع من فعل القلب ، فإذا علم القلب أين قام ولمن قام تخشع ، وهذا لمن ذلت نفسه في العبودة وقد شهد الله لهم بالفلاح في تنزيله فقال : ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ [المؤمنون : ١] ، ثم نعتهم فقال : ﴿ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ﴾ [المؤمنون : ٢] ، فإذا استقام القلب لله ذلت النفس وإذا

ذلت النفس هدأت الجوارح .

١٤١٤ـ حدثنا صالح بن محمد ، أنبأنا سليمان بن عمرو ، عن محمد بن عجلان ، عن المقبري ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : رأى رسول الله ﷺ رجلا يعبث بلحيته في صلاته فقال رسول الله ﷺ : « لو خشع قلبه لخشعت جوارحه »(١) .

قوله : « إلى الزكاة مسرعا » ، فالسرعة من حياة القلب يعلم أن المال ميال [٢/ ١٤٧/ ب] بالقلوب عن الله تعالى لما فيه من حلاوة المنافع ودرك الشهوات والمنى ولذلك سمي مالا ، فإذا مالت القلوب بسبب شيء نزعت البركة من ذلك الشيء فأمر بالتصدق منه ليظهر صدق إيمانه فإني لما ملت إلى هذا المال وأحببته وفرحت به ملت عنه إلى الله بهذه العطية وبمفارقة قلبي إياه بأن أخرجته من ملكي وودعت نفسي تلك الحلاوة التي كانت تجدها من درك المنى والشهوات ، فهذه العطية صدق إيماني ، فسميت صدقة ثم سميت زكاة لأنها لما صارت إلى الله احتشت من إقباله فاحتشى القلب من دنوه منه ؛ لأن العبد تقرب بها إلى الله فلما قبلت منه قرب فالصدقة تطهر العبد من السيئات فيصير العبد زاكيا فإنما سميت زكاة لأن المال عادت البركة إليه وزكى وطهر العبد من الميل عن الله فزكي ، فلذلك قال : ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴾ [المؤمنون : ٤] أي أسرعوا لما علموا ميل القلوب عن الله بحبهم ذلك المال ، وبادروا ففعلوا تزكية القلوب والنفوس ، فأثنى الله عليهم فسماهم فاعلين للزكاة ، وقال في آية أخرى : ﴿ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ﴾ [البقرة : ١٧٧] ، ثم قال في الآية : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ﴾ ، أي في إيمانهم ، ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ ، أي دخلوا في وقاية الإيتاء فرارا من حبه لأن ذلك الحب يضر بهم .

قوله : « في الزلازل وقورا » ، فالوقار يثقل قلب العبد فإنما نالته الزلزلة من بلوى وشدة فلم يكن وقورا استفزته الشدة فتكفأت به يمينا وشمالا ، فإذا توقر ثبت فأصاب الثبات في وقت الشدائد ، والوقار إكليل الإيمان ، ولذلك قال زيد بن أسلم أو غيره من التابعين : إن على الحق نورا وعلى الإيمان وقارا ، وأوفر المؤمنين حظا من الوقار أوفرهم حظا من القربة .

(١) ذكره العراقي في الإحياء (٤٠١) وقال : سنده ضعيف .

١٤١٥ـ حدثنا الفضل بن محمد الواسطي ، ثنا أحمد بن أبي الحواري ، ثنا مروان بن محمد ، عن خالد بن يزيد بن صبيح ، عن يونس بن خنيس ، عن أبي إدريس الخولاني قال : قال داود عليه السلام : إلهي دلني على عمل إذا أنا عملته نلت به وقارك ، فأوحى الله إليه : يا داود أحبب المؤمنين من أجلي ولا يزال لسانك رطبا من ذكري واعمل لي حتى كأنك تراني .

قوله : في الرخاء شكورا لأن وقت الرخاء النفس ساكنة في مستعمرتها والقلب مفتوح الباب مشرق النور منكشف الغطاء فإذا تناول النعمة على نور من ربه على انكشاف الغطاء كان شكورا فهو على بصيرة من ربه ومن كان في هذه الحال شكورا كان في البلاء صبورا لأن الغطاء منكشف والستر مرفوع .

قوله : قانعا " بالذي له " لا يدعي ما ليس له فالقناعة طيب النفس وهي الحياة الطيبة وهي من الله ثواب عاجل للعبد بما أطاعه فإن ربنا شكور وله ثواب في العاجل لعبيده وثواب في الآجل وهو الأولى لمعرفة الحقوق وأقدار الأمور وشكر العبيد وكنه الأشياء وقال في تنزيله : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ [النحل : ٩٧] ، وروي ، عن وهب بن منبه أنه قال : الحياة الطيبة القناعة .

١٤١٦ـ حدثنا بذلك صالح بن محمد ثنا سليمان بن عمرو ، عن سعيد بن عبد العزيز التنوخي ، عن وهب بن منبه في قوله : ﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ [٢/١٤٨/أ] حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ قال القناعة ، والجبن والحرص غريزة واحدة يجمعها سوء الظن بالله فهذه القناعة ثواب الله في العاجل لعبده إذا صلحت سريرته وعلانيته يملأ قلبه غنى حتى يكون غنيا بالله فيقنع بما يؤتي ويقسم له من الدنيا ولذلك قال رسول الله ﷺ : " من استغنى بالله أغناه الله " ، وقال : " ليس الغنى عن كثرة العرض ، إنما الغنى غنى النفس " .

١٤١٧ـ حدثنا أبي رحمه الله ، ثنا إسماعيل بن صبيح اليشكري ، ثنا صباح بن واقد الأنصاري ، عن إسماعيل بن رافع المديني ، عن دويد بن نافع المديني رفع الحديث إلى رسول الله ﷺ أنه قال : " إن الله أنزل في بعض ما أنزل الله من الكتب قسما يقسمه يقول : وعزتي وجلالي وجمالي وعلوي ودنوي وارتفاع مكاني ، لمن آثر هواي على هواه ، لأجمعن له شمله ، ولأكفينه ما أهمه ، ولأجعلن غناه في نفسه ، ولأضمنن السموات والأرض رزقه ، ولأتجرن له من وراء تجارة كل تاجر ، ولمن آثر هواه على

هواي لأشتتن - أو قال لأشككن - عليه أمره ، ولأجعلن فقره بين عينيه ، ولأحضرنه همومه الحاضرة منها ، والغائب والقديم منها والحديث حتى لا يدري من أين يجيئه ، ومن أين يأخذه فإذا ملأ قلبه غنى قنع . وكان حق هذه الكلمة في الإعراب أن يقال : قنعا بالذي له ولكن الرواة ربما لحنوا في الأداء حتى يحرفوا الكلمة عن موضعها من جهلهم باللغة لما دخلتهم من اللكنة في لسانهم ولذلك قال الحسن البصري : أهلكتهم العجمة ، وقيل للحسن : إنك لا تلحن فقال : إني قد سبقت اللحن وإنما هو قانع وقنع فالقانع السائل قنع يقنع قناعة أي رضي يرضى رضى وهذه من الأضداد وقال القائل : لمال المرء يصلحه عفافا أعف من القنوع ، أي من السؤال ، وروي ، عن ابن عباس أنه ذكر هذا البيت : لمال المرء يصلحه فيغنى مفاقرة أعز من القنوع .

وقال تعالى في تنزيله : ﴿ وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ﴾ [الحج : ٣٦] . فالقانع الذي يسأل ، والمعتر الذي يعتريك ولا يسأل .

قوله : " لا يجمع في القيظ " فالقيظ حرارة الحرص فإنه إذا جمعه كذلك لم يدعه الحرص أن يتورع في مكاسبه حتى ينغمس ويتغمص في مكاسب السوء والزيف ثم يؤديه ذلك إلى التقحم في جرائم الحرام ولكن يجمعه في تؤدة وهيئة ونظر ومراقبة يعبد الله بذلك الجمع فمن كان جمعه عبودة لله كان كما وصف رسول الله ﷺ

١٤١٨ـ حدثنا بذلك صالح بن محمد ، ثنا سليمان بن عمرو ، عن أبان ، عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : " المؤمن كيس فطن حذر وقاف متثبت لا يعجل عالم ورع ، والمنافق همزة لمزة حطمة كحاطب ليل لا يبالي من أين اكتسب وفيم أنفق " .

١٤١٩ـ حدثني أبي رحمه الله ، ثنا عثمان بن زفر الكوفي ، ثنا حصين بن عمر الأحمسي ، عن مخارق ، عن طارق بن شهاب قال سئل ابن عباس عن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما فقال : كان كالخير كله من رجل كان فيه حدة ، وسئل عن عمر رضي الله عنه فقال : كان كالطير الحذر الذي يرى أن له في [٢/ ١٤٨/ ب] كل طريق شرك يأخذه . فإذا جمع المال ليعف عن المسألة ويسعى على عياله ويعطف على جاره فهي عبودة لله كذلك جاءنا عن رسول الله ﷺ أنه قال : " من طلب الدنيا حلالا واستعفافا عن المسألة وسعيا على عياله وتعطفا على جاره جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر ، ومن طلب الدنيا حلالا مفاخرا مكاثرا مرائيا لقي الله وهو عليه غضبان " .

١٤٢٠ـ حدثنا بذلك أبي رحمه الله ، ثنا ثابت بن محمد الزاهد ، ثنا سفيان الثوري ، عن حجاج بن فرافصة ، عن مكحول ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ .

قوله : لا يغلبه الشح ، عن معروف يريده فالشح أصله من الحرص وهو الذي يجمع الحرام والحلال فإذا عوفي من الشح صفي ماله وإذا عوفي من البخل ظهر المعروف من ذات يده ، وقال في تنزيله : ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر : ٩] وروي لنا ، عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أنه كان يطوف بالبيت ودعاؤه رب قني شح نفسي ، فالشح والبخل متولدان ، عن الحرص والشح أقوى من البخل لأن الشح يدعو إلى أن يأخذ مال غيره وما حرم عليه ويمنع حقوق الله في ماله ، والبخل يدعو إلى أن يمنع المعروف من ماله .

١٤٢١ـ حدثنا قتيبة بن سعيد ، ثنا حبيب بن غالب اليشكري ، عن العوام بن حوشب ، عن مجاهد قال : الشح منع حقوق الله في ماله ، والبخل منع المعروف .

قال أبو عبد الله :

والشح إنما هو شح يشح شحا ، والحاء منه مضاعفة إنما هو : شاح يشوح ، أدغمت الألف في الحاء فشددت فقيل : شح يشح ، وقوله : حاش يحوش ، وهو أن يطرد الصيد ليجمعه إلى الصائد . ويقول : حش عليه أي اطرد الصيد من النواحي إلى الصائد . وكذلك صورة عمل الحرص في الآدمي وهو أن يجمع أسباب المنالات ويطردها ويسوقها من نواحي المظان[١] ليجمعها إلى ملكه فذاك مستعمل في ذلك النوع وهذا مستعمل في هذا النوع فالحوش في فعل الظاهر والشح في فعل الباطن والبخل ، وأحدهما مشتق من الآخر والبخل والخلب بمعنى واحد فالخلابة أن يخادع الناس في بيعه ومعاملاته والبخل أن يخادع ربه في معاملته وبيعته في ماله فإنه قد بايع الله على المعروف .

قوله : يخالط الناس كي يعلم ، أي يعلم فضل الله عليه ويعرف أحوال الناس ويعلم ما يبقي وما يذر فليس مخالطته مخالطة استرواح إليهم وأنس بهم وطمأنينته إليهم ولكن مخالطة خبرة واعتبار وحذر وأخذ بالحزم في أمره معهم .

---

(١) هكذا استظهرت قراءتها .

روي لنا عن رسول الله ﷺ في حديث جميع بن عمير في صفة رسول الله ﷺ أنه كان يسأل الناس عما في الناس ، فكان سؤاله عن هذه الجهة فيما يرى وهو ﷺ نهى عن التجسس وكان للأمة أبا يهتم لهم همة الآباء فيخير الناس [٢/ ١٤٩/ أ] ويأخذ حذره منهم ويأخذ بالحزم في أمورهم .

قوله : " يناطقهم " كي يفهم أي يفهم أحوالهم في أمورهم لأن الأسرار وما في الغيوب إنما تظهر بالمناطقة ولذلك قيل : إنما المرء بأصغريه وهو القلب واللسان هذه بضعة صغيرة وتلك بضعة صغيرة وإحداهما ترجمان لما في الأخرى والأخرى وعاء علم الأشياء ، فإذا نطق فهم أين هم ، وعرف كلا على درجته فهو يناطقهم عن حاجة إلى ذلك كي يهتدي لمعاشرتهم كُلًا على قدره ، يقول ليس به أنس اللقاء ولا شهوة الكلام وخرافة الحديث بل هو منهم وحش ومن حديثهم في تقية ، وأنسه بالله وبمن يلقاه في الله ويناطق الحكماء إذا ناطق ليزداد بالله علما وإذا نطق العامة ناطقهم ليفهم أحوالهم .

قوله : " وإن ظلم أو بغى عليه صبر حتى يكون الرحمن هو الذي ينتصر له " فالصبر مركز المؤمن بين يدي الله فإذا ترك الصبر ترك مركزه بين يدي الله ، وانتكست رايته وتلك راية الهدى ففي نكس راية الهدى الضلالة وإنما سمي صبرا لثباته على المركز ومشتقة من المصبورة ، وهو أن ينصب طائرا غرضا فيرميه فكذلك النفس إذا صبرها صاحبها غرضا لنائبات رميات القضاء فيثبت ولا يزول فكذلك الصبر فالمؤمن الحق قد عرف أن الله عدل يأخذ من الظالم للمظلوم ، فإذا ظلم وجد الله مليا أملأ منه في الانتصار ، وأما البغي فإن صبر فقد أخذ بباب السلامة وإن انتصر فقد أثنى الله على المنتصر في تنزيله فقال : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴾ [الشورى : ٣٩] ، فالمنتصر أقوى من التارك والتارك أسلم ومن ترك الانتصار فإنما تركه بضعفه ولما خاف أن تشركه النفس فتأخذ بحظها لأن المنتصر إنما ينتصر لحق الله لا لنفسه ، فالدين محتاج إلى القوة فقوته من هذه الثلاث خصال التي ذكرنا في مبتدأ الحديث ، واللين محتاج إلى الحزم فقوته من السكينة والسكينة ثواب من عند الله في عاجل الدنيا لمن آثر هوى ربه على هوى نفسه ، ولذلك ما روي في الخبر عن رسول الله ﷺ فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى قسما يقسمه أنه قال : " وعزتي وجلالي لمن

آثر هواي على هواه لأجمعن له شمله ولأفعلن ولأفعلن " تركنا بقية الحديث وذكرنا منه ما احتجنا إليه ، فالإيمان محتاج إلى اليقين فقوته من نور العظمة ، وإنما ينالها إذا وله القلب بالله عن الأشياء ، والعلم محتاج إلى الحرص فقوته من الصدق وإنما ينال الصدق إذا لها عن نفسه وأحوالها فهناك يبذل نفسه لله والحلم محتاج إلى العلم فقوته من الهيئة وإنما ينال الوصول إليها إذا هدأت جوارحه وسكنت نفسه ، وانقاد قلبه تذللا والغنى محتاج إلى القصد فقوته من العدل وإنما ينال العدل إذا حرس ساحة صدره من وساوس [٢/١٤٩/ب] النفس ، والفاقة(١) محتاجة إلى التجمل فقوتها من التقوى وإنما ينال التقوى إذا وصل إلى القربة فقرب والطمع يحتاج التحرج فقوته من الانفراد فإذا نفرد العبد بالله خرج من الطمع ، والكسب محتاج إلى الحلال ، فقوته من الخوف فإذا نال الخوف قدر على مجاهدة النفس في الكسب حتى يطيبه ، والبر محتاج إلى الاستقامة ، فقوته من انفتاح الطريق فإذا فتح له استقام ولم يعوج ، والنشاط محتاج إلى الهدى فقوته في الحذر ، فإذا أحذر من الذب(٢) انقبض ولم يجترئ على النشاط لأن النشاط انحلال الجوارح ، قال الله تعالى : ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾ [آل عمران : ٢٨] فإنما حذرك ذاته ، وقال : ﴿ وَاعْلَمُوٓا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ ﴾ [البقرة : ٢٣٥] أي : احذروا أن لا يتلظى عليكم شعاع من نور العظمة فتصير السماوات والأرض جمرة واحدة ، والشهوة محتاجة إلى النهي فقوته من الوجل فإذا وجل قلبه لم يدع له تهنيا بشهوة وإنما ينال الوجل إذا خشي ربه وإنما ينال الخشية إذا تردد قلبه في علم الملكوت والله أعلم .

---

(١) هكذا استظهرت قراءتها .

(٢) كذا بالأصل .

الأصل الثالث والستون

١٤٢٢ـ حدثنا أبي رحمه الله ، ثنا المكي بن إبراهيم ، أنبأنا عبد الواحد بن زيد قال حدثني عبد الله بن راشد قال : حدثني مولاي عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " إن لله مائة وسبعة عشر خلقا من أتاه بواحدة منهن دخل الجنة " .

١٤٢٣ـ حدثنا محمد بن مرزوق البصري ، ثنا شداد بن علي الهمداني - وكان صام ثمانين سنة متتابعة فيما ذكروا - قال : ثنا عبد الواحد بن زيد ، عن عبد الله بن راشد مولى عثمان بن عفان ، عن رسول الله ﷺ بمثله .

١٤٢٤ـ حدثنا علي بن الحسين النيسابوري ، عن عبد الرحيم بن علي بن الأسود ، عن عثمان بن عمارة ، عن إبراهيم بن أدهم ، عن رجل من أهل بلخ ، عن أبيه قال سمعت مروان بن الحكم يقول : سمعت عثمان بن عفان رضي الله عنه يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " إن لله مائة وسبعة عشر خلقا من جاء بخلق منها دخل الجنة بغير حساب ، فقلنا بينها لنا قال : كظم الغيظ ، والعفو عند المقدرة ، والصلة عند القطيعة ، والحلم عند السفه ، والوقار عند الطيش ، ووفاء الحق عند الجحود ، والإطعام عند الجوع ، والعطية عند المنع ، والإصلاح عند الفساد ، والتجاوز عن المسيء والعطف على الظالم وقبول المعذرة والإنابة للحق والتجافي عن دار الغرور وترك التمادي في الباطل ألا وليس في أخلاق الله شيء أحب إليه من الجود والكرم فإذا أراد الله بعبد خيرا وفقه [٢/ ١٥٠/ أ] لأخلاقه فتخلق بها ، وإذا أراد الله بعبد شرا خلى بينه وبين أخلاق إبليس وإن من أخلاق إبليس أن يغضب فلا يرضى ، وأن يسمع فيحقد وشراهية النفس وهنتها ، وأخذ ما ليس لها ، ونزقها إلى اللهو والباطل ، ألا وإن إبليس ليس هو على أحد أشد منه على القراء الذين هم عند أنفسهم قراء لا يزال فيما بينهم يذهب ويجيء حتى يورث بينهم العداوة والبغضاء ، فلو قلت حقا حقا ما أقل من يجتمع منهم غدا في الآخرة إلا قوم عطف بعضهم على بعض وتركوا الحقد والغضب وألحوا في الطلبة إلى الله أن يقبلهم ويقبل معذرتهم .

قال أبو عبد الله :

فالأخلاق موضوعة في الطبع ومحملها في الصدر ، ومثل ذلك مثل ملك له خزانة

وقواد ومملكة ، فإن كانت الخزانة قليلة كنوزها وكورة صغيرة ضاق بها ولاء القواد وقال بعضهم لبعض هذا ملك له اسم الخزانة والكنوز وليس لكنوزه مادة تجري علينا وتغنينا حتى نتخذ عدة للعدو الذي هو بمرصد منا ومن ملكنا هذا وليست له مملكة فسيحة ننتشر فيها فيأخذ كل قائد منا ناحية من المملكة فيدبر أمر الملك في أهل ناحيته ، ولنا قوة الملوك في الخزائن الجمة بالكنوز والجواهر ، وفي القواد وحسن التدبير في هذين فيدبر أمره وأمورنا بحسن ما عنده من الكياسة[١] فيدر علينا كنوزه وقتا وقتا شهرا شهرا ، ويعد جواهره للنوائب العظام فلا ترى ههنا عدة ولا فسحة فتعالوا ننتقل عن هذا إلى ملك لمملكته فسحة ومنتشر نتسع في نواحيها ونعمل القيادة فنقود الجنود إلى أعمالنا فإن العدو بمرصد ولا نأمن من أن ينتهز منا فرصة وإلى ملك له مع هذه المملكة الفسيحة كنوز جمة ولكنوزه مادة من غلات المملكة ، وله كنوز وأمصار وقرى وبحر وبر كملك الهند أو ملك الروم أو ملك العرب ما نصنع بهذا الضعيف الفاجر ، فيطلبون ملكا بهذه الصفة ، ولا يثبتون مع هذا فالملك هو القلب وخزانته جوف القلب فيه كنوز المعرفة وجواهر العلم بالله والعقل وزيره والصدر فسحته وساحته ومملكته والأخلاق قواده والأركان رعيته ونواحيه وهي الجوارح السبع ، فهؤلاء القواد هم الأخلاق في الصدر قواد الملك قيام بين عيني الفؤاد والعقل شعاعه يشرق بين عيني الفؤاد يدبر أمر القلب ، والنفس في الجوف رابضة في مكانها تطلب الملك وتترصد لانتهاز الفرصة فتخرج على الملك لأن شهوة الإمرة فيها والهوى بباب النفس يتلهف ويتلظى بين يدي بصيرة النفس وذلك قوله : ﴿ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ [يوسف : ٥٣] ، فهي أبدا في طلب الإمارة لتتملك وتتأمر على الجوارح فإذا خطرت الخاطرة [٢/ ١٥٠/ب] في الصدر بين عيني الفؤاد نظر العقل فإن رآها حسنة وأمرا رشيدا قدر ودبر ماذا يراد وكم يراد ومتى يراد وإلى متى يراد وإن رآها سيئة وفحشا نفاها من الصدر ، ففي هذا الوقت للنفس منازعة مع القلب والهوى

---

(١) هكذا استظهرت قراءتها .

مع العقل في هذه الخاطرة النفس تشتهي والهوى يزعج النفس ويشجعها والعدو يزين ويمني ويغر ، فإذا جاء مدد الأخلاق بطلت زينة العدو وأمانيه وانكشف غروره وارتد الهوى قهقرى إلى معدن مهبته وجاء مدد الكنوز ، كنوز المعرفة ومد الملك يده إلى جواهر الخزانة وانمحقت الخاطرة وأسبابها ومعتملها وجنودها فولت الخاطرة طليعة النفس والهوى والعدو ، إذا كانت خاطرة الغي ، وإن كانت رشدا كانت طليعة الحق ، فعسي هذا الملك ومنعته وقوام مملكته بهذه الكنوز وهؤلاء القواد ، فكما أن ذلك فعز القلب وسعته بكنوز المعرفة وجواهر العلم بالله وهذه الأخلاق التي أحدقت بين عيني الفؤاد فالعقل معدنه في الرأس وشعاعه ملتهب بين عيني الفؤاد يدبر الفؤاد بالعقل أمر القلب والنفس رابضة في مكانها والهوى بباب النفس يتلهب ويتلظى بين عيني بصيرة النفس ، فإذا عرض للقلب أمر فإنما تعرض خطرات في الصدر بين عيني الفؤاد نظر العقل فإن رآه حسنا قدر ودبر ماذا يراد وكم يراد ، ومتى يراد وإلى متى يراد ، وإذا رآه سيئا نفاه وإذا دبر العقل وقدر ما رآه حسنا أمضاه القلب على ذلك المقدار إن كانت محاسن الأخلاق في الطبع كائنة للعبيد لأن النفس إنما تتماسك في الأمر وتنقاد للقلب بالطبع فإذا كان الخلق في الطبع ظهر ذلك الخلق وسلطانه في الصدر حتى يقوى القلب به ، فيخرج من الصدر إلى الأركان ذلك العارض الخاطر الذي قدره العقل فعلا حسنا مقدرا مدبرا في يسر بلا عسر ، ولا تلجلج ولا تردد ولا تقديم ولا تأخير ولا غلو ولا تقصير ، ولا التفات إلى رشوة النفس من طريق الثواب ، والعلائق لأن الأخلاق تصير النفس حرة سخية وسخاوتها حريتها ، والسخاء والخساء بمعنى واحد إلا أن الخساء هو الفرد من الأشياء والسخاء هو انفراد النفس من الأشياء ، وعتقها من رقها والخساء والزكاء هما ضدان فالخساء الفرد والزكاء الزوج ، وهما مقصوران غير ممدودان ، فجميع محاسن الأخلاق تئول إلى الجود والكرم والسخاء ، فإذا سخت النفس تكرمت وإذا تكرمت جادت فأخلاق الله تعالى أخرجها لعباده من باب القدرة وخزنها للعباد في الخزائن وقسمها على أسمائه الحسنى ، وأمثاله العلى فإذا أراد الله بعبد خيرا منحه منها خلقا ليدرر عليه من ذلك الخلق فعلا حسنا جميلا بهيا ، فحمله في بطن أمه على ذلك الخلق ، وإذا

لم [٢/١٥١/أ] يكن مجبولا بذلك الخلق في بطن أمه فقد وله على علم ذلك وحسنه وبهائه ليتخلق العبد بذلك وتخلقه أن يحمل نفسه على فعل ذلك الخلق حتى تعتاد نفسه ذلك .

وروي ، عن وهب بن منبه أنه قال : من داوم على خلق أربعين يوما صار له ذلك خلقا أي بقي معه ذلك ولا يكون أصليا لأن المجبول عليه منحة الله وهديته وإذا أهدي له ثبت له ذلك وكانت نفسه معجونة بذلك الخلق والرب تعالى لا يرتجع في هديته .

ومما يحقق قول وهب بن منبه في المداومة على الخلق أربعين يوما ما جاءنا عن رسول الله ﷺ أنه قال : من أدرك التكبيرة الأولى في صلاة الجمع أربعين يوما كتب له عتق من النار " .

١٤٢٥ـ حدثنا أبي رحمه الله ، أنبأنا الحماني ، عن إسماعيل بن عياش ، عن عمارة بن غزية ، عن أنس بن مالك ، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " من صلى أربعين ليلة في جماعة لا تفوته الركعة الأولى كتب له عتق من النار " .

فهذا إذا صار المشي إلى الجماعة أربعين يوما خلقا فكذلك سائر الأخلاق لأن الأخلاق احتمال أثقال المكاره ، فالمشي إلى الجماعة احتمال مكروه لأنه لو شاء صلاها في بيته ، فلما أمر بالمشي إلى الجماعة احتمل أثقال المكروه فقدر له رسول الله ﷺ مقدار أربعين يوما ليصير له خلقا ، وتسقط عنه الأثقال ، لأن سوء الخلق في طلب الراحة وإن هذه الأخلاق تفضل الله بها على عبيده على قدر منازلهم عنده ، فمنح أنبياءه منها فمنهم من أعطاه منها خمسا ومنهم من أعطاه عشرا وعشرين وأكثر من ذلك وأقل ، فمن زاده منها ظهر منه حسن معاملته لربه وحسن معاملته خلقه على قدر تلك الأخلاق ، ومن نقصه منها ظهر عليه ذلك ، ولذلك ابتلي يونس عليه الصلاة والسلام بما ابتلي به حتى صار ذنبا وسجنه في بطن الحوت حتى طهره وجعل ما حل به موعظة للموحدين ، فإنما سماه في تنزيله آبقا أبق إلى الفلك المشحون لتضايق أخلاقه وتركه احتمال أثقال الخلق في ذات الله ، فعتب الله عليه ثم اجتباه بعطفه ورحمته وهذبه بكرمه ، وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : " بعثت لأتمم مكارم الأخلاق " فأنبأنا في قوله : هذا أن الرسل قد مضت ولم يتمموا هذه

الأخلاق ، كأنه بقيت عليهم من هذا العدد بقية فأمر أن يتممها يعلمنا في قوله هذا أن تلك الأخلاق التي كانت في الرسل هي فيه ثم هو مبعوث لإتمام ما بقيت عليهم .

ليقدم على الله فجميع أخلاقه التي ذكرها مائة وسبعة عشر خلقا ، فلا يجوز لنا أن نتوهم عليه أنه بعث لأمر فقدم على ربه وهو غير متمم له ومن أشرق في صدره نور اسم من أسماء الله [٢/ ١٥١/ب] كانت له تلك الأخلاق التي لذلك الاسم هذا للمجبولين ، ومن تخلق بذلك الخلق ولم يكن جبل عليه كان تخلقه طهارة لصدره وقلبه من دنس الخلق السيئ الذي هو ضد هذا الخلق ، فإذا تطهر من سيئ الأخلاق خلقًا لتخلقه بمحاسن الأخلاق بجهد وكد شكر الله له ذلك ، فوجد قلبه طريقا إلى ذلك الاسم وانكشف الحجاب عنه حتى يشرق في صدره نور ذلك الاسم ، وكذلك قوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [العنكبوت : ٦٩] ، حسن أخلاقه جهدا فكان الله معه في التأييد والنصرة حتى تمت المجاهدة ، فأظهر من نفسه المجهود والطاقة فشكر الله له ذلك فهداه السبيل إليه أن كشف عنه السوء حتى أشرق في صدره نور ذلك الاسم ، وهو قوله : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ ﴾ [النمل : ٦٢] ، فإذا كشف السوء صلح للخلافة في دينه ووجبت عليك طاعته وذلك قوله : ﴿ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾ [النساء : ٥٩] ، فلذلك قيل في حكمة الحكماء : المعرفة في صفاء الأخلاق وطهارة القلب ، فإذا تطهر القلب من الريب وصفت الأخلاق من الدنس والكدورة نال العبد المعرفة التي في القربة والوصول إلى ربه ، فإذا وصل القلب إلى ربه دان له فعندها أصاب الدين الذي يدين الله به ، ولذلك قال رسول الله ﷺ : الخلق وعاء الدين " .

١٤٢٦ـ حدثنا بذلك عمر بن أبي عمر ، ثنا محمد بن عبد الله الدمشقي ، عن ثابت بن عجلان ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : " الخلق وعاء الدين " .

فالدين هو خضوع القلب لله مشتق من الدون والوضع فإذا تواضع القلب وانخشعت النفس وألقت بيديها لله سلما فذلك دين العبد ، فإذا أمره بأمر ائتمر وإذا نهاه انتهى ، وإذا قسم له من الدنيا قنع ، وإذا حكم عليه بحال رضي محبوبا كان أو مكروها ، فهذه عبودة العبد ، وإنما قدر العبد على إقامة العبودة في هذه الأشياء بعد خشعة النفس وخضعة القلب وتواضعه فذلك دينه ، فإنما قال :

" الخلق وعاء الدين " ، لأن ذلك الخلق إذا كان للعبيد مثل الجود والسخاء والكرم كانت النفس حرة من رق الهوى ، والقلب حرًا من رق النفس فهان عليه التواضع والخضوع لله والائتمار بأمره والقناعة بما قسم والرضى بما حكم ، فإنما يسر عليها إقامة الدين من أجل ذلك الخلق ، فإذا كان للعبد ذلك الخلق كان ذلك الخلق وعاء لدينه ، من ذلك الخلق يخرج له الدين وهو الخضوع والخشوع وبذل النفس لله واحتمال أثقال المكروه ولما كان هذا الإسلام أشرف الأديان أعطاه أقوى الأخلاق وأشرفها وهو الحياء .

١٤٢٧ـ **حدثنا** علي بن خشرم ، ثنا عيسى بن يونس ، عن معاوية بن يحيى ، عن الزهري ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : " إن لكل [٢/ ١٥٢/ ب] دين خلقا وخلق الإسلام الحياء " .

والحياء أصله من الحياة فإذا حيي القلب بالله فكلما ازداد حياة بالله ازداد منه حياء ، ألا ترى أن المستحي يعرق في وقت الحياء فعرقه من حرارة الحياة التي هاجت من الروح فمن هيجانه تفور الروح بتلك الحرارة فيعرق الجسد منه ، ويعرق منه ما علا لأن سلطان الحياء في الوجه والصدر .

١٤٢٨ـ **حدثنا** أبي رحمه الله ، ثنا صالح بن عبد الله ، عن محمد بن الحسن القرشي ، عن خصيب بن جحدر ، عن راشد بن سعد ، عن عروة ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : " إن جبريل نزل على النبي ﷺ وبين يديه شيء من حبوب يأكله متكئا ، فجلس يتصبب عرقا فقمت إليه فجعلت أمسح العرق عن وجهه ، وأقول بأمي وأبي يا رسول الله ما لك؟ قال : إن جبريل عليه الصلاة والسلام أتاني وأنا آكل متكئا ، فقال : يسرك أن تكون ملكا فهالني قوله ، قالت عائشة رضي الله عنها : فما رأيت النبي ﷺ أكل متكئا بعد ذلك حتى فارق الدنيا " .

قال أبو عبد الله :

فإنما تصبب عرقا لفوران حرارة حياته بالله ، وكلما كان حياة القلب بالله أعظم كان تسليمه لله أكثر وأوفر ونفسه أسلس للانقياد ، لأن الإسلام هو تسليم النفس والدين خضوعها وانقيادها فلذلك صار هذا الحياء خلقا للإسلام ووعاء للدين يستحيي ، فيتواضع ويستحيي فيخضع ويستحيي فيبذل نفسه لله ولا يبخل بها عليه ، ومن

الحياء انكسار النفس وذهاب رجوليتها ألا ترى أن المرأة لما فضلت بتسعة وتسعين جزءا من الحياء كيف كسرت شهوتها التي فضلت بها على الرجال .

وروي ، عن رسول الله ﷺ : أن المرأة فضلت على الرجال بتسعة وتسعين جزءا من الشهوة ، وفضلت من الحياء بتسعة وتسعين جزءا لتكسر تلك الشهوات بما فضلت به من أجزاء الحياء .

فقد بان لك أن الحياء يكسر ويذهب بالقوة والجلادة والصلابة من النفس ، وإذا كان ذلك يقوي القلب لأن الحياء من الحياة بالله من نفس المعرفة ، وأما ما ذكرنا من شأن المجبول على خلق ومن شأن الممنوح المتخلق به

١٤٢٩ـ فحدثنا عمر بن أبي عمر العبدي ، ثنا أصبغ بن الفرج الأموي ، عن ابن وهب ، عن عبد الرحمن بن شريح الإسكندراني ، عن العلاء بن كثير أن رسول الله ﷺ قال : " إن محاسن الأخلاق مخزونة عند الله ، فإذا أحب الله عبدا منحه خلقا حسنا أو خلقا صالحا " .

١٤٣٠ـ حدثنا محمد بن صدران بن سليم بن ميسرة الأزدي ، ثنا طالب بن حجر البصري ، ثنا هود العبدي العصري ، عن جده قال : بينما رسول الله ﷺ يحدث أصحابه إذ قال لهم : " إنه سيطلع عليكم من هذا[٢/ ١٥٢/ب] الوجه ركب هم من خير أهل المشرق ، فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فتوجه في ذلك الوجه فلقي ثلاثة عشر راكبا فرحب وقرب ، وقال : من القوم؟ قالوا : نفر من عبد القيس ، قال : فما أقدمكم هذه البلاد التجارة ؟ قالوا : لا ، قال : فتبيعون سيوفكم هذه ؟ قالوا : لا ، فلعلكم إنما قدمتم في طلب هذا الرجل؟ قالوا : أجل ، فمشى معهم يحدثهم حتى إذا نظر إلى النبي ﷺ قال : هذا صاحبكم الذي تطلبونه فرمى القوم بأنفسهم ، عن رحالهم فمنهم من سعى ومنهم من هرول ومنهم من مشى حتى أتوا النبي ﷺ فأخذوا بيده فقبلوها وقعدوا إليه وبقي الأشج وهو أصغر القوم فأناخ الإبل وعقلها وجمع متاع القوم ، ثم أقبل يمشي على تؤدة حتى أتى النبي عليه السلام فأخذ بيده فقبلها ، فقال النبي ﷺ : فيك خصلتان يحبهما الله ورسوله ، قال : وما هما يا نبي الله؟ قال : الأناة والتؤدة ، قال : يا نبي الله أجبلا جبلت عليه أم تخلقا مني؟ قال : بل جبلا جبلت عليه ، فقال الحمد لله الذي جبلني على ما يحب الله ورسوله ، وأقبل القوم قِبَل تمرات لهم يأكلونها فجعل النبي ﷺ يخبرهم بها يسمى لهم هذا كذا وهذا كذا ، قال : أجل

يا نبي الله ، ما نحن بأعلم بأسمائها منك ، قال : أجل ، فقالوا لرجل : أطعمنا من بقية القوس الذي بقي من نَوَاطك ، والقوس قطعة تمر فأتاهم ، بالبرنى ، فقال رسول الله ﷺ : هذا البرنى أما إنه من خير تمركم لكم أما إنه دواء لا داء فيه .

١٤٣١ـ حدثنا الجارود ، أنبأنا سليم بن عمرو النخعي قال : قال رسول الله ﷺ : " قلة الحياء كفر " .

قال أبو عبد الله :

والكفر غطاء على القلب فإذا حل الغطاء بالقلب ذهب الحياء ومات القلب ، وإذا انكشف الغطاء فإنما ينكشف بحياته بالله فإذا حيي استحيا ، ولذلك قال سفيان بن عيينة : الحياء أخو التقوى ولا يخاف العبد أبدا حتى يستحي ، وهل دخل أهل التقوى في التقوى وفي أمر الله إلا من الحياء .

١٤٣٢ـ حدثنا بذلك الجارود بن معاذ ، ثنا مغلس بن شداد ، عن سفيان بن عيينة .

وروي ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : " كان رسول الله ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها " . وقال أبو بكر رضي الله عنه : " استحيوا من الله فإني لأدخل الكنيف فأقنع رأسي حياء من الله " .

رجعنا إلى مبتدأ ما وصفنا من شأن المثل المضروب قلنا : فإذا أراد العبد أن يتخلق بخلق من هذه الأخلاق احتاج إلى أن يمكن له في الصدر الذي هو ساحة القلب ، فمن كان أوسع صدرا كان بمنزلة من كان أوسع مملكة من المال حتى يجد قواد الملك منفسحا فيأخذ كل قائد ناحية فيتملك فيها على حشمه فإذا اتسع صدره وجد كل خلق من هذه الأخلاق ناحية من صدره وتمكن فيه وسهل على القلب إنفاذ [٢/١٥٣/أ] أمور الله ، وإذا ضاق صدره لم يستقم فيه خلق بمنزلة أولئك القواد ، لما لم يجدوا فسحة انتقلوا إلى ملك آخر أوسع مملكة منه وأوفر كنوزا ، ولذلك سأل موسى عليه السلام أول ما سأل حيث بعثه إلى فرعون فقال : ﴿ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ﴾ فبشرح الصدر قدر على احتمال أثقال المكروه حيث احتاج إلى أن يستقبل فرعون بالمكاره وقد هرب منه خوفا من القتل ، فمبتدأ هذا الأمر أن يعمل في توسيع الصدر حتى يصير له هذه الأخلاق ، وتوسيعه أن يترك الشهوات والنهمات ويحمل المكاره على النفس حتى تصير

مدبوغة فعندها تطهر الأخلاق وتشرق أنوار الأسماء في صدره ويغزر علمه بالله فيعيش غنيا بالله تعالى ما عاش ، وبالله التوفيق .

الأصل الرابع والستون والمائتان

١٤٣٣- **حدثنا** عمر بن أبي عمر ، ثنا حرملة بن يحيى قال : أخبرني ابن وهب ، عن إسماعيل بن رافع ، عن سعيد المقبري ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " أربع من كن فيه حرمه الله على النار وحفظه من الشيطان : من ملك نفسه حين يرغب وحين يرهب وحين يغضب وحين يشتهي ، وأربع من كن فيه نشر الله عليه رحمته وأدخله الجنة من آوى مسكينا ورحم الضعيف ورفق بالمملوك وأنفق على الوالدين " .

قال أبو عبد الله :

فالنفس في هذا الجسد ومعدنها في البطن ثم هي متفشية في جميع الجسد ، والروح معدنه في الرأس وهو متفش في جميع الجسد ، والجسد قالب للروح والنفس كليهما والحياة موضوعة في كليهما ، وحياة الروح أقوى وأكثر وأخلص وأصفى من حياة النفس ، والدليل على ذلك أن الروح يأمر بالطاعة وذلك لأن حياته أكثر وأقوى ، لأن أصله من روح الحيوان الذي ماء الحيوان منه الذي إذا شرب منه أهل الجنة بباب الجنة لم يموتوا ، وقال في تنزيله : ﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ﴾ [العنكبوت : ٦٤] فههنا حياة وفي الدار الآخرة حيوان ، فهذه الحياة التي في الروح قليلة ، والماء الذي في الجنة والنهر الذي بباب الجنة لاغتسال أهل الجنة يوم يدخلونها كله من ماء الحيوان ، والماء الذي تحت العرش بحر راكد على مقدار أرزاق العباد هو من ماء الحيوان وذلك قوله : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ [الأنبياء : ٣٠] .

فإذا أنزل الله سبحانه إلى الأرض منه أحيا به الأرض وذلك قوله : ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴾ [ق : ٩] ، ثم قال : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً ﴾ [فصلت : ٣٩] أي ميتة لا تتحرك ﴿ فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ﴾ فاهتزازها وربوها وحركتها من الحياة التي دخلت فيها ثم قال : ﴿ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا ﴾ يعني الأرض ﴿ لَمُحْيِي الْمَوْتَى ﴾ وقال [٢/ ١٥٣/ ب] : ﴿ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا ﴾ [ق : ١١] فإنما إحياء الأرض بماء الحيوان ، وينزل الله على أهل القبور قبل نفخة الصور ماء من ماء الحيوان حتى تنبت أجسادهم وتحيا ثم يبعث الأرواح وهم في قبورهم أحياء يتحركون ،

قال له قائل : وكيف يتحركون بلا روح ؟ قال : بالحياة التي نالتهم من ذلك الماء ، ويتحركون كما تحركت الأرض بماء الحياة لما اهتزت وربت فاهتزازها بالحياة ، وبالحياة نالت أغصان الأشجار حتى ورقت وكل شيء يتحرك فإنما يتحرك بالحياة ، فالروح أوفر الأشياء حظا من هذه الحياة ، لأنه خرج من روح الحياة الأصلي ثم من بعد ذلك أوفر الأشياء حظا من الحياة بعد الروح هذه النفس ، فالنفوس لجميع الدواب والبهائم والطيور وفضل الآدمي بالروح للخدمة لأنه خادم ربه وسائر الخلق مسخرة للآدمي فالروح بما فيه من الحياة يدعو القلب إلى الطاعة ، والنفس بما فيها من الحياة تدعو إلى الشهوات والأفراح ، والقلب أمير على الجوارح وعن أمره يصدرن إلى الأعمال ، فالأمير يأمر بقوة المعرفة والعلم بالله .

وقوله : " من ملك نفسه " فالملك للقلب على النفس فمن كان قلبه مالكا لنفسه في هذه الأحايين الأربعة : حين الرغبة ، وحين الرهبة ، وحين الشهوة ، وحين الغضب ، فقد حرم جسده على النار واختشى شيطانه لأن الدنيا كلها في هذه الأربعة ، فإذا ملك القلب النفس بقوة المعرفة والعلم بالله فإن للمعرفة والعلم سلطانًا عظيمًا وجنودًا كثيفة وكنوزًا جمة للجنود ، فقد دقت دنياه في عينه وصغرت وتلاشت حتى صارت كالهباء ، ومن ملكت نفسه قلبه بقوة الهوى وسلطان هذه الأربعة وحدتها وغليانها صارت دنياه في عينه كل شعبة منها كالجبال وكالبحور ، وعظم في عينه شأنها وشأن أحوال نفسه فيها وصارت الآخرة في قلبه كالحلم ، فإن المحتلم يتعشق في منامه على جارية حسناء ويثب إليها ويلقي نفسه عليها من شدة الشبق لأن شيطانه يريه في منامه فإذا انتبه وجد نفسه خاليا مما رأى وإذا هو لم يزد على أن بال في فراشه فهذا لم يزد على أن ضحك به شيطانه .

فهو صفة من يتعشق على الجنان من شهوة نفسه بسماع الأذن لا بحياة القلب ، وإذا هو ميت على الدنيا من حبها ويعظمها تعظيما لا ينام ولا ينيم حرصا وأشرا وشرها وبطرا حتى يأخذها من الشهوات بتضييع الأمانات وتفريط الفرائض وبنسيان الموت والمعاد والقبر والقيامة والحساب بين يدي الله جل جلاله ، وقطع النار على الجسور ويمنع الحقوق ويعرض عن مواعظ الله ، وإذا تلا القرآن فكأنما ينشد شعرا ويحكي كلام الناس لا يتحرك قلبه لوعد ولا لوعيد ولا لنبأ من أنباء القرآن ولا تدمع عينه ولا يدري ما تلا إنما همه أن يطيب نفسه بأني قرأت وتلوت بمثل هذا القلب الخرب

الممتلئ من الغش والغل والحقد وطلب [٢/ ١٥٤/ أ] العلو والتعزز والتجبر والتكبر والاستبداد وإهمال الجوارح وتضييع السد على الجوارح السبع وهي الميثاق يتعشق على الحور ويتلمظ على فواكه الجنة ، ويتشمم رياحين الجنان من بعد سماع الأذن أبله من الأبالهة ، غشيما من أغشام الدين ، زبونا من زبون الشياطين ، أحمق من حمقى أهل الغرة ، ليس فيه من الحياة في قلبه أن إذا سمع بذكر الجنة قال الجنة دار الله يغمض عينه حياء من الله ، فقال مثلي يصلح لدار الله وأنا لا أصلح لدار أمير المؤمنين الذي هو عبده في دار الدنيا ، ثم دمعت عيناه واحترق جوفه مخافة الفوت والبعد من الله لفوتها ، وأخذته الحسرة والندامات حتى أداه ذلك إلى الضرع والحزن الدائم والتوقي والتورع ، وملك النفس فهذه النفس هي لغفلتها كالمحتلم الذي وصفنا أنه إذا انتبه استحيا من نفسه لما سخر به شيطانه ووجد في نفسه حسرة ، حيث رأى نفسه خاليا عما رأى في منامه فهو بين حسرة وحياء ، وكذلك هو المتعشق بغفلته إذا قدم على الله استحيا منه حتى تصبب عرقا وتحسرت نفسه إذا رأى ما فاته من موعود الله للمطيعين الأتقياء ، فمن آتاه الله المعرفة والعلم به امتلأ قلبه وصدره منهما فقهر الهوى وهدمه ونفر شيطانه فإذا لاحظ الجنان بكى حياء من الله أن رأى جسده قد توسخ وتدنس ، الوسخ من الآثام والدنس من العيوب ، ورأى الجنة مقدسة بقدس الله مطهرة بطهر الله مسفرة تضحك إلى أولياء الله فرجع إلى نفسه فرآها مع الأوساخ والأدناس فاستحيى من الله وبكى على أيامه التي عطلها عن اكتساب رضوان الله واكتسب بها معاصي الله فهذا له الرجاء كل الرجاء إذا قدم على الله ، فالنفس في هذه الأربعة صورتها عجيبة إذا اشتهت فصورتها كالريشة تهب بها الريح فصاحب الشهوة إذا هاجت به الشهوة وجد أهبوب ريحها بحرارتها في جميع جسده على قدر تلك الشهوة لأن شهوة الأشياء متفاوتة ، وفرح النفس بكل شهوة على قدرها من النظر والسمع والشم والمطعم والمشرب والملبس والمركب وكل شيء ، فهذه اللذات متفاوتة والأفراح بها متفاوتة وبعضها أقوى من بعض فإذا هاجت شهوة شيء من هذه الأشياء فالشهوة في أوله واللذة في آخره ، وإنما قيل شهوة لهشاشة النفس والميلان إلى ذلك الشيء والمسارعة لحب الوصول إليه والمبادرة إليه مخافة الفوت فتلك هشاشة يقال : هش واهتش وشهى واشتهى ،

فالشهوة مأخوذة من هناك واللذة إذا نال الشيء فانتهى إلى آخره فدل ذلك الهيج وسكن سلطان الهشاشة يقال : لذ وذل فالذل انكسار النفس في الأمور ولذ أي انكسرت شهوته ، عن الاهتياج والاغتلام والغلي وإنما هو كاضطرام نار في أولها حتى تنتهي منتهاها من الحريق ثم تسكن فتبقى جمرة متلظية حتى إذا قضاها [٢/ ١٥٤/ ب] صارت كجمرة علاها الرماد فذهبت الحرارة ، فأول الشهوة كضرمة النار ولهبها ودخانها وآخره وهي اللذة كالجمرة التي تتلظى وقد سكن ضرامها ولهبها ، وإذا انقضت فهي جمرة خامدة قد ذهب تلظيها وحرارتها ، فصورة النفس في الشهوة كريشة هبت بها ريح نكباء فهي تدير النفس دوران الرحى ، وصورة النفس في الرغبة كعطشان يكاد ينقطع عنقه من العطش فإذا رأى الماء عبه عبا أو كجيعان وجد طعاما فالتقمه وبلعه بلعا من غير مضغ ، وصورة النفس في الرهبة كالعلق من الديدان بينما هي منبسطة مقدار إصبع طويلة مقدار فتر ، وكالقنفذ من الهوام بينما هي منبسطة ترى صورتها وخلقتها إذا هي منقبضة كالكرة قد اقشعرت وشكست لضيق خلقها ، وكالكلب اللهفان المخلوع الفؤاد من الجبن ، وكاللبدة البالية الملقاة ذلا وجبنا ، وصورة النفس في الغضب مرة كالأسد الذي يفترس ويكسر ويمزق ويعقد عليه ، ومرة كالنمر يثب وثبة لا يهاب ولا يبالي فيمزق ويكسر ويبدد ، فإن كان القلب أميرا وللأمير كنوز وجنود فقد ملك النفس وإذا ملك النفس ذهب سلطانها وأفعالها فحفظ القلب بعقله ومعرفته وبعلمه بالله حدود الله في هذه الأحايين الأربعة ، فإذا اهتاجت الشهوة من النفس والنفس مملوكة في يدي القلب أعطاها القلب من هذه الشهوة بمقدار ما أذن الله لها فيه وأحل لها ومنعها ما حرم عليها وأعطاها من الرغبة ما أحل الله له وصيره له عزا وقوة في دينه ودنياه ومن الرهبة بمقدار ما حذره الله أن يرهب ، وأعطاه من الغضب بمقدار ما أطلق الله له من ذلك فلا يحمله غضبه على أن يجاوز الحدود في الأمور ولا يتعدى إلى الظلم فيكون مع غضبه على من غضب متمسكا بالعدل ولا يتعداه إلى جور فصاحب هذه الصفة هو الذي قال رسول الله ﷺ : " أربع من كن فيه حرمه الله على النار " أي : كان فيه ملك النفس في هذه الأحايين الأربعة في حين الشهوة فاستوثق منها حتى لا يتطاير شررها وتشتعل نيرانها في العروق حتى يجاوز الحدود ، لأن قوة النفس في العروق واستوثق من الرهبة في

جنبها وأمدها وشجعها فإن الرهبة هرب النفس من الخوف الذي نالها فأيدها وشجعها بقوة العلم بالله وأيدها بالمعرفة لله ، وإذا خلا القلب من هذه المعرفة والعلم بالله ووفارة العقل صار أسيرا للنفس بعد أن كان أميرا عليها ، وذهب سلطانه وصار مملوكا للنفس فبرزت الشهوة في وقتها فأحرقت والرغبة في وقتها فأفسدت والرهبة في وقتها فانهزمت والغضب في وقته فتسلط فجاء الخراب والفساد والضياع فهذا ملك النفس للقلب وذاك ملك القلب للنفس [٢/ ١٥٥/ أ] .

١٤٣٤ـ حدثنا سفيان بن وكيع ، ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن الشعبي ، عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب " ، فالقلب ملك بصلاحه يصلح الجسد لأن التدبير إليه ، والنفس تحب الملك وتشتهيه وتسعى وتباري القلب فهي تطلب الفرصة ، فإذا نالت تملكت على القلب فأفسدته وبفساده يفسد الجسد بمنزلة أمير وقع في الحبس وخارجي قد ملك على البلد فضاعت الحدود والأحكام وخربت الكورة وظهر الظلم والعدوان والحريق والغارات ، فالحريق المعاصي والغارات غارات كنوز القلب ، وصار العبد كله معدن الجهل والشره والبطر والشهوة والرغبة والكبر والعلو والحرص والحسد والحقد وأخلاق الكفر ، وقد أمر الله تبارك وتعالى بمجاهدة النفس فقال : ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ﴾ [الحج : ٧٨] وقال رسول الله ﷺ : " الجهاد جهادان وأفضلهما جهاد النفس " فإذا التقى القلب والنفس للمحاربة هذا بجنود الله من العلم والعقل والمعرفة والفهم والفطنة والحفظ والكياسة وحسن التدبير والحراسة فتشعبت هذه الأضواء فأشرقت واشتعل الصدر بهذه الأنوار فأبرقت واضطرم شعاعها ، والنفس بجنود العدو من الهوى والشهوة والغضب والرغبة والكبر والحرص والمكر والخدائع والخنادق والمدد من الزينة والأفراح فاضطربا وتحاربا ، فذلك وقت يباهي الله بعبده عند ملائكته والنصرة موضوعة في ملك المشيئة في حجاب القدرة فيعطي العبد نصرة بمشيئته فيصل إلى العبد في أسرع من اللحظة ، فلما رأى الهوى النصرة ذل وانهزم فانهزم العدو بجنوده ، وأقبل القلب بجميعه وجنوده على النفس حتى أسرها وحبسها في سجنه وقعد أميرا وجميع جنوده وقواده التي ذكرنا في الباب الأول ، وهي الأخلاق وفتح باب بيوت

الأموال والخزائن ، فرزق الجنود من الأموال وزادهم من الخزائن في الآلة والعدة فهذا ملك القلب للنفس حين يغضب وحين يرغب وحين يرهب وحين يشتهي ، قد خسأ شيطانه وحرمت جوارحه على النار كما قال رسول الله ﷺ وإذا التقى القلب والنفس للمحاربة ، والتقى الجمعان كانت صفته كجبريل مع محمد ﷺ يوم بدر ، وإبليس مع الكفار يشجعهم ويقوي أمورهم ويعدهم ويمنيهم ، فلما رأى جبريل عليه السلام نكص على عقبيه هاربا ، وقال : ﴿ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ﴾ [الأنفال : ٤٨] فإنما خاف الأسر أن يأسره جبريل عليه السلام فيفضحه ويريه الناس فهرب وترك الجمع ، فكذلك الهوى لما رأى المعرفة بسلطانها قد أقبلت والعقل على [٢/ ١٥٥/ ب] مقدمتها والعلم بالله محيط بالعسكر والجنود نكص الهوى على عقبيه وتبرأ من الجنود فهذا ملك النفس للقلب . . . (١) القلب للنفس ثم من بعد هذا ملك آخر لأولياء الله ، فذاك قلب يملكه الله فإذا تعدى الحدود في الظاهر لم يفسد ولم يخرب ، ولم يجترئ أحد أن يستعمله بتغيير لأن ذلك حد الله في الباطن ، وقد خفي على الخلق والحد عندهم في الظاهر غير ذلك فهذا قلب غلب عليه سلطان القبضة فملكه فاستعمله الله في قبضته ، كما استعمل الخضر في خرق السفينة وفي قتل الغلام فكان ذلك في الباطن حد الله وفي الظاهر مخفي عند الخلق ، ولذلك أنكره موسى عليه الصلاة والسلام فهذه قلوب قد ملكها سلطان القبضة وتلك قلوب ملكها سلطان الحق ، والقلوب التي ذكرنا بدءا ملكها سلطان النفس .

ومما يحقق ما قلنا :

١٤٣٥ـ ما **حدثنا** به أبو بكر بن سابق الأموي ، ثنا عمر بن عبيد يرفعه إلى علي رضي الله عنه أنه مر برجل وهو مقاوم امرأة فأصغى بسمعه إليه فأنكر ما سمع منه فشجه ، فجاء الرجل إلى عمر رضي الله عنه والدم يسيل فقال : ويحك من فعل بك ؟ قال : علي ، فقال عمر : ما هذا يا أبا الحسن ؟ فقص عليه فقال عمر : أصابتك عين من عيون الله ، إن لله في الأرض عيونا وإن عليا من عيون الله .

١٤٣٦ـ **حدثنا** عبد الجبار بن العلاء ، ثنا سفيان ، عن إسماعيل بن أبي خالد سمعه من قيس

---

(١) كلمة لم أستظهر قراءتها .

قال : " عرض أبو بكر رضي الله عنه فرسا له ، فقال غلام من الأنصار : احملني عليها يا خليفة رسول الله ، فقال لأن أحمل عليها غلاما قد ركب الخيل بغرلته أحب إلي من أن أحملك عليها ، فقال : أما فوالله لأنا خير منك فارسا ومن أبيك ، قال مغيرة : فما ملكت نفسي أن أخذت برأسه فركبته ، فأقبل منخراه كأنهما غربي مزادة ، فبلغ أبا بكر أن ناسا من الأنصار يتواعدون المغيرة بن شعبة ، فقال : والله لأن يخرجوا من ديارهم أسرع من أن أقيدهم بوزعة الله " .

الأصل الخامس والستون والمائتان

١٤٣٧ـ حدثنا صالح بن محمد ، ثنا معلى بن هلال ، عن ابن أبي ليلى ، عن الشعبي ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : " أفضل العبادة الفقه وأفضل الدين الورع " .

١٤٣٨ـ حدثنا عيسى بن أحمد العسقلاني ، ثنا يزيد بن هارون قال ، أنبأنا يزيد بن عياض ، عن صفوان بن سليم ، عن سليمان بن يسار ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " ما عُبد الله بشيء أفضل من فقه في الدين ، ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد ، ولكل شيء عماد وعماد هذا الدين الفقه " .

١٤٣٩ـ حدثنا محمد بن زنبور المكي ، ثنا إسماعيل بن جعفر ، أنبأنا عبد الله بن سعيد بن أبي هند ، عن أبيه ، عن ابن عباس رضي الله عنهما [٢/١٥٦/أ] ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : " من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين " .

قال أبو عبد الله :

الفقه مشتق من التفقي وهو انكشاف الغطاء عن الشيء ، يقال : تفقأت الثمرة عن أكمامها ، وتفقأ الحب عما فيه ، وفقأ عينه إذا انخرق الحجاب وانكشف عن الحدقة ، فعلوم الأشياء في الصدر مجتمعة متراكمة بعضها على بعض فإحساس القلب من ذلك العلم هو علم القلب أداه إلى الذهن وإلى الحفظ ، فالذهن قبله ثم استودعه الحفظ حتى يؤديه إليه عند الحاجة ، فأداؤه في وقت الحاجة كنبعان العين ينفجر منه الشيء بعد الشيء ، فما دام هكذا فهو ساكن خامد لا قوة له ، فإذا تصور في الصدر لعين الفؤاد قوي القلب بذلك الذي تصور ، فذلك علم مستتر وفي القلب بقية من الضعف والخمود ، فإذا انكشف الغطاء ، عن الصورة التي تصورت في الصدر فذاك الفقه لأنه حين تصور في الصدر أحس القلب بتلك الصورة علما ولم يره ، لأن الغطاء قائم بينه وبين العلم وهو ظلمة الهوى ، فهو عالم بذلك الشيء يترجمه بلسانه ويتضمنه بحفظه ويمثله صورة بعقله وليست له قوة ينتصب قلبه لذلك ويتشمر ويطمئن إليه مع حرارة العلم وقوته ، فإذا انكشف الغطاء عن تلك الصورة التي صورها عقله صار عيانا للفؤاد ، فيقال لذلك العيان علم اليقين قال الله تعالى : ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ

ﭐلۡجَحِيمَ ۞ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيۡنَ ٱلۡيَقِينِ ﴾ [التكوير : ٥ - ٧] فعين اليقين يوم القيامة ، وعلم اليقين في الدنيا في الصدر ، فسماه رؤية ، ذلك ليعلم أن هذه رؤية عين الفؤاد وتلك في الآخرة رؤية عين الرأس ، فهذا الذي انكشف له الغطاء وانفقأ الحجاب عن مكنون العلم أبصر بعين الفؤاد صورة ذلك الشيء المَعنيّ فسمى ذلك فقها ، وإنما هو في الأصل فقأ ، القاف مهموزة ، فلما ثقلت أبدلت بالهمزة هاء فقيل فقه ، قال الله تعالى فيما يحكي قول شعيب حيث قال لقومه : ﴿ يَٰقَوۡمِ ﴾ ، ﴿ وَيَٰقَوۡمِ ﴾ ، ﴿ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ ﴾ [هود : ٨٦] ، ﴿ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ ﴾ [هود : ٩٠] ، ﴿ وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ ﴾ [هود : ٨٩] . وكان رسول الله ﷺ إذا ذكر شعيبا يقول : " ذاك خطيب الأنبياء " لحسن دعائه قومه ومراجعته وتلطفه في الدعوة ، فقال في آخر ذلك : ﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ ﴾ [هود : ٩١] فمن فقه قلبه ما يقال له تبين عليه أثره ، فهؤلاء الذين انتحلوا هذا الرأي وأكثروا الخوض فاجتمعت عندهم كتب الرأي تعجبوا بهذا الشأن حتى سموا هذا فقها وخيل إليهم أن هذا هو الذي ما عبد الله بمثله ، وهو هذه المسائل التي عندهم قط ، ولا يعلمون أن أستاذيهم تكلموا بها ثم قالوا : وددنا أنا نجونا منه كفافا لا لنا ولا علينا ، منهم إبراهيم النخعي ، والشعبي ، والحسن ، وابن سيرين ، في زمانهم . وأبو حنيفة ، وسفيان الثوري ، ومالك ، والأوزاعي [٢/ ١٥٦/ ب] في زمانهم فكل يتمنى الخلاص منه لا له ولا عليه ، وإنما هو نوع من العلم لا بد للناس منه ، يحفظ للأمة ، فأما سائر العلوم التي حاجة الناس إليها في كل وقت في ليلهم ونهارهم فأعرضوا عنها حتى صاروا في خلو من ذلك كله ، وصار هذا النوع عندهم فتنة لهم فتراه الشهر والدهر يقول : لا بأس ويجوز ولا يجوز فيما بين الله وبين عباده مع الحيرة في ذلك ولا يدري أصواب هو أم خطأ ، ثم تراه في خاصة أمره ودينه في عوج كله ، فإقباله على نفسه حتى يكف منها ما لا يجوز خير له من إهماله نفسه وإقباله على صلاح الناس ، ذلك لتعلم أنه مفتون ويسعى في الخراب ، وكان المتقدمون أولى بالشفقة على الأمة والحدب على الدين والنصيحة لله فشغلهم إصلاح أنفسهم عن الانهماك في هذه الأشياء حتى تلهيهم عن عيوب أنفسهم والقيام عليها بإصلاحها فيقال لهذا الذي توهم أن هذه الفضائل وهذه الندبة لمن تفقه في هذا النوع الواحد فإذا فهمه ماذا يجري عليه من نفعه وهو لا يدري متى

ينزل به ومتى يحتاج إليه هو أو غيره حتى ينتصب لفتياه ، فإعجابك بهذه كل هذا كيف إذا فقهت كلام رب العالمين الذي أدب به عبيده ووعظهم وعطف به عليهم كي يجعلهم غدا ملوكا في دار السلام ، فمن فقه عن الله قوله : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۞ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة : ٧ - ٨] ، عن الصغير والكبير والدقيق والجليل من الشر ولم يستحقر ما دق من الخير وصغر ، ولم يُسْتَحْقَر به ، وأمات هذا الوعيد من نفسه البطالات كلها ، ألا ترى إلى الأعرابي الذي سمع من رسول الله ﷺ هذه السورة قام وركب راحلته وقال : حسبي حسبي ومر على وجهه ، فقال رسول الله ﷺ : فقه الأعرابي . فهكذا يكون الفقه من فقه ما في السورة من شأن الأرض وما يحل بها ، ومن شأن النفس حين ترمي بها الأرض ، وما تخبر الأرض وتنطق عن سرائره ، وذكر الصدر من بين يدي الله أشتاتا ليروا أعمالهم ، ثم وجد أعمالهم موزونة بمثاقيل الذر من الخير والشر كيف لا يكون هذا حسبه فيما بينه وبين الله ومن فقه عن الله تعالى قوله : ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ﴾ [الأنبياء : ٤٧] فكيف وإن كان ﴿ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾ [الأنبياء : ٤٧] فكيف لا يكون هذا حسبه فيما بينه وبين العباد ، حتى ينصف الخلق من نفسه ويؤدي إلى كل ذي حق حقه من نفسه وماله ومن فقه عن الله قوله : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ [هود : ٦] كيف لا يكون هذا حسبه فيما بينه وبين معاشه ولا يخرج هم الرزق من قلبه حتى يثق بربه ويطمئن إلى ضمانه ، ومن فقه عن الله [٢/١٥٧/أ] تعالى قوله ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ﴾ [سبأ : ٣٩] فكيف لا يكون هذا حسبه من الثقة بخلقه حتى لا يجد في وقت الإنفاق ضيقا في صدره ولا حزازة في نفسه ، ومن فقه عن الله تعالى قوله ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤] ثم ذكر أصناف الشهوات ثم قال : ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ﴾ [آل عمران : ١٥] كيف لا يكون هذا حسبه في نزوله على ما اختار له ربه حتى يلهو عن حب هذه الشهوات ، ويتشمر في طلب الذي أعلمه الله أنه خير من ذلك فيطلب تلك الخصال التي أعدها لنوال هذا الخير ، من قوله تعالى ﴿ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴾ [آل عمران : ١٧] . ومن فقه عن الله تعالى قوله : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى

ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الكهف : ٧] ، ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ [الكهف ٣٠] ، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [التوبة : ١٢٠] كيف لا يكون هذا حسبه في معاملته ربه حتى ينكمش في الإحسان ويطلب من نفسه حسن الأشياء في كل شيء أمر معبوده ، ومن فقه عن الله تعالى قوله : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات : ٥٦] كيف لا يكون هذا حسبه حتى يعلم أنه خلق للعبودة وأن عبودته في جميع حركاته كلها ، فإن كانت حركاته مما قد حسنها الله في تنزيله وعلى ألسنة الرسل فقد عبده وإن كانت سيئة قد قبحها الله فقد ترك عبودته .

ومن فقه عن الله قوله : ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورى : ٣٠] كيف لا يكون هذا حسبه حتى تهون عليه المصائب لأنه أخبره أني صيرت هذه المصيبة قصاصا ببعض ما عمله من السوء وعفوت عن الكثير الباقي ، كأنه قال : إنما قاصصتك بهذه المصيبة بشيء يسير من ذنوبك حتى أنبهك من رقدتك وعامتها باقية جمة فوعدك العفو عن ذلك الكثير الجم ، فعظم أملك بربك ، ومن فقه عن الله تعالى قوله : ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ﴾ [يونس : ١٠٧] كيف لا يكون هذا حسبه حتى يجمع كل الرجاء في الخير وانتظار الفرج فيذهب بقلبه إلى بابه منتظرا ماذا يخرج من أرحم الراحمين أقضيته ومن أحكم الحاكمين حكمته ، حتى ينقطع رجاؤه وخوفه من المخلوقين ويصير حرا من رق نفسه ، ومن تبصبص خلقه وتملقهم ، ومن انهزامه عنهم ، ومن تغيير الله حيث عبر عن المنافقين ، فقال : ﴿ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ [الحشر : ١٣] فإنما برأهم من الفقه من كانت هذه صفته فكانت رهبته من المخلوق طافحة على نفسه غالبة على رهبته من الله ، وقالوا : ﴿ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ ﴾ [المنافقون : ٧] ، قال الله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ [المنافقون : ٧] فمن رأى رزقه وحاجته من الدنيا بيد الخلق رؤية تلهيه عن الله [٢/١٥٧/ب] حتى يضيع حقوقه ويداهن في دينه ، فقد برأه القرآن من الفقه ، ومن فقه عن الله قوله : ﴿ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر : ٦٠] كيف لا يكون حسبه حتى يعلم أن الله أكرمه بغاية الكرامة ، ورفع درجته وعظم شأنه ففرح بذلك واستغنى وعرف محله من ربه ، فلو أن

ملكا من ملوك الدنيا وعد عبدا من عبيده وكتب له ارفع إلي حوائجك لامتلأ سرورا وغنًى به واستند إلى ذلك القول منه ، وهو عبد مثله لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا يشغل عنه غدا أو يخلف وعده أو يعجز عنه فلا يقدر على إنجازه أو يموت وهو يتكل على هذا الكتاب منه ، ويمتلئ من نفسه فرحا وهذا كتاب رب العالمين ينطق بأن الله قد قال هذا فلم يخرجه مخرج الأمر فأمر به ، ولكن أخرجه على إيراد القول فقال : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر : ٦٠] فمن يعلم ما في حشو هذه الكلمة فمن علمها استغنى بها عن الحاجة ثم إذا دُعي على يقين من الإجابة لم ينتظر الوقت ، كما قال لموسى وهارون عليهما السلام : ﴿ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يونس : ٨٩] أي : أن سبيل الذين لا يعلمون الاستعجال لنوالها ، ولذلك قال رسول الله ﷺ : " لا يزال العبد بخير ما لم يستعجل ربه ، قيل : كيف يستعجل ربه يا رسول الله ؟ قال : يقول دعوت فلم يستجب لي " وهل استعجاله إلا من قلة فقهه لا يفقه أن ربه قد خار له حين يأتي وقته فيعطيه أكثر مما سأل ، ألا ترى أنه روي في الخبر عن رسول الله ﷺ أنه قال : " إذا دعا العبد قال الله تعالى : يا جبريل احبس حاجة عبدي فإني أحب صوته وقد أجبته إلى ما سأل " .

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال مثل ذلك ، وقال : يا جبريل احبس حاجته فلا تخطر ببال هذا العبد هذه الحاجة إلا وله مع كل خطرة أو كما قال ، فيصل العبد في وقته مع مغفرة كثيرة فإذا فقه هذا لم يستبطئ إجابته ولم يستعجل ربه ، فالفقه في هذا لا في تلك المخاتلات والخدائع التي يجدها العبيد الأباق في سيرهم إلى الله في معايشهم من نهب الدنيا حرصا وجمعا وتضييعا لدين الله فتنظر إليهم بعين الرحمة ، فيما تزعم نفسك وتزكيهم فلينظر صاحب هذا لا يكون ممن قد خدعته نفسه فتلذذ بمن أحبوه وشخصت أبصارهم إليه ، حتى صيره تلذذه عبدا جبارا متملكا مقتدرا فهو يعامل الخلق في تسوية أمورهم على التملك والاقتدار والتجبر والاعتداء حتى تكون محبته أن ينزل الخلق كلهم على قوله ويصدروا عن مشيئته فإذا هو جبار عاتٍ قد رمى بالعبودية وتشبه بالأرباب .

الأصل السادس والستون والمائتان

١٤٤٠ـ حدثنا سفيان بن وكيع ، ثنا يحيى بن آدم ، عن إسرائيل ، عن يوسف بن أبي بردة قال سمعت أبي قال سمعت عائشة [٢/ ١٥٨/ أ] رضي الله عنها قالت : " كان رسول الله ﷺ إذا خرج من الخلاء قال : غفرانك " .

قال أبو عبد الله :

قوله " غفرانك " طلب المغفرة على قالب فعلان وهي أعظم القوالب وأوفرها ، كقولك يا رحمن ورحيم وعريان وعاري وكفران وكفور وفرحام ومادة الرحمة بلوغ الرحمة العظمى ، وعريان الذي تعرى من الكسوة فهو بقشره ، والعاري الذي خلقت ثيابه وقد تعرى من الثياب ، والعريان بأن تعرى من الكسوة فغفران وسبحان وكفران هذا كله يراد به الوفارة والكثرة وبلوغ غاية من الغايات ، فسأل ربه عند خروجه من الخلاء المغفرة الوافرة ، وإنما صارت هذه الكلمة من بين الكلم في هذا المكان لأنه نظر إلى أمر عظيم وذلك أن آدم عليه الصلاة والسلام عجن الله طينته وخمره وصوره وخلقه بيده ووضع فيه أمورا عظاما في باطنه ونفخ فيه من روحه فكان بديع فطرته وصنيع يده .

١٤٤١ـ حدثنا عمر بن أبي عمر ، ثنا حيوة بن شريح الحمصي ، عن محمد بن شعيب بن شابور ، عن الأوزاعي ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " خلق الله تعالى آدم من تراب وعجنه بماء من ماء الجنة " فلم يكن يصلح له مكان يليق به مع هذه المكارم إلا داره فتوجه وكلله وختمه بخاتم الملك وكساه ونظفه ووضعه على سرير هو وزوجته ، وأمر ملائكته بحملهما إلى داره فلم يزالا في داره طاهرين بطهر الله عالمين بالله فرحين مسرورين مكرمين حتى إذا جاء وقت الشقوة وغلب القضاء والقدر على جميع ما أعطاهما وخلص العدو إليهما فأكلا بأمر العدو ، فصارت تلك الأكلة فرصة إبليس منهما والمأكول حظه منهما فصارا عاريين من جميع هذه الكرامات ، وأخرجا مذمومين وصار مستقر تلك الأكلة سلطان إبليس ومملكته وأنتن المأكول فيهما ، فإنما نتن لكينونة العدو ونجاسته وكفره فيها ، فكلما ظهر من ذلك الموضع بول أو غائط أو ريح أمر بالوضوء وغسل ذلك المكان ،

فالوضوء من توضئة الأعضاء التي هي جوانب الجسد حتى تصير وضيئة فإنما لاحظ رسول الله ﷺ حين يخرج من الخلاء ذلك الذي حل بأبيه فورثه عنه فظهر ذلك عليه والتجأ إلى عظيم المغفرة ، فقال : " غفرانك " أي ما لقينا من تلك الخطيئة ولو أن رجلا وقف تحت ميزاب الكعبة حتى جرى من الميزاب فتلقاه بفيه من الماء الذي نزل من السماء ولم يمازجه شيء من الدنيا فدخل جوفه ثم خرج من هذه المخارج لأمر بالغسل والوضوء ، وحكم له بحكم النجاسة ، فإذا فكر في هذا فهم أن هذا الماء قد صار إلى المعدة في مجاورة العدو الذي جعل له السبيل إلى هذا الآدمي ، كما قال رسول الله ﷺ : " إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ، قالوا : ومنك يا رسول الله ؟ قال : ومني ، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم " فمستقره تحت [٢/١٥٨/ ب] المعدة على مطحن العلف ، ثم يجري مع الدم في العروق سلطانه فلو أن السماوات والأرض زالتا بتلك الخطيئة ما كان بمستنكر ، فالمتنبه إذا دخل الخلاء وأحس حياة قلبه بما يخرج منه استحيا وعرف أن هذا ميراث تلك الخطيئة ، وذكر آدم وأمره فاستحيا من ربه فإذا خرج التجأ إلى الغفران لأنه بعدما حل به من ميراث الخطيئة حتى ألقاه إلى الدنيا ونتن أجواف ولده بالطعام الطيب ، وأمر بغسل الأطراف منها أيضا ، أمثال الجبال فعظم شأن ذنوبه عنده في ذلك الوقت فالتجأ إلى سؤال الغفران ، ولذلك كان رسول الله ﷺ يقنع رأسه .

١٤٤٢ـ **حدثنا** محمد بن علي الشقيقي ، أنبأنا أبي ، أنبأنا عبد الله ، أنبأنا أبو بكر بن أبي مريم ، عن حبيب بن صالح : " أن رسول الله ﷺ كان إذا دخل المرفق لبس حذاءه وغطى رأسه " . وروي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال : " إني لأدخل الكنيف فأقنع رأسي حياء من الله تعالى " . فهذه ملاحظة الرسل والأنبياء والأولياء ، فأما العامة فليسوا من هذا في شيء فهم لا يرون هذا بقلوبهم ولا يعرفونه ، وإنما أدبوا بالحمد أن يقولوا الحمد لله الذي أخرج عني الأذى وعافاني فردوا إلى حال النفس ونعمة الله عليهم .

١٤٤٣ـ **حدثنا** صالح بن محمد ، ثنا الربيع بن بدر ، عن أبان بن أبي عياش ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا أتى الخلاء قال : " اللهم أذهب عني الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم " فإذا خرج من الخلاء قال :

" الحمد لله الذي أذهب عني الأذى وعافاني " . فهذا فعل رسول الله ﷺ فيما بينه وبين الأمة ، فأما الكلمة الأولى ففيما بينه وبين الله وكذلك شأن الكبراء كلامهم في الباطن مع الله غير كلامهم في الظاهر .

قال له قائل : مثل ماذا ؟ قال : في الظاهر مع الخلق يقولون لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وفي الباطن معه يقولون : لا إله إلا الله فقط ، وفي الظاهر يقولون : الحمد لله الذي أطعمني وسقاني وأرواني وكساني وأشبعني ، ولو شاء أجاعني وأظمأني وأعراني ، وكذلك روي لنا عن رسول الله ﷺ وفي الباطن يقولون : الحمد لله فقط ، وفي الظاهر يقولون : ما شاء الله كان وما لا يشاء لا يكون ، وفي الباطن يقولون : ما شاء الله ، ينشرون عن الله مع الخلق ذكر ربوبيته وإلهيته وصنائعه ليكون ذلك منشورا مشهورا مستفيضا لنباهة القلوب المستمعة إليه ، وفي الباطن إذا قالوا : لا إله إلا الله ولهت قلوبهم في ألوهيته فلا يلتفتون إلى شرك الشركاء ولا يذكرونه ، فإن القلوب الوالهة إذا انتزعت عيون الأفئدة منهم في ملكه صعب عليهم في ذلك الوقت أن يلتفتوا بقلوبهم إلى شرك يدع لا يحبون أن يذكروا معه أحدا ، وكذلك في الحمد إذا رفعوا الحمد إليه بقلوبهم [٢/ ١٥٩/ أ] إلى عش الحمد في المشيئة عنده أثقل عليهم أن يلتفتوا إلى ذكر النعمة ، وكذلك في المشيئة إذا وقعوا في بحرها ارتفع عنهم ذكر كان ويكون .

١٤٤٤ـ حدثنا أبي رحمه الله ، عن صالح بن محمد ، عن أبي مقاتل قال : كان ابن سيرين إذا خرج من الكنيف فلم يره أحد ، ولم ير أحدًا خر ساجدا باكيا بما أنعم الله عليه أن سهل له خروج الأذى .

الأصل السابع والستون والمائتان

عن تفسير حديث رسول الله ﷺ أنزل القرآن على عشرة أحرف .

١٤٤٥ـ حدثني أم عائشة بنت سهل ، عن أبيها سهل بن سالم ، عن خلاد بن محمد ، عن أبي حمزة اليشكري ، عن زكريا بن حكيم ، عن الشعبي ، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه [عن رسول الله ﷺ قال][1] : " أنزل القرآن على عشرة بشيرا ، ونذيرا ، وناسخا ، ومنسوخا ، ومحكما ، ومتشابها ، وعظة ، ومثلا ، وحراما ، وحلالا ، فمن ابتشر ببشيره ، وانتذر بنذيره ، وعمل بناسخه ، وآمن بمنسوخه ، واقتصر على محكمه ، ورد أمر متشابهه إلى عالمه ، واتعظ بعظته ، واعتبر بمثله ، وأحل حلاله ، وحرم حرامه فأولئك هم المؤمنون حقا لهم الدرجات العلى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ، وهو وارثي ووارث الأنبياء قبلي ، ولولا قسم أنه لا نبي بعدي لكان نبيا من أنبياء الله ، ولا يزال في ضمان الله وكنفه ، وحيث ما تلا القرآن غشيته الرحمة وتنزلت عليه السكينة وكان بعين الله منورا له قلبه إلى يوم القيامة ، ويحشر يوم القيامة في زمرتي وتحت لوائي ولوائي أبيض العود أخضر الرقعة أفيح الريح ، وله لسانان لسان يرى بالمشرق ولسان يرى بالمغرب ، يظل حملة القرآن والمتحابين في الله ، ومن ضيع واحدة منهن فقد ضيع كلهن ويلقى الله تعالى غدا ظمآن مُحول الحد[2] ، نادم القلب مرتعد الفؤاد حاسر القدم ، مستحٍ من الرب جل وعز مغفورا له أو معذبًا " .

قال أبو عبد الله :

قول رسول الله ﷺ : " ابتشر ببشيره " فالبشرى خبر عن الغيب ، وذلك أن العبد في دار المحنة والبلوى متعرض للنقمة والآفات ممزوج بها مسئول عن الشكر عليها ، ومقتضى للبصر على مزاجها من الآفات وهو فيما بين ذلك لا يدري ما يظهر له من غيب الله تعالى غدا ، فالحسرة كائنة للعبد فأيد الله المؤمنين بخطابه وكلامه فبشرهم ،

---

(١) سقط من (ص) عن رسول الله ﷺ وأخر الحديث يدل عليها ، والشرح . وهذا الأصل غير موجود في (ط) .

(٢) كذا بالأصل .

وإنما سمي بشرا لأنه أنبأهم في هذا الخطاب عن خبر نفى حيرتهم حتى قويت القلوب واطمأنت النفوس ، فإن النفس إذا اطمأنت فقد تخلص القلب من وساوسها وصار حرا والحر قوي مالك والعبد ضعيف عاجز في رقبة[١] [٢/١٥٩/ب] فإذا اطمأنت النفس وقوي القلب وانتشر السرور في الصدر ، فإذا انتشر السرور في الصدر نضرت الوجوه فتلك النضرة تورث البشر ، وضد النضرة الكسوف ، وضد البشر العبوس قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَّنْهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴾ [الإنسان : ١١] قال : نضرة في الوجوه وسرورا في القلب ، فالسرور يفيض القلب من الفرح الذي حل بالنفس ، فالفرح في النفس والسرور تولده في القلب وسلطانه وانتشاره في الصدر ، ثم يتأدى ذلك من مجمع العروق الذي على القلب إلى العروق التي في الوجوه فبشرت جلدة الوجه من ذلك ، بمنزلة شجرة شربت عروقها من ماء في أصلها فأدت عروقها إلى الأوراق فنضرت ، فيقال أشجارنا ناضرة كأن الماء يقطر من ورقها وخضرتها تبرق بروقا من نضرتها وطراوتها ، فكذلك هذا يتأذى إلى الوجه فينضر بشرة الوجه وهو جلدتها فإذا كان ذلك علم أن في الباطن خبرًا سارًا فقوله " ابتشر " على قالب : افتعل أي : صار هذا البشر الذي ظهر على وجهه من ذاته ، أي : عمل ذلك الكلام في قلبه وصدره حتى اختلط بذاته فاختلط بسمعه وبصره ومخه وجميع جوارحه ، فهذا لمن استمع قلبه إلى خطابه فوعاه بأذني قلبه فاستقر في قلبه علم ذلك ، وورد العقل على قلبه ينها[٢] ذلك الخطاب والفهم بمكنون لطائفه في ذلك الخطاب والفطنة تكشف الغطاء عن صور تلك اللطائف ، فطابت النفس لذلك وازدهرت وأينعت عن الذبول والخمول فإذا كان بهذه الصفة فقد ابتشر بالبشرى .

وأما قوله : " وانتذر بنذيره " فكذلك أيضًا وهو أن العبد قد شرهت نفسه من الفرح بأحوالها وسبب نمائها ونظرت فإذا جاءها الوعيد من الله تعالى ذبلت وسكن تلظي تلك الأفراح ، وانقمعت فتنغصت عليه حلاوة الأفراح وتكدر عليه صفو النعم بما جاءه من الوعيد ، فظهر في صدره من كدورة دخان الوعيد ومرارة التنغيص فتأدى

---

(١) هكذا استظهرت قراءتها .

(٢) هكذا استظهرت قراءتها .

ذلك إلى الوجه فظهر على وجهه الكسوف فأورثه العبوس فتجد صاحب هذه الصفة مرة ذا بشر ونضرة ومرة ذا عبوس وكسوف ، فإذا وردت عليه البشرى أقر وجهه بتلك النضرة فظهر البشر والكشر وزال عنه الكسوف ، فإذا ورد عليه الوعيد انكسف القمر الذي بوجهه وانعبس ، والعبوس يقبض أسارير الوجه والجبين والبشر انطلاق تلك الأسارير ، وذلك قوله : ﴿ يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴾ [الإنسان : ١٠] وهو أن يتقلص الجبين وتنقبض أسرار وجهه فمن ابتشر ببشير الله وانتذر بنذيره فإنما يفعل ذلك [٢/ ١٦٠/أ] بقلب عامر ومحال إن وجد أحدهما عنده أن يفقد الآخر لأن ذلك فعل القلب .

وأما قوله ﷺ " وعمل بناسخه وآمن بمنسوخه " فإن الناسخ آية قد أمر الله بالعمل بها وقد كان قبل ذلك أمر العبد بغير ذلك في آية نزلت قبلها ، فالناسخ ما قد جاء فدفع الأول وحل مكانه فهو ناسخ للأول ، والأول منسوخ أي مدفوع عن مكانه ، ولذلك سمي نسخه الكتاب لأنه يدفع عن الكتاب مثاله وصور الحروف فالناسخ والمنسوخ بلوى من الله لعبده أمره بالتوجه إلى الكعبة ثم صرفه إلى بيت المقدس ثم صرفه إلى الكعبة لينظر أيعبد الله أم يعبده في الظاهر ويعبد هواه في الباطن .

ثم قال : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

وقال : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [محمد : ٣١] أي : حتى نعلم من يجاهد نفسه في ذاتي ويصبر عما حرمت عليه ، وعلى ما افترضت عليه ، وعلى ما حكمت عليه من الأحوال المكروهة مثل الفقر والذل والبؤس والمرض ، ثم قال مع هذا بعد مجاهدة النفس والصبر : ﴿ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴾ [محمد : ٣١] أي : أنتم مني مع هذه المجاهدة والصبر أعلى طيب النفوس أم على خبثها وترددها والأركان صابرة ، فإذا آمن بالمنسوخ وعمل بالناسخ فهذا عبد منقاد لربه قد ألقى بيديه سلما .

وأما قوله : " واقتصر على محكمه ورد علم متشابهه إلى عالمه " فالمحكم خرج إلى العباد من الحكمة البالغة وهو مثل الآيات التي في سورة الأنعام ﴿ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾ [الأنعام : ١٥١] ومثل قوله : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ إلى قوله : ﴿ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ﴾ [الإسراء : ٢٣ - ٣٩] فأعلم

العباد أنه لم يأمر بشيء ولا نهى عن شيء جزافا أمرهم ونهاهم بالحكمة البالغة ، فظاهر الحكمة في أيدي علماء الظاهر وباطن الحكمة في أيدي علماء الباطن حكماء الله ونصحاؤه وهو علل الأمر والنهي ، وقد نفر علماء الظاهر من هذه المقالة وقالوا ليس لأمره ونهيه علة وإنما هو تعبد خافوا على ذلك من قِبل أهل كياد الدين ، وقالوا متى أطلقنا هذه المقالة لم نأمن أن يطلب ذلك منا من يروم كيد الدين من أهل الزيغ فيعجز عن تلك العلة فتسقط الحجة عن نفسه ، فحسمها هذا الباب ، فقال أهل الباطن : هذا تعبد وقد لزم العباد العمل به ولكن نستيقن أنه لم ينه عن شيء ولا أمر بشيء إلا بالحكمة تعالى الله عن الجزاف المهمل عن التدبير والتقدير ، فنحن نطلب تلك الحكمة في معادنها فإذا [٢/ ١٦٠/ ب] وجدناها حمدنا الله ، وإن افتقدناها انقدنا لله تعالى عبودة وذلة لرقها فإن تلك الحكم تبعثك على إقامة الأمر والنهي . إذا رأيت حسن تلك الأمور وبهجتها ونزاهة النهي عن طهارته ، وسنذكر واحدة من تلك الحكم .

افترض الله تعالى الصلاة على عباده فرجل أداها تعبدا وآخر طالع الحكمة ببصيرته فوجد العبد موكلا بحفظ الجوارح السبع ، وهو السمع والبصر واللسان والبطن والفرج واليدين والرجلين ، وهي بمنزلة عبد وكل بسبعة أغنام ليرعاها في مراعيها ولكل شاة مرعى على حدة ، وهو على مكان مشرف على هذه الأودية يورد عليهم من مكانه الماء فيسقيهم كلا على حياله في واديه ، وقيل له : متى تردى في جرف أو بئر فبادر في إخراجه منه ، وإن انكسر فاجبره ومتى ما وقع في سموم الكلأ مثل . . .(١) وأشباهه فبادر بالترياق ، ومتى وقع الذئب فيه فأرسل الكلاب عليه لإسلابه من الذئب ، فإن ذهب هذا الراعي فجعل هذه الأغنام في باله وعني بشأنهن ورعايتهن نال الكرامة وعوض عن تعبه وكده يا لك من عوض ، وإن أهمل الرعاية وضيع الغنم فواحدة في بئر قد تردت فيها ، وواحدة في أنياب السبع ، وواحدة في السموم قد تهرأ لحمها وعظمها فأولها يقال له يا راعي السوء أكلت اللحم وشربت اللبن ولبست الصوف ، ولم تثوي الضالة ولم تجبر الكسيرة ولم ترعها في مرعاها وعطشتها في مراعيها حتى يبست وماتت هزلا ، بؤسا لك من راعي ما اكتسبت بفعلك إلا مقتا وبعدا توقع الرق مستقبلا والعقوبة العظيمة في هذا الرق ، فهذا المؤمن في

---

(١) كلمة لم استظهر قراءتها بالأصل .

غفلاته كالراعي في نعساته ، فإذا نعس الراعي حتى تردت واحدة منهن في البئر بادر إليها فاستخرجها ، وإذا وقعت في سموم الكلأ عالجها بالترياق والبادزهو[(١)] حتى يردها إلى الحالة الأولى ، والمؤمن إنما سمي مؤمنا لأنه اطمأن إلى الله تعالى عبودة له واستقر قلبه وسمي مسلما لتسليم جوارحه إليه في أمره ونهيه ، وعليه الوفاء بذلك إلى يوم القيامة فمتى ما ضيع شيئا من أمره ونهيه دخل في وفاء تسليمه نقص بقدر ما ضيع ، وترك الوفاء فقد علم الله عز وجل من العباد أنهم سيخلفون هذا التسليم تضييع أموره فافترض عليهم القيام بين يديه عبودة وتذللا معتذرين مما ضيعوا ، فقد قام العبد مقاما جمع جوارحه المنتشرة في مراعيها بين يديه قد أزال سمعه عن الناس والأمور وأزال بصره عن النظر إليهم ، وأزال لسانه عن خطاب الخلق ، ويده عن القبض والبسط ، ورجله عن المشي ، وبطنه عن الطعام ، وفرجه عن الاعتماد فهذا من العبد تسليم إلى الله مستقبلا معتذرا بالثناء والركوع والسجود مترضيا [٢/ ١٦١/ أ] حتى يرجع من عنده على تجديد إسلامه ومزيد من فضل الله ورحمته ، فعبد أدى فرائضه على هذه الصفة من المطالعة والعلم واليقظة والانتباه ، وعبد أداها تعبدا ، وهذا كله مستور عنه ، فمتى يلحق هذا ذاك ؟ ولهذا ما قال رسول الله ﷺ : " إن الرجلين ليكونان في صلاة واحدة في سقف واحد ، ولما بين صلاتيهما أبعد ما بين السماء والأرض " فقد ذكرنا هذا في الصلاة ، وفي الوضوء موجود مثل ذلك ، وفي الغسل من الجنابة مثله ، وفي الصوم مثله ، وفي الزكاة مثله ، وفي سائر الأعمال التي عللها ، فإنما لا يعقلها إلا أهلها ، أولئك قوم قد تخلصت قلوبهم من ظلمة الشهوات وخرجوا إلى البرهان العظيم الواضح ، وإلى النور الأعظم .

وقوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ إلى قوله : ﴿ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ [الأحزاب : ٤١ - ٤٣] فإنما نالوا هذا الخرج بصلاته عليهم ، وإنما نالوا صلاته عليهم بكثرة ذكره وتلافي . . .[(٢)] من ذلك الذكر بالتسبيح بكرة وأصيلا .

وأما المتشابه فأسرار الله التي طواها عن العباد ، وأسرار الرسل التي أفضاها

---

(١) كذا بالأصل .

(٢) كلمة لم أستظهر قراءتها بالأصل .

إليهم وطواها عن العباد ، وأسرار الأولياء التي أفضاها إليهم وطواها عن سائر الموحدين ، فهذه أشياء قد اشتبه على الخلق لعجزهم عن احتمالها ، فالمقتصر على محكمه لا يتعدى إلى ما شبه عليه ، بل يقتصر على المحكم فإن الحاجة به إلى المحكم والمتشابه رتبة المحكم طواها الله تعالى عن العباد لعجزهم عن احتمالها .

ثم إذا تنحنحوا في دار الملك وانكشف الغطاء وزال عنهم رق العبودة وصار الأمر جهرا ، وزاروا الله تعالى في داره طوقهم النظر إليه واحتمال لذة كلامه ، أفضى إليهم بالأسرار التي طواها عنهم .

١٤٤٦ـ حدثنا محمد رزام الأبلي ثنا أحمد عن عطاء الهجيمي ، قال حدثني محمد بن نصير عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : " تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ ﴾ [الأعراف : ١٤٣] فقال : يا موسى عليه السلام إنه لا يراني حي إلا مات ، ولا يابس إلا تدهده ، ولا رطب إلا تفرق ، إنما يراني أهل الجنة الذين لا تموت أعينهم ولا تبلى أجسادهم " فقد أعلمك سبب عدم الرؤية في دار الفناء ، و ألقى عذره إلى عبده موسى حيث قال : ﴿ وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ ﴾ [الأعراف : ١٤٣] فحل بموسى عليه السلام من الصعق ما حل بالجبل من الدك ، ما حل بعلمه أنه لا يطيقه احتماله وأن الجنة خلقت فزينها بها ، فاحتملت الجنة تجليه ، والدنيا خلقت من كدورة وزبدة ، فزللها بسلطانه وزينها . . . [1] من الجنة مستورة عن الأنظار ، وزينها ومزجها بالشهوات التي حفت بالنار ، وذلك حظ إبليس ، فلا الجبل احتمل تجليه ولا موسى عليه السلام ، لذلك قال : ﴿ تُبۡتُ إِلَيۡكَ ﴾ [٢/ ١٦١/ ب] ، ولا أسألك ذلك في دار دنيئة فانية خربة ، قد تكدرت بالشرك والمعاصي ، ذهبت رؤيته في ذلك الوقت بشغوفه بربه وزلة عقله ، فلطف الله له أن ألقى إليه عذره في تركه إجابته وألجأه إلى التوبة إذ تدن له حتى فزع إلى التنزيه وإلى التوبة ، ومن ههنا عقلنا قوله : ﴿ يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [إبراهيم : ٤٨] أن هذه

---

(١) كلمة لم استظهر قراءتها بالأصل .

الأرض بدلت بها أرض طاهرة لم تدنس بمعصية لنور الله تعالى ، وهو قوله : ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾ [الزمر : ٦٩] . فلم تكن الأرض النجسة بالمعاصي بمستحقة لذلك ، فبدلت بها أرض طاهرة لكلام الله وجنته ، وإشراقها بنوره ، وقد أبت هذه الطبقة الغالية المعطلة احتمال هذه الخطة من جود ربنا سبحانه وكرمه ، فقالوا : إن هذه صفة من صفاته ، أي لا ترى في الدنيا ولا في الآخرة ، واحتجوا بقوله : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [الأنعام : ١٠٣] وزعمت أن هذه صفة من صفاته لا تنسخ ولا تتغير صفته ، وتكون في الدنيا بخلاف الآخرة ، فلما قيل : فمن عطل صفة من صفاته ، أليس قد انقطع نظام توحيده ؛ لأن العباد وحدوا ربا بجميع صفاته ، فإذا عطلت صفة من صفاته فقد خرجت من توحيده ، أفتزعمون أنه حين سأله الرؤية قطع النظام وعطل صفة من صفاته ، ففزعوا من هذا القول والتجوا أن سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام لم يسأل رؤية العين ، إنما سأل مشاهدة القلب ، فلما قيل : فإنما قال موسى : ﴿ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ﴾ [الأعراف : ١٤٣] ولم يقل : أر قلبي ينظر إليك ، فإن كان هذا السؤال للقلب ، فلم تجلى للجبل ؟ فأنكروا هذا ، وقالوا : إنما جعل في الجبل آية من آياته ، فتجلت الآية للجبل .

فقلنا : يا ممسوخ القلب ، يقول الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ ﴾ [الأعراف : ١٤٣] وأنت تقول : إنما تجلت آية من آياته ، كفى بذلك خزيا ، وحدثنا عن الآية التي احتجيت بها من قوله تعالى : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ [الأنعام : ١٠٣] وأن هذه صفة من صفاته ، هل عقلت أي شيء هذا ؟ وأين هذا من ذاك ، إنما قال : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ﴾ فقد تم الكلام ، ثم قال : ﴿ هُوَ ﴾ فهو اسم لا صفة له ، ومن الهوية خرجت الصفات ، وإلى هو إشارة القلب إلى المعروف الموصوف .

ألا ترى إلى قوله : هو ، ثم قال : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾ [الحشر : ٢٢] ثم قال : ﴿ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ ثم قال : هو ، ثم قال ﴿ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ﴾ ثم قال : هو ، ثم قال : ﴿ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ﴾ [الحشر : ٢٣] فهو أصل الأسماء ، وإليه يشير القلب ؛ لأنه الباطن الذي لا يدرى كيف ، فكذلك الله تعالى وصف نفسه وسمى صفاته ، فإنما وصف وسمى صفاته لدرك العباد ، وأما هو

فلا يدرك العباد منه معنى ولا صفة ، ولا تدرك الأبصار ذلك المعنى والإشارة ، فأين هذا من التجلي بصفة من صفاته بجلال أو بعظمة أو بهما ، ما أحسب أن الله تعالى صرف قلوبهم عن هذا إلا أنه حبسهم عن ذلك في دار البقاء [٢/١٦٢/أ] وأشقاهم(١) جعل لصفاته أسماء بحروف مؤلفة دارت الألسن عليها نطقا بما تراءت في القلوب هذه الصفات ، فصير عينا يوم القيامة التي كانت على القلوب ، وللصفات معنى ولا تدرك ألوهيته ؛ لأنه لا معنى له ولا يحاط به علما .

فأما قوله : " إن المتشابه زينة المحكم " ، مثل قوله في مبتدأ السورة : ﴿ الٓمٓ ﴾ ، فإنما ذكر حروف المعجم مؤلفة ، شبه بها على العامة وطوى علمها عنهم وأوصلها إلى أهلها ، يعلمهم حشو ما في السورة للعباد من زاد الإيمان ، وإنما ظهر عندهم وعنهم الإيمان ، ومثل قوله : ﴿ طسٓمٓ ﴾ يعلمهم بهذه الحروف حشو ما في هذه السورة ، ومثل قوله : ﴿ يسٓ ﴾ يعلمهم حشو ما في هذه السورة بالياء والسين ، فهذا لا يدركه إلا حكماء الله في أرضه ، وأوتاد أرضه وصلوا إليه ، فبه نالوا هذه الحكمة لأن هذه حكمة الحكمة ، وكما أن للعلم باطنا كذلك للحكمة باطن ، فهذا باطن الحكمة .

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : " العلم علمان ، فعلم على القلب فذاك العلم النافع ، وعلم على اللسان فذاك حجة الله سبحانه على ابن آدم " فالعلم الذي على اللسان هو العلم الظاهر ، والعلم الذي في القلب فهو الباطن ، وهو الحكمة(٢) .

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : " ما من آية إلا ولها ظهر وبطن " فهذا تحقيق ما قلنا بداء .

كما أن العلم علمان ، فكذلك الحكمة حكمتان ، حكمة ظاهرة يعلمها الحكماء ، وحكمة باطنه يعلمها نجباء الحكماء ، من وصلت قلوبهم إلى فردانيته ، فتناولوا هذا العلم من الفردية ، وهو علم حروف المعجم ، وبهذه الحروف تصرف العلوم

---

(١) هكذا استظهر قراءتها .

(٢) تكرر بالأصل من أول قوله : " وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : العلم علمان . . . فهو الباطن وهو الحكمة " .

كلها ، وبالحروف ظهرت أسماؤه حتى عبدوه بالألسنة وفهموا معانيها من قبل الحروف ، فهذه حكمة العلماء ، من الفردية خرجت إلى العباد ، فإنما شبه علمه على العباد لأن قلوبهم لا تحتمل ذلك ، وعقولهم لا تهتدى ذلك ، إنما يهتدي لذلك من وصفهم رسول الله ﷺ فيما يحكي عن الله أنه قال : " ما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضته عليه ، ثم إنه يتقرب إلى بعد ذلك بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه وبصره ويده ورجله ولسانه وفؤاده ، فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي وبي ينطق وبي يعقل " .

فالمتشابه زينة المحكم لأن الحكم في السورة ، وفي المحكم لطائف وتأديب وتنبيه ومعاريض ندبه ، وتشويق وحداته ، فأجمل ذلك كله في مفتتح السورة ، ليعلم أهله حشو ما في حشو هذه السورة ، وهو كالبشرى لهم ، تبتهج قلوبهم وتتورد نفوسهم وتزدهر وتينع ثمراتها ، فالعباد محتاجون إلى ذلك لأنهم يسيرون إليهم في مفازة جردا ، أعني دنياهم ، فزادهم فيها الأعمال بالجوارح ، ويسيرون إليه بقلوبهم في بحر عميق مظلم ، فقليل منهم يخلصون من [٢/ ١٦٢/ب] هذا البحر ، فالعامة قد غرقت فيه وانكسرت سفائنهم ، فمتعلق بحبل ومتعلق بلوح منها ، هذه أحوالهم في البحر . وأكثرهم غرقى هلكي أموات ، فهم قتلى هذا البحر وهم المشركون والمنافقون والموحدون قد تعلقوا بمثل ما وصفنا .

وأما القليل المتخلصون من هذا البحر فهم الصديقون ، جاهدوا نفوسهم في الله حق جهاده حتى أمطروا[1] فأدركتهم رحمة الله تعالى حين جأروا إلى الله عز وجل ، فاستجاب لهم واجتباهم وهداهم إليه ، فمن بين واصل إليه وبين منقطع موقوف به على مقام من تلك المقاوم .

قال الله تعالى : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ﴾ [النمل : ٦٢] فهذا سر لا يقدر العبد في جهده أن يكشف عن نفسه حتى يتولاه فيكشفه عنه ويجعله من خلفاء الأرض ، فخاصة الله في الصديقين الذين وصلوا إلى ملك الملك حتى نالوا علم هذه الأشياء من الفردية ، فهذا نوع من المتشابه .

---

(١) هكذا استظهرت قراءتها .

ونوع آخر قد حازت خطته أن يصل إليه أحد من الرسل فمن دونهم ، وهو من القدر ، لا ينكشف لهم ذلك إلا في داره ، وذلك عندما زالت العبودية عنهم لأن علم القدر لا يستقيم لهم مع العبودة ، فلو كشف لفسدت العبودة عليهم ، فطواه عن الرسل وعن الملائكة ؛ لأنهم في العبودة ، فإذا زالت العبودة احتملوه ، فإن ذلك من جهاد الإيمان .

ألا ترى أن الله تعالى وصف الراسخين في العلم أنهم قالوا : ﴿ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾ [آل عمران : ٧] وذلك أنهم تلوا آية العبودية ثم تلوا آية القدر ، فاستحال عندهم في تدبيره الذي وصفه لهم فسلموا ذلك إليه فقالوا : ﴿ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾ فردوا علم ذلك الذي شبه لهم إلى عالمه ، ثم خافوا شرة النفس لطلبها ؛ لأن العلم لذيذ ، وفتنة تلك اللذة لها شرة ، ففزعوا إلى ربهم فقالوا : ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا ﴾ [آل عمران : ٨] الآية ، علموا أن الرحمة تطفئ تلك الفتنة من نفوسهم ، ثم قالوا : ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾ [آل عمران : ٩] يتسلون بمجيء اليوم وانكشاف سر القدر لأن فيه الفرج كل الفرج لقلوبهم ، وإنما طوي عنهم لأنهم لم يحتملوا ذلك ههنا ، فكانت الفتنة تفسدهم .

فأولئك الطبقة إذا بلغوا من التلاوة تلك المواضع وجدوا حرقات تلك الأسرار على قلوبهم ، ولا يجترئون على أن يلاحظوه بقلوبهم على جهة التفتيش ، فيردون علمه إلى عالمه ، ويسألونه السلامة من الزيغ في فتنة اللذة ، ويتسلون بجمع الناس في ذلك اليوم وميعادهم لانكشاف ذلك ، فيبرز الله عز وجل مكرمة الموحدين وجاههم وأفرادهم هناك .

وفي القرآن آيات كثيرة عجزت علماء العامة عن دركها ، ونالتها الحكماء ، أعني خاصة الله تعالى ، وآيات عجزت الحكماء أيضا عنها ، مثل القدر ونحوه .

١٤٤٧ـ **حدثنا** الجارود ثنا يونس بن محمد عن شيبان [٢/ ١٦٣/ أ] عن قتادة قال : كان ابن عباس رضي الله عنه يكتم تفسير آيات من القرآن ، مثل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾ [القصص : ٨٥] ومثل قوله : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ﴾ [القصص : ٨٥] ومثل قوله : ﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴾ [النساء : ٢٤] .

١٤٤٨ـ **حدثنا** صالح بن عبد الله بن ذكوان عن محمد بن بكر عن هشام عن الحسن قال :

قال رسول الله ﷺ : " ما من القرآن آية إلا ولها ظهر وبطن ، وما من حرف إلا وله حد ، ولكل حد مطلع " وزاد فيه عمرو بن عبيد قال : قلت للحسن : ما ظهر وما بطن ؟ قال : سر وعلانية ، قال في المطلع : قال : منتهى ينتهي إليه .

وأما قوله : " واتعظ بعظته واعتبر بمثله "

فالاتعاظ أن يشتمل على القلب فيجعلها من ذاته كالشيء يتشرب في الشيء حتى يأخذه سلطانه ويكون أملك به .

وأما الاعتبار بمثله فإن الأمثال نموذجات الآخرة ، وكل شيء غاب عن عينك فوصف لك احتجت إلى مثاله في الشاهد ، فتعتبر بالشاهد إلى الغائب الموصوف ، واشتقاقه من العبور ، إذا رأيت هذا الحاضر عبرت بعقلك وقلبك إلى شكله في الغائب ، وإنما قيل عبور لأنك عبرت بعقلك في سفينة الذهن على بحر العلم ، ولأن فهمك غواص يغوص في هذا البحر ، فإذا كان الفهم زكيا غاص على الدر وأيد العقل بالفهم والحفظ ، فالذهن يشتمل على العلم والعقل يميزه ويزينه ، والفهم يستخرج الدرة منه غوصًا ، الحفظ يمسكه مستودعا إلى وقت الحاجة ، فيخرجه إلى عيني الفؤاد في الصدر صورة ، فإذا كان كذلك اطمأنت النفس إلى ما تصور في الصدر ووضح وانكشف الغطاء .

وأما قوله : " وأحل حلاله وحرم حرامه " فهو المتمسك به أن ينبسط في حلاله الذي أطلق عن وثاقه كهيئة المحرم ، فإن لكل شيء حريمًا والحريم حمي الله الذي حمي عباده عن الدنيا .

وأما قوله : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ ﴾ [الأنفال: ٤] فهذه صفة عبد قد بلغ حقيقة الإيمان ، وحقيقة الإيمان هو الإيمان الذي أحاط بجميع خصال الإيمان ، فجمعه في صدره على قلبه ، فذاك عبد نور الله بالإيمان قلبه ، فهو الذي تنتظم هذه الخصال التي ذكر في الحديث ، ولذلك قال : " من ضيع واحدة منهن فقد ضيعهن كلهن " لأن ذلك كله على القلب ، فإذا خرب القلب عن واحدة منهن فهو عن سائرهن كذلك .

وأما قوله : ﴿ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ ﴾ [طه : ٧٥] فهي جنات الفردوس ، وهي سُرة الجنة ، كذلك روي عن رسول الله ﷺ أن الفردوس أعلى الجنة سُموا وأوسطها

محلا وأقربها إلى العرش ، وهي سُرة الجنة وهي مسكن النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وهم أهل الوفاء بعهده ؛ فإن العهد للأمراء ، فهم أمراء على سائر [٢/ ١٦٣/ب] أهل الجنان .

ألا ترى أنه ليس لهم أن يرتقوا في الزيارة إلى درجاتهم حتى ينزل أهل الدرجات في الزيارة إلى منازل هؤلاء ، وإذا نزل تحول نعيمهم في ذلك الوقت إلى تلك الهيئة في ذلك الطعم .

قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴾ [طه : ٧٥ - ٧٦] فنسب الفردوس إلى عدن لأنها حول عدن وعدن دار الرحمن .

وأما قوله : " وهو وارثي ووارث النبيين قبلي " ، فإن ميراث الأنبياء ذلك التنزيل الذي نزل به الروح الأمين وحيًا ، فإذا قبضوا ورثهم خلفاؤهم ومَن طهر مكانه لاحتماله .

وأما قوله : " ولولا قسم أن لا نبي بعدي لكان نبيا من أنبياء الله " ، فإن النبوة مضمونة سيرة الحق ، وذلك أن النبوة رفعت من العدل والحق ، وبعث الله النبيين بالحق والعدل ، وجعل لهم وزراء على ذلك في حياتهم وبعد وفاتهم ، فقال : ﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾ فلما أعطى موسى عليه الصلاة والسلام هذا رضي من الله عز وجل كل الرضا ، وذلك لأنه قرأ في التوراة صفة أمة محمد ﷺ فسأل ربه ، فأعطي ما رضي به من قوله : ﴿ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٥٩] .

ثم أعطيت هذه الأمة ذلك ، فقال : ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٨١] فهذه مكرمة أكرم الله عز وجل بها موسى عليه السلام يوم الوفادة ثم جعل لهذه الأمة مثلها ، ولذلك قال رسول الله ﷺ : " من قرأ القرآن فكأنه أدرجت النبوة بين جنبيه غير أنه لا يوحى إليه " .

وأما قوله : " لا يزال في ضمان الله وكنفه " ، فإن القرآن ذمة الموحدين ، فمن دخل في ذمته وقي شر الدنيا والآخرة ، وذلك قوله : ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾ [طه : ١٢٣] فروي في الخبر عن الشعبي قال : أجار الله تابع القرآن من

الضلالة والشقاء ، والشقاء على وجهين :

وجه منهما شقاء العيش في الدنيا .

والوجه الآخر شقاء العيش في سجون النيران .

فتابع القرآن قد أجير من الوجهين جميعا ، فنعيمه في الدنيا راحة القلب من غموم الدنيا وظلماتها ، ويسره في الأمور ، فقلبه في راحة لأنه ميسر عليه أمور الدنيا مهيأ له في يسر .

فإذا ضمن الله عبدا واكتنفه كانت صفته هكذا ، وهو قوله : ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ إلى قوله : ﴿ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [الجاثية : ٢١] أي من طمع من عمال الفاسدات أن يجعل محياه ومماته كمحيا وممات من عمل الصالحات ، فقد ساء ما حكم ، فأكذب الله عز وجل ظنه [٢/ ١٦٤/أ] وأمانته .

وأما قوله : « وحيث ما تلا القرآن غشيته الرحمة ، وتنزلت عليه السكينة » ، فذلك لأن كلام الله عز وجل خرج من اللطف وجرت به الرحمة حتى تضمنته الرحمة ، فنزل به على قلب محمد ﷺ ، جاد بكلامه على العباد ، ورفع قدرهم بأن خاطبهم خطاب اللطف والكرم والشرف .

ثم أوصل إليهم كلامه وجعل لكلامه كسوة من نور ، فقال : ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴾ [المائدة : ١٥] والكتاب هو الحروف ، قد بان وانفصل ثم اتصل بالمنطق بالأدوات ، والنور كسوته .

ثم قال : ﴿ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ ﴾ [آل عمران : ١٣٨] فالهدى هو الذي يمدك ويميل به إليك ، والموعظة ما يعصمك به ﴿ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ [يونس : ٥٧] فإن في الصدور وساوس النفس ولذات الشهوات ، فكذلك سقم القلب مما فيه من الإيمان ، فالقرآن شفاء من ذلك السقم إذا حل بالقلب مع كسوته ، فاستنار الصدر .

فأما إذا صار الصدر كالمروج والغياض الملتفة شوكًا وقضبًا وبرديًا وثمامًا من كثرة الأشغال - أشغال النفس- لم يجد القلب سبيلا إلى الله تعالى ؛ لأن عمل ذلك على عيني الفؤاد في الصدر ، فإذا صارت عينا الفؤاد في هذه الغياض لم يستبن فيه شيء ، فهذه تلاوة عبد قد فرغ قلبه وصدره حتى صار كبقعة من الأرض جرداء .

وقلب أزهر ، فإذا ازدهر القلب حل الضوء بالصدر واستبانت مواعظ الله وهداية الله

في نصائحه ولطائفه ، وصار شفاء لما في الصدور .

وأما قوله : " وتنزلت عليه السكينة " ، فالسكينة من الله لعبيده بها تطمئن القلوب في الأمور لثقلها إذا تنزلت ، وأعطيت بنو إسرائيل فعرفوا ثقلها فأبوا قبولها ، وسألوا أن يجعل ذلك في التابوت ؛ لينطق عن التابوت بما تطمئن إليه القلوب في الأمور ، وذلك قوله : ﴿ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [البقرة : ٢٤٨] وذلك أن التابوت كان استلبه العدو يوم الهزيمة فحملته الملائكة إلى مسجلة بني إسرائيل ، فجعل الله ذلك لأمة محمد ﷺ ، فقال : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾ [الفتح : ٤] أي طمأنينة في الأمور إلى طمأنينتهم بالله .

وبالسكينة بوأ لإبراهيم عليه الصلاة والسلام مكان البيت ، وذلك أنها وقفت وانزوت حتى وقفت على مقدار الكعبة ونادت أن ابنِ على ظلي ، فإنما تحل السكينة بقلوب أهل الصفوة .

وقال أسيد بن حضير رضي الله عنه : " يا رسول الله ، كنت أصلي البارحة فغشيني شيء حتى نفر فرسي ؟ ، قال : اقرأ أسيد ، تلك السكينة جاءت تستمع القرآن " .

وأما قوله : " وكان بعين الله " ، فهذه كلمة قد أتت على النوال كله ، وهذه [٢/ ١٦٤/ ب] أعلى كلمة في هذا الحديث ، ومن كان بعين الله كان من خاصة الله في أرضه ومن أحبابه ومقربيه يوم القيامة .

وأما قوله : " نور الله قلبه إلى يوم القيامة " ، فهذا نور الحظ لأن الأنوار ثلاثة : نور التوحيد ، ونور الطاعة ، ونور الحظ .

فمن كان بعين الله كان له نور الحظ .

وأما قوله : " يحشر يوم القيامة في زمرتي وتحت لوائي " ، فزمرته السابقون المقربون ، وهو تحت لوائه ، واللواء بيد أمير السابقين .

وذلك أن لكل أمة لواء ، ولواء الأمة بيد رسولها ، ولواء هذه الأمة بيد أمير السابقين ، لأن محمدا ﷺ بيده لواء الرب تبارك وتعالى ، وهو لواء الحمد ، آدم فمن دونه تحت ذلك اللواء .

ثم وصف رسول الله ﷺ لواءه فقال : " لوائي أبيض العود ، أخضر الرقعة أفيح الريح ، له لسانان ، لسان يُرى بالمشرق ، ولسان يُرى بالمغرب " .

فبياض العود من الغمام والغمام حجاب الرحمة ، وخضرة الرقعة من ملك الهيبة ، وفيح الريح من ملك الرأفة .

وله لسان قد بلغ المشرق والمغرب لأنه بعث إلى أهل المشرق والمغرب كافة ، فلواؤه من نبوته .

وأما قوله : " يُظل حملة القرآن والمتحابين في الله " ، فهؤلاء صفوة الأمة أولياؤه ، والعمال كُلٌّ في ظل عمله ، والسابقون في ظل العرش ، وهو ظل الله سبحانه وتعالى .

وأما قوله : " ومن ضيع واحدة منهن فقد ضيع كلهن " ؛ لأن هذه الخلال معتملها على القلب ، فإذا عمر القلب انتظم هذه الخلال كلها ، وإذا خرب كانت بمنزلة خرزات في نظام واحد ، إذا انقطع السلك سقطت الخرزات ، ويلقى الله غدا ظمآن لأنه خرج من الدنيا عطشان لأنه اتخذ القرآن مهجورا ، ولقي الله مفتونا لاه عن ذكر الله وذكر آلائه وذكر مننه وذكر لطائفه وذكر وعده ووعيده .

وفتنة النفس على وجوه :

فمفتون برياسته نالها من علم على اللسان قد تزين به ، واتخذ به جاها عند الخلق ، واكتسب الحطام لقوته .

ومفتون بملك قد زاحم جبابرة أهل الدنيا حتى نال ناحية من زواياها يتجر فيها على أهلها .

ومفتون بزهد قد ملك الخلق وما في أيديهم بظاهر تركه ، فهو يحكم فيهم بزهده حكم السادة على العبيد ، وفي قلبه من الرعب أمثال الجبال .

ومفتون بعبادة ونسك وتقوى يتحلب(١) من ضروع شباتكه ما يمتلئ به عليه .

ومفتون بسعة العيش وقضاء النهمات ، قد أملي له ذلك ، مستدرجا يجري في مكر الله سبحانه وتعالى .

وأما قوله : " يحول الحد " ، فمن أجل أنه وحد الله ثم بايعه على قبول العهد والوفاء به ، فلما بدل حول الله حده عنه ، ورمى به إلى العدو .

---

(١) هكذا استظهر قراءتها .

قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾ [الزخرف : ٣٦] إلى آخر الآية .

ثم قال : ﴿ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ [٢/١٦٥/أ] فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾ .

وأما قوله : " نادم القلب " ، فإنه ندم حين لا ينفعه الندامة ، وأنى له التوبة وقد انكشف الغطاء ، وأما الندم العزم على رفض مساخط الله ، وأي شيء رفض وقد زالت الأشياء التي أمر برفضها ، فليس له هناك عزم ، إنما العزم في دار الامتحان لا في در كشف الغطاء .

وأما قوله : " خاسر القدر " ، فلأنه دعي إلى أن يعامل الله بهذا العهد ويتاجر فيكون ربحه جنته ، وهديته رضوانه الأكبر ، فاكتسب مساخطه ، قال الله تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ [البقرة : ٤٠] .

وأما قوله : " مرتعد الفؤاد " ، فذاك للأهوال التي ركبته فانخلع فؤاده واضطرب للخصام الذي يتوقع من القرآن ، فإنه ماحل مصدق ، ويشرف الرجل على النار فيقال له : زج في قفاه في النار ، فيفعل .

وأما قوله : " مستح من الرب " ، فلأنه نبذ لطائفه وبره وعطفه وراء ظهره ، وآثر شهوات نفسه في دنياه على ما هيأ له ومهد رب العالمين برأفته ورحمته ، فهذا حياؤه من بعد ذلك ، مغفورا له أو يعذبه على قدر ذنوبه ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

مسألة في الإجازة :

قال أبو عبد الله : سئلت عن إجازة العلماء هذه الكتب التي قيد فيها ، وما وجهها ؟ فاعلم أن العلم جملة والمعرفة متولدة من العلم المجمل ، فهذا التخطيط وهذه السطور في هذه الكتب قيود العلم ، حتى لا يدرس لأن النسيان داخل على الحفظ ، وكان دروس العلم عن القدور بما يحدث من النسيان ، فأودعوه الكتب ، وبذلك أدبهم الله عز وجل في تنزيله فقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ﴾ ثم قال : ﴿ وَلَا تَسْـَٔمُوٓا۟ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓا۟ ﴾ [البقرة : ٢٨٢] فجعل الكتاب لهذا الدين المؤجل صفة هذا الدين وكميته ونحله وتقويما للشهادة ونفيا للريبة .

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : " قيدوا العلم بالكتابة " .

والصدور وعاء العلم ، والكتابة وعاء لوصيته ، فكما كان في القدور تصوير المعاني الذي في ذلك الكلام ، فكذلك صار تصوير ذلك الكلام في الكتاب تخطيطا ، فهو علائم ذلك المعنى ، فإذا ناولني صاحبه أو أعلمني أن هذا الذي فيه هو كلامه ، فينبغي أن أقول : هذا كلام فلان ، وإذا قال : هذا قولي ، على معنى أني قلته أو على معنى أني إن سئلت عنه فإني أقول بهذا ، فهو جائز ؛ لأن ذلك التخطيط هو كلام وهو قول ، فإذا ناولني صاحبه فقال : هذا كتابي فاروه عني ، جاز لي أن أروي عنه ، وإن قال : هذا خطي وهذا علمي بهذه المسألة ، جاز لي أن أقول : هذا خط فلان ، وهذا علم فلان .

فإذا قال : هذا كلامي وهذا قولي ، لشيء لم ينطق به ، وإنما كتبه [٢/ ١٦٥/ ب] وناوله ، جاز أن يقول : هذا قوله وهذا كلامه ؛ لأن هذا يقع على معنى كلامي ، أن لو تكلمت به ، وقولي أن لو قلت به .

فكما جاز لي أن أقول : هذا قول فلان ، على معنى أنه قوله أن لو قاله وكلامه أن لو تكلم به .

وكذلك قوله : اشهد بكذا ، ولم يكن شهد قبل ذلك ولا بعد ذلك ، وجاز للمستمع أن يقول : حدثني وأخبرني ؛ لأن الحديث هو أن يحدث إليه شيئا من علم ذلك الأمر محدثا ، فكذلك الشيء هو حديث ، والمحدث لذلك ، وكذلك الخبر هو إلقاء علم ذلك إليه ، وبأي جهة ألقاه إليه فهو خبر .

وقد سمى الله سبحانه وتعالى تنزيله كلاما وحديثا ، فقال : ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا ﴾ [الزمر : ٢٣] .

قال أبو عبد الله رضي الله عنه :

وجدنا أن(١) الأحكام جارية أن تمضي العقود فيما بين الناس بالكتب ، فيلزمهم الحكم بذلك ، فمن ذلك أن الرجل يكتب إلى امرأته بطلاقها من غير أن يلفظ به فيتنزل به الطلاق ، وإلى عبده بالعتق فيصير حرا إذا وصل الكتاب ، وكذل البيع

---

(١) في الأصل " في " .

والشراء والإقرار بالمال ، كل هذا لازم حكمه ، فإذا كانت الأحكام جارية كان في الخبر هكذا .

وإذا كتب إلى القاضي بأن لفلان علي كذا وكذا ، ألزمه القاضي ذلك وأحله محل الإقرار .

وكان رسول الله ﷺ يكتب إلى أمرائه ، فكان يجوز لهم أن يقولوا : قال رسول الله ﷺ كذا ، فإنما على العلماء الأداء وتبليغ العلم ، فإذا أقروه وبلغت الأسماع منهم ووعوه لفظا ومعنى ، ثم أدوه إلى من بعدهم من القرون ، فلو كان اللازم لهم أن يؤدوا تلك الألفاظ التي وعوها بأعيانها بلا زيادة ولا نقصان ولا تقديم ولا تأخير ، لكانوا استودعوا الصحف ، كما فعل رسول الله ﷺ بالقرآن ، كان إذا نزل الوحي دعا بالكاتب فكتب .

وقال تعالى في تنزيله : ﴿ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾ [القيامة : ١٧] وقال : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] فكان الوحي محروسا ، ومع الحرس يكتبه رسول الله ﷺ ، فلو كانت هذه الأحاديث شأنها كذلك لكتبها أصحاب رسول الله ﷺ ، فهل جاء عن أحد منه أنه فعل ذلك إلا من كان ضعيف الحفظ ، فقال له رسول الله ﷺ : قيدوه بالكتابة .

وأما قول رسول الله ﷺ : " رحم الله عبدا سمع منا مقالا فأداه كما سمعه " فإنما معناه أن يؤديه أداء لا يتغير معناه بزيادة ، ما يزيد فيه وينقص ، وإلا فمن يقدر أن يؤدي مقالة لا يزيد فيها حرفا ولا ينقص منها حرفا ، وإنما ذلك في الزيادة والنقصان الذي يغير المعنى ، والله سبحانه أعلم . [٢/١٦٦/أ]

الأصل الثامن والستون والمائتان

١٤٤٩ـ حدثنا أبي رحمه الله عن قبيصة عن سفيان عن جعفر بن برقان عن يزيد بن الأصم ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : " إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم وأحسابكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم " .

قال أبو عبد الله رضي الله عنه :

فإنما ينظر إلى القلوب لأنها أوعية الجواهر والنور والمعرفة فيها ، وينظر إلى أعمال الجوارح لأن مبتدأ الأعمال من القلوب ، فإذا نظر إلى الجواهر فوجدها طرية كهيئتها ، محروسة من آفات النفس ، مكفوفة عن تناول النفس وتلبسها شيئا شكر العبد فزاده في الجواهر ونصره بأقدارها وأخطارها حتى يزداد بها غناء ، ومن استغنى بالله فلا قوي أقوى منه ، قد أيست النفس من إجابته إياها وأيس العدو من غوايته ، فإنما ندب العبد إلى التقوى وصار العبد وليا بأن حرس ما في قلبه من المعرفة لله وصيره في وقاية من آفات النفس ، فلا يصل إليه آفاتها من أجل صورة تلك الجواهر ، فإن العدو يأتي بأضدادها ، يريد أن يضعها في تلك الأمكنة ، وينفي عن قلبه ما وضعه الله تعالى ، فإن لم يقدر على التقي غطاه بما أورد عليه ، فلبس عليه ، بمنزلة رجل في يده جواهر ودنانير فأكب عليه خائن مخادع ، فيصحبه ويخالطه في الأخذ والعطاء ، فإذا أخذ منه جوهرا لينظر إليه وهي ياقوتة حمراء ، فلا يزال يقلبها في كفه ينتظر بلاهته ويلتمس غرته حتى يبدلها خرزة حمراء صافية تشبهها ، وصاحبه قليل البصر بالجوهر ، إنما معرفته بها إلى ما ينظر من ظاهرها ، ويأخذ منه لؤلؤة فيبدله بها عظما صافيا يشبهها ، ويأخذ منه زمردة فيبدله بها قطعة من جوهر الزجاج ، ويأخذ منه دينارا فيبدله به فلسا أصفر مدورا ، فهو لا يعرف من الدينار إلا صفرته وتدويره ، ومن الزمردة خضرتها ومن اللؤلؤة بياضها ، ومن الياقوتة حمرتها ، فإذا مثلها من الهيئة واللون والصورة لم ينكر ذلك ، فكذلك هذا الموحد أعطي المعرفة ليوحد ويتوجه إلى الواحد ويقبل على الواحد ويبذل نفسه عبودة ، ويأتمنه على نفسه ويتخذه وكيلا ويفوض إليه أمره ويترك التدبير عليه ويثق به ويركن إليه ، فيتذلل لربوبيته ويتواضع لعظمته ويتزين لبهائه ، ويتخذه عدة لكل نائبة في دنياه وآخرته .

[٢/١٦٦/ب] فلما رأى العدو ذلك حسده وتشمر لاستلاب ما أعطي العبد ، فلم يقدر أن يكابره ويستقبله بالقهر ، كما قهر الكفار وكابرهم ، ولكنه خادعه وأخفى خداعه في ظل النفس ، فهو يوسوس إلى النفس والنفس توسوس إلى القلب ، فإذا كان القلب أبله فرفض الكاينة[1] وكان مستشغلا في نوم الملاهة[2] والغفلة انخدع لما يورد العدو ، فأورد على توحيده شرك الأسباب بدلا ، وبالتوجه إليه توجها إلى أولياء الأسباب ، وبالإقبال عليه إقبالا على أحوال النفس ، وببذل النفس له عبودة بذل النفس لمناه وشهواته ، وبائتمانه على نفسه ائتمانه ما جمع وحذي من الدنيا ، وباتخاذه وكيلا اتخاذ علمه وبصره وحذقه بالأمور وكيلا ، وبالتفويض إليه تفويضا إلى تدبيره وقوته مقتدرًا ، وبالركون إليه ركونا إلى حزمه ، فلبئس ما أعطي من الكنوز بهذه الأشياء ، فانقطعت قوته ومادة معرفته من الله ، فأي مغبون أعظم غبنا من هذا ؟ فبعدا له لأنه قد ترك نصيحة الله له ، فإنه أنزل عليه نصيحته تنزيلا ، فقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾ [المنافقون : ٩] .

فإنما يذكر الله من وحده في جميع أموره ، دنيا ودينا ، وتوجه إليه في جميع نوائبه وحوائجه ، وأقبل عليه بكل همومه ، وبذل نفسه بذل من يعلم أنه مملوك مخلوق من تراب ، ممنون عليه بخلقه وبعظائم المنن ، وائتمنه على نفسه سكونا إليه وثقة به ، واتخذه وكيلا ، فاستراح من المخاوف ، وفوض إليه وقعد ببابه ينتظر خروج تدبيره إليه ، وركن إليه ركون من استند إلى جبل شامخ لا يقدر أن يؤتى من قبله ، فاطمأن . فمن ألهاه حب ماله وولده عن ذكر الله بهذه الأشياء ، فخسرانه أعظم من أن يوصف ؛ لأنه خدع فأبدل بما أعطي من الجواهر من الخرز والزجاج والعظام والفلوس ، فليت شعري في أي واد بقي توحيده ، وفي أي واد هو ؟ ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴾ [فصلت : ٤٤] .

١٤٥٠ـ حدثنا علي بن حجر ثنا يحيى بن حمزة الدمشقي عن أبي معبد عن حيان – أو حبان

(١) هكذا استظهرت قراءتها .

(٢) كذا بالأصل .

– بن حجر قال : قال رسول الله ﷺ : « يأتي على الناس زمان القرآن في واد وهم في واد غيره » .

فإنما صار في واد لأن جواهرهم ودنانيرهم صارت خرزا وخزفا وفلوسا ، فإن القرآن كلام رب العالمين ، جرى إليهم من أصل الجواهر ليعقلوا عنه كلامه بأنواع تلك الجواهر ، فإذا خدعهم العدو بنفخه الكبر فيهم ونفثه الشهوات وسلطان الهوى ، صارت هذه الأشياء بدلا ، فلم يوجد للخرز والخزف والفلوس أنوار تشرف ، فيستنير الصدر بكلام رب العالمين ، ولم يتراءَ لعين الفؤاد في ظلمات الكبر تلك [٢/١٦٧/أ] المعاني واللطائف ، هيهات ما أبعد ما وقع للقوم ، انخدعوا للعدو . . .[(١)] النفوس حتى أهلكهم الله ، قال تعالى : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ [الأعراف : ١٤٦] تلك قلوب عز ربي وجل أن ينظر إليها حتى يرى منها الخرزة والحصاة والخزف والفلوس ، بدل تلك الجواهر ، تلك قلوب صرفها الله عن آياته ودلائله فعميت ، تلك قلوب طردها وأعرض عنها فشغلها عن نفسه بما دب عليهم من دنياه الخيرية ، من زينتها فلهوا بها ونعيمها ومتاع عزرو بها دينيته ودنياوية خلِقة وشهوات رؤية فطمسها عن الفرح به والفرح بفضله ورحمته ، فالقلوب المعروفة بالطمسة معرض عنها خالقها ، وإذا أعرض عن قلب صار الصدر كنهار ولى وغربت شمسه وأقبل الليل بلباسه ، فإذا جاء الليل انقبضت النفوس والتفت بعضها ببعض رعبا وجبنا ، وكذلك القلب إذا أظلم الصدر بتلبيس العدو وشهوات النفس وأفراحها انقبض القلب وذبل وافتقر ، وصار أسير النفس ، فالفرح بالله له برد يطفىء حرارة النفس ، وله شعاع ينير الصدر ، وله حياة تهتز جميع الشهوات بتلك الحياة ، ويدعوك الخالق الذي أجراها إليك حتى يؤديك إليه ، وله حلاوة ، وتسكرك عن كل حلاوة دونه ، وله لطافة تجري إلى جميع عروقك حتى تتأدى إلى مخ أعظمك وتشتمل على روحك ، وله لذة تلهيك عن كل شيء دونه ، وله قوة تبعثك على كل صعب فيهون عليك ، وله يسر يغنيك عن كل شيء دونه ، وله بشرى تعرف بها جميع آمال قلبك ومنى نفسك ، فيهيم قلبك في تلك البشرى

(١) كلمة لم أستظهر قراءتها .

هيمان من تاه في المفاوز ، فدقت الدنيا والآخرة في جنب ذلك الفرح ووله قلبك في ولوهة حتى خرج حب الدنيا والآخرة منها ، والفرح بأحوال النفس ودنياها له حرارة تحرق وجه القلب وساحته ، وهي الصدر حتى يصير للقلب حزونة من الحريق كحزونة الأرض ، فيصبح حزينا على فوت الدنيا وعلى فوت درك منى النفس ، ويمسي كذلك حزينا ، فذلك يقبض الله فليعمل ما شاء من أعمال البشر .

وروي عن أبي جعفر محمد بن علي أنه قال : " أصبت مسطورا : من أصبح ساخطا على الدنيا أصبح ساخطا على ربه " .

١٤٥١ـ **حدثنا** أبي رحمه الله ثنا عمرو بن خالد الأعشى عن زياد بن المنذر عن أبي جعفر بذلك .

١٤٥٢ـ **حدثنا** عبد الله بن أبي زياد ثنا سيار ثنا جعفر بن سليمان قال : سمعت فرقدا السبخي يقول : قرأت في التوراة : " من أصبح حزينا على الدنيا أصبح ساخطا على ربه ، ومن تضعضع بَغَيّ(١) ذهب ثلثا دينه ، ومن نزلت به مصيبة فشكاها للناس فإنما يشكو ربه " .

فهذا رجل قد زاغ قلبه عن الله فضلّ في مفاوز [٢/ ١٦٧/ ب] الحيرة والفرح بأحوال النفس في رَوْحها وغياضها ، فإذا اضطرم عليها نيران الحرص امتلأ الجوف من دخانها حتى يصير صدره كالليل الدامس الظلمات ، وتعمى بصائر نفسه حتى يصير في أحوال النفس كالأعمى الذي ينفي الأشياء بيده وبها يلمس .

والفرح بأحوال النفس له سلطان يميت القلب ويحيي النفوس وينزه الشهوات بتلك الحرارة ، ففي كل شيء يستحي من الخلق ولا يستحي من خالقه ، كما قال في تنزيله : ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ [النساء : ١٠٨] .

فله حلاوة تسكرك عن الله والسكران متى يعقل من معه ؟

وله برد كبرد النسيم يدب في العروق إلى مخ الأعظم حتى يخدرك عن الإيمان بالله فيصيرك كأنك خال عنه ، ويستمل على روحك حتى ينسي روحك معدنه و مسر لها .

وينفذ إلى طبع النفس وعقلها وكدورتها .

---

(١) هكذا استظهرت قراءتها بالأصل لعلها صواب .

وله لذة تلهيك عن الله وعن يوم الميثاق ويوم المعاد لوفاء الميثاق ، وله قوة تقيمك على البغي ، والبغي سيف الروح ومحق النفس ، وله أشر يطغيك ، فإذا أنت طاغ باغ ، وله بشرى وآمال كاذبة وأمانٍ خادعة ، عز أن تهيم فيها هيمان المحتلم ، تثب على كل مقروح من الدنيا وثبان المحتلم في منامه على جارية قد عشقها ، فإذا انتبه وجد نفسه عما وثب إليها خاليا ، وفي فراشه بائلا ، فويل للفرح هكذا بهذه الصفة ، كيف يمشي سحبًا على وجهه في طرقات الدنيا ومزابلها ، يلتمس أفراحها ، قد تولى عن الله وأقبل على نفسه ودنياه ، يخرب دينه ويعمر نفسه ، كيف ينتبه ويفيق من سكرته يوم يدنو منه رسول مالك الملوك ليقبض روحه ويقدم به إلى الله ، كيف يجد نفسه خاليا من أفراح النفس ودنياها ، ويقدم على ربه جنبا قد بال في دينه وعبودته لربه وراث فيها كروث الحمار الذي قد حمل عن الله أسفارا على ظهر من قبل أن يتطهر بماء الندم .

فالكثير نظر إلى هذا الحال فاقشعر منه ، ورجع إلى نفسه فوجدها كريمة حرة من الحرائر تنقاد وتسلس بلا كزازة ، فقام على الساق متشمرا في تصفية قلبه وتطهيره التطهير . . .[1] والتصفية ليُجلى ، فالمرآة إذا جليت فقابلها نور الشمس تولد من بينهما إشراق يضيء البيت منه ، فكذلك القلب إذا جلي ثم لاحظ نور الملكوت أضاء الصدر وامتلأ من شعاعه ، فأبصرت عينا الفؤاد باطن أمور الله في خلقه ، فذاك ظاهر .

وإيمان القلب حتى أداه وتف إلي ملاحظها نور الله ، فإذا قابله نور الله تولد من بينهما إشراق يمتلئ الصدر منه ، وتبصر عينا فؤاده باطن الملكوت ، فذاك باطن إيمان القلب ، فذاك قلب قد استكمل الزينة والبهاء بما سبق من الصفاء ، فصار قلبه موضع نظر الله [٢/١٦٨/أ] من بين خلقه ، فكل نظر إلى قلبه زاد فيه فرحا لأنه ازداد به فرحا وله حبا وعليه عزا ومنه قربا ، واكتنفه بالرحمة من ملك الرحمة .

١٤٥٣ـ **حدثنا** صالح بن محمد ثنا سليمان بن عمرو عن أبي حازم عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " إن لله في الأرض أواني ألا وهي القلوب ،

(١) كلمة لم استظهر قراءتها .

فأحبها إلى الله أرقها وأصفاها وأصلبها أرقها للإخوان ، وأصفاها من الذنوب ، وأصلبها في ذات الله " .

١٤٥٤ـ **حدثنا** حفص بن عمرو ثنا محمد بن القاسم الأسدي عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن رسول الله ﷺ ، بنحوه .

وفي رواية ابن المبارك عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير بن زياد ، قال : قال رسول الله ﷺ : " إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم " .

فمن كان له قلب صالح تحنن الله عليه ، فإنما يصلح القلب إذا سكنت النفس بشهواتها والهوى بجنوده ، واطمأن القلب أميرا مؤمرا على الجوارح ، نافذا سلطانه ، فعندها يحتظي العبد من اسمه الحنان ، فإذا تحنن عليه وجد القلب ريح الرأفة فيزداد طمأنينة إلى ربه . . . . (١) الآمال يأخذ في السير إليه ذوبا ذوبا ، فعندها تظهر الكنوز . فإذا استغنى القلب بالكنوز وصل العبد إلى ربه بالأعمال وبالإنفاق للكنوز وبمحاسن الأخلاق ومحمود الفعال ، فعندها ينظر الله إلى قلبه وإلى أعماله ، حتى إذا وقع في القبضة هناك بلغ المبلغ الذي يقع في نظرة الله إلى جنته .

---

(١) كلمتين لم استظهر قراءتها .

« الأصل التاسع والستون والمائتان »

١٤٥٥ـ **حدثنا** عيسى بن أحمد العسقلاني ثنا المؤمل بن عبد الرحمن الثقفي ثنا عباد بن عبد الصمد عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال : " جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله أي الأعمال أفضل ؟ قال : العلم بالله ، ثم أتاه فسأله فقال مثل ذلك ، قال : يا رسول الله إنما أسألك عن العمل ، قال : العلم ينفعك معه قليل العمل وكثيره ، وإن الجهل لا ينفعك معه قليل العمل ولا كثيره " .

قال أبو عبد الله رحمة الله عليه :

فالعلم ثلاثة أنواع :

علم بالله ، وعلم بتدبير الله وبربوبيته ، وعلم بأمر الله .

وروي عن عيسى ابن مريم عليهما السلام أنه قال : العلماء ثلاثة : عالم بالله ليس بعالم بأمر الله ، وعالم بأمر الله ليس بعالم بالله ، وعالم بالله عالم بأمر الله .

كأنه جعل عيسى صلوات الله عليه العلم بتدبيره وربوبيته مع العلم بالله علما واحدا فإنما صيرنا ثلاثة أنواع ، أردنا أن يتميز عند من لا يعقل علم الله من علم التدبير ، لأن علم التدبير للعباد وهو داخل في باب العبودة ، وعلم الله هو الثناء(١) الذي يظهر على . . . (٢) من بساتين القلوب ، فالعلم رأس كل أمر ، وخلق الله الخلق [٢/١٦٨/ب] أصنافا وألوانا ، ثم أعطى كل شيء علمه الذي ينبغي له ، فبالعلم يعرف ربه ربا ، وبالعلم يعبد ربه .

وهو جواب موسى عليه الصلاة والسلام لفرعون ؛ حيث قال : فمن ربكما يا موسى ؟ ﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ [طه : ٥٠] أي أعطاهم خلقهم ثم هداهم من خلقهم ، ومن كونهم ومن تملكهم وممن قواهم ، فالهدى هو العلم الذي أعطى كل شيء من خلقه حتى هداهم إلى نفسه . فالعرش فمن دونه إلى الثرى وما بين الحدين في الحق العلي وفي القوي إلى حدوده السفلى ، كلهم أعطاهم خلقهم ثم

---

(١) هكذا استظهرت قراءتها .

(٢) كلمة لم أستطع قراءتها .

فرقهم[١] نفسهم وهذا نعم .

فالعلم جملة والمعرفة تمييز الجملة ، والهدى إيجاده إياهم بالقلوب علي طريقة ، فإذا هداهم اهتدوا فقصدوه بالقلوب واستقرت النفوس له بالعبودة استسلاما ، فخلق كل شيء ووضع فيه الحياة وأعطاه العلم به ، واقتضاه القنوت له ﴿ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴾ [البقرة : ١١٦] .

فالقنوت : الركون بين يديه في مقامه الذي أقامه ، فخلق المكان فركن بين يديه ، ثم خلق الهوي فركد ، في المكان بين يديه ، ثم خلق العرش والهوي في المكان فركد فيه من تحته ، . . . [٢] في مكانه فركد ، ومن . . . [٣] عليين فركد ، ومن تحته السموات والأرضون ، فركدت ، لا يزال ولا يميل واحد من هذه الأشياء عن حده الذي حد له فيصير يمينا وشمالا ، بل الكل راكد في حده .

وكذلك البحار والليل والنهار والشمس والقمر والنجوم والرياح والحر والبرد والنور والظلمة ، وأمم الأرض والخلق والخليقة ، فكل شيء من هذه الأشياء قد أعطاه خلقه وهداه إليه حتى يعلمه ويعرفه فيعبده ، وخلق اللوح من قبل فوضع فيه علم ما هو كائن إلى أن تنقضي الدنيا ، وخلق دار الثواب ودار العقاب ، بساتين وقصورا محشوة بالرحمة ، وسجونا محشوة بالسخط والغضب سوداء مظلمة ، ثم بدأ خلق آدم عليه الصلاة والسلام وذريته ، فجعل الأشياء سخرة للآدميين ، ووضع فيها تلك الأشياء التي فيها منافع للآدميين ، وقوام معايشهم ، وأعطاهم علم إخراج ذلك إلى الآدميين بمقدار معلوم ووزن معلوم وفي وقت معلوم وفي موضع معلوم .

فالعرش مقصد القلوب والسموات ظلال أبدانهم وموضع أرزاقهم وتدبير أمورهم بما فيها من الشمس والقمر والنجوم والرياح والحر والبرد والليل والنهار ، وما في الأرض كلها سخرة لبنى آدم فكلهم إلى الذي[٤] مسخرون متوكلون بإخراج ما وضع

---

(١) هكذا استظهرت قرأتها .

(٢) كلمة لم أستظهر قراءتها .

(٣) مقدار كلمتين لم أستظهر قراءتهما .

(٤) كذا بالأصل .

فيهم من المنافع إلى الآدميين ، وأعطاهم العلم على قدر ذلك من الحاجة إلى إخراج السخرة إليهم ، وخلق الآدميين للخدمة ووضع فيهم أنواره لتخرج الخدمة لله من باطنه والحاجة بالآدمي إلي العلم بالله حسب ما له خلق .

فانظر كم بين السخرة والخدمة ، فالسخرة لنا والخدمة لله ، فلو أن أحدنا أقيم لخدمة ملك من ملوك الدنيا لعظم شأنه واحتاج إلى علم كثير وأدب عظيم وكياسة متداركة حتى [٢/١٦٩/أ] يصلح لخدمته وإلى دوام القيام بين يديه ماثلا ليله ونهاره حتى لا يضيع شيء من خدمته ، فكيف بمالك الملوك ورب العزة وإله العالمين .

على حسب ذلك الذي خلقنا له أعطانا من العلم ، فأوتينا من العلم ما لم يؤت أحد ، وعجزت الملائكة عن ذلك العلم وقالت : ﴿ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ﴾ [البقرة : ٣٢] فعندها قال : ﴿ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ﴾ [البقرة : ٣٣] فعندها ظهر علم الآدميين على علم أعلى الخلق في المكان ، وهم الملائكة ؛ لأنا خلقنا لما لم يخلق هؤلاء فهؤلاء للسخرة لنا والوكالة لإخراج المنافع إلينا لنقيم عبودته بأركانها بقوة تلك المنافع ، ولنمثل بقلوبنا بين يديه على مثال الخدم ، ولا تبرح قلوبنا بين يديه ، فلو لم تصل هذه المنافع إلينا من قبل المسخرين الموكلين بنا لشغلت النفوس بحوائجها وضرورتها ، قلوبنا فتزيلها عن مقاومها ، فلا تكاد تثبت ، فخلق لنا ﴿ مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [البقرة : ٢٩] ثم قال : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ [الجاثية : ١٣] .

فأجمل في هذه الآية علم ما ذكرنا مفصلا ، فإذا انقضت المدة -مدة الدنيا- رفعت العبودة وذهبت السخرة ، فأعيد من خلق من التراب إلى التراب ومن خلق من النار والنور جميعا إلى معادنهما ، وانقطعت المنافع ؛ لأن العبودة قد انقضت ، ومن أجل ذلك سخرت لك ، فعندها تستقبلك منافع لا تنقطع في دار السلام لا تنقطع في دار الهوان . فإما ملك محبور وإما عبد آبق مقهور مدحور .

فأوتي هؤلاء علم السخرة وأوتينا علم الخدمة لأنهم لتلك خلقوا ، ونحن لهذه خلقنا .

فميز بين العلمين ، علم السخرة وعلم الخدمة .

فلما أحست الملائكة بخلق آدم ماجت بعضها في بعض ، ما هذا الخلق الذي لم نر مثله ، فقالوا في أنفسهم : نحن أفضل ، فلما قال : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى

فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ [الحجر : ٢٩] برزت لهم فضيلته ، فعلموا أنه قد جاء من هؤلاء أفضل منهم ، فأقروا له ثم قالوا : لن يخلق أعلم منا ، فكشف الغطاء عمن خلق وعرض عليه وقال : ﴿ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [البقرة : ٣١] فعجزوا ، فأوتي آدم علم الأسماء ، وقيل : ﴿ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ﴾ [البقرة : ٣٣] فعلموا هناك أن قد جاء الأفضل والأعلم والآثر والأخص ، فبرز آدم بعلم الأسماء على الملائكة .

فعلم الأسماء عن مكنون الأشياء لأنها سمة للأشياء ، فصار العلم منه وراثة في ولده والخدمة لهم إلى آخر المدة .

فمن فهم هذا تحير قلبه في هذا ، وقال : كيف لي بالقيام بخدمة ربي ، فما زال العلم بالله والعلم بتدبير الله يشرف على الخدمة لأن هذين النوعين يهديانك إلى الخدمة ، فعندها تقف خادما لربك ، فإذا وقف ممليك(١) في مقام الخدمة قام بعلم الأمر والنهي وتثبتها ، فعندها أمكن القلب الائتمار بأمر الله والتناهي عن نهي الله [٢/ ١٦٩/ ب] دق أو جل فاستوجب الحفظ من الله والثبات في تقلبه في الأمور .

قال له قائل : ما الخدمة وما علمها وكيف لنا بأن نعلمها ؟ قال : أما الخدمة فالقنوت بقلبك بين يديه سائلا منتصبا كالمتشمر في . . .(٢) الخدمة (محتاجا دار مد عاما بقاء مركبتك)(٣) في جميع أمورك له .

وأما علم الخدمة فعلم البساطين .

قال له قائل : وما البساطين ؟ قال : بساط القدرة وبساط العبودة ، فإذا طالعت بساط القدرة بعقل وافر طالعت بساط العبودة بكياسة وجد وحزم أدركت تدبيره في العبودة فباطن أمره ونهيه وعلل التحليل والتحريم ، ثم لماذا أحل ولماذا حرم .

فبعلم بساط القدرة تملك نفسك وبعلم بساط العبودة تملك جوارحك وخواطر قلبك ، فلم يقيض الله العباد شيئا لم يعطهم ، فالأشياء كلها من عند الله ، كان الله

---

(١) هكذا استظهرت قراءتها .

(٢) كلمة لم استظهر قراءتها بالأصل .

(٣) هكذا استظهرت قرأت هذه الجملة .

ولا شيء فبسط بساط الربوبية من باب القدرة وبساط العبودة من باب العظمة ، ثم كان آخر خلقه هذا الإنسان الذي بسط له هذين البساطين ، فابتدأ خلقه من التراب وجمع ترابه بالماء فَعَجَنه وصوره وركب جسده وجعله أجوف ، ثم وضع فيه الروح والنفس والحياة والقوة والعلم والمعرفة والذهن والفهم والفطنة والحفظ والعقل والحلم والكياسة والبصر والشهوة والرحمة والرأفة واللطف والحب والفرح والغضب والسخط ، ثم اقتضاه استعمال ذلك كله وإبرازها من باطنه إلى ظاهر جوارحه فتكون أعمالا عليها يثاب ويُعاقب ، وفتح لعيني قلبه طريقا إلى التطهر للمعاملة ليقبض من أرزاقه وعطاياه وما برز عليه من رحمته وربوبيته .

وخلق العدو وأعطاه السبيل إلى أجوافنا فيجري في عروقنا ومسكنه في صدورنا ، وجعل جنده وعظم قوته في الهوى ، والهوى يثير الشهوات ودواعي الآدمي إلى مكامن العدو وغروره ، فمن لم يعطه روحا أو قوة أو علما أو ذهنا أو شيئا من هذه الأشياء ، لم يقتضه ما يخرج له من ذلك الشيء ، كما أنه لو لم يعطك القائمة لم يقتضك الصلاة قائما ، ولو لم يعطك القوة لم يقتضك الصوم ، ولو لم يعطك المال لم يقتضك الزكاة ولا الحج ، ولو لم يعطك الكسوة أجزأ عنك الصلاة عريانا ، ولو لم يعطك الماء أجزأ عنك التيمم ، فكذلك ما في الباطن ، كل شيء لم يعطك لم يقتضك استعماله وإبرازه التبرزة عنك ، وكل شيء أعطاك ووضعه فيك فإنما أعطاك ليبرزه فيكون بك محمودا على ما وضع فيك . . . (١) في خلقه بجماله ومحاسن فعاله ، فتكون عليه مثابا مُكرما ، فإذا منعته إبرازك إياه فقد ظلمت نفسك [٢/ ١٧٠/ أ] وضيعتها ، فضاعت عنك الأشياء التي وضعها فيك .

فالقلب أمير على الجوارح ، وأصل الحياة في القلب ، والروح مغلق بالوتين ، وهو عرق القلب ، والحياة في الروح ، فكلما زيد من الحياة . . . (٢) علمه ومعرفته فانبسط ذلك العلم في الصدر وتميزت الأشياء ، وتدبر العقل في صدره فميز بين الحسن من الشيء . فالعلم قبوله إلى الذهن والتدبير والتمييز إلى العقل ، فجعل للقلب عينين وجعل لهما

---

(١) كلمة لم أستظهر قراءتها .

(٢) كلمة لم أستظهر قراءتها .

طريقا إلى المظهر ، وهو العرش ، ومد بصر عينيك إلى المظهر نور العلم بالله والمعرفة لله ، حتى يرجع بصرك إلى صدرك بعلم غزير وأمور مستقرة ، يعلم كنهها وكيفيتها ، ووضع الشهوات في الجوف ، ففوران الشهوات لها دخان وغيوم لأنها من باب النار ، وجالبها وناقلها الهوى ، فإذا صارت إلى الصدر صار الصدر كيوم مغيم قد حال بين نور الشمس وبين عينيك ، فإلى أين تهتدي وأي طريق تسلك في ذلك الغيم ، وأي بئر تتوقى حتى لا تتردى فيه ، وأية أرض مشاكة تتجنبها حتى لا تقع فيها ، وأية مزبلة تحيد عنها حتى لا تتلوث في أقذارها .

فإذا سكنت الغيوم وذهب الفوران وبرزت الشمس فأشرقت ، اهتديت الطريق وتجنبت الآفات لأنها صارت رأي العين ، فإذا ذهبت الغيوم ورميت ببصر العين التي على الفؤاد اهتدى البصر إلى الذي جعل لك الطريق ، فجلت بنظر عينيك في ملكوت العرش ، فرجعت إلى القلب بالعجائب من تلك المشاهد ووقفت على تدبير عظيم من أمر الله في شأنك .

فكل حركة ظهرت منك فإنما حصلت بالحياة ، وكل حركة ظهرت منك بغير ذكر الله فقد فاتتك من الخدمة بقدرها وبقسطها من فقد ذكر الله إياك .

ولذلك قال رسول الله ﷺ : " ليس يتحسر أهل الجنة على شيء إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله فيها " .

١٤٥٦ـ حدثنا بذلك عمر بن أبي عمر ثنا سليمان ابن بنت شرحبيل الدمشقي[١] ثنا يزيد بن يحيى الصباغ ثنا ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن جبير بن نفير عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله ﷺ : " إنه ليس يتحسر أهل الجنة على شيء إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله فيها " .

١٤٥٧ـ حدثنا حفص بن عمرو ثنا محمد بن بشر العبدي عن عمر بن راشد عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : " سيروا ، سبق المفردون ، قالوا : يا رسول الله وما المفردون ؟ قال : الذين أهتروا في ذكر الله ، يأتون يوم القيامة خفافًا يضع الذكر عنهم أثقالهم " .

---

(١) بالأصل " سليمان بن شرحبيل الدمشقي " والمثبت من التهذيب .

١٤٥٨ـ حدثنا الجارود ثنا أبو خالد الأحمر عن الحجاج بن أرطاة عن أبي جعفر قال : قال رسول الله ﷺ : « أشد الأعمال ثلاثة : ذكر الله على كل حال ، ومواساة الأخ في مالك ، والإنصاف من نفسك » .

[٢/ ١٧٠/ب] فأدوم الناس على الذكر أوفرهم للخدمة ، فليس عليك في وقت الانقطاع لوم لأنك لا تقدر على مداومة الذكر مع كل طرفة ومع كل نفس ، إنما هذا للملائكة الذين عروا من الشهوات ، وخلقوا مجبولين على ذلك ، فأرواحهم وقلوبهم وعقولهم معلقة بالعظمة ، . . . [١] لا يشغلهم شيء ، فلذلك صارت أنفاسهم تسبيحا وذكرا ، وأنفاسنا عبودة وخدمة ، فإذا خرجت فإنما مخرجها من النفس التي هي مشغولة بالشهوات والضرورات ، فلا تقدر على ما قدرت عليه الملائكة ؛ لأن الحر والبرد والجوع والعطش والآلام وآفات الجسد التي خلقت في الدنيا تشغلنا وتُذهلُنا .

ورضي منا تبارك وتعالى أن يكون ذكره منا مع استعمال كل حركة لا مع كل حركة ، وذلك الجوارح السبع الكواسب للخير والشر ، وهي السمع والبصر واللسان واليد والقدم والبطن والفرج .

فإذا ذكرناه مع تحريك كل جارحة ذكرناه بخير يرضى به ، وذكرناه بنعمته بتلك الجارحة علينا .

فهذا ذكر درجات ، يترقى بها العبد إلى ربه حتى يبلغ منازل المفردين الذين أهتروا بذكر الله ، الذين وصفهم رسول الله ﷺ في حديثه .

فهذا للسابقين المقربين الذين يدوم ذكرهم على كل حال لأن قلوبهم قد ملكتها عظمة الله وسبتها محبة الله ، فأما من دونهم فإذا حرك جارحة من هذه الجوارح السبع بتلك الحياة التي فيها فإنما يحركها بالقلب ، والقلب أمير ، وذاك التحريك من استعمالها ، فإذا قصد للخير فإنما يقصد لذكر الله وإياه أراد ، وإذا قصد للشر بما دعاه الهوى والشهوة فقد حاد عن الله واستعمل مادته في طريق الجور فحاد على جوارحه وظلم نفسه ؛ حيث أرداها وأوحلها النار وحرمها ثواب الله ، والحركات

(١) كلمة لم أستظهر قراءتها .

التي خرجت من أركانه من غير استعمال لها بقلبه مع كل نفس ومع كل طرفة ، فتلك حركات لا تبعة عليها ؛ لأنها حركات الحياة ليس فيها أمر ولا نهي ، مثل نظر الفجأة ؛ لأن عينيك مفتوحتان ، فليس عليك تبعة في وقوع بصرك على الأشياء حتى تستعمله بقلبك ، وكذلك تقلبك في مقعدك من قبض يد وبسط واتكاء واحتباء ، وأشباه هذا مما لا يمتنع الآدمي فيه من الحركات ، فهذه حركات تظهر منك في ساعات تمر بك ، فإن كان قلبك غافلا عن الله كانت خدمة قد فاتتك وثواب قد ضاع عنك ، المنعم يجري عليك رزقه ويذكرك بازدياد نعمه عليك ، وقد نسيت في ذلك الوقت الخدمة ، فهو في ذكرك وأنت عنه في غفلة ، فإن لم تتبع . . .(١) لحقتك الحسرة التي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنما يتحسر من تلك الساعة في الجنة لأنه قد انكشف له الغطاء عما . . .(٢) الله له في وقت ذكره في تلك الساعة التي ذكر فيها لأن ثواب عمل الأركان من قصور الجنة [٢/ ١٧١/ أ] وأنهارها ونعيمها ، وثواب الذكر من فرح الله بالعبد ، وحبه له ، وتقريبه والبسط منه ، والبسملة وما لا يوصف من هذا الباب أكثر من أن تحتمله القلوب في الدنيا ، فالمسخرون قد عملوا أعمالهم ، وأوصلوا منافع السخرة إلى هذا الآدمي ، وضاعت الخدمة عن الآدمي بقدر ما غاب عن قلبه ذكره ذاك ، ولو طرفة ، ولو لحظة ، وذلك موضوع عن الآدمي لأنه لا يملك ؛ لأنه خلق عجولا ونسيا وحظا مشغولا بالشهوات ، مُبْتَلا بها ، وخلق في غيبة والملائكة خلقت في جهر ، وكشف الغطاء ينظرون أنوار العظمة ، وأمور منكشفة الغطاء ، وعدوا من الشهوات ، فلذلك قدروا على دوام الذكر ، وصارت أنفاسهم تسبيحا ؛ لأن أنفاسهم تخرج من النفس التي بها تعلقت قلوبهم وأرواحهم وجميع أجسادهم ، والآدمي منقسم خلقه على قلب وروح وشهوة ، فلما خلق الله خلقنا هكذا ، فرحمنا وعطف علينا ، فأعطانا في القلوب من العلم به ما أنبأنا في كتابه أن الملائكة عجزت عن ذلك العلم ، وقالوا : ﴿ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ﴾ [البقرة : ٣٢] . وقال لآدم : ﴿ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ﴾ [البقرة : ٣٣] . ومد أبصار قلوبنا إلى المظهر- أي

---

(١) كلمة لم أستظهر قراءتها .

(٢) كلمة لم أستظهر قراءتها .

المظهر - لمطالعة ما أظهر على المظهر ، والملائكة يطالعون بعيون أجسادهم ما تحت العرش ، وقلوب الآدميين يطالعون ما وراء الحجب من عظائم الأمور التي لا تقدر الألسن تذكرها فتعطي في تلك المشاهد والمجالس من الفضل والرحمة والكرم توقربه فوائت خدمتهم التي فاتتهم مع كل نفس لاشتغالهم بالشهوات والضرورات ليقدموا يوم العرض بأنوار وبأعمال تعجب الملائكة منها ، فيستنطقهم الرب تبارك اسمه فيثنون عليه بالثناء الذي يبهت الملائكة من عزيز علومهم بالله ، فإن مراتب العلوم تظهر في المنطق إذا أثنوا عليه ومدحوه ، فإنما يستنطقهم على رءوس الخلائق لتعلم الملائكة أين بلغت قلوبهم من مراتبها في تلك الحجب ، فتعلم هناك أنهم كانوا في أداني المملكة في الأرض ، مع وساوس الشياطين ووساوس النفوس بالشهوات أدركوا هذه العلوم حتى يمدحوا ربنا بهذه المدائح ويصفوه بهذه الصفات ونحن ههنا مقرون من الشهوات ، مجترئون من وساوس الشياطين في أعلى الملائكة ، فإنما يثنون أولئك يوم القيامة على الله على منابر النور بين يديه بتلك الأسماء التي عرضها على الملائكة ، فقالت : لا علم لنا ، فقال لآدم : أنبئهم بأسمائهم ، فركب في صدره مرآة ، وعلمه كلمة هي أصل الأسماء حتى جرت الأسماء ، أسماء الله ، ثم أسماء خلقه فنطق به ، وعينا قلبه تنظران في تلك المرآة ، فورث أولياء الله ونجباؤه من قرينة تلك المرآة لما طهروا صدورهم ، ونفوها من العلائق وغيوم الشهوات ، فرأوا فيها سمات الأشياء ، وظهر فيها علم تلك الكلمة التي هي أصل الكلمات ، فهامت [٢/ ١٧١/ ب] قلوبهم في بحر علم الله هم الذين ينصب لهم بين يدي الله منابر من نور ، وإن ثيابهم نور ووجههم نور ، يغبطهم النبيون والشهداء بمكانهم وقربتهم من الله ، ينطقون بالثناء على الله ، وهم قرة عين محمد ﷺ ، في الموقف وخلفاء رسول الله ﷺ عند المقام المحمود .

١٤٥٩ـ حدثنا صالح بن محمد ، ثنا عبد الحميد بن بهرام ، عن شهر بن حوشب ، عن أبي مالك الأشعري قال : خطبنا رسول الله ﷺ فقال : " يا أيها الناس اعقلوا ، واعلموا أن لله عبادا ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء لمكانهم وقربتهم من الله " .

فقام أعرابي فقال : يا رسول الله ، من هم ؟ حلهم لنا[1] . فسر وجه رسول الله ﷺ لقول الأعرابي ، فقال : " هم قوم من أفناء الناس ونوازع القبائل ، لم تتصل منهم أرحام متقاربة ، تحابوا بجلال الله ، وتصافوا فيه وتزاوروا فيه وتباذلوا فيه ، يضع الله لهم منابر من نور فيجلسون عليها ، وإن ثيابهم لنور ووجوههم نور ، لا يخافون إذا خاف الناس ، ولا يفزعون إذا فزع الناس ، أولئك أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون " .

قال أبو عبد الله :

فهؤلاء أعلام هذه الأمة ، أولياء الله ونجباؤه وأحباؤه ، فما فاتهم من الخدمة لعجزهم عن دوام الذكر في كل نفس وطرفة ، استدركوا وفادتها لما ذكرنا من قوة الذكر ، وإنما أخذوا تلك القوة من مجالس النجوى أيام الحياة ، وهو قوله لموسى عليه الصلاة والسلام ، حيث قال : يا رب أقريب أنت فأناجيك ، أم بعيد فأناديك ؟ قال : يا موسى ، أنا جليس من ذكرني .

فما كان جليسه رب العزة فما ظنك بقوته في الذاكرين يبلغ مدى ، ومدى يقينه ، ومسافة طيران قلبه إلى الله في العلى ، ومستقره من تلك المجالس ، ودنوه في ملك الملك ومشاهدته ، ثم من بعدهم صنف آخر وهم المطلوبون ، وذلك أنه لما خرجت منك الحركات من كل جارحة ، فلم تستعملها بقلبك فصارت موضوعة عنك ؛ لأن تلك الحركات حركات تلك الحيات ، فكلما هاجت منك حركة استعملت بها قلبك من شهوة نفسك حتى خرجت تلك الحركة إلى جارحة من جوارحك ، صار كسبك ، فإن كان لله رضى فهو كسبك وهو لك ، وإن لم يكن لله رضا فهو اكتسابك وهو عليك ، وذلك قوله : ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾ [البقرة : ٢٨٦] . وقد بينا في كتاب رياضة النفس شأن الكسب ، ولها كتاب من أين لزمهما هذان الاسمان حتى صار أحدهما فعلا ، والآخر افتعالا ، فالأول حركات الحياة ، وهي موضوعة عنك ، والثانية حركات السبع جوارح باستعمالك قلبك بتلك الحركات من يديك ورجليك ولسانك وسمعك وبصرك وبطنك وفرجك ، فههنا كسبك واكتسابك ، الكسب للخير ، والاكتساب للشر ، فالقلب مطلوب [٢/ ١٧٢/ أ] برعاية هذه الجوارح السبع وحراستها لئلا يتحرك بباطل إما

---

(١) كذا بالأصل ، وجاءت مفسرة في بعض الروايات " حلهم لنا أي صفهم لنا " .

بغفلة في غير مجاوزة للحد ، وإما لمجاوزة للحد ، فتصير معصية حتى تكون حركاتها خدمة للرب ، فإذا أهمل القلب ذلك فقد ضيع الخدمة ، ثم هو على ضربين ، فمرة أهمل القلب حتى خرجت الحركات منه بغير ذكر الله ولا نية فيما أذن له من الأكل والشرب والنوم ، وأمور الإحياء في متقلبهم ، فهو في ذلك الوقت مضيع للخدمة بطال ، أجرى الله عليه رزقه وعمل المسخرون أعمالهم ، وأوصلوا إليه منافعه وعطل الخدمة فعظمت حجة الله عليه ، حيث لم يعبده في تلك الساعات وضيع الخدمة ، فلو قامت الملائكة تصف خسرانه ما قدروا عليه ، ولذلك ما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : " ليس يتحسر أهل الجنة على شيء إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله فيها " .

ذكرنا إسناده بدءا ، فهذه الحسرات على أهل الجنة في الموقف لا في الجنة ، وإنما ذكر في الحديث أهل الجنة ، فإنما صارت تلك حسرة لأنه لما عرضت عليهم أيام الدنيا ولياليها قرًا وسلامة ذكروا الله فيها وروى أن الله ذكرهم في تلك الساعة ، وماذا خرج لهم من ذكره ، ثم نظروا إلى الساعة الأخرى التي حرمهم فيها ذكره بما تركوا من ذكره ، فأخذتهم الحسرات ، والضرب الآخر أهمل القلب حتى خرجت منه حركات في أمر لم يأذن به الله ، فصار ذنبا ومعصية ، فذهب العبد بالرقبة أكل رزقه وأبق ، فما جزاء العبيد الأباق ؟ فاجتمع عليه أمران ؛ فوت ثواب الخدمة وعار الإباق ، يقال في السماوات : أبق العبد اللئيم من ربه الكريم ، ويقال : أبق العبد البائس السفلة من ربه الماجد الجواد العظيم ، فأوجبناه على القلب يوم كشف له الغطاء عن هذا في وقعته بين يدي الله ينقطع قلبه حسرات قطعا قطعا ، ويتفلذ كبده ندمات فلذا ، ويطرب كل عرق منه حياء من الله ، وتصرخ كل شعرة ومفصل عويلا وندما وحرقة وأسفا ، فقال له : أكلت رزقي وقبضت على أهل سخرتي منافعك وهربت مني ، وذهبت برقبتك وأشرق هواك ، ومودة نفسك ، وصحاب عدوك على أف لك من خادم فعلم الله علام الغيوب أن هذا نازل بصيده[1] فلم يؤتهم من رحمته ، ولم يجرهم في طريقه ، ولم يكدر عليهم منة ، فترك لهم بابين مفتوحين ؛ باب عن اليمين وهو باب التوبة ، وباب تجاهه وهو باب الدعاء ، وبسط يده فتركها

---

(١) هكذا استظهرت قراءتها .

مبسوطة لمن رجع إليه ، فبايعه على رد الرقبة ، وبذل النفس والوقوف بين يديه ، فقبلهم لما علم صدقهم ، وقواهم وأعانهم على الوفاء بالخدمة .

١٤٦٠ـ حدثنا الجارود بن معاذ ، ثنا جرير ، عن العلاء بن المسيب ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي عبيدة ، عن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " إن الله لا ينام [٢/ ١٧٢/ ب] ولا ينبغي له أن ينام ، باسط يده لمسيء النهار أن يتوب بالليل ، ولمسيء الليل أن يتوب بالنهار ، حجابه النور لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره " .

قال له قائل : فإذا تاب ورد الرقبة ، وقد عتقها الانقياد له ، فما منتهى أمره وكيف تدبيره ؟ قال : أجمع ذلك في خصلتين ، أتوخى الوجازة في هذا الأمر ، فإنه إذا طال الوصف ، وقصر ذكر النفس ، ووجوه مذاهبها تحير العقل وأعيى القلب ، فإنه قيل في الحكمة : إن ازدحام الكلام على الأذن مضلة للفهم ، فوجازته أبلغ لمن كان له لب ، فبلوغ الغاية في هذا الأمر ، أن تطلب لقلبك استقامة على طريق الله الذي دعاك إليه ، فإذا استوى قلبك على الطريق المستوي ، فذاك فضل أهل الصدق ، وكان الله له معينا وحافظا ومؤيدا ، فإذا وقف قلبك على سوء الصراط إلى الله أشرق لقلبك نوران من عبده تأييدا لك من عنده وتفضلا وتكرما ، فإذا نظرت عينا فؤادك إلي إشراق ذينك النورين تشبت ، وقربهما ، ولزمهما حيث مرا به وهدياه لما هدياه ، وبادر وأسرع فهما سراجان يضيئان له الطريق في كل أمر حادث ، يبصر أنه كيف ينبغي أن يمضي فيه ، قال له قائل : وما النوران ؟ قال : نور الحق ونور العدل ؛ فنور الحق يمنعك عن الباطل ، ونور العدل يمسكك عن الميل في الحق ، فإن الميل هو جور عن الله ، فإذا جرت وملت عن الله ذهبت الاستقامة ؛ لأن الذي يعمل بالحق في الأمر الذي يعد من له هو عامل بالحق مشارك للهوى فيه ، حتى يتراءى في ذلك الحق ، ويتصنع ويداهن ويعمل لعلاقة(١) ، فالعدل يمنعه عن ذلك ، والحق يمنعه عن المعصية والسيئة ، وهو قوله تعالى حيث ذكر موسى عليه الصلاة والسلام ما وجد في التوراة من عطايا ربنا لهذه الأمة فقال : " هم أمة أحمد ، فقال : فاجعلني منهم " . فوعده أن يعطي قومه ما قنع به ورضي فقال : ﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ

---

(١) كذا بالأصل .

أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٥٩] فوفى له وأنجز وعده ، فهم الذين روي في الخبر أنهم من وراء الصين من وراء نهر الرمل يعبدون الله بالحق والعدل ، ومع هذا الحق والعدل لم يقدروا أن يكونوا بين ظهراني بني إسرائيل حتى أخرجهم الله إلى ناحية من أرضه في عزلة من خلقه ، فروي لنا أن رسول الله ﷺ ليلة أسري به ذهب به إليهم فساءلهم وساءلوه وآمنوا به وعلمهم سورا من القرآن ، وقال لهم : " هل لكم مكيال وميزان ؟ " . قالوا : لا . قال : " فمن أين معاشكم " . قالوا : نخرج إلى البرية فنزرع ، فإذا حصدنا وضعناه هناك ، فإذا احتاج أحدنا إليه يأخذ حاجته ، قال : " فأين نساؤكم " . قالوا : في ناحية منا ، فإذا احتاج أحدنا إلى زوجته صار إليها في وقت الحاجة . قال : " فيكذب أحدكم في حديثه ؟ " . قالوا : لو فعل ذلك أحدنا أخذته لظى ، أنَّ النار تنزل فتحرقه ، قال : " فما بال بيوتكم مستوية ؟ " [٢/١٧٣/أ] . قالوا : لئلا يعلو بعضنا على بعض . قال : " فما بال قبوركم على أبوابكم ؟ " . قالوا : لئلا نغفل عن ذكر الموت " . فهذه صفة القوم الذين جعل الله حاجة موسى ورضاه فيهم ، فهم بهذه الصفة .

ثم لما رجع رسول الله صلى الله عليه سلم إلى الدنيا من ليلة الإسراء أنزل عليه فقال : ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٨١] . يعني به أمة محمد ﷺ ، يعلمه أن الذي أعطيت موسى في قومه أعطيتك في أمتك ، ومع ذلك من القوة لهم ، فأقاموا ذلك الحق والعدل بين ظهراني الخلق ، من غير حاجة إلى عزلة من الناس ، فمنّ الله تعالى على موسى عليه الصلاة والسلام بأولئك ، ومنّ على محمد ﷺ بهذه الطبقة مع القوة التي تضاعفت المنة لهم فيهم عليه ، فشتان ما بين أن يقيموا الحق والعدل في أرزاقه ومعايشه وهو يتقلب فيها ويخالط أهله وولده في كل وقت ، ويلا بس أهل المكاييل والموازين ، ويحرز ما أعطي من الدنيا في حراسة ، ويعمل في بنيانه ومساكنه ما يعمل للأحياء من التقارب من أجل مرافقه ، وقبور موتاه بمعزل عن عينه ، وهو في كل ذلك يجري في ميدان الحق والعدل ، وبين من خرب عن هذا كله وانعزالهم وجرى في ميدان الحق والعدل . . . (١) أولئك بون

(١) كلمة لم استظهر قراءتها بالأصل .

بعيد ، وهو أمة أحمد ﷺ ، فإنما قووا على ذلك لتعلق قلوبهم بالله فهم يمتصون حلاوة اليقين ، فتجمد في قلوبهم حتى تصير قلوبهم بقوة اليقين كالجبال الرواسي ، فهو بين إشغال النفس وتراكمها يمرون كأمتهم في ميدان الحق والعدل فهم بارزون على طبقة موسى ﷺ الذين وصفهم ليلة الإسراء ، فإذا ظفرت بهذين النورين وكانا لك فلزمتهما فأنت في كل أمر يحدث تخرج حركاتك إلى الجوارح من قلب محق عدل ، قد والى الله لينصر حقه ، ويقيم أمره ، ويوقر حرمته فتولاه الله وستره ، وولي هدايته ، وتضمنته قبضته محللا قد أكل رزقه وقبض منافعه من المسخرين ، وأدى إلى الله تعالى خدمته ، وفي خلال ذلك يستغفر للتقصير الذي يتخوف منه ، فلم يبق للسماوات والأرض ولا للشمس والقمر والليل والنهار عليه تبعة ولا خصومة ، ومن كان بخلاف ذلك فهؤلاء كلهم خصماؤه ، فويل له من أرضه التي يدفن فيها ماذا تعمل به وكيف تعصره عصرا ، وكيف تضغطه ضغطا ، ومن سمائه الذي يصعد بروحه إليها ، ومن ملائكة الله حيث تمر بروحه عليهم ، ومن جميع خلقه المسخرين له يقولون : قد استرحنا من هذا العبد الآبق الفاجر . ولذلك قال رسول الله ﷺ : " مستريح ومستراح منه " .

فالمستريح من غفر له ، وستر عليه مساوئ عمله ، والمستراح منه مَن هؤلاء خصماؤه وأهل تبعه ، يقولون : أوصلنا إليك السخرة فأين الخدمة ؟ فمن عاد الله عليه بفضله ورحمته [٢/ ١٧٣/ ب] الإنابة إليه ، وندبه عويله ، واستقامة سيره غفر له فسكن الخصماء وأهل التبعة من المسخرين ولهوا عنه ، لأنه صيره حبيبه وقال في تنزيله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٢٢] . تطهروا بالله في قربه لما بذلوا نفوسهم له صدقا ، فوالوا الله ومولاهم الله ، فروي لنا عن رسول الله ﷺ أنه قال : " ينادي مناد يوم القيامة : ألا من كان لله وليا فليعتزل " . ثم يقول : " أنا ضامن لمن ادعى قبلهم حقا " .

فهؤلاء الذين ضمن لهم آدميون مثله ، فوفى الله عنهم ؛ لأنهم من جنسه ، فأما أهل السخرة فسكتوا لأنه أراهم أنه حبيبه ، ونادى جبريل في السماوات بحب الله له ، فبرأه من تبعة أهل السخرة .

وقضى عنه ما كان من تبعات الآدميين ، لأن الآدميين شركاؤه في كرامة سجود

الملائكة له ، وفي العلم والخدمة ، فإذا ادعوا قبله حقا لم تقتل حقوقهم ، ولكن تتولى قضاءه عنه ولا يتركه في أيديهم ، وكذلك قال رسول الله ﷺ حيث قال : " إن صلاتكم عليّ معروضة يوم الجمعة فأكثروا علي من الصلاة " . فقال قائل : يا رسول الله كيف وقد رممت ؟ فقال : " إنا معشر الأنبياء حرم الله على الأرض أجسادنا أن تأكلها " .

قال أبو عبد الله رحمه الله :

فقد أخبر عن حال الأنبياء عليهم السلام أن الأرض قد تبرأت عنهم ، ولم تتبعهم فيما أكلوا منها ؛ لأنهم تناولوا منها بالحق والعدل ، وإنما سخرها الله لهم لإقامة الحق والعدل ، فبالنبوة جروا في هذا الأمر ، وبالنبوة من الحق والعدل أعطيت الأنبياء ، فخلفاء النبيين من الحق والعدل ، فلذلك ليس للأرض عليهم سلطان . ومما يحقق ما قلنا حديث جابر بن عبد الله : أن شهداء أحد لما نقلوا عن قبورهم إلى موضع آخر في زمان معاوية ؛ حيث أراد أن يُجري ذلك الماء في ذلك الموضع ، فأُخرجوا من قبورهم بعد نحو من أربعين سنة رطابا يتثنون ، حتى أصابت المسحاة قدم حمزة رضي الله عنه فانبعث دما طريا ، فإذا كان حال الشهداء في قبورهم هكذا ، فانظر ما حال الصديقين ، فإنهم أعلى منهم ، وتوهم ما حال أبي بكر وعمر رضوان الله عليهما في قبريهما ، أفيتوهم أحد أن للأرض عليهما سلطان وتبعة ؟ لا يتوهم هذا إلا غافل عن هذا الأمر ، وفي جملة الأمر أن الله تعالى اسمه لم يقبض العباد ما لم يعطهم ، فالأشياء كلها من عند الله ، كان الله ولا شيء ، فلما أراد أن يخلق الخلق أخرج لهم بساطين ؛ بساط الربوبية ، وبساط العبودة ؛ ليلاحظ العبيد بساط الربوبية ليقبلوا منه علم الربوبية ، فيؤدوه إلى النفوس الناكصة عن كامرة الخائضة في النهي حتى تنقاد تلك النفوس ، فتذل وتهاب ما يأتي إليها من علم الربوبية ، ثم يخرج من بين البساطين بساطا للتدبير ، فأخرج من ذلك التدبير خلقا علوا وسعدوا ، مسخرين للعبيد ، وطعًا للأعذار والجدال والخصومة ، لأنه قد علم أنه خالق يوما يبعثهم فيه ، ويجرهم إلى مقام الحساب [٢/ ١٧٤/أ] فتأتي كل نفس تجادل عن نفسها ، فبسط لهم هذه البسط الثلاثة ، وجعل القلوب أمراء على النفوس ، وركب في قلب عينين ناظرتين ، تلاحظان بساط الربوبية ، ثم تنظران

بعين الكياسة بساط التدبير ، ثم ينظران بعين قد استورت العقل ، وتضمنت الذهن فيدور في فنون العبودة ، وينتابه اليوم المقتضى ، وإنه مطلوب يطلبه مالك الملوك بسره وعلانيته ، وحاصل ما في صدره ، فلما بسط هذه البسط الثلاثة ابتدأ في خلق السخرة ، علوا وسفلا ، ثم أظهر خلق الإنسان في وسط ذلك والمسخرون حوله ، وكان آخر من خلق ، وذلك في يوم الجمعة في ساعة بلغنا في الحديث أنه أقسم لا يشكي عبد حاجة في هذه الساعة من هذا اليوم إلا أجبته ؛ تعظيما لخلق هذا الإنسان وذريته ، وفيهم الأحباب والرسل والأنبياء والأولياء ، وأعلاهم وأولهم محمد ﷺ فوضع في هذا الآدمي الروح والحياة ، والقوة والعلم ، والذهن والحفظ ، والفهم والفطنة والعقل ، والحلم والبصر والكياسة ، هذا كله في النصف الأعلى من جسده ، ووضع الشهوة والنفس والهوى فيما سفل ، ثم اقتضاهم استعمال ما في النصف الأعلى وإبرازه من باطنه إلى ظاهر الجوارح ، فتكون أعمالا عليها يثابون ، وأعلمهم أن ههنا عدوًا قد وجد السبيل إلى هذه الشهوات والهوى ، كما وجد إلى أبيهم السبيل في داره ، وحذرهم أن لا يلتفتوا إلى غرور هذا العدو الذي يوسوس إليهم ، وأن يغدوا إلى الله من هبوب الهواء ، وإذا هب في الجوف فإنما الشهوات حتى دبت في العروق فاشتملت على الجسد ، ومالت بقلبك عن الله فبعدك عن سبيل الله إذا اتبع قلبك الهوى ، وتقدم إليك في تنزيله في قوله تعالى : ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴾ [ص : ٢٦] .

فأعلمنا في تنزيله أن نسيان يوم الحساب يجرئنا على استعمال الهوى وعلى ترك الحذر من العمل بالهوى ، وأعلمنا في آية أخرى أن في يوم الحساب إبلاء السرائر ، واستخراج حاصل الصدور ؛ ليعلم الصادر أن الهوى إذا ظهر لا يطاع ، وإذا انكمن لم يؤمن ، فعمت حجة الله عليهم بما وصفنا من العطاء ، فمن لم يعطه روحا أو قوة أو علما ، أو ذهنا أو حفظا ، أو شيئا من هذه الأشياء ، لم يقتضه ما يخرج له من ذلك الشيء ، كما أنه إذا لم يعطك الرّجْل لم يقتضك الصلاة قائما ، وإذا لم يعطك القوة لم يقتضك الصوم ، وإذا لم يعطك المال لم يقتضك الزكاة ، وإذا لم يعطك السبيل إلى الحج لم يقتضك الحج ، وإذا لم يعطك الكسوة فصليت عريانا أجزأك ،

وإذا لم يعطك الماء فصليت بالتيمم أجزأك ، وكذلك ما في الباطن كل شيء لم يعطك لم يقتضك [٢/ ١٧٤/ ب] استعماله ، وإبرازه عنك ، فكل شيء أعطاك إنما أعطاك لتبرزه إلى جوارحك ، فتكون محمودا عليه ، مثابا مكرما ، فإذا منعته فقد ظلمت نفسك ، وضيعتها وضاعت عنك تلك الأشياء التي وضعها لك ، فإن العبد إذا قال أنه وضع في هذه الأشياء ولكن لا تعمل هذه الأشياء فيّ إلا بإذنه ، فإن منعني الإذن بقيت هذه الأشياء فيّ غير عاملة ولا مستعملة فخبت ، وإذا أذن لي برزه ذلك شيء[١] إلى ظاهر أركانه ، فالإذن أحد هذه الأشياء الذي إذا منعت جرت كأن لم أعط شيئا ، وهو رأس هذه الأشياء ، والإذن من المشيئة ، ومن أجل هذا ندب العباد إلى أن يكون هجر العبد ما شاء الله ولا قوة إلا بالله . . .[٢] لا يركن ويطمئن قلبه إلى هذه الأشياء التي وضعت فيه ، فمن حجة الرب تعالى أن يقول : إنما أعطيتك هذه الأشياء ، ووضعتها في وعائك ، والوعاء هو القلب والنفس ، فإذا ذهبت بقلبك ونفسك عني وأقبلت على الشهوات واستعمال الهوى فقد ذهبت بالنفس وبما فيها من هذه الأشياء الموضوعة فيك ، وهي نِعَم مني فيك ، فلما غيرت بأن ذهبت بنفسك انقطع الإذن وبقيت الأشياء غير عاملة ، وقال في تنزيله : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الأنفال : ٥٣] .

فإذا ذهبت بروحك وحياتك وقوتك وعلمك ، وذهنك وحفظك وعقلك وفهمك وفطنتك وحلمك وبصرك وكياستك ، فمازجتها بالهوى ، والهوى دنس قد خرج من النار ومر بالشهوات فاحتملها إلى شهوتك الموضوعة في نفسك فأثارها ، واشتد إحراقها ، وهاجت أمواجها ، فاغبرّ عليك صدرك وبقيت عينا الفؤاد في الصدر في ذلك الغبار بالية ، فغيرت النعم بأن قطعت الإذن عنك ، فإن وقفت بنفسك بين يدي بما فيها من الأشياء الموضوعة فيك فقد بذلت نفسك لي ، وصرت أمينا من أمنائي ، فأذنت للأشياء الموضوعة فيك إذنا عاما لا يحتاج إلى أن تستأذني في كل أمر ، وعندك مثال هذا فقد كان لك عبد ملكته من السبي ، واتخذته عبدا ، فكان يشتري

(١) هكذا استظهرت قراءتها بالأصل .

(٢) كلمة لم استظهر قراءتها .

لك من السوق الشيء بعد الشيء بإذنك ، فما استدان بغير إذنك لم يلزمك ضمانه في مالك ، لأنه محجور عليه ، غير مملوك لا يقدر على شيء ، فكل شيء أذنت له جاز ذلك عليك ، وكل شيء لم تأذن له فيه تعلقت رقبته يوم العتق ، يؤخذ به يوم العتق ، فإذا طال تركته في العبودة وعرف أمورك ، ووجدته ناصحا مشمرا في أمرك ، باذلا نفسه صار أمينا عندك ، فأذنت له في التجارة فصار تاجرا أمينا يداين الناس ويعاملهم ، فكل ما حصل عليه فقد لزمك ؛ لأنك قد أذنت له في كل تجاراته ومعاملاته ، فإذا اقتضاه غرماؤه قضيت عنه دينه ، وكذلك عبدي متى بذلت نفسك لي ، ووقعت بين يدي مقام الأمناء ، أذنت بكل شيء وضعته فيك أن يعمل عمله من العلم والذهن والقوة والحفظ والعقل ، وجميع الأشياء الموضوعة [٢/١٧٥/أ] فيك ومتى رغبت عني إلى شهوات نفسك وهواك فأنت عبد متهم محجور لا تعمل شيئا إلا بإذني ، فمرة تجد الإذن ، ومرة لا تجد لأنك متهم ، سرك وقلبك مع هواك ، ولسانك وظاهر قلبك في ، فإذا أذنت لك في كل أمر إذنا عاما تخطيت الأسوار فأفسدت ، وكذلك عبدك المحجور إذا أذنت له إذنا عاما في كل التجارات ولم يكن عنده ما يضبط به ذلك أفسده ، فإنما أحجرت عليه لأنه لا يضبطه ولأنه لم يبذل لك نفسه ، ويكون بين يديك حتى تهديه الأمور ، فكذلك العبد إذا أقبل إليك صدقا ، وتخلى عن الهوى والشهوة ، تقرب إلي بذلك التجلي ، فما زال ذلك دأبه حتى يلقي نفسه بين يدي باذلا لها لا يتعلق بشيء . . . (١) ، صعد إلي ضرعه وجوازه ورحمته ، فاجتبيته وهديته ، وكذلك فعلت بأوليائي وأحبابي ، قال في تنزيله عندما يصف خليله : ﴿ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ ﴾ [النحل : ١٢١] . فالمجتبون والمهديون في قبضة الله ، يستعملهم على محابه ومشيئته ، فإذا نطق فبه نطقوا ، وإذا نظر فبه ينظرون ، وإذا سمع فبه يسمع ، وإذا بطش فبه يبطش ، وإذا مشي فبه يمشي ، وإذا تدبر فبه يعقل ، كذلك جاءنا عن عروة بن الزبير ، عن عائشة ، عن رسول الله ﷺ ، عن جبريل عليه الصلاة والسلام ، عن الله جل ذكره .

قال له قائل : وما بذل النفس لربه ؟ قال أن يترك جميع مشيئاته لمشيئته ، فإن الله

---

(١) كلمة لم استظهر قراءتها .

تعالى خلقه كما شاء لا كما شاء العبد ، ودبر له في أمر دنياه ما علم أن صلاحه فيه ، لأنه علم العبد ، فإذا ترك العبد مشيئاته فصارت عينا قلبه شاخصتين إلى ما يبرز له من الغيب فرضي به ، وقد فوض إليه قبل ذلك أموره فلا يركن إلى شيء ، ولا يدبر لنفسه شيئا ، إنما هو عبد مراقب لما يظهر له من غيبه من التدبير ، فقد بذل نفسه له ، وصار عبدا قد زالت عنه التهمة ، وصار أمينا من أمنائه ، فأذن لجميع ما وضع فيه أن يعملوا أعمالهم في الباطن ، فيؤدوا إليه ثمراتهم ، فصار عبدا مأذونا تدور رحى حركاته بالقطب ، والقطب هو الإذن ، فعندها صارت مشيئة الله في مشيئته ، فمهما شاء أنفذه ، وكأن ذلك الشيء الذي شاء العبد مشيئة ربه ، فهو الذي يقسم على ربه . وهو قول رسول الله ﷺ .

١٤٦١ـ حدثنا عبد الله بن أبي زياد القطواني ، ثنا سيار ، ثنا جعفر بن سليمان ، ثنا ثابت البناني ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " كم من أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على ربه لأبره " .

فإن احتج العبد بأن يقول : وضعت في العقل والقوة والعلم والحياة ، وهذه حجتك عليه ، وهذا كله خلق أنت خلقته ، ووضعته في ، ولا يتحرك شيء من هذا ، ولا يعمل إلا بإذنه ، فلم حبست عني الإذن ، وهذه الأشياء كلها جنود القلب ، والقلب أمير ، فمن حجة الرب تبارك اسمه أن يقول : إني وضعت هذا فيك لتكون النفس لي ، وقائمة بين يدي ، فخانت وزاغت [٢/ ١٧٥/ ب] على ما وضعت فيها ، وشاءت مشيئتك ، ولم تنظر إلى مشيئتي ، ودبرت لها ، فلم تنظر إلى تدبيري الذي سبق خلقها .

فالخائن كالعبد المحجور يطلق له الإذن في شيء ، ولا يطلق له في شيء ؛ لأنه يفسد ولا يضبط . قال في تنزيله : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران : ١٤٥] .

والإذن للنفس بما وضع فيها ، فإن قال العبد مخاصما : فهل أقدر أن أبذل نفسي وأترك مشيئتي إلا بما تعطيني ، فإنك وضعت في الشهوات ، وإنما زاغت بي عنك حلاوة شهواتي ، وقوة هواني ، فمن حجة الرب تعالى أن يقول : أعطيتك حلاوة معرفتي ، وقوة الحياة بي ، وقائمة من عندي ، وتعلقا بحبلي ، فهلا جررت حلاوة شهواتك إلى حلاوة معرفتي بزكاوة تلك الحياة ، وبثبات تلك القائمة ، ورسوخ قدمك

في القائمة ، حتى تغمر حلاوة شهواتك في حلاوة معرفتي ، وقوة القائمة وتعلقك بالحبل حتى لا يقدر الهوى أن يمد بك ، ههنا تنقطع الحجة فيتحير العبد ، فالمؤمنون منّ الله عليهم في السير بمشيئته ، وليس لأحد في المشيئة منازعة أن يقول : لمَ شئت لفلان ولم تشأ لي ؟ وكذلك المحبة ؛ خلق الخلق في ظلمة ثم رَش عليهم من نوره ، فإنما أصاب من أصاب بمشيئته ، وأخطأ من أخطأ بمشيئته ، فقد علم من يصيبه ممن يخطئه ، وكذلك جاءنا عن رسول الله ﷺ ، فلما أبرز السلطان نفر هؤلاء الذين لم ينالوا من ذلك الرش شيئا فتباعدوا فورثوا البعد من الله والنفرة ، فلما خرجوا من صلب آدم خرجوا سودا عميا عن الله ، فأقروا به كرها على وجه التقية ، وذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ [آل عمران : ٨٣] .

١٤٦٢ـ حدثنا أبي رحمه الله ، ، ثنا عمرو بن طلحة القناد ، عن أسباط ، عن السري ، عن أبي صالح ، وأبي مالك ، عن ابن عباس ، رضي الله عنهما ، عن مرة الهمذاني ، عن ابن مسعود - فجاءت الأخبار - عن عبد الله بن عمرو ، عن أبي ذر وغيرهما ، عن رسول الله ﷺ بهذه القضية ، فكذلك هؤلاء الموحدون أعطاهم كلهم آلات الطاعة في الباطن من العلم والذهن والعقل ، ثم لم يعطهم ما يبذلون به أنفسهم له ، حتى لا يشاءون إلا ما شاء من أجل الشهوات التي ركب فيهم ؛ لأن للشهوات حلاوة وحبًّا ، وذلك الذي أعطى من يذل نفسه له ، وقطع عن نفسه حب الشهوات وحلاوتها ، مجاهدا لنفسه محاربا هواه ، مادا بجلدة رقبته إلى ربه ، ضرعا باكيا تجري دموعه على خديه ، فمرة يجثو ، ومرة ينتصب ومرة يضع خده بالأرض ، ومرة يدعو ، ومرة يتملق حتى رحمه ربه ، واطلع على صدق بذله ، فمن عليه بذلك الحب الذي هو أصل الحب عنده ، فأحياه بذلك وأذاقه من حلاوته ما جرف كل حلاوة في نفسه [٢/١٧٦/أ] كالسيل الذي يجيء فيجري بالكناسات وما فيها ، وبالمزابل بما فيها من الأقذار والميتة فصارت بقاعا طاهرة ، فكذلك صورة هذا العبد بما نال من هذا الحب فذهبت مشيئاته بحب خالقه ، فصار مأذونا بجميع ما فيه من الأشياء الموضوعة ، حتى أينعت ثمراتها وبرزت عمالاتها على الجوارح ، ثم صيره في أحوال الدنيا مقسما على ربه في ملكه .

قال الله تعالى : ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [الزخرف : ٣٢] .

فرتب لتارك المشيئة مرتبة القسمة أن يتناول من ملكه حاجته من خزائن تلك الحاجة بقلبه ، ثم يرفعه إلى ربه ، متمسكا ينتظر مشيئته ، فيجعل الرب تعالى مشيئته في مشيئة عبده ، فذاك قول رسول الله ﷺ : " لو أقسم على الله لأبره " . فإقسامه أن يأخذ العبد من القسمة بمشيئته فيمضي أخذه واقتسامه ، فهذا الحب بمشيئته يعطي ، وثَم ليس لأحد فيه خصومة لم شئت له ولم تشأ لي ، ولم أحببته ولم تحبني ؟

١٤٦٣ـ حدثنا قتيبة بن سعيد ، عن مالك بن أنس ، عن سهل بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " إن الله تعالى إذا أحب عبدا قال لجبريل عليه الصلاة والسلام : إني أحب فلانا فأحبه . فيحبه جبريل ، ثم يضع له القبول في الأرض " .

فالعلم بالله يؤدبك في باطنك ، والعلم بتدبير الله يؤدبك في ظاهرك . قال له قائل : كيف يؤدبه في الباطن ؟ قال : يجعله ذلك العلم مراقبا لله ؛ فيقف به على حدود المراقبة في الأمور كلها ، ويورثه الحياء منه ، ويقف به على مهابة أسرار الله ، ويقف به على الحذر والحزم ، ويرضي نفسه رضا في أثقال المئن ، حتى يؤديه من هذه المنازل إلى التعلق به في كل الأحوال .

قال : فكيف يؤدبه علم التدبير في ظاهره ؟ قال : إذا علم التدبير تصور له صور الأعمال فرأى مراتب الأعمال عند الله ، فالصلاة لها مرتبة ، والزكاة لها مرتبة ، والصدقة لها مرتبة ، والصوم له مرتبة ، والحج له مرتبة ، والجهاد له مرتبة ، وكذلك سائر أعمال البر ، ولكل عمل مرتبة ، ولكل عمل ثواب خلاف العمل الآخر ، ولكل عمل جزاء خلاف الجزاء للعمل الآخر ، ولكل عمل صورة ، فالصورة أمن العمل .

قال له قائل : اشرح لنا شيئا منه نقف به على معناه ؟ قال : الصلاة إقبال العبد على الله ، والزكاة فرار من شركها ، . . . [1] منها إلى الله ، والصوم وثاق النفس ورباطها لله ، والجهاد حمية وتعصب لله ، والحج وفاء البيعة الأولى وتجديد بيعة أخرى ، والجمعة قبول ضيافة الله وتناول جوائزه ، والأعياد اعتراض العبيد على

---

(١) كلمة لم أستظهر قراءتها .

الله ، ومجالس الذكر تملق العبيد لله ، ومرتع في رياض الجنة ، ومؤاخاة المؤمنين ومعاطاتهم مرمة عسكر الله ، والدعاء [٢/ ١٧٦/ ب] إلى الله نصيحة الله ، والرغبة إلى الله افتقار العبد إلى الله ، فانظر إلى ما نطق به التنزيل وإلى ما جاءت به الأخبار عن الرسل من ثواب هذه الأشياء ، وحسن الجزاء هل يشبه بعضه بعضا .

فإذا نظرت إلى ذلك علمت أن بينهن تفاوتًا ، وإنما اختلفت مثوباتها لاختلاف صورها ، ومن التدبير خرجت الصور ، فمن عرف هذه الصور من الأعمال فإنما يعرفها بالعلم بالتدبير ، وهو علم تدبير الله ، فعلى حسب ذلك يقيم حرمتها ويضعها مواضعها ، ألا ترى أن رسول الله ﷺ كان إذا صلى كيف كان يعطي كل عضو منه حقه من الصلاة .

ولذلك قال عمر رضي الله عنه : " أعطوا مرافقكم حظها من السجود " . وقال ابن مسعود : لأن أقرض إبهامي رضًا ، أحب إليّ من أن أستقبل بهما غير القبلة إذا وضعت كفي بالأرض في حال السجود " .

وكان رسول الله ﷺ إذا صلى الفريضة لم يصل في مكانه شيئا من التطوع إقامة لحرمة الفريضة ، وكان إذا تطوع تياسر ويأمر بذلك ، ولا يتيامن لحرمة اليمين ، وكان إذا صلى إلى عمود أو سارية أو عصى جعله على حاجبه الأيسر ، ولم يجعله نصب عينيه إقامة لحرمة القبلة .

وكان علي رضي الله عنه إذا سلم خفض التسليمة الأخرى قليلا عن التسليمة الأولى إقامة لحرمة كاتب اليمين ، فهذه وما أشبههما في جميع أعمال البر محفوظ ذلك عندهم ومتعاهد ، وكذلك في الصوم ، وفي الزكاة تركنا وصفه لأنه واد عميق ، فإنما أدركوا ذلك لأنهم علموا التدبير ، ومراتب صور الأعمال .

الأصل السبعون والمائتان

١٤٦٤ـ حدثنا عباد بن يعقوب ، ثنا عمرو بن ثابت ، عن سماك بن حرب ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود ، عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : " نضّر الله امرأ سمع منا حديثا فبلغه كما سمعه منا ؛ فإنه رب مبلغ هو أوعى له من سامع " .

١٤٦٥ـ حدثنا محمد بن بشار بندار ، ثنا أبو داود ، ثنا شعبة ، عن عمر بن سليمان ، قال : سمعت عبد الرحمن بن أبان ، يحدث عن أبيه ، عن زيد بن ثابت قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " نضّر الله امرأ سمع منا حديثا فبلغه غيره ؛ فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، ورب حامل فقه غير فقيه " .

١٤٦٦ـ حدثنا أبي رحمه الله ، ثنا صالح بن عبد الله ، عن أبي يوسف ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، عن محمد بن جبير بن مطعم ، عن أبيه قال : قام رسول الله ﷺ بالحيف من منى فقال : " نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها ثم أداها إلى من لم يسمعها ؛ فرب حامل فقه لا فقه له ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه " .

قال أبو عبد الله رضي الله عنه :

فاقتضى[1] العلماء الأداء [٢/ ١٧٧/ أ] وتبليغ العلم فإذا أدوه تلقفته الأسماع ووعوه لفظا ومعنى ، ثم أدوه إلى من بعدهم من القرون ، فلو كان اللازم لهم أن يؤدوا تلك الألفاظ التي تلقت بأسماعهم بأعيانها بلا زيادة ولا نقصان ولا تقديم ولا تأخير لكانوا يستودعونها الصحف كما فعل رسول الله ﷺ بالقرآن ، فكان إذا نزل الوحي دعا بالكاتب فكتبه مع ما توكل الله له بجمعه وقرآنه ، فقال : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾ [القيامة : ١٧] . وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] . فكان الوحي محروسا ومع الحرس يكتبه رسول الله ﷺ ، ولو كانت هذه الأحاديث سبيلها هكذا لكتبها أصحاب رسول الله ﷺ ، فهل جاءنا عن أحد منهم أنه فعل ذلك ؟ فجاءنا عن عبد الله بن عمرو أنه استأذن رسول الله ﷺ في صحيفة فأذن له .
وأما سائر الأخبار فإنهم تلقوها منه حفظا وأدوها حفظا ، فكانوا يقدمون ويؤخرون

---

(١) هكذا استظهرت قراءتها .

وتختلف ألفاظ الرواة فيما لا يتغير معناه ، وكان لا ينكر ذلك ، ولا يرون بذلك بأسا ، وروي عن رسول الله ﷺ أنه لما قال : " من كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار " . أمسك أصحاب رسول الله ﷺ عن الرواية مخافة تغيير الألفاظ ، ثم سألوه عن ذلك فهداهم السبيل وأوضح لهم الطريق .

١٤٦٧ـ حدثنا بذلك نضر بن فضالة ، ثنا عمرو بن الحسن الجزري ، عن عباد بن عباد المهبلي ، عن عبد الله بن سعيد المقبري ، عن أبيه ، عن جده ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يحدّث بالحديث فيقدم ويؤخر ، ويزيد وينقص قال : " فإذا أصاب المعنى فلا بأس " .

١٤٦٨ـ حدثنا الحسين بن سيار العسقلاني ، ثنا الوليد بن سلمة قاضي الأردن ، ثنا إسحاق ابن يعقوب بن عبد الله بن أكيمة ، عن أبيه ، عن جده قال : قلنا : يا رسول الله ، إنا نسمع الحديث فلا نؤديه كما سمعنا ؟ قال : " ما لم تحرموا حلالا ، ولا تحلوا حراما ، وأصبتم المعنى فلا بأس " .

١٤٦٩ـ حدثني أبي رحمه الله ، ثنا أبو نعيم النخعي ، عن العلاء بن كثير ، عن مكحول قال : جئنا إلى واثلة بن الأسقع فقلنا : يا واثلة بن الأسقع حدثنا بحديث غضّ لا تقدم فيه ولا تؤخر حتى كأنا نسمعه من رسول الله ﷺ . قال : فغضب الشيخ – وكان شيخا كبيرا – فقال : أجلسوني . فأجلس فقال : أمَا منكم من أحد قام ليلته بشيء من القرآن ؟ قلنا : ما منا إلا من قد قام بما رزق . قال : فكان أحدكم حالفا بالله ما قدم حرفا من كتاب الله ولا أخره ، إنا قد كنا أمسكنا عن الأحاديث على عهد رسول الله ﷺ حتى سمعناه يقول : " لا بأس بالحديث ، قدمت فيه أو أخرت إذا أصبت معناه " .

١٤٧٠ـ حدثنا أبي رحمه الله ، ثنا صالح بن عبد الله ، عن الضحاك بن ميمون ، عن يحيى بن أبي أنيسة ، عن عمرو بن شعيب ، [٢/ ١٧٧/ ب] عن أبيه ، عن جده ، عن رسول الله ﷺ بنحوه .

قال أبو عبد الله :

ثم لما تداولت هذه الأحاديث طبقات القرون واشتبهت عليهم أصول العلم وهي الحكمة ، وافتقدوا غور الأمور كثر التخليط فجاءوا بالزيادة والنقصان والتقديم والتأخير ، فالحكماء ميّزوا رواية الرواة صحيحها من سقيمها .

قال له قائل : مثل ماذا ؟ قال : مثل ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : " أتاكم أهل اليمن ألين قلوبا وأرق أفئدة " .

ثم في رواية أخرى عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ ، أنه قال : " أتاكم أهل اليمن أرق قلوبا وألين أفئدة " .

فاضطربت الرواة في ذلك ، فأتت به من وجوه على هذا اللفظ الآخر ، فإنما ميزت الحكماء بين اللفظين وحكموا للواحد بالصواب ، وذلك أن القلب هو البضعة الباطنة ، والفؤاد البضعة الظاهرة التي فيها العينان والأذنان ، والنور في القلب ، ويتأدى إلى الفؤاد ، فالرؤية للفؤاد والتقلب للقلب ، ولذلك سمي قلبا ، والله يقلبه ، ألا ترى أنه يقال في الدعاء : يا مقلب القلوب ثبت قلبي . ولا يقال : يا مثبت الفؤاد ثبت فؤادي ، فإذا قلب القلب انقلب الفؤاد معه بتقلب القلب ، وقال : ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ ﴾ [الأنعام : ١١٠] . فأصل التقليب للقلب ، ثم نال الفؤاد منه حظا ، ثم بالجملة تسمى قلبا وتسمى فؤادا . وقال : ﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴾ [النجم : ١١] ، فنسب الرواية إليه ، لأن العينين على الفؤاد .

يقال : هذا خبز فئيد ، لخبز ملة ؛ لأن له ظاهرا وباطنا وظاهره مغشي عليه ، فاللين للقلب ، والرقة للفؤاد ؛ لأنه إذا دخل النور القلب فبالرحمة دخل فرطب القلب بالرحمة ولان ، ثم لا يزال ذلك النور يعمل في ذلك القلب بحره وحريقه حتى ترقق هذه البضعة الطاهرة فرقت تلك اللحمة ، فمن زيد في نور قلبه كان أرق لفؤاده لذوب تلك البضعة من فؤاده واللين لقلبه لرطوبة الرحمة ، فإنما وصف أهل اليمن بذلك فأخبر بحظهم من الله ، فمن لم يصل إلى معرفة هذا الذي وصفنا أهل اليمن بذلك ، فكانت روايته حفظا اشتبه عليه الأمر ، فمرة يقول : ألين قلوبا وأرق أفئدة ، ومرة يقول : ألين أفئدة وأرق قلوبا .

فقلب المعنى واستحال الكلام ولم يكن عنده تمييز الحكماء .

ومثل قوله في حديث أبي هريرة أنه قال : " البكر تستأذن والثيب تستأمر " .

فروى ابن المبارك ، عن علي بن المبارك بهذا اللفظ ، وروى وكيع ، عن علي بن المبارك : " البكر تستأمر والثيب تستأذن " .

فالذي فقه هذا ميّز الصواب من الخطأ ، فقال : " البكر تستأذن " . ألا ترى أنه قال :

" وإذنها صماتها " . " والثيب تستأمر " حتى تتكلم وتأمر ؛ فإنها لا تستحي . فمن روى أن البكر تستأمر فقد استحال ؛ لأن الاستئمار لمن ينطق بالأمر ، والاستئذان لمن يكون سكوته إذن وهي البكر ، فمن أراد أن يؤدي إلى من بعده حديثا قد سمعه جاز له أن يغير لفظه ما لم يتغير المعنى [٢/١٧٨/أ] ، وجاز له أن يقدم ويؤخر ، فيقول : قال فلان ، عن فلان ، عن رسول الله ﷺ . وفلان لم يقل ذلك اللفظ ، فلا يكون كاذبا في ذلك ، ما لم يتغير المعنى ، وجاز أن يقول : أخبرني وحدثني ، وكذلك إذا كتب إليه بذلك من بلدة إلى بلدة أخرى أن يقول : أخبرني وحدثني ، وهكذا يكون الخبر إما شفاها وإما بكتاب ، وذلك قوله في تنزيله : ﴿ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [التحريم : ٣] .

فإنما صار نبأ وخبرا بوصول علم ذلك إليه ، وكذلك يجوز أن يقول : حدثني بأنه قد أحدث إليه الخبر فسواء حدث شفاها أو بكتاب ، وكذلك إذا ناوله كتابه فقال : هذا حديثي لك ، وهذا إخباري إياك فحدث عني ، وأخبر عني . جاز أن يقول : حدثني وأخبرني ، وكان صادقا في قوله ؛ لأنه قد حدّث إليه وأخبره ، فليس للممتنع أن يمتنع من هذا تورعا ويتفقد الألفاظ مستقصيا في تحري الصدق في قوله : أخبرني وحدثني ، وزعم أن ذلك لا يحق حتى يخبره قولا ، ويحدثه شفاهة ، فهذا رجل قليل المعرفة باللغة ، يتوهم أن ترجمة قوله : أخبرني وحدثني لفظه بالشفتين وليس هو كذلك ، فاللفظة لفظة والكلام كلام ، والقول قول والحديث حديث ، والخبر خبر ، فالقول ترجيع ، والصوت والكلام كلم القلب بمعاني الحروف ، واللفظ ما يلفظ من شفتيه من الحروف والصوت والحديث ، والخبر إلقاء المعاني إليك ، فسواء ألقاه إليك لفظا أو كتابا ، وقد سمى الله القرآن في تنزيله حديثا حدث به العباد وخاطبهم ، وسمّى الذي يحدث في المنام حديثا : ﴿ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ﴾ [يوسف : ٢١] . فكل محدث حدث إليك شفاها أو بكتاب ، فقد حدثك به ، وأنت صادق في قولك : حدثني ، وكل من ألقى إليك نبأ من أمر فقد أخبرك ، كان ذلك شفاها أو بكتاب .

الأصل الحادي والسبعون والمائتان

١٤٧١ـ حدثنا عتبة بن عبد الله بن عقبة الأزدي ، أنبأنا عبد الله بن المبارك ، عن مالك . قال عتبة : وقرأت أنا على مالك بن أنس ، فأقر به عن العلاء بن عبد الرحمن ، أنه سمع أبا السائب مولى هشام بن زهرة ، يقول : سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " قال الله تبارك وتعالى : قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ، نصفها لي ونصفها لعبدي ، يقول العبد : الحمد لله رب العالمين ، يقول تعالى : حمدني عبدي . يقول العبد : الرحمن الرحيم . يقول الله : أثنى علي عبدي . يقول العبد : مالك يوم الدين . يقول الله تعالى : مجدني عبدي . يقول العبد : إياك نعبد وإياك نستعين . يقول الله تعالى : هذا بيني وبين عبدي ، ولعبدي ما سأل . يقول العبد : اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم [٢/١٧٨/ ب] غير المغضوب عليهم ولا الضالين . يقول الله تعالى : هذا لعبدي ولعبدي ما سأل " .

١٤٧٢ـ حدثنا عبد الجبار بن العلاء ، ثنا سفيان ، حدثني العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ " قال الله تعالى : قسمت الصلاة بيني وبين عبدي ، فإذا قال العبد : الحمد لله رب العالمين ، قال الله تعالى : حمدني عبدي . وإذا قال : الرحمن الرحيم . قال الله : أثنى علي عبدي . وإذا قال : مالك يوم الدين . قال : فوض إليّ عبدي . وإذا قال : إياك نعبد وإياك نستعين . قال : هذه بيني وبين عبدي ، ولعبدي ما سأل . وإذا قال : اهدنا الصراط المستقيم " . ثم قال إلى آخرها .

١٤٧٣ـ ما حدثنا صالح بن محمد ، ثنا العمري ، ثنا العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب مولى الحرقة ، عن أبيه ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " إن الله تبارك وتعالى قال : قسمت الصلاة بيني وبين عبدي ، ولعبدي ما سأل ، يقول العبد : الحمد لله رب العالمين ، يقول الله : حمدني عبدي . يقول : الرحمن الرحيم . يقول الله : أثنى علي عبدي . يقول : مالك يوم الدين . يقول الله تعالى : مجدني عبدي . يقول : إياك نعبد وإياك نستعين . يقول : هذه الآية بيني وبين عبدي ، ولعبدي ما سأل .

١٤٧٤ـ **حدثنا** مؤمل بن هشام البصري ، ثنا إسماعيل بن إبراهيم ، عن ابن جريج ، قال : حدثني العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب مولى الحرقة ، عن عبد الله بن السائب مولى هشام بن زهرة ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله ﷺ بمثله .

١٤٧٥ـ **حدثنا** عبد الله بن الوضاح النخعي ، ثنا سليمان بن عمرو ، عن نعيم بن عبد الله مجمر الكعبة ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ بنحوه .

قال أبو عبد الله :

والحديث صحيح من كلا الوجهين ، كأن العلاء سمعه من أبيه ، عن أبي هريرة ، وسمعه من أبي السائب ، وهو عبد الله بن السائب الجهني ، عن أبي هريرة ، فمرة رواه عن أبيه ، ومرة عن أبي السائب .

١٤٧٦ـ **حدثنا** سفيان بن وكيع ، ثنا زيد بن حباب ، عن عنبسة بن سعيد قاضي الري ، عن مطرف ، عن طريف ، عن سعيد بن إسحاق بن كعب بن عجرة ، عن جابر بن عبد الله ، قال : قال رسول الله ﷺ : " قال الله تعالى : قسمت الصلاة بيني وبين عبدي ، فإذا قال العبد : الحمد لله رب العالمين ، قال الله : حمدني عبدي . وإذا قال العبد : الرحمن الرحيم . قال الله : أثنى علي عبدي . وإذا قال : مالك يوم الدين . قال الله تعالى : مجدني عبدي . وإذا قال : إياك نعبد وإياك نستعين . إلى آخرها ، قال هذا لعبدي ، ولعبدي ما سأل .

قال أبو عبد الله قوله :

" قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين " ، فالصلاة هي تصلية المرء بين يدي ربه ؛ لينال من سبحات وجهه الكريم ؛ لأن [٢/ ١٧٩/أ] العبد إذا وقف بين يديه مصليا أقبل الله عليه بوجهه كذلك جاءنا عن رسول الله صلى الله عليه سلم ، وقال في تنزيله : ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾ [الرحمن : ٦٠] . فأحسن العبد حيث أقبل على الله بوجهه الذي هو مكارم بدنه ، ثم وضع وجهه بمكارمه على الأرض تذللا وتواضعا لوجهه الكريم ، ولذلك جرت الأخبار من مقال الرسل ، عن مثل داود عليه السلام أن قال : سجد وجهي لوجهك الكريم ، فكان من جزاء الله له أن أقبل عليه بوجهه ، فالمصلي هو كالمصطلي بنار يقف على النار حتى يدفئ جسده من حر النار ، فأمر العباد أن يقفوا بين يديه بالإقبال عليه قلبا وبدنا فيقبل عليهم

بوجهه الكريم ، فينالهم من سبحات وجهه ما يحيي قلوبهم من موت الشهوات ويطهر جوارحهم من أدناس الذنوب ، فسمى ذلك الوقوف صلاة مشتقا من الصلى .
فإذا وقف العبد فمن أدب الوقوف أن يترضى ربه بالثناء عليه فيذكر مدائحه وصنائعه ، ثم يسأل حاجته ، فكانت لمحمد ﷺ ولأمته حظوظ مخزونة عنده في سره وغيبه ، وليست لأحد من ولد آدم عليه الصلاة والسلام ، فلو أبرزها لمدت الرسل عليهم السلام والأمم أعينها إلى تلك الحظوظ وظهرت الخصومة ، ويقولون في أنفسهم : نحن عبيدك من طينة واحدة ، فما هذه الحظوظ لهم دوننا وتحيرت الملائكة من شأن هذه الأمة فأسرّ هذه الحظوظ في غيبه وألقاها إلى الدعاء ليخيل إلى الجميع أنهم إنما نالوها بالدعاء وفتح لهم باب الدعاء ما لم يفتح لأحد من الأمم ، فنزلت : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ ﴾ [غافر : ٦٠] .
وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : " أعطيت أمتي ثلاثا لم تعطه إلا الأنبياء ؛ كان الله إذا بعث النبي قال : ادعني أستجب لك ، وقال لهذه الأمة : ادعوني أستجب لكم ، وكان الله إذا بعث النبي قال له : ما جعل عليك في الدين من حرج ، وقال لهذه الأمة : وما جعل عليكم في الدين من حرج ، وكان الله إذا بعث النبي جعله شهيدا على قومه وجعل هذه الأمة شهداء على الناس " .

١٤٧٧ـ حدثنا بذلك أبي رحمه الله ، ثنا صالح بن محمد ، ثنا محمد بن عبد الرحمن ، عن عباد بن كثير ، قال : أنبأنا أبان ، وليث ، عن شهر بن حوشب ، عن عبادة بن الصامت ، قال : سمعت رسول الله ﷺ . بمثله .

يقول : جاءت الأمور إلى العباد على أنحاء شتى ، فمنها ما جاء : يا أيها الناس افعلوا كذا ، ومنها ما جاء : يا أيها الذين آمنوا افعلوا كذا ، فهذه دعوة بالكنية ، والأولى دعوة بالاسم ، ومنها ما جاء : قل للمؤمنين ، ومنها ما جاء : قال الله ، ومنها ما جاء : وقال ربكم ، وبين هذه الأشياء تفاوت في المعاني ، يطول الكلام في تفسيرها ، وإنما أردنا التنبيه في هذا الموضع العظيم قدر [٢/٧٩/ب] هذه الكلمة : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ ﴾ .
وكان خالد الربعي يقول : عجبت لهذه الآية ﴿ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ ﴾ أمرهم بالدعاء ووعدهم الإجابة ، وليس بينهما شرط ، قال له قائل : مثل ماذا ؟ قال : مثل قوله :

﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ [البقرة : ٢٥] فههنا شرط ، وقوله : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ ﴾ [يونس : ٢] فليس فيه شرط العمل ، ومثل قوله : ﴿ فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [غافر : ١٤] . فههنا شرط ، وقوله : ﴿ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر : ٦٠] . ليس فيه شرط ، فكانت الأمة تفزع إلى أنبيائها في حوائجهم ، حتى تسأل الأنبياء لهم ذلك ، وروي عن علي رضي الله عنه أنه قال : أوحى الله إلى عبده المسيح عليه الصلاة والسلام أن : قل لبني إسرائيل : إني لا أستجيب لأحد منهم دعوته ولأحد قِبله مظلمة .

وقال في حديث آخر : يا عيسى قل لبني إسرائيل أن لا يمدوا أيديهم بالرغبة إليّ حتى يبرأوا من أنجاس الذنوب .

وقال في حديث آخر قوله لموسى عليه السلام : يا موسى ، لو دعاني حتى تنقطع أوصاله ما استجبت له حتى تخرج الذنوب من بين أحضانه .

فإنما خص الله هذه الأمة من بين الأمم بما أطلق لهم من الدعاء ورفع الشرط الذي كان منه على بني إسرائيل لتصل إليهم تلك الحظوظ التي سبقت لهم من الله الحسنى من قبل دعائهم على ألسنتهم ، لئلا تقع الخصومة بين الأمم يوم القيامة ، فيقولون : أعطيتهم ولم تعطنا ، فأعطاهم من اليقين ما نفذ بقلوبهم إلى محل الإجابة ، والإجابة هي الجوبة ؛ جوبة الدعاء أن ينجاب لهم عن الحجاب دعاؤهم بنور اليقين الذي فضلوا به .

ولذلك قال رسول الله ﷺ : " أعطيت أمتي من اليقين ما لم تعط أمة " . وذلك قوله في تنزيله : ﴿ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ ﴾ [آل عمران : ٧٣] أي لن يؤت أحد مثل ما أوتيتم . ثم قال : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [آل عمران : ٧٣] أي واسع لمن أعطي ، عليم بمن هو أهل لذلك ، ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [آل عمران : ٧٤] .

فالاستجابة والإجابة هو أن ينفذ دعاء العبودة بقوة نور اليقين حتى ينجاب الحجاب ، فيجوز الدعوة إلى الله تعالى فتقف بين يديه مقتضية للحاجة ، ولذلك قال : ﴿ فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة : ١٨٦] . أي أجعل لدعوته جوبة وهو المستقر حتى يقتضي الحظ الذي وضعت له بين يدي ، فأقضي أي أمضي له من بين يدي حتى يصل إليه ، ولو لم يكن له حظ لم ينل شيئا ولم أترك دعوته مهملة ، بل ذخرت له ذخيرة إذا

قدم عليها ودانه لم يستجب له دعوة لما يرى من فضل تلك الذخيرة على ما سأل .

وقال رسول الله ﷺ : " ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة " . أي معكم نور اليقين حتى ينجاب لكم الحجاب ويتعلق وتنفذ الدعوة إلى ربها ، فلما كان شأن هذه الحظوظ على ما وصفنا [٢/ ١٨٠/ أ] وأحب الله أن يوصلها إليهم من طريق دعائهم ، هيأ لهم فاتحة الكتاب فأنزلها على هذه الأمة دون سائر الأمم ، وخصهم ، كما خصهم بالدعاء ، فجعل نصفها دعاء ونصفها ثناء ؛ ليثني هذا العبد بقوله : ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ * ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الفاتحة : ١-٢] . إلى قوله : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ . ثم يرفع حاجته من قوله : ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ . إلى آخرها ، ثم أعطاهم : آمين ، خصهم به من بين سائر الأمم ليصير التأمين طابعا على دعائهم ؛ فيختم به ، فأنزل عليهم فاتحة الكتاب وخزنها عن الأمم ليثنوا عليه بأبلغ الثناء ، ويسألوه أوجز المسائل ؛ ففي ذلك الثناء مجمع الثناء وفي تلك المسائل مجمع الحاجات ، وهذا لا يعقله إلا أهله ، ثم وضعها في التنزيل وسماها : القرآن العظيم ، فقال : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾ [الحجر : ٧٨] .

فروي عن أبي هريرة وأبي بن كعب رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال : " والذي نفسي بيده إنها السبع المثاني ، وإنها القرآن العظيم " . يعني فاتحة الكتاب .

فوفر الله حظ محمد ﷺ وحظوظ أمته في حظه ، وبرز بذلك على الخلق كلهم ، فجعل ذلك الحظ كله في ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾[الفاتحة : ١-٧] .

فختمها بـ : آمين ، وجعل مفتاحها بسم الله ، ووضعها في أم الكتاب الذي لم يطلع عليه أحد في الحجب مع الحكمة والرحمة بين يديه ، ثم أصدرها مع سائر الكتب من أم الكتاب إلى اللوح ، ثم أنزل الكتب التي أرسل إلى الأمم واستثنى هذه الصورة منها ، فخزنها عن الرسل والأمم وادخرها لمحمد ﷺ وأمته ، وصيرت هذه الصورة كلها حروفا مؤلفة منتظمة ، تلك الحروف لجميع حروف القرآن ، فسميت أم الكتاب لأن الكتاب استخرج منها ، وسميت مثاني لأنها استثنيت من الرسل والأمم وسميت القرآن العظيم ، فقال في تنزيله : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾ [الحجر : ٨٧] ، أي سبع

آيات مما استثنيناه من الكتب ، فأخرناه لك ولأمتك .

ثم قال : ﴿ وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾ [الحجر : ٨٧] أي آتيناك القرآن العظيم ، فسماه الله عظيما ، وروي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال : الآية السابعة : بسم الله الرحمن الرحيم .

١٤٧٨ـ حدثنا سليمان بن العباس الهاشمي ، عن عبد الرزاق ، عن ابن جريج ، عن أبيه ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، بذلك . وروي عن أبي هريرة نحوا من ذلك .

قال له قائل : فكيف إذا قرأها الإمام افتتح بـ : الحمد لله ، ولا تجهر بـ : بسم الله ؟

قال : إن علة مثل هذا لا يدرك إلا بالخبر .

١٤٧٩ـ حدثني أبي رحمه الله ، ثنا الحماني ، عن شريك ، عن سلام ، عن سعيد بن جبير قال : " كان المشركون يحضرون المسجد فإذا قرأ رسول [٢/ ١٨٠/ ب] الله ﷺ : بسم الله الرحمن الرحيم ، قالوا : هذا محمد يذكر رحمان اليمامة ؛ يعنون مسيلمة ، فأمر أن يخافت بـ : بسم الله الرحمن الرحيم ، ونزلت : ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا ﴾ " [الإسراء : ١١٠] .

قال أبو عبد الله :

فبقي ذلك إلى يومنا هذا على ذلك الرسم ، وإن زالت العلة كما بقي الرمل في الطواف ، وإن زالت العلة وبقيت المخافتة في صلاة النهار ، وإن زالت العلة فجعل الله عظم الدعاء وجملته موضوعا في هذه الصورة ، نصفها فيه مجمع الثناء ونصفها فيه مجمع الحاجات ، ثم قال في آية أخرى : ﴿ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر : ٦٠] . فأنزل هذه السورة لتتلوها ولندعو بها .

فكما خزن هذه السورة عن سائر الأمم فكذلك خزن قوله : ﴿ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ . عن سائر الأمم ، فكانت الأمم تفزع إلى أنبيائها في وقت الحاجة ، وإنما كانت هذه للأنبياء عليهم السلام ، فأعطينا ما أعطيت الأنبياء ، كذلك روي لنا عن رسول الله صلى الله عليه سلم ، ذكرنا إسناده بداء ، عن ليث ، عن شهر بن حوشب ، عن عبادة بن الصامت ، يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " أعطيت هذه الأمة ما لم يعطه إلا الأنبياء ؛ كان الله إذا بعث النبي قال : ادعني أستجب لك ، وقال لهذه الأمة : ادعوني أستجب لك " . فخزن السورة عن سائر الأمم ، وخزن هذه الآية

عن سائر الأمم ، فجعل لسانك مطلقا بالدعاء وكفيك مبسوطة بالتناول ، وجعل هذا الدعاء الذي في هذه السورة أفضل من الذي تدعو به ؛ لأن هذا كلام قد تكلم به رب العالمين ، فأنت تدعو بدعاء هو كلامه الذي تكلم به فبان بونا بعيدا ، وإنما أطلق الله لهذه الأمة ، وفتح لهم باب الدعاء ؛ لينيلهم الحظوظ التي جعل لهم في الغيب كي إذا وصلت إليهم وظهرت عليهم تلك الأشياء توهم سائر الخلق أنهم نالوها من قِبَل الدعاء ، ولذلك قيل : ليس شيء أكرم على الله من الدعاء ، وصار للدعاء من السلطان ما يرد القضاء .

١٤٨٠ـ حدثنا أحمد بن مخلد ، أنبأنا عمرو بن مرزوق ، عن عمران القطان ، عن قتادة ، عن سعيد بن أبي الحسن ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ليس شيء أكرم على الله من الدعاء » .

١٤٨١ـ حدثنا أبو سلمة يحيى بن المغيرة المخزومي ، ثنا ابن أبي فديك ، عن عبد الرحمن ابن أبي مليكة ، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين ، عن مكحول ، عن شهر ابن حوشب ، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن نفع حذر من قدر فإن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل ، فعليكم عباد الله بالدعاء » .

١٤٨٢ـ حدثنا أبي رحمه الله ، ثنا أبو نعيم ، عن سفيان ، عن عبد الله بن عيسى ، عن عبد الله بن أبي الجعد ، عن ثوبان قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يرد القدر إلا الدعاء ، ولا يزيد في العمر إلا البر [٢/ ١٨١/أ] وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه » ، والله أعلم .

الأصل الثاني والسبعون والمائتان

١٤٨٣ـ حدثنا محمد بن وزير الواسطي ، ثنا معتمر بن سليمان ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم ، عن جرير بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : " من لا يرحم الناس لا يرحمه الله " .

١٤٨٤ـ حدثنا الجارود ، أنبأنا جرير ، عن الأعمش ، عن زيد بن وهب ، عن جرير بن عبد الله ، عن رسول الله ﷺ بمثله .

قال أبو عبد الله :

فالرحمة موضوعة في الآدمي ، فأوفرهم حظا منها أرحمهم لنفسه ولخلقه ، فإن يرحم نفسه جنبها المعاصي والمساخط وطلب لها حسن عواقب الأمور لتحسن منزلته عند ربه فينزله غدا دار الحسنى وذلك جزاء المحسنين ، فبالرحمة يتخطى إلى الإحسان إلى نفسه ومنها يتخطى إلى الإحسان إليهم ، وكل من رحمته رق قلبك له ودعتك الرقة إلى الإحسان إليه والعطف عليه بدوام الإحسان ، ومن احتبس حظه من الرحمة غلظ قلبه وصار فظا فإذا غلظ قلبه لم يرق لنفسه ولا لأحد من خلقه ، قال الله تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

فالشديد يشدد على نفسه في الأحوال ويعسر ويضيق ، وكذلك على الخلق ، فهو من نفسه في تعب والخلق منه في أذى ، واللّيِّن لان قلبه ورطب بماء الرحمة وانتشف ماء الرحمة يبوسة نفسه وحِدّة حرارتها وكزازتها وذهبت قسوة قلبه ، ومن لم تكن له وفارة حظ من الرحمة وجدته حديد النفس يابس الخلق قاسي القلب مكدود الروح مظلم الصدر عابس الوجه منكر الطلعة ذاهبا بنفسه تيها وعظمة غليظ الرقبة سمين الكلام عظيم النفاق قليل الذكر لله والدار الآخرة ولهاذم اللذات .

١٤٨٥ـ حدثنا الجارود ، أنبأنا أبو معاوية ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : أتي رسول الله ﷺ بصبي فقبّله ، فقال رجل : أتقبل هذا ؟ ما قبلت صبيا قط ، فقال رسول الله ﷺ : " وما أملك إن كان الله نزع من قلبك الرحمة " .

١٤٨٦ـ حدثنا الجارود ، أنبأنا جرير ، عن منصور ، عن أبي عثمان ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال خليلي وصفيي أبو القاسم ﷺ : " ما نزعت الرحمة إلا من شقي " .

وعن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : " الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحم من في الأرض يرحمك من في السماء " .

قال أبو عبد الله :

فالرحمة المكتوبة [٢/ ١٨١/ ب] على نفسه مائة رحمة ، والمقسومة منها واحدة بين خلقه فيما روي عن رسول الله ﷺ ، فالواحدة التي قسمها بين خلقه احتظى منها الآدمي وسائر الأمم حتى الطيور والوحوش والبهائم ، فتلك رحمة العطف ، فبها يتعاطفون ، قد اشترك[١] فيها البر والفاجر والولي والعدو ، وأما هذه الرحمة التي وصفنا بدءا فهذه رحمة الإيمان ، مأخوذة من الرحمة العظمى التي منها بدت تلك المائة ، فأوفرهم حظا من المعرفة بالله والعلم به أوفرهم حظا من القربة ، وأوفرهم حظا من القربة أوفرهم حظا من الرحمة ، فكلما كان القلب أقرب إلى الله كان ألين وفؤاده أرق ، وكلما تباعد القلب من الله بمعصية يأتيها كان قلبه أقسى وأبعد من الرحمة ، ألا ترى إلى قوله : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ﴾ [المائدة : ١٣] ، فإنما قست بالتباعد من الله من أجل نقض الميثاق ، ولذلك قال رسول الله ﷺ : " لا يدخل الجنة إلا رحيم " ، قالوا : يا رسول الله ، كلنا رحيم ، قال : " ليس رحمة أحدكم خويصته - يعني أهله وولده - ولكن حتى يرحم العامة " ، فرحمتك الخويصة هي رحمة العطف من الرحمة المقسومة بين خلقه ، ورحمتك العامة من رحمة المعرفة بالله تعالى .

---

(١) بالأصل " اشترط " .

الأصل الثالث والسبعون والمائتان

١٤٨٧ـ **حدثنا** سفيان بن وكيع ، ثنا عبد الله بن نمير ، عن معاوية البصري ، عن نهشل ، عن الضحاك ، عن الأسود بن يزيد ، عن عبد الله بن مسعود قال : سمعت نبيكم ﷺ يقول : " من جعل الهموم هما واحدا كفاه الله هم آخرته ، ومن تشعبت به الهموم في أحوال الدنيا[1] لم يبال الله في أي أوديتها وقع " .

قال أبو عبد الله :

فالهم للقلب وهو أمير الجسد وهو وعاء كنوز المعرفة ومنها يفرق على جنده ، فالعقل والذهن والحفظ والفهم والفطنة والروح هؤلاء كلهم مرتزقة من عند القلب والقلب ينفق عليهم من كنزه الذي أعطي وهو المعرفة بالله والعلم به ، فإذا جاءته هموم أهوال النفس وأحوالها ، ولم يبال الله في أي أوديتها من تلك الشعوب هلك؛ لأن هموم النفس ووساوس العدو تخوفك بالرزق وتخوفك بأحوال الدنيا وتقلبها وترغبك في الجمع والمنع ، وتحل في قلبك ما فيه مصرعك وهلاكك ، وتزين لك أحوال أبناء الدنيا ، فهذه كلها هموم قاتلة للقلب ، فمن تخلى من هذه الهموم كلها حتى صارت همومه كلها هما واحدا كفاه الله الهموم كلها من أمر الدنيا والآخرة ، والهم دبيب القلب إلى الشيء ، وإنما صار الهم همين أحدهما مغيب والآخر متجاوز له عنه من أجل أن أحدهما همّ دبيب والآخر همّ حلول ، فالقلب إذا بدت له [٢/ ١٨٢/أ] خاطرة دب إليها ، ثم يبقى في الطريق متحيرا عاجزا قد انسد عليه الطريق فتحير فهذا هم يتجاوز عنه ، والهم الآخر يدب القلب بالخاطرة إلى الشيء الذي بدا حتى ينتهي منتهاه فيحل به ، فحلوله عزم وإضمار ، فإن كانت بسيئة صار قد همّ بسيئة ، فهي وإن لم تكتب عليه فقد انحط عن درجته وأضر به؛ لأنه قد عزم على معصية الله ، فهذا هم حلول القلب ، والهم الأقل إنما هو دبيب القلب إلى الخاطرة ثم عمي عليه الطريق فعجزه تحيره ، وإنما يصير همه هما واحدا إذا نسي نفسه وأحوالها وهو أن ينكشف له الغطاء عن المعرفة بالله حتى يرى الله كافيا له في كل أمر من دنياه وآخرته فعندها يرفع باله عن التدبير لنفسه ويلقي ذلك كله إلى الله

---

(١) في ص « ومن تشعبت به هموم أحوال الدنيا » والمثبت من ط .

تفويضا ، ويراقب ماذا يخرج له من تدبيره ساعة فساعة ، فتدبير الله للمؤمن أعلى من تدبيره لنفسه ، فإذا رفض العبد تدبيره وأقبل على ملاحظة تدبير الله في كل وقت ماذا يظهر له فقد استراح ؛ فإنما همه في كل ساعة التوخي لمحاب الله في كل أمر من متقلبه ، فإنه إنما خلقه عبدا ليكون له عبدا عارفا له عالما به فيظهر بعين المعرفة والعلم إلى عظمته وجلاله وبهائه وكبريائه وسلطانه ورحمته وإلى ملكه وأبديته فتقر عينه ويمتلئ قلبه فرحا به ، فعندها تظهر محبته ويشتاق إلى لقائه ويتبرم بحياته ويقلق بمكانه ينتظر متى يدعى فيجيب ، فهو مسجون برمق الحياة ، ولذلك قال رسول الله ﷺ : " الدنيا سجن المؤمن وسنته " ، فالآدمي إذا أسنت ضاقت عليه المعيشة واشتد العيش فهو ينتظر الخصب والسعة ، والمسجون وإن أحاطت به نعم الدنيا في سجنه فعينه شاخصة إلى باب السجن متى يخلى عنه فيخرج ، فالمؤمن اشتاق إلى لقاء من عرفه بما ذكرنا فضاق بالحياة في الدنيا وانتظر الدعوة ، فهمه في الدنيا هم واحد وهو أن يلتمس محاب الله في كل أمر دق أو جلّ فتكون[1] ظاهر أموره حركات في طاعة ، وباطن تلك الحركات حب الله ، به يغلي قلبه ، فهو الذي جعل همه هما واحدا وانقطع من الخلق إلى الله ، فمن العباد يصعد إلى الله أعمال الجوارح ، ومن هذا أنوار الحب مع كل نفس ، فنور هذا متواترا صاعدا إلى السماء وأنوار العُمال منقطعة ، قال الله تعالى لنبيه : ﴿ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا * رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴾ [المزمل : ٨-٩] .

فاسم الرب هو الاسم الأعظم المكنون الذي منه خرجت الأسماء ، فمن وصل إلى ذلك الاسم المكنون وانكشف له الغطاء عنه فقد تبتل إليه وانقطع عن الخلق واتخذه وكيلا ، فعندها بطلت وكالة النفس وتعطلت [٢/ ١٨٢/ ب] الهموم وانتصب ذلك الهم الواحد بين عيني فؤاده فاشتعل الصدر نورا ، فتتابعت أنوار حبه متواترة إلى العلى .

١٤٨٨ـ حدثنا محمد بن سفيان النيسابوري ، عن إبراهيم بن الأشعث[2] ، عن فضيل بن

---

(١) كذا بالأصل ، ولعل الصواب " فيكون " .

(٢) بالأصل " إبراهيم الأشعب " والمثبت من كتب التراجم .

عياض ، عن همام ، عن الحسن ، عن عمران بن حصين قال : قال رسول الله ﷺ : " من انقطع إلى الله كفاه الله مؤنته ورزقه من حيث لا يحتسب ، ومن انقطع إلى الدنيا وكله الله إليها " .

١٤٨٩ـ **حدثنا** عبد الله بن أبي زياد ، ثنا سيار ، عن رباح القيسي ، ثنا الحسن بن ذكوان ، عن عبد الواحد بن قيس ، عن مسلم بن جبير ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " إن لله ملائكة موكلين بأرزاق بني آدم ، ثم قال لهم : أيما عبد وجدتموه جعل الهم هما واحدا فضمنوا رزقه السماوات والأرض والطير وبني آدم ، وأيما عبد وجدتموه طلبه فإن تحرى العدل فطيبوا له ويسروا ، وإن تعدى إلى غير ذلك فخلوا بينه وبين ما يريد ثم لا ينال فوق الدرجة التي كتبتها له " .

الأصل الرابع والسبعون والمائتان

١٤٩٠ـ حدثنا ابن أبي ميسرة ، ثنا يعقوب بن حميد ، ثنا عبد الله بن عبد الله الأموي ، عن سعيد بن المسيب قال : سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " من اعتز بالعبيد أذله الله " .

قال أبو عبد الله :

فالاعتزاز بالعبيد مُهتاجه من حب العز وطلبه له ، فإذا طلب العز للدنيا طلبه من العبيد فترك العمل بالحق والقول بالحق لينال ذلك العز فيعزوه ويعظموه فذاك اعتزازه بهم؛ يتكثر بهم ويمتنع من المكاره بهم ويطلب معالي الأمور بهم ويطلب العلو بهم ويتكثر بهم ويصول بهم ، فعاقبة أمره الذلة ، فإن الله يمهل المخذول حتى ينتهي به خذلانه إلى أن يستحق لباس الذل فعندها يلبسه إما في الدنيا عاجلا وإما يوم خروجه من الدنيا؛ يخرجه في أذل ذلة وأعنف عنف وأشد بأس وتنكيل ، وإن الله تبارك وتعالى أظهر عزه وأخرج إلى العباد إزار العز ليجعل لهم من ذلك حظا ، فإنما سماه إزارا ليعقل العباد عنه أن هذه قوة أخرجها إلى العباد ليقووا به على الأعداء وليقوى به المحق على الشيطان المبطل ، والأزر هو القوة وذلك قوله : ﴿ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ ﴾ [الفتح : ٢٩] أي : قواه ، والإزار موضعه من الآدميين من الوسط يأتزرون على أوساطهم ليقووا وبذلك سمي إزارا؛ لأنه قوة المرء ، فمن أقبل إلى الله موحدا فآمن به أسلم وجهه إلى الله فإنما ينظر الله إلى قلبه وعمله ، فمن أسلم وجهه إلى الله أوجب الله له حظا من ذلك العز الذي أخرجه للعباد ، ومن أعرض عنه فأشرك به [٢/ ١٨٣/أ] غيره في ملكه وعبد دونه حرمه عزه فأخسأه وصغره ، فإذا احتظى المقبل على الله بتوحيده من ذلك العز فقد تزكى ، والزكاء النماء والاحتشاء والاكتناز ، فالمؤمن زكي محتش مكتنز مستقيم ، والكافر خالٍ خاوٍ[١] رخو ضعيف ، فمن ازداد لله تسليما وطمأنينة إليه بقلبه في الأحوال ازداد نموا واحتشاء واكتنازا وهو الذي قد تزكى وإنما يتزكى لنفسه ،[٢] وقال : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا

---

(١) بالأصل " خالي خاوي "

(٢) كذا بالأصل . ولعله يقصد ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ﴾ .

زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ ﴾[١] [النور : ٢١] ، فمن تزكى فبفضله ورحمته قسم له ذلك وهو نور التوحيد ثم قواه حتى ربا ذلك النور بالشكر واستوجب المزيد ، وقال : ﴿ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴾ [طه : ٧٥] ، وقال : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المنافقون : ٨] . فقوى رسوله والمؤمنين بتلك العزة؛ أخرجها لهم من عزه وسماه عزة وسماه إزارا ليعلم العباد أنها قوة لهم ، كل يحتظي منه على قدر بذله نفسه لله في الائتمار بما أمره ووضعه نفسه له بالأرض ذلة وخشوعا في الانتهاء عما نهاه عنه وترك مشيئاته في أحواله كلها لمشيئته ، فعلى قدر ذلك يستوجب الحظ من تلك العزة ، فذلك قوله تعالى : ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الصافات : ١٨٠ - ١٨٢] .

---

(١) بالأصل " فلولا فضل الله عليكم . . . " وقد صوبناه .

الأصل الخامس والسبعون والمائتان

١٤٩١- **حدثنا** عمرو[١] بن علي الصيرفي ، ثنا بشر بن المفضل ، أنبأنا عبد الرحمن بن حرملة ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده قال : قال رسول الله ﷺ : " لا يقص إلا أمير أو مأمور أو مرائي " .

قال أبو عبد الله :

فالقصص اسم جامع دخلت فيه الموعظة والتذكرة والدعوة إلى الله فاشتمل عليه النشر عن الله منته وإحسانه وتنبيه الخلق عن توحيده وعن مترادفاته ونموذجات صنائعه ، سمي ذلك كله قصصا من أجل أن قلب هذا يقتص أثرا أثرا لكل شيء ويشير بقلبه إلى شيء شيء ثم يعبر إشارات قلبه بلسانه للخلق فهو قاص عليهم لتلك الأشياء أثرا أثرا ، وهذه كلمة لزمت أشياء كثيرة مما تشابهت صورها بعضها ببعض ، فيقال : قص أثره ، وهو أن يتبع أثره ، ويقال : قص خبره ، وهو أن يتبع بقلبه صفة ذلك الشيء الذي يخبر به فيتبع الصفة شيئا بعد شيء ، ويقال : قص شعره وظفره وهو أن يتبع لما زاد من شعره وظفره خروجا من جسده فتتبع ذلك فأزاله عنه ، فالدعاء إلى الله بالموعظة والتذكرة لمن وصل إلى الله قلبا وكان مركب قلبه الحق والعدل وهو قوله : ﴿وَمِن قَوۡمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ﴾ [الأعراف : ١٥٩]، فهذا ما أعطى الله قوم موسى عليه الصلاة والسلام في قوله حيث قرأ التوراة فوجد صفة هذه الأمة فوجد في نفسه من ذلك حاجة أن [٢/ ١٨٣/ ب] تكون أمته حتى قال : رب اجعلني منهم ، قال : استقدمت واستأخروا ونبيهم محمد ﷺ . فأعطي أن سيكون من قومه أمة يهدون بالحق وبه يعدلون ، قال قتادة : فرضي ﷺ كل الرضى ، فقص الله علينا نبأه فقال : ﴿وَمِن قَوۡمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ﴾ ، قال بعقب ذلك : ﴿وَمِمَّنۡ خَلَقۡنَآ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ﴾ [الأعراف : ١٨١] أي : من هذه الأمة ، فقوم موسى الذين أعطوا ذلك في عزلة من الخلق من ورائهم نهر الرمل ناحية المشرق حيث لا يخلص إليهم أحد ولقيهم رسول الله ﷺ فيما روي لنا ليلة

---

(١) بالأصل " عمر " والمثبت من التهذيب .

أسري به فعلمهم القرآن وعرض عليهم الشريعة فقبلوها ، فأعطيت هذه الأمة في الجماعة والعامة ما أعطي أولئك في العزلة ، فساروا في الجماعة بما سار أولئك في العزلة بفضل يقينهم ووصول قلوبهم إلى الله ، فمركب قلوبهم الحق طريقهم إلى الله تعالى على العدل في الحق فهم أمراء الدين في كل وقت ، وهو قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾ [النساء : ٥٩] ، فالقصص لهم ولمن يرونه أهلا لذلك المقام ، والثالث مرائي متكلف مذموم فهو دخيل ليس منهما في شيء هذا لا يجب أن يسمع منه ولا يستمع إليه .

الأصل السادس والسبعون والمائتان

١٤٩٢ـ حدثنا محمد بن أيوب السمناني ، ثنا حسام بن عباد البصري قال : حدثني أبي ، عن سليمان التيمي ، عن أبي مجلز وعكرمة ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « الشرك أخفى في أمتي من دبيب الذر على الصفا » .

١٤٩٣ـ حدثني أبي رحمه الله ، أنبأنا الحماني ، أنبأنا جرير ، عن ليث عن شيخ ، عن معقل بن يسار قال : قال أبو بكر رضي الله عنه وشهد به على رسول الله ﷺ قال : ذكر رسول الله ﷺ الشرك فقال : « هو فيكم أخفى من دبيب النمل ، وسأدلك على شيء إذا فعلته أذهب عنك صغار الشرك وكباره ، تقول : اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم ، وأستغفرك لما لا أعلم ، تقولها ثلاث مرات » .

١٤٩٤ـ حدثنا أبي رحمه الله ، ثنا أحمد بن يونس ، عن محمد بن مسلم الطائفي ، عن ابن جريج قال : بلغني أن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر : « يا أبا بكر الشرك أخفى فيكم من دبيب النمل » ، فقال أبو بكر : وهل الشرك إلا ما عبد من دون الله ؟ قال : « يا أبا بكر ، الشرك أخفى فيكم من دبيب النمل ، إن من الشرك أن يقول الرجل : ما شاء الله وشئت ، ومن الند أن يقول الرجل : لولا فلان لقتلني فلان ، أفلا أدلك على ما يذهب الله عنك به صغار الشرك وكباره ؟ » ، قال : بلى يا رسول الله ، قال : « تقول كل يوم ثلاث مرات : اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم ، وأستغفرك لما لا أعلم » . [٢/ ١٨٤/أ]

١٤٩٥ـ حدثنا عبد الجبار ، أنبأنا سفيان ، عن عبد الملك بن عمير ، عن ربعي بن حراش ، عن حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ : « قد كنت أكره لكم أن تقولوا : ما شاء الله وشاء محمد ، ولكن قولوا : ما شاء الله ثم ما شاء محمد » .

قال أبو عبد الله :

فالرب واحد وجعل ربوبيته في الغيب وخلق العباد في الغيب وأوّله قلوبهم إليه وقررهم كلهم بالعبودة له ، وعلى ذلك فطرهم ، فكلهم يفزعون عند الحاجة إلى اسمه الله الذي جعله موله قلوبهم فثبت فريق منهم على إخلاصه وأشرك فريق وذلك قوله : ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ

يُشْرِكُونَ * لِيَكْفُرُوا بِمَآ ءَاتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾[1][العنكبوت : ٦٥-٦٦] . فجعل أمور العباد كلها يوصلها إليهم في الغيب ، قد ستر أموره بالأسباب فقال : أنا الرزاق ، ثم جعل أرزاقهم في ماء الحيوان تحت العرش ، ثم وكل به ملائكة القطر ثم سخر السحاب لقبوله وسخر الرياح لتجعل كسف السحاب ركاما ويبسطه كيف يشاء ، ثم أمر السحاب أن يدر القطر مطرا ، ثم أمر الأرض أن تقبله ودائع ثم أمر الأرض أن تنفجر عن ذلك القطر في أصلب موضع منها من أجواف الصخور من الجبال ، وذلك قوله : ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الزمر : ٢١] ، وقوله : ﴿ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا ﴾ [القمر : ١٢] ﴿ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴾ [يس : ٣٤] ، ثم على الآدميين أن يحرثوا الأرض ، ثم أمر الأرض أن تنبت من كل زوج بهيج وقال : ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ * ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴾ ، ثم أمر الشمس أن تسير نحوها على وجه لتربية هذه الثمار والنبات ، ثم أمر الرياح عند الحصاد أن تذروه ، ثم علم الآدميين طبخه وخبزه ، وأنزل النار وجعلها في الشجر الأخضر وقال في تنزيله : ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴾ [يس : ٨٠] ، فالنار موجودة في كل شجرة خشبة تحتك بالأخرى فتوري نارا ، وقال : ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ * ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴾ [الواقعة : ٧١-٧٢] ثم قال : ﴿ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴾ [الواقعة : ٧٣] ، ومن اللباس علم غزل قطنه ونسجه وغسله وخياطته حتى يكتسوا ، وكذلك سائر الأشياء التي اضطر إليها الآدمي ، فهذه كلها أسباب والآدمي يرى ما ظهر من هذه الأشياء التي ذكرنا ، وفي باطنها ربوبيته وهو الذي دبر هذا كله وأمضى التدبير بمشيئته وأوصل إلى العباد قضيته في خفاء ، فالعباد إنما يرون المطر والحر والبرد والرياح والأرض والماء والزرع والحصاد والأيدي التي تتداوله وربوبيته في جميع الأشياء قائمة ، لا يكون شيء إلا بإذنه ولا يدوم إلا به ولا يقوم إلا به ، فقلوب الآدميين ونفوسهم معلقة بالأسباب التي يرونها ، فإذا [٢/ ١٨٤/ ب] احتاجوا إلى شيء طلبوا ذلك الشيء من مظانه الذي هناك عاينوه ، فمنّ الله على الموحدين بمعرفته بأن الرب واحد والوله بالقلوب في الحوائج إلى الواحد الذي اسمه الله الذي

---

(١) بالأصل " فتمتعوا فسوف تعلمون " وقد صوبناه .

خرجت الأشياء كلها من ذلك الاسم ، ولذلك أن يتناولوا الأشياء ويبتدئوا في كل أمر بقول : بسم الله ، كأنه يقول : هذا الشيء بهذا الاسم خرج ومنه أخرج ومن حرم المنة بقيت مع الأسباب قلوبهم معلقة بها مفتونة فيها فاتخذوا دونه وليا فعبدوه ثم قالوا : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [الزمر : ٣] ، فقالت الرسل لهم : ﴿ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًاۚ ﴾ [المائدة : ٧٦] ، حتى قال إبراهيم لقومه : ﴿ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [الانبياء : ٦٧] الأف كلمة جامعة للشتم والضعة .

وأنزل على المؤمنين وحيا يثبت قلوبهم ويعلمهم الحجة فقال : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة : ١٧٣] ، فقال المشركون : أرنا لذلك آية أنه واحد ، فأنزل الله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ ، فأعلم العباد أن العقل يدل عليه بما أراهم من قدرته وقال : ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [البقرة : ١٦٤] ، فأهل اليقين طلبوا من المظان نفسا وجسدا ومن الغيوب إخلاصا ويقينا ، فمن ضعف يقينه كان السبب بين عينيه فإذا طلب شيئا طلبه من السبب قلبا ونفسا وإذا فاته منه شيء تلهف وأسف على الفوت ولام وذم وتردد واضطرب حتى يخرج دينه ويسقم إيمانه ، وإذا صار إلى القول يقول : لا يكون إلا ما شاء الله ولا يكون إلا ما قدر الله ولا يكون إلا ما قضى الله وإذا قضى فلا يقوم شيء ولا يدوم إلا بالله ، فإذا علم أن الكون من الله والدوام بالله كان هذا من علم التوحيد وإنما هو كلحظة واحدة ثم يخفي في صدره هذا العلم حتى لا يشرق نوره وإنما كانت شررة أو كلمحة أو برقة ثم ذهبت وبقي العبد مع شرك السبب ، فكلما لحظ العبد إلى شيء من هذه الأسباب دونه فقد أتى بالشرك فرجاه ورجا خلقه وأمله وأمل خلقه ، فإذا رأى السحاب استبشر ، وإذا رأى الرياح استبشر ، وإذا أنبتت الأرض ابتهج ، وإذا أثمرت أكل مع الفرح ثم أشر وبطر لأن قلبه في غفلة عن الله ، فهذا قلب الموحد ، وقلب الكافر في غلفة ، فقلب هذا المؤمن المتعلق بالأسباب غافل وقلب الكافر أغلف ، فالغلفة غلاف القلب ، والغفلة حجاب القلب وهو هذه الأسباب التي ذكرنا ،

[٢/ ١٨٥/ أ] وقد انشق عنه الغلاف الذي كان في وقت الكفر وبقيت الغفلة ، فهذه الغفلة لا يذهبها إلا ذكر الله ، فلا يزال الذكر الدائم يذيبها بحرارة الحياة التي يزاد القلب بالذكر حتى يهتك حجاب الأسباب كلها ويذهب الجفاء وتصير الأمور كالمعاينة له فهو يمضي في الأسباب ولا يغفل عن الله فيقبلها من عنده ، فإذا هاجت الريح استبشر بصنيع الله لأنه علم أنه هو الذي أرسلها بشرى بين يدي رحمته ، ثم لما رأى تراكم السحاب استبشر بصنيع الله ثم يرى المطر سقيا كما قال : ﴿ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ ﴾ [الحجر : ٢٢] ثم يرى الزرع زراعة الله كما قال : ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ۝ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴾ [الواقعة : ٦٣-٦٤] ، ثم رأى الأشياء كلها خلقه مسخرين لحوائجه ، والآخر غافل عن هذا كله ، إنما يرى الشيء الذي بين يديه من هذه الأسباب فيفتتن ، فإذا افتقد السبب اضطرب وتردد حتى يقع في المهالك ، فالأشياء كلها في الأسباب مغيبة سترها ربها في الأسباب وأخفى ربوبيته ليكون إيمان العباد في الغيب كله وبالغيب كله لأن مديح العباد في إيمانهم بالغيب فكما جعل نفسه غيبا عن العباد كذلك جعل أموره وربوبيته غيبا عن العباد ، فأهل اليقين هتكوا هذه الحجب بقوة نور اليقين حتى انكشف لهم الغطاء ووصلوا إليه فقبلوا هذا كله عنه على بصيرة ، ففضل الله هذه الأمة باليقين حتى صار ما بقي فيهم من الشرك أخفى من دبيب النمل في القلة والرقة ، فهذا مدح لهذه الأمة ، ألا ترى أنه قال : " أخفى في أمتي " ، وقال في حديث أبي بكر رضي الله عنه : " أخفى فيكم " ؟ يعلمه من فضيلة هذه الأمة على سائر الأمم أن شرك الأسباب ذاب فيهم وتلاشى بفضل يقينهم حتى صار أخفى من دبيب النمل ؛ لأن دبيب النمل لا يؤثر على الصفا ، وكذلك ما بقي من الأسباب لا يؤثر على أهل اليقين ما يعرض لهم من خواطر الأسباب ؛ لأن قلوبهم قد صُليت(١) بالله وصارت كزُبَر الحديد والصخر .

١٤٩٦ـ حدثنا معروف بن الهيثم الكرخي أبو محفوظ ، ثنا عبيد الله بن موسى ، ثنا عبد الأعلى بن أعين ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن عروة ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : " الشرك أخفى من دبيب النمل على الصفا في الليلة

---

(١) كذا بالأصل .

الظلماء ، وأدناه أن يحب على شيء من الجور أو يبغض على شيء من العدل " ، وهل الدين إلا الحب في الله والبغض في الله ، قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران : ٣١] .

قال أبو عبد الله :

وأما قوله : " أن يحب على الجور ويبغض على العدل " ، فإنما يحب على الجور رجاء المنفعة منه ويبغض على العدل خوف المضرة ورجاء المنفعة فهذا شرك؛ يرجو غيره ويخاف غيره .

١٤٩٧ـ حدثنا أبي رحمه الله ، عن الحكم بن المبارك ، أخبرني بقية عن[١] بكر بن حذلم [٢/ ١٨٥/ ب] الأسدي ، حدثني وهب بن أبان ، عن عبد الله بن عمر ، قال : خرج عبد الله بن عمر في سفر له فإذا بجماعة على طريق ، فقال : ما هذه الجماعة ؟ قالوا : أسد قطع الطريق ، فنزل فمشى إليه حتى قفده بيده ونحاه عن الطريق ، ثم قال : ما كذب رسول الله ﷺ ، قال : " إنما يسلط على ابن آدم من خافه ابن آدم ، ولو أن ابن آدم لم يخف غير الله لم يسلط الله عليه غيره ، وإنما وكل ابن آدم لمن رجا ابن آدم ولو أن ابن آدم لم يرج إلا الله لم يكله الله إلى غيره " ، وإنما هو شك وشرك فالشك هو ضيق الصدر ، فإذا ناب النفس أمر فأحست بمكروه في ذلك الأمر انتفخت الرئة للجبن الذي حل بها فضاق الصدر حتى زحزح القلب عن مكانه فإذا ضاق على القلب مكانه ضاق موضع التدبير وهو الصدر ، لأن عيني الفؤاد مفتوحتان في الصدر وعند العينين تدبير الأمور ثم تنصدق[٢] إلى الجوارح ولذلك سمي صدرا؛ لأن الأمور تصدق من هناك ، وإنما سمي شكا لأن ذلك النائب من الأمر يشك سعة الصدر كما يشك الثوب المبسوط فيجمع بعضه إلى بعض ويشك بشوكة أو بإبرة أو بخيط فيقال : شك الثوب وهو ثوب مشكوك ، فالصدر إذا انتفخت الرئة بما خطر على بال القلب من الخواطر وضاق على القلب مكانه ترحل القلب عن مستقره وتذبذب وصار كالدلو والقنديل المعلق ، وإذا تحرك القنديل اضطرب الإشراق فصار بعضه ظلاما وبعضه إشراقا ، ففي الظل الضلالة

---

(١) بالأصل " ابن " والمثبت من كتب التراجم .

(٢) كذا بالأصل .

وفي الإشراق الهدى ، فكلما تراكمت الأظلة انقبض الصدر فصار مشكوكا كالثوب الذي يشك ويضم بعضه إلى بعض فصار متراكما بعضه على بعض وصارت له زوايا ، كذلك الصدر إذا انقبض حدثت له في زواياه أظلة فمنها يضل عن الله ويفتقد الهدى ، فأما الشرك فهو مأخوذ من الشَّرَك ، والشَّرَك حبل فيه معاليق تعلق بها أرجل الطير أو أعناقها أو أجنحتها حتى تؤخذ صيدا ، فكذلك الأسباب تأخذ بقلبه؛ لأن شهوة تلك الأشياء في نفسه فإذا اشتهاها أحبها فإذا وصل حبها إلى قلبه ثم نال القلب تلك الأشياء من تلك الأسباب أحب تلك الأسباب من أجل حب تلك الأشياء ، وذلك قوله : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ ﴾ [آل عمران : ١٤] فقال : ﴿ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ﴾ فالنفس تجد اللذة والفرح ، والفرح والسرور من هذه الشهوات وبحبها ، وإنما أحب الذهب لأنه بهما يرجو وجود شهوات الأشياء وكذلك الحرث والأنعام ، فالأرض لا تؤكل ولا تشرب ولا الذهب والفضة ولكن لما علم أن الأرض تخرج له نبات الأشياء التي يتلذذ بها أحبها ، وأن الذهب والفضة [٢/ ١٨٦/ أ] أوردا عليه الأشياء التي يشتهي أحبها فتلك حب فتنة ، والحب يصطاد القلب ويسبيه فهذا شرك وتلك الحبال التي فيها معاليق الصيد شرك محل واحد مستعمل في نوعه وأحدهما مشتق من الآخر فالشك ضيق الصدر والشرك تعلق القلب بالشيء ، فإنما يوسع الصدر نور اليقين فكلما كان القلب من نور الفردية أوفر حظا ومن نور الأحدية أوفر نصيبا كان إخلاصه من الشرك أكثر ، فباليقين ينجو العبد من وبال الشك ، وبالإخلاص ينجو من وبال الشرك فعندها يتولاه الله فذلك قوله لداود عليه الصلاة والسلام : يا داود هل تدري متى أتولاهم ؟ إذا طهروا قلوبهم من الشرك ونزعوا من قلوبهم الشك . فخلق الآدمي والأسباب مشتبكة به لا يرى شيئا إلا في غيب ، وربوبية الرب قائمة في ذلك الغيب في جميع الأسباب لا تكون إلا به فالله مكونها وبالله يدوم ما كون ، وهذا الآدمي لم ير التكوين ولا التدويم إلا رؤية الإيمان بالغيب فاستقر قلبه إيمانا بذلك ، ثم جاءت النفس بشكها وشركها فأوردت على القلب حتى صار القلب ذا شك وشرك فلا يزال صاحبها يضيع هذا الأمر ويهمله حتى تحل العقدة منه عقدة الإيمان فيكفر ، والذي أغاثه الله ولولاه لما رأى ضعف اليقين وانقياد القلب للنفس بما أوردت عليه فزع إلى الله حتى قواه وأيده ، فإذا رزق الله عبدا نور

اليقين ونور الفردية صار القلب موقنا مخلصا ، فبقوة هذين تمحق خواطر النفس في الصدر وتلك الخواطر التي تورد شكا أو شركا فاستقام القلب وصلب ومد النفس إلى ما عنده فقواها فاستقرت النفس منقادة للقلب وتركت ترددها واضطرابها ، فإذا صار بهذا الحال خفي ذلك الشك والشرك في نفس هذه الطبقة فلم يؤثر ما بقي من ذلك حبا في قلوبهم كما لا يؤثر دبيب النمل على الصفا لأن الذي خفي من البقية لا يقدر أن يزعزع النفس أو يشغل القلب عن الله ، ألا ترى أنه قال في حديث أبي بكر رضي الله عنه : " أفلا أدلك يا أبا بكر على ما يذهب الله صغار الشرك وكباره عنك ؟ " ، قال : بلى يا رسول الله ، قال : " تقول كل يوم ثلاث مرات : اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم " .

فصغار الشرك مثل قول الرجل : ما شاء الله وشئت ، ومن الند أن يقول : لولا فلان لكان كذا وكذا .

١٤٩٨ـ **حدثنا** سهل بن العباس ، ثنا سفيان ، عن الزهري ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " إياكم واللو ؛ فإن اللو يفتح عمل الشيطان " .

قال أبو عبد الله :

(لو) مفتاح الحسرات فإذا تحسر القلب تعرى عن خِلَع الله .

١٤٩٩ـ **حدثنا** سفيان بن وكيع ، ثنا أبي ، عن الأعمش ، عن أبي وائل عن عبد الله ، قال : جاء رجل فقال : يا رسول الله ، أي الذنب [٢/ ١٨٦/ ب] أعظم ؟ قال : " أن تجعل لله ندا وهو خلقك " . فالند هو شبيه بالضد هو شكل الضد ؛ لأن الضد صورته إبطال من يضاده ، والند من الندود والتباعد ، والنفار معناه أن تجعل من دونه دافعا عنك ولا يدفع عنك إلا من ولي خلقك ، لذلك قال في الحديث : " ومن الند أن تقول : لولا فلان لقتلني فلان " ، لأن هذا ينصب فلانا دافعا عنه دون الله ، فقد اتخذ من دون الله وليجة وقد حل العقدة فمن خطر بباله هذا في صدره ففزع إلى الله ورد هذا الذي أتت به النفس عليها ، فعقدته ثابتة ولكن تضعف بضعف اليقين وضعف القلب واضطراب النفس وتذبذبها ، فإنما صار أعظم الذنب لأنه يعمل في حل العقدة ، وسائر الذنوب تعمل في قضاء النهمة والتلذذ بالشهوة فتباين الأمران بونا بعيدا ، فأيد الله هذه ؛ لأنه بفضل اليقين وذلك قوله : ﴿ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ ﴾ [آل عمران : ٧٣] ، ثم قال :

﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ﴾ [المائدة : ٥٤] ، فمدح رسول الله ﷺ هذه الأمة بما أوتيت من الفضل ونشر عن الله ما آتاهم فقال : " الشرك في أمتي أخفى من دبيب النمل " ، فإنما خص ذكر الأمة يعلمهم فضل الله عليهم ، وليس على ما ذهب إليه المتوهمون أن هذا الحديث تحذير يحذر الأمة من الشرك حتى يعلموه لأنه ذكر أنه يخفى عليهم ، فيقال لقائل هذا : إن توهمت أنه خفي عليهم لعماوتهم وقلة يقينهم لأنهم أضعف الأمم وأقلهم حظا فقد وقعت بهذا التوهم أبعد موقع من المعنى ونسبت الأمة إلى خلاف ما أقر لهم الله ، وما بال هذه الأمة يخفى فيها الشرك ولا يخفى في بني إسرائيل ويقين هذه الأمة أوفر وموصوفة في التوراة بأنهم صفوة الرحمن وفي الإنجيل حكماء علماء كأنهم في الفقه أنبياء ، فهذا يستحيل بعد هذه الصفة في التوراة والإنجيل أن ينسب إليهم خفاء الشرك لعماوتهم وقلة يقينهم؛ لأن غمس القلب يخفي الأشياء في الصدر فلم يجئنا في الحديث أنه قال : الشرك خفي في الآدميين ولكنه قال : " أخفى في أمتي " ، فلما رأينا خصوصية الأمة وفضلها عند الله وقول رسول الله ﷺ : " ما أعطيت أمة من اليقين ما أعطيت أمتي " ، وقول الله تعالى : يا عيسى إني باعث بعدك أمة إن أصابهم ما يحبون حمدوا وشكروا وإن أصابهم ما يكرهون صبروا واحتسبوا ولا حلم ولا علم فإني أعطيتهم من حلمي وعلمي . فدلت هذه الأخبار أن هذا اليقين الذين نالوه من فضل الله ورحمته يذيب خواطر الشرك في صدورهم فيدق حتى لا يرى فيخفى ويضعف حتى لا يؤثر كونه في القلب كالأثر في الذرة ، ولذلك ما ذكر الله في تنزيله شأن العبدين الصالحين أحدهما . . . [١] حيث رأى تلك . . . [٢] طافية على الماء فجاء الطائر فنشف[٣] بها فطار ، وأطلع بعض الحيتان رأسه فنشف بها . . . [٤] قلب خليل الله إلى ملاحظة [٢/ ١٨٧/ أ] الأشياء التي بها تحدث الأشياء فقال : ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ [البقرة : ٢٦٠] فقد كان موقنا بأن الرب يحيي الموتى ولكن أحب أن يرى كيفية الإحياء فيطالع ما أبرز

---

(١) كلمة لم أستظهر قراءتها .

(٢) كلمة لم أستظهر قراءتها .

(٣) هكذا استظهرت قراءتها .

(٤) كلمة لم أستظهر قراءتها .

الله من قدرته على أعين القلوب بهذا البصر الذي في رأسه وإن هذا البصر حظ النفس وبصر القلب حظ القلب فقال في آخر الآية : ﴿ أَوَلَمْ تُؤْمِن ﴾ [البقرة : ٢٦٠] أي لم يطمئن قلبك ؟ وهو به أعلم ، ﴿ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ [البقرة : ٢٦٠] فهذه طمأنينة أخرى ؛ تلك طمأنينة الإيمان وهذه طمأنينة الحنين حنين القلب إلى رؤية كيفية الإحياء ، فأجابه الله إلى ما سأل إكراما له لأنه سأل هذه الحاجة من الحنين حنين القلب لا عن الشك وضيق الصدر ، وأما العبد الآخر فإنه مر على قرية فقال : ﴿ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ﴾ [البقرة : ٢٥٩] ، فهذا نوع غير ذلك النوع تحير وتعجب وتعظيم هاج ذلك التعظيم من العجز والحيرة فوعظه الله بالموت ومن نفسه أراه الإحياء ولم يكن من العبد الصالح قوله : ﴿ أَنَّىٰ يُحْيِي ﴾ شكا ولكنه عجب ، والإعجاب لا يكون إلا من الحيرة ، ألا ترى إلى قول سارة حيث قالت : ﴿ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا ﴾ [هود : ٧٢] بعدما بشرتها الملائكة وأيقنت فقالت بعد البشرى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴾ [هود : ٧٢] ، فأنزلت الملائكة عليها وقالت : ﴿ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ [هود : ٧٣] ، فهذه الخواطر كائنة في الصديقين فإذا مرت ببالهم كان ذلك منهم شركا وهي حجب الأسباب التي ذكرنا ففزعوا إلى الله فأعطاهم مفزعا ولاحظت عيونهم باب العدو وانكشف الغطاء عن باب القدرة لعيون قلوبهم ولاحظوا المقتدر ولاحظوا مجد الملك فخفيت هذه الخواطر في صدورهم فمدح رسول الله ﷺ أمته . . .[1] ما أعطاهم فقال : « الشرك أخفى في أمتي من دبيب النمل على الصفا » ، فإن دبيب النمل على الصفا لا يؤثر ولا يدرك فحيث يعقب هذا القول أبا بكر على أن قال : « قل يا أبا بكر : اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم » .

١٥٠٠ـ حدثنا عبد الجبار ، ثنا سفيان ، عن عبد الملك بن عمير ، عن ربعي بن حراش ، عن حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ : « قد كنت أكره لكم أن تقولوا : ما شاء الله وشاء محمد ، ولكن قولوا : ما شاء الله ثم ما شاء محمد » ، فهذا القول وما أشبهه من صغار الشرك ، وأما كبار الشرك فهو أن يعمل بطاعة الله يريد به غير الله رجاء اتخاذ المنزلة عنده والارتفاق بما عنده ، فهذا موحد قد غلب عليه الجهل واستهواه عدوه حتى أضله ، فإذا

---

(١) مقدار ثلاث كلمات لم أستظهر قراءتهم .

رجع إلى توحيده علم أنه لا يملك أحد نفعا ولا ضرا دون الله ، ثم إذا تراءت له الأسباب تعلق القلب بها ، فذلك من ضعف اليقين وغاب عنه ذلك الذي علمه من علم التوحيد فالموحدون إذا راءوا بأعمالهم إنما يقصدون بذلك اتخاذ المنزلة عند الخلق لا أن يتعبدوا بها ، وأما المشرك الذي قد أشرك بالله [٢/ ١٨٧/ ب] من دونه فإنما يقصد بعبادته غيره .

١٥٠١ـ **حدثنا** أبي رحمه الله ، ثنا مكي بن إبراهيم ، ثنا عبد الواحد بن زيد ، عن عبادة بن نسي قال : أتيت شداد بن أوس رضي الله عنه في مصلاه وهو يبكي فقلت : ما الذي أبكاك يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : حديث سمعته من رسول الله ﷺ يوما إذ رأيت بوجهه أمرا ساءني ، فقلت : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، ما الذي أرى بوجهك ؟ قال : " أمرًا أتخوفه على أمتي من بعدي " ، قلت : وما هو ؟ قال : " الشرك والشهوة الخفية " قلت : يا رسول الله وتشرك أمتك من بعدك ؟ قال : " يا شداد ، أما إنهم لا يعبدون شمسا ولا قمرا ولا حجرا ولا وثنا ولكنهم يراءون بأعمالهم " ، قلت : يا رسول الله ، والرياء شرك هو ؟ قال : " نعم " ، قلت : فما الشهوة الخفية ؟ قال : " يصبح أحدهم صائما فتعرض له شهوات الدنيا فيفطر " . قال عبد الواحد : فلقيت الحسن فقلت : يا أبا سعيد ، أخبرني عن الرياء أشرك هو ؟ قال : نعم ، أما تقرأ : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ [الكهف : ١١٠] .

قال أبو عبد الله :

فصاحب هذا يعمل عملا يبتغي به ثوابا من عند الله ، وثوابا من عبيده أن يعظموه في الدنيا ويقضوا له الحوائج ، وفي الآخرة يعظم وتقضى الحوائج فهذا شرك ، ولم يشرك شركا ينقص توحيده فيرى لمن دون الله ملكا في شيء فصاحب هذا قل ما يناله من الضرر أن يرمى بعمله وجمعه ويستحي من الله غدا وهذا من فتنة النفس . وروي عن رسول الله ﷺ أنه خرج ذات يوم إلى أصحابه وهم يتناجون فقال : " ما هذا النجوى ؟ " ، قالوا : يا رسول الله كنا نتحدث عن فتنة المسيح الدجال ، فقال : " ألا أخبركم بأعظم فتنة من الدجال ؟ رجل يعمل لمكان رجل " ، والله أعلم .

الأصل السابع والسبعون والمائتان

١٥٠٢ـ **حدثنا** عيسى بن أحمد العسقلاني ، ثنا بشر بن بكر التنيسي ، ثنا سعيد ، عن أبي الزاهرية ، عن كثير بن مرة ، عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال : " السلطان ظل الله في الأرض يأوي إليه كل مظلوم من عباده ، فإذا عدل كان له الأجر وعلى الرعية الشكر ، وإذا جار كان عليه الإصر وعلى الرعية الصبر ، وإذا جارت الولاة قحطت السماء ، وإذا منعت الزكاة هلكت المواشي ، وإذا ظهر الزنا ظهر الفقر والمسكنة ، وإذا أخفرت أهل الذمة أديل الكفار .

قال أبو عبد الله :

إن الله تعالى أغاث عباده في أرضه بأربع : القرآن وهو كلامه وعليه طلاوة كي يهتدوا ويسلكوا طريقهم إلى الله في مدة أعمارهم فإنه دعاهم فأجابوه ولكل دعوة إجابة ولكل إجابة سلوك وسير وقطع مسافة ، والسلطان وعليه ظله كي يتمانعوا بما في أيديهم من المهجة والمال والأهل والولد ، والمؤمن وفيه نوره كي يهتدوا إلى خالقهم فيوحدوه [٢/ ١٨٨/ أ] ويعبدوه ، والكعبة وعليها بهاؤه وفيها رحمته كي يتطهروا بالرحمة التي فيها إذا طافوا بها وكي يتهيئوا بذلك فيقدموا على الله يهيئها ، فهؤلاء الأربع غياث العباد وإليهم المفزع ، وإذا قصدوا الله جعلوا نوره مرآة قلوبهم فينظرون فيها إلى عجائب ما أبرز من ملكه من لدن عرشه إلى الثرى وإلى عجائب تدبيره فيهم وإلى قدرته عليهم فأداهم ذلك النظر بقوة ذلك النور إلى عظمته وجلاله ونفاذ قدرته وإلى جوده وكرمه ولطفه وعطفه عليهم وبره بهم وعظيم منته فامتلأت صدورهم به علما وامتلأت قلوبهم به غنى وقويت أركانهم للقيام بأموره وانقادت نفوسهم ذلة وخشعة وخضعت واستسلمت لله ونظرت عيون الأفئدة منهم إلى تدبيره وحكمه ، وإذا قصدوا القرآن جعلوا بسم الله الرحمن الرحيم علما لعسكر القرآن فإن القرآن بمنزلة جند وعسكر فيه ألوان الأسلحة وآلة الحرب والعدة فيه يحارب الهوى والنفس والعدو وتبطل مكائدهم وتغلبهم على طريقك إلى الله فإنهم قعدوا على طريقك ليصدوك عن السير إلى الله وقد دعاك الله فأجبته فالعدو يتلظى حسدا وغيظا من دعوته إياك وإجابتك إياه ؛ فإنه دعاك إلى المغفرة وإلى دار السلام وأنزل عليك

بذلك وحيا فالعدو لا ينام ولا ينيم يريد أن يعدلك عنه حتى يسوقك إلى سجنه ، والهوى من جنوده فهو على المقدمة والعدو من ورائه والنفس طياشة خفيفة بلهاء تفتتن بكلمة مدخولة واهية ، فالقرآن عسكر المؤمن وجند الله الأعظم قواك به ربك فيه ذكر ربوبيته وبها يبطل كيد العدو وفيه ذكر الوعد وبه تنخدع النفس وتتلمظ بشفتيه على محمود الله ، وفيه ذكر الوعيد وبه تذل النفس وتنقمع ، وفيه ذكر أنباء القرون وبه يعتبر وتتصور له عواقب الأمور ، وفيه ذكر منن الله وإحسانه ولطائفه بعبيده وبره إياهم ، فبه يسير القلب ويرمي بما في يده صغارة له وحقارة ، فالقرآن عد خرّاتًا تقطع به بلاد العدو حتى تصل إلى دار الله بلاد الموحدين وهي المأمن والقرار ، قال الله تعالى في تنزيله : ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾ [طه : ١٢٣] ، فأجار الله تابع القرآن من الضلالة عن السلوك إلى دار المأمن وأجاره من الشقاء ، والشقاء فراق العبد من الله ، والسعادة اندساسه إليه ، و " بسم الله الرحمن الرحيم " قسم من ربنا أنزله عند رأس كل سورة يقسم لعباده أن هذا الذي وصفت لكم يا عبادي في هذه السورة حق فإني أفي لكم بجميع ما ضمنت في هذه السورة من وعدي ولطفي وبري ثم خص الشيء الذي به عظمت فتنة العباد وهو الرزق فخصه بقسم آخر فقال : ﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ [٢/ ١٨٨/ ب] مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾ [الذاريات : ٢٣] ، فإنما نزلت بسم الله الرحمن الرحيم في كتابنا وعلى هذه الأمة خصوصا ، وإذا قصدوا الكعبة لاذوا به حياء منه وطافوا به تطفلا واستدرارًا وانتجاعا وجددوا بيعة الإسلام الذي دنسوه باستلام الحجر الذي فيه بيعتهم يوم استخرجهم من الأصلاب للميثاق ، فاستأنفوا بهذا الاستلام عبودة الإسلام وإذا قصدوا السلطان ارتبعوا في ظله وسكنت نفوسهم في المستراح من ذلك الظل ، فإن الظلم له وهج وحرارة تحرق الأجواف وتظمئ الأكباد ، فإذا رأت الغنم الظل أحست بالمرا الروا[1] وبروح الظل اندفعت في السير وصيرته مفزعا فإذا صارت إلى الظل مع الظمأ والعطش الشديد ولم تجد الماء فبقيت على اليبس ووجدت الذئاب قد سبقن إلى الظل قد قعدن بمرصد للغنم فما ظن القائل بتلك

---

(١) هكذا صورتهما بالأصل .

الغنم ماذا يكون حالها وما ظنه برب الغنم ماذا يقول للراعي؟ وعسى أن يقول له : ألم أعطك أسلحة وحراسا تطرد الذئاب عن هذا المستراح؟ وكيف سددت مجرى العيون حتى عطشت الغنم؟

" فإذا جار فعلى الرعية الصبر وعليه الإصر ، وإذا عدل فله الأجر وعلى الرعية الشكر " ، فأما قوله : " إذا جارت الولاة قحطت السماء " معناه انقطاع المطر من ماء الحيوان الذي ينزل من تحت العرش من بحر الأرزاق إلى السماء في الأبزن(١) ثم من الأبزن إلى السحاب ، والأبرزن(٢) هو مستنقع الماء في السماء ، فإذا أصاب السماء القحط انقطع عن الأرض القطر ، فإذا انقطع القطر ماتت الأرض فلم تنبت لأن الأرض إنما تنبت بحياتها ، وحياتها من ماء الحيوان فإذا انقطعت الحياة عن الأرض عجزت عن الإنبات؛ لأن الإنبات بحركة الحياة ، فإذا جارت الولاة ذهب العدل عن الأرض ، وإذا ذهب العدل منعت الحياة ماء الحيوان عن أن يقطر ، فالوالي فاصل بين الحق والباطل ، فإذا ذهب الفاصل انقطعت الرحمة .

وأما قوله : " إذا منعت الزكاة هلكت المواشي " ، فإن الزكاة نمو المال والمواشي والنمو من البركة ، فإذا لم تؤد الزكاة بقي المال مع الدنس ومن(٣) العلائق ولا بقاء للبركة مع الدنس ، فإذا ارتحلت البركة عن شيء هلك ذلك الشيء لأن النسل ينقطع .

وأما قوله : " إذا ظهر الزنا ظهر الفقر " ، فمن أجل أن الغنى من فضل الله والفضل لأهل الفرح بالله وبعطائه ، والمناكحة بمحاب الله وبأمره وحبه يلتقي الزوجان على أفراح بالله فوعدهم الله بذلك في تنزيله الغنى من فضله فقال : ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النور : ٣٢] ثم بين من أين يغنيهم ؟ فقال : من فضله ، والفضل قبل القسمة ، ولذلك قال عمر : " ما وجدنا الطلب للغنى في مثل الباءة " ، [٢/ ١٨٩/ أ] وتلا هذه الآية . فإذا زنى فقد آثر الفرح الذي من قبل العدو والمستقر للآدمي السابي لقلبه عن الفرح الذي ندب

---

(١) كذا بالأصل .

(٢) كذا بالأصل .

(٣) كذا بالأصل ، ولعل الصواب " مع " .

الله إليه عباده فقال : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ ﴾ [يونس : ٥٨] ، فإذا آثر الفرح الذي بيد العدو على الفرح بفضل الله ذهب الفضل بالغنى؛ لأنه قد جاوره من يدنسه .

وأما قوله : " إذا أخفرت الذمة أُدِيل الكفار " ، لأن المؤمن عاهد الله بالوفاء بذمته ، فإذا أخفر نقض العهد فإذا نقض العهد وهن عقد المعرفة لأن المعرفة مقرونة بالعهد معقودة ، فبنقض العهد يخاف انحلال العقد ومن قبل الانحلال تذهب هيبة الإسلام ويقذف الوهن في قلبه .

١٥٠٣ـ **حدثنا** عمر بن أبي عمر ، ثنا محمد بن وهب الواسطي ، عن الوليد بن مسلم ، أنبأنا ثوبان ، عن عبد السلام ، عن ثوبان مولى النبي ﷺ قال : سمعت النبي ﷺ يقول : " لتداعن عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها " ، قلت : يا رسول الله ومن قلة بنا يومئذ ؟ قال : " لا ، بل أنتم كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله المهابة من صدر عدوكم وليقذفن في قلوبكم الوهن " ، قلت : يا رسول الله ، وما الوهن ؟ قال : " حب الدنيا وكراهة الموت " .

الأصل الثامن والسبعون والمائتان

١٥٠٤- حدثنا علي بن حجر السعدي ، ثنا خلف بن خليفة الواسطي ، عن حميد الأعرج ، عن عبد الله بن الحارث ، عن ابن مسعود قال : كان رسول الله ﷺ إذا سجد قال : " سجد لك سوادي وخيالي وآمن بك فؤادي ، أبوء بنعمتك علي ، وأبوء بذنبي ، هذا ما جنيت على نفسي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنب العظيم إلا أنت " .

١٥٠٥- حدثنا مؤمل بن هشام اليشكري ، ثنا إسماعيل بن إبراهيم ، عن خالد الحذاء ، عن أبي العالية ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ يقول في سجود القرآن بالليل مرارا : " سجد وجهي للذي خلقه وشق سمعه وبصره بحوله وقوته " .

١٥٠٦- حدثنا محمد بن محمد بن حسين ، ثنا حجاج بن نصير ، عن شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن نصر بن حزن البصري - وكان قد رأى أصحاب رسول الله ﷺ - عن رسول الله ﷺ قال : كان إذا قرأ سجد في سجدة وقرأ في سجوده : " اللهم إنا نستعينك ونستغفرك " ، وكان يسجد في حم .

١٥٠٧- حدثنا عمر بن أبي عمر ، ثنا سعيد بن أبي مريم ، عن ابن لهيعة ، عن خالد بن أبي عمران ، عن القاسم بن محمد ، [٢/ ١٨٩/ ب] عن ابن عمر قال : كان رسول الله ﷺ يقول في سجوده : " اللهم اغفر لي ذنبي كله دقيقه وجليله أوله وآخره سره وعلانيته " .

١٥٠٨- حدثنا إسماعيل بن نصر ، ثنا شبابة ، ثنا هشام بن الغاز ، عن سليمان بن موسى وزيد بن حارثة كلاهما ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول في سجوده : " أعوذ بعفوك من عقابك وأعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بك منك جل وجهك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك يا عظيم " ، فقلت : يا رسول الله ، لقد سمعتك تقول في سجودك شيئا ما سمعتك تذكره ، قال : " وقد علمت ذلك ؟ " ، قلت : نعم ، قال : " تعلّميهن وعلّميهن ؛ فإن جبريل عليه السلام أمرني أن أكررهن في السجود " .

١٥٠٩- حدثنا عبد الكريم ، أنبأنا عبد الله بن المبارك ، أنبأنا يحيى بن سعيد ، عن محمد ابن إبراهيم التيمي ، عن عائشة رضي الله عنها ، عن رسول الله ﷺ بنحوه .

قال أبو عبد الله :

فهذا ما جاءنا عن رسول الله ﷺ ولا نعلم أنه وقت شيئا في ذلك ، فهذه الأشياء التي ذكرها كلمات ضرع وقلق يريد أن يخرج بها إلى ربه من الأحداث فكان ينطق بما يتراءى له في وقته وبذلك يناجي ربه ، ثم لمن بعده من الصحابة والتابعين مقالات في سجداتهم على حسب ما يتراءى لكل واحد منهم في درجته ومقامه من ربه .

١٥١٠ـ حدثنا قتيبة بن سعيد وإسماعيل بن نصير ، ثنا محمد بن خنيس المكي ، ثنا حسن بن محمد بن أبي زيد قال : قال لي ابن جريج : حَدثني يا حسن[1] جدك عبيد الله بن أبي زيد ، سمع ابن عباس يقول : " جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، رأيتني هذه الليلة فيما يرى النائم كأني أصلي خلف شجرة ، ورأيت كأني قرأت السجدة فسجدت فرأيت الشجرة كأنها سجدت بسجودي فسمعتها وهي تقول : اللهم اكتب لي بها عندك أجرا وضع عني بها وزرا واجعلها لي عندك ذخرا واقبلها مني كما قبلت من عبدك داود " .

قال ابن جريج : قال لي جَدُّك : قال لي ابن عباس : فقرأ رسول الله ﷺ السجدة فسجد ، فسمعته يقول كما قال الرجل عن قول الشجرة . وزاد عبد الوارث ، عن أبان ، عن بكر بن عبد الله المزني ، عن أبي موسى الأشعري أنه غدا على رسول الله ﷺ فقال : إني رأيت الليلة في المنام كأني تحت شجرة أكتب سورة (ص) ، فلما أتيت على السجدة ندر القلم من يدي فسجد وسجدتُ وسجدت الشجرة وسجدت الصحيفة وسجدت الدواة فسمعت كل واحدة منهن يقول : اللهم اغفر لي [٢/ ١٩٠/أ] بها ذنبا وحط بها وزرا وأحدث بها شكرا ، فلما رأيت ذلك سجدت ، فقال رسول الله ﷺ : " صدقت وصدقت رؤياك ، توبة نبي ترقب عندها مغفرة واسجد تترقب عندها ما ترقب " .

قال أبو عبد الله :

فقد كثرت مقالات التابعين فمن دونهم في سجداتهم لم يزل لأهل التراثي في مذاهبهم كلام هناك ونجوى ، فإنما تراءى لنا في كل سجدة من سجود القرآن فهو ما ذكرنا ههنا فحيا وبات[2] للآية التي فيها السجدة .

---

(١) بالأصل " حسين " والمثبت من أصل السند .

(٢) هكذا استظهرت قراءتها بالأصل .

بسم الله الرحمن الرحيم ، سجدة سورة (الأعراف) : طابت لهم منازل القربة عندك فتطهروا عن الاستبصار وأذعنوا لك خضوعا بما عاينوا من عظيم كبريائك وعز جبروتك في الملكوت فتلقوا عظمتك بالتسبيح واستكانوا بالسجود لك خشوعا ، هؤلاء بديع كلمتك ونحن ولد بديع فطرتك وصنع يدك وأمة حبيبك والممدوحون في التوراة والموصوفون في الإنجيل بما منحتنا من مننك وفضلك وأهديت إلى المخبتين منا هداياك وكراماتك رأفة وتحننا ، سجدنا لك بحظنا من رأفتك ورحمتك ، وألقينا بأيدينا سلما نرجو مددك ومشيئتك ومعروفك يا معروفا بالعطايا الجزيلة ومحمودا على صنائعك الجميلة .

سجدة سورة (الرعد) : سجدت لك الأحباب طوعا والأعداء كرها ، سجد لك شخص الأحباب وظلال الأعداء ، أدركت رحمتك شخص الأحباب فنالت السجود ، وانزوت عن الأعداء فحرمت فسجد لك ظلالهم بالغدو والآصال تميل مع ميل الأظلة والأفناء ، طهرت تلك الأجرام والأشباح بطهارة قلوبهم بنور التوحيد فأهلتهم للسجود لك ، ونزهت سجدتك عن تلك الأجرام النجسة التي نجست برجاسة الشرك وتمكن العدو منها ، فلك الحمد علي اصطنعت إلي وإليك الرغبة يا إلهي في دوامها علي ، فكما جعلتني أسجد لك سجود الأحباب طوعا وسلما فاجعلني في جميع منقلبي ومحياي لك كذلك طوعا وسلما .

سجدة سورة (النحل) : لك سجدت الملائكة وخافوك من فوقهم وفعلوا ما أمرتهم ، ذلك بأنك عريتهم من الشهوات ، وطهرتهم من الآفات ، ومكنت لهم الزلفات فخافوك من فوقهم ، وفعلوا ما أمرتهم ولم يسبقوك بقول ، وهم من خشيتك مشفقون ، فهم عبادك المكرمون ونحن عبيدك المرحومون المحفوفون بالرأفة ابتدأتنا وباب الرحمة أخرجتنا ، ومن ضعفِ خلقتنا وبالشهوات ابتليتنا وللآفات عرضتنا وبالوعد والوعيد في [٢/ ١٩٠/ ب] الوحي أويتنا ، ولجودك ومننك ولعظيم حقنا منك وسّعْتَ علينا وأسرعت إليك السبيل لنا وجعلت منا أولياء وأحبابا بمنازل القربة لديك فخوفنا لك مع الشهوات وأفعالنا مع الوسواس والخطرات والآفات فارحمنا فإنك أعلمتنا أنك معنا في العون والنصر والتأييد يا خير من أشفق علينا ورحمنا .

سجدة سورة (بني إسرائيل) : لك خرت العلماء سجدا ، وحق لهم ذلك بأنهم شاهدوا بقلوبهم عرصة التوحيد ، وعاينوا بنور علم القربة ما هيأت لأحبابك هناك في مراتبهم من البر والوداد ، فخروا لأذقانهم سجدا مع البكاء والعويل وسبحوا لربوبيتك ، وأيقنوا بوعدك عند تلاوة وحيك ، وزادهم بكاؤهم لك خشوعا فخشعت لك جوارحهم؛ لأن الخشعة ميراث بكاء الخشية ذلك بأنك جعلت للباكي من خشيتك من عاجل الثواب أن تملأ جوارحه في الدنيا نورا وفي الآخرة ضحكا ، فيا حنان تحنن علينا بعطفك وزدنا علما بقربنا إليك واجعلنا من الشاكرين لك وتقبلها منا كما تقبلت من الذين أوتوا العلم من قبلنا .

سجدة سورة (مريم) عليها السلام : يا خير المنعمين أنعمت على النبيين والمهديين والمجتبين بالنبوة والهداية والحباية ، بك وصلوا إلى محبوبك من الأعمال وخروا لتلاوة آيات الرحمن لك سجدا وبكيا ، تلك خشعة الأحباب ، وأهل الوداد سجدوا مع البكاء شوقا إليك وقلقا لطول الحبس عنك في سجون الدنيا ، يا ودود ، فليس من لقيك في السجن عبدا قنّا في العبودة كمن لقيك في دارك دار السلام حرا ملكا محبورا مسرورا يراك جهرا قد كشفت الغطاء وتجليت لأهل الوداد عن حجب الكبرياء والجلال فأنبأتنا عن أحوالهم وأخبارهم وحيا وتنزيلا ، تَحدُونا عن ذلك من فعلهم ، هذا سجودهم قد علمته فليت شعري من أين بكيهم وما الذي أبكاهم وأين أصول ذلك المنبع وهم أهل صفوتك . . .(١) عبيدك ، إلهي فسهل لنا السبيل إلى ذلك من فعلهم ظهرا وبطنا ، ووفر حظنا من ذلك برحمتك علينا .

سجدة سورة (الحج) : سجد لك الخلق والخليقة علوا وسفلا وبرا وبحرا والحجر والمدر والشجر والدواب وكثير من الآدميين وكثير حق عليه العذاب ، ثم قلت : ﴿ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ﴾ [الحج : ١٨] ، فلك الحمد إذ أكرمتنا بالسجود ولم تجعلنا ممن أهنته ، فإن من أهنته فما له من مكرم ، ثم قلت : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾ [الحج : ١٨]

---

(١) كلمة لم أستظهر قراءتها .

فلك الحمد على ما بدا من مشيئتك فينا وعلى الرحمة التي جرت لنا بمشيئتك فينا وبإكرامك إيانا إلهي فلا تهنا بعد إذ أكرمتنا على تفريطنا وقلة شكرنا . [٢/ ١٩١/أ] ووفائنا وجفوتنا ، ولا تسلبنا خير ما أوليتنا يا عظيم الرجاء يا حسن البلاء يا كثير النعماء يا جزيل العطايا يا جليل الثناء .

سجدة سورة (الحج) الثانية : بك آمنا ولك ركعنا ولوجهك الكريم الباقي الدائم سجدنا وإياك عبدنا وإليك أنبنا ربنا ، وفعل الخير قصدنا والفلاح رجونا وأملنا والنجاح لديك طلبا فأعِنّا ، ولا تقطع مددك وعنايتك عنا ، وخذ إليك بنواصينا ، واجعل فيما لديك رغبتنا ، نور قلوبنا واشرح إليك صدورنا ، وحسن أخلاقنا ، واختم لنا بأحسن ما ختمت لعبادك الصالحين من أهل ملتنا آمين .

سجدة سورة (الفرقان) : للرحمن سجدنا وإياه وحدنا وما عنده أملنا ، وبما أمرنا من السجود ائتمرنا ، فالرحمن مولانا والرحمن خالقنا ومليكنا ، والرحمن هادينا وناصرنا ، والرحمن منّ علينا باسمه الرحمن ، ووفر منه حظنا ، وبالرحمة العظمى نلنا من الرحمن حظنا ، فالله ولينا ومولانا ، والرحمن أحيانا والرحمن أغنانا ، والقيوم آوانا ، فيا أكرم مأمول ويا خير معبود ، ويا أحسن خالق ويا أكرم مالك ، تمم علينا معروفك وما ابتدأت من الإحسان ، وتول منا ما توليت من أهل رأفتك ورحمتك ، وتعطف علينا بجودك وكرمك ، تبارك اسمك الرحمن ذو الجلال والإكرام ، علمت القرآن وخلقت الإنسان وعلمته البيان ، فلك الحمد والآلاء والنعماء يا ذا الملك والملكوت ، يا عزيز الجبروت إليك الرغبوت ومنك الرهبوت ، هديتنا لاسمك الرحمن ووفرت منه حظنا ، فأحييت منه قلوبنا ونورت به أفئدتنا ، فالفرح الدائم لمن وصل اليوم إلى الرحمن قلبا ، والسرور والبهجة وقرة العين لمن وصل إليه غدا بدنا ، فيا من غمرتني برحمتك العظمى فزادني اسمك سرورا ما زاد أعداءك نفورا ، وإنما نفرهم عن اسمك الرحمن حرمان حظهم من الرحمن ، فلم تنلهم رحمتك فجهلوا اسمك ونفروا من ذكره ، وهو الاسم الذي حييت به القلوب ، وتمكنوا به في دارك دار السلام .

سجدة سورة (النمل) : سجدت لمن يخرج الخبء في السماوات والأرض عالم الخفيات محصل ما في الصدور ويبلي السرائر ، لم يخف عليه حركات جوارحنا

ومكنون ضمائرنا وخواطر قلوبنا وهمم نفوسنا ونوازع الأهجاس منا ، سجدت لله الذي لا إله إلا هو رب العرش العظيم ، يا من على العرش استوى وعلى الملك احتوى جعلت العرش العظيم منظرا ولقلوب الأحباب عند ظمأ الشوق موئلا وفي النوائب والشدائد مفزعا ، يا ذا الأمثال العلى والأسماء الحسنى ، فأنت رب العرش العظيم [٢/ ١٩١/ ب] وكيف لا يعظم وهو مقامك للربوبية ، يا حي يا قيوم ، فمن دونه إلى ما تحت الثرى في جوف العرش العظيم ، علوت العرش واستويت عليه وأنت عالٍ على العرش ، ما يشاهد كل نجوى ، ومن حبل الوريد لنا أقرب وأدنى ، هب لنا ما أحصيته علينا مما أسرفنا على أنفسنا ، وتفضل علينا بعفوك يا ذا الجود والإفضال ، آمين .

سجدة (الم تنزيل) : آمنا بآياتك وخررنا لك سجدا ، فسبحانك اللهم وبحمدك ، تعاليت ولك الكبرياء في السماوات والأرض وأنت العزيز الحكيم ، نبرأ إليك من أن نتكبر على عظمتك ، ونعوذ بك أن ننازع أمرك ، أو أن نسبقك بقول أو نخالف عن أمرك أو نلجأ إلى أحد سواك ، أو نركن إلى مخلوق أو أن تعلق قلوبنا من دونك ، لجلالك خضعت رقبتي ولكبريائك ذلت نفسي ولوجهك الكريم الباقي الدائم وضعت وجهي ولجاهك أرغمت أنفي ولعظمتك خرت قامتي ساجدة ولربوبيتك أسلم شخصي عبودة ورقا ، فاجعل مولاي حركات منقلبي وهمي لك خالصا وعلى حقوقك عطوفا وبالعبودة لك قائما قانتا ، وبقلبي إليك هائما ، لا أوثر على حبك أحدا ولا على أمرك أمرا .

سجدة سورة (ص) : لك خررت راكعا وساجدا مفتونا وغير مفتون ، مستغفرا تائبا منيبا وأنت الذي مننت على عبدك داود في وقت حلول الفتنة بأن جعلت له السبيل إلى التوبة والاستغفار حتى خر راكعا وأناب ، فغفرت له ذلك ، وأعلمت العباد أن له مع المغفرة عندك لزلفى وحسن مآب ، وهذا في كرمك وفضلك على أحبابك موجود يا جواد وأنت به معروف ، وما أنهيت إلينا هذا الخبر من صنيعك به إلا أنك رجيت عبيدك وأملتهم ما أوليته من معروفك لئلا يقنط المفتونون ولا يتحير الخطاءون ولا ييأس المذنبون .

سجدة سورة (حم) : سبح لك من عبدك فلم تلحقهم سآمة ولا فتور ، ذلك بأنك

قريب مقاومهم[١] وعريتهم من أشغال النفوس وأنقذتهم من الوساوس والآفات ، وخلقتنا بموضع زحمة مع الشهوات والآفات ، تعتورنا أسباب البلاء وأزمة القضاء ، فنعوذ بك أن نستكبر عن عبادتك ، أو نرفع بأنفسنا عن السجود لك والإلقاء بين يديك سلما ، فمن رام عزا فإنما ناله بالتذلل لك ، وكيف لا يعز من انتصب لك خادما وألقى نفسه بين يديك عبودة وتسليما ، إلهي لو كانت لي نفوس غير واحدة لحق لي أن ألقها بين يديك وأجود بها ، وإنما سألتنيها لترحمها وتكنفها وتحوطها وتغذوها برأفتك لتصلح بجوارك غدا ، [٢/١٩٢/أ] والمصير إلى ضيافتك في فردوس الجنان يوم الزيادة ، فبك أعوذ من جماحة نفسي وحزنها على حقوقك يا أكرم داع ويا خير مجاب .

سجدة سورة (النجم) : لك سجدنا وإياك عبدنا وبأمرك ائتمرنا ، وحق أن نسجد لإلهنا ومولانا ، خلقتنا من تراب ثم من نطفة ثم من علقة في ظلمات ثلاث ؛ في بطون الأمهات والأرحام والمشيمات ، ثم أخرجتنا إلى محل الابتلاء والامتحان ودار السباق والمضمار ، وعرضتنا للبلايا والرزايا وعظيم الأخطار وفتن دار الغرور وكيد العدو وأمور الغيب في مشيئتك يا ذا القدرة والعلو والرفعة ، دعوتنا إلى دار السلام وأنذرتنا بالسجون سجون الأعداء ، ومننت علينا منة الأحباب ، وأبهمت العواقب علينا من أمورنا ، فمن ذا يرحمنا إن لم ترحمنا ، ومن ذا يغفر لنا إن لم تغفر ، ومن ذا يكشف ضرنا إن لم تكشف يا خير مدعو وأكرم مسئول ، يا راحم المذنبين تفضل علينا بعفوك ، آمين .

سجدة سورة (انشقت) : الحين والسقات[٢] أحاط بهم مولاي فاستكبروا عن توحيدك ، وفوت الحظ منك نالهم فتعظموا عن الإيمان بك وجعلوا معك إلها ، مغترين بقول العدو ، فلا إله إلا أنت سبحانك ، وكيف يسجدون إذا قرئ عليهم القرآن وهم المطرودون من بابك ، ينادون من مكان بعيد ، إنما يسجد لك أحبابك وأهل رأفتك ورحمتك والممنون عليه بذلك ، قربتهم ووفرت حظهم منك ونورت

(١) كذا بالأصل .

(٢) هكذا استظهرت قراءتهما .

قلوبهم بالسراج المنير ، وشرحت صدورهم لعظيم الآيات وأحييت قلوبهم بك ، ووصلت حبلهم بحبلك ، فكلما تلوا آياتك فذكروك ذكر الصفاء رموا بأنفسهم إليك خرورا بوجوههم ، واستروحوا إلى ذلك وتنسموا روح القربة ، وسكنوا بلطائفك نار الشوق إليك منهم ، وتلقوا أمرك بإلقائهم بين يديك مترضين لك ، فاجعلني ممن يترضاك فترضى عنه يا خير المقصودين .

سجدة سورة (اقرأ باسم ربك) : لك سجدنا وبأسباب وسائلك تعلقنا ونفوسنا بين يديك ألقينا قصدا للاقتراب منك مولانا ، فقد أنزلت في وحيك علينا أن اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة ثم قلت لنبيك : ﴿ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴾ [العلق : ١٩] ، فجعلت له بالسجود إلى القربة سبيلا ، فمن ذا يستحق القرب منك مولاي إلا من رحمته فقربته فقد اقتربت بفعلي وإلقائي نفسي بين يديك تأميلا لفضلك فيما رجيت عبيدك .

الأصل التاسع والسبعون والمائتان

١٥١١ـ حدثنا [٢/ ١٩٢/ ب] عمر بن أبي عمر ، ثنا يحيى بن سليمان الجعفي المصري ، حدثني ابن وهب ، قال : حدثني حيى ، عن أبي عبد الرحمن الحبلي ، عن عبد الله بن عمرو ، أن رسول الله ﷺ ذكر يوما فتاني القبر ، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أترد إلينا عقولنا يا رسول الله ؟ قال : " نعم كهيئتكم اليوم " ، فقال عمر رضي الله عنه : ففي فيه الحجر .

قال أبو عبد الله :

فقد فسرنا هذا الحديث في الجزء الأول من هذا الكتاب في الأصل الثالث والعشرين[١] ولكن بقيت في هذه المسألة نكتة لم نأت على تفسيرها ، وذلك أنا سئلنا : ما سبب هذه الفتنة في القبر وقد انقطعت العبودة عند خروج الروح إلى الله موحدا وانكشف الغطاء ؟ والجواب في ذلك عندنا والله أعلم أن الله تعالى منّ على الموحدين بمعرفته وتوحيده وذلك من فضله ورحمته فصاروا أولياء ، وحرم قوما فضله ورحمته فصاروا أعداء ، فكان يبعث الرسول بعد الرسول إلى الأمم ، فكان الممنون عليه يؤمن به ويتبع الرسول في شريعته ويعبده مع الرسول ، والخائب يكذب الرسول ويتخذ من دون الله وليا فيعبده فكان يمهلهم حتى يريهم الآيات ، ثم إذا لم يؤمنوا بعث عليهم عذابا فدمرهم ، ثم ينشئ قرنا آخر ويبعث رسولا ، فكان هذا سنة الله في الذين خلوا من قبل وقال في تنزيله عندما قص نبأ نوح ثم إبراهيم عليهما الصلاة والسلام وعاد وثمود وشعيب وموسى عليهم السلام[٢] وفرعون ثم قال : ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ﴾ [العنكبوت : ٤٠] ، ثم بعث الله محمدا ﷺ رسولا فقال : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] فكان من رحمته أن أعطى محمدا السيف بدل العذاب الذي كان يأتي الأمم بغتة فيهلكهم ؛ كي يخوفهم بالسيف حتى يدخلوا في الإسلام طوعا وكرها ، ثم إذا مرنت نفوسهم الكارهة في الدين على شريعة الإسلام انقادت وأطاعت

---

(١) كذا قال ، وهو في الأصل " السادس والعشرون " .

(٢) كذا بالأصل ، والضمير عائد علي شعيب وموسي عليهما السلام فقط .

وزايلهم الغش والنفاق ، ومنهم من لم يزل النفاق فيهم إلى أن مات فستر الله عليهم ذلك فكان المنافقون يخالطون المسلمين في مناكحاتهم ومواريثهم ومغازيهم ومعاملاتهم والنفاق في القلب ، ولم يكن قبل ذلك نفاق ، إنما كان تصديق وتكذيب ؛ لأنه لم يكن هناك تخويف بالسيف ، فكان المكذبون يجهرون بالتكذيب حتى يأتيهم عذاب الله بغتة فلما جاءت هذه الأمة وأوتيت السيف دخلوا في الدين طوعا وكرها فجاءهم الابتلاء في القبر لتظهر نصرة الله للمطيع في الحياة الدنيا الثابت في قبوله الإسلام وتلقين الجواب عند السؤال وتبرز مكرمته وفضله ، ويضل الله الظالمين الذين كانوا مع النفاق في أيام الحياة ، فهذا عندنا سبب فتاني القبر ، ويحقق ما قلنا

١٥١٢ـ ما حدثنا محمد بن زنبور المكي ، ثنا أبو بكر بن عياش ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، [٢/ ١٩٣/أ] عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : " هذه الأمة تبتلى في قبورها " ، فأشار رسول الله ﷺ إلى هذه الأمة خصوصا دون سائر الأمم ، فإنما ابتلوا بالسؤال ليميز الله الخبيث من الطيب فيثبت الثابت في الحياة الدنيا ويضل الله الظالم ، وقال في تنزيله : ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ ﴾ [آل عمران : ١٧٩] ، وقال تعالى : ﴿ الٓمٓ ۞ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [العنكبوت : ١-٣] . فكأن أولئك الذين من قبلهم فتنوا بالشريعة حتى يظهر من قبله صدقا ، وأما فتنة القبور ففيما قال رسول الله ﷺ : " هذه الأمة تبتلى في قبورها " دليل على أنهم المخصوصون بالسؤال للنفاق الذي كان في هذه الأمة من أجل السيف ، ثم قال : ﴿ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ ، وتأويله عندنا والله أعلم أن من مشيئته أن يرفع مرتبة أقوام عن السؤال وهم الصديقون والشهداء ، وروي عن رسول الله ﷺ أنه قيل له : ما بال الشهداء لا يفتنون في قبورهم ؟ فقال : " كفى ببارقة السيوف عليهم فتنة " .

١٥١٣ـ حدثنا بذلك محمد بن يحيى المروزي ، ثنا علي بن الحسين(١) ، أنبأنا عبد الله بن

---

(١) كذا بالأصل وفي الحديث بعد التالي ، " علي بن الحسن " والاثنان في طبقة واحدة ومروزيان ، ويرويان عن عبد الله بن المبارك .

المبارك ، أنبأنا إبراهيم بن محمد الفزاري ، ثنا صفوان بن عمرو ، عن راشد بن سعد قال : قال رجل : يا رسول الله ، ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهداء ؟ قال : " كفى ببارقة السيف على رأسه فتنة " ، معناه أنه لو كان في هؤلاء المقتولين نفاق كان إذا التقى الزحفان وبرقت السيوف إذا شهروها ، فمن شأن المنافق الفرار والروغان ، ومن شأن المسلم البذل والتسليم لله نفسا وهيجان حمية الله والتعصب له لإعلاء كلمة الله ، فهذا قد أظهر صدق ما في ضميره حيث برز للحرب والقتل ، فلماذا يعاد عليه السؤال في القبر ، وإذا كان الشهيد لا يفتن فالصديق أجل خطرا وأحرى ألا يفتن ؛ لأنه المقدم ذكره في التنزيل على الشهداء ، ولذلك لم يهب عمر رضي الله عنه أن يقول : في فيه الحجر ، بعد ما قال رسول الله ﷺ : " إن عقله يرد عليه " ، وقد جاء فيمن هو أقل منه ألا يفتن ، أتت به الأخبار عن رسول الله ﷺ من غير وجه ؛ منهم عبادة بن الصامت وسلمان الفارسي وغيرهما أنه قال : " من مات مرابطا وقي فتنة القبر وغدي برزقه وريح عليه من الجنة " ، وروي عنه ﷺ أنه قال : " من مات يوم الجمعة أو ليلتها وقي فتنة القبر " .

١٥١٤ـ حدثنا بذلك أبو قلابة عبد الله بن محمد بن عبد الله الرقاشي ، أنبأنا بشر بن عبد الله ، ثنا هشام بن سعد ، عن سعيد بن أبي هلال ، [١٩٣/ ب / ٢] عن ربيعة بن سيف الإسكندراني ، عن عياض بن عقبة الفهري ، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : " من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة وقاه الله فتنة القبر " .

١٥١٥ـ حدثنا محمد بن يحيى المروزي ، أنبأنا علي بن الحسن ، أنبأنا عبد الله بن المبارك أنبأنا هشام بن الغاز ، قال : حدثني مكحول ، عن سلمان الفارسي قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " من مات مرابطا في سبيل الله أجير من فتنة القبر ، وجرى عليه صالح عمله الذي كان يعمله إلى يوم القيامة " ، وروى هشام بن عمار ، ثنا يحيى بن حمزة ، أنبأنا عروة بن رويم اللخمي ، عن القاسم بن عبد الرحمن : زارنا سلمان قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول ، فذكر مثله ، فالمرابط قد ربط نفسه وسجنها وصيرها حبيسا لله في سبيله لمحاربة أعدائه ، فإذا مات على هذا فقد ظهر صدق ما أضمره فوقي فتنة القبر ، ومن مات يوم الجمعة فقد انكشف الغطاء عما له عند الله ؛ لأن يوم الجمعة لا تسجر جهنم ، وتغلق أبوابها ، ولا يعمل الشيطان في الناس ما يعمل في سائر الأيام ، فإذا قبض الله عبدا من عبيده فوافق قبضه يوم الجمعة كان في ذلك دليل لسعادته وحسن

ما له عند الله ، فيوم الجمعة يوم الله الذي خلق فيه آدم وذريته ، ويومه الذي تقوم فيه الساعة فيميز بين الأحباب والأعداء ، ويومه الذي يدعوهم إلى زيارته في دار عدن ، فلم يكن ليعطي فيما نعلمه بركة هذا اليوم وما ضمن هذا اليوم من عظائم الرحمة إلا من كتب له السعادة عنده ، فلذلك يقيه فتنة القبر ، فدلتك هذه الأشياء أن سبب فتنة القبر إنما هو لتمييز المنافق من المؤمن هناك في البرزخ من قبل أن يلقى الله ؛ لأن كلا الصنفين قد صلي عليهما وفعل بهما سنة الموتى من النبيين والمرسلين من الغسل والتكفين والصلاة عليهم ، فامتحنا بالسؤال ليهتك المنافق ستره بقوله : لا أدري ، كما ستر الله عليه نفاقه بحرمة ما أظهر من النطق الجميل فقال : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فأوجبه للقول في الظاهر حرمة فلم يهتك ستره في الدنيا كرما ومجدا ، حتى إذا وضع في قبره امتحنه بالسؤال ليظهر نفاقه في البرزخ قبل أن تقوم القيامة حتى يكون العبد هو الذي يهتك ستر نفسه بقوله ، والله حيي ستير لا يهتك ستر العبد حتى يكون هو الذي يهتك ستره ، فأضله عن القول كما كان في الدنيا ضالا في التستر ظالما لنفسه ، وثبت الصادق برحمته السابقة له وبما منّ عليه ، فرد عليه عقله وروحه وعلمه بالله وأطلق لسانه وشجع نفسه وقوى قلبه حتى نطق بوفارة حظه من الله ، ولم تأخذه الحيرة والدهشة لعلمه بالله الذي أكرمه بذلك العلم فأقواهم علي الإجابة وأسرعهم جوابا أوفرهم حظا من العلم بالله ، فالامتحان في القبر بعدما انقطعت العبودة مكرمة للموحد الممنون عليه بالتوحيد كما من الله عليه بالثبات في الدنيا فلم يزغ بقلبه هواه ولا عداؤه فكذلك يثبته الله في قبره ، وكما ابتلى عدة من المؤمنين في أيدي العدو بالقتل وأنواع العذاب فلم يتركوا دينهم ولم يجيبوهم إلى أديانهم فذلك الثبات كامن لهم في القبور ؛ لأن تلك العقول ترد عليهم التي بها رزقهم [٢/ ١٩٤/أ] الله الثبات .

وروي عن سفيان الثوري أنه جاء في الخبر أنه عندما يقال له : من ربك ؟ يدخل الشيطان عليه فيتمثل له ويشير إلى نفسه فيقول : أنا ، فطلبنا تحقيق هذا فوجدنا في الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه كان يقول عند دفن الميت : " اللهم أجره من الشيطان " .

١٥١٦ـ حدثنا بذلك صالح بن محمد ، عن حماد بن عبد الرحمن ، ثنا إدريس بن صبيح الأودي ، عن سعيد بن المسيب قال : حضرت عبد الله بن عمر في جنازة ، فلما وضعها في اللحد قال : بسم الله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله ، فلما أخذ في

تسوية اللبن على اللحد قال : اللهم أجرها من الشيطان ومن عذاب القبر ومن عذاب النار ، فلما سوى الكثيب عليها قام بجانب القبر ثم قال : اللهم جاف الأرض عن جنبيها وصعّد روحها ولقّها منك رضوانا ، فقلت لابن عمر : أشيئا سمعته من رسول الله ﷺ أم شيئا قلته من رأيك ؟ قال : إني إذا لقادر على القول ، بل سمعته من رسول الله ﷺ .

وروى محمد بن مقاتل ، عن ابن أبي فديك ، عن زكريا بن إبراهيم بن عبد الله بن مطيع ، عن عبد الله بن محمد ، أن إبراهيم ابن النبي ﷺ توفي فأخرج به ، فخرج رسول الله ﷺ يمشي أمام سريره ، ثم دخل قبره ، فلما رآه رسول الله ﷺ قد وضع في القبر فاضت عيناه ، فلما رأى ذلك أصحابه بكوا حتى ارتفعت أصواتهم ، ثم أقبل أبو بكر فقال : يا رسول الله ، تبكي وأنت تنهى عن البكاء ؟ فقال : " يا أبا بكر تدمع العين ويتوجع القلب ولا نقول ما يسخط الرب " ، ثم دفن فقال رسول الله ﷺ : " ما من أحد يأتينا بماء نطهر به قبر إبراهيم " ، فأتي بماء فأمر به فرش على قبر إبراهيم ثم وضع يده اليمنى على قبره من عند رأسه فقال : " ختمت عليك بالله من الشيطان الرجيم " .

١٥١٧ـ حدثني أبي رحمه الله ، ثنا أبو نعيم ، عن سفيان ، ثنا عمرو بن مرة ، عن خيثمة قال : كانوا يستحبون إذا دفنوا الميت أن يقولوا : بسم الله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله ، اللهم أجره من عذاب النار ومن عذاب القبر ومن شر الشيطان الرجيم .

الأصل الثمانون والمائتان

١٥١٨ـ حدثنا عمر بن أبي عمر ، ثنا نعيم بن حماد ، عن عبد الوهاب الثقفي ، عن هشام بن حسان ، عن ابن سيرين ، عن عقبة بن أويس السدوسي ، عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : " لن يؤمن عبد حتى يكون هواه تبعا لما جئت به " .

قال أبو عبد الله :

فالذي جاء به رسول الله ﷺ عن الله هي العبودة التي لها خلقوا ، قال الله تعالى في تنزيله : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات : ٥٦] ، وقال : ﴿ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ ﴾ [الأنعام : ١٠٢] ، فالعبودة في ترك الهوى واتباع ما جاء به ، فكل امرئ [٢/ ١٩٤/ ب] اجتمعت فيه هذه الخصال الست فقد استكمل العبودة : الحق والصواب والعدل والصدق والأدب والبهاء ، فإذا رفع أمرك إلى الله وقد اجتمعت فيه هذه الست لبق ، فإذا لبق تقبل ، وتقبله أن يعرض على الله ، فإذا نظر إليه تقبله ، فهو موضوع في الخزائن إلى يوم القيامة حتى يحاسب ويحصل ما في الصدور ، فما صفي منها قبل هناك ، وما لم يصف رمي به .

قال له قائل : صف لنا أمرا واحدا تجتمع فيه هذه الخصال ، قال : رجل صلى ركعتين في وقت طلوع الشمس أو في وقت دعته أمه فلم يجبها ، فالصلاة حق وليس بصواب في هذا الوقت ، فلم يصب الصواب ، ألا ترى أن جريجا الراهب جاءته أمه فنادته وهو يصلي في صومعته فقال : يا رب صلاتاه وأماه ، فلم يجبها ، فرجعت الأم ودعت عليه فقالت : اللهم ارمه بالمومسات ، فما لبث أن أحاطت جماعة بصومعته ليخربوها فأنزلوه وأهانوه ، وقالوا : إن أَمَتَنا هذه ولدت من زنا فزعمت أنه منك ، فتبسم ضاحكا لما علم من دعوة أمه ، وصلى ركعتين ، ثم قال لذلك المولود : من أبوك ؟ فقال المولود : أبي فلان الراعي ، فندم القوم على ذلك واعتذروا إليه وقالوا : نبني صومعتك من الذهب والفضة ، قال : لا ، أعيدوها كما كانت ، فقال رسول الله ﷺ : " لو كان جريج الراهب فقيها عالما لعلم أن إجابته أمه من عبادة ربه " .

١٥١٩ـ حدثنا سفيان بن وكيع ، أنبأنا روح بن عبادة ، عن حبيب بن عبد الرحمن قال :

سمعت حفص بن عاصم يحدث ، عن أبي سعيد بن المعلى قال : كنت أصلي فمر بي رسول الله ﷺ ، فدعاني فلم آته ، حتى صليت ثم أتيته فقال : " ما منعك أن تأتيني ، ألم يقل الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال : ٢٤] ؟ ثم قال : ألا أعلمك أعظم سورة من القرآن قبل أن أخرج ؟ " فذهب رسول الله ﷺ ليخرج فذكرت ، فقال : " الحمد لله رب العالمين ، وهي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته " .

١٥٢٠ـ حدثنا صالح بن محمد وصالح بن عبد الله قالا : أنبأنا القاسم العمري ، عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ خرج على أبي بن كعب وهو يصلي ، فسلم النبي ﷺ ، فالتفت أُبيّ ولم يجبه ، ثم صلى أبي وخفف ثم انصرف إلى رسول الله ﷺ ، فقال النبي ﷺ : " ما منعك أن تجيبني إذ دعوتك ؟ " ، فقال : يا رسول الله ، كنت أصلي ، فقال : أفلم تجد فيما أوحي إلي أن ﴿ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ " ، قال : بلى يا رسول الله ، لا أعود إن شاء الله ، قال : " أتحب أن أعلمك سورة لم ينزل الله في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثلها ؟ " ، قلت : نعم يا رسول الله ، قال : " إني لأرجو أن لا تخرج من هذا الباب [٢/ ١٩٥/ أ] حتى تعلمها " ، فأخذ النبي ﷺ يحدثني وأنا أتبطأ به مخافة أن يبلغ الباب قبل أن يحدثني ، قلت : يا رسول الله ما السورة التي وعدتني ؟ قال : " كيف تقرأ في الصلاة ؟ " ، فقرأت أم القرآن ، فقال : " والذي نفسي بيده ما أنزلت في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثلها ، إنها للسبع المثاني والقرآن العظيم الذي أعطيت " .

قال أبو عبد الله :

فأصل هذا الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه رواية عن أُبيّ رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ ، ألا ترى أنه قال في الحديث : قال : قلت : يا رسول الله ، ما السورة التي وعدتني ؟ فإنما روى أبو هريرة عن أبي رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ .

١٥٢١ـ حدثنا سفيان بن وكيع ، ثنا أبو أسامة ، عن عبد الحميد بن جعفر ، عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ : " ما فِي التوراة ولا في الإنجيل مثل أم الكتاب وهي السبع المثاني

وهي مقسومة بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل " ، وروى ابن المبارك عن هشام بن حسان عن ابن سيرين ، عن أبي عبيدة بن حذيفة ، عن أبيه ، أنه كان قاعدا مع أبي موسى الأشعري ، فأتاه رجل فقال : إني إن أخذت سيفي فجاهدت أبتغي وجه الله حتى أقتل ، أين أنا ؟ قال : في الجنة ، قال حذيفة : استفهم الرجل ما يقول وأفهمه ما تقول له ، قال : ما قلت ؟ قال : أرأيت إن أنا أخذت سيفي فجاهدت أبتغي به وجه الله حتى أقتل ، أين أنا ؟ قال : في الجنة ، قال حذيفة : استفهم الرجل ما يقول وأفهمه ، قال أبو موسى وضرب بيده : ما تزال تأتينا بشيء ما ندري ما هو ، ثم قال للرجل : كيف قلت ؟ قال : أرأيت إن أنا أخذت سيفي فجاهدت به أبتغي وجه الله حتى أقتل ، أين أنا ؟ فقال الأشعري : والله ما أدري ما أقول لك غير ذلك[(١)] ، فقال حذيفة : والله ليدخلن النار أكثر من كذا وكذا كلهم يقول ما قال هذا ولكن إن أخذت سيفك فجاهدت تبتغي وجه الله فأصبت الحق فقتلت وأنت عليه فأنت في الجنة ومن أخطأ الحق فلن يوفقه الله للخير فقال الأشعري : صدق .

قال أبو عبد الله :

فهذا حق لم يصب به طريق الحق ، ألا ترى أن رسول الله ﷺ يونس أمر بأمر فثقل عليه فتوجه نحو جزيرة من جزائر البحر ليعبد الله فيها فأصابه ما أصابه وعوقب بما عوقب ، فيحتاج العبد إلى الحق ، وفي الحق الصواب ، وفي الصواب العدل ، وفي العدل الصدق ، وفي الصدق الأدب ، وفي الأدب البهاء ، فأما الحق فكل أمر أرضي الله به ، وأما الصواب فكل أمر مرضي رضي الله لك في ذلك الوقت ، وأما العدل فأن يكون قلبك في إصابة الحق والعمل به لا يميل إلى النفس [٢/ ١٩٥/ ب] تريد به الرياء ، فيكون عدل لا جور فيه ، قد وقف قلبك بالعمل على سبيل الاستواء ، وأما الصدق في العدل فأن يرمي ببصر قلبه إلى موضع المشاهدة والنظر أن الله ناظر إليه في فعله هذا وأنه شاهده ، وأما الأدب فأن يضع كل شيء من الحركات موضعه في موضع السبق سبقه وفي موضع المبادرة مبادرته وفي موضع السرعة سرعته وفي إتمام العمل إتمامه ، وأما البهاء فوقاره وسكينته وزينته وطلاوته ولبقه وحسنه ، فالحق من المعرفة ، والإصابة من الهدى ، والعدل من الجلال ، والصدق من

(١) جاء بالأصل « فقال حذيفة : والله ما أدرى ما أقول لك غير ذلك » .

الخشية ، والأدب من العقل الأكبر في القبضة ، والبهاء من المحبة ، فمثل ذلك كمثل ثوب منسوج جوهري محكم منقوش ، فالثوب هو الحق ، والجوهر الهدى ، والمحكم من الجلال والنقش من البهاء .

الأصل الحادي والثمانون والمائتان

١٥٢٢ـ حدثنا صالح بن محمد والجارود بن معاذ وأبو طالب الهروي ، قالوا : حدثنا عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي زياد ، عن مروان بن سالم ، عن صفوان بن عمرو ، عن شريح بن عبيد الحضرمي ، عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا بلغه عن رجل شدة عبادة سأل : " كيف عقله ؟ " ، فإن قالوا غير ذلك قال : " لن يبلغ " ، وذكر للنبي ﷺ عن رجل من أصحابه شدة عبادة واجتهاد فقال : " كيف عقله ؟ " ، قالوا : ليس بشيء ، قال : " لن يبلغ صاحبكم حيث تظنون " .

١٥٢٣ـ حدثنا أبي رحمه الله ، أنبأنا جندل بن والق الكوفي ، ثنا عبيد الله بن عمرو الرقي ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : " لا يعجبنكم إسلام رجل حتى تعلموا ما عقدة عقله " .

قال أبو عبد الله :

فالعقل خلق مخلوق من نور البهاء مقسوم بين الموحدين من ولد آدم موضوع في دماغه وإشراقه وشعاعه ومعتمله في الصدر بين عيني الفؤاد وهو مدبر لأمره زاجر وآمر ومقدر ومميز ومزين ومبصر ودليل وهاد ، فبه عرف ربه ، وبه علم ربوبيته ، وبه نظر إلى تدبيره وإلى ما أظهر لخلقه من ملكه وعجائب صنعه ، وبه عرف جواهر الأمور من أمر الدين والدنيا ، وبه ينهض إلى ربه ، وذلك النهوض اسمه على ألسنة الخلق النية ؛ من قوله : ناء ينوء أي نهض ينهض ، وإنما ينهض بقصده وإلقاء همته لا أنه ينخلع من مكانه فهمه وقصده نيته وهي النهوض عن سكونه ، فهمم القلوب تطير إلى الله بنور العقول التي لها كل على قدر حظه من العقل الذي قسم له ربه ، وبين القسم تفاوت ، فإنما تفاوتت الرسل والأنبياء ومن دونهم من الموحدين في منازل الدين وفي درجات الجنان غدا ، تتفاضل العقول بالعبادة والاجتهاد فيها من ذات النفس ما هو وبال [٢/ ١٩٦/ أ] على صاحبه ؛ لأن ذات النفس هي الهوى الذي حذرنا اتباعه في التنزيل فقال : ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [ص : ٢٦] ، فإذا كانت العبادة والاجتهاد فيها مخرجها من تدبير العقل استقام الأمر وصفت العبادة وذهب الجهد من ضيق النفس وعسرتها ، والهوى يضيق أمرها عليها وهي في ذاتها

معسرة عسرة ذات نكد لخلائها وفقرها وتزاحم شهواتها في الجوف ، فإذا جاء العقل وغلب الهوى ارتد الهوى قهقرى وذل وجهد سلطانه ، فعند ذلك سكنت النفس واستقرت عن التذبذب والطيش ، ووجد القلب قرارا في مستقره ؛ لأن القلب معلق في موضعه بعروقه كالدلو بأذنيه أو كقنديل بسلاسله ، فإذا تحرقت النفس وجاء أهبوب الهوى فجاس بالنفس ودار بها دوران الرحى تذبذب القلب ، فإذا كان العقل ولي القلب غالبا للهوى فالهوى مقضي مدحور والقلب آمر مؤمر عدل في إمارته ، فلا يستعمل جارحة إلا بما يدبر له العقل ويزين وينهج سبيله ، فلذلك كان رسول الله ﷺ إذا سمع بعبادة رجل سأل عن عقله ، فإذا كان العقل مغلوبا كان القلب أسير الهوى والنفس ، فهو وإن اجتهد في العبادة فعامة عبادته خطأ وجهل ، كما فعل جريج الراهب حيث نادته أمه وهو في صومعته في صلاته فقال : يا رب صلاتاه وأماه ، فاختار الصلاة ولم يجب أمه ، فقالت أمه : اللهم ارمه بالمومسات ، فقال رسول الله ﷺ : " فلو دعت أن يفتنه لافتتن " ، وقال : " لو كان جريج الراهب فقيها عالما لعلم أن إجابة أمه من عبادة ربه " .

١٥٢٤ـ **حدثنا** عبد الوهاب بن فليح المكي ، ثنا مروان بن معاوية ، عن الحسين بن عمرو ، ثنا عبد الرحمن بن سعد بن دياب ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ ، أن جريحا الراهب كان متعبدا في صومعته زمان بني إسرائيل ، وكانت أم له تأتيه فيقطع صلاته ويكلمها ، فأتته يوما فجعلت تناديه : يا جريج ، فجعل لا يكلمها ولا يقطع صلاته ، ويقول : يا رب أمي وصلاتك ، فلا يكلمها ، فلما رأت العجوز ذلك جزعت وقالت : اللهم إن كان جريج يسمع كلامي ولا يكلمني فلا تمته حتى ينظر في أعين المومسات ، قال : وكانت راعية وراع يأويان إلى ديره فوقع بها الراعي فحملت ، وكان أهل القرية يعظمون الزنا إعظاما شديدا ، فلما ولدت أخذها أهل القرية فقالوا : ممن ؟ قالت : من جريج الراهب ، نزل فوقع بي فحملت ، فأتاه قومه فنادوه : يا جريج ، فجعل يقول : يا رب قومي وصلاتك ، وجعل لا يكلمهم ، فلما رأوا ذلك ضربوا صومعته بالفئوس ، فلما رأى ذلك نزل إليهم فقال : ما لكم ؟ قالوا : ذكرت هذه [٢/ ١٩٦/ ب] أنها ولدت منك ، فضحك ثم صلى ركعتين ثم وضع يده على رأس المولود فقال : من أبوك ؟ قال : الراعي الذي كان يأوي معها إلى ديرك ، فلما رأى قومه ذلك

جزعوا مما صنعوا به وقالوا : دعنا نبني لك صومعتك من ذهب وفضة ، قال : أعيدوها على ما كانت ، فقال له قومه : لم تضحك ونحن نريد لك من القتل والشتم؟ قال : ذكرت دعوة والدتي ألا أموت حتى أنظر في أعين المومسات ، فقال رسول الله ﷺ : " والذي نفسي بيده لو دعت الله أن يخزيه لأخزاه ، ولكنها دعت أن ينظر فنظر " ، قال مجاهد : فكان المولود أحد الثلاثة الذين تكلموا في المهد .

١٥٢٥ـ حدثنا إبراهيم بن المستمر الهذلي ، ثنا الحكم بن الريان اليشكري ، قال : حدثني ليث بن سعد ، حدثني يزيد بن حوشب الفهري ، عن أبيه ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " لو كان جريج فقيها عالما لعلم أن إجابة أمه من عبادة ربه " . وروي لنا عن نافع قال : مطرنا ذات ليلة بمكة مطرة شديدة في ليلة مظلمة ، فقال لي ابن عمر : يا نافع ، اذهب فانظر هل ترى في الطواف أحدا ؟ فذهبت فوجدت ابن الزبير يطوف ثم صلى عند المقام ركعتين ، فلما سجد جاء السيل فطفا على رأسه ، فجئت فأخبرت ابن عمر بذلك فقال : هذه عبادة مفتون .

الأصل الثاني والثمانون والمائتان

١٥٢٦ـ حدثنا أبي رحمه الله ، ثنا الحماني ، قال : أخبرني كثير بن عبد الله قال : أخبرني الحسن بن عبد الرحمن بن عوف ، عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : " ثلاثة تحت العرش القرآن له ظهر وبطن يحاج العباد ، والرحم تنادي : صل من وصلني واقطع من قطعني ، والأمانة " ، قلت : يا كثير مذ كم سمعت هذا الحديث ؟ قال : منذ ستين(١) سنة ، قلت : كم أتى عليك ؟ قال : تسعون سنة .

قال أبو عبد الله :

وظهر القرآن يحاج الظالمين أهل التخليط ، وبطن القرآن يحاج المقتصدين ؛ لأن ظاهر القرآن لأهل الجنان ، وباطن القرآن لأهل الغرف وهم السابقون عباد الرحمن ، فإنما يحاج المقتصدين لأنهم أقاموا ما أنزل إليهم من ربهم على مجاهدة منهم لأنفسهم ، فأهل الجهد لا يقدرون على صفاء الأمور ، وإنما يقيمونها مع كدورة النفس وضيعتها وتعسها وعسرتها وترددها ونكدها ، فلا يبلغون حقائق الأمور على الصفاء ، وإنما يبلغ حقائق الأمور الصافية السابقون الذين عتقوا من رق النفوس فهم أحرار كرماء ، أولئك عبيد أتقياء كما قال عيسى عليه الصلاة والسلام : يا بني إسرائيل فلا عبيد أتقياء ولا أحرار كرماء .

فالمقتصد على سبيل العدل وهو في جهد عظيم متوثق بعرى الطاعات متحصن بالهرب من الأمور والاعتزال مخافة السقوط ، فباطن القرآن أن يحاجهم حتى يقيم عليهم الحجة حتى لا يطمعوا في منازل السابقين الصديقين فأولئك صادقون ، وهؤلاء [٢/١٩٧/أ] سابقون وصديقون ؛ لأن القرآن نزل بأمر ونهي ، فالسابق يأتمر بالأمر عبودة لله ورقا للرب ، وينتهي عن النهي إعظاما لجلال الله وخشوعا لعظمة الله وخضوعا لتدبير الله ، فأعرض عنه لإعراض الله ، والقرآن نزل بوعد ووعيد ، فالوعد في داره والوعيد في سجنه ، فإذا مر بذكر داره حنّ إليها للقائه في داره والنظر إليه ، فإذا مر بذكر سجنه أشفى صدره من أعدائه بما أعد لهم ؛

---

(١) بالأصل " ستون " .

لأنه كان أيام الدنيا يألم قلبه ويجد مرارة ما يأتون من الجرأة على ربهم في العظائم ، والقرآن نزل بضرب الأمثال ، وقلبه جرأة قد عاين ببصر قلبه ما وصف له وكأنه شاهدهم بقلبه فوافق الأمثال ما شاهد بقلبه وزاده إيمانا مع إيمانه ، والقرآن نزل بذكر ما خرج من الأمة وأنبأ ما في الملكوت فوقع قلبه في رياض البهجة بذكر تلك الأشياء ، فإذا قرأ سورة (ق والقرآن المجيد) وأشباهها من السور وما وصف من ذكر السماوات والأرض وقوله : ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الأعراف : ١٨٥] إلى ﴿ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ * وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾ [ق : ٦-٧] ، ثم قال : ﴿ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴾ [ق : ٨] ، إلى قوله : ﴿ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً ﴾ [ق : ١١] ، إلى آخر الآية ، عملت فيه بهجة الآية ، والقرآن نزل بحججه الدامغة للباطل على أعدائه فتقوى بها وازداد بصيرة ، والقرآن نزل باللطائف وعلائم الرأفة والمحبة للعباد فازداد بالله علما وبمنازل العباد منه معرفة ، والقرآن نزل بمحض التوحيد وعلم البدء والفردية فلها عن كل شيء سواه وانفرد تعلقا بفرديته ، فهذه صفة السابقين ؛ أعينهم إلى الله شاخصة ، ولتدبيره مراقبة ، لأحكامه منقادة مسلمة ، والمقتصد في خلو من جميع ما ذكرنا ؛ يأتمر بالأمر جهد شاء أو أبى مخافة فوت الثواب ، ويتناهى عن النهي مخافة العقاب ، ونفسه شهوانية ثقيلة في الائتمار ، بطيئة عن المسارعة في الخيرات ، متحملة أثقال الأمر ، جموحة في نهي الله ، فهي ملجمة بالوعيد ، فلولا أن صاحبها ممسك بعنانها على الدوام على ذلك لركضت به في ميدان الخاسرين ، وإذا مر بذكر الجنان حن إلى نعيمها ، إلى ما أعد الله فيها للعمال ، من ذلك الحنين تخف العمال عليه ، وإذا مر بذكر الوعيد ذبل وتحير وانقبض عن الأمور مخافة الهلكة فيها فهو معتزل وحداني ، وإذا مر بذكر القرآن فإنما يسمع أخبار قوم قد مضوا لا يحتظي منها شيئا ، وإذا مر بذكر أخبار الملكوت علم من ذلك مقدار أهل التوحيد ؛ لأنه لم ينكشف [٢/ ١٩/ب] له الغطاء ، فذاك لا يجاوز سمعه ، وأما اللطائف والوداد فهو لغيره ، فكيف يلتذ بلطف غيره ؛ لأن الجهد قد أوحشه ، والتعب والنصب قد أرقده ، ونفسه قد خنقته بسوء أخلاقه وضيق صدره ، فمن

أين يعرف اللطائف وأنى له الوداد وهو لم ينل الحبل فيتعلق به ، إنما نال الخشية فتعلق بها ليصدق من نفسه قوله بفعله .

الأصل الثالث والثمانون والمائتان

١٥٢٧ـ حدثنا عمر بن أبي عمر العبدي ، ثنا سعيد بن أبي مريم ، ثنا رشدين بن سعد قال : حدثني زبان عن سهل بن معاذ بن أنس ، عن أبيه ، عن رسول الله ﷺ أنه كان يقول : " ألا أخبركم عن وصية نوح ابنه حين حضره الموت ؟ قال : إني واهب لك أربع كلمات هن قيام السموات والأرض ، وهن أول كلمات دخولا على الله وآخر كلمات خروجا من عنده ، ولو وزن بهن أعمال بني آدم لوزنتهن فاعمل بهن واستمسك حتى تلقاني ؛ أن تقول : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، والذي نفس نوح بيده لو أن السموات والأرضين وما فيهن وما تحتهن وزنّ بهؤلاء الكلمات لوزنتهن " .

قال أبو عبد الله :

فنعم الواهب ونعمت المواهب ونعم الموهوب له ، هذا نوح رأس المرسلين صلوات الله عليهم أوصى ابنه عند وفاته وخروجه من الدنيا ، ثم صير الوصية هبة لتكون تمليكا ، ولا يكون تمليك إلا من مالك ، فكأنه دل هذه الكلمة من قول نوح : إني وهبت لك أي هذه الكلمات وقد وهبت لي ، فأنا واهب لك من قبل أن يزول الملك مني بمزايلة الروح الجسد وبمزايلة العقل والنبوة القلب والروح حتى ترثه أنت دون سائر الورثة ؛ لأن الورثة إنما يرثون ميراث الدنيا بحكم أهل الدنيا ، وأولاد الرسل إنما يرثون آباءهم ميراث النبوة بحكم الله الرباني ، وذلك قوله : ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ﴾ [النمل : ١٦] ، فإنما ورث منه بخلافة الخليفة ، وقال زكرياء : ﴿ فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۞ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ﴾ [مريم : ٥-٦] النبوة ، فهذا الولد هو سام بن نوح فيما روي في الخبر وهو أبو العرب والعجم المجاورين للعرب ، وأما حام فهو أبو الحبشة والهند والسند ، وأما يافث فهو أبو الترك والسقالبة ، فكان هؤلاء الثلاثة ممن ركبوا السفينة معه ، وامتنع كنعان الابن الرابع وحال بينهما الموج فكان من المغرقين .

١٥٢٨ـ حدثنا أبي رحمه الله ، ثنا أحمد بن يونس ، عن إسماعيل بن عياش ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب قال [٢/ ١٩٨/ أ] : ولد نوح ثلاثة : سام وحام ويافث ، قال : فولد سام العرب وفارس والروم وفي هؤلاء خير ، وولد حام السودان والبربر والقبط

وولد يافث الترك والسقالبة ويأجوج ومأجوج ، أراه قال : وليس في هؤلاء خير .

فإنما صار هذه الأربعة قيام السموات والأرض وما فيهن لأن الله تعالى خلق السموات والأرض وما فيهن بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون ، وحقيقة القائمين في الوفاء بمقالة : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وإنما يطالب الله عباده بحقيقة القيام بهذه الكلمات الأربع حتى يرضي الحق ، فالسموات والأرض وما فيهن مسخرات للآدمي ليقوم هذا الآدمي بمقالة سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر منطقا ، وليقوم بمقالة هذه الأربع عملا وليقوم بمقالة هذه الأربع وفاء لطهارة هذه الأربع ونزاهتهن وقدسهن ، فمن قام من الآدميين بهذه الأربع بهذه الصفة التي وصفنا كان ولي هذه الكلمات وكان ولي الله ، وبه تقوم السموات والأرضون وما فيهن ، وإنما صار في الوزن أثقل من السموات والأرض وما فيهن وأوزن من أعمال بني آدم لأن هذه الكلمات عماد الأعمال ، فبالتسبيح تطهر الأعمال ، وبالتحميد تحط أثقال النعم ، وبالتهليل تقبل الطاعات ، وبالتكبير ترفع وينال الثبات .

وأما قوله : " أولهن دخولا على الله وآخرهن خروجا من النار " ، فإن هذه الكلمات رءوس الكلام وأمناؤه ومهيمن على سائر الكلام ، فالأمناء أولهم دخولا على الملك يوم يقعد لعرض الأجناد وتدبير الملك فيرفعون إليه أمور الرعية ، ثم يأذن للرعية فيعرضهم ، فإذا خرجوا من عنده كان التدبير مع الأمناء وقضاء حوائج الرعية على أيديهم وإحكام أمورهم معهم ، ويخرجون إلى الرعية بقضاء حوائجهم وقبول معاذيرهم ونوال عطاياهم ، فكذلك هؤلاء الكلمات يدخلن على الله يوم تعرض الأعمال في اثنين وخميس ، ثم تجيء الأعمال بعد ذلك على إثرهن فيعرضون على الله ، فتزكية الأعمال وتوفيرها من هؤلاء الأمناء يشهدون لهم بالصدق ، وإذا خرجت الأعمال بقوا هؤلاء عنده لتوفير التقصيرات وتصحيح الأعمال وتقوية النفوس ومدد القلوب ، فهن المستأديات للأعمال والمسهلات لسبيل الأعمال والشفعاء والمزينات ؛ لأن على طريق العرض سماطي الملك ؛ ملك الرحمة وملك العظمة وملك السلطان وملك البهجة وملك الجمال وملك الجلال وملك البهاء ، فهذه الكلمات تطرق للأعمال إلى مالك الملك وتسهل

السبيل وتشفع وتزين وبهن يقرع الباب ، ومثل ذلك مثل ملك أصبح فعرضت عليه أعمال الرعية فاجتمعت الرعية على باب الملك فأول من دخل عليه الوجوه وسراة الرعية والمختص بالوسائل ، فإذا دخلوا عليه قربهم في المجلس وأدناهم من نفسه [٢/١٩٨/ب] وأحلهم محل الأمناء والخاصة فإياهم يأتمن وعليهم يُقبِل ومنهم يَقبَل وإياهم يسعف بالحوائج ، ومن أجلهم يأذن لهم على قدر ما يثني كل واحد منهم على الرعية ، وينشر عن طاعتهم للملك وصدقهم ووفائهم ونصحهم ، يقبل الملك على هذه الرعية ويسمع منهم ويقضي حوائجهم ويجزل عطاياهم ، فهؤلاء وفود الرعية ، فهذا مثل هذه الكلمات ثم للقائلين بها درجات تتفاوت ، ومثل ذلك مثل هذا الملك يجتمع ببابه هؤلاء الوفود الذين وصفناهم فهم أول من يدخلون عليه كما ذكر بدءا ، فأوجههم عند الملك أحسنهم هيئة وأعقلهم وأعذبهم منطقا وأفصحهم لسانا وأصبحهم وجها وأطهرهم خلقا وأبهاهم زيا وسمتا وأنقاهم ثيابا وأقصدهم مشيا وأفهمهم عنه إشارة وأوعاهم علما ، فالحظ كل الحظ والوفارة كل الوفارة في الحظ والإجابة كل الإجابة بنعم والإسعاف كل الإسعاف بالحوائج لمن كانت هذه صفته من بين الوفود .

فكذلك هذه الكلمات قد وعتها القلوب ووعت معانيها الصدور وزينتها العقول لأفئدة القلوب ، وأشرقت أنوارها في الدويات وبين أودية الأفكار وعلى بصائر النفوس وأسماع هواجس الأحلام ، فمن كان قلبه واعيا لنور الله الأعظم وصدره مشرقا بذلك النور وعين فؤاده منكشفة الغطاء عن زينة العقل وبهائه ، قد سد تراكم أنواره خلال الروايات واحتذت لها بصائر النفوس وأذنت أسماع الهواجس واحتشت من نور الحياة فإنما تخرج الكلمات إلى الله من بين هذه الأشياء ، فهذا بحر الله فيه جواهر الله ، فإنما يصعد إلى الله جواهر قد غاصها قائلها من بحره ، فولي البحر أعلم بأثمان تلك الجواهر قد عجز عن علم أثمانها جميع الخلق .

قال له قائل : ما أثمانها ؟ قال : حب الله ، فمن ذا يدرك مقادير حراراته وفورانه وشعله ، ومن يحصيها من العدو ويعلم كنهها إلا محبوبه الذي يثيره ، قال : وكيف يثيره ؟ قال : يثير الحب الذي وضعه في العبد بالحب الذي عنده للعبد ، فمن خرجت منه هذه الكلمة من حبه من بحره من نمو حبه فدخلت هذه الكلمات منه

على الله كنّ أول من يدخلن ، ثم تعرض أعماله بعد دخولهن ، فكل عمل إنما يقتضي ثوابه هذا الحب الذي إنما صارت هذه الكلمات وجيهة عند الله بهذه الأشياء التي وصفنا ، وإنما نال هذه الأشياء بلب هذه الأشياء ، ولبها حب العبد لله ، ولب ذلك اللب حب الله لعبده ، ومن كان قلبه خاليا من جميع ما وصفنا إلا أنه مؤمن بهذه الكلمات قد تضمن توحيده نفس هذه الكلمات وعلما بها ومعرفة لها فهو مقر بها ناطق لها باستقرار القلب بذلك [٢/ ١٩٩/ أ] التوحيد والإيمان ، قد خلا قلبه عن أنوارها وحشو ما فيها ، فإنما يصعد إلى الله إيمانه بتلك الكلمات واستعمال صدره بإيمان تلك الكلمات ، وبذله لسانه بدورانها بالنطق بذلك حتى صير التصوت بها وذرو[١] لهجته في النطق ، فهذا هو فقط ، وإنما تدخل هذه الكلمات من قائلها على هذه الهيئة وتلك على ذلك ، وإنما تكون كلمته من الله قربا ودنوا ووسيلة وجواز قول ونوال عطية على قدر هيئته وتلك على قدر هيئته ، فاعتبر بشأن هذا المثل الذي ضربنا لك بدءا من شأن الملوك والسراة المقدمين في الإذن ، قال الله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت : ٤٣] فالقانص من بحر الله هذه الكلمات هو عبد قد طالع مقاسم الكلمات كيف انقسمت على أمور العباد في موضع المقسم على العرش ، وطالع حكمة التأليف لحروف الكلمات في ملك الملك في تلك الكلمات ، وطالع ما في حشو كل حرف منها في المبدأ ، فهو إذا نطق بها لاحظ المقسم فوجه بلحظته بكل كلمة من معدنها الذي عدت فيه هذه الكلمة إلى المعدن الذي منه جرى إلى العبد ، وكل كلمة لها نوبة من الأمور والأفعال ؛ فالتسبيح تبرئة من الهواجس ، والحمد يكشف عن النعمة وصنع الصانع ، والتهليل يبرئ عن العلائق ، والتكبير يثبت القيومية له عن الزوال ، فعين فؤاده يدور مع دوران لسانه حتى تقسم اللحظات للكلمات على الأمور ، فيلاحظ الهواجس ويلاحظ النعم ويلاحظ الشرك ويلاحظ الزولان ، فتنتقل لحظاته كما ينتقل دوران لسانه من كلمة إلى كلمة ، فكذلك تنتقل لحظته للهواجس ومن الهواجس إلى

---

(١) كذا بالأصل .

النعم ومن النعم إلى الشرك ومن الشرك إلى الزولان ، وآخرا على من هذا طالع هذا كله وطالع حكمة التأليف لحروف الكلمات وولي تلك الحكمة ومؤلفها وهو لطف اللطيف فهو يلاحظ بنور اللطف حكمة التأليف وآخرا على . . . [١] طالع ما في حشو كل حرف منه من قوله (سبحان الله) ، ما حشو السين وما حشو الباء وما حشو الحاء وما حشو الألف وما حشو النون ؟ ومن قوله : (الحمد لله) ، ما حشو كل حرف منه ؟ وما علة الألف واللام في قوله : الحمد ، فإن نفس الكلمة حمد ، والألف واللام ملحقتان ، وما حشو حروف التهليل وما حشو (لا) وما حشو (إلا) وما حشو ألوهة الله ، وما حجز ما بين (لا) و(إلا) وإنما (لا) لام وألف و(إلا) ألف ولام مضاعفة وألف فبـ (لا) نفى وبـ (إلا) أثبت ، فعين براقة بنور الله مددها[٢] لهذه الأحشاء ، فالموحدون في هذه الكلمات على ثلاثة أصناف : صنف هذه الكلمات تخرج من توحيده ، وصنف آخر تخرج هذه الكلمات [٢/ ١٩٩/ ب] من توحيده مع علم نوراني مقربي ، وصنف آخر تخرج منه من توحيده مع انكشاف الغطاء من معادن الحروف وملاحظة تلك الحروف في المعادن وذلك نور الفردية والله أعلم .

---

(١) كلمة لم أستظهر قراءتها .

(٢) هكذا استظهرت قراءتها

الأصل الرابع والثمانون والمائتان

١٥٢٩ـ حدثنا علي بن حجر السعدي ، ثنا الوليد بن محمد الموقري ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : دخل علي رسول الله ﷺ فرأى في البيت كسرة ملقاة ، فمشى إليها فرفعها ومسحها وقال : " يا عائشة ، أحسني مجاورة نعم الله ؛ فقلّ ما نفرت عن قوم فكادت ترجع إليهم " .

قال أبو عبد الله :

فرأس نعم الدين نور التوحيد معرفة بالقلب وشهادة باللسان أن لا إله إلا الله ، ورأس نعم الدنيا هذا الجسد الذي هو قالب لهذه النعمة الفائقة للنعم ، وأن الله تعالى أنعم عليك بنور التوحيد حتى عرفته ، ثم وضع لك حول قلبك في صدرك بيدرا من الأنوار يتربى فيها نور المعرفة ، وأنعم عليك بهذا القالب المجسد ووضع حوله بيدرا من نعم الدنيا بيوتا فيها هذا الجسد ، فأمرت بحسن مجاورة نعم هذين ، فحسن المجاورة مع نور المعرفة أن لا تذكر كل شيء سواه وأن لا تؤثر عليه أحدا وأن لا تقرن بمشيئاته مشيئات النفس ، وأن لا يلهيك الهوى عن الوله إلى الله في كل حالاتك ، وحسن مجاورة نعم الجسد لا تستعمل جارحة من جوارحك إلا له وبرضاه .

الأصل الخامس والثمانون والمائتان

١٥٣٠ـ حدثنا أبي رحمه الله ، ثنا الحماني ، ثنا حيان بن علي ، عن محمد بن عبيد الله بن أبي رافع ، عن أبيه ، عن جده قال : قال رسول الله ﷺ : " إذا طنت أذن أحدكم فليصل عليّ " .

١٥٣١ـ حدثنا إبراهيم بن موسى الفراء ، عن هشام بن يوسف الصنعاني ، عن عبيد الله بن المغيرة قال : كنا مع المغيرة بن حكيم فصّرت أذن رجل من القوم ، فقال المغيرة : إنه كان يقال : إذا صرت أذن العبد فإن الله يذكره ، فليذكر الله أو فليحسن ذكر الله .

قال أبو عبد الله :

فالأرواح حية ذات طهارة ونزاهة ولها سمع وبصر وبصرها ببصر العين ، ولها سطوع في الحق تجول وتجول ثم تصعد إلى الله إلى مقامها الذي منه بدت ، فإذا تخلصت من اشتغال النفس أدركت من أمر الله ما يعجز عنه البشر فهما ، ألا ترى إلى قول سلمان للحارث : كيف أنت يا حارث ؟ قال : ومن أين عرفتني ؟ قال : عرفت[1] روحي روحك . وكذلك قال أويس لهرم بن حيان .

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : " إن الأرواح لتتلاقى في الهوى [٢/ ٢٠٠/ أ] وأحدهما من صاحبه على مسيرة يوم وليلة ، وإن الأرواح خلقت قبل الأجساد بألفي عام فتشامت كما تشام الخيل ثم هي جنود مجندة ، فإذا التقوا فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف " ، فهذا كله عن رسول الله ﷺ .

فلولا أنها مشغولة بالنفس وشهواتها لأوردت بالعجائب على صاحبها من درك الأشياء ولكنها تدنست بما لبست من أثواب اللذات وتكدرت بما شربت من كأس حب الدنيا وخالطت الهوى ومالت نحوه ، فمن صفّاه وأخلصه ونزّهه فقد ظفر بنور اليقين وفاز بالحظ العظيم والكأس الأوفى ، وإن رسول الله ﷺ لما قبض قيل له : إلى أين يا رسول الله ؟ قال : " إلى السدرة المنتهى ، فلكل رسول في السماء مستقر إذا قبض ، فلآدم السماء الدنيا ، وليحيى وعيسى السماء الثانية ، وليوسف السماء الثالثة ، ولإدريس السماء الرابعة ، ولهارون السماء الخامسة ، ولموسى السماء السادسة ،

---

(١) بالأصل « عرف » .

ولإبراهيم السماء السابعة ، ولمحمد ﷺ السدرة المنتهى بباب الله عند الحجاب ، وهو مستمر هناك يسأل الله لأمته في كل يوم لكل صنف ، فللمتهافتين التوبة وللتائبين الثبات وللمستقيمين الإخلاص ولأهل الصدق الوفاء وللصديقين وفارة الحظ ، ولذلك ما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : " حياتي خير لكم وموتي خير لكم " .

١٥٣٢ـ حدثنا بذلك صالح بن محمد ، ثنا زاهر بن سليمان ، عن بكر بن خنيس ، عن عباد ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " ألا إني لكم بمكان صدق حياتي وإذا مت " ، فقال عمر رضي الله عنه : يا رسول الله إذا مت ؟ قال : " لا أزال أنادي في قبري : رب أمتي أمتي حتى ينفخ في الصور النفخة الأولى ، ثم لا تزال لي دعوة مجابة حتى ينفخ في الصور النفخة الثانية " ، فطنين الأذن من قبل الروح ؛ لأنه بحدة بصره وخفته وطهارته وحياته وسطوعه إلى المقام أدرك في وقت سؤال رسول الله ﷺ بباب الله له شيئا وذكره الله إياه بخير فرجع إلى أصله المتمكن في رأسه وقلبه بذلك الخير والبشرى ، فطنت الأذن لصوت وحيه وما جاء به من الخير ، فلذلك قال : " فليصل على النبي ﷺ " ؛ لأنه ذكره عند الله في ذلك الوقت وطلب له منه شيئا فاستوجب منه الصلاة ليكون فيه أداء حقه ، فهذا وما أشبهه مكرمات الموحدين من ولد آدم ، وكذلك العطاس هو في ذلك الوقت ذكر من الله لذلك الروح بخير فابتهج الروح وسطع نوره ، فذلك الصوت من سطوعه ، ولذلك قيل : عطس وسطع ، وهما كلمتان مستعملتان في نوعين ، يقال : سطع وعطس ، فلذلك أمر أن يحمد ربه ، وأول من فعل ذلك آدم عليه السلام لما استقر فيه [٢/ ٢٠٠/ ب] الروح وانتهى منتهاه وخلص إليه ذلك الضيق في ذلك اللحم والدم عزي وذكر بخير فازدهر وسطع نوره كالمسرور بما عزي .

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : " العطاس من الله " ، وقال : " من حدث بحديث فعطس فيه فهو حق ؛ لأن ذلك وقت ذكر الله للأرواح ، فلا يقول صاحبه إلا حقا " ، ولذلك وجب للمسلم على المسلم حق التشميت لأنه ظهر عليه أثر نعمة الله في ذلك الوقت ؛ الذكر . وروي أنه قال : يا داود إن سمعت عاطسا من وراء سبعة أبحر فاذكرني .

الأصل السادس والثمانون والمائتان

١٥٣٣ـ حدثنا قتيبة بن سعيد ، ثنا الخنيسي ، أنبأنا وهيب ، عن عطاء بن قرة السلولي ، عن عبد الله بن ضمرة قال : قال رسول الله ﷺ : " الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله أو معلم أو متعلم " .

١٥٣٤ـ حدثنا صالح بن محمد ، ثنا إبراهيم الأسلمي ، عن رجل ، عن عطاء بن قرة السلولي ، عن عبد الله بن ضمرة ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ بنحوه ، لم يذكر قتيبة في حديثه أبا هريرة رضي الله عنه .

قال أبو عبد الله :

فالدنيا هي هذه الدار التي دورت أرضها تدويرا بجبل قاف وأحيط عليها بالجبل ، وتلك دار أخرى فهي آخرة ، وهذه أولى ، قال الله تعالى في تنزيله : ﴿ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ﴾ [الليل : ١٣] .

وسميت هذه دنيا لأنها أدنى إليك ، والآخرة تعقب هذه ، إذا ذهبت هذه جاءت تلك ، فتلك اسمها عاقبة لأنها تعقب هذه ، قال الله تعالى : ﴿ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأعراف : ١٢٨] ، وسميت هذه عاجلة لأنها عجلت ، وتلك آجلة لأنها أجلت ، ففي هذه الدار زينة وحياة ، وفي تلك الدار زينة وحياة قرينة هذه الدار أصلها من تلك الدار ولكنها نبتت ونشأت من أرض هذه ذهبها وفضتها وجواهرها ومياهها وثمارها ورياحينها وطيبها وألوانها ونعيمها ، وحياة هذه من الروح المركب في هذا القالب الذي هو من اللحم والدم والعظم والعصب والعروق والشهوة واللذة في هذا القالب ، وأصل الشهوة من الفرح ، وأصل اللذة من الذهن ، وأصل القالب من تراب ، والحياة مسكنها في الروح ، والروح مسكنه في الدماغ ثم هو متفش في جميع الجسد وأصله معلق في الوتين عرق القلب مشدود هناك وذلك العرق نياط القلب ، والنفس مسكنها في الباطن ثم هي متفشية في جميع الجسد وأصلها مشدود بهذا العرق ، والشهوات في النفس واللذة منها وعملها في الذهن ، فهذه المرتبة والحياة التي في النفس تستعمل هذا القالب ، فما كان من عمل العين خرج إلى العين ، وما كان من عمل السمع خرج إلى [٢/ ٢٠١/ أ] السمع ، وما كان من عمل المنطق خرج إلى اللسان وما

كان من عمل اليد خرج إلى اليد ، وما كان من عمل الرجل خرج إلى الرجل ، وما كان من عمل البطن خرج إلى البطن ، وما كان من عمل الفرج خرج إلى الفرج فمخرج الأعمال إعمال الجوارح السبع من الفرح الذي في القلب ، فإذا حزن القلب ذبلت النفس وانطفأت نار الشهوة وتعطلت الجوارح عن العمل وسكنت الحركات ، وإذا فرح القلب هاجت النفس فصارت قوية طرية وأثارت نار الشهوات واستعملت الجوارح كلها فإنما التي تستعمل الجارحة التي يحيا لها فالفرح رأس أعمال الجوارح والعبد مبلو بهذا الفرح فإذا حيي القلب بالله ففرح بشيء من زينة الدنيا تراءى ذلك النور الذي في قلبه وتلك الحياة التي لقلبه صنع الله في تلك الزينة وخلقه لها ورحمته فيها ورأفته على عبده بذلك فقبلها من ربه واستبشر بها وصار ذلك الفرح لله ونطق بالحمد لله وأضمر على الطاعة شكرا لله وإظهارا لعلمه بأني أعلم أن هذا لي من الله حتى يأخذ ذلك بجامع قلبه ويملأ صدره من ذلك الفرح ، وينتشر ذلك الفرح من صدره في جميع جوارحه فيذهب كسله ويقوي عزمه وتتجدد نيته وتطيب نفسه ، فهذا عبد حامد لله شاكر له قد صدق علمه بأنه من الله بقوله بلسانه الحمد لله ثم يصدقه بفعل جوارحه شكرا لله ، وإذا هاج الفرح بتلك الزينة من قلبه وكان قلبه محجوبا عن الله وصدره مظلما بغيوم الهوى ودخان الشهوات ودين الذنوب لم يتراءى لعيني فؤاده صنع الله في تلك الزينة ولا خلقه لها ولا رحمته فيها ولا رأفته عليه فجاء الهوى بكبره والنفس بعلوها وتجبرها فصار الفرح للنفس والفرح بالدنيا وبمراءاة الأشكال والأضداد يناطح بتلك الزينة الأضداد ويباهي بها الأشكال فظهر الفساد من الجوارح ، وخرجت السيئات من الجسد كل سيئة من معدنها من قلة الرحمة وقلة الرأفة وقلة المبالاة وترك النصيحة ، وظهرت الفظاظة واليبوسة والغلظة والقسوة ورذائل الأخلاق حتى صارت الجوارح إلى الغش والمكر والمخادعات وإلى أفعال الجسد وإلى سوء النيات والمقاصد وخرج إلى الفرعنة والتجبر كل على قدره يتنعمون بنعم الله ويتلذذون بتلك الزينة ، وتلك اللذات فرحا وأشرا وبطرا في هيئة أهل الكفر بالله والجحود له فقد تبين أن أصل هذا الأمر كله من الفرح ، فمن قدر أن يصرف هذا الفرح منه إلى الله في كل عمل وفي كل أمر من دنيا أو آخرة بنور قلبه وإلا فقد وقع في الوبال ، فإن كان فرحه في أمر الدنيا أشر وبطر وتملك وإن كان

في أمر الآخرة أعجب وتكبر وصار [٢/ ٢٠١/ ب] مرائيا ، فمن صرف ذلك إلى الله لم يزدد لربه إلا خشوعا وخضوعا وحبا فحمده ودعاه ذلك إلى شكره بجميع جوارحه وذلك حفظ الجوارح السبع على أمر الله وإقامة فرائض الله والقيام بحقوق الله ، ومن لم يقدر على ذلك سباه فرحه فصار سبيا من سبي النفس ، وإذا نالت النفس الفرح كان بمنزلة رجل متغلب وجد كنزا وأموالا جمة فاحتوى عليها وفرقها فيمن اجتمع إليه من الغواة حتى صاروا أعوانه وأتباعه فخرج بتلك القوة على أمير البلد وعمد إلى الأمير فسجنه فالأمير في الوثاق في السجن ، والخارجي يدوس البلد دوسا فإن تداركه أمير المؤمنين بمدد وجيش وكنز فقد نصره ، وإن تركه مخذولا فقد ذهبت الإمرة فهذا شأن القلب مع النفس وقد حذر الله تعالى عباده في تنزيله في قصة قارون فقال : ﴿ لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴾ [القصص : ٧٦] وقال : ﴿ وَفَرِحُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْآخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴾ [الرعد : ٢٦] وقال تعالى : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس : ٥٨] ، فدلك على الفرح بفضله ليصرفك عن الفرح بجمعه ، فإن فرح الجمع هلاك الدين والقلب ، وفرح الفضل والرحمة يؤديك إلى الله تعالى لأن كل من فرح بشيء أقبل إليه وطلبه ، فإذا رأى الله من عبد إقبالا على هذه الدنيا الدنية وعلى هذه الشهوة الرديئة أعرض عنه رددتها عليه ، حتى يكون همه دنياه وهمته شهوات نفسه ، وطلبه للعلو فيها حتى يضاد أقضية الله وتدبيره يقطع بها عمره خاب عن الله وخسر الدنيا والآخرة ، وإذا رأى إقباله على ربه صنع له جميلا وهيأ له تدبيرا ينال به فوز العاجل والآجل وسعادة الدارين .

١٥٣٥ـ **حدثنا** محمد بن مصرف اليامي ، ثنا محمد بن بشر العبدي عن جنيد بن العلاء بن أبي زهرة عن إسماعيل بن عبد الله عن أم الدرداء عن أبي الدرداء رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : تفرغوا من هموم الدنيا ما استطعتم ، فما أقبل عبد بقلبه على الله إلا أقبل الله تعالى عز وجل بقلوب المؤمنين ، تفد إليه بالود والرحمة وكان الله بكل خير إليه أسرع .

قال أبو عبد الله :

فإذا نظر الله إلى عبد بالرحمة وقلبه مأسور في إسار النفس أمده من عنده بما إذا صار المدد إليه تاب فتاب الله عليه ، ومن توبة الله تعالى على العبد إقباله فإذا أقبل عليه

تلظت جمرة الإيمان في القلب فتوردت أشجار الخيرات وأينعت كما تتورد بساتين الدنيا وتينع أشجارها ، إذا وجد القلب هذه القوة أقبل على النفس بالزجر لها بسلطان قوي حتى يقمعها بمنزلة ما ضربنا له المثل بدءا أن هذا الخارجي [٢/ ٢٠٢/ أ] إذا سمع أن جيش أمير المؤمنين قد أقبلوا هرب من الكورة وتخلى عنها ، وخرج الأمير من السجن فقعد في إمرته واحتوشته الجنود وفرق الأموال والكنوز التي جاءته من أمير المؤمنين في جنوده ، وقصد للخارجي يحاربه فما زال الخارجي يحاربه ويتباعد قليلا والأمير خائف مع هذا الجند لا يأمن ثباته وافتراصه ، فهو مشغول بالحراسة يحرس جنده ونفسه ويسأل أمير المؤمنين بزيادة مدده فلا يزال يمده حتى إذا أمده بغاية المدد أخذه أسيرا ، ويكون الخارجي نظر إلى كثرة المدد فعلم أنه لا يقاوم أمير المؤمنين فألقى بيده سلما وأسلم وتاب على يدي أمير المؤمنين فعندها يأمن الأسير ويرجع في ولايته ويتفرغ لصلاح أمور البلد وأمور أمير المؤمنين ، فهذه صفة التائب إذا تاب احتاج إلى محاربة النفس ومجاهدتها في كل أمر فلا يزال كذلك فيزداد مددا وهو لا يأمنها مع ذلك المدد فخاف أن يثب وثبة من زوايا جوفه فيأخذه لأن مكرها أعظم من أن يوصف حتى تجلى لقلبه شأن الملكوت ، وأشرق في صدره أنواره فامتلأ صدر العبد من جلال الله وعظمته فبسلطان الجلال يستأسر النفس ويسبيها وبالعظمة يولهها ، فإما أن يأخذها بتلك القوة فيحبسها حتى تموت في سجن القلب غما ، وإما أن تلقي بيديها سلما وتذعن للقلب وتنقاد له فتصير في يدي القلب كالأسير حتى إذا وجدت تلك اللذات التي وردت على القلب من تلك الملكوت من تلك العطايا اعتصمت بالقلب ونزلت لذاتها الفانية الدنية ، فعندها وصل العبد إلى أوائل العبودة ثم للعبودة شأن أعظم من هذا فوضع في هذا القالب الحياة ، والحياة في الروح والنفس وهما ريحان إحداهما أرضية والأخرى سماوية ، ووضع في هذا القالب الرحمة في موضع ، والرأفة في موضع ، والعلم في موضع ، والعقل في موضع ، والحفظ في موضع ، والفهم في موضع ، والشهوة في موضع ، واللذة في موضع ، والقوة في موضع ، والفرح في موضع ، والحزن في موضع ، والرضا في موضع ، والسخط في موضع ، والغضب في موضع ، والحياء في موضع ، والهوى في موضع ، والحب في موضع ، والبغض في موضع ، والنور في موضع ،

والظلمة في موضع ، والكبرياء في موضع ، والعظمة في موضع ، والسلطان في موضع ، والعجلة في موضع ، والصبر في موضع ، والعناية في موضع ، والفقر في موضع ، والحاجة في موضع ، والسكينة في موضع ، والوقار في موضع ، والتؤدة في موضع ، والإنابة في موضع ، فهذه الأشياء لا تدرك إلا بالأيم ولا تأخذها الحواس ، ولكن تعرف بمعاملتهن فتمتاز هذه الأشياء كل شيء بعمله الذي يظهر منه ، وتعرف بالأسماء والتي سميت بها ، ووضع فيه الذهن وهو متعين في جميع الجسد ومعدنه في الصدر [٢/ ٢٠٢/ب] وهو أذكى شيء في الجسد واحده وأدركه للأشياء ، فبالذهن يدرك عمل الأشياء التي وصفت ماذا تعمل الحياة ، وماذا تعمل الرأفة ، وماذا تعمل الرحمة ، وماذا يعمل العلم ، وماذا يعمل الحفظ ، وماذا تعمل القوة ، وماذا يعمل الفرح فهي كلها غايته عن حواسك لا ينالها للمريد ولا يبصر عين ولا يذاق طعم ولا يشم أنف ولا يسمع أذن ، وأصل هذه التي فيك كلها من عند رب العالمين ، فإعطاء الحياة من حياته ، والرحمة من رحمته ، والرأفة من رأفته ، والعلم من علمه ، وكل شيء من هذه الأشياء هو عنده فالتي فيك هي كلها مخلوقة وكل شيء من هذه الأشياء التي هي ممدوحة والتي تليق به أبرزه صفة لنفسه ، وهي أنوار نور منها للحياة ونور للرحمة ونور للرأفة ونور للفرح ونور للرضا ونور للكبر ونور للعظمة ونور للمحبة ونور للسلطان ونور للحياء ونور للبصر ، فهي كلها أنوار كل نور وصار ملكا على إخوته ، ومن كل ملك منه خرج ذلك الشيء الذي ظهر في الخلق ، وهذا كله خرج من ملكه الأعظم من ملك الملك من باب القدرة من الوحدانية ، وهو واحد فرد أحد تفرد عن الصفات وتوحد عنها فالصفات أبرزه للعباد لتجري من تلك الأنوار إلى العباد ، وما يظهر على أحيائهم وعلى دنياهم من خلق الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم والرياح والسحاب والمياه ، وما في السماء والأرض فإن جرى خلق هذه الأشياء المخلوقات من تلك الأنوار ثم كشف الغطاء عن قلوب الأنبياء والأصفياء بأنوار الصفات حتى عاينوا بعيون لها قيده في تلك الصدور آثار صنعه في جميع الأشياء ، وكل نملة وبعوضة وحمامة وفيما حل من خلقه من الثقلين والعقبان والأسدان والتنين وفي كل شيء نجم من الأرض فتنبت في ألوانها وطعومها ، ومقاديرها وحرها وبردها وعصيانها وساقيها ثم صير لتلك الأنوار

التي هي الصفات أسماء بحروف مؤلفة فتكون اسم تلك الصفة لتدور الألسنة بذلك كي إذا أشرقت الصفات على قلوب الأولياء والأصفياء دارت ألسنتهم بتلك الحروف نطقا من تلك الصدور المشرقة فيها تلك الأنوار ، حتى يخرج من ألسنتهم في الأرض غايته عن العيون ، فإذا دخلت أبواب السماء انتشرت دوران تلك الألسنة فصارت كالبروق الخاطفة تأخذ سماء سماء فتملأ السموات نورًا إلى العرش حتى تغمض الملائكة أعينها في صفوفها حياء منها قالوا يوم الخطابة قال : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ [البقرة : ٣٠] وأبرزوا أفعالهم فقالوا : ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ لنطهر بتلك الأنوار في السموات إلى العلى ما علم الله في الغيب ثم ليباهي ما يخرج من ألسنتهم وأفواههم من النور الذي جرى من معدنه في ملائكته [٢/ ٢٠٣/ أ] ويريهم فضل تلك الأنوار على سائر الأنوار ، ويريهم أن هذه الأنوار خرجت من قالب من بين الشهوات والهوى ، والتي خرجت من أجواف نورانية ليس فيها هوى ولا شهوة ولا وسوسة عدو فهناك يعرفون حب الله لعبده الآدمي وكرامته له ، فكل ناطق إنما يدور لسانه من معدن نوره وعلى حسب ذلك ينبأ في السموات إلى العرش فهذه الصفات التي جاءت عن الله في التنزيل وفي حديث الرسول ﷺ هي للعباد ومن أجلهم ليعامل العباد من هذه الصفة ثم هو الباطن الذي لا يدرك ولا كيفية له ، فالحياة ههنا في الروح والنفس ، والجسد قالب فإذا خرجا بقي القالب لحما مواتا وحياة الآخرة في كل شيء منه ، فكل شيء منه حي من قرنه إلى قدمه كل شعرة وكل ظفر حي بحياته وذلك إذا شربوا ماء الحياة بباب الجنة قال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِيَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت : ٦٤] .

أخرجه على قالب فعلان لبلوغ الغاية في التكثير والتوقيت كقولك رحمن ورحيم وعريان وعار فالعريان مقشره والعاري في ثياب خلع .

كقول النابغة حيث أنشد لعمر ، شعر :

أنبتك عاريا جلتا ثيابي ... على خوف تظن به الظنونا

فالذي يشرب ماء الحياة في الآخرة يجد اللذة والنعيم كل شعرة منه على حدتها ، ويقوى على نعيم الجنة بقوة تلك الحياة بجميع ما في هذه الدار التي سميت دنيا كل ذلك متاع هذه

الحياة والمتاع المنفعة والبلغة قال الله تعالى : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤] إلى قوله ﴿ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ ثم قال : ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ﴾ [الحديد : ٢٠] الآية ثم ضرب المثل بالغيث ليريك عاقبتهما وقال : ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [الحديد : ٢٠] ثم قال : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا ﴾[الكهف : ٧] ثم أخبرك لأي شيء جعل هذا فقال : ﴿ لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ ثم ضرب المثل فقال : ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ [يونس : ٢٤] ثم قال في آخره : ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ [يونس : ٢٥] ثم قال : ﴿ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ﴾ [آل عمران : ١٥] ثم بين ذلك الخير ما هو فقال ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ [الكهف : ٣١] ثم بين لمن هي فقال ﴿ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴾[آل عمران : ١٧] فإنما صارت الدنيا ملعونة مذمومة من أجل أنها غرت النفوس بنعيمها وزهرتها ولذتها ، والشهوة واللذة في النفوس ، فإذا ذاقت النفس طعم النعيم اشتهت ولذت فمالت عن العبودة إلى هوى النفس ، وإنما جعلها زينة في نفوس العباد وأعطى من تلك الزينة العدو ليوسوس بتلك الزينة ويمازج بها تلك الزينة التي وضعها الله في العباد وحبها وشهوتها ليبلوهم أيهم أحسن عملا في هذه الزينة [٢/ ٢٠٣/ ب] ليتواضع لله فيما أعطاه من الزينة ويشكره عليه أو يتكبر عليه ويكفره كما قال سليمان عليه السلام حيث قال : ﴿ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴾ [النمل : ٣٨] فقال ذلك الجني : ﴿ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ﴾ [النمل : ٣٩] فاستبطأه ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [النمل : ٤٠] وهو اسم الله الأعظم ﴿ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ ﴾ أي السرير قال : ﴿ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ﴾ أي أقدر هذا الإنسي على ما لم أقدر عليه وأعطى ما لم أعط فابتلاني برؤية ما أعطى ليبلوني أأشكر فأعدته بما أعطاه من نعمة الله علي لأنه من حولي أو أحسده فأكفر النعمة ،

فهذه الأشياء إنما غرت المفتونين الذين لما تناولوها من الدنيا عميت عيونهم عن تدبير الله وتقديره وسياقته إليهم ﴿ وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء : ٧٢] ، فوضع الله الدنيا مع زينتها وبهجتها وخلقنا فيها فحرم وأحل وأمر ونهى وافترض وأسقط فمن انتهى عن المحرمات وأدى الفرائض وتناول

من الدنيا فعبده بتناولها لأنه أخذها على الحاجة ومن السبيل التي أطلق له فقد خرج من الذم وبرئ من عاد الدنيا ، وإن تناول شهوة ونهمة في غفلة عن الله تعالى فقد أخذته الدنيا المذمومة ، ولا يصل إلى هذه المرتبة التي تبرأ من عارها وذمها ووبالها إلا من وصل إلى الله قلبا ، فعظمته على قلبه وخشيته في صدره فذكره دائم على قلبه لأنه يتناول من الدنيا شيئا ألا تعبد الآن إنما أباح له ذلك لتربية جسده ليقوى جسده على عبودته ، وخدمته فهو زاهد في كل شيء يتناول من الدنيا زاهد في عمره لأنه مشتاق إلى ذاته والمشتاق لا يريد الحياة ، والتناول من الدنيا على العبودة لا يأخذها إلا من أجله وأينما أخذها فإنما يأخذها من شاكرا ويأخذها من أجله عبد كان أعطاه منها شيئا عفوا فناوله منه ومن أجله ، وإن أعطاه شيئين ذكره فهو يدور في سبيل السقي والكد[١] ووجوه المطالب وهو في ذلك مراقب الله ماذا يخرج له من هذا السقي من فضله فيقبله منه ، فهذا قد يرى من الدنيا ذاما ما سوى هذه الطبقة فقد جرحتهم الدنيا ، فتلك دنيا مذمومة ، وإنما وقع الذم عليها من أجل فعل العباد ، وأما الذي يأخذ هؤلاء فليست هذه دنيا مذمومة ، وإنما هي رزق ومعاش وتزود يأخذ العبد من مولاه ليقوم بخدمته لأنه خلقه للخدمة وجعل هذه الأشياء كلها سخرة ، فهو يأخذ عن السخرة للخدمة والآخر يأخذ من هذه السخرة لقضاء الشهوة والنهمة ليفرح بها أيام الحياة ليلهيه ذلك الفرح عن الله تعالى ويورثه الغفلة ، حتى يهتاج منه الكبر وينظر إلى نفسه وهيئته وما أعطي من الدنيا على استدراج فيعجب بذلك العجب يفاخر الناس وذلك الكبر يسبغه على الخلق حتى يصير طالبا للعز والعلو والشر على الخلق فيجتبر من دونه ويناطح أشكاله جسدا وبكيا . . .[٢] الجسد تصير عبودته للهوى فهو عبد بطنه ، عبد فرجه ، عبد هواه ، [٢/ ٢٠٤/ أ] فقد دخل في لعنة رسول الله ﷺ حيث قال : لُعِن عبد الدينار لُعِن عبد الدرهم ، ثم قال : بئس العبد عبد نسي المبتدأ والمنتهى ، بئس العبد عبد سها ولها ونسي القبر والبلى ، بئس العبد عبد تجبر واعتدى ونسي الجبار الأعلى ، بئس العبد عبد هوى يضله ، بئس العبد عبد

---

(١) هكذا استظهرت قراءة هذه الجملة .

(٢) كلمة لم استظهر قراءتها .

طمع يقوده ، بئس العبد عبد يختل الدنيا بدينه " فهذا كله جاءنا عن قول رسول الله ﷺ في خطبته وقال الله تبارك وتعالى في تنزيله : ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ﴾ [القصص : ٨٣] .

روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : " إن الرجل ليعجبه شراك نعله يريد به أن يكون أجود من صاحبه فيدخل في هذه الآية فمن أراد العلو فإنما يبله بهذه الأشياء التي في الدنيا حتى ينالها فيفخر بها ، فقد أخذ المذموم مزال عن ذكر الله وما أولى إلى ذكر الله فقد أخذ ملعونة كما قال رسول الله ﷺ والملعونة لا بركة فيها وكل شيء نزع منه البركة فقد صار وبالا على صاحبه .

١٥٣٦ـ حدثنا عمر بن أبي عمر ، عن سعيد بن أبي مريم الجمحي عن ابن أبي الزناد عن هشام ابن عروة عن أبيه قال كان عمرو بن العاص ينظر إلى مكة وهو بمكة فيقول : " لعنك الله بلدًا لا أعنى ما حرم الله فيك ، ذهب الناس ببحر الدنيا والآخرة واغتررنا بك " . فإنما وقعت اللعنة منه على تلك الأشياء التي عنونه بها وهو هواه وشهوته ونهمته لأنهم كانوا يفاخرون الناس بحرم الله وكعبته ، وإنما وقع اللعن منه على تحسده وهواه وما غره فيها لا على الكعبة والحرم ، وكذلك إنما وقع اللعن على ما غر له من الدنيا لا على نعيمها ولذتها فإن النعيم واللذة قد تناولته الرسل والأنبياء والصديقون عليهم السلام فردهم تناولهم إلى الله ذكرا وشكرا ثم آووا منه إلى المأوى وهو حفظ الحدود والقيام بحقوق الله تعالى وفرائضه فذلك الذي استثناه رسول الله ﷺ حيث قال : ألا إن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالم أو متعلم؛ وقال الله في تنزيله : ﴿ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ﴾ [الجاثية : ٣٥] فنسبه فعل الغرور إلى الحياة لأن الهوى والشهوات إنما عملت في هذا القالب المتجسد بهذه الحياة التي ذكيت في الجسد والله أعلم .

الأصل السابع والثمانون والمائتان

١٥٣٧ـ حدثنا قتيبة بن سعيد ، عن ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن دراج أبي الهيثم عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : كل حرف ذكره الله في القرآن عن القنوت فهي الطاعة ؛

قال أبو عبد الله رضي الله عنه :

إنما صرفه إلى الطاعة لأنها أكشف الأشياء وأشهرها عند الناس ، والعامة إنما تعرف الطاعة والمعصية فكل ما أمر الله به فهو طاعة وكل ما نهى عنه فهو معصية ، فأما حاصل الاسم فالطاعة بذل النفس لله فيما أمر ونهى ، والمعصية امتناع النفس واشتدادها لأن الله تعالى دعا العباد إلى الوقوف بين يديه كالعبيد ، فالمؤمنون أجابوا دعوته وقبلوا [٢/ ٢٠٤/ ب] العبودة ، ثم دعاهم بعد ذلك إلى شيء بعد شيء من الأمر والنهي ليأتمروا بأمره وينتهوا عن نهيه ، فمن ائتمر بأمره كله وانتهى عن نهيه فقد وفى بتلك الإجابة في المبتدأ ، وبذلك القبول فقبل قد أطاع فهو مطيع أي قد أعطى ذلك البذل الذي قبله في المبتدأ ، فقوله : " أعطى وأطاع " معناها من حيث ما ذكرناه واحد مشتق بعضه من بعض وحروفها في العدد سواء ، وفي التأليف مختلفة قدم العين هاهنا وأخر العين هناك لتباين المعنيين ليستعمل هذا في عطاء العبودة ، ويستعمل ذاك في عطاء الأشياء المملوكة ، والمعصية من التعيص وهو اشتداد النفس وامتناعها ومنه سمي العصا يقال في اللغة : تعيص عليه أي امتنع وتشدد ، وأما القنوت فهو : الركود وكل شيء استقر في مكانه فلم يتحرك فهو راكد ، ومن ذلك سمي الماء راكدا إذا أمسك عن الجري والسفن رواكد إذا سكنت الريح ركدت السفينة ، قال الله تعالى : ﴿ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ﴾ [الشورى : ٣٣] يقال : قنت ونتق والنتوق : أن يقابل الشيء بالشيء راكدا عليه وذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ ﴾ [الأعراف : ١٧١] ومنه قول علي رضي الله عنه حيث سئل عن البيت المعمور فقال : هو بيت في السماء السابعة نتاق هذا البيت ، أي : بحذاه وقبالته : مطلا عليه فالنتوق مقابلة الشيء بالشيء بحذاه ، والقنوت مقابلة قلبك عظمة من وقفت له وبين يديه فإنه روي عن رسول الله ﷺ أنه قال :

" إذا صلى العبد أقبل الله عليه بوجهه " .

قال أبو عبد الله :

فمن حق إقباله عليه أن يقبل العبد بقلبه على عظمته وجلاله فهذه مقابلة العبد بقلبه قبالة ربه وهذا القنوت ومرجعه إلى ما كشفه رسول الله ﷺ فقال : هو الطاعة لأنه إذا قابله فقد أعطاه بذل النفس فقد أعطاه[١] ، وإنما صار إذا قابله باذلا لنفسه لأن القلب إذا لاحظ ببصر فؤاده جلاله وعظمته خلص إلى النفس هول الجلال والعظمة فانقبضت وانخشعت وذهلت عن هشاشتها وخمد تلظي نيران شهواتها لما أحست به من ملاحظة الفؤاد وخلص إليها من الهول .

١٥٣٨ـ حدثنا إبراهيم بن يوسف ثنا حماد بن زيد[٢] عن ليث عن مجاهد رضي الله عنه في قوله تعالى : ﴿ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴾ [البقرة : ٢٣٨] قال : القنوت : الركود والخشوع " .

قال أبو عبد الله :

فجاد ما غاص مجاهد صار إلى الأصل ، وأما التي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قانتين أي : مطيعين ، فقول ابن عباس رضي الله عنهما ظاهر التفسير ، وقول مجاهد باطن التفسير ، وقوله تعالى : ﴿ يَـٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ [آل عمران : ٤٣] روي في التفسير أنه قال : قومي لربك والقيام غير القنوت ولو كان القنوت قياما لاستحال أن يقول : ﴿ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴾ ألا ترى أنه أمرهم بالقيام ثم القنوت ، فالقنوت صفة فعل تحدث عن القيام فقوله تعالى : ﴿ يَـٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ ﴾ أي : أطيعي ربك فهذا تفسير ظاهر ، ولكن أريد من مريم القنوت في الباطن وهو أن تقبل بقلبها على الله مظلا على النفس مشتملا على شهواتها [٢/ ٢٠٥/ أ] لئلا تتحرك وتتفرق غليانها وتجيش حتى يفور دخانها إلى الصدر إلى محل إشراق نور الألوهية ، فإنه ليس من حق عطايا ربنا أن يعطي عند إشراق نور عظمته في صدره فيهمل العبد حراسته ورعايته حتى تفور حرارة شهواته كفوران القدر التي تغلي إلى صدره كالدخان بين يدي العظمة في صدره ، فإذا فعل ذلك حجب لأن ذلك الفوران كالدخان

---

(١) كذا بالأصل .

(٢) بالأصل " حماد بن يزيد " والمثبت من التهذيب .

فإذا هاج من النفس وتأدى إلى الصدر امتنع الإشراق واحتجب وبقي العبد محجوبا ، كأنه صار خاليا من الزكاء ، فأمرت مريم بالقنوت أي : بالدوام ، وبالركود بمقابلة القلب قبالة عظمة الله حتى يدوم لها التعظيم لجلال الله ، ولذلك سمي دعاء الوتر قنوتا ، لأن الصلاة وقوف وتخشع وتذلل يؤدى فرضه لو قال : إعجاله وتقصيره وذنوبه ، فإذا قنت فإنما خرج من صلاته التي افترضت عليه وقام له معترضا على ربه إلى موقف آخر برغبته ورهبته ، فسمي قنوتا لأن ذلك مقام خرج من فعل صلاته إليه ودخل فيه بتكبيرة فقابل بقلبه محل الرغبة والرهبة ، ومن قبل التكبيرة كان في محل التذلل والتخشع بين يدي عظمته ، والآن في محل الرغبة والرهبة بين يدي جوده وكرمه فتباين التقابلان والموقفان والله سبحانه أعلم .

الأصل الثامن والثمانون والمائتان

١٥٣٩ـ **حدثنا** قتيبة بن سعيد ، ثنا ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد رضي الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ : لا حليم إلا ذو عثرة ولا حكيم إلا ذو تجربة .

قال أبو عبد الله رضي الله عنه :

فالحلم يعطي العبد من نور الجود ، فإذا خلص إلى القلب نور الجود انحلت عقد النفس وكلّت مخاليبها وتخلص القلب من رق النفس ، ومن سخرتها ووثاقها واتسعت النفس بما نالت من القلب من نور الجود فتولدت السماحة فظهر الحلم ، وبقي في تلك السعة سعة الحلم غير غاية بالتمسك بتلك السعة والسماحة ، وإذا عثرت فوقعت في الذنب فهناك تبصر ويتفسح علما بالسعة لما رأت عثرتها اتسعت لغيرها في تلك العثرة ، وأبصرت أن العاثر هو كمثله إما مفتون أو مخذول وإما معاقب ولما رأى نفسه في وقت العثرة أنه مخذول أو مفتون أو معاقب أو جاهل ، فقول رسول الله ﷺ : لا حليم إلا ذو عثرة؛ أي : بعد العثرة وصل إلى حقيقة الحلم وكنهه ، فأما قبل العثرة فقد يكون حليما وليس على كنهه كأنه لم يكمل حلمه بعد لأن نفسه لم تتسع بعد في الحلم الذي أعطي ، فإذا جاءت العثرات اعتبر بها ورأى غيره فيها كما رأى نفسه في وقتها فهناك يجد الحلم ، وهذا كقول رسول الله ﷺ في حديث آخر [٢/ ٢٠٥/ ب] : ليس الغنى عن كثرة العرض وإنما الغنى غنى النفس؛ و ليس المسكين الذي ترده اللقمة واللقمتان ولكنه الذي قعد في بيته وقنع؛ ، فذاك الذي كثر عرضه ، هو أيضا غني ولكن الطاعن كنهه ، وحقيقته هو غنى النفس والمسكنة على الحقيقة ، وعلى كنهها في لمن قعد في بيته وقنع بما أوتي .

وأما قوله : لا حكيم إلا ذو تجربة؛ فالحكمة من نور الجلال ، فإذا أعطي العبد انفجرت ينابيع الحكمة على قلبه ، فهذه الحكمة ينبوعها على قلبه فهي جاثمة متراكمة وما لم تأخذه التجارب لم تقدر النفس على مطالعة الحكمة لأن النفس بلهاء غنيمة مشغولة بالشهوات ، فكيف تدرك الحكمة والحكمة باطن الأمور وأسرار العلوم فهو يعاين الظاهر ولا يدركه فكيف يدرك الباطن ، فإذا جرت الأمور صارت

هذه التجارب له كالمرآة ينظر فيها لأنها صارت معاينة ، ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما : يتنهي عقل الرجل إلى ثمان وعشرين ثم بعد ذلك التجارب "

فالعقل للقلب والتجارب للنفس ، لأن العقل باطن والتجارب ظاهرة تبصر العين وتسمع الأذن ويشم الأنف وتلمس اليد ويذوق اللسان واللهاة ، والتجارب ههنا وهي مسالك هذه الأشياء إلى النفس وشعور النفس من هذه المسالك الظاهرة ، فعندما تستقر النفس بذلك للعقل الذي أعطي لأن العقل إنما مسكنه في الدماغ وفي الصدر يشرق بين عيني الفؤاد والنفس لا تعلم بشيء من ذلك إلا ما يعلمها القلب ويعطيها ويدعوها إليه ، فإذا نالتها التجارب عرفت وأيقنت لأنها صارت لها معاينة ما كان أدى إليها القلب من الحكمة ودلالة العقل .

الأصل التاسع والثمانون والمائتان

١٥٤٠ـ حدثنا الحسن بن قزعة البصري ، ثنا سفيان بن حبيب عن شعبة عن ثوير عن أبيه عن الطفيل عن أبي بن كعب عن أبيه رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : " وألزمهم كلمة التقوى ، قال : لا إله إلا الله " .

قال أبو عبد الله رضي الله عنه :

إنما سميت هذه الكلمة كلمة التقوى ، لأنه صارت وقاية لتوحيده لأنه أثبت عقد المعرفة بإلهه قلبا وباللسان نطقا أنه إلهه ، فلما أحدث الأعداء هذا الحدث وهو الشرك فأشركوا في ملكه غيره وذهبوا بِوَلَهِ قلوبهم في الضر والنفع إلى الذي قصدوه بالعبودة رجاء وتأميلا لنوال نفع ودفع ضر اقتضى الله من المؤمنين كلمة لنفي ذلك الحدث وهو قوله : لا فنفوا بقولهم : لا ، هذا الحدث الذي أحدثته الفجرة الغواة الظلمة ، فصار قوله : لا نزاهة لرجاسة ما أتوا به وطهارة لنجاسته ووقاية لذلك العقد الذي اعتقدوه وحصنا كثيفا لما في ذلك العقد وهو التوحيد ونور [٢/٢٠٦/أ] المعرفة فنسبت هذه الكلمة إلى التقوى وإنما هو في الأصل وقوى مأخوذ من الوقاية أي صار وقاية لعقدة التوحيد أن لا يمازجه شرك ثان معه ، فإنه واحد لا ثاني معه لا نظير له وهذه الكلمة في قالب الافتعال لا في قالب فعل ، لأن فعل هو قالب الظاهر ، وافتعل قالب الظاهر والباطن ، فقيل اتقى وكان حقه أن يقول : اوتقى لأن الواو في أصل الكلمة موضوعة لا أصلية من قوله : وقي يقي وقاية ، فلما صار إلى افتعل كان حقه أن يقول اوتقى ، فثقلت على الألسنة لاجتماع الواو والتاء فأدغمت الواو في التاء وشددت التاء فقيل اتقي يتقي اتقاء والاسم منه تقوى ، فقوله : لا إله ، نفي وقوله : إلا الله استثناء لئلا يقع النفي على الجميع فلو قال : لا إله ثم اقتصر عليه لكان قد نفي الجميع فابتدأ بنفي الحدث بقوله : لا إله ثم استثنى فقال : إلا الله، لئلا يقع النفي على هذا الاسم الآخر وهو قوله : الله فإنما هو كلمة أن نفي بقوله : " لا " وأثبت بقوله : إلا مستثنى فقوله : " لا " حرفان لام ثم ألف و (إلا) أربعة أحرف ألف ثم لامان مدغمة إحداهما في الأخرى ثم ألف فمبتدأ ظهر القوة من اللام لأن عظم القوة فيها فلذلك ابتدأ بها في النفي ، وكانت كلمة النفي عمومًا للجميع

فلما استثنى فكأنه رد ما نفي لئلا يقع النفي على الذي هو ثابت ، فاحتيج إلى لامين متضاعفين فأدغمت إحداهما في الأخرى ، فقيل : إلا ، وإنما هو ألف مخفوضة ولام مضاعفة مشددة وألف مفتوحة ، وإنما أخرجت هذه الكلمة على صورة إشارات القلوب وقصدها ، لأن القلب لما حيى بنور الحياة انفتحت عينا الفؤاد بالنور وجاء نور الهداية وجاء نور المعرفة فتراءى لعيني الفؤاد انزعج القلب مرتحلا عن وطنه إلى ذلك النور الذي عاين حتى لقيه فاطمأن وسكن إلى معبوده وبذل النفس للعبودة ، ثم خطر بقلبه بال إلهه وأنه قد أشرك في ملكه غيره وأن قلوبنا ولهت إلى غيره افتقارا فهاجت منه المحبة التي هي منطوية في نور التوحيد والهداية والمعرفة ، فحمى القلب من حرارة المحبة فمن تلك الحرارة قوي القلب حتى قام على الذنب منزعجا بعضلاته وعروقه فنفى ولههم وافتقارهم إلى من دونه وأبطله ، فلما احتاج إلى إبراز تلك القوة للنفي أبرز باللام ثم بالألف وإنما ابتدئ باللام لأن عظم القوة فيها وهي نزيع الألف فإنه كان أولا ألف ثم نزع منها لام فعظمت القوة في اللام فنفى القلب كل رب ادعى العباد له ربوبيته وولهت قلوبهم إليه دونه ، فابتداء هذا القلب الذي وصفنا في النفي لأرباب الأرض ثم سما عاليا حتى انتهى إلى الرب الأعلى فوقف عنده فتذلل وخشع له واطمأن ووله إليه ، وقال الله تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾ [الأعلى : ١][٢/ ٢٠٦/ ب] أي : أن هذه أرباب متفرقون والرب الله الواحد القهار فهداه إلى الرب الأعلى وقال : ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ [النجم : ٤٢] ، فهذه صورة فعل القلب فلما احتاج إلى النطق والإبراز باللسان أعطي تلك الحروف ، ففي النفي لام وألف ، وفي المستثنى الذي هو المنتهى ألف مخفوضة ولامان وألف ، لاجتماع قوة اللامين على صورة فعل القلب يدلك على ذلك من قولنا حركة الألف وخفضها لأن القلب من السفول ينزعج نافيا للأرباب ويصعد إلى الرب الأعلى بالألف الآخر ، من قوله : إلا فيثبته ربا لا شريك له ، وواحدا لا ثاني له ، أحدا لا نظير له ، فردا لا ند له ، صمدا لا شبيه له ، وحيا لا مثل له ، قيوما لا زوال له ، وإلها لا وله إلا إليه ، فأما قوله : ﴿ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ [الفتح : ٢٦] ثم قال : ﴿ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ﴾ فإنه ألزم قلوبهم هذه الكلمة بنور المحبة حتى نطقوا بها وذلك أنهم أعطوا المعرفة مع المحبة وأعطوا العقل ، والعقل من نور البهاء فوجد القلب حلاوة المحبة ووجدت النفس فرح زينة

نور البهاء فسكن القلب واطمأن إلى الحلاوة واستقرت النفس للزينة فنشر عليه التكلم بقول : لا إله إلا الله وهو قوله : ﴿ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ [الحجرات : ٧] ، فبحلاوة الحب وزينة البهاء صارت الكلمة لازمة لقلوبهم حتى خرجت إلى اللسان ، فذلت الألسنة بها ودارت بحروفها التي نطقت بمعناها فصارت منطقا أحاط بمعناها ولزمها . . .[1] كما أحاطت المنطقة بوسط الرجل وشددت ، قوله : فهو الذي ألزمهم هذه الكلمة بما منّ عليهم بحلاوة الحب وزينة البهاء .

وأما قوله تعالى : ﴿ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ﴾ [الفتح : ٢٦] فإنما صاروا كذلك لأن الله تعالى خلق المقادير قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف عام .

فيما روي لنا عن رسول الله ﷺ وكان الله ولا شيء فخلق المقادير وخلق الخلق في ظلمة ، ثم رش عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل فقد علم من يخطئه ممن يصيبه .

١٥٤١ـ حدثنا سليمان بن نصير ، ثنا عبد الله بن يزيد المقرئ عن حيوة وابن لهيعة عن أبي هانئ حميد بن هانئ الخولاني قال : سمعت أبا عبد الرحمن الحبلي يقول : سمعت عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : قدر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة .

١٥٤٢ـ حدثنا الفضل بن محمد ، ثنا إبراهيم بن موسى ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن جامع ابن شداد عن صفوان بن محرز عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ : اقبلوا البشرى يا بني تميم ، قالوا : قد بشرتنا فأعطنا ؟ قال : اقبلوا البشرى يا أهل اليمن ، قالوا : قد بشرتنا فأخبرنا ؟ قال : كان الله ولا شيء ، ثم خلق العرش فجعله على الماء وكتب في الذكر كل شيء .

١٥٤٣ـ حدثنا نصر بن محمد الصومي[2] [٢/ ٢٠٧/ أ] ثنا أبو عمير بن النحاس الرملي ثنا ضمرة بن ربيعة ثنا يحيى بن أبي عمرو الشيباني عن ابن الديلمي عن عبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنهما قال :

---

(١) كلمة لم أستظهر قراءتها .

(٢) كذا بالأصل ، ولم أقف علي هذه النسبة .

قال رسول الله ﷺ : " إن الله خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره ، فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل " .

١٥٤٤- **حدثنا** أبي رحمه الله ، ثنا الحماني ثنا ابن مبارك قال : أنبأنا الأوزاعي قال : أخبرني ربيعة بن يزيد قال : حدثني عبد الله بن الديلمي قال : دخلت على عبد الله بن عمرو بالطائف فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " إن الله خلق الخلق في ظلمة ثم ألقى عليهم نورا من نوره ، فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل " فلذلك أقول جف القلم على علم الله .

١٥٤٥- **حدثنا** الجارود ، أنبأنا معن القزاز ثنا معاوية بن صالح عن ربيعة بن يزيد قال سمعت ابن الديلمي يقول : قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص هل سمعت رسول الله ﷺ يقول : " إن الله خلق الناس في ظلمة فأخذ من نورا من نوره فألقاه عليهم فأصاب من شاء وأخطأ من شاء فقد عرف من يخطئه ممن يصيبه فمن أصابه من نوره اهتدى ومن أخطأه ضل "(١) .

١٥٤٦- **حدثنا** علي بن حجر ، أنبأنا عثمان بن حصن بن علاق ثنا عروة بن رويم عن ابن الديلمي قال : قلت لعبد الله بن عمرو بلغنا أنك تقول جف القلم بما هو كائن قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " إن الله خلق خلقه ثم جعلهم في ظلمة ، ثم أخذ من نوره ما شاء فألقاه عليهم فأصاب النور من شاء الله أن يصيبه وأخطأ من شاء أن يخطئه ، فمن أصابه النور يومئذ اهتدى ، ومن أخطأه ضل " .

فلذلك ما أقول : جف القلم بما هو كائن .

قال أبو عبد الله رضي الله عنه :

فيوم المقادير خلقهم وهم كالنجوم الدراري ثم سلبهم الضوء فوضعهم في تراب التربة التي أراد منها إنشاء خلق آدم عليه السلام ، وقد طمس ضوءهم فلبثوا في تلك الظلمة مليا إلى أن مضى من المدة مقدار خمسين ألف سنة أو نحوه ، فصاروا في طول ذلك اللبث في تلك الظلمة ثلاثة أصناف ، فصنف منهم زعم أن الذي ملكنا لم يدم ملكه فعجز عنا ولو لم يكن كذلك لم يتركنا ههنا كالمنسي ، وقال الصنف الآخر

---

(١) كذا بالأصل وليس هناك جواب لسؤال من عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

الآخر : تركنا ههنا فنحن ننتظر ما يكون وما يظهر لنا من أمره ، فالأول كفر ، والثاني نفاق وشك ، وقال الصنف الثالث : تركنا ههنا وهو دائم ونحن له يجعلنا حيث يشاء ، فأما الصنف الأول : فأنتم لما تكلموا بما ذكرنا صارت تلك الترابية في أفواههم ، وقال : ما الذي رأيتم مني حتى نسبتموني إلى العجز وانقطاع الملك ؟ فصارت هذه الكلمة ختما على أفواههم على تلك الترابية وهو قوله تعالى : ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ [البقرة : ٧] فالختم غير مرفوع أبدا ، وأما الصنف الثاني : فشكوا فهم في الزندقة ينتظرون ما يكون ولم يستيقنوا ولا استقرت [٢/ ٢٠٧/ ب] قلوبهم فتناثرت تلك الرامية على أفواه قلوبهم لتذبذبهم مرة إقبالا على الله ومرة إعراضا عنه ومرة إقبالا على بال النفس ، فلم يصر ختما ولكن صار قفلا قد يفتح ويرفع إن شاء والختم لا يرفع أبدا ، وذلك قوله تعالى : ﴿ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد : ٢٤] ، وأما الصنف الثالث فقالوا : ربنا الذي يملكنا دائم يجعلنا حيث يشاء إن شاء جعلنا في ظلمة ، وإن شاء جعلنا في نور ثم مدوا أيدي القلوب نحوه كالتعلق به فضرب بيديه إلى قلوبهم فقال : أنتم لي عملتم أو لم تعملوا فصارت هذه الكلمة مكتوبة على قلوبهم ، فمن أصابته يده اليمنى فهم الأولياء ، ومن أصابته يده الأخرى فهم عامة الموحدين تناولهم فصيرهم في قبضته ، وصارت تلك الكلمة مكتوبة بين أعين الفؤاد على قلوبهم واتبعوا أهواءهم فالطبع هو : الختم اتبعوا بال نفوسهم ، فقالوا تركنا ههنا في الظلمة فلو كان دائما لم يتركنا فهذه كانت صفتهم في المبدأ فلم يزل ينقلهم من حال إلى حال حتى ظهروا في الروح وهو أول خلق خلقه ، ثم نقلهم إلى الهواء ، ثم نقلهم إلى النور ، ثم نقلهم إلى الماء ، ثم نقلهم إلى التراب ، ثم نقلهم إلى الطين المعجونة طينة آدم وأعطاهم كلهم الصورة ، وظهرت في الطينة طيب المتعلقين به وسنة حمأة المعرضين عنه ، وهو الذي قال في تنزيله : ﴿ مِّنْ حَمَإٖ مَّسْنُونٖ ﴾ [الحجر : ٢٦] ، ثم لما نفخ فيه الروح أخرج المتعلقين من كتفه الأيمن كهيئة الذر في صفاء وتلألؤ ، وأصحاب الشمال كالحُمَّة سوداء من كتفه الأيسر ، والسابقون - أمام الفريقين - المقربون وهم الرسل والأنبياء والأولياء عليهم السلام - فقررهم كلهم وأخذ عهودهم وميثاقهم على الإقرار له بالعبودة وأشهدهم على أنفسهم وشهد عليهم بذلك ، ثم ردهم إلى الأصلاب ليخرجهم تناسلا من الأرحام ، أرحام الأمهات .

١٥٤٧ـ حدثنا عمر بن أبي عمر ، ثنا عبد الله بن يزيد القرشي عن خالد بن يزيد المري عن يونس بن ميسرة عن أبي إدريس الخولاني عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : " إن الله تعالى خلق آدم فضرب بيمينه على كتف آدم اليمنى فأخرج ذرية بيضاء كالفضة ، ومن اليسرى سودا كالحممة ثم قال : هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي "

معنى قوله : " هؤلاء في الجنة ولا أبالي " عندنا - والله أعلم - أني لا أبالي ما يعملون من خير أو شر فأقبل خيرهم وأغفر شرهم ، وذلك قوله تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ﴾ [الاحقاف : ١٥] إلى قوله : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ﴾ إلى قوله : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴾ وهو الوعد الذي وعدهم حيث ضرب بيديه إليهم تناولا ثم قال لهم : أنتم لي عملتم أو لم تعملوا [٢/٢٠٨/أ] وإنما صاروا بيضا كالفضة من أجل ذلك النور الذي أصابهم ، والآخرون سودا من أجل الظلمة التي خلقهم فيها .

١٥٤٨ـ حدثنا عبد الرحيم بن حبيب ، ثنا بقية بن الوليد ثنا ميسرة بن عبيد عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : لما خلق الله آدم ضرب بيده على شق آدم الأيمن فأخرج ذروا كالذر ، ثم قال : هؤلاء ذريتك من أجل الجنة ، ثم ضرب على شق آدم الأيسر فأخرج ذروا كالحمم ، ثم قال : هؤلاء ذريتك من أجل النار .

١٥٤٩ـ حدثنا الجارود ، ثنا معن بن عيسى ثنا معاوية بن صالح عن راشد الحمصي عن عبد الرحمن بن قتادة السلمي رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " إن الله خلق آدم وأخذ الخلق من ظهره ، فقال : هؤلاء في الجنة ولا أبالي ، وهؤلاء إلى النار ولا أبالي ، فقال رجل : يا رسول الله فعلى ماذا نعمل ، قال : على مواقع القدر " .

قوله : " هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي من نفوسهم أين ذهبوا .

١٥٥٠ـ حدثنا قتيبة بن سعيد ، عن مالك بن أنس عن زيد بن أبي أنيسة أن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب أخبره عن مسلم بن يسار الجهني عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أنه سئل عن هذه الآية ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن

ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ [الأعراف : ١٧٢] فقال عمر رضي الله عنه : سمعت رسول الله ﷺ يسأل عنها فقال رسول الله ﷺ : إن الله خلق آدم فمسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال : خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ، ثم مسح ظهره بيده فاستخرج ذرية فقال : خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون ، فقال رجل : يا رسول الله ففيم العمل ، فقال رسول الله ﷺ : " إن الله تعالى إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل أهل الجنة فيدخله الجنة ، وإذا خلقه للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت وهو على عمل أهل النار فيدخله به النار .

١٥٥١ـ حدثنا إبراهيم بن إسماعيل بن يحيى بن سلمة بن كهيل ، قال : حدثني أبي عن أبيه عن جده سلمة بن كهيل عن زيد بن وهب ثنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : ثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق قال : " إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين ليلة نطفة ، ثم علقة مثل ذلك ، ثم مضغة مثل ذلك ، ثم يبعث الله الملك بأربع كلمات فيقول له : اكتب أجله وعمله ورزقه وشقي أو سعيد ، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيغلب عليه كتابه الذي سبق فيختم له بعمل أهل النار فيدخل النار ، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار [٢/٢٠٨/ ب] حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيغلب عليه الكتاب الذي سبق فيختم له بعمل أهل الجنة فيدخله الله الجنة " .

١٥٥٢ـ حدثنا سفيان بن وكيع ، ثنا أبي عن الأعمش عن زيد بن وهب(١) عن عبد الله عن رسول الله ﷺ مثله .

فهذه قصة هذا الخلق فسبق لهم من الله ما سبق قال في تنزيله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ [الأنبياء : ١٠١] فالحسنى هي الجنة ، فمن سبقت له الجنة بوعد من الله تعالى ﴿ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٢] أي : في الجنة ، فشكر الله لهم ما كان لهم في تلك الظلمة من الطمأنينة إلى الله تعالى في وقت مبعث محمد ﷺ وعرفهم منته عليهم فقال : ﴿ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ [الفتح : ٢٦] ثم شكر لهم تقديمهم في

---

(١) بالأصل " زيد بن وهيب " والمثبت من التهذيب .

تلك الظلمة فأثنى عليهم بقوله : ﴿ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَاۚ ﴾ [الفتح : ٢٦] أي : أحق بهذه الكلمة وأهلا لهذه الكلمة بما تقدم منهم ، وإنما استقروا هناك في تلك الظلمة ونطقوا بما نطقوا بما رش عليهم من نوره هناك ، فأوجب لهم يومئذ محبته وجعل لهم ذلك النور حظهم من ربهم ، وأصحاب الجحيم لم يصبهم النور فلم يكن لهم حظ ، وأصحاب القفل منهم من لا حظ له فهو لاحق بأصحاب الجحيم ، ومنهم من له حظ في الغيب مكنون وحظهم أدنى الحظوظ ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [النساء : ١٤٥] ، ثم قال : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ ﴾ [النساء : ١٤٦] فشرط عليهم أربع شرائط ثم قال : ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَۖ ﴾ ولم يقل من المؤمنين ، فهؤلاء لاحقة بهم فهم في عداد المؤمنين وحظهم من المحبة قليل وهم من أصحاب القفل أدركتهم الرحمة الواسعة فصاروا متخلصين من النفاق ، ورفع القفل عنهم حتى انفتحت عيون أفئدتهم مع هذه الشرائط الأربع : التوبة إلى الله ، والإصلاح لما خرب ، والاعتصام بالله ، والإخلاص لله ، فحينئذ ألحقهم بالمؤمنين ليعلم أنهم لم يكونوا من المؤمنين الذين كتب في قلوبهم الإيمان يومئذ بقوله : أنتم لي عملتم أو لم تعملوا ، فهؤلاء يعتريهم ذلك النفاق بعد إيمانهم في أعمالهم فهم الذين يدلون على الله بأعمالهم في الشريعة ويعجبون بشأن أنفسهم ويكبون على أحوالهم في عامة عمرهم يتكبرون بها ويتعالون على الخلق ويعاملون الله في السر بخلاف العلانية ، ويراءون بأعمالهم ويتفاخرون على طلب الدنيا وجاهها وعزها وفخرها وخيلائها ويضاهون الله في مدائحه فالعزة لله جميعا والعلو لله والكبرياء لله ، فهم في شهرهم ودهرهم طالبون لعز الدنيا ذهابا بأنفسهم عن الخلق ولعلوها عن تعاليا عن أحوال الخلق وتكبرا عن الانقياد وللحق لكبرياء نفوسهم ، ساخطين لأقدار الله في الخلق وفي أنفسهم حاسدين لعباد الله في نعمهم مضادين لأقضيته وتقديره وتدبيره فيهم فهؤلاء أصحاب الأقفال الذين كانت له فيهم مشيئة [٢/ ٢٠٩/ أ] أن تدركهم رحمته وجوده ، فإن الجود بعد انقضاء الرحمة المائة المقسومة يوم القيامة بين أهل الجنة عمل وشأن عظيم جاد الله على من بقي في النار آلاف من السنين وليس عنده مثقال ذرة خير إلا توحيده خرج له أيام دنياه من باب الجود والرحمة العظمى ، فهم أصحاب الأقفال الذين كانت لله تعالى فيهم مشيئة أن

أدركتهم رحمته العظمى فلم يبال بما صنعوا فرفع عنهم القفل في الدنيا حتى نطقوا بالكلمة العليا وهي كلمة التقوى ، وأدخلهم الجنة بلا عمل ولا خير قدموه ، نالوا هذا من باب الجود في محل القدرة ونال المؤمنون المحبة من الذات وولهت قلوبهم بالذات حبا له .

الأصل التسعون والمائتان

١٥٥٣ـ حدثنا الجارود ، ثنا جرير ووكيع عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله رضي الله عنه قال : لما نزلت ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ [الأنعام : ٨٢] شق ذلك على المسلمين فقالوا : وأينا لم يظلم ؟ فقال رسول الله ﷺ : " ليس بذلك ، ألم تسمعوا إلى قول لقمان إن الشرك لظلم عظيم " .

١٥٥٤ـ حدثنا أبو سعيد الأشج ثنا أبو إدريس ثنا أبو إسحاق الشيباني عن أبي بكر بن أبي موسى عن الأسود بن هلال عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه : أنه سأل أصحابه عن هاتين الآيتين ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ ﴾ [فصلت : ٣٠] وقوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ فقالوا : استقاموا فلم يذنبوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم ، أي بذنب ، فقال : لقد حملتموها على غير المحمل ، إنما هو استقاموا فلم يشركوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أي : بشرك .

١٥٥٥ـ حدثنا صالح بن محمد أنبأنا أبان بن البحتري عن عبادة بن العوام عن زياد بن ميمون عن الحسن رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى : " ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ ﴾ فقال : " أمتي ورب الكعبة " مرتين أو ثلاثا ، فقال عمر رضي الله عنه : يا رسول الله ما ذكرك بهذه الآية ؟ قال : إن اليهود قالوا : ربنا الله فلم يستقيموا ، فقالوا في عزير عليه السلام ما قالوا ، وإن النصارى قالوا ربنا الله ثم لم يستقيموا فقالوا في المسيح ما قالوا ، وإن أمتي قالوا : ربنا الله ثم استقاموا فلم يشركوا " .

قال أبو عبد الله :

فهاتان كلمتان إنما هما اسمان لازمان لفعل ولكل فعل حدان فحد منه مبتدؤه والحد الآخر منتهاه ، فالاستقامة مبتدؤها انتصاب القلب لله تعالى رقا وتذللا وإلقاء باليدين سلما فهذا أول العبودة والاستقامة ، ثم من بعد انقضاء هذا الوقت يأتي محله وقت آخر وقد نالت شهوته بتلك الاستقامة عن الله فراغ يمينا وشمالا عن الانتصاب لله تذللا وخشعة وناله تجبر الكبرياء ، ثم تاب فرجع إلى الله تعالى وعاد إلى مقامه من التذلل والرق وصار إلى الاستقامة في مقامه فلا يزال هذا دأبه مرة هكذا ومرة هكذا يقطع عمره على هذه الصفة [٢/ ٢٠٩/ ب] فيختم له بإحدى المنزلتين ، ومن أيد في

الاستقامة حتى يمر إلى الله تعالى ولا يروغ في سيره يمينا وشمالا ، فإذا وصل إلى الله فقد ذهب الروغان واستقام على الباب ، ورأيت فيما يرى النائم كأن سائلا يسألني عن قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ ﴾ [فصلت : ٣٠] فأردت أن أجيبه بما عندي من ظاهر العلم فرأيت قبالتي شخصا بيده صحيفة يقابل بها وجهي مكتوب فيها ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ ﴾ أي : اشتاقوا إلى لقائه ، ثم انتبهت فقلت في نفسي هذا عين التفسير ، وإذا نزل العبد منزلة المشتاقين فنهمته وشهوته اللحوق بربه فقلبه بالباب عاكف والعاكف لا تزول استقامته فالناس فيما بين الحديث من مبتدئه إلى أعلاه كل قد أخذ من هذا الحظ ، فالديان يحاسبهم فيعطيهم من ثواب هذه الاستقامة كلا على قدر ثباته وانتصابه لله وتوقيه للروغان عنه ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ ﴾ [الأنعام : ٨٢] فالإيمان هو : طمأنينة القلب إلى الله واستقرار النفس بما استقر عليه القلب ، وإنما صار ذلك كذلك بالنور فذلك النور اكتساب القلب به يكرم وعليه يثاب وبه يجوز الصراط إلى دار السلام ، فإذا أذنب فالذنب ظلمة فقد ألبس ذلك النور ظلمة ، وهو قول رسول الله ﷺ : " إذا أذنب العبد نكت في قلبه نكتة سوداء ، فإن عاد نكت أخرى فلا يزال كذلك حتى يسود القلب ، فإذا تاب ونزع صقل قلبه " . يعني ترفع تلك النكت فينجلي القلب بنوره بمنزلة شمس خرجت عن كسوفها فتجلت .

فأقل الظلم ترك أصغر شيء من أمر الله ، وأعظم الظلم الشرك فذاك مبتدأه وهذا منتهاه فترك أدنى أمر الله هو ظلم ، وبقدر ذلك أطبق على نور الإيمان وأظلم الصدر منه بقدر ذلك لأنه افتقد إشراق ذلك النور على قدر ما أطبق ، فكلما ازداد ذنبا ازداد افتقادا للإشراق وازداد ظلمة حتى يطبق عليه كله إذا انتهى إلى منتهاه وهو رأس الذنوب وأعلاها ، والخلق فيما بين الحدين كل قد ألبس إيمانه يعني من هذا الظلم ، ومثل ذلك مثل الشمس إذا انكسفت فعلى قدر ما ينكسف منها يفتقد الخلق إشراقها من الأرض ، فإذا انكسفت كلها صار نهارهم كالليل فأعلم رسول الله ﷺ الخلق مبتدأه في حديث ومنتهاه في حديث آخر ، وكذلك أبو بكر وعمر رضي الله عنهما من بعده ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : استقاموا فلم يشركوا ، وقال عمر رضي الله عنه : استقاموا فلم يروغوا روغان الثعالب ، فقصد أبو بكر لأدناه وعمر لأعلاه .

فأما حديث رسول الله ﷺ :

١٥٥٦ـ فحدثنا يوسف بن موسى القطان الكوفي ، ثنا عمران بن أبي عمر الرازي قال : أنبأنا علي بن عبد الأعلى عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كنا مع رسول الله ﷺ في مسير ساره إذ عرض له أعرابي على بكر له فدنا فسأل رسول الله ﷺ فنهاه المهاجرون والأنصار ، فقال رسول الله ﷺ : خلوا عنه ، فقال : يا رسول الله والذي بعثك بالحق لقد جئتك من بلادي وتلادي ومالي لأهتدي بهداك وآخذ من قولك فما بلغتك حتى ما لي طعام [٢/ ٢١٠/ أ] إلا من خضر الأرض فاعرض علي . فعرض عليه رسول الله ﷺ فقبل فازدحمنا عليه فدخل خف بكره في بيت جرذان فخر الأعرابي فانكسر عنقه ، فقال رسول الله ﷺ : صدق ، والذي بعثني بالحق لقد خرج من بلاده وتلاده وماله ليهتدي بهداي ويأخذ من قولي ، فما بلغني حتى ما له طعام إلا من خضر الأرض كما قال ، أسمعتم بالذي عمل قليلا وجزي كثيرا هذا منهم أسمعتم ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام : ٨٢] فإن هذا منهم ، والذي بعثني بالحق ما بلغ الأرض قط حتى ملئ شدقه من ثمر الجنة اغسلوا أخاكم وكفنوه وصلوا عليه ، قالوا : يا رسول الله أنشق أم نلحد؟ فقال رسول الله ﷺ : اللحد لنا والشق لغيرنا .

١٥٥٧ـ حدثنا عبد الكريم ، عن محمد بن مهران الرازي ثنا محمد بن المعلي عن زياد بن خيثمة عن داود عن عبد الله بن سخبرة عن سخبرة قال : قال رسول الله ﷺ : من أعطي فشكر وابتلي فصبر فَظُلم فغفر ، وظَلَم فاستغفر ثم سكت ، فقيل : يا رسول الله ما له ؟(١) قال : ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ ؛ فهذا أعلاه . وحديث علقمة عن عبد الله رضي الله عنه أدناه .

فوعد الله في تنزيله للمستقيم الأمان من الخوف والحزن ، والبشرى بالجنة ولمن لم يلبس إيمانه بظلم الأمن والاهتداء ، فكل إنما ينال من ذلك الوعد بقدر ما يأتي من الاستقامة وقلة اللبس ، فالمؤمن لما آمن تقبل الله إيمانه ودخل في أمانه فله الأمن في الدنيا والآخرة من كل آفة ، فلما أذنب خرج من أمان الله بقدر ذلك الذنب

(١) في (ص) " فيقل له ما له يا رسول الله ما له " والمثبت من (ط) .

ونقص من الأمن بقدر ذلك واستحق العقوبة بقدر ذلك ، وهو أن تزول نعمة من نعمه عنه بقدر ذلك وإن شاء تفضل وعفا وإن عاقب زالت عنه من النعمة بقدر ذلك وذلك قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الأنفال : ٥٣] ، فالنعمة اسم جامع جملة لهذا الآدمي في بدنه ودينه ودنياه ، فلو لم يذنب لم يأخذ منه شيئا وكان على هيئته ، وإنما جاءت الأسقام والأمراض والنوائب والأحوال المتغايرة لمكان الخطايا والذنوب غيروا فغير الله ما بهم وعفا عن كثير ، وقال الله تعالى في تنزيله : ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورى : ٣٠] ، والاعتبار في هذا الأمر بقصة أبينا آدم عليه السلام فإن الله تعالى خلقه بيده وأسجد له ملائكته وبوأه الجنة مع زوجته وعهد إليه عهدا أن هذا الذي أبى أن يسجد لك هو عدو لك ولزوجك ﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴾ [طه : ١١٧] ، وعرض الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها ، فنظر آدم إلى آباد هؤلاء فأخذته الغيرة وهاج منه الحب لله فاحتملها وتقلدها فبقيت قلادة في عنقه فقيل له : هذه الجنة مسكنك فانظر أن لا يخرجك وزوجتك هذا العدو من هذا المسكن أي : يغرك حتى تحدث فيه حدثا يكون [٢/ ٢١٠/ ب] خيانة للأمانة ، وقيل له : إن لك فيها أي : في الجنة أن لا تجوع فيها ولا تعرى ، وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى ، وهذه الأربع قوام الآدمي ومعاشه يعرفك أنك إن أحدثت أخرجت منها فإذا أخرجت شقيت أي : صرت بمعزل من النعيم ولحقتك الشدة والتعب والنصب في هذه المعيشة فتحتاج إلى أن تتكلف لجوعك وعريك وظمئك وضحاك وهو حر الشمس ، لجوعك طعاما ولعريك لباسا ولظمئك ماء ولضحاك مسكنا وكنا ، فلما أحدث وأخرج منها ألقي عليه هذا الذي حذر من الشقاء دون حواء ، فقيل : ﴿ فَتَشْقَىٰٓ ﴾ [طه : ١١٧] ، ولم يقل فتشقيان ، ومن ههنا علمنا أن نفقة المرأة على الزوج ، فبقي ولده في هذا الشقاء إلى انقضاء الدنيا ، فكل من كان من ولده أحفظ لهذه الأمانة كان أوفر حظا من أمان الله في الدنيا والآخرة ، لأنه إنما قبل الله منه إيمانه بقبوله للأمانة

فأوفرهم حظا من وفاء الإيمان وحفظ الأمانة أوفرهم حظا من قبوله لعهده أوفاهم فإذا قبله فهو في أمانة في الدنيا والآخرة وذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ

ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ [الحج : ٣٨] ، وكان داود عليه السلام يقول في دعائه : اللهم دافع عني من كل جانب ، وكان يسأل الدفاع ، وكان رسول الله ﷺ من شأنه أن يقول : أعوذ بك من كذا ، وبذلك أمر في تنزيله وهو قوله تعالى : ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴾ [المؤمنون : ٩٨] وعليه أنزلت المعوذتان ، فالدفاع سؤال من بعُد في القربة ، والتعوذ تعلق به في القربة من القربة .

الأصل الحادي والتسعون والمائتان

١٥٥٨ـ **حدثنا** سفيان بن وكيع ثنا أبي عمير عن زكريا بن أبي زائدة عن محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة عن كعب بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : " ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه "

قال أبو عبد الله رضي الله عنه :

فوضع الله الحرص في هذا الآدمي ثم ذمه في المؤمنين بزمام التوحيد واليقين وقطع علائق الحرص بنور السبحات ، فمن كان حظه من نور اليقين ونور السبحات أوفر كان وثاق حرصه أوثق وحصنه أحصن ، والحرص محتاج إليه الآدمي ولكن بقدر معلوم فإذا لم يكن لحرصه وثاق وجاءت رياحه لهبوبها استقرت فتعدى القدر الذي يحتاج إليه فأفسد .

قال له قائل : ما الحرص وما حاجة الآدمي إليه قال : إن الحرص مدد القوة الموضوعة في الآدمي ومثيرها وعمادنا ، وهي نار تتقد ولها خشعة وغليان وأصلها من نور الحياة وبقدر ما تتلظى نار .

والحرص يظهر لهبها في الجوارح فإذا استعمل تلك الجارحة استعملها باستفزاز وخفة وإذا سكن الحرص فترت القوة [٢/ ٢١١/أ] فبالحرص يقوى على تعب الأركان في أعمال البر ، وبالحرص يصابر على طاعة الله ، وبالحرص يسمو إلى معالي الدرجات ، ومن شأن الحرص الترقي في الدرجات وطلب الازدياد من كل شيء يناله من الدنيا والآخرة ، فحريق الحرص وتلظيه يحرق شهوة كل شيء يناله لا حرق تلاشي ، ولكن يأتي حريق أشد منه كالنار التي تأكل بعضها بعضا فيزداد قوة ، فكلما ازداد تناولا من تهمة شيء من أمر الدين والدنيا ازداد حريقه تلظيا وازدادت النار قوة ، ولذلك قيل في الحديث : " ما أعطي العبد شيئا من الدنيا إلا زيد مثليه في الحرص " ، والحرص والصرح مشتق بعضه من بعض ، فالصرح البناء العالي المشرف الناتئ(١) على البنيان ، وهو قوله : ﴿ يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ

(١) هكذا استظهرت قراءتها .

ٱلْأَسْبَٰبَ * أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ [غافر : ٣٦-٣٧] ، فهذا في الظاهر صرح ، وذلك في الباطن صرح على تقليب الحروف سمي حرصا ؛ لأنه به يطلب الازدياد ويترقى في درجات المزيد علوا غلوا ، كلما نال درجة من درجات الدين والدنيا سما به حرصه إلى درجة أعلى منها ، فلا يزال يترقى حتى يبلغ درجة يكون له منظرا ، فإذا نظر إلى من دونه في درجات الدين اعتراه العُجْب فأعجب بنفسه ، فصال بتلك الدرجة على الخلق فاستطال ، فرمي به من ذلك العلو فلا يبقى له عضو إلا تكسر وتبدد ، وكذلك في درجات الدنيا إذا رمى ببصره إلى من دونه في الدرجات تكبر عليهم فتاه عن الله بكبره ، وتجبر على عباده فخشي تزيّده ، ففي درجات الدين يقال له أعرف ، وفي درجات الدنيا . . .(١) ويؤخر ، فأعطي الآدمي هذا الحرص ليتقوى به على الازدياد من أعمال البر ، فكلما نال درجة سما منها إلى ما هو أعلى منها سيرا إلى الله وشوقا إليه ، فحرصه مزموم بالخوف والخشية ، مشحون بأثقال السكينة والوقار مقبوض ، فصاحب هذا طال للعلو في الدين قد عصمه الله عن التعدي والإعجاب وترك الأدب في الدين ، ألا ترى إلى قول رسول الله ﷺ لأبي بكرة رضي الله عنه حيث دخل المسجد والناس ركوع فركع ومشى في ركوعه حتى وصل إلى الصف فقال له رسول الله ﷺ : " زادك الله حرصا ولا تعد " ، وقد كان تقدم إليهم فقال : " إذا أتيتم الصلاة فأتوها بالسكينة والوقار ، فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فاقضوا " ، وقال في حديث آخر : " التأني من الله والعجلة من الشيطان " .

١٥٥٩ـ **وحدثنا** محمد بن مقاتل ، ثنا أبو زهير ، عن الحسن بن دينار ، عن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ : " من استعجل أخطأ " ، فالعجلة من الخفة ، والخفة من هيجان الحرص تزيد في قوتك وتمدها حتى تصير به مذموما وتزول عنك السكينة والوقار ، فهذا صاحب الدين ، وأما صاحب الدنيا فحرصه حمله على أن يكون طالبا للازدياد من الدنيا طالبا لعلو الدرجات ، [٢/ ٢١١/ ب] قال الله تعالى : ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ﴾ [القصص : ٨٣] ، فزجر عن طلب العلو في درجات الدنيا ، وحرم طالبه الدار الآخرة وهي الجنة ؛ لأن الدنيا مقدرة في اللوح مقسومة بين

(١) كلمة لم أستظهر قراءتها .

العباد لن ينال عبد منها إلا ما قدر له وكتب ، وهي درجات بعضها فوق بعض ليبلونا فيما آتانا ، وكذلك قال في تنزيله : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ [الأنعام : ١٦٥] ، أي : من يشكر نعمتي ومن يكفرها ، ثم قال : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ﴾ كي يخاف العبد عقوبته ، ثم قال : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴾ كي لا يقنط العباد من رحمته بما تقدم من وعيده أنه سريع العقاب ، وقال : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ﴾ [هود : ٦٠] ، ثم قال : ﴿ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ ، فإنما ضمن بيان مقداره وكيفيته ومراقبته الكتاب كي تسكن نفوسهم إلى ما قدر وكتب ، ويتفرغ القلب لما خلق له من العبودة ، فإنه خلق عبدا ليكون له عبدا كما خلق ، فيثيبه غدا على كونه عبدا دار السلام ملكا محبورا واليوم عبدا مربوبا مغموما محزونا على خطر عظيم في ذل العبودة مع الهوى والشهوة والعدو ، فإذا حرص العبد فهاج في حرصه حتى خرج من الحصن وانحل من الوثاق الذي وصفنا بدءا لم تقنع نفسه بما أوتي وكتب له في اللوح ، وأخرجه ذلك إلى السخط على رب العالمين .

١٥٦٠ـ **حدثنا** أبي رحمه الله ، ثنا عمرو بن خالد الأعشى ، عن زياد بن المنذر ، عن أبي جعفر محمد بن علي قال : " أصبت أربعة أسطر وأربعة أسطر تتبعها ، فأما الأول : فمن لا يستشير يندم ، وكما تدين تدان ، ومن يملك يستأثر ، والفقر الموت الأكبر ، وأربعة أسطر تتبعها : من أصبح على الدنيا ساخطا فإنما يسخط على ربه ، ومن نزلت به مصيبة فشكاها فإنما يشكو ربه ، ومن جالس غنيا فتضعضع له ليصيب من عرض دنياه ذهب بثلثي دينه ، ومن قرأ القرآن ثم مات فدخل النار فلم يكن يقرأ القرآن إنما كان يتخذ آيات الله هزوا " .

ورُوي لنا – عن التوراة – أنه قال(١) : من أصبح حزينا على الدنيا أصبح ساخطا على ربه ، وإنما حزن لأن حرصه قواه وهيجه على طلب ما اشتهاه ، ولا يرجع بقلبه إلى ما قدر له فيطمئن إلى حسن تدبيره وتقديره ويسكن إلى علمه فيه كم يزاد له من دنيا ، فإذا لم يرجع قلبه إلى ذلك ولم تطمئن نفسه فطلبت النفس ذلك فلم تجد حزنت ، فأداه الحزن إلى السخط على ربه ، فذلك الداء العضال المستقبح للآدمي ، والحرص حمل أبانا آدم على أن طلب الأكل من الشجرة ليبقى فيها ولم ينظر إلى تقدير الله ، وذهبت

---

(١) كذا بالأصل ، ويكون التقدير أنه قال في التوراة .

عنه المراقبة لمشيئة الله ، والحرص في الطاعات وأعمال البر إذا خرج من الوثاق والحصن أضر به وأفسد الأمر ؛ لأنه تجاوز بالعبد [٢/ ٢١٢/أ] إلى التعدي عن المقدار في دين كان أو دنيا ، ألا ترى إلى قوله : ﴿ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴾ [يوسف : ١٠٣] ، وقال : ﴿ إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾ [النحل : ٣٧] ، فكان يؤيسه من هداهم إلا بإذنه ، ويقتضيهم أن يدعوهم إليه ، ومع ذلك مراقبة الإذن والهداية ، وقد أخبره في تنزيله فقال : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تُؤۡمِنَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ﴾ [يونس : ١٠٠] ، وقال : ﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾ [يونس : ٩٩] ، وكان حرصه يغلبه ، على الطلب منهم الاهتداء والقبول حتى قال : ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ ، وقال : ﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكَ إِعۡرَاضُهُمۡ فَإِنِ ٱسۡتَطَعۡتَ أَن تَبۡتَغِيَ نَفَقٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ سُلَّمٗا فِي ٱلسَّمَآءِ فَتَأۡتِيَهُم بِـَٔايَةٖۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمۡ عَلَى ٱلۡهُدَىٰۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ [الأنعام : ٣٥] ، فالحرص على قبولهم ما جاء عن الله حمله على ذلك وهيجه حتى خرج إلى الحال الذي ردعه عنه فقال : ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ أي : لا تشأ أنت إلا ما أشاء ، وإنما عليك البلاغ وعلينا الهدى ، وإنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء ، فردد هذه الكلمة وما أشبه في القرآن في نحو من خمسين آية أو أقل أو أكثر ليعلم بأن خروج هذا وسكون هذا الحرص من الآدميين في مدة طويلة ، ويزداد موعظة على موعظة وزجرا على زجر حتى يسكن هذا الحرص ، ليعلم أن هذا أقوى شيء في الآدميين وأعظم ضررا ، فاقتضاه ﷺ مراقبة مشيئته في كل أمره دينا ودنيا ورفض جميع مشيئاته في الدين والدنيا بمشيئته وهذا منتهى العبودة ، فعندها يصل العبد إلى الله إلى منتهى منازل القربة ، وهذا خالص العبودة لمن سار إلى الله عبدا ليصل إليه ، فلا يزال يرفض مشيئاته بمشيئته في كل أمر دينا ودنيا حتى تزول عنه جميع مشيئاته ، فعندها فارق الهوى الذي اتخذه الآدمي إلها من دون الله ، فصارت القلوب والهة بالهوى إلى الشهوات دون الوله إلى الله ، فصارت قلوبهم دنسة بالهوى والتجبر من جوره عن بابه ، وكل من كان أوفر حظا من الهوى كان قلبه من الله أبعد حتى ينحط من بابه بزيادة استعمال الهوى حتى يقع في الكبائر ينهمك فيها حتى يصير إلى عبادة الأوثان ، فإنهم عبدوا الأوثان بأهواء النفوس ، كما زين الشيطان في قلوبهم حجرا أو شجرة نصبوه وثنا فعبدوه

وحرصوا على ذلك حرصا حتى كانوا إذا رأوه ابتدروه أيهم يستلمه أولا ، قال الله تعالى : ﴿ كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ * خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ ﴾ [المعارج : ٤٣] والوفض السرعة في المشي .

١٥٦١ـ حدثنا الفضل بن محمد ، عن مسلم بن إبراهيم ، عن قرة بن خالد ، عن الحسن في قوله : ﴿ كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴾ ، قال : " يبتدرون إلى آلهتهم أيهم أسرع ، فلم يزل هذا شأن الله تعالى مع الأنبياء بردع إرادتهم ومشيئاتهم ليقفوا على مراقبة مشيئته [٢/ ٢١٢/ ب] حتى استقاموا ، فرضي الله عنهم لموافقتهم إياه والتخلي عن الجبرية ؛ فإن الجبار واحد قهار ، وليس للعبيد أن يتجبروا فيضاهون الله ، وإنما سمي الجبار جبارا لأنه مستبد بكبره يجبر الخلق على مشيئته ، فالجبار يضاهي الله مضاد لحكمه وأقضيته ، وقال في تنزيله : ﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ [غافر : ٣٥] ، والجبر لله والكبر لله ليس للمخلوق منه شيء إلا ما يعطيهم " .

١٥٦٢ـ حدثنا عمر بن أبي عمر ، ثنا عبد الوهاب بن نافع ، عن ابن المبارك ، عن الحسن قال : قال الله تعالى : " يا داود ، تريد وأريد ويكون ما أريد ، فإن أردت ما أريد كفيتك ما تريد ، وإن أردت غير ما أريد عنيتك فيما تريد ويكون ما أريد " . فلم يزل يهذب نبينا ﷺ بالزجر عن التحارص في الدين حتى يكون بمقدار ، ومقداره أن يراقب أمر الله ما يبدو له من مشيئاته في كل أمر ، فيطمئن إليها حتى استقام ، فأثنى عليه فقال : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم : ٤] ، فسئلت عائشة رضي الله عنها عن خلقه فقالت : كان يرضى برضاه ويسخط بسخطه ، أي : برضا الله وبسخطه ، كأنه لم تبق له مشيئة ، وبلغ من استقامته أنه روي لنا أنه لما قبض جاءه جبريل عليهما السلام فقال : إن ربك يخيرك بين لقائه وبين الخلد ، فقال : " لا أختار حتى يختار لي ربي " ، فهذا غاية رفض المشيئة ، لم يحمله الشوق إلى ربه على اختيار اللقاء ، ولم يحمله الكون بين الأمة في خالص العبودة ولذة الطاعات وتربية الأمة فيختار الكون بين ظهرانيهم ، فألقى الاختيار إلى ربه ، ورجع جبريل عليه الصلاة والسلام وقد قال لملك الموت : لا تنزعن محمدا حتى آتيك ، فرجع وملك الموت ينتظره ، فقال : يا محمد ، إن الله اختار لك لقاءه ، فقال : " تقدم يا ملك الموت " ، فما زال يقول : " لقاء ربي لقاء ربي " ، حتى خرجت نفسه .

١٥٦٣ـ حدثنا بهذه القصة أبي رحمه الله ، ثنا صالح بن عبد الله ، ثنا عبد الوهاب الثقفي ، ثنا المهاجر ، عن أبي العالية ، أن جبريل عليه الصلاة والسلام أتى النبي ﷺ في مرضه

الذي توفي فيه فقال : إن ربي يخيرك أن تعيش ما شئت وتعطى نهمتك من الدنيا وأنت عبد الله ورسوله أو الرفيق الأعلى ، فقال نبي الله ﷺ : " فأنت رسولي إلى ربي ، فليختر لي " ، فخرج جبريل فرأى ملك الموت على باب الحجرة فقال له جبريل : لا تدخل ولا تنزعن محمدا حتى آتيك ، فحدث رسول الله ﷺ أصحابه فقال : " إن ربي أرسل إلي يعرض علي كذا وكذا " ، فقال له أصحابه : يا نبي الله ، فما كان عليك أن تختار أن تعيش فتعطى نهمتك من الدنيا وأنت عبد الله ورسوله ويأتيك خبر السماء غدوة وعشية ، فقال ﷺ : " كلا ، خيرة ربي " ، فلبث جبريل ساعة فقال نبي الله ﷺ : " ما أراني إلا مقبوضا " ، فجاء جبريل بعد ذلك فقال : إن ربي أرسلني إليك يخيرك زيادة أن تعيش ما شئت فتعطى نهمتك من الدنيا [٢/ ٢١٣/ أ] وأنت عبد الله ورسوله أو الرفيق الأعلى ، قال : فإن الله خار لك أن تلقاه ، فخرج جبريل عليه السلام ودخل ملك الموت ، فما زال نبي الله ﷺ يقول : " لقاء ربي " حتى قضى " . فلم نسمع أحدا من الرسل قبله إلا تردد واضطرب في وقت وفاته ، فروي لنا عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام أنه لما أتاه ملك الموت فقال له : أنت مقبوض ، وكره ذلك وقال : هل رأيت خليلا يميت خليلا ؟ فرجع ملك الموت بما قال إلى ربه ، فقال له : قل له : وهل رأيت حبيبا يكره لقاء حبيبه ؟ ومثل له في كرمه شيخ فقرب إليه عنبا فجعل يأكله بفيه ويخرج من أسفله فقال له : كم أتى لك يا شيخ ؟ فذكر عدد سني إبراهيم ، فكره الحياة وقال : اللهم اقبضني إليك .

وروي أن ملك الموت أتى موسى عليهما السلام فأعلمه أنه ميت ، فقال : الآن وقد قرت عيني ، فأوحى الله إليه : أما ترضى أن ألبس وجهك نورا على نور الشمس وأضعافه ثنتي عشرة مرة ؟

وروي في حديث آخر أنه كره الموت كراهية دفع يده فلطم عين ملك الموت حتى فقأ عينه ، وما زال يخاصمه : من أين تأخذ روحي ؟ أمن سمعي ؟ وقد سمعت كلام ربي ، أم من فمي ؟ وقد كلمت ربي ، أم من يدي " وقد تناولت التوراة منه بيدي ، أم من قدمي ؟ وقد وقفت بهما بين يدي ربي في المناجاة ، فما زال يخاصم حتى بقي ملك الموت وهو يرتقي أو رجع إلى ربه ، فاضطربت الرسل في شأن الموت ، وروي لنا عن داود عليه الصلاة والسلام أنه وافاه ملك الموت وهو يرتقي المحراب ،

فقال : دعني لأرتقي ، فقال : ليس إلى ذلك سبيل ، قال : دعني أنزل ، قال : ليس إلى ذلك سبيل ، قد نفدت الآثار فما أنت بمؤثر أثرا ، فقبض نفسه على تلك الحال ، فكان نبينا ﷺ مهذبا أدبه رب العالمين بهذه الآيات حتى استقام ورفض مشيئاته لمشيئة الله ، ووقف على حدود المراقبة ، فبرز بها على الرسل ، وكذلك فعل حيث خير بين أن يكون نبيا عبدا أو نبيا ملكا ، فلم يختر حتى أشار إليه جبريل عليه السلام وقد صار جبريل كهيئة الحلس الملقى ميتا من الفرق ، فأشار إليه بيده أن تواضع ، فقال رسول الله ﷺ : " نبيا عبدا " ، فقيل له : إن لك بأن تواضعت أنك أول من تنشق عنه الأرض ، وأول خطيب ، وأول شفيع ، ولواء الحمد بيدك ومفاتيح الكرم ، وإنما وقف جبريل عليه السلام فلم يختر له حتى ينظر ما يتجلى له من ربه من ملكه ، فلما تجلى له ما تجلى صار كالميت من الفرق ، فذلك ملك الجلال ، فاستدل بذلك جبريل عليه السلام في ذلك الوقت أنه لم يتجلَّ له من ملكه إلا ملك الجلال أنه اختار له التواضع ، فحل لجبريل ما حل وأشار إليه بالتواضع ، ولو أراد أن يختار له نبيا ملكا لكان عسى أن يتجلى له ملك الجمال والبهجة فكان ينبسط جبريل عليه السلام ويأنس بما يتجلى له فيستدل به على ما [٢/ ٢١٣/ ب] يختار له ربه ، فهذا شأن نبي الله ﷺ ، ما زال يردعه عن التحارص حتى طهره عن التعدي ، وذم حرصه بمشيئة ربه ، فإذا كان الحرص في الدين يضر كل هذا الضرر فكيف بمن حرص على دنيا دنية يطلب بها العلو على الخلق والتجبر ، ويطمئن في نوائبه إلى دنياه معتمدا عليها ومقتدرا ، فمن فعل ذلك في دينه سمي جاهلا كما قال له : ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأنعام : ٣٥] ، ومن فعل هذا في دنياه عمي عن الله ، وقال في تنزيله : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ [الحج : ٤٦] ، وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : " ليس الأعمى من يعمى بصره إنما الأعمى من تعمى بصيرته " ، وقال في تنزيله : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر : ٩] ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ﴾ [الرعد : ١٦] ، فالذي عمي قلبه عن الله فهو في ظلمات المعاصي جمعا من غير حق ومنعا من حق وإنفاقا في غير حق ، فهذا كله في النار ، وقد قال : ﴿ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا * إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾ [الإسراء : ٢٦-٢٧] فانظر إلى من نسبه .

قال رسول الله ﷺ : " حبك الشيء يعمي ويصم " ، فإنما حرص على جمعه لحبه إياه فأعماه وأصمه عن أمر الله فيه وعن حقوقه فيه وعن حدوده ، وألهاه تكاثره به عن ذكر الموت حتى زار المقابر أصم أعمى ، قد لحقته حقوق المال كالزنابير تلسعه وكالعقارب تلدغه وكالحيات تنهشه ، وقال : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [آل عمران : ١٨٠] .

وروي عن رسول الله ﷺ أن الذي جمع من غير حله ومنع الحقوق منه يمثل له ماله حية يطوق بها عنقه يوم القيامة فتقضقض بأسنانها شئون رأسه ، تأكل دماغه ثم يعود كما كان ، ثم تفعل به مثل ذلك ، فما زال هذا حاله في الموقف حتى يقضي الله بين العباد ، ثم مصيره إلى ما شاء الله من النار أو غيرها ، فهذا كله ثمرة الحرص ، والحرص على الدنيا يذهب القناعة ، ويكون ساخطا على ربه ، والحرص في الدين يطمس العلم ، ويكون صاحبه جاهلا إذا خرج الحرص من الوثاق ، فإذا كان في وثاق انتفع به صاحبه ؛ لأن الله تعالى وضعه في الآدمي ليكون عونا له وقوة على ما يحتاج إليه في الدين والدنيا ، وإذا كان الحرص مفقودا أداه إلى العجز والكسل في أمر الله وفي عبودته ، فالحرص على الدنيا إذا كان في وثاق يقفه على القناعة بما قسم الله له من دنياه ، فكلما آتاه شيئا منه من حله من غير طمع ولا إشراف نفس قبله من ربه وحمده عليه وقنع به ، والحرص في دينه إذا كان في وثاق يقفه على حدود مراقبة المشيئة وتدبير الله ، وروي لنا عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ بعث إليه بهدية ، فكأنه امتنع من قبولها ، فقال له : " يا عمر ، ما آتاك الله من هذا المال من غير مسألة ولا إشراف [٢/ ٢١٤/ أ] نفس فخذه ، فإنما هو رزق ساقه الله إليك " ، فمن أدبه الله وهذبه كان حرصه على هذه الصفة التي وصفنا .

الأصل الثاني والتسعون والمائتان

١٥٦٤ـ حدثنا قتيبة بن سعيد ، عن مالك بن أنس ، عن عبد الله بن عبد الله بن جابر عن[1] عتيك بن الحارث بن عتيك ، أنه أخبره أن ابن عتيك أخبره ، أن رسول الله ﷺ جاء يعود عبد الله بن ثابت فوجده قد غلب ، فصاح به فلم يجبه ، فاسترجع رسول الله ﷺ وقال : " قد غلبنا عليك يا أبا الربيع " ، فصاح النسوة وبكين ، فجعل ابن عتيك يسكتهن ، فقال رسول الله ﷺ : " دعهن ، فإذا وجب فلا تبكين باكية " ، قالوا : وما الوجوب يا رسول الله ؟ قال : " إذا مات " ، قالت ابنته : والله إني كنت لأرجو أن تكون شهيدا فإنك قد كنت قضيت جهادك ، فقال رسول الله ﷺ : " إن الله قد أوقع أجره على قدر نيته " ، ثم قال : " ما تعدون الشهادة فيكم ؟ " ، قالوا : القتل في سبيل الله ، قال رسول الله ﷺ : " الشهادة سبع سوى القتل في سبيل الله ؛ المطعون شهيد والغرق شهيد وصاحب ذات الجنب شهيد والمبطون شهيد وصاحب الحريق شهيد والذي يموت تحت الهدم شهيد والمرأة تموت بجمع شهيد " .

قال أبو عبد الله :

فالشهادة لها مرتبة عظيمة عند الله ، والصدق أعظم مرتبة ، وقد ذكر الله في تنزيله الصنفين فقدم الصدق على الشهادة فقال : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [النساء : ٦٩] ، فبدأ بالأول فالأول ؛ ذكر النبوة ثم الصدق ثم الشهادة ثم الصلاح ، فالصديق صدق الله في بذل نفسه له في وقت الوفاة ، وإنما نالوا الكرامة كل هذه[2] الأصناف ببذل النفس ، ومن بذل نفسه لله فقد آثر الله على نفسه ، وذلك أن العبد وضع له في هذا القالب - أعني الجسد - روحا به حيي وبالنفس التي في جوفه وهي الأمارة بالسوء المحبة للحياة في الدنيا فأعطي الآدمي هذه الحياة ههنا ليلتذ بالأشياء بقوتها وعظم الحياة في دار الآخرة ، وقال في تنزيله : ﴿ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت : ٦٤] ، فالحيوان في الجنة ، والحياة في الدنيا ، وكل شيء على قالب فعلان فهو أكثر من قالب فعيل

---

(١) بالأصل « بن » والمثبت من كتب التراجم .

(٢) بالأصل " هذا " .

وفاعل ، كقوله : الرحمن والرحيم والعريان والعاري وحسان وحسن وندمان ونديم فالعريان هو الذي بقشره ، والعاري الذي خلق ثيابه وبلي فهو عاري من الكسوة ، وسأل عمر : من أشعر شعرائكم ، فقال : النابغة ، وأنشد هذا البيت :

أتيتك عاريا خلقا ثيابي على خوف تظن بي الظنونا

١٥٦٥ـ حدثنا بذلك الجارود ، عن أسامة ، عن مجالد ، عن عامر ، عن ربعي بن حراش ، عن عمر رضي الله عنه . وعظم الحياة ، وحياة الحياة [٢/ ٢١٤/ ب] عند الله الحي الذي لا يموت ، فمن حيي قلبه بالله سعد ، وللحياة بين العباد درجات ، فالكافر ميت القلب حي الجسد بحياة الروح وحياة النفس الأمارة بالسوء ، والمؤمن حي القلب حي الجسد ، فحياة قلبه بالله وحياة جسده بالروح والنفس ، فنال بتلك الحياة التوحيد ، ثم لم يزل يعمل الطاعات يتقرب بها إلى ربه ، فكلما ازداد قربا زاده الله حياة قلب ، وكلما ازداد من الله قربه ازداد حياة حتى ينال درجة الشهادة فيبذل نفسه لله ويؤثر الله على نفسه عند كل أمر ؛ لأن المؤمن ممتحن بالشهوات ، فإذا عارضته شهوة آثر الله على تلك الشهوة فرفضها ولم يذق نفسه طعمها عادى نفسه في ذات الله ، فهذا عبد قد أراد الله فرفض نفسه ، فحق على الله أن يريده ويؤثره ، وإن للشهوات حلاوة ولذة ، ولوجود الله بالقلب حلاوة ولذة ، ووجوده أن يتراءى لفؤاده نورا من أنواره فيهيج من قلبه حبه له وشوقه إلى لقائه ، فكلما كان ذلك النور أنظر وأعلى كان هيجان القلب وفوران الشوق أقوى وأشد سلطانًا ، فمن عارضته شهوة من الشهوات الدنياوية فأعطى نفسه حلاوتها ولذتها فقد آثر نفسه على الله ، فهو محجوب عن الله بقدر ما آثره ؛ لأن قلبه قد صار والها عن الله بتلك الشهوة ، فبقدر ما صار والها صار محجوبا وصار ولهه إلى الشهوة نقص ولهه الذي توله إلى الله ، وبقدر ذلك نقص من نور كلمة لا إله إلا الله ، فإن نور كلمة لا إله إلا الله أثقل في الميزان من سبع سموات وسبع أرضين وجميع ما فيها من الخلق ، وكذلك روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : " قال موسى : يا رب دلني على عمل أعمله ، قال : قل يا موسى : لا إله إلا الله ، قال : يا رب دلني على عمل أعمله ، قال : يا موسى ، قل : لا إله إلا الله ، قال : يا رب دلني على عمل أعمله ، قال : فأراد نبي الله أن يعمل عملا ينهك فيه بدنه فقال : يا موسى ، إن السماوات السبع

والأرضين ومن فيهن من الخلق لو وضعت في كفة ووضعت لا إله إلا الله في كفة لرجحت بهن " .

١٥٦٦ـ حدثنا عبد الله بن أبي زياد ، ثنا سيار ، ثنا جعفر ، ثنا حمزة بن نجيح ، قال : حدثني سلمة ، عن محمد بن علي ، أن النبي ﷺ أمسى في الأنصار بقباء عشية خميس وأمسى صائما ، فأتاه أوس بن خولة - رجل من الأنصار - لما أمسى بقدح فذاقه ، فقال له رسول الله ﷺ : " ما شرابك ؟ " ، قال : ماء وعسل أو لبن وعسل ، قال : فوضعه وقال : " أما إني لا أحرمه ولكن أتركه تواضعا لله ، فإنه من تواضع لله رفعه الله ، ومن اقتصد أغناه الله ، ومن بذر أفقره الله " ، فهذا يحقق لك ما قلنا بدءا أن من آثر الله على شهوته فقد بذل نفسه لله ، ومن آثر الشهوة لقي ما لقي الخضر حيث عوتب على فعله ، وإنما يعاتب الأحباب والخواص من العباد ، والأباعد لا يعاتبون ولا ينبغي منهم ذلك .

١٥٦٧ـ حدثنا [٢/ ٢١٥/ أ] عبد المنعم ، عن أبيه عن جده وهب بن منبه قال : بينما الخضر قاعد على شط البحر إذا أتاه سائل فوقف عليه ، فقال له : أيها القاعد أسألك بوجه الله أن تعطف علي بخير ، فغشي على الخضر ساعة من مقالة السائل بوجه الله ، فأفاق ثم قال : أيها السائل سألتني بوجه الله لا أدري ما أكافئك به ، وليس من الأشياء أكرم علي من نفسي ، فقد بذلتك نفسي لعزة وجه الله ، فدونك ، فبعها ، وانتفع بثمنها ، فذهب به السائل ، فعرضه على البيع ، فباعه من رجل غني يقال له : ساحم بن أرقم ، فذهب به إلى منزله وله بستان صغير في داره بجنبها جبل كبير ، فدفع المسحاة إليه ، وأمره أن ينحت شيئا من ذلك الجبل الذي في البستان قدر ما يغرس فيه شيئًا ، وغاب ساحم إلى حاجته ، وأقبل الخضر على النحت من ذلك الجبل ، فأبطأ مولاه في حاجته ، وجاء ممسيًا ، فقال لمن في البيت : أطعمتم هذا الغلام ؟ قالوا : أيما غلام ؟ قال : الذي اشتريته اليوم وجعلته في البستان . قالوا : لا علم لنا به . فاسترجع ، وأخذ الطعام ودخل عليه ، فإذا هو فرغ من ذلك الجبل وهدّه ، وذلك الجبل فرسخ في فرسخ ، قد سوى في ذلك البستان وأصلحه ، وفرغ منه ، وقام إلى الصلاة ، فنظر ساحم إلى أمر عظيم ، وفزع من ذلك وتعجب ، وكاد يغشى عليه ، فدنا منه فقال له : من أنت ؟ قال : أنا عبدك . قال : نعم ، فما قصتك ؟ وما جنسك ؟ ومن أنت ؟ قال : أما القصة فعبد بيع وآخر اشترى ، وأما الجنس فمن آدم ، وآدم من تراب . قال : فمن أين لك هذه

القوة التي أرى ؟ قال : من الله . قال : فأسألك بوجه الله لما صدقتني من أنت ؟ فغشي على الخضر ، وسقط ساعة مغشيًا عليه ، فلما أفاق قال : أنا الخضر المذنب . فغشي على ساحم ساعةَ علم أنه الخضر ، فأفاق ، ثم غشي عليه ، ثم أفاق وهو يقول : سبحان خالق النور ، أعتقت عبدك ووليك وحبيبك وصفيك خضر لوجهك ، وأسألك التوبة مما كان من استعمالي إياه ، فسجد الخضر سجدة وهو يقول : يا رب بوجهك بذلت نفسي ، وبوجهك أقررت بالرق ، وبوجهك بعت رقبتي ، وبوجهك رددت نفسي ، فمن الذي رجاك فخيبته ؟ ومن الذي خافك فلم تؤمنه ؟ ومن الذي دعاك فلم تجبه ؟ يا رب أدعوك دعوة الخاطئين ، يا رب أعتقني ساحم ، فمن يعتقني من ذنوبي الموبقة ؟ خلصني ساحم من عبودته فمن يخلصني من سيئاتي وذنوبي عند ذي العرش . فقال له ساحم : أقسمت عليك بعزة الله أن تخبرني بسببك كيف صرت عبدا ؟ ومن الذي صيرك إلى أن بعت نفسك ؟ قال الوجه الذي تعتقني لوجهه . ثم قص عليه القصة ، قال وقد عظمت علينا منتك يا ساحم ، فإن رأيت أن أقيم فأؤدي بعض ما يجب من حقك أقمت ، وإن أذنت لي بالرجوع بعد إذ أعتقتني فأنت المأجور فيه ، فقال ساحم : فقد أذنت لك يا ولي الله ، ارجع بسلام واذكرني في دعائك فقال : اللهم اغفر لساحم وارحمه رحمة لا عذاب بعدها . قال : فنودي قد أجبت يا خضر . [٢/ ٢١٥/ ب] قال : ومضى حتى أتى البحر ، فإذا هو برجل قائم على وجه الماء شاخص ببصره إلى السماء وهو يقول يا من قامت السماوات بأمره فلا يسقط بعضها على بعض ، يا من دحا الأرض وما فيها وأحصى عدد ما فيها من مثاقيل رملها وحصبائها ، يا من عاقب الخضر بذنبه تب عليه توبة مقبولة بوجهك ، يا أكرم الوجوه فدنا منه الخضر فقال : السلام عليك يا عبد الله من أنت الذي تسل التوبة للخضر ؟ قال : أنا الذي آمنت بجلال ربي فاشتغلت بأداء شكر إيمان ربي وإن الخضر لم يزل معصوما حتى رغب في الدنيا وأدخل في قلبه حبها فابتلي فقد رحمتُه وأخلصت له دعائي ، فقال له : أنا الخضر فقال : إليك إليك أيها المذنب ، لا تخالطني أيها الميال إلى الميالة ، والذيال إلى الذيالة ، والمغرور إلى المغرورة ، أنسيت نعيم الآخرة ، فجرك النسيان إلى طلب نعيم الدنيا ، أوقد نسيت شدة الآخرة وبؤسها ، فطلبت راحة الدنيا وسرورها ، أليس الله أبلاك بما ابتلاك عقوبة منه عليك ؟ فلو قد نجوت مما قد رأيت لربحت يا خضر الخاطئ تبوأت لنفسك مكانا

كأنك تخلد فيها ، وغرست لراحتك ظلًا كأنك باق فيها ، أوما علمت أن أمكنتها مبدلة وأن أغراسها منقلعة ، وأن عمرانها مخربة ، وأن نعيمها زائلة بمن فيها ، يا خضر الخاطئ أين كان قلبك ساعة غرستها حتى فرغت قلبك لغراستها ؟ أين كانت فكرتك عن الآخرة ؟ أليس قد خلا قلبك عن ذكر الآخرة بذكر الدنيا ساعة ، وإن الساعة في ذكر الآخرة لبلاغ للعاقلين ، يا خضر وقد ابتليت بالدعاء لك من عبودة الرحمن . قال : وذلك أن الخضر كان له موضع معلوم على بعض شواطئ البحر ، فإذا خرج الخضر إلى البر عبد الله تعالى فيه . قال : فغرس في ذلك الموضع شجرة يعبد الله تعالى في ظل أغصانها ، إذا اشتهى العبادة فيها استتر بها في عبادته ، فعلم الله منه حب الدنيا بقدر ما اشتهى من تنزهه بها وإن كان ذلك في طاعته ، فعاقبه الله بذلك السائل حتى صارت عبادته في عبودة عبد من عباد الله ، ولم يدر الخضر أنه ابتلي بذنب حتى سمع ما سمع من العابد القائم على ظهر الماء ، وكان اسمه سادون بن آشي ، فلما سمع الخضر بذلك خر ساجدًا وهو يقول : يا رب ، ما طلبت بذلك إلا وجهك ورضاك . فنودي : يا خضر ، آثرت الدنيا على الآخرة ، وفرغت قلبك لحبها دون حب الآخرة ، ثم تمنن علي بها ، وعزتي ما لي في حبها رضا ، ولو كان لي في حبها رضا لخصصت بها أوليائي ، ولكن أزويها عنهم لهوانها علي ، وكرامتهم لدي ، يا خضر ، وعزتي لو كان طاعتي وطلب مرضاتي بها لأفنيتها ، ولخلقت خلقا يكون بطاعتي ومرضاتي أذهب ، فلا حاجة فيمن احتاج إلى الدنيا وأمكنها من قلبه ، فلولا ما أدركك من دعاء سادون لأنزلت عليك بوائقي ، ولتتابعت عليك عقوباتي . قال : وذلك أن الخضر طلبه سادون في مكانه الذي كان يراه ، فلم يره في مقعده ولم يجده ، فدعا الله أن يدله على الخضر أو يعلمه [٢/٢١٦/أ] مكانه ، وكان يعرف الخضر والخضر لا يعرفه . قال : فأري أن الخضر أحب الدنيا وزهرتها ، وعوقب بعقوبة كذا وكذا ، فوقف بين يدي الله قائما على الماء شاخصا ببصره إلى السماء وهو يقول : يا رب ، إن أنت أهنت عبدك الخضر بعد كرامته فمن يكرمه يا رب ، ارتكب عظيما ، وحمل ثقيلا ، وخان نفسه ، ونسي العهد يا من لا ينسى كل ما كان ويكون من أمر عباده ، اذكر عند ذنوب الخضر ما مننت عليه من أنواع طاعتك وعظيم عبادته إياك ، يا من ناصية الخضر بيده ، ليس له حراك نفس ولا عصمتها ، ولا طرفة عين إلا بأمرك ومشيئتك وقدرتك ، يا رب فاغفر له ما قدّرت عليه

من معصيتك ، وقدر عليه طاعتك ، فإنها تذهب معصيتك ، يا مقدر الذنوب يا رب . فاستجاب الله له ، وخلص الخضر مما كان ابتلي به من العقوبة .

قال : فرفع الخضر رأسه ، وأتى من ساعته سادون وهو يقول : يا سادون الممنون علي بمنة الله وجلاله ، أين عرفتني ولم أعرفك يا أخي ؟فقال له سادون : يا خضر إن قلوب أولياء الله زاهرة نائرة ، لها شعاع كشعاع الشمس ، تطلع على قلوب أولياء الله ، ألا ترى أن الشمس ما أصغر قدرها ، وأكثر ضوءها ، فلو غشيتها الظلمة القليلة لأذهبت بأكثر ضوئها ، وكذلك قلب ولي الله صاف طاهر ، فإن غشيه حب الدنيا بقدر ذرة كدر ضوؤه وضعف شعاعه ، فإذا خلص القلب من حب الدنيا تراه ينظر إلى أولياء الله في مظانهم ، وقد عرفك قلبي ، فوالله لو كان قلبك للدنيا مثل قلبي لعرفني قلبك كما عرفك قلبي . فقال له الخضر : يا سادون ، كيف قلبك للدنيا ؟ قال : بلغ من بغض الدنيا ما لو أن الله تعالى عرض علي الدنيا والجنة لأبيت قبولهما ، ولست أريد الجنة مع ما أبغضها الله ، وذلك أني أؤثر رضاء الله على رضائي ، فإن رضاء الله ترك الدنيا ، ورضائي دخول الجنة ، ولو أن الله خيرني أن أبقى في الدنيا ونعيمها خالدا مخلدا أبدا لا أموت فيها وبين أن يقبضني ويدخلني النار الساعة لاخترت أن يقبضني ويدخلني النار الساعة ، وذلك أني أؤثر سخط الله على سخطي ، وإن حب الدنيا سخط الله ودخول النار سخطي ، أفتجد ذلك في قلبك يا خضر ؟ قال : لا . قال : لو كان ذلك في قلبك لكان يراني قلبك ، اذهب فليكن أكثر عبادتك بغض ما أبغض الله وهي الدنيا ، ليس حب الدنيا بجمع أموالها وشهواتها وزهرتها ، ولكن حب الدنيا أن تشغل قلبك عن حب الآخرة ولو طرفة عين ، أبغضها بغضا لا يكونن شيء أبغض إليك منها ، فإنك لا تطيق أن تحب الآخرة إلا على قدر ما تبغض الدنيا . فقال : يا سادون ، ادع الله أن يتوب علي بما ارتكبت ، فإني استحيي من ربي أن أدعوه ، فقد حاربته مع عدوه . فقال سادون : يا رب ، قدرت على عبدك المذنب أن ارتكب من الذنب ما ارتكب ، وما كان أهلا لذلك ، وهو عدل منك يا رب ، ثم قدرت له الخلاص من عقوبتك يا رب ، وألهمته طلب التوبة من ذنوبه يا رب ، فتب [٢/٢١٦/ب] عليه فقد عرف ذنبه توبة مقر غير عائد يا رب ، إن الخضر سألني أن أدعوك ، فقد دعوتك مدلًا عليك بما

وعدتني من حسن إجابتك في أوليائك . فنودي : مر الخضر أن يزهد في الدنيا ، فإذا زهد في الدنيا اشتاق إلي ، ومن اشتاق إلي اشتقت إليه ، ولا أشتاق إلى من لا أريد مغفرته فلم أرض عنه . فأخبره سادون ، فزهد بعد ذلك الخضر زهدًا لم يزهد أحد مثله ، وكان سادون رجلاً ملاحًا ، فكان ذات ليلة نائمًا على شط البحر ، إذ خرجت سمكتان ، فوقعتا حذاءه ، فسكت عنهما سادون رجاء أن يخرجا إلى البر فيأخذهما ، فنادته إحداهما : يا سادون ، أبلغ من حبك الدنيا حتى تطمع في برها وبحرها ؟ والله إنك طمعت أن تصطاد من هو أعبد إلى الله منك . فنادتها صاحبتها فقالت : يا هذه ، أتمنين على سادون بعبادتك ربك ، ولم تؤدي شكر نعمة أنعمها الله عليك . فقال : من أنتما ؟ فقالت الأخيرة : أما التي نادتك بالكلام الأول فمنت على الله ، فمسخها الله الآن ، فها هي ذي ممسوخة خرساء ، وأما أنا فمن جنس السمك الذي كان يونس بن متى عليه السلام في بطنها . فقال سادون : كيف خصها الله بيونس عليه السلام من بين دواب البحر ؟ قالت : كانت تعبد الله في البحر بزهدها . قال : فكيف كان زهدها ؟ قالت : كانت لا تبرح ، فإن أوتيت صيدًا عفوًا أكلته وإلا صبرت ، فكانت دواب البحر تسميها السمكة الزاهدة ، فأكرمها الله بنبيه ورسوله عليه السلام إكراما لها بزهدها . فزهد سادون في مكانه زهدًا ، وأخلص لله عبادته ، فقام من ساعته ، فمر على الماء ، فلما توسط البحر وقف ، فلم يزل إلى أن صار إلى الخضر في مكان واحد ، يعبد الله ويدعوه .

قال أبو عبد الله :

فنور هذه الكلمة بلغ هذا المبلغ ، فإنما بلغ بصدق القائل ، ولو كان بغير الصدق لكان المنافق قد قاله ، واليهود والنصارى قد قالوها ، فأصدقهم في المقال أعظمهم نورا ، والصدق في المقال إنما يظهر من العبد ببذل النفس لله ، وإيثاره ربه على نفسه في كل مشيئة وإرادة وشهوة ، فإذا آثر الله فقد صدق الله في إرادته ربه ، ورفض نفسه ، فالنبي بفضل نبوته أراد الله إرادة بزيادة الحياة التي في قلبه ، والصديق هو دون النبي ، والشهيد دونهما ، وهو أقل حياة من الصديق ، والصديق أقل حياة من النبي ، والصالح أقل حياة من الشهيد ، ومن حيي بالله نال نور اليقين ، فهؤلاء الأصناف على درجاتهم على ما وصفنا في الحياة بالله واليقين به ، فأوفرهم

حظًا من الحياة واليقين أشدهم شوقًا إليه ، وإرادة وإيثارًا له على شهوات نفسه ، فالنبي رأس الشهداء ، ثم الصديقون بعده ، ثم القتيل في سبيل الله ، ثم من بعد ذلك من هذه الأصناف التي ذكرها في الحديث ، وأصناف آخرون مذكورون في غير هذا الحديث ، وإنما قال في هذا الحديث : " الشهادة سبع " . ولم يقل : ولا يكون شهيدا من وراء السبع ، إنما [٢/٢١٧/أ] ذكر السبع في ذلك الموطن ، ثم ذكر بعد ذلك أن الغريب إذ مات فهو شهيد ، ومن خرج في طلب العلم فمات فهو شهيد ، ومن دام على الطهارة متوضئا فهو شهيد ، ومن مات مرابطا فهو شهيد ، ومن مات في يوم الجمعة فهو شهيد .

١٥٦٨ـ حدثنا عبد العزيز بن منيب ، ثنا محمد بن كثير العبدي وابن أبي شيبة والهيثم بن أيوب ، قالوا : أنا أبو المنذر هذيل بن الحكم الأزدي قال : حدثني عبد العزيز بن أبي رواد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : " موت الغريب شهادة " .

١٥٦٩ـ حدثنا أبو قلابة عبد الله بن محمد بن عبد الله الرقاشي ، ثنا بشر بن عمر ، ثنا هشام ابن ربيعة ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن ربيعة بن سيف الإسكندراني ، عن عياض بن عقبة الفهري ، عن عبد الله بن عمرو ، أن رسول الله ﷺ قال : " من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة وقاه الله فتنة القبر " .

١٥٧٠ـ حدثنا الجارود ، ثنا حفص بن عبد الله السلمي ، ثنا عبد القدوس ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن ابن عمر ، عن رسول الله ﷺ بمثله ، وزاد فيه : " وغدي وريح عليه من الجنة " . أي برزقه .

فأما تفسير الشهادة فإنه روي في الخبر أن الله تبارك وتعالى اسمه لما خلق الموت فزعت الملائكة منه وعظم شأنه عندهم ، فقالوا : من يقوم لهذا ؟ فقال فيما روي عنه : إن لي عبادًا يتمنونه حبًا للقائي ، يتجرعون مرارته ، ويهون ذلك عليهم اشتياقًا إلي ، فيرفضون الحياة الدنيا طالبين لي ، فعجبت الملائكة من شأن هؤلاء العبيد ، وحنت إلى رؤيتهم . قال : فعرضت تلك الأرواح عليهم يومئذ ، فمن شهد ذلك العرض يومئذ أثبت اسمه وسمي شهيدا ، أي شهد العرض ، وكان من أهل هذه الصفة ، فإذا خرج الروح منه صار إلى ذلك ، وكان من الأحياء المرزوقين ، فلما صارت تلك الأرواح في الأجساد في الدنيا وكانت قلوبهم حية بالله على الصفة التي

وصفنا بدءا ، فمنهم الصديقون أولياء الله ، يتمنون الموت لحب الله ، وقال الله في تنزيله حين ادعت اليهود ولايته فقال : ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ [الجمعة : ٦] ثم قال : ﴿ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ . فأعلم العباد أنهم بما قدمت أيديهم من نقض العهد ونكت التبعية التي بايعوا الله يوم الميثاق ، والمعاصي التي قدموها ، لا يحبون لقاء الله ، ولا يتمنون الموت . . .[١] العباد لتلك البيعة أشدهم شوقًا إلي الله وأحرصهم علي الموت ، فقد كانوا يوم العرض شهودا في ذلك المحل فلزمهم اسم الشهادة فقيل : شهيد ، فهم أيام الحياة علي درجاتهم ، فأول الدرجات هم النبيون وهم رأس المشتاقين إلي الله جل ذكره وفيهم تفاوت ، ثم من بعدهم الأولياء والصديقون وفيهم تفاوت ، ثم من بعدهم من جاهد في سبيل الله ابتغاء مرضات الله وهو لايدري من هو وهو يحب الحياة وكان في ذلك اليوم في ذلك [٢/ ٢١٧/ ب] العرض ، فرزقه الله عند لقاء العدو شوقًا إليه ، فلما آثر لقاء الله علي الحياة في الدنيا فاراد الله فأراده الله فقُبل ، فتبين في عاقبة أمره أن هذا كان من هذا الصنف ، وإنما وجد القلب في هذه الساعة التي لقي فيها العدو فصدق الله في بذل وايتاء[٢] لقاء الله .

ثم هؤلاء الأصناف الذين ذكرهم في الحديث هم في الغيب في ذلك العرض قد أثبتت أسماؤهم في الشهداء لذلك المحل والعرض ، فوفق الله لهم هذه الأحوال ، فمن غرق فأخذ الماء بنفسه كانت موتته موتة وحية أي سريعة ، بلا لبث ، فبذل نفسه لما أيس من الحياة واختار لقاء الله ، وكذلك صاحب الحريق وصاحب الهدم والنفساء بجمع إذا نشب الولد في البطن أيست من الحياة ، وآثرت لقاء الله ، وكذلك المطعون ، وسئل رسول الله ﷺ عن الطاعون فقال : " وخز أعدائكم من الجن " . فذاك قتيل الجن يئس صاحبه من الحياة ، فكذلك المبطون ، وصاحب ذات الجنب وهو صاحب السل قد أيس من الحياة لأن قوة الحياة قد ذهبت من المبطون والمسلول ، وقد أحست نفوسهما بالموت ، وكذلك الغريب إذا أشرف

---

(١) كلمة لم استظهر قراءتها .

(٢) كذا صورتها بالأصل .

على الموت فلم ير أهله وولده ولا أحبابه ، تمنى الموت وبذل نفسه ؛ لأن هؤلاء إذا كانوا بالحضرة اشتد على النفس فراقهم ، فأحبوا الحياة ، ففي هذا نقصان ، ولذلك تعوذ رسول الله ﷺ فقال : " أعوذ بك من حب العيش عند حضران الموت " .

فإذا أحب أن يعيش في ذلك الوقت الذي دعاه الله إليه فتلكأ وتردد فذاك عيب ونقص ، فأصحاب الفرش في هذا العيب لا يتمنون الموت ، إذا حضر لحب العيش ، وفتنة قلوبهم بالأهل والولد وحطام الدنيا ، فذاك نقص وعيب ، ولذلك قال رسول الله ﷺ : " الشهداء أمناء الله ، قتلوا أو ماتوا على فرشهم " .

١٥٧١ـ حدثنا بذلك محمد بن يحيى ، عن علي بن الحسين عن عبد الله بن المبارك ، عن أبي بكر بن أبي مريم الغساني ، عن راشد بن سعد ، عن رسول الله ﷺ .

وقال النبي ﷺ : " ليس كل قتيل شهيدا ، رب قتيل بين الصفين الله أعلم بنيته " .

فمات رسول الله ﷺ على فراشه وهو رأس الشهداء ، ومن بعده أبو بكر رضي الله عنه كذلك ، فإنما صاروا شهداء بأنهم أمناء الله ، جعل الله أرواحهم في أجسادهم عاريّة ، فيقبضهم عند نفاد آجالهم ، فكانوا في أيام الحياة يعدونها عاريّة ، وكانت أعينهم مادة إلى الدعوة متى يُدعَوْن فيجيبون بلا تلكؤ ولا تردد ، فمن أحب العيش في الدنيا ولم يكن له حب لقاء الله ، فحضره الموت تلكأ وتردد في بذل الروح ، فخرج من أن يكون من أمناء الله ، وكذلك وضع فيما بين العباد لو أن رجلاً أعطي شيئا عارية ، أو أودع وديعة ثم استردها صاحبها ، فتلكأ هذا في ردها على مالكها فقد خان وضَيَّع الأمانة ، فإنما يؤخذ منه بعد ذلك قهرًا ، فأمناء الله هم الذين أرواحهم عندهم عاريّة بأمانة الله ، فهم يتمنون الموت حبا للقاء الله ، فإذا جاءهم الموت تجرعوا [٢/٢١٨/أ] مرارته حبًّا للقائه ، ولم يتلكئوا في رد العواري ، فلذلك صاروا أمناء ، وقال رسول الله ﷺ هم الشهداء ؛ لأنهم كانوا يومئذ شهدوا ذلك العرض واليوم حين خرجت منهم الأرواح ، صارت إلى المحل ، فشهدوا القربة ، فهم شهود عند الله في القربة أحياء .

فهذا يحقق ما قلنا بدءا ، فقد صير في حديثه القتيل والذين ماتوا على فرشهم بمنزلة ، وسماهم شهداء ، يعلمك أن الشهادة ليست على القتل حدثت ، إنما اسم الشهادة لزمهم لما وصفنا ، والكرامة نالوها من أجل أنهم رفضوا الحياة وآثروا لقاء الله ،

وأرادوه فأرادهم ، وكذلك الذي لا يزال على وضوء أيام الدنيا ؛ لأن الله تبارك وتعالى قال : ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴾ [الفرقان : ٤٨] أي فعولا للطهر ﴿ لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ﴾ فالأرض تحيا بذلك الماء وتنبت ، والآدمي خلق من الأرض ، فإذا أذنب مات قلبه عن الله على قدر ذنبه ، فإذا توضأ كان ذلك الماء الذي أنزله طهورًا يطهر جوارحه ويزيل عنه المعاصي ، فيعود القلب إلى الحياة التي كانت ، فإذا دام وضوءه وتتابع كانت حياة قلبه دائمة ، فإذا دامت حياة قلبه تمنى الموت ، ولذلك قال رسول الله ﷺ في حديثه لأنس : " إن حفظت وصيتي فلا يكونن شيء أحب إليك من الموت " .

١٥٧٢ـ حدثنا عبد الكريم بن عبد الله ، عن محمد بن معاوية ، عن ليث بن سعد ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن ابن شهاب ، عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ ذكر عنده الشهداء ، فقال : " إن أكثر شهداء أمتي أصحاب الفرش ، ورب قتيل بين صفين الله أعلم بنيته " .

١٥٧٣ـ حدثنا عبد الكريم بن خالد بن صبيح ، أنبأنا أبو أنس المديني ، عن ابن جريج ، عن نافع ، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : " ليس من أحد إلا وله كرائم من ماله يأبى لهم الذبح ، وإن لله خلقًا من خلقه يأبى لهم الذبح ، أقوام يجعل موتهم على فرشهم ، ويقسم لهم أجور الشهداء " .

١٥٧٤ـ حدثنا سهيل بن العباس ، ثنا عبد الرحمن بن معدان ، عن عبد الرحمن بن زياد ، عن أبي عبد الرحمن المعافري ، عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : " الله أضنّ بدم عبده المؤمن من أحدكم بكريمة ماله حتى يقبضه على فراشه " .

فهذه صفة عبد مؤمن قد اطمأنت نفسه إلى ربه ، ولها عن الدنيا وأحوال النفس ، وأناب قلبه إلى ربه ، وجاد بنفسه على ربه ، يقبل أحكامه وأقضيته على نفسه قبول مهتش مشتاق إلى لقاء محب له بكل قلبه ، فكما جاد بنفسه على ربه ضن به ربه عن أحوال البلاء ولم يدفعه إلى تلك الأحوال ، فلذلك يأبى به عن القتل في سبيله حتى يقبضه على فراشه ، ويقسم له أجر الشهداء ؛ لأن الشهيد إنما بذل نفسه ساعة من نهار حتى قتل ، وهذا بذل نفسه في جميع عمره ، فالله يضن بدمه كما يضن أحدنا بنجيبته ، [٢/٢١٨/ب] فإن النجيبة من كرائم ماله ، فلا تسخو نفسه أن يذبحها ، فكذلك ربنا يضن به عن البلاء أن يعرض نفسه للبلاء ، ولذلك قال رسول الله ﷺ

في حديث

١٥٧٥ـ حدثنا أحمد بن مصرف اليامي ، ثنا محمد بن بشر العبدي ، عن عبادة بن كثير ، عن حوشب قال : قال رسول الله ﷺ : " إن لله عبادًا يضن بهم عن الأمراض والأسقام ، يحييهم في عافية ، ويميتهم في عافية ، ويدخلهم الجنة في عافية " . قال له قائل : فأين قول رسول الله ﷺ : " أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون " . قال : هذا إذا ابتلاهم ، فمن ابتلي من الأنبياء فهو أشد الناس بلاء ، ألا ترى إلى قول رسول الله ﷺ حيث دخلوا عليه وبه حمى ، قال أبو سعيد : فما كادت يدي تقار من شدة الحر حين وضعت يدي عليه ، فقلت له ، فقال رسول الله ﷺ : " إني أوعك كما يوعك الرجلان منكم ، وإن أشد الناس بلاء الأنبياء "

فهذا إذا ابتلي ، فهو أشدهم بلاء ، والذي قلنا باب آخر ، إنما ذلك في التتابع والتواتر ، فكثير من الأنبياء تتابعت عليهم وتواترت حتى قتلوا بأنواع القتل ، وأما الخواص من الأنبياء والأولياء فقد عوفوا ، منهم إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام ، إنما ابتلي ببلية من البلوى ، ثم لم يزل معافى ، وإسماعيل وإسحاق وموسى وهارون ومحمد ﷺ وعليهم أجمعين ، فقد عرضوا للبلاء ، ثم رفع عنهم ، ولم يبتلهم فيشملهم البلاء ، إنما البلاء لمثل أيوب عليه السلام ، ومثل يحيى بن زكرياء عليه السلام حيث قتل صبرًا ، ولزكرياء عليه السلام حيث نشر بالمنشار في الشجر ، ومثل جرجيس وأشباهه .

١٥٧٦ـ حدثنا عمر بن أبي عمر ، ثنا الربيع بن روح الحمصي ، عن إسماعيل بن عياش ، عن مسلم بن عبد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر رضي الله عنهما ، عن رسول الله ﷺ قال : " إن لله ضنائن من خلقه ، يغذوهم في رحمته ، محياهم في عافية ، ومماتهم إذا توفاهم إلى جنته ، أولئك الذين تمر عليهم الفتن كمثل قطع الليل المظلم ، وهم منها في عافية " . والله أعلم

الأصل الثالث والتسعون والمائتين

١٥٧٧ـ حدثنا محمد بن علي الشقيقي ، أنبأنا أبي ، عن عبد الله ، أنبأنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، قال : أخبرني خالد بن زيد ، عن عقبة بن عامر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " ليس من اللهو إلا ثلاثة : تأديب الرجل فرسه ، وملاعبته امرأته ، ورميه بقوسه ونبله " .

١٥٧٨ـ حدثنا صالح بن محمد ، ثنا نصر بن عبد الكريم ، عن هشام الدستوائي ، عن يحيى ابن أبي كثير ، عن زيد بن سلام ، عن عبد الله بن زيد ، عن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله ﷺ : " كل لهو المؤمن باطل إلا ثلاثًا فإنهن حق : رميه بقوسه ، وتأديبه فرسه ، وملاعبته أهله " . [٢/ ٢١٩/أ]

قال أبو عبد الله رضي الله عنه :

فاللهو ما يلهي قلب المؤمن عن الله ، وهو كله مذموم إلا في هذه الثلاثة الأنواع ؛ لأن في هذه الثلاثة عونًا على الدين ، وقوامًا له ، يرمي بقوسه لئلا تذهب عادته للرمي ، ولا تتشنج أعضاؤه ومفاصله وكتفاه ، ويؤدب فرسه لئلا يجمح ، ولا يكون مستوليًا على النزع منه والفروسية ؛ لئلا ينقطع عنه شجاعته ، ويكون جريئًا ذا قلب ، فإذا ترك ذلك ضعف قلبه وجبن ، وملاعبته أهله ليسكن ما به وبها ، وهذا كله وإن كان ملهيًا فهو في الأصل حق ، وإنما رخص للمؤمن في التلهي بهذا ؛ لأن قلبه في أثقال العظمة ، فإذا دام عليه ضاق به ، والتمس تفرجًا وتخفيفًا ، فيلجأ إلى هذه الأشياء التي هي في الأصل حق حتى تكون مزاجًا للمؤمن ، ألا ترى أن رسول الله ﷺ لما أسري به إلى السدرة وغشيها ما غشيها قال : " رأيت نورًا ، ثم حال دونه فراش من ذهب غرقد[1] ، وأخذني كالسبات " . فذاك مزاج له ليتحمل رؤية ذلك النور ، كأنه لم يقدر على احتمال ذلك النور حتى مازجه بذلك الفراش ، فأطاق احتماله ، كذلك المؤمن البالغ إذا تراكمت على قلبه أثقال العظمة التمس متنفسًا ليقوى على احتمالها ، فصير رسول الله ﷺ في حديثه هذا اللهو الملهي لقلبه حقًّا

---

(١) هكذا استظهرت قراءتها .

وتخفيفًا عنه ، وإنما صارت هذه الأشياء ملهية لأن الرجل إذا رمى عن قوسه توخى بقلبه تسديد السهم وإصابته للهدف ، فهو يجتهد في علم ذلك ووضعه يده حيث يضع ، ففي ذلك مشغلة عظيمة تلهي قلبه ، ولا يخلو من ذاك ، ففي إصابته حيث وضع يده شفاء للنفس وقوة للقلب ، فسمي لهوًا لأنه يلهيه ، وذلك اللهو حق ، وكذلك تأديبه فرسه حتى لا يحرن ولا يجمح ، ويفهم شأن العنان ، ويتعلم السير والوثبان ، والوقوف والاستدارة ، وفي ذلك مشغلة تلهيه ، وذلك حق ، وكذلك ملاعبته امرأته يريد بذلك تسكينها وعفتها من الرجال ، ففي ذلك مما يهيج عليه من الشهوة ما يلهيه ، ففي هذه الأشياء تفرج وخفة في أثقال العظمة على قلب المؤمن ، فيكون مزاجًا والله سبحانه وتعالى أعلم .

* * * *

تم الكتاب بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ، وهو آخر ما وجد من النوادر نفع الله به قارئه ومستمعيه ومن كان سببًا لتحصيله ، وكاتبه وجميع المسلمين في السابع من شهر الله المحرم الحرام من شهور سنة أربع وثمانين وثمانمائة علي يدي العبد الفقير الضعيف المذنب الخاطئ محمد بن مصطفى بن حجا بن أصلان الحنفي مذهبًا القاري حرفة عامله الله سبحانه بلطفه الخفي وغفر الله لنا ولوالدينا ولمشايخنا ولأساتذتنا ولمن علمنا ولجميع المسلمين آمين يا أرحم الراحمين [٢/ ٢١٩/ ب]
ولد ابني محمد بحول الله تعالى سنة ١٣٤٠ ليلة النصف من شعبان ساعة في الجمعة جعله الله وإيانا من عباده الصالحين وأدخلنا فيمن نال بشراه وأقام حدوده وختم لنا وإياه بالشهادة في سبيله بعد إقامة جميع حدوده ، رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب .
اللهم ارزقني وأهلي جميعا نعيم الدنيا والآخرة ، اللهم اجعل لنا من كل أمر أهمنا من أمور ديننا ودنيانا فرجا ومخرجا ، واغفر لنا ذنوبنا وارزقنا من حيث نحتسب ومن حيث لا نحتسب وثبت حالا أمور ديننا ودنيانا في قلوبنا حتى لا نرجو أحدا غيرك ، وصل اللهم على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين آمين .
وتوفي قطعة كبدي وسويداء فؤادي ابني المذكور محمد سنة ١٣٤٤ في ابتداء ربيع

الأول نهار ما طلع طراميني من الشام ، وتوفي هو في الشام ، وكنت الحين إذ ذاك في مصر ، اللهم اخلفني خلفا صالحا وارزقني خير الدنيا والآخرة واجعله في كفالة خليلك إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، اللهم اجعله لنا فرطا وذخرا ، اللهم اجعله لنا شافعا مشفعا .

كتبه الفقير إلى عفو ربه القدير أبو أحمد عبد الكريم بن إبراهيم البلغاري القربي سامحه الله الكريم بفضله العظيم الصمداني .

الفهارس العامة للكتاب

١ - فهرس الأحاديث

٢- فهرس الآثار

* * * *

٣- فهرس شيوخ المصنف

* * * *

فهرس محتويات الجزء الأول

فهرس محتويات الجزء الثاني